

الذخيرة في محاسن أهل الجبلة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (١٥٤٢)

القسم الاول - المجلد الاول

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

مَقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

بيّن ابن بسام في مقدمة كتاب الذخيرة أنه قد جعله في أربعة أقسام ، على النحو الآتي :

١ القسم الأول : لأهل حضرة قرطبة وما يصاحبها من بلاد موسطمة الأندلس .

٢ القسم الثاني : لأهل الجانب الغربي من الأندلس وذكر أهل حضرة اشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط .

٣ القسم الثالث : لأهل الجانب الشرقي من الأندلس .

٤ القسم الرابع : لمن طرأ على جزيرة الاندلس من شعراء وكتاب ، ولبعض مشهوري المعاصرين ممن نجم بافريقية والشام والعراق .

وبين سنتي ١٩٣٩ - ١٩٤٢ ظهر القسم الأول من الكتاب ، في مجلدين ، بعناية لجنة من المحققين ولجنة من المشرفين على التحقيق ؛ وفي سنة ١٩٤٥ ظهرت قطعة من القسم الرابع . ثم توقفت اللجنة المضطلة بتحقيق الكتاب عن متابعة عملها - فيما يبدو - لظروف وأسباب مختلفة ، وكان في ذلك التوقف ، خسارة كبيرة لدارسي الأدب الاندلسي وطلابه ، لأن الذخيرة أولاً من أهم مصادر ذلك الأدب ، ولأنه ليس من السهل - ثانياً - على كل دارس أن يحصل على أصولها الخطيّة ، ثم لأن تلك الأصول - ثالثاً - ليست ميسرة للقراءة على نحو مباشر طيّع .

لهذا وجدت ان تحقيق الذخيرة - على صعوبته - أمرٌ ضروري ، وأخص منها القسمين الثاني والثالث ، وما تبقى من القسم الرابع ؛ فهذا هو القدر الذي لم يظهر من الكتاب مطبوعاً حتى اليوم ؛ وقد بدأت التحقيق بحسب وفرة الأصول الخطية لكل قسم ، وكان القسم الثالث أوفرها حظاً ، ويليه في ذلك القسم الثاني ، ولهذا عملت في تحقيقهما بهذا الترتيب ، مرجئاً النظر في القسم الأول ، لأنه قد طبع وتداولته الأيدي منذ زمن ؛ ولكن رغبة الدارسين في أن يروا جميع أجزاء الذخيرة محققة بكاملها متناسقة في اكتمالها متجانسة في سماتها العامة المشتركة ألزمتني بإعادة النظر في هذا القسم الأول ؛ وهكذا كان .

وابادر لأقرر مخلصاً أن أعضاء اللجنتين اللتين تولتا هذا العمل تحقيقاً وإشرافاً قد بذلوا في إخراجه من العناية ما يستحق كلّ تقدير ؛ أقول هذا وأنا قد اطلعت على أصول الذخيرة ووقفت على مدى ما فيها من صعوبة ناشئة عن حال النسخ نفسها ، وعما فيها من كثرة الخلافات في القراءة ، ومن التفاوت الشديد بين ما تثبته نسخة وما تثبته أخرى ، ومن تعرّض بعض تلك النسخ لتدخل أيدي وأقلام أخرى في سياقها غير يد المؤلف وقلبه . فإذا أضيف إلى ذلك أنني - على ما بذلت من محاولات ودراسات - لم أستطع أن أزيد على الأصول التي اعتمدتها اللجنة السابقة في تحقيق هذا القسم الأول ، وجد القارئ أن النص لم يبتعد كثيراً عما جاء عليه في الطبعة السابقة ، وإن كنت أقدر أن تفاوت النسخ ، سيكون مدعاة في المستقبل - إذا تمّ كشف شيء منها - مجالاً لزيادات مفيدة ولقراءات جديدة .

ومهما يكن من شيء ، فإن عدم توفر أصول جديدة لم يوقف بذل الجهد في اتجاهات أخرى ، وأرجو ألا يؤخذ قولي مأخذ الدعوى حين أقول أنني قد منحت هذه الطبعة مميزات كثيرة : فقد صححت عدداً غير قليل من أخطاء القراءة ، وعرفت بالأعلام والاماكن حيث كان ذلك ضرورياً ، وشرحت الألفاظ التي تتطلب شرحاً وخاصة بعض المصطلحات الأندلسية مثل حنبل

وطولق وقلبتق وما أشبه ذلك من ألفاظ غير مألوفة أو معروفة لدى المشاركة ، إذ قد يستغرق البحث عن معانيها وقتاً طويلاً لا يتيسر لكل قارئ ، كما وفقت إلى تخريج كثير من الشواهد الشعرية التي أدرجها المؤلف في الكتاب ، واتبعت نهجاً مختلفاً في تمييز الأصيل من الدخيل في نص الكتاب ، وراجعت النص على المصادر التي استمدت من الذخيرة ، وعلى سائر المصادر الأندلسية التي طبعت بعد صدور ما طبع منها .

أما النسخ التي اعتمدتها فهي أيضاً تنقسم في فئتين مثلما كانت الحال في أصول القسم الثالث ، وتضم الفئة الأولى :

١- نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم ١٣٢٤ (ورمزها : ط) ، وعدد أوراقها ١٦٧ ورقة ، في كل صفحة منها ٢٩ سطراً ، ومسطرتها ٥ ، ٢٣ × ١٦ ، وهي مكتوبة بخط مغربي جميل وأصح ، ولكنها لا تحمل تاريخاً للنسخ ، وهي قريبة الشبه بالنسخة (ط) التي وصفتها في مقدمة القسم الثالث ، وإن لم يكن الخط فيهما واحداً بالضرورة ؛ وهذا الشبه بين النسختين قد يحمل على القول بأن (ط) تنتمي إلى القرن الحادي عشر ، وأقدم التملكات المؤرخة المكتوبة على الورقة الأولى منها تحمل تاريخ أوائل شعبان ١٠١٩ حين دخلت في ملك محمد ابن أحمد بن محمد الشريف الحسني ، ثم باعها هذا المالك إلى سيدي محمد بن عبد الملك بن عبدالله في رمضان المعظم سنة ١٠٢١ .

٢ - نسخة دار الكتب الملكية بالقاهرة وعدد أوراقها ١٩٧ ورقة ، وفي الصفحة الواحدة ٢٥ سطراً ، ومسطرتها ٢٥ × ١٣ وقد تم نسخها سنة ١٢٢٩ . وهاتان المخطوطتان متشابهتان في حالتي الزيادة والنقص في النص مما يرجح أنهما مأخوذتان عن أصلين متقاربين ، وإذا تميزت نسخة دار الكتب القاهرية في بعض القراءات عن (ط) فهذا التميز لا قيمة له في الغالب ، وقد تلتقي هذه النسخة مع نسخ الفئة الثانية - الآتي وصفها - في بعض القراءات ، وفي هذا أيضاً ما يجعل قيمتها ثانوية ، لأنها لا تتمتع بالزيادات التي تتمتع

بها نسخ الفئة الثانية إلا في موطن واحد، حيث تفرق عن (ط) على نحو لافت للانتباه وذلك في إيراد أبيات زائدة عما هي في (ط) في ترجمة ابن زيدون، واشتراكها مع نسخ الفئة الثانية في إيراد نص دخيل على الذخيرة هورسالة ابن زيدون لأبي بكر بن مسلم، بل أنها في هذه الرسالة تنفرد عن نسخ الفئة الأخرى ببعض عبارات أدرجتها بين حاصرتين من هذا النوع < > مشيراً في الحاشية إلى مصدر الزيادة؛ ولقلة الاعتماد على هذه النسخة لم أضع لها رمزاً خاصاً.

وأما الفئة الثانية فلأنها تضم النسخ الآتية :

١ - نسخة باريس رقم : ٣٣٢١ (ورمزها : س) وتقع في ١٢٥ ورقة ، عدد سطور كل صفحة ٢٣ سطراً ، ومسطرتها ٢٢ × ١٣ وهي مكتوبة بخط مغربي ، وفيها أخطاء وأوهام كثيرة ، وليس هناك ما يدل على تاريخ نسخها .

٢ - نسخة المكتبة التيمورية ورمزها (م) ، وتتألف من ٢٢٥ ورقة ، في كل صفحة ٢٦ سطراً ، ومسطرتها ٢٠ × ١٣ وهي دون تاريخ أيضاً ، وخطها مغربي .

٣ - نسخة خاصة كانت في ملك الاستاذ ليفي بروفنسال (ورمزها : ب) ، عدد ورقاتها ١٠٤ ، وعدد الاسطر في كل صفحة ٣٣ ، ومسطرتها ٢٤ × ١٧ ، وخطها مغربي مزود ببعض الشكل ، إلا أن الحروم فيها كثيرة .

وتعد هذه النسخ الثلاث متقاربة لأنها قد تميزت عن الفئة الأولى بزيادات كثيرة ، وتحيء هذه الزيادات في ثلاثة أنواع : أولها ورود النصوص المنقولة عن ابن حيان فيها على نحو تفصيلي لا يتوفر في الفئة الأولى من النسخ حيث يرد النص موجزاً بشكل واضح ؛ وثانيها : ورود رسائل وأشعار لا يستبعد أن يكون ابن بسام هو الذي زادها ؛ وثالثها : كثرة الدخيل فيها مما قام بإضافته شخص (أو أشخاص) بعد عهد المؤلف ، وكان أحد الذين زادوا بعض النصوص مطالعاً على مسودات ابن بسام :

وقد كان منهجي في التحقيق قبول أوسع الصُّور في النسخ وأكثرها تفصيلاً ، ولهذا اعتبرت أن كل نصّ تنفرد به النسخ (ب س م) فإنه لا يميز بإشارة لأن ذلك يعني إثقال الحواشي في كل صفحة بفروقٍ لا تكاد تحصر ، فأما إذا كان النص من زيادات (ط) فإنه يوضع بين معقفين على هذه الصورة [] والعيب في هذه الطريقة أن القارئ لن يتصور مدى ما ينقص النسخة (ط) أو مدى ما تتمتع به النسخ (ب س م) من زيادات ولكن هذا عيب شكلي خالص ، إذ أن إقامة نصّ سليم هو الهدف الأهم والأكثر جدوى . فأما ما أقطع يقيناً بأنه من الدخيل على نصّ الذخيرة فأني أبقيه في موضعه مميزاً له باختيار حرف طباعي أصغر حجماً من حرف النصّ الأصلي ؛ ولاختياري هذا المنهج وجدت من الضروري أن أردّ الرسائل التي أضيفت إلى ترجمة كل من ابن برد والبزلياني إلى مواضعها بعد أن كانت لجنة التحقيق التي قامت بإصدار هذا القسم من قبل قد انتزعتها من موضعها وجعلتها ملحقةً بآخر الكتاب ، وقد كان عمل اللجنة في هذه الناحية غير قائم على منهج موحد ، فهناك مثلاً زيادات دخيلة في ترجمة ابن زيدون تركت في موضعها ، ولم تفرد في ملحق خاص .

وقد أهملت لدى مقارنة النسخ قراءات واضحة الخطأ ، إذ لا ضرورة لإثقال الحواشي بها ؛ وأثبت في المتن أصحّ القراءات - في نظري - ووضعت ما يعدّ في الدرجة الثانية من حيث الصحة - أو من حيث احتمال الصحة - في الحاشية ، وهذا أمر ذاتي اجتهادي لا يمكن تعليله في كل مرة . وكل ما زدته في المتن اجتهداً من عند نفسي أو اعتماداً على المصادر فقد وضعته بين حاصرتين على هذا الشكل < > دون أن أشير إلى ذلك في كل مرة ، وذلك تمييزاً لهذا النوع من الزيادات عن الزيادات المستمدة من النسخة القاهرية ، فإنها مشفوعة دائماً بالإشارة إلى مصدرها .

وبما أن الذخيرة عمل ضخم قد يستغرق سنوات فقد وجدت من الخير

الاسراع بعمل فهرست خاص بكل قسم ، (وكل قسم يقع في جزئين متسلسلي الترقيم) بدلاً من إرجاء الفهرسة حتى يتم ظهور الأجزاء جميعاً . على أنني أرجو أن أخصص جزءاً تاسعاً للاستدراكات العامة والتعليقات وبعض الفهارس الفنية التي تيسرُ الإفادة من هذا الكتاب القيم ؛ كذلك أرجو أن يكون هذا الجزء الأخير مجالاً لدراسة مؤلف الكتاب ، ومنزلته الأدبية ، وقيمة كتابه من النواحي التاريخية والأدبية والنقدية ، وهي دراسة لا يمكن أن تتم على الصورة الشاملة المرضية قبل اكتمال أجزاء الكتاب تحقيقاً ونشراً .

وأود في ختام هذه المقدمة أن أتقدم بالشكر إلى الدار العربية للكتاب ، التي أخذت على عاتقها بذل كل جهد ممكن لوضع « الذخيرة » في متناول الدارسين والقراء ، خدمة منها للتراث العربي بعامة وللتراث المغربي بخاصة ، وأنا على يقين من أن الدراسات في الأدب الاندلسي ستجد في الذخيرة مجالاً خصباً لا يدانيه في غناه واتساعه أي مصدر آخر ، وأن وجود الذخيرة في أيدي الدارسين محققة ، لن يجعل الإفادة منها أمراً جزئياً محدوداً تحول دون اتساع مداه صعوبة النسخ الخطية ؛ ولهذا أكاد أسكت صوت الاعتذار عما قد يكون تسرب إلى هذه الطبعة من خطأ أو وهم ، بعد أن استفرغت جهد الطاقة . ومن الله أستمده العون ، وإليه أبرأ من الزهو والدعوى ، وعليه أتوكل وبه أستعين .

بيروت في آب (أغسطس) ١٩٧٥ .

إحسان عباس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني الأندلسي^١ ، رحمه الله^١ :

أمّا بعد حمد الله وليّ الحمد وأهله ، والصلاة على سيّدنا محمد خاتم
رُسله ، فإنّ ثمرَةَ هذا الأدب ، العالِي الرُتب ، رسالةٌ تُنشر وتُرسَل ،
وأبياتٌ تُنظّم وتُفصّل ؛ تنثالُ تلك^٢ انثيالَ القطار ، على صفحات
الأزهار ، وتتصل هذه اتصالَ القلائد ، على نخور^٣ الخرائد ؛ وما زال في
أفقنا هذا الأندلسي القصي^٤ إلى وقتنا هذا من فُرسانِ الفنّين^٥ ، وأئمةِ
النوعين ، قومٌ هم ما هم طيّبٌ مكاسِر ، وصفاءَ جواهر ، وعدوّةِ
مواردٍ ومصادر ؛ لعبوا بأطراف الكلام المشقّق ، لعبَ الدُّجى بجفون
المورّق ، وحَدّوا بفنون السّحر المنمّق ، حُداء^٦ الأعشى ببناتِ
المخلّق ؛ فصبّوا على قوالب النجوم ، غرائب المثور والمنظوم ؛ وباهوا
غررَ الضّحي والأصائل ، بعجائب^٧ الأشعار والرسائل : نشرٌ لو رآه البديعُ
لنسي اسمَه ، أو اجتلاه ابنُ هلالٍ لولاهُ حكمته ؛ ونظمٌ لو سمعه

١ ورد جانب من خطبة الذخيرة في النفع ٢ : ٥٠٠ ، كما نشرها دوزي في النصوص التي
جمعها عن تاريخ بني عباد ٣ : ٣٩ - ٥٦ .

٢ ط : ينثال ذلك .

٣ ط : نجوم .

٤ ط : القطر .

٥ ط : الفشتين .

٦ ط : وحذوا ... حذاء .

٧ ط : بغرائب .

كثيّرٌ ما نسبَ ولا مدح ، أو تتبّعهُ جرّولٌ ما عوى ولا نبج ؛ إلا أن^١ أهل هذا الأفقِ ، أبوا إلا متابعة أهل الشرق^٢ ، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة^٣ ، رجوع الحديث إلى قتادة^٤ ؛ حتى لو نعتَ بتلك الآفاق غراب ، أوطنَ بأقصى الشام والعراق ذُباب ، لَجَسُوا^٥ على هذا صنما ، وتَلَوْا ذلك كتاباً مُحْكَمًا ؛ وأخبارهم الباهرة ، وأشعارهم السائرة ، مَرَمَى القصيدة ، ومُناخ الرذيلة^٥ ، لا يعمر بها جنانٌ ولا خلد ، ولا يُصرف فيها لسانٌ ولا يد . فغاطني منهم ذلك ، وأنفَتُ ممّا هنالك ، وأخذتُ نفسي بجمع ما وجدتُ من حسنات دهرِي ، وتتبع محاسن أهل بلّدي وعَصْرِي ، غيرةً لهذا الأفق الغريب أن تعود بدوره أهلة ، وتُصبح بحارُهُ ثِماداً مُضمحلة ؛ مع كثرة أدبائه ، ووُفُور علمائه ؛ وقديماً ضيعُوا العلم وأهله ، وياربُّ مُحسن مات إحسانُهُ قبله ؛ وليت شعري مَنْ قصر العلم على بعض الزمان ، وخصَّ أهلَ المشرق بالإحسان ؟

وقد كتبتُ لأرباب هذا الشأن ، من أهل الوقت والزمان ، محاسن^٦ تبهرُ الألباب ، وتسحرُ الشعراء والكتّاب . ولم أعرضُ لشيء من أشعار

١ ط : المشرق .

٢ النفع : المعتادة .

٣ أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي (٦١ - ١١٧ أو ١١٨) ، كان من حفاظ أهل زمانه ، وقد تفاوتت فيه الآراء ، فقليل فيه : كان حاطب ليل ، كما قيل فيه : فلما نجد من يتقدمه ، وأنه كان من علماء الناس بالقرآن والفقه (انظر تهذيب التهذيب ٨ :

٣٥١ - ٣٥٦) .

٤ ط : لحنوا .

٥ الرذيلة : الناقة الهزيلة المتروكة التي لا تقدر أن تلتحق بالركاب ؛ يعني أن أخبارهم وأشعارهم مطرحة منبوذة .

٦ ط : محاسناً .

الدولة المروانية، ولا المدائح العامرية: إذ كان ابنُ فرَج الجبّاني^١ قد رأى رأيي^٢ في النصفَة ، وذهب مذهبي من الأنفَة ؛ فأملسى في محاسنِ أهل زمانه « كتاب الحدائق » مُعارضاً لـ « كتاب الزهرة » للإصبهاني^٣ ، فأضربتُ أنا عما ألف ، ولم أعرضُ لشيءٍ مما صَنَف . ولا تعدّيتُ أهلَ عصري ، ممّن شاهدته بعُمرِي ، أو لحِقته بعضُ أهلِ دهري ؛ إذ كلُّ مُردّدٍ ثَقِيل ، وكلُّ متكرّرٍ مملول ، وقد مَجّت الأسماعُ : « يا دارَ مَيّة بالعلياء فالسند » ، ومَلّت الطبّاع : « لِحَوْلَة أَطْلالٍ بِبِرُقَة ثَمَد » ؛ ومَحَتْ^٤ : « قفا نَبْكَ » في يدِ المُتعلّمين ، ورجعتُ على ابنِ حُجْر بلائمة المُتكلّفين^٥ ؛ فأما « أَمِنْ أَوْفَى » ، فعلى آثارٍ من ذهب العفاء . أما أَن أنْ يَصمَّ صَداها ، ويُسَامَ مداها ؟ وكَم من نُكْتة أغفلتُها الخُطباء ، ورُبُّ مُتَرَدِّمٍ غادَرَتُهُ الشُعراء ؛ والإحسانُ غيرُ محصور ، وليس الفضل

١ أبو عمر أحمد بن فرج الجبّاني (- ٣٦٠ أو حوالي ٣٦٦) ؛ عرف بكتابه « الحدائق » الذي ألّفه للحكم المستنصر ، وكان من مقدّمي الشعراء في العهد الأموي ، وقد سجّنه الحكم وصدرت عنه وهو في السجن أشعار كثيرة (انظر الجذوة : ٩٧ والبنية رقم : ٣٣١ والمطوح : ٧٩ والمغرب ٢ : ٥٦ والصلة : ١١ واليتيمة ٢ : ١٦ والوافي بالوفيات ٨ : ٣٤ ومعجم الادباء ٤ : ٢٣٦) وله أشعار في كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس .
٢ ط : رأياً .

٣ الإصبهاني صاحب كتاب الزهرة هو محمد بن داود الظاهري ، وكتابه الزهرة صنفه في عتفوان شبابه (انظر ابن خلكان ٤ : ٢٥٩ والفهرست : ٢١٧ وتاريخ بغداد ٥ : ٢٥٦ وطبقات الشيرازي : ١٧٥ والوافي ٣ : ٥٨) وقد نشر القسم الأول من كتابه بتحقيق نكل وطوقان ، بيروت ١٩٣١ .

٤ ط : وضجت .

٥ ط : من برد .

٦ ط : الفرع المتكلفين .

٧ من قول زهير (ديوانه : ٥٨) :

تحمّل أهلها منها فبانوا على آثار من ذهب العفاء

على زمنٍ بمقصور؛ وعزيرٌ على الفضل أن يُنكر، تقدّم به الزمانُ أو تأخر ،
ولحى الله قولهم : الفضلُ للمتقدّم ، فكم دُفنَ من إحسان ، وأُخْمِلَ
من فلان . ولو اقتصر المتأخرون على كُتُبِ المتقدّمين ، لضاعَ عِلْمُ
كثير ، وذهب أدبُ غزير .

وقد أودعتُ هذا الديوانَ الذي سمّيته بـ «كتاب الذخيرة» ، في محاسن أهل هذه
الجزيرة «من عجائب علمهم ، وغرائب نثرهم ونظمهم ، ما هو أحلى من مناجاة
الأحبة ، بين التمتع والرقبة^١ ، وأشهى من مُعاطاة العُقار ، على نغمات
المثالث والأزيار ؛ لأن أهلَ هذه الجزيرة — مذ كانوا — رؤساءُ خطابة ،
ورؤوسُ شعري وكتابة ، تدفقوا فأنسوا البحور ، وأشرقوا فبَارَوْا^٢ الشُّموسَ
والبدور ؛ وذهب كلامُهم^٣ بين رقة الهواء ، وجزالة الصخرة الصماء ،
كما قال صاحبهم عبد الجليل ابن وهبُون^٤ يصف شعره :

رقيقٌ كما غنّت حمامةُ أيكةٍ وجَزَلٌ كما شقَّ الهَوَاءُ عقابُ

على كونهم بهذا الإقليم ، ومُصَاقِبَتِهِم لطوائف الرُّوم ؛ وعلى أن بلادهم
آخرُ الفتوح الإسلامية ، وأقصى خُطَى^٥ المآثر العربية ؛ ليس وراءهم
وأمامهم إلاّ البحرُ المحيط ، والرومُ والقُوط ؛ فحِصاةُ مَنْ هذه حاله
ثبير ، وثمّدهُ بحرٌ مسجور ؛ وقد حكى^٦ أبو علي البغدادي الوافدُ على
الأندلس في زمان بني مروان قال : لما وصلتُ القيروانَ وأنا أُعتبر من

١ ط : بين التمتع والرقبة .

٢ ط : فأروا .

٣ ط : كلاهما .

٤ سيترجم له ابن بسام في القسم الثاني .

٥ ط : حفظ .

٦ انظر التنفح ٣ : ١٥٤ .

أمرُّ به من أهل الأمصار ، فأجدُّهم درجات في الغباوة وقلة الفهم بحسب تَفَاوُتِهِمْ
 في مَوَاضِعِهِمْ منها بالقُرْب والبُعد ، حتَّى كَأَنَّ منازلهم من الطريق هي منازلهم
 من العلم مُحَاصَّةٌ ٢ ومُقَايَسَةٌ . قال أبو علي : فقلت : إنَّ نَقْصَ أَهْلِ
 الأندلس عن مقادير مَنْ رَأَيْتُ في أفهامهم ، بقدر نُقْصَانِ هَؤُلَاءِ عَمَّنْ
 قَبْلَهُمْ ، فسأحتاجُ إلى تُرْجُمان ، بهذه الأوطان .

قال ابن بسّام : فبلغني ٣ أنه كان يَصِلُ كلامه هذا بالتعجب من أهل
 هذا الأفق في ذكائهم ويتغطى عنهم عند المباحثة والمفاشة ، ويقول لهم : إنَّ
 علمي علمُ رواية ، وليس بعلمِ دِرَاية ، فخذوا عني ما نقلت ، فلم آلُ لكم
 أن صحَّحت . هذا مع إقرار الجميع له يومئذ بِسَعَةِ العلم وكثرة الروايات .
 والأخذ عن الثقات ؛ ولولا أن كلَّ معنى معترَض ، يزيحُ سهمي عن ثغرة
 الغَرَض ، المقصودِ في هذا الكتاب ، لأوردتُ في هذا الباب ، بعضَ ما
 وقع لأهل الأندلس من عجب ، وسمِعَ لهم من نادر مستغرب . وسيمرُّ منه
 في تضاعيف هذا التصنيف ما فيه كفاية ، ويُرْبِي إن شاء الله على الغاية . ولعلَّ
 بعضَ من يتصفحه سيقول : إنَّني أغفلتُ كثيراً ، وذكرتُ خاملاً وتركتُ
 مشهوراً . وعلى رِيسْلِهِ ، فإنَّما جمَعْتُهُ بين صعبٍ قد ذلَّ ، وغَرَبٍ قد
 قلَّ ، ونشاط قد قلَّ ، وشباب ودَّعَ فاستقلَّ ؛ من تفاريق كالقرون الحالية ،
 وتعاليق كالأطلال البالية ، بخطَّ جُهِال كخطوط الرِّاح ٤ ، أو مدارج النمل
 بين مَهَاب الرياح ؛ ضَبَطُهم تصحيف ، ووَضَعُهم تبديلٌ وتحريف ؛
 أَيْئاسُ الناسِ منها طالِبُها ، وأشدُّهم استِرابَةً بها كاتبُها ؛ ففتحتُ أنا

١ ط : يمر بي .

٢ س ط : محاسبة .

٣ ط : بلغني .

٤ ط : الزواح .

أقفاها ، وفضضت قيودها وأغلاها ؛ فأضحت غايات تبين وبيان ،
ووضحت آيات حسنة واحسان .

على أن عامة من ذكرته في هذا الديوان ، لم أجد له أخباراً موضوعه ،
ولا أشعاراً مجموعة ، تفسح لي في طريق الاختيار منها ، إنما انتقدت ما
وجدت ، وخالست في ذلك الخمول ، ومارست هنالك البحث الطويل ،
والزمان المستحيل ، حتى ضمنت كتابي هذا من أخبار أهل هذا الأفق ، ما
لعلي ساربي ^٢ به على أهل المشرق . وما قصدت به - عليم الله - الطعن
على فاضل ، ولا التعصب لقاتل على قاتل ؛ لأن من طلب عيباً وجده ، وكل
يعمل باقتداره ، ويجهد اختياره ؛ وما أغفل أكثر مما كتب وحصل ؛
والأفكار مزن لا تنضب ، ونجوم لا تغرب ؛ ومن يحصل ما تثيره
القرائح ، وتقاذف به الجوانح ؟ وقد قال أبو تمام ^٣ :

ولو كان يفني الشعر أفناه ما قرت حياضك^٤ منه في العصور الذواهب
ولكنه صوب العقول إذا انجلت سحائب^٥ منه أعقبت بسحائب

وهذا الديوان إنما هو لسان منظوم ومشور ، لا ميدان بيان وتفسير .
أورد الأخبار والأشعار لا أفك معماها ، في شيء من لفظها ولا معناها ؛
لكن ربما أملت ببعض القول ، بين ذكر أجره ، ووجه عذر أريه ^٥ ؛
لا سيما أنواع البديع ذي المحاسن ^٦ ، الذي هو قيسم الأشعار وقوامها ،

١ ففتحت ... وبيان : لم يرد في ط .

٢ ط : أربي .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ٢٢١ - ٢٢٢ .

٤ قرت الحياض : جمعت الماء .

٥ س : أوريه .

٦ ط : التحاسين .

وبه يُعرفُ تَفَاضُلُها وتَبَايُنُها ؛ فلا بد أن نشيرَ إليه ، ونُنَبِّهَ عليه ؛ وَتَكْلِيلُ
الأمرِ في كلِّ ما نُثَبِّتُهُ ، ونُرَدُّ الحُكْمَ في كلِّ ما نُورِدُهُ ، إلى نقدِ النّقْدَةِ
المهَرَّةِ ، وتمييزِ الكَتَبَةِ الشَّعْرَةِ ، الذين هم رؤساءُ الكلام ، وصيارفَةُ
النَّثَرِ والنِّظام ؛ فأما من رينَ على قلبه ، وطَبَعَ بالجهلِ^١ على لُبِّه ، فقد
وُضِعَتْ عَنَّا وعنه ، كُلفَةُ الاعتذارِ منه . وقد كان في وقتي من فرسان هذا
الشان ، من كان أجدرَ أن يجري بهذا المَسِيدان ، ويُعَرِّبَ عَمَّا أُعَرِّبْتُ فيه^٢
عن القوم بأفصحِ لسان ، يُثِيرُ فيه المعاني من مَرابضِها ، وأشدَّ عارِضَةً
يُظْهِرُ بها الأغراضَ المَقْصُودَةَ في أجملِ معارِضِها ؛ لكنني بما أقدمْتُ
عليه ، وتصديتُ إليه ، كالنسيم دلَّ على الصُّبح ، والسَّهم ناب عن
الرُّمَح ؛ ولا أقول إنني أُعَرِّبْتُ ، لكن ربما بَيَّنْتُ وأُعَرِّبْتُ ؛ ولا أدعي
أنني اخترعتُ ، ولكنني لَعَلِّي قد أَحْسَنْتُ حيثُ اتَّبَعْتُ ، وأتَّقَنْتُ ما
جمعتُ ، وتألَّفتُ عَنِّي^٣ الشارد ، وأغْنَيْتُ عن الغائب بالشاهد ؛
وتَغَلَّغْتُ بقارئة بين النظم والنثر ، تَغَلَّغَلَ الماءُ أثناء النور والزَّهر ؛
وانتقلتُ^٤ من الجِدِّ إلى الهزل ، انتقالَ الضَّحِيانِ من الشمس إلى الظل ،
واستراحة البَهِيرِ من الحزنِ إلى السَّهْلِ ؛ وتَخَلَّلْتُ ما ضَمَمْتُهُ^٥ من
الرسائل والأشعار ، بما اتَّصَلْتُ به أو قِلْتُ فيه من الوقائع والأخبار ؛
واعتمدتُ المائةَ الخامسةَ من الهجرة فشرحتُ بعضَ مِحَنِها ، وجَلَّوْتُ
وجوهَ فِتَنِها ، وَلَخَّصْتُ القولَ بين قبيحِها وحَسَنِها ؛ وأَحْصَيْتُ عِلَلَ
استيلاءِ طوائفِ الرُّوم ، على هذا الإقليم ، وألَمْتُ بالأسبابِ التي دَعَتْ ملوكها

١ ط : بالجل (اقرأ : بالجل) .

٢ ط : به .

٣ ط س : عين .

٤ ط س : ونقلته .

٥ ط : ضمته .

إلى خلعهم ، واجتثاث ١ أصلهم وقرعهم ؛ وعبرتُ عن أكثر ذلك ،
 بلفظ يتتبعُ الهمَّ بين الجوانح ، ويحلُ العَصْمَ سهلَ الأباطيح ٢ ؛
 وعوّلتُ في منظم ذلك على تاريخ أبي مروان بن حبان ، فأوردتُ فصوله
 ونقلتُ جملةً وتفصيلاً ؛ فإذا أعوزني كلامه ، وعزّني سردهُ ونظامه ،
 عكفتُ على طللي البائد ، وضربتُ في حديدي البارد ؛ على حفظٍ قد تشعب
 وحظ من الدنيا قد ذهب .

ومع أن الشعر لم أرضه مَرَكباً ، ولا اتَّخذتُه مكسباً ، ولا ألفتُه
 مشوّى ولا مُنقلَباً ؛ إنما زُرته لِمَا ، ولمحتُه تَهَمّاً لا اهتماماً ؛
 رغبةً بَعِزَ نفسي عن ذلّه ، وترفعاً لِمَوَطِيءِ أَخْمَصِي عن محله ؛
 فإذا شَعَشَعَت راحته ٣ ، ودأبت أقداحه ، لم أذُقهُ إِلَّا شَمِماً ، ولا كنتُ
 إِلَّا على الحديث نديماً ؛ وما لي وله ، وإنما أكثرُه خُدعةٌ مُحْتَالٌ ، وخلعةٌ
 مُحْتَالٌ ؛ جدّه تمويهٌ وتخيلٌ ، وهزلُهُ تدليهٌ وتضليلٌ ؛ وحقائقُ العلوم ،
 أولى بنا من أباطيلِ المشورِ والمنظوم ؛ وعلى ذلك فقد وعدتُ أن المَع في
 هذا المجموع ، بلمعٍ من ذكرِ البديع ؛ وأن أمهدَ جانباً من أسبابه ،
 وأشرحَ جُملاً من أسنانه وألقابه ؛ وإذا ظفرتُ بمعنى حَسَن ، أو وقفتُ
 على لفظٍ مُسْتَحْسَن ؛ ذكرتُ من سبق إليه ، وأشرتُ إلى من نقص عنه ،

١ ط : أو شنات .

٢ من قول المجنون (الأغاني ٢ : ٧٣) :

وأدنيّني حتى إذا ما سبيتني بقول يحل المعصم سهل الأباطيح
 ٣ ط : تشعشعت راحته .

٤ من قول أبي نواس (ديوانه : ٣٢٥) :

أيها الرائحان بالوم لوما لا أذوق المدام إلا شميما
 فاصرفاها إلى سواي فأنسي لست إلا على الحديث نديما

أو زاد عليه ؛ ولست أقول^١ : أخذ هذا من هذا قولاً مُطلقاً ، فقد تتواردُ
الخواطر ، ويقعُ الحافرُ حيثُ الحافر ؛ إذ الشعرُ ميدان ، والشعراءُ فرسان .

وعلمَ الله تعالى أن هذا الكتابَ لم يصدُرْ إلاَّ عن صدُرٍ مكلُومٍ الأحناء ،
وفكرٍ خامد الذكاء ، بين دَهرٍ مُتَلَوِّنٍ تَلَوَّنَ الحُرَباء ؛ لانتِباذِي
كَانَ مِنْ^١ شَنْتَرِينَ^٢ قاصِيةَ الغربِ ، مَقْلُولَ الغربِ ، مَرُوعَ السَّرْبِ ،
بعد أن استُنْفِدَ الطريفُ والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن النفاذ ، بتواترِ
طوائفِ الرومِ ، علينا في عَقْرِ^٣ ذلك الإقليم ؛ وقد كُنَّا غنيا هنالك بكرم
الانتساب ، عن سوء الاكتساب ، واجتزأنا بمذخورِ العتاد ، عن التقلبِ
في البلاد ؛ إلى أن نثر علينا الرومُ ذلك النظام ، ولو تُرِكَ القَطَا ليلاً لنام^٤
وحين اشتدَّ الهولُ هنالك ، اقتَحَمْتُ بمن معي المسالك ؛ على مَهَامِهِ
تكذِبُ فيها العينُ الأذن^٥ ، وتُسْتَشْعَرُ فيها المِجَنُ :

مهامِهِ لم تَصْحَبْ بها الذئبُ نفسه^٦ ولا حَمَلَتْ فيها الغُرَابُ قِوَادِمَهُ^٧

حتى خلصتُ خلوصَ الزَّبْرِقانِ من سِرارِهِ ، وفُزْتُ فوزَ القِدْحِ عند
قِمَارِهِ ؛ فوصلتُ حمصَ^٧ بنفسٍ قد تَقَطَّعَتْ شِعْاعاً ، وذَهَبَ أَكْثَرُهَا
التِّبَاعاً ؛ وليتني عِشْتُ منها بِالَّذِي فَضَّلَا^٨ ! فتغرَّبْتُ بها سنوَاتٍ أَتَبَوَّأُ مِنْهَا

١ ط : لا انتباذ من .

٢ شنترين (Santarem) تقع في البرتغال على بعد ٦٧ كيلو متراً إلى الشمال الشرقي من
لشبونة ؛ استولى عليها الفونسو الخامس القشتالي سنة ٤٨٥ فاضطر ابن بسام إلى الفرار عنها
(انظر الروض المعمار ، الترجمة الفرنسية : ١٣٩ ، ومادة « شنترين » في الموسوعة الإسلامية).

٣ ط : قمر . ٤ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٣٨٤ والميداني ٢ : ٨٢ .

٥ من قول المتنبي : يهائم تكذب فيها العين والأذن (ديوانه : ٤٦٩) .

٦ البيت للمتنبي (ديوانه : ٢٤٨) والرواية فيه : مهالك .

٧ حمص : اسم يطلقه الاندلسيون على اشبيلية . ٨ من قول المتنبي (ديوانه : ١٢) :
حتى وصلت بنفسي مات أكثرها وليتني عشت منها بالذي فضلا

ظُلَّ الغَمَامَةُ ، وأَعْيَا بالتَحَوُّلِ عنها عِيَّ الحَمَامَةُ ؛ وَلَا أُنْسَ ١ إِلَّا الْإِنْفِرَادَ ،
وَلَا تَبْلُغْ إِلَّا بِفَضْلَةِ الزَادِ ؛ وَالْأَدَبُ بِهَا أَقْلٌ مِنَ الْوَفَاءِ ، حَامِلُهُ أَضْيَعُ مِنْ
قَمَرِ الشِّتَاءِ ؛ وَقِيَمَةُ كُلِّ أَحَدٍ مَالُهُ ، وَأُسْوَةٌ كُلِّ بَلَدٍ جُهَالُهُ ؛ حَسَبُ
الْمَرْءِ أَنْ يَسْلَمَ وَفَرُّهُ ، وَإِنْ تَلِمَ قَدْرُهُ ، وَأَنْ تَكْثُرَ فَضَّتُهُ وَذَهَبُهُ ،
وَأَنْ قَلَّ دَيْنُهُ وَحَسَبُهُ . وَهَذَا الدِّيَّانُ نِيَّةٌ لَمْ يُفْصَحْ عَنْهَا قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ ،
وَأُمْنِيَّةٌ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا حَوْلٌ وَلَا حِيلٌ : كَامِنٌ بَيْنَ الْعِيَانِ وَالْخَبَرِ ،
كَمُونٌ ٢ النَّارِ فِي الْحَجَرِ ، وَجَارٍ بَيْنَ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ ، جَرِّي الْمَاءِ فِي الْغَصَنِ
الرَّطْبِ ؛ إِلَى أَنْ طَلَعَ عَلَى أَرْضِهَا ٣ شَهَابٌ سَعَدَهَا وَتَمَكَّنِيهَا ، وَهَبَّتْ لَهَا
رِيحُ دُنْيَاهَا وَدِينِهَا ، وَنَفَخَ فِيهَا رُوحَ تَأْمِيلِهَا وَتَأْمِينِهَا ، مَلَكٌ أَمْلَاكُهَا ،
وَجَذِيلٌ حُكَّاكُهَا ٤ ، وَأَسْعَدُ نُجُومِ أَفْلَاكِهَا ؛ «فَلَانٌ» ٥ ثِمَالُ
الْمُظْلُومِ ، وَمَالُ السَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ؛ وَمُحْنِي الْعِلْمِ ، وَمَرْبَعُ ذَوِيهِ
وَحَامِلِهِ ، وَمُسْتَدْعِي التَّأَلِيفَاتِ الرَّائِقَةِ فِيهِ ؛ جَعَلَ اللَّهُ الدَّهْرَ أَقْصَى ٦ أَيَّامِهِ ،
وَالنُّجُومَ مَرَكَزَ أَعْلَامِهِ ، وَالْأَرْضَ نَهْبَةَ سَيُوفِهِ وَأَقْلَامِهِ ؛ فَحَامَتْ عَلَيْهِ
أَطْيَارُهَا ، وَأَهَمَّتْ ٧ إِلَيْهِ حُجَّاجُهَا وَزُورَارُهَا ، وَأَنْثَرَتْ فِي يَدَيْهِ شُمُوسُهَا
وَأَقْمَارُهَا ؛ مِنْ كُلِّ أَشْعَثَ ذِي طِمَرَيْنِ ، مَشْنُوءِ الْأَثَرِ وَالْعَيْنِ ،
مَحْرُومٍ مَحْسُودٍ ، مَحْلَأٌ عَنْ طَرِيقِ الْمَاءِ مَطْرُودٌ ؛ قَدْ جَعَلُوا بُيُوتَهُمْ قُبُوراً ،
وَاتَّخَذُوا بَنَاتِ أَفْكَارِهِمْ وَلَدَاناً وَحُوراً ، وَرَكِبُوا الْحَدَثَانَ صَعْباً وَذَلُولاً ،
وَعَاهَدُوا الْحَرَمَانَ لِيَلْبَنَّهُ صَبِراً جَمِيلاً ٨ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ،

١ ط : أنيس .

٢ كمون : مكررة في ط .

٣ ط : الأرض .

٤ ط : جديد ؛ وهذا من قولهم « هو جذيلها المحكك » ، يعني أنه يستشفى برأيه كما
تستشفى الابل الجربى بالاحتكاك بالجلد ، وهو عود ينصب لذلك الغرض .

٥ لم يسمه هنا ، ولعله سير بن أبي بكر الذي تولى اشبيلية في فترة تأليف الذخيرة .

٦ ط : أقصر .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ، وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ (الأحزاب: ٢٣). فما هو إلا أن سطع لهم هذا الشَّهَابُ ، وفُتِحَ بينهم وبين رَوْحِ الله ذلك الباب ، حتى نفروا خِفَافًا وَثِقَالًا ، وابتدروا بَطَاءً وَعَجَالًا ؛ ينظرون بعيون لم تَرَوْا من ماء وجه كريم ، وَيُصْغُونَ^١ بآذان لم تَأْنَسَ بِنِعْمَةِ صديق حَمِيمٍ ؛ قد كانوا يثسوا من هذا النُّشُورِ ﴿١٣﴾ كما يثس الكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿المتحنة: ١٣﴾ فاسألهم أيَّ جانب يَمُوتُوا ، وبأي جناب خَيَّمُوا ، وإلى أيِّ ملكٍ لُبَّابٍ أُنْجِدُوا وَأَتَهَمُوا ؛ ويا رحمتا لبحور أدب ، وصدور رُتَب ، كان نظمني وإيتاهم وُدٌّ قديم ، ولفَّ هوايَ بهواهم عهدٌ كريم ، لا مَنَسِيٍّ ولا مذموم ؛ قد طال ما عاطيتُهم أَكْوَسَ^٢ الخمول ، على البكاء والعويل ؛ في أيامٍ أوحش من توديع الشباب ، وليالٍ انكدت من مناقشة الحساب ؛ ألا يكونوا قد أخذوا على القضاء عهداً مسؤولاً ، ومُتَّعُوا بالبقاء ولو قليلاً ؛ حتى يروا حظَّ الأدب كيف نفق ، وعِزَّ الإسلام كيف آتفق ، وشَمْلَ الجور كيف تَصَدَّعَ وتَفَرَّقَ ؛ ويا حسرتا ألا ينشقَّ عن حاتم ضريحه ، ويُعادَ في جسمه روحه . فيرى أنَّ الكرمَ بعده عُلِمَ ، وأنَّ علُوَ الهِمَمِ بغيره بُنِيَ وَحُصِمَ .

ولما سمعت صوت الشهيد ، وثقتُ بريح الفرج القريب ، ووجدتُ لسبيل التأمل مَدْرَجاً . وجعل الله لي من رَيْقَةِ الخُمُولِ مَخْرَجاً ؛ طَالَعْتُ حَضْرَتَهُ الْمُقَدَّسَةَ بِهَذَا الْكِتَابِ عَلَى حُكْمِهِ ، مُطَرِّزاً بِسِمَتِهِ واسمِهِ ؛ مُسْتَدِلًّا بِمَجْدِهِ ، مُتَوَسِّلًا إِلَيْهِ بِكَرَمِ عَهْدِهِ ؛ وَلِعِلَّمِي أَنَّ الْأَدَبَ ضَائِلَةٌ اهْتِبَالِهِ ، وَنَتِيجَةُ خِلَالِهِ ، وَأَنَّ أَهْلَهُ عَلَى ذُكْرِ مَنْسٍ إِجْمَالِهِ ، وَبِمَكَانٍ مَكِينٍ مِنْ كَمَالِهِ^٣ ؛ وَلَمَّا سُئِلْتُ أَيْضاً انْتِسَاخَ هَذَا

١ ط : ويمنحون .

٢ ط : أبوء من .

٣ س : باله .

الدَيَّوان ، ورأيتُ شرَّهَ أَهْلِ الزَّمان ، إلى الاقتباس من نُوره ، بما يلتقطونه
من شدِّوره ، أُحِبُّتُ أَنْ يَجُوبَ الآفاق ، وتسيرَ به الرفاق ، وعليه مِن اسمٍ مَنْ
له جُمع ، وإلى جوانبه العليَّة رُفِع ، طرازُ به تَنفُقُ سُوْقُه ، ولا تَضِيعُ
إِنْ شاءَ اللهُ حَقُّوقُه .

وَقَسَمْتُه أَرْبَعَةَ أَقْسام :

الأوَّلُ : لأهلِ حَضْرَةِ اقْرَظْبَةِ وما يُصَاقِبُها من بلادِ موسطة الأندلس ،
ويشتمِل من الأخبارِ وأسماءِ الرُّؤساءِ وأعيانِ الكُتَّابِ والشعراءِ على جماعةٍ
هم :

١ - المُستَعينُ بالله أبو أيوب سُلَيْمان بن الحَكَم ، وحرَبُه مع
المَهْدِيِّ ابنِ عَمِّه ومَقْتَلُه .

٢ - والمُسْتَظْهِرُ بالله أبو المُطَرِّف عبد الرحمن بن عبد الجَبَّار
الناصري ومَقْتَلُه .

٣ - والأديبُ أبو عُمَرَ أحمد بن دَرَّاج القَسَطَلِيُّ ، وإمارةُ عليّ
ابنِ حَمُودٍ ومَقْتَلُه .

٤ - وأبو حفص بن بُرْدٍ الأكبرُ ومَقْتَلُ عيسى بن سعيدِ القَطَّاعِ -
وزير ابن أبي عامر .

٥ - والكاتب أبو المُغيرة بن حَزَم .

٦ - والفقيرُ أبو محمد بن حزم الشافعي وخَبَرُ الأمير مُنذر بن يحيى
التُّجَيْبِي .

٧ - والوزيرُ أبو عامرٍ أحمدُ بن عبد الملك بن شُهَيْدٍ والوزيرُ أبو

١ ب س : لحضرة .

الوليد ابن عَبدُوس ، والفقيرُ أبو العباس بن أبي الربيع ، والأديبُ أبو علي بن عيوض ، والكاتب أبو بكر بن زياد^١ .

٨ - وذو الوزارتين أبو الوليد بن زيدون وإمارة المُستَكفِي وخبرُ ولائِدَة .

٩ - والأديب أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحنّاط المَكْفُوفُ ، ونَصَبُ المرتضى الناصري خَلِيفَةً بشرقِ الاندلسِ ومَقْتَلُهُ .

١٠ - والأديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء ، وإمارة القاسم بن حمّود وتغلبُ القاضي ابن عبادٍ عليه .

١١ - والوزير أبو حفص بن بُرد الأصغر .

١٢ - والأديب أبو مروان الطُّبْنِيُّ ومَقْتَلُهُ ، وأشعارُ الطَّبائنة^٢ حَقْدَتِهِ .

١٣ - والأديب أبو عبدالله محمد بن مسعود الهُذَلِيُّ وابنُ مَسْعُودِ البَجَانِي^٣ .

١٤ - والشيخ أبو مروان بن حيان ، وإمارة بني جَهْوَري وخَلْعُهُم .

١٥ - <والفقيهُ القاضي أبو الوليد المعروف بابن الفَرَضِيِّ>^٤ .

١ والوزير أبو الوليد ... زياد : سقط من ط ، وجاء في ب س بعد هذا قوله : « وقع ذكر هؤلاء في المسودة وسقط عند الانتفاء والنقل » ؛ قلت : وليس في نسخ الأخيرة الموجودة بين أيدينا تراجم هؤلاء .

٢ في النسخ : الطَّبائنة .

٣ ط : الجياني .

٤ ط : والأديب .

٥ زيادة لم ترد في النسخ ، لكن الترجمة ثابتة في موضعها من الكتاب ، اعتماداً على النسختين ب س ، ويبدو أن الترجمة مأخوذة عن « الجذوة » إما إضافة من ابن بسام أو من غيره .

- ١٦ - والوزير الكاتب أبو جعفر بن اللَّمَّائي .
- ١٧ - والكاتب أبو عبد الله بن البِزْلياني .
- ١٨ - والكاتب أبو جَعْفَر بن عَبَّاس .
- ١٩ - والكاتب أبو حَقْص بن الشهيد .
- ٢٠ - والأديب أبو عبد الله بن الحداد، وإمارةُ بني صُمَادِحٍ وخلْعُهُم .
- ٢١ - والأديب أبو محمد ابن مالك القرطُبيُّ .
- ٢٢ - والشاعر المُنفَـل ، ومَقْتَلُ ابن نغيلة اليَهُودِيّ^١ .
- ٢٣ - والأديب أبو المطرف عبد الرحمن بن فُتُوح الإسْفِيرِيَّانيُّ .
- ٢٤ - والأديب أبو بكر بن ظِهار .
- ٢٥ - والأسْعَدُ بن إبراهيم بن بَلَيْطَةَ .
- ٢٦ - والأديبُ أبو عبدِ الله محمد بن عبادَة بن القَزَّاز .
- ٢٧ - والأديبُ أبو عبد الله محمد بن مالك الطَغْنَرِيُّ من أهلِ غَرْناطَة ؛ وجُمْلَةُ قصائدَ لِغَيْرِ واحدٍ في تأيِينِ ابنِ سِرَاج .
- ٢٨ - والوزير الكاتب أبو مَرْوَانَ بن شَمَاح .
- ٢٩ - والفقيهُ أبو عُمَرَ أحمد بن عيسى الإلبيري .
- ٣٠ - والأديبُ العالِمُ أبو محمد غانم .
- ٣١ - والأديبُ أبو عبدِ الله بن السَّرَّاج المالقي .
- ٣٢ - والأديبُ أبو القاسم المعروف بالسُّمَيْسِر .
- ٣٣ - والأديبُ أبو العبَّاس أحمدُ بنُ قاسمِ المحدث .
- ٣٤ - والأديبُ أبو طالبٍ عبدُ الجَبَّار المعروف بالمتنبِّي من أهلِ جزيرة شَقَرٍ .

١ زاد بعله في ط : والأديب أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة ، وهو المنفل .

والقسم الثاني : لأهل الجانب الغربي من الأندلس ، وذكر أهل حضرة إشبيلية ، وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي ، وفيه من الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء جملة موفورة وهي :

- ١ — القاضي أبو القاسم بن عباد .
 - ٢ — والمعتضد بالله عباد ابنه .
 - ٣ — والمعتصم على الله محمد بن عباد وكيفية خلقه .
 - ٤ — والوزير الفقيه أبو حفص الهوزني .
 - ٥ — والقاضي أبو الزبير الباجي .
 - ٦ — والوزير بن مسلمة .
 - ٧ — والوزير أبو الوليد بن المعلم .
 - ٨ — والأديب أبو الوليد الملقب بالحبيب .
 - ٩ — والأديب أبو جعفر بن الأبار .
 - ١٠ — والأديب أبو علي بن حصن .
 - ١١ — والوزير الكاتب عمرو الباجي .
 - ١٢ — والأديب أبو الحسن بن الإستنجي .
- فصل يشتمل على مقطوعات أبيات لجماعة أدباء بعصر المعتضد .

- ١٣ — والوزير الفقيه أبو العلاء بن زهر .
- ١٤ — والوزير أبو عبيد البكري .
- ١٥ — والوزير الكاتب أبو عمرو بن حجاج .
- ١٦ — وذكر الوزير الحسن أبو بكر بن سليمان المعروف بابن القصيرة ، وذكر تغلب ابن ذي القرن على قرطبة وعودتها إلى المعتصم .

- ١٨ - والوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم بن الجَدّ .
- ١٩ - والوزير الكاتب أبو محمد بن عبد الغفور وأبوه قبلته .
- ٢٠ - والوزير الفقيه أبو أيوب بن أبي أُميّة .
- ٢١ - وذو الوزارتين أبو بكر بن عَمّار ومَقْتَلُهُ .
- ٢٢ - والوزير الكاتب أبو الوليد حَسّان بن المصيصي .
- ٢٣ - والوزير الفقيه أبو بكر بن الملح .
- ٢٤ - والأديب أبو محمد عبد الحليل بن وهبُون المُرْسِيّ .
- ٢٥ - <والوزير الأديب أبو القاسم بن مَرْزُوقَان>^١ .
- ٢٦ - والوزير الكاتب أبو بكر بن عبد العزيز .
- ٢٧ - والوزير الكاتب أبو الحُسَيْن بن الجَدّ .
- ٢٨ - والأديب أبو الحُسَيْن غُلام البَكْرِي .
- ٢٩ - والكاتب أبو الحسن صالح الشننَمَرِيّ .
- ٣٠ - وأبو الحَكَم وأبو الوليد ابنا حَزَم .
- ٣١ - والأديب أبو بكر بن بَقِيّ .
- ٣٢ - والأديب أبو الحسن بن هارون الشننَمَرِيّ ، وكَيْفِيَّةُ إِمَارَةِ
بني الأَفْطَسِ ، والمتوكل على الله مِنْهُمْ .
- ٣٣ - والوزير الكاتب أبو عبد الله بن أَيْمَن ، والخبرُ عن فَتْحِ مَدِينَةِ
سَبْتَةَ ، والتعريفُ بأولِيَّةِ أميرها سَقُوت .
- ٣٤ - والوزير الكاتب أبو مُحَمَّد بن عَبْدُون .
- ٣٥ - والأديب أبو جَعْفَرٍ أَحْمَد بن هُرَيْرَةَ الأَعْمَى التُّطِيلِيّ .

١ زيادة لم ترد في النسخ ، اعتماداً على أن الترجمة وردت في هذا الموضع من الكتاب ، ووقع في ط بمدا ابن وهبون : « وأبو بكر الخولاني المنجم » .

- ٣٦ - والوزير الكاتب أبو بكر بن سعيد المعروف بابن القبطورته .
 ٣٧ - والوزير الكاتب أبو بكر بن قزمان .
 ٣٨ - والوزير أبو زيد بن مقانا الأشبوني .
 ٣٩ - والشيخ أبو الحسن القرشي الأشبوني .
 ٤٠ - والأديب أبو عبد الله بن البين .
 ٤١ - وذو الوزارتين أبو محمد بن هود .
 ٤٢ - والشيخ الأديب أبو عمر بن فتح البطلاني .
 ٤٣ - والأديب أبو عمر بن كوثر الشنتريني .
 ٤٤ - والأديب أبو الوليد النحلي .
 ٤٥ - والوزير الكاتب أبو بكر محمد بن سوار الأشبوني .
 ٤٦ - والأديب أبو محمد عبد الله بن سارة الشنتريني .

والقسم الثالث : ذكرت فيه أهل الجانب الشرقي من الأندلس ، ومن نجم من كواكب العصر في أفق ذلك الثغر الأعلى ، إلى منتهى كلمة الإسلام هنالك ، وفيه من القصص وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب^٢ والشعراء طوائف منهم :

- ١ - مجاهد ومبارك ومظفر من فتیان ابن أبي عامر .
 ٢ - والوزير الكاتب أبو عبد الرحمن بن طاهر ، وتغلب العدو على بلنسية ، وعود المسلمين إليها .
 ٣ - وذو الوزارتين أبو عامر بن الفرج .

١ س ب : سارة .

٢ ط : الثقات .

- ٤ - وذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون .
- ٥ - وحسام الدولة أبو مروان بن رزين .
- ٦ - والوزير الكاتب أبو محمد بن عبد البر ، ومقتل إسماعيل بن المعتضد عبّاد ، وتغلب العدو على بربرشترو وفتحها بعد .
- ٧ - والوزير الكاتب أبو عامر بن التاكرتي ، وإمارة عبد العزيز بن أبي عامر وابنه بيلنسية .
- ٨ - والوزير الكاتب أبو المطرف بن الدبّاغ .
- ٩ - والأديب أبو الربيع بن مهران السرقسطي ، وذكر ابن الكتّاني المتطبّب .
- ١٠ - والأديب الأستاذ أبو عبد الله بن خلصة الضير .
- ١١ - والأديب أبو مروان بن غصن الحجاري .
- ١٢ - والأديب أبو عبد الله إدريس بن اليماني .
- ١٣ - والوزير الكاتب أبو الأصبح بن أرقم .
- ١٤ - والوزير الكاتب أبو المطرف بن مثنى .
- ١٥ - والوزير الكاتب أبو عمر بن القلاس .
- ١٦ - والوزير الكاتب أبو عبد الله بن مسلم .
- ١٧ - والوزير الكاتب أبو جعفر بن جرج .
- ١٨ - والوزير الكاتب أبو الفضل بن حسدّاي .
- ١٩ - والأديب أبو الربيع القضاعي ، وجُملة من أخبار هشام المعتدّ أمير قرطبة يومئذ ، ومقتل^١ وزيره الحائك .

١ ط : وقتل .

- ٢٠ - والأديبُ أبو عامر البماريُّ .
- ٢١ - والأديبُ أبو إسحاقَ إبراهيم بن خفاجة .
- ٢٢ - والأديبُ أبو حاتم الحجاري .
- ٢٣ - والأديبُ أبو بكرٍ الدَّانِيُّ المعروفُ بابن اللَّبَّانَةِ .
- ٢٤ - والأديبُ أبو جعفر بن الدَّودِينَ البَلَكَنَسِيُّ ، ورسالةُ ابنِ غَرَسِيَّةَ الشُّعُوبِيَّةُ والرَّدُّ عليه .
- ٢٥ - والكاتبُ أبو جعفر بن أحمد الدَّانِيُّ .
- ٢٦ - والوزير الكاتبُ أبو الخطاب بن عَطِيُون الطُّلَيْطَلِيُّ .
- ٢٧ - والوزير الكاتبُ أبو عبدِ اللهِ بن أبي الحِصَالِ .
- ٢٨ - والأديبُ أبو بحر بن عبد الصَّمَدِ ، وذِكْرُ الشَّيْخِ الكاتبِ عبدِ الصَّمَدِ السَّرْقُسْطِيِّ .
- ٢٩ - والأديبُ أبو تَمَّامِ المُلَقَّبُ بالحجَّامِ .
- ٣٠ - والأديبُ أبو إسحاق بن مُعَلِّي ، وخَبَرُ وَقْعَةِ بَطْرَنَةِ .
- ٣١ - والأديبُ أبو عامر بن الأَصِيلِيَّ .
- ٣٢ - والأديبُ أبو الفضل جعفر بن مُحمَّد بن شَرَفِ .
- ٣٣ - وفَصْلٌ يَشْتَمِلُ على طوائفٍ مُقِلِّينَ من سُكَّانِ ذلكِ الجانبِ الشَّرْقِيِّ .

والقسم الرابع : أفردته لِمَن طرأ على هذه الجزيرة في المدة المؤرَّخة من أديبٍ شاعر ، وأوى ١ إلى ظلِّها من كاتبٍ ماهرٍ ، واتَّسعَ فيها مجالُه ، وحُفِظَتْ في مَلوكها أقوالُه ؛ ووَصَلَتْ بهم ذَكَرُ طائفةٍ من مشهورِي أهلِ

تلك الآفاق ، مِمَّنْ نجمَ في عصرنا بأفريقيَّةَ والشَّامِ والعِراقِ ، فيشتمِلُ
منهم على جُملةٍ ، وَهُم :

١ - أبو العلاء صاعِدُ اللُّغوي ، وتَلَخِيصُ التعريفِ بدولةِ ابنِ
أبي عامر ، من المَبْدَأِ ١ إلى الآخر .

٢ - وأبو الفضل بن عبد الواحد البَغدادي .

٣ - وسليمانُ بن محمد الصَّقلي .

٤ - وأبو الفتوح الجُرْجاني .

٥ - والأديب عبدُ العزيز السُّوسي ، ولُمِعَ من دولةِ ابنِ ذي النون
ومالِ حَقيدِهِ ، وأخذَ طَلِيظَةَ من يَدَيْهِ ، ودَوَّرانِ دائرةِ السوءِ
بها عليه ، مع ما اندرَجَ ٢ في ذلك من خَبَرٍ ، والتَفَّ به من قبيحِ أثرِ .

٦ - وأخبارُ أبي عبدِ الله بن شَرَفٍ ، وغُررُ أشعارِهِ ، وذِكْرُ خرابِ
بَلَدِهِ القَيروَانِ .

٧ - وأخبارُ ابنِ السَّقاءِ مُدبِّرِ المَلِكِ الجَهْوَريِّ بِقُرْطُبَةِ وَمَقْتَلِهِ .

٨ - وأبو الحَسَنِ المَكفوفُ الحُضْري ، وذِكْرُ تَغَلِبِ ابنِ هُودِ
المُفْتَدِرِ على دَانِيَةِ .

٩ - وأخبارُ عبدِ الكَرِيمِ بنِ فَضَّالِ ٣ الحُلُواني .

١٠ - وأبو العَرَبِ الصَّقلي .

١١ - وأبو عبدِ الله بن الصَّبَّاحِ الصَّقلي .

١٢ - وأبو محمد بن حَمْدِ بنِ الصَّقلي .

١ ط : الأول .

٢ ط : ادرج .

٣ ط : وأبو الحسن بن فضال .

- ١٣ - والحكيم أبو محمد المصري .
- ١٤ - وأبو محمد بن الطلاء المهدوي .
- ١٥ - وأبو بكر بن الحسن المرادي .
- ١٦ - والفُكَيْكُ البغدادي .
- ١٧ - وأبو زكرياء يحيى الزيتوني .
- ١٨ - وأبو بكر بن العطار اليايسي .
- ١٩ - وابن القابِلَة السبتي .
- ذكرُ من كان منهم بالمشرق :
- ٢٠ - الرضيُّ الشريف^١ .
- ٢١ - أبو القاسم المغربي^٢ .
- ٢٢ - عبد الوهاب المالكي .
- ٢٣ - أبو عبدالله ابن قاضي ميلة
- ٢٤ - أبو الحسن التهامي .
- ٢٥ - مِهْنَارُ الديلمي .
- ٢٦ - أبو منصور الثعالبي .
- ٢٧ - أبو إسحاق الحُصْرِي .
- ٢٨ - أبو عليّ بن رَشِيقٍ ، وذِكْرُ انْحِرَافِهِ عن الْقَيْرَوَان .
- ٢٩ - أبو الفتيان العسقلاني .
- ٣٠ - القاضي أبو محمد بن نُعْمَة .
- ٣١ - جلالُ الدولة ابن عَمَّار .

١ ط : والشريف المرتضي .

٢ ط : ابن المغربي .

٣٢ - المُجِيدُ بن الشَّخْبَاءِ^١ العَسْقَلَانِي .

ولَئِمَّا ذَكَرْتُ هَؤُلَاءِ اثْنَيْسَاءَ بِأَبِي مَنْصُورٍ ، فِي تَأْلِيفِهِ الْمَشْهُورِ ، الْمُتَرَجِّمِ .
ب « يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ » ، فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ .

وَتَحَرَّيْتُ فِي الْجُمْلَةِ حُرَّ النِّظَامِ ، وَتَخَيَّرْتُ جَيِّدَ الْكَلَامِ ، وَجَرَدْتُ
جُمْلَةَ الْفُصُولِ وَالْأَقْسَامِ . وَإِذَا مَرَّ مَعْنَى غَرِيبٌ وَتَعَلَّقَ بِهِ خَبْرٌ مَشْهُورٌ ،
وَأَمَكَّنِي فِيهِ شِعْرٌ كَثِيرٌ ، مَدَدْتُ أَطْنَابَهُ ، وَوَصَلْتُ أَسْبَابَهُ ؛ وَقَدْ أَذْكَرُ
الشَّاعِرَ الْخَامِلَ ، وَأُنَشِدُ الشَّعْرَ النَّازِلَ ، لِأَرْبَ^٢ يَتَعَلَّقُ بِهِ ، أَوْ لِيُخَبِّرَ
أَذْكَرُهُ بِسَبَبِهِ ؛ وَقَدْ أَذْكَرُ الرَّجُلَ لِنِسْبَاهَةِ ذِكْرِهِ ، لَا لِيَجُودَةَ
شِعْرِهِ ؛ وَأَقْدَمُ الْآخِرَ لِاشْتِهَارِ إِحْسَانِهِ ، مَعَ تَأَخُّرِ زَمَانِهِ .

وَبَدَأْتُ بِذِكْرِ الْكُتَّابِ ، إِذْ هُمْ صُدُورٌ فِي أَهْلِ الْآدَابِ ، إِلَّا أَنْ
يَكُونَ < مَنْ > لَهُ حُظٌّ مِنَ الرِّيَاسَةِ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى تَقْدِيمِهِ بَعْضُ السِّيَاسَةِ ؛
فَأَوَّلُ مَنْ ذَكَرْتُ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ مُلُوكِ قُرَيْشٍ فِي الْمَدَّةِ
الْمُورَّخَةِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ ثُمَّ مِنْ تَعَلَّقَ بِسُلْطَانِهِمْ ، أَوْ دَخَلَ فِي
شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِمْ ؛ وَتَلَوْتُهُمْ بِالْكِتَابِ وَالْوِزَارَةِ ، ثُمَّ بِأَعْيَانِ الشُّعْرَاءِ ،
ثُمَّ بِطَوَائِفِ مِنَ الْمُقْلِينَ مِنْهُمْ . وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ فِي كُلِّ قِسْمٍ : بَدَأْتُ بِالْمُلُوكِ ،
ثُمَّ أَسْتَمِرُّ عَلَى مَا وَصَفْتُهُ^٣ مِنَ التَّرْتِيبِ ، وَأَنْتَظِمُ عَلَى مَا شَرَحْتُ مِنْ
التَّبْوِيبِ ، وَعَلَى اللَّهِ أَتَوَكَّلُ ، وَهُوَ حَسْبِي فِيمَا أَقُولُ وَأَفْعَلُ ، لَا إِلَهَ سِوَاهُ .

١ ط : وابن أبي الشخباء .

٢ ط : لأدب .

٣ ط : وصفت .

ذِكْرُ الْكِتَابِ وَالْوُزَرَاءِ ، وَأَعْيَانِ الْأَدْبَاءِ وَالشُعَرَاءِ ، بِحَضْرَةِ قَرْطَبَةَ
وَمَا يُصَاقِبُهَا مِنْ بِلَادِ مُوسَطَةَ الْأَنْدَلُسِ ، وَتَسْمِيَةِ مَنْ نَشَأَ مِنْ
فَرْسَانَ هَذَا الشَّانِ ، مِنْ آخِرِ دَوْلَةِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى وَقْتِنَا ،
وَأَيُّرَادُ مَا انْتَحَبَتْهُ مِنْ نَظْمِهِمْ وَنَثَرِهِمْ ، مَعَ مَا يَتَعَلَّقُ
مِنْ فَنُونِ الْمَعَارِفِ الْمَفِيدَةِ بِذِكْرِهِمْ

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ بَسَّامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَحَضْرَةُ قَرْطَبَةَ ، مِنْذُ اسْتَفْتِيَحَتِ الْجَزِيرَةُ ، هِيَ كَانَتْ مِنْتَهَى الْغَايَةِ ،
وَمَرْكَزَ الرَّأْيَةِ ، وَأُمَّ الْقُرَى ، وَقَرَارَةَ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالتَّقَى ، وَوَطْنَ أُولَى
الْعِلْمِ وَالنَّهْيِ ، وَقَلْبَ الْإِقْلِيمِ ، وَيَنْبُوعَ مُتَفَجِّرِ الْعُلُومِ ، وَقُبَّةَ الْإِسْلَامِ ،
وَحَضْرَةَ الْإِمَامِ ، وَدَارَ صَوِّبِ الْعُقُولِ ، وَبِسْتَانَ ثَمَرَةِ الْخَوَاطِرِ ، وَبَحْرَ
دُرَرِ الْقَرَائِحِ ؛ وَمَنْ أَفْقُهَا طَلَعَتْ نَجُومُ الْأَرْضِ وَأَعْلَامُ الْعَصْرِ ، وَفَرْسَانَ
النَّظْمِ وَالنَّثَرِ ؛ وَبِهَا انْتَشَرَتِ التَّأْلِيفَاتُ الرَّائِقَةُ ، وَصُنِفَتِ التَّصْنِيفَاتُ
الْفَائِقَةُ ؛ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ ، وَتَبَرُّيزُ الْقَوْمِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا هُنَاكَ عَلَى مَنْ
سِوَاهُمْ ، أَنَّ أَفْقَهُمُ الْقُرْطُبِيِّ لَمْ يَشْتَمِلْ قَطًّا إِلَّا عَلَى أَهْلِ الْبَحْثِ وَالطَّلَبِ ،
لأنواعِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ . وَبِالْجُمْلَةِ فَأَكْثَرُ أَهْلِ بِلَادِ هَذَا الْأَفْقِ أَشْرَافُ
عَرَبِ الْمَشْرِقِ افْتَتَحُوهَا ، وَسَادَاتُ أَجْنَادِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ نَزَلُوهَا ؛ فَبَقِيَ
النَّسْلُ فِيهَا بِكُلِّ إِقْلِيمٍ ، عَلَى عِرْقٍ كَرِيمٍ ، فَلَا يَكَادُ بَلَدٌ مِنْهَا يَخْلُو مِنْ
كَاتِبٍ مَاهِرٍ ، وَشَاعِرٍ قَاهِرٍ ؛ إِنَّ مَدْحَ مَا كَثِيرٌ عِنْدَهُ بِكَثِيرٍ ، وَإِنْ هَجَا

أَجَرَ لِسَانَ^١ جَرِير ، وعدا عَدِيًّا عن مدح ذويه ، وأنسى جَرَوْلًا العواء في
أَثَرِ قَوَافِيهِ^٢ وإن تَغَزَّلَ أربى على الساحراتِ فَنُونًا ، وأزْرَى بالغانياتِ
مُجُونًا .

وقد وعدتُ في صدرِ هذا الكتابِ بأنْ أتخلَّلَ أشعارَ الشعراءِ ، ورسائلَ
الكتابِ والوزراءِ^٣ ، بما عسى أن يتعلَّقَ بأذيالها ، ويسايرَ أفياءَ ظلالها :
من أنباءِ فِتْنٍ ذلك الزمانِ البعيدِ - كان - طَلَّقَهَا ، المُفَرَّقِ لِشَمْلِ
الأمرِ في هذه الجزيرة نسَقُها . ونُلَمِّعُ بِنُبْدٍ من مشهورٍ وقائعها ، ونُشِيرُ
بأسماءِ طوائِفِ توابعها وزوابعها ، الذين استَظْهَرُوا على شَهَوَاتِهِمْ بِجَرَ
ذِيُولِهَا ، وامْتَرَوْا بطلاتهم من أخلافِ أباطيلها ، حتى شَقُّوا عصاها ،
وأدارُوا بدائرةِ السَّوِّءِ على الجماعةِ رحاها ؛ ليجمَعَ هذا المجموعُ بين الشعرِ
والخبرِ ، جمعِ الروضةِ بين الماءِ والزهرِ ، والزمانِ بين الأصائلِ^٤ والبكرِ ،
فإنِّي رأيتُ أكثرَ ما ذكرَ الثعالبيُّ من ذلك في « يَتِيْمَتِهِ » مَحْدُوفاً من أخبارِ
قائلِهِ ، مَبْتُوراً من الأسبابِ التي وُصِلَتْ بِهِ وَقِيلَتْ فِيهِ ؛ فأَمَلَّ قَارِئَ
كتابِهِ مَنَحَاهُ ، وأَحْوَجَهُ إلى طَلَبِ ما أغْفَلَهُ^٥ من ذلك في سواه .

وسينخرطُ في سِلْكِ ما أَوْشَحَ به هذا التَّصْنِيفُ ، مِن تلخيصِ التعريفِ
بأخبارِ ملوكِ الجزيرة ، وسردِ قِصَصِهِم المأثُورة ، ووقائعهم المُبيرةِ

١ أجر اللسان : حبه عن الحركة .

٢ فيه إشارة إلى قول الخطيبه وقد سئل عن أشعر الناس « فحسبك والله بي إذا رفعت
احدى رجلي على الأخرى ثم عويت عواء الفصيل في أثر القوافي » (الشعر والشعراء : ٢٤٢ -

٢٤٣) .

٣ والوزراء : سقطت من ط .

٤ ط : الآصال .

٥ ط : أغفل .

المشهورة ، لابن حيّان ، فصولٌ من غرائبهِ ، وجُمْلٌ وتفاصيلٌ من عجائبيهِ ؛ لأنّني إذا وجدتُ من كلامهِ فصلاً قد أحكَمَهُ ، أو خبراً قد سردهُ ونظَمَهُ ، عَوَّلْتُ على ما وَصَفَ ، ووليتُهُ خُطّة ما سَطَرَ وصَنَّفَ ، إقراراً بالفرق ، وإعفاءً لنفسِي من مُعارضةٍ من أحرَزَ بأفْقينا في وقته قصَباتِ السَّبَقِ ، [وبرَزَ في زمانه على جميع الخلقِ] . وأكثرُ ما يَمُرُّ في هذا الكتاب ، من هذا الباب ، فعلى تأريخهِ الكبيرِ عَوَّلْتُ ، ومن خطِّ يده أكثرُ ما نَقَلْتُ ؛ وتَحَرَّيْتُ جَهْدِي اقْتِضابَ ما طَوَّلَ ، وتخفيفَ ما ثَقُلَ ، وإجمالَ ما شَرَحَ وفَصَّلَ ؛ على أنّه لم يَخْلُصْ إليّ من غمامهِ إلاّ قَطْرَةٌ ، ولا حَصَلَتْ في يدي من حسامهِ إلاّ إِبْرَةٌ ؛ ولذلك ما ارتَشَقْتُ ثُمادي ، ونَقَخْتُ فيما لم أُجِدْ من كلامهِ رَمادي ، وأنْفَقْتُ في ذلك من تافهِ زادي ؛ وأبتدأتُ بمن كان في ذلك الأوان ، من مُلوكِ بني مروان ، من أهلِ هذا الشان ، وارْتَسَمَ بهذا الفنّ الذي تَصَدَّيْتُ لإقامةِ أودِهِ في هذا الديوان .

* * *

فصل في ذكر المستعين بالله ابي أيوب سليمان بن الحكم والأخذ بطرف مستطرف من أخباره وأشعاره ، والسبب الموجب لقيامه ، وما حدث من نادر مستغرب في أيامهِ .
[ونَقَلْتُ بعضه من لفظِ الشَّيْخِ المذكورِ بِذِصَّة ، وأتَيْتُ من الحديثِ بِفَصَّة ، واعتمدتُ الإيجارَ ، وأتَقَنْتُ الصَّدُورَ والاعجازَ] .

هو سليمانُ بنُ الحَكَمِ بنِ سليمانَ بن عبد الرحمن الناصر لدينِ الله بن

١ انظر أخبار المستعين في الجذوة : ١٩ والخلة السراء : ٢ : ٥ - ١٢ وابن عذاري ٣ : ٩١ ،
١١٣ وأعمال الاعلام : ١١٤ والمعجب : ٩٠ وابن خلدون ٤ : ١٥١ والنفح ١ : ٤٢٨
وبروفنسال ٢ : ٣٠٤ وما بعدها ، و Spanish Islam لدوزي : ٥٤٧ - ٥٦١ .

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحَكَم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي . بُويعَ بِقُرْطُبَةِ مُنْتَصَفِ ربيع الأول سنة أربعمائة بعد وَقْعَةِ كانت له على أميرها قَبْلَهُ محمد < بن هشام > بن عبد الجبار الملقَّب بالمهدي القائم على الدولة العامرية ؛ ثمَّ خلعه المهدي بوقعة كانت له عليه ، ثمَّ عاد إليها سليمان ثانية في خَبَرٍ طويل ، فملك سليمان قُرْطُبَةَ في دَوْلَتَيْنِهِ سِتِّ سنين وعَشْرَةَ أَشْهُرَ ، وكانت كُلُّهَا - كما وَصَفَ ابنُ حَيَّان ١ - شَدَادًا نَكَدَات ٢ ، صَعَابًا مَشْثُومَات ، كَرِيهَات المبدأ والفاتحة ، قَبِيحَةٌ المُنْتَهَى والخاتمة ؛ لم يُعَدَمْ فيها حَيْفٌ ، ولا فُورِقَ فيها خَوْفٌ ؛ ولا تَمَّ سرور ، ولا فُقدَ محذور ؛ مع تَغْيِيرٍ ٣ السيرة ، وخرق الهَيْبَةِ ، واشتعالِ الفتنَةِ ، واعتلاءِ المعصِيَةِ ٤ ، وظَعْنِ الأَمْنِ ، وحُلُولِ المخافة : دولةٌ كَفَاهَا ذِمًّا أَنْشَأَهَا شَانْجُهُ ، فَقَشَعَهَا أَرْمَقُنْدُ ٥ ، وثَبَّتَتْهَا الجَلَالَةُ ٦ ، ومَزَقَتْهَا الإِفْرَنْجَةُ ؛ ودَبَّرَهَا فَاجِرٌ شَقِيٌّ ، ووَزَّرَ لها خَبَّ دَنِيٌّ ٧ ؛ فتمخَضَتْ عنِ الفاقرةِ الكبرى ، وآلت بمن ٧ أتى بعدها إلى ما كان أعْضَلَ وأدْهَى ، ممَّا طوى بساطَ الدُّنْيَا ، وعَفَى رَسْمَهَا ، وأَهْلَكَ أَهْلَهَا .

١ نقل ابن عذاري هذا الوصف في البيان المغرب ٣ : ١١٨ .

٢ ط : نكرات .

٣ ط : تغيير .

٤ ط : المعصية .

٥ شانجة غرسية (Sancho Garcia) صاحب قشتالة ؛ وارمنقد Ermengaud أو

Armengol أخو ريمند بوريل الثالث صاحب برشلونه ، وقد كان لكل منهما دور في

الفتنة ؛ راجع الجزء الثاني من تاريخ اسبانيا الإسلامية لبروفنسال (صفحات متفرقة) .

٦ س ب : جري .

٧ ط : وآلت من التي .

ولما تَمَّتْ بَيْعَتُهُ نُفِذَتْ عَنْهُ كُتُبٌ إِلَى نَوَاحِي الْجَزِيرَةِ بِخَبَرِ فَتْحِهِ
 قَرْطَبَةَ ، وَكَانَتْ مُوَشَّحَةً بِمَا تُوشَّحُ بِهِ كُتُبُ الْفَتْوحِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَهْلِ
 دَارِ الْحَرْبِ ، مِنْ وَصْفِ حَالِ الْقَهْرِ ، وَشِدَّةِ السَّطْوَةِ وَالْإِقْتِدَارِ عَلَى
 الْفَتْكِ وَالْإِسْتِبَاحَةِ ؛ فَأَفْرَطَ فِي ذَلِكَ إِرْهَاباً لِلنَّاسِ بِذِكْرِهِ ، وَتَخْوِيفاً لَهُمْ
 مِنْ مِثْلِهِ ؛ فَكَانَ أَجْلَسَ لِنَفَارِ الْقُلُوبِ ، وَقَرَفَ النُّدُوبِ ^١ ، وَبَعَثَ
 الشُّرُودَ ، وَنَبَشَ الْحُقُودَ ، لِيَمَّا وَتَرَ جَمِيعَهُمْ بِالْحَادِثَةِ فِي قَرْطَبَتِهِمْ ؛
 فَاسْتَشْعَرُوا بَغْضَهُ ، وَانْقَادُوا لِكُلِّ مَنْ عَانَدَهُ وَرَدَّ أَمْرَهُ ، مِنْ عَبْدِ
 أَوْ حُرٍّ ، فَزَعَا إِلَيْهِمْ مِنْهُ ، وَيَأْساً مِنْ خَيْرٍ يَحْيِيهِمْ مِنْ بَرَابَرَتِهِ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ
 سَبَباً فِي تَفْرِيقِ الْبِلَادِ وَتَمَلُّكِ أَصْحَابِ الطَّوَائِفِ .

قال ابن حيان : وَتَسَمَّى لَوْقَتِهِ مِنَ الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِالْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ ،
 وَانْتَقَلَ إِلَى مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ بِجُمْلَةِ جَيْشِهِ ، رَجَاءً أَنْ يَحْسِمَ عَنْ أَهْلِ
 قَرْطَبَةَ مَعَرَّتِهِمْ ، فَضَاقَتِ الزَّهْرَاءُ عَنْهُمْ ، فَزَلُّوا بِمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ مَنَازِلِ
 النَّاسِ ، وَنَزَلَ ابْنَا حَمُودٍ : عَلِيٌّ وَالْقَاسِمُ ، قَائِلَا فِرْقَةَ الْغَارِبَةِ ، بِشَقْنُدَةِ ^٢ ؛
 وَامْتَحَنَ هِشَامُ الْمُؤَيَّدُ بِاللَّهِ مَعَ سُلَيْمَانَ عِنْدَ دُخُولِهِ الْقَصْرَ ؛ فَقِيلَ إِنَّهُ قَضَى
 عَلَيْهِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ فَرَّ مِنْ يَدَيْهِ . وَكَانَ هِشَامٌ — عِنْدَ مَا رَأَاهُ مِنْ اضْطِرَابِ
 أَمْرِهِ ، وَتَيَقُّنِهِ مِنْ انْقِرَاصِ دَوْلَتِهِ ، بِمَا مُنِيَ بِهِ قَدِماً وَحَدِيثاً ، مِنْ تَمَالُؤِ
 بَنِي عَمَّةِ آلِ النَّاصِرِ عَلَيْهِ ، وَقِيَامِهِمْ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ فِي خَلْعِهِ — صَيَّرَ
 إِلَى عَلِيِّ بْنِ حَمُودٍ وِلَايَةَ عَهْدِهِ ، وَأَوْصَى إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ .

١ قَرَفَ النُّدُوبَ : قَشَرَهَا بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ ، وَالنُّدُوبُ : الْجُرُوحُ ؛ وَفِي هَامِشِ ط : أَطْنَهُ
 الذُّنُوبَ ، وَهُوَ وَهْمٌ .

٢ شَقْنُدَةُ (Secunda) أَحَدُ أَرْبَاضِ قَرْطَبَةِ (انْظُرِ الرُّوُضَ الْمُعْطَارَ : ١٢٧ مِنْ التَّرْجُمَةِ
 الْفَرَنْسِيَّةِ وَمَادَّةُ شَقْنُدَةِ فِي الْمَوْسُوعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .) .

وراسله بذلك إلى سبئته . أبتام تردده عليها ^١ ، بمعنى الاستعداد ،
وجمعه طوائف البرابرة لجهاد : وولاه طلب ذحله ^٢ ، واستكنمه السرى
فيه إلى أوانه ، وبلغ زمانه : هائجا للحفايظ القرشية ، ومحركا
للطوائل الطالبيّة : فرماهم يومئذ من عليّ هذا بثالثة الأثافي ، طوى
كشحه منها على مستكنة أرجأها لوقتها .

ومن الاتفاق الغريب على سليمان أنه لما استوسق له الأمر بعد فراغه
من خبر هشام المؤيد ، أنفذ عزمه من بين قواد جيوشه في اختيار
عليّ بن حمود المذكور ، فقدمه على مدينة سبئته ، رأيا ذهلا عنه ،
وتبذرها إلى ضد له مكاشيح شريك في الدعوى والقرابة ، فتلقتهما عليّ
تلقف الأكياس المقبلين ، ودب ليعقبونه سليمان من قبلها الضراء
دبيب الحسرة الموتور ، حتى هجم عليه وسابه شكا ، وحول دولته ،
ومزق عيشته ^٣ : وكانت غلظة ما كان عليه من سبئته ، فذا من
بعده . وإذا أراد الله شيئا مضى .

قال أبو الحسن بن بسام : قال عليّ بن الحسين في هذا الخبر : ما
حكاه الرواة في حارب السبئيين . جعفر : قالوا : لما عزم

١ كان تملك علي بن حمود سبئته عقب شهر شوال سنة ٤٠٠ ؛ إذ انتزى فيها باسم المستعين
(البيان المغرب ٣ : ٩٦) .

٢ ط : دمه .

٣ نقل ابن عذاري هذا النص ٣ : ١١٤ .

٤ البيان : عيشته .

٥ انظر هذا الخبر في مروج الذهب ٧ : ٢٦٢ وما بعدها ، وفي نقل ابن بسام تصرف .

بُعَا الصَّغِيرُ عَلَى قَتْلِ الْوَكَلِ جَعْفَرٍ^١ بِتَدْبِيرِ ابْنِهِ الْمُنْتَصِرِ ، دَعَا بِنَاغِرَ ،
وهو غلامٌ تُرْكِي ، بعد أن اصطنعه بالصلّات^٢ ، وكان مقدّماً أهلاً ،
فقال له : يا بَاغِرُ ، اذهبْ لِعَمَلِكُمْ تَقْدِمْ لِي لَكَ ، وَأَنْتِي قَدْ صَرْتُ عِنْدَكَ فِي
مَنْزِلَةِ ابْنٍ ، لَا يَمْنَعُ لَكَ أَمْرٌ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَمُرَكَ بِشَيْءٍ ، فَعَرَفَنِي كَيْفَ
تَعْمَلُ عَلَيْهِ ، قَالَ^٣ : قُلْ مَا شِئْتَ فَإِنِّي فَاعِلُهُ ، فَقَالَ : إِنَّ ابْنِي قَدْ
سَدَّ عَلَيَّ ، وَصَحَّ عِنْدِي أَنَّهُ يُجَاهِلُ سَفْكَ دَمِي ، وَأُرِيدُ إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ
غَدًا أَنْ أَضَعَ الْقَلَنْسُوَّةَ^٤ مِنْ رَأْسِي فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا أَنَا وَضَعْتُهَا فَاقْتُلْهُ ،
قَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا دَخَلَ ابْنُهُ عَلَيْهِ لَمْ يَضَعْ الْقَلَنْسُوَّةَ مِنْ رَأْسِهِ^٥ ، وَظَنَّ
أَنَّهُ نَسِيَ ، فَغَمَزَهُ بِحَاجِبِهِ ، فَلَمْ يَرَ الْعَلَامَةَ ، وَانْصَرَفَ ابْنُهُ ، فَقَالَ لَهُ^٦ :
إِنِّي فَكَّرْتُ فِي أَنَّهُ وَلَدٌ وَحَدَّثَ^٧ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَصْلِحَهُ ، فَقَالَ لَهُ بَاغِرُ :
فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ ، ثُمَّ أَمْسَكَ عَنْهُ مُدْبِدَةً وَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَخِي قَدْ
فَسَدَّ عَلَيَّ ، وَهُوَ عَرِمٌ عَلَى أَنْ يَقْتُلَنِي وَيَنْفَرِدَ مَكَانِي^٨ ، وَأُحِبُّ أَنْ
أَجَادِرَ غَدًا إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ وَتَقَاتَلْتُ^٩ ، قَالَ : نَعَمْ ، وَجَعَلَ لَهُ عَلَامَةً ، فَأَمَّا
عَلَى عَمَلِهِ لَمْ يَفْعَلْ ، وَوَقَفَ حَتَّى خَرَجَ أَخُوهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بَاغِرُ ،
هِيَ أَخِي ، فَكَيْفَ تَسْتَصْلِحُهُ^٩ ، وَهَهْنَا امْرُؤٌ هُوَ أَعْظَمُ وَأَكْسَرُ مِنْ

١ : جَعْفَرُ

ط : وَالْأَحْسَنُ

٢ : ط : وَرَأَى

٣ : ط : الْقَلَنْسُوَّةُ

٤ : ط : رَأْسُهُ : سَقَطَتْ مِنْ ط .

٥ : ط : فَقَالَ لَهُ : يَا بَاغِرُ ،

٦ : ط : أَنَّهُ حَدَّثَ وَوَلَدَ ، وَفِي الْمَرْجُوحِ : إِنَّهُ حَدَّثَ وَإِنَّهُ وَلَدِي .

٧ : ط : بِمَكَانِي .

٨ : ط : وَلَمْ يَفْعَلْ : اسْتَصْلَحَهُ .

هذا كله . قال له باغير : مَنْ هو ؟ قال : المُنْتَصِر ، قد صحَّ عندي أنه على الإيقاع بي وقتلي ، وأريدُ قَتْلَه ، فكيف ترى نفسك في ذلك ؟ فَفَكَّرَ باغرٌ ساعةً ونكس رأسه طويلاً ثُمَّ قال : هذا أمرٌ لا يجيءُ منه شيءٌ . قال : ولمَ ؟ قال : لا نَقْتُلُ^١ الابنَ والأبُ باقٍ ، إذ لا يستوي لكم شيءٌ وَيَقْتُلُكُمْ أبوه كُلَّكُمْ . قال : فما الرَّأي ؟ قال : نبدأ بالأب ويكونُ أمرُ الصَّبِيِّ أيسرَ ؛ قال : وَتَفْعَلُ هذا وَيَحْكُ ؟ ! قال : نعم ، أَفْعَلُهُ وَأَدْخُلُ عليه إلى قتله ، وادخل أنت في اثري ، فَإِنْ قَتَلْتُهُ وَإِلَّا فاقْتُلْنِي أَنْتَ ، وضع سيفك عليَّ وَقُلْ : أراد أن يقتلَ مولاه . فَعَلِمَ بَغا حينئذٍ أنه قاتله ، فتمكنَ له التدبيرُ على المتوكل .

وحدثَ البحري الشاعر قال^٢ : كنّا عند المتوكل مع النُدَماءِ ، فتذاكرنا أمرَ السيف ، فقال بعضُ من حضر : يا أميرَ المؤمنين ، وقع عند رجلٍ من أهل البصرة سيفٌ من الهند ليس له نظير . فأمر المتوكلُ بالكتاب فيه إلى عامل البصرة ؛ فاتَّفَقَ أَنْ اشْتَرِيَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ؛ فَسَرَّ المتوكلُ بِجَوْدَتِهِ ، وانتضي^٣ فاستَحْسَنَهُ المتوكلُ وقال للفتح بن خاقان : اطلُبْ لي غلاماً نَشِيقُ بِنَجْدَتِهِ وشجاعته ، أدفع إليه هذا السيفَ ليكونَ واقفاً به على رأسي كلَّ يومٍ ما دمتُ جالساً ؛ قال : فلم يَسْتَسِمِ المتوكلُ الكلامَ ، حتّى دخل باغرُ التُّركيُّ المذكور ، فدعا به المتوكلُ ، ودفع إليه ذلك السيف ، وأمره بما أراد وتقدّم بأن يُزادَ في مرتبته . قال

١ ط : يقتل .

٢ النقل مستمر عن مروج الذهب ٧ : ٢٦٧ .

٣ ط : وسيق وانتضي .

٤ ط : الحديث .

البحثري : فوالله ما انتضي ذلك السيف ولا أخرج من غمده منذ الوقت الذي دفع إليه إلا في الليلة التي ضربته فيها باغراً بذلك السيف^١ .

رجع الحديث :

قال ابن حبان : فلما كانت سنة^٢ خمس وأربعمئة طلع النبأ على سليمان أن مجاهداً العامري أقام عليه خليفة رجلاً يعرف بالفقيه المعيطي ، فاستعظم ذلك إلى أن بلغه نجوم علي بن حمود الفاطمي بسبته ، فسقط في يديه ، وتفترقت الأطباء عليه^٣ ؛ وكان على أجل من الحرش^٤ ، وأخذ في استدفاع ذلك جهده ، فلم يغنيه شيئاً ، وجاءه علي في جموعه بعد أن اجتمع بالمرية مع خيران صاحب المرية وغيره من الفتيان ؛ فخرج إليهم سليمان واقتتلوا ، فانهزم سليمان وقبض عليه وعلى أخيه وأبيه وسيقوا أسارى إلى علي بن حمود . ودخل القصر وخيران يطمع^٥ أن يجد هشاماً المؤيد حياً ، فلم يوجد ، وذكر أنه قتل وعرض عليه قبره . فأمر علي بنبشه ، فأخرج الشخص ، وشهد أنه هشام ، وسليمان يتبرأ من دمه ، وما كان في جسده شيء من أثر السلاح ، فتوهم فيه الخنق ، وأمر علي بتجهيزه إلى أهله ، وأنذر طبقات الناس للصلاة .

١ ط : منذ دفعه إلى باغر فيها بذلك السيف .

٢ ط : كان .

٣ فيه إشارة إلى قول الشاعر :

تكاثر الأطباء على خراش فما يسدري خراش ما يصيد

٤ من المثل : « هذا أجل من الحرش » انظر فصل المقال : ٤٧١ ، يضرب لمن كان يخشى

شيئاً ثم وقع فيما هو أشد منه .

٥ ط : خيران وطمع .

عليه ؛ فدُفِنَ لَتَرْيَقُ^١ أَبِيهِ الْحَكَمَ . ثُمَّ^٢ دَعَا عَلِيٌّ بَسْلِيمَانَ وَذَوِيهِ فَضْرَبَ
عُنُقَهُ بِيَدِهِ ، وَظَهَرَ مِنْهُ جَزَعٌ شَدِيدٌ عِنْدَ مَلاحِظَتِهِ السِّيفَ ، خَارَتْ مِنْهُ قُوَاهُ ،
فَجَثَا^٣ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ ضُرِبَتْ عُنُقُ الشَّيْخِ أَبِيهِ وَعُنُقُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنِهِ ، وَجُعِلَتِ الرَّؤُوسُ الثَّلَاثَةُ فِي طَسْتٍ ، وَأُخْرِجَتْ مِنَ الْقَصْرِ
إِلَى الْمَحَلَّةِ يُنَادَى عَلَيْهَا : هَذَا جَزَاءُ مَنْ قَتَلَ هِشَامًا الْمُؤَيَّدَ . ثُمَّ رَدَّتْ
الرَّؤُوسُ الثَّلَاثَةُ وَنُظِفَتْ وَطُيِبَتْ ؛ وَقَدْ كَانَتْ رُؤُوسًا مَظْهُورَةً
رُؤُوسًا مِنَ الْبَرَابِرَةِ الْمَقْتُولِينَ فِي الْوَقْعَةِ فِي قُفَّةٍ .
ابْنُ الدُّبِّ فِي أَعْلَاهَا ، وَعُلِقَتْ فِي آذَانِهِمْ رِجَالُهُمْ فِي الْوَقْعَةِ فِي
الْمَحَلَّةِ تُحْمَلُ^٤ مِنْ مَضْرِبِ قَائِدٍ إِلَى مَضْرِبٍ .
مِنْ اجْتِمَاعِ رُؤُوسٍ مِّنْ ضَاقتْ أَرْضُ الْأَنْدَلُسِ بِهَا .
شَرُّهَا وَأَذاها طُرَأَ فِي قُفَّةٍ ضَيِّقَةٍ ، وَالْأَمْرُ لَهَا .

وَحُكِّيَ أَنْ وَالِدَ سُلَيْمَانَ حِينَ عَيْنَ قَتَلَ ابْنَيْهِ .
 أَهَكَذَا يَا شَيْخُ قَتَلْتُمْ هِشَامًا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ .
 فَحِينَئِذٍ عَجَلَ عَلِيٌّ بِقَتْلِ الشَّيْخِ . وَكَأَنَّ
 بَشِيرًا مِنْ أَمْرِ ابْنِهِ .

١ ط : لزق .

٢ انظر النص في البيان المغرب ٣ :

۳ ط : مم ... وجشا .

ط : کان .

ه ط : تحمل في المحلة .

٦ بعددافي س ب : « ومشور » : مشور القصر .

٧ البيان : يتلبس .

وكان هشام يقولُ برموزِ الملاحمِ وكُتِبَ الحدّاثانِ ، وخامرَ نَفْسَهُ مُذكرِ قائمٍ بِسَبْتَةِ ، أَوَّلُ اسْمِهِ عَيْنٌ ، ما لا شيءَ يُزِيلُهُ ، ولم يزلْ مُرْتَقِباً لظهوره ؛ فلذلك ما كاتبَ عليّ بنَ حمّودٍ لِرَفْعِ بَيْتِهِ ، وبُعْدِ صَيْتِهِ ؛ فكان منه في أخذه بثأره بَعْدَ موته ما كان . فإن كان كذلك ، فهشام — على مشهورِ عَجْزِهِ — أَحَدُ كائدي الأعداءِ بغيره من منكوبي الملوكِ بما لا شيءَ فَوْقَهُ ، فما أدركَ فيه بعدَ هلاكِهِ بوثرِهِ واستقَادَ بَدَمِهِ وسطاً بَعْدَوَهُ ؛ انتهى ما لَخِصَّتْهُ من خَبَرِهِ مَعَ ابنِ حمود .

فصل : قال ابن حَيَّان : وأما حربه مع المهدي ، فإنه لما استوسقَ الأمرُ لسليمانَ حَسْبِمَا تَقَدَّمَ ١ ، وَتَابَعَتْهُ البرابرةُ ، اجتمعوا لِحَرْبِ قرطبة ، فنزلوا في سفحِ الجبلِ بها وبشَرْقِيَّهَا ، يومَ الخميسِ الحادي عشر من ربيعِ الأوّلِ سنة أربعمائة ؛ وقد كان واضحُ الفتي وافاها قبلهم بيومين في أَجْنَادِهِ من رجالِ الثغر ، فَقَلَدَهُ المهديُّ أمرَ الحربِ ، واحتشدَ الناسُ من الكُورِ والباديةِ ، فَعَسَكروا في جموعٍ لم يُحْصِهَا إِلَّا خالفهم ، فتدائى الزحفان يوم السبت الثالث عشر من ربيعِ المؤرخ ، فتسرّع اليهم أهلُ قرطبة ، وخالفوا واضحاً في تدبيرِ حربهم ، فاستجرتهم البرابرةُ ، حتّى إذا تمكّنوا منهم عطفوا عليهم ، فأنكشفوا عنهم انكشافاً ما سُمِعَ بمثله ، وانهزموا إلى منازلهم ، وتشعبتِ الطُرُقُ بهم ، وعادَ تَضَيُّقُ مسالكِ كانوا أعدّوها لعدوّهم سِداداً دونهم ، فازدَحَمُوا وتَنَاشَبُوا وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً . وَوَضَعَ البرابرةُ والنصارى السُيُوفَ عليهم ؛ فَقُتِلَ في هذه الواقعةِ عَالمٌ ، وأبادوا أُمَّةً . وهيَ وقعةُ قَنْتَشِيشِ المشهورة بالأنْدَلُسِ التي قَطَعَ المَقالُ على أَنَّهُ قُتِلَ فيها عَشْرَةُ آلافٍ قَتِيلٍ وَأَزِيدٌ . والله أعلم .

١ حسيما تقدم : لم ترد في ط .

ومالَ النصارى يومئذٍ على المنهزمين من المسلمين ، فقتلوا منهم في صعيدٍ واحدٍ نَيْفًا على ثلاثة آلاف رجل . وخرج الأمرُ عن يَدٍ واضحٍ ، فلم يثبتَ أحدٌ مِمَّن كان معه ، ولا كَرَّ في تلك الوقعة عَامِيٌّ ولا خَاصِيٌّ . وكان أمرُهُ ١ عَجَبًا . ونادى واضح بشعاره ، فاجتمع إليه رجاله ، وثبت إلى أن أَجَنَّهُ اللَّيْلُ واتَّخَذَهُ ٢ جَمَلًا ، وسارعن قرطبة هاربًا إلى الشَّغَر . وانبطَّ البربرُ يومئذٍ في أرضِ قرطبة يقتلون ويأسرون .

قال ابن حبان : وأصيب في تلك الوقعة من المؤدبين خاصة نَيْفٌ على ستين ، أُعْرِيتْ سقائِفُهُمْ ٣ في غداة واحدة منهم . وتعطلَ صبيانُهُم لِعَدَمِهِمْ ٤ . وأصيب فيها زَرْبُوطُ الطَّنْبُورِيِّ ، وأقام الطَّنْبُورِيُّونَ أصحابُهُ عليه مَاتَمًا مشهودًا بعد الحادثة . وهلك في تلك الوقعة أخلاط من الناس . وكان بعضُ الظرفاء يقول : من كُلِّ طَبَقَةٍ أَخَذْتُ وَقْعَةً قَنْتَشِيشَ حَتَّى مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ ٥ ؛ فَإِنَّهَا أَلْصَقَتْ بِالصِّمِيمِ فِي قَتْلِ قَنْبُوطِ الْمُلْهِيِّ . وزَرْبُوطُ الْمُغْنِيِّ وَتَمَطَّيْهُمَا ، فَهِيَهَاتَ أَنْ يُخْلِفَ الدَّهْرُ مَثْلَهُمَا .

وكان المهديُّ ، إذ دخل قرطبة مُنْتَصَفَ جُمَادَى الآخِرَةِ سنةَ تسع وتسعين وثلاثمائة وَقَتَّلَ عبد الرحمن بن أبي عامرٍ ، أَظْهَرَ مَوْتَ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ فِي رَمَضَانَ من العام ، وَوَرَى الشَّخْصَ الَّذِي مَوَّهَ بِهِ وَقَسَمَ تُرَاثَهُ . فلما كان غداةَ الأحدِ ثَانِي وَقْعَةٍ قَنْتَشِيشَ ، أَظْهَرَ الْمَهْدِيُّ هِشَامًا الْمُؤَيَّدَ رَجَاءً أَنْ يَسْتَمِيلَ

١ ط : أمرها .

٢ ط : واجتمع فاتخذة .

٣ س ط : سلائعهم .

٤ ط : بعمدهم .

٥ ط : البطل .

البرابرة به ، لِمَا كانوا يُكثرون من التَّرحُّمِ عليه والطلبِ بدمه ؛ فأبرَّزَه^١ للنَّاسِ وَحَجَّبُوا من ذلك ، فقال له البربرُ : اللهُ محمودٌ على سلامته ، ونحنُ فلا حاجةَ لنا في إمامته ، ولا نرضى بغير سليمان ؛ فلمَّا سمع المهديُّ ذلك ، خرج في الليلِ عن القصر ، وتطمَّرَ^٢ بقُرْطُبَةٍ إلى أنْ لَحِقَ بطُلَيْطَلَةَ ، ودعا النَّاسَ إلى القيامِ بِنُصْرَتِهِ ، فجمع له واضحٌ عساكرَ الإفرنجيةِ وأهلَ الثُّغُورِ ؛ وجاءهم^٣ مع واضحٍ إلى قرطبة ، فبرز إليه سليمان ، والتقيا الجمعان يومَ الجمعة في شَوَّال من العام ؛ فانهزمَ سليمان ؛ فدخل المهديُّ قرطبة ويبيع له بها ، وتردَّدَ عليه البربرُ يحاربونه ، فشرع في حفرِ الحندقِ حول قرطبة ، وألزمَ أهلَهَا القيامَ بأمرِهِ ؛ فاشتدَّتْ الكُلْفَةُ عليهم . ودبرَ واضحٌ مع الموالي العامريَّينَ الغدَرَ بالمهديِّ ، وشَغَبُوا عليه في ذي الحجة من العام ، وأخرجوا هشاماً المؤيَّدَ من محبِسِهِ بالقصر ، وأجلسوه للخلافة بالسَّطْحِ ، ونادَوْا بشعاره ، وضربوا عُنُقَ المهديِّ بين يَدَيْهِ ، وألقوا جَسَدَهُ من أعلى السَّطْحِ ، ورفعوا رَأْسَهُ على قنَّاةٍ طيفَ بها ° البلَدُ كُلُّهُ ، وقُطِعَتْ يَدُهُ ورجلُهُ . وعاد هشامُ المؤيَّدُ إلى الخلافةِ ، وجُدِّدَتْ^٤ له البيعةُ ، واستحجبَ واضحاً الفتي ، واستولى على تدبيرِ الأمورِ ، وأرسل برأسِ المهديِّ إلى عسكرِ سليمان على مُعاوَدَةِ طاعةِ هِشَامٍ ، وقد رجسا استِمالَتَهُمْ به فأبَوْا ذلك ، وأغلَظَ سليمانُ على رُسُلِهِ ، وأراد قَتْلَهُمْ ،

١ ط : فأظهره .

٢ ط : وتطير ؛ وتطمَّرُ : استخفى .

٣ ط : وجاء بهم .

٤ ط : بها .

٥ ط : به .

٦ ط : وجدد .

وأظهرَ الجَزَعَ على ابنِ عمِّه المهديّ ، وبكى عليه ^١ . وأمر بتنظيفِ الرأس ، وأنقذهُ إلى طليطلة ، إلى ولد المهدي عبّيدِ الله ، فأعظمَ قتلَ أبيه ودفعَ بيعةَ هشام . وكان بعسكرِ سليمان عبدُ الرحمن بن مَتِيوهِ ^٢ ، فلما بلغه مهلكُ ^٣ المهديّ بن عبد الجبار عدوّه ، كاتبَ واضحاً وتوثقَ له ، فهرب إلى قرطبة ، فدبّرَ أمرَ هشامٍ مُدَّةً بعد قتلِ واضحٍ وعليّ بن وداعة ، في أخبارِ طويلة ، إلى أن ضعُفَ أمرُ هشام . ودخل عليه سليمان دولته الأخيرة ^٤ ، ودبّرَ قرطبة ، إلى أن وقع له مع عليّ بن حمود ما وصّفناه ^٥ . انتهى ما لخصّته من كلامِ ابنِ حيّان .

قال أبو الحسن بن بسام ^٦ : وكان سليمان ممّن مُدّت ^٧ له في الأدب غاية ، كبا ^٨ دونها أهل الآداب ، ورُفِعَتْ له في الشعرِ راية مشى تحتها كثيرٌ من الشعراء والكُتّاب ؛ غير أنَّ أيامَ الفُتُونِ أَلَوَتْ بذكرِهِ ، وأبدي تلك الحربِ الزَّبُونِ طوتَ بجملة شعره ؛ وهو أحدُ ممّن شَرُفَ الشعرُ باسمه ، وتصرّف على حُكْمِهِ ؛ مع قعود همم أهل الأندلس يومئذٍ عن البحثِ عن مناقبِ عظمائهم ، وزهدهم في الإشادةِ بمراتبِ زعمائهم . ولم أظفّرَ له حينَ نقل هذه النسخة المقررة من هذا المجموع في وقتي المؤرخ إلاّ بقطعة

١ وبكى عليه : ليست في ط .

٢ ط : منيره ؛ س : مهوه ؛ ب : فهو .

٣ ط : هلاك .

٤ ط : الآخرة .

٥ ط : ما تقدم .

٦ نقل النص في البيان المغرب ٣ : ١١٨ .

٧ ط : مد .

٨ البيان : وقف .

عارِضَ بِهَا هَارُونَ الرَّشِيدَ فَتَشَعَّشَعَتْ بِهَا الْكُؤُوسُ ، وَتَهَادَتْهَا الْأَنْفَاسُ
وَالنُّفُوسُ . وَقَدْ أَثْبَتَ الْقَطْعَتَيْنِ مَعًا لِيُرىَ الْفَرْقُ ، وَيُعَرَفَ الْحَقُّ . قَالَ
هَارُونَ الرَّشِيدُ ^١ :

مَلَكَ الثَّلَاثُ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَلْنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَا لِي تُطَاوِعَنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأَطِيعُهُنَّ ، وَهَنَ فِي عَصِيَانِي
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ سُلْطَانَ الْهَوَى - وَبِهِ قُوَيْنَ - أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي

فَقَالَ سَلِيمَانُ الْمُسْتَعِينُ ^٢ :

عَجَبًا ، يِهَابُ اللَّيْثُ حَدَّ سَنَانِي وَأَهَابُ لَحَظَ فَوَاتِيرِ الْأَجْفَانِ
فَأَقَارِعُ الْأَهْوَالِ ^٣ لَا مُتَهَيِّبًا مِنْهَا سِوَى الْإِعْرَاضِ وَالْهِجْرَانِ
وَتَمَلَّكَتْ نَفْسِي ثَلَاثُ كَالِدَمَى زُهِرُ الْوُجُوهِ نَوَاعِمُ الْأَبْدَانِ
كَكَوَاكِبِ الظُّلُمَاءِ لُحْنٌ لَنَاظِرِي مِنْ فَوْقِ أَغْصَانٍ عَلَى كُثْبَانِ
هَذَا الْهَلَالُ ، وَتِلْكَ بِنْتُ الْمَشْرِقِ حُسْنًا ، وَهَذَا أَخْتُ غُصْنِ الْبَانِ
حَاكَمْتُ فِيهِنَّ السُّلُوكُ إِلَى الصَّبَا فَقَضَى بِسُلْطَانٍ عَلَى سُلْطَانِي
فَتَأَجَنَ مِنْ قَلْبِي الْحِمَى وَتَرَكْنِي فِي عِزِّ مُلْكِي كَالْأَسِيرِ الْعَانِي
لَا تَعْذِرُوا مَلِكًا تَدْلِلُ لِلْهَوَى ذُلُّ الْهَوَى عِزُّ وَمُلْكُ ثَانِي

١ ط : الرشيد هارون ؛ وانظر أبيات هارون في الحلقة ٢ : ٩ والجزء : ٢١ والمعجب
٩٢ والاغانى ١٦ : ٢٦٩ ، والغيث ٢ : ٣٢٦ ، وقد نسبتها المصادر للرشيد ، إلا أنها أدرجت
في ديوان العباس بن الاحنف : ٢٧٩ .

٢ انظر الحلقة والجزء والمعجب والغيث في التعليق السابق .

٣ ط : الأبطال .

ما ضَرَّ أَنِّي عَبْدُهُنَّ صَبَابَةٌ وبنو الزَّمانِ وهنَّ من عُبداني^١
إِن لمْ أَطْعَ فِيهِنَّ سُلْطَانُ الْهُوَى كَلَفًا بِهِنَّ قَلَسْتُ مِنْ مِروان

فصل في ذِكْرِ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ أَبِي الْمُطَرِّفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابن هشام بن عبد الجبار النَّاصِرِيِّ ، وشرح مقتله ،
وإيراد جملة من أشعاره ، مع ما يَتَعَلَّقُ بها
وينخرطُ في سَلِكِهَا من مُسْتَطَرَفِ أخباره^٢

قال أبو الحسن : نقلتُ من خطِّ أبي مروان بن حيان قال : كان
عبدُ الرحمن هذا لَبِيقًا ذَكِيًّا ، وأديبًا لَوْدَعِيًّا ؛ لم يكنْ في بيته يومئذ
أبرعُ منه منزلةً . وكان قد نَقَلَتْهُ المخاوفُ ، وتقاذفت به الأسفار ، فتحتك^٣
وتخرَّجَ وتمرَّنَ فيها ، وكاد يستولي على الأمر لو أن المَنَيا أنسأتَه . وكان
عاد إلى قرطبة بعد تجواله ؛ فدخلها مُسْتَحْفِيًّا أَيَّامَ القاسم بن حمود ، وقد
اضطرب سلطانه بها ؛ فشاهد الفتنة الحادثة بين البرابرة وأهلها ، وهمَّ فيها
بالوثوب ، وبثَّ دُعَاةً إلى أهلها . فلم يَصِحَّ له شيءٌ ممَّا أرادَه ، وأنكر
الوزراءُ المُدَبِّرُونَ قرطبة أمرَه ؛ فتجرَّدُوا لطلبه وطلَّبت دُعَاةً ، فسُجِنُوا

١ وقع هذا البيت آخرًا في ط .

٢ انظر في أخبار المستظهر : الجذوة : ٢٤ والحلة ٢ : ١٢ - ١٧ وفيه نقل عن ابن حيان ،
والبيان المغرب ٣ : ١٣٥ والموجب : ١٠٥ وأعمال الأعلام : ١٣٤ والنفع ١ : ٤٨٨
وإبروفنسال ٢ : ٣٣٤ ودوزي (Spanish Is.) : ٥٧٤ .

٣ ط : فتجنَّد .

٤ فيها : سقطت من ط والحلة .

٥ ط : أراد .

ولم يخرجوا من الحبس إلا يوم^١ جلوس صاحبهم عبد الرحمن هذا للامارة ؛
 فبقى مُستَخْفِيًا ، وهو يدبُّ الضراء في الدُّعاء إلى نفسه ، إلى أن أعلَنَ قُوهُ
 بالشورى عند إيقاعها في ذلك الوقت لظهور براعته ، وأَجْمَعُوا عليه وعلى
 سليمان بن المرتضى ، وعلى محمد بن العراقي . فتقدّم في إحضار الخاصة^٢
 والجند والعامة بالمسجد^٣ الجامع لِمُشَاهَدَةِ بَيْعَةِ مَنْ يُخْتَارُ من هؤلاء
 الثلاثة الأمراء للخلافة ، فغدا الناسُ لذلك على طبقاتهم .

قال ابن حبان : وكنتُ^٤ في من حضر المقصورة يومئذ ، فكان أول من
 وافى منهم سليمان بن المرتضى ، جاء مع عبد الله بن مخامس^٥ الوزير في أبهة
 وشارة دَلَّتْ على المراد فيه ؛ فدخل من باب الوزراء الغربي والمسور باد
 عليه ، فاستقبله أصحابه وقدموه إلى بهو الساباط ؛ فأجلس هنالك على
 مرتبة لا تصلح لأحدٍ سواه^٦ ، وهو بهيجٌ جدلان^٧ ، لا يشكُّ في تمام
 الأمر له ، وأصحابه يرتقبون مجيء ابني عمته المذكورين - وقد أبطأ -
 كيما يُحصَلُوها عنده . فبينما نحن على ذلك ، والقلقُ على القوم باد ،
 إذ غَشِيَتْنَا ضِجَّةٌ وزَعَقَةٌ هائلةٌ ارتجَّ لها الجامعُ واضطرب لها من
 بالمقصورة . فإذا عبد الرحمن بن هشام قد وافى شرقي الجامع ، في^٨ خلعتي
 عظيم من الجند والعامة ، وقد تَكَنَّفَه أمير الدائرة محمود وعمير في
 رجالهما ، شاهرين سيفيهما أمامه ، لهجين^٩ باسمه ؛ فراع الوزراء

١ ط : بهه . ٢ ط : الجماعة .

٣ ط : المسجد .

٤ ط : فكنت .

٥ كذا يرد في النسخ بالخاء المعجمة « مخامس » ، وفي الجذوة (ص : ٢٨٨) من اسمه
 عثمان بن مخامس ، بالخاء المهملة .

٦ ط : لا تصلح بسواه .

٧ ط : شرقي في : سقط من ط . ٨ من ب : هاتفين .

ذلك وألقوا للوقت بأيديهم وخذلتهم حيلهم ، ودخل المقصورة عبد الرحمن فبُويح لوقتِه . واستدعي سليمانُ بن المرتضى وجيءَ به مبهوراً فقبلَ يده وهنأهُ ، فأجلسه إلى جنبه ، ثم وافى محمد بن العراقي أيضاً فقبلَ يده وبايعه ، ثم عَقِدَت له البيعةُ ، وذلك اليومَ الرابعَ من شهر رمضانَ سنة أربع عشرة وأربعمائة .

وكان أحمد بن بُرْدٍ قد تقدّمَ في عَقْدِها باسم سليمان بن المرتضى فبَسَّشَرَهُ وحكَّ اسمَه ، وكتبَ اسم عبد الرحمن مكانه فكان ذلك من عجائب الدنيا .

ثم ركبَ وحملَ مع نفسه ابني عمّه سليمان وابنَ العراقي فاحتبسَهما عنده وأنسَهما ؛ وظهرتُ من عبد الرحمن لوقتِه عَرَامَةٌ ^١ ، وكان فتىً أيّ فتى لو أخطأته المتالف . وكان استقلَّ بما طلبَه من السلطان جرأةً وصرامةً ، وركبَ أعناقَ الخطوبِ وقد اعتاصتْ فأردتَه . وكان رَفَعَ مقاديرَ مشيخةِ الوزراءِ من بقايا مواليه بني مروان ، منهم أحمد بن بُرْدٍ وجماعةٌ من الأغمار ، كانوا عصابةً يحلُّ بها الفتاءُ ، ويذهبُ بها العجبُ ، قدّمَهم على سائرِ رجاله ، فأحقَّدَ بهم أهلَ السِياسةِ ، فانقَضَتْ دولتهُ سريعاً ؛ منهم أبو عامر بن شهيد فتى الطوائف ، كان بقرطبةَ في رِقَّتِه وبراعتهِ وظرفه ^٢ خليعها المنهمك ^٣ في بطالتهِ ، وأعجبَ الناسَ تفاوتاً ما بين قولِه وفِعْلِه ، وأحطَّهم في هوى نفسه ، وأهتَكَهم لِعِرضِه ، وأجرأهم على خالِقِه . ومنهم أبو محمد بن حزم ، وعبدُ الوهاب

١ ط : صرامة .

٢ ط : وبراعة ظرفه .

٣ ط : المنهتك .

ابن عمته ، وكلاهما من أكملَ فِتيانِ الزَّمانِ فهماً ومعرفةً ونَفَذاً في العلوم
الرَّفِيعَةِ .

وأقرَّ المستظهرُ يومئذٍ على مراتبِ الخِدْمَةِ طوائفَ ؛ منهم خِدْمَةُ
المَدِينَتَيْنِ الزَّهْرَاءِ وَالزَّاهِرَةِ ، وخِدْمَةُ كِتَابَةِ التَّعْقُبِ والمحاسبَةِ ،
وَخِدْمَةُ الحَشَمِ ، وخِدْمَةُ القُطْعِ بالنَّاضِ والطَّعامِ ١ ، وخِدْمَةُ موارِيثِ ٢
الخاصَّةِ ، وخِدْمَةُ الطَّرَازِ ، وخِدْمَةُ المَبَانِي ، وخِدْمَةُ الأسلحةِ وما
يَجْرِي مَجراها ، وخِدْمَةُ الخِزَانَةِ للقبْضِ والنَّفَقَةِ ، وخِدْمَةُ الهِرَاقَةِ
والقبْضِ والدَّفْعِ ، وخِدْمَةُ الوثائقِ وَرَفْعِ كُتُبِ المَظَالِمِ ، وخِدْمَةُ خِزَانَةِ
الطَّبِّ والحِكْمَةِ ، وخِدْمَةُ الأنزَالِ والنزائلِ ، وخِدْمَةُ أَحكامِ السوقِ .

قال أبو الحسن : ولكلِّ لقبٍ من أصنافِ ٣ هذه الخِدْمَةِ جماعاتٌ
سمَّاهُم أبو مروانُ بن حَيَّانَ في كتابه ، ثمَّ قال ٤ : وهذا زُخْرُفٌ من
التَّسْطِيرِ ٥ وَضِعَ على غيرِ حاصلٍ ، ومراتبُ نُصِيبَتْ لغيرِ طائلٍ ، تنافسها
طالبوها ٦ يومئذٍ بالأملِ فلم يَحْلُوا منها بنائلُ ٧ ، ولا قَبَضُوا منها مُرتزَقاً .
ولا نالوا بها مُرتفقاً ؛ وغرَّهم بَارِقُ الطَّمَعِ وسطَ بلدٍ محصورٍ ، وعملٍ
مغصوبٍ ، وخرابٍ مُستَوٍ ، ومع سلطانٍ فقيرٍ ، لا يقع بيده دِرْهَمٌ

١ والطعام : سقطت من ط .

٢ ط : مراتب .

٣ ط : أنواع .

٤ انظر أيضاً البيان المغرب ٣ : ١٣٧ .

٥ ط : الشيطان .

٦ ط : طالبوه .

٧ ط والبيان : بطائل .

إلا من صُبايةٍ مُستَغَلَّةٍ جَوْفَ المدينةِ ، أو نَهْبٍ مَغْلُولٍ مِمَّنْ تَقْلُقَلْ عنها ؛ يُقِيمُ مِنْهُ رَمَقَهُ ، ويفرِّقُ جُمْلَتَهُ على من تَكَنَّفَهُ من جندِهِ ودائرتهِ ، ويتطَرَّقُ إلى ما يقبُحُ من ظُلْمِ رَعِيَّتِهِ ؛ فلم يلبث الأمرُ أن تَفَرَّيَ به ^١ فسُفِكَ دَمُهُ ، وانحَسَمَ الأملُ من دولتهِ . وكان قد بادر في الإرسال عن جماعةٍ من وزرائه ، فلَمَّا حَصَلَ جميعُهُم عنده قبض عليهم وصادرهم على أموالٍ لِيُصدَوْفَهُم عنه ، وطالبهم نَجَاحُ الضَّاعِطُ يومئذٍ عنها . وكان قد استَرَجَحَهُ خاصَّةُ النَّاسِ وذوو الحجى منهم في القبضِ على هؤلاء الوزراء ، واستَبْطَأُوا إِبَادَتَهُ لهم ورجَّوا استظهارَهُ على الأمرِ بإزالتهم ، وسلامةَ تدبيرِهِ من اعتِراضِهِم ، وكان قد أخرجَ رُسُلَهُ إلى جماعةِ الرُّؤساءِ بالأندلسِ يلمسُ البِيعَةَ ، وَيَسْتَنْفِرُ الكافَّةَ ، ويدعو إلى كَرَّةِ الدَّوْلَةِ ؛ فأخفقَ ما طلبه ^٢ وعُوجِلَ ، ولما تَقَبَّضَ ^٣ الأجنوبةَ رُسُلُهُ ، واضمحلَّ أمرُهُ ، والبقاءُ لله وحده .

وكان أيضاً مما حرَّكَ النَّاسَ عليه استِهْدافُهُ إلى أهلِ بَيْتِهِ من وَلَدِ النَّاصِرِ ، ومبادرتُهُ لحبسِ سليمانَ بنِ المرتَضَى وابنِ العراقي المذكورين ، وتَجَاوُزُهُما إلى نَفَرٍ غَيْرِهِما ، اعتَقَلَ بعضاً وطلَّبَ بعضاً ، حتى شملِهِمُ الخوفُ ؛ فبعثَ اللهُ عليه من جُرْأَةِ صاحِبِهِ بكرِ بنِ محمدِ بنِ المَشَاطِ الرُّعَيْنِيِّ داهيةً أَدْنَتْهُ من حِمَامِهِ ، وسعى إلى أن وَثَبَ عليه محمد بن عبد الرحمن المستكفي ، وأَحَسَّ المُسْتَظْهَرُ بشيءٍ من ذلك فَطَلَبَهُ ، فأعْجَزَهُ ، ولم يزل السَّعْيُ عليه حتى قُتِلَ .

١ البيان : تعلّى عليه ؛ ط : تمرى .

٢ ط : طلب .

٣ ط : تقتض .

ذكر الخبر عن كيفية مقتله^١

قال ابن حيّان : وكان سبب ذلك أن حسن^٢ رأيّه في ابن عمير^٣ أحد الرّهط الذين كان سجنهم^٤ - فأخرجه ، فقال له بعض أصحابه : مشى ابن عمران في غير سجنك باعاً ، بتر^٥ من عمرك عاماً ؛ فقصاه المستظهر فيه لغالب هواه ، فحاق به في الثالث رداه ؛ وكان ورد عليه قبل إطلاقه بيومين فوارس من البربر ، فكرم متواهم وأنزلهم معه في دار الملك ، فاحتاج لذلك الأثرة وقالوا للعامة : نحن الذين قهرنا البرابرة وطردها عن قرطبة ، وهذا الرجل يسعى في ردّهم إلينا ، وتمكينهم من نواصينا ؛ فهاجوا العامة ، فوثبوا عليه بالقصر ، وقُتِلَ البرابرة حيث وجدوا . ولم يشعُر عبد الرحمن إلاّ والرجالة^٦ قد انتشروا على سقف القصر ، وسمع المسجونون عنده هتاف الناس فاستغاثوهم ، فدقوا الأغلاق^٧ دونهم ، واخترطوا بالحرم ؛ فعلم عبد الرحمن أنه مقتول . وأحيط به من كل جهة ؛ فاستغاث الوزراء : ابن جهور ولُمته^٨ ، فلم يجدوا له مناصاً ولا خلاصاً ، ولا يُصدّقون بنجاة أنفسهم وقد ذهلوا عنه بالحيلة في تخايصهم ؛ فأشار^٩ عليهم الدائرة الفسقة بتركه ، والدّهاب عنه ؛ فجعل الوزراء يتسلّطون عنه واحداً بعد واحد إلى أن أفردوه. فنجا^{١٠} عامة من

١ نقل في البيان المغرب ٣ : ١٣٨ .

٢ ط : ذلك حسن .

٣ ط : سجنه .

٤ ط : يتر ؛ سجن .

٥ ط : بالرجالة .

٦ ط : الأغلال .

٧ ط : وأشار .

٨ ط : ونجا .

تَعَجَّلَ الْفِرَارَ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَأَهْلِ الْخِدْمَةِ عَلَى بَابِ الْحَمَّامِ مِنَ الْقَصْرِ فَاهْتَدَى
إِلَيْهِ الدَّائِرَةُ ، وَأَحْلَتُوا بِمَنْ خَرَجَ مِنْهُ الْفَاقِرَةُ ؛ مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ بَسِيلٍ مُتَقَلِّدُ
الْمَدِينَةِ ، قُتِلَ يَوْمَئِذٍ . وَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى ذَلِكَ الْبَابِ يَطْمَعُ فِي الْخُرُوجِ ؛
فَقَامَ الدَّائِرَةُ فِي وَجْهِهِ وَزَرَقُوهُ وَهُمْ يَسُبُّونَهُ ؛ فَارْتَدَّ عَلَى عَقْبِهِ ، وَتَرَجَّلَ
عَنْ فَرَسِهِ ، وَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ ، حَتَّى بَقِيَ فِي قَمِيصِهِ ؛ وَاسْتَخْفَى فِي
أَبْزَنِ الْحَمَّامِ ، فَقَدَّ شَخْصَهُ ؛ وَاسْتَخْفَى الْبَرَابِرَةُ فِي الْحَمَّامِ وَفِي أَكْنَافِ
الْقَصْرِ فَبُحِثَ عَنْهُمْ وَقُتِلُوا . وَلَاذَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ بِالْجَامِعِ فَقَتَلُوا فِيهِ ؛ وَفُضِّحَ
حَرِيمُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَبَى أَكْثَرُهُنَّ الدَّائِرَةُ وَحَمَلُوهُنَّ إِلَى مَنَازِلِهِمْ
عَلَانِيَةً ، وَجَرَى عَلَيْهِنَ مَا لَمْ يَجْرَ عَلَى حُرْمِ سُلْطَانٍ فِي مَدَّةِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ .

قال : ولما فُقِدَ شَخْصُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ظَهَرَ ابْنُ عَمَّتِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النَّاصِرِ السَّاعِي عَلَيْهِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ مُتَطَمَّرًا^٢
فِيهِ فَهَتَفَ الدَّائِرَةُ بِاسْمِهِ ، وَانْتَهَوْا بِهِ إِلَى دَارِ الْمُلْكِ ، فَإِذَا هِيَ بِالْقَيْعِ ؛
فَأَجْلَسُوهُ فِي مَجْلِسِهَا الْقِبْلِيِّ مَبْهُوتًا . وَقَامَ الدَّائِرَتَانِ الْفَاسِقَانِ^٣ مُحَمَّدٌ وَعُمَيْرٌ^٤
عَلَى رَأْسِهِمَا بِالسُّيُوفِ مَقَامَهُمَا بِالْأَمْسِ عَلَى رَأْسِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَمَّتِهِ
وَتَكَاثَرَتِ الدَّائِرَةُ وَالْعَامَةُ عَلَيْهِ . وَافْتَقَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَظْهَرُ فُوجْدُوهُ^٥
فِي أَبْزَنِ الْحَمَّامِ قَدْ انْطَوَى انْطِوَاءَ الْحَيَةِ فِي مَكَانٍ حَرِجٍ ، فَأُخْرِجَ فِي

١ الابزن (Basin) : الحوض ؛ وفي س ب والبيان : أتون ، حيث وقعت .

٢ ط : مختفياً .

٣ ط : وقام الدائرتان ؛ وفي بقية النسخ : وقام الفاسقان ، البيان : وقام الدائرتان الفاسقان ،
كما أثبتته .

٤ البيان : وعنبر .

٥ ط : فوجد .

قَمِيصٍ مُسْوَدٍ بِحَالٍ قَبِيحَةٍ ؛ وَجِيءَ بِهِ إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَكْفِيِّ وَقَدْ بَوَّعَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّالِثِ مِنْ ذِي قَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ؛ فَبَطَّشَ بِهِ بَعْضُ الرِّجَالِ الْقَائِمِينَ عَلَى رَأْسِهِ ، فَتَهَلَّلَ وَجْهُ ابْنِ عَمَّتِهِ [الْقَائِمِ عَلَيْهِ] ، وَأَخَذَ فِي تَدْبِيرِ سُلْطَانِهِ . فَكَانَتْ إِمَارَةُ الْمُسْتَظْهَرِ - إِلَى أَنْ قُتِلَ - سَبْعَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، لَمْ تَنْتَشِرْ لَهَا فِيهَا طَاعَةٌ ، وَلَا التَّامُّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ ، وَلَا تَجَاوَزَتْ دَعْوَتُهُ قَرْطَبَةَ . وَكَانَ سِنَتُهُ يَوْمَ قُتِلَ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً .

وَكَانَ عَلَى حَدَاثَةِ سِنَتِهِ ذَكِيًّا يَقْطَأُ لَبِيًّا أَدِيبًا حَسَنَ الْكَلَامِ جَيِّدَ الْقَرِيحَةِ مَلِيحَ الْبَلَاغَةِ يَتَصَرَّفُ فِيمَا شَاءَ مِنْ الْخَطَابَةِ بَدِيعَةً وَرَوِيَّةً ، وَيَصُوغُ قِطْعًا مِنَ الشَّعْرِ مُسْتَجَادَةً . وَقَدْ اقْتَضَبَ بِحُضْرَةِ الْوُزَرَاءِ فِي أَيَّامِهِ عِدَّةَ رَسَائِلَ وَتَوْقِيعَاتٍ لَمْ يَقْصُرْ فِيهَا عَنِ الْغَايَةِ ، يَزِينُ ذَلِكَ بِطَهَارَةِ أَثْنَابٍ وَعِفَّةٍ وَبِرَاءَةٍ مِنْ شُرْبِ التَّبِيدِ سِرًّا وَعِلَانِيَةً . وَكَانَ فِي وَقْتِهِ نَسِيجَ وَحْدِهِ ، خُتِمَ بِهِ فُضْلَاءُ أَهْلِ بَيْتِهِ النَّاصِرِيِّينَ ، فَلَمْ يَأْتِ بَعْدَهُ مِثْلُهُ .

وهذه جُمْلَةُ مَا وَجِدَ لَهُ مِنْ شَعْرِهِ : مِنْ ذَلِكَ قَصِيدَةٌ كُتِبَ بِهَا إِلَى مُشْتَفَى زَوْجِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، أَيَّامَ خَطْبِ بِنْتِهَا مِنْ سُلَيْمَانَ الْمُسَمَّاةِ حَبِيبَةَ ٥ فَلَوْتُهُ ؛ وَكَانَ بَقْلِيهِ مِنْ هَذِهِ الْابْنَةِ مَكَانَ لِنَشَاتِيهِمَا مَعًا فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ ؛ يَقُولُ فِيهَا ٦ :

١ ط : الرهابة .

٢ انظر البيان المغرب ٣ : ١٣٩ وأعمال الاعلام : ١٣٤ والحلة السيرة .

٣ الحلة والبيان : حدوث .

٤ الحلة : شنف ؛ ط : منتف .

٥ ط : جليبية .

٦ وردت القصيدة في الحلة ، وبعض أبياتها في الخذوة .

وجالبة عذراً لتَصْرِفَ رغبتي
يُكَلِّفُهَا الْأَهْلُونَ رَدِّي جَهَالَةً
وماذا على أمّ الحبيبة إذ رأت
جعلتُ لها شرطاً عليّ تَعْبُدِي
تَعَلَّقْتُهَا مِنْ عَبْدٍ شمس غريرة^١
حمامة عَش^٢ الْعَبْشَمِيِّينَ رَفَرَفَتْ
لقد طال صَوْمُ الْحَبِّ عَنْكَ فَمَا الَّذِي
وَأَنِّي لَأَسْتَشْفِي بِمَرِّي^٣ بَدَارَكُمْ
وَأَلْصَقُ أَحْشَائِي بِبَرْدِ تُرَابِهَا
فَإِنْ تَصْرِفِينِي يَا ابْنَةَ الْعَمِّ تَصْرِفِي
وَأَنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطُوقَ مَفْخَرِي
وَأَنِّي لَطَعَانٌ إِذَا الْخَيْلُ أَقْبَلَتْ
أَنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْ قَوْمِهَا بَهَا
وعندي مَا يُضَيِّبِي الْحَلِيمَةَ ثِيْباً
جمالٌ وآدابٌ وَخُلِقْتُ مُوَطَّأً

وَتَأْتِي الْمَعَالِي أَنْ تُجِيزَ لَهَا عَذراً
وَهَلْ حَسَنَ بِالشَّمْسِ أَنْ تَمْنَعَ الْبَدْرَ
جَلَالَةَ قَدْرِي أَنْ أَكُونَ لَهَا صِهراً
وَسَقَمْتُ إِلَيْهَا فِي الْهَوَى مُهْجَعِي مَهراً
مُحَدَّرَةً مِنْ صَيْدِ آبَائِهَا غَرّاً
فَطَرْتُ إِلَيْهَا مِنْ سِرَاتِهِمْ صَهراً
يَضُرُّكَ مِنْهُ أَنْ تَكُونِي لَهُ فِطْراً
هَدِوْءاً وَأَسْتَشْفِي لِمَا كُنْتُ لَهَا
لَأُطْفِئَ مِنْ نَارِ الْأَلَمِ بِكُمْ بِهَرّاً
وَعَبْشِيكَ كُنْتُ لَهَا حَبْلاً
بِمَلَكِي لَهَا وَهِيَ الَّتِي كُنْتُ قَهْراً
جَرَائِدُهَا حَتَّى تَرَى شَوْشَاهَا شَقْراً
وَأَنْبَهُهُمْ ذَكَرُهَا لِقَائِهِمْ قَلْباً
وَيَنْسِي الْفَتَاةُ الْخَوْدَ عَذْرَتَهَا الْبِكْراً
وَلَقَطْتُ إِذَا مَا شَتَّ أَسْمَعُكَ السَّحْراً

وَأَنَّهُ لَمَحَّهَا يَوْمًا وَأَوْماً بِالسَّلَامِ، فَلَمْ تَرُدَّهُ عَلَيْهِ خَبِلاً، فَكُتِبَ إِلَيْهَا:

سَلَامٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَجْدِبِكْ كَلَامِهِ^٧ وَلَمْ يَرِنِّي أَهْلُهُ لِرَدِّ سَلَامِهِ

١ ط : عزيزة .

٢ البيان ، س ب : بيت ؛ ط : عيش .

٣ الحلة : لما بي .

٤ ط : جوائدها ؛ س ب : جرائرها .

٥ ط : ويسبي .

٦ انظر الحلة ٢ : ١٥ .

٧ ط : بسلامه .

سلامٌ على الرامي^١ الذي كلَّمارمَى
 بنفسي حبيبٌ لم يجدْ لمُحِبِّهِ
 ألم تعلمي يا عذبةَ الإسم^٢ أنني
 وأنسي وقِيَّ حافظٌ لأذمتي
 يبشِّرُ ذاك الشَّعرُ شعري أَنَّهُ
 وما شكَّ طرفي أنَّ طرفك مُسْعدي
 عليك سلامُ الله من ذي تحيةٍ

وله فيها أيضاً^٤ :

تبسمَ عن دُرٍّ تنضدَ في الورسِ
 غزالٌ براهُ اللهُ من نورِ عرشِهِ
 وهبْتُ له ملكي وروحي ومُهْجتي

وهو القائل^٦ :

طالَ عمرُ الليلِ عندي
 يا غزالاً تقشَّرُ الو
 أنسِي^٣ أني إذا بَشِ
 واجتمعتُ في وشاحٍ

أصابَ فؤادي عامداً
 بطيْفِ خيالٍ زائرٍ في منامِهِ
 فتىً فيكَ مَخْلُوعٌ عِذارُ^٥
 إذا لم يَقُلْ غيري بِحِفْظِ ذِمَّاتِهِ
 سيُوصَلُ حُبلي بعد طُولِ انصرافِهِ
 ومُنْقِذُ قلبي من جبالِ غرامِهِ
 وإن كان هذا زائداً في اجترامِهِ^٣

وأسفَرَ عن وجهه يتيه على الشمس
 لتقطع أنفاسي وليس من الإنس
 ونفسي ولا شيء أعزَّ من النفس

مذ تولعت بصمدي
 داءٌ ولم يوفِ بعهدي
 ناعلى مفرشٍ ورد
 وانتظمتنا نظم عقي

١ ط : الطيبي .

٢ س ب : الماء .

٣ ط : اجترامه .

٤ الحلقة ٢ : ١٦ .

٥ س ب والحلة : ينوب عن .

٦ الحلقة ٢ : ١٦ والنفع ١ : ٤٣٦ ، ٤٨٩ .

وتعانقنا كغُصْنَيْنِ نِ وقدَّأنا كقَدِّ
ونجوم الليل تحكي ذهباً في لازوردٍ

ورفع إليه شاعر ممن هنَّاهُ بالخلافة يوم بيعته شعراً له كتبه في رَقٍّ
مبشور، واعتذر من ذلك بهذين البيتين ^١ :

الرَّقُّ ^٢ مَبْشُورٌ وفيه بشارةٌ بَيْقاً الإمام الفاضل المستظهرِ
مَلِكٌ أعاد العيش غَضّاً شَخْصُهُ ^٣ وكذا يكون به طوال الأذْهَرِ ^٤

فأجزل المستظهر بالله ^٥ صلته ، ووقع على ظهر رقعة بهذه الأبيات :
قبلنا العذرَ في بَشْرِ الكتابِ لِمَا أَحْكَمْتَ ^٦ من فصلِ الخطابِ
وَجُدْنَا بالجزاءِ بما لدينا على قدرِ الوجود بلا حسابِ
فنحن المنعمون إذا قدرنا ونحن الغافرون أذى الذَّنابِ ^٧
ونحن المطلعون بلا امتراءٍ شمس المجد من فلك الثَّوابِ
ومما قاله - زعموا - يوم وثوب البرابرة عليه بالدائرة التي أمرت بقتله ^٨ :
يا أيها القمر المنيرُ كُنْ نحو شِبْهِكَ لي سَفِيرُ
بتحيّةٍ أودَعْتُهَا شَوْقاً بُنَيَّاتِ الصُّدُورِ

* * *

١ الحلقة ٢ : ١٦ والبيان المغرب ٣ : ١٤٠ والنفع ١ : ٤٩٠ .

٢ النفع : الطرس .

٣ النفع : ملكه .

٤ النفع : الأعصر .

٥ المستظهر باقه : سقطت من ط .

٦ ط : بما أظهرت .

٧ البيان : لدى الرئاب .

٨ ط : وهو القائل زعموا يوم الوثوب عليه .

انتهى ما وجدناه من أشعار بني أمية القائمين من أوّل المائة الخامسة من الهجرة ابتداءً من تأريخ هذا انديوان . وشرحنا بعض^١ ما تعلق بذلك من خطب ، واندراج أثناءه من ذكر حرب .

ونتلوه^٢ بذكر من تقدم زمانه ، واشتهر إحسانه ، وملاً المسمع والمجامع بيانه وسار في المغارب والمشارق ذكره وشأنه ، وملاً ظهور السباسب وبطون المهارق سماعه وعيانه .

فصل في ذكر الأديب أبي عمر أحمد بن درّاج القسطلّي^٣
وإثبات جملة من نظمته الفائق الدرر، ونثره المعجز الورد والصدّر
واجتلاب ما يتعلق به ويتصل بسببه من خبر^٤

قال ابن بسام : كان أبو عمر القسطلّي وقتّه لسان الجزيرة شاعراً وأوّلًا حين عدّ معاصريه من شعرائها المشهورة، وآخر حاملي لوائها ، وبهجة

١ ط : مع بعض .

٢ ط : ونصله .

٣ ترجمة ابن درّاج في الجذوة : ١٠٢ و(البغية رقم : ٣٤٢) والصلة : ٤٤ والمطرب :

١٤٥ والمغرب ٢ : ٦٠ ومواضع متفرقة من النسخ ؛ واليتيمة ٢ : ١٠٤ وابن

خلكان ١ : ١٣٥ والوافي ٨ : ٤٩ والمسالك ١١ : ٢٠١ وعبر الذهبي ٣ : ١٤٢

والشذرات ٣ : ٢١٧ . وقد نشر ديوانه الدكتور محمود مكّي (دمشق ١٩٦١) وصدره

بمقدمة هامة ، حشد فيها مزيداً من المصادر التي أوردت له خبراً أو شعراً (المقدمة : ١٩-

٢٠) وانظر دراسة عنه في كتابي : تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة :

ط ثانية ؛ ودراسة لبلاشير في Hesperis : ٩٩ - ١٢١ (١٩٣٣) ، وانظر أيضاً

كتاب التشبيهات .

٤ ط : نظمته ونثره مع ما يتعلق بذلك من خبره .

أَرْضِهَا وَسَمَائِهَا ، وَأَسْوَءَ كُتُبِهَا وَشِعْرَائِهَا ؛ لَهُ عُقْدَ فَخْرُهَا الْمَحْمُولُ
وَسُوءُهَا ، وَبِهِ بُدِئَ ذِكْرُهَا الْجَمِيلِ وَخُتِمَ ؛ حَلَّ اسْمُهُ مِنَ الْأَمَانِي
مَحَلَّ الْأَنْسِ ، وَسَارَ نَظْمُهُ وَنَثَرُهُ فِي الْأَقَاصِي وَالْأَدَانِي مَسِيرَ الشَّمْسِ ؛ وَأَحَدُ مَنْ
تَضَاءَلَتِ الْآفَاقُ عَنْ جَلَالَةِ قَدْرِهِ ، وَكَانَتِ الشَّامُ وَالْعِرَاقُ أَدْنَى خُطَى
ذِكْرِهِ .

وَقَدْ أَجْرَى الثَّعَالِبِيُّ طَرَفًا مِنْ أَمْرِهِ ، وَأَغْرَبَ بِلُصِّعٍ مِنْ شِعْرِهِ ، فَقَالَ فِي
كِتَابِهِ الْمَتْرَجَمِ : « الْيَتِيمَةُ »^١ : « بَلَفَنِي أَنْ أَبَا عُمَرَ الْقَسْطَلْتِي كَانَ عِنْدَهُمْ
بَصْفَعِ الْأَنْدَلُسِ كَالْمُتَنَبِّيِّ بِصَفْعِ الشَّامِ ؛ وَهُوَ أَحَدُ شِعْرَائِهِمُ الْفُحُولِ
هَنَالِكَ . وَكَانَ يَجِيدُ مَا يَنْظِمُ »^٢ . انْتَهَى كَلَامُ الثَّعَالِبِيِّ .

وَإِنَّمَا ذَكَرْتُهُ أَنَا ، وَكَانَ مِنْ شِعْرَاءِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ، لِأَنَّهُ تَرَاخَتْ أَيَّامُهُ .
وَأَغْضَى عَنْهُ حِيَامُهُ ، حَتَّى أَخْرَجَتْهُ الْمِحْنُ ، وَسَالَتْ بِهِ تِلْكَ الْفِتْنُ ،
الْكَاثَةُ صَدْرَ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ .

وَذَكَرَهُ ابْنُ حَيَّانٍ مُعْجَبًا مِنْ أَخْبَارِهِ ، مُعْرِبًا عَنْ جَلَالَةِ مَقْدَارِهِ^٣ ؛
فَقَالَ : وَأَبُو عُمَرَ الْقَسْطَلْتِي سَبَاقُ حِكْمَةِ الشُّعْرَاءِ الْعَامِرِيِّينَ ، وَخَاتَمَةُ
مُحْسِنِي أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ أَجْمَعِينَ . وَكَانَ مِمَّنْ طَوَّحَتْ بِهِ تِلْكَ الْفِتْنَةُ
الشُّنْعَاءُ ، وَاضْطَرَّتْهُ إِلَى النُّجْعَةِ ، فَاسْتَقَرَّى مُلُوكَهَا أَجْمَعِينَ ، مَا بَيْنَ
الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ، فَسَرَ قُسْطَةَ مِنَ الثَّغْرِ الْأَعْلَى ؛ يَهْزُ كُتْلًا بِمَدِيحِهِ ،

١ الْيَتِيمَةُ ٢ : ١٠٤ ، وَلَيْسَ فِي الْيَتِيمَةِ « بَلَفَنِي أَنْ أَبَا عُمَرَ الْقَسْطَلْتِي » .

٢ الْيَتِيمَةُ : الْفُحُولُ ، وَكَانَ يَنْظُمُ وَيَقُولُ .

٣ ط : قَدْرُهُ .

ويستعينهم^١ على تَكْنِيسِهِ ، وليس منهم مَنْ يُصْغِي له ، ولا يحفظُ ما أَدْرَجَ من حَقِّه ، وأَرْخِصَ مَنْ عَلَّقَهُ^٢ ؛ وهو يَخْبِطُهُمْ خَبْطَ الْعِصَاهِ بِمَقُولِهِ ، فَيَصْمُتُونَ عنه ، إلى أن مرَّ^٣ بِعَقْوَةِ مَنْدَرِ بْنِ يَحْيَى أميرِ سَرْقِطَةَ ، فَأَلْقَى عَصَاهُ سَيْرَهُ عِنْدَ مَنْ بَوَّاهُ^٤ ، وَرَحَّبَ بِهِ وَأَوْسَعَ قِرَاهُ ؛ فلم يزلْ عنده ، وعند ابنه بَعْدَهُ ، مادحاً لهما ، مُثْنِياً عليهما ، رافعاً من ذكرهما ، غيرَ باغٍ بديلاً بجوارهما ، إلى أن مضى بسبيله ، بعد أن جرتْ له ، رحمه الله ، على إحسانه الباهر ، في فِتْنَةِ البرابرِ مع أملاكِ الجزيرة ، في طولِ الاغترابِ والنَّجْمَةِ ، أخبارٌ شاقَّةٌ ، فيها لذي اللَّبِّ مَوْعِظَةٌ بالغةٌ .

وذكره أيضاً أبو عامر بن شُهَيْدٍ فقال : والفرْقُ بين أبي عُمَرَ وَغَيْرِهِ أَنَّ أبا عمرَ مطبوعُ النظام ، شديدُ أَمْرِ الكلام ؛ ثمَّ زادَ بما في أشعاره من الدَّلِيلِ على العِلْمِ بالخَبَرِ واللُّغَةِ والنَّسَبِ ، وما تراه من حَوْكِهِ للكلام ، وَمِلْكِهِ لِأَحْرَارِ الْأَلْفَاظِ ، وسعةِ صَدْرِهِ ، وجيشةِ بَحْرِهِ ، وصحةِ قُدْرَتِهِ على البديع ، وطولِ طَلْقِهِ في الوصف ، وبُغْيَتِهِ للمعنى وترديده ، وتلاعُبِهِ به وتكريره ، وراحته بما يُتَعَبُ الناسُ ، وَسَعَةِ نَفْسِهِ فيما يُضَيِّقُ الأنفاسُ . انتهى كلامُ ابنِ شُهَيْدٍ .

قال ابنُ بَسَّامٍ : وأنا أقولُ : إنَّ مَنْ ذكره لم يوفه حَقُّه ، ولا أعطاهُ وَفْقَهُ ، ولا استوفى تقدُّمَهُ وَسَبْقَهُ ؛ ولو أوفى الأَيَّامُ ، واستنفد القَراطيسُ

١ من ب : ويستغيثهم .

٢ ط : عقله .

٣ ط : أقام .

٤ ط : عنده من بره .

٥ بالغة : لم ترد في ط .

والأقلام^١ . وقد أتيتُ أنا من شعره بما يبهرُ نيراتِ الألباب ،
ويظهرُ خفِيَّاتِ الأسباب ، ومن نثره ما يبهرُ العقول ، ويباهي الغررَ
والحجول ؛ ويسامي التيجانَ والأكاليل ، ويسهلُ التقليدَ والتأويل .

جملة من^٢ فصولِ اقتضبتُها من كلامه الطَّويل ،
فراراً من التَّطويل

فصل له من رُفْعَةٍ^٣ : يا سيدي ، ومن أبقاه الله كوكبَ سَعْدٍ ، في سماءِ مَجْدٍ ،
وطائرَ يمنٍ ، في أفناء أَمَنٍ ، مرجواً لدفعِ الاسواء ، مؤملاً في اللأواء ؛
وكنْتُ قد نشأتُ في مَعْقِلٍ من العفا والوفرِ ، مُحَدِّقاً بِسُورٍ من الأمنِ
والستَرِ ، حتَّى أرسلَ إليَّ سلطانُ الفقْرِ ، رسولاً من نُوبِ الدَّهرِ ،
يريدُ استرالي إليه ، وخضوعي بين يديه ، فأبَيْتُ من ذلك عليه ، فغزاني
بكائب من النوائب ، تسيرُ تحت أَلْوِيَةِ المصائب ، تُبْرِقُ بِسُيوفِ الرِّزَابِ ،
وتُشْهِرُ أَسِنَّةَ المنايا ، يَرْمُونُ عن قسي الأوجال ، ويضربون طبولَ الدُّعْرِ
وسوءِ الحال ، بأيْدٍ باطِشَةٍ لا تَكِلُ ، وبصائِرَ ثابِتَةٍ لا تَمَلُ ، فلم
يَرُعْنِي ذلك منهم أنْ تَلْقَيْتَهُمْ بِمَنْ مَعِيَ من جنودِ الصَّبْرِ ، فافتتَحَ
مَعْقِلِي سلطانُ الفقْرِ وأخذني أسراً ، وطلبَ منِّي فداءً لا أقومُ به قسراً ،
فأوثَقْتَنِي في قيودِ الانقياد ، وشَدَّتَنِي في أغلالِ الإصْفاد ، ووَكَّلَ بي الحِيرَةَ
والتبَلَّدَ ، وأمرهما ألا يُطْلِقَا سبيلي إلَّا بالفداء ، فضاقَتْ بذلك مذاهبي حتَّى
أتى مِنْكَ رسولٌ يُسَمِّي حُسْنَ الثَّناء ، فضمَّنَ لي عنك فِدَيْتِي ، من

١ وأنا أقول والأقلام : سقط من ط .

٢ جملة من : لم ترد في ط .

٣ لم يرد هذا الفصل في ط .

يَدَيَّ أُسْرَتِي ؛ وَسَيِّدِي أَوْلَى مِنْ وَفِي بِضَمَانِهِ ، وَصَدَّقَ قَوْلَ رَسُولِهِ عَلَى لِسَانِهِ .

وله من أخرى ^١ إلى سليمان بن الحَكَمِّ أمير المؤمنين : حاشا لله أنْ أَسْتَشِفَّ الحُسَيْنَ قَبْلَ ^٢ جُمُومِهِ ، وَأَسْتَكْرِهَ الدَّرَّ قَبْلَ حُفُوفِهِ ، أَوْ أَتَعَامَى عَنْ سَرَاكِ الْمَعْذِرَةِ ، وَأَرْغَبَ عَنْ أَدَبِ اللَّهِ فِي نَظَرَةٍ إِلَى مَيْسَرَةٍ . وَلَكِنْ :

«مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَخٍ حُمْرِ الْخَوَاصِلِ لَامَاءٌ وَلَا شَجَرٌ» ^٣
مَا أَوْضَحَ الْعُذْرَ لِي لَوْ أَنَّهُمْ عَذَرُوا وَأَجْمَلَ الصَّبْرَ لِي لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا
لَكُنْتُهُمْ صَغُرُوا عَنْ أَزْمَةٍ كَبُرَتْ فَمَا اعْتَدِ أَرِي عَمَّنْ عُذْرُهُ الصَّغَرُ
وَقَدْ قَلَبْتُ لَهُمْ ظَهَرَ الْأُمُورِ ، وَمَيَّزْتُ بَيْنَ الْمَعْسُورِ وَالْمَيَّسُورِ ، فَمَا وَجَدْتُ أَحْسَنَ بَدْءًا ، وَلَا أَحْمَدَ عَوْدًا ، مِمَّا أُذِنَ اللَّهُ فِيهِ لِعِبَادِهِ الَّذِينَ أَعْمَرَهُمْ أَرْضَهُ ، وَسَخَّرَ لَهُمْ بَرَّهُ وَبَحْرَهُ ، أَنْ يَمَشُّوا فِي مَنَاكِبِهَا وَيَأْكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ؛ وَحَيْثُ نَسَقَلَبُ فَنِي كَرَمِكَ ، وَأَيْنَ نَأْمَنُ فَنِي حَرَمِكَ .
[وَحَيْثُ لَا تَوْحِشُنَا دَعْوَتُكَ ، وَلَا تَفُوتُنَا نِعْمَتُكَ ، مِنْ مُلْكِكَ إِلَى مُلْكِكَ] ، وَمَنْ يَمِينُكَ إِلَى شِمَالِكَ .

وفي فصل من أخرى : وَلَعَلَّ مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ قَدْ قَلَبَ قَلْبَكَ الْكَرِيمَ لِلْأَطْفَالِ الْمَشْرُدِينَ ، الَّذِينَ دَعَوْكَ مُضْطَرِّينَ ، أَنْ تَحُلَّ عَنْهُمْ عَقْلَ النَّوَى ، وَتَكْلِفَهُمْ إِلَى جَبَّارِ السَّمَاءِ ، الَّذِي أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يَنْتَشِرُوا فِي

١ ط : فصل له من رقعة .

٢ ط : استشفي ... بعد ؛ س : استشفي .

٣ مضمن ، وهو للحطيثة (ديوانه : ٢٠٨) .

٤ لم يرد هذا الفصل في ط .

أَرْضِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُوا مِنْ فَضْلِهِ

وله من أخرى إلى علي بن حمّود : حَسْبُكَ اللَّهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ،
[وعلى هُدًى من الله] ، فيما خَفَقَتْ إليه رَايَاتُكَ ، وَصَدَقَتْ به آيَاتُكَ ،
جَدِيرٌ أَنْ يُعَزَّزَ بِطَاعَتِهِ نَصْرُكَ ، كما شَرَحَ بِتَوْفِيقِهِ صَدْرُكَ ، وَيُسْتَمَمَ بِتَأْيِيدِهِ
أَمْرُكَ ، بِمَا أَوْلَيْتَ أَوْلِيَاءَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَبْلَيْتَ فِي عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ،
الْمُصَابِينَ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَهْلِينَ ، أَيَّامَ تَزَاوَحَتِ إِلَيْهِمْ أَسْبَابُ الْقَضَاءِ بِالْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَاءِ ، وَأَبْرَقَتْ عَلَيْهِمْ آفَاقُ السَّمَاءِ بِسُيُوفِ الْأَعْدَاءِ ، تَسِيحُ بِوَابِلِ الدَّمَاءِ
[وَتَمُوجُ بِأَسْرَابِ السَّبَاءِ] ، فَسُرْعَانَ مَا هَامُوا فَلَاحًا وَزَرَ ، وَرَبَعُوا فَلَاحًا
مُسْتَقَرَّرًا ، وَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ وَلَا فَوْتَ ، إِلَّا مَنْ أَعْفَاهُ^١
الْمَوْتُ ؛ فَأَصْبَحُوا أَنْفَاقَ الْجَلَاءِ^٢ ، وَأَغْرَاضَ الْفَنَاءِ ، قَدْ جَهَدُوا بِالْبَلَاءِ ،
وَعَمِيُوا بِالْذَّاءِ الْعَبِيَاءِ ، فَلَنَ زُلْزِلَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ ، لَقَدْ سَكَنَ بِهِمْ عِزُّ
سُلْطَانِكَ ، وَلَنَ تَهَافَّتَ بِهِمُ الدُّعْرُ ، لَقَدْ اطمأنوا في مِهَادِ أَمَانِكَ .

وله من أخرى إلى منذر بن يحيى : حَيَّاكَ بِتَحِيَّةِ الْمَلِكِ ، مَنْ أَحْيَا بِكَ
دَعْوَةَ الْحَقِّ ، وَرَدَّكَ رِداءَ الْإِعْظَامِ ، مَنْ أَعْلَى بِكَ لَوَاءَ الْإِسْلَامِ ، مُجْرِي
الْأَقْدَارِ بِإِعْلَاءِ قَدْرِكَ ، وَمَصْرِفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِإِعْزَازِ نَصْرِكَ ، وَمُظْهِرُ
مَنْ أَطَاعَكَ عَلَى مَنْ عَصَاكَ ، وَمُدْمِرُ مَنْ عَادَاكَ بِسُيُوفٍ مِنْ وَالَاكَ .
قَدْ جَعَلَ اللَّهُ أَوَّلَ أَسْمَائِكَ أَوَّلَى بِأَعْدَائِكَ ، وَأَقْرَبَ اعْتِزَائِكَ صَفْوًا
لَأَوْلِيائِكَ ؛ ثُمَّ سَمَّاكَ^٣ حَاجِبُ الشَّمْسِ ، نَوْرًا وَأَنْسَا لِهَذَا الْإِنْسِ ، وَنَفَسَ
حَيَاةً لِكُلِّ نَفْسٍ .

١ ط : أخطاء .

٢ ط : أنقاض .

٣ ط : سماك .

ثُمَّ أَحْبَبْتَ فَجَرَّهُمْ يَا ابْنَ بَحْيٍ بِسِرِّ آجَيْنِ : نُورِ دِينِ وَدُنْيَا
وَخَلَقْتَ السَّحَابَ ظِلًّا وَجُودًا فَوَسَّعْتَ الْإِسْلَامَ سَقِيًّا وَرَعِيًّا
وَتَحَلَّيْتَ مِنْ تَجِيَّبِ سَنَاءٍ كُنْتَ فِيهِ لِلدِّينِ وَالْمُلْكِ مَحْبِيًّا

ومن كتاب له ٢ : وأكرم بها أعراقاً سرت إليك، وأخلاقاً نُظِمت عليك،
وأعباء مُلك حُمِلَتْ عاتقَيْكَ ، وأعنتَ خيل أُسْلِمَتْ في يديك ،
[فإليك أهل الدَّلِيل ، وأرزمت الحُمُول] ، ومن نَدَاكَ سَقِيَّ الغليل ،
وشَفِيَّ الغليل ٣ ، وفي ذَرَاكَ بَرْدَ المَقِيل ، وقَصُرَ الدَّلِيلُ الطويل ، وبِعَلَاكَ
أَمِنْ الخائف وعزَّ الدَّلِيل ، وبِيسناك هُدِيَ ابنُ السَّبِيلِ [سِوَا السَّبِيلِ] ،
إلى الظِّلِّ الظليل ، والأَمَلِ المأمول ، فحبلُ الغريب موصول ، وعُذْرُ
المُسِيءِ مقبول ، وجفاء الضَّيْفِ محمول ، فكيف بضيْفِكَ المُجْتَنَبِ ،
إليك غَوْلَ القَفْرِ اليباب ، وهَوْلَ البحرِ ذي العُباب ، يُهْدِي إليك لُبَابَ
الألباب ، ويُتَحِفُكَ بجواهر الآداب ، مُتَضَائِلًا في أَسْمَالِ الاغتراب ،
مُكَفِّفًا من عبرات الاكتئاب ، يَتَسَلَّى بِسَلامِ الحُجَابِ ، واستلام
الأبواب ، إلى أن أكرمتهُ بَرَفْعِ الحِجَابِ [فَيَا رُوحَ ثَنَائِهِ بِكَيْمِ الأحساب]
ويا فَوْحَ رِياضه بديم السحاب ، ويا طَيْبَ طُوبَى وحُسْنِ مآبِ [لِمَنْ
نصرت وأوَيْتَ ، ووصلت وأدْنَيْتَ ؛ ما دعاكَ حتى لبَّيت ، ولا استسفاكَ
حتى سَقَيْتَ ، ثاني عِطْفِهِ عَنِ الشَّكْوَى إِلَيْكَ ، ناكِصَ طرفه

١ ط : فخرهم .

٢ ومن كتاب له : سقط من ط ، والكلام متصل بما قبله .

٣ ط : وشفي الغليل وسقي الغليل .

عن^١ الإدلال عليك، علماً بأن الهلال ساع إلى الكمال، وأن البدر مؤد^٢
إلى الفجر، وأن انسجام القطر زعيم^٣ بابتسام الزهر [.

إلى^٣ شجاً لا عِج في القلب مضطرب
ودمع أجفان عَيْن قد شَرِقْنَ به
ديناً لذي أُسْرَةٍ^٥ دُنْيَا وَفَيْتُ به
إذا رددتُ سيوفَ الهند عن دَمِهِ
وإن ضربت رواقاً دون حُرْمَتِهِ
لَهْنِي عليه وقد أهْوَتْ له نُكْبٌ
فبات يسعُرُ بردَ الليل من حُرْقٍ^٨
وما بَعَيْنِي عن مثواه مِنْ وَسَنٍ
جاشَ لَإِيكَ به بحرٌ^٤ مِنْ الكَلِمِ
حتَّى تَرَقَّرَقَ بين الرِّقِّ وَالْقَلَمِ
ورحمة^٦ وَصِلَتْ مِنِّي بِذِي رَحِمِ
فإنما رُفِعَتْ^٧ عن مهجتي ودمي
فإنها سُتْرِي مُدَّتْ على حُرْمِي
لا تَسْتَقِيلُ لها ساقٌ على قَدَمِ
وَيَسْتَشِيرُ دموعَ الصَّخْرِ مِنْ أَلَمِ
وما بأذني عن شكواه مِنْ صَمَمِ

قال ابن بسّام : ونشّر أبي عمر ، رحمه الله ، دون نظمه الرائق بكثير ،
فلذلك ما أُلْمَعْتُ منه بالشيء اليسير ، وعوّلتُ على عارض شعره الهتين
الغزير .

١ ط : على .

٢ ط : لمؤد .

٣ الديوان : ٥١٦ .

٤ في النسخ : بحر ؛ والتصحيح عن الديوان .

٥ ط : أسوة .

٦ س ب : وحرمة .

٧ س ب و الديوان : رجعت .

٨ الديوان : حزن .

ما أخرجته من قصائده السلطانيات

حكى أبو مروان بن حيّان قال ^١ : لما استنوّسَ الأمرُ بقرطبةَ لسليمان حسبما وصفناه ، تعرّضَ لدُحجِه مَنْ كان ثوى بقرطبة يومئذٍ من بقية الشعراء العامريين رجاءً في ثَمَدِ نواله ، فصاغُوا في مديحِه أشعاراً حسنة استندمُوا فيها إلى الدين والمروءة ، وأنشدَها أكثرُهم في مجالسٍ حفله علانيةً فأصغى وهش ، ثم غلّ المديحَ فما بلّ ولا رَشَ ؛ وتمّ لذلك تقويضُ الجماعةِ عن حضرة قرطبة ، وتخلّى الكثيرُ منهم عن ولايته ، فامتحى لذلك رَسْمُ الأدبِ بها ، وغلبَ عليها العُجْمَةُ ، وانقلبَ أهلُها من الإنسانية المتعارفةِ إلى العاميّةِ الصريحةِ ، وفارقوا الحرّيّةَ .

وكان ممّن شهِرَ امتداحُه للخليفةِ سليمانَ يومئذٍ ^٢ ، وحُفِظَ كلامُه من تلك الطبقةِ العليّةِ ، كبيرُها أبو عمر أحمدُ بن محمد بن درّاج القسطلّي ، وقد كان إلى وقتِه ذلك ثاوياً بقرطبة ، بحسبِ أن سليمانَ سيجبرُه من الزّمان ، وكان النجمُ أدنّى من ذلك إليه . دخلَ عليه أوّلَ مجلسٍ كان له بالقصرِ فأنشده قصيدته ^٣ التي أوّلها ^٤ :

شَهِدَتْ لَكَ الْآيَاتُ ٥ أَنْكَ عَيْدَهَا لَكَ ٦ حَنٌّ مَوْحِشُهَا وَأَبَ بَعِيدَهَا
[وَأَضَاءُ مُظْلِمِهَا ، وَأَفْرَخَ رَوْعَهَا وَأَطَاعَ عَاصِيَهَا ، وَلَانَ شَدِيدِهَا]

١ ط : قال ابن حيّان .

٢ للخليفة ... يومئذٍ : لم يرد في ط .

٣ ط : فمدحه بقصيدته .

٤ الديوان : ٦٠ - ٦٦ .

٥ من ب والديوان : الأعياد .

٦ الديوان : بك .

وَصَفَتْ بِكَ ١ الدُّنْيَا فُشْبٌ كَبِيرُهَا
 مَا كَانَ أَجْمَدَ قَبْلَ نَوْتِكَ ٢ بِحَرِّهَا
 فَارْتَاخَ بَيْتُكَ فِي أَبَاطِحِ مَكَّةِ
 لِمَوَآكِبِ صَهْلَتِ إِلَيْكَ خِيُولُهَا
 شَغَفًا بِدَعْوَتِكَ الَّتِي قَدْ طَالَمَا
 [حَتَّى ارْتَقَيْتَ مِنَ الْمَنَازِلِ رُتْبَةً
 فِي قُبَّةِ الْمُلْكِ الَّتِي صِنَاهَا جَنَّةُ
 صَدَقَتِكَ أَيَّامَ الزَّالِ ٣ سَيُوفُهَا
 يَا سَاعَةَ ٤ مَقْطُوعَةَ أَرْحَامِهَا
 يَوْمًا ٥ أَذْلَ كِرَامِهِ لَلْكَامِ
 وَتَوَاكَلَتْ أَبْطَالُهَا فِي كُرْبَةٍ
 لَا يَهْتَدِي سَمَتَ النِّجَاحِ دَلِيلُهَا
 حَتَّى طَلَعَتْ لَهُمْ بِأَسْعَدِ غُرَّةٍ

ومنها :

وَاسْتَوْدَعُوا جَنْبِي شُرْئِبَةَ ٦ وَقَعَةَ
 دَلَفُوا إِلَى شَهْبَاءَ حَانَ حَصَادُهَا

فِي إِثْرِ مَا قَدْ كَانَ شَابَ وَلِيدُهَا
 فَالآنَ فُجِّرَ بِالنَّدَى جُلْمُودُهَا
 لِمَعَادِ أَيَّامِ دَنَا مَوْعُودُهَا
 وَكَتَابِ خَفَقَتْ عَلَيْكَ بَنُودُهَا
 عَمَرَتْ نَهَائِمُهَا بِهَا وَنُجُودُهَا
 عَزَّتْ بِهَا غُرُّ الرِّجَالِ وَصِيدُهَا
 وَزَنَاتُهُ أَطْنَابُهَا وَعَمُودُهَا
 ضَرَبًا وَفِي يَوْمِ النِّقَارِ عُهُودُهَا
 لَا الْبَرُّ شَاهِدُهَا وَلَا مَشْهُودُهَا
 وَسَطَّتْ بِأَحْرَارِ الْمُلُوكِ عِيْدُهَا
 عَيَّتْ بِهَا سَادَاتُهَا وَمَسُودُهَا
 دَهْشًا وَلَا وَجْهَ السَّدَادِ سَدِيدُهَا
 طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ فِي السَّمَاءِ سَعُودُهَا

هَزَّ الْجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ رَعُودُهَا
 وَطَلَّى رُؤُوسَ الدَّارِعِينَ حَصِيدُهَا

١ ب س والديوان : لنا .

٢ ط والديوان : يومك .

٣ في النسخ : النوال ، وقراءة الديوان أدق .

٤ الديوان : في ساعة .

٥ الديوان : يوم .

٦ في النسخ : جبي شرقية ؛ وشرقية نهر من فروع تاجه يسمى اليوم Rio Jarama ،
 قاله محقق الديوان : ٦٣ .

وشعاب قنتيش^١ وقد حشرت لهم
 تركوا بها ظهر الصعيد وقد غدا
 وكتائب الإفرنج إذ كادتلك في
 بسوابج في لُجّ بحر سوابج
 ولقد أضافوا نسرها وغرأبها
 شلوا لأرمنقودها^٢ حشدت به
 ودنوا لها في آر^٣ تحت صوارم
 من بعدما قصصوا الرماح وأصلتوا
 فكانتما رفعت لها صلبانها
 وبجانب [الغربي]^٤ إذ قدمتها
 ضربوا على الأخذود هام حماته
 في وقعة قامت بعذر سيوفهم
 ويضيق فيها العذر عن خطيئة

أمم بغاة لا يكف^٥ عيدها
 بطناً، وأجساد العداة^٦ صعيدها
 أشياعها والله عنك يكيدها^٧
 فاضت على الأرض الفضاء مدودها
 وقراها^٨ طاغوتها وعميدها
 للزحف ثم إلى الجحيم حشودها
 ورئت بعز المسلمين زئودها
 بيضاً يشايغ^٩ حدّها توحيدها
 في ظل هبوتها فحان سجودها
 شعناً يبشر بالفتوح شهيدها
 حتى عبرن وجسرهنّ خلودها
 لو ذاب من حرّ الجلال حديدتها
 سمراء لم يورق بكفك عودها

١ اسم المعركة التي دارت بين المستعين والمهدي سنة ٤٠٠ .

٢ الديوان : يكت .

٣ الديوان : الفواة .

٤ في النسخ : يعيدها ، ورواية الديوان أصح .

٥ هذه هي قراءة الديوان ، وفي الاصول : وقوامها ، ولا أراه صواباً .

٦ أرمنقود (Ermengaud) قد مر التمرّيف به ص : ٣٦ . وقد قتل في عقبة البقر .

٧ آر (Guadiaro) واد في جنوب الأندلس كانت عنده الوقعة بين المستعين والمهدي

في ٦ ذي القعدة ٤٠٠ ؛ ورواية الديوان : ودنت لها في آر .

٨ الديوان : يشيع .

٩ زيادة من الديوان .

فيها رأيت العزَّ حيثُ تَريدُه^١ وسوايغَ النِّعماءِ حيثُ تُريدُها
فاقبَلْ فقد ساقَتْ إليك مُهورَها أكفَاءُ حَمْدٍ لا يَدُمُ حَميدُها
بِدُعَا من النِّظمِ النَّفيسِ تشابَهَتْ فيها الجواهرُ دُرُّها وفريدُها
ولتِهِنِها^٢ أَيْامُ عِزِّ كُلِّها عيد وأنتَ لمن أطاعَكَ عيدُها

ومدحه أيضاً بقصيدة أخرى أولها^٣ :

هنيئاً لهذا المَلِكِ رَوْحَ وَرِيحانُ وللدِّينِ والدُّنيا أمان وإيمانُ
فإنَّ قعيدَ الخزيِّ قد ثلَّ عَرشُه^٤ وإنَّ أميرَ المؤمنينَ سليمَانُ
سَمِيَّ الَّذِي انْقَادَ الْأَنَامُ لِأَمْرِهِ فلم يعصِهِ في الأرضِ إنسٌ ولا جانُ
وقامَ فقامَتِ للمَعالي مَعَالِمُ وللخيرِ أسواقُ وللعدلِ مِيزانُ
وجَدَّدَ للإسلامِ سُرورَ^٥ خِلافَةِ عليها من الرَّحْمَنِ نورٌ وبرهانُ
وأكدَها عهدٌ لأَكْرَمِ مَنْ وَفَى بعَهْدٍ ، زَكَتْ مِنْهُ عَهودُ وأيمانُ
قريبُ^٦ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وابنُ عَمَةٍ ، وَوَارِثُ ما شادَتْ قريشُ وعدنانُ
وما ساقَتِ الشُّورى وأَوْجَبَهُ التَّقَى وأورَثَ ذوالنورينِ عَمُّكَ عثمانُ
وما حاكت^٧ فيه السِّيوفُ وحازَه^٨ إليك أبو الأملاكِ جَدُّكَ مروانُ

ومنها في صفة رجالِ حَرْبِهِ ، وهومن جَيِّدِ الكلامِ وحُرِّ النِّظامِ^٩ :

وقد لَمَعَتْ حَوْلَيْكَ مِنْهُمْ أَسِنَّةٌ تُخَيِّلُ أَنَّ الحَزْنَ وَالسَّهْلَ نيرانُ

١ الديوان : رأينا توده .

٢ الديوان : ولتهننا .

٣ انظر الديوان : ٥٤ - ٥٩ .

٤ الديوان : الشرك .

٥ ط : ميدان .

٦ الديوان : ثوب .

٨ س ب : حكمت .

٧ س ب والديوان : سي .

٩ س ب : كلامه ... نظامه .

أَسُودُ هَيَاجٍ مَا تَزَالُ تَرَاهُمْ تَطِيرُ بِهِمْ نَحْوَ الْكُرْبَةِ عِقْبَانُ
وَأَقْمَارُ حَرْبٍ طَالَعَاتُ كَأَنَّمَا عَمَائِهِمْ فِي مَوْقِفِ الرَّوْعِ^١ تَيْجَانُ
وَكُلُّ زَنَاتِي كَأَنَّ حُسَامَهُ وَهَامَّةٌ مَن لَأَقَاهُ نَارٌ وَقُرْبَانُ^٢
وَأَبْيَضَ صِنْهَاجٍ كَأَنَّ سِنَانَهُ شِهَابٌ إِذَا أَهْوَى لِقَرْنٍ وَشَيْطَانُ

ومنها في وصفِ صلحٍ والندبِ إليه^٣ :

وَقُلْتَ لَعَاً لِلْعَائِرِينَ كَأَنَّهُ نُشُورٌ لِقَوْمٍ حَانَ مِنْهُمْ وَقَدْ حَانُوا
وَقَدْ أَمِنَ التَّثْرِيبَ إِخْوَةَ يُوسُفَ وَأَذْرَكَهُمْ لِلَّهِ عَفْوَ وَغُفْرَانُ
وَحَنَّتْ لِدَاعِي الصُّلْحِ بَكَرٌ وَتَغَلَّبُ وَشَفَعَتِ الْأَرْحَامَ عَبَسٌ وَذُبْيَانُ
وَفَازَتْ قَدَاحُ الْمُشْتَرِي بِسُعُودِهَا وَسَالَمَ^٤ بِهَرَامٍ وَأَعْتَبَ كَيَّوَانُ

وله من أخرى في منذر بن يحيى ، حين قَدِمَ عليه صاعدُ اللُّغْوِي^٥ :

عَلَاَ فَحَوَى مِيرَاثَ عَادٍ وَتُبَّعَ بِهَمَّتِهِ الْعُلْيَا وَنِسْبَتِهِ الدُّنْيَا
فَأَعْرَبَ عَنْ أَقْوَامٍ^٦ يَعْرُبُ وَاحْتَبَى^٧ فَلَمْ يَنْسَ مِنْ هُودٍ سَنَاءً وَلَا هَدْيَا
وَمِنْ حَمِيرٍ رَدَّ الْقَنَا أَحْمَرَ الذُّرَى وَمَنْ سَبَّأَ قَادَتْ كَتَائِبُهُ السَّبْيَا
وَمَا نَامَ عَنْهُ عِرْقٌ قَحْطَانٌ إِذْ فُدَى عُرُوقُ الثَّرَى مِنْ غُلَّةِ الْقَحْطِ بِالسَّقْيَا

١ ط : الحرب .

٢ وقع هذا البيت متقدماً على الذي قبله في ط ؛ ورواية الديوان : بكل زناتي .

٣ في وصف ... إليه : سقط من ط .

٤ س ب : وساعد .

٥ الديوان : ١٧٣ .

٦ الديوان : إقدام .

٧ ط : واحتوى .

وما أسكنت^١ عنه السكونُ سيادة^٢ ولا كندت^٣ أسيفه^٤ مُلكَ كِنْدَةٍ ولا أقعدته^٥ عن إجابة صارخٍ وكائن له في الأوس من حق أسوة^٦ هم أوزنوه^٧ نصّر^٨ دين محمد مناقب أدها^٩ إليه ورائته^{١٠} وصوت ثناء أسمع الله ذكره^{١١}

ولا رَضِيتَ طيًّا لراحته طيًّا
فيترك في أركان عزتها^{١٢} وهيا
تُجيب ولو حبسوا إلى الطعن أو مشيا
بنصب الهدى جهراً وبذل الندى خفيا
وحازوا له فخر الندى والقرى وحيها
فكان لها صدراً وكانت له حليها
ليسمع منه الصم أو يهدي العمى

[ومنها في ورود صاعد اللغوي] :

وأهدت له بغداد ديوان علمها
فكانت كمن حيا الرياض بزهرها
وحسب رواة العلم أن يتدارسوا
ويكفي ملوك الأرض من كل مفخر
إذا لَمَعَتْ زُرْقُ الأَسِنَّةِ^{١٣} حوله^{١٤}
وقد لاذ أبطل الجِلاد يعطفه^{١٥}
وقد قصرت عنه رماح عُدَاتِهِ^{١٦}

هدية من والى وتُحْفَةٌ^{١٧} من حيا
وأهدى إلى صنعاء من نسجها وشيا
مآثره حِفْظاً وآثاره^{١٨} وغيا
إذا امتثلوا من بعض أفعاله شيا
كإضرام نيران الهموم جواليا
كما لا ذ^{١٩} أطفال الجلاء يعطفها
كما قصرت عنهم رياش جناحيها

ومنها :

فيالك من ذِكرى سناء ورفعة^{٢٠} إذا وضعوا في التراب أيمن شقيا^{٢١}

١ ط : وما استكنت ؛ الديوان : ولا أسكنت .

٢ في النسخ : زيادة ، وصوبته عن الديوان .

٣ في النسخ : فتترك ؛ س ب : عزته .

٤ الديوان : بنصر .

٥ الديوان : بيض الصوارم .

٦ هذه هي القراءة الصحيحة ، لأن الميت يضحج على شقه الأيمن ؛ وهي قراءة ط ب ؛

وفي الديوان «جنبيا» ، وهو بمعناه .

٧ الديوان : ونخبة .

٨ الديوان : عاذ كما عاذ .

وفاحت ليالي الدهر مني ميتاً
وكان ضياعي حشرةً وتندماً
وأصبحت في دار الغنى عن ذوي الغنى
سوى حسرتي عرض وجه تضعضعا
فيا عبّرني سحي لعل مبلل
ويا زفرتي هل في وقودك جذوة
ويا خلّتي إن سوف الغوث بالمتى
فبقوما إلى رب السماء فأسعدا
عسى ميت الأظماء في روضة الندى
ويا أوجه الأحرار لا تتبدلني

فأخزين أياماً دُفِنتُ بها حياً
إذا لم يُفد شيتاً ولم يُغني شيئا
وعوضت فاستقبلت أسعد يومياً
لقارعة البلوى وكانا عتادياً
بجريك^١ ما أنزفت من ماء خديا
تنير لنا صباحاً ثناء الأسي^٢ مسياً
ويا غلّتي إن أبطأ الغيث بالسقيا
تقلّب وجهي في السماء وكفياً
سيرجع عن رب السماء وقد حياً
بظل ابن يحيى بعد ظلاً ولا فياً

وله فيه من أخرى ٣ :

لبيك ، أسمعنا نداءك ودوننا
فسريت في حرّم الأهلة مظالم
ظعن^٤ ألفن القفر في غول الدجى
يطلبن لج^٤ البحر حيث تقاذفت
هيم^٤ وما يبتغين دونك مورداً
من كل نضو الآل محبوبك المنى

نوء الكواكب مخوياً أو مطيراً
ورفقت في خلع السوم مهجراً
وتركن مألوف المعاهد مقفراً
أموأجه ، والبر حيث تنكسرا
أبدأ ولا عن بحر جودك مصدرا
يزجيه نحوك كل محبوب القرا

١ الديوان : ببريك .

٢ ثناء الأسي مسياً : أي أن الأسي رد الصباح مساء ، وهي قراءة ط ب والديوان ، وفي المطبوعة « نساء الأسي نسيا » ، ولا أراه صحيحاً .

٣ انظر الديوان : ١٢٤ - ١٣١ .

٤ ط : موج .

بُدُنْ فَدَتْ مِنَّا دِمَاءَ نُحُورِهَا
نَحَرَتْ بِنَا صَدْرَ الدَّبُورِ فَأَنْبَطَتْ
خَوْصٌ نَفَحْنَ بِنَا الْبَرَى حَتَّى انْثَنَتْ
وَصَبَتْ إِلَى نَحْرِ الصَّبَا فَاسْتَخْلَصَتْ
نَذَرَتْ لَنَا أَلَا تُلَاقِي رَاحَةً
لِلَّهِ أَيُّ أَهْلَةٍ بَلَغَتْ بِنَا
فَلَتَيْنِ صَفَاءَ مَاءِ الْحَيَاةِ لَدَيْكَ لِي
وَلَتْنِ خَلَعْتَ عَلَيَّ بُرْدًا أَخْضَرَ

و منها :

أَبْنَيْ لَا تَذْهَبْ بِنَفْسِكَ حَسْرَةً
فَلَتْنِ تَرَكْتَ اللَّيْلَ فَوْقِي دَاجِيًا
وَحَلَلْتُ أَرْضًا بُدَلْتُ حَصْبَاؤُهَا
وَلَتَعْلَمُ الْأَمْلَاكُ أَنِّي بَعْدَهَا ٣
وَرَمَى عَلَيَّ رِدَاءَهُ مِنْ دُونِهِمْ
ضَرَبُوا قِدَاحَهُمْ عَلَيَّ فَفَازَ بِي

و منها :

كَلَّا وَقَدْ آنَسْتُ مِنْ هُودٍ هَدَى

بِبِقَائِهَا ١ فِي كُلِّ أَفْقٍ مَنَحَرًا
قَلَقَ الْمُضَاجِعَ تَحْتَ جَبْوٍ أَكْثَرًا
أَشْلَاؤُهُنَّ كَمِثْلِ أَنْصَافِ الْبُرَى
سَكَنَ اللَّيَالِي وَالنَّهَارَ الْمُبْصِرَا
مِمَّا تُلَاقِي أَوْ تُلَاقِي مَنَذَرَا
يُمْنَاكَ يَا بَدْرَ السَّمَاءِ الْمُقْمِرَا
فَبِمَا شَرَقْتُ إِلَيْكَ بِالْمَاءِ الصَّرَى
فَلَقَدْ لَبِسْتُ إِلَيْكَ عَيْشًا أَغْبَرَا

عَنْ غَوْلٍ رَحَلِي مُنْجِدًا أَوْ مُغْوَرًا
فَلَقَدْ لَقِيتُ الصُّبْحَ بَعْدَكَ أَزْهَرَا
ذَهَبًا يَرِفُ لِنَاطِرِي وَجَوْهَرَا
أُنْفَيْتُ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا
مَلِكٍ تُخَيِّرُ لِلْعَمَلِ فَتَخَيَّرَا
مَنْ كَانَ بِالْقِدْحِ الْمُعَلَّى أَجْدَرَا

وَلَقِيتُ يُعْزِبُ فِي الْقَيُْولِ وَحِمِيرَا

١ الديوان : ببغائها .

٢ الصرى : الماء الذي طال ركوده .

٣ الديوان : وليعلم ... بعدهم .

٤ جار مجرى المثل : انظر فصل المقال : ١٠ والميداني ٢ : ٥٤ .

وَأَصَبْتُ فِي سَبَأٍ مَوْرَثَ مُلْكِهَا
فَكَأَنَّمَا تَابَعْتُ تَبْعَ رَافِعَا
وَالْحَارِثَ الْجَفْنِيَّ^١ مَمْنُوعَ الْحَمَى
وَحَطَّطْتُ رَحْلِي بَيْنَ نَارِي حَاتِمٍ
وَلَقَيْتُ زَيْدَ الْخَيْلِ تَحْتَ عَجَاجَةٍ
وَعَقَدْتُ فِي يَمَنِ مَوَائِقَ ذِمَّةٍ
وَأَتَيْتُ مَجْدَكَ^٣ وَهُوَ يَرْفَعُ مَنَبْرًا
وَحَطَّطْتُ بَيْنَ جَفَانِهَا وَجُفُونَهَا
تِلْكَ الْبُدُورُ تَتَابَعَتْ وَخَلَفَتْهَا

يَسْبِي الْمُلُوكَ وَلَا يَدِبُ لَهَا الْفَصْرَا
أَعْلَامُهُ مَلِكًا يَدِينُ لَهُ الْوَرَى
بِالْخَيْلِ وَالْأَسَادِ مَبْذُولَ الْقِرَى
أَيَّامَ يَقْرِي، مُوسِرًا أَوْ مُعْسِرًا
يَكْسُو^٢ غَلَاثِلُهَا الْحَيَادَ الضَّمْرَا
مَشْدُودَةَ الْأَسْبَابِ مَوْثِقَةَ الْعُرَى
لِلدِّينِ وَالِدُنْيَا وَيَخْفِضُ مَنَبْرَا
حَرَمًا أَبَتْ حُرُمَاتُهُ أَنْ تُخْفَرَا
سَعْيًا فَكُنْتُ الْجَوْهَرَ الْمُتَخَيَّرَا

قال أبو الحسن : أراه احتذى في هذه الأبيات الأخيرة حَدَّوْ أَبِي الطَّيِّبِ
في ابن العميد^٤ حيث يقول^٥ :

مَنْ مَبْلُغُ الْأَعْرَابِ أَتَيْتُ بَعْدَهَا
وَلَقَيْتُ بَطْلِيمُوسَ دَارِسَ كَتَبِهِ
وَلَقَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا

جَالَسْتُ رَسْطًا لَيْسَ وَالْإِسْكَندَرَا
مُتَبَدِّيًا فِي مُلْكِهِ مُتَحَضِّرَا
رَدَّ إِلَاهُهُ نَفُوسَهُمْ وَالْأَعْصُرَا
وَأَتَى «فَذَلِكَ» إِذْ أَتَيْتُ مُؤَخَّرَا

١ الحارث الجفني ، أي أحد ملوك بني جفنة الغسانيين .

٢ س ب : تَكْسُو .

٣ هذه هي قراءة ط ؛ وفي ب س : نَجْدُكَ ؛ وفي الديوان « بَجْدَل » وهو شيخ الكلبيين الذين فُصروا الأموية في معركة مرج راهط .

٤ ط : أرى القسطلي ذهب مذهب أبي الطيب حيث يقول في قصيدة يمدح بها ابن العميد

٥ ديوان المتنبي : ٥٤١ .

٦ الديوان : وسمعت .

وقوله «خوصٌ نفحنَ بنا البُرى»... البيت ، معنى «مشهور» ، وهو في الشعرِ كثيرٌ ، ومنهُ قولُ بعضِ أهلِ العصرِ ، وهو أبو جعفرِ بنِ هُرَيْرَةَ التُّطَيْلِيّ يَصِفُ إِبِلًا^١ :

كَأَنْصَافِ الْبُرَى وَتَدِقُّ عَنْهَا شَوَاهَا دِقَّةً تَسَعُ الْجَلالا
وكذلكَ قولُهُ : «للهِ أيْ أهْلِيَّةٍ» ... البيت ، كقول أبي جعفر المذكور^٢ :

كُلُّ عَوْجَاءَ^٣ كَالْهَلَالِ عَلَيْهَا كُلُّ ذِي تُدْرٍ كَبْدَرِ الْكَمَالِ
وَأَنْشِدْتُ ابْنَ بَيَّاعِ السَّبْتِي :
وَرَدْتُ بِهَا التَّنُوفَةَ وَهِيَ بَدْرٌ فَلَمْ أَصْدُرْ بِهَا إِلَّا هَلالا
وقوله : «وَرَمَى عَلَيَّ رِداءَهُ مِنْ دُونِهِمْ» أشار إلى لَفْظِ «الهُذلي» دونَ معناه وهو :

وَلَمْ أَدْرِ مِنَ أَلْقَى عَلَيْهِ رِداءَهُ سَوَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مُحْضٍ
وَذَكَرَ الرُّوَاةُ أَنَّهُ لَا تَعْرِفُ الْعَرَبُ رَجُلًا مَدَحَ مِنْ لَا يَعْرِفُهُ غَيْرَ أَبِي
خَيْرَاشِ الْهُذَلِيِّ هَذَا ، وَكَانَ خِرَاشٌ وَعُمُّهُ عُرْوَةُ غَزَوَا فَأَخِذَا ، وَهَمُّوا
بِقَتْلِهِمَا ، فَتَنَاهُمُ بَنُو دَارِمٍ وَأَبَى بَنُو هِلَالٍ إِلَّا قَتَلَهُمَا ، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ

١ ط : أهل وقتنا يصف إبلا . وانظر ديوان الأعمى التطيلي : ٢٤٣ - ٢٤٥ وهو من قصيدة كتبها إلى ابن بياح السبتي الذي يرد ذكره فيما يلي .

٢ ط : كقول بعض أهل العصر ، وانظر ديوان التطيلي : ٢٥٠ وهو مأخوذ عن الذخيرة إلا أنه يلتزم في موضعه من القصيدة : ٣٨ ، ص ١٠٠ - ١٠٥ .

٣ ط : هوجاء .

٤ ط : بيت .

٥ ديوان الهذليين : ١٢٣٠ .

من بني دارم فالتقى على خراشٍ رِداءه ، وشُغِلَ القومُ بِقَتْلِ عُرْوَةٍ ،
وقال الرَّجُلُ لخراشٍ : انج ، فنجا إلى أبيه وأخبره الخبر ، فقال الأبيات التي
أولها :

حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا خراشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
وحكى عليُّ بنُ العباسِ التَّوْبَخْنِيُّ قال : قال لي البحريُّ : أتدري من
أين أخذَ أبو نواسٍ قولَه :

ولم أدْرِ من هُمُ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ بِهِ بِشَرْقِيٍّ سَابِطَ الدِّيارِ البَسَاسِ^١
فقلتُ : لا ، قال : من قول أبي خراشٍ : « ولم أدْرِ من ألقى عليه
رِداءَه » ... البيت ، قلتُ له : والمعنى مُخْتَلِفٌ ، قال : أمّا تَرَى حَدَوْ
الكلامِ وَاحِدًا ؟

وقال القسطلتي يمدحُ الوزيرَ^٢ أبا الأصغرِ عيسى بن سعيدِ القِطَاعِ^٣ :
أفي مِثْلِهَا تَنبُو أيا دِيكَ عَن مِثْلِي وَهَدَى الْأَمَانِي فِيكَ جَامِعَةُ الشَّمْلِ
وقد أَمِنَ الْمَقْدَارُ ما كُنْتُ أَتَقِي وَأَرْخَصَتِ الْأَيَّامُ ما كُنْتُ أَسْتَغْلِي
وأذعنَ صَرَفُ الدَّهْرِ سَمْعاً وَطَاعَةً لَمَّا فُهِتْ مِنْ قَوْلٍ وَأَمْضِيَتْ مِنْ فَعْلٍ
وناديتْ بِالْإِنْعَامِ فِي الْأَرْضِ وَالتَّقَتْ بِيُمْنَاكَ أَشْتَاتُ الطَّرَائِقِ وَالسُّبُلِ
وهذا مُقَامِي مُنْذُ تِسْعٍ وَأَرْبَعٍ رَجَائِي فِي قَبْدٍ وَحِظِّي فِي غُلٍّ
كَانَتِي لَمْ أَحْلُلْ ذَرَاكَ وَلَمْ أَقِمْ مُنَاخَ الْمَطَايَا فِيهِ مُرْتَهَنَ الرَّحْلِ

١ ديوان أبي نواس : ٢٩٥ .

٢ ط : من أخرى في الوزير .

٣ سيمرّف به ابن بسام في هذا القسم الأول من الذخيرة ؛ وقصيدة ابن دراج هذه في ديوانه :

٤٣ - ٤٨ .

٤ الديوان : فيك .

وأغض عن البرق الذي شيم للحيا ولم تُصَفِّني خُلُقاً أرقَّ من الهوى
ولم تشن عني في مواطن جمّة ولم أظوِّس إلا كُتْهال مُحَاكِماً
وكنّت ومفتاح الرغائب ضائع وإني في أفياء ظلك أَشْتَكِي
وأعقدُ بحبل منك بين الوري حبل ولم تولني نُعمَى الدّ من الوصل
سيوفاً حداداً قد سلّس على قتلي إليك خُطوباً شَيَّبَتْ مَفْرِقَ الطفل
ملاذي فهذا بابها ضائع القفل شكّية موسى إذ تولّى إلى الظل^١

وهذا البيت من لفظ القرآن العزيز ، وقد أقدمت على مثل هذا جماعة
من الشعراء من محدثين وقدماء ؛ فمن غالٍ مُتَسَوِّرٍ ، ومن آخذٍ^٢
مُعْتَدِرٍ ؛ قال أبو العلام المَعَرِّي^٣ :

كُنْتُ موسى وافته بُنْتُ شُعَيْبٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ فِيكُمَا مِنْ فَقِيرٍ
وأخذه بعض أهل عصرنا ، وهو حسان بن المصيصي^٤ فقال للمعتمد
ابن عبّاد :

كُنْتُ شُعَيْبَ إِذْ زُفْتُ لِمُوسَى وَلَكِنْ لِلثَّرَاءِ هُنَا مَزِيدُ
ومن آخر من ركب هذا الأسلوب في مكابرة الحقائق ، وأضل
من ذهب هذا المذهب الغريب ، من الاجتراء على الخلق والخالق ،
المنفستل^٥ بقوله :

وقد كان موسى خائفاً مُتَرَقِّباً فقيراً وآمنت المخافة والفقرا

١ بعد هذا البيت وقع خرم في ب ضاعت بسببه أوراق .

٢ ط : آخر .

٣ شروح السقط : ٣

٤ تجي . ترجمته في القسم الثاني من الذخيرة .

٥ سيرجم له ابن بسام في هذا القسم من الذخيرة .

وستأتي قصيدته هذه في موضعها ، وتنتظم القصيدة عنه بأجمعها .
وفي هذه القصيدة يقول ^١ القسطلتي :

ولِيَّ النَّدَى أَصْبَحْتُ فِي دَوْلَةِ النَّدَى كَأَنِّي عَدُوُّ الْبُخْلِ فِي دَوْلَةِ الْبُخْلِ
يُقْتَلُ أَخْفَى الْيَأْسِ ^٢ أَحْيَا مَطَالِبِي لِيَالِي جَلَّ الْوَعْدِ عَنْ رُتْبَةِ ^٣ الْمَطْلِ
وَأَبْدِي لِلسَّعْدِ الدَّبْرِ وَجْهِي مُنَازِعاً وَقَدْ فَازَ غَيْرِي سَالِماً بِجَنَى النُّحْلِ
وهكذا يقول المتنبي :

ولا بدّ دون الشهد من ابر النحل

وقال ابن سارة الشنتريني :

لَهَا قِسْمَةٌ بَيْنَ الرُّوَاةِ وَبَيْنَكُمْ ^٤ فَمِنْ قِسْمَةِ ضَيْرِي وَمِنْ قِسْمَةِ عَدْلٍ
بَأَفْوَاهِهِمْ مِنْهَا جَنَى النَّحْلِ كَلِمَا رَوَوْهَا وَفِي أَسْتَاهِكُمْ لِابْرِ النَّحْلِ

ومنها :

أَوَاصِلُ آثَاءِ الْأَصَائِلِ بِالضُّحَى وَزَادِي مِنْ جَهْدِي ، وَرَاحَتِي رَجْلِي

وهذا مما شرحه وأوضحه أبو الطيّب بقوله من المنسرح ^٥ :

لَأَنَا قَتِي تَقَبَّلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسُّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدُهَا
شِرَاكُهَا كُورُهَا ، وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا ، وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا

ومنها :

إِذَا أَحْفَتِ الْفَرَسَانُ غُرَّ جِيَادِهِمْ ^٥ خَصَفْتُ بَرَجْنِي ^٦ مَا تَمَزَّقَ مِنْ نَعْلِي

١ ط : وفيها يقول . ٢ في النسخ : أصفى الناس ، وآثرت رواية الديوان .

٣ الديوان : ريبة . ٤ ديوان المتنبي : ٣ .

٥ الديوان : جياده . ٦ من والديوان : بوجهي .

وإن أقبلوا والمسكُ يندى عليهمُ
وإن شغلوا هواً بأنعمِ كفه
أقرُّ عيونَ الشامتِينَ وليتني
أمرُّ بهم النقي الثرى وكأنما
إذا الأسدُ الضرعُ غامُ أنفدَ مقتلي
وإن ذابَ حرُّ الوجهِ من حرِّ نارهم
ومن شيمة الماءِ القراحِ - وإن صفا -
ولا وزرُّ إلا وزيرٌ له يَدُ
أبا الأصغِ المعني هل أنت مُضرخي
فأكنسوك الأيَّامَ من حرِّ ما أشي
وحى متى أعطي الزمانَ مقادَتي
أيحتقِبُ الرُكبانَ شرقاً ومغرباً
ويستقيلُ الشربُ الندامى بدائي
وضيفُ بحيثُ الطيرُ تدعى إلى القرى
وسيفُ يقدُّ البيضُ والزَّغفُ مقدِماً
وذو غُرَّةٍ معروفَةٍ السَّبْقِ في المدى

أتيتُ وقد ضُمْتُ مِسْكَاً من الوحل
فخدمتهُ لهوي وطاعتهُ شغلي
أبردُ ما تطوي الصدورُ من الغل
فؤادي من أحد أقهم غرض النبل
فما فزعني إلا إلى الأرقمِ الصل
فما مستغاني منه إلا إلى المهمل
إذا اضطرمت من تحته النار أن يغلي
تملُّ على أيدي الربيع فتستلمي
وهل أنت لي مُغنٍ وهل أنت لي معلي
وأملأ سمع الدهر من سحر ما أملي
وقد قبضتُ كفِّي على قائمِ النصل
غرائب أنفاسي وألقاك في الرِّجل
وهيهات لي من لذة الشرب والنقل
يَضيقُ به رَحْبُ المباءة والنزل
يرُوحُ بلا غِمدٍ ويغدو بلا صقل
وقد قرَّح التحجُّيلُ من حلق الشكل

قوله: « ومن شيمة الماءِ القراحِ ».. البيت، هو قول ابن أبي عيينة المهلهبي.^٢
ولا بُدَّ للماءِ في مِرْجَلٍ على النارِ موقدةً أن يفورا

١ الديوان : الضلوع .

٢ هو أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة، أحد المطبوعين من الشعراء المولدين (انظر ترجمته في الاغانى ١٩ : ٢٠ وطبقات ابن المعتز : ٢٨٨ ومعجم المرزباني : ١٠٩ والشعر والشعراء : ٧٥٠) والبيت من قصيدة له في الشعر والشعراء : ٧٥١ والكامل للمبرد ٢ : ٣٢ .

وينظرُ أيضاً معناه^١ - من طرفٍ عليلٍ - إلى بيتِ عُمارةِ بنِ عَقِيلٍ^٢ :
وما النفسُ إلا نُظْفَةٌ بقرارةٍ إذا لم تُكْدَرْ كان صفواً غديرها
وأخذه المعريّ وزاد حتى كاد يخفيه فقال^٣ :

والخلُّ كالماءِ تبدو لي ضمايرُهُ مع الصفاءِ ويخفيها مع الكدرِ
وقوله : « وَذُو غُرَّةٍ » ... البيت ، من قول أبي الطيّب^٤ :

وإن تكن محكماتُ الشكلِ تمنعني ظهورَ جرّني فلي فهنَّ تصنهالُ
وقال أبو العلاءِ المعريّ يصفُ قصيدته من جملةِ أبياتٍ فقال^٥ :
حُجِلَتْ فلم يرها الذي قيدتْ له وَغَدَتْ بِأَفَاقِ البلادِ تَجُولُ
كالطُرفِ يُفْلِقُهُ المَرَّاحُ صبايةً بالجرى وَهوَ مَقِيدٌ مشكُولُ
وقال أبو الوليدِ بن زَيْدُون^٦ :

ثَوَى صَافِئاً في مربطِ الهونِ يشتكي بِتَصْنَعَالِهِ مَا نَالَهُ مِنْ أَذَى الشَّكْلِ
وكرره ابن زيدون في موضع آخر فقال^٧ :

وَأَنَّ الجَوَادَ الفَائِثَ الشَّوْصَافِينَ تَخَوَّنَهُ شَكْلٌ وَأَزْرَى بِهِ رَبْطٌ
وقال عبد الجليل^٨ للمعتمد بن عباد من جملة أبيات هي ثابتة في موضعها
من هذا المجموع^٩ :

١ ترجمة عمارة في طبقات ابن المعتز : ٣١٦ والأغاني ٢٣ : ٤٢٤ والخزاعة ٢ : ٤٩٧
وتاريخ بغداد ١٢ : ٢٨٢ ومعجم المرزباني : ٧٨ والكامل ١ : ٢٩، ويته يرد في القسم الثالث .
٢ شروح السقط : ٣٣ . ٣ ديوان المتنبي : ٥٠٢ .
٤ شروح السقط : ١٨٦ . ٥ ديوان ابن زيدون : ٢٦٧ .
٦ ديوان ابن زيدون : ٢٨٧ . ٧ عبد الجليل بن وهبون : تردد ترجمته في القسم الثاني .
٨ من جملة ... المجموع : سقط من ط .

أَتَتَكَ عَلَى خَلَاثِقِهَا جِيَادِي وَإِنْ كَانَ الضَّيَاعُ لَهَا شِكَا لَا
 وَقَالَ الْقَسَطَلِيُّ^١ يمدحُ المرتضى ، آخر ملوك بني مروان ، من قصيدة أولها^٢ :
 جِهَادُكَ حُكْمُ اللَّهِ مَنْ ذَا يَرُدُّهُ وَعَزْمُكَ أَمْرُ اللَّهِ مَنْ ذَا يَصُدُّهُ
 وَطَائِرُكَ الْيَمْنُ الَّذِي أَنْتَ يُمْنُهُ وَطَالِعُكَ السَّعْدُ الَّذِي أَنْتَ سَعْدُهُ
 يقول فيها :

وبيعه رضوان رعى الله حقها
 فأصبح في رأس الرياسة تاجه
 مسرته مأوى الغريب وسيره
 وأجناده في موقف الروع روضه
 نلعب آرام الفلا من هباته
 ونفترش الديباج من جوده كفه
 ومن برح البيض الحسان بوجده
 [وكل^٣ إمام ناصر أنت صنوه
 نموك إلى بيت النبوة وابتنوا
 فافخر بمن قرب النبيين فخره
 لمن بيعة رضوان إذ غاب جدّه
 ونظم في جبد الخلافة عقده
 ولذته خير المقل ورفسده
 وأعلامه في مورد الموت وردّه
 وآرامه غر الطراد وجردّه
 وما فرشه إلا الجواد وليدّه
 فبالبيض في الهيجاء برح وجهه
 وكل إمام قاهر أنت نده
 لك الشرف الفرد الذي أنت فردّه
 وأجد بمن مجد الخلايف مجده]

وله من أخرى في المنصور بن أبي عامر^٤ :

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الثَّوَاءَ هُوَ التَّوَى وَأَنَّ بَيُوتَ الْعَاجِزِينَ قُبُورُ
 تُخَوِّفُنِي طُولَ السَّفَارِ وَإِنَّهُ لِيَتَقَبَّلَ كَفَّ الْعَامِرِي سَفِيرُ

١ زاد في ط : من أخرى ، وسقط قوله : « من قصيدة أولها » .

٢ ديوان ابن دراج : ٨١ - ٨٦ .

٣ الديوان : بكل .

٤ ديوان ابن دراج : ٢٩٧ - ٣٠٤ .

ذَرِينِي ١ أَرِدْ ماءَ الْمَقَاوِزِ آجِنًا إِلَى حَيْثُ ماءُ الْمَكْرُمَاتِ نَمِيرُ
فَإِنَّ خَطِيرَاتِ الْمَهَالِكِ ضُمَّنَ ٢ لِرَاكِبِهَا أَنَّ الْجَزَاءَ خَطِيرُ

ومنها في وَصْفٍ وَدَّاعِهِ لِمَنْ تَخَلَّفَهُ، وَذِكْرِ ابْنِهِ الصَّغِيرِ، بِمَا لَا شَبِيهَ
لَهُ ٣ وَلَا نَظِيرَ، وَلَا مِثْلَ وَلَا عَدِيلَ ٤ :

وَلَمَّا تَدَانَتْ لِلدَّوَادِعِ وَقْدَهَفَا بِصَبْرِي مِنْهَا أَنَّةٌ وَزْفِيرُ
[تَنَاشِدُنِي عَهْدَ الْمُدَّةِ وَالْهَوَى وَفِي الْمَهْدِ مَبْغُومُ النَّدَاءِ صَغِيرُ]
عَيْبِي بِمَرْجُوعِ الْخَطَابِ وَلَفْظُهُ ٥ بِمَوْقِعِ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ خَيْرُ
تَبَوُّاً مَمْنُوعِ الْقُلُوبِ وَمُهْدَتُ ٦ لَهُ أَذْرُعُ مَحْفُوفَةٌ وَنُحُورُ
فَكُلُّ مُفْدَاةِ التَّرَائِبِ مُرْضِعُ ٧ وَكُلُّ مُحْيَاةِ الْمَحَاسِنِ ظِيرُ
عَصِيَّتُ شَقِيعِ النَّفْسِ فِيهِ وَقَادِنِي رَوَاحُ بِنْدِ آبِ السَّرَى وَبُكُورُ
وَطَارَ جَنَاحُ الْبَيْنِ بِي وَهَفَّتْ بِهَا جَوَانِحُ مِنْ دُعْرِ الْفِرَاقِ تَطِيرُ
لَتَيْنٌ وَدَّعَتْ مِنِّي غَيُوراً فَإِنِّي عَلَى عَزَمَتِي مِنْ شَجْوِهَا لَغَيُورُ
وَلَوْ شَهِدْتَنِي وَالْهَوَاجِرُ تَلْتَنَظِي ٨ عَلَيَّ وَرَقْرَاقُ السَّرَابِ يَمُورُ
أَسْلَطُ حَرّاً الْهَاجِرَاتِ إِذَا سَطَا ٩ عَلَى حُرٍّ وَجْهِي وَالْأَصِيلُ هَجِيرُ
وَأَسْتَنْشِقُ النُّكْبَاءَ وَهِيَ بَوَارِحُ ١٠ وَأَسْتَوْطِيءُ ١١ الرَّمْضَاءَ وَهِيَ تَفُورُ
وَلِلْمَوْتِ فِي عَيْنِ الْجَبَانِ تَلَوْنُ ١٢ وَلِلدُّعْرِ فِي سَمْعِ الْجَرِيِّ صَفِيرُ
وَمِنْهَا ١٣ :

وَقَدْ خَيَّلَتْ طُرُقُ الْمَجْرَةِ أَنَّهَا عَلَى مَفْرَقِ اللَّيْسْلِ الْبِهِمِ قَتِيرُ

١ الديوان : دُعِينِي .

٢ ط : بِمَا لَيْسَ لَهُ مِنْ شَبِيهِ .

٣ وَلَا مِثْلَ وَلَا عَدِيلَ : سَقَطَ مِنْ ط .

٤ ط : وَاسْتَمَطَى .

٥ ومنها : سَقَطَتْ مِنْ ط .

ودارت نجوم القطب حتى كأنها
لقد أيقنت أن المني طوع همتي
كؤوس مهأ والى بهن مدير
وأنتي بعطف العامري جدير

ومنها :

ولمّا توافوا للسلام ورُفعت
وقد قام من زرق الأسنة دونها
رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازها
وكيف استوى بالبر والبحر مجلس
فجاؤا عجالاً والقلوب خوافت
عن الشمس في أفق السماء ستور
صفوف ومن بيض السيوف سطور
وآيات ١ صنع الله كيف تنير
وقام بعبء الرأسيات سرير
وولّوا بطاءً والنواظر صور

ومنها :

وضاء لـ قدري في ذراك عوائق
وما شكر التخعي شكري ولا وفي
أثري لخطب الدهر والدهر مفضل
وقد تخفض الأسماء وهي سواكين
وتنبو الرذينيات والطول وافر
جرت لي برحاً والقضاء عسير
وفائي -- إذ عزّ الوفاء -- قصير
وكلني للبيث الغاب وهو هصور
ويعمل في الفعل الصحيح ضمير
ويبعد وقع السهم وهو قصير

وله من أخرى في ابن أزرَق ٣ ، وهي أيضاً من حرّ كلامه ، وسحر
نظامه ٤ :

أخو ظمأ يَمْصُ حَشَاهُ سَبْعُ
وأربعة وكلهم ظمَاءُ

١ ط : وآية .

٢ ط : فقد .

٣ وقال من أخرى ؛ أما ابن أزرَق فكان أحد كتاب منذر بن يحيى العجيبى صاحب سر قسطة .

٤ افطر ديوان ابن دراج : ٣٢٧ - ٣٣١ .

كَأَنجُمٍ يُوسِفُ عِدَدًا وَلَكِنْ
 خُطُوبٌ خَاطَبَتْهُمْ مِنْ دَوَاهِ
 تَرَاءَتْ بِالْكَوَاكِبِ وَهِيَ ظُهُرٌ
 [فَهَلْ نَظَرِي تَخَفَى أَوْ بِصَدْرِي
 وَكُلُّهُمْ كَيُوسُفَ إِذْ فَدَاهُ
 وَإِنْ سَجَنٌ حَوَاهُ فَكُمْ حَوَاهُمْ
 نَقَائِذُ فِتْنَةٍ وَخُلُوفُ ذُلٍّ
 وَإِنْ أَقْوَتْ مَغَانِي الْعِزِّ مِنْهُمْ
 وَإِنْ ضَاقَتْ بِهِمْ أَرْضٌ فَأَرْضٌ
] شُمُوسٌ غَالِمَا ذُعُرٌ وَبَيْنُ
 وَكُمْ لَبِسُوا مِنَ النُّعْمَى بُرُودًا
 رَمَتْ بِهِمُ الْحَوَادِثُ نَحْوَ مَوْلَى
 وَكُمْ عَسَفُوا إِلَيْهِ لُجَّ بَحْرِ
 [فَمَا ظَفَرُوا بِمِثْلِكَ نَجْمٍ سَعْدٍ
 وَلَكِنْ عَدَّلُوا مِنْهُ حَسَابًا
 كَمَا زَجَرُوا مِنْ أَسْمِ أَبِيكَ فَالَا
 وَلَهُ مِنْ أُخْرَى ٤ :

بِرُؤْيَا هَذِهِ بَرِحَ الْخَفَاءُ
 يَمُوتُ الْحَزَمُ فِيهَا وَالْدَّهَاءُ
 وَأَذَنَ فِيهِ بِالشَّمْسِ الْعِشَاءُ
 وَضَاقَ الْبَحْرُ عَنْهَا وَالْفَضَاءُ^١
 مِنْ الْقَتْلِ التَّغَرُّبُ وَالْجَلَاءُ
 سَجُونُ الْفُلْكِ وَالْقَفَرُ الْقَوَاءُ
 أَلَدُّ مِنْ الْبَقَاءِ بِهِ الْفَنَاءُ
 فَكُمْ عَمَرَتْ بِهِمْ بَيْدٌ خَلَاءُ
 فَمَا بَكَتْ لِمِثْلِهِمُ السَّمَاءُ
 فَهَنْ لِكُلِّ ضَاحِيَةٍ هَبَاءُ]
 جَلَاها عَنْ جُسُومِهِمُ الْجَلَاءُ
 حَمَاهَا الدِّينُ مِنْهُ وَالْوَلَاءُ
 تَلَاقَى الْمَاءُ فِيهِ وَالسَّمَاءُ
 بِهِ لَهُمْ إِلَى الْأَمَلِ انْتِهَاءُ]
 لَهُ فِيمَا دَعَاكَ^٣ لَهُ قَضَاءُ
 فَرُدَّتْ فِيهِ قَبْلَ الزَّايِ رَاءُ

فَمَا تَجَاوَزَتْ قِرْنَ الْمَوْتِ مَعْتَسِفًا إِلَّا وَقِرْنِي رَخِيمُ الدَّلِّ بَارِعُهُ

١ البيت غير واضح المعنى ، ونقله على حاله محقق الديوان ، إذ انفرد به وبالأبيات قبله كتاب الذخيرة ؛ وهو مما ورد في ط دون غيرها .

٢ الديوان : حواها الرق .

٣ ط : دعوت .

٤ ديوان ابن دراج : ١٣٧ - ١٤٥ .

نَحِيَّتِي مِنْهُ تَقْبِيلٌ وَمُعْتَنَقٌ
 لَمْ أَخْلَعْ الدَّرْعَ إِلَّا حِينَ شَقَّقَهُ
 وَلَا تَوَقَّيْتُ سَهْمًا مِنْ لَوَاحِظِهِ
 غَضَنْ نَجْرَعًا أَنْدَاءَ الْغَمَامِ^٢ فَمَا
 يَمِيسُ طَوْرًا وَسُكْرُ الدَّلِّ عَاطِفُهُ
 فَاسْتَفْرَغَ الْخَصِرُ كَثِبَانًا تَبَاعَدُهُ
 فَبِتُّ تَحْتَ رُواقِ اللَّيْلِ ثَانِيَهُ
 وَالسَّحَرُ يُسَحِّرُ مِنْ لَفْظٍ يُنَازِعُنِي
 رَاحًا يَمُدُّ سَنَاهَا نُورُ رَاحَتِهِ
 كَأَنَّمَا ذَابَ^٤ فِيهَا وَرَدُ وَجَنَّتِهِ
 فَيَا ظِلَّامَ^٥ نَجُومِ اللَّيْلِ إِذْ عَدِمْتَ
 [وَيَا حِينَ ظَبَاءِ الْقَفْرِ إِذْ فَقَدْتَ
 مَجَالُ طَرَفِي وَمَا حَازَتْ لَوَاحِظِهِ
 وَالطَّرْفُ مِرَاةُ عَيْنِي أَسْتَدِلُّ بِهَا
 جَوْنًا أَزِيدُ بِهِ لَيْلَ الرَّقِيبِ دُجَى
 فَبَاتَ يَعْجَبُ مِنْ^٦ ظَبِي يُصَارِعُنِي

يَشْدُ ثَنِي غُلْدُهُ عَنْهُ وَجَامِعُهُ
 عَنْ صُبْحِ صَدْرِي مَا تَحْمِي^١ مَدَارِعُهُ
 يُذِيبُ سَيْفِي فِي قَلْبِي مَوَاقِعُهُ
 تَطَوَّقُ^٣ الدَّرَّ إِلَّا^٣ وَهُوَ جَارِعُهُ
 وَتَارَةً وَأَنْثَنَاءُ الْوَشْيِ لَازِعُهُ
 وَأَنْبَتَ الصَّدْرُ رُمَانًا يَدَافِعُهُ
 وَالشُّوقُ ثَالِثُنَا وَالْوَصْلُ رَابِعُهُ
 وَالْمَسْكُ يُعَبِّقُ مِنْ^٥ كَأْسٍ أَنْزَاعُهُ
 لَوْلَا الْمَهَا لَجَرْتُ فِيهَا أَصَابِعُهُ
 وَشَجَّتْهَا رَيْقُهُ الْمَعْسُولُ^٦ مَائِعُهُ
 بَدَرَ السَّمَاءِ فِي حِجْرِي مَضَاجِعُهُ
 غَزَا الْهَنْ^٧ فِي رَوْضِي مَرَاتِعُهُ
 وَحَرُّ صَدْرِي وَمَا ضَمَّتْ أَضْأَلُهُ^٨
 عَلَى الصَّبَّاحِ إِذَا مَا خِيفَ سَاطِعُهُ
 وَيَسْتَنْبِرُ^٩ لِي الْإِصْبَاحَ لَامِعُهُ
 وَقَدْ يَرِقُ^{١٠} عَلَى لَيْثٍ أَصَارِعُهُ

١ الديوان : صفح ... تحوي .

٢ س والديوان : النعيم .

٣ س والديوان : يطوق .

٤ ط : ذيب (اقرأ : ديف) .

٥ الديوان : ضلال .

٦ ط : فجال ... وحن ؛ والتصويب عن الديوان .

٧ الديوان : ويستثير .

٨ الديوان : يحن .

وما رأى قبلها قرناً أعانقهُ إلاَّ وودَّعَ نفساً لا تُراجعهُ
حتى بدا الصُّبحُ مُشْمَطاً ذوائبهُ يُطارِدُ اللَّيْلَ مَوْشِياً أكارعهُ
كَأَنَّ جَمَعَ ضلالٍ حانٍ مصرعه وأنت بالسَّيْفِ يا منصورُ صارعهُ

قال أبو الحسن ^٢ : قوله « مَوْشِياً أكارعهُ » : جعل ذوائب الصُّبحِ مُشْمَطَةً من مُمازجةِ اللَّيْلِ له ، وجعل أكارِع اللَّيْلِ مَوْشِيةً من مُمازجةِ الصُّبحِ لها ، وجعل آخر اللَّيْلِ من مَواخيره وهي المُتَّصِلَةُ بأوَّلِ الصُّبحِ ، وآخر الصُّبحِ من مَقادِمِهِ وهي المُتَّصِلَةُ بآخر اللَّيْلِ ، وأصاب في الإشارةِ إلى التشبيهِ لأنَّه أوماً إلى أنَّ الصُّبحَ كالثورِ الوَحْشيِّ وهو أبيضٌ ، والثيرانُ الوَحْشِيَّةُ كلها بيضٌ ، وأكارِعُها مَوْشِيَّةٌ خاصَّةٌ . وإنَّما أَلَمَّ القسطلِيُّ في هذا بِقَوْلِ أعرابي يَصِفُ ليلةً : خرجنا في ليلةٍ حِنْدِسٍ قد أَلْقَتْ على الأرضِ أكارِعَها فمَحَتْ صُورَ الأبدانِ ، فما كدنا نتعارفُ إلاَّ بالأذانِ . وقولُه : « فِيا ظلامَ نجومِ اللَّيْلِ »... البيت ، من مِليحِ المعاني ، وقد أخذه إدريسُ بنُ اليماني ، فقال من جُملةِ أبياتٍ هي ثابتةٌ في موضعها من هذا المجموع ^٣ :

بَدَرَ أَلَمٌ وبلرُ اللَّيْلِ مُتَّحِقٌ والأفئقُ محلُولِكُ الأَرْجاءِ من حَسَدِ
تَحْيَرَ اللَّيْلِ فِيهِ أَيْنَ مَطانِعُهِ أما درى اللَّيْلِ أَنَّ البدرَ في عَضُدِي؟

وله من أُخرى في علي بن حمودٍ ؛ قال ابن بسَّام : وهذه القصيدةُ له طويَلةٌ ، وهي من الهاشِمِيَّاتِ الغُرِّ ، بناها من المِسْكَ والدُرِّ ، لا من الجِصِّ

١ ط : حاز .

٢ قال أبو الحسن : سقطت من ط .

٣ لم يردا في القسم الثالث من الكتاب :

والآجر ، لا بل خلدتها حديثاً على الدهر ، وسرَّ بها مطالع النجوم الزهر ؛
لو قرعت^١ سمع دُعيل بن علي الخزاعي ، والكُمَيْت بن زيد الأسدي ،
لأمسكاً عن القول ، وبرثا إليها من القوة والحول ؛ بل لَو رآها السيدُ
الحميري ، وكثيرُ الخزاعي ، لأقامها بينة على الدعوى ، ولتلقياها
بشارة على زعميهما بخروج^٢ الخيل من رضى من رضى ؛ وقد أثبت أكثرها
إعلاناً بجلالة قدرها ، واستحساناً لعجزها وصدورها ، وأولها^٣ :

لَعَلَّكَ يَا شَمْسُ عِنْدَ الْأَصِيلِ	شَجِيئَ لِشَجْوِ الْغَرِيبِ الذَّلِيلِ
فَكُونِي شَفِيعِي إِلَى ابْنِ الشَّفِيعِ	وَكُونِي رَسُولِي إِلَى ابْنِ الرَّسُولِ
فَلَمَّا شَهِدْتَ فَأَزْكِي شَهِيدِ	وَلَمَّا دَلَلْتَ فَأَهْدِي دَلِيلِ
عَلَى سَابِقٍ فِي قِيُودِ الْخَطُوبِ	وَتَجْمِ سَنًا فِي غُثَاءِ السِّيُولِ
[يُنَادِي الثَّرَى لِسَقَامِ الضِّيَاعِ	وَيَشْكُو إِلَى الْمَلِكِ دَاءَ الْخُمُولِ]
[وَعَزَّ عَلَى الْعَلَمِ مِثْوَاهُ أَرْضاً	عَلَى حُكْمِ دَهْرِ ظُلُومِ جَهُولِ]
وَيَعْجَبُ كَيْفَ دَنَا مِنْ عَلِيٍّ	وَلَمْ تَنْفَصِّمْ حَلَقَاتُ الْكُبُولِ
وَكَيْفَ تَنْسَمَ آلَ النَّبِيِّ	وَأَبْطَأَ عَنْهُ شِفَاءُ الْعَلِيلِ
وَأَطْوَادُ عِزِّهِمْ مَائِلَاتُ	لَهُ وَهُوَ يَرْنُو بِطَرْفِ كَلِيلِ
وَأَبْحَرُهُمْ زَاخِرَاتُ إِلَيْهِ	وَيَرشُفُ فِي الثَّمَدِ الْمُسْتَحِيلِ
[تَجَزَأُ مِنْ جَنَّتِي مَأْرِبِ	بِخَمَطٍ وَأَثَلٍ وَسِيدٍ قَلِيلِ]

١ ط : طويلة ، وإنما مرت فيها ألفاظ لو قرعت ... الخ .

٢ ط : في خروج .

٣ وقد أثبت ... وأولها : سقط من ط ؛ وانظر القصيدة في ديوان ابن دراج : ٧٥ - ٨١ .

٤ الديوان : اللندى .

٥ فيه إشارة إلى الآية : ١٦ من سورة سبأ .

ومنها :

شريدُ السيوفِ وفلُّ الحُتُوفِ
تَهَاوَتْ بِهِمْ مُصْعِقَاتُ الرُّعُوفِ
بِوَارِقٍ ظَلَمَاءٍ ظَلَمَ تَبِيحِ
فَأَذْهَلْ مُرْضِعَةً عَنْ رَضِيعِ
فَمَا تَهْتَدِي الْعَيْنُ فِيهَا سَبِيلًا
[وَلَا يَعْرِفُ الْمَوْتُ فِيهَا طَرِيقًا
رَكِبَتْ لَهَا مَحْمَلًا لِلنَّجَاةِ
فَرُدَّتْ عَلَى عَقَبَيْهَا الْمَنُونِ
وَقَدْ سُمَّتْهَا بِنَفْسِ التَّلَادِ
نَفُوسٌ حَنَتْ قَوْسَ عَظْفِي عَلَيْهَا

يَكِيدُ بِأَفْلَازِ قَلْبٍ مَهُولِ
دِ ١ فِي مُدْجِنَاتِ الضُّحَى وَالْأَصِيلِ
دَمِيٍّ مِنْ حَمِيٍّ أَوْ دَمًا مِنْ قَتِيلِ ٢
وَأَنْسَى الْحَمَائِمَ ذِكْرَ الْهَدِيلِ
سَوَى سُبُلِ الْعَبَرَاتِ الْهُمُولِ
إِلَى النَّفْسِ إِلَّا بِعَضْبٍ صَقِيلِ ٣
وَضَيَّرْتُ قَصْدَكَ فِيهِ عَدِيلِي
بِوَاقٍ مُجِيرٍ وَرَأَيْ أَصِيلِ
عَلَى أَنْفُسٍ ضَائِعَاتِ الذُّحُولِ
فَكُنْ سَهَامَ قِيسِي الْخُمُولِ

ومعنى هذا البيت كقول الرضي مما أنشده الثعالبي ٥ :

هَسَّ الْقِسِيِّ مِنَ الْبَحُولِ فَإِنْ سَمَا
طَلَبُ فَهَنْ مِنَ النَّجَاءِ الْأَسْهُمِ
قال الثعالبي ٦ : وما أحسن ما جمع بين القسي والأسهم ، وما أراه سبق
إليه على هذا الترتيب .

قال ابن بسام : وقد قال بعض أهل عصرنا وهو عبد المجيد بن عبدون
من جملة أنبياء هي ثابتة بموضعها من هذا المجموع :

١ الديوان : الرواعد .

٢ هذا البيت شديد الاضطراب في الأصول ، وقد اعتمدت قراءة محقق الديوان ، وهي وجه

مرجح .

٣ بعد هذا البيت ورد في س ب ومنها ، وليس ثمة حذف .

٤ ط والديوان : نفوساً .

٥ اليتيمة ٣ : ١٣٨ .

جوانِحُ كالْقسي رَمَتْ ثَبِيرًا
 وقال أبو العَرَبِ الصَّقْلِي ١ :
 قِسي رَمَتْ مِنَّا البلادَ بِأَسْهُمِ
 وفي هذه القصيدة يقول ٢ القَسْطَلِيُّ :

ومنْ دُونِنا آثاتُ الدِّيارِ
 مَغاني السُّرورِ لِبِسْنِ الحِدادِ
 خَطِيباتِ خَطْبِ النَّوَى والمَهُورِ
 فَمِنْ حَرَّةٍ جَلِيتْ بِالْجَلَاءِ
 ولا حَلِيَّ إِلَّا جُمانُ الدُّمُوعِ
 فبدَّلْنا مِنْ طُولِ ٣ خَفَضِ النِّعَمِ
 ومن قِصْرِ اللَّيْلِ تحتِ الحِجَالِ
 ومن عَكَلِ المائِ تحتِ الظُّلالِ
 ومن طِيبِ نَفْحِ بِنُورِ الرِّياضِ
 ومن أنْسِها بَيْنَ ظَنَرٍ وَتَرَبٍ
 ومن كُلِّ مَرأى مُحِبًّا جَمِيلِ
 لعلَّ عَوافِيسَهُ أَنْ تَمَّ
 إلى الهاشمي ، إلى الطَّالِبِي ،

نِهابَ الحَمَى مُوحِشاتِ الطُّلُولِ
 على لابِساتِ ثِيابِ الذُّهُولِ
 مَهَارَى عليها رِحالُ الرِّحِيلِ
 وَعَدْرَاءُ نُصَّتْ بِنَصِّ الذَّمِيلِ
 تَسِيلُ ٣ على كُلِّ خَدٍّ أَسِيلِ
 بِشَقِّ الحَزُونِ وَوَعَثِ السُّهُولِ
 بِهَوْلِ السُّرَى تحتَ ليلٍ طَوِيلِ
 صِلاءَ القُلُوبِ بِحَرِّ الغَلِيلِ
 تَنَاطَظِي لَفْحِ بِنارِ المَقْبِيلِ
 سُرَى لَيْلِها بَيْنَ ذُئْبٍ وَغُولِ
 تَلَقَّي الخُطُوبِ بِصَبْرِ جَمِيلِ
 فَيَهْدِي الغَرِيبُ سَواءَ السَّبِيلِ
 إلى الفاطمي العَطُوفِ الوَصُولِ

١ ستأتي ترجمة أبي العَرَبِ في القسم الرابع من الذخيرة ؛ وانظر التكملة : ٣٨٦ والسلفي ٦٨ ، ١٣٨ والمسالك ١١ : ١٨١ والخريدة ٢ : ٢١٩ وابن خلكان ٣ : ٣٣٤ ، والبيت في الخريدة .

٢ ط : وفيها يقول .

٣ الديوان : يسيل .

٤ الديوان : من بعد .

فَسُمِّيَ جَدُّكَ عَمْرُو الْكَرَامِ
وَضَيَّفَ حَتَّى وَحُوشَ الْفَلَاحِ
وَإِنَّ أَبَا طَالِبٍ لِلضُّيُوفِ
يَرْوَحُ عَلَيْهِمْ بِغُرِّ الْجِفَانِ
فَأَنْتُمْ هُدَاةُ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ
وَسَادَاتُ مَنْ حَلَّ جَنَّاتِ عَدْنٍ
وَأَنْتُمْ خَلَائِفُ دُنْيَا وَدِينٍ
وَوَالِدُكُمْ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ
تَلَدُّ بِحَمَلِكُمْ عَاتِقَاهُ
وَرَحْبٌ عَلَى ضَمَّتِكُمْ صَدْرُهُ
وَيَطْرُقُهُ الْوَحْيُ وَهَنًا وَأَنْتُمْ
وَزَوْدُكُمْ كُلٌّ هَدْيٍ زَكِيٍّ

بِهَشْمِ الثَّرِيدِ زَمَانَ الْمَحُولِ
وَأَهْدَى الْقِرَى لَهْضَابِ الْوَعُولِ
لَأَطْلَبُ مَنْ ضَيَّفَهُ لِلتَّرْوَلِ
وَيَغْدُو لَهُم بِالْغَرِيضِ النَّشِيلِ
وَأَنْتُمْ أَئِمَّةُ فِعْلٍ وَقِيلِ
جَمِيعِ شَبَابِهِمْ وَالْكَهُولِ
بِحُكْمِ الْكِتَابِ وَحُكْمِ الْعُقُولِ
لَكُمْ مِنْهُ مَجْدٌ حَقِّي كَقِيلِ
عَلَى حَمَلِهِ كُلُّ عِبَاءٍ ثَقِيلِ
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ أَبِي عَنْ سَلِيلِ
ضَجِيعَاهُ بَيْنَ يَدَيَّ جَبْرِئِيلِ
وَأَوْدَعَكُمْ كُلَّ رَأْيٍ أَصِيلِ

قوله : « فَمِنْ حُرَّةٍ جُلَيْتَ بِالْجَلَاءِ » ... البيت ، كقول أبي عبد الله بن شرف القيرواني من جملة أبيات ٣ :

بَاتَ كَرْسِيُّهَا الْجَلَاءَ فَأَضْحَتْ
فِي ثِيَابِ الْجَلَاءِ لِلنَّاسِ تُجَلَّى

قال ابن بسام : وانتحى ابن شرف ، فيما وصف من فِتْنَةٍ قَيْرَوَانِهِ ،

١ الديوان : للحلول .

٢ في س : بغض ، والتصويب عن الديوان .

٣ ترجمة ابن شرف في القسم الرابع من الذخيرة ، انظر المطبوعة ٤ / ١ : ١٣٣ وما بعدها ؛ والبيت يقع في ص : ١٧٨ ، وراجع ترجمة ابن شرف في الوافي ٣ : ٩٧ وممجم الادباء ١٩ : ٣٧ والحرية ٢ : ٢٢٤ والمغرب : ٢٣٠ والصلة : ٥٤٥ والمطرب : ٧١ ومسالك الأبحار ١١ : ٤٣ وبغية الوعاة : ٤٧ والزركشي : ٢٧٨ وفوات الوفيات ٣ : ٣٥٩ ومعالج الإيمان ٣ : ٣٩ وعنوان الأريب ١ : ٥٦ .

مَنْحَى الْقِسْطَلْتِي فِي شَكْوَى زَمَانِهِ ، والحديث عن الفتن ، فكأثر البحر
بوشلٍ مَشْفُوهٍ ، وجارى الريح بكَوْدَنْ لَا فَضْلَ فِيهِ . وفي القسم الرابع
من هذا الديوان جملةٌ من شعره ، شاهدةٌ على ما أجريتُ من ذكره ^١ .

وقال أبو عمر في الخليفة خَيْرَانَ العامريَّ صاحبِ المِريَّةِ ، وهو متوجه
إلى سرقسطة سنة سَبْعٍ وأربعمئة ، ورأيتُ إثباتَ بعضها لحُسْنِهَا ^٢ :

لَكَ الْخَيْرُ قَدْ أَوْفَى بِعَهْدِكَ خَيْرَانَ	وبشراكَ قَدْ وَأَفَاكَ ^٣ عَزَّ وَسُلْطَانُ
هُوَ النِّجْمُ لَا يَدْعَى إِلَى الصُّبْحِ شَاهِدُ	هُوَ النُّورُ لَا يُبْغَى عَلَى الشَّمْسِ بَرَهَانُ
إِلَيْكَ شَحَنَّا الْقُلُوكَ تَهْوِي كَأَنَّهَا	وَقَدْ ذَعَرَتْ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ غُرْبَانُ
عَلَى لُجَجٍ خُضِرَ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا	تَرَامَى بِنَا فِيهَا ثَبِيرٌ وَثَهْلَانُ
مَوَائِلَ تَرَعَى فِي ذَرَاهَا مَوَائِلًا	كَمَا عُبِدَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْثَانُ
وَفِي طَيِّ أَسْمَالِ الْغَرِيبِ غَرَائِبُ	سَكَنَ شِغَافَ الْقَلْبِ شَيْبٌ وَوُلْدَانُ
يُرْدُّ دَنْ فِي الْأَحْشَاءِ حَرًّا مَصَائِبُ	تَزِيدُ ظِلَامًا لَيْلَهَا وَهَيَّ نِيرَانُ
إِذَا غِيضَ مَاءُ الْبَحْرِ مِنْهَا مَدَدْنَهُ	بِدَمْعٍ عَيُونٍ تَمْتَرِيهِنَّ أَشْجَانُ
وَلِنْ سَكَنْتَ عَنْهَا الرِّيحُ جَرَى بِهَا ^٤	زَفِيرٌ إِلَى ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ حَنَّانُ

١ إلى هنا تنتهي ترجمة ابن دراج في النسخ ما عدا س التي تنفرد بما تبقى منها؛ ويبدو
أن هذه الزيادة دخيلة لأنها فصلت بين قصيدته عن ابن حمود وبين إيراد الخبر عن علي بن
حمود نفسه .

٢ ديوان ابن دراج : ٨٦ - ٩٤ .

٣ الديوان : آواك .

٤ الديوان : النجم .

٥ الديوان : عن .

٦ الديوان : حز .

٧ الديوان : عنا ... بنا .

يَقْلَنُ وَمَوْجُ الْبَحْرِ وَالْهَمُّ وَالْدُّجَى
 أَهْلٌ إِلَى الدُّنْيَا مَعَادٌ وَهَلْ لَنَا
 وَهَبْنَا رَأَيْنَا مَعْلَمَ الْأَرْضِ هَلْ لَنَا
 وَصَرَفُ الرَّدَى مِنْ دُونِ أَدْنَى مَنَازِلِ
 تَقَسَّمَهُنَّ السِّيفُ وَالْحَيْفُ وَالْبَلَى
 كَمَا اقْتَسَمَتِ أَخَذَ أَنْتَهُنَّ يَدُ النُّوَى
 ظَعَائِنُ عُمَرَانُ الْمَعَاهِدِ مُقْفِرٌ
 هَوَتْ أُمُّهُنَّ مَاذَا هَوَتْ بِرِحَالِهِمْ
 كَوَاكِبُ إِلَّا أَنْ أَفْلَاكَ سَيَرَهَا
 فَإِنْ غَرَبَتْ أَرْضُ الْمَغَارِبِ مَوْتِي
 فَكُمُ رَحِبَتْ أَرْضُ الْعِرَاقِ بِمَقْدَمِي
 وَإِنْ بِلَادًا أَخْرَجَتْنِي لِعُطْلٍ
 سَلَامٌ عَلَى الْإِخْوَانِ تَسْلِيمٌ يَأْتِسُ^١
 نَوْدُ عِهِمْ شَجْوًا بِشَجْوٍ كَمِثْلِ مَا
 وَيَصْدَعُ مَا ضَمَّ الْوَدَاعُ تَفَرَّقُ
 إِذَا شَرَّقَ الْحَادِي بِهِمْ غَرَبَتْ بَنَا
 فَلَا مُؤْنَسُ إِلَّا شَهيقُ وَزْفَرَةٍ
 وَمَا كَانَ ذَاكَ الْبَيْنُ بَيْنَ أُحْبَةٍ
 فَيَا عَجِبًا لِلصَّبْرِ مَنَا كَأَنَّنَا
 قَضَى عَيْشَهُمْ بَعْدِي وَعَيْشِي بَعْدَهُمْ

تَمُوجُ بَنَا فِيهَا عَيْسُونَ وَأَذَانُ
 سَوَى الْبَحْرِ قَبْرُ أَوْسَى الْمَاءِ أَكْفَانُ
 مِنَ الْأَرْضِ مَأْوَى أَوْ مِنَ الْإِنْسِ عِرْفَانُ
 تَبَاهَى إِلَيْنَا بِالسُّرُورِ وَتَزْدَانُ
 وَشَطَّتْ بِنَا عَنْهَا عُصُورُ وَأَزْمَانُ
 فَهَمُّ لِلرَّدَى وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ إِخْدَانُ^١
 لَهُنَّ وَقَعَرُ الْأَرْضِ مِنْهُنَّ عُمَرَانُ
 إِلَى نَازِحِ الْآفَاقِ سُقْنُ وَأُظْلَانُ
 زِمَامُ وَرَحْلُ أَوْ شِرَاعُ وَسَكَّانُ
 وَأَنْكَرَتْنِي فِيهَا خَلِيطُ وَخِلَانُ
 وَأَجْزَلَتِ الْبُشْرَى عَلَيَّ خُرَاسَانُ
 وَإِنْ زَمَانًا خَانَ عَهْدِي لَخَوَّانُ
 وَسَقْنِيَا لِدَهْرٍ كَانَ لِي فِيهِ إِخْوَانُ
 أَجَابَتْ حَفِيفَ السَّهْمِ عَوْجَاءُ مِيرْنَانُ
 كَمَا انْشَعَبَتْ تَحْتَ الْعَوَاصِفِ أَغْصَانُ
 نَوَى يَوْمُهَا يَوْمَانِ وَالْحَيْنُ أَحْيَانُ
 وَلَا مُسْعِدٌ إِلَّا دَمُوعُ وَأَشْجَانُ
 وَلَكِنْ قُلُوبٌ فَارَقَتْهُنَّ أَبْدَانُ
 لَهُمْ غَيْرُ مَنْ كُنَّا وَهُمْ غَيْرُ مَنْ كَانُوا
 بِأَنِّي قَدْ خُنْتُ الْوَفَاءَ وَقَدْ خَانُوا

١ س : اخوان .

٢ الديوان : آيس .

وَأَفْجِيعُ بِنِ آوَى صَفِيحٍ وَجَلَدُ
وُجُوهُ تَنَاءَتَ فِي الْبِلَادِ قُبُورُهَا
وَمَا بَلِيَتْ فِي التَّرْبِ إِلَّا تَجَدَّدَتْ
هَمْ^٢ اسْتَخْلَفُوا الْأَحْبَابَ أَمْوَاجَ لَحْةٍ
ومنها :

وَلَا يَأْسُ مِنْ رُوحٍ وَفِي اللَّهِ مَطْمَعٌ
مَتَى تَلْحَظُوا قَصْرَ الْمَرِيَةِ تَنْزَلُوا^٣
وَتَسْتَبْدِلُوا مِنْ مَوْجٍ بِمَوْجٍ شَجَاكُمْ
فَتَى سَيْفُهُ لِلدِّينِ أَمْنٌ وَإِيمَانُ
فَقُصِّصَتْ سَيُوفٌ حَارِبَتُهُ وَأَيْمُنُ
وَبِالْخَيْرِ فَتَاحٌ وَبِالْخَيْرِ عَائِدُ
لَهَا الْكَرَّةُ الْغَرَاءُ عَنْ كُلِّ شَارِدٍ
وَرَدَّ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامِ زَنَاتُهَا
بِكُلِّ كَمِيٍّ عَامِرِيٍّ يَسُوقُهُ
حُلِيِّهِمْ بِيضُ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
فَأَيُّ صُقُورٍ قَلَبَتْ أَيْ أَعْيُنٍ
عُيُونُ بِهَا كَادُوا الْعَلَا^٤ فَقَقَاتُهَا

وَوَارَتْ رِمَالُ بِالْفَلَاةِ وَكُثْبَانُ
وَلَا نَهْمُ فِي الْقَلْبِ مِنِّي لَسُكَّانُ
عَلَيْهَا مِنَ الْقَلْبِ الْمُوَجِّعِ^١ أَحْزَانُ
هِيَ الْمَوْتُ أَوْ فِي الْمَوْتِ عَنْهُمْ سُلُوانُ

وَلَا بُعْدَ مِنْ خَيْرٍ وَفِي الْأَرْضِ خَيْرَانُ
بِيحْرِ نَدَى^٥ يَمْنَاهُ دُرٌّ وَمَرْجَانُ
بِيحْرِ لَكُمْ مِنْهُ لُجَيْنٌ وَعَقِيَانُ
وَيَمْنَاهُ لِلْأَمَالِ^٦ رَوْحٌ وَرِيحَانُ
وَشَاهَتْ وَجُوهُ فَاخْرَتُهُ وَتَبِيجَانُ
وَبِالْخَيْلِ طَعَانُ^٧ وَلِلْخَيْلِ طَعَانُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ مِنْهَا دِيَارٌ وَأَوْطَانُ
كَمَا انْقَلَبَتْ يَوْمَ الْهَبَاءَةِ دُيَّانُ
لَحَرِّ الْوَعْيِ قَلْبٌ عَلَى الدِّينِ حَرَّانُ
لَهَا وَحُلَا^٨ هُمْ سَابِغَاتُ وَأَبْدَانُ
إِلَى أَيِّ لَيْثٍ رَدَّهَا وَهِيَ خِلْدَانُ
فَهُمْ فِي شَعَابِ الرُّشْدِ وَالْغَيِّ عَمِيَانُ

١ الديوان : المفعج .

٢ قبل هذا البيت في س : ومنها ، ولكن لا حذف هنالك .

٣ الديوان : تظفروا .

٤ الديوان : حصى . ه س : بموج .

٥ س : وإيمانه للأهل ، وهو خطأ .

٦ الديوان : الهدى .

وما لهم في ظلمة بعد كوكب
 يضيئ بهم رُحْبُ القُصُورِ وودهم
 وأنسيتهم حمل القنا، فسلّاحهم
 وأننى لفل القبط في مصر موئيل
 حضرت لهم في يوم قبرة بالقنا
 يطير بها هام وتسرّ وناعب
 فلو نُسِر الأملاك يومك فيهم
 ولو ردّ في المنصور روح حياته
 وناديت للهجاء أبناء ملكه
 جبال إذا أرسيت حومة الوغى
 كائب بل كتب بنصرك سطررت
 هو السيف لا يرتاب أنك سيفه
 واسمّر يسري في بحار من الردى^١
 تلاً نوراً من سناك سينائه
 فله ماذا أنجبت منك عامر
 ولله منّا أهل بيت رمتهم^٢
 وكلهم يزهى على الشمس بالضحى^٣
 وقد زاد أبناء السبيل وسيلة^٤

وما لهم في مقلّة بعد إنسان
 لو احتازهم عنها كهوف وغيران
 عليك - إذا لا قولك - ذل وإذعان
 وقد غيل فرعون وأهلك هامان
 قبوراً هواء الجو منهن ملان
 ويعدو بها ذئب وذبح وسرحان
 لألقى إليك التاج كسرى وخاقان
 غداة لقيت الموت والموت غرثان^١
 فلباك آساد عبيد وفتيان
 وإن تدعهم يوماً إليها فعقبان
 ووجنهك « بسم الله » والسيف عنوان
 إذا نازل الأقران في الحرب أقران
 بيمنك لكن يغتدي وهو ظمان
 وقد دعت الفرسان للحرب فرسان
 ولله ماذا ناسبت منك قحطان
 إلى يدك العليا بحور وبلدان
 وبدر الدياجي أنهم لك جيران
 وحلّوا فزادوا أنهم لك ضيفان

١ الديوان : شهد .

٢ الديوان : عريان .

٣ الديوان : التلى .

٤ الديوان : في الضحى .

٥ س : راد ... فرادوا .

فَمَا قَصَّرَتْ بِي عَنْ عِلَاكَ شَفَاعَةً^١ وَلَا بِيكَ عَنْ مِثْلِي جِزَاءً^٢ وَإِحْسَانًا

إِيحَازَ الْخَبَرِ عَنْ إِمَارَةِ^٣ عَلِيٍّ بْنِ حُمُودٍ الَّذِي ذَكَرَ^٤

قال أبو مروان : هو علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن [بن حسن] بن علي بن أبي طالب ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وذكر ابن قتيبة^٥ أن نقرأ من ولد إدريس بن عبد الله بن حسن أيام طليحة الرشيد فحبسه عند جعفر بن يحيى فرأوا إلى المغرب فوقوا ببلاد إفريقية ، ثم رقصتهم^٦ آفاقها إلى طرف بلاد البربر^٧ فنكحوا إليهم وتبربروا معهم^٨ .

قال أبو الحسن : وقد بلغني أن عقبهم إلى اليوم هناك . وقد قدّمت فيما نقلته من كتاب ابن حبان في أخبار الخليفة سليمان السبب الذي أوطأ لعل ابن حمود ثبجها ، وأوضح له منهبجها ، حتى خرج من عمائها^٩ ، وعرج إلى سمائها ، ونكتب هاهنا ما نصّه أيضاً أبو مروان من كيفية^{١٠} مقتله وخبره ، بقرطبة أوله وآخره ، بعد أن نبرأ من التطويل ، ونحذف إن احتجنا إلى ذلك بعض الفصول .

١ ط : إمارة .

٢ ترجمة علي بن حمود وأخباره في جذوة المقتبس : ٢١ والبيان المغرب ٣ : ١١٩ - ١٢٤ والمعجب : ٩٨ وجمهرة ابن حزم : ٥٠ - ٥١ وأعمال الاعلام : ١٢٨ وابن خلدون : ٤ : ١٥٢ ونفع الطيب ١ : ٤٣١ ، ٤٨٢ وبروفنسال ٢ : ٣٢٦ والصوفي (نهاية الخلافة الأموية) : ٢٥٦ ودوزي (Spanish Is.) : ٥٦٢ .

٣ س : القتيبي .

٤ س : لغظتهم .

٥ س : إلى طرف من بلاد المغرب .

٦ وتبربروا معهم : سقطت من ط .

٧ س : شرح .

٨ ط : غمائها .

قال ابن حبان^١ : بُويعَ عليُّ بن حمّود في بابِ السُدّةِ من قِصْرِ قرطبة يومَ الاثنينِ لِسَبْعٍ بَقِيْنَ لِمَحَرَّمِ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، ثانيَ اليومِ الذي أَدْرَكَ فِيهِ بَثْرُ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ ؛ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ عَنْ بَيْعَتِهِ ، وَوَصَلُوا إِلَيْهِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، فَكَرَّرَ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَجْمَلَ خِطَابَهُمْ ، وَتَسَمَّى لِسَيِّمِهِ مِنَ الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ^٢ بِالنَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ : لَقِبٌ^٣ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ أَبُو أَحْمَدَ بْنَ الْمُتَوَكِّلِ الْعَبَّاسِيُّ بِالْمَشْرِقِ ، وَتَبِعَهُ فِيهِ أَيْضاً ؛ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْأَفْقِ^٤ .

وَلَمَّا صَارَتْ لِعَلِيِّ بْنِ حَمُودٍ الْخِلَافَةُ^٥ تَقَدَّمَ مِنَ الْقَهَرِ لِلنَّاسِ بِالْغَلْبَةِ وَالْإِرْهَابِ لَهُمْ بِمَا خَامَرَ الْقُلُوبَ مِنْ هَوْلِ سَطْوَتِهِ ، وَلَا سِيَّامَا بِرَأْيَرِهِ^٦ الْعَسْكَرِ لِمَا أَحْلَى بِهِمْ مِنَ الذُّلِّ وَالْقَتْلِ فَدَهَشُوا مِنْهُ ، وَقَادَهُمْ مُدَيَّدَةٌ قَوْدَ الْإِبِلِ الْمَخْطُومَةِ ، وَأَعْدَى عَلَيْهِمُ الْخَصُومَ ، حَتَّى صَارَ أَقْلُ الرَّعِيَّةِ يَرْفَعُ أَعْنَائَهُمْ إِلَى الْحُكَّامِ بِمَا شَاءَ مِنْ وَجْهِ الدَّعَاوَى فَتَجَرَّى عَلَيْهِمُ الْأَحْكَامُ ؛ فَبَرَقَتْ لِلْعَدَلِ يَوْمُئِذٍ بَارَقَةٌ خُلِبَتْ لَمْ تَكْدُ تَقْدُ حَتَّى خَبَتْ ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ الْبَرَابِرَ^٧ أَطْوَعُ خَلْقَ اللَّهِ^٨ لِمَنْ أَخَافَهُمْ . وَجَلَسَ عَلِيُّ بْنُ نَفْسِهِ لِمِظَالِمِ النَّاسِ ، وَهُوَ مَفْتُوحُ الْبَابِ ، مَرْفُوعُ الْحِجَابِ ، لِلْوَارِدِ وَالصَّادِرِ ، يُقِيمُ الْحُدُودَ مُبَاشَرًا بِنَفْسِهِ ، لَا يُحَاشِي أَحَدًا مِنْ أَكْبَارِ قَوْمِهِ . فَانْتَشَرَ أَهْلُ قُرْطُبَةَ

١ قارن البيان المغرب ٣ : ١٢٢ .

٢ س : الأسماء الخلافية .

٣ س : وهو اسم .

٤ ط : قبله .

٥ س : صاحب الأندلس .

٦ ط : ولما صارت الخلافة إليه .

٧ ط : بربر .

٨ ط : أطوع البشر .

في الأرض ذات الطول والعرض^١ ، وسُلِكَتِ السُّبُلُ وَرَخَا السَّعَرُ ،
وَأَرْقَتُوا الْأَغْذِيَّةَ وَشَامُوا النَّسَاءَ وَطَلَبُوا النَّسْلَ ، وكان أكثرهم يقولُ
بالعزلة ، واتخذوا الحلدواءَ على طولِ عهدِ بها ، وَرَجَوُا الإقالةَ فخانهم
الأمْلُ عما قليل ، وارتكسوا في المحنة .

ومن بعض ما جرى في مجلسٍ له من مُباشرتِه^٢ إقامة الحدودِ بنفسه ،
وجلسه حيث لم يجلس قط خليفة^٣ أنه قدّمَ إليه عِصَابَةٌ من البرابر الأكابر
في جرائمَ تَجَاوَزَتْ حَدَّ النِّكَالِ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ^٤ ، وعشائرهم
يَنْظُرُونَ خِفْوةً لَا يَنْبَسُونَ^٥ ، ولا يجسرون عليه في شفاعته . وبهذا
المجلسِ وشيئهِ ما فُتِنَ أَهْلُ قَرْطَبَةِ بَابِنِ حَمُودٍ أَشَدَّ فِتْنَةٍ .

وخرج يوماً على بابِ عامرٍ فالتقى بفارسٍ من البرابر قدّامةُ حِمْلُ
عَنْبٍ ، فاستوقفه وقال له : من أين لك هذا الْعَنْبُ ؟ قال : أَخَذْتُهُ كَمَا
يَأْخُذُ النَّاسُ ؛ فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ وَسَطَ الْحِمْلِ ، وطيف
به البلدُ كُلُّهُ . وكلُّ أَفْعَالِهِ كانت حسنةً عند الرّعيّةِ إلى أنْ أَوْقَعَهُمْ فِي
أَعْظَمِ بَلِيَّةٍ .

وكان عليُّ بن حمود تَلِفَاعَةً^٥ ، شديدة الإصابة بعينه ، لا يكادُ

١ سقط في ط من هذا النص قوله : « وهو مفتوح الباب » ، « للوارد والصادر » ، « في
الأرض ذات الطول والعرض » ما يشير إلى طبيعة هذه النسخة التي تعتمد الإيجاز كثيراً وبخاصة
إن كان النص منقولاً عن ابن حيان ؛ وعلى هذا سأقلل من الإشارة إلى ما ينقصها في سائر
الكتاب ، اقتصاداً واكتفاءً .

٢ ط : مباشرة .

٣ س : رقابهم .

٤ ط : ينتسبون .

٥ ط : بعينه .

يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ عَلَى شَيْءٍ يَسْتَحْسِنُهُ إِلَّا أَسْرَعَتْ الْآفَةُ إِلَيْهِ ؛ وَلَهُ فِي ذَلِكَ نَوَادِرُ عَجَبِيَّةٌ ، وَلَرُبَّمَا قَالَ لِلنَّفِيسَةِ ١ مِنْ نِسَائِهِ : وَارِي عَاسِنَكَ عَنْ عَيْنِي مَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنِّي شَاحَ عَلَيْكَ مِنْ عَيْنِي ، وَأَنَا أَحَبُّ الْاسْتِمْتَاعِ بِكَ ، أَوْ كَلَاماً هَذَا مَعْنَاهُ ، أَخَذَتْهُ عَنْ حَظِيَّةٍ لَهُ زَادَتْني مِنْ عَجَائِبِهِ .

وَاسْتَمَرَّ مَعَ أَهْلِ قَرْطَبَةِ نَحْواً مِنْ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ فِي أَحْسَنِ عِشْرَةٍ ، ثُمَّ آنَسَ مِنْهُمْ الْكَرَاهِيَةَ لِدَوْلَتِهِ . وَبَلَغَهُ أَيْضاً قِيَامُ الْمُرْتَضَى بِشَرْقِي الْأَنْدَلُسِ فَعَزَمَ عَلَى إِبَادَةِ أَهْلِ قَرْطَبَةِ وَإِخْلَاقِهَا ، فَلَا يَعُودُ لِأَثْمَتِهِمُ الْمُرَوَانِيَّةِ سُلْطَانٌ آخِرَ الدَّهْرِ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى سَاحِلِهِ ، وَيَجْمَعُ شَمْلَ بَرَابَرَتِهِ ، فَيَضْرِبُ بِهِمْ جَمِيعَ الْأَنْدَلُسِ . فَانْقَلَبَ سَرِيعاً عَنْ التَّجَمُّلِ الَّذِي كَانَ يُظْهِرُهُ لَهُمْ ٢ وَانْصَرَفَ إِلَى حَزْبِهِ الْبَرْبَرِيِّ فَأَثَرَهُ ، وَأَغْضَى عَلَى سُوءِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْحَيْفِ ، فَوَقَعَ أَهْلُ قَرْطَبَةِ وَغَيْرِهِمْ فِي حَالَتِهِمْ مُدَّةَ سَلِيمَانَ ، مِنْ اسْتِظَالَتِهِمْ عَلَيْهِمْ . وَصَبَّ عَلَى أَهْلِ قَرْطَبَةِ ضَرْباً مِنَ التَّنْكِيلِ وَالْمَغَارِمِ ، وَانْتَزَعَ السِّلَاحَ مِنْهُمْ ، وَهَدَمَ دُورَهُمْ ، وَقَبَضَ أَيْدِيَ الْحُكَّامِ عَنْ إِنْصَافِهِمْ ، وَأَغْرَمَ عَامَتَهُمْ ، وَتَوَصَّلَ إِلَى أَعْيَانِهِمْ بِأَقْوَامٍ مِنْ شِرَارِهِمْ ، فَفَتَحُوا لَهُ أَبْوَاباً مِنَ الْبَلَايَا أَهْلَكَ ٣ بِهَا الْأُمَّةَ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالسَّعَايَةِ ، وَقَرَنَ بِجَمِيعِ النَّاسِ الْأَشْرَاطَ ، وَوَكَّلَ بِهِمُ الضَّمْغَاطَ ، فَمَا شِئْتَ مِنْ مُكْشَفٍ عَنْ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ ، مَتَلُولِ الْجَبِينِ مُذَالِ الْقَدَالِ ٤ ، قَدْ صَارَ شَطَرُ النَّاسِ أَشْرَاطاً عَلَى سَائِرِهِمْ ، فَلَمَّا تَلَقَّى أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِمُوكَلٍّ عَلَيْهِ ٥ ، حَتَّى

١ ط : لنفيسة .

٢ س : لأهل الأندلس .

٣ س : أهلكوا .

٤ ط : مزال العدا .

٥ ط : إلا بموكلين .

كَأَنَّ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ بَدَوْا لِلْأَبْصَارِ ، فَأَخَذَتْ عَلَى النَّاسِ
الْأَفْطَارَ ، فَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا وَأَبْلِسَ أَهْلُهَا وَغَشِيَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا
غَشِيَهُمْ ، فَكَزَمُوا الْبُيُوتَ ، وَتَطَمَّرُوا فِي بَطُونِ الْأَرْضِ ، حَتَّى قَلَّ
بِالنَّهَارِ ظُهُورُهُمْ وَخَلَّتْ أَسْوَاقُهُمْ ، فَإِذَا دَنَا الْمَسَاءُ وَكَفَّ الطَّلَبُ عَنْهُمْ ،
انْتَشَرُوا تَحْتَ الظَّلَامِ لِبَعْضِ حَاجَتِهِمْ .

وَامْتَحَنَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ ، مِمَّنْ خَدَمَ فِي مَدَةِ سُلَيْمَانَ ،
فَاعْتَقِلُوا وَصُودِرُوا بِأَمْوَالٍ . وَامْتَحَنَ بَعْضُهُمْ بِالضَّرْبِ حَتَّى صَانَعُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ بِجُمْلَةٍ مِنَ الْمَالِ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمِيرًا^١ بِإِطْلَاقِهِمْ ؛ فَلَمَّا أُحْضِرَتْ
دَوَابُّهُمْ لِلرَّكُوبِ ، قُبِضَتْ^٢ جَمِيعُهَا ، وَانْطَلَقَ الْقَوْمُ رَجُلًا إِلَى بَيْتِهِمْ ،
فَكَانَتْ عَنْدهُمْ أَعْظَمُ آفَةٍ جَرَتْ عَلَيْهِمْ ؛ وَكَانَ مِنْهُمْ أَبُو الْحَزْمِ ابْنُ جَهْمُورٍ ،
وَأَحْمَدُ بْنُ بُرْدٍ الْأَكْبَرُ وَغَيْرُهُمَا . فَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ أَخْبَارِهِ ، فِي حَالِي
صَلَاحِهِ وَفَسَادِهِ ، وَوَقْتِي رِضَاهُ وَسُخْطِهِ .

كَيْفِيَّةُ مَقْتَلِهِ^٣

فَلَمَّا شَتَّتَتْهُ الْقُلُوبُ ، وَانْتَقَلَتْهُ الْأَوْزَارُ ، وَالتَّقَتْ عَلَيْهِ الْأَكْفُفُ ،
وَحَلَّصَتْ فِيهِ النُّجُوى ، وَتَوَالَى عَلَيْهِ الدُّعَاءُ ، نَظَرَ اللَّهُ إِلَى عِبَادِهِ ، وَسَلَّطَ
عَلَيْهِ أَوْعَفَ الْخَلِيقَةِ : صَبِيحَانَا أَغْمَارًا مِنْ صِقَالِبَةِ بَنِي مُرَوَانَ كَانُوا أَقْرَبَ النَّاسِ
إِلَيْهِ ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ حُرْمَتِهِ ، وَأَحْفَرَهُمْ فِي عَيْنِهِ ، جَسَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
عَلَى الْوُثُوبِ عَلَيْهِ بِمَوْضِعِ أَمْنِهِ ، فِي حِمَامٍ قَصْرِهِ^٤ ، لَا عَنْ مُوَاطَاةٍ مِنْ

١ ط : وأمروا . ٢ ط : قبض .

٣ لم يرد هذا العنوان في ط ؛ وقارن بالبيان المغرب ٣ : ١٢٢ .

٤ س : جسرهم الله تعالى على موأبته في قصره وموضع محله وأمنه .

أحدٍ إلا ما ألقاهُ الله تعالى في نفوسهم له ، وكانوا ثلاثةً من الصَّقَلَبِ رُفَقَاءَ ،
 فيهم وصيفٌ حَسَنُ الوجهِ جدًّا كان يَخِفُّ عليه اسمُهُ : مُنْجِجٌ وليبٌ
 وعجيبٌ ؛ دَبَّرُوا جميعاً عليه ففَقَعَتْلُوهُ ليلاً غُرَّةَ ذي القَعْدَةِ من سنة ثمانٍ
 وأربعمائة ، وقد دخل الحمامَ سَحَرًا فابتدرهُ مُنْجِجٌ بِكُوبٍ نُحَاسٍ
 ثَقِيلٍ صَبَّهَ على رأسِهِ ٢ ، فَشَجَّهَ فغُشِيَ عليه ، ونادى صاحِبِيهِ
 فودَّجُوهُ ٣ بالخناجِرِ حتَّى بَرَدَ ، وسَدَّوا عليه بابَ الحمامِ ، وتَسَلَّلُوا
 وصَعِدُوا إلى سَقْفِ بَعْضِ القصور ، وَكَمَنُوا في مَخَابِ هُنَاكَ كانوا
 يَعْرِفُونَهَا فلم يُحَسِّ بِهم . ولَمَّا اسْتَطَالَ نَسَاؤُهُ بقاءُهُ بالحمامِ دخلنَ
 عليه ، فلم يَرُعْهُنَّ ؛ إلا مَسِيلُ دَمِهِ ، وهو قَتِيلٌ مُمَزَّقٌ الإهابِ . ولم
 يَسْتَقِمْ النَّهَارُ حتَّى صَحَّ عِنْدَ النَّاسِ مَقْتَلُهُ وخَبِرَ الْفَتَاكَ بِهِ ؛ ففَرَّجَ
 عَنْهُمْ غَمَّ عَظِيمٍ ، وَابْتَهَلُوا بِشُكْرِ خَالِقِهِمْ .

واجتمعتُ زَنَاتُهُ ووجَّهُوا من حينهم إلى أخيه القاسمِ صاحبِ إشبيلية ٥
 يومئذٍ ، فوافى قرطبةَ رَسولُهُ لِيَقِفَ على صِحَّةِ وفاةِ أخيه بِالْمَعَانِيَةِ ٦ ،
 وخافَ أن تكونَ حيلةٌ مِنْهُ عليه هُنَاكَ ، فَكُشِفَ لَهُ عَنْهُ وَتَحَقَّقَتْ ، فأنكَفَأَ ٧
 إلى صاحِبِهِ ، وَلَحِقَ القاسمُ فَأُخْرِجَ إِلَيْهِ جَسَدُ أَخِيهِ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَأَمَرَ
 بِإِنْفَاذِهِ ٨ إلى مَدِينَةِ سَبْتَةِ فَدُفِنَ بِهَا .

١ س : بدروا .

٢ س : هامته .

٣ س : فضر به .

٤ ط : واستطال ودخل عليه فلم يرعهم ... الخ .

٥ ط : إلى اشبيلية عن أخيه القاسم .

٦ ط : ليقف على صحة ذلك .

٧ ط : فانكف .

٨ ط : فصل عليه وأنفذه .

كانت مُدَّةُ علي بن حمود - من يوم قتل سليمان إلى يوم قتل - واحداً وعشرين شهراً وسبعة أيام ؛ فانقضى أمرُ علي على هذه السَّيْلِ ، وصار خامساً لمُغتتالي جبابرة الملوك في الإسلام بأيدي عبيدِهِم وأتباعِهِم في الحمام خاصَّةً : أحدهم الفضل بن سهل ذو الرِّياسَتَيْنِ وزيرُ المأمون ، ثمَّ أبو سعيد الجنابي^٢ صاحبُ القرامطة ، ثمَّ الديلمي المنتزي باصهبان بعد الثلاثمائة^٣ ، ثمَّ ناصرُ الدولة الحسن بن حمدان المنتزي بالموصل وأعمالِها في تلك المُدَّة ؛ وآخرُهُم علي بن حمود هذا المنتزي بالأندلس بعد الأربعمئة ، معَ مَزِيَّتِهِ عليهم براءة الشرفِ وحُرْمَةِ القِرابَةِ ، فاعتدى علي في ذلك القِرانِ بسوءِ مصارعِ هؤلاء المبعوثين آيةً وموغةً . على أن قتلَ الملوك والأئمة بأيدي الفحول من عبيدِهِم وأصحابِهِم - من غير هذا النمط وعلى خلافِ هذا - كثيرٌ يشقُّ إحصاؤَهُم والله أعلمُ بأنبيائِهِم البالي سرائِرَهُم . وكان الأغلب على علي بن حمود السَّخاءُ والشَّجاعةُ على عَطُولِهِ من الفَهْمِ والمعرفة ، وبراءَتِهِ^٤ من الخيَرِ جُمْلَةً .

١ ط : إلى أن .

٢ ط س : الجياني .

٣ هذا الديلمي المنتزي بعد الثلاثمئة هو مرداويج بن زيار - فيما أقدر - وقد استولى على أصهبان وحاول الأتراك قتله في الحمام سنة ٣١٥ وظنوا أنهم فوضوا عليه ، ولكنه عاش بذلك (انظر تكملة تاريخ الطبري : ٥١) .

٤ ط : برازقه .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي حفص بن بُردٍ الأكبر
وإثبات جُمْلَةٍ ما انتخبته من نَظْمِهِ ونَثْرِهِ ،
مع ما يتعلق¹ بذكره² :

قال أبو الحسن : كان أبو حفصٍ في ذلك الأوانِ واسطةَ السِّلَكِ ،
وقُطِبَ رَحَى المُلْكِ ؛ استقلَّ ببهائه وجلاله ، ورَفَلَ في بُكْرِهِ وآصالِهِ ،
وبرَزَ على نَظَرَاتِهِ وأشكالِهِ . وبنو بُردٍ يَنْتَمُونَ لبني شُهَيْدٍ بالولاء .

وقُلِّدَ أبو حفصٍ هذا ديوانَ الإنشاءِ بعد ابنِ الجزيري³ ثم كتب عن
سليمان المستعين وغيره من أمراءِ الفتنَةِ فأسْمَعَ الصُّمَّ بياناً ، واستَنَزَلَ العُصَمَ
إبداعاً وإحساناً ؛ وقد أَخْرَجْتُ من رسائلِهِ ، ما يُعْرِبُ عن فضائلِهِ ،
ويُوضِّحُ مشهورَ دلائلِهِ⁴ ؛ وكانت وفاته بسرقِطة سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةِ
وأربعمائة ، وقد نَيْفَ على الثمانين .

١ ط : تعلق .

٢ الأخبار عن أبي حفص أحمد بن برد قليلة إذ له ترجمة موجزة في الجذوة : ١١١ (البغية
رقم : ٣٨٧) وعلى الجذوة اعتمد ابن بشكوال في الصلة : ٢٤ وقد مر ذكره في البيان
المغرب لصلته بالكتابة عن عبد الملك المظفر ابن المنصور ثم عن غيره حتى عهد يحيى بن
علي بن حمود .

٣ هو عبد الملك بن ادريس الجزيري (- ٣٩٤) ، كان كاتباً في دولة المنصور بن أبي
عامر ، ثم حبس في إحدى القلاع الأندلسية ، وله رسائل وأشعار كثيرة (انظر ترجمته
في الجذوة : ٢٦١) (البغية رقم : ١٠٥٨) والمطمح : ١٣ والصلة : ٣٥٠ واعتاب الكتاب
١٩٣ والمغرب ١ : ٣٢١ واليتيمة ٢ : ١٠٢ والنفح ؛ وسيدكره ابن بسام في القسم
الرابع من الذخيرة .

٤ جاء في النسخة ط : « ولم أجد حين إخراج هذه النسخة من رسائله إلا ما لا يكاد يعرب
ولا يوضح مشهور دلائله ، وقد أثبت منها على ذلك بعض ما ألفيته هنالك » ، ويبدو أن
العبارة المثبتة بدلا من رواية ط تمثل عهداً تالياً، حين أتيح لابن بسام العثور على عدد من
رسائله يمثل صورة أوضح عن نمته النثري .

ما أخرَجَتْهُ من ديوانِ رَسائله في أوصافٍ مختلفة

فصولٌ له من العهد المعقود^١ للناصر عبد الرحمن بن أبي عامر^٢ :

هذا ما عهد به أمير المؤمنين هشام^٣ المؤيد بالله — أطل الله بقاءه — إلى الناس عامة ، وعاهد الله عليه من نفسه خاصة ، وأعطى به صفة يمينه ، ببيعة تامة ، بعد أن أمنن النظر ، وأطل الاستخارة ؛ وأهمه ما جعل الله له من إمامة المسلمين ، وعصب به من إمرة المؤمنين ، واتقى حلول القدر بما لا يؤمن ، وخاف نزول القضاء^٤ بما لا يصرف ، وخشي — إن هجم محتوم ذلك عليه ، ونزل مقدوره به ، ولم يرفع هذه الأمة علماً تأوي إليه ، ولم يوجرها ملجأ تنعطف عليه — أن يكون بقاء الله تعالى مفترطاً فيها ، ساهياً عن أداء الحق إليها . وتقصى عند ذلك طبقات الرجال من أحياء قريش وغيرها ، ممن يستحق أن يستند الأمر إليه ، ويعول في القيام به عليه ، ممن يستوجب بدنيه وأمانته وهديه ورعيه^٥ ، بعد اطراح الهواة ، والتبرؤ من الهوى ، والتحرر للحق ، والتزلف إلى الله تعالى بما يرضيه ، وإن قطع الأواصر وأسخط الأقارب ، علماً أن لا شفاعة عنده أعلى من العمل الصالح ، [وموقناً أن لا وسيلة إليه أركى من الدين الخالص] ؛ فلم يجد أحداً هو أجدر أن

١ س : فصل : عهد عقد هشام .

٢ ورد هذا المقد في البيان المغرب ٣ : ٤٤ وتاريخ ابن خلدون ٤ : ١٤٨ وأعمال

الاعلام ٩١ ونفح الطيب نقلا عن ابن خلدون ١ : ٤٢٤ .

٣ ط : القدر .

٤ ط : ونفص ، وآثرنا ما جاء في المصادر ، وفي البيان : ونظر .

٥ ط : ومن .

٦ ط : ورعته ؛ النفخ : وصيائته .

يُقْلَدَ عَهْدَهُ ، وَيُقَوَّضَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ إِلَيْهِ بَعْدَهُ ، فِي فَضْلِ نَفْسِهِ ، [وَكَرَمِ خَيْمِهِ] ، وَشَرَفِ مَرْكَبِهِ ^١ ، وَعُلُوِّ مَنَصِبِهِ ، مَعَ تَقْوَاهُ وَعِفَافِهِ ، وَمَعْرِفَتِهِ وَإِشْرَافِهِ ، وَحَزْمِهِ وَثِقَافِهِ ، مِنَ الْمَأْمُونِ الْغَيْبِ ، النَّاصِحِ الْجَيْبِ ، النَّازِحِ عَلَى كُلِّ عَيْبٍ ، نَاصِرِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْمُطَرِّفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَفَقَهُ اللَّهِ .

وفي فَضْلِ مِنْهُ : مَعَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — أَيْدَهُ اللَّهُ — بِمَا طَالَعَهُ مِنْ مَكْنُونٍ ^٢ الْعِلْمِ ، وَوَعَاهُ مِنْ مَخْزُونِ الْأَثَرِ ، أَمَلَّ أَنْ يَكُونَ وَلِيَّ عَهْدِهِ الْقَحْطَانِيُّ الَّذِي حَدَّثَ عَنْهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ بِتَحْقِيقِ مَا أَسْنَدَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعِصَاهُ » . فَلَمَّا اسْتَوَتْ لَهُ بِهِ الْأَخْبَارُ ، وَتَقَابَلَتْ عَنْدهُ فِيهِ الْآثَارُ ، وَلَمْ يَجِدْ عَنْهُ مَذْهَبًا ، وَلَا إِلَى غَيْرِهِ مَعْدَلًا ، خَرَجَ إِلَيْهِ عَنْ تَدْبِيرِ الْأُمُورِ فِي حَيَاتِهِ ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ .

وله فصل من رُقْعَةٍ كَتَبَهَا ^٣ عَنِ الْمُظَفَّرِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ يَقُولُ فِيهَا : وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ ^٤ مَا يَجْتَرِءُ عَلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ خِدْمَتِنَا مِنْ نَبَذِ عَهْدِنَا إِلَيْهِمْ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ، وَحُلِّ عُقُودِنَا عَلَيْهِمْ بَعْدَ تَشْدِيدِهَا ، سَاهِينَ عَمَّا يَتَعَرَّضُونَ لَهُ مِنَ النَّقْمَةِ ، لَا يَحْذَرُونَ وَقُوعَ الْمَحْذُورِ ، وَلَا

١ النفح : مرتبته .

٢ ط : أمور مكنون .

٣ ط : وله من أخرى .

٤ ط : ومن أعجب العجب .

يَسْتَوْقِعُونَ حلولَ التَّغْيِيرِ ، قد وَلَّهَ أَفْنِدَتَهُمْ جَهْلُ الْوَاجِبِ ، وِرَانِ
 عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا أَضَاعُوهُ مِنَ الْحَقِّ ، فلم يَرْجُوا اللَّهَ وَقَارَأَ ١ ، ولا وَقَوْا
 سُلْطَانَهُ ٢ إجلالاً وإكباراً . وقد قال بعضُ السَّلَفِ الصَّالِحِ : إِنَّ مِنْ
 إجلالِ اللَّهِ إجلالَ السُّلْطَانِ عَادِلًا كَانَ أَوْ جَائِرًا . ولا أَحْسَبُ الَّذِي غَرَّهَمُ
 بِنَا ، وَجَرَّأَهُمْ عَلَيْنَا ، إِلَّا مَا وَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا مِنَ الْحِلْمِ مَعَ الْمَقْدَرَةِ ٣ ،
 وَالكَظْمِ عِنْدَ الْحَفِظَةِ . وذلك وَإِنْ كَانَ سَجِيَّةً غَالِبَةً ، وَخَلِيقَةً لَازِمَةً ،
 فَرُبَّ شَنْعٍ تَحْتَ خَيْلٍ ٤ النِّعْمَاءِ ، وَغَصَصٍ فِي شَهْيِ الْغَدَاءِ ، وَشَرَقٍ
 فِي نَمِيرِ الْمَاءِ . وَبَيْنَ أَيْدِيكُمْ - مَعَشَرَ الْخِدْمَةِ - ولا أَخْصُ بُدَائِي صَغِيرًا
 وَلَا كَبِيرًا ، وَلَا أَغْنِي بَعِيدًا دُونَ قَرِيبٍ ، وَلَا أَنْبَهُ غَائِبًا دُونَ شَاهِدٍ ،
 وَنُصَبَ أَعْيُنِكُمْ ، وَحَشَوْا أَسْمَاعَكُمْ عَهْدُ الْمَنْصُورِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
 مَ يَقْدُمُ زَمَانُهُ فَيُنْسَى ، ولا أَتَتْ دُونَهُ الدُّهُورُ فَيَبْئَلَى ، ثَابِتٌ عَلَى
 جَمَاعَتِكُمْ ، وَلَا زَمٌ لِكَا فِتْيَتِكُمْ ، مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍّ ، وَدَانٍ وَشَاحِطٍ ؛
 عَذْرُهُ التَّوْبِيخُ بِاسْتِكْثَابِ الْجَهْلَةِ ، وَاسْتِعَانَةِ الضَّعْفَةِ ، وَاسْتِكْفَاءِ الْعَجْزَةِ ،
 مَنْ قَلَّتْ مَعْرِفَتُهُ ، وَاتَّضَعَتْ هِمَّتُهُ ، فلم يَبْلُغْ أَنْ يُحْكِمَ الْخَطَّ
 يَتَّقِمَ حُرُوفَهُ ، وَيُرَاعِيَ الْمَدَادَ فَيَجِدَ صَنْعَتَهُ ، وَيُمَيِّزَ الرَّقَّ فَيُحْسِنَ
 خُتْيَارَهُ ، وَعَجْزُهُ الْحَزْمُ النَّافِذُ وَالْحُكْمُ الصَّادِعُ ، بَأَنْ تَكُونَ صُدُورُ
 كُتُبِ الْاِعْتِرَاضَاتِ وَعُنُودَاتِهَا وَتَوَارِيخُهَا وَالْأَعْدَادُ فِي رُؤُوسِ رُسُومِهَا ،
 نَطُوطُ أَيْدِي الْقَوَادِ وَالْعُمَالِ ، مِنْ كَانَ مِنْهُمْ كَاتِبًا فَيَبِيدُهُ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَاتِبًا

١ إشارة إلى الآية : ١٣ من سورة نوح « ما لكم لا ترجون لله وقاراً » .

٢ ط : سلطانهم .

٣ س : القدرة .

٤ ط : سبع ... محيل .

فِيخَطَّ كَاتِبٌ لَهُ مَعْرُوفٌ ، وَأَنْ تَكُونَ تَسْمِيَةً طَبَقَاتِ الْأَجْنَادِ فِيهَا قَائِمَةٌ
الْخُطُوطِ بَيِّنَةً الْحُرُوفِ ، وَفِي تَضَاعِيفِهِ أَلِيَّةٌ نَحْنُ أَوَّلَى مَنْ أَبْرَهَا ، وَوَفَى
بِهَا ؛ عَلَى أَنَّهُ إِنْ وَرَدَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخِدْمَةِ بَعْدَ وَصُولِ ذَلِكَ الْعَهْدِ إِلَيْهِ كِتَابٌ
اعْتَرَضَ أَوْ عَمَلٌ فِي رَقٍّ رَدِّيٍّ ، بِمَدَادٍ دَنِيٍّ ، أَوْ خَطٍّ خَفِيِّ ، فِيهِ لَحْنٌ
أَوْ كِتَابٌ عَلَى بَشَرٍ فِي عَدَدٍ أَوْ رَأْسٍ رَسْمٍ مَا لَمْ يَخْفُفْ أَوْ يَقَعُ فِي حَشْوِ
الْكِتَابِ وَيَعْتَذِرُ مِنْهُ ، لَيَبْطُلَنَّ سَعْيُ كَاتِبِهِ فِيمَا كَتَبَ ، وَلَيُعَاجِلَنَّ
بِعُقُوبَةِ الْعَزْلِ وَإِغْرَامِ الْمَالِ الثَّابِتِ عَدَدُهُ فِي ذَلِكَ الْقَنْدَاقِ ٢ .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَإِنْ قَوْمًا مِنَ خِدْمَةِ الْحَضْرَةِ ٣ قَدِ
عَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ ، فَكُتِبُوا الْخَطُّ الدَّقِيقَ فِي دَنِيٍّ الرَّقِّقِ ٤ ،
دِقَّةً مِنْ هِمَمِهِمْ ، وَدَنَاءَةً فِي اخْتِيَارِهِمْ ، وَجَهْلًا بِأَنَّ
الْخَطَّ جَاهُ الْكِتَابِ ، وَسِلْكُ الْكَلَامِ ، بِهِ يُنْظَمُ مَنُثَرُهُ ، وَتُفَصَّلُ شُدُورُهُ ،
وَنُبْلُهُ مِنْ نُبُلِ صَاحِبِهِ ، وَهُجْنَتُهُ لَاحِقَةُ بَكَاتِبِهِ ، مَا اقْتَرَفُوهُ مِنَ
الْعِصْيَانِ ، وَأَقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنْ خُلْفِ السُّلْطَانِ ؛ وَأَنَا أُعْطِي اللَّهَ عَهْدًا لَتَيْنِ
ارْتَفَعَ إِلَيَّ - بَعْدَ بُلُوغِ عَهْدِي هَذَا أَقْصَى حُدُودِ الْمَمْلَكَةِ ، وَانْتِهَائِهِ
أُبْعَدَ أَقْطَارِ الطَّاعَةِ - كِتَابٌ عَلَى الصِّفَاتِ ٦ الْمَدْمُومَةِ وَالْأَحْوَالِ الْمَسْخُوطَةِ ،
مِنْ رَقٍّ أَوْ مِدَادٍ أَوْ خَطٍّ ، لِأَوْفَتَيْنِ لِصَاحِبِهِ بِمَا قُدِّمَ إِلَيْهِ مِنَ الْوَعِيدِ إِنْ

١ ط : عدة .

٢ القنداق : من الاغريقية (Kontakion) وهو الكتاب الرسمي أو البراءة أو ما أشبه
(انظر ملحق دوزي) ؛ وفي س : الكتاب .

٣ ط : وان قوماً منهم .

٤ ط : الرقوق .

٥ ط : قبل .

٦ ط : الصفة .

شاءَ الله ؛ فليَحذَرُ من حضر منهم أو غابَ أن يُخَالِفَ ما حَدَّدَناه ،
أو يجاوزَ ما شَرَعَناه .

وله عنه إلى هُذَيْلِ بْنِ رَزِينٍ ^١ :

أما بعدُ - آتاكَ الله رُشدَكَ ، وأجَزَلَ من توفيقِهِ قِسْطَكَ - فإنَّ
الله تعالى خلقَ الخلقَ غنيًّا عنهم ، وأنسأَهُم بِمَهَلٍ غيرِ مُهْمَلٍ ، بل
ليُحْصِيَ آثارَهُم ، وَلِيَبْلُوَ ^٢ أخبارَهُم ؛ وجعلَهُم أخيارًا ^٣ مُتَبَايِنِينَ ،
وأطوارًا مُخْتَلِفِينَ ؛ فمنهم المَخْتَصُ بالطَّاعَةِ ، ومنهم المُبْتَلَى بالمَعْصِيَةِ ،
وبين الفريقينِ أَقْوَامٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عسى اللهُ أنْ يَتُوبَ
عليهِم ؛ ولو شاءَ اللهُ لكانَ النَّاسُ أُمَّةً واحدةً ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ،
ولذلك خَلَقَهُم ^٤ . والسَّعِيدُ ^٥ من خافَ رَبَّهُ ، وَعَرَفَ ذَنْبَهُ ، وبَادَرَ
بِالتَّوْبَةِ قبلَ فَوْتِهَا ، واستَعطَى الرَّحْمَةَ قبلَ مَنَعِهَا . وإن كُنْتَ تَرَكْتَ
قصدَكَ ، وخَالَفتَ رُشدَكَ ، ونَكِبتَ عن سَبِيلِ سَلَفِكَ ، فلم يُوحِشْكَ
مِمَّنْ شَرَدْتَ عليه مَكْرُوهٌ نالَكَ به ، ولم يُؤْنِسْكَ مِمَّنْ جَنَحْتَ
إليه ، أَمَلٌ لم تَتَطَمَعْ فيه إلَّا لَدَيْهِ ، بل كُنْتَ آمِنًا من المَخَافِ ، بعيدًا من

١ س : وله من أخرى عن سليمان بن (اقرأ : إلى) هذيل بن رزين ، وهذا هو الأشبه
بالصواب ، أعني أن الرسالة قد تكون موجهة عن سليمان المستعين إلى هذيل لأن هذيل أبا
التخلي عن هشام والدخول مع مقرر التجيبي وغيره في تأييد دعوة سليمان ، وظل كذلك حتى توفي
هشام ، فسلك هذيل مسلك منذر ، فرضي منه سليمان بذلك وعقد له على ما بيده ، فزاده
ذلك بماداً من سليمان (البيان المغرب ٣ : ١٨١) .

٢ ط : ويبلو .

٣ س : أجناساً .

٤ ناظر إلى الآية : ١٠٢ من سورة التوبة .

٥ ناظر إلى الآية : ١١٨ من سورة هود .

٦ ط : فالسعيد .

المكاره ، قريب المكانة ، رفيع الدرجة ، مُصدراً في أهل النصيحة والثقة ؛
 خلا أنه حدث بينك وبين الحاجب ما لم يزل يحدث بين القواد والعمال
 على قديم الزمان مما لم يبلغ أن يخرج ذا الرأي الأصيل عن طبقتيه ، ولا
 يجاوز أن يزيد المُحنق على المحك في خُصومتيه ، والله عليم أن أمير
 المؤمنين لم يبخسك في تلك الهيئات حظاً ، ولا أولئك إعراضاً ، ولقد
 اعتنى بمصلحتك ، وعزم على إزاحة علتك ، حتى يتهياً^٢ من ذلك ما
 يفي بأملك لو انتظرت ، واستقام فيه ما يزيد على طلبتك لو صبرت
 عليه ، ولك في القدر المقدور فسحة^١ ، وفي القضاء المحتوم مندوحة ؛
 ولن تضيق بك السبيل عند أمير المؤمنين ، وأنت بين طاعة سالفة ، واستقامة
 موروثة ، وبين إنابة مُنتظرة ، وتوبة مستقبلية ، فأحدى الحالتين تحط
 الذنوب الكبيرة ، وتغطي على العيوب الكثيرة ؛ فالآن - عصمك الله -
 واللب رخوي ، والمركب وطي ، وبابك إلى رضى أمير المؤمنين مفتوح ،
 وسبيلك إلى حُسن رأيه سهل ، ولا يذهب بك اللجاج إلى عار الدنيا
 ونار الآخرة - إيتك ومصارع الناكثين ، وحدار موارط الغادرين .

وله من أخرى عن سليمان إلى جماعة العبيد :

إن الله تعالى قسم لأهل بيتنا بني أمية من السلطان الموصول
 لهم بخلافة النبوة ما حازه لهم دون سائر قريش ، وسراة رجالها وافرة ،
 وبيوت شرفها عامرة ، فكان أول من أجمع عليه خيار الصحابة بالشورى
 والاختيار عثمان بن عفان أمير المؤمنين ذو النورين ، وصهره عليه

١ ط : الهناة .

٢ ط : تهيأ .

السلامُ مرَّتَيْنِ ، فلم يُنْكِرْ فَضْلَهُ هاشميّ ، ولا دافع إمامتهُ قُرْشِيّ ، ولا نازعهُ الخِلافةَ عربيّ ولا عجميّ ؛ ثمّ غلبَ الشَّقَاءُ على أقوامٍ فقالوا منه ما انْفَتَحَ عليه بابُ الفتنَةِ إلى يومِ القِيَامَةِ ، فيألفها مصيبةٌ صَدَعَتْ شَمْلَ المُسْلِمِينَ ، وأوهنت أركانَ الدِّينِ ؛ وافتَرَقَ أَهْلُ الإسلامِ بعده فيزِفَتَيْنِ ، ثمّ لم تَجْتَمِعْ إلّا على رجلٍ مِنّا ، لرضاءِ الله عن سِيرَتِنَا ، وأنسِ المسلمينَ إلى حُسْنِ مآخِذِنَا ، وفَضْلِ سِيَّاسَتِنَا ؛ فكانتِ الجماعةُ على معاويةَ بنِ أبي سُفْيَانَ كاتبِ الوحي وَصِهْرِهِ عليه السلامُ ورَدِيفِهِ ؛ فبلغَ من ضَبْطِ الأمورِ ، ولينِ الولايةِ ، وجهادِ العدوِّ ، وجبايةِ الفتيّةِ ، وبَثِّ العدلِ ، وإدْراَرِ العَطَايَا ، ما لا يَجْهَلُهُ مِلِّيٌّ ولا ذِمِّيٌّ . ووَرِثَهُ ابنُهُ وابنُ ابنِهِ ؛ ثمّ صَيَّرَ اللهُ تعالى خِلافَتَهُ إلى مروانِ بنِ الحَكَمِ جدّنا الأعلى أميرِ المؤمنين ، دَوَسَرَ الْقَرِيْشَ المَفْتِيَّ بتَوْفِيقِهِ ، والحَاكِمِ في الأُمّةِ بتَسْديدهِ ؛ فَالْقَتَ إليه بالمَقَالِيدِ الكَافَةِ ، وتَدَاوَلَهَا بَنُوهُ أَبَاؤُنَا الخُلَفَاءُ الراشِدُونَ بالْمَشْرِقِ والأَنْدَلُسِ إلى يومِنَا هذا ، والله مُتِمِّمٌ نِعْمَتِهِ عَلَيْنَا كما أَتَمَّهَا على آبَائِنَا مِنْ قَبْلُ ، إنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ .

وفي فصل منها : ولم تزل الأئِمَّةُ مِنّا مُقْبِلَةً على مَوَالِيهَا ، مُخْتَصَةً لِعَبِيدِهَا ، تُقَدِّمُهُمْ في الثِّقَةِ ، وتُقَرِّبُهُمْ بالمَوَدَّةِ ، وتُعِدُّهُمْ لِحَوَادِثِ الأمورِ ، وتقْدِفُ بِهِمْ في مُعْضِلَاتِ الخُطُوبِ ، فيَتَوَكَّلُونَ من اجْتِهَادِهِمْ لهم ما أَوْجَبَتْ لَهُمْ المَحَبَّةُ الخَالِصَةُ ، حتّى شَرُفَ القَوْمُ وَنَبِلُوا ، وسَمَا ذَكَرُهُمْ وَنُسِبُوا إلى مشهورِ أنسابِهِمْ ، ومَذْكُورِ بيوتَاتِهِمْ ؛ فهمُ الَّذِينَ تَسْمَعُونَ عَنْهُمْ وَتَعْرِفُونَ رِيَاسَتَهُمْ كَالِ خَالِدٍ ، وَبَنِي أَبِي عَبْدَةَ ،

١ الدوسر : الأسد الصلب الموثق الخلق ، وفي س : ذو سن ؛ ولو قرئت « ذي سن » لكان ذلك أنسب للحديث عن مروان بن الحكم .

وبني شُهَيْدٍ ، وبني بَسِيلٍ ، وبني حُدَيْرٍ ، وغيرهم من أشرافِ مَوَالِينَا .
وقد أَفْضَى الأَمْرُ إِلَيْكُمْ ، مَعَشَرَ المَوَالِي ؛ فهِذَا اسْمُكُمْ إِذْ قَدْ رَفَعَ اللهُ عَنْكُمْ
العُبُودِيَّةَ بِهِ ، وَأَخْرَجَكُمْ مِنْ رِقِّ الْمَلَكَةِ ، وَصَيَّرَكُمْ مَنًا ، وَخَلَطَكُمْ
بَنَا ، وَأَفْضَى بِأَنْسَابِكُمْ إِلَيْنَا ، وَالْوَلَاءُ لِحُكْمَةٍ ، فَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ ، وَمَلْعُونٌ
مَنْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، وَادَّعَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ . هَذَا حُكْمُ الدِّيَانَةِ عَلَى لِسَانِهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَأَمَّا حُكْمُ الدُّنْيَا وَسَيَرُ أَهْلِ السَّدَادِ وَالصَّلَاحِ فِيهَا ، فَلَا
يُخْرَجُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ ضَلَعُكُمْ مَعَنَا ، وَمَيْلُكُمْ إِلَيْنَا ، وَتَعَصُّيُكُمْ لَنَا ،
فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِكُمْ ، وَأَجْدَرُ أَنْ نَعْمَلَ عَمَلَ آبَائِنَا فِي أَمْثَالِكُمْ ،
مِنْ مَوَالِيهِمُ الَّذِينَ أَجْرَيْنَا ذِكْرَهُمْ ، فَإِنْ نَقَمْتُمْ حَالًا مَزَقَّتِ الشَّمْلُ ،
وَنَعَيْتُمْ أَمْرًا صَدَعَ الْجَمْعَ ، فَتِلْكَ الْفِتْنَةُ الَّتِي يَعْقُ فِيهَا الابْنُ أَبَاهُ ،
وَيَقْتُلُ لَهَا الْمُسْلِمُ أَخَاهُ ، أَجَارَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا ، وَكَشَفَ لَنَا ظُلْمَتَهَا .

وفي فصل منها : وَلَعَلَّنَا فِيمَا سَاءَ كُمْ مِنْ تِلْكَ الْهَنَاتِ ، وَنَالِكُمْ مِنَ الْفَجَعَاتِ ،
أَوْجَعُ قُلُوبًا ، وَأَشَدُّ غُمُومًا . فَسَبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَأَظْلَعَكُمْ عَلَى غَيْبِنَا
فِيكُمْ ، وَعَرَّكَكُمْ إِشْفَاقِنَا عَلَيْكُمْ ؛ وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَمَا
زَلَمَ الشُّعَارَ وَالذَّنَارَ ، لَا نُؤْثِرُ عَلَيْكُمْ ، وَلَا نَنْشِقُ إِلَّا بِكُمْ ؟ فَإِنْ يَكُنِ
الشَّيْطَانُ قَدْ نَزَعَ بِمَا نَزَعَ بِهِ بَيْنَ ابْنِي آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُمَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، فَقَدْ
أَنَّ أَنْ تَثُوبَ الْحُلُومُ فَتَعُودَ السُّيُوفُ فِي أَغْمَادِهَا ، وَالتَّبَالُ فِي كَنَائِهَا ،

١ عد في هذه الفقرة عدداً من العائلات الهامة التي كانت تعد موالٍ لبني أمية ، وهي
عائلات احتلت مراكز هامة في الإدارة والمجتمع ، إذ كان الولاء رابطة سيادة ؛ وبعض
مؤسسي هذه العائلات دخلوا الأندلس عرباً أحراراً أو والوا بني أمية في المشرق ، ثم
انتقل ولاؤهم إلى بني أمية بالأندلس (انظر تفصيل ذلك في فجر الأندلس للدكتور حسين
مؤنس ، وبخاصة ص ٤٠٨ - ٤١٠) .

٢ س : فرقت .

ونحن نُعَاهِدُ اللهَ أَلَّا نُؤَاخِذَ أَحَدًا بِذَنْبٍ ، ولا نَنَالَهُ بِعُقُوبٍ لَهُ ولا بِأَذَى ،
ولا نَنطَوِيَّ لَهُ على إْحْنَةٍ ، بل نَغْفِرُ ونَصْفَحُ ونَزِيدُ في العَطَاءِ ،
ونَتَرَكُكُمْ بمَوَاضِعِكُمْ الَّتِي ارْتَضَيْتُمُوهَا ، تَدْرُ عَلَيْكُمْ جَبَابَاتُهَا ،
وتَخُصُّكُمْ مَنَافِعُهَا ، ولا نُنْسِيْءُ في أُمُورِكُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ .

وله عنه إليهم في مثل ذلك من رُقعة ، يقول في فصل منها ^١ :

زَعَمَ كَاتِبُ صَحِيفَتِكُمْ أَنَّهُ مَا دَامَتْ خِلَافَةُ سَلَفِنَا إِلَّا بِطَبَقَتِكُمْ ،
ولا عَزَتْ إِلَّا بِدَعْوَتِكُمْ ، وهذا قَوْلُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، فلم تَظْهَرِ طَبَقَتُكُمْ
إِلَّا حَدِيثًا ، ولا كَثُرَ عَدَدُكُمْ إِلَّا قَرِيبًا ، ولم تَنْزَلِ الْخِلَافَةُ عَزِيزَةً ،
والسُّلْطَانُ قَائِمًا بِأَوْلِيَاءِ الْحَقِّ وَأَنْصَارِ الدِّينِ ، العَارِفِينَ ^٢ بِفَضْلِ الطَّاعَةِ
وَمَوْقِعِهَا مِنْ رِضَا تَعَالَى ، وَبِنَقْصِ الْمَعْصِيَةِ وَمَوْقِعِهَا مِنْ سُخْطِهِ .
وَالْمِنَةُ عَلَيْكُمْ لِمَنْ عَرَفَكُمْ - مَعَشَرَ الْعَبِيدِ - بِاللَّهِ ، وَأَدْخَلَكُمْ فِي دِينِهِ ،
وَأَسْتَفْذَكُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَأَخْرَجَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ ، ثُمَّ اصْطَنَعَكُمْ وَنَوَّهَكُمْ
بِالتَّصَرُّفِ فِي الْخِدْمَةِ ، فَلَنْتُمْ بِذَلِكَ الْبُعْثَةَ ، وَهِيَ هَاتِ أَنْ تَقْضُوا الْحَقَّ
كُلَّهُ ، فَأَقْصِرُوا عَنْ شَأْوِكُمْ ، فَذَلِكَ أَوْلَى بِكُمْ .

وفي فصل منها ^٣ : وَأَقْسَمْتُمْ عَلَى أَنْ مِنْ حُسْبَانِهِ ^٤ مِنْ رُؤَسَائِكُمْ كَانَ
أُولَى بِالسِّيَاسَةِ ، فَأَنْتِي لَكُمْ ذَلِكَ وَمَا أَنْتُمْ مِنْهُ ؟ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ مُدَبَّرُونَ مَسْوُوسُونَ ،
أَتَبَاعٌ مَرْبُوبُونَ ؛ وَسِرُّ التَّدْبِيرِ نَازِحٌ عَنْكُمْ ، وَالسِّيَاسَةُ الْقَوِيمةُ مَحْجُوبَةٌ

١ ط : وله من أخرى عنه إليهم .

٢ س : هم العارِفُونَ .

٣ سقط جانب من هذه الرسالة في ط .

٤ ط : حُسْبَانِهِ .

دونكم ؛ ومتى بَلَغْكُمْ قَطُّ عن عَبْدٍ ثَرَّبَ على مولاهُ فأفْلَحَ ، أو سَمِعْتُمْ
يَحْنُدُ شَغَبَ على مُدْبِرِهِ فَأَنْجَحَ ؟ والحقَّ لا يضرُّهُ قِلَّةُ أهْلِهِ ، والباطل
لا يَنْفَعُهُ كَثْرَةُ جَمْعِهِ ، فإنَّ العاقبةَ للمتقين ، وحزب الله هُـمُ
الغالبون ؛ مع أنَّ سَفَهَاءَ كل طبقةٍ أَكْثَرُ من حُلَمَائِهَا ، وقد رأيتُم قديماً
نتيجةَ آراءِ السفهاءِ ، وكيف أَخْنَى على أهْلِهِ بموتِ ذلك التدبيرِ ، وطالما
جهدنا في الصَّلاحِ ، وحاولنا قَطْعَ الشَّعْبِ ، ودَفَعَ الفِتْنَةَ ، فأبى الله إلَّا
ما أَرَادَ على أيدي رؤسائِكُم الذين أَتَيْتُم على عَهْدِهِمْ . وأمَّا من
طَلَبْنَا من أصحابِكُم فإنَّهم قَوْمٌ خَدَمُوا العَمَالَاتِ ، وتَصَرَّفُوا في الْوِلَايَاتِ ،
وعَابُوا على الجَبَاةِ ، وخَلَدَتْ عليهم في الديوانِ الحُسَيْنَاتِ ؛ فهم الذين
طَوَّلُوا في سَبِيلِ الحقِّ ، وَرَمَى مِنْهُمْ دُونَ الكلِّ بِالْبَعْضِ ، وَأَخَذَ فِيهِمْ
وفي أَسْبَابِهِم بِالرَّقِّ دُونَ العُنْفِ فاعْتَدَوْهُ ظُلْماً ، وإلى صَلاحٍ مَالُ أَمْرِهِمْ
إِذْ قُورِبُوا ، والجميعُ على ذلك في خَيْرٍ من العَافِيَةِ ، وَبِحَظِّ من الكَافِيَةِ ،
وَأَمَدٍ من النَّظِيرَةِ ، إلى أن يَأْذَنَ الله بِلُغْوِ ما يَشَاءُ من المَدَى . وليس
كُلُّ ما يَبْلُغُكُمْ من التَّشْنِيعِ ويتَّصَلُ بِكُمْ من الإِرْجَافِ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ذُووِ
العقول ، ولا يُصْغِي إِلَيْهِ أَهْلُ التَّحْصِيلِ .

وفي فصل منها : وأمَّا ما أَلَصَّقَ بِكُمْ كَاتِبُ صَحِيفَتِكُم إِذْ قَالَ : إنَّ لم
يُعْمَلْ بما أَرَدْتُمْ أَجَبْتُمْ دَعْوَةَ من يُنَادِيكُمْ ؛ فليت شعري من ذا المُنَادِي
الذي إِلَيْهِ تَلْوَى الْأَعْنَاقَ عَنَّا ، أم إلى <من> تَفْرَعُونَ إِنْ فَارَقْتُمْ عِصْمَتَنَا ؟
أما إنَّ غَرَّكُمْ الشَّيْطَانُ ، وَأَسْلَمَكُمْ الْخِذْلَانُ ، لَتَفْرَعَنَّ مِنْ النَّدَمِ
الْأَسْنَانَ ، بِحَيْثُ لَا يَنْفَعُكُمْ أَسْفٌ ، وَلَا يَجِدِي عَلَيْكُمْ لَهْفٌ ؛ والله تعالى
وَدِينُهُ وَخِلَافَتُهُ فِي غِنَى عَمَّنْ عِنْدَهُ عَلَيْهِ وَحَادَّةٌ ، وَالْحَدُّ فِي الْإِسْلَامِ عَنْهُ
وَشَاقَّةٌ ، وَخَرَجَ عَنِ الْجَمَاعَةِ ، وَشَقَّ عَصَا الْأُمَّةِ ، وَاسْتَخَفَّ بِمُحْقُوقِ

الأئمة ، ونازع الأمر أهله ، واعترض من الرأي فيما ليس من شأنه على من صيره الله إليه ، وأسلمه في يده ، واجتبه واصطفاه على علم به . ولولا أن أمير المؤمنين عرف أن ملائكم لم يجتمع على هذا الكتاب ، وتيقن أن أهل السداد منكم لم يرضوا هذا الخطاب ، لكان له في ذلك نظرٌ يُقيمُ الأود ، ويعدلُ الميل ، مع أن الحليم والكظم من أخلاقه ، والرفق والأناة من شيمه ؛ فاقبلوا أدبه ، وانتفعوا بموعظته ، فلو كشف لكم الغطاء واجتلي عليكم الغيب ، لعلمتم أن أمير المؤمنين لا ينأ عن مصالحكم ، ولا يتي في متافعكم ، ولا يسعى إلا فيما يردُّ ألفتكم ، ويجمع كلمتكم .

وله عنه من أخرى إلى ابن ١ ...

إن العاقبة للتقوى ، وإن كلمة الله هي العليا ، ولا تبتئس فإن الحق دامغ الباطل ، وإن لاح للكذب بارقة ، وهبت له نافحة ، فإنما ذلك استدراج لأهله ، وإملاء لحزبه ؛ ثم يأخذهم بما اجترحوا ، ويؤيقهم بما اكتسبوا ؛ وقد علم الناس أن هذين الخارجين علينا ، الناكثين ببيعتنا ، مؤسومان بإحساننا . أما الطالبي ٢ فرفعناه من أوضع ملاحق الجند إلى أعلى مراتب أهل الخطط ، ونوّهنا بذكره ، وأشدنا باسمه ، وأشركناه في سلطاننا ، وصرفنا إليه طائفة من جندنا ،

١ مطموس في س ؛ ولم يرد في ط .

٢ لعله يعني بالطالبي « علي بن حمود » فقد قدمه والياً على سبتة ، ثم كان من خروج علي عليه ما كان .

ووثقناه <فيما> هم من أعمالنا. وأما المعيطي^١ فإن البلاد نبت بجده
 فلفظته إلى جدنا رضي الله عنه ، فأواه وواساه ؛ وامتثلنا مثل ذلك في
 هذا الضعيف المتعير^٢ ، فوهبنا له خطيراً ما استوهب ، ويسرنا عليه
 عسير ما طلب ، وألحقناه بثقتنا . فاستبقا في ميدان الغدر ، وجمعا
 إلى مدى الغمط والكيسر ، جاحدين بحقنا ، منتحلين لِمَا لم يجعلهما
 الله له أهلاً . وأمير المؤمنين دافع لهما بحقه عليهما ، ومستعين بالله ثم
 بإحسانه إليهما .

وفي فصل منها^٣ : وأما ما وصفت به نفسك ، وعرضته علينا من
 مجاهدة المارقين ، ومناصلة الناكثين ، وضمنته من حشد الأجناد
 قبلك ، واستنفار أهل عمليك ، وما سمحت به من الإنفاق على جميعهم
 من مالك ، فأنت أهل لكل ذلك ، وخليق بالوفاء به ، وقد بذلت جهدك ،
 وقضيت حق إمامك ، فأرضيت ربك ، وزكيت نفسك ، ورفعت في
 الغابرين ذكرك ؛ وصدقت ظن أمير المؤمنين ، وحققته تفرسه فيك ،
 وهو يرجو أن يجتريء بمن حوله من أنصاره ، ويكتفي بمن في
 حضرتيه من الأجناد ، فهم على أجمل بصيرة في نصره ، وعلى أثبت
 نية في الذب عن سلطانه ، والله يعينه وإياهم ويؤيده معهم ، وإن
 احتاج إليك فما أطيب نفسه عليك ، وأوثقه بإجابتك أو دعائك ، بارك
 الله فيك ، ومتعه بك ، فأنت سيفه الفاصل ، وسهمه النافذ .

١ أغلب الظن أنه عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي ، أموي كان بقرطبة في الفتنة وخرج
 منها إلى شرق الأندلس ، وقد دعا له مجاهد العامري بالخلافة سنة ٤٠٥ (انظر الصلة : ٢٦١
 والبيان المغرب ٣ : ١١٦) .

٢ المتعير : الخارج في زي العيارين وسلوكهم .

٣ لم يرد هذا الفصل والذي يليه في ط .

وله عنه إليه أيضاً : ويجب أن تزيد في رُتبتك ، وتهذب جمالَ جِهَتِكَ ، وتسعى في توفير محاسنك ، وتكثير مناقبك ؛ وإن كنت بحمدِ الله ومنه كاملَ الأدوات ، كثيرَ الحسنات ؛ ولكن الزيادة من فضلِ الله محبوبَةٌ من النُجباء ، مطلوبةٌ من النبلاء ؛ وأنت صدرُهم السابقُ وهاديهم المُبرِّز ؛ وقد نبذنا إليك في كتابنا مع فلان نبذةً لم نضعها دون غاية البيان ، ولم يسعنا إلاّ إيضاح الدليل وإقامة البرهان .

وله عنه إلى منذر بن يحيى ١ : وأما أمرُ علي بن حمّود فعلى ما أعلمناك به من الضّعف والوهن ، وإنما يطعمُ في مَنْ عندنا والله يُبطلُ طمعه ، وقد أوحشنا بطنُ أخبارِكَ عنا ، وإن كنا لا نشكُّ في أنك على جميع ما تصرّفتَ به ، وفي كلّ ما تقلّبتَ فيه ، كما نُحبه ونهواه ، فذاك حظُّك منا ، وموقعُك من ثِقَتِنَا ، وعلى ذلك فإن بواعثَ الإشفاقِ جَمّة ، وعوارضُ التوقّي كثيرة ، وقد توالّت المِحَن ، وطالت الفِتَن ، ونَجَمَ التفاقُ ، وشاع الخلافُ < بَيْنَ > أهواءِ أوليائنا .

وله من أخرى إلى ابن صُمّادح : وإنّ للبغْيِ مصارع لا تعدُّو أهله ، وللتكثِ عواقب لا تُخطي مُعتقِدَه ، وقد عَلِمَتِ الكافةُ ما أولاهُ أميرُ المؤمنين فلاناً من إحسانِه ، وأفاضه عليه من معروفه ، فرفعه من الخضيض ، وانتعشه عند الجريض ، ونوّه به بعد الحمول ، وكثّره وهو قليل ، فلم يشكُرْ لله نعمة ، ولا وقى له بدمّة ، وظلَّ يبني الغدرةَ على غيرِ أسٍ فخرَ بناؤه ، وانتَضَلَ في الرَمِيّات في غير هدَفٍ فصافت ٢ سهامُه ،

١ انظر التعليق : ١ ، ص : ١٠٨ إذ كان منذر من والوا المستعين ونبذوا خلافة هشام المؤيد .

٢ صاف السهم : حاد عن الهدف .

وأصحابه يتساقطون علينا في كل حين أفواجا ، ويتتابعون إلينا نزعاً
 أرسلالاً ، لِمَا يبدو من ضعف آرائه ، وخبث مذهبِهِ ، وقبح غدره ، وتناكب
 أمره ، حتّى اتّسع عليه الخرق ، وأعضله الفتق ، واستنفر له وجّههُ
 الخلائق ، وأسلمه غرورُ الشيطان ، فأصبح نادماً سادماً ، وأمسى حائراً
 بائراً ، ونكالُ الله تعالى نازلٌ به ، وسخطُهُ مُنزَلٌ عليه ، وبأسُهُ منصرفٌ
 إليه .

وفي فصلٍ من أخرى : أنالك في فلتات تحجبُ حُسنَ الظنِّ بمن
 أُسبِغت عليه النعمة ، ووجبت لربّه الحُجّةُ في أداءِ النصيحة . وقد
 اندرجت في أثناءِ هذه الفتنةِ خطوبٌ استعملَ فيها أمير المؤمنين الثقةَ بمن
 لم يتقِ اللهَ في النصيحة له ولرسوله عليه السلامُ وليخلفيته وجماعةِ
 المسلمين ، ولم تصدق نيّته ولم يصحّ خبرُهُ ، ولا رأي لمكذوب .
 فأوطأه عشوةً ، وزخرف له كذبةً على إثر كذبة ، ومنى الأمانى ،
 وقرب المواعيد ، وتمتق الزُّور ، ولبسَ الأمور ، وأميرُ المسلمين يُوجسُ
 الخيفةَ ، ويخشى الخديعة ، ويرى أعلامَ الرّيبة ، حتّى وضّح الفجر ، وصرّح
 عن زُبديهِ المحض ، وليس هو بأوّل من أحسنَ فضاء إحسانه ، واصطنع
 فسقَطَ صنائعه . وفي فضلِ الله عيوضٌ من كلِّ فائت ، وفي جزائِهِ
 خلفٌ من كلِّ ضائع ، وفي إقبالِ رَحْمَتِهِ غنى عن كلِّ مُدِير ، وللأيتام
 عَقَبٌ تُدِيل الكُرهَ بالرّضى ، وتنسخُ الشّدةَ بالرّخا .

وله من أخرى عن عليّ بن حمود إلى منذر بن يحيى : وما أنكرنا شيئاً
 ممّا ذهبَ إليه من التّأني والتّشبُّث ، ولا اعتقدنا إلّا رأيك في نظر
 الاجتماع ، وترقّب الائتنام ، لترتفع الشبهةُ ويتجلى الشكّ ، وإن
 كان مدّهبنّا في هذه الأمة مشهوراً ، واحتسابنا الأجرَ في صلاحها معروفاً ،

وقيامنا لنصرها وسخاؤنا بأنفسينا وأموالنا لاستنقاذها ، لا ننوي إلا وجهه تعالى ، وإلا فقد عليم من عرفنا ، وأيقن من أنصفنا ، أننا كنا <في> عيش هنيء ، ولتسب رخي ، وعمل واسع ، ومال وافر ، وجند مطيع ، وحصن منيع ؛ وفي دون ذلك ما أقنع من عرف الدنيا بحقيقتها ، وأجزأ من أنزلها منزلتها ، وما كفى من لا يعدل بالسلامة ولا يبيع بالغبن ، ولا يركب الأهوال ، ولا يقتحم المهالك ، مغرراً بدمه ، مخاطراً بنفسه ، لحطام تافه ، وظل زائل ، ومتاع قليل ، وانا لارجو منه تعالى أنه لم ييسر ما يسر من آمالنا إلا عند اطلاعه على نيتنا فيها ، فنحن بعين الله ، ونواصينا بيده ، والملئك والأمر له .

وفي فصل : والشروط التي خططتها بيدك ، وأردت معرفة رأيينا بإمضائها ، فإنها لعمرو الله قليلة في استحقاقك ، ولو اتسعت البلاد لأضعاف ما تليها ، لكنك لذلك عندنا أهلاً في كفايتك وضلاعتك وضبطك وحزمك . فأما الاعتماد عليك في الرأي والقصد إليك بالمشورة فهو الذي لا نعدوه بك ولا نجاوزهُ فيك ، ونحن بذلك أحظى ، والفائدة لنا فيه أعلى .

وقد أنفذنا كل ما دعوت إليه من تنفيذ سجلاتك على ما في يدك من الأعمال ، واعتقدنا لك ولجميع أهل الثغور — حرسهم الله — الأيمان المنعقدة والأقسام المغلظة لا تدخل عليهم داخله يكرهونها ، ولا يكلفون كلفة يستثقلونها ؛ ولا يخالف بهم طريقة يرضونها ، ما سمعوا وأطاعوا .

وفي فصل : ووصيتك بأهل قرطبة وغيرهم مقبولة ، ونصيحتك فيهم متبوعة ، ولن يروا منا ، ولن تسمع فيهم عنا ، إلا كما يعجبك

وَيَسْرُكْ ، وَيُجْذِلُكَ وَيُبْهِيْجُكَ ؛ وَإِنَّمَا هَدَى اللهُ أَوْلِيَهُمْ بِأَوْلَانَا ، وَأَسْبَغَ
النِّعَمَ عَلَى سَلَفِهِمْ بِسَلَفِنَا ؛ وَهَلْ يُؤْمَلُونَ أَحْنَى عَلَيْهِمْ وَأَرْأَفَ بِهِمْ مِنَّا ؟
أَمْ هَلْ لِمَنْ آتَاهُ اللهُ رُشْدَهُ ، وَشَرَحَ بِالْإِيمَانِ صَدْرَهُ ، رَغْبَةً عَنَّا ؟ وَهَلْ
يُنْكِرُ فَضْلَنَا إِلَّا جَاهِلٌ مُكَابِرٌ ، أَوْ يَدَافِعُ حَقَّنَا إِلَّا مُعَانِدٌ خَاسِرٌ ؟

وله من أخرى : بَلَّغْنَا جَوَابُكَ نَاكِبًا عَنِ الْحَقِّ ، بَعِيدًا مِنَ الْإِنصَافِ ،
خَلِنُوا مِنْ حُسْنِ الْمَعَامَلَةِ ، بِدَايَةٍ بِالْأَمْتَانِ بِمَا كَانَ مِنْكَ ، بِمَا لَوْ اقْتَنَعْتَ
فِيهِ بِمَا بَدَلْنَا مِنَ الشُّكْرِ لَرَكِبْتَ سَنَنَ الْمُنْصِفِينَ ، وَسَلَكْتَ سَبِيلَ الْمُحْسِنِينَ ،
فَقَدْ قِيلَ : : إِنَّ الشُّكْرَ وَإِنْ قَلَّ ، ثَمَنٌ لِّكُلِّ نَوَالٍ وَإِنْ جَلَّ ؛ كَمَا
قِيلَ : : إِنَّ الْمِنَّةَ تُفْسِدُ الصَّنِيعَةَ . وَلَوْ ^١ نَظَرْتَ فِي أَخْبَارِ الْمَاضِينَ ،
وَكَشَفْتَ عَنْ سِيرِ الْأَوَّلِينَ ، لَوَجَدْتَ مَلُوكَ الْأُمَمِ عَلَى قَدِيمِ ^٢ الزَّمَانِ قَدْ
تَعَامَلَتْ بِالتَّعَاوُنِ ، وَتَوَاصَتْ بِالتَّرَافُدِ ، وَإِنْ شَحَطْتَ دِيَارَهَا ، وَاخْتَلَفْتَ
أَدْيَانَهَا ؛ وَجَعَلْتَ ذَلِكَ بَيْنَهَا حَقُوقًا تُقْضَى ، وَفُرُوضًا تُؤَدَّى ، فَالِدَّهْرُ
أَطْوَارٌ ، وَالْأَيَّامُ دُولٌ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الَّذِي سَامَحْتَنَا فِيهِ لَمْ تُقَدِّمْ إِلَيْهِ إِلَّا
عَلَى شُرُوطٍ اشْتَرَطْتَهَا ، وَأَطْمَاعٍ اسْتَدْعَيْتَهَا ، فَقَضَيْنَاكَ كُلَّ مَا مَلَكَنَاهُ ،
وَلَمْ نَمْطُلْكَ بِشَيْءٍ أَدْرَكْنَاهُ . وَذَكَرْتَ أَنَّكَ فَعَلْتَ بِنَا مَا فَعَلْتَ دُونَ مَعْرِفَةٍ
تَقْدَمَتْ ، وَلَا صُحْبَةٍ سَلَفَتْ ، وَلَوْ هَرَبْتَ عَنْ هَذَا الْجَفَاءِ دَهْرَكَ ،
وَأَنْفَقْتَ فِي السَّلَامَةِ مِنْ هَذَا الْخَطَلِ عُمُرَكَ ، لَكُنْتَ لِنَفْسِكَ نَظِيرًا ^٣ ، وَفِي
صِفَّتِكَ تَاجِرًا ؛ فَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ مَعْرِفَةَ الْعِيِّ ، كَفَى بِذَلِكَ عِيًّا مِنْ
الْقَوْلِ ، وَزَلْزَلًا مِنَ الرَّأْيِ . وَإِنْ قُلْتَ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ مَكَانَنَا مِنَ الْخِلَافَةِ ،

١ تبدأ الرسالة في ط من هنا .

٢ ط : قدم .

٣ س : فاصراً .

ووراثتنا الإمامة ، عن أسلافنا الماضين ، وأجدادنا الأقربين ، وجهلت
أننا في نصابها وذروتها ، وأفعدُّ الناس بها وأقواهم عليها ، فقد كابرَت
العيان ، ودافعت البرهان .

[وله عنه في معنى الرعيّة : إن الله تعالى قلَّدَني من رعاية عباده ،
وحملَني من سياسة خلقه ، وعَصَبَ بي من تدبير أورهيم وإصلاح
شؤونهم ، وألزمني من النظر لهم ، والعمل بما يُصلحهم ، ما لا حولَ لي
فيه ولا قوَّةَ عليه إلا بعونه وتأييده ، ولا هِدَايَةَ إلا بتوفيقه وتسديده .
وإنَّ الرعيّةَ من السُلطان ، بمكانِ الأشباحِ من الأرواح ، صلاحُهما
وفسادُهما مُتصِلان ، ونماؤُهما ونقصانُهما مُنتظمان ، إذ كانتِ
الرعيّةُ عُنصرَ المال ، ومادَّةَ الجباية ، بها قوامُ المُلك ، وعِزُّ السُلطان ،
ورِزْقُ الأجناد ، التي بها يُقاتلُ العدوُّ ويُنصرُ الدين ، وتُحمى الحُرُمُ ؛
ولما تأملتُ أحوالَ أهلِ عَمَلِكَ من كُورةِ جَيَّانَ وذَوَاتِها ، وحصلتُ
ما يلزمُهم أدَاؤه هذا العامَ من الطَّعامِ في العُشُورِ الواجِبَات ، تَكْتَفِيهِم من
شفقتي ، وأحاط بهم من عواطفِي ، ما أدَّى إلى رفعِ مَؤُونَةِ طعامِهِم ،
وإعفائِهِم مما يلحقُهُم فيه من العَنَت ، ويرْجَعُ عليهم من الدَّرَك ، وكُلِّفَ
الحُمُولَةُ إلى الأهْراء ، وما يَتَّبِعُ ذلك من الانْتِقاَص ، ويتَّصِلُ بالكيلِ
من التَّطْفِيف ، وتَسْقُطُ التَّيَبَعَات ، وَيَخِفُّ الثَّقَل . فانظُرْ عندما يَرِد
كتابِي في تَوَزيْعِ ما يَجِبُ على أهلِ عَمَلِكَ من النَّاضِ عن كذا وكذا من
القَمَحِ والشَّعِير ، حِسَابُ كُلِّ مُدِّي من القَمَحِ سِتَّةُ دنانير ، ومن الشَّعِيرِ
ثلاثة ؛ واشمَلْ بتَوَزيْعِها النَّاسَ كَافَةً ، غيرَ مُحَاشٍ منهم أحداً . وليكُنْ
ذلك على العَدَل ، وتَحَرِّيِ الحَقِّ ، واعتمادِ الصَّدَق ، بمشاهدة قاضي الجُهة ،
ومُوافَقَةِ شُيوخِ الرعيّةِ ووجوهِها ، وأهلِ المعرفةِ بمواقِعِ وظائِفِها ،
إن شاء الله] .

وله من أخرى ، عن المظفر بن أبي عامر ، حين قتل عيسى بن سعيد القطاع وزيره : أيها الناس - وفقكم الله لعصمته ، واستنقذكم برحمته - إن من علم منكم حال الخائن عيسى بن سعيد بالمشاهدة ، ورأى مبلّغ النعمة عليه بالمحاضرة ، فقد اكتفى بما شهيد ، واجتزأ بما عاين وحضر ؛ ومن غاب عنه كُنْه ذلك من عوامتكم بانتزاح منزل أو لاتصال شغل ، فليعلم أنا أخذناه من الحضيض الأوهدي ، وانتشلناه من شظف العيش الأنكد ، فرفعنا خسيسته ، وأتممنا نقيصته ، وخوّلناه صنوف الأموال ، وصيّرنا حاله فوق الأحوال ؛ فدّلّله بذلك المنصور مولاي رضي الله عنه ، فاعتمدته ومهدت له فرش الكرامة ، وبوّأته دار الفخامة ، وأسبغت من نعمي عليه ، ما أحوج الخاصة والعامة إليه ، فلم يقم الله تعالى بحقّ ، ولا قابّل إحسانه بصدق ، ولا عامل رعيّتنا برفق ، ولا تناول خدمتنا بحذق ؛ بل أعلن بالمعاصي ، واستذلّ الأعزّة وذوي الهيئات والمروءات ، وناقرهم وأنس بأضدادهم ، ونبد عهودنا ، وخالف سبلنا ، وكدر على الناس صفقونا ؛ حتّى إذا ملكه الأشر ، وتناهى به البطر ، وغلّت به الأمور ، وغرّه بالله الغرور ، حاول شقّ عصا الأمة ، وهدد ركن الخلافة والأمانة ، بما احتجن من حرام المال ، واستمال من طغام الرجال ؛ فحجّته نعمنا عنده ، وخصمته عوارفنا لدينه ، وكشف لنا سرّ نيته ، حتّى صرعه بغيه ، وأسلمه غدّره ، وأخذ الله بما اجترم ، وأوبقه بما اكتسب ، فأعجلناه عن تدبيره ، وصار إلى نار الله وسعيه .

قَوْلُهُ : « فَحَجَّتْهُ نِعَمًا عِنْدَهُ ، وَخَصَمَتْهُ عَوَارِفُنَا لَدَيْهِ » محلولٌ
من قول أبي تمام حيث يقول ١ :

أَلْبَيْسَ هَجَرَ الْقَوْلِ مِنْ لَوْ هَجَوْتَهُ إِذْنُ لَهْجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي

وأخذه أبو تمام ٢ من قول عمران بن حِطَّانٍ إِذْ ظَفِرَ بِهِ الْحِجَااجُ
فقال : اضْرِبُوا عُنُقَ ابْنِ الْفَاجِرَةِ ، فقال له عمران : بِشْمَا أَذَبَكَ أَهْلُكَ
يَا حَجَّاجُ ! كَيْفَ أَمِنْتَ أَنْ أَجْبِيكَ بِمِثْلِ مَا لَقَيْتَنِي بِهِ ؟ أَعْبَدَ الْمَوْتَ
مَنْزِلَةً أَصَانِعُكَ عَلَيْهَا ؟ فَأَطْرَقَ الْحَجَّاجُ اسْتَحْيَاءً وَقَالَ : خَلُّوْا عَنْهُ .
فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالُوا : وَاللَّهِ مَا أَطْلَقَكَ إِلَّا اللَّهُ فَارْجِعْ إِلَى حَرْبِهِ
مَعَنَا ، قَالَ : هِيَاهُ ! غَلَّ يَدَا مُطْلِقُهَا ، وَاسْتَرَقَ رَقَبَةً مُعْتَقُهَا ، ثُمَّ قَالَ
الْأَبْيَاتَ الَّتِي أَوَّلَهَا :

تَاللَّهِ لَا كِدْتُ الْأَمِيرَ بَالِسَةَ وَجَوَارِحِي وَسِلَاحُهَا آلَاتَهُ

وفي فَصْلِ مِنْهَا ٣ : وَقَدْ زَالَتِ التَّقِيَّةُ وَوَجَبَ الصَّدْقُ . أَلَا مِنْ
سَمِعَ هَذَا الْكِتَابَ وَأُخْبِرَ عَنْهُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ فَلْيُرِدَّ إِلَيْنَا مَا لَنَا ،
وَلْيَخْرُجْ لَنَا عَنْ حَقِّنَا ، وَلْيَحْذَرْ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا عَلَيْهِ سَبِيلًا . فَإِنَّمَا هِيَ
أَشْيَاءُ غَلَبَ عَلَيْهَا إِمَامٌ مِنْ صَمِيمٍ مَا لَنَا فَلَئِنْ تَتَوَرَّعَ فِيهِ عَنِ الْخِيَانَةِ ، وَإِمَامٌ مِنْ

١ ديوان أبي تمام ٢ : ١١٥ .

٢ قارن بما ورد في أخبار أبي تمام : ٢٠٣-٢٠٥ ، وبيت عمران من أبيات في زهر الآداب :
٨٥٥ والموازنة ١ : ٧٢ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٦٦ حيث ذكر أنها لبعض الخوارج
من أصحاب قطري ، وذلك أقرب إلى الصواب من نسبة الأبيات والموقف نفسه إلى عمران
(انظر شعر الخوارج : ١٦٩ الطبعة الثانية) .

٣ بقية هذا الفصل لم ترد في ط .

أموالِ اللهِ بأيدينا فلم يؤدّ فيها الأمانةَ ، وما ظَهَرْنَا عليه منها فمصرفٌ
إلى سبيله من مصالحِ المسلمين في أرزاقِ أجنادِهِم ، ونفقاتِ تُغُورِهِم . وأنا
زعيمٌ لمن سارعَ بما في يديه ، وبأدر بما عنده ، أنْ نَعْرِفَ له طاعته ، ونشكُرَ
مبادرتَه ؛ ومنْ تَوَانَى وتَرَبَّصَ ، وقَعَدَ ونكَّصَ ، أنْ نَضَعَه بِحَيْثُ
وَضَعَ نَفْسَه من الظَّنَّةِ ، وأُثْبِتَ عليها من التُّهْمَةِ ، وننتهي به نهاية النِّكَالِ
البالغِ ؛ فلا يُنْظَرَنَّ جارمٌ لَدِينَا إِلَّا في ذِمَّة .

تلخيص التعريفِ بخبر الوزير عيسى بن سعيد
المذكور، من الأولِ إلى الآخر، ومقتله على
يدي المظفر عبد الملك ابن أبي عامر

قال ابن بسّام : وكان عيسى بن سعيد المعروف بابن القطّاعِ قَيِّمَ دَوْلَةٍ
ابن أبي عامر وحامِلَ لِيَوَائِهَا ، والمُسْتَقِيلَ بِأَعْبَائِهَا ، ومالِكَ زِمَامِ إِعَادَتِهَا
وإِبْدَائِهَا . طَلَعَ في فَلَكِهَا قبل دَوْرَانِهِ ، ودلَّ على ما أخْفَاهُ طَيُّ كِتَابِهَا
دونَ عُنْوَانِهِ ؛ وأنا أشرحُ — حينَ أَفْضَى بي ^١ القولُ إلى ذكره — كيف
كان غُرُوبُهُ وطلُوعُهُ ، ومن أين اتَّفَقَ طَيِّرَانُهُ ووقوعُهُ ؛ على ما قَدَّمتُ
والتزمتُ ، وحسبما ضَمَنْتُ ونظَّمتُ .

قال ابن حيان : لم يكن لعيسى بن سعيد مآثرة سَلَفَ ، ولا بيتُ تَقَدُّمٍ ،
خِلاَّ أَنَّهُ [كان] عَرَبِيَّ النِّجَارِ ، من قَوْمٍ يُعْرِفُونَ بَيْتِي الجَزِيرِيِّ من
كُورَةِ بَاغِهِ ^٢ . وكان أبوه مُعَلِّمًا ، فاخْتَلَفَ عيسى إلى الدِّيَّوانِ ، وصَحِبَ

١ ط : بنا .

٢ باغه (أو بيغه كما في س) : Priego تعد من ولاية قرطبة وتقع بينها وبين غرناطة
(انظر الروض المعطار : ٧٦ من الترجمة الفرنسية) .

محمد بن أبي عامر وقت حركته في دولة الحكم ، فبلغ به المنازل الجليّة ، وكان عنده مشهوراً بيمن النقيّة ، وأخباره معه كثيرة .

وتبجح عيسى بعد مهلك المنصور بن أبي عامر في دولة ابنه عبد الملك ، فتناهى في الاكتساب بالخضرة وجميع أقطار الأندلس ضياعاً ودوراً ، فات الناس إحصاؤها ، واشتمل على الملك هو وولده وصناعه . وكان لهم مع ذلك في سائر أعمال السلطان نصيب ، وعلى كل عامل وظيف ، ولم ينفذ توقيع إلا بأمره ، ولا تم أمر إلا بمشورته . وكثر أعداء عيسى لوقته ، فاحترس منهم جهده ، وتيقظ في حراسة نفسه ، ووالى كثيراً من وجوه أهل الدولة ، تصاهر لهم بنيه وبناته ، فسمت جماعته ، ثم تصاهر أخيراً إلى ابن أبي عامر ، والذكر من عنده ، زوج ابنه المكنى أبا عامر أخت عبد الملك الصغرى من بنات المنصور ، فتمت تلك المصاهرة في سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وكانت وليمة عظيمة . وتناهت بعد أمور عيسى في الجلالة ، وأخذته الألسنة .

واتفق أيضاً عليه أن عبد الرحمن بن المنصور انبسط على أخيه عبد الملك في أول دولته بصحبة طائفة تخلص به ، فعرف عيسى أخاه عبد الملك بذلك ، فحملته على كف عبد الرحمن عنه ، فحق على عيسى ورصد السعي عليه ، واستفسد أيضاً السيدة « الذئفاء » أم عبد الملك وأساء إلى صنيعتها « خيال » أم ولده ، والغلبة كانت عليه ، ومن يتصل بهما بسبب نكاح عبد الملك بنت الجنان مولاته ، كانت قد تأدبت بأدب

١ ط : بأبي .

٢ س : كنت يد .

أهله ، وأخذت الغناء من محسنات قِيَانِه ، فنظَرَهَا عبدُ الملك يوماً فرأى عَتْنَه ، وهانَ عليه لفرطِ غِفْتِه زَوَاجُهَا ، فأنكَرَتْ عليه ذلك والدته ، فاستراح في الأمر مع عيسى فصَوَّبَهُ له وأمضاهُ . وبني عبد الملك بها ، فحَقَّقَتْ ١ أمُّه على عيسى . ثمَّ اتَّهَمَ آخِرًا بالعُظْمَى من مُدَاخَلَتِه ٢ لِوَلَدِ أَبِي بَكْرٍ هِشَامِ بن عبد الجبار بن الناصر للقيام على عبد الملك وأخذ الملكُ عنه : وكان عيسى لا يحضر مجلسَ شراب عبد الملك إلاَّ في النُدْرَةِ أو الدَّعْوَةِ تَقَعُ ؛ استعفاه من ذلك لضعفِ شُرْبِه ، فأمكن أعداءه القولُ فيه لِغَيْبَتِه بما شَاؤُوا ، وزاد الأمرُ حتَّى تنكَّرَ له عبدُ الملك ، فقَهِمَ عيسى بعضَ ذلك لقوَّةِ حِسِّه ، وأهَمَّتْهُ نَفْسُه ٣ ، وأعملَ الحيلةَ في خلاصِهَا ؛ فسمَا ٤ عند ذلك إلى الغدرِ بالعَمِيرِيَّةِ أولِيَاءِ نِعْمَتِه ، والانقلابِ مع المروانيَّةِ المتورة ٥ بدولته ، وإقامةِ الولدِ أَبِي بَكْرٍ هِشَامِ المذكورِ على الخليفةِ هِشَامِ المؤيدِ ابنِ الحَكَمِ ، وأخذَ الخِلافةَ عنه لضعفِ استقلالِه والقطعِ لدَوْلَةِ ابنِ أَبِي عامرٍ قطعاً لا بَقِيَّةَ معه . وكان عيسى خليطاً لهشامٍ بعد المنصورِ صاحِبِه ، محمولاً ما بينهما على السَّلامَةِ ، فدعا هشاماً إلى ذلك وراسلَه سِراً ولَقِيَه خَفِيَةً ، وقَرَّبَ له مأخَذَه على يده لمنزلته من آلِ العَمِيرِيَّةِ ، وأنَّ جُنْدَهَا لا تُخَالِفُه بِحِيلَةٍ . فاستجاب له هشامٌ ، فيما ذكروا ، وأخذَ بَيْعَتَه عليه ، وساعده جماعةٌ ، وكاد يَتِمُّ الأمرُ

١ س : فحَقَّقَتْ .

٢ ط : بمداخلته .

٣ ط : وهمة نفسه .

٤ قارن بما في البيان المغرب ٣ : ٣٠ .

٥ س : المذكورة ، والتصويب عن البيان .

وأعدَّ رجالاً للفتك بعبد الملك ، فسار أحدُهم إلى نظيف الفتى الكبير مولى ابن أبي عامر ، فتَنصَّحَ له بالقضية^٢ فأعلم^٣ عبد الملك بها لوقتِه ، فاشتغل بالله ، وترجَّح في أمر عيسى وخاف أن السعاية من كياد عدوّه، إلى أن أنهى إليه صاحبُ المظالم أبو حاتم بن ذكوان ما ألقاه ، ولم يرتب به لثقتِه ؛ وحدَّثه أن رجلاً يُعرفُ بابن القارح الوزان^٥ كان مُتخصِّصاً من العامة ، وله بالولد أبي بكر هشام المذكور اتصال ؛ فحكى عن نفسه أنه رأى نزولَ عيسى عليه ببعضِ بساتينه ، وأنه سمع ابن عبد الجبار يقول له : يا أبا الأصْبَغ ، والله إنِّي لخائفٌ والخطرُ عظيم ؛ فقال له عيسى : ومن تخاف ؟ أو ليسَ الملكُ بيدي ، والجنودُ طوعي ، والناسُ راضون بفعلي ؟ ثم افتَرَقا ، فجاء ابنُ القارح ، فأعلمَ ابنَ ذكوانَ ، فطار إلى عبد الملك بالخبر ، فبطش عبد الملك بعيسى . وكانت صورةُ قتلِه < أن > واطأ عليه أخاه عبدالرحمن ومن يليه من أصحابِه ، فشدُّوا عزيمتَه ، وعقدَ معهم مجلساً للشرب ، وبعثَ عن أكثر أصحابِ عيسى ، فجلسَ للشرب بالمجلس الكبير المُشْرِفِ على النهر لعشرِ خلَّت من ربيع الأول سنة سبعمِ وتسعين . ثم أرسل عن عيسى وقد

١ ط : فصار .

٢ س : بالقصة .

٣ ط : فأخبر .

٤ أبو حاتم محمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان (- ٤١٤) كان هو وأخوه أبو العباس أحمد عميدي بيت بني ذكوان منذ أيام المنصور ، وكان أبو حاتم صاحب المظالم ، حسن السيرة ذا بصر بالفقه (انظر الصلة : ٤٧٧ والبيان المغرب ٣ : ٣٢ وترتيب المدارك ٤ : ٦٦٧ وديوان ابن شهيد : ٨٩ والنباهي : ٨٦ - ٨٧) .

٥ ذكر في البيان (٣ : ٣٢) أن اسمه خلف بن سعيد وأنه كان أحد الموالى صناع ابن أبي عامر الأندلسيين .

مضى من الشرب وقتاً ، فجاءه رسوله وهو قد بدأ يشرب. أيضاً مع نفرٍ من أصحابه فيهم أبو حفص بن برد وغيره .

قال أبو حفص : فلم ترتب بدعائه ، وبادر بالركوب نحو عبد الملك ، والقضاء قد جدَّ به ^١ ، فلما وصل إليه أظهر الاستبشارَ به وأقبل عبد الملك عليه بوجهه وأعلى مجلسه وأخذوا في شأنهم . فلما دارت الكؤوس أخذ عبد الملك في معاتبته ^٢ والتعريض لما قُرفَ به عنده ؛ وعيسى ينزعج من ذلك ، ويُقلِّد ^٣ الكأس ملامته هنالك ، إلى أن صرَّح عبد الملك بما في نفسه ، وألقى القدرح ، وأقبل يسبُّه ويُغليظُ له ؛ فأحسَّ عيسى بالشرِّ ، ورايه تُنظرُ القوم إلى العيون ، وطفق يعتذر ويحتجُّ في إبطال ما قُرفَ به ويشدُّ القسَمَ على فسادِه ، ويناشدُه في إراقة الدَّمِ ، وعبد الملك لا يلتفتُ إليه ، إلى أن اعتلى الكلامُ وكثر اللجَبُ ، فقبضَ عبد الملك على سيفه من جانب الفِراشِ فصَبَّه على عيسى ، وقد قام فزعاً ؛ فاستقبل وجهه بضربة ، فسقط عيسى ثم أعاد عليه ، وشاركه أصحابه بسيوفهم حتَّى هبروه ، وحزَّ رأسه ووضع جانباً . وأمرَ عبد الملك أيضاً بقتل صاحبه ابن خليفة وابن فتح ^٤ ، فهبَّرا بالسيوف ، واختلَطَ المجلس ، ولحقَ كثيراً من أهله دهشةً حمَلتْ بعضَ من كان بقُربِه من الأعاجيم إلى أن رمى بنفسه في النهرِ هرباً من القتلِ ، فطاح في اللُجَّة . وأمرَ برفعِ رأسِ عيسى بيباب

١ ط : جذبه ، والبيان : والقضاء يجذبه .

٢ ط : عتابه .

٣ البيان : ويولي .

٤ هما خلف بن خليفة وحسن بن فتح ، كما في البيان (٣ : ٣٣) .

الزَّاهِرَةُ ، وما زال هنالك إلى أن فُتِحَتِ الزَّاهِرَةُ على يد ابن عبد الجبار
المَهْدِيِّ ، وذهبت الدَّوْلَةُ العَامِرِيَّةُ .

وقام عبد الملك من ذلك المجلس ، وأمر بتَغْيِيرِ ما وقع ، ثُمَّ لم يَعُدْ إلى
الشرب فيه — زعموا — حَيَاتِهِ . وأنفذ في الوقت ثِقَاتٍ خَدَمَهُ إلى منازل
عيسى وأصحابه وكتَّابه^١ ، فاستصفى^٢ ما فيها وسجن أولادَ عيسى الأكابر
بِمُطَبَقِ الزَّاهِرَةِ ، وأمر ابنهُ بطلاقِ أُخْتِ عبد الملك فطلَّقَهَا ، ولم تزل
خَلِيَّةً إلى أن ذهبت دولة قومها فراجعها . وكان الناس يحسبون مالَ عيسى
الترابَ^٣ كَثْرَةً ، فما وُجِدَ له منه شيءٌ ؛ وتعجب الناسُ من ذلك ، حتى إن
أولاده إلى آخر أمرهم ما فارقهم الإقلالُ والمُسْغَبَةُ . وأعظمَ الناسُ قتلَ
عيسى لجلالة قَدْرِهِ^٤ ، وسار منهم إلى الزَّاهِرَةِ خَلْقٌ عَظِيمٌ ينظرون
إلى رأسِهِ^٥ .

قال ابن حيَّان : وكنتُ في جملة مَنْ نظر إليه ، واستبنتُ الضَّرْبَةَ بخدِّه
الأيمن . وكان أبو العلاء صاعد بن الحسن اللُّغَوِي منقطعاً إلى عيسى ، فكان أوَّلَ
من أنشد عبدَ الملك ، على سبيله من سرعة الانقلاب ، شعراً يقول فيه :

فتلك هامتهُ في الجوّ ناطقةٌ تحدثُ النَّاسَ من آياتِها^٦ عِبراً
مكتوبةٌ الوجهَ بالهنديّ يقرؤه من ليس يقرأ مكتوباً ولا سَطَراً

١ ط : منازل عيسى وأصحابه .

٢ س : وقبض جميع .

٣ س : كالتراب .

٤ ط : وأعظم الناس قتله .

٥ ط : وسار منهم خلق كثير إلى الزاهرة ليروا رأسه .

٦ س : آياته .

ومن أغرب^١ ما وردت به الرؤيا بعد قتله أن رجلاً من الصلحاء رأى
في النوم كأن رأسه يُنشد على الحشبة التي كان عليها :

بانَ الخَلِيطُ وشَفَتِي وَجَدِي وبقيتُ أُنَدِبُ رَبِّعَهُم وَحَدِي

فأذنت^٢ الرؤيا ببين آل أبي عامرٍ وصَدَقَتْ إلى مُدَّة . انتهى ما
لخصته من كلام ابن حيان في خبره .

ومن شعر أبي حفص بن بُرْد ، ممّا خاطب به أبا العلاء صاعداً بن الحسن
اللُّغويّ من أبياتٍ يقول فيها :

أهدى لك الودَّ مَحْضاً غيرَ مقطوبٍ	أبا العلاء استمع تعريض ذي مقّة
وكم دني قصي في المناسيب	ناء بغربته والفهمُ نِسْبَتُهُ
أما كفى الدهر غَضٌّ دون ^٣ تغريبٍ	وصار في غربة الآدابِ مغترباً
لا يصلح الحمدُ إلّا بعد تجريبٍ	أولاك محمّدة من بعد تجرّبة
في العلمِ والظرفِ والآدابِ والطيبِ	أنت الذي لم يُعاشِرْ مثله رجلاً
وكُنْهُ علمك شيءٌ غير محسوبٍ	تحصيلُ فضلك للحساد معجزة
وعيت منها ولا أشياخ يعقوبٍ	أما اللغاتُ فلا يعقوبُ يبلغ ما
تُحدّي وسبقَتُها في كلِّ أسلوبٍ	[وأنت ربُّ القوافي الشارداتِ به
طبُّ تُعالجُ فيها كلُّ مَطْلُوبٍ]	إنّا نناديك للجلّسى وأنت لها
رخص البنان كحيل العين مخضوبٍ؟	فهل شعرت ببدرٍ طاف بي غلّساً

١ قارن بالبيان ٣ : ٣٥ .

٢ البيان : فأولت .

٣ سن : عيش غير .

٤ ط : بزور .

لم تعدُّ بي مزج تصديق بتكذيب
قناع وجه طویل الصون محبوب
ليلاً ؟ فردُّ بتأهيل وترحيب
ثوب احمرار من الظلماء غريب
فقال : حلاً ، فقلت : الحل مطلوب
فقلت : ليس سوى التقصير مرغوبي
قالت : علمتُ فلا تخضع لمحبوب
وفي عسى فرجة تُرجى لمكروب
يذكر بدمع على الخدين مسكوب
كسجع شق أو الأفعى أو الذيب
تلقى أفانينه طراً بهذيب

أهدى إلى أرق لوحازها - سنة
حيّاً تحية ذي أنس بنا وجلاً
فقلت : أهلاً ورحباً ، من هداك لنا
وقال : ماذا ترى ؟ قلت : الغزاة في
قال : اتئد ! قلت : قد أبصرتها قبلاً
[قال : تحرّ فلا تشطط بنا سرفاً
ثم اعلمي أنني من حبكم ديف
قلت : الوصال ، فقالت : مهلى وعسى
ثمت ولت فأبقت في الحشا صرماً
فالآن فازجر أو اسجع إن هممت به
هذي عبارتها فالأمر ٢ مشتركة

فأجابه أبو العلاء صاعداً بأبيات يقول فيها :

يدلي إليك بود غير مأشوب
حتى قرعت لهذا الدهر ٣ ظنوبي
حور زرين على صم الأنايب
يدا الليلي ، قبيح صبوة الشيب
إلا ليوم عصيب إذ تنادي بي
ملدد وحسام غير مخشوب
فلا أمانة للعفس المخاضيب

ليك ألفاً ، أبا حفص ، إجابة من
أبعد خمس وسبعين التحفت بها
رمينني بسهام غير طائشة
يا من يرقع بالآمال ما خرقت
ناديتني لخيال عز طائفه
حتى أفيك شذا الأيام عن عضد
إياك والموعد الخوان تقبله

١ ط : الصور .

٢ س : فالعلم .

٣ ط : الأمر .

فاكتب على جمد ما قد وأتتك به
ولا تكونن قرحاناً نصبن له
[الله في قلبك المزجور عن دده
فقد نجوت وما صدقت فورته
شيخ الوزارة جني الكتابة إن
فلا تسومن شيخاً طار طائرهُ
وأنت منفرد المضمار منصلت
وضعه في الشمس يذهب غير مصحوب^١
حتى عدون عليه عدوة الذيب
لا تسلمنه لتسهد وتعذيب
مهشم القدح مهضوم الأنايب
ركبت منها طريقاً غير مركوب
سوم الشبية في هو الخرا عيب
غمر البديهة رواقض المصاعيب

قوله : « ولا أمانة للعنس المخاضيب » من قول كثير^٢ :
وإن حلفت لا ينقض النأي عهدا فليس لمخضوب البنان يمين
وقوله : « فاكتب على جمد... البيت ، كقول ابن العميد^٣ :
مُتَقَلَّبٌ ، يَأْتِيكَ أَثْبَتُ عَهْدِهِ كَاخْطَ يَرْقُمُ^٤ في بسيط الماء

١ س : مخضوب .
٢ البيت في زهر الآداب : ٧ والمسالك ١٤ : ٧١ ، منسوباً لكثير ، وانظر ديوانه :
١٧٦ .
٣ اليتيمة ٣ : ١٧٦ .
٤ اليتيمة : ذي ملة .
٥ ط س : يرسم ، وآثرت ما في اليتيمة لأنه أدق .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم ،
وإثبات ما تخيرت له من النثر والنظم ، مع
ما يتعلق به ، ويذكر بسببه^١

قال ابن بسّام : كان أبو المغيرة هذا ظُبةَ الحسام ، وواسطةَ النظام ،
وفارسَ مَيِّدانِ البيان ، وذاتَ صَدْرِ الزَّمان ، حلَّ من زُهرِ الفضائل ،
مَحَلَّ السَّنَنِ من العامل ، والزَّبْرِقان^٢ من المنازل ، وتمَّت به غُرُرُ
المحامد ، تمامَ الصَّلَاتِ بالعوائد^٣ ، ومجهولِ اللُّغَةِ بمعلومِ الشواهد . ودولةُ
عبد الرحمن بن هشام المستظهرِ المتقدمةُ الذكرُ كانتْ مَهَبَةً الذي منه
عَصَفٌ ، ومجاله الأوَّلُ الذي فيه تصرَّف ، أُلْقِيَ إليه زِمَامُهُ ، وأُخِذَ منه
أَيامُهُ ؛ ثُمَّ عَتَبَ عليه في بعضِ الأمر ، فَلَحِقَ ببلادِ الثغر ، فهناك تَسَحَّبَ
على الدول ، تَسَحَّبَ الهَوَى على العَدَلِ ؛ وامتزَجَ بملوكِ العصر ، امتزاج
الماء بالخمَر ، ولوطال مداه لم يذكر معه سواه ، ولا عترف بتفضيله
أحبته وعداه .

نقلت من خط أبي مروان بن حيان قال :

ولحق أبو المغيرة ببلاد الثغر ، وقد اعتلت طبقته في النظم والنثر ، وكتبَ

١ أبو المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم (- ٤٣٨) ؛ له ترجمة
في الصلة : ٣٦١ والجذوة : ٢٧٣ (البغية رقم : ١١١٠) والمغرب ١ : ٣٥٧
والمطمح : ٢٢ والنفع ١ : ٦١٦ - ٦١٨ ، ٦٢٠ (نقلا عن المطمح) ٢ : ٧٩ - ٨١ .

٢ س : والقمر .

٣ س : تمام الصلة بالعائد .

عن عدّة من الأمراء ، ونال حظاً عريضاً من دنياهم ، إلا إنه اعتبطَ شاباً بعد أن ألف عدّة تواليف ، وشجر الأمرُ بينه وبين الفقيه أبي محمد بن حزم ابن عمه ، وجرت^١ بينهما هنات ظهرَ عليه فيها أبو المغيرة ، وبكته حتى أسكتته ، لأنه كان أنبه من أبي محمد في حضور شاهديه ، وذكاءِ خاطره ، وحُسن هيئته ، وبراعة ظرفه ، وجودة أدبه ، وهو كان في زمانه في الحدّ والهزل صاحب اللواء ، في مجالس الأمراء ، مستنجزاً للبيضاء ، مقتضياً^٢ للشقراء ، وتصور في قلوب الرؤساء فأجزّوا أرزاقه فعظمتُ صلاته وهباته ؛ انتهى كلام ابن حيان .

قلتُ أنا : وقد أخرجتُ من رسائله العميدية ، وقصائده اللبيدية ، ومما جرى بينه وبين ابن عمّه ما يسحرُ الألباب ، ويبهّرُ الشعراءَ والكتّاب .

جملة من رسائله في أوصاف شتى

كتب إليه أبو عليّ بن الرّبيب القرويُّ رُقعة يقول فيها^٣ :

إني فكّرتُ في بلدِكم أهلُ الأندلس إذ كان قراره كل فضل ،
ومقصد كل طرفة ، ومورد كل تحفة ، إن بارت تجارة أو صناعة
فإليكم تجلب ، وإن كسدت بضاعة فعندكم تنفق ، مع كثرة
علمائه ، ووفور أدبائه ، وجلالة ملوكه ، ومحبتهم للعلم

١ ط : وحدث . ٢ س : متطياً .

٣ انظر النفع ٣ : ١٥٦ ، وأبو عليّ ابن الرّبيب القروي لعلمه الحسن بن محمد التميمي التاهرتي الأصل ، كان عارفاً بالأدب وعلم النسب قوي الكلام يتكلفه بعض التكلف ، وكان عبد الكريم النهشلي يعبده شاعراً متقدماً (انظر المسالك ١١ : ٣١٩ نقلاً عن الانموذج) .

٤ النفع : بلادكم إذ كانت ط : بلادكم . (ويتلو ذلك في النفع : علمائهما ، أدبائها .. الخ) .

وأهليه ، ورفّعهم من رفّعه أدبّه ، وكذلك سيرتُهم في رجالِ الحربِ
يُقَدِّمون من قدّمته شجاعته ، وعظُمَت في الحُرُوبِ نكايته ؛ فشجّع
عندكم بذلك الجبان ، وأقدّم الهَيَّبان ، ونَبّهَ الحامل ، وعَلَّمَ الجاهل ،
ونطق العَيِّي^١ ، وشعر البكيّ ، واستنسر البُغاث ، وتَشَعَّبَنَ الحَفَاث^٢ ،
وتنافسَ الناسُ في العلوم . ثُمَّ هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط ،
من أجل أن علماء الأمصار دَوَّنُوا فضائل أعيانهم وقتلوا الكتبَ مآثرَ
أقطارهم ، وأخبارَ الملوك والأمراء ، والكتّابِ والوزراء ، والقضاةِ
والعلماء ، فأبقوا لهم ذِكْرًا في الغابرين ، ولسانَ صِدْقٍ في الآخرين ؛
وعنماؤكم مع استظهارهم على العلوم ، كلُّ امرئٍ منهم قائمٌ في ظله لا
يَبْرَحُ ، وثابتٌ^٣ على كعبه لا يتزحزح ؛ يخافُ إنْ صَنَّفَ أن يُعَنَّفَ ،
أو تَخَطَّفَهُ الطيرُ أو تهوي به الريحُ في مكانٍ سحيقٍ^٤ ، لم يُتَعَبْ نَفْسًا
أحدٌ منهم في مفاخر بَلَدِهِ ، ولم يستعملْ نَفْسًا في فضائلِ مَلُوكِهِ ، ولا
بَلٌّ قَلَمًا بمناقبِ كُتّابه ووزرائه ، ولا سَوْدٌ قِرطاسًا بمحاسنِ قُضائِهِ
وعُلَمائِهِ ؛ على أنه لو أُطْلِقَ ما عَقَلَ الإغفالُ من لسانِهِ ، وبَسَطَ ما
قبضَ الإهمالُ من بيانِهِ ، لوجد للقولِ مَسَاغًا ، ولم تَضِقْ عليه المسالكُ
هنالك ، ولكنْ هَمٌّ كُلُّ أَحَدٍ مِنْهُمْ أن يَطْلُبَ شَأوً مَنْ تَقَدَّه من رؤساءِ

١ س : الخارس .

٢ تشعبن الحفاث : اتخذ هيئة الثعبان ، والحفاث : حيوان كالثعبان يفع فحيجه ويثب مثل
وثبه ، ولكنه غير مؤذ (الحيوان ٦ : ٣٣ ، ٣٤٥) .

٣ النفع : وراتب .

٤ زاد في النفع : وإن ألف أن يخالف ولا يوالف .

٥ ناظر إلى الآية : ٣١ من سورة الحج .

العلماء ، ليحوزَ قصبَ السَّبْقِ ويفوزَ بِقَدْحِ ابنِ مُقْبِلٍ^١ ، ويأخذُ بِكَظْمِ دِعْبِلٍ^٢ ، ويصيرُ شَجِيًّا فِي حَلْقِ أَبِي الْعَمَيْثِلِ^٣ : فإذا أدركَ تلكَ البُغْيَةَ ، وجاءته بعدُ المَنِيَّةُ ، دُفِنَ عِلْمُهُ مَعَهُ ، وماتَ ذِكْرُهُ ، وانقطعَ خَبَرُهُ . ومن قَدَمْنَا ذِكْرَهُ من علماءِ الأَمْصارِ احتالوا لبقاءِ ذِكْرِهِمْ ، فألفُوا دواوينَ يَبْقَى لِهِمْ بِهَا ذِكْرٌ يَتَجَدَّدُ طَوْلَ الأَبَدِ .

فإن قلتَ : إنَّه كانَ ذلكَ منَ علمائِكُم ، وأتَّفوا كِتَاباً لِكُنْهَالمَ تَصِلُ إلَيْنَا ، فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق ، لأنَّه ليسَ بَيْنَنَا وبَيْنَكُم إِلَّا رَوْجَةٌ رَاكِبٌ ، أَوْ دَلْجَةٌ^٤ قَارِبٌ ، لو نَفَثَ بِلَدِكُم مَصْدُورٌ ، لَأَسْمَعَ بِلَدَنَا مَنْ فِي الْقُبُورِ ، فَضْلاً عَمَّنْ فِي الدُّوْرِ والقُصُورِ ، وتَلَقَّوْا قَوْلَهُ بِالْقَبُولِ ، كما تَلَقَّوْا دِيوانَ ابنِ عبدِ رَبِّهِ مِنْكُم الَّذِي سَمَّاهُ بِ« العِقْدِ » . على أَنَّهُ يَلْحَقُهُ فِيهِ بَعْضُ اللُّؤْمِ ، إذ لم يَجْعَلْ فُضائلَ بِلَدِهِ ، واسِطَةً عَقْدَهُ ، وَمُنَاقِبَ مُلُوكِهِ يَتِيْمَةً سَلَكَهُ ، لَكُنْهَ أَكْثَرَ وطَوَّلَ ، وأَخْطَأَ المِفْصَلَ ، وأطالَ الهَزْ بِسَيْفٍ غَيْرِ مِقْصَلٍ ، وقَعَدَ بِهِ ما قَعَدَ بِأَصْحَابِهِ مِنْ تَرْكِ ما يَعْنيهِمْ ، وإِغْفالَ ما

١ هو الشاعر ابن مقبل . الذي يقول في وصف قنح :

غدا وهو مجدول وراح كأنه من الصك والتقليب في الكف أفتح

خروج من الغمي إذا صك صكسة بدا والعيون المستكفة تلمح

(انظر ديوانه : ٢٨ - ٢٩ وثمار القلوب : ٢١٨) وقنح ابن مقبل يضرب في حسن الأثر .

٢ النفع : دغفل ، وهو دغفل النسابة من بني ذهل بن ثعلبة وكان عالماً بأنساب العرب . (انظر ديوان القطامي : ٣١ ، واللسان والتاج : عض) .

٣ أبو العميثل : عبد الله بن خليد (أو خالده أو خويلد) : أعرابي خدم طاهر بن الحسين وأدب أولاد عبد الله بن طاهر بخراسان وتوفي سنة ١٤٠ (الفهرست : ٥٤ - ٥٥ تحقيق تجدد : وطبقات ابن المعتز : ٢٨٧ وابن خلكان ٣ : ٨٩ - ٩١) .

٤ النفع : رحلة .

يَهْمُهُمْ : فَأَرْشِدُ أَخَاكَ—أَرْشَدَكَ اللهُ—إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ الْجَلْبِيَّةَ ، وَبِيَدِكَ
فَصَلُّ الْقَضِيَّةَ ، إِنْ شَاءَ اللهُ .

فراجعهُ أبو المغيرة برقعةٍ حَذَفَتْ أَكْثَرَ فصولها لطولها ، منها :

أَبْقَاكَ اللهُ مِنْ حَمِيمٍ صَرِيحٍ الْوُدِّ ، أَهْدَى تَحِيَّتَهُ عَلَى الْبُعْدِ ، فَإِنَّ
الْفَهْمَ رَحِمَ ، وَالْأَدَبَ مَا بَيْنَ أَهْلِهِ وَسَائِلُ وَذِمَمَ ؛ وَلَيْسَ عَدَمُ التَّرَائِي
وَالْعِيَانِ ، بِقَاطِعٍ لِلْأَسْبَابِ وَالْأَقْرَانِ ، وَلَا تَنَائِي الدِّيَارِ وَالْمَنَازِلِ ، بِقَادِحٍ فِي
الْأَذِمَّةِ وَالْوَسَائِلِ ؛ فَالْكِتَابُ^١ عِيَوْضٌ عَنِ الْكَلَامِ ، وَالتَّوَاصُلُ بِالنُّفُوسِ لَا
بِالْأَجْسَامِ ، وَمَا زِلْتُ أَتَنَسَّمُ ذِكْرَكَ ، فَأَتَرَسَّمُ قَدْرَكَ ، وَأَسْمَعُ خَبْرَكَ
فَأَرَى خَبْرَكَ ، حَتَّى أَرَادَتِ الْآيَامُ كَشْفَ السَّرِّ ، وَرَفَعَ السِّرَّ ؛ فَوَقَفْتُ
عَلَى الصَّحِيفَةِ الَّتِي ظَاهَرُهَا دِيْبَاجٌ مَرْقُومٌ ، وَبَاطِنُهَا لَوْلُؤٌ مَنَظُومٌ ، وَوَشْيٌ
مَحُوكٌ ، وَذَهَبٌ مَسْبُوكٌ ؛ فَارَأَيْتُ صُورَ الْأَدَبِ بَاهِرَةً الْمُرَآئِ وَالْعِيَانِ ،
شَاهِدَةً لَكَ بِأَذَلِّ لِسَانٍ ، وَأَصْدَقِ بَيَانٍ ، أَنْتَ أَبُو عُدْرَتَيْهَا ، وَمَالِكُ
جُمْلَتَيْهَا ، وَوَاحِدُ فَنُونِهَا ، وَوَارِدُ مَعِينِهَا ، وَقَادِمَةُ جَنَاحِهَا ، وَصَبَا رِيَا حِهَا ،
فَسَأَلْتُ سَوَالَ الْعَالَمِ ، وَبَحَثْتُ بَحْثَ الْيَقْظَانِ الْمَتَغَابِلِ ، وَادَّعَيْتُ الْحَيْرَةَ
وَأَنْتَ أَهْدَى فِي تِلْكَ الْفَلَاحِ ، مِنْ فَارِطِ الْقَطَا^٢ ، لَتَعْلَمَ أَيْنَ الْمُخْطِئُ
وَالْمُصِيبُ ، وَكَيْفَ الْجَوَابُ وَالْمَجِيبُ ؛ وَاللَّهُ يُوقِّقُ مِنَ الْمَرَا جَعَةِ لِمَا
يُرْضِيكَ ، وَيَكُونُ وَفْقَ أَمَانِكَ ، وَمَا أَجْهَلُ أَنْتَى عَلَى نَفْسِي أَبْتَهِيلُ بِهَذَا
الدُّعَاءِ ، لِمَنْ أَسَرَّ حَسَنًا فِي ارْتِغَاءِ^٣ .

١ ط : فَالْكِتَابِ .

٢ فَارِطُ الْقَطَا : الْمَتَقَدِّمُ مِنْهَا نَحْوُ الْوَرْدِ .

٣ هَذَا مِثْلُ ، انْظُرْ فَصْلَ الْمَقَالِ : ٧٦ وَالْمِيدَانِي ٢ : ٢٥١ .

فأولُ ما قدمت في كتابك ما يُقدِّمه ذو الفضلِ والنبلِ في الثناءِ على بلدنا وأهله ، وَوصفتُ الجميعَ على اختلافِ طبقاتِهِمْ ، وتبايُنِ درجاتِهِمْ ، من آرائِهِم التي نَحَوُّها ، وعلومِهِم التي وَعَوُّها ، بأوفرِ الأقسامِ ، واحتلالِهِم من ذلك بالغاربِ والستامِ ، حتى عارضَ الجَبانُ الأسدَ ، وناطحَ الجوزاءَ الجلمدَ ، وناطَقَ الأعجمُ الفصيحَ ، وبارى الجاهلُ العالمَ ، وجارى القاعدُ القائمَ ، تحاسداً على الفضائلِ . هذا معنى كلامك لم أوردُ ألفاظه ، وإن أصميتُ أغراضه ، إشفاقاً من أن أفضحَ كلامي به ، وأدُلَّ على قصورِ آتِي بِمُجْتَلَبِهِ ، فأكونَ كمن جمعَ بين الشَّبهِ والذهبِ ، وقرَنَ الدرَّ إلى المَخْشَلَبِ ؛ ثمَّ قلتَ : إنَّ ذِكْرَ الفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي^٢ ، والميتُ المجهولُ لا الفاني ؛ فكم من هالكِ آثارُهُ كاشفةٌ عِيَانَهُ ، وواصفةٌ قَدْرَهُ وشأنَهُ ، وَحَيَّ أَثوابُهُ كَفَنَتُهُ ، وجَهْلُهُ جَنَنَتُهُ^٣ . وهؤلاء الذين أنضيتَ في وَصْفِهِم جِوَادَ مَدْحِكَ ، وهتكتَ ظلامَهُم بغُرَّةِ صُبْحِكَ ، على غيرِ هذا الرَّأْيِ مقيمونَ ، وبِخلافِ هذا المذهبِ قائلونَ . فوليتَ في حَيَرٍ وعزَلتَ ، وارتفعَتَ في حالٍ وتزلتَ ، وأتيتَ بغايةِ المحالِ ، وهو إثباتُ الضدَّينِ في حالٍ ، ثمَّ زدتَ في التعليلِ ، وبالغتَ في الاجتماعِ على التَّمْثِيلِ ، باعتمادك تكذيبَ من قال : إنَّ الذي قاله غيرُك لو وقعَ لكان قُرْبُ المسافةِ التي هي شَوَاطِءُ جَارٍ ، بل غَمُضَةٌ سارٍ ، توجبُ حلَّ الشَّكِّ ، وانجلاءَ الإفكِ ؛

١ س : وما رى .

٢ ناظر إلى قول المتنبي (ديوانه : ٥٠٥) :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما قاته وفضول العيش أشغال

٣ الجحش : القبر .

٤ باعتمادك ... الإفك : سقط من ط .

فَعَجِبْتُ مِنْ أَمْنِكَ مُرَاجِعاً لَا يَقْصِدُ فِي أَدَبِ الْمَقَابِلَةِ قَصْدِي ، وَلَا يَعْقِدُ
عَلَى سَانِحِ أَخَوَتِكَ عَقْدِي ؛ يَجْعَلُ جَوَابَكَ قَوْلَ الْقَائِلِ :

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تَنَادِي ^١

وَعَفْرًا غَفْرًا لِهَذَا الْعَفْوِ ؛ وَخُذْهُ بِإِزَاءِ ^٢ قَوْلِكَ : تَخَطَّفَهُ
الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَقَدْ نَادَيْنَا
لَوْ أَسْمَعْنَا ، وَطَرْنَا لَوْ وَقَعْنَا ؛ وَمَا أَشْبَهْنَا بِالْغَرِيبَةِ الَّتِي خَيْرُهَا يَدْفَنُ ،
وَشَرُّهَا يُعْلَنُ ، يُتَعَبُّ أَحَدُنَا نَفْسَهُ ، وَيُرْهِفُ حِسَّهُ ، وَيَعَارِضُ السَّيْفَ
بِفَهْمِهِ ، وَالْبَحَرَ بَعْلَمِهِ ، وَالنَّارَ بِذَكَائِهِ ، وَالزَّمَانَ بِمَضَائِهِ ، وَنَتَائِجُ فِكْرِهِ
مَحْجُوبَةٌ ، وَبَنَاتُ صَدْرِهِ غَيْرُ مَخْطُوبَةٍ :

[إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا هَالِكًا فَرَحًا عَنْهُ وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا] ^٣

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَلَوْ لَمْ يُعْلَمْ لَنَا خَيْرٌ ، وَلَا ظَهَرَ مِنَّا أَثَرٌ ، وَبَقِينَا لَا
يُعْرِفُ مَكَانُنَا ، إِلَّا بِإِخْرَاجِ قِسْمَةِ الْأَقَالِمِ لَنَا ، وَالْحَاجَةِ مِنَ الْجُغْرَافِيَا إِلَى
ذِكْرِ صُقْعِنَا ، لَكَانَ عِذْرًا فِي التَّقْصِيرِ عَنْ اِشْتِهَارِ الْفَضْلِ لَائِحًا ، وَإِنْ
كَانَ نَهْنُجُنَا إِلَى أَخْذِهِ وَالْعِلْمِ بِهِ وَاضِحًا ؛ وَإِنْ كُنْتَ بِإِطْلَاقِ قَوْلِكَ قَدْ

١ هو لكثير في ديوانه : ٢٢٢ ولعبد الرحمن بن الحكم في الأغاني ١٥ : ١١٧ (ط . دار
الكتب) والغيث : ٧٠ ويروى لعمر بن معد يكرب ؛ انظر القسم الثالث : ١١ .

٢ ط : بآداب .

٣ البيت لقمضب ابن أم صاحب من قصيدة في مختارات العلوي : ٧ - ٩ والخماسة رقم :
٦٠٦ (شرح المرزوقي : ١٤٥٠) ، وقمضب شاعر إسلامي كان موجوداً أيام الوليد
ابن عبد الملك (٨٦ - ٩٦) .

جاهرتنا - وحققك - بالظلم مجاهرةً أنا أعجب كيف انقاد كريم طبعك لها ، وأعجب أيضاً من بخوعي لك ، ووقوفني عن الانتصاف منك ، وأنا أعلم أن عندكم لنا تواليف تطيرون بها ، وأشهد بتقصير أربابها فيها ؛ وإن ودّ آعقل لك لساني ، ولم يجبر إلا بما تؤثره وتختاره بناني ، لو دّ يفضح الرّوض في حزنه ، برائق حسنه ، ورضوى في هضبيه ، بثقل وزنه ، ونوء السماء في هتنه ، بوابل مزنه ؛ وما هي إلا شيمّة قديمة فيكم أهل الجهة الظاهرة أعلامها ، الباهرة علومها وأفهامها .

قال ابن بسّام : وخرج أبو المغيرة في رسالته هذه إلى التّطويل ، وبالغ في الاحتجاج بفصول ، هي عادة عن هذه السّبيل ؛ وختّمها بذكر جملة من تواليف أهل الأندلس ، أضربت عن تسميتها لشهرتها .

وله فصل من رقعة : وعسى أن يكون شراء ذلك الديوان شراء التجار الأكياس^١ ، من المدبرين القائلين بارتضاع الكاس ؛ وهمك^٢ أن يكون أبو الحسين^٣ وسيطك ، وجماله شفيحك ، فهو ممن كان له في الحُسْنِ لواء مرفوع ، وحلّة تزري بالوشى الصّنيع ، فعفى تلك الآثار ما سال من عذاره ، وطمس ليل اللّحية ما كان أشرق من نهاره ؛ لا جرم لقد بقيت خيلان كالأثار الدّالة على الدّيار ، والحلي السّقيط ، المخبر عن بين الخليط ؛ وإذا تأملتّها قد اشتمل الشعر عليها ، وزحف من كل جانب إليها ، ذكرت قول أبي الطّيب^٤ :

١ ط : والأكياس .

٢ ط : وقمعد .

٣ س : أبو الحسن .

٤ ديوان المتنبي : ١١١ .

بِرُسُومٍ كَأَتَهُنَّ نَجُومٌ^١ فِي عِرَاصٍ كَأَتَهُنَّ لَيَالٍ
وَلَهُ حَدِيثٌ سَتَسْتَظَرِفُهُ إِذَا سَهَلْتَ لَهُ إِذْنُكَ ، وَأَعَرْتَ لَهُ أَذْنُكَ .

وأبو المغيرة في دُعَابَتِهِ هَذِهِ كَمَا قَرَأْتُهُ فِي فَصْلِ كَتَبَهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنُ طَاهِرٍ إِلَى الْوَزِيرِ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ^١ مَعَ غَلَامٍ وَسِيمٍ ، قَالَ فِيهِ : هَذَا الْفَتَى
كَمَا تَرَاهُ يُطَلَّبُ خِدْمَتَهُ ، وَبِهِ حِشْمَةٌ ، وَبِزَعْمٍ أَنَّهُ يَحْمِلُ حِمْلَهُ ،
وَيُؤْتِي كُلَّ حِينٍ أَكْلَهُ ؛ وَقَدْ مَأَّ عَهْدُكَ تَحِينَ إِلَى هَذِهِ الْعَصَافِيرِ ، فَإِنَّمَا
حُمُرُ الْحَوَاصِلِ صُفْرُ الْمَنَاقِيرِ .

وَعَرِضَتْ عَلَى أَبِي الْمَغِيرَةِ رِسَالَةٌ بِدِيعِ الزَّمَانِ^٢ فِي الْغَلَامِ الَّذِي خَطَبَ
إِلَيْهِ وَدَّعَ بَعْدَ أَنْ عَذَّرَ ، وَبَقِلَ وَجْهُهُ وَأَزْهَرَ ، فَعَارَضَهَا بِرَقْعَةٍ يَقُولُ
فِيهَا : وَرَدَ كِتَابُكَ تَنْشُدُ ضَالَّةً وَدَنَا ، وَتَرْقَعُ خَلْقَ عَهْدِنَا ، وَتَطْلُبُ
مَا أَفَاتَنَّهُ جَرِيرَتُكَ إِلَيْنَا ، وَذَهَبَتْ بِهِ جَنَائِثُكَ عَلَيْنَا ، أَيَّامَ غُصْنِكَ نَاضِرٍ ،
وَبَدْرُكَ زَاهِرٍ ، لَا نَجِدُ رَسُولًا إِلَيْكَ غَيْرَ لَحْظَةٍ تَخْرِقُ حِجَابَ الدُّمُوعِ ،
أَوْ زَفْرَةَ تَقِيمُ مُنَادَ الضُّلُوعِ ؛ فَإِنْ رُمْنَا شَكْوَى يَنْفُثُ بِهَا مَصْدُورُنَا ،
أَوْ يَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا مَهْجُورُنَا ، لَقِينَا دُونَهَا أَمْنَعَ سَدٍّ ، وَأَفْدَحَ رَدٍّ . وَقُلْتُ :
أَهَذَا الطَّامِعُ فِي أَنْ يُطَالَعَ الْقَمَرُ الطَّالِعَ ، وَالرَّاعِبُ فِي أَنْ يُصَاحَبَ النَّجْمُ
الْثَّاقِبُ ؟ لَشَدَّ مَا زَادَ ، وَأَبْعَدَ مَا أَرَادَ ! حَاوِلْ تَأَلُّفَ الطَّبِيبِ الشَّارِدِ ، وَهَضْرَ
الْغُصْنِ الْمَائِدِ ، بِدَمْعَةٍ صَبَّهَا ، وَزَفْرَةٍ شَبَّهَا ، أَمَا عَلِمَ أَنْ لَحْظِي سَهْمٌ :
الْقُلُوبُ أَغْرَاضُهُ ، وَأَنْتِي طَبِيبٌ : النُّفُوسُ رِيَاضُهُ ؟ فَتَنْصَرِفُ عَنْكَ كَمَا أَتَيْنَا ،
وَنَقِفُ كَمَا جَرَيْنَا ، وَنَعُودُ إِلَى نَارِ الْوَجْدِ بِكَ نَصْلَاهَا ، وَدِيَارِ الْبُعْدِ عَنْكَ
لَا نَبْرَحُ مَغْنَاهَا^٣ ؛ حَتَّى إِذَا طَفِئَتْ تِلْكَ النَّيِّرَانِ ، وَانْتَصَفَ مِنْكَ الزَّمَانُ ،

١ راجع ترجمة ابن طاهر في القسم الثالث من الذخيرة : ٢٤ وكذلك ترجمة ابن عبد العزيز : ٤٠ .

٢ انظر رسائل البديع : ٨٤ وزهر الآداب : ٧٣٢ .

٣ وقلت أهذا الطامع ... مغناها : سقط من ط .

بشَعَرَاتٍ أَغْشَتْ هَلَالَكَ كَسُوفًا ، وَقَلَبَتْ دِيَابَجَكَ صُوفًا ، وَأَعَادَتْ
نَهَارَكَ لَيْلًا ، وَنَاحَتْ عَلَيْكَ تَلْهُثًا وَوَيْلًا ، وَأَطَارَ حَمَامَكَ غُرَابُهَا ، وَحَجَبَ
ضِيَاءَكَ ضَبَابُهَا ؛ فَصَارَ عُرْسُكَ مَاتِمًا ، وَعَادَ وَصْلَكَ مُحْرَمًا :

وَبَيْتٌ مُدَامًا تَسُورُ النَّزِيْفَا فَأَصْبَحْتَ تُجْرَعُ خَلَاً ثَقِيْفَا
وَصِرْتَ حِجَازًا جَدِيْبَ الْمَحَلِّ وَقَدْ كُنْتَ لِبَطَالِيبِ الْخَصْبِ رِيْفَا
أَقْبَلْتَ تَنْسَلُّ إِلَيْنَا لِيُوَاذَا ، وَتَطْلُبُ مِنَّا عِيَاذًا ، قَدْ أَنْسَاكَ ذُلُّ الْعَزْلِ
عِزَّ الْوِلَايَةِ ، وَأَوَّلَاكَ طَمَعًا نَسِيَانًا ^١ تِلْكَ الْجِنَايَةِ ، أَيَّامَ تَرَشُّقُنَا سِيَهَامُ
الْحَاطِكِ رَشَقًا ، وَتَقْتُلُنَا سِيَوْفُ الْفَاطِكِ عِشْقًا ؛ وَتَمِيسُ غُصْنًا ، فَتُثِيرُ
حُزْنًا ، وَتَطْلُعُ شَمْسًا ، فَتَغْتِيبُ ^٢ نَفْسًا ، خُدُودُنَا أَرْضُ نِعَالِكَ ،
وَصَدُورُنَا حَدُّ مَجَالِكَ ، وَنَفُوسُنَا مِيهَادُ خَبِكَ ^٣ ، وَقُلُوبُنَا مَيِّدَانُ حَرْبِكَ ؛
فَالآنَ نَلْقَاكَ بَدْمَعٍ قَدْ جَفَّ ، وَوَجْدٍ قَدْ كَفَّ ، وَعِزَاءٍ قَدْ أَيْدَ ، وَصَبْرٍ قَدْ
غَارَ وَأَنْجَدَ ، وَهَوًى قَدْ أَرَاخَ رَوَاحِلَهُ ، وَأَطَاعَ عَاذِلَهُ ، وَسَلُّوْهُ قَدْ قَرَّبَ
رَكَائِبَهُ ، وَأَسْعَدَ طَالِبَهُ ؛ وَنَنْظُرُ مِنْكَ إِلَى رَوْضٍ قَدْ صَوَّحَ ، وَسَارٍ قَدْ
أَصْبَحَ ، وَأَعْجَمَ قَدْ أَفْصَحَ ، وَمُبْهَمٍ قَدْ صَرَّحَ ؛ فَلَا شَكَّ وَقَدْ رُفِعَ الْغِطَاءُ ،
وَلَا إِفْكَ وَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ ، وَلَا لَوْمَ وَقَدْ وَقَعَ الْجِزَاءُ ؛ فَهَلَّا ذَكَرْتَ الْمَثَلَ
الْمُمْتَنِّهِنَ : الصَّيْفَ ضَيَّعَ اللَّبْنَ ^٤ ، وَنَسِيْتَ مِنْ أَحْرَقَتْ قَلْبَهُ صَدَأَ ،
وَأَقْلَعَتْ خَلْبَهُ رَدَأَ ؛ وَمَلَأْتَ جَوَانِحَهُ ^٥ نَارًا ، وَتَرَكْتَ نَوْمَهُ غِرَارًا ؛
أَنْ يُوفِيكَ قَرْضًا ، وَيُجَازِيكَ حَتَّى تَرْضَى ، حِينَ نُكْسِ عِلْمُكَ ،

١ س : نسيانك .

٢ ط : فتفيت .

٣ هذه قراءة تقديرية ، إذ اللفظة لم ترد في ط ، ووردت في س : بنك ؛ والحب : الخداع .

٤ انظر فصل المقال : ٣٥٧ والميداني ٢ : ١٠ والفاخر : ٩٠ والضيبي : ٧ .

٥ ط : جوارحه .

وَعَثَرَتْ قَدَمُكَ ، وَضَاقَتْ طَرُقُكَ ، وَأَظْلَمَ أَفْقُكَ ، وَخَوَىٰ نَجْمُكَ ،
وَحَابَ قِدْحُكَ ، وَفُلَّ سَيْفُكَ ، وَحُطَّ رُمْحُكَ . فَاطُو ثَوْبَ وَصْلِكَ ،
فَلَا حَاجَةَ لَنَا إِلَىٰ لِبَاسِهِ ، وَازْوَ طَارِقَ شَخْصِكَ ، فَلَا رَغْبَةَ لَنَا فِي إِيْنَاسِهِ ،
فَمَا نَشْتَهِي الْيَوْمَ زِيَارَةَ رُثْمَسٍ مِنْ زَهْدٍ فِينَا أَمْسٍ :

حَانَتْ مَنِيَّتُهُ فَاسْوَدَّ عَارِضُهُ كَمَا تُسْوَدُّ بَعْدَ الْمَيِّتِ الدَّارُ
قَوْلُهُ : « وَبَتْ مَدَامًا تُسَرُّ التَّزْيِفَا » ... الْبَيْت : أَخَذَهُ ابْنُ عُبَادَةَ
الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْقَزَّازِ ٢ ، وَأَوْجَزَهُ غَايَةَ الْإِيجَازِ فَقَالَ :

يَا عُقَّارًا صَارَ خَلَاءً وَمَلَاذًا لِلْبَعْوَضِ
سِرٌّ فَمَالِي فِيكَ حَظٌّ كَانَ ذَا قَبْلَ الْحُمُوضِ
مَا أَبَالِي بَعْدَ أَكْلِ ١١ زَبَدٍ مِنْ طَرَحِ الْمَخِيضِ

وَالْبَيْتُ الَّذِي تَمَثَّلَ بِهِ أَحْيَرَاءُ لَعْلَى بْنِ بَسَّامٍ الْبَغْدَادِي ٣ ، مِنْ جُمْلَةِ
أَبْيَاتٍ قَالَهَا فِي أَخِيهِ جَعْفَرٍ ، مِنْهَا :

يَا مَنْ نَعَتْنَاهُ إِلَى الْإِخْوَانِ لِحَيْتَتِهِ أَذْبَرْتَ وَالنَّاسُ إِقْبَالُ وَإِدْبَارُ
قَدْ كُنْتُ مِمَّنْ يَهْشُ النَّاطِرُونَ لَهُ تَغْضُ دُونَكَ أَسْمَاعُ وَأَبْصَارُ

١ س : وَهْوَى .

٢ سَتَّانِي تَرْجَمَتُهُ فِي هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الذَّخِيرَةِ .

٣ هُوَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ بَسَّامِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَسَامِيِّ (- ٣٠٢ أَوْ ٣٠٣) ؛ انْظُرْ

تَرْجَمَتُهُ فِي الْفَهْرَسْتِ : ١٥٠ (فُلُوجِل) وَمَعْجَمُ الْمَرْزُبَانِيِّ : ١٥٤ وَتَارِيخُ بَغْدَادِ : ١٢ :

٦٣ وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ : ١٤ : ١٣٩ وَمَرْوُجُ الذَّهَبِ : ٤ : ٢٩٧ وَاعْتَابُ الْكِتَابِ : ١٨٨

وَوَفِيَّاتُ الْأَعْيَانِ : ٣ : ٣٦٣ وَالْفَوَاتِ : ٣ : ٩٢ وَالْبَابُ (الْبَسَامِيُّ) وَالْهَدَايَا وَالتَّحْفُ :

لله درُ فَنِيَّ وَلَتُ شَيْبَتُهُ وكلُّ شيءٍ له حدٌّ ومِقْدَارُ
فَيَا لَدَهْرٍ مَضَى مَا كَانَ أَحْسَنَهُ إذْ أَنْتَ مُسْتَنَعٌ وَالشَّرْطُ دِينَارُ
أَيَّامٍ وَجَهْلُكَ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهُ وللرِّيَاضِ عَلَى خَدِّكَ أَنْوَارُ
حَازَتْ مَنِيَّتُهُ فَاسْوَدَّ عَارِضُهُ كَمَا تُسْوَدُّ بَعْدَ الْمَيِّتِ الدَّارُ

وكان ابن بسام هذا في أوانه ، باقعةَ زمانه ، لم يسلم منه عصره أميرٌ ولا وزير ، ولا من أهل بيته صغيرٌ ولا كبير ؛ وكان أخوه جعفر الذي ذكر من أهل الجمال الفائق ، وفيه يقول :

حَانَ الْمَنِيَّةُ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ فَدَعِ الْمِكَّاسَ فَلَاتَ حِينَ مَكَّاسِ
مَا بَالُ وَجْهِكَ بَعْدَ كَثْرَةِ نُورِهِ قَدْ سَوَّدُوهُ بِحَالِكَ الْأَنْفَاسِ
أَيْنَ الدَّانِيَرُ الَّتِي عَوْدَتْهَا هَيْهَاتَ جَاءَ الشَّعْرُ بِالْإِفْلَاسِ
كَانَتْ تُجِدُّ ثِيَابَهُ دِيَابِجَةً فَاسْتَبْدَلَتْ حِلْسًا مِنَ الْأَحْلَاسِ
وَكَذَا الْبِنَاءُ فَغَيْرُ مُرْتَفِعٍ إِذَا كَانَتْ بَلِيَّتُهُ مِنَ الْآسَاسِ

وهو القائلُ في أبيه^١ وقد بنى داراً :

شِدَّتْ دَارًا خَلَّتْهَا مَكْرُمَةٌ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْغَرَقَا
وَرَأَيْتُكَ صَرِيحاً وَسَطَهَا وَرَأَيْنَاهَا صَاعِداً زَلَقَا

واشتهارُ شعره في أبيه^١ وأخيه وأهل عصره ، يمنعني عن ذِكْرِهِ ؛ ويُدْكَرُ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ إِذَا كَانَ مِنْ وَادِيهِ ، أَوْ نَظَرَ إِلَى الْفَظِّ أَوْ مَعَانِيهِ^٢.

١ س ط : ابنه .

٢ هنا تعود النسخة ب فتشترك مع ط س .

ولَمَّا اتَّفَقَ ١ أَنْ يَكُونَ عَلِيُّ بْنُ بُسَّامٍ هَذَا سَمِيًّا ، واجتمعت بالوزير أبي محمد عبد المجيد بن عبدُون أوَّلَ لِقَائِي له بِشَنْتَرِينَ فِي جُمْلَةِ أَصْحَابِ الْمُتَوَكَّلِ ، فَأَوَّلَ مَجْلَسٍ اجْتَمَعَتْ مَعَهُ فِيهِ ، وَسَمِعَ بَعْضَ الْإِخْوَانِ يَدْعُونَنِي بِاسْمِي ، فَقَالَ لِي : أَنْتَ عَلِيُّ بْنُ بُسَّامٍ حَقًّا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : أَوْ تَهْجُو حَتَّى الْآنَ أَبَاكَ أبا جعفرٍ وَأَخَاكَ جعفرًا ؟ قُلْتُ لَهُ : وَأَنْتَ أَيْضًا عَبْدُ الْمَجِيدِ ؟ قَالَ : أَجَلْ ، قُلْتُ : وَحَتَّى الْآنَ فَيْكَ ابْنُ مُنَازِرٍ يَتَغَزَّلُ ؟ فَضَحِكَ مِنْ حَضَرَ لِهَذَا الْجَوَابِ الْحَاضِرِ . وَخَبَرُ ابْنِ مُنَازِرٍ مَعَ عَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيِّ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يُشْرَحَ . وَكَانَ مِنْ أَجْمَلِ فِتْيَانِ ذَلِكَ الْأَوَّانِ ، وَآدَبِهِمْ وَأَظْرَفِهِمْ ، فَكَكَلِفَ بِهِ ابْنُ مُنَازِرٍ وَتَعَشَّقَهُ ، فَاعْتَبَطَ لِعِشْرِينَ سَنَةً ، فَرِثَاهُ بِذَلِكَ الْقَصِيدِ الْفَرِيدِ ، الَّذِي يَقُولُ فِيهِ ٢ :

فَلَوْ أَنَّ الْأَيَّامَ أَخْلَدَنَ حَيًّا لِعِلَّامٍ أَخْلَدَنَ عَبْدَ الْمَجِيدِ ٣

وَأَمَّا صِفَاتُ الْمُعَدَّرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، فَقَدْ جَرَتْ خِيُولُ فِرْسَانِ هَذَا الشَّانِ ، بِهَذَا الْمَيْدَانِ ، وَتَفَتَّنُوا فِي ذَلِكَ نَثْرًا وَنَظْمًا ، وَتَطَارَدُوا فِيهِ مَدْحًا وَذَمًّا . وَمِمَّنْ ذَمَّهُمْ مِنْ أَهْلِ عَصْرِنَا عَبْدُ الْجَلِيلِ ٤ ، حَيْثُ يَقُولُ :

وَأَمْرَدَ يَسْتَهِيمُ بِكُلِّ وَادٍ وَيَنْصِبُ لِلشَّجَى خَدَّآ صَلِيًّا
دَعْوَتُ دُعَاءِ مَظْلُومٍ عَلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ مُسْتَمَعًّا مُجِيًّا

١ تَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي الْقِسْمِ الثَّالِثِ مِنَ الذَّخِيرَةِ : ٤٩٨ .

٢ ط : فَرِثَاهُ بِالْقَصِيدَةِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا .

٣ الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوْرَدَهَا الْمُبْرَدُ فِي الْكَامِلِ ٤ : ٦٢ وَانْظُرْ طَبَقَاتُ ابْنِ الْمُعْتَزِ : ١٢٢ -

١٢٤ وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣ : ٨٣ .

٤ ط : عَبْدُ الْمَجِيدِ .

فَطَوَّقَهُ الزَّيْمَانُ بِمَا جَنَاهُ ۖ وَعَلَّقَ مِنْ عِذَارِيهِ الذَّنُوبَا

وأخذه أبو بكر الدَّانِي فقال ١ :

بدا على خدِّه عذارُ في مثليه يُعْذَرُ الكُثيبُ
وليس ذاك العذارُ شَعْرًا لَكُنَّما سرُّهُ عَجِيبُ
لَمَّا أراقَ الدَّمَاءَ ظُلُمًا بَدَتِ على خدِّه الذُّنُوبُ

ولعبد الجليل في هذه الصفاتِ عِدَّةُ مَقْطُوعَاتٍ ، فَتَحَ بها جِرَابَ السَّخْفِ ،
وَلَمْ يَسْتَتِرْ فيها من العقلِ بسجف ؛ وقد كتبتُ من شعره في هذا الباب وسواه
في القِسْمِ الثاني من هذا الكتاب بعضَ ما اخترناه .

وَلَمْ أَسْمَعْ في ذِمٍّ من عُزْلَةٍ عن ولايةِ حُسْنِهِ ، أَحْسَنَ من قولِ بعضِ
أهلِ عصرِنَا وهو أبو الحسنِ البَرْقِيُّ ٢ في أبياتٍ تُسْتَنْدَرُ بِجُمْلَتِهَا وهي :

الآنَ لَمَّا رَوَّضْتَ ٣ وَجَنَّائِهِ شَوْكًا وَأَضْحَتِ سَلْوَةَ العِشَاقِ
وَاسْتَوْحِشْتَ مِنْكَ المَحَاسِنُ وَاكْتَسَتْ أَنْوَارُ وَجْهِكَ وَاهِيَّ الْأَخْلَاقِ
أَنْشَأْتَ تَبَذُّلُ لِي الْوِصَالِ تَصْنِيعًا خُلُقَ اللَّيْمِ وَشِيْمَةَ الْمَدَاقِ
هَلَا وَصَلْتَ إِذِ الشَّمَائِلُ قَهْوَةً وَإِذِ الْمُحَيَّا رَوْضَةً الْأَحْدَاقِ
فَلَكُمْ أَطْلَتْ غَرَامَ قَلْبٍ مُوجِعٍ كَمْ قَدْ أَلَبَّ إِلَيْكَ بِالْأَشْوَاقِ

١ انظر الذخيرة ٣ : ٦٦٩ .

٢ المَطْمَح : ٨٩ والنَّفْع ٧ : ٥٥ (نقلًا عن المَطْمَح) .

٣ المَطْمَح : صُرِجَتْ ؛ النَّفْع : صُوحَتْ .

ما كُنْتُ إِلَّا الْبَدْرَ لَيْلَةً تَمَّهَ حَتَّى قَضَتْ لَكَ لَيْلَةً بِمِثَالِ
لَا حَ الْعَذَارُ قُلْتُ : وَجْهٌ ١ نَارِحٌ إِنَّ ابْنَ دَايَةَ مُؤَذِّنٌ بِفِرَاقِ

ولأبي الحسن في هذه أيضاً ٢ عِدَّةٌ مُحَاسِنٌ ، إِذْ كَانَ قَدْ خَلَعَ عِذَارَهُ
فِي صِفَاتِ الْمَعْذَرِينَ كَقَوْلِهِ :

وَأَزْهَرَ حَيًّا بَرِيحَانَةً تَضَوَّعَ مِنْ عَرَفِهَا الْمَنْدَلُ
وَزَادَ بِنَفْسِهِ أَصْدَاغَهُ قُلْتُ الزِّيَادَةُ قَدْ تَقَبَّلُ
وَقَالَ أَيْضاً :

بِأَبِي ٣ الَّذِي خَطَّ الْجَمَالَ لُ بَوَجْهِهِ لَامًا وَنُونُ
وَأَظْنَنْتُهُ جَعَلَ الْمِدَا دَ سَوَادَ أَحْدَاقِ الْجَفُونِ
خَافُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعِيُونِ نِ فَعَاوَذُوهُ بِالْعِيُونِ
وَهَذَا كَقَوْلِ عَبْدِ الْجَلِيلِ :

وَمُعْذَرِينَ كَأَنْتَمَا بِخُدُودِهِمْ طُرُقُ الْعِيُونِ وَمَنْهَجُ الْأَرْوَاحِ
وَكَأَنْتَمَا صَقَلُوا الْجَمَالَ وَأَظْهَرُوا مَشْيَ النَّمَالِ عَلَى مُتُونِ صِفَاحِ

وَمِمَّنْ عُنِيَ بِهَذَا الْوَصْفِ الْمَعْرِيُّ، حَيْثُ يَقُولُ فِي ذِكْرِ السِّيفِ ٤ :
وَدَبَّتْ فَوْقَهُ حُمْرُ الْمَنَاسِبِ وَلَكِنْ بَعْدَمَا مُسِخَتْ نِمَالًا

١ التفتح والمطمح وب : وجد .

٢ ط : ولأبي الحسن هذا ...

٣ ط : ياذا .

٤ شروح السقط : ٢٨ .

وقال في موضعٍ آخر ١ :

وَلَا حَسِبْتُ صَغَارَ النَّمْلِ يُمَكِّنُهَا سَعْيِي عَلَى اللُّجِّ أَوْ مَشْيِي عَلَى السُّعْبِرِ

وقال بعض أهل عصري وهو الوزير أبو محمد ابن عبد الغفور ٢ :

تُرِيهِ الْمَنَايَا الْحُمُرُ فِيهِ وَجُوهَهَا مُخَاتِلَةَ الْأَرْوَاحِ فِي صُورِ الذَّرِّ

وقال أيضاً بعض أهل أفقنا ٣ :

جَدَاوِلُ مَاءٍ مَا تَسُوغُ لِـإِسْوَارِدٍ تَرَى النَّمْلَ غَرَقَى فِيهِ غَيْرَ الْأَكَارِعِ

وقد كرّر عبد الجليل معنّى بيته المتقدم فقال :

وَمَشَتْ لِحَاطِي فِي جَوَانِبِ خَدِّهِ حَتَّى أَثْرُنَ بِصَفْحَتَيْهِ طَرِيقَا

وقال أبو محمد بن سارة الشنتريني ٤ :

وَمُعَذَّرَ رَقَّتْ حَوَاشِي حُسْنِهِ فَقُلُوبُنَا وَجَدَاً عَلَيْهِ رِقَاقُ
لَمْ يَكُنْ عَارِضَهُ السَّوَادُ وَإِنَّمَا نَشَرَتْ عَلَيْهِ سَوَادَهَا ° الْأَحْدَاقُ

وقال أيضاً بعض أهل عصري وهو ابن رباح أبو تمام الملقب
بالحجّام ٥ :

١ شروح السقط : ١٦٠ ، باختلاف في الرواية .

٢ سترد ترجمته في القسم الثاني .

٣ نسب البيت في س ب إلى ابن عبد الغفور أيضاً .

٤ ترد ترجمته في القسم الثاني .

٥ س ب : نفضت عليه صباغها .

٦ ترجمته في القسم الثالث : ٨٢١ .

يا لُعْبَةً بذوي الألبابِ لاعبةٌ
 خلقت بيضاء كالكاפורِ ناصعةٌ
 في أصلِ حُسْنِكَ مَعْنَى غَيْرِ مُتَّفَقٍ
 فصرتِ سوداءَ آمنٍ مثالكِ في الحدَقِ
 وهو أيضاً القائلُ في هذا المعنى :

وسوداءِ الأديمِ إذا تَبَدَّتْ
 رآها ناظري فصبا إليها
 ترى ماءَ النعيمِ جرى عليه
 « وَشِبَهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ »
 وسمعَ الوزيرُ أبو جعفرِ بنُ جرجٍ^١ من أهلِ أَفْقِنَا قولَ ابنِ الجَهْمِ^٢ :

وعائبٍ لِسُمْرٍ من جَهْلِهِ
 قُولُوا لَهُ عَنِّي : أَمَا تَسْتَحْيِ ؟
 مُفَضَّلٍ لِلْبَيْضِ ذِي مَحْنِكَ
 من جعلَ الكافورَ كالمسكِ ؟
 فعارضه بقوله :

وعائبٍ للبيضِ ذي إفْكٍ
 دَعِ عَنْكَ هَذَا وَانْقَلِبْ خَاسِئاً
 معارضِ الكافورِ بالمسكِ
 ما النورِ مِثْلُ الظُّلَمِ الحُلْكِ
 ثمَّ ساعد ابنَ الجَهْمِ فقال :

غَضَنُ من الآبَنُوسِ أَبَدِي
 ليلُ نعيمٍ أَظْلُ فيه
 من مِسْكِ دارينَ لي ثِمَارا
 للطَّيبِ لا أَشْتَهِي نَهَارا

١ س ب : سمراء .

٢ انظر ترجمته في القسم الثالث : ٤٤٨ .

٣ ديوان ابن الجهم : ١٦٢ عن شرح المقامات ١ : ١٣١ .

ولابن جُرْجٍ أيضاً في مثله :

وسمراء باهى كلفةَ البدرِ وجهها
مُحَبَّبةٌ من حبةِ القلبِ لونها
إذا لاحَ في ليلٍ من الشَّعرِ الجعدِ
وطينتُها للمسكِ والعنبرِ الورْدِ

وقال أبو عليّ ابن رشيقي^١ :

دعا بكِ الحُسْنُ فاستجيبني
تبيهي على البيضِ واستطيلي
يا مسكُ في صِبْغَةٍ وطيبِ
كَمَقْلَةٍ^٢ الشَّادِنِ الرَّيبِ
ولا يرُعْكَ اسْوَدَادُ لَوْنٍ
في أعْيُنِ الناسِ والقلوبِ
فلنما الثَّورُ عن سوادِ

قال ابن بسّام : وهذا من الكلامِ الرائقِ ، المتأخّرُ السابق ، في تفضيلِ
السّوادِ على البياضِ ، مع أنّ ابنَ الرُّوميّ لم يدعَ فيه لأحدٍ من اعتراض ،
وقد كان قبله أبو حفص الشَّطرنجِيُّ قال^٣ :

أشبهَكَ المسكُ وأشبهتِه
قائمةٌ في لَوْنِهِ قاعدهُ
لا شكَّ إذ لَوْنُكُمَا واحدٌ
أنكُمَا من طينَةٍ واحدِ

ولمّا كانت شدّةُ البياضِ مما يُعاب ، وأنَّ أكفَّ بعضِ السُّودانِ
مُشَقَّقةٌ وأطرافهم ليستُ بناعمةٍ لَيّنةً ، وأنَّ عرقَهم خبيثٌ مع الفلحِ
الملازمِ لأوساطِ الشَّقاهِ ، وسائر ما فيهم من هذه الأَشباهِ ، نفَى ابنُ الرُّوميّ
ذلك كُلّه فقال يَصِفُ جاريةَ عبد الملك بن صالحِ السّوداءِ :

١ ديوانه : ٣٦ والغيث : ٢ : ٣٤٥ ونهاية الأرب : ٢ : ٣٩ وشرح المقامات : ١ : ١٣١ .

٢ في النسخ : بمقْلَةٍ .

٣ زهر الآداب : ٢٢٩ - ٢٣٢ وابن بسّام هنا يتابعه ؛ وفي ط : وأبو حفص الشَّطرنجِيُّ

قبله القائل .

سوداءُ لم تنتسبْ إلى برّصِ الشُّقرِ ولا كُلفَةٍ ولا بهقٍ
ليست من العُبسِ الأكفِّ ولا الفُلحِ الشِّفاهِ الحَبائثِ العَرَقِ
وبعضُ ما فَضَّلَ السَّوَادُ بِهِ والحقُّ ذو سُلَمٍ وذو نَفَقِ
ألاَّ تَعِيبَ السَّوَادَ حُلُكَتُهُ وقد يُعَابُ البِياضُ بالبَهَقِ
أَكْسَبَهَا الحُبُّ أَنَّهَا صُبِغَتْ صِبْغَةً حَبِّ القُلُوبِ والحدقِ
فَانصَرَفَتْ نَحْوَهَا الضَّمائرُ ١ والـ أَبْصَارُ يُعْنِقْنَ أَيْمًا عَنقَ

ولَمَّا سَمِعَ ابنُ الرُّومِيِّ قولَ أبي نُؤاسٍ ، وقد نَبَّهَ نَدِيمًا للصُّبُوحِ
فأخْبَرَ عن حالِهِ ، وهو من جَيْدِ تشبيهِاته :

فَقَامَ وَالْمَيْلُ يَجْلُوهُ الصَّبَاحُ كَمَا جَلَا التَّبَسُّمُ عَنْ غُرِّ الثَّنِيَّاتِ ٢
قال ابن الرُّومِيِّ في هذه القَصيدة :

يَفْتَرُّ ذَاكَ السَّوَادُ عَنْ يَقَقٍ من ثَغْرِهَا كَاللَّالِئِ النَّسَقِ
كَأَنَّهَا وَالْمِزَاجُ يَضْحِكُهَا لَيْلٌ تَقَرَّرَى دُجَاهُ عَنْ فَلَقِ

وَفَضَّلُ كَلَامِ ابنِ الرُّومِيِّ عَلَى سِوَاهُ ، أَنَّهُ قَدَّمَ فِي التَّشْبِيهِ لِمَعْنَاهُ
مُقَدِّمَةً أَيْدَتْهُ وَوَطَأَتْ لَهُ الْأَذَانَ ، وَأَصْغَتْ الْأَفْهَامَ إِلَى الْإِسْتِحْسَانِ ،
وَهِيَ قَوْلُهُ : « يَفْتَرُّ ذَاكَ السَّوَادُ عَنْ يَقَقٍ » وَكَانَ سُئِلَ أَنْ يَسْتَغْرِقَ
فِي صِفَاتِ مَحَاسِنِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ فَقَالَ :

لَهَا حِرٌّ يَسْتَعِيرُ وَقَدَّتَهُ مِنْ قَلْبٍ صَبٍّ وَصَدْرٍ ذِي حَنْقِ

١ ط : البصائر .

٢ ديوان أبي نؤاس : ٢٥٠ .

كَأَتَمَّا حَرَّهُ لَذَائِقِهِ مَا أَلْهَبَتْ فِي حَشَاهُ مِنْ حُرْقٍ
يَزْدَادُ ضَيْقًا عَلَى الْمِرَاسِ كَمَا تَزْدَادُ ضَيْقًا أَنْشُوطَةُ الْوَهَقِ

وفكر ابن الرومي فيما فكر فيه النابغة إذ أمره النعمان بوصف المتجرّدة فوصف ما يجوز ذكره من ظاهر محاسنها ثم كرهه أن يذكر من باطنها ١ مالا يسوغ لمثله أن يذكره منها ، فردّ الإخبار عن تلك الصفات إلى صاحبها وهو الملك فقال :

زعم الهمام بأنّ فاهَا باردٌ عذبٌ مُقبِّلُهُ شهِيّ المَوَرِدِ

الآيات ، فقال ابن الرومي :

وَصَفْتُ فِيهَا الَّذِي هَوَيْتَ عَلَى الذِّ وَهَمٍ وَلَمْ أُنْتَبِذْ وَلَمْ أَذُقِ ٢
إِلَّا بِأَخْبَارِكِ الَّتِي وَقَعَتْ مِنْكَ إِلَيْنَا عَنْ ظَبْيَةِ الْبُرْقِ
حَاشَا لِسَوْدَاءٍ مَنَظَرٍ سَكَنْتَ دَارَكَ إِلَّا مِنْ مَخْبَرٍ يَفْقُ

ولما سمع الفرزدق يرثي امرأة توفيت حاملاً ، حيث يقول ٣ :

وَجَفَنْ سِلَاحٍ قَدْرُزْتُ فَلَمْ أَنْعِ عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيَا
وَفِي بَطْنِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِظَةٍ لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا أَنْسَبَتْهُ لِيَالِيَا

قال ابن الرومي :

أَخْلَقَ بِهَا أَنْ تَقُومَ عَنْ ذَكَرٍ كَالسَّيْفِ يَفْرِي مُضَاعَفَ الْحَلَقِ

١ ب س زهر الآداب : فضائلها . ٢ زهر الآداب : ولم نخبر ولم نذق .
٣ زهر الآداب : ٢٣٢ والصفاعتين : ٢٠٦ والموازنة ١ : ٨٣ وأخبار أبي تمام : ٢٢٠ .

إِنْ جَفُونِ السُّيُوفِ أَكْثَرُهَا أَسْوَدُ ، وَالْحَقُّ غَيْرُ مُخْتَلَقٍ
 فزاد زيادةً بَيِّنَةً ، وعبارةً واضحةً ، لم تَفْتَقِرْ إلى تفسيرِ أصحابِ
 المعاني ، وبلغ من الإجادة ، فوق الإرادة . ومناسبةُ الشعرِ في المعنى واللفظِ
 كثيرة ،

ونرجع الى رسائل أبي المغيرة :

فصل من رقعة له ^١ : مؤدّي كتابي هذا قصدَ حضرةَ الحاجبِ الفاضل ،
 ولم يجدْ بُدْأً من سَبَبٍ واصل ، إلى رجاءٍ حاصل ؛ وأنتَ هنالك في كلِّ
 مَطْلَبٍ صالح ، ومذهبٍ راجح ، الدَّلْوُ والرِّشَاءُ ، والنهايةُ والابتداء ؛
 وللقُرَشِيِّينَ ^٢ أَلْسِنَةٌ بِالثَّنَاءِ فِصَاح ، وَمَنْ أَوَّلَاهُمْ يَدًا فَقَدْ حَمَلَ
 محاسنه أجنحةَ الرياح ، وكبّها في غُرّةِ الصَّبَاح .

فصل من رقعة شفاعةٍ أيضاً :

إذا شَرِبَ رَوْضُ الشُّكْرِ ، مِنْ حَوْضِ الْبِرِّ ، أَطْلَعَ مِنَ الزَّهَرِ ، مَا
 يُخْجِلُ مَسَاكَ الطُّرَرِ ؛ وَتَنْفَسَ عَنْ نَسِيمٍ ، يَشْفِي حَرَارَةَ الْقُلُوبِ الْهَيِّمِ ،
 وَبِحَسَبِ الْقَائِلِ يَكُونُ الْمَقَالُ ، وَعَلَى قَدْرِ الْجَائِلِ يَتَّسِعُ الْمَجَالُ ، وَأَبُو الرَّيِّعِ
 مِنْ عَلِيمٍ لِسَانُهُ إِنْ قَالَ ، وَبَيَانُهُ قَصْرٌ أَوْ طَال ؛ وَأَنَّهُ أَشَدُّ بُنَاةٍ الْكَلَامِ
 حَرِصاً ^٣ ، إِذَا وَجَدَ آجُرًا وَجَصًّا ؛ وَأَعْظَمُ جِيَادِهِ تَهَافُتًا ، إِذَا وَجَدَ مِيدَانًا
 مُتَفَاوِتًا ، فَمَنْ أَوْثَقَهُ بَرًّا ، طَوَّقَهُ شُكْرًا ، وَمَنْ خَلَعَ عَلَيْهِ ثِيَابَ الْفَضْلِ

١ لم يرد هذا الفصل في ط .

٢ ب س : « والعريسين » .

٣ حرصاً : لها وجه من معنى ، ولعلها أن تقرأ « ترصاً » وهو الاحكام .

من طراز الإكرام ، نَزَعَ إليه بجيادِ الحمدِ من مَرَبِطِ الكلامِ ، ؛ ولم يَزَلْ
يَمْرِي خِلْفَ الطَّلَبِ ، بِيَدِ الأدبِ ، وَيَسْرِي فِي ظِلَامِ^١ الامور ،
بَسِراجِ المنظومِ والمنثور ، حتَّى إذا رأى تلك الأسبابَ رِثائاً ، وعَيْنَ مُبْرَمَ
وسائِلِها أنكائاً ، طَلَّقَ عِرْسَ الشعرِ ثلاثاً ، وصار لا يرى نُجْجَةَ الأدبِ ،
ولو أوطأته على أرضِ الذَّهَبِ ؛ فَمَنْ سَمَّاهُ أديباً^٢ فقد عَقَّه ، أو وَسَمَّه
بشاعراً فقد أَبْطَلَ حَقَّه ؛ حتَّى إذا لَقِيَ من كريمِ صَوْناً ، وعلى ما يُحاوِلُهُ
عَوْناً ، ذكر فشكَّرَ ، بِشَنَاءِ كالزَّهَرِ ، تحت أنداءِ السَّحَرِ ، وأَمْسَكَ
من الآدابِ ، على هذا الدَّتَابِ ، ولولا أن يَسُرَّ بهذا القدرِ ذَا قَدْرٍ ،
لَصَدَّقَ الحَمَلَةَ ، ومحامها من صَدْرِهِ جُمْلَةً ، ونزَعَ إلى تَصَوُّفٍ يَحْمَدُ فيه
رَأْيَهُ ، وَيُجْنِيهِ ثَمَرَ العَيْشِ مِنْهُ سَعْيُهُ ؛ فقد سَمَّيْتُه تَشْبِهُهُ^٣ بِالْعِيَالِ ،
وَدُخُولِهِ تَحْتَ المِنْنِ السَّابِغَةِ الأَذْيَالِ^٤ . وَغَرَضُهُ مِنْكَ . - أَعَزَّكَ اللهُ -
رَأْيَ أَصِيلٍ ، وإرشادُ جَمِيلٍ ، وتَأْنِيسُ يَسْنُهِلُ بِهِ وَعِزُّ الزَّمانِ ، ويشي
إليه - إن شاء اللهُ - شاردَ الأمان .

وله من أخرى : أَعَزَّكَ اللهُ - في الاحتِماءِ حَسَمُ الدَّاءِ ، ولا عدُوَّ
للإنسانِ إلَّا نَفْسُهُ ، ولا حَيَّةَ ولا عَقْرَبَ إلَّا جِنْسُهُ ؛ وليس في الحيوانِ ،
أَخْبَثُ في ذاتِهِ من الإنسانِ ؛ فالاحتِراسَ كُلَّ الاحتِراسِ ، والمعاشِرةَ
الجميلةَ للنَّاسِ ؛ فأبْصِرْ بِصِيرَتِكَ ، وأَحْسِنْ سِرِّيَرَتِكَ ، ولا تُلْدَغَنَّ
من جُحْرِ مَرَّتَيْنِ ، وأَذْكُرِ المِثْلَ السَّائِرَ في اللَّاعِبِ^٤ بين وتَدَيْنِ ؛

١ ب : ظلم .

٢ ب س : بأديب .

٣ في ط ب س : الاندال ، وبها مش ط : الأذبال .

٤ ط : اللاعب .

والعَاقِلُ مَنْ حَمَلَهُ كُلُّ بَلَدٍ ، وَتَفَقَّ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ، وَأَعْقَلَ مِنْهُ مَنْ عَرَفَ النَّاسَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ ، فَاسْتَرَحَ مِنْ أَجْنَبِيٍّ^١ مُتَكَلِّفٍ ، أَوْ قَرِيبٍ^٢ غَيْرِ مَنْصَفٍ ، وَلَمْ يَفْتَقِرْ إِلَّا إِلَى رَبِّهِ ، وَلَمْ يَأْتَسْ إِلَّا بِنُورِ لُبِّهِ .
وله من أخرى :

فَالْأَرْضُ قَدْ نَشَرَتْ مَلَأَهَا ، وَسَحَبَتِ رِداءَهَا ، وَلَبَسَتْ جِلْبَابَهَا ، وَتَقَلَّدَتْ سِخَابَهَا ، وَبَرَزَ الْوَرْدُ مِنْ كَمَامِهِ ، وَاهْتَزَّ الرَّوْضُ لَتَغْرِيدِ حَمَامِهِ ؛ وَالْأَشْجَارُ قَدْ نَشَرَتْ شُعُورَهَا وَهَزَّتْ رُءُوسَهَا ، وَالْدُنْيَا قَدْ أَبْدَتْ بَشَرَهَا وَأَمَاطَتْ عُيُوسَهَا ؛ وَكَأَنَّ بِهَا قَدْ أُظْلِعَتْ مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ ضَرْوبًا ، وَأَبْدَتْ مِنْ جَنَاهَا مَنَظَرَ عَجِيبًا ؛ وَإِنْ كُنَّا لَا نُشَارِكُ فِي تِلْكَ إِلَّا بِالْعِيَانِ لَا بِاللَّسَانِ ، وَبِالطَّرْفِ لَا بِالْكَفِّ ، وَنَالُهَا بِالِاخْتِلَاسِ لَا بِالْأَضْرَاسِ ، وَلِلدَّهْرِ قِسْمٌ مِنْ أَقْسَامِ اللَّذَّةِ ، وَصِنْفٌ مِنْ أَصْنَافِ الشَّهْوَةِ :
شهدنا إذ رأيناهم فأنما على اللذاتِ في الدنيا شهودُ

وَحَالِي حَالٌ لِلْسَّقَامِ بِهَا اتِّصَالٌ ، وَلِلصَّحَةِ عَنْهَا انفِصَالٌ ، يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ ضَعْفُ الْبِنْيَةِ ، وَفَسَادُ الْأَهْوِيَةِ ، وَالتَّخْلِيلُ فِي الْأَغْذِيَةِ ؛ وَبَعْضُ صِلَاحِهَا بَلْ كُلُّهُ تَعَجِيلُكَ مُطَالَعِي بِحَالِكَ ، لِأَسْكُنَ إِلَى مَا أُؤْثِرُهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَشَقَّعَ لِي بِخَبَرِ فُلَانٍ^٣ ، وَاشْرَحَ لِي مِنْ خَبَرِ فُلَانٍ ، وَأَيْنَ بَلَغَ مِنْ تَكْسِيهِ^٤ ، وَحَيْثُ انْتَهَى مِنْ تَطَبُّبِهِ : وَكَيْفَ ظَرُوفُهُ وَخَزَائِنُهُ ،

١ ط : أَجْنَب .

٢ ط : غَرِيب .

٣ وَحَالِي حَالٌ .. فُلَانٌ : سَطَطَ مِنْ ط ، وَجَاءَ فِي مَوْضِعِهِ : « وَفِي فَصْلِ مِنْهَا » .

٤ ط : تَابَسِهِ .

ولَعُوقَاتُهُ وَمَعَايِنُهُ ، وَهَلْ يَنْفُذُ طِبُّهُ ، وَيَنْفُقُ بُخْتَجُهُ وَحِبُّهُ ١ ؛
وَصِفْتُ لِي مَا يَقُولُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَيُبْدِيهِ مِنَ الْأَدْوَاءِ ، وَأَهْدِي إِلَيَّ مَا يُنَمِّقُهُ
مِنَ الْمَقَالِ ، عَلَى الْكَبِيدِ وَالطُّحَالِ ، وَيُرَقِّشُهُ مِنَ الْكَلَامِ ، فِي الْفَالَسِجِ
وَالزُّكَامِ ؛ فَالْحَمْدُ لِمَنْ قَرَّنَ لَهُ ذَلِكَ إِلَى الْقِيَامِ بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ، وَالتَّمَهُّرِ ٢
فِي الْأَحْكَامِ ، وَمَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَالْفَلَاحِ عِنْدَ الْجِدَالِ وَالْحَصَامِ .

وله من أخرى ٣ :

فَكَمْ لَيْثٌ كَامِنٌ فِي غَابِهِ ، سَمِعْتُ صَرِيفَ أَنْيَابِهِ ، وَقَفَرْتُ أَنْسَتُ
فِي بَيْبَابِهِ ، إِلَى عَوَاءِ ذَنَابِهِ ؛ لَا أَمْرٌ إِلَّا بِالتَّصِّ الْمُسْتَلَبِ ، وَلَا أَلْفَى
غَيْرَ الْخَارِبِ الْمُنتَهَبِ ؛ وَشِعَارِي عِنْدَ النَّائِبَةِ أَلْقَاهَا فَأَتَخَطَّاهَا ، وَالتَّازِلَةَ
أَرَاهَا فَاتَعَدَّاهَا ، قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ ٤ :

فَإِنْ أَسْلَمْتُ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْجِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ

وَأَنَا أَرْقُبُ مِنَ الزَّمَانِ صَنِيعَهُ ، وَأَنْتَظِرُ الْجِمَامَ وَأَتَخَيَّلُ وَقُوعَهُ ؛
وَهُوَ يَذْهَبُ بِي إِلَى قِبْلَةِ الْأَمَالِ وَأَنَا لَا أَصْدَقُ ، وَيَسُوقُنِي إِلَى مَحَطِّ
الرَّحَالِ وَأَنَا لَا أَحَقِّقُ ، وَيَوْمُ بِي الْبَحْرَ الَّذِي لَا تُحْصَى فَوَائِدُهُ ، وَالغَيْثَ
الَّذِي لَا يَنْحِبُ رَائِدُهُ ؛ وَهَلَلْتُ إِحْمَاداً لِمَا سَقَطَتْ عَلَيْهِ ، وَعَلِمْتُ أَنِّي
فِي الْحَرَمِ الَّذِي لَا يُوطَأُ رِحَابُهُ ، وَلَا يُطَارُ غُرَابُهُ ، وَلَا يُخْضَدُ شَجَرُهُ ،

١ البختج : العصير المطبوع ، والخب : وعاء مثل الدن .

٢ ط : والتمهد .

٣ سقط هذا الفصل والذي يليه من ط .

٤ ديوان المتنبي : ٤٧٨ .

ولا يُمنَعُ ثَمَرُهُ ، ولم النَّبْثُ أَنْ نَزَلْتُ بِالْيَفَاعِ الحَصِيبِ ، وتمكَّنتُ من
الرَّشَاءِ والقَلِيبِ .

وفي فصل : وما أعلَمُ نائبةً كفراقك أَهدَى لِمَتَّئِن ، ولا نازلةً كَنَائِكَ
أَجْلَبَ لِحَزَنِ ، وما كُنْتُ أَرِيمُ رَبْعَكَ لو كان لي الخِيارُ ، ولا أَبْرَحُ مُنْزِلَكَ
لو ساعدتني الأقدارُ .

فقد كُنْتُ أَذْرَكْتُ المُنَى غيرَ أَنِّي يعيرني قومي بإدراكها وَحدي
وله فصل من أُخرى :

لم أَزَلْ أَزْجُرُ لِلِقَاءِ سَيِّدِي السَّانِحِ ، وأُستَمْطِرُ الغادِيَّ والرَّائِحَ ،
وأرومُ اقْتِنَاصَهُ ولو بِشَرَكِ المَنَامِ ، وأُحاولُ اخْتِلَاسَهُ ولو بِأَيْدِي الأَوْهَامِ ،
وأُعَاتِبُ الأَيَّامَ فلا تُعْتَبِ ، وأَقُودُهَا إِلَيْهِ فلا تُصَحِّبُ . حتَّى إذا غلب
البَاسُ ، وشَمِتَ النَّاسُ ، وضَرَبَتْ بِي الأَمْثَالُ ، فقلَّ أَكْثَرُ الآمالِ ضلالُ ؛
تَنَسَّهَ الدهرُ من رَقْدَتِهِ ، وحلَّ من عُقْدَتِهِ ، وقَبِلَ مِنِّي ، وأَظْهَرَ
الرَّضَى عَنِّي ؛ وقال دُونَكَ ما جَمَعَ ، فقد سَمَحَ ؛ وإِلَيْكَ فقد دنا ، ما كان
في المَنَى ؛ فَطَرْتُ بِجَنَاحِ الارْتِياحِ ، وركبتُ إلى الغمامِ كواهلَ الرِّيحِ ؛
وقلتُ فُرْصَةً تُعْغِثُنِي ، ورُكْنَ "يُسْتَأْتَمُ ، وطَرَقْتُ رَوْضَةَ العِلْمِ عَمِيمَةَ
الأَزْهَرِ ، فصِيحَةُ الطَّائِرِ ، رَيا الجَدَاوِلِ ، بارِدَةُ الضُّحَى والأَصْائِلِ ،
وطُفْتُ بِكَعْبَةِ الفَضْلِ مَصُونَةَ الحَبِيرِ ، مَلْثُومَةَ الحَجَرِ ، عَزِيزَةَ المَقَامِ ،
مَعْمُورَةَ المَشْعَرِ الحَرَامِ ، فما شئتُ من مُحَاضَرَةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ ،
بَيْنَ يَدَيَّ نَشْرِ يُرِّي ١ الإعْجَازَ ، ونَظْمِ ما أَشْبَهَ الصَّدُورَ بالأعْجَازَ ،

وحديث تَقِفُ العقولُ بإزائِهِ ، وتَرَوِي بِصافي مائِهِ . فحين شَمَخَ بالظَفَرِ
 أنفِي ، واهْتَزَّ لِنَيْلِ الأَمَلِ عِطْفِي ؛ والدَّهْرُ يَضْحَكُ سِرّاً ، وَيَتَأَبَّطُ
 شَرّاً ؛ وقد أَذْهَلَنِي الجَدَلُ عَنْ سُوءِ ظَنِّي بِهِ ، وَأَوْهَمَنِي نَزْوَعُهُ عَنْ
 ذَمِّهِ مَذْهَبَهُ ، آلتِ ١ أَلْوَانُهُ ، وفسا ظَرَبَانُهُ ، ونادى لِيَقْسِمُ من قَعْدِ ،
 وَيَنْتَبِهُ من رَقْدِ . إِنَّمَا فَتَرْتُ نَلَكَ الْفَتْرَةِ ، لِيَكُونَ مَا رَأَيْتَ عَلَيْكَ حَسْرَةً
 وَسَمَحَتُ لَكَ مَرَّةً ، لتذوقَ من الأَسَفِ عَلَيْهَا كَأْساً مَرَّةً . فَرَأَيْتُ وَقَدْ كَانَ
 غُطِّيَ عَلَى بَصْرِي ، وَعَقَلْتُ وَكُنْتُ فِي عَمِيَاءَ من خَبْرِي ؛ وَقُلْتُ : هَذَا
 الَّذِي أَعْهَدُهُ مِنْ لُؤْمِيهِ ، وَأَعْرِفُهُ مِنْ شُؤْمِهِ ، مَا وَهَبَ إِلَّا سَلْبَ ، وَلَا
 أَعْطَى إِلَّا سَاعَاتِ كِبَاهِمِ الْقَطَا ؛ فَيَا لَهُ مِنْ قَادِرٍ مَا أَلَامَ قُدْرَتَهُ ، وَذَابِحٍ
 مَا أَحَدٌ شَفَعَتْهُ ! وَلَوْ تَسَلَّطَ عَلَيْنَا مِنْ يَظْهَرُ إِلَيْنَا شَخْصُهُ ، لِأَذْرَكَتَهُ
 رِمَاحَنَا ، وَعَصَفَتْ بِهِ رِيَاحَنَا ؛ وَطَاحَ بَيْنَ مَوْتُورَيْنِ مِنَّا : قَاصِدِ أبُوهُ
 قُجْطَانِ ، وَمَقْصُودِ أبُوهُ كَسْرَى أَنُو شُرَوَانِ . وَمَا ظَنَنْكَ بِصَرْيَخِ يَثُوبُ إِلَيْهِ
 مِنْ يَعْرُبَ ثَائِبُهَا ، وَمَنْ بَنِي سَاسَانَ كَسْرَى حَقَّتْ بِهِ مَرَاذِبُهَا ؛ لَكِنَّهُ أَمِيرٌ
 مِنْ وَرَاءِ سَجَنَفٍ ، يَسْعَى بِلَا رِجْلٍ وَيَصُولُ بِلَا كَفٍّ .

وهذا ٢ محلول من قول أبي الطَّيِّبِ حيث يقول ٣ :

وما الموتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يصولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْعَى بِلَا رِجْلٍ

وأخذه المعتمد بن عباد فقال : ٤

١ ط : أَتَتْ .

٢ ط : وَهُوَ .

٣ ديوان المتنبي : ٢٧١ .

٤ ديوان المعتمد : ١٠ .

ولكنها الأيامُ تُرْدِي بلا ظُباً وتُصَيِّ بلا نبلٍ وترمي بلا يدٍ

وهو معنىٌ مُتداولٌ مشهور ، وهو في نثرهم ونظمهم^١ كثير . وفي هذه الرسالة ألفاظٌ كثيرةٌ ، حلَّها من معقودِ الشعراءِ أبو المُخَيَّرَةِ ، منها قولُ محمد بن هانئٍ الأندلسي^٢ :

وركبْتُ شأوَ مآربٍ ومطالِبٍ حتَّى امتطيتُ إلى الغمامِ الرِّيحَا

وله^٣ : قد أغنَى الله ما يشاءُ بتمكُّنٍ بُنيانيهِ ، وثباتٍ أركانِهِ ، عن تعاطي القولِ في تقييده ووصفه ، ورأيتُ ما هَزَزَتْ مِنِّي في خدمةٍ إرادتِكَ ماضيَ الحَزِّ ، لَينَ المَهْزِ ، لو صادفَ مضرباً ووقعَ على مَحَزِّ ، وإذا احتججتَ إلى دليلٍ على مُعْتَقَدِي في تأتِي أوطاركَ ومآربِكَ ، وحظِّي في شُعْبِ أنحائكَ ومذاهبكَ ، فالجزءُ أصغرُ منَ الكلِّ . مفتقرٌ إلى البرهانِ ، وكلُّ مُقَدِّمَةٍ موجودةٍ بالعقلِ محتاجةٌ إلى الشرحِ والبيانِ ، وإذا كانتِ حالُّنا مَبْنِيَّةً على هذا الأَبْسِ ، وثبتتْ صُورَتُهُ هُذِهِ في النَّفْسِ ، فقد عَيَّبتُ إذْ قَصَّرْتُ بي الأقدارَ ، عن مَوْقِفِ الاعتذارِ .

وله من أُخرى :

وأما فلانٌ فالكلامُ وإن طالَ فيه قصيرٌ ، والواصفُ دونَ بلوغِ مداهِ حَسِيرٍ ، لله أبُوهُ ، صحَّةُ إِنْخَاءٍ ، وَمَحْضُ وَفَاءٍ ، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ في الرَّعِيلِ

١ ط : النثر والنظم .

٢ ديوان ابن هانئ : ٣٠ .

٣ سقط هذا الفصل من ط .

٤ الأَبْس : التحقير ؛ وربما كانت « الألس » أي الكذب والنش .

الأول من إخواني ، وفي الصدرِ المُقدَّمِ مِمَّنْ أُنِيقُ به من أهلِ زماني ،
وإنْ كانَ فيهمْ ذو السَّروِ والفضلِ ، والنَّباهَةِ والنُّبْلِ .

وكلُّ له فضلُه ، والحُجُولُ يومَ التفاضلِ دُونَ الغُرَرِ

وليلي الخريفِ خُضْرٌ ولكنْ زَهَدَتْنَا فيها ليالي الربيعِ

وله من أخرى :

وإن رأيتَ تأنيسي بكتابِ أجتلي منه وجوهَ البدورِ ، وجواهرَ النُّحُورِ ،
ودُرَرِ الشُّغُورِ ، وأجتني به ثَمَرَ السرورِ ، وأرتعُ منه في رياضِ العلومِ ، ما
بين منثورٍ ومنظومٍ ، نَقَسْتُ من خِناقِ مُشتاقٍ كَثِيبٍ ، وأنسْتُ من وَحْشَةِ
مُنفردٍ غريبٍ ، بحيثُ لا أخُ كَرِيمٍ ، ولا وَلِيَّ حَمِيمٍ ، فقد صرْتُ ، ولا
أَحِيلُ على الأثرِ بعدَ العينِ ، كما قال أحمد بن الحسين^١ :

ما مُقامي بأرضٍ نَخْصَلَةٍ إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ

وعَرَفَنِي بَعْلُو مَكَارِمِكِ ، ووضَّحَ مَعَالِمِكِ ، في دَرَجِ كِتَابِكِ ،
وطيَّ خطابك ، بحالِي شَقِيقِي في التَّسَبُّبِ ، وشفيعِي في الأدبِ ، أبي فلانٍ
وفلان :

هُمُ الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ حَتَّى إِذَا أَيَقْظُونِي فِي الْهَوَى رَقَدُوا^٢
ولله أياهمْ . جلا لي الدهرُ شَخْصَيْنِهِمَا شَجَنِي نوراً ، بقلوبِ أسدٍ

١ ديوان المتنبي : ١٤ .

٢ البيت للعباس بن الأحنف ، ديوانه : ٨٤ (رقم ١٥٩) والشعر والشعراء : ٤٧٦ ،
٧٠٧ . وروايته : أشكو الذين .

والحافظ صفور ، إذ كنتُ كالعروسِ وهما قُرطاي ، أو كالفلك الدَّوَّارِ
وهما قَمَرَاي ، وأنسُنا كالمشتري نازلاً بِبُرجِ القوس ، وسعدُنا كسعدِ
مُحْتَبِيَا بين الخرزِ والأوس .

وله من أخرى يُخاطِبُ بها عن نفسه الفقيهَ أبا عمرَ ابنَ عبدِ البرّ^١ :

ولقد بَقِيتُ حالي بعدك مريضةً، وعينُ آمالي مَغْضُوضَةٌ، وأيدي أنسي
مقبوضة ، وجيوشُ صبري عنكَ مَفْضُوضَةٌ ؛ فقد كان ذلك البعدُ الطَّوِيلُ
أحدثَ بعضَ السلوان ، وأتى بما في طبيعةِ الإنسانِ من التسيان ، وإن كان
هذا القولُ لا يُقالُ على الإطلاق ، بل على الإضافة لما في الحالِ بِحديثِ
الافتراق ، حتى إذا وقعَ اللقاءُ تَأَجَّجَ من ذلك الاتِّسَاعِ خامدُهُ ، وثارَ
راكدُهُ ، وسال جامدُهُ ، وكانت حالنا ما قال أبو الطيب^٢ :

افْتَرَقْنَا حَوْلًا فَلَمَّا التَقِينَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعَا

وله من أخرى :

بانعكاسِ الزَّمانِ ، انعكَسَتْ أمثالُ^٣ البيان ، كما يروى^٤ في خَبَرِ
الفتى المُدَّعي للكتابة عند عمرو بن مسعدة ، أنه عاياهُ بكتابٍ من عند

١ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النعمري القرطبي (- ٤٦٣) ؛ انظر

ترجمته في ابن خلكان ٧ : ٦٦ و ترتيب المدارك ٤ : ٨٠٨ وتذكرة الحفاظ : ١١٢٨

والصلة : ٦٤٠ والجذوة : ٣٤٤ (وبغية الملتزم رقم : ١٤٤٢) والمغرب ٢ : ٤٠٧

والديباج المذهب : ٣٥٧ .

٢ ديوان المتنبي : ٥٢٦ .

٣ س ب : أعلام .

٤ ط : كنا نروي .

صاحب البريدِ بِحَبْرٍ بَقَرَةٍ وَلَدَتْ غَلاماً ، فَأَنشَأَ خُطْبَةً مُفَتِّتَـحُهَا :
الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْأَنَامِ فِي بَطُونِ الْأَنْعَامِ . فَجَذَبَ الرُّقْعَةَ مِنْ يَدِهِ ، وَبَالِغِ
فِي إِجْزَالِ صَفْدِهِ . وَإِذَا تَأَمَّلْتَ انْقِلَابَ الزَّمانِ ، وَمَا وَقَعَ لِي مَعَ فُلانٍ ، انْقَلَبَتْ
الْخُطْبَةُ فِصَارَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْأَنْعَامِ فِي بَطُونِ الْأَنَامِ . وَأَبْدَأُ بِحَدِيثِ
الْيَهُودِيِّ مُوَصِّلِ كِتَابِكَ : دَخَلَ الْخَضِرَةُ عَقِيبَ جَوْلَةٍ كَانَتْ لِي مَعَ ابْنِ
مُخَامِسٍ - حَشَرَ اللَّهُ كِلَيْهِمَا مَعَ صَاحِبِهِ - فَوَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ حَالُ مَنْ مِنْهُمَا
أَضْعَفُ وَأَظْلَمُ ، أَحَالُ الْيَهُودِيِّ بِمُضَادَّةِ الدِّينِ ، أَمْ حَالُ هَذَا الْمُسْلِمِ ؟
فَوَافَى وَقَدْ كَشَفْتَ عَوْرَاتِهِ ، وَمَا زَالَتْ مَكْشُوفَةٌ ، وَعَرَفْتَ سَوَاتِهِ ،
وَمَا زَالَتْ مَعْرُوفَةٌ ، إِنْخِبَاراً عَنْهُ ، وَتَحْذِيراً مِنْهُ ، وَإِعْلَاماً بِمَا يَسْتَرُهُ ذَيْلُهُ ،
وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ لَيْلُهُ ، مِنْ قَبَائِحَ يُمْلِيهَا الْعَارُ ، وَيَكْتُبُهَا ١ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .
وفي فصل منها :

وَجَاءَ فِي مُقَدِّمَةِ صَهْرٍ يَصْهَرُ بِهِ جَنْبَهُ ، وَفِي نِكَاحٍ يَنْكُحُ الرَّدَى مِنْهُ
قَلْبَهُ ، يَمْشِي مَشْيَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْمُشْتَرِي وَالزُّهْرَةِ ، لَا مَشْيَ مَنْ سَعَى
لِتَرْكِيبِ حَرٍّ عَلَى كَمَرَةٍ ، وَأَيُّ دُرَّةٍ حَاوَلَ إِخْرَاجَهَا مِنْ صَدَقَةٍ ، مَا أَشْبَهَ
النُّكْرَةَ هَاهُنَا بِالْمَعْرِفَةِ ، قَبَّحَ اللَّهُ زَمَاناً يُقَرِّبُ إِلَى اللَّثِيمِ أَحْصَاناً ، وَإِلَى
الْكَرِيمِ أَتَاناً .

وله من أخرى ، خاطب ٢ بها الفقيه أبا محمد بن حزم أثبت منها بعض
الفصولِ فِرَاراً مِنَ التَّطْوِيلِ ، وَافْتَتَحَهَا بِبَيْتِي أَبِي نَوَاسٍ ٣ :

أَلَا لَا أَرَى مِثْلَ امْتِرَائِي فِي رَسْمٍ تَوَهَّمَهُ عَيْنِي وَيَرْفُضُهُ وَهْمِي

١ ط : من مقابح يحليها (اقرأ : يحليها) العار ويكشفها .

٢ ط : يخاطب .

٣ ديوان أبي نواس : ٣٢٥ .

أنت صورةُ الأشياءِ بيني وبَيْنَهُ فظني كلا ظنٍ وَعِلْمِي كلا علمٍ

وقفتُ — كلاكَ الله — وأنتَ عَيْنُ التَّمامِ ، وَعِلْمُ الأعلامِ : على كتابٍ عُنْوَانُهُ بِاسْمِكَ أَسمالُ ، كأنه طَلَلٌ بالٍ ؛ فكلُّما هَزَزْتُهُ هَوَمٌ ، أو سألتهُ اسْتَعْجَمَ ؛ معنى كصدى الإنسان ، ولفظٌ كمنهَجَاتِ الأكفانِ ؛ وأغراضٌ لا يدبُ فيها سهمٌ^١ مُقَرَّطِسٌ ، وإظلامٌ لا وَضَحَ فيه لصبحٍ مُتَنَفِّسٍ ، ورطانةٌ تَمُجُّها الأسماعُ ، ونجتويها الطِّباعُ ، فأقمتُ مُتَبَلِّدًا ، وعددتُ على نفسي وقريحتي مُتَرَدِّدًا ، فقالتا : أفق^٢ أيُّها الإنسان ، لستَ بالنبِيِّ سليمان ، متى وعدتناك أن تُفهِمَكَ كَلامَ الحُكُلِ وسِرَّارِ التَّمَلُّ ؟ ! ألم نَسَلُكَ بك في شِعَابِ الكلامِ فتَغْلُغَلْتِ ؟ ألم تَسِيرْ في صَحرائِهِ بنا فأوْغَلْتِ ؟ ألم تَجَرِّي في مِيدَانِهِ فَسَبَقْتِ ؟ ألم تُنِيرْ في ظُلُمَائِهِ فَأَشْرَقْتِ ؟ هل أحسستِ بنُكُولِ جَنانٍ ، أو قُصورِ لسانٍ ، فيما نَظَّمْتَ كالعُقودِ ، على ترائبِ الفتاةِ الرُّودِ ، ونشَّرتِ كالنَّجُومِ ، في صفحةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ ؟ قلتُ : بلى ؛ قالتا : فأعْرِضْ عن رِطَانَةِ الرُّطِّ ، وصغيرِ البَطِّ ، ولا تَعِجْ على طَلَلٍ بَائِدٍ ، ودارٍ قد أتى اللهُ بُنيانَها من القواعدِ ، فقلتُ : أسْرَفْتُمَا طَاغِيَتَيْنِ ، إنَّ كاتبَ الصَّحِيفَةِ لِنُدْرَةِ الزَّمانِ ، وَلَعَلَّكُمْ^٣ نَوْعُ الإنسانِ ، إلَّا أَنَّهُ رُبَّمَا كَذَبَ العُنْوانِ ، ونَحِلَ ذلكَ الهَدْيَانِ ؛ فأعدتُ النَّظَرَ ، فإذا بكَ أبا مُحَمَّدٍ صاحِبِهِ ، كتابٌ مَبْنِيٌّ على الظُّلُمِ العَبْقَرِيِّ ، والبُهْتَانِ الجَلِيِّ ، ومُكَابَرَةٍ^٤ العِيَانِ ، ومُدافَعَةٍ البُرْهانِ ، قد طمسَ

١ ط : لسهم ؛ ولعل الصواب : « لا ملهب فيها لسهم » .

٢ ط : ارفق .

٣ ط : ولعلم . ٤ ط : ومكابدة .

الله أنواره ، وأظهر عواره ، فجاء كالغلاة العوراء ، لا ماء ولا شجر ،
والليلة الظلماء ، لا نجم ولا قمر .

وفي فصل منها :

فاستقصرت من دفع إلي كتابك فقلت : من لي بمثل غاشيتك
من هذه العصابة ، وبأشباه الملمين بك من تلك البابة ، ونسيت أبا محمد
حاشيتك وشيعتك ، التي صرت رئيس مدراسهم^١ ، وكبير أحراسهم ،
تحدثهم عما كان فيهم من العبر ، وتخيرهم بما تعاقب عليهم من
الصفاء والكدر ؛ فتارة عن السامري والعجل ، وتارة عن القمل والنمل ،
وطوراً تبكيهم بحديث التيه ، وطوراً تضحكهم بقوم جالوت وذويه ؛
حتى كأن التوراة مصحفك ، وبيت الحزان معتكفك ، وأنا بمعزل ،
وأنت تحدث وتعزل ؛ وتعجبت من حرصي ، ونسيت نفسك أبا محمد ،
حين قطعت البيداء تبلثك السماء ، وترعدك الجربياء^٢ ، في وقت
تكنس فيه أنواع الحيوان ، وأحقتها بالكمون نوع الإنسان ، لتبرث حياً
قائماً على حاله ، مالكا لماله ، يدعو الله عليك ، أن استطنت عمره .
ونعيت إليه نفسه .

وفي فصل منها :

ومن ظريف ما في كتابك قولك : أقصرها وأتاخها^٣ . ومن أين نفد

١ ط : مدارسهم .

٢ الجربياء : الريح التي تهب بين الجنوب والصبأ ؛ وقيل هي النكباء التي تجري بين الشمال
والدبور ، وقيل هي ريح شمالية باردة .

٣ ط : وقلت في كتابك « واتاخها » .

نَصْرُكَ ، حَتَّى هَمَزَتْهَا هَمْزُ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ قِيرْنَهُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ ، وَمَا
أُضْنِكَ جَعَلَتْهَا إِلَّا تَمِيمَةً ، لَتَلِكِ الْقِطْعَةِ الْكَرِيمَةِ ، امْتِثَالًا لِقَوْلِ الْقَائِلِ :

مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا الْكَمَالِ إِلَى عَيْبٍ يُوقِيهِ مِنَ الْعَيْنِ

وَمِنْ لَكَ بِأَنْ نَصَبَ عَلَيْكَ ، وَتَتَأَنَّى بِكَ ، وَهَذَا الْجَوَابُ كَمَا تَرَاهُ ابْنُ
الرِّقْتِ وَنَتِيجَةُ السَّاعَةِ ، وَنَفْثَةُ مَنْ لَا يَخْرُجُ لَهُ الْكَلَامُ عَنْ طَاعَةٍ ، وَمَنْ
تَشْغَلُهُ عَنِ التَّفَاسِيرِ كُلِّفَ السُّلْطَانُ ، وَتُثْقِلُهُ أَعْبَاءُ الزَّمَانِ ، كَادَ يَنْتَشِقُ
فِي ظَهْرِ كِتَابِكَ قَبْلَ حَصُولِهِ بِيَدِي :

فَقُلْ فِيمَا يَجْنُ عَلَيْهِ لَيْلٌ وَيَمْضِي فِي صِيَاغَتِهِ نَهَارٌ
هَنَالِكَ تَظْهَرُ الْآيَاتُ حَتَّى يُقَالَ تَنَاقَرُ الْفَلَكَ الْمُدَارُ

فَرَاغَهُ الْفَقِيهَ أَبُو مُحَمَّدٍ بَرَقَةَ قَالَ فِيهَا ١ :

سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، وَسَلَّمْتُ
وَانْقَدْتُ لِحَدِيثِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « صِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، وَاعْفُ عَمَّنْ
ظَلَمَكَ » ، وَرَضِيتُ بِقَوْلِ الْحُكَمَاءِ : « كِفَاكَ انْتِصَارًا مِمَّنْ تَعْرِضُ
لِذَلِكَ إِعْرَاضُكَ عَنْهُ » ، وَأَقُولُ :

تَبَعْتُ سِوَايَ امْرَأً يَسْتَعْيِي سِبَابَكَ ، إِنَّ هَوَاكَ السَّبَابُ
فَلِإِنِّي أَبَيْتُ طِلَابَ السَّفَاهِ وَصُنْتُ مَحَلِّيَ عَمَّا يُعَابُ
وَقُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ بَعْدِ ذَا وَأَكْثِرْ فَإِنَّ سَكُوتِي جَوَابُ

وأقول :

كفاني ذِكْرُ النَّاسِ لي وما ثري
عدوّي وأشياعي كثيرٌ كذاك مَنْ
وما لكَ فيهمُ من عدوٍّ فيُتَقَى
وقولي مسموعٌ له ومُصدّقٌ
ولاني وإنْ أذيتني وعَققتني
وما لكَ فيهمُ يا ابنَ عَمِّي ذاكرُ
غدا وهو نَقَاعُ المساعي وضائر
وما لكَ فيهمُ من صديقٍ يُكاثِرُ
وقولكَ مُنْبَتٌ مع الرِّيحِ طائر
لَمُحْتَمِلٌ ما جاءَ نبيّ منك صابر

فوقع له أبو المغيرَةِ على ظهرِ رُقعته : قرأتُ هذه الرُقعةَ العاقبةَ فحين
استَوْعَبْتُهَا أنشدتني :

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعْلٌ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسْلُ ١

فأردتُ قَطْعَهَا ، وتركَ المُرَاجعةَ عنها ، فقالت لي نَفْسٌ قد عَرَفْتُ
ذَكَاءَهَا : تاللهَ لا قَطَعْتُهَا إِلَّا يَدُهُ ! فأثبتُ على ظهرها ، ما يكونُ سبباً
لصَوْنِهَا ، وقلت :

نَعَقْتَ ولم تَدْرِ كيفَ الجوابُ
وأجريتَ وحدكَ في حَلَبَةِ
وبتَ منَ الجهلِ مُسْتَنْبِحاً
فكيفَ تبيّنتَ عُقْبَى الظُّلومِ
لعمركَ مالي طباعٌ تُذَمُّ
أُنيلُ المُنَى والطُّبَا سُخْطُ
وأخطأتَ حتّى أُنَاكَ الصَّوابُ
نأتُ عنكَ فيها الجيادُ العِرابُ
لغيرِ قِرَى فأتتكَ الذَّنابُ
إذا انتَقَصْتَ في الحَمِيسِ العقابُ
ولا شِمةٌ يَوْمَ مَجْدٍ تُعَابُ
وأعطي الرضي والعوالي غِضَابُ

١ تمثل به أبو الميزرة ، وهو للأشمل البكري الأزرقي كما في البيان ١ : ٤٢ ، والكامل

١ : ٣١ وشعر الخوارج : ١٣٠

وأقول :

وغاصِبٍ حقٍ أَوْبَقَتُهُ المقادِرُ
غدا يستعيرُ الفخرَ من خيمِ خَصْمِهِ
أَلَمْ تَتَعَلَّمْ يا أبا الظُّلَمِ أَتَنِي
تُذَكِّلُ لي الأُمْلَاقُ حُرّاً نفوسها
وأُبَعَثُ في أهلِ الزَّمانِ شوارداً
فإنْ أَثْنَوْ في أرضٍ فَإِنِّي سائِرٌ
وحَسْبُكَ أَنَّ الأَرْضَ عِنْدَكَ نَاحِمٌ
إذا كُنْتَ في ظَهْرِ مِنَ العَدْلِ مُنْجِداً
ولا لَوَمَ عِنْدِي في اسْتِراحَتِكَ الَّتِي
فإِنِّي لِلْحِلْفِ الَّذِي مَرَّ حَافِظٌ
هنيئاً لكلِّ ما لَدَيْهِ فَإِنْتِها
[قولُ أبي المَغيرة : « فإنْ أَثْنَوْ في أرضٍ ... البيت » أَخَذَهُ مِنْ قولِ
الْبَحْثَرِيِّ ٣ :

وشُهِرَتْ في شَرْقِ البلادِ وغَرْبِها فكأَنِّي في وَسْطِ نادٍ جالِسٌ
قال ابنِ بَسام : وكان نَقَشُ خاتَمِ أبي مُحَمَّدٍ :
يا عَلِيُّ بنَ أَحْمَدٍ اتَّقِ اللَّهَ تَرشُدِ
فقال لَهُ أبو المَغيرة : « عَلَيْكَ بِفَحْصِ التَّيِّهِ » ... البيت] .

١ من قول قاتل محمد السجاد :

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبيل التقدم

٢ النفع : تليينهم .

٣ ديزان المحترى : ١١٣٣ .

وإذ قد انتهى بنا القول إلى ذكر أبي محمد بن حزم^١ ، فأنا ألمع في هذا
الموضع بلمعة من خبره ، حتى أدل على عينه بأثره ؛ فإنه كان كالبحر
لا تكف غواربه ، ولا يروى شارب .

وقد وجدت للشيخ أبي مروان بن حيان فصلاً^٢ أورد فيه ذكره ، وجرده
— زعم — لشرح أمره ، وأنا أثبتته بأسره .

قال ابن حيان : كان أبو محمد حاملاً فنون من حديث وفقه وجدل
ونسب ، وما يتعلق بأذيال الأدب ، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم
القديمة من المنطق والفلسفة . وله في بعض تلك الفنون كتب كثيرة^٣ ، غير أنه
لم يخل فيها من الغلط والسقط ، لجرأته في التسوّر على الفنون لاسيما المنطق ، فإنهم
زعموا أنه زل هنالك ، وضل في سلوك تلك المسالك ، وخالف
أرسطاطاليس واضيعه مخالفة من لم يفهم غرضه ، ولا ارتاض في كتبه^٤ .
ومال به أولاً النظر في الفقه إلى رأي أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي
وناضل عن مذهب ، وانحرف عن مذهب غيره ، حتى وسم به ، ونُسب إليه ،
فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء وعيب بالشذوذ ، ثم عدل في الآخر

١ ترجمة أبي محمد في الجذوة : ٢٩٠ (البغية رقم ١٢٠٤) والصلة : ٣٩٥ ، وطبقات
الأمم : ٨٦ والمطمح : ٥٥ والمغرب ١ : ٣٥٤ والمعجب : ٣٠ وتاريخ الحكماء
للقفطي : ١٥٦ وتذكرة الحفاظ : ١١٤٦ ومسالك الأبصار (ج : ٨) ونفع
الطيب ١ : ٧٧ ومعجم الأدباء ١٢ : ٢٣٥ وعبر الذهبي ٣ : ٢٣٩ والشذرات ٣ : ٢٩٩
وابن خلكان ٣ : ٣٢٥ وفي طوق الحمامة أخبار كثيرة عنه ، وقد كتبت عنه دراسات
كثيرة في العصر الحديث .

٢ ط : وله في ذلك عدة تواليف .

٣ هذه التهمة موجودة في طبقات صاعد : ٨٦ .

٤ ط : على .

إلى قول أصحاب الظاهر ، مذهب داود بن علي^١ ومن اتبعه من فقهاء
الأمصار ، فنقحه ونهجه وجادل عنه ، ووضع الكتب في بسطه ،
وثبت عليه إلى أن مضى لسبيله ، رحمه الله .

وكان يحمل علمه هذا ويُجادل من خالفه فيه ، على استرسال في
طباعه ، ومذل بأسراره ، واستناده^٢ إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء من
عباده ، ليسببنته للناس ولا يكتُمونه ؛ فلم يك يُلطف صدقه بما عنده
بتعريض ، ولا يزفه^٣ بتدريج ، بل يصك به معارضه صك الجندل ،
وينشققه متلقية^٤ إنشاق الخردل ، فينقر عنه القلوب ، ويوقع
بها الندوب ، حتى استهدف إلى فقهاء وقته ، فتمالأوا على بغضه ، وردوا
قوله ، وأجمعوا على تضليله ، وشتعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من
فتنته ، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه ، فطفق الملوك
يُقضونه عن قربهم ، ويسيرونه عن بلادهم ، إلى أن انتهوا به إلى
منقطع أثره بتربة بلده من بادية لبلة^٥ ، وبها توفي رحمه الله سنة
ست وخمسين وأربعمائة ، وهو في ذلك غير مرتدع ولا راجع إلى ما
أرادوا به ، يثبت علمه في من ينتابه بباديته تلك ، من عامة المُقتبسين

١ هو داود بن علي بن خلف (- ٢٧٠) أصبهاني الأصل ، نشأ ببغداد ، وأوجد القول
بالظاهر فاستقل بمذهب بعد أن كان شديد العصية للشافعي (انظر ابن خلكان ٢ : ٢٥٥
وتاريخ بغداد ٨ : ٣٦٩ والفهرست ٢ : ٢١٦ وطبقات السبكي ٢ : ٤٢ وتذكرة
الحفاظ : ٥٧٢) .

٢ ط : واستناده .

٣ ط : يرقه .

٤ ب : متلقته .

٥ لبلة (Niebla) في الجنوب الغربي من اسبانيا ؛ انظر الروض المعطار ، الترجمة
الفرنسية : ٢٠٣ والموسوعة الإسلامية ؛ وابن حزم من قرية قريبة منها تدعى منت لسه .

٦ ط : العلم .

منه ، من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة ، يُحدثهم ويُفقههم ،
ويُدَارِسُهُمْ ولا يدَعُ المثابرة^٢ على العلم ، والمواظبة على التأليف ،
والإكثار من التصنيف ، حتى كَمُلَ من مُصَنَّفَاتِهِ في فنون العلم وقُرُبَعِيرُ ،
لم يَعُدْ أَكْثَرُهَا عَتَبَةً بَابَهُ لِتَرْهِيْدِ الْفُقَهَاءِ طُلَّابِ الْعِلْمِ فِيهَا ، حَتَّى أُحْرِقَ
بَعْضُهَا بِإِسْبِيلِيَّةٍ وَمَزَقَتْ عِلَاقِيَّةٌ ، لَا يَزِيدُ مُؤَلَّفَهَا ذَلِكَ إِلَّا بِصِيْرَةٍ فِي
نَشْرِهَا ، وَجِدَالاً لِلْمُعَانِدِ فِيهَا ، إِلَى أَنْ مَضَى لِسَبِيلِهِ^٣ .

وَأَكْثَرُ مَعَايِبِهِ — زَعَمُوا — عِنْدَ الْمُنْصِيفِ لَهُ ، جَهْلُهُ بِسِيَاسَةِ الْعِلْمِ الَّتِي
هِيَ أَعْرَضُ مِنْ إِيْعَابِهِ ، وَتَخَلَّفُهُ عَنْ ذَلِكَ عَلَى قُوَّةٍ سَبَّحَ فِي غَمَارِهِ ؛ وَعَلَى
ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَمْ يَكُنْ بِالسَّدِيمِ مِنْ اضْطِرَابِ رَأْيِهِ ، وَمَغِيبِ شَاهِدِ عِلْمِهِ عَنْهُ
عِنْدَ لِقَائِهِ ، إِلَى أَنْ يُحَرِّكَ بِالسُّؤَالِ فَيُفْجِرُ مِنْهُ بِحَرِّ عِلْمٍ لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ ،
وَلَا يَقْصُرُ عَنْهُ الرِّشَاءُ ، وَعَلَى كُلِّ مَا ذَكَرْنَاهُ دَلَائِلُ مَائِلَةٌ ، وَأَخْبَارُ
مَأْتُورَةٌ .

وَكَانَ مِمَّا يَزِيدُ فِي شَنَّانِهِ تَشْيِيعُهُ لِأَمْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ ، مَاضِيَهُمْ وَبَاقِيَهُمْ
بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ ، وَاعْتِقَادُهُ لَصِحَّةِ إِمَامَتِهِمْ ، وَانْحِرَافُهُ عَمَّنْ
سِوَاهُمْ مِنْ قَرِيشَ ، حَتَّى نُسِبَ إِلَى النَّصَبِ لغيرِهِمْ^٥ .

١ ط : فيهم .

٢ ط : المناظرة .

٣ ومزقت ... لسبيله : لم يرد في ط .

٤ ط : وبالأندلس .

٥ في بعض هذا جانب من الغرابة ، فإن حزم في رسالة له في أسماء الخلفاء والولاة يمتدح
بإمامة ابن الزبير ويقول في مروا بن الحكم « وهو أول من شق عصا المسلمين بلا
تأويل ولا شبهة » (جوامع السيرة : ٣٥٩ ،
وانظر لقائهما في ...) ويقول ابن حزم أيضاً في المحلى ١ :
« على أمير المؤمنين بمعاينة ابن الزبير » .

وقد كان من غرائب انتماؤه في فارس ، واتباع أهل بيته له في ذلك بعد حَقْبَةِ من الدهر تَوَلَّى فيها أبوه الوزير المُعَقَّلُ في زمانه ، الرَّاجِحُ في ميزانه ، أحمدُ بن سعيد بن حَزْمُ لبني أُمَيَّةَ أولياء نعمته ، لا عن صِحَّةِ ولايةٍ لهم عليه ، فقد عَهَدَهُ النَّاسُ خاملَ الأَبُوَّةِ ، مُوَلَّدَ الأَرُومَةِ من عَجَمٍ لِبَلَّةِ ، جَدُّهُ الأَدْنَى حديثُ عهدٍ بالإسلامِ ، لم يَتَقَدَّمْ لِسَلَفِهِ نَبَاهَةٌ ، فأَبُوهُ أحمدُ على الحقيقةِ هو الذي بنى بيتَ نفسه في آخرِ الدهرِ برأسِ رابِيةٍ ، وعمده بالخلالِ الفاضلةِ من الرَّجَاحَةِ والمعرفةِ والدَّهَاءِ والرُّجُولَةِ والرأيِ ، فاغتدى جُرْثُومَةَ شَرَفٍ لمن نَماهم ، أَغْنَتْهُمْ عن الرُّسُوخِ في أُولَى السَّابِقَةِ ، فما من شرفٍ إِلَّا مُسْبِقٌ عن خارجيةٍ ، ولم يكنْ إِلَّا كَلَاً ولا ، حتَّى تَخْطَى عليّ هذا رابِيةَ لِبَلَّةِ ، فارتَقَى قَلْعَةَ إِصْطَخَرَ من أرضِ فارس ، فاللهُ أعلمُ كيف تَرَقَّاهَا ، إذ لم يكنْ يُؤْتَى من خَطَلٍ ولا جهالةٍ ، بل وَصَلَهُ بها وَسُعُ عِلْمٍ وَوَشِيجَةُ رَحِمٍ معقومةٍ بَلَّتْهَا بِمَسْتَأخِرِ الصَّلَةِ ، رحمه الله ، فَتَنَاهَتْ حَالُهُ مع فقهاء عصره إلى ما وصفتهُ ، وحسابُهُ وحسابهم على الله الذي لا يَظْلِمُ النَّاسَ مَثْقَالَ ذَرَّةٍ ، عَزَّتْ قُدْرَتُهُ .

ولهذا الشَّيْخُ أَبِي مُحَمَّدٍ مع يهودَ لعنهم اللهُ ومع غيرِهِم من أُولَى المذاهبِ المرفوضةِ من أهلِ الإسلامِ مجالسُ محفوظةٍ ، وأخبارٌ مكتوبةٌ ؛ وله مصنَّفاتٌ في ذلك معروفةٌ ، من أشهرها في عللِ الجَدَلِ كتابه المسمَّى : « الفصل بين أهل الآراء والنحل »^١ . ومن تواليفه « كتابُ الصَّادِعِ والرَّادِعِ » [في الرد] على من كَفَرَ أهلَ التَّأْوِيلِ من فرقِ المسلمين والرد على من قال بالتقليد . وله كتابٌ في شَرْحِ حديثِ المَوْطَأِ والكلامِ على مسائله ؛ وله « كتابُ الجامع » في صحيحِ الحديثِ باختصارِ الأسانيد ، والاقتصارِ على

١ نشر هذا الكتاب في خمسة أجزاء (القاهرة : ١٣١٧ - ١٣٢١) .

أصَحَّهَا واجْتَلَابِ أَكْمَلِ أَلْفَاظِهَا وَأَصَحَّ مَعَانِيهَا ؛ و « كتاب التَّلْخِصِ والتَّخْلِصِ »^١ في المسائل النَّظَرِيَّةِ وفروعها التي لا نصَّ عليها في الكتاب ولا في الحديث ، و « كتاب مَنْتَقَى الإجماع وبيانهِ من جُمْلَةٍ ما لا يعرفُ فيه اختلافٌ » ، وكتابُ « الإمامة والسياسة » في قَسَمِ سِيرِ الخلفاء ومَراتِبِها والندبِ إلى الواجب منها^٢ ، و « كتاب أخلاق النفس »^٣ ، وكتابهِ الكبيرُ المعروف بـ « الإيصال إلى فهم كتاب الحِصَالِ »^٤ ، وكتاب « كشف الالتباس ، ما بين أصحاب الظَّاهِرِ وأصحاب القِيَّاسِ » ؛ إلى تواليِفَ غيرها ، ورسائلَ في معانٍ شَتَّى كثيرٍ عَدَدُها .

ومن شعره يَصِفُ ما أَحْرَقَ له من كُتُبِهِ ابنُ عِبَادٍ^٥ قَوْلُهُ :

فإن تحرقوا القرطاسَ لا تحرقوا الذي	تَضَمَّنَهُ القرطاسُ بل هوَ في صدري
يسيرُ معي حيثُ استَقَلَّتْ رِكائِبي	وَيَنْزِلُ إنْ أَنْزَلَ وَيَدْفَنُ في قَبْري
دَعَوْنِي من إحراقِ رَقٍّ وكَاغْدٍ	وقولوا بعلمِ كِي يَرَى الناسُ من يدري
وإلا فعودُوا في المَكاتِبِ بَدْءَةً	فكم دونَ ما تَبْغُونَ لله من سِرِّ

وله :

من ظَلَّ يَبْغِي فروعَ عِلْمٍ	بَدْءاً ولم يَدْرِ مِنْهُ أَصْلاً
فكلَّما ازداد فيه سَعِيّاً	زادَ لَعَمْرِي بِذَلِكَ جَهْلاً

-
- ١ هورسالة نشرتها مع مجموعة من رسائله (انظر الرد على ابن النغيلة : ١٣٧) ؛ القاهرة ١٩٦٠
 - ٢ أكثر التنقل عنه ابن رضوان في كتابه « الشهب الالامعة » ، واستخرج الاستاذ ابراهيم الكتاني ما أورده ابن رضوان ونشره مستقلاً .
 - ٣ هورسالة في صورة « مذكرات » (انظر رسائل ابن حزم ١١٣ - ١٧٣) القاهرة ١٩٥٤ . وقد نشرتها السيدة ندى طومش وترجمتها إلى الفرنسية . (بيروت : ١٩٦١)
 - ٤ من هذا الكتاب قطعة بدار الكتب المصرية .
 - ٥ ابن عباد : سقطت من ط .

وقال :

كَأَنَّكَ بِالزَّوَارِ لِي قَدْ تَبَادَرُوا وَقِيلَ لَهُمُ أَوْدَى عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدٍ
فِيَا رَبَّ مُحْزُونٍ هُنَاكَ وَضَاحِكٍ وَكَمْ أَدْمَعٌ تَذُرِّي وَخَدٌ مَخْدَدٌ
عَفَا اللَّهُ عَنِّي يَوْمَ أَرْحَلُ ظَاغِنًا عَنِ الْأَهْلِ مَحْمُولًا إِلَى بَطْنِ مَلْجَدٍ
وَأَتْرَكُ مَا قَدْ كُنْتُ مُغْتَبِطًا بِهِ وَأَلْقَى الَّذِي آتَسْتُ دَهْرًا بِمَرْصَدٍ
فَوَارِاحَتِي إِنْ كَانَ زَادِي مُقَدَّمًا وَيَا نَصَبِي إِنْ كُنْتُ لَمْ أَتَزَوَّدِ

وَيَا لِبَدَائِعِ هَذَا الْحَبِيرِ عَلِي بْنِ حَزْمٍ وَغُرَرِهِ ! مَا أَوْضَحَهَا عَلَى كَثْرَةِ
الدَّافِنِينَ^١ لَهَا ، وَالطَّامِسِينَ لِمَحَاسِنِهَا ! وَعَلَى ذَلِكَ فَلَيْسَ بِبِدْعٍ فِيمَا أُضِيعَ
مِنْهُ ، فَأَرْهَدُ النَّاسَ فِي عَالَمٍ أَهْلُهُ . وَقَبْلَهُ أُرْدَى الْعُلَمَاءُ تَبْرِيزُهُمْ عَلَى مَنْ
يَقْصُرُ عَنْهُمْ ، وَالْحَسَدُ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ ؛ انْتَهَى مَا لَخِصَّتْهُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ
حَيَّانَ فِي خَبَرِهِ .

قُلْتُ أَنَا : وَلِعَمْرِي مَا عَقَهُ ، وَلَا بَخَسَهُ حَقُّهُ . وَأَخْبَرَنِي الْفَقِيهُ الْحَافِظُ
أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْفَقِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ الْعَرَبِيِّ عَنِ الْفَقِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَمْسِينِيِّ
قَالَ^٢ : كَانَ لِشَيْخِنَا الْفَقِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ حَزْمٍ فِي الشَّعْرِ وَالْأَدَبِ نَفْسٌ
وَاسِعٌ ، وَبَاعٌ طَوِيلٌ ، وَمَا رَأَيْتُ أَسْرَعَ بَدِيهَةً مِنْهُ ؛ وَشَعْرُهُ كَثِيرٌ ، وَقَدْ
جَمَعْتَهُ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ ، وَمِنْهُ مَا كُتِبَ عَنْهُ :

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا مَا رَأَيْنَا وَأَدْرَكْنَا ؛ فَجَائِعُهُ تَبْقَى وَلِدَائَتُهُ تَفْنَى
إِذَا أُمُكِّنَتْ فِيهِ مَسَرَّةٌ سَاعَةً تَوَلَّتْ كَمَرُ الطَّرْفِ وَاسْتَخْلَفَتْ حُزْنًا
إِلَى تَبَعَاتٍ فِي الْمَعَادِ وَمَوْقِفٍ نَوَدُّ لَدَيْهِ أَنَّنَا لَمْ نَكُنْ كُنَّا

١ ط: الراقبين .

٢ جذوة المقتبس : ٢٩١ - ٢٩٣ .

حَصَلْنَا عَلَى هَمٍّ وَإِثْمٍ وَحَسْرَةٍ وفات الذي كُنَّا نَلْدَ بِهِ عُنَا
حَنِينٌ لِمَا وَلَتِي ، وَشَغْلٌ بِمَا أَتَى وغم لما يَرجى ، فَعَيْشُكَ لَا يَهِنَا
كَأَنَّ الَّذِي كُنَّا نَسْرُ بِكَوْنِهِ إِذَا حَقَّقْتَهُ النَّفْسُ لَفْظًا بِلَا مَعْنَى

قال : وله أيضاً من قصيدةٍ خاطب بها قاضي الجماعةِ بقرطبة عبد الرحمن
ابن بشر^١ يَفْخَرُ فيها بالعلم ، ويذكر أصنافَ ما عَلم ، يقول فيها^٢ :

أَنَا الشَّمْسُ فِي جَوِ الْعُلُومِ مَنِيرَةٌ ولكنَّ عَيْبِي أَنَّ مَطْلَعِي الْغَرْبُ
وَلَوْ أَتَيْتُ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ طَالِيعٌ لَحَدَّ عَلَى مَا ضَاعَ مِنْ ذِكْرِي النَّهْبُ
وَلِي نَحْوُ أَكْنَافِ الْعِرَاقِ صَبَابَةٌ وَلَا غُرُو أَنْ يَسْتَوْحِشَ الْكَلْفُ الصَّبُّ
فَإِنْ يُنْزِلِ الرَّحْمَنُ رَحْلِي بَيْنَهُمْ فحِينَئِذٍ يَبْدُو التَّأْسَفُ وَالْكَرْبُ
فَكَمْ قَائِلٌ ، أَغْفَلْتَهُ وَهُوَ حَاضِرٌ وَأَطْلُبُ مَا عَنْهُ تُجِيءُ بِهِ الْكُتُبُ
هَنَالِكَ يَدْرِي أَنَّ لِلْبَعْدِ قِصَّةً^٣ وَأَنَّ كِسَادَ الْعِلْمِ آفَتُهُ الْقُرْبُ
فَوَاعَجَبًا مِنْ غَابَ عَنْهُمْ تَشَوُّقُوا لَهُ وَدَنُو الْمَرْءِ مِنْ دَارِهِمْ ذَنْبُ
وَإِنَّ مَكَانًا ضَاقَ عَنِّي لَضِيقٌ عَلَى أَنَّهُ فَبِحْ مَذَاهِبُهُ سُهْبُ
وَإِنْ رِجَالًا ضَيَّعُونِي لَضِيعٌ وَإِنْ زَمَانًا لَمْ أَنْلُ خَصْبَهُ سَعْبُ

ومنها في الاعتذار من مدح نفسه :

ولكن لي في يوسفٍ خيرَ أسوةٍ وليس علي من النبيِّ ائْتَمَسَى ذَنْبُ

١ هو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن بشر بن غرسية ، ويعرف بابن الحصار ،
كان عالماً بارعاً متفهنًا في العلوم ، ولاء علي بن حمود قضاء الجماعة صدر سنة ٤٠٧ وبقي في
منصبه حتى سنة ٤١٩ حين عزله المعتد ، وتوفي سنة ٤٢٢ (الصلة : ٣١٣ والجذوة :
٢٥١ والبقية رقم : ٩٩٣) .

٢ ط : ومن شعره ما أنشده الحميدي في كتابه .

٣ ط : للعبد قصة .

يقول - وقال الحق والصدق - إني حفيظٌ عليمٌ ، ما على صادقٍ عتبٌ
وأنشدني لنفسه :

لا يश्متن حاسدي إن نكبةٌ عرّضتُ فالدّهْرُ ليس على حالٍ بمتبركٍ
ذو الفضلِ كالتمرٍ طوراً تحت ميقعةٍ وتارةً في ذرى تاجٍ على ملكٍ
وأنشدني أيضاً له :

لئن أصبحتُ مرتحلاً بشخصي فروحي عندكم أبداً مقيمٌ
ولكنّ للعيانٍ لطيفٌ معنيٌ له سألَ المعاينةَ الكليسمُ
وقد كرر هذا المعنى أيضاً فقال :

يقولُ أخي : شجاك رحيلُ جسمٍ ورُوحك ما له عنها رحيلُ
فقلتُ له : المعايينُ مطمئنٌ لذا طلبَ المعاينةَ الخليلُ
قال أبو عبد الله الحميدي^١ : وقلتُ له يوماً : قال أبو نواس^٢ :

عرّضنُ للذي تحبُّ بحبٍ ثمّ دَعَهُ يروضه إبليسُ
فقل أنت في طريقِ التحقيق فقال :
أبين قولٍ وجهِ الحقِ في نفسٍ سامعٍ ودَعَهُ فنورُ الحقِ يسري ويشرقُ
سيؤنسه رفقاً فينسَى نِفَارَه كما نسيَ القييدَ الموثقَ مطلقُ
انتهى كلامُ الحميّدِي .

١ لم يرد هذا في ترجمة ابن حزم من جذوة المقتبس .
٢ ورد البيت في الأغاني ٢٢ : ٥٢ والغيث ١ : ١٤٧ لأبي حفص الشطرنجي .

وَأُنشِدْتُ لَهُ أَيْضاً فِيمَا كَانَ يَعْتَقِدُهُ مِنَ الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ مِنْ جُمْلَةِ أُبَيَّاتٍ
يَقُولُ فِيهَا :

وَذِي عَدَلٍ فِي مَنْ سَبَانِي حُسْنُهُ يَطِيلُ مَلَامِي فِي الْهَوَى وَيَقُولُ :
أَفِي حُسْنِ وَجْهِ لَاحٍ ، لَمْ تَرَ غَيْبَهُ وَلَمْ تَدْرِ كَيْفَ الْجِسْمِ أَنْتَ قَتِيلٌ ؟
فَقُلْتُ لَهُ : أَسْرَفْتَ فِي اللُّومِ ظَالِماً وَعِنْدِي رَدٌّ - لَوْ أَرَدْتَ - طَوِيلٌ
أَلَمْ تَرَ أَنِّي ظَاهِرِي ، وَأَتْسَنِي عَلَى مَا بَدَأَ حَتَّى يَقُومَ دَلِيلُ !

مَا أَخْرَجْتَهُ مِنْ شَعْرِ أَبِي الْمَغِيرَةِ فِي أَوْصَافِ شَتَّى

لَهُ مِنْ قَصِيدَةِ أُولَها :

أَحَاجِيكُمْ : مِنْ قَلَدَ الْقَمَرِ الْقَرُطَا ؟ وَأَسْأَلُكُمْ : مِنْ أَلْحَفِ الْغَصْنِ الْمَرُطَا ؟
فَمَا جَزَعِي إِنْ جَاوَزُوا الْجَزْعَ ظَاعِناً وَلَا سَاقُطُ حَزْنِي إِذَا جَاوَزُوا السَّقَطَا

وَمِنْهَا :

وَلِيدَةُ سِرِّ الْمَجْدِ تَبْدَخُ نَخْوَةً وَقَدْ عَظُمَتْ مَجْداً وَقَدْ كَرُمَتْ رَهْطَا
وَلَمْ تَرْضَ بِالْجُوزَاءِ عَقْداً وَدُمْلُجاً وَلَا قَنَعَتْ بِالنَّجْمِ شَنْفَاقاً وَلَا قُرْطَا
تَقَنَّنَتْهَا وَالْعَمُرُ فِي عَنُقُوفَانِهِ فَلَا غَضْبِي أَحْنَى وَلَا لَمْبَتِي شَمَطَا
وَلَيْلٍ غَطَى وَالنَّجْمُ فِي الْأَفْقِ حَائِراً فَغَطَى عَلَى الْأَعْلَامِ مِنْهُ الَّذِي غَطَى
وَلَيْسَ وَشَاحِي غَيْرَ غَضْبٍ مَهْتَدٍ أَبِي حَدُّهُ أَنْ يَسَامَ الْقَدَّ وَالْقَطَا
تَشَابَهَ عَزْمِي وَالْحَسَامَ وَهَمْتِي ثَلَاثَةُ أَسْيَافٍ بِأَمْثَالِهَا يُسْطَى

وهذا كقول أبي تمام^١ :

العيسُ والبيدُ واللَّيلُ التَّمامُ معاً ثلاثةٌ أبداً يُقْسِرَنَّ في قَرَنِ

وأخذه البحرِي فقال^٢ :

اطلبا ثالثاً سوايَ فإني رابعُ العيسِ والدَّجى والبيدِ

وقال الصَّنَوْبَرِيُّ أيضاً^٣ :

حتَّى تكونَ لي الطَّمَرَةُ خُلَّةً والبيدُ داراً والحسامُ رفيقا

وقال أبو الحسن السَّلامي أيضاً^٤ :

فكنتُ وعزمي في الظلامِ وصارمي ثلاثةٌ أشباهٍ كما اجتمعَ النَّسرُ

وقال بعضُ أهلِ عصرنا :

ولِإِلاَّ الثَّلاثُ السُّفْعُ لم يَزَلِ الهوى لها رابعاً في أعينِ وقلوبِ

ولأبي المغيرة من أخرى أولها^٥ :

سَرَّتْ من لِيوى خَبَّتْ إلينا تَعَسَّفُ مَهَامَهَ ذاتِ الجَهْلِ والجَوِّ أَكَلَفُ

يقول فيها :

تبيتُ^٦ بذِي الأرطى وقد بات طيفُها لنا صَنَمًا نَحْنُو عليه ونَعْمُكُفُ

-
- ١ ديوان أبي تمام ٣ : ٣٣٨ .
 ٢ ديوان البحرِي : ٦٣٣ .
 ٣ ديوان الصَّنَوْبَرِي : ٤٠٣ .
 ٤ اليتيمة ٢ : ٤٠٢ وابن خلكان ٤ : ٥٢ ، ٤٠٧ .
 ٥ يبدو وكأنها معارضة لابن زيدون ، انظر ديوانه : ٤٧٩ - ٤٩٨ .
 ٦ ط : نبيت .

هبيك سریت الليل فرْعُكِ أسحم
فأنّی أطنقتِ المَشْيَ ، قدك مائد
سقى ربّك المألوف ، حيثُ تصدّعت
فكم لي فيه من جنّاب وطئْتُهُ
وقد شققت فيه البروقُ جيوبَها
ليالي بات البانُ فوقَ كثيبه
إذا ارتجّ من ردْفِ كثيبٍ مُرجرج
يُمدُّ علينا للسحابِ سرادق
ولله درّي ما أدرّ مدامعي
بدا العَلَمُ الفرْدُ الَّذي كُنْتُ عالماً
يذكرني سَعْدَي بالغورِ ما نبي
ولله سلّمی يومَ أهْدی سلامها

ومنها ٢ :

وما ظبية أدماءُ تعرّو أراکها
بأحسنَ منها يومَ ريعتُ لزورتي
وقالت : أما تثنيك رِقْبَةُ حارس
ودون الَّذي أملتُ أجردُ سابحُ
فقلتُ لها : بعض الَّذي بكِ ، فانشئتُ

وثغرُكِ بسّام ، ولحظُك أوطف
وردفُك رجراج ، وخصرك أهيف
لي الكبدُ الحرّی ، ربيعٌ وصيف
كريمًا فلا آسى ولا أتأسف
وباتت علينا أدمعُ الغيثِ تذرِف
عليّ بأنواعِ الجنّی يتعطف
تأوّد من قدّ قضيبُ مهفّهف
ويُسحبُ فينا للجنايبِ مطرِف
إذا سجّعتُ ورقٌ على الأيْكِ هتَف
به ، وسرى العرفُ الَّذي كنتُ أعرف
مساعدةً إذ لا صدوفي تصدف
بذي سلّمٍ نحوي البنانُ المُطرِف

وتعطو وقد وافى بريرٌ وعلفُ
فراغت إلى أترابها تتشوّف
وأنّيبُ ليث في العرينة تصرِف؟
وأسمّرُ عرّاصُ^٣ وأبيضُ مرهف
وأنجزَ ميعاداً بخيل^٤ مسوّف

١ ط : الليل .

٢ ومنها : سقطت من ط .

٣ المرّاص : الرمح حين يكون لدن المهزة .

٤ ط : ميعاد الخليل .

وَنَلْتُ سِقَاطاً مِنْ حَدِيثٍ وَعَاقِنِي
بِيسَاعِدَتِي تَحْتَ النَّقَابَيْنِ مَنَظَرٌ

ومنها :

وَرَكِبَ سَرَوْاً وَاللَّيْلُ مُرْخٍ عَلَيْهِمْ
خَبَطْتُ بِهِمْ أَكْنَافَهُ وَنَجُومَهُ
عَلَى كُلِّ قَنَعَسٍ^١ كَأَنَّ لَغَامَهُ
هَدَايَا خُطُوبٍ بَاتَ يَنْحَرُهَا الشَّرَى
إِلَى أَنْ أَنْفَ الصُّبْحُ يَنْفُضُ عَرْفَهُ
فَمَا انْشَقَّ إِلَّا عَنْ مُنَادِي ابْنِ مُنْذِرٍ

ومنها :

وَيَا رَبَّ مَيْدَانٍ أَتَى فِيهِ سَابِقاً
وَمَا نَامَ حَتَّى لَمْ يُفْتَرِقَ الْعَلَا
إِيَّاسٌ^٢ وَبِسْطَامٌ بَنُ قَيْسٍ وَحَاتِمٌ
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَقَاوِلُ
إِذَا مَضَى الْحَمَاءُ أَدْلَتْ بِمَجْدِهَا
سَمَا لَكَ قَحْطَانُ^٣ بَيْنَانٍ سَوْدَدِ

وله من أخرى :

أَمِنْ الْبُرَاقِ التَّاحِ بَرْقٌ مَا سَرَى
أَتَبَعْتَهُ نَظَرَ الْمَشُوقِ بِمَقْلَةٍ

تَنْزَهُ حُرّاً عَنْ خَنَا وَتَعَقَّفُ
وَيَسْعِدُنِي تَحْتَ اللَّثَامَيْنِ مَرْشَفُ

سُتُوراً مِنْ الظُّلْمَاءِ لَا تَتَكَشَّفُ
رَوَائِمُ أَظَارٍ عَلَى الْبَدْرِ عُكَّفُ
— وَقَدْ سَنِمَ الْإِرْقَالُ قَطُنٌ مَنَدَفُ
وَلَكِنَّهَا مِنْ بَاطِنِ الْخَفِ تَرَعَفُ
وِطَائِرُهُ فِي غُرَّةِ الْفَجْرِ يَهْتَفُ
نَدِيرٌ بَصْرَفٍ عَاقِبُهُمْ عَنْهُ يُصْرَفُ

وَعُودٍ رَمَكُوتاً^٢ هَجِينٌ وَمَقْرِفُ
فَهَا هِيَ عَقْدٌ فِي يَدَيْهِ مُؤَلَّفُ
وَقَسٌّ وَلَقِمَانُ^٣ بَنُ عَادٍ وَأُحْنَفُ
تَلَكَّتْ سُوراً مِنْ مَجْدِهِ وَهُوَ مُصْحَفُ
وَجَرَّتْ ذِيولُ الْفَخْرِ قَيْسٌ وَخُنْدِفُ
يَنْيْفُ عَلَى تِلْكَ الْمَبَانِي وَيَشْرِفُ

إِلَّا وَرَدَّ الْأَفْقَ مَرِطاً أَحْمَرَا
لَمْ تَدْرِ مِذْ عَهْدُ الْأَثِيلَةِ مَا الْكُرَى

١ القنعماس : الجمل العظيم الضخم .

٢ منكوتاً : مطروحاً .

عابته كالصقر صفق طائراً

فغدت غرايب الدياجي نفراً

ومنها :

وسلكت من نار الصبابة صارماً
ومشيت منساباً فقل في أرقم
بتنا ، وبات المسك فينا واشياً
وركت بالحاظ تدير كؤوسها
والليل يلحفني سرايل الدجى
لو جثت لرأيت أعجب منظر
ولقد رقيت من الحمى أعلامه

وجررت من وفد التصابي عسكرياً
وضح النهار له فعاد غصنفراً
بمكاننا ، والحلي عنا مخبراً
فينا فنشربها حلالاً مسكراً
جهلاً وقد عانقت صبحاً مسفراً
أسد توسد كف ظبي أعفراً
وشككت الماشمته متغيراً

ومنها :

إلا ترى المنصور تحت لسوائه
أو لا تجد في الحفل عاقد حبوة
أو تفتقد صمصام عمروفي الوغى
لا غرو جئت البحر إذ أجلي الحيا
فلذا دعونا من يجيب لنكبة
شيم غدت قرط الزمان فلم أنم
لله درك والرماح شوارع
ومقامة لك في الأعادي قد حمت
كان اللسان لها الحسام المنتضى
غادرت أحشاء البود خوافساً

تلق ابنه طلق الحبسين مظفراً
هوداً فإننا قد وجدنا حميراً
فلقد سللنا ذا الفقار مذكراً
ورأيت يحيى حين لم أر منذراً
لبت تجيب فخلت بها سيلاً جرى
حتى نظمت عليه شعري جوهر
والبيض تقطع لأمة وسنوراً
أيام قوم قبلها أن تذكراً
والمنبر العالي الأغر الأشقرا
فيها ومران الوشيع مكسراً

ط : فشككت .

أَنْسَيْتَنَا جَذَلَ الطَّعَانَ وَعَامِرًا وَعُتَيْبَةَ بْنَ الْحَارِثِيٍّ وَمُسْهَرًا
فَإِذَا أَتَيْتُكَ مَا دَحَا لَكَ لَمْ يَحْسِيءِ شعري لِيَسْأَلَ بَلْ أَتَاكَ لِيَفْخُرَا
غَيْرِي الَّذِي اتَّخَذَ الْمُدَائِحَ مَكْسَبًا وسوأي من جعلَ القَوَافِي مَتَجَرَا
أَنَا مَا شَعَرْتُ لِأَنَّ أَنْبَةَ خَامِلًا لكنْ لَأَمْنَعَ شَاعِرًا أَنْ يَشْعُرَا

قوله : « أَوْ نَفْتَقِدُ صَمَّصَامَ عَمْرٍو » ... البيت ، لفظُ حبيبٍ ومعناه ،
نقله أبو المغيرة :

أَوْ نَفْتَقِدُ ذَا النُّونِ فِي الْهَيْجَا فَقَدْ جَلَى إِلَهُ لَنَا عَنْ الصَّمَّصَامِ ٢

لُتَمَعَ مِنْ أَخْبَارِ مَنْذَرِ الَّذِي ذَكَرَ ٣

قال : ونقلْتُ من خطِّ أبي مروانَ ابنِ حِيَّانَ ، قال ١ : كان منذر بن
يحيى صاحبُ سرقِسطة رَجُلًا من عُرُضِ الجُنُودِ ، وترَقَّى إلى القِيَادَةِ آخِرَ
دولة ابن أبي عامر ، وتناهى أمرُهُ في الفَتْنَةِ إلى نَيْلِ الإِمَارَةِ ، والانتبَازِ من
العَسْكَرِ إلى الثَّغَرِ الأَعْلَى بِلَدِهِ ، واقتطاعِهِ لِمَا صَبَّرَ فِي يَدِهِ ، وكان أبوه
يحيى من الفرسان غير النبهاء ؛ فأما ابنُهُ مُنْذِرٌ فَكَانَ فَارِسًا لَبِيقَ الفُرُوسِيَّةِ ،
بَهِيَّ الشَّارَةِ ، مَلِيحَ التَّقَلُّبِ عَلَى الدَّابَّةِ ، سَخِيًّا كَرِيمًا خَارِجًا عَنْ حَدِّ

١ ط : وعُتَيْبَةُ وابنِ الحَبَابِ ؛ س ب : وعُتَيْبَةُ بْنُ أَبِي الحَبَابِ .

٢ ديوان أبي تمام : ٢٠٥ وفي الديوان : دفع الاله ؛ وفي بعض أصوله « خلى » موضع
« جلى » . وذو النون سيف كان لعمرو بن معد يكرب ، وروي أنه كان لمالك بن زهير
سيف بهذا الاسم .

٣ راجع أخبار منذر بن يحيى التجيبي في البيان المغرب ٣ : ١٧٥-١٨١ وأعمال الاعلام :

١٩٦-٢٠١ والمغرب ٢ : ٤٣٥ وبيروفسال ٢ : ٣٢١-٣٣٠ ودوزي (Span.ish Is.)

٥٦٨-٥٦٩ وقد نقل دوزي هذا الفصل عن الذخيرة في كتابه Recherches (الملحق

رقم ١٤ ص ٣٥ من الملاحق) .

؛ جاء هذا الفصل في ط كثير الحذف ؛ وقارن بما في البيان المغرب .

الجهل ، يَتَمَسَّكَ بِطَرَفٍ مِنَ الْكِتَابَةِ السَّادِجَةِ ، وَأَمَّا غَدْرُهُ فَالْتَّارُ
 بِرَأْسِ الْيَفَاعِ ، مِنْ أَفْحَشِهِ صُنْعُهُ بِبِهْشَامِ الْمَخْلُوعِ مَوْلَى نِعْمَتِهِ
 وَمُعَلِّي رُتْبَتِهِ ، وَبَاعِيهِ إِلَى الثَّغْرِ لِنُصْرَتِهِ ، فَانْقَلَبَ نَاصِراً لِعَدُوِّهِ ، وَغَزَاهُ
 فِي عَقْرِ دَارِهِ ، وَأَنْزَلَهُ عَنْ سَرِيرِهِ ، وَأَسْلَمَهُ لِحَنَفِهِ ، وَبَاعَ دِمَاءَ عَشِيرَتِهِ
 أَهْلَ قَرْطُبَةَ مَجَانّاً بِأَطِلَاءٍ بِلَا ثَمَنِ مِنَ الْبَرَابِرَةِ عَلَى غَيْرِ عُدْرٍ وَلَا
 ضُرُورَةٍ . وَعَادَ بِمِثَالِهَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ أَثِيرُهُ عِنْدَمَا اسْتَجَارَ بِهِ فِي تَكْنِبَتِهِ ،
 فَقَتَلَهُ وَهُوَ ضَيْفُهُ ، فَجَاءَ بِهَا صَلْعَاءَ مَشْهُورَةٍ لَمْ تَغْسِلْهَا مَعْدِرَةٌ ؛
 إِلَّا أَنَّهُ كَانَ كَرِيماً ، وَهَبَ لِقُصَادِهِ مَالاً عَظِيماً ، فَوَفَدُوا عَلَيْهِ ، وَتَطَارَحَتْ
 الْأَمَالُ إِلَيْهِ ، وَاتَّفَقَ عَلَى تَفْضِيلِهِ ، وَعَمَرَتْ لَذَلِكَ حَضْرَتُهُ سَرَ قُسْطَظَةٍ ،
 حَتَّى أَشْبَهَتْ الْحَضْرَةَ الْكُبْرَى قَرْطُبَةَ أَيَّامِ الْجَمَاعَةِ ، فَحُسِنَتْ أَيَّامُهُ ،
 وَهَتَفَ الْمُدَّاحُ بِذِكْرِهِ .

وكان مع سُمُوءَةٍ لِلْمَعَالِي مِنَ الْإِيثَارِ لَشَهَوَاتِهِ ، وَالْمَسَارَعَةِ لِقَضَاءِ لَذَاتِهِ ،
 وَالْإِنْهَتَاكِ فِي طَلَبِ رَاحَتِهِ ، وَالشَّغْفِ بِزَيِّ دُنْيَاهُ ، وَالْكَتْلِفِ بِزُخْرُفِهَا ،
 وَالتَّهَالُكِ فِي حُبِّهَا ، عَلَى أَضْلَعِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَنْ تَفَرَّدَ بِشَأْنِهَا ، فَاتَّخَذَ
 الْجَوَارِي الْحَسَانَ ، وَمَلَّاحَ الْغِلْمَانَ ، فَجَلَّبَ إِلَيْهِ كُلَّ عِلْقٍ خَطِيرٍ ،
 وَحَصَلَ عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ مَا وَصَفْنَاهُ كَثِيرٌ .

وكان لأَوَّلِ وِلَايَتِهِ قَدَاسَ عِظَمَاءِ الْإِفْرَنْجِ وَهَادَاهُمْ حَوْطاً لِلثَّغْرِ
 وَأَهْلِهِ ، وَتَأْتِيّاً لِلْجَمَاعَةِ حَتَّى تَتَوَبَّ لَأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، يُنَاهِضُونَ بِهَا
 عَدُوَّهُمْ . وَكَانَ رُؤُوسُ الْجَلَالِقَةِ يَوْمُئِذٍ رَيْمُنْدُ الْجَلِيقِيِّ وَشَانْجُهُ
 الْقَشْتَلِيِّ ، فَسَلَكَ مَعَهُمَا سَبِيلَ الْأَسْرَضَاءِ ، وَالْمُوَافَقَةِ وَالِاسْتِخْدَاءِ ،
 فَحَفِظَتْ أَطْرَافُهُ وَكُفَّتِ الْمَعَرَّةُ عَنْ عَمَلِهِ . وَرَبَّمَا أَوْقَعَ بِيَعُضِ أَصَاغِرِ
 الْقَوَامِسِ فِي أَطْرَافِهِمْ وَسَبَى مِنْهُمْ . وَرَيْمُنْدُ وَشَانْجُهُ بَاقِيَانِ عَلَى

مُعَاقِدَتِهِ إِلَى أَنْ مَضَى بِسَبِيلِهِ ، وَالثَّغَرُ مَسْدُودٌ لَا تُغْفَرَةُ فِيهِ وَلَا وَهْيٌ فِي
حَالِهِ . وَبَلَغَ مِنْ اسْتِمَالَةِ الْحَاجِبِ مُنْذِرٍ لِهَذَيْنِ الطَّاعِغِيَّتَيْنِ أَنْ أُجْرِيَا
تَصَاهُرُهُمَا عَلَى يَدَيْهِ ، وَكُتِبَ عَقْدُ النِّكَاحِ بَيْنَهُمَا بِحَضْرَةِ سَرَقُسْطَةَ فِي
حَقْلٍ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّتَيْنِ ، فَفَرَقَتِ الْأَلْسِنَةُ مُنْذِرًا لِسَعْيِهِ فِي نَظْمِ سِلْكِ
الطَّاعِغِيَّتَيْنِ لِمَا فِيهِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ . وَقَدْ قِيلَ إِنَّ رَأْيَ مُنْذِرٍ كَانَ فِي ذَلِكَ
أَحْصَفَ ، مِنْ رَأْيِ مَنْ قَدَحَ فِيهِ وَقَرَفَ ^١ ، لِنَظَرِهِ فِي شَأْنِ وَقْتِهِ ، وَعِلْمِهِ
بِانْصِدَاعِ عَصَا أَهْلِ كَلِمَتِهِ ؛ فَاتَّرَ مِنَ الْمَوَادِعَةِ مَا سَتَرَ بِهِ الْعَوْرَةَ ، وَشَرَاهُ
بِغَلِظِ ^٢ الْكُلْفَةِ ، وَاخْتَدَعَ بِهِ عَظِيمِي الْجَلَالَةِ رَيْمُنْدُ وَشَانُجُهُ
الْمُحَدَّثَيْنِ أَنْفُسَهُمَا يَوْمَئِذٍ بِمَنَاضِةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، فَأَلْهَاهُمَا عَنْ
الْحَرْبِ وَحَبَبَ إِلَيْهِمَا الدَّعَاةَ . وَأَعْقَبَ ^٣ الْحَاجِبُ مُنْذِرٌ أَهْلَ الثَّغْرِ فِي
مَغَبَّةِ ذَلِكَ عَاجِلِ السَّلَامَةِ ، وَاسْتَظْهَرُوا بِهِ عَلَى الْعِمَارَةِ ، فَحَيُّوا
وَعَاشُوا فِي نَعْمَةٍ ضَافِيَةٍ ، وَعَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ، لَمْ يَتَغَيَّرْ بِهِ عَنْهُمَا حَالٌ ، إِلَى
أَنْ أَلُوتَ بِمُنْذِرِ الْمَنِيَةِ ، وَقَدْ اعْتَرَفَ النَّاسُ لِرَأْيِهِ ، وَأَقْرَوا بِسِيَاسَتِهِ ، وَلَمْ
يَأْتِ بَعْدَهُ مِنْ يَسُدُّ مَسَدَهُ ، وَلَمْ يَنْفَعِ اللَّهَ الطَّاعِغِيَّتَيْنِ بِصِيْهِرِهِمَا الَّذِي كَانَا
عَقْدَاهُ لِلتَّآلِفِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، إِذْ أُعْجِلَ عَنْهُ شَانُجُهُ بْنُ غَرْسِيَسَةَ
شَيْطَانَهُمُ الرَّجِيمَ ، وَهُوَ أَمِيرُهُمْ رَيْمُنْدُ ظَهِيرُ الْمَذْكَورِ ، وَابْنُهُ بَعْدَهُ ؛
فَشَتَّتَ اللَّهُ شَمْلَ تِلْكَ الطَّوَاغِيتِ يَوْمَئِذٍ وَكَفَى الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُمْ بِرَحْمَتِهِ .
وَاشْتَمَلَ مُنْذِرٌ عَلَى قَوَادِ تِلْكَ الثَّغُورِ ، وَاسْتَوْسَقَتْ لَهُ هُنَالِكَ الْأُمُورُ .

١ ط : وقرفه .

٢ البيان : وسدها بيسير .

٣ ط : واعتقب .

٤ ط : عقدها بحضرة منذر .

٥ ط : وهوى اثره ريمنده .

واستكتبَ عِدَّةَ كُتَّابِ كَأبي العَبَّاسِ ابنِ مَروَس^١ من تَدْمِيرِ ، وكَأبي
عَامِرِ ابنِ أَرْزَقِ^٢ ، وابنِ وَاجِبٍ وَغَيْرِهِمْ .

قال ابن حَيَّان : وأخْبَرَنِي الكَاتِبُ أَبُو أُمَيَّةَ ابنِ هَاشِمٍ^٣ القُرْطُبِيُّ - وَكَانَ
مِنْ وَجْهِهِ مِنْ خَرَجَ عَنَّا أَيَّامَ الْفِتْنَةِ وَاسْتَوَظَنُ^٤ ثَغَرَ تَطِيلَةَ^٥ ، وَمَا
رَأَيْتُ مِثْلَهُ فِي أُولَى الْبَيْتُوتَاتِ فَضْلاً - قال : اجْتَازَ^٦ الْقَوْمِيسُ
شَانِجُهُ بنَ غَرْسِيَّةَ صَاحِبُ قَشْتِيلَةَ بِيَابِ تَطِيلَةَ صَدَرَ أَيَّامِ الْحَاجِبِ
مُنْذِرٍ ، وَعَلَيْنَا يَوْمُئِذٍ مِنْ قَبْلِهِ سَلِيمَانُ بنُ هُودٍ صَاحِبُهُ ، فَسَلَّكَ مُجْتَازاً
يُرِيدُ طَرَفَ الثَّغْرِ الْأَعْلَى لِلْاجْتِمَاعِ هُنَاكَ بِالْقَوْمِيسِ رِيْمُنْدَ صَاحِبِ
بَرْشَلُونَةَ^٧ ، لِعَقْدِ الْمُصَاهَرَةِ بَيْنَهُمَا^٧ ، وَالْأُنْثَى مِنْ عِنْدِ شَانِجِهِ ،
وَاطِئاً لَأَرْضِنَا عَنْ عِلْمٍ مِنْ مُنْذِرٍ وَالْيَنَّا ، وَضَمَانَ مِنْهُ لِكَيْفَ عَادِيَةِ جَيْشِهِ
عَنَّا ؛ فَأَنْكَرَهُ أَهْلُ تَطِيلَةَ وَهُمْ يَوْمُئِذٍ بِحَالِ عِزَّةٍ وَقُوَّةٍ ، وَذَهَبُوا إِلَى
عَصِيَانٍ أَمِيرِهِمْ مُنْذِرٍ فِيهِ تَفَادِيّاً مِنْ وَصْمَتِهِ ؛ فَتَنَمَّى ذَلِكَ إِلَى الطَّاعِيَةِ
شَانِجُهُ ، فَلَمَّا شَارَفَ الْبَلَدَ أَرْسَلَ يَسْتَدْعِي قَوْماً مِنْ أَعْيَانِهِمْ ، يُكَلِّمُهُمْ فِي
سَبِيلِهِ .

قال أَبُو أُمَيَّةَ : فَكَنتُ فِي عَدَدٍ مِنْ مَضَى ، فَدَخَلْنَا مَحَلَّتَهُ يَوْمُئِذٍ

١ ط : مدوش .

٢ ط : وابن أزداق .

٣ ب س : هشام .

٤ ط : فأوطن .

٥ تطيلة (Tudela) على بعد ٧٨ كيلومتراً إلى الشمال الغربي من سرقسطة (الروطس
المعطار ، الترجمة الفرنسية : ٨٠ - ٨١) .

٦ ط : اجتاز بنا .

٧ ط : لعقد مصاهرتهم .

فَخَرَصْتُهَا^١ خَيْلاً وَرَجُلًا زُهَاءَ سِتَّةِ آلَافٍ ، ولم يكن احتفال في حشدِه ،
 ووصلنا إلى مَضْرِبِه فإذا هو جالسٌ على مَرْتَبَتِه عليه ثيابٌ من ثيابِ
 المسلمين ، ورأسُه مكشوفٌ أصْلَعُ كَهْلٌ ، لم يغلب عليه الشيبُ بَعْدُ ،
 أَسْمَرُ اللَّوْنِ جَسِيلُ الصُّورَةِ ؛ فَكَلَّمْنَا بِكَلَامٍ لَطِيفٍ حَسَنٍ بَيْنَ فِيهِ وَجْهَ
 سَيَرِه ، وذكر ما فارقَ وَالَيْنَا عليه من المحالفةِ معه ، فَعَرَّفَنَاهُ بِكُرْهِ
 من وراءنا لاجتيازِه ، وذهابِهم إلى التمرّسِ به ، فنهانا عن ذلك وذكرَ
 الحربَ وَعُدْوَاءَهَا ؛ فانصرفنا عنه وأدَيْنَا قَوْلَه إلى من خلفنا فلم يتقبَّلْهُ
 عوامُ الناسِ ، وحملَهم الأتْفُ على أن^٢ خَرَجُوا إلى عَجَلٍ أَبْطَأَتْ في
 ساقته تحملُ أزوادَ عسكرِه يريدون نهبها عاصين للمشيخة ، فَأَنهَى إِلَيْهِ ذَلِكَ ،
 فصرفَ من أصحابِه مِقْدَارَ خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ ثَارُوا في وجْهِه النَّاسِ ، فخرجَ
 الْبَلَدُ بِأَسْرِهِ لِدِفَاعِهِمْ ، فَحَمَلَ مِنَ الْخَمْسِمِائَةِ قِطْعَةً ، فَوَلَّى النَّاسُ
 الْأَدْبَارَ حَتَّى اقْتَحَمُوا بَابَ الْمَدِينَةِ . فَمَا رَأَيْتُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ يَوْمَئِذٍ رَجُلًا
 مِثْلَ رِجَالِه ، وَلَا في مَلُوكِ الطَّوَاغِيَةِ^٣ من أَعْدَلُهُ به في رِكَانَةِ مَجْلِسِه
 وَرُجُولِيَّتِه وَدَهْنِيَّةِ وَكَمَالِ أَدَوَاتِه ، وَصُدُوعِ كَلِمَاتِه ، إِلَّا مَا كَانَ
 مِنْ صِهْرِه وَسَمِيَّةِ شَانِجِيَهْ بِنِ غَرْسِيَّةِ صَاحِبِ الْبَشْكُنْشِ الَّذِي تَفَرَّدَ
 بِالرَّئَاسَةِ بَعْدَهُ فَكَانَ مِثْلَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ شَيْعَتَهُمْ^٤ .

وكان^٥ من أعظم ما حبا الله به الإسلامَ يومئذٍ عند مُنْبَعَثِ فِتْنَتِهِمْ ،
 وَمُحَدَّثِ فُرُوقَتِهِمْ ، وَتَشَشُّعِ كَلِمَتِهِمْ ، بعد الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ بِأَفْقِنَا .
 تعجيلة حَتَفِ أَمْلَاكِ النَّصْرَانِيَّةِ الْمُتَمَرِّسِينَ بِهِمْ ، وَتَلَا حَقُّهُمْ فِي الْمَدَّةِ الْقَرِيبَةِ ،

١ فخرصتها : أي قدرت عددها تخميناً ؛ ط : فخرستها .

٢ ط : إلى أن .

٣ ط : الطاغية .

٤ ط : شيعةهم .

٥ من هنا حتى آخر الفصل سقط من ط .

وإلقاؤه بين من أنظر منهم الشتات والعداوة ، حتى صاروا أسوة المسلمين
 حدّوا النعل بالنعل ، في افتراق الكلمة وزوال أمر المملكة ؛ فإنّ الفتنة
 بأفئقنا جاءت يومئذ بين المسلمين ، وزعماء الطاغية حضوراً ، وفيهم عدو
 الله شأنجُه بن فَرَزْدَلَسَدَ الذي تمرّض بالمنصور بن أبي عامر ، رحمه
 الله ، ذو العزة والسطوة ، فأعيا عليه حتى قمعه ، وضرب بعده فريقي
 الفتنة ، ومالاً الخوارج على الجماعة ، حتى تمكن من هشم البيضة ؛
 وطمّح أمله إلى الكرّة ، فقطع الله بهم ، وأهلكهم في مدّة قريبة .

ذكر الخبر عن مقتل منذر^١

قال ابن حيّان : وكان ذلك على يدي رجلٍ ماردٍ من بني عمّه ، يقال له
 عبد الله بن حكيم^٢ ، وكان مُقَدِّمًا في قُودٍ منذرٍ ، أضمر الفتك به دهرًا ،
 فدخل عليه يوماً في مجلسه غرة ذي الحجة سنة ثلاثين وأربعمئة ، وهو
 غافلٌ في غلالة ، ليس عنده إلاّ نفرٌ من خواصّ خدمه الصقّلب ، قد
 أكسب على كتابٍ يقرؤه ، فعلاه بسكين قد أعدّه ، ففرى به أوداجه ولا
 مانع منه ، وهرب خدّامُ السّرّ العِلّمانُ الخصيانُ ، الذين كانوا على رأسه .
 وخلّوه في يديّه ، إلاّ خادماً شهماً منهم مشى إليه^٣ وهو حاسر^٤ ، فضربه

١ قارن بالبيان المغرب ٣ : ١٧٨ ، وما نقله دوزي في Recherches (الملحق رقم : ١٦
 ج ١ ، ص ٣٩ من الملاحق) ويلاحظ أن البيان يتفسق في المحذوف من النص مع
 النسخة ط .

٢ البيان : عبد الله بن حكيم .

٣ ب س ودوزي والبيان : خدم السوء .

٤ البيان : دفع عنه .

٥ ط : حاسراً .

عبدُ الله بِخَنْجَرِهِ فَقَضَى عَلَيْهِ مَع مَوْلَاهُ . وَأَخْرَجَ رَأْسَ الْمُنْذِرِ لِلْوَقْتِ مِنْ قَصْرِهِ فَوْقَ قَنَاقَةٍ^١ يَنَادِي عَلَيْهِ : هَذَا جَزَاءُ مَنْ عَصَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَشَاماً وَدَفَعَ حَقَّهُ ، يَرِيدُ بِذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ يُدْعَى لَهُ يَوْمَئِذٍ بِإِسْبِيلِيَّةٍ ، تَعَلَّقَا مِنْ هَذَا الْمَارِدِ لَوْلَايَتِهِ ، وَتَوَطَّيْتَهُ^٢ لِقِيَامِهِ ، إِذْ كَانَ هَذَا الْقَتِيلُ مُيَمَّنٌ رَدَّ طَاعَةَ هَشَامٍ تَأْسِيّاً بِوَالِدِهِ يَحْيَى وَبِخَالِهِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ ذِي النُّونِ ؛ فَتَزَلَّتْ بِسَرَقُوسْطَةَ يَوْمَئِذٍ حَادِثَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَأَشْرَفَ أَهْلُهَا عَلَى فَتْنَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَاضْطَرَبَتْ لَهَا حَالُهُمْ^٣ ، وَطَمَعَ فِيهِمْ أَكْثَرُ مَنْ كَانَ يُجَاوِرُهُمْ^٤ ، وَأَذْعَنُوا لِهَذَا الْغَوِيِّ الْمُتَوَثِّبِ عَلَيْهِمْ آتِئاً ، وَرَهَبُوهُ لَاسْتِجَاشَتِهِ الْغَوَاءَ وَالسَّفْلَةَ ؛ فَمَلَكَ الْبَلَدَ لِنَفْسِهِ .

وَكَانَ سَلِيمَانُ بْنُ هُوْدِ الْجُدَامِيِّ صَاحِبُ لَارْدَةٍ وَقْتَهُ مُقِيمًا بِتُطَيْلَةَ بِجَمْعِهِ^٥ ، فَسَارَعَ إِلَى سَرَقُوسْطَةَ سَاعَةً سَمِعَ بِخَبَرِ مُنْذِرٍ رَجَاءً فِي دُخُولِهَا ، فَمَنَعَهُ هَذَا الْفَتَى الْقَاتِلُ ، ثُمَّ جَاءَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ ذِي النُّونِ خَالُ مُنْذِرٍ مُتَمَتِّعًا لِمَا جَرَى عَلَى ابْنِ أُخْتِهِ ، فَامْتَنَعَ ابْنُ حَكَمٍ بِالْقَصْبَةِ ، وَاتَّصَلَتِ الْفِتْنَةُ^٦ ، وَنَالَ أَهْلُ سَرَقُوسْطَةَ يَوْمَئِذٍ جَهْدًا شَدِيدًا وَخَرِبَتْ أَمْوَالُهُمْ .

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : وَكَانَ رَكِيبُ ابْنِ حَكَمٍ الْقَاتِلُ مِنْ خُطَّةِ التَّغْيِيرِ^٧

١ البيان : عصاه .

٢ ب س و دوزي والبيان : وتوطيداً .

٣ واضطربت لها حالهم : سقطت من ط والبيان .

٤ ط : من جاورهم .

٥ ط : في جمعه .

٦ ط : وسارع إلى سرقوسة إذ فجأه الخبر ؛ البيان : حين مجيئه (اقرأ : فجأه) الخبر .

٧ ب س و دوزي : التقدير .

مركباً لم يجسُرْ عليه فاتك قبله ، لتَقَرُّدِه ووُثُوبِه على الأميرِ مُنذِرِ جَوَفٍ قَصْرِه في قرارةِ مجلسه بين غِلْمانِه وأهلِه وتحت أغْلَاقِه ، وبينه وبين الباب الأقصى من قصرِه ما لا يُحصى من حُجَابِه وقَهَارِمَتِه ؛ فلم يفكِّرْ في شيء من ذلك ، وحَمَلَ نفسه على التَّصْمِيمِ فيه ، وهَوَّنَ عليها الموتَ دونَه ، فلما تَمَّ له ذلك لم يكنْ في الحصيانِ العبيدَيَّ الذين حضروا مَجْلِسَ مُنذِرِ سَاعَتَيْدِ فضلٌ للدِّفاعِ عنه والوُثُوبِ بآبِنِ حَكَمٍ ، على كَثْرَتِهِم وتَقَرُّدِه وَسَطَّهِم ، وأنَّهم لم يزيدوا على الهَرَبِ قُدَّامَه ، فجاء بِفَتَكَةٍ أسَقَطَتْ كُلَّ من فَتَكَ في الإسلامِ قبلَه ؛ ثم لحقَ طمعُه برياسةِ المَلِكِ ١ فَمَلَكَه ، ولم يفكِّرْ في ابنِ ذِي التَّوْنِ خالِ مُنذِرٍ لَمَّا دَنَا إليه . وفعلَ ذلكَ بِسليمانِ بنِ هُودٍ ، وقد جاء ناشراً أَذُنَيْه ، فحاربَه ودافَعَه . وكان في قصرِ مُنذِرٍ وقتَ فَتَكِه به من حاشِيَتِه وغِلْمانِه أَزِيدٌ من مائةِ رجلٍ سوى نِساءِه ، فطار الرِّجالُ على وجوههم فَرَعاً ، ولم يكنْ فيهم من يأخُذُ على يده ، وقام بينهم كالأسدِ الوَرْدِ ، فحزَّ رأسَ الفتي مُنذِرٍ للوقتِ . وأُخرجَه إلى الناسِ ٢ ، فهِمَّتْهُمُ أَنْفُسُهُم وأَبْلِسُوا ، ولم ينطقْ منهم أَحَدٌ بكلمة .

وأرسلَ من حِينِه يستدعي قاضي ٣ البَلَدِ والمَشِيخَةَ ، فدخلوا عليه وهو قاعدٌ على فِرَاشٍ مُنذِرٍ قَتِيلِه ، ومُنذِرٌ إلى جانبِ الفِرَاشِ مُرَمِّلٌ ٤ في دِماثِه ، مُغَطَّى بِثِيَابِه ؛ وَوَصَفَ أَنَّهُ جَرى في سَبِيلِ الإِصْلَاحِ عليهم ،

١ ط : رياسة الملك ؛ البيان : لحق طمعُه الملك .

٢ ط : للناس .

٣ ط والبيان : عن قاضي .

٤ ط : مرسل ؛ ب س : مزمل .

والشدّة لسلطانهم ، وتقدّم إليهم بتسكين من خلفهم من العامة ، وأظهر الدعاء أولاً لسليمان بن هود ، فأرّوه قبول ما وصفه ، وتفترقوا عنه ، وكلمتهم مختلفة عليه ، إلى أن ثاروا به وقتلوه ، فخرج من باب بظهور القصر ، ونجا منه بفاخير ما اشتمل عليه من ذخائر آل منذر ، ولحق بجيضم روضة اليهود^١ ، أحد معاقل سرقسطة المنيع ، وقد كان أعدّه لنفسه ، فأقام به يرصد^٢ الفتننة جهده . وكان قد حمل مع نفسه الغلامين أخوين منذر^٣ قتيله ، وحمل أبا المغيرة بن حزم وزيره وغيرهم من وجوه رجال منذر الذين نكبهم عند قتله مقيدين ، فحبسهم عنده ، يطالبهم بالأموال .

ونهب العوام قصر سرقسطة إثر خروجه نهباً ما سُمع أعظم منه ، حتى قلعوا ممرّمه ، وطمسوا أثره ، لولا تعجيل ابن هود ملك البلد إثر ذلك في المحرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة . انتهى كلام ابن حيّان .

قال ابن بسّام : وأذكرُ بهذه الغدرة الصلحاء ، والفتكة الشهيرة الشوّاء — إذ الشيء يُذكرُ مع ما جَانَسه ، ويُضم إلى ما التّف به ولا يَسه — ما اتّفق من مثلها في ملك المتناديين الغالبيين إلى وقتنا هذا على طَرَف إفريقية الأدنى إلى الأندلس ، المستقرة رياستهم بقلعتهم المنسوبة إلى جدّهم

١ روضة اليهود : (Rueda de Jalon) في ولاية سرقسطة . وهذه التسمية تميزها عن روضة ثانية في ولاية وشقة وعن روضة ثالثة في ولاية قادش .

٢ ط : يرتصد .

٣ ط والبيان : مع نفسه أخوين لمنذر .

حمّاد^١ ؛ وذلك أنّه لَمَّا أَفْضَى مُلْكُهُمْ إِلَى بُلْقَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنْهُمْ ، أَحْدِ جَابِرَةَ الْإِسْلَامِ ، الْمُفْتَتَاتِينَ عَلَى الْأَنَامِ ، مِنْ رَجُلٍ كَانَ لَا يَمْلَأُ يَدَهُ إِلَّا مِنْ لِبْدَةِ أَسَدٍ ، وَلَا يُسَرِّحُ لِحْظَهُ إِلَّا فِي نِيْهَابِ بَلَدٍ مُضْطَهَّدٍ ، وَلَا يَرَّاحُ إِلَّا وَبَحْرُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ ، وَلَا يَكْلَمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ^٢ قَدْ تَجَاوَزَ فِي شَذُوذِ^٣ أُمْنِيَّتِهِ ، وَقَهْرِهِ لِرِعِيَّتِهِ ، وَالْإِخَافَةِ لِأَقْرَانِهِ ، وَالْإِسْتِبْدَادِ عَلَى زَمَانِهِ ، غَايَةَ مِنْ سَلَفٍ مِنْ جَابِرَةِ الْأَرْضِ ، وَسُمِعَ بِهِ مِنْ فِرَاعِنَةِ الْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ ، إِلَى شُهْرَةِ آثَارِهِ ، وَتَطَاوُحِ^٤ أَصْفَارِهِ ، وَمَا لَا يَحْصِي مِنْ عَجَائِبِ أَخْبَارِهِ .

حُدِّثْتُ أَنَّهُ أَبَ مَرَّةً مِنْ بَعْضِ غَزَوَاتِهِ الْأَفْرَادِ ، الْمُقْلَقِلَةِ^٥ لِأَحْشَاءِ الْأَنَامِ وَالْبِلَادِ ؛ فَكَانَتْهُ ارْتِاحٌ إِلَى مَا يَرْتَاحُ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ إِرَاحَةٍ^٦ نَفْسِهِ ، وَالْخَلْوَةِ وَلَوْ سَاعَةً بَوَجْهِ أَنْسِهِ ؛ فَجَلَسَ لَذَلِكَ مَجْلِسًا حَشَدَ لَهُ شَهَوَاتِهِ ، وَتَقَدَّمَ فِي إِحْضَارِ مَا يَصْلَحُ لَهُ مِنْ آلَاتِهِ وَأَدَوَاتِهِ ؛ وَأَمَرَ قِيَمَةَ جَوَارِيهِ بِاسْتِحْضَارِ عَقِيلَةٍ أَتْرَابِيهَا يَوْمُئِذٍ جَلَالَةُ سُلْطَانِ ، وَحُسْنُ سَمَاعٍ وَعِيَانِ ، إِحْدَى بَنَاتِ عَمِّهِ دَنْيَا ، لَمْ يَرَّ بَعْدَهَا - زَعَمُوا - وَلَا قَبْلَهَا أَبْرَعُ ظَرْفًا ، وَلَا أَقْتَلُ طَرْفًا مِنْهَا ؛ فَجَاءَتْ تَوَدُّ الثَّرِيًّا لَوْ تَكُونُ نَعْلَهَا ، وَالشَّمْسُ لَوْ تُصَوِّرُ مِثْلَهَا ، وَقَدْ خَطَرَتْ بِنَفْسِهِ إِحْدَى هَنَاتِهِ ، وَتَمَثَّلَتْ لَهُ بَعْضُ غَزَوَاتِهِ ؛

١ افظر عن الحماديين ، تاريخ ابن خلدون ٦ : ١٧١ - ١٧٧ وقد حكم بلقين بن محمد ٤٤٧ - ٤٥٤ حيث قتل على يد الناصر بن علائس .

٢ من قول الشاعر .

يفضي حياء ويفضي مَسْنِ مهابته فلا يكلم إلا حسين يبتسم

٣ س ب : شروء .

٤ ب س : وتطارح .

٥ ب س : المقلقة .

٦ ط : راحة .

فأخذ يدبّر ، وطفق يورد ويصدر . قالت قيمته : وكأني أنظر إلى الكاس في يده ، وإلى ابنة عمته قائمة على رأسه ، من لدن صليت العصر حتى طلع الفجر ، وحانت منه بعد طول ليلته نظرة فراها ، فاعتذر إليها واستدناها ، ووعدها ومناها ، وقام من حينه فوضع الكأس ملاءى في طاق وطبع عليها ، وأمر بالركوب من حينه ، فغزا غزوته المشهورة إلى الغرب من العدو^١ ، بلغ فيها مدينة فاس ، فوطيء الدول ، ودوخ السهل والجبل ؛ ثم رجع فجلس ذلك المجلس بعينه ، واستدعى كأسه تلك وابنة عمته ، فخلا بأنسه ، وقضى وطره من لذة نفسه ، بعد أيام كثيرة ، وحروب مريعة .

ولما تنهى أمره ، وتجاوز السها ذكره ، وظن أن البلاد تحت ختمه ، وأن الناس على حكمه ، سما إليه في بعض أسفاره ابن عمته الناصر ، أصغر خلق الله عنده شائاً ، وأهوئهم عليه سراً وإعلاناً ، من فتى علمه الخوف كيف يحسر ، وهجم به ضيق المسلك على الموت وهو ينظر ، لم يشاور إلا الحسام ، ولا استصحب إلا الإقدام ؛ وقد كان بعض نصحاء بلقين خوفاً منه ، لكلمة أخذت يومئذ عنه ، فجعلها بلقين نقلة ركابه ، وسمّر أصحابه . وكان قلماً يركب إلا دارعاً ، آخذاً بما يأخذ به من دعر القلوب ، ووتر البعيد والقريب ؛ وكان مولعاً بالإدلاج إذا ارتحل ، مؤثراً للانفراد كلما ركب ونزل ؛ فأقسم تلك الليلة ألا يدليج إلا حاسراً ، وليفتكن^٢ الناصر إذا نزل ولو كان أسداً خادراً ؛ فأعجله عن الأمر ، ولما يبد وضح الفجر ؛ لقيه كأنه يسلم عليه ، أو يسير بين يديه ، فما راجعه الكلام ، إلا وقد جلله الحسام ، وأراح

١ ط : إلى غرب العدو .

٢ ط : وليفتكن .

منه البلاد والأنام ؛ ثم قام مقامه ، واستظلَّ أعلامه ، وأمر برأسه فرفع على بعضِها وسيرَ به أمامه ، والناسُ يظنونُ أنَّ^١ بلقين ، قد قَتَلَ بعض أتباعه الممتحنين ، فهم يتساءلونَ عمن قَتَلَ ، ويرجمون الظنَّ فيما فعلَ ، حتى طلعت الشمس ، وارتفع اللبس ؛ فأمر برفع مضاربه ، وحشَرَ زعماء ذويه وأقاربه ، فقال : أنتم تعلمون أنَّ بلقين قَتَلَ أُختي ، وفجعتني بأكرم حرمتي ؛ وإنما شقيتُ صدري ، وأخذتُ بوتري ، لا أني حدثتُ نفسي بسلطانكم ، ولا رأيتُني أهلاً للدخولِ في شيءٍ من شأنكم . فردوا عليه جميلاً ، ورأوا إهماله قليلاً ، وظنوا أنه لم يجسرُ على ما فعلَ إلاَّ وله أشيع ، وحوله أعوانٌ على ذلك وأتباع ؛ فكلُّ واحدٍ منهم قد ارتابَ بمن يَلِيه ، وأهمته ما هو فيه ؛ وأمرَ لحينه بخزائن بلقين فأتهبها ذُوبانَ العربِ وصقُورةَ زناتةَ ، فاستخلصَ بذلك غيُوبهم ، وأمالَ إليه قلوبهم ، ورحل تحت ليلته يطوي المراحل ، ويعتسِفُ المجاهل ، فسبقَ الأخبارَ إلى القلعة فوظيَّ الحريم ، وتملكَ الظاعنَ والمقيم .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عاصر أحمد بن عبد الملك ابن شهيد ؛ وسياقة جملة وافرة من نظمه ونثره^٢

قال ابن بسّام : وكان أبو عاصرٍ شيخَ الحضرة العظمى^٣ وفتاها ، ومبدأ

١ ط : أنه . ٢ ترجمة ابن شهيد في المطمح : ١٦ والمطرب : ١٤٧ .
واليتيمة : ٢ : ٣٥ والجدوة : ١٢٤ (والبغية رقم : ٤٣٧) ومعجم الأدباء : ٢١٨ واهتاب الكتاب : ٢٠٣ وابن خلكان : ١ : ١١٦ والمغرب : ١ : ٧٨ والخريدة : ٢ : ٥٥٥ والوافي : ٧ : ١٤٤ والمسالك : ١١ : ٢٠٦ وقد جمع شعره كل من يعقوب زكي (القاهرة : ١٩٦٩) وشارل بلا (بيروت : ١٩٦٣) ولشارل بلا محاضرات عنه (عمان : ١٩٦٦) وانظر فصلاً عن ابن شهيد في كتابي « تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة : ٢٧٠ الطبعة الثانية . ٣ ط : شيخ قرطبة .

الغاية القصوى ومنتهاها ، وينبوع آياتها ، ومادة حياتها ، وحقيقة ذاتها .
وابن ساستها وأساتها ، ومعنى أسمائها ومُسَمَّياتها ، نادرة الفلك الدَّوَّار .
وأعجوبة اللَّيْلِ والنَّهَار ؛ إنْ هَزَلَ فسَجَّعُ الحِمَام ، أو جَدَّ فزئيرُ الأَسَدِ
الضَّرْغام ؛ نظمٌ كما اتَّسَقَ الدُّرُّ على النُّحُور ، ونثرٌ كما خُلِطَ المِسْكُ
بالكافُور ، إلى نوادرٍ كأطرافِ القنا الأملود ، تشقُّ القلوبَ قبلَ الجلود ،
وجوابٍ يجري مجرى النَّفَس ، ويسبِقُ رَجْعَ الطَّرْفِ المختلس .

وقد ذكره أبو مروان بن حيان في غير ما مَوْضِعٍ^١ من كتابه فقال :
كان أبو عامر يَبْلُغُ المعنى ولا يُطِيلُ سَفَرَ الكلام ، وإذا تأملتَه ولسنتَه ،
وكيف يَجُرُّ في البلاغة رَسَنَه ، قلتَ عبدُ الحميدِ في أوانِه ، والجاحظُ في
زمانِه . والعَجَبُ منه أنه كان يدعو قريحته إلى ما شاء من نثره ونظمه في
بديهته ورويَّته ، فيفقدُ الكلامَ كما يريدُ من غير اقتناءٍ للكتب ، ولا
اعتناءٍ بالطلُّب ، ولا رسوخٍ في الأدب ، فانه لم يوجدْ له ، رحمه الله — فيما
بلغني — بعدَ موته ، كتابٌ يستعينُ به على صناعته ، ويشحذُ من طبعه إلَّا ما لا قدرَ
له ؛ فزاد ذلك في عجائبه ، وإعجاز بدائعه . وكان في تَنَمِيقِ الهَزَلِ والنادرةِ
الحارَّةِ^٢ أَقْدَر منه على سائرِ ذلك . وشعره حَسَنٌ عندَ أهلِ النِّقْدِ ، تَصَرَّفَ
فيه تَصَرُّفَ المطبوعين ، فلم يَقْصُرْ عن غايَتِهِمْ .

وله رسائلٌ كثيرةٌ في فنونِ الفكاهةِ وأنواعِ التَّعريضِ والأهْزَالِ ،
قِصَارٌ وطِوالٌ ، برَزَ فيها شأوه ، وبقاها في الناسِ خالِدةٌ بعده . وكان في سرعةِ
البديهةِ وحضورِ الجوابِ وحِدَّتِه ، مع رِقَّةِ حواشي كلامه ، وسهولةِ

١ ط : في غير مكان .

٢ ب س : الحادة .

ألفاظه ، وبراعة أوصافه ، ونزاهة شمائله وخلائقه ، آية من آيات الله خالقه ؛ من رجل غلبت عليه البطالة فلم يَحْفِلْ في آثارها بضائع دين ولا مروءة ، فَحَطَّ في هواه شديداً حتى أسقطَ شرفه ، ووهَمَ نفسه راضياً في ذلك بما يَلَدُّه ، فلم يُقْصِرْ عن مصيبة ، ولا ارتكاب قبيحة ^١ .

وكان مع ذلك من أصحَّ الناس رأياً لمن استشاره ، وأضلَّهم عنه في ذاته ، وأشدَّهم جنابةً على حاله ^٢ ونِصابه . وكان له في الكرم والوجود انهماكٌ ، مع شرفٍ وبطالةٍ ، حتَّى شارفَ الإملاق ، فمضى على هذه السبيلِ رحمه الله ، انتهى كلام ابن حيَّان .

قال ابن بسَّام : وقد أخرجتُ من أشعاره الشاردة ، ورسائله الباقية الخالدة ، ونوادره القصارِ والطَّوال ، وتعريضاته السائرة سَيَّرَ الأمثال ، ما يَحُلُّ له الوقورُ حبَّاه ، ويحْنُ معه الكبير إلى صباه .

جملة من كلامه في أوصافِ شتَّى

فصول من رقعةٍ خاطب بها المؤتمنَ عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن أبي عامر ^٣ :

لولا أنَّ من العادة بين السادةِ والمسودين ، والمالكةِ والمتملكين ،

١ من رجل ... قبيحة : سقط من ط .

٢ ب س : ماله .

٣ يتحدث ابن بسام في القسم الثالث : ٢٤٩ عن المؤتمن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن أبي عامر الذي كان يلقب أيضاً بالمنصور ثم سماه خليفة قرطبة القاسم بن حمود «المؤتمن ذا السابقتين» وقد ظل راليا على بلنسية حتى سنة ٤٥٢ وخلفه ابنه عبد الملك (وانظر أيضاً البيان المغرب ٣ : ١٦٤ - ١٦٥) .

تطارُح الأدمّة ، وتَدَارُسَ لطائفِ الحرّمة ، لأكبرته - أيده الله - عمّا
أرغبُ ذِكره ، وأكرمته عما أطلبُ نشره ؛ ولولا أن من السياسة وعقد
الحزامة تذكير أهل العلّياء ، بسوَالف النعماء ، لَرَبَّأتُ بما بَنَتُهُ الآباءُ
والأجداد ، وَضَرَبْتُ بينه وبين الآفاتِ بالأسداد ، عن أن أُحَرِّزَ منه بتذكير ،
أو أدفع عنه بتقدير . ولولا أن التّطويلَ فيما أقصِدُ قصده وأنحو نُحوه
على زمننا وشاغليه ، ومُجِدَّ خطبنا وهازليه ، موجبٌ للقول ومُوجِد
للسبيل إلى الطّعنِ مِمَّنْ ضَعُفَ حِجَاهُ ، وقَصُرَ به مَرَمَاهُ ، لرَسَمْتُ
إليه من الورق ، أعددَ الورق ، ولرَقَمْتُ إليه من المهارق ، أشباه التّمارق .
وفي فصل أيضاً :

وأقلُّ ما أُمْتُ به ، وأنطِقُ عنه ، مُمْتَدَّ عِنانِ الأمل ، كارعاً في
بحر الرّجاء لا الوشَل ، مِن مَوَاتِي بالمنصورِ جدّه - رضي الله عنهما - أني
نشأتُ في حِجْرِهِ ، ورُبِّيتُ في قَصْرِهِ ، وارتضعتُ ثُدَيَّ كَرَائِمِهِ ،
واعتجرتُ رِداءَ مكارمه ؛ واغتذيتُ من فيه ، أكلاً زَقْنِيهِ ، وماءَ عِلَنِيهِ ،
فصرتُ من أفراخِ نَعَمَائِهِ الحُمُرِ الحواصل ، ولحقتُ بأخوّةِ أبنائه الغُرِّ
العبّاهل .

ومن مَوَاتِي بالمظفرِ عمّه - عَمَّتُهُ رَحْمَةُ اللهِ - انَّ أَبِي عَبْدَ
مِنْنِكُمْ لَمَّا بَعَدَ أَمْلُهُ ، وبان خشوعه ، وسالت دموعه ، نَكَبَ عن
طريقِ أهل الدنيا ، ورمى مرمىً من مَرَامِي أَهْلِ الأخرى ، فَكَسَّرَ هِمَمَتِي ،
وحلّقَ لِمَمَّتِي ، وسلبَنِي بَزِي ، وعَرَّأَنِي من خَزَي ، فكانت أفدَحَ نازلةٍ
نزلتُ بصَبُونِي ، وأقلقَ حادثةٍ سَلَبَتْ رَوْنَقَ بَهْجَتِي ؛ وأنا ذاك ابنُ ثُمان ،
قد هَجَنْتُ في مَدَارِعِ الكَتَّانِ ؛ وَلَقِيَنِي الوَزيزُ ابنُ مَسْلَمَةَ وقد عاد أبي

إثْرَ إِبْلَالٍ ، وعند نُقُوهٍ من اعتلالٍ ، فسألني عنِ الحالِ ، وعما شَغَلَ البالِ ، فلم يكنْ جوابي غيرَ التشجيعِ والعجيجِ ، وسوى العويلِ والضجيجِ ؛ ولتقيَ المظفرُ على حينه ، وأدّى إليه ما شأهَدَ مِنِّي ، فوجهَ عَنِّي ، فلما صِرْتُ بين يديه ، أمرَ بي فألبستُ ثيابَ الحريرِ ، وضُمَّخْتُ بنفّاحِ العبيرِ ، وحُمِلْتُ على فرسٍ بِسَرَجِهِ وَلِجَامِهِ ، ينهلُ من أعطافِهِ ماءُ جَمَامِهِ ، وأتْبَعَ ذلكَ ألفَ دينارٍ في طَبَقٍ ، كأنها عيونُ النرجسِ الصَفَرُ^١ الحَدَقِ ، وعَقَدَ لي على الشرطَةِ ، وكانت لِسِنِي أَرْفَعُ خُطَّةً ، فانصَرَفْتُ وأنا أنظرُ عِطْفِي عن شَوْسٍ ، وقد ضاقَ صدري على أبي عن سَعَةِ نَفْسٍ .

ومن مَوَاتِي بالناصرِ أبيه - بَرَدَ اللهُ مَضْجَعَهُ ، ونَعَمَ مَهْجَعَهُ - أني صِرْتُ بين يَسَدَيِ المنصورِ ، في يومٍ مَطِيرٍ ، وأنا ابنُ خَمْسٍ ، أذكُرُ ذلكَ ذِكْرِي لما كان بالأُمسِ ، وكانَ من إكرامِهِ لي ، ولطيفِ اهتمامِهِ بي ، ما يَطْوُلُ به الكتابُ ، ولا يَحْتَمِلُهُ الخطابُ ؛ وَعَيْنُهُ وَمَحْضُهُ ، وصريحُهُ وزُبْدُهُ : أَنَّهُ وَهَبَنِي يَوْمًا تَفَاحَةً كانت بين يَدَيْهِ كَبِيرَةً ، ورآني أنظرُ إليها نظَرَ الكَلِفِ ، وأتأملُها تأمُّلَ الشَّرِهِ ، فأمرَني بالقَبْضِ عليها ، والعَضِّ فيها ، فضاقتُ فمي عن أن أُحِيطَ بِجُزْءٍ من أَجْزاءِ كُرَّتِيهَا^٢ ، وصَغُرْتُ كَفِّي عن أن تَقْبِضَ إِلَّا بِمَخْنَقٍ من غِثائِ أَنْحَائِهَا ، فجعلَ يَقَطِّعُ لي بَفَمِهِ ، وَيَطْعِمُنِي على حُكْمِهِ ؛ ودعا الناصرَ ، ومعه فَتًى سمعتُهُمْ يَكُونُهُ أبا شاكِرٍ^٣ ، فقالَ لَهُ : احمِلْهُ إلى أُمِّكَ ، وارْفُقْ بِهِ في أُمِّكَ ، فأخذَا بيديَّ أُمَامَهُ ، وابتدرا يسيرانِ بي قُدَّامَهُ ، وأنا لا أَسْمَحُ في القِيَادِ لَشِدَّةِ ذَلِكَ الوابِلِ ، وتَتَابَعِ قَطْرِ ذَلِكَ الهاطِلِ ، فصاحَ بهما :

١ ط : المصفر .

٢ ط : يجزء من أجزائها .

٣ ب س : يدعونه بشاكر .

أَقِيلًا فاحمله على أعناقكما ، وسوقا به سوقاً رفيقاً أحسن مساقيكما .
فلما أعضادهما لهما ، ووصلا أذرعهما بأعناقهما وصلا ، وامتطيت
العاتق الكريم ، على عين الملك الزعيم ، امتطاء امتنان ، لا امتطاء امتيهان ،
ومراً بي حتى أنزلاني بين يدي السيِّدة ، وإليها أمرُ كُلِّ قِيَمَةٍ ؛
فاستوت بي على سريرها ، وعلى مفرقها لإكليل من مهابة أميرها ؛ فلا
أنسى ذلك البهاء في ذلك البهو ، وذلك الحُصورَ إليَّ من قِناع الزَّهو ،
وطار الخبرُ بقدومي في مقاصير العقائل ، وحجرات الكرائم ؛ فأرقلن
من تلك المصانع ، تطيرُ بهنَّ أجنيحةُ الصَّنائع ، فإلهما من كُسى وخِلع ،
وغرائب وبيدع ! وأمرت السيِّدةُ بألفٍ تُحمَلُ معي عن نفسها ،
وثلاثة آلاف عن سيِّدها ، فانصرفتُ بالغنى ، من ذلك الجنى ،
ولم أُصرفُ إلى المنصور حتى صرتُ عند أبي ، وقد ظننتُ أنه متجافٍ
عنه لي ، أو تاركٌ منه معي ؛ وكانت لي فيه آمالٌ ، من التوزيع على الخدمةِ
والعمالِ ، من الصَّبَّيانِ وصبايا الجيران . أمر ففرقَ منه على بطانته ، وأشار
بِحَمَلِ باقيهِ إلى خزانته ، فظلمتُ واجماً ، وطفقتُ راغماً ، أطفئُ
جمرتي فتذكو ، وأخفي من لوعتي فتبدو . وبلغ ذلك المنصور ، فوجَّه
نَحوي بِخَمْسِمِائَةِ دينار ، وأقسم على أبي بحياته ألاَّ يَمْنَعَنِي منها ، وأن
يَدَعَنِي بِحُكْمِي فيها ؛ فبادرتُ بالركبِ والرَّجلِ ، وأخذتُ في العطاء
والبذل^١ ، وجبوتُ بأجزلِ الحِباءِ ، والخيلِ إذا ذاك نخبُ^٢ من
قصب ، والدَّرَقُ قشورٌ من خشب ، فيومي مذكورٌ في مُنيَّةِ المُغيرةِ إلى
الآن ، إذ كان مسكننا بدار ابن النعمان .

١ ب س : البذل والمطاء .

٢ ط : نجب .

وأغربها مائة ، وأطفئها وُصلة ، أن أخي موسى انتزع المنصور
من أبيه ، وأحله محلّ بنيه ، فاجتمعت الأفواه على اللدي ، والتفت
الشفاه على الدرّ المريّ ؛ وقبضه الله إليه وقد رتّع في مراتعكم ، وجنّم
في مضاجعكم ، فنحن عمّار مقاصيركم أحياء ، وقطّان مقابركم
أمواتاً ، جمعنا بذلك عشرة العاجلة والآجلة ، وحصلنا على صُحبة
الدنيا والآخرة .

هذه — أيده الله — لُمنةٌ أبديتها له من وصالني ، وغرةٌ أطلعنها
إليه من وصالني .

وفي فصل :

ومملوكك عاكفٌ على الوطن ، عُكوفَ الراهبِ على الوثن ، ولم
يبقَ من النعمة غيرُ مُصاصةٍ بركةٍ قد آن لها أن تُرتشف ، ونفاهةٍ ثمرةٍ
حان لها أن تُخترَف ؛ وعرجَ لِمآله ، والنظرُ لعاقبة حاله ، على استخراج
ما يمكن من أصولِ نعمتِكُم ، ليصونَ بها جُمةَ وجنته ، ويفرَ عليها
نُطفةَ صفحته ، إذ لا سبيلَ إلى التعرّيجِ على غير ذلك قطعاً ، ولا إلى
الالتباسِ بسواه حتماً ، ولو لحسَ التراب ، وذابَ في الثياب ، فإنه
يَتَنَفَّسُ عن نفْسٍ همتُها الكوكب ، وهمُّها الغَيْهَبُ ؛ فلولا همتُها
لأظلمَ الدَّهرُ ، ولولا همُّها لأسفرَ الأمرُ ، وهذا موضعُ الحدسِ لا
امتراء ، وخليقةُ النفسِ لا ادعاء . ووعدَ الوزيرُ عباسٌ بِصَرْفِ
ضَيْعَةٍ لي بجهةٍ تُدْمِرُ ، حالتِ الفِتَنُ دونها ، واضطرابُ الأحوالِ عن

١ ط : تمكّن .

مطالعتيها . وأنا أسألُ فضلك سؤالَ المدلّ في استنجازِ ما وعدَ ، فإنه يعتاضُ من شكري له وثنائي عليه ، وصدّعي في المحافلِ بفضلِهِ ، أجلُّ فائدةٍ يصطفئها ، وأكرمَ نفيسةٍ يقتنيها .

وأصلُ اصطفاينا لتلك الضيّعةِ وسائرِ أخواتِها أنَّ المنصورَ - رضي الله عنه - استعملَ أبي عبيدَه على تلك الجهةِ الشريفةِ تسعةَ أعوامٍ توالَتْ بتدْمِيرٍ وَبَلَسْئَسِيَّةٍ ، فلَمَّا سَهِمَ العملَ خاطبه برُقعةٍ يقولُ^١ فيها :

إنَّ كبيرَ حقِّ المولى لا يذهبُ بصغيرِ حقِّ العبدِ ، ولي حُرمةٌ أدلُّ^٢ بها ، وذِمّةٌ أبسطُ لها ، وقد طالتُ عليَّ الغربةُ ، وسنمتُ الخِدْمَةَ ، ومكَلِّتُ من النعمةِ ، فالإدالةُ الإدالةُ ، فأدالَه - رضي الله عنه - على رِضاهُ ، وأشخصه إليه على هواه ، فوردَ قرطبةَ بأربعمائةِ ألفِ دينارٍ ناضئةٍ ، ومائةِ ألفِ من ذهبٍ آنيةٍ ، ووثائقِ خمسمائةِ زوجٍ^٣ مُكْتَسَبَةٍ ، ومائتي نَسَمَةٍ - من رقيقِ الصَّقَلِ مُنْتَقَاةٍ^٤ ، والسَّعَرُ إذ ذاكُ بها سامٍ جيداً ، ونفقةُ أبي رأسَ كلِّ شهرٍ سبعونَ مُدِيّاً من قمحٍ ، وعَلَفُ ثمانينَ دابةً من شعير . فكتبَ إليه يَعرِضُ عليه ما جاءه^٥ به ، ويُحكِّمُه فيه ، ويسألهُ أخذه ، أو الأخذَ منه ، فجأوبه يقولُ : لو أردنا أخذَ ما أعطيناكَ ، ما قدّمناكَ ، ونحن نخافُ أن تَسْتَصْفِي نَفَقَتُكَ ما اسْتَقْتَنَه ، وتأتيَ على ما اجْتَلَيْتُمُه ، بارتفاعِ ثمنِ الطعامِ ، وأنكَ لم تردْ منه على ذخيرةٍ ، وقد صَكَّ كُنْنا لك

١ ط : قال .

٢ ط : أدلي .

٣ الزوج من البقر أو البغال المتخذة للحرث ، ثم تكون دلالة اللفظة على مقدار من المساحة

٤ ط : ومنتقاه .

٥ ط : جاء .

بِأَلْفَيْ مُدْنِي بِشَطْرَيْنِ مِنْ قَمَحٍ وَشَعِيرٍ تَسْتَظْهِرُ بِهِمَا عَلَى زَمَانِكَ ،
فَاقْبِضْهُمَا مِنْ أَهْرَاءِ فَلَانَةٍ لِقُرْبِهَا مِنْ مَكَانِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

مَكْرُومَةٌ - أَعَزَّ اللَّهُ الْمُؤْتَمِنَ - لَمْ تُعْهَدْ لَغَيْرِ عَامِرِي ، وَلَا سَمِعَ
بِمِثْلِهَا لِغَيْرِ مَعَاوِرِي . وَلَمَّا عَزَّ الْخَطَابُ ، وَوَقَعَ الْكِتَابُ ، وَكَانَ عَبْدُكَ
مَنْسُوبًا إِلَى شَيْءٍ مِنْ نَظْمِ الْكَلَامِ ، قَالَ عَلَى كَلَّةِ الذَّهْنِ وَفَلَّةِ الْغَرْبِ
بِالْحَالِ ، وَشُغْلِ الْبَالِ ، مَا عَلِمَ وَفَهِمَ^١ .

أَمَّا الرِّيحُ بِجَوِّ عَاصِمٍ فَحَلَّتْ بَيْنَ أَخْلَافِ الْغَمَائِمِ

يَقُولُ فِيهَا :

سَهَرِ الْحَيَا بَرِيَا ضِيهَا	فَأَسَالُهَا وَالنَّوْرُ نَائِمٌ
حَتَّى اغْتَدَتْ زَهْرَاتُهَا	كَالْغَيْدِ بِاللَّجِ الْعَوَائِمِ
مِنْ ثِيَبَاتٍ لَمْ تُبَلِّ	كَشَفَ الْخُدُودِ وَلَا الْمَعَاصِمِ
وَصِفَارِ أَبْكَارٍ شَكَّتْ	خَجَلًا فَعَاذَتْ بِالْكَمَائِمِ
وَرَدَّ كَمَا خَجَلَتْ خُدُو	دُ الْعَيْنِ ^٢ مِنْ لَحَظَاتِ هَائِمِ
وَشَقِيقُ نُعْمَانَ شَكَّتْ	صَفْحَاتُهِ مِنْ لَظْمِ لَاظِمِ
وَعُصُونُ أَشْجَارٍ حَكَّتْ	رَقِصَ الْمَائِمِ لِلْمَائِمِ
بَكَّرَ الْحَسَانُ يَرِدُّنَهَا	مِنْ كُلِّ وَاضِحَةٍ الْمَلَاحِمِ
وَضَحِكُنْ عُجْبًا فَالْتَقَتْ	فِيهَا الْمَبَاسِمُ بِالْمَبَاسِمِ
ضَحِكْتُ وَأَوْمَضَ ^٣ بَارِقُ	فَظَلَمْتُ لِلْبَرْقِيقِينَ شَائِمِ

١ الديوان (يعقوب زكي) : ١٥٥ ويضاف إلى مصادر تخريجها الوافي ٧ : ١٤٦ .

٢ الوافي : الغيد .

٣ ب س والوافي : وأزعج .

وَتَشَوَّقَتْ فَتَطَامَنَتْ^١
 وَرَنَتْ فَبَادَرَ نَرْجِسُ
 طَارِدَتْهُنَّ بِفِتْيَةٍ
 وَكَأَنِّي فِيهِمْ لَقِي—
 وَتَكَاوَسَتْ فِيهَا الْأَبَا
 وَكَأَنَّهَُا أَظْبَرَعَقْفُ
 وَجَرَى بِهَا فَلَكَ الصَّبَا
 وَكَأَنَّنَا فِيهَا الْعَقَا
 وَعَلَا بِنَا سَكُنَرُ أَبِي
 نَرْمِي فَلَا نَسْنَا لَهُ
 وَتَرْتَمَتْ فِيهَا الْقِيَا
 قُمْنَا نَصْفَقُ بِالْأَكُفَّ
 وَأَغْنَّ مِنْ سَدَنَ الْمُلُوسِ
 يَشْكُو الرَّعَاثَ تَنَعُّمًا
 لَا تَسْتَحِيهِ الرَّاشِفَا
 يُجْنِيْنِيْهِ ثَمَرَ النُّحُو
 مُتَجَاهِلَاتٍ أَنَّهُ^٢

أَجْيَادُ أَظْبِيْهَا الْحَوَائِمِ
 يَشْكُو عَمَّاهُ إِلَى حَمَائِمِ^٣
 حُرْدٍ عَلَى حَرْبِ الْمُسَالِمِ^٤
 طُ قَادَ مِنْ أَحْيَاءِ دَارِمِ
 رِقُ وَهِيَ فَاهِقَةُ الْحَلَاقِمِ
 نَ فَتُرْنَ دَامِيَةَ الْخِيَاثِمِ
 بِاللَّهُوِ ، وَالْقَضْبُ اللَّوَائِمِ^٥
 رِثُ وَالْكُؤُوسُ مِنْ الرُّوَاجِمِ
 إِلَّا الْإِنَابَةُ^٦ لِلْمَحَارِمِ
 وَنَجْرُ مِنْ عَذَبِ الْعَمَائِمِ
 نُ لَنَا وَرَجَعَتِ الْبَوَاغِمِ
 لَهَا وَنَرْقُصُ بِالْجَمَاجِمِ
 كَ سَلِيلِ أَقْيَالِ خَضَّارِمِ
 وَيَضِجُ مِنْ حَمَلِ التَّمَائِمِ
 تُ وَلَا تَبَالِيهِ اللَّوَائِمِ
 رِ وَيَعْتَلِينَ بِهِ الْمَحَازِمِ
 يَ—وَى وَهْنٌ بِهِ عَلَائِمِ

١ ط : فتضامنت .

٢ المسالك : الحماحم .

٣ الوافي : صبر على حرب المسالم ؛ ط : حرب على جرد المسالم .

٤ ط : أجباد .

٥ ط : والقصف ؛ المسالك : وانقضت اللوائم .

٦ كذا في الأصول والمصادر ، وأرجح أنه « الإباية » .

لازمتُ بابَ مَحَلِّهِ
 حتَّى إذا وثِّقْتُ بِنَا
 أَلْقَيْتُ^١ مِنْ أَخَذِي لَهُ
 واقْتَدْتُهُ بِشِكَائِي
 فَوَرَدْتُ جَمَّاتِ^٢ الْمُنَى
 وَأَغْرَقْتُ لَبْسَ الدَّجَى
 يَحْكِي بِغُرَّتِهِ هَلَا
 فَكَأَنَّمَا خَاضَ الصَّبَا
 وَيَسِيرُ فِي يَبَسِ الثَّرَى
 حَتَّى إِذَا عَلِمَ الصَّبَا
 وَتَمَايَلَتْ أَيْدِي الثَّرَى
 وَرَنْتُ ذُكَاءُ بِنَاطِيرِ
 طَلَعَ الصَّوَارُ لِحَيْنِهِ
 أَوْ عَسْكَرُ رَكَبُوا الْخِيُو
 فَاشْتَدَّ سُبْقُنَا لَهُ
 وَكَأَنَّنا فِي رَمِيهِهَا
 فَحُمِيَ أَوَاخِرُهُ أَغْرُهُ

والنُّجْجُحُ مِنْ قَتَصِ الْمَلَاذِمِ
 عَجَزُ الْخَوَاضِنِ وَالْخَوَادِمِ
 وَتَلَوْتُ مِنْ سُورِ الْعَزَائِمِ
 فَاثْقَادَ فِي تِلْكَ الشُّكَايِمِ
 وَكَرُمْتُ عَنْ لُومِ الْمَلَأِمِ
 بُرْدًا فَرَأَقَكَ وَهُوَ فَاحِمِ
 لَ الْفِطْرِ لَاحَ لِعَيْنِ صَائِمِ
 حَ فُجَاءَ مُبْيَضَّ الْقَوَائِمِ^٣
 وَكَأَنَّهُ فِي الْبَحْرِ عَائِمِ
 حَ أَشَارَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
 وَهِيَ مُذْهَبَةٌ الْخَوَاتِمِ
 رَمِدٌ مِنَ الْأَقْدَاءِ سَالِمِ
 وَكَأَنَّهُ الْمَوْجُ الْمَرَاكِمِ
 لَ الشَّهْبِ وَاحْتَقَرُوا الْإِدَاهِمِ
 يَكْثِيرُنَ عَنْ مِثْلِ اللَّهَازِمِ
 نَسْتَلُّ مِنْ بِيضِ الصَّوَارِمِ
 مُعَاوِدُ تِلْكَ الْمَلَا حِمِ

١ ب س : أَيْقَنْتُ ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ ، وَالْمَعْنَى أَنِّي طَرَحْتُ لَهُ الْأَخْذَ وَهِيَ جَمْعُ أَخْذَةٍ
 وَمَعْنَاهَا رَقِيَّةٌ تَشْبَهُ السَّحَرِ ، وَمِمَّا يَقْوِي هَذَا قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ : « وَتَلَوْتُ مِنْ سُورِ الْعَزَائِمِ » .

٢ ط : حَبَاتِ ؛ الْمَسَالِكُ : مَأْمُولٌ .

٣ الْوَاوِي : الْقَوَادِمُ .

٤ ط : بِالْسَّحَرِ .

٥ ط : أَغْنِ .

بِهَوِي بِرَوْقِي مِحْرَبٍ
وَكَأَنَّمَا أُرَاقُهَا
فَتَبَادَرَ الْفَتَيَانُ مِنْ
شَيْءٍ وَمُطَبَّخاً عَلَى
وَبَعِيدَةِ الْأَرْجَاءِ نَا
لَا تَدْعِي جَوْباً لَهَا
مِنْ فِتْنَةٍ قَدْ أُسْبِلَتْ
عَمَتْ لَهَا أَحْلَامُنَا
وَتَضَاءَلَتْ أَجْرَامُنَا
وَتَحَوَّلَتْ فِينَا الذُّنَا
وَأَدَارَ كُلُّ صَغِيرٍ قَدْ
فَكَأَنَّنَا عُمِّي نُسَا
حَتَّى انْتَضَى عَبْدُ الْعَزِي
قَبَدَتْ لَنَا سُبُلُ الْهَدَى
ضَرَبَ الْأَعَاجِمَ سُودَهَا
فَأَسْتَجَفَلُوا فَكَأَنَّمَا
أَبْنَاءُ مَلِكٍ حِمِيرِي
مِنْ عَامِرٍ أَهْلِ الْمَصَا
الْكُفْرُ عَنْهُمْ قَاعِدٌ
حَكَمَ الزَّمَانُ بِظُلْمِهِمْ

طَبِينٍ بِحَرْبِ الْعُضْفِ حَازِمٍ
مُسْنُودَةً أَقْلَامُ عَالِمٍ
جَنَبَاتِهِ أَشْهَى الْمَطَاعِمِ
جَمْرٍ زَهْتُهُ الرِّيحُ جَاحِمِ
زِحَاةٍ عَلَى أَيْدِي الرُّوَاسِمِ
ذَاتُ الْخَوَافِي وَالْقَوَادِمِ
ظُلُمَاتُهَا بِيَدِ الْمَظَالِمِ
وَكَأَنَّمَا أَضْغَاثُ حَالِمِ
فِيهَا بِمُوبِقَةِ الْجَرَائِمِ
بَنَى الرَّاسَ ، وَابْنُ الْمَجْدِ رَاغِمِ
رِ الْمُسْتَهْزِى أَرْحَى الْعِظَائِمِ
قُ عَلَى الْعَمَى فِي ظِلِّ عَاتِمِ
زِ عَزِيمَةٍ مِنْ صَدْرِ عَازِمِ
بِنَوَاجِمٍ غَيْرِ الْهَوَاجِمِ
بِالسَّدِّ مِنْ بَيْضِ الْأَعَاجِمِ
ضَرَبَ الثَّعَالِبُ بِالضَّرَاغِمِ
قَامَ بِالْغُرِّ الْقَمَاقِمِ
نَعِ وَالصَّنَائِعِ وَالْكَرَائِمِ
قِدْمَا وَدَيْنُ اللَّهِ قَائِمِ
دَهْرًا وَصَرَفُ الدَّهْرِ ظَالِمِ

فَارْتَدَّ بِهَجَاةٍ مُلْكِهِمْ
 وَاشْتَدَّ يَنْظُمُ حَزْمَهُمْ
 ذَكَرْتُ عَلَى ذَكَرٍ يَصُو
 إِلَيْهِ هَيَا عَبْدَ الْعَزِيزِ
 قَمَرٌ تُضِيءُ لَهُ الْخَطْوُ
 تَسْرِي الرِّيحُ بِمَجْدِهِ
 لَمْ يَرَوْا مِنْ مَاءِ الشَّيْبِ
 رَعِيًّا لِمُؤْتَمَنٍ رَعَى
 بَدَأَتْهُ أَوَائِلُهُ وَعَا
 لَا تَتَرُكُنْ صَرْمَ الزَّمَا
 وَأَرْمِ الْخَطُوبَ بِمِثْلِهَا
 وَإِلَيْكُهَا مَنْ نَاطِقٍ
 كَرَّ الْخُبْعُثْنَةَ الضَّبَارِمُ^١
 شَيْحَانُ طَلَّاعُ الْمَخَارِمِ
 لُ وَصَارُمُ يَسْطُو بِضَارِمِ
 زِ وَأَنْتَ رَجَامُ الْمَرَاكِيمِ^٢
 بُ عَلَى دَادِيهَا^٣ الْفَوَاحِمِ
 فَتَسِيمُهَا بِالْغُرُورِ^٤ فَغِمِ
 بِ وَكُلَّ أَشْيَبَ عَنْهُ خَائِمِ
 فِينَا الْحَدَايِثَ وَالْقَدَائِمِ
 دَ لِيَكْشِفَ غَاشِيَةَ الْغِيَاهِمِ
 نِ عَلَى ظُبَا تِلْكَ الصَّوَارِمِ
 عَزَمًا فَأَنْتَ لَهَا مُسَاهِمِ
 يَدْعُوكَ إِذْ صَمَتَ الْبَهَائِمِ

وله من جواب على خطاب :

وَرَدَ كِتَابُكَ الْكَرِيمِ ، ، بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ ، يَتَبَلَّجُ تَبَلُّجَ الْبَرْقِ ،
 وَيَتَحَلَّبُ^١ تَحَلُّبَ الْوَدْقِ ، مُتَكَسِّرًا فِي الْمِشْيَةِ ، جَالِيًا لِلتَّيْلِ الشَّكِّ^٢
 وَالْمِرْيَةِ ، قَائِدًا بِأَزْمَةِ الْمُنَى وَالْبُغْيَةِ ، كَلَّمَا اشْتَقَّ مَوْجًا^٣ غَمَرَهُ ، أَوْ

١ الخبعتنة : الرجل العظيم الخلق ؛ الضبارم ؛ الوثيق الخلق ، الجريء .

٢ ب س : زحام المراحم .

٣ الدآدي : الديا لي الثلاث الأخيرة من الشهر .

٤ ط : بالغرور .

٥ ط : مرت .

٦ ط : ويستحلب .

٧ ط : صوجا ؛ س : صرما .

لَاعَبَ مَرَجًا بَهْرَةً^١ ، أَوْ جَزَعَ وادياً^٢ أَمَدَةً مِنْ أُنْيَةٍ ، وَنَعِمَ مِنْ أَنْبُوبِ
بَرْدِيَّةٍ ، أَوْ مَرَّ بِرَوْضٍ شَقَّ عَلَيْهِ رِدَاءٌ وَرَدَ ، وَأَثَارَ بِهِ عَجَاجٌ نَدَّ ،
أَوْ عَارِضَ حِمَامَةٍ حَيَّتَهُ بَغَائِهَا ، أَوْ سَامَتْ لِقْوَةً نَزَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ هَوَائِهَا ،
أَوْ مَسَحَ بَعْضُهُمْ حَنْتَ إِلَيْهِ ، أَوْ خَطَرَ بِأَسَدٍ تَهَالَكَتْ عَلَيْهِ ؛ كِتَابٌ مُنْعَ
جَانِبُهُ ، وَحُمِيَّ حَامِلُهُ ، كُلَّمَا خَبِطَ بِطَحَاءٍ كُتِبَتْ بِالْكَتَائِبِ ، أَوْ رَكِبَ
جَرَّعَاءَ رُقِيْمَتٍ بِالْأَرَاقِمِ ، كَانَ لِهَذِهِ مُدِيَّةٌ ، وَلِتِلْكَ رُقِيَّةٌ ؛ وَكُلَّمَا كَحَلَ
مُقَلَّةٌ شَوْسَاءَ خَشَعَتْ ، أَوْ لَمَسَ كَفّاً خَشِنَاءَ بَخَعَتْ ؛ أَوْ وَقَعَ إِلَى
رَئِيسٍ وَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، أَوْ دَفَعَ إِلَى ذِي بَأْسٍ أَخَذَهُ مِنْ بَأْسِهِ ، أَوْ لَمَحَتْهُ
شَقْرَاءُ حَمَحَمَتْ ، أَوْ بَصُرَتْ بِهِ بِيضَاءُ تَرْتَمَتْ ، هُوَ الْحَدِيقَةُ ، تُسَاقُ
سَوَاقُ الْوَسِيقَةِ ، أَوْ اللَّطِيْمَةُ فِي ثِنْيِهَا الْغَنِيْمَةُ ؛ فَشُرْتُ إِلَيْهِ قَائِماً ، وَأَرْقَاتُ^٣
نَحْوَهُ سَاعِياً ، وَكَانَ أَوَّلَ تَحِيَّتِي لَهُ أَنْ قَبْلْتُهُ وَوَضَعْتُهُ عَلَى رَاسِي ، وَحَبَسْتُ
عَلَيْهِ أَنْفَاسِي ، ثُمَّ فَضَضْتُ خَتَمَهُ ، وَاسْتَرَفَقْتُ شَمَهُ ، فَفَقَتَقَ عَلَيَّ نَسِيمَ
الْعَبِيرِ لُخْلِيخَ بِهِ صَدُورُ الْخُورِ ، وَأَهْدَى إِلَيَّ عَبَقَ الْيَاسَمِينِ ، ذُرَّ
عَلَيْهِ مِسْكَ دَارِينِ ، فَأَنْعَمْتُ فِي نَشْرِ طَيِّبَةٍ^٤ ، وَضَرَبْتُ^٥ فِي مَدْرَجِ
لَبِيَّةٍ ، فَإِذَا بَيِّنَاتٌ مِنَ الْبَيْرِ مُسْلِمَةٌ عَلَيَّ ، وَثَغُورٌ مِنَ الْإِكْرَامِ ضَاحِكَةٌ إِلَيَّ ،
وَفَاضَ اللَّأْلَاءُ ، وَكَثُرَ الْهَتَافُ وَالْإِيْمَاءُ ، فَكَلَّتْ عَيْنِي عَنْ ذَلِكَ الرَّوْنَقِ ،

١ ط : موجاً ؛ ب : قهره .

٢ ب س : شوهاء .

٣ ب س : ورقلت ؛ ط : وأرقلت .

٤ ب س ط : وحسبت .

٥ نخلخ : طيب .

٦ ط : تشریطه .

٧ ط : وصوبت .

وَحُبِيتَ أَذُنِي عَنْ ذَلِكَ الْمَنْطِقِ ، فَلَمْ أَتَمَلَّكَ أَنْ غَطَّيْتُ وَجْهِي حَيَاءً ،
وَقَدْ تَصَبَّبْتُ مَاءً ، وَتَقَبَّضْتُ فِي رَدَّائِي ، وَقَدْ ضَاقَ بِهِ عَطْنِي .

وفي فصل^١ : فَتَنَفَّضْتُ تَنَفُّضَ الْعُقَابِ . وَهَزَّتْنِي أَرْبَحِيَّاتُ الشَّبَابِ^٢ ،
وَقَامَ بِوَهْمِي أَنْتِي مَلَاتُ الْأَرْضِ بِحِسْمِي ، فَأَوْمَأْتُ إِلَى الْجَوَزَاءِ بِكَفِّي أَنْ
تَمَأْمَلِي ، وَإِلَى الْعَوَاءِ أَنْ أَقْبَلِي ، وَقَلَّتِ الْمَجْرَةُ فِي عَيْنِي أَنْ تَكُونَ لِي مِنْدِيلًا ،
وَصَغُرَ الزَّبْرِقَانُ عِنْدِي أَنْ أَتَّخِذَهُ إِكْدِيلًا ، فَقُلْتُ : هَكَذَا يَكُونُ
الْأَلُوكُ ، وَبِمِثْلِ هَذَا تَنْفَعُ الْمُلُوكُ^٣ .

وفي فصل منها :

وَلَمَّا طَالَ الْكَلَامُ — أَيْدَ اللَّهِ الْمُؤْتَمَنَ — وَلَمْ يَبْلُغْ مَمْلُوكُهُ الْغَايَةَ الَّتِي
إِلَيْهَا قَصَدَ ، وَلَا اسْتَوْفَى مِنَ الْإِيرَادِ مَا إِيَّاهُ اعْتَمَدَ ، خَشِيَ أَنْ يُصِيبَهُ مَا
يُصِيبُ التَّطَوِيلَ مِنَ السَّأَمَةِ الْمَخْصُوصَةِ بِهِ ، وَالْمَلَالِ الْمَوْقُوفِ عَلَيْهِ ، فَفَصَّلَهُ
بِنَظْمٍ ، فِيهِ عَوْنٌ عَلَى الدَّرْسِ ، وَتَنْبِيهٌُ لَشَهْوَةِ النَّفْسِ ، وَهُوَ :

هَاتِيكَ دَارَهُمْ فَقِفْ بِمَعَانِيهَا	تَجِدِ الدُّمُوعَ تَجِدُ فِي هَمَلَانِهَا
[عُجْنَا الرِّكَابَ بِهَا فَهَيَّجَ وَجَدَنَا	دَمِنْ ذَعْرِنَ السَّرْبِ مِنْ أَدْمَانِهَا]
دَارُ عَهْدَتْ بِهَا الصَّبَا لِي دَوْحَةً	أَنْفِيَا الْفَرَاحَاتِ مِنْ أَفْنَانِهَا

١ زاد في ط : منها .

٢ س ب . أربحية كأربحية الشباب .

٣ زاد في ب س : فوادهما أنك من نيله والحقني أنك من نسله .

٤ ط : المملوك .

٥ الديوان : ١٦٥ .

٦ ط : دعون .

أُرْعِي عَلَى بَقَرِ الْأُنَيْسِ بِجَوَّهَا
وإِذَا تَهَادَّتْ بِالشُّمُوسِ نَوَاعِمًا
قَضَتِ النَّوَى بِيَدِ يَادِ رُجَحٍ عَيْنَهُمْ
زَجَرُوا اغْتِرَابًا مِنْ نَعِيبِ غَرَابِهَا^٢
فَبَدَا لَهُمْ وَجْهُ الْفِرَاقِ مُوقِحًا^٣
يَقْنَدُ فَنَ دُرَّ الدَّمْعِ فِي يَوْمِ النَّوَى
[وَدَعَتْهُمْ وَبَنَاتُ قَرْحٍ فِي الْحِشَا
وَأَسْلَتْهُنَّ ذَوْبَ الْجُفُونِ كَأَنَّهَا
يَا صَاحِبِي إِذَا وَتَى حَادِيكُمَا^٤
وَحَذَا لِمَرْتَبِعِ الْحَسَنِ فَرُبَّمَا
عَاوَدْتُ ذَكَرَ الْعَيْشِ فِيهِ وَمَا نَقَضَى
فَبَكَيْتُ مِنْ زَمَنِ قَطَعْتُ مَرَاحِلًا^٥
وَرَعَيْتُ مِنْ وَجْهِ السَّمَاءِ خَمِيلَةً
وَكَأَنَّ نَشْرَ التَّجْمِ ضَائًا وَسَطَهَا
وَكَأَنَّهَا فِيهِ الثَّرِيَّا جَوْهَرًا
ومنها يفخر :

وَأَحْكَمُ الصَّبَوَاتِ فِي غَزَلَانِهَا
فِيهَا الْغُصُونُ جَنَيْتُ مِنْ رُمَانِهَا
ظُلُمًا^١ وَكَانَ الدَّهْرُ مِنْ أَعْوَانِهَا
وَقَضَوْا بَيِّنٍ مِنْ مُغْرَدٍ بَانِهَا
آتٍ عَلَى خَبَرِ النَّوَى بَعِيَانِهَا^٤
عَنْ جُمَةِ لَعِيبِ الْأَسَى بِجِمَانِهَا
دُونَ الضُّلُوعِ تَشَبُّ مِنْ نِيرَانِهَا
أُبْدِي بَنِي الْمَنْصُورِ فِي سَيَّلَانِهَا
فَتَنَشَّقَا التَّفَحَّاتِ مِنْ ظِيَانِهَا
شَفَعَ الشَّبَابُ فَكُنْتُ إِلْفَ حَسَانِهَا
مِنْ صَبَوَتِي وَطَوَيْتُ مِنْ أَرْمَانِهَا
وَشَبِيبَةٍ أَخْلَقْتُ مِنْ رِيْعَانِهَا
خَبْرَاءَ لَاحِ الْبَدْرِ مِنْ غُدْرَانِهَا
وَكَأَنَّهَا الْجَوَازَاءُ رَاعِي ضَائِهَا
نَشَرْتُ فَرَائِدَهُ يُدَا دَبْرَانِهَا

أُبْدِي الْحَوَادِثِ مِنْ فُؤَادِ جَبَانِهَا

أَنَا طَوَدُهَا الرَّاسِي إِذَا مَا زَلَزَلَتْ

١ ب س : صلفاً .

٢ ب س : غرابهم .

٣ ط : موشعاً .

٤ ط : بعمانها .

٥ ب س : هاديكما .

وعليَّ للصَّبْرِ الجميلِ مُقَاصَّةٌ
والنفسِ نفسٌ من شهيدٍ سِنْخُها
ما احوالٌ نحوي لحظٌ مقلَّةٌ ساخطٌ
ولو انه نُطِحَ النُّجُومَ بِقَرْنِهِ
وقَصَّتْ بِعِزِّ النَّفْسِ مِنِّي دَوْحَةً
يا ابنَ الأبالجِ من معافِرٍ والذي
أَعْلَى كِتَابُكَ في مُهِمَّتِي حَرَمَتِي
فَلْيُطْلِعْنِ إِلَيْكَ من زَهَرِ الحَجَى
حُرُّ القوافي ماجدٌ في أهلها
مدحُ المُلُوكِ وكان أيضاً مِنْهُمْ
أَمْسَى الفَرَزْدَقُ كَهْؤَها في حَوْكِهِ
زَغَفُ أَفْلٌ بها شَبَاةٌ سِنَانِها
سِنْخٌ غَدَّتْ مِنْهُ العُلا بِلِبَانِها
إِلَّا وَضَعْتُ السَّهْمَ في إِنسانِها
كُنْتُ الرَّعِيمَ له بنحسٍ قِرَانِها
من عامِرٍ أَصْبَحْتُ من أَغْصَانِها
أَرْبَى يَزِيدُ على عُلَا بُنْيَانِها
وَجَلَا جَوَابُكَ من دَجَى حِرْمَانِها
أَبْكَارَ شُكْرِ لُحْنٍ في إِبَانِها
والشَّعْرُ عَبْدٌ في بَنِي ٢ عَبْدَانِها
وَلَقَدْ تَرَى والشَّعْرُ من دِيوانِها ٣
وجرى القضاء لها على صَلَاتِها

هذا - أيد الله المؤتمن - جوهرٌ رَطْبٌ ، نُظْمٌ بلا ثَقْبٍ ، غَايَةٌ
حُسْنُهُ لو لَقِظَهُ بِحَرُّهُ على قُرْبٍ ، وقد كان أَقْلٌ حُقُوقِ مولايَ أَنْ
أَقِفَ بِيَابِهِ ، وَأُحْيِمَ بِفَنائِهِ ، وأُهديَ إليه الشُّكْرَ غَضًّا ، وَأُنْشَرَ عليه
الْمَدْحَ نَضًّا ، وَلَكِنِّي مَمْنُوعٌ ، وعن إرادَتِي مَقْمُوعٌ ، يَمْلِكُنِي سُلْطَانٌ
قَدِيرٌ ، وَأَمِيرٌ لَيْسَ كَمَثَلِهِ أَمِيرٌ ، شَيْءٌ غَلَبَ صَبْرَ الْأَنْبِيَاءِ ، واستولى على
عِزِّ الْأَنْبِيَاءِ ، وهو الْعِشْقُ ، باطِلٌ يَلْعَبُ بِالْحَقِّ ، لَيْسَ بَيْنَ ضَعْفِ الْبَشَرِ ،

١ ط : ساقط .

٢ ب س : يدي .

٣ ب : دونانها ؛ س : ذوبانها .

٤ ب س : مخلوع .

٥ ط : شهم .

وَتَلُوحُ قُدْرَةُ مُصَرِّفِ الْقَدَرِ ؛ وَالَّذِي أَشْكُو مِنْهُ أَغْرَبُ الْغَرَائِبِ ، وَأَعْجَبُ
الْعَجَائِبِ ، بَثٌّ شَاغِلٌ ، وَبَرْحٌ قَاتِلٌ ، وَصَبْرٌ يَغِيضُ ، وَدَمْعٌ يَفِيضُ ،
لِعَجُوزٍ بِخُرَاءَ ، سَهِيكَةٍ دَرْدَاءَ ، تُدْعَى قَرطبة^١ :

عَجُوزٌ لَعَمْرُ الصَّبَا فَانِيَهْ لَهَا فِي الْحِشَا صُورَةُ الْغَانِيَهْ
زَنَتْ بِالرَّجَالِ عَلَى سِنِّيهَا فَيَا حَبْذَا هِيَ مِنْ زَانِيَهْ
تَرِيكَ الْعُقُولَ عَلَى ضَعْفِهَا تَدَارُ كَمَا دَارَتِ السَّانِيَهْ
فَقَدْ عَنِيَتْ^٢ بِهَوَاهَا الْحُلُومُ فَهِيَ بِرَاحَتِهَا عَانِيَهْ
تَقَاصِرُ عَنْ طُولِهَا قُونُكَّةً^٣ وَتَبْعِدُ عَنْ غَنْجِهَا دَانِيَهْ
تَرَدَّيْتُ^٤ مِنْ حَزَنِ عِشْيِهَا غَرَامًا فَيَا طُولَ أَحْزَانِيَهْ

طَابَ لِي الْمَوْتُ عَلَى هَوَاهَا ، وَلِذِ عِنْدِي سَقْيِي دَمِي لِشِرَاهَا :

وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ مَا رَبُّ قَضَاهَا الشَّبَابُ هِنَالِكَا
إِذْ ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرَتْهُمْ عَهْدَ الصَّبَا فِيهَا فَحَنَوْا لِذَلِكَ
وَلَمَّا اسْتَطَرَدَّ طَيْبُ هَذَا الْمَسَاقِ ، وَارْفَضَ كَلِمَهُ كَالْمَاءِ الْمَهْرَاقِ ،
وَحَفَقَ جَنَاحُ الْعَشْقِ الْمَذْكُورِ ، وَتَدَخَّرَجَ وَصْفُهُ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُنْثُورِ ،
تَحَرَّكَتْ لِي أَطْرَابُ ، وَاهْتَزَّ لِرْدَاءِ شَوْقِي أَهْدَابُ ، وَتَمَحَّضَتْ نَفْسِي
فَصَارَتْ نَفْسًا ، وَتَرَاكَمَ ذَلِكَ النِّفَسُ فَصَارَ كَلَامًا ، وَانْتَضَمَ ذَلِكَ الْكَلَامُ
فَصَارَ عِقْدًا ، فَقُلْتُ مُتَغَزِّلًا ، وَبِمَا صَدَرَ فِي أَيَّامِ السَّرُورِ مَتَمَثِّلًا^٥ :

١ انظر الديوان : ١٦٨ ولم ترد إلا في النسخة .

٢ ب س : عشت .

٣ ط : ترضيت .

٤ البيتان لابن الرومي في ديوان المعاني ٢ : ١٨٩ .

٥ ب س : الشباب .

٦ ديوان ابن شهيد : ١١٦ .

سَقِيًّا لَطِيبِ زَمَانِنَا وَسُرُورِهِ
وَتَكْفُرِي بِرِدَاءِ وَصْلٍ مَقْرُطَقٍ
مَتَلَفَعٌ بِحَرِيرِهِ مَتَضَمَّخٌ
وَسَنَانٌ نَاولِي مَدَامَةِ طَرْفِهِ
يَدْعُو بِلَكْنَةِ بَرَبْرِي لَمْ يَزَلْ
مَتَقَدِّمٌ بِمَضَائِهِ مَتَلَفَعٌ
مُسْتَفْتِحٌ لِبَيَانِهِ بَيَانُهُ
مُتَنَصِّبٌ كَالْغُضَنِ إِلَّا أَنَّهُ
طَارَحَتْهُ كُلَّمَا وَكُنْتُ زَعِيمَهُ
فَمَشَى إِلَيَّ فَشَرْتُ غَيْرَ مُعْفَرٍ^٢
وَمَلَكَتْنَاهُ^٥ بِالْكَفِّ مِلْكَةً قَادِرٍ
فَقَضَيْتُ مَا لَمْ أَقْضِ فِيهِ بِرِيَّةٍ
زَمَنْ قَضَى ثُمَّ انْقَضَى فَكَأَنَّهُ

ومنها :

وَبِرَاحَتِي مِنْ فِكْرَتِي ذُو ذِكْرَةٍ عَهَدَتْ تُذَاكِرُنِي بِطَبْعِ ذَكِيرِهِ

١ في النسخ : وغزير ... بغزيره ؛ ولا معنى له ؛ وفي اللسان (غرر) عيش غرير :
أبله لا يفزع أهله ؛ أما « غرير » الثانية فتعني الغلام الحدث السن .

٢ ط : بنقش ؛ ب : بحسن .

٣ ط : عن متمعرف ؛ وأرى صوابه « غير معقر » - بالقاف - أي غير دهش
ولا متهيب .

٤ ب س : كالميت مطروحاً .

٥ ط : فملكته .

٦ ب : مجدوره ؛ س : مجدوره .

فَرَدُّ إِذَا بَعَثْتُ دِيَا جِي صَرَفِهِ هُوَلَا عَلِيَّ خَبَطْتُ فِي دِيَنْجُورِهِ
 حَتَّى بَدَا عَبْدُ الْعَزِيزِ لِنَاطِسِرِي أَمَلِي ، فَمَزَقْتَ الدُّجَى عَنْ نَوْرِهِ
 مَلِكٌ تَبَقَّى الْمَجْدَ نَاصِرُهُ لَهُ وَتَقَيَّلَ الْعِلْيَاءُ عَنْ مَنْصُورِهِ
 وَرَأَى الزَّمَانَ يَحِيدُ عَنْ تَأْمِيرِهِ ١ فَسَقَى سِهَامَ الْمَجْدِ مِنْ تَامُورِهِ

فإن طَعَنَ طاعنٌ على نسبِ هذا الشعر ، وقال : إن الملوك لا تُقابَلُ
 بمثله ، والعظماء لا تُتَلَقَّى بشيئه ، قلنا : ذلك لجهلِهِ بأخبارهم ، وقلةِ
 رِوَايَتِهِ لآثارهم ؛ ولو شئتُ أنْ أَمْلَأَ الصُّحُفَ وَأَرْقُمَ القَرَاطِيسَ بِمَا
 جَرَى عِنْدَ الْمُلُوكِ وَمَعَهُمْ ، وَمَا اسْتُعْمِلَ لَهُمْ ، وَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَيْهِمْ ، لَفَعَلْتُ ،
 وَلَكِنِّي اقْتَصَرْتُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى قَرِيبٍ مُعْجِبٍ ، وَاکْتَفَيْتُ مِنْهُ بِحَدِيثٍ مُطَرَّبٍ .

قال ابن بسام : وأنشد أبو عامر إثْرَ هذا قِطْعَةً شَعْرٍ لِأَبِيهِ ، هِيَ ثَابِتَةٌ
 فِي الْقِسْمِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا التَّصْنِيفِ ، قَالَ فِيهَا :

فَهَنَقَهُ الْإِبْرِيْقُ مِنْتِي ضَحِكَا وَرَأَى رِعْنَشَةَ رِجْلِي فَبَكَسَى

ثم قال : فإن استهلَّ الطاعنُ صَارِخًا ، وَقَالَ : هَكَذَا الشَّعْرُ ، وَهَكَذَا
 الطَّبِيعُ ، وَهَذَا الْمَاءُ رِقَّةً وَعَذُوبَةً ، وَالْهَوَاءُ لَطَافَةً وَسَهُولَةً ، لَا مَا كُنَّا
 فِيهِ مِنَ الشَّنَائِعِ وَالْقَعَاقِعِ ، قُلْنَا لَهُ ٢ :

أَذَنَ الدَّيْكَ فُثِبَ أَوْ ثَوَّبَ وَانْضَحَ الْقَلْبُ بِمَاءِ الْعَنْسَبِ
 وَتَأَمَّلْ آيَةً مُعْجَزَةً مَا قَرَأْنَا مِثْلَهَا فِي الْكُتُبِ
 رَكَعَ الْإِبْرِيْقُ مِنْ طَاعَتِهِ وَبَكَى فَاِبْتَلَّ ثَوْبُ الْأَكْثُوبِ

١ ط : تأثيره .

٢ ديوان ابن شهيد : ١٧٨ .

وَلَوَّلَ الْمَزْهَرَ يَنْفِي كُرْبِي
وَرَبِيبٍ قَامَ فِينَا سَاقِيَا
ظَبْيَةً دُونَ الصَّبَايَا قُصَصَتْ
فُتِّحَ الْوَرْدُ عَلَى صَفْحَتِهَا
فَمَشَتْ نَحْوِي وَقَدْ مُلِكَتْهَا
وَتَطَرَّبْتُ فَأَعْيَا طَرَبِي
كَالرَّشَا أَرْضَعَ بَيْنَ الرَّبْرِ
فَأَتَتْ غِيدَاءَ فِي شَكْلِ الصَّبِي
وَحَمَاهُ صُدُغُهَا بِالْعَقْرِ
مَشْيَةً الْعُصْفُورِ نَحْوَ الثَّعْلَبِ

ومنها :

وغمامٍ باكرتْنَا عَيْنُهُ
مِثْلَ بَحْرِ جَاءَنَا مِنْ فَوْقِنَا
فَدَنَا حَتَّى حَسَبْنَا أَنَّهُ
فَسَأَلْنَاهُ ، وَقَدْ أَعْجَبَنَا
أَنْتَ مَاذَا ؟ قَالَ : مُزْنٌ عَلِمْتُ
سَامِنِي بِالشَّرْقِ أَنْ أَسْقِيَكُمْ
فَسَأَلْنَاهُ : أَبْنِ ذَاكَ لَنَا
[مَلِكٌ نَاصِبٌ مَنْ خَالَفَكُمْ
فَعَلِمْنَا أَنَّهَا نَفْحَةٌ مِنْ
تُتْرَعُ الْأَفْقَ بِدَمْعٍ صَيَّبَ
جَرْمُهُ مِنْ لَوْلُوٍّ لَمْ يُشْقَبِ
يَمْسَحُ الْأَرْضَ بِفَضْلِ الْهَيْدَبِ
حَشَوُهُ الْعَيْنَ بِمَرَأَى مُعْجَبٍ :
كَفَّهُ النَّفْحَةُ ١ كَفًّا دَرَبِ
رَحْمَةٍ مِنْهُ بِأَقْصَى الْمَغْرِبِ
قَالَ : هَلْ يَخْفَى ضِيَاءُ الْكَوْكَبِ ؟
عَامِرِي الْمُنْتَمَى وَالْمَنْصِبِ]
وَرِثَ الْجُودَ أَبَا بَعْدَ أَبِ

ومنها :

لَكَ كَفٌّ بِالْثُرَيَّا فَيُضْهِهَا
كَقَلْبٍ دَلَّوْهَا مُتْرَعَةً
تَبْصُرُ الْعَيْنَانِ مِنْهُ إِنْ بَدَا
وَلَهَا بَسْطُ النَّدَى مِنْ كَثَبِ
أَشْرَقَتْ بِالْمَاءِ عَقْدَ الْكَرَبِ
قَمَرَ السَّرَجِ وَشَمْسَ الْمَوْكَبِ

١ ب س : النجمة ؛ ولا أراه صواباً ، لأنه بعد ثلاثة أبيات يقول : « فعلمنا أنها نفحة من ورث الجود ... » .

أَنْجَبَتْهُ لِلْمَعَالِي أَسْرَةً
 بِنْفُوسٍ مِنْ سِنَاءِ غَضَّةٍ
 وَوَجْوهَ مَشْرِقَاتٍ أَوْمَضَّتْ
 لَهُمْ أَيَّامُ حَرْبٍ كَثُرَتْ
 لَمْ يُطْقَ عَامِرٌ قَدَمًا مِثْلَهَا
 سَحَبُوا مِنْ ذَيْلِ مَجْدٍ إِذْ هُمْ
 يَا ابْنَ أُمِّ الْمَجْدِ خُذْهَا عِبْرَةً
 مِنْ بَنَاتِ اللَّبِّ زَانَتْكَ كَمَا
 خَمْرَةٌ مِنْ طَيْبِهَا قَدْ سُبِيَتْ
 نَزَلُوا لِلْمَجْدِ أَعْلَى الرَّتَبِ
 فِي جُيُوشٍ بَضَّةٍ مِنْ حَسَبِ
 ضَاحِكَاتٍ فِي وَجْهِهِ الْكَرْبِ
 فِي عِدَائِهِمْ دَاعِيَاتِ الْحَرْبِ
 لَا وَلَا عَمَرُو بْنُ مُعَدٍ يَكْرِبُ
 لِلْوَعْيِ فِي ظِلِّ نَقْعٍ أَشْهَبِ
 جَدًّا قَوْلٍ يُشْتَهَى كَاللَّعِبِ
 زَانَ صَدْرَ الْمُهْرِ حَلِيَّ اللَّسَبِ
 قَطَعَتْ نَحْوَكَ عَرْضَ السَّبَبِ

فَإِنْ يَرَا جَعُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - الْمُؤْتَمَنَ مِنْصِفًا فَهُوَ أَوْلَى بِهِ وَأَسْرُ ١ لَهُ ،
 لَا كَقَوْمٍ عِنْدَنَا ، حَظُّهُمْ مِنَ الْفَهْمِ الْخَفِظُ ، وَمِنَ الْعِلْمِ الذِّكْرُ ، وَهَذَا حَظُّ
 الْقِصَاصِ ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ النُّوَّاحِ ، فَتَرَى الْمُتَخَذِرَ مِنْهُمْ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ
 الشَّعْرُ يَتَزَوَّى أَنْفَهُ ، وَيَكْسِرُ طَرْفَهُ ، وَإِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْخُطْبَةُ يُمِيلُ
 شِقَّهُ ، وَيَلْوِي شِدْقَهُ ، فَإِنْ تَنَاوَلْتَهُمَا لَمْ يُبْقِ مُلْحَةً ٢ إِلَّا حَشَدَهَا ٣ ،
 وَلَا أَبْقَى عَفْصَةً فَجَّةً إِلَّا جَلَبَهَا . وَأَصْلُ قَلَّةِ هَذَا الشَّانِ ، وَعَدَمِ
 الْبَيَانِ ، فَسَادُ الْأَزْمَنَةِ ، وَنُبُوُّ الْأَمَكْنَةِ ؛ وَإِنَّ الْقِتْنَةَ تَسْخُ لِلْأَشْيَاءِ ، مِنْ
 الْعُلُومِ وَالْأَهْوَاءِ ، تَرَى الْفَهْمَ فِيهَا بَاطِلَ السَّلْعَةِ ، خَاسِرَ الصَّفْقَةِ يُلَمَحُ
 بِأَعْيُنِ الشَّانِ ، وَيُسْتَشْفَلُ بِكُلِّ مَكَانٍ . هَذَا رَأَيْنَا ٣ ، وَحَرَبْنَا

١ ب س : وأسير .

٢ ط : حشرها .

٣ س : رأينا .

أنا ١ طلبنا البيان ، فأدركناه بكلِّ لسان ، والتمسنا الإبداع فأثبتنا كلَّ
 مُعْجَب ، وأتينا على كلِّ مُطْرِب ، فما سَقَطْنَا على سُوْقَةِ يَرْش إلينا ،
 ولا دفعنا إلى ملكٍ يَصُوبُ بنا ؛ وليت إذ لم يكن غُشْمٌ ، ألاَّ يَكُونَ غُرْمٌ ؛
 وودِدنا أنا بَرَازِخُ لا حربٌ ولا سَلَمٌ ، ولا يَقْظَةُ ولا حُلُمٌ » كفى
 بذلك إِنْجَاءً عَلَى الزَّمَنِ . ولولا أَنَّ الْمُؤْتَمَنَ نَجْمٌ مِنْ تِلْكَ الْأَنْجُمِ الْكَرِيمَةِ ،
 وفرغَ مِنْ تِلْكَ الدَّوْحَةِ الْقَدِيمَةِ ، أمسَكَ على الدُّنْيَا عَيْنَهَا ، وحفظَ عليها
 زِينَهَا ، لَقَلْتُ : إِنِّهَا نَسْخٌ ، وإنَّ أَصْلَهَا مَسْخٌ ، سَنَأُوهَا لِلثِّيمِ أَوْ وَغْدٍ ،
 وَزِمَامُهَا بِيَدِ بُومٍ أَوْ قَرْدٍ .

وله من أخرى إلى الوزير ابن عباس : وَلَمَّا أَسْنَدْتُ مِنْكَ إِلَى هَضْبَةٍ
 لَا انْخِرَامَ مَعَهَا ، وَاسْتَمْسَكْتُ بِعُرْوَةٍ لَا انْقِصَامَ لَهَا ، إِذْ وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُ
 رَسُولِي إِلَيْكَ ، يَذْكُرُ تَغْيِيرَكَ لَهُ ، وَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْكَ ، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ
 قَوْلَهُمْ : مَا نَزَلَ حَتَّى رَحَلَ ، وَقَوْلَ الْآخَرِ :

كِرْبَشَةٌ بِمَهَبِ الرِّيحِ سَاقِطَةٌ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَاقِ

وفي فصل ٢ : وَقَلْتُ : أَيْسَنُوقُ الْجُمْلَ ، وَيَتَضَعُ الْكُوكَبَ ، وَتَخَفُ
 حَصَاةُ الْحِلْمِ ، وَيَتَضَعُ جِبِلُّ الْعَمَلِ وَالْعِلْمِ ، وَيَكْبُو جَوَادُ الْهَمَمِ ،
 وَتَنْزِلُ نَعْلُ الْكِرَمِ ، وَتَغْلِبُ الدُّنْيَا الدِّينَ ، وَيَسْطُو الشُّكُّ بِالْيَقِينِ ؟ ثُمَّ
 تَذَكَّرْتُ عِلْمِي بِكَ ، وَقَوْلِي فَيْكَ :

غَيْرَ أَنِّي مَعَ الْوَزِيرِ أَبْسِي الْقَا سِيمَ حِزْبٍ مَحْضٍ مِنَ الْأَحْزَابِ

١ ط : فانا .

٢ زاد في ط : منها .

التقي النقي كهلاً وطفلاً فارس الجيش راهب المحراب
فعلمتُ أنك صاحبُ محراب ، ومؤمنٌ بآيةِ الكتاب ؛ فتَلَلت
الأوهامَ للجباه ، وكَبَحْتُ الظُّنونَ كبحةً أقعدتُها عن الأشباه ^١ ،
ولم تَبَقْ إلّا بقيةٌ من قولِ القائل :

ولو تركَ الناسُ الملوكَ لأحسنوا ولكنَّ أولادَ الزَّناءِ كثيرُ
فبحثُ عمن طرأ عليك من الأندال ، وحلَّ بساحتك من الأعلاج ،
فقل لي : ابنُ فَتَح ^٢ ، فأنعمتُ البَحْثَ ، وأعمكتُ لطائفَ الكَشْفِ ،
حتى صحَّ عندي أنه كَدَّرَ صَفْوَكَ عليّ ، وغيرَ شربك لديّ ، فقلتُ :
من هاهنا أتينا ، وعن هذه القوسِ اللثيمةِ رُمينا ؛ وقصصني مع هذا العليجِ
طويل ^٣ .

وفي فصل منها : ولم يزل يسعى لإفسادِ تلك النيات حتى فسدت وانتقضت ،
وزادَ في إفسادِ الضمائر ، ورامَ التدبيرَ من غير طُرُقِ الأكابر ، حتى
تَلَفَ وأتَلَفَ ، وكانتِ العاقبةُ ما عاينت ، والمغبةُ ما شاهدتْ ؛ ولقد
سألني أبو جعفرٍ أن يَنفَرِدَ ذاتَ يومٍ بأكبرِ وزيرينِ عندنا ، ووجهَني
فيهما ، وحضرا ، فنفتَ هذا الساحرُ فانصرفا ، فخاطبتهُ بأبياتٍ أقولُ فيها ^٤ :

١ ب س : على الاستاء .

٢ أرجح أنه هو جعفر بن فتح ، قدمه صاحبه محمد بن الفرضي أبو عبد الله وزير يحيى
بن علي بن حمود (٣١٢ - ٣١٣) كما قدم أبا القاسم ابن الأفلح ؛ (البيان المغرب ٣ :
١٣٢) وكان ابن شهيد يعدمهم خصوصاً له ؛ وسيأتي الحديث عن ابن الفرضي فيما يلي .

٣ ط : تطول .

٤ الديوان : ١٦٤ (عن الذخيرة وحدها) .

هَلَا سَتَرْتَ الشَّيْنَ بِالزَّيْنِ
 قَدْ عَلِمَا أَنَّهُمَا أَحْضَرَا
 لَمَّا تَدَانَتْ قَابَ قَوْسَيْنِ
 فَانْصَرَفَا مِثْلَ انْصِرَافِ الْفَيِّ
 صَدَّهُمَا^١ مِنْ قَرْدِكَ الْمُصْطَفَى
 وَمَا رَأَى النَّاسُ عَلَى مَا مَضَى
 أَرْبَعَةً فِي مَجْلِسٍ جُمِعُوا
 قَدْ لَزِمَا جَنْبَيْكَ لَمْ يَبْرَحَا
 فَأَنْتَ مَا بَيْنَهُمَا جَالِسٌ

من قبل إحصارِ الوزيرين ؟
 لَخَلْوَةٍ أَثْقَلَ مِنْ دَيْنِ
 أَصَابَهَا الْحَاسِدُ بِالْعَيْنِ
 أَسْلَمَ الْإِفَاءَ لِيَدِ الْبَيْنِ
 نَطَحَتْ نَطَاحٍ بَرَوَقَيْنِ
 مِنْ قَبْلِهِ قَرْدًا بَقَرَيْنِ
 فَطَارَ هَذَانِ بِهِدِينَ
 لَهْفِي عَلَى ضَيْعَةِ جَنْبَيْنِ
 جُلُوسَ أَيَّرٍ بَيْنَ خُصَيْنِ

وما كان هذا القردُ أهلاً لأنْ يُحْمَلَ عليه حرٌّ كلام ، ولا ليرمى
 بفضْل بيان . وبالحرِّ أنْ يُرْقَمَ على عَتَبَةٍ دُكَّان ، أو يُصَوَّرَ على بابِ
 حَمَّام ، وقد غُرِسَ في وجعائه رَأْسُ نَحْلَةٍ ، وحيي^٢ في سَعَفِهَا عُشُّ
 نَحْلَةٍ ؛ أو يُنْقَشَ في خَاتَمِ قِمَارٍ^٣ ، وقد علاه خنزير ، وعطس مُسْتَنْجَاه
 بِإِبْرَةٍ زُنْبُور ، فإنه بَقِيَّةٌ من بني إسرائيل الذين استحلوا الحرام ،
 واجترحوا السيئات والآثام ؛ فلما عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عنه ، قيل لهم كونوا
 قَرْدَةً خَاسِثِينَ ، فجُعِلَتْ نَكَالًا^٤ لما بينَ يديها وما خَلْفَها ومَوْعِظَةٌ
 لِلْمُتَّقِينَ^٥ .

ولولا أنه مُنْتَسَبٌ إلى آلِ هَاشِمٍ ، إلى عَصَابَةِ أَقْلَتِي كَرَمَهُمْ ،

١ ط : حدهما .

٢ كذا ولعل الصواب « وخبي » .

٣ ب س : قميّار .

٤ ناظر إلى الآية : ٦٥ - ٦٦ من سورة البقرة .

وأظلتني نعمهم ، ومُسندٌ على العلات^١ من أبي جعفر ، إلى
وزيرٍ كان لي وزيراً ، رَفَرَقَ شرابي ، وأخْصَبَ به جنابي ؛ لأدْرَتْ
بِدارِهِ دائرةَ السَّوءِ ، وسَرَيْتُ إليها في لُمةٍ من صعاليكِ الأحرارِ ،
وصميمِ الرجالِ ، فأحرقَتْها على نازلها ، وجعلتُ عاليها سافلها ، امثالاً
لقواه تعالى في ديارِ قومٍ لُوط ؛ فالشائعُ لدينا أنها قَرارٌ لبناتِ السَّحْقِ ،
وبركةٌ لِسَمَكاتِ العَشْقِ ، يتناكحُ بها النِّسْوانُ بعضُهُنَّ إلى بعضٍ
بالصَّدَقَاتِ ، ويستعملنَ خرزَ جُلودِ البَقَرِ في الكيرِ نِجَاتٍ^٢ . فالله
الله في قبولِ هذا القردِ والالتباسِ به ، فإنه قُدَّارٌ من لزمه ، وهو والقرضيُّ
رضيعا لبانٍ ، وفرسا رهانٍ ، ولذا لم يؤثِّر فيه إذ نَقَرَهُ على الرَّأسِ ،
لأنَّ الأفعى لا تقتلُها نَهْشَةُ الأفعى ، وأخافُ عليكِ عاديتَه ، وأتقي
على أياملكِ بادرته ؛ كان اللهُ خليفتي عليكِ يا أبا القاسم ؛ والله الله في
إعادةِ نَفْثَةٍ من كرائمِ نفحاتك على قريةِ أبي الجودي ، فلو أنها الجودي
كرامةً ، وقريةُ التَّمَلِّ عِمارةً ، لَقَلَّتْ في جَنَبِ ما أَتَغْنِي به من شُكْرِكَ ،
وَأَتَرْتَمُ به من تقريظك ومَدْحِكَ . والذي أَسْتَقْبِلُهُ من ذلك أكثرُ مِنِّي :
عليَّ أنْ أَهْدِي من ذلك لطيمةٍ إلى جارتك القَيْرَوانِ ، وأخرى إلى حبيبتك
مَكَّةَ بَيْتِ الرَّحْمَنِ ، بكلامٍ عَذْبٍ ، وَمَسَاقِ رَطْبٍ ، يُبْكِ الحَجِيجَ ،
ويَقْدَحُ نارَ العَجِيجِ ، تَحْنُ لَهُ الرِّبابُ ، وترِقُّ له الأعرابُ . واعلم أن
نعمتك فيها ، لشُهرتها بك ، وارتفاعها بارتفاعك ، مكتوبةٌ بكفِّ

١ ب ط : القلات .

٢ انظر الآية : ٨٢ من سورة هود .

٣ في النسخ : الكرنجات ؛ والكيرنجات : أدوات في شكل عضو الرجل (كير بالفارسية :
عضو الذكر) ؛ انظر محاضرات الأدباء ٣ : ٢٧٢ (وقد صحفت هناك « كير بيخات ») .

الشُّرَيَّا في مَفْرَقِ السَّمَاءِ ، نُؤْنُهَا الهَنْعَةُ ، وَعَيْنُهَا الشُّوْلَةُ ، وَمِيمُهَا
النُّشْرَةُ ، فَإِنْ أَعْقَبَتْهَا « لا » ، كَانَ الدَّبْرَانُ كَاتِبَهَا عَلَيْكَ ، تَرْمُقُهَا
الْأَبْصَارُ ، عَلَى انْتِزَاحِ الْأَقْطَارِ .

وفي فصل : وَبَحِثُ عَلَى مَنْ تَجَرَّدَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَتَفَرَّغَ
لِلإِشْتَغَالِ بِهِ ، فَوَقَعْتُ عَلَى الْكَاتِبِ الْوَزِيرِ ، الْيَقْظِ التَّحْرِيرِ ، خَالِدِ بْنِ
يَزِيدَ الْكَيْمِيَّائِيِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَّضِيِّ ، فَقُلْتُ : شَنْشَنَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ
أَخْزَمِ ١ ، لَا يَصْلُحُ لِلْأَفْعَى مَرَادُ الرُّوْضِ ، وَلَا وَرُودُ الْحَوْضِ ، وَلَا
يُدْفَعُ لَوْمَ الْكَلْبِ ، كَرَّمَ الصَّحْبُ ، وَإِنَّمَا الْأَخْلَاقُ جَارِيَةٌ عَلَى الْأَعْرَاقِ ،
وَالْأَفْعَالُ مَأْخُودَةٌ عَنْ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ ؛ وَهَذَا الْمَذْكُورُ مَشْتُومٌ ، أَدْوَى
مِنْ مَوْمِ ٢ ، وَأَشْأَمُ مِنْ بُومٍ ، يُسْمِيءُ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَمَنْ أَجَارَهُ
تَجَنَّتِي عَلَيْهِ ؛ مَنَّتُهُ نَفْسُهُ عَلَى ضَيْقِ نَفْسِهَا مُلْكُ الْمُلُوكِ ، وَإِحْيَاءُ وَقَائِعِ
الْبُرْمُوكِ ، فَارْتَبَكَ فِيمَا ارْتَبَكَ ٣ ، وَلَوْلَا الْقَدَرُ لَطَحَنَتُهُ الرَّهْكَ ٤ ،
لَقَدْ أَخْطَأْتُ اسْتِئْثَارَهُ الْحَفْرَةَ ٥ ، وَمَا ثَبَتَ عِنْدَ النُّفْرَةِ ؛ أَوْلَى لَهُ ! لَقَدْ
خَبَبْتُ مَغْرَسَهُ عَمَّا حَاوَلَ ، وَلَوْمْ مَعْطَسَهُ عَمَّا تَنَاوَلَ ؛ وَهِيَّاتَ ! لَا تُبْصِرُ
الشَّمْسَ الْعُمْشُ ، وَلَا تَهْتَدِي السُّبُلَ الْخُفُشُ . وَإِنِّي لِأَخَافُ عَلَى سَعْدِكَ
نَحْسَهُ ، وَأَحْذَرُ عَلَى يَوْمِكَ أَمْسَهُ ، أَفْقَدَهُ اللَّهُ حُسَّهُ ، وَأُورِدَهُ الْكُنِيفَ

١ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٢١٩ والميداني ١ : ٣٤٤ وجمهرة ابن دريد ١ : ١٥٤ ،

٢ : ٢١٧ .

٢ الموم : البرسام .

٣ ارتبك : نشب ولم يكده يتخلص .

٤ كذا في ب س ؛ وفي ط : لصحبته ، ولعله أن يقرأ : لصحبته الرمك ، أي الحيول ؛

والرهك - بتسكين الهاء - الطعن بين حجرين .

٥ انظر الميداني ١ : ١٦٥ وسرح العيون : ٤٣٠ .

رَمَسَهُ ، فإنه لو جاور البحرَ لَسَدَّهُ ، ولو جاسَ أبا قُبَيْسٍ لَهَدَّهُ . وما
أَبْعَدُ أَنْ تُمَنِّيَهُ نَفْسُهُ الْخَبِيثَةُ الْفَتَكَ بَكَ ، والوُثُوبَ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ أَمْرَهُ ١
أَسْخَفُ ، وَصَفَاقَةَ ٢ مُخَّهُ أَشْفُ ، من أَلَاَّ يَجْرِي هذا المَجْرَى ، ولا يَرْمِي هذا
الْمَرْمَى ؛ وَرَبِّمَا سَاعَدَهُ الْقَدَرُ : هذا حِمْزَةٌ قَعَصَهُ وَحْشِي ، وبِسْطَام
صَرَعهُ عَاصِمٌ ٣ ، وكسرى فتك به مرازبةً ٤ له .

وكتب الوزير أبو مروان ابن الخزيري إلى الوزير أبي عامر ابن شهيد :

قُلْ لِلْوَزِيرِ الَّذِي بَانَ فُضَائِلُهُ وَقَامَ فِينَا مَقَامَ الْغَيْثِ نَائِلُهُ
إِذْ بَانَ فَضْلُ مَسَاعِيهِ وَهَمَّتْهُ بَيْنَ لَنَا شَرْحَ مَعْنَى سَالَسَائِلِهِ :
أَوَاخِرُ الْوَرْدِ إِذْ تَجَنَّبَهُ مُلْتَقَطُ أَزْكَى وَأَعَطَّرُ نَشْرًا أَمْ أَوَائِلُهُ ؟
وَأَيُّ حَالِيهِ مَوْجُودًا وَمُفْتَقَدًا أَوَّلَى وَأَجْدَرُ أَنْ تُرْعَى وَسَائِلُهُ ؟
وَقَدْ أَتَاكَ لِتُودِيعٍ عَلَى عَجَلٍ خُضْرًا مَقَانِعُهُ حُمْرًا غَلَائِلُهُ
فَامْنَحْهُ مِنْكَ قَبُولًا وَاقْضِ نَهْمَتَهُ مِنْ الْوَدَاعِ فَقَدْ زُمْتُ رَوَاحِلُهُ

فأجابه ٥ :

يَا سَيِّدًا أَرَجْتَ طَيِّبًا شَمَائِلُهُ وَشَاكِهْتَ شَعْرَهُ حَسَنًا رَسَائِلُهُ
وَسَائِلًا لِي عَمَّا لَيْسَ يَجْهَلُهُ وَلَا الَّذِي كَلَّفَ التَّفْصِيلَ جَاهِلُهُ
الْوَرْدَ عَهْدًا وَنَشْرًا صِنُوْهُ عَهْدَكَ لَا تُنْسِي أَوَاخِرَهُ طَيِّبًا أَوَائِلُهُ

١ ب س : سره .

٢ ط : وصفاق .

٣ أي أن حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ كان يد وحشي ، وكان عبداً حبشياً ، وبسّطام بن قيس سيد بني شيبان قتله عاصم بن الحارث ، وكان يهد في البلهاء .

٤ ديوان ابن شهيد : ١٤٦ (عن الذخيرة وحدها) .

وَوَصَلُهُ فِي كَلَا الْحَالَيْنِ مُفْتَرَضٌ سَيَّانَ قَاطِعُهُ جَهْلًا وَوَاصِلُهُ
فَالْعُودُ يُخَفِّقُ ، وَالْمِزْمَارُ يَتَّبِعُهُ وَهَاجِرُ الرِّيحِ قَدْ هَاجَتْ بِلَابِلُهُ
تُخْبِرُ بِمَثَلِ الَّذِي أَنْتَ الْعَلِيمُ بِهِ أَيَّامَنَا وَالصَّبَا تُعْصِي عَوَازِلَهُ

قال أبو الحسن : وقد ضارَعَ أبو عامرٍ هذا محاسنَ الطبِّقةِ العالِيَةِ
البغدادِيَةِ الْمُضَارَعَةِ الَّتِي بَانَتْ فِيهَا قُوَّتُهُ ، وَلِدُنْتُ اخْتِرَاعَاتِهِ وَمَقْدِرَتَهُ ،
فَصَارَ يَتَنَاوَلُ الْمَعْنَى الْحَسَنَ فَيُصِيرُهُ مُحَسَّنًا بِحُسْنِ مَسَاقِيهِ ، فَمِنْهَا
وَصَفُهُ لِلتَّحَلُّلِ وَالْعَسَلِ : وَاسِعَةُ الْأَكْفَالِ وَالصَّدُورُ مَرْهَفَةٌ . وَوَصَفُ
الْبَرْغُوثِ فَقَالَ ١ : أَسْوَدُ زَنْجِي . وَوَصَفُ الْبَعُوضَةِ فَقَالَ ٢ : مَلِيكَةٌ لَا
جِيْشَ لَهَا سِوَاهَا . وَوَصَفُ الثَّعْلَبِ فَقَالَ ٣ : أَدهى من عمرو . فهذه أوصافُ
لو رامها غيره لَكَبَا جَوَادُ بَنَانِهِ ، وَبَنَا حَسَامُ لِسَانِهِ . وَقَدْ عَارَضَهُ فَقَالَ
فِي صِفَةِ النَّحْلَةِ ٤ :

وِطَائِرَةٌ تَهْوِي كَأَنَّ جَنَاحَهَا
مِلَازِمَةٌ لِلرَّوْضِ حَتَّى كَأَنَّمَا
تَمُجُّ بِفِيهَا الشَّهْدَ صِرْفًا وَيَخْتَفِي
مُنَافِرَةٌ لِلْإِنْسِ تَأْتِسُ بِالْفَلَاحِ
فَإِدْنَاوَهَا رُشْدٌ وَهَتَّكَ حَجَابُهَا

ضَمِيرٌ خَفِيٌّ لَا يَجِدُّهُ وَهَمٌ
لَهَا كُلُّ مَا تَفْتَرُّ عَنْهُ الرُّبَى طَعْمٌ
لِمَشَارِهِ مَا بَيْنَ أَحْشَائِهَا سَهْمٌ
مُفَرِّقَةٌ لِلشَّهْدِ ، مِنْ بَعْضِهَا السَّمُّ
إِذَا احْتَجَجَبَتْ فِي غَيْرِ أَيَّامِهَا ظُلْمٌ

وقال في صفة البرغوث * :

١ اليتيمة ٢ : ٤٦ .

٢ اليتيمة ٢ : ٤٧ .

٣ اليتيمة ٢ : ٤٧ .

٤ الديوان : ١٥٠ (عن الذخيرة وحدها) .

٥ الديوان : ٨٧ (عن الذخيرة وحدها) .

ومفتّـرٍ للنومِ مسكنهُ إذا
يسري إلى الأجسامِ يهتكُ عدوهُ
ويعضُ أردافَ الحسانِ وماله
متحكمٌ في كلِّ جسمٍ ناعمٍ
فلإذا هممتَ بزجرِهِ ولّى ولا
وترى مواضعَ عضه مخصوبةً
قرمٌ من الليلِ البهيمِ مكوّرٌ
عظمتَ رزيتهُ ولكنّ قدرهُ

نامَ المُمَلِّكُ بين أناءِ الثّيابِ
عن كلِّ جسمٍ صيغَ بالنعْمِ حجابُ
كفٌ ولكنّ فوهُ من أعدى الحرابِ
مُتَدَلِّلٌ ما بين الحاظِ الكعابِ
يثنيه ١ عما قد تعودَه طيّلابُ
بدمِ القلوبِ وما تتعاورَه خضابُ
يمشي البرّازَ وما تواريه ثيابُ
أخزى وأهون من ذبابٍ في ترابٍ ٢

رجع. وله ٣ : تخلصك الله منه ! ثلاثة سموم : سُمّ أفعى وعقربٍ ويعسوب
نحل . شربَ الماءَ وارداً وعنده ٤ حشائشُ استفادها من كيميائيّه ، تكفيه
وعشاءَ عنائِهِ ، إذا رام فتكاً أو حاول وثباً . وإذ قد اطرَدَ هذا القولُ ، وانثالت
هذه الكلمات ، فلا بدّ من تعريفِ الموفّق - وفقّه الله - أصلَ هذا
الفاسقِ وفرّعه ، وإنّ كلفْتُهُ تطويله وسجعه : صحبته منذُ أعوام ،
أيّامَ اختلافنا إلى الزاهرة ، وإذ تلك المواطنُ قائمةٌ غيرَ دائرة ، وبالغُررِ
من آل عامرٍ عامرة ، وكُنّا كثيراً ما نتدارسُ ضُروبَ العلمِ : مِن أدبٍ
وخبرٍ وفقّه وطبٍّ وصنعةٍ وحكمةٍ ؛ على أنّه في أهلِ الفهم ٥ وأوَّ
عَمُرُو ، أو لسانُ بَطْطُر . وكان - ولا أشعُرُ - يُدالِسُ ويوالِسُ ٦ .

١ في النسخ : ولم يثنيه .

٢ وكتب الوزير أبو مروان ... في تراب : سقط كله من ط .

٣ هذا النص متصل في ط بقوله : « وكسرى فتك به مرازمة له » ، دون أي فاصل ، وكأنه
تتمة للحديث عن الفرضي والتحذير منه .

٤ ط : وعندها . ه ب س : العلم .

٦ يوالس : يخادع ويدهن .

قد استهتير على الفلوس ، واستهلتك على التدليس ، وصار في ذلك
وضوح النهار ، ونفخة المزمار ؛ لو لمس البدور لعادت زيوفاً ، أو تناول
الشموس لغشاها كسوفاً ، وقصدته يوماً ، على جهل بتلك الخليفة منه ،
لاستريح إليه ، وألقي من شيتي عليه ، فألفيته قد خلا بابه ، وغاب بوابه ،
فولججتُ فثارَ إليَّ صبيٌّ غريبٌ أصبته هنالك قائلاً لي : طال انتظارنا لك !
وتقدمتي ومرتُ حتى انتهيتُ إلى دارِ ذاتِ أجوان ، قد غشيها
دُخان ، كقطع العنان ، تعبقُ منها صُنان ، من زرنِيخٍ وكبريت ،
وزنَجقُورٍ وأنزروت ؛ فتذكرتُ ﴿ يومَ تأتي السماءُ بدُخانٍ مبِينٍ
يغشى الناسَ ، هذا عذابٌ أليمٌ ﴾ (الدخان : ١٠ ، ١١) فاستشعرتُ
الشرَّ ، وأردتُ الفرَّ ، ثم التفتُ فإذا أنا بأكداسٍ جَمَرٍ ، وآلاتِ تبرٍ ،
وأشخاصٍ سودٍ وصُفرٍ ؛ ثم أفضيتُ إلى بيتٍ فيه عدَّةُ أشباحٍ ، كأنها
قباضُ الأرواحِ ، غراببُ ، بأيديهم كلاليب ؛ رزادِقُ ١ ، قد تقلدت
مطارقَ ؛ فلما رأوني صاحوا : فضحككمُ الواغل ، فاحقوه ٢ من
عاجل ؛ فلما نظرتُ إلى المنيَّة ، وخشيتُ فصلَ القضية ، ضحككتُ إليهم
وقلت : نخطتكم النعمة ، ولا هديتكم سبيلَ الحكمة ، أهكذا تعجلون ، ولا
تدرون من تريدون ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : من أخذَ الطلق ، فسحقه
بالمندق ٣ ، وشقَّ ببيدِ الذكاء ، عن زهرةِ الأشياء ، فبشرِ الآباء
بالأبناء . فقالوا : بنارٍ أم بماء ؟ قلت : بهما جميعاً وبهواء . فأومضوا إليَّ
صاحكين ، واستقبلوني معتردين ، وقالوا : كدتُ والله أنْ تُلنتهم ،

١ الرزدق : الصف من الناس .

٢ س ب : فاستحقوه (اقرأ : فاستحقوه) .

٣ ب : بالبرق .

وتكون السّواد المخترم ! قلت : وأين أبو عبد الله ؟ قالوا : انفرد
يرقق ماءً بيض ، ويصفق^١ دمَ حَيْض ، وغَرَضُه استخراجُ دُهْن
الحجر الكريم ؛ فقلت : حبس^٢ حديثٌ أو قديم ؟ فنادوا : أواه ، أواه !
على الخبير سقطتم . ثم تَلَطَّفْتُ وخرجتُ ، تطير بي رجلاي ، وقد حقن
اللهُ دمي بعطفه ، واستنقذني من يدي منيتي بلطفه . ووصفتُ لمن
استوثقته^٣ ذلك بعد أن استكتمته ، فجاس وخاس ، وكأني أودعتُ
سِرِّي ربحاً ؛ فاضطغن ذلك عليّ ، وأكد ذلك أيضاً مُعاملةً عاملني بها أيام
حرب المدينة ، وكانت حبالها^٤ ؛ إذ ذاك منينة ، أعقبته وقعُ السوطِ على
رأسه ، وعضَّ الحجلِ على ساقه ؛ وكان الأميرُ بها أبو أيوب ابنُ المرتضى
رضي الله عنهما ، فأعددتُ شعراً نويتُ أن أنشدهُ إياه أولَ بيعة ،
وكان ما كان ، وبلغه الشعر ، فزادت نفسه لي خُبثاً ، ومنه^٥ :

فلمّا بدا فيهم سليمانُ عندها	وصاح ابنُ ذبْكَوانٍ فثارَ رجالُ
هدى من ضلالِ الحائرِينَ محمدُ	وأذنَ بالبيتِ العتيقِ بلالُ
وقام أبو عمرانَ يرأبُ صدْعَها	بسعي ^٦ تجلّى عن هداهُ ضلالُ
وزيرٌ متى يستوزِرُ الملكُ رأيه	أميرتُ له في النائباتِ حبالُ

١ ط : يرقو ... ويصفو .

٢ ط : نفس .

٣ ط : استوثقه .

٤ ط : حبالنا .

٥ ط : وضع .

٦ ديوان ابن شهيد : ١٣٨ (عن الذخيرة وحدها) .

٧ ط : بسعد .

وليس كمنحوسٍ من القومِ منحنسٍ تعاظمَ حتى قيلَ ليس يُنَالُ
أَعَانَتْهُ أُمُوالُ تَخَوَّنَ عَيْنُهَا وأعلتُهُ غُشْرُ سُوْقَةٍ وسِفَالُ
له كعبٌ نَحَسٍ لم يصاحب به امرؤاً على الدهرِ إلَّا رُدًّا وهو خيال
ففي كلِّ عصرٍ من عَصُورِ حَيَاتِهِ تثلُّ عُرُوشُ أو تُدَكُّ جِبَالُ
هو الدَّاءُ فاستأصله تلبسَ جمالها وداءُ كعوبِ المُنحسِنِ عُضَالُ

ولما قضي ما قضي ، ووقعت تلك الهنات ، ودرج أبو أيوب وعظم
تأسفي ، رَمَيْتُهُ بِأَبْيَاتٍ بَلَغَتْهُ ، فاصطكت أجرامُ عداوته ، وأخذ في وجوه
مطالبته ، منها ٢ .

نالت سليمانَ منه رِجْلُ من قبل ما أَرْجَلَتْ أَبَاهُ
فاستدرجا كاشفي دجَاهُ يا ويلةَ المَرءِ ؛ مَا دَهَاهُ ؟
يا سُخْطَ رَبِّ العُلَا عليه إذ أدَّتِ المُرْتَضَى يداه
لم يُبْقِ من زُمَرَةِ المعالي إلَّا هَشَامَ العُلَا أخَاهُ
يا رَبِّ فاحرُسْهُ لي بعينٍ تمنعُهُ الدهرَ من أذاه

وفي فصلٍ : وقال فيه أيضاً مسلمة بن عبد الملك :

لا تَعْرِضَنَّ لِإِمَامٍ فَبَحَرُ نَحْسِكَ طامي
أَصْمَيْتَهُمْ دُونَ رَمِي واللهِ إِنْكَ رامي
ثم اشتدَّتْ وَطْأَةُ هذا الخبيثِ أَيْامَ المستظهر ، فلم يُبْقِ غَايَةَ
من اهتضامي إلَّا امتدَّ لها ، وأجرى نحوها ، وقصرت به الأقدارُ دُونَهَا ،

١ ط : تحرق .

٢ ديوان ابن شهيد : ١٦٩ (عن الذخيرة وحدها) .

وظاهر صاحبه أبا الحسن عليّ ، وقاد مضرته إليّ ، وصنع شعراً حملنيه عنده ^١ ، وهو :

يا كسرة دَهَمْتَنَا ليس تنجبرُ وسُبّةٌ لَحِقَتْنا ما لها عُدُرُ
باتت قُعوداً رجالٌ طابَ محتدها وقام نذلانٌ في سَنَخِيهما بَخَرُ
أُمسى قدارُ يسوس الأمرَ أجمعهُ لقد تأنقَ فيما ساءَنا القدرُ
وذا أبو اليسرِ قد أُمسَى لها وزراً إنّا إلى الله ، يسرُ جَرَهُ عُسْرُ
نذلانٌ ما حركا إلّا فشا ^٢ ذفرُ نَقَحَ الكِلابُ إذا ما مسها المطرُ
لو أنْ أشياخنا كانت لهمْ هِمَمٌ تبقي رياستنا لم ترأسِ البقرُ
لكنهم - وقضاءُ الله محتملٌ - ليسوا من الناس إلّا أنهم صُورُ
إذا همُ اجتمعوا يوماً لمعضلةً رأيتَ نارَ التَّقالي كيف تستعرُ
بومٌ يرى ^٣ الشؤمَ باد في صحيفتهُ وقردٌ سوءٍ على صفحاته وبرُ

فأغربا بي ، وأرصدًا لي ، فكفى الله شرهما ؛ فشبا حرب البسوس ،
وتناقرا ^٥ على الرؤوس ، وكانت هامةُ أحدهما صينيةً ، أو امرأةً هنديةً ،
فكبا الجدّ بمن كبا ، ونا المجدّ عن هامةٍ من نبا ، ليلبغ الكتابُ أجلكه ،
ويقضي ^٦ اللهُ أمراً كان مفعولاً .

فكيف يُصْغِي الموفق - أيده الله - إلى رجلٍ هذه صِفَتُهُ ، وبيني وبينه

١ ط : عبته .

٢ ط : بدا .

٣ ط : يوماً ترى .

٤ ب : صبيحته ؛ ط : صبيته .

٥ ط : وتناقرا .

٦ ط : وليقضي .

ما قد شَرَحْتُهُ وأَوْضَحْتُهُ ؟ فليُجِرْنِي من قبولِ حديثِ هذا الخبيثِ فيّ ، وإصغائه إلى كذبه عليّ^١ ، وليُجِرْ نفسه من عاديتِهِ ، وينظُرْ من وَجْهِ فائدته ، يجده أشقى الأَشْقِيَاءِ ، وأضعفَ الضعفاءِ . إنَّما هو لِطَبَخِ إكْسِيرٍ ، أو لشدِّ قَصْدِيرٍ ، أو لِنَقْشِ في ذَكيِرٍ ، أو لادِّعَاءِ أَعْمَالٍ ، أو لِتَغْشِيَةِ مَثْقَالٍ ، أو لإقامةِ طَلْسَمَاتٍ ، وهو خَلْصِي^٢ من ذلك كُلِّهِ ، والحقيقةُ نائِيَةٌ عنه ، والشَعْوَذَةُ غيرُ مُستلحَةٍ مِنْهُ ، لبردِ طباعِهِ ، وقصرِ باعِهِ ؛ وإنَّما هِيَ لِأَدِيبٍ ظَرِيفٍ ، ذِي فَهْمٍ لَطِيفٍ . فَأَما هو فَأَبْرَدُ من ثَلْجَةٍ ، وَأَشَدُّ عَفْوَصَةً من عَفْصَةِ فَجَّةٍ ، إِذَا^٣ تَقَبَّضَ أَنْفُهُ ، وَشَمَخَ طَرْفُهُ . وَلَوْلَا أَنَّ المَلُوكَ لَا تَتَهَادَى بِالوَضِيعِ ، وَلَا تَعْتَمِدُ^٤ فِي تَحْفِهَا غَيْرَ الرَّفِيعِ ، لَرَأَيْتَ أَنَّ تَهْدِيَتَهُ إِلَى البَلِيَّةِ^٥ مَلِكَةِ البَحْرِ ، وَالْقَيِّمَةِ بِالْأَمْرِ ، لِيَنْصَرِفَ^٦ البَارِدُ إِلَى عُنْصَرِهِ ، وَعَسَى أَنْ يُخْرِجَهُ البَحْرُ بَعْدَ حِينٍ فِي عُنْبَرِهِ ، فَيَكُونَ أَحَرَّ قَلِيلًا ، وَأَهْدَى إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ؛ وَلَوْلَا أَنَّ وَصْفَ هَذَا الخَبِيثِ دَاخِلٌ فِي مَعَابَةِ المَوْفِقِ ، لَمَا ارْتَضَيْتُ سَوْقَهُ ، وَلَا غَشِيَتُهُ مِنْ كَلَامِي رَوْقَةً ، فَإِنَّمَا يَتَعَاتَبُ الْإِكْفَاءُ ، وَيَتِمَازَحُ الْأَخْلَاءُ^٧ .

فصول قصار اقتضبتها من طويل كلامه

فصل : جلا الشكوك بيقينه ، واستنبط معرفة الأعمال من شئونه ؛ وقسم ليله نصفين : نصفاً للتلاوة ، ونصفاً للسياسة ؛ ويومته شطرين :

١ س : كذبه وانحائه علي .

٢ س : خلو .

٣ ط : ولذا .

٤ ط : ترى .

٥ البليئة : الحوت .

٦ ط : لتصرف .

٧ س : الأشبه .

شطراً للميدان ، وشطراً للديوان ، فاستجم درّ الخراج ، ونزف دماء الأعلاج ،
من الأوداج .

فصل : لا نعمة للخالق على المخلوق أجملُ عاقبةً ، وأحمدُ مغبةً ،
وأزوقُ بهاءً ، وأسبغُ رداءً ، وأبعدُ مأثرةً ، وأيسرُ مكرمةً ، من تقى^١
يشعرها قلبه ، وأدبُ يزينُ به عقله ، ولسانُ مبينٍ يُفيضُه عليه فيُعربُ به
عن نفسه ، ويكشفُ عن حقيقة ذاته ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَكْثَرُكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٣) وقال : ﴿ هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (الزمر : ٩) ، وقال ﴿ سلقوكم بألسنة حدّاد ﴾
(الأحزاب : ١٩) ، وقال : ﴿ أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير
مبين ﴾ (الزخرف : ١٨) وقال عليّ رضي الله عنه : قيمةُ كلِّ امرئٍ
ما يحسن ، وقال : المرءُ محبوبٌ تحت لسانه . ولذلك كانت الملوك تعدلُ
ببنيتها عن التمتع إلى شطف العيش ، وتدني محالّهم من البادية ، وتبوئهم
منازلَ الفصاحة ، لتحثّدَ أفئدتهم ، وتمتدّ ألسنتهم ، ويتسابوا في لصابِ
الدّهَاءِ ، ومزاحفِ النكراء ، فيجيدوا الحزَّ ، ويطبّقوا المَفْصِلَ ، ويسوسوا
النُوبَ ، ويكبّيتوا الخصوم ، ويخرجوا من الغمَاءِ ، ويمضوا قدماً في
الشنعاء ، كما قال عمرو لمعاوية :

فإن تُعْطِي مصراً فأربحْ بصفقةٍ أخذتَ بها شيخاً يضرُّ وينفعُ
وإنَّ امرءاً يقابلُ ابنَ هندٍ بهذا ، وهو هو ، لفضفاضُ قميصِ الأدبِ ،
طويلُ نجادِ المعرفةِ ، موقوفٌ على ذروةِ الفضلِ^٢ .

١ ط : على المخلوق أحسن من تقى ... الخ .

٢ س : موف على ذروة العقل .

فصل : واصلَ الجهاد ، واستأصل الكفرَ والعناد ، واتخذَ ظهرَ الجواد
بَيْتاً ، وظلَّ اللّواءَ كَيْتاً^١ ، واستبدل من نقر الكِرانِ^٢ قرعَ الطُّبُول ،
ومن نَعَمِ القيانِ شجا الصَّهِيل ، ومن وَجِبَةِ المعازِفِ لَجَبَ الجيوش ؛
يَمْشِي في الهجير ، ويسري في الزَّمهرير ، ويَحِنُّ إلى الأذانِ والتَّكبير ؛
في خِطَّةِ إبليس ، ومَصْدَحِ^٣ الناقوس .

فصل : كنتُ أسمعُ من هذه المآثرِ والمكارمِ مثلَ نَفْحِ الصِّبَا ، وِقرعُ
أذني منها جَرَسُ^٤ أَلْدُّ من نعمةِ الصِّبَا ، فلا أَكْذَبُ ، لصدقِ الشَّاهد ،
وأمانةِ الناقل ، وكثرةِ القائل . والحكيمُ أبو فلانِ خادِمُ الشَّيْبِ ، ومُصلِحُ
العَيْبِ ، وله جُوارِشاتُ مؤلِّفةٌ ، حارَّةٌ مفلَكةٌ ، تكادُ تَرُدُّ الحِصِيَّ فحلاً ،
والثورَ المسنَّ عَجلاً .

فصل^٤ : أَجَلُ ما بيننا ارتضاعُ الكاسِ ، وشمُّ الآسِ ، والجريُّ في حافاتِ
الصِّبَا ، والصَّيدُ بالسَّكرِ في الرُّبَى ؛ وإنْ كانتِ هَنَاتٌ مخلقةٌ ، وأوقاتٌ
موبقةٌ ، ذهبتْ وبقي وزرُّها ، وظعنَتْ وأقام شرُّها ، فإنَّ المرجوعَ للعَليمِ
الحكيمِ ، ربِّ العرشِ العظيمِ .

وله من رقعةِ خاطبِ بها مجاهداً أميرَ دانيةَ وقته : قد يُخْلِيفُ الغمامُ ،
وتغديرُ اللثامِ ، وتُقطِعُ الأرحامُ . من عَزَّ بَزَّ ، ومن رَيْشَ طار ، ومن سارتْ
به الأَيَّامُ سار ، وعلى الجَدِّ المَدَّار . جدَّ كبا ، وحُسامٌ نبا ، وآمالٌ

١ س ب : كميتا .

٢ الكران : العود وقيل الصنج .

٣ ط : ومصرخ .

٤ سقط هذا الفصل من ط .

تفرقت أيدي سبباً . كلمات أنثرها عليك ، وآمال أصرّفها إليك . كتنا قبل أن ترمي بنا النوى مراميهما ، وتلقي الخطوب علينا مراسيها ، وتمخضنا الأيام مخضاً ، وتركض بنا الليالي ركضاً ، تربّي صعبة ، وحليفي صبوة ؛ قد تخلّينا عن الأنساب ^١ ، وانتسبنا إلى الآداب ، والدأر إذ ذاك صقب ، والملقى كتب ؛ فإذا شمخ بأحدنا مارن ، وثار به كمد ساكن ، بعثب على زمن ، وتقصر بإرادة عن سكن ، تعطينا كأس الشكوى ، وتجاذبنا جبل البلوى ، والزمان غير ، وحوصلنا صفر ، نترنم ترنم الحمّام ، على زرق الحمّام ؛ ثم ألفت الأيام علينا ^٢ بكلكل ، وأناخت من فوقنا بجران ، فثرتنا بكل فج عميق ، وأفق سحيق ، نثر الدرر ، شذر مدّر ؛ ونفحت عليك رياح السعد ، وجاءتك المنى من تهامة ونجد ، وامتطيت ظهر الجوزاء ، وافترشت لبدة العواء ؛ وكلما دعيت إلى النزال والعراك ، تترّست بالثريا وطعنت بالسماك ، فزحمت منكب الدّهر ، وقضيت أربك منه على قهر . فكان أوّل حيصتك عن الوفاء ، وحيدتك عن رعاية قديم الأخاء ، أن تركت المخاطبة ، وأضربت عن المكاتبة ، خشية أن يكون كلّنا عليك ، ورغبنا في ما لديك ، وهيهات ! يابى ذلك كرم محض ، وهمة علياء ماها خفض . ثم قلت : حمل أحسن الظن أجمل ، والقضاء بأكرم العهد أقبل ، قد تشتغل الرؤساء ، وتتجاذب العظماء ، وعينه مع ذلك راعية ، وأذنه راعية ، وإنما الوصل بالفؤاد لا بالمداد ، والالتقاء بالحلوم لا بالجسوم ، فانطويت على ودّ ، وثبتت على صحة عقد . ثم دارت الدّهور ، وطلع البشير ، أن قيل طالعكم عسكر جرار ، فيه لأسد العرين نار ، قضي لكم

١ ط : الانتساب .

٢ ط : علينا الأيام .

به الأمر ، وخفقت عليكم ألويةُ النصر ، فقلت : من زعيمُ هذا الجيش ؟
 قيل لي : أخوك أبو الجيش [١ قلت : رءُوفٌ عطوف ، شقاقٌ للصفوف ،
 وواحدٌ يعدلُ بالوف . وقلت : رُدَّ شهيدٌ في أمتك] ٢ من أمم ، وجاءتك
 تسعى على قدم ، وضَح الصبح لذي عينين ، وأمكن البطشُ ذا يدين ؛
 هذا حبيبك قائدُ أعتتها ، وذا خليلك مالك أزمتهما ، هذا أبو
 الجيش مُضْعَبٌ على مُقرب ، ومغضَبٌ يضربُ بمقَصَب ، آن لذهب العلم
 أن يَزِفَ ، وحن لجوهر الفهم أن يشف ؛ ويلٌ للجهل وبنيه ، وعشيرته
 وأقريبه .

وفي فصل ٣ : واقمتُ إخواناً لقوك ، فوالذي جعل الغدرَ من شعارهم ،
 والحذر من دثارهم ، ما أجروا في ذكرك ، فضلاً على أن يجروا ذكري لك .
 وهم يعلمون أن مرامي غيرُ مرماهم ، ومغزاي سوى مغزاهم ، ويوقنون
 أن أبعد آتالي في صديق إذا سما ، وأرفع رغباتي لديه إذا طمى ، انفراجُ
 بابه ، وانتهاكُ حجابيه ، يمتعني بإشراق وجهه ، ويوردني غديرَ بشره ،
 ويزنني بغيري من إخوانه ، ويضربني بسواي من أهل زمانه ، ولا يُقلِّلُ
 حظي من إكرامه ، ولا يهجرُ قسطني من لطيف اهتمامه ، بعد أن يعدلُ
 القيسطاسَ ، ويميزَ الذَّهَبَ من النحاس .

وفي فصل : وهذا أخف حمل وأيسر . فأدركني ما يُدركُ من طابَ
 غَرسه ، وكرُمت عليه نفسه ، وأزمتُ على المقاطعةِ ، فقلتُ : الصبرُ

١ في النسخ : أبو الحبش ، وصوابه ما أثبت ، لأنه يتحدث عن مجاهد ، وكنيته « أبو
 الحبش » .

٢ ط : شهيدي أمتك .

٣ هذا الفصل شديد الإيجاز في ط .

أولى ، والإنصاف أحجى ، لا بدَّ أن توفي الرجال مقاديرَها في أزمانها ، ويستحال^١ لها عند استحالة أعيانها ؛ وتخشعُ من أوهد لمن أصد سداد ، وتلين من أتهم لمن أنجد رشاد ، فتقلقل واضطربت ، وتجمعت لي وانقبضت ، ثم جاشت كما يجيش البحر ، له هممةٌ وزخر ، فقالت : ثكلتك المكارمُ يا ابن الأكارم ! ألسنت من أشجع في العلا ، ومن شهيد في الذرى ، وللخالق في صدرك حكمة ، وللرازق في حجرك نعمة ؟ تقول بهذه فتسمع ، وتغنى بتلك فلا تخضع . وساويت امرأة لم تحتج إليه ، ووازنته ما لم تطمع فيما لديه ؟ لا أسرّ إنما أعلن ، قيمة كل امرئ ما يحسن . قلت لها : فأين اليأس ؟ قالت : هو في القلب والرأس ، لئن أصابه غيرك فارساً ، إنك لغير بعيد منه راجلاً ، فقلت : لقد أدركتك عجرفية ، واستولت عليك أعرابية ، لا بدَّ من قصدي أبا الجيش^٢ ، قالت : ليهنك العيش . في أبرد من ظل الخيش ! وقصدتُك من جهتي ، فلم أشك ولم أقِر . ولم أعرف ولم أنكر ، وانصرفتُ يمين الحالتين ، لا قُرب ولا شَحْط ، ولا رضى ولا سُخْط .

[وعُرضت] فصول من كلامه على الكاتب أبي بكر المعروف باشكمياط^٣ فقال : فيقرَّ حسان إلا أنه عثر عليها . فوصل كلامه إلى أبي عامر فكتب إليه : ما أغنيركَ أبا بكر ، على نظم ونثر ، لو إليك كان العلم ، أو بكفك كان

١ ط : ويستحمل .

٢ في النسخ : إلى الخيش .

٣ هكذا ورد هذا الاسم في نسخ الذخيرة ، وفي المديح (٢ : ٣١) اشكهياط ، وفي النسخ (٢ : ٩٥) اشكنهاده ؛ واسمه محمد بن قاسم . وكثيراً ما يُدعى أبو بكر ، وهو من شهد الفتنة ، ثم استقر آخراً في دانية عند مجاهد .

الفهم ، لم تترك لأرض ^١ أعلاماً ، ولا لغيرك إنعاماً ؛ أحشأ ^٢ عند رعدتك ؟ !
 عرضتُ عليك الدُّرَّ منظوماً ، فقلت : نعمَ ما صنعتَ لو اخترعت ؛ وما
 أحسن ما أطلعتَ لو ابتدعت . معرضاً بالتقصُّص ^٣ ، ومشيراً إلى التلصُّص ؛
 هيهات ! لا يزيد الحزَّ من الغرَب : ولا يضيءُ السليط في < القصب > ^٤
 لأقطعنَّ حبالك هاجراً ^٥ ، ولا تتركن ليلك ساهراً .

وله في فصل : وإصابة ^٦ البيان لا يقومُ بها حفظُ كثير الغريب ،
 واستيفاءُ مسائل النحو . وإنما يقوم بها الطبع ^٧ مع وزنه من هذين : النحو
 والغريب ^٨ ؛ ومقدارُ طبع الإنسان إنما يكونُ على مقدارِ تركيبِ نفسه مع
 جسمه ، فمن كانت نفسه في أصلِ تركيبه مستويةً على جسمه ، كان مطبوعاً
 روحانياً ، يُطلع صُورَ الكلامِ والمعاني في أجملِ هيئاتها . وأروقِ لبساتها ؛
 ومن كان جسمه مستوياً على نفسه — من أصلِ تركيبه — والغالبَ على حسِّه ،
 كان ما يطلعُ من تلك الصور ناقصاً عن الدَّرَجَةِ الأولى في الكمال والتمام ،

١ ب س : الأرض .

٢ الخش : أن يرش الرامي سهمه ويلزق به القذ ، استعداداً للرمي ؛ ومثل هذا لا بد
 له من سداد يد وثبات جنان ، أما الرعدة فإياها لا تتفق وهذا الخش لأنها تسبب طيش السهم
 عند الرمي .

٣ التقصص : التتبع ، أي تتبع معاني الآخرين .

٤ هذه قراءة تنقيدية ؛ والمعنى أن الغرب بطبعه لا يصلح للسهم ، فإذا أعدته ليكون
 سهماً فإن الحز لن يزيد من قيمته ؛ كما أن السليط يضيء في قنديل بسيط ، ولا يضيء إذا
 وضع في القصب ، وهي أنابيب من الجواهر .

٥ ب : حبلك ؛ ب س : أجراً .

٦ س : صناعة الكلام وإصابة ...

٧ ط ب : بل بالطبع .

٨ النحو والغريب : زيادة من س .

وَحُسْنُ الرُّوْتَقِ والنَّظَامِ . فمن كانت نفسه المستولية على جسمه فقد تأتى منه في حسن النظام ، صوراً رائعة من الكلام ، تملأ القلوب ، وتشعف النفوس . فإذا فتشت لحسنها أصلاً لم تجده ، ولجمال تركيبها أسأ لم تعرفه ؛ وهذا هو الغريب ، أن يتركب الحُسْن من غير حُسْن ، كقول امرئ القيس ^١ :

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ وَأَهْلِهِا ————— بِثَرَبٍ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِي
فَإِنْ هَذِهِ الدِّيَابِجَةُ إِذَا تَطَلَّبتْ لَهَا أَصْلًا مِنْ غَرِيبٍ مَعْنَى لَمْ تَجِدْهُ ؛ وَكَقَوْلِ
أَبِي نَوَاسٍ ٢ :

طرحتم من الرجال ذِكْرًا فَعَمْنَا
فَلَوْ قَدْ شَخَّصْتُمْ صَبَّحَ الْمَوْتُ بَعْضَنَا
ثُمَّ قَالَ فِيهَا :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هـواك ، لعل الفضل يجمع بيتنا
فهذا من الكلام الغث ، واللفظ الرث ، الذي لو رآه حمار الكساح لأدركه ،
ولكن له من التعلق بالنفس ، والاستيلاء على القلب ما ترى .

وفي فصل له : وقول الجاحظ : إِنَّا إِذَا اكْتَرَيْنَا مِنْ يَـٰلَمٍ صَبِيَانَنَا النِّحْوَ

١ زادني ب س : ألأعم صباحاً أها الطلل البالي ، وقوله ؛ وانظر ديوان امرئ القيس : ٣١ .

٢ دیوان اُبی نواس : ٤٥ .

والغريبَ قنعَ منّا بعشرين درهماً^١ في رأس كل شهر^٢ ، ولو اكترينا من يعلمهم البيان لما قنعَ منّا بألف درهم . ولم يقل هذا إلاّ وقد ألف « كتاب البيان » . ولو كشفَ فيه عن وجهِ التعليم ، وصوّرَ كيفيةَ التدريج ، لأرى كيف وضعَ الكلام ، وتزيينُ البيان ، وكيف التوصلُ إلى حُسْنِ الابتداء ، وتوصيلُ اللَّفْظِ بعد الانتهاء ، وأبدى لهم عن تدبيرِ المقاطع والمطالع ، فإنّها معادنُ الصَّنعة ، ومواضعُ مفاتيحِ الطَّرِيقَةِ ؛ ولكنّه استمسكَ بفائده ، وضمنَ بما عنده ، غيرةً على العلم ، وشُحّاً بثمرةِ الفهم ، وعرفَ أنَّ النفعَ كثير ، والشاكر قليل ، فلم يُفِدْ بما أوضح من أمرِ البيان فائدةً غير أهله ، ومن كرّع في حوضه ، واستتافَ من ندّة^٣ . وأمّا أن يُخرَجَ مبتدئاً ، أو أو يُعلِّمَ جاهلاً فلا ألبتّة .

وفي فصل له : قال أبو عامر : وقد كُنّا أطعمنا من هذا الطعامِ بعضَ التلاميذ ، فاستطابّه وعَلِّمَ مقداره ، ولكنَّ البطالةَ على الفِتيانِ غالبيةٌ ، والسّامةُ عليهم مستولية ؛ فمن بنى على تعليمِ هذا الشأنِ فلا يعلمُ إلاّ أهل النجاجةِ والمثابرةِ على التعليم ، لأنّه من لم ينجبْ له تلميذَ حُميلَ عليه ذلك النقص ، وظنَّ به العجز .

جلس إليّ يوماً يوسفُ بنُ إسحاقَ الإسرائيليّ ، وكان أفهمَ تلميذٍ مرّ بي ، وأنا أوصي رجلاً عزيزاً عليّ من أهل قرطبة ، وأقول له : إنَّ للحروف

١ س : ديناراً .

٢ ط : في الشهر .

٣ س : واشتار من ثغره .

٤ ط : يوسف الإسرائيلي .

أنساباً وقرابات تبدو في الكلمات ، فإذا جاورَ النسيبُ النسيبَ ، ومازجَ
القريبُ القريبَ ، طابتِ الألفةُ ، وحسنتِ الصحبةُ ؛ وإذا رُكبتِ صُورُ
الكلامِ من تلكَ ، حسنتِ المناظرُ ، وطابتِ المخابرُ ، أفهمتُ ؟ قال لي : إي
والله ؛ قلتُ له : وللعذوبةِ إذا طُلِبَتِ ، والفصاحةِ إذا التُمِسَتْ ، قوانينُ
من الكلامِ ، من طلبَ بها أدركَ ، ومن نكبَ عنها قصرَ ، أفهمتُ ؟ قال :
نعم ، قلتُ : وكما تختارُ مليحَ اللفظِ ، ورشيقَ الكلامِ ، فكذلكَ يجبُ أن
تختارَ مليحَ النحوِ ، وفصيحَ الغريبِ ، وتهربَ عن قبيحه ، قال : أجلُ ،
قلتُ : أتفهمُ شيئاً من عيونِ كلامِ القائلِ ¹ :

لعمركَ إني يومَ بانُوا فلمْ أُمْتُ خُفَاتاً على آثارهم لصبورُ
غداة التقينا² إذ رَمَيْتِ بنظرةٍ ونحن على متن الطريق نسيـر
ففاضتْ دموعُ العينِ حتى كأنها لِنَاظِرِهَا غُصْنٌ يَرَا حُ مَطِيرُ

فقال : إي والله ، وقعتُ « خُفَاتاً » موقعاً لذيذاً ، ووُضِعَتْ « رَمَيْتِ »
و « مَتَسَّنِ الطَّرِيقِ » وضعاً مَلِيحاً ، وسرى « غُصْنٌ يَرَا حُ مَطِيرُ » مسرىً
لطيفاً ، فقلتُ له : أرجو أنكَ تنسَمَتَ شيئاً من نسيمِ الفهمِ ، فاغدُ عليَّ
بشيءٍ تَصْنَعُهُ . قال أبو عامر : وكان ذلك اليهوديُّ ساكتاً يعي ما أقولُ ؛
فعدا ذلك القرطبي فأنشدني :

حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْحِمَالِ لَقَدْ وُزِنْتُ كُرُوبِي بِالْجِبَالِ

١ وردت الأبيات منسوبة لأعرابي في شرح المختار من شعر بشار : ٢٥٠ وأما القاضي

٢ : ٢٧١ وحماصة ابن الشجري : ١٦١ وأما المرتضى ١ : ٥٠٠ .

٢ المختار : المنقى .

في أبياتٍ تشبهه . وجاء اليهودي فأُنشدني :

أَيِّمَمَ رُكْبَانُهُمْ مَنَعِجَا وقد ضَمَنُوا قلبكَ الهودَجَا ؟

واستمرَّ إلى آخر قصيدته ، فأتى بكلِّ حَسَنٍ ^١ ، فقالَ لي ذلك القرطبيّ :
شِعْرُ الْيَهُودِيِّ أَحْسَنُ مِنْ شِعْرِي ، قلتُ : ولا بأسَ بفهمِكَ إذْ عَرَفْتَ
هذا . ولم يزلْ يتدربُ باختلافه إليَّ حتَّى نَدَيْتُ رَبُّهُ ، وطلَعَ عُشْبُهُ ،
ثم تَفَتَّحَ زَهْرُهُ ، وضَاعَ عَبَقُهُ . ورآني أستعملُ وحشيَّ الكلامِ في موضعيهِ
ولم يَشْعُرْ بحسنِ الوضعِ فاستعملَ شيئاً منه وعَرَضَهُ عَلَيَّ ، فقلتُ : استره ،
فقال : تَبَخَّلُ عَلَيَّ بِهِ . وعَرَضَهُ عَلَيَّ ابْنُ الْإِفْلِيلِي ، فقال له : تنكَّبُ هذا
الكلامَ ، فقال له : إن أبا عامرٍ يستعملُهُ ، فقال : يَضَعُهُ في موضعيهِ ،
وهو أدْرَبُ منك في استعمالهِ ^٢ .

وفي فصل له : وربَّما لاذ بنا المستطعمُ باسمِ الشَّعْرِ ممن يَخْبِطُ
العامَّةَ والخاصَّةَ بسؤالِهِ ، فيصادفُ منّا حالةً غيرَ ذاتِ فَضْلَةٍ ، لا تَتَّسِعُ
له في كبيرِ مَبَرَّةٍ ، فنُشَارِكُهُ ونعتذِرُ له : وربَّما أفدناهُ بأبياتٍ يعتمدُ بها
البَقَالَيْنِ ومَشِيخَتَ الْقَصَّابَيْنِ ، فإذا قَرَعَتْ ^٣ أسماعَهُمْ ، ومازَجَتْ
أفهامَهُمْ ، دَرَّ حَلَبُهُمْ ، وانحَلَّتْ عُقْدُهُمْ ، وجَلَّ شَخْصُ ذَلِكَ
البائسِ في عيونِهِمْ ، فما شِئْتُ إذ ذاك من خُبْرَةٍ وَثِيرَةٍ يُحْشَى بها كُفْمُهُ ،
ورِقَبَتُهُ سَمِينَةٌ تُدْفَنُ في مِخْلَاتِهِ ، ومن كُوزٍ فُقُقَاعٍ يُصَبُّ في فَمِهِ ،
وتِينَةٍ رَطْبَةٍ يُسَدُّ بها حلقومُهُ ، وسَنَبُوسَقَةٍ وَدِكَّةٍ تُدَسُّ تحت لسانِهِ ،

١ س : بكلِّ شيءٍ حسن .

٢ زاد في ب س : فانصرف إلي وعرفني بما جرى وسألني أن اكشف له السر فقلت ..

٣ ب س : قارعت .

وفالو ذِجَةَ رَطْبَةٍ يُحْنَكُ بِهَا حَنْكُهُ ، فلا يكادُ البائسُ يستتمُّ ذلكَ حتى يأتينا فيُكَبَّ على أيدينا يُقَبِّلُهَا ، وأطرافنا يَلْطَعُهَا ، راعباً في أن نكشِفَ له السرَّ الذي حرَّكَ العامةَ فذَلَّتْ ما عندها له ، وبادرتْ بدَرها إليه . وتعليمه ذلكَ النَّحوَ من أنحاء السَّحرِ لا نستطيعُه ، لأنَّ هذا الذي يُريدُه مِنَّا هو تعليمُه البيانَ ، وبين فكرِه وبينه حجابٌ ؛ ولكل ضَرْبٍ من الناسِ ضربٌ من الكلامِ ، ووجهٌ من البيانِ ؛ والمرءُ لا يُفَجِّرُ صَفَاةَ غيره إلاَّ أن يُوفِّيَ على معرفةٍ ذلكَ بفَهْمِهِ التَّبَيُّنِ والتَّبَيُّنِ ، ويكونَ من المستنَبِطِينَ بوجوهِ^١ الحيلِ على قوانينَ قائمةٍ ، وأصولٍ ثابتةٍ ، فتكونَ النتيجةُ ما سمعت .

وفي فصل : وأصعبُ من هذا تحريكُ البخلاء من الكبراء إلى البذل ، لأنهم بعادتهم لا تُمكن نُقْلَتَهُمْ لِعَزَّتِهِمْ ، ولما اشتملتْ عليه ثيابُ مجدهم ، فلا ينجعُ تَقْرِيطُهُمْ ؛ فيها هنا يُحتاجُ إلى أثْقَبِ ما يكونُ من الذهنِ ، وأوسع ما يُمكنُ من الحيلةِ ، إلاَّ أنَّ هذه العِصَابَةَ لا يتمكَّنُ لذي التفاهةِ تحريكُها ، ولا بدَّ لها من طبقةٍ يكونُ لها في العينِ بعضُ التصويبِ والتصعيدِ ، ولهذا صار سبُّ الأشرافِ عسيراً عويصاً ؛ فإنَّكَ تجدُهُم يتدحرجُ عنهم قبيحُ المقالِ ، ولا يُضَعِّضُهُمْ خبيثُ الكلامِ ، لقُوَّةَ بُنيانِهِمْ ، وثباتِ أركانِهِمْ ؛ فَهَدَمُ بُنيانِ هؤلاءِ صعبٌ^٢ ، ولذلك فَخَرَتِ العربُ بمن لا يمكنُ له ذلكَ فيهم من أهلِ الكلامِ^٣ ، ولذلك < نوهوا بمن يحسن > سبَّ

١ ب س : بجميع .

٢ ب س : أضعف (اقرأ : أصعب) .

٣ أي أن العرب يفتخرون بأولئك الذين لا يستطيع أهل الكلام هدم بنيانهم ؛ وفي العبارة بعض التواء ؛ وانظر حديث الجاحظ (في الحيوان ٢ : ٩٣ والبيان ٤ : ٤١) عن هجو الشعراء للأشراف .

الأشراف ، واستحسنوا من ذلك قول ابن صفوان في شبيب : ليس له صديق في السر ، ولا عدو في العلانية ^١ .

وفي فصل له : قال أبو عامر : وكما أن لكل مقام مقالاً ، فكذلك لكل عصر بيان ، ولكل دهر كلام ، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة ، وضرب من البلاغة ، لا يوافقها غيره ولا تهش لسواه . وكما أن للدين دولاً ، فكذلك للكلام نُقل وتغايُر في العادة . ألا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض للرسم الأول في هذا الفن إلى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من أهل البيان ^٢ ؟ فالصنعة معهم أفسحُ باعاً ، وأشدُّ ذراعاً ، وأنورُ شعاعاً ، لرُجحان تلك العقول ، واتساع تلك القرائح في العلوم . ثم دار الزمان دوراً ، فكانت إحالة أخرى إلى طريقة إبراهيم بن العباس ومحمد بن الزيات وابني وهب ونظرائهم . فرقت الطبائع ، وخف ثقل النفوس . ثم دار الزمان فاعترى أهله باللطائف صلف ، وبريقة الكلام كلف ، فكانت إحالة أخرى إلى طريقة البديع وشمس المعالي وأصحابهما .

وكذلك الشعراء انتقلوا عن العادة في الصنعة بانتقال الزمان ، وطلب كل ذي عصر ما يجوز فيه ، وتهش له قلوب أهله ^٣ ، فكان من صريح الغواني وبشار وأبي نواس وأصحابهم في البديع ما كان ، من استعمال أفانينهِ والزيادة في تفريع فُنونهِ . ثم جاء أبو تمام فأسرف في التجنيس ، وخرج عن العادة ، وطاب ذلك منه ، وامثله الناس ، فكل شعير لا يكون اليوم

١ يعني خالد بن صفوان وشبيب بن شيبه وكانت الحال بينهما قائمة على المناقشة والمحاسبة ؛ وكلمة خالد هذه في البيان ١ : ٤٧ قال الجاحظ : وتدل كلمة خالد هذه على أنه يحسن أن يسبب الأشراف .

٢ ط : وسهل بن هارون وأصحابهم .

٣ ب س : ويعطِب على قلوب أهله .

تجنيساً أو ما يُشبهه تَمَجُّه الآذان ، والتوسُّطُ في الأمرِ أعدلُ ، ولذلك فَضَّلَ
أهلُ البصرةِ صريحَ الغواني على أبي تَمَّامٍ ^١ ، لأنه لَبِيسٌ دِيابِجَةُ الْمُحَدِّثِينَ
على لَأَمَةِ الْعَرَبِ ، فَتَرَكَّبَ لَهُ مِنَ الْحُسْنِ بَيْنَهُمَا مَا تَرَكَّبَ .

وفي فصل له : قال أبو عامر : وأهلُ صناعةِ الكلامِ مُتَبَايِنُونَ فِي الْمَنْزِلَةِ ،
مُتَفَاوِلُونَ فِي شَرَفِ الْمَرْتَبَةِ ، عَلَى مَقْدَارِ إِحْسَانِهِمْ وَتَصَرُّفِهِمْ .

فمنهمُ الَّذِي يَنْظِمُ الْأَوْصَافَ ، وَيَخْتَرَعُ الْمَعَانِي ، وَيُحَرِّزُ ^٢ جِدَّ
اللَّفْظِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَصْعَبُ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ، وَيَكْذُبُ قَرِيحَتَهُ التَّأْلِيفَ ، حَتَّى إِنَّهُ
رُبَّمَا قَصَرَ فِي الْوَصْفِ ، وَأَسَاءَ الْوَضْعَ . فَهَذَا فِي الْأَبْيَاتِ الْقَلِيلَةِ ^٣ نَافِرٌ ،
وَفِي الْقَرِيَةِ الْمَأْخُذِ سَائِرٌ ، وَفِي طَرِيقَةِ الْجُمْهُورِ الْأَعْظَمِ ذَاهِبٌ ، حَتَّى إِذَا
ازْدَحَمَتْ عَلَيْهِ ، وَانْحَشَدَتْ إِلَيْهِ ، وَطَالَبَتْهُ بِيَهَاءِ الْبَهْجَةِ ، وَشَرَفِ الْمَنْزِلَةِ ،
وَقَفَّ وَانْقَلَبَ ، وَتَلَاشَى وَاضْمَحَلَّ .

ومنهمُ الْكَارِعُ فِي بَحْرِ الْغَزَارَةِ ، الْقَادِحُ بِشُعَاعِ الْبِرَاعَةِ ، الَّذِي يَمُرُّ مَرَّةً
السَّيْلَ فِي انْدِفَاعِهِ ، وَالشُّؤْبُوبِ فِي انْصِبَابِهِ ، لَا يَشْكُو الْفَشَلَ ، وَلَا يَكِيلُ
عَلَى طَوْلِ الْعَمَلِ ، إِذَا اَزْدَحَمَتْ فِي الْكَلَامِ عَلَيْهِ الْمَطَالِبُ ، وَعَلِقَتْ بِخَوَاشِي
فِكْرِهِ الْمَآرِبُ ، وَحُشِرَتْ عَلَيْهِ الصَّعَائِبُ وَالْغَرَائِبُ ، اسْتَقْلَّ بِهَا كَاهِلُهُ ،
وَاضْطَلَعَ بِثِقَلِهَا غَارِبُهُ ، وَأَعَارَهَا مِنْ نَظَرِهِ لَمَسْحَةٌ ، وَمِنْ فِكْرِهِ قَدْحَةٌ ،
ثُمَّ رَمَى بِهَا عَنْ جَانِبِهِ ، قَدْ رَوِيَتْ بِمَائِهَا ، وَلَبَسَتْ شُعَاعَ بَهَائِهَا ، وَبَقِيَ

١ ط : عليه .

٢ ط : ويحرر .

٣ س ب : القلائل الأعداد .

كالقوة في المرقب ، سام نظره ، قد ضم جناحيه ، ووقف على محله ،
لا تتاح له جراحة إلا اقتصها^١ ، ولا تنازل طائره إلا اختطفها ، جرأته
كشفرته ، وبديته كفكرته ، فذلك الألسن يوم حرب الكلام ، لا تخطيء
ضربته ، ولا تصاب غرته .

ومنهم من يتجافى الكلام ، ويروغ عن المقال ، فإذا مُني به ، أخذ
بأطراف المحاسن ، وشارك في أنحاء من الصنعة ، وجل ما عنده تلفيق
وحيلة ، وبذلك يُصاحب الأيتام ، ويُجاري أبناء الزمان ، ما كان له عقل
يغطي على نقصانه ، وسياسة يسوس بها فحول زمانه . ومن خرج عن
هذه الطبقات الثلاث لم يستحق اسم البيان ، ولا يدخل في أهل صناعة الكلام .

وفي فصل له : قال أبو عامر : وقوم من المعلمين بقُرْطُبَتَيْنَا^٢ ممن
أتى على أجزاء من النحو ، وحفظ كلمات من اللغة ، يحنون على^٣ أكباد
غليظة ؛ وقلوب كقلوب البُعران ، ويرجعون إلى فِطْنٍ حمئة ،
وأذنان صدئة ، لا منفذ لها في شعاع الرقة ، ولا مدب لها في أنوار
البيان . سقَطَ إليهم كُتُبُ في البديع والنقد فهموا منها ما يفهمه القرد
اليمني من الرقص على الإيقاع ، والزمر على الألحان ، فهم يصرفون
غرائبها فيما يجري عندهم تصريح من لم يرزق آلة الفهم ، ومن لم تكن
له آلة الصناعة ، مما هي مخصوصة بها ، لا تقوم تلك الصناعة إلا بتلك الآلة ؛

١ س ب : اختصها .

٢ ب س : عندنا .

٣ ب س : يحنون من .

٤ ب س : أفكار .

فهو كالحمار لا يمكنه أن يتعلم صناعة ضرب العود والطنبور ، لتوثد رُسغه ،
واستدارة حافره ، ولا له بنان يتجس به على دَسْتَبان. ولو جاز أن يكون
حمارٌ يغني :

ما بالُ أنجُمِ هذا الليلِ حائرةٌ أضلّتِ القصدَ أم ليست على فلك^١
وشبهه ، من أجل أن له حنكاً وليساناً وقصبة رثة ، لما جاز أن
يوقع بالمضرب على الأوتار ، ويتم بحس الأناميل ، ويرخي الوتر في
مجرى السبابة والبنصر ، فيسلبيل بنشيدِه ، ويؤكول في ضربه على
بسيطه .

فهذه حالُ العصابة من المعلمين : يدركون بالطبيعة ، ويقصرون
بالآلة^٢ . وتقصيرُهم بالآلة هو من طريق العليل الداخلة من فساد الآلة
القابلة للروحانية ، والحادمة لآلات الفهم ، الباعثة لرقيق الدّم في الشرّيات
إلى القلب ، وزيادة غلظ أعصاب الدماغ ونقصانها عن المقدار الطبيعي .
يُعينُ على ذلك بالحدس وطريق الفراسة فساد الآلة الظاهرة ، كفرطحة
الرأس وتسفيطه^٣ ، وتواء القمحدوة ، والتواء الشدق ، وخزّر
العين ، وغلظ الأنف ، وانزواء الأرنبّة . فنستعيد بالله ألا يشوه خلقه قلوبنا ،
ولا يجسي أجرام أكبادنا ، ويضمّ أوتارنا وأعصابنا ، ولا يعظم أنوفنا ،
ولا يجعلنا مثلة للعالمين .

١ من أبيات في المختار من شعر بشار : ١٥ والشعر لمحمد بن قرقمان .

٢ ب س : بالآلة .

٣ ط : وتبسطه .

وفي فصل له : وليس العجبُ في هذه العصابةِ إلاَّ من أبي القاسم^١ ، فإنه زاد عليهم في الصناعة ، وبزَّهم بِوُفُورِ البِضَاعَةِ . دخلَ الشعراءُ فأخَذَ لباقتهم ، وصار في جملة الكتاب فاستعار صلفهم ورشاقتهم ، وباشرَ أهلَ الحسابِ فاستفاد طريقةَ البراهين^٢ ، وناظر أهلَ الجدَلِ^٣ فتعلَّم القوانين ، وعرفَ عناصرَ الكلام ؛ فكل علم يزعمُه قبضُ يده ، وكل جيدٌ وهزلٌ فالإيه منسوبٌ ، وعنه مأخوذٌ ؛ وهو مع ما اجتمع له من ذلك كُلُّه ، وحُبِّي به ، أشدهم صَبَابَةً^٤ . بالآءِ يكونُ بالأندلسِ مُحَسَّنٌ^٥ سواء ، ولا مجيدٌ حاشاه . وكانَ الرَّأْيُ عِنْدِي له أن يَسْكُنَ أرضَ جَلِيْقِيَّةٍ أو قَطْرًا بعد عن الإسلام ، حتى^٦ لا يسمعَ فيه لخطيبٍ ذكراً ، ولا يُحِسَّ لشاعرٍ رِكْزاً ، فيكون هناك فَرْدًا .

ومنَ العَجَبِ أيضاً في أمره أنَّ كلَّ كاتبٍ كتبَ للسلطين عندنا ، وكلَّ شاعرٍ مدحهم ، رُوِيَ أشعارُهُ ورسائلُهُ غيرَ أبي القاسمِ وحده . على أنه إنما جلس للتعليم على هذا المعنى . وربما عرَّضَ بأن يؤخِّدَ منه شيءٌ من أشعارِهِ ورسائله ولا يجيِّه تلميذٌ ؛ والمحرومُ محرومٌ ؛ ولو أنه اشترى

١ يعني ابن الفليلي .

٢ ط : البرهان .

٣ ط : الجدال .

٤ ط : قنص .

٥ ب س : ضنائة .

٦ ط : حيث .

الزَّيْبَ لصبيان المساجد ، وقُشُورَ أَصْلِ الجوزِ لَصَبْعٍ شفاه خراجيات^١ الخانات ، وروى الطبقتين ما عنده ، لَعَرَضَتَا رسومه وجعائله ، ورويتا أشعاره ورسائله ، وغنتا بها على قوارعِ الطرق ومناقعِ المياه ومطارجِ الزبول ، كما تغنيان أشعارهما ، وتسعان^٢ حماقتهما ، فيكون ذلك سبباً إلى أنْ تَدِبَّ وتدرُجَ ، وتعتاد الطيرانَ فتطيرَ ، ويراهن الناسُ فتُعرفَ . وهو مع هذا كله^٣ يسمينا الهمج الهامج ، ويسمي البديع والصَّابيءَ وشمسَ المعالي العَضَّارِيطَ . وهو أبخلُ أهلِ الأرضِ لا محالة . ولم يُقَصِّرْ بنسأ عنده إلا توقيرُنا لثغامتة^٤ . وهو يرى أنْ بعضَ صبياننا قد أفلقوه حين قالوا : ليست مشيتُهُ مشيَّةَ أديب ، ولا وجهُهُ وجهَ أريب ، ولا جلسَتُهُ جلسةَ عالم ، ولا أنْفُهُ أنْفَ كاتب ، ولا نغمَتُهُ نغمةَ شاعر . وحكوا أنه إذا مشى الخيزلي ، وتقدَّم قليلاً ثمَّ رجعَ القهقري ، والقصةُ في يده ، والخرجُ على عاتقه ، أحذقُ الناسِ في إخراجِ لعبةِ اليهودي ، فأفلقوه بما يسمع ، فكيفَ لو عضَّتْه أنيابٌ غيرُ مفلولَةٍ ، وخدشته أظافرُ غيرُ مقلَّمةٍ ؟

١ في النسخ : حراجيات ، والصواب « خراجيات » بالخاء المعجمة ، وقد جاء في رسالة ابن عبدون في الحسبة : ٥٠ « يجب أن ينهى نساء دور الخراج عن كشف رؤوسهن خارج الفندق » فسماهن « نساء دور الخراج » ؛ وقال ابن هشام في كتاب لحن العامة : « ويقولون لمن يسكن في الفنادق من النساء : خرجيرات ، والصواب « خراجيات » منسوبات إلى الخراج » (انظر مجلة معهد المخطوطات ٣ - ١ : ١٥٦) .

٢ لعل صوابه : « وتسمعان » .

٣ ومن العجب ... هذا كله : سقط من ط ؛ وبدئت العبارة بقوله : « ومن الغرائب أنه يسمينا الهمج ويسمي البديع » .. الخ .

٤ ط : لثامته .

٥ ط : أظافير .

وفي فصل له : ذكر يوماً عند أبي القاسم سهل بن هارون والجاحظ ،
فصّرب فيهما مثل العامة : بينهما ما بين الملائكة وصبيان الحرّس . هذا من
الإنحاء العظيم على سهل . والأولى أن يُسمّيا محسنين ، إلا أن سهلاً كاتب
سلاطين ، والجاحظ مؤلف دواوين . وقد يؤدي النظر إلى أنهما في طريقتين
مختلفتين ، وكلاهما محسن في بابيه ؛ إلا أنه لم ير أغبن من الجاحظ لنفسه ؛
إن كان واحداً ^١ البلاغة في عصره ، فما باله لم يلتمس ^٢ بها شرف
المنزلة بشرف الصنعة ، وقد رأى ابن الزيات وإبراهيم بن العباس بلغا بها
ما بلغا ، وهو يلتمس فوائدهما والجاه بهما ؟ فلا يخلو في هذا إما أن يكون
مُقصرّاً عن الكتابة وجمع أدواتها ، أو يكون ساقطاً المهمة . أو يكون
إفراطاً جحوظ عينيه قعد به عنها ، كما قصّر بي أنا فيها ثقل سمعي ، وبأبي
القاسم ورم أنفه . إذ لا بدّ للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليها عينه ،
وأذن ذكبة تسمع منه حسه ، وأنف نقي لا تدم أنفاسه عند
مقاربتة له . ولذلك استحسنوا من الكاتب أن يكون طيب الرائحة ، سايم
آلات الحواس ، نقي الثوب ، ولا يكون وسخ الضرس ، منقلب
الشفة ، مكحل الازفور ، وضر الطوق . وربما أنكر مُنكر قولنا في
شرط جمع أدوات الكتابة فقال : وأي أداة نقصت الجاحظ ؟ فنقول :
أول أدوات الكاتب العقل ، ولا يكون كاتب غير عاقل . وقد نجد
علماً غير عاقل ، وجدلياً غير حصيف ، وفقهاً غير حليم . وقد وجدنا من
ينسب العقل إلى سهل ^٣ أكثر من نسبته ^٤ إلى الجاحظ . لو شهد الجاحظ

١ ط : كان واحداً في البلاغة .

٢ ط : يلبس .

٣ ط : لسهل .

٤ ب : مما ينسبه .

سهلاً يُخادَعُ للرَّشيدِ مُلكاً ، ويدبِّرُ^١ له حرباً ، ويعاني له إطفاءَ جمرةٍ
فتنة ، مستضلعاً في ذلك كله بعقله ، وجوده^٢ علمه ، لرأى أن تلك
السياسة غيرُ تسطيرِ المقال ، في صفةِ غراميلِ البغال ، وغيرُ الكلامِ في
الجُرذان ، وبناتِ وِرْدَان ، ولَعَلَّم أن بين العالم والكاتب فرقاً .

وفي فصل له : ومن دليل تقصيرِ عصابة المعلمين أنهم لا يُقدِّمون أن
يجعلُوا^٣ ما يحملون من المعرفة تصنيفاً ، ولا تغزُرُ مادَّتُهم أن ينشئوها
تأليفاً ، وإنما تفسو به أنفاسهمُ فسواً بين تلاميذهم ، ولا يتقدِّرُ أن يزيدَ في
النفعِ فيضِيطَ به ضُراطاً يسمعُ . فهم في ذلك أمثالُ الجنادب ، وقُرَّاءُ
الحنافس ، لا توازنُ الظَّربانَ في قوةِ فُسائِه ، وإن زادت عليه في نَتْنِه .
ولا يبلغونَ درجةَ الحمارِ الوحشيِّ في شدةِ ضُراطه ، وإن شاركوه
في اسمه . ولا تُروى لهم نادرة ، ولا تؤثرُ عنهم في البلادِ شاردة .

قال : ومما علَّم من خلقِ هذه العصابةِ إذا لمحتنا أبصارُهم قابلونا
بالمَلَقِ ، وهم منطوونَ على حَسَدٍ وحنق . فإذا جمعتنا المحافل ، وضممتنا
المجالس ، تَراهمُ إلينا مُبْصِصين ، وعن الأخذِ في شيءٍ من تلك المعاني
زائغين . وإنما يتبينُ تقصيرُ المُقَصِّر ، وفضلُ السابقِ المبرِّز ، إذا اصطككتِ
الرُّكَب ، وازدحمتِ الخلق ، واستعجلَ المقال ، ولم تُوجدْ فُسْحَةٌ
لفكرةٍ ، ولا أمكنتْ نظرةٌ لرويةٍ ؛ أو في مجالس الملوكِ عند أنسها
وراحتها ، فإنه يقعُ فيها ، ويجري لديها ، ما لا ينفعُ^٤ له الاستعداد ، ولا

١ ب س : ويدبر .

٢ ب س : وتجربة .

٣ ب : يحيلوا .

٤ ب س : يقع .

ينفدُ فيه غيرُ الطَّبْعِ والغريزةِ المتدفقة . فترى الجوادَ السابقَ إذ ذاك متشوّفاً بأذُنِه ، باحثاً^١ لكديد الإحسان بيده ، طامعَ النَّظَرِ ، صهصلقَ الصَّهِيلِ ، وأهلُ الصنعةِ خُرُس ، لا يُسمع لهم جَرَس ، ولا شيء عندهم غيرُ حُسِّ الكاس ، وشَمِّ الآس ، وتنفسِ الصُّعداءِ ، قد اصفرَّت ألوانهم ، وقلصت شفاههم ، كأنهم من رجال عذرة . وما أذكر أني فُزْتُ من هذا المجلس بخطرٍ غيرَ مرَّة ، بين يديَّ هشام بن محمد ، والمجلسُ قد غصَّ بالعمائم والطماطم^٢ من أهل المصرِ لجوابِ بعضِ الرؤساء عن فصولٍ خبيثةٍ حادةٍ لا جواب فيها ولا عُدْرَ عنها. فجرى ما أكرهُ ذكره من أجلِ أنَّه متصلٌ بتعجيز أهل البيضة ، والغصّ من الأصحاب ، على أنهم جُدراءُ بذلك ، لقلة إتصافهم لنا ، وتسَلُّطهم علينا ، وإسرافهم في ثلبنا .

فصول من رسالة سمّاها بالتوابع والزوابع ، وإن صدرت عنه
مصدرَ هزل ، فتشتملُ على بدائعِ روائع .

قال في صدرِها^٣ مخاطباً لأبي بكر ابن حزم^٤ : لله أبا بكر ظنّ

١ ب س : باعثاً .

٢ ط : قد غص بالطماطم ؛ ب س : بالجماجم .

٣ ط : مصدرها .

٤ هو أبو بكر يحيى بن حزم شيخ من شيوخ الأدب ، قال الحميدي (الجذوة : ٣٥١ والبلغية رقم : ١٤٦٦) وهو الذي خاطبه أبو عامر ابن شهيد برسالة التوابع والزوابع التي سماها « شجرة الفكاهة » وهو من بيت آخر غير بيت الفقيه أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم . قلت : إن جهل هذه الحقيقة وهي عدم وجود أية صلة من قرابة بين أبي بكر ابن حزم والفقيه المشهور ، أوقع عدداً من الدارسين في استنتاجات خاطئة حول رسالة التوابع والزوابع (انظر مثلاً : ابن شهيد لشارل بلا ص : ٩٥،٥٤) .

رميته فأصميت ، وحدّسُ أملتَه فما أشوّيت ! أبديتَ بهما وجهَ الجليّة ، وكشفتَ عن غُرّةِ الحقيقة ، حين لمحتُ^١ صاحبك الذي تكسبته ، ورأيتَه قد أخذ بأطرافِ السماء ، فألفَ بين قَمَرِها ، ونظّمَ فرَقَدَينِها ، فكلّما رأى ثَغْرًا سدّه بسُهاها ، أو لمحَ خَرَقًا رَمّه بزُبّانها ، إلى غير ذلك . فقلتُ : كيف أوتيَ الحُكْمَ صَبِيًّا . وهَزَّ بِجَذَعِ نَخْلَةِ الكلام فاسأقطُ^٢ عليه رُطْبًا جَنِيًّا ؟ أمّا إن به شيطانًا^٣ يهديه ، وشيصبانًا يأتيه ، وأقسِمُ أنّ اه تابعة تُنجدُه ، وزابعةٌ تؤيدُه . ليس هذا في قُدْرَةِ الإنسانِ ، ولا هذا النَّفْسُ لهذه النَّفْسِ . فأما وقد قُلْتُمُهَا أبا بكرٍ فأصيحُ أسمعك العَجَبَ العُجَابَ :

كنتُ أيامَ كُتَابِ الهجاء ، أحنُّ إلى الأدباء ، وأصبو إلى تأليفِ الكلام ، فاتبعتُ الدّواوين . وجلستُ إلى الأساتيدِ ، فنَبَضَ لي عرقُ الفهم ، ودَرَ لي شريانُ العلم . بموادِ رُوحانية ، وقليلُ الالتماحِ من النظرِ يزيديني^٤ . ويسيرُ المطالعة من الكتبِ يفيديني ، إذ صادفَ شَنِ العلمِ طَبَقَه . ولم أكنُ كالثلجِ تَقْتَبِسُ منه نارًا ، ولا كالحمارِ يحملُ أسفارًا . [فطعنْتُ ثَغْرَةَ^٥ البيانِ دراكا . وأعلَقْتُ رِجْلَ طيرِهِ أشراكًا ، فانثالتُ لي العجائبُ ، وانهاالت عليّ الرغائبُ] . وكان لي أوائلَ صَبَوْتِي هوَ اشْتَدَّ به كَلَفِي ، ثم لحقني بعدُ مَكَلٌ في أثناءِ ذلك الميلِ . فانفقَ أن مات من كنتُ أهواه مدّةً

١ ط : لما رأيت .

٢ ب س : فتساقطت .

٣ ب س : أولى أن له سلطانًا .

٤ ب س : يوقدني .

٥ ط : تغر .

٦ ب س : لئثر .

ذلك الملل ، فجزعتُ وأخذتُ في رثائه يوماً في الحائر^١ ، وقد أبهمت عليّ أبوابه ، وانفردتُ فقلتُ :

تولى الحمامُ بظبي الخُدُورِ وفاز الرّدَى بالغزالِ الغريرِ
إلى أن انتهيتُ إلى الاعتذارِ من المللِ الذي كان ، فقلتُ :

وكنْتُ مللتُكَ لا عن قلبي ولا عن فسادٍ جرى في ضميري
فأرتج عليّ القولُ وأفحمتُ ، فإذا أنا بفارسٍ ياب^٢ المجلس على
فرسٍ أدّهم كما بقل وجهه ، قد اتكأ على رمحهِ ، وصاح بي : أعجزاً يا
فتى الإنسان ؟ قلتُ : لا وأبيك ، للكلام أحيان ، وهذا شأنُ الإنسان ؛ قال
لي : قلْ بعده :

كَمَلِ مَلالِ الفتى للنعيمِ إذا دام فيه وحالِ السرورِ

فأثبتّ إجازته ، وقلتُ له : بأبي أنت ، من أنت ؟ قال أنا زُهَيْرُ بن
نُمَيْرٍ من أشجعِ الجن^٣ . فقلتُ : وما الذي حداكَ إلى تصوّر لي ؟ فقال :
هوَى فيكَ ، ورغبةٌ^٤ في اصطفاك . قلتُ أهلاً بك أيُّها الوجهُ الوضاح ،
صادفتُ قلباً إليك مقلوباً ، وهوَى نحوَكَ مجنوباً . وتحادثنا حيناً ثم قال :
متى شئتُ استحضاري فأنشدُ هذه الأبيات :

١ الحائر أو الخير : المكان المظلم يجتمع فيه الماء ، ثم سموا البستان به .

٢ ب س : على باب .

٣ يعني أنه من قبيلة أشجع التي تنتمي إلى الجن مثلما أن صاحبه ابن شهيد من أشجع (الإنس)

٤ ط : تصورت لك رغبة .

وآلى زُهَيْرُ الحبِّ يا عَزَّ أنه إذا ذكرته الذَّاكِرَاتُ أَتَاهَا
 إذا جرتِ الأفواهُ يوماً بِذِكْرِهَا يُخَيِّلُ لي أَنِّي أَقْبَلُ فَاهَا
 فأغشَى ديارَ الذَّاكِرِينَ وإن نأتُ أجارِعُ من داري هوىَّ لَهَا
 وأوثَبَ الأدهمَ جدارَ الحائطِ ثم غابَ عني .

وكنْتُ أبا بكرٍ متى أرتجَ عليَّ ، أو انقطعَ بي مَسَلَّتْكَ ، أو خانني
 أسلوبٌ ، أنشدُ الأبياتَ فيمَثَّلُ لي صاحبي ، فأسيرُ إلى ما أرغَبَ ،
 وأدركُ بقريحتي ما أطلُبُ ؛ وتأكَّدْتُ صُحْبَتَنَا ، وجرت قصصُ لولا
 أن يطولَ الكتابُ لذكرتُ أكثرها ، لكنني ذاكرٌ بعضها .

فصل : تذاكرتُ يوماً معَ زهير بن نعيمٍ أخباراً^١ الخطباءِ والشعراءِ ،
 وما كان يألِفُهُم من التوابع والزَّوابع ، وقلتُ : هل حيلةٌ في لقاءِ مَنْ
 اتَّفَقَ منهم^٢ ؟ قال : حتَّى أَسْتَأذِنَ شيخنا ، وطار عني ثم انصرفتُ
 كَلَمَحٍ بِالْبَصَرِ ، وقد أذِنَ له ، فقال : حُلِّ على مِنِّ الجواد^٣ . فصرنا^٤
 عليه ، وسار بنا كالطائرِ يجتابُ الجوَّ فالجوَّ ، ويقطعُ الدَّوَّ فالدَّوَّ ، حتَّى
 التَّمَحَّتْ أرضاً لا كأرضنا ، وشارفتُ جِوًّا لا كجوتنا ، متفرِّعَ الشَّجَرِ ، عَطِرَ
 الزَّهَرِ ، فقال لي : حللتُ أرضَ الجنِّ أبا عامرٍ ، فبمن تُريدُ أن نبدأ ؟
 قلتُ : الخطباءُ أولى بالتَّقديمِ ، لكنني إلى الشعراءِ أشوق . قال : فمَنْ تُريدُ
 منهم ؟ قلتُ : صاحب امرئ القيس . فأمال العنَّانَ إلى وادٍ من الأوديةِ .

١ ط : وتذاكرت معه أخبار .

٢ ب س : من اتَّفَق من هذه الطوائف .

٣ ب س : الأدهم .

٤ ط ب : فصرنا .

ذِي دَوْحٍ تَتَكَسَّرُ أَشْجَارُهُ ، وَتَتَرْتَمُ أَطْيَارُهُ ، فَصَاحَ : يَا عُتَيْبَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، بِسَقَطِ اللَّوَى فَحَوْمَلْ ، وَيَوْمَ دَارَةِ جُلْجُلٍ ، إِلَّا مَا عَرَضْتَ عَلَيْنَا وَجْهَكَ ، وَأَنْشَدْتَنَا مِنْ شَعْرِكَ ، وَسَمِعْتَ مِنَ الْإِنْسِيِّ ، وَعَرَفْتَنَا كَيْفَ إِجَازَتِكَ لَهُ . فَظَهَرَ لَنَا فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ شَقْرَاءَ كَأَنَّهَا تَلْتَهَبُ ، فَقَالَ : حَيَّاكَ اللَّهُ يَا زَهِيرَ ، وَحَيَّا صَاحِبَكَ ! أَهَذَا فَتَاهُمْ ؟ قُلْتُ ٢ : هُوَ هَذَا ، وَأَيُّ جَمْرَةٍ يَا عُتَيْبَةُ ! فَقَالَ لِي : أَنْشُدْ ، فَقُلْتُ : السَّيِّدُ أَوَّلَى بِالْإِنْشَادِ . فَتَطَامَحَ طَرَفُهُ ، وَاهْتَزَّ عَطْفُهُ ، وَقَبَضَ عَنَانَ الشَّقْرَاءِ ، وَضَرَبَهَا بِالسُّوْطِ ، فَسَمِعْتُ تُحْضِرُ طُولًا عَنَّا ، وَكَثَرَ فَاسْتَقْبَلْنَا بِالصَّعْدَةِ هَاذِلَهَا ، ثُمَّ رَكَزَهَا وَجَعَلَ يُنْشِدُ :

* سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرًا ٣ *

حَتَّى أَكْمَلَهَا ثُمَّ قَالَ لِي : أَنْشُدْ . فَهَمَمْتُ بِالْحَيْصَةِ ، ثُمَّ اشْتَدَّتْ قَوَى نَفْسِي وَأَنْشَدْتُ :

* شَجَّتْهُ مَغَانٍ مِنْ سَلِيمَى وَأَدْوُرُ ٤ *

حَتَّى انْتَهَيْتُ فِيهَا إِلَى قَوْلِي :

وَمِنْ قُبَّةٍ لَا يُدْرِكُ الطَّرْفُ رَأْسَهَا تَنْزَلُ بِهَا رِيحُ الصَّبَا فَتَحْدَرُ

١ ط : إِلَّا مَا عَرَضْتَ لَنَا وَسَمِعْتَ .

٢ الصَّوَابُ : « قَالَ » - أَيُّ زَهِيرَ .

٣ دِيوَانُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ : ٥٦ وَعَجَرَ الْبَيْتِ : وَحَلَّتْ سَلِيمَى بَطْنَ قَوْفَمَرَعَرَا .

٤ دِيوَانُ ابْنِ شَهِيدٍ : ١٠٧ .

تكلفتُها^١ والليلُ قد جاشَ بحرُهُ
ومن تحتِ حضني أبيضُ ذو سفاسقٍ^٢
هُما صاحباي من لدُنْ كنتُ يافعاً
فذا جدولٌ في الغمدِ تُسقى به المني
وقد جعلتُ أمواجهُ تتكسّرُ
وفي الكفِّ من عسالة الحطّ أسمرُ
مُقيلان من جدّ الفتى حين يعثرُ
وذا غصنٌ في الكفِّ يُجنى فيثمر

فلما انتهيتُ تأملني عتية ثم قال : اذهب فقد أجزتك . وغاب عنا .

فقال لي زهير : من تريدُ بعد ؟ قلتُ : صاحب طرفة . فجزعنا
وادي عتية ، وركضنا حتى انتهينا إلى غيضةٍ شجرها شجران : سام^٣
يفوحُ بهاراً ، وشجرٌ يعبقُ هندياً وغاراً . فرأينا عيناً معينةً تسيل ،
ويدورُ ماؤها فلـكـياً ولا يحول . فصاح به زهير : يا عنتر بن العجلان ،
حلّ بك زهير وصاحبه . فبـخـولـة وما قطعتَ معها من ليلـة ، إلّا
ما عرّضتَ وجهك لنا ! فبدا إلينا راكبٌ جميلُ الوجه ، قد توشّحَ السيفَ ،
واشتمل عليه كساءَ خَزٍّ ، وبيده خطي ، فقال : مرحباً بكما ! واستنشدني
فقلتُ : الزعيمُ أُولى بالإنشاد ، فأنشد :

لـسـعـدـى بحـزـانٍ الشـرـيفِ طـلـولٌ^٥ .

حتى أكملها ، فأنشدته من قصيدة :

١ ب س : تكلنفتها .

٢ السفاسق : طرائق السيف وشطبه .

٣ ط : شجرها شجر سام .

٤ ط : وشجر .

٥ ديوان طرفة : ٧٦ ؛ وفيه « لهند » ؛ والحزان : جمع حزير ، وهو الغليظ من الأرض ؛

والشريف : واد بهجد ؛ وعجز البيت « تلوح وأدنى عهدن محيل » .

* أمن رسم دارٍ بالعقيقِ محيلٌ^١ *

حتى انتهيتُ إلى قولِي :

ولما هبَّطْنَا الغَيْبَ نَدَّ عَرُّ وَحْشِهِ
وِثَارَتْ بَنَاتُ الْأَعُوجِيَّاتِ بِالضَّحَى
مُسَوِّمَةً نَعْتَدُهَا مِنْ خِيَارِهَا
[إِذَا مَا تَغْنَى الصَّحْبُ فَوْقَ مُتُونِهَا
نَدَّوْسُ بِهَا أَبْكَارَ نَوْرِ كَأَنَّهُ
رَمِينُهَا عَرْضَ الصُّوَارِ فَأَقْعَصَتْ
وَبَادَرُ أَصْحَابِي النَّزُولَ فَأَقْبَلْتُ
نُفَسَاحُ بِالْحُودَانِ^٢ مِنْهُ أَكْفَنَا
فَقَلْنَا^٣ لِسَاقِيهَا أَدْرُهَا سُلَافَةً
فَقَامَ بِكَأْسِيهِ مُطِيعاً لِأَمْرِنَا
وَشَعَشَعَ رَاحِيَهُ فَمَا زَالَ مَائِلاً
إِلَى أَنْ ثَنَاهُمْ رَاكِدِينَ لَمَّا احْتَسَوْا
نَشَاوَى عَلَى الزَّهْرَاءِ صَرَعَى^٤ كَأَنَّهُمْ

على كلِّ خَوَارِ الْعَنَانِ أَسِيلِ
أَبَابِيلَ مِنْ أَعْطَافٍ غَيْرِ وَبِيلِ
لَطَرْدِ قَنِيصٍ أَوْ لَطَرْدِ رَعِيلِ
ضُحِيَّاً أَجَابَتْ تَحْتَهُمْ بِصَهِيلِ
رَدَاءُ عُرُوسٍ أَوْ ذِنْتَ بَحْلِيلِ
أَغْنَى قَتْلَاهُ بِغَيْرِ قَتِيلِ
كَرَادِيْسُ مِنْ غَضِّ الشَّوَاءِ نَشِيلِ
إِذَا مَا اقْتَنَصْنَا مِنْهُ غَيْرَ قَلِيلِ
شَمُولاً وَمِنْ عَيْنِيكَ صَرْفَ شَمُولِ
يَمِيلُ بِهِ الْإِدْلَالُ كُلَّ مَمِيلِ
بِرَأْسِ كَرِيمٍ مِنْهُمْ وَتَكْلِيلِ
خَلِيعِينَ مِنْ بَطْشٍ وَفَضْلِ عَقُولِ
أَسَاطِينُ قَصَصٍ أَوْ جَذُوعُ نَحِيلِ

فصاح عنتر : لله أنت ، اذهب فإنك مُجاز^٥ . وغاب عنا .

١ ديوان ابن شهيد : ١٤٠ .

٢ ب س : الجودان ؛ وسقط البيت من ط . والهودان : نبت ينبت مسطحاً في جلد الأرض لازقاً بها .

٣ ط : فقلت .

٤ التليل : العنق . ه ط : حتى .

٥ ب س : اذهب فقد أجزتك .

ثم ملنا عنه فقال لي زهير : إلى من تتوقُ نفسك بعد ^١ من الجاهليين ؟
قلت : كفاني من رأيتُ ؛ اصْرِفْ وجه قصدينا إلى صاحب أبي تمام ؛ فركضنا
ذات اليمين حيناً ، ويشد في أثرنا فارسٌ كأنه الأسد ، على فرسٍ كأنها
العقاب ، وهو في عدوه ذلك ينشد :

طعنتُ ابن عبدِ القيسِ طعنةً ثائرةً لها نَفْدٌ لولا الشَّعاعُ أضاءَها ^٢

فاستربتُ منه ، فقال لي زُهيرُ : لا عليك ، هذا أبو الخطارِ صاحبُ
قيس بن الخطيم . فاستبى لبي من إنشاده البيت ، وازدَدْتُ خوفاً لجرأته ،
وأنتا لم نُعَرِّجْ عليه ؛ فصرفَ إليه زهير وجهَ الأدهم ، وقال : حيَّاكَ
اللهُ أبا الخطار ، فقال : أهكذا يُحادُّ عن أبي الخطار ولا يُخْطَرُ عليه ؟
قال : علمناكَ صاحبَ قنص ، وخفنا أن نشغلك . فقال لي : أنشدنا يا
أشجعي ^٣ ، وأقسمُ أنك إن لم تُجدْ ليكونَ يومَ شرٍّ ؛ فأنشدته قولي من
قصيدة :

* منازلهم تبكي إليك عَفَاءَها ^٤ *

ومنها :

خليلي عوجا باركَ الله فيكمـا بدارتها الأولى نُحَيَّ فناءها
فلم أرَ أسراباً كأسرأبها الدُّمى ولا ذئبَ مثلي قدرعى ثم شاءها

١ ط : بعده .

٢ ديوان قيس بن الخطيم : ٧ .

٣ ط : أنشدني يا شمعني .

٤ ديوان ابن شهيد : ٨٢ .

ولا كضلالٍ كان أهدى لصبوتي ليالي يهديني الغرامُ خباءها
وما هاج هذا الشوقَ إلاَّ حمائمٌ بكيتُ لها لما سمعتُ بُكاءها
عجتُ لنفسي كيف ملكتها الهوى وكيف استغفرتُ الغانياتُ إباءها ؟
ولو أنتي أنحتِ عليَّ أكارمٌ ترَضَّيتُ بالعرضِ الكريمِ جزاءها
ولكنَّ جردانَ الثَّغورِ رميني فأكرمتُ نفسي أن تُريقَ دماءها
إليكِ أبا مروانَ ألقيتُ رابياً بحاجةٍ نفسٍ ما حرَّبتُ خزاءها
هزرتُك في نصري ضحىً فكأنني هزرتُ - وقد جئتُ الجبال - حراءها
نقضتُ عرى عزمِ الزَّمانِ وإن عتا بعزيمةٍ نفسٍ لا أريدُ بقاءها

فلما انتهيتُ تبسم وقال : لنعم ما تخلصتُ ! اذهب فقد أجزتُك .

ثمَّ انصرفنا وركضنا حتى انتهينا إلى شجرةٍ غبراء ، يتفجرُ من أصلها
عينٌ كقلةٍ حوراء . فصاح زهير : يا عتابُ بن حبياء ، حلَّ بك زهير
وصاحبُه ، فبعمرٍ والقمرِ الطالع ، وبالرُّقعةِ المفكوكةِ الطابع ، إلاَّ
ما أريتنا وجهك ! فانطلق ماءُ العين عن وجه فتى كفلقةِ القمر ، ثمَّ
اشتقَّ الهواء صاعداً إلينا من قعرها حتى استوى معنا ^١ . فقال حيَّاك الله
يا زهير ، وحيَّا صاحبك ! فقلت : وما الذي أسكنك قعر هذه العينِ يا عتابُ ؟
قال : حياتي من التحسنِ باسمِ الشعرِ وأنا لا أحسنه . فصحتُ : ويلى منه ،
كلامٌ محدثٌ وربَّ الكعبة ؛ واستنشدني فلم أنشده إجلالاً له ، ثمَّ أنشدته :

[* أبكيتُ إذ ظعنَ الفريقُ فراقها ^٢ *]

١ ط : إلينا .

٢ ديوان ابن شهيد : ٢١٧ .

حتى انتهيتُ فيها إلى قولي] :

إنتي امرؤٌ لَعَبَ الزَّمانُ بهمتي
وَكَبَوْتُ طرفاً في العلا فاستضحكت
وإذا ارتَمَمْتُ نحوِي المُنَى لأنالها
وإذا أبو يحيى تأخَّرَ نفسهُ
وسقيتُ من كأسِ الخطوبِ دهاقها
حُمِرُ الأنامِ فما تَرِيمُ نهاقها
وقفَ الزَّمانُ لها هناك فعاقها
فمتى أوَمَلُ في الزَّمانِ لحاقها ؟

فلما انتهيتُ قال : أنشدني من رثائك . فأنشدته ٢ :

[أعينا امرءاً نرحت عينُهُ
إذا القلبُ أحرَقَهُ بثه
يَوَدُّ الفَتَى مَنَهلاً خالياً
[وبصرفُ للكونِ ما في يديه
لقد عثر الدهرُ ٦ بالسابقِ
لعمركَ ما ردَّ رَيْبَ الرَّدَى ٨
ولا تعجبا من جفونِ جمادِ
فإن المدامعَ شَلَوُ ٣ الفُؤادِ]
وسعدُ المنيةِ في كل وادٍ ٤
وما الكونُ إلا نذيرُ الفسادِ ٥
نَ ولم ٧ يعجزِ الموتَ رَكْضَ الجوادِ
أريبٌ ولا جاهِدُ ٩ باجتهادِ

١ اليتيمة : خمر .

٢ ديوان ابن شهيد : ٩٧ (اعتماداً على الذخيرة وحدها) .

٣ في الأصل : تلمو ، والتصحيح عن الديوان .

٤ نأظر إلى المثل : « في كل واد بنو سعد » أو « أينما أوجه ألق سعداً » ، انظر الميبداني (١) :

٥ ٣٤ والمسكري ١ : ٦١ (تحقيق الاستاذ أبو الفضل إبراهيم) .

٥ يلاحظ إيراده « الكون » و « الفساد » في هذا السياق ، كأنه يرمي إلى ثقافة فلسفية .

٦ ب س : الموت .

٧ ط : ولن .

٨ ب س : المنون .

٩ ب س : حازم .

[سَهِامُ الْمَنَايَا تُصِيبُ الْفَتَى
أَصْبَنَ عَلَى بَطْشِهِمْ جُرْهُمَا
وَأَقْعَصَنَ كَلْباً عَلَى عِزِّهِ
لَوْ ضَرَبُوا دُونَهُ بِالسَّدَادِ]
وَأَصْمِينَ فِي دَارِهِمْ^١ قَوْمَ عَادَ
فَمَا اعْتَزَّ بِالصَّافَاتِ الْجِيَادِ
إِلَى أَنْ انْتَهَيْتُ فِيهَا إِلَى قَوْلِي :

وَلَكِنِّي خَانَنِي مَعَشَرِي
وَهَلْ ضَرَبَ^٢ السِّيفُ مِنْ غَيْرِ كَفٍ ؟
وَرُدْتُ يَفَاعاً وَبَيْلَ الْمَرَادِ
وَهَلْ ثَبَّتَ الرَّأْسُ فِي غَيْرِ هَادٍ^٣ ؟
فَقَالَ : زِدْنِي مِنْ رِثَائِكَ وَتَحْرِيطِكَ ، فَأَنْشَدْتُهُ^٤ :

أَفِي كُلِّ عَامٍ^٥ مَصْرَعٌ لِعَظِيمٍ ؟
هُوَ قَمَرَا قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ آنَفًا
أَصَابَ الْمَنَايَا^٦ حَادِثِي وَقَدِيمِي
فَكَيْفَ لِقَائِي الْخَادَثَاتِ إِذَا سَطَّتْ
وَأَوْحَشَ مِنْ كَلْبٍ مَكَانُ زَعِيمِ
وَكَيْفَ اهْتِدَائِي فِي الْخَطُوبِ إِذَا دَجَّتْ
وَقَدْ قُلَّ سَيْفِي مِنْهُمْ وَعَزِيمِي ؟
مَضَى السَّلَفُ الْوَضَّاحُ إِلَّا بِتَقْيِيَّةٍ
وَقَدْ فَقَدْتُ عَيْنَايَ ضَوْءَ نَجُومِ ؟
كَغُرَّةٍ مُسْوَدَّةٍ الْقَمِيصِ بِهَيْمِ

١ ب س ، أصاب ٤ وأصمى يدارهم .

٢ ب س : يضرب .

٣ الهادي : العنق .

٤ ديوان ابن شهيد : ١٤٧ وهي في رثاء الوزير حسان بن مالك بن أبي عبدة ، وكان من الأئمة في اللغة والآداب ، روى عن أبي العباس ابن ذكوان مذاكرة ، وعمل كتاباً سماه « ربيعة وعقيل » في الأسمار ، وتوفي قبل العشرين وأربعمائة (الجذوة : ١٨٣ والبنية رقم : ٦٦٢) .

٥ المغرب : حين .

٦ المسالك : الرزايا .

ومنها :

رَمِيتُ بِهَا الْآفَاقَ عَنِّي غَرِيبَةً نَتِيجَةً خَفَاقِ الضُّلُوعِ كَظِيمِ
لَأُبْدِي إِلَى أَهْلِ الْحَجَى مِنْ بَوَاطِنِي وَأُدْلِي بِعَذْرِ^١ فِي ظَوَاهِرِ^٢ لَوْمِ
أَنَا السِّيفُ لَمْ تَتَعَبْ بِهِ كَفَّ ضَارِبِ صَرُومِ إِذَا صَادَفْتُ كَفَّ صَرُومِ
سَعِيتُ بِأَحْرَارِ الرِّجَالِ فَعَاثَنِي رِجَالٌ وَلَمْ أُنْجِدْ بِجِدِّ عَظِيمِ
وَضِيعَنِي الْأَمْلَاكُ بَدَءًا وَعَوْدَةً^٣ فَضِيعْتُ بَدَارِ مِنْهُمْ وَحَرِيمِ

فقال : إِنْ كُنْتَ وَلَا بُدَّ قَائِلًا ، فَإِذَا دَعَاكَ نَفْسُكَ إِلَى الْقَوْلِ فَلَا تَكُذِّ
قَرِيحَتِكَ ، فَإِذَا أَكْمَلْتَ فَمَجَامِ ثَلَاثَةً لَا أَقْلَ ، وَنَقْصُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَتَذَكَّرْ
قوله :

وَجَشْمَنِي خَوْفُ ابْنِ عَفَّانَ رَدَّهَا فَشَقَقْتُهَا حَوْلًا كَرِيئًا وَمَرَبَعًا
وَقَدْ كَانَ فِي نَفْسِي عَلَيْهَا زِيَادَةٌ فَلَمْ أَرَ إِلَّا أَنْ أَطِيعَ وَأَسْمَعَا
وَمَا أَنْتَ إِلَّا مُحْسَنٌ عَلَى إِسَاءَةِ زَمَانِكَ . فَقَبِلْتُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَغَاصَ
فِي الْعَيْنِ .

ثُمَّ قَالَ لِي زُهَيْرُ : مَنْ تُرِيدُ بَعْدَهُ ؟ قُلْتُ : صَاحِبُ أَبِي نُوَّاسٍ ، قَالَ :
هُوَ بَدِيعُ حَنْتَةٍ مِنْذُ أَشْهُرٍ ، قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْحَمْرُ ، وَدِيرُ حَنْتَةٍ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ .

١ ط : بعذري .

٢ ب س : بواطن .

٣ س : عوداً وبداءة .

٤ البيهقي لسويد بن كراع ، الشعر والشعراء : ٢٣ ، ٥٣٠ ، وانظر الأغاني ١٢ : ٣٤٥ .

في ترجمة سويد ، والبيان ٢ : ١٢ .

وعرّضه عليّ ، فإذا بيننا وبينه فراسخ . فركضنا ساعةً ، وجُزنا في ركضنا بقصرٍ عظيمٍ قُدّامه ناوَرْدُ ١ يتطارَدُ فيه فرسان ، فقلتُ : لمن هذا القصر يا زهير ؟ قال : لطوقِ بن مالك ؛ وأبو الطّبع صاحبُ البحري في ذلك النّاوَرْدُ فهل لك في أن تراه ؟ قلتُ : أَلْفَ هل ، إنه لمن ٢ أساتيدي ، وقد كنتُ أنسيتُهُ ٣ . فصاح : يا أبا الطّبع ، فخرج إلينا فتىً على فرسٍ أشعل ، وبيده قناة ، [فقال له زهير : إنك مؤتمنا ، فقال : لا ، صاحبك أشمخُ مارناً من ذلك لولا أنه ينقُصُه ؛ قلتُ : أبا الطّبع على رِسْلِكَ ، إنّ الرّجال لا تُكالُ بالقُفْزان . أنشدنا من شعرك] . فأنشد :

* ما على الرّكبِ من وقوفِ الرّكابِ * ٤

حتى أكلها ، ثم قال : هاتِ إن كنتِ قلتِ شيئاً ، فأنشدته :

* هذه دارُ زينبِ والرّبابِ * ٥

حتى انتهيتُ فيها إلى قولي :

وارتَكَضْنَا حتى مضى الليلُ يَسْمَى وأتى الصُّبْحُ قاطِعُ الأسبابِ
فكَأَنَّ النُّجُومَ في الليلِ جيشٌ دخلوا للكمُونِ في جَوْفِ غابِ
وكانَ الصُّبَّاحَ قانِصُ طيرٍ قَبَضَتْ كَفَّهُ بِرِجْلِ غُرَابِ

١ ب س : ماء ورنه ؛ والنّاوَرْدُ هنا بمعنى « الميدان » ، وهي من الفارسية ومعناها : معركة . قتال .

٢ ط : على أنه من .

٣ ط : أنيسه .

٤ ديوان البحري : ٨٣ وعجزه : « في مغاني الصبا ورسم التصابي » .

٥ ديوان ابن شهيد : ٨٥ .

ومنها :

وَفُتُّوْ سَرَوْا وَقَدْ عَكَفَ اللّٰه
وَكَأَنَّ النَّجُومَ لَمَّا هَدَتْهُمْ
يَسْتَقَرُّونَ جَوْزَ كُلِّ فَلَاةٍ
عَنْ ذِكْرِي لِمُدْلِجِيهِمْ فَتَاهُوا
هَمَّةٌ فِي السَّمَاءِ تَسْحَبُ ذَيْلًا
وَلَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كَرِيمَةٌ نَجَرٍ
جَيْفَةٌ أَتْنَتْ فَطَارَ إِلَيْهَا
لُ وَأَرْخَى مُغْدَوْدِينَ^١ الْأَطْنَابِ
أَشْرَقَتْ لِلْعِيُونِ مِنْ آدَابِي
جُنْحَ لَيْلٍ جَوْزَاؤُهُ مِنْ رِكَابِ
مِنْ حَدِيثِي فِي عُرْضِ أَمْرِ عُجَابِ
مِنْ ذِيُولِ الْعُلَا وَجَدَتْ كَابِي
لَمْ تَكُنْ طَعْمَةً لِفَرَسِ^٢ الْكَلَابِ
مِنْ بَنِي دَهْرِهَا فَرَاخُ الذُّبَابِ

ومنها يفخر :

مِنْ شُهَيْدٍ فِي سَرَّهَا ثُمَّ مِنْ أَشَدِّ
خُطْبَاءِ الْأَنْثَامِ إِنْ عَنْ خُطْبٍ
جَعَّ فِي السَّرِّ مِنْ لُبَابِ اللَّبَابِ
وَأَعَارِبُ فِي مُتُونِ عَرَابِ

حَتَّى أَكْمَلْتُهَا ، فَكَأَنَّمَا غَشَّى وَجْهَ^٣ أَبِي الطَّبَعِ قِطْعَةً مِنَ اللَّيْلِ ،
وَكَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى نَاوَرْدِهِ دُونَ أَنْ يُسَلِّمَ . فَصَاحَ بِهِ زُهَيْرٌ : أَلْجَزْتَهُ ؟
قَالَ : أَلْجَزْتُهُ^٤ ، لَا بَوْرِكَ فَيْكَ مِنْ زَائِرٍ ، وَلَا فِي صَاحِبِكَ أَبِي عَامِرٍ .

[فَضَرَبَ زُهَيْرُ الْأَدْهَمَ بِالسَّوْطِ ، فَسَارَ بِنَا فِي قَنْتِهِ^٥] ، وَسَرْنَا

١ المغدودون : المسترخي .

٢ ب س : لبرص .

٣ ب س : على .

٤ ط : أجزت .

٥ القنت : الزاوية أو الحانئ .

حتى انتهينا إلى أصل جبل دير حنّة ، فشقّ سمعي قرع التواقيس ،
فصحتُ : من منازل أبي نواس ، وربّ الكعبة العلياء ، وسرنا نجتأبُ أدياراً
وكنائسَ وحانات ، حتى انتهينا إلى ديرٍ عظيمٍ نَعَبُّ روائحه ، وتَصُوكُ
نوافحه ^١ . فوقفَ زهير ببابه وصاح : سلامٌ على أهلِ دير حنّة ! فقلتُ
لزهير : أو هل صرنا ^٢ بذات الأكيراح ؟ قال : نعم . وأقبلتُ ^٣
نحونا الرّهّابين ، مُشدّدةً ^٤ بالزّناير ، قد قبضتُ على العكاكيز ، بيضَ
الحواجبِ واللّحي ، إذا نظروا إلى المرءِ استحميا ، مكثّرين للتسبيح .
عليهم هدّئي المسيح ، فقالوا : أهلاً بك يا زهير من زائر ، وبصاحبك
أبي عامر ، ما بُغيتُك ؟ قال : حُسَيْنُ الدنان . قالوا : إنّه لفي شُرْبٍ ^٥
الخمرة ، منذ أيّامٍ عشرة ، وما نراكم منتفعين به . فقال : وعلى ذلك
ونزلنا وجاءوا بنا إلى بيتٍ قد اصطفت دنانهُ ، وعكفت غزلانه ، وفي
فُرْجَتِه شيخٌ طويلُ الوجهِ والسّيلة ، قد افترشَ أضغاثَ زهر ، واتكأ
على زِقِ خمر ، ويده ^٦ طرّجّهارة ^٧ ، وحواليه صيّبةٌ كأظبٍ تعطو
إلى عرّارة . فصاح به زهير : حيّاك الله أبا الإحسان ! فجوابَ بجوابٍ لا
يُعقلُ لغلبةِ الخمر عليه . فقال لي زهير : اقرع أذنُ نشوته ^٨ بإحدى

١ ط س : نوافجه .

٢ ب س : أو قد صرنا .

٣ ب س : وأرقلت .

٤ ب س : مشددة .

٥ ب س : شرك .

٦ ب س : وبيمينه .

٧ الطرجهارة : الفنجال أي شبه كأس أو طاس يشرب به .

٨ ط : اقرع اذنيه .

خَمْرِيَاتِكَ ، فإنه ربما تنبّه لبعض ذلك ، فصحت^١ أنشد^٢ من كلمة لي
طويلة^٣ :

ولربّ حانٍ قد أدرت^٣ بديره خمر الصبا مزجت بصفو خموره^٤
في فتية جعلوا الزقاق تكاءهم^٥ متصاغرين تخشعاً لكبيره
والى عليّ بطرفه وبكفه فأمال من رأسي لعب كبيره
وترتم الناقوس عند صلاتهم ففتحت من عيني لرجع^٥ بديره
يُهدي إلينا الرّاح كلُّ مُعَصِّفٍ^٦ كالخشف خفّره التماحُ خفيره

فصاح من حبال نشوته : أشجعي ؟ قلت : أنا ذاك ؛ فاستدعى ماءً
قراحاً ، فشرب منه وغسل وجهه ، فأفاق واعتذر إليّ من حاله ، فأدركتني
مهابته ، وأخذت في إجلاله ، لمكانه من العلم والشعر . فقال لي : أنشد^٧ .
أو حتى أنشدك ؟ فقلت : إنّ ذلك لأشدّ لتأنيسي^٧ ، على أنه ما بعدك
لمُحسنٍ إحسان^٨ ، فأنشد^٨ :

يا دير حنة من ذات الأكسراح من يصحّ عنك فإني لست بالصّاحي
يعتاده كلُّ مخوفٍ مفارقه^٩ من الدهان عليه سحق أمساح

١ ب س : فصرخت .

٢ ديوان ابن شهيد : ١١٥ .

٣ المطمح والنفخ : شربت .

٤ المطمح والنفخ : بصرف عويره .

٥ المطمح والنفخ : السرور شعارهم .

٦ المطمح والنفخ وس : مصفر ؛ ب : مصفن .

٧ ب س : لأهدأ تأنيساً ؛ ط : لأشد من تأنيسي .

٨ ديوان أبي نوّاس : ١٢٨

لَا يَدْلِفُونَ إِلَى مَاءٍ بِآيَةٍ إِلَّا اغْتَرَفًا مِنَ الْغُدْرَانِ بِالرَّاحِ
فَكَدْتُ وَاللَّهِ أَخْرَجُ مِنْ جِلْدِي طَرَبًا . ثُمَّ أَنْشُدُ :

* طَرَحْتُمْ مِنَ التَّرْحَالِ أَمْرًا فَعَمْنَا ^١ *
وَأَنْشُدُ أَيْضًا ^٢ :

لَمَنْ دَمِنْ تَرْدَادٍ طَيْبٍ نَسِيمٍ عَلَى طَيْبٍ مَا أَقْوَتْ وَحَسَنَ رُسُومٍ
تَجَافَى الْبِلَى عَنْهُمْ حَتَّى كَأَنَّمَا لَبَسْنَنَا مِنَ الْإِقْوَاءِ ثَوْبَ نَعِيمٍ
وَاسْتَمَرَّ فِيهَا حَتَّى أَكْمَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لِي : أَنْشُدْ . فَقُلْتُ : وَهَلْ أَبْقَيْتَ ^٣
لِلْإِنْشَادِ مَوْضِعًا ؟ قَالَ : لَا بُدَّ لَكَ ، وَأَوْعِثْ بِي وَلَا تُنْجِدْ . فَأَنْشُدْتُهُ ^٤ :

أَصْفِيحُ ^٥ شَيْمَ أُمِّ بَرْقٍ بَدَا
هَبْ مِنْ مَرَقَدِهِ ^٦ مُنْكَسِرًا ^٧
يَمْسَحُ النَّعْسَةَ مِنْ عَيْنِي رَشَا
قُلْتُ : هَبْ لِي يَا حَبِيبِي قُبْلَةً
أُمِّ سَنَّا الْمَحْبُوبِ أَوْرى أَرْزُودًا ^٨
مُسْبِلًا لَكُمْ مَرْخٍ لِيَلْرَدَا ^٩
صَائِدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَسْدَا ^{١٠}
تَشْفٍ مِنْ عَمَلِكَ ^{١١} تَبْرِيحَ الصَّدَى

- ١ ديوان أبي نواس : ٧٥ ، وعجز البيت : « فلو قد شخصتم صبح الموت بعوضنا » .
- ٢ ديوان أبي نواس : ٨٨ وانظر الذخيرة ٣ : ٤٦٣ .
- ٣ ط : تركت .
- ٤ ديوان ابن شهيد : ١٠٢ .
- ٥ الديوان : أصبَح ؛ المطمح : أصباح .
- ٦ أكثر المصادر : زنداً .
- ٧ النفع : نعمته .
- ٨ المغرب : مفتلاً .
- ٩ ب س : عن .
- ١٠ في الأصول : غمك .

فأنشئ يهتَز من منكِبِه
كلما كَلَمَني قَبَلْتُه
كاد أن يرجِعَ من لثمي له
قال لي يلعبُ : خُذْ لي ^٣ طائراً
[وإذا استنجزتُ يوماً وعدَه
شربتُ أعطافُه خَمَرَ الصِّبا
وإذا بَتُّ به في روضةٍ
قام في الليلِ بجِدٍ أتلعُ
رَشاً بلِ غادةٍ مَكُورةٍ
أححتُ من عَضَّتِي في نهدِها
فأنا المجروحُ من عَضَّتِها

قائلاً : لا ؛ ثمَّ أعطاني اليدُ ^١
فهو إمّا ^٢ قال قولاً رَدَّداً
وارتشاي الثغرَ منه أدرّداً
فَتَراني الدهرَ أجري بالكداً
قال لي يَعطُلُ : ذكّرني غداً [
وسقاه ^٥ الحُسْنُ حتّى عرّبداً
أغيداً يَقرّو ^٦ نباتاً أغيدا
يَنفُضُ اللّمة من دمعِ النّدى
عممتُ صباحاً بليلاً أسوداً
ثمَّ عَضَّتْ حرّاً وجهي ^٧ عمداً
لا شفاني اللهُ منها أبداً

فلما انتهيت قال : لله أنت ، وإن كان طبعك مختَرعاً منك . ثم
قال لي : أنشدني من رثائك شيئاً ، فأنشدته من قولِي في بُنيةٍ
صغيرة ^٨ :

- ١ المطمح : مائلاً لطفاً وأعطاني اليد .
- ٢ ب س : مهما .
- ٣ الديوان : صد لي .
- ٤ المغرب : أمشي في الكدى .
- ٥ المغرب : وثناه .
- ٦ في الأصول : يعرو .
- ٧ المغرب : خدي .
- ٨ ديوان ابن شهيد : ١٧٠ (عن الفخيرة وحدها) .

[أيها المعتدُّ في أهلِ النهي لا تدبُّ إثرَ فقيدٍ ولها

حتى انتهيت إلى قولي] :

وإذا الأسدُ حمّتْ أغيالها لم يضرَّ الخيسَ صرعاتُ المها
وغريبٌ يا ابنَ أقمارِ العُسلا أنْ يرَاعَ البدرُ من فقدِ السها

فلما انتهيتُ قال لي : أنشدني من رثائك أشدَّ من هذا وأفصح .
فأنشدته من رثائي في ابن ذكوان^١ ؛ ثم قال : أنشدني جحدريتك من
السجن ، فأنشدته :

* قريبٌ بمحتلِّ الهوانِ بعيدُ^٢ *

حتى انتهيت فيها إلى قولي :

فإن طال ذكري بالمجونِ فإني شقيّ بمنظومِ الكلامِ سعيدُ
وهل كنتُ في العشاقِ أولَ عاشقٍ هوتَ بحجّاهُ أعينٌ وخدودُ ؟

١ انظر ديوان ابن شهيد : ٨٩ ومطلع هذه القصيدة وارد في ترتيب المدارك ٤ : ٦٦٧
(ولم يرد في الديوان) وهو :

إذا لم تجد إلا الأسى لك صاحباً فلا تمننِ الدمعَ ينهل ساكياً
هوت بأبني العباس شمس من التقى وأمى شهاب الحق في الغرب غارباً

والمرثي في هذه القصيدة هو أبو العباس ابن ذكوان (- ٤١٣) ؛ انظر ترجمته في الجذوة :

١٢١ (البنية رقم : ٤٢٥) والصلة : ٣٧ والمغرب ١ : ٢١٠ - ٢١٢ وترتيب المدارك ٤ :

٦٦٢ والنباهي : ٨٤ - ٨٧ والحلة السراء ١ : ٢٧ وصفحات متفرقة من البيان المغرب ج ٣ .

٢ ديوان ابن شهيد : ٩٩ وعجز البيت : « يحود ويشكو حزنه فيجيد » ؛ وقد كتبها حين
سجنه علي بن حمود (انظر المطمح : ٢٠) .

فمن مُبْلِغُ الْفَتِيَانِ أَنْتَيَ بَعْدَهُمُ^١ مُقِيمٌ بِدَارِ الظَّالِمِينَ^٢ طَارِيْدٌ
وَلَسْتُ بِسَدِي قَيْدٍ يَرِقُ وَإِنَّمَا عَلَى اللَّحْظِ مِنْ سَخَطِ الْإِمَامِ قِيُوْدُ
فَبِكَيِّ لَهَا طَوِيْلًا^٣ ثُمَّ قَالَ : أَنْشَدْنِي قِطْعَةً مِنْ مَجُونِكَ^٤ ، فَقَدْ بَعْدَ عَهْدِي
بِمَثْلِكَ ، فَأَنْشَدْتُهُ^٥ :

وَنَاطِرَةٌ تَحْتَ طَيِّ الْقِنَاعِ دَعَاهَا إِلَى اللَّهِ وَالْخَيْرِ دَاعِي
سَعَتْ بِأَبْنِيهَا تَبْتَغِي مَتْرَلًا لَوْصَلَ التَّبْتُ لَوَالِ الْإِنْقِطَاعِ
فَجَاءَتْ تَهَادِي كَمَثَلِ الرَّءُومِ تُرَاعِي غَزَالًا بِأَعْلَى^٦ يَفَاعِ
أَتَمْنَا تَبَخْتَرُ فِي مَشِيهَهَا فَحَلَّتْ بِوَادٍ كَثِيرِ السَّبَاعِ
وَرِيَعَتْ حِذَارًا عَلَى طِفْلِهَا فَنَادَيْتُ : يَا هَذِهِ لَا تُرَاعِي !
فَوَلَّتْ وَلِلْمَسْكِ مِنْ ذَيْلِهَا عَلَى الْأَرْضِ خَطٌّ كَظْهِرِ^٧ الشَّجَاعِ

فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا الْبَيْتَ قَامَ يَرْقُصُ بِهِ وَيُرَدِّدُهُ ، ثُمَّ أَفَاقَ ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا
وَاللَّهِ شَيْءٌ لَمْ نَلْهِمَهُ نَحْنُ ؛ ثُمَّ اسْتَدْنَانِي فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيَّ ،
وَقَالَ : اذْهَبْ فَإِنَّكَ مُجَازٍ عَلَى بَظَرٍ أُمِّ الْكَارِهِ .

فَانصَرَفْنَا عَنْهُ وَانْحَدَرْنَا مِنَ الْجَبَلِ ، فَقَالَ لِي زَهِيرٌ : وَمَنْ تَرِيدُ بَعْدَ ؟

١ ب س : بَعْدَهُمُ .

٢ ب س : الظَّالِمِينَ .

٣ ب س : طَارِيًّا .

٤ ب س : عِيُونِكَ .

٥ ديوان ابن شهيد : ١٢٤

٦ ب س : بِرَوْضِ .

٧ ب س : كَخَطِ .

قلت له : خاتمة القوم صاحب أبي الطيب ، فقال : اشدُّد له حيازيمك ،
وعطَّر له نسيمك ، وانثر عليه نجومك . وأمال عينان الأدهم إلى طريق ،
فجعل يركض بنا ، وزهير يتأمل آثار فرسٍ لمحنها هناك ؛ فقلت له : ما
تتبعك لهذه الآثار ؟ قال : هي آثار فرسٍ حارثة بن المغلس صاحب أبي
الطيب . وهو صاحب قنص^١ . فلم يزل يتقرأها حتى دفعنا إلى^٢ فارسٍ
على فرسٍ بيضاء كأنه قضيبٌ على كتيب ، ويده قناةٌ قد أسندها إلى عنقه ،
وعلى رأسه عِمامةٌ حمراء ، قد أرخى لها عذبةً صفراء . فحيَّاه زهير ، فأحسن
الرَّد ناظرًا من مقلَّةٍ شوساء ، قد ملئت^٣ تيهًا وعُجبًا . فعرفه زهير
قصدي وألقى إليه رغبتي . فقال : بلغني أنه يتناول^٤ ، قلت : للضرورة
الدافعة ، وإلا فالقريحة غير صادعة ، والشقرة غير قاطعة ، قال : فأشدني ،
وأكبرته أن أستشده ، فأشدته قصيدتي التي أولها :

أبرق بدا أم لمع أبيض قاصِلٍ °

حتى انتهيت فيها إلى قولي :

تَرَدَّدَ فيها البرقُ حتى حَسَبْتُهُ يُشير إلى نجمِ الرُّبَى بالأناملِ
رُبَى نَسَجَتْ أيدي الغمامِ للبِسْها غلائلَ صُفْراً فوق بيضِ غلائلِ
سَهَرْتُ بها أَرعى النجومَ وأنجُمًا طوالعَ للرَّاعِيْنَ غيرَ أوافِلِ
وقد فغرتُ فاها بها كلُّ زهرةٍ إلى كلِّ ضَرَعٍ للغمامَةِ حَافِلِ

١ ب س : وهو ذو قنص .

٢ ب س : حتى لاح لنا .

٣ ب س : حشيت .

٤ ب س : أنك تتناول .

٥ ديوان ابن شهيد : ١٤٢ وعجز البيت : « ورجع صدى أم رجع أشقر صاهل » .

وَمَرَّتْ جِيوشُ الْمَرْنِ رَهْوَاً^١ كَانَهَا
وَحَلَقَتِ الْخَضْرَاءُ فِي غُرٍّ شُهُبِيهَا^٢
تَخَالُ بِهَا زُهْرَ الْكَوَاكِبِ نَرَجِساً
وَتَلْمَحُ مِنْ جَوَازِيهَا فِي غُرُوبِهَا
وَتَحْسَبُ صَقراً واقِعاً دَبْرَانَهَا
وَبَدَرَ الدُّجَى فِيهَا غَدِيرًا وَحَوْلَهُ
كَأَنَّ الدُّجَى هَمَمِي وَدَمْعِي نَجُومُهُ
هُوَ أَتَجْمُ الْعَلَيَاءِ إِلَّا أَقْلَهَا
وَأَصْبَحَتْ فِي خَلْفٍ إِذَا مَا لَمَحْتَهُمْ^٣
وَمَا طَابَ فِي هَذِي الْبَرِيَّةِ آخِرُ
أَرَى حُمُراً فَوْقَ الصَّوَاهِلِ جَمَّةً^٤
وَرَبَّتْ كُتَّابٍ إِذَا قِيلَ : زَوُّرُوا
وَنَاقِلٍ فَقِهِ لَمْ يَرِ اللَّهُ قَلْبُهُ
وَحَامِلٍ رُمَحٍ رَاحَ فَوْقَ مَضَائِهِ
حُبُّوا بِالْمُنَى دُونِي وَغَوَدَتْ دُونَهُمْ
وَمَا هِيَ إِلَّا هِمَّةٌ أَشْجَعِيَّةٌ^٥
وَفَهَّمْ لَوْ الْبَرَجِيسَ جَثُّ بَجْدَهُ

عَسَاكِرُ زَنْجٍ مَذَهَبَاتُ الْمَنَاصِلِ
كَكُلُجَّةٍ بِحَرٍ كُتِلَتْ بِالْيَعَالِلِ
عَلَى شَطْءٍ وَادٍ لِلْمَجَرَّةِ سَائِلِ^٦
تَسَاقُطَ عَرَّشٍ وَاهِنِ الدِّعَمِ مَائِلِ
بِعُشِّ الثُّرَيَّا فَوْقَ حَمْرِ الْخَوَاصِلِ
نَجُومٌ كَطَلْعَاتِ الْحَمَامِ^٧ النَّوَاهِلِ
تَحْدَرُ إِشْفَاقًا لِدَهْرِ الْأَرَاذِلِ
وَعَيْنٌ بَمَا يَحْطَى بِهِ كُلُّ عَاقِلِ
تَبَيَّنَتْ أَنَّ الْجَهْلَ إِحْدَى الْفَضَائِلِ
إِذَا هُوَ لَمْ يُنْجِدْ بِطِيبِ^٨ الْأَوَائِلِ
فَأَبْكِي بَعِيْنِي ذُلَّ تِلْكَ الصَّوَاهِلِ
بَكَتْ مِنْ تَأْنِيهِمْ^٩ صَدُورُ الرِّسَائِلِ
يَظُنُّ أَنَّ الدِّينَ حَفْظُ الْمَسَائِلِ
بِهِ كَاعِبًا فِي الْحَيِّ ذَاتَ مَغَازِلِ
أَرُودُ الْأَمَانِي فِي رِيَاضِ الْأَبَاطِلِ
وَنَفْسٌ أَبَتْ لِي مِنْ طَلَابِ الرِّذَائِلِ
إِذَا لَتَلَقَّانِي بِنَحْسِ الْمَقَاتِلِ

١ ط : زهواً ؛ ب س : زهراً .

٢ ط والمغرب : وحلقت ؛ ب س : نجمها .

٣ المسالك ، حافل .

٤ ط : الحمام .

٥ ب : التمتعهم .

٦ ب س : لم ينتجته طيب .

٧ ط : تأنيهم .

ولما طما بحرُ البيانِ بفكرتي وأغرق قرنَ الشمسِ بعضُ جدولي
تَحَلَّتْ إلى خيرِ الورى كُلَّ حُرَّةٍ من المدح لم تحملِ برعي الحمائل
وكدتُ لفضلِ القولِ أبلغُ ساكتاً وإن ساءَ حُسادي مَدَى كل قائل

فلما انتهيتُ قال : أنشدني أشدَّ من هذا . فأنشدته قصيدتي :

« هاتيك دارُهُمُ فقِيفٌ بمعناها »

فلما انتهيتُ^٢ قال لزهير : إن امتد به طَلَقُ العُمر ، فلا بدَّ أن ينفثَ
بدرر . وما أراهُ إلاَّ سيُختَضِر ، بين قريحةٍ كالجمر ، وهيمَةٍ تَضَعُ
أخمسه على مفرقِ البدر . فقلت : هلاًَّ وضَعْتَهُ على صَلَعةِ النَّسر ؟ !
فاستضحكَ إليَّ وقال : اذهب فقد أجزتُك بهذه التَّكتة . فقَبَلْتُ على
رأسِهِ وانصرفنا .

فقال لي زهير : من تريد بعده ؟ فقلت : مل بي إلى الخطباء ، فقد قضيتُ
وطراً من الشعراء . فركضنا حيناً طاعنين في مطلعِ الشمسِ ولقينا فارساً أسراً
إلى زهير . وانجزعَ عناً . فقال لي زهير : جُمِعتُ لك خُطباءُ الجنِّ بمرجٍ
دَهمان . وبيننا وبينهم فرسخان . فقد كُفِيتَ العناءَ إليهم على انفرادهم .
قلت : لمَ ذاك ؟ قال : للفرقِ بين كلامين اختلفَ فيه فتيانُ الجن . وانتهينا
إلى المرجِ فإذا^٣ بنادٍ عظيم ، قد جمَعَ كلَّ زعيم ، فصاح زهير : السلامُ
على فُرُسانِ الكلام ، فردُّوا وأشاروا بالتزُّول ، فأفَرَجوا حتَّى صِرنا
مركزَ هالةٍ مجلسهم . والكلُّ منهم ناظرٌ إلى شيخٍ أصلع ، جاحظٍ العينِ

١ ديوان ابن شهيد : ١٦٥ ؟ وانظر ما تقدم ص : ٢٠٥ .

٢ ب س : حتَّى إذا سمعها .

٣ ط : فلما انتهينا ... إذا .

الْيُمْنَى . عَلَى رَأْسِهِ قَلَنْسُوَةٌ بِيضَاءُ طَوِيلَةٌ . فَقُلْتُ سِرّاً لِرَهِير : مَنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : عُتْبَةُ بْنُ أَرْقَمَ صَاحِبُ الْجَاحِظِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عُتَيْبَةَ ؛ قُلْتُ : بِأَيِّ هُوَ ! لَيْسَ رَغْبَتِي سِوَاهُ . وَغَيْرَ صَاحِبِ عَبْدِ الْحَمِيدِ . قَالَ لِي : إِنَّهُ ذَلِكَ الشَّيْخُ الَّذِي إِلَى جَنْبِهِ ؛ وَعَرَفْتَهُ صَغُورِي إِلَيْهِ وَقَوْلِي فِيهِ ^١ . فَاسْتَدْنَانِي وَأَخَذَ فِي الْكَلَامِ مَعِي . فَصَمْتُ أَهْلَ الْمَجْلِسِ . فَقَالَ : إِنَّكَ لَخَطِيبٌ . وَحَائِكٌ لِلْكَلَامِ مُجِيدٌ . لَوْلَا أَنْتَ مُغَرَّرٌ بِالسَّجْعِ ، فَكَلَامُكَ نَظْمٌ لَا نَثْرٌ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : قَرَعَكَ - بِاللَّهِ - بِقَارَعَتِهِ ، وَجَاءَكَ بِمِمَّا ثَلَّثْتَهُ . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : لَيْسَ هَذَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِنِّي جَهْلًا ^٢ بِأَمْرِ السَّجْعِ ، وَمَا فِي الْمِثَالَةِ وَالْمُقَابَلَةِ مِنْ فَضْلٍ . وَلَكِنِّي عَدِمْتُ بِلَدِي فُرْسَانَ الْكَلَامِ [وَدُهِيتُ بَغَاوَةِ أَهْلِ الزَّمَانِ ، وَبِالْحَرَاءِ أَنْ احْرَكْتَهُمْ بِالْأَزْدَوَاجِ . وَلَوْ فَرَشْتُ لِلْكَلَامِ] ^٣ فِيهِمْ طَوَّلَقًا ^٤ . وَتَحَرَّكَتْ لَهُمْ حَرَكَةُ مَشُولٍ ^٥ . لَكَانَ أَرْفَعُ لِي عِنْدَهُمْ . وَأَوَّلَجَ فِي نَفُوسِهِمْ . فَقَالَ : أَهَذَا عَلَى تِلْكَ الْمَنَاطِرِ . وَكَبِيرُ تِلْكَ الْمَحَابِرِ . وَكَمَالَ تِلْكَ الطِّيَالِيسِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . إِنَّهَا لِحَاءُ الشَّجَرِ . وَلَيْسَ ثُمَّ ثَمَرٌ وَلَا عَبَقٌ . قَالَ لِي : صَدَقْتَ . إِنِّي أَرَاكَ قَدْ مِثَلْتَ مَعِي . قُلْتُ : كَمَا سَمِعْتُ . قَالَ : فَكَيْفَ كَلَامُهُمْ بَيْنَهُمْ ؟ قُلْتُ : لَيْسَ

١ ط : به .

٢ ط : فقلت .

٣ ط : بجهل (اقرأ : لجهل) مني .

٤ ط : الكلام .

٥ قد حاولت شرح هذه اللفظة « طولق » في القسم الثالث : ٦٥٣ ، وفي ظني أن معناها ما جاء في (Vocabulista) لم يتحدد بوضوح : وكلمة « يفرش » هنا قد تفيد أنها حصير أو بساط أو ما أشبهه ، على أن يقترب ذلك بالشموعة أو بالدعوة إلى بيع العقاقير أو التكلم ببذاءة ، أو غير ذلك من الأمور .

٦ في كليلة ودمنة : ٣١ فارقي هذه الرقية « شولم » . شولم « سبع مرات ؛ فاعمل حركة مشولة هي حركة الراقبي وهو يردد لفظة شولم .

لسببويه فيه عمل ، ولا للفراهيدي إليه طريق ، ولا للبيان عليه سِمة . إنَّما
لكنة أعجمية يؤدُّون بها المعاني تأدية المجوس والنبط . فصاح : إنَّا لله .
ذهبت العرب وكلامها ! ارمهم^١ يا هذا بسجع الكُهان ، فعسى أن
ينفعك عندهم ، [ويُطيرَ لك ذِكرًا فيهم ، وما أراك مع ذلك إلاَّ ثَقيلَ
الوطأة عليهم ، كربه المجيء إليهم] . فقال الشيخ الذي إلى جانبه ، وقد
علمتُ أنه صاحبُ عبد الحميد ، ونفسي مرتقبة إلى ما يكون منه^٢ : لا
يغرَّنكَ منه أبا عيينة ما تكلف لك من المائلة ، إنَّ السجع لطبعه .
وإنَّ ما أسمعك كلُّفة . ولو امتدَّ به طلقُ الكلام ، وجرت أفراسه في
ميدان البيان ، لصلتي كودته ، وكلَّ برئته . وما أراه إلا من اللكن
الذين ذكروا ، وإلاَّ فما للفصاحة لا تهدر ، وللأعرابية لا تؤمض ؟
فقلت في نفسي : طبع عبد الحميد ومساقه ورب الكعبة ؛ فقلت له : لقد
عجبت أبا هُبيرة - وقد كان زهير عرْفني بكنيته - إنَّ قوسك
لنزع . وإنَّ ماء سَهْمِكَ لَسَم . أحماراً رميت أم إنساناً ، وقعقة
طلبت أم بياناً ؟ وأبيك إنَّ البيان لصعب^٣ ، وإنك منه لفي عباءة تتكشف
عنها أستاذ معانيك ، تكشف است العنز عن ذنبيها . الزمان دِفء
لا قر ، والكلام عراقي لا شامي . إني لأرى من دم اليربوع بكفئك^٤ .
والمح من كُشَى الضَّب على ماضغيتك . فتبسَّمت إليَّ وقال : أهكذا أنت
يا أطيلس^٥ . تركب لكل نهجته ، وتعيجُ إليه عَجته ؟ فقلت : الذئب

١ ط : ارمهم

٢ ب س : لما يأتي منه .

٣ ط : للبيان لمصبا (اقرأ : لعصيان) .

٤ ب س : المير .

٥ ب س : بفكئك .

٦ ط : طلس .

أطلّس ، وإنّ التّيسّ ما علِمْت : فصاح به أبو عيّنة : لا تعرّض له .
وبالحرّ أن تخلّص منه . فقلت : الحمد لله خالق الأنّام في بطون
الأنعام ! فقال : إنّها كافية لو كان له حجر : فبسطاني وسألاني أن أقرأ
عليهما من رسائي ، فقرأت رسالتي في صفة البرد والنار والخطب
فاستحسنها ، ومن رسالتي^١ في الحلواء حيث أقول :

خرجت في لُمة من الأصحاب ، وثبة من الأتراب ، فيهم فقيه
ذو لقم ، ولم أعرف به ، وغريم بطن ، ولم أشعر له . رأى الحلوى
فاستخفه الشره ، واضطرب به الوله . فدار^٢ في ثيابه . وأسال^٣
من لعابه ، حتى وقف بالأكداس . وخالط غمار الناس ، ونظر إلى الفالودج
فقال : بأبي هذا اللّمص^٤ . انظروه كأنه الفص . مُجاجة الزناير ،
أجريت على شواير^٥ . وخالطها لباب الحبّة ، فجاءت أعذب من ألسنة
الأحبة .

ورأى الخبيص فقال : بأبي هذا الغالي الرّخيص . هذا جليد سماء الرّحمة ،
تمخّضت به فأبرزت منه زبد النعمة ، يُجرّح بالحظ ، ويدوب من اللفظ .
بمّ أبيض ؟ قالوا بماء البيض البض . قال : غضّ من غضّ . ما أطيب
خلكوة الحبيب . لولا حضرة الرقيب .

ولح القبيطاء^٥ فصاح : بأبي نُقرة الفضة البيضاء . لا ترُدّ عن^٦

١ ط : رسائي . ٢ ب س : فبال .

٣ اللّمص : الفالودج .

٤ الشواير : جمع شابورة ، وهي السمكة أو نوع من السمك . ولم يتضح لي ماذا يعني ذلك في السياق .

٥ ط : القبيضى ؛ وهو صواب أيضاً . ب س : لا يؤذي عو .

العَصَّة . أُنْبَارٍ طُبِخَتْ أُمُّ بَنُورٍ ؟ فَلِمَ أَرَاهَا كَقَطْعِ الْبُلُورِ : وَبُلُورٍ
عُجِنَتْ أُمُّ بِحُورٍ ؟ فَلِمَ أَرَاهَا عَيْنٌ ١ عَجِينَ الْمَوْزِ . وَمَشَى إِلَيْهَا وَقَدْ عَدَلَ
صَاحِبُهَا أَرْطَالَ نَحَاسِهِ ، وَعَلَتْ قَسْطَاسَهُ مِنْ أُمِّ رَاسِهِ ؛ فَقَالَ : رِطْلُ
بَدْرَهَمَيْنِ ، وَانْتَهَشَهَا بِالنَّابِئِينَ ، فَصَاحَ : الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ . هَيْه !
وَيْلٌ لِلْمَرْءِ مِنْ فِيهِ .

وَرَأَى الزَّلَابِيَةَ فَقَالَ : وَيْلٌ لَأُمَّتِهَا الزَّانِيَةِ ، أَبْأَحْشَائِي نُسِجَتِ ، أُمُّ مِنْ
صِفَاقِ قَلْبِي أَلْفَتْ ؟ فَلِمَ أَجِدُ مَكَانَهَا مِنْ نَفْسِي مَكِينًا . وَحَبْلٌ هَوَاهَا
عَلَى كَبْدِي مَتِينًا ، فَمِنْ أَيْنَ وَصَلْتُ كَفَّ طَائِبِهَا إِلَى بَاطِنِي ، فَاقْتَطَعَتْهَا مِنْ
دَوَاجِنِي ؟ وَالْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ، لِأَطْلُبَنَّهَا بِالثَّارِ ؛ وَمَشَى إِلَيْهَا ، فَتَلَمَّظَ لَهُ
لِسَانُ الْمِيزَانِ ، فَأَجْفَلَ يَصِيحُ : الثَّعْبَانِ الثَّعْبَانِ !

وَرُفِعَ لَهُ ثَمَرُ النَّشَا ، غَيْرَ مَهْضُومِ الْحِشَا ، فَقَالَ ٢ : مَهْنِمٌ ؟ ! مِنْ
أَيْنَ لَكُمْ جَنَى نَخْلَةِ مَرْيَمَ ؟ مَا أَنْتُمْ إِلَّا السَّحَارُ ، وَمَا جَزَاؤُكُمْ إِلَّا السَّيْفُ
وَالنَّارُ ؛ وَهُمْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا ، فَأَثْبَتَ فِي صَدْرِهِ الْعَصَا ، فَجَلَسَ الْقُرْفُصَا .
يُذْذِرِي الدُّمُوعَ ، وَيُبِيدِي الْخُشُوعَ . وَمَا مِنْهَا ٣ أَحَدٌ إِلَّا عَنْ الضَّحِكِ
قَدْ تَجَلَّدَ . فَرَقَّتْ لَهُ ضُلُوعِي ، وَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ فِيهِ غَيْرُ مُضِيعِي . وَقَدْ تَجَمَّلُ
الْصَّدَقَةُ عَلَى ذَوِي وَفَرٍ ، وَفِي كُلِّ ذِي كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ . فَأَمَرْتُ الْحَلَنَوَانِيَّ
بِابْتِيَاعِ أَرْطَالٍ مِنْهَا تَجْمَعُ أَنْوَاعُهَا الَّتِي أَنْطَقَتْهُ ، وَتَحْتَوِي عَلَى ضُرُوبِهَا ،
الَّتِي أَضْرَعَتْهُ . وَجَاءَ بِهَا وَسَرَرْنَا إِلَى مَكَانٍ خَالٍ طَيِّبٍ ، كَوَصَفِ الْمُهْلَبِيِّ :

١ ب س : غير .

٢ ب س . فصاح .

٣ ب س : وهل هنا .

٤ ب س : صنفوها .

خَانَ تَطِيبُ لِبَاغِي النُّسْكِ خَلَوْتَهُ وَفِيهِ سَرٌّ عَلَى الْفَتَاكِ إِنْ فَتَكُوا^١
فَصَبَّتْهَا رَطْبَةُ الْوُقُوعِ ، كَرَادِيسَ كَقِطْعِ الْجُدُوعِ ؛ فَجَعَلَ يَقْطَعُ
وَيَلْبَعُ ، وَيَدْحُو فَاهُ وَيَدْفَعُ ، وَعَيْنَاهُ تَبِصَّانَ^٢ ، كَأَنَّهُمَا جَمْرَتَانِ ، وَقَدْ
بَرَزَتَا عَلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُمَا خَصِيَّتَانِ ، وَأَنَا أَقُولُ لَهُ : عَلَى رَسْلِكَ أَبَا فَلَانِ !
الْبَيْطُنَةُ تَذْهَبُ الْفَيْطُنَةُ ! فَلَمَّا التَقَمَ جُمْلَةَ جَمَاهِيرِهَا ، وَأَتَى عَلَى مَآخِرِهَا^٣
وَوَصَلَ خَوَرْنَقَهَا بِسَدِيرِهَا ، تَجَشَّأَ فَهَبَّتْ مِنْهُ رِيحٌ عَقِيمٌ ، أَيْقَنَّا لَهَا بِالْعَذَابِ
الْأَلِيمِ . فَنَشَرْتَنَا شَذَرَ مَدَرٍ ، وَفَرَقْتَنَا شَغَرَ بَعَرٍ ، فَالْتَمَحْنَا مِنْهُ الظُّرْبَانِ .
وَصَدَّقَ الْخَبَرَ فِيهِ الْعَيَانُ : نَفَحَ ذَلِكَ فَشَرَّدَ الْأَنْعَامَ^٤ . وَنَفَحَ هَذَا فَبَدَّدَ
الْأَنَامَ ، فَلَمْ نَجْتَمِعْ بَعْدَهَا وَالسَّلَامُ .

فَاسْتَحْسَنَاهَا وَضَحَكَا عَلَيْهَا ، وَقَالَا : إِنْ لَسَجْنَعُكَ مَوْضِعاً^٥ مِنْ
الْقَلْبِ ، وَمَكَاناً مِنَ النَّفْسِ ، وَقَدْ أَعْرَتَهُ مِنْ طَبْعِكَ ، وَحَلَاوَةِ لَفْظِكَ ،
وَمَلَا حَةَ سَوْفِكَ ، مَا أَزَالَ أَفْنَهُ ، وَرَفَعَ غَيْبَهُ^٦ . وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّكَ لَا
تُجَازَى^٧ فِي أَبْنَاءِ جِنْسِكَ ، وَلَا يُمَلُّ مِنَ الطَّعْنِ عَلَيْكَ . وَالْإِعْتِرَاضُ

١ في أخبار ابن القوطية أن ابن هذيل لقيه عائداً من ضيعة له بسفح جبل قرطبة ، فسأله :
من أين أقبلت يا من لا شبيهه له ومن هو الشمس والذئب له فملك
فأجابه :

من منزل يعجب النساء خلوته وفيه سر على الفتاك إن فتكوا

(انظر ابن خلكان ٤ : ٣٦٩) فلعل ابن القوطية تمثل به ، وغير في بعض لفظه .

٢ تبصان : تلمعان ؛ ب س : بنصران .

٣ ب س : آخرها ؛ ط : متأخريها .

٤ ب س : الأنعام .

٥ ب س : مرجعاً .

٦ ط : عيبه .

٧ ط : تجاري .

لك . فَمَنْ أَشَدُّهُمْ عَلَيْكَ ؟ قلت : جارانِ دارُهما ^١ صَقَبَ ، وثالثُ
 نَابَتَهُ نُوبٌ ، فامتطى ظَهْرَ النَّوَى ، وألقَتْ به في سَرَقُسطَةِ العصا .
 فقالا : إلى أبي محمدٍ تُشير ، وأبي القاسمِ وأبي بكرٍ ؟ ^٢ قلت : أجل . قالَا :
 فأين بَلَغْتَ فيهم ؟ قلت أما أبو محمدٍ فانتضى عليَّ لسانَه عندَ المستعين ،
 وساعده زُرَّافَةٌ استَهَوَّاهَا من الحاسدين ، وبلغني ذلك فأنشدتُه شعراً ،
 منه ^٣ :

وَبُلَّغْتُ أَقْوَامًا تَجِيشُ صُدُورُهُمْ عليَّ ، وإني منهمُ فارغُ الصَّدْرِ
 أَصَاخُوا إِلَى قَوْلِي فَأَسْمَعْتُ مُعْجِزًا وغاصوا على سِرِّي فَأَعْيَاهُمْ أَمْرِي
 فَقَالَ فَرِيقٌ : لَيْسَ ذَا الشَّعْرِ شِعْرَهُ وقال فريقٌ : أَيْمَنُ اللَّهِ مَا نَدْرِي
 أَمَا عَلِمُوا أَنِّي إِلَى الْعِلْمِ طَامِسٌ وأنتي الذي سَبَقًا على عِرْقِهِ يَجْرِي
 وَمَا كُلُّ مَنْ قَادَ الْجِيَادَ يَسُوسُهَا ولا كُلُّ مَنْ أَجْرَى يُقَالُ لَهُ : مَجْرِي
 فَمَنْ شَاءَ فَلْيَخْبِرْ فَإِنِّي حَاضِرٌ ولا شيءَ أَجْلَى لِلشُّكُوكِ مِنَ الْخَبْرِ

وأما أبو بكرٍ فأقصر واقتصر على قولِهِ : له تابعةٌ تُؤَيِّدُهُ . وأما أبو
 القاسمِ الإفليليُّ فَمَكَانُهُ مِنْ نَفْسِي مَكِينٌ ، وَحُبُّهُ بِفُؤَادِي دَخِيلٌ ، على أَنه
 حاملٌ عليَّ ، ومنتسبٌ إليَّ . فصاحا : يا أنفَ النَّاقَةِ ابنِ مَعْمَرٍ ، مِنْ
 سُكَّانِ خَيْبَرَ ! فقام إليهما جِنِّي أَشْمَطُ رُبْعَةٍ وارِمِ الأنفِ ، يتظالَعُ

١ ط : دارهما .

٢ يمكن القول إن أبا بكر هو ابن حزم الذي خاطبه في أول الرسالة ، لأنه هو الذي اقتصر
 على قوله : « له تابعة تؤيده » كما سيحيي القول ، وأما ابن القاسم فقد صرح بأنه ابن
 الإفليلي ، ويقتضى الثالث وهو أبو محمد ، وليس لدي ما يعين على التعرف إليه .

٣ ديوان ابن شهيد : ١١٤ والنفع ٣ : ٤٣٩ والمسالك .

٤ النفع والمسالك : فأعجزهم .

في مِشِيته ، كاسراً لطرْفِهِ ، وزاويّاً لأنْفِهِ ، وهو ينشد :

قومٌ هُمُ الأنفُ والأذنانُ غيرُهُمُ ومن يُسَوِّي بأنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبُ^١

فقالا^٢ لي : هذا صاحبُ أبي القاسم ، ما قولُكَ فيه يا أنْفُ النَّاقَةِ ؟
قال : فتىٍّ لم أعْرِفْ على من قرأ . فقلتُ لنفسي : العصا من العُصِيَّة ! إن لم
تعْرِني عن ذاتِكَ ، وتُظْهِرني بعضَ أدواتِكَ ، وأنتَ بينَ فُرسانِ الكلامِ ،
لم يَطرُ لكِ بعدَها طائرٌ ، وكنتِ غَرَضاً لكلِّ حَجَرٍ عابرٍ . وأخذتُ للكلامِ
أَهْبَتَهُ^٣ ، وليستُ للبيانِ بِزَرَّتِهِ ؛ فقلتُ : وأنا أيضاً لا أعْرِفُ على من قرأتِ .
قال المثلثي يقالُ هذا ؟ فقلتُ : فكان ماذا ؟ قال : فطارحنِي كتابَ الخليل ،
قلتُ : هو عِنْدِي في زِنْبِيلٍ ، قال : فناظِرْني على كتابِ سيبويه . قلتُ :
خَرَيْتِ المِرَّةَ عِنْدِي عليه وعلى شرح ابنِ دَرَسْتَوِيهِ ؛ فقال لي : دَعُ عَنْكَ ،
أنا أبُو البيانِ ، قلتُ : لاها الله ! إنما أَنْتَ كَمُغْنٍ وَسَطٌ ، لا يُحْسِنُ
فِي طَرِبٍ ، ولا يُسِيءُ فيلْهِي ، قال : لقد عَلَّمْنِيهِ المؤدَّبُونَ ، قلتُ
ليس هو من شأنِهِمْ ، إنما هو من تعليمِ اللهِ تعالى حيثُ قال : ﴿ الرَّحْمَنُ
عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (الرحمن : ٣ - ٤) ليس
من شعرٍ يُفْتَسِرُ ، ولا أرضٍ تُكْتَسَرُ ، هيهاتَ حتى يكونَ المسكُ من أنْفاسِكَ ،
والعَبْرُ من أنْفاسِكَ ، وحتى يكونَ مَساقُكَ عَذْباً ، وكلامُكَ رَطْباً ، ونَفْسُكَ
من نَفْسِكَ ، وقليبك من قلبِكَ ؛ وحتى تتناولَ الوضِيعَ فترفعه ، والرفِيعَ

١ البيت للحطيشة ، ديوانه : ١٢٨ .

٢ ط : فقال .

٣ ب س : سكتته (اقرأ : سكتته) .

٤ تكسر : تقاس مساحتها وتقدر

فتضعه ، والقبیح فتحسنه ؟! قال : أسمعني مثلاً ، قلت : حتى تصيف
بُرْعُوثاً فتقول ^١ : أسود زنجي ، وأهلي وحشي ؛ ليس بيوان ولا زُمَيْل ،
وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل ، وشونيزة ^٢ ، أو ثبته ^٣ غريزة ، أو
نقطة مِداد ، أو سويند آء قلب قرّاد ، شربه عبّ ، ومشيه وثب ؛ يكمن
نهاره ، ويسري ليله ؛ يدارك بطعن مؤلم ، ويستحيل دم كل مسلم ^٤ ،
مُساوٍ للأساورة ، يجرّ ذيله على الجابرة ؛ يتكفر بأرفع الثياب ، ويهتك
ستر كل حجاب ، ولا يحفل ببواب ؛ يرد مناهيل العيش العذبة ، ويصل
إلى الأحراج الرطبة ، لا يمنع منه أمير ، ولا ينفع فيه غيرة غيور ، وهو
أصغر ^٥ كل حقير ، شره مبثوث ، وعهده منكوث ، وكذلك كل
بُرْعُوث ؛ كفى بهذا نقصاً للإنسان ، ودالاً على قدرة الرحمن .

وحتى تصيف ثعلباً فتقول ^٦ : أدهى من عمرو ، وأفتك من قاتل
حذيفة بن بدر ^٧ ؛ كثير الوقائع في المسلمين ، مغرى بإراقة دماء
المؤذنين ؛ إذا رأى الفرصة انتهزها ، وإذا طلبته الكُماة أعجزها ؛ وهو
مع ذلك بقسراً في إدامه ، وجالينوس في اعتدال طعامه ؛ غداؤه حمام
أو دجاج ، وعشاؤه تدرج أو درّاج .

قال أبو عامر : وكان فيما يقابلني من ناديتهم فتى قد رمانى بطرفه ،

١ اليتيمة ٢ : ٤٦ .

٢ الشونيزة : الحبة السوداء .

٣ ط : أو ثبته .

٤ اليتيمة : كل كافر ومسلم .

٥ ب س واليتيمة : أحقر .

٦ اليتيمة ٢ : ٤٧ .

٧ قاتل حذيفة هو قيس بن زهير .

واتكأ لي على كفته ، فقال : تحيّل على الكلام لطيف وأبيك ! فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : أو ما علمت أن الواصف إذا وصف شيئاً ^١ لم يتقدّم إلى صفته ، ولا سلّط ^٢ الكلام على نعتيه ، اكتفى بقليل الإحسان ، واجتزا بيسير البيان ؟ لأنه لم يتقدّم وصف يُقرَن بوصفه ، ولا جرى مساق يُضاف إلى مساقه ، وهذه نكتة بغدادية ، أنى لك بها يا فتى المغرب ؟ فقلت : لزهير : من هذا ؟ قال : زُبدة الحقب ، صاحب بديع الزمان . فقلت : يا زُبدة الحقب ، اقترح لي . قال : صِف جارية ، فوصفها : قال : أحسنت ما شئت أن تحسّن ؛ قلت : أسمعني وصفك للماء ، قال : ذلك من العقم [قلت : بحياتي هاتيه ، قال] : أزرق كعين السنور ، صاف كفضيب البلور ؛ انتخب من الفرات ، واستعمل بعد البيات ، فجاء كلسان الشمعة ، في صفاء الدمعة .

فقلت ^٣ : انظره يا سيدي كأنه عصير صباح ، أو ذوب قمر ليّاح ؛ له في إنائه ، انصباب الكوكب من سمائه ؛ العين حانوته ، والفم عفيرته ، كأنه خيط من غزل فلق ، أو منحصر يضرب به من ورق ؛ يرفع عنك فتردى ، ويصدع به قلبك فتحيا .

فلما انتهيت في الصفة ، ضرب زُبدة الحقب الأرض برجله ، فانفرجت له عن مثل برهوت ^٤ ، وتدّ هدى إليها ، واجتمعت عليه ، وغابت عينه ، وانقطع أثره . فاستضحك الأستاذان من فعله ، واشتدّ

١ ب س : موصوفاً .

٢ ب س : سرد (اقرأ : سدد) .

٣ اليتيمة ٢ : ٤٦ .

٤ برهوت : واد أو بشر بحزموت يرون أنها مقر أرواح الكفار .

غَيْظُ أَنْفِ النَّاقَةِ عَلَيَّ فَقَالَ : وَقَعَتْ لَكَ أَوْصَافٌ فِي شِعْرِكَ تَظُنُّ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُهَا ؟ فَقُلْتُ لَهُ : وَحَتَّى تَصِفَ عَارِضاً فَتَقُولَ ١ :

وَمُرْتُ جَزِيرَ أَلْقَى بِذِي الْأَثَلِ كُلِّكَلاَّ
سعى في قيادِ الرِّيحِ يُسَمِّحُ لِلصَّبَا
وما زال يُروِي التُّرْبَ حَتَّى كَسَا الرُّبَى
وَعَنَتْ لَهُ رِيحٌ تُسَاقِطُ قَطْرَهُ
ولم أَرْ دُرّاً بَدَّدَتْهُ يَدُ الصَّبَا
وَبِتْنَا نُرَاعِي اللَّيْلَ لَمْ نَقْطُ بِرُدِّهِ
تَرَاهُ كَمَلَّكَ الزَّنْجِ فِي فَرْطٍ كَبْرِهِ
مُطِلاً عَلَى الْأَفَاقِ وَالْبَدْرِ تَاجُهُ
وَحَتَّى تَصِفَ ذُبّاً فَتَقُولَ ٢ :

أَجَدَّ لِعِرْفَانِ الصَّبَا يَتَنَفَسُ
تَذَكَّرَ رَوْضاً ذَا ٣ شَوِيٍّ وَبَاقِرٍ
إِذَا انْتَابَهَا مِنْ أَذْوَابِ الْقَفْرِ ٥ طَارِقٌ
أَزَلُّ كَسَا جُثْمَانَهُ مُتَسَتِّراً
فَدَلَّ عَلَيْهِ لِحْظُ خَيْبٍ مُخَادِعٍ
أَجَدَّ لِعِرْفَانِ الصَّبَا يَتَنَفَسُ
تَوَلَّاهُ أَحْرَاسٌ ٦ مِنَ الذُّعْرِ تَحْرُسُ
حَيْثُ ٦ إِذَا مَا اسْتَشْعَرَ اللَّحْظَ يَهْمُسُ
طَيَّالَسَ سَوْدَاً لِلدُّجَى وَهُوَ أَطْلَسُ
تَرَى نَارَهُ مِنْ مَاءٍ عَيْنِيهِ تَقْبَسُ

١ ديوان ابن شهيد : ١٢١ .

٢ ديوان ابن شهيد : ١١٩ .

٣ ط : من .

٤ ب س : الصمب .

٥ ب س : الليل .

٦ ط : خبيث .

فصاح فتیانُ الحَیْنِ عندَ هذا البیتِ الآخرِ : زَاهِ ! وعلتْ أنفَ الناقَةِ
 كَابَةً . وظَهَرَتْ علیه مَهَابَةٌ ١ . واختلطَ کلامُهُ . وبدأ منه ساعتئذٍ بِوَادٍ
 فی خطابه . رَحِمَهُ لَهَا من حَضَرٍ . وأشْفَقَ علیه من أَجْلِهَا من نَظَرٍ .
 وشَمَّرَ لی فقی کانَ إلى جانبِهِ عن سَاعِدٍ . وقال لی : وهل یضُرُّ قَرِیحتَکَ
 أو یتَقَصُّ من بَدِیْتِکَ أو تجافیتِ لأنفِ الناقَةِ وصبرتَ له ؟ فإنه علی علاَّتِهِ
 زَیْرٌ علم وزنبیل فهمم وکَسَفٌ رِوایة . فقلتُ لزَهِیر : من هذا ؟ فقال : هو
 أبو الآداب صاحبُ ٢ أي إسحاق بن حمامٍ جارِک . فقلتُ : یا أبا الآداب ،
 وزهرة ریحانة الکُتُب . رَفَقاً علی أخیک بَعَثَ لسانِکَ ، وهل کانَ
 یضُرُّ أنفَ الناقَةِ . أو یتَقَصُّ من علمه . أو یفُلُّ شفرةَ فهمه . أن یصبرَ
 لی علی زَايَةٍ تَمُرُّ به فی شِعْرِ أو خُطْبَةٍ . فلا یَهْفُ بها بین تلامِیْذِهِ . ویجعلها
 طَرْمَدةً ٣ من طرامِیْذِهِ ؟ فقال : إنَّ الشَّیْخَ قد تَهَفَّوْا أحلامَهُمْ فی النَّدرة .
 فقلتُ : إنها المرَّةُ بعدَ المرَّةِ . ثم قال لی الأستاذانِ عَتْبَةُ بن أَرْقَمَ وأَبُو
 هُبَیْرَةَ صاحبُ عبدِ الحمید : إِنَّا لَنَخْطِیْطُ مِنْکَ ببِیداءِ حَیْرَةٍ . ونَفْتَقُ
 أَسْمَاعُنَا مِنْکَ بِعِیرَةٍ . وما نَدْرِی أنقولُ : شاعرٌ أمْ خَطِیبٌ ؟ فقلتُ :
 الإنصافُ أَوْلى . والصَّدْعُ بالحقِّ أَحجی . ولا بُدَّ من قضاء . فقالا :
 اذهبْ فإِنَّکَ شاعرٌ خَطِیبٌ . وانفضَّ الجمعُ والأبصارُ إلى ناظِرَةٍ ، والأعناقُ
 تُحوي مائلةً .

قال ابن بسّام : وامتدَّ بأبی عامرٍ الکلامُ فی هذا الباب : ومَدَّ فیهِ
 أَطْطابَ الإطْطابِ والإسْهابِ . فلذلك وقَفْتُ دونَ الغایة . وقطعتُ قَبْلَ
 النِّهاية .

١ ط : مهابة . ٢ ب من : ذابغة .

٣ الطرمدة : المتخورة والتنفج .

قولُهُ في ما عَرَضَ به لصاحب أبي تمام : « بعمرو والقمر الطالع ،
والرقعة المفكوكَة الطابيع » أشار إلى قول أبي تمام في غلامه ١ :

يا عمرو قُلْ للقمرِ الطالعِ اتسعَ الخُرْقُ على الراقعِ
يا طولَ فكري فيكَ من حاملٍ لِرُقعةٍ ٢ مَفْكُوكَةٍ الطابيعِ
ما أَذتَ ٣ إلَّا رَشَاءً خِـاذِلٌ حلَّ بـمغنى أسدٍ جائعِ

وحكى الصولي في أخباره قال ٤ : كان أبو تمام يَتَعَشَّقُ غلاماً
خَزَرَياً للحسن بن وهب . وكان الحسن يَتَعَشَّقُ غلاماً رُومياً حَبِيب .
فراه يعبثُ بِغلامه فقال له : والله لئن سِرتَ إلى الرُّومِ لِأَسِيرَنَّ إلى
الخَزَرِي . فقال الحسن : لو شئتَ حَكَمْتَنِي واحْتَكَمْتَنِي ! فقال أبو
تمام : أنا أَشَبَّهُكَ بداودَ عليه السلام . وأشبهني أنا بِخَصْمِهِ . فقال الحسن :
لو كان هذا منظوماً ٥ ! فقال أبو تمام من جُمْلَةِ أبيات :

أذْكَرْتُني أَمَرَ داوُدَ وَكنتُ فتيً مُصَرِّفَ القلبِ في الأهواءِ والفكرِ ٦
أَعْنَدُكَ الشَّمْسُ لَمْ يَحْظَ المَغِيبُ بِها وَأنتَ مُشْتَغِلُ الأَحْظاظِ ٧ بالقمرِ؟
إنْ أَذتَ لَمْ تَتْرُكْ السَّيرَ الحَنِيثَ إلى جَاذِرِ الرُّومِ أَعَسَّ قُنَّا إلى الخَزَرِ
وَرُبَّ أَمْنَعَ مِنْهُ جَانِباً وَحَمَى أَمْسَى وَتِكَّتْهُ مِنِّي على خِطَرِ

١ ديوان أبي تمام ٤ : ٣٨٦ .

٢ الديوان : صحيفة .

٣ الديوان : هل أَذتَ .

٤ أخبار أبي تمام : ١٩٤ - ١٩٩ ، وانظر الشعر في ديوانه ٤ : ٤٦٣ .

٥ الصولي : لو كان هذا منظوماً خفاه ، أما منشوراً فهو عَرَضَ لا حقيقة له .

٦ الصولي : والذكر .

٧ الصولي : مضطرب الأحشاء ؛ الديوان : مشتغل الأحشاء .

جَرَدْتُ فِيهِ جُنُودَ الْعِزِّ فَأَنْكَشَفْتُ عَنْهُ غِيَاهُهَا عَنْ نَيْكَةِ هَدَرِ
أَنْتِ الْمَقِيمُ فَمَا تَعْدُو رَوَاحِلُهُ وَأَيُّرُهُ أَبَدًا مِنْهُ عَلَى سَفَرِ
وَقِيلَ لِأَبِي تَمَّامٍ : غُلَامُكَ أَطْوَعُ لِلْحَسَنِ مِنْ غُلَامِيهِ لَكَ . قَالَ : أَجَلُ
لَأَنَّ غُلَامِي يُجِدُ عِنْدَهُ مَالًا . وَأَنَا أُعْطِي غُلَامِيهِ قِيْلًا وَقَالَا .

وَكَانَ ابْنُ الزُّبَايَةِ قَدْ وَقَفَ عَلَى مَا كَانَ بَيْنَهُمَا فِي غُلَامِيهِمَا ، فَاتَّفَقَ أَنْ
عَزَمَ يَوْمًا غُلَامُ أَبِي تَمَّامٍ عَلَى الْإِحْتِجَامِ . فَكَتَبَ إِلَى الْحَسَنِ يَعْلِمُهُ بِذَلِكَ ،
وَيَسْتَدْعِيهِ مَطْبُوحًا . فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِمَائَةِ زُقٍ ١ وَمِائَةِ دِينَارٍ . وَكَتَبَ إِلَيْهِ
بشِعْرٍ يَقُولُ فِيهِ :

لَيْتَ شِعْرِي يَا أَمْلَحَ النَّاسِ عِنْدِي هَلْ تَدَاوَيْتَ بِالْحِجَامَةِ بَعْدِي ؟
دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ لِي كُلَّ سُوءٍ بَاكِرٍ رَائِحٍ وَإِنْ خُسْتُ عَهْدِي
قَدْ كَتَمْتُ الْهَوَى بِمِصْبَاحٍ جَنَهِدِي فَبَدَا مِنْهُ غَيْرُ مَا كُنْتُ أَبْدِي
وَحَلَعْتُ الْعِذَارَ إِذْ عَلِمَ النَّاسُ سُبُوتِي بِإِسَّاكَ أَصْفِي بُوْدِي
فَلْيَقُولُوا بِمَا أَحَبُّوا إِذَا كُنْتُ تَوَضَّعْتُ وَلَمْ تَتَرَعَّنِي بِبُصْدٍ

وَاتَّفَقَ أَنْ وَضَعَ الرُّقْعَةَ تَحْتَ مِصْلَاةٍ . وَبَلَغَ مُحَمَّدُ بْنُ الزُّبَايَةِ
خَبْرَهَا . فَوَجَّهَ إِلَى الْحَسَنِ مِنْ سَخْلِهِ بِخَدِيثٍ . وَأَمَرَ مَنْ جَاءَهُ
بِتِلْكَ الرُّقْعَةِ ، فَفَكَهَهَا وَقَرَأَهَا وَكَتَبَ فِيهَا عَلَى لِسَانِ أَبِي تَمَّامٍ :

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ لَيْتَ شِعْرِكَ هَذَا أَهْزَلِ تَقُولُهُ أَمْ بِجِدِّ ؟

فَلَيْسَ كُنْتُ فِي الْمَقَالِ مُجِدِّاً^١ يَا ابْنَ وَهْبٍ لَقَدْ تَطَرَّفْتَ بَعْدِي
وَتَشَبَّهْتَ بِي وَكُنْتُ أَرَى أَنْتَ يَ أَنَا الْعَاشِقُ الْمُتَيْمُّ وَحَدِي
لَا أَحِبُّ الَّذِي يَلُومُ وَإِنْ كَا نَ حَرِيصاً عَلَى صَلاَحِي وَرُشْدِي
بَلْ أَحِبُّ الْأَخَ الْمُشَارِكَ فِي الْحُبِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ مِثْلُ وَجْدِي
كَنَادِمِي أَبِي عَلِيٍّ وَحَاشَا لِنَدِيمِي مِنْ مِثْلِ شِقْوَةِ جَدِّي
إِنَّ مَوْلَايَ عِنْدَ غَيْرِي وَلَوْلَا شَوْمُ جَدِّي إِنْ كَانَ مَوْلَايَ عِنْدِي

ثم قال : ضعوا الرقعة مكانها . فلما قرأها الحسن قال : إننا لله !
افتضحنا والله عند الوزير ! وأعلم أبا تمام بما جرى ، ووجه إليه بالرقعة .
فلقيا محمد بن عبد الملك ، فقالا له : إننا جعلنا هذين الغلامين سبباً لتكاتبنا
بالأشعار ، فلا يظنَّ الوزير - أعزّه الله - إلاَّ خيراً . فقال : ومن يظنُّ
غير هذا بكما ؟ فكان قوله أشدَّ عليهما .

رجع :

قال ابن إسام ، قال ابن حيَّان : وكان أبو القاسم المعروف بابن الإفليلي^٢
الذي به عَرَّضَ ، وجعله الغَرَضُ ، قد بذَّ أهلَ زمانه بقرطبة ، في علم
اللِّسانِ العربيِّ ، والضَّبْطِ لغريبِ اللغة ، في ألفاظِ الأشعارِ الجاهليَّةِ
والإسلاميَّةِ ، والمشاركةِ في بعضِ معانيها ، وكان غيوراً على ما يَحْمِلُ
من ذلك الفنِّ ، كثيرَ الحَسَدِ فيه . راكباً رأسه في الخطأ البَيِّنِ إذا تقلَّده

١ التَّوَلَّى : عَصَا .

٢ أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء القرشي الزهري المعروف بالأنليلي (٣٥٢ -
٤٤١) : انظر ترجمته في الصلوة : ٩٤ وانباء الرواة ١ : ١٨٣ والجدوة : ١٤٢ رالبمية
رقم : ٤٨٥ ومعجم الأدباء ٢ : ٤ وابن خلكان ١ : ٥١ .

أو نشب فيه ، يُجادِلُ عليه ، ولا يصرفه صارفٌ عنه . وعدم علم العروضِ ومعرفته مع احتياجه إليه ، وإكمال صناعته به ، فلم يكن له شروعٌ فيه . وكان لحق الفِتنَةِ البربريةِ بقرطبة ، ومضى الناسُ من حائنٍ وظاعنٍ ، فازدَلَفَ إلى الأمراءِ المتداولين بقرطبة من آل حمّود ومن تلاهم إلى أن نالَ الجاه .

واستكتبه محمد بن عبد الرحمن المستكني بعد ابن بُرْد ، فوقع كلامه جانباً من البلاغة . لأنه كان على طريقةِ المعلمين المتكلفين ، فلم يجبر في أساليب الكتابِ المطبوعين فزهد فيه . وما بلغني أنه أُلِفَ في شيءٍ من فنونِ المعرفةِ إلا كتابه في شعر المتنبي لا غير . ولحقته تَهمةٌ في دينه في أيام هِشامِ المرواني في جُملةٍ من تُتَبَّعٍ من الأطباءِ في وقته كابن عاصمِ الشبائسي^١ والحمّار^٢ وغيرهم . وطُلبَ ابنُ الإفليلي وسُجِنَ بالمطبق ، ثم أُطلق . وفيه يقول موسى بن الطائف^٣ من قصيدة :

يا مبصراً عَمِيَتْ نَوَاطِرُ فَهْمِهِ عَنْ كُنْهِ عَرْضِي فِي الْبَدِيعِ وَطَوِي

١ ط : الديالي (اقرأ : الليالي) ؛ وفي ب س : السبائي ؛ وفي ابن أبي أصيمة (٢) : (٤٧) السبائي ؛ والشبائسي هو قاسم بن محمد القرشي المرواني ، ذكر ابن حزم أنه قُرف وشهد عليه عند القضاة بما يوجب القتل فسجن ، ثم تشفع إلى المنصور ابن أبي عمر فأطلقه (الجذوة : ٣١٠ والبيغة رقم : ١٢٩٦) .

٢ الحمّار هو سعيد بن فتحون المرقسطي ، وقد ذكر أنه امتحن من قبل المنصور وسجن مدة (الغرر الجذوة : ٢٠٨ والبيغة رقم : ٨١٣ وطبقات صاعد : ٦٨ والذيل والتكملة : ٢٤٦) .

٣ موسى بن الطائف (الجذوة : ٣١٧ والبيغة رقم : ١٣٢٥) أنه كان من شعراء بني نصر ، ونسب إليه الأبيات « لا تمنني من سحتك ... » في القصيدة التي في تاريخ ابن بسام في القسم الثالث : ٣٢٠ - ٣٢١ لابن مهران ... (الجذوة : ٢٤٦ والبيغة رقم : ١٢٣) .

لو كنت تعقل^١ ما جهلت مقاومي
ولئن ثلبت الشعر وهو أباطيل^٢
وخلعت ربقي الدين عنك منابذاً
وأقمت للجبال مثلك في الغبا
ومِنَ المغايط أن تكون مُقَلِّداً
تعتل في الأمر الصحيح مُعَانِداً
وتظن أنك من فنوني موسر^٣
سيسل رُوحك من خبيث قراره
وأخص سيف الدولة المليك الرضي
وأريك رأي العين أنك ذرة^٤
من ضاق فرسخه بخطوة ميل
فلقد ثلبت حقائق التنزيل
ولبت ثوب الزيف والتعطيل
علماً مشيت أمامه برعيل
علماً ، ولو مقدار وزن فتيل
أبدأ وفهمك علة الملول
وكثير شأنك لا ينهي بقليلي
تأثير هذا الصارم المصقول
ليعيد عقدة رباطك المحلول
عبثت بها مني قوائم فيل

رجع الحديث إلى أخبار ابن شهيد

قال أبو عامر : وحضرت أنا أيضاً وزهير مجلساً من مجالس الجن ،
فتذاكرنا ما تعاورته الشعراء من المعاني ، ومن زاد فأحسن الأخذ ، ومن
قصر ، فأنشد قول الأفوه بعض من حضر :

وترى الطيبر على آثارنا رأيَ عينٍ ثِقَّةً أن ستمار^٢

وأنشد آخر قول النابغة^٣ :

١ ب س : تعلم .

٢ بيت الأفوه في ديوانه (الطرائف الأدبية : ١٣) والخزانة ٢ : ١٩٦ وزهر الآداب : ١٠٠٠ والصناعتين : ٢٢٥ والوساطة : ٢٧٤ .

٣ انظر ديوان النابغة : ٥٧ وزهر الآداب : ٩٩٨ والصناعتين : ٢٢٥ والوساطة : ٢٧٤ والمطرب : ١٦٢ .

إذا ما غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ
تَراهُنَّ خَلَفَ الْقَوْمَ خُزْرًا عَيُونُهَا
عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
جُلُوسِ الشَّيْخِ فِي ثِيَابِ الْمِرَانِبِ
جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ
إِذَا مَا التَقَى الْجَيْشَانِ أَوَّلُ غَالِبِ

وَأُنْشِدْ آخَرَ قَوْلَ أَبِي نُوَّاسٍ ١ :

تَتَأَيَّى الطَّيْرُ غَدَوَتَهُ
ثِقَمَةً بِالشَّبْعِ مِنْ جَزَرِهِ

وَأُنْشِدْ آخَرَ قَوْلَ صَرِيعِ الْغَوَانِي ٢ :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقَنَ بِهَا
فَهَنَ يَتْبَعُهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلٍ

وَأُنْشِدْ آخَرَ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ ٣ :

وَقَدْ ظَلَلْتُ عَقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضُحَى
أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ ٤ حَتَّى كَانَهَا
بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ
مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلِ

فَقَالَ شَمْرَدَلُ السَّحَابِي : كُلُّهُمْ قَصَرُ عَنْ النَّابِغَةِ ، لِأَنَّهُ زَادَ فِي
الْمَعْنَى ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّ الطَّيْرَ إِنَّمَا أَكَلَتْ أَعْدَاءَ الْمَدُوحِ ، وَكَلَامُهُمْ كُلُّهُمْ

١ ديوان أبي نوَّاس : ٦٩ وزهر الآداب : ٩٩٨ والصناعتين : ٢٢٦ والوساطة : ٢٧٤
والمطرب : ١٦١ .

٢ ديوان صريع الغواني : ١٢ وزهر الآداب : ٩٩٨ والصناعتين : ٢٢٦ والمطرب :
١٦٢ .

٣ ديوان أبي تمام : ٣ : ٨٢ وزهر الآداب : ٩٩٨ والصناعتين : ٢٢٦ والوساطة :
٢٧٤ والمطرب : ١٦٢ .

٤ ب س : الفرسان .

مشترك يحتَمَلُ أن يكونَ صِدًّا ما نواهُ الشاعرُ ، وإن كان أبو تمامٍ قد زاد في المعنى ؛ وإنما المحسنُ المتخلِّصُ المتنبِّي حيثُ يقول ١ :

له عسكرا خيلٍ وطيرٍ إذا رمى بها عسكراً لم تبقَ إلا جماجمُهُ

وكان بالحضرةِ فتىً حسنُ البِزَّةِ ، فاحتدَّ لقولِ شَمَرْدَلٍ ، فقال : الأمرُ على ما ٢ ذكرتُ يا شَمَرْدَلُ ، ولكن ما تسألُ الطيرُ إذا شَبِعَتْ أي القبيلين الغالب . وأما الطيرُ الآخر فلا أدري لأي معنى عافَتِ الطيرُ الجماجمَ دونَ عِظامِ السوقِ والأذُرُعِ والفِقَارَاتِ والعَصَاصِصِ ؟ ولكن الذي خلَّصَ هذا المعنى كله ، وزاد فيه ، وأحسنَ التركيبَ ، ودلَّ بلفظةٍ واحدةٍ على ما دلَّ عليه شعرُ النابغةِ وبيتُ المتنبِّي ، من أن القتلى التي أكلتها الطيرُ أعداءُ الممدوحِ ، فاتكِ بنُ الصَّقْعَبِ في قوله ٣ :

وتدري سباعُ الطيرِ أن كُمَاتَهُ إذا لَقِيَتْ صِيدَ الكُمَاةِ سِباعُ
لهنَّ لُعَابُ في الهواءِ وهَزَّةٌ إذا جدَّ بين الدَّارِعِينَ قراعُ
تطيرُ جِيعاً فوقهُ وتردُّها ظُبَاهُ إلى الأوكارِ وهي شِباعُ
تَمَلِّكُ بالإحسانِ رِبْقَةً رِقْها فَهْنٌ رَقِيقٌ يَشْتَرى وَيَباعُ

١ ديوان المتنبِّي : ٢٤٧ والمطرب : ١٦٢ .

٢ ط : كما .

٣ أورد ابن خلكان (١ : ١١٧) بيتين من هذه القصيدة ونسبهما لابن شهيد ، ولعله تابع في ذلك صاحب المطرب : ١٦١ ؛ ونرى ابن شهيد هنا ينسب الأبيات إلى جني اسمه ناتك ابن الصقعب ، فهل هو يعني نفسه ؟ إن جنيته هو زهير لا فاتك ، فهل كان له غير تابع واحد ؟ يبدو ذلك ، لأن هذا الجني نفسه هو الذي استطاع أن يأخذ معنى امرئ القيس « سموت إليها ... » البيت ، وأن يحله في أبياته « ولما تملأ من سكره » ؛ وهذا أمر معروف من فعل ابن شهيد والأبيات ثابتة له ؛ فلماذا اختار ابن شهيد في هذا الموقف أن يكون له تابعان ؟ وقد أدرجت الأبيات العينية في ديوان ابن شهيد : ١٢٣ .

وَأَلْحَمَ مَنْ أَفْرَاحِهَا فِيهِ طَوْعُهُ لَدَى كُلِّ حَرْبٍ وَالْمُلُوكُ تُطَاعُ
تُصَاصِعُ جِرْحَاهَا فَيُجْبِيهِنَّ نَقَرُهَا عَلَيْهِمِ وَلِلطَّيْرِ الْعِتَاقِ مِصَاعُ

فَاهْتَزَّ الْمَجْلِسُ لِقَوْلِهِ ، وَعَلِمُوا صِدْقَهُ. فَقُلْتُ لَزَهْرٍ : مَنْ فَاتِيكَ بْنُ
الصَّقْعَبِ ؟ قَالَ : يَعْنِي نَفْسَهُ . قُلْتُ لَهُ : فَهَلَا عَرَفْتَنِي شَأْنَهُ مِنْذُ حِينَ ؟
[إِنِّي لَأَرَى نَزْعَاتِ كَرِيمَةٍ] . وَقَمْتُ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ جِلْسَةَ الْعَظَمِ لَهُ . فَاسْتَدَارَ
نَحْوِي ^١ . مَكْرَمًا لِمَكَانِي ، فَقُلْتُ : جَدَّ أَرْضُنَا — أَعَزَّكَ اللَّهُ — بِسَحَابِكَ ، وَأَمَطَرْنَا
بِعُيُونِ آدَابِكَ . قَالَ : سَلْ عَمَّا شِئْتُ ، قُلْتُ : أَيُّ مَعْنَى سَبَقْتُكَ إِلَى الْإِحْسَانِ
فِيهِ غَيْرُكَ . فَوَجَدْتَهُ حِينَ رُمْتَهُ صَعْبًا عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّكَ نَفَذْتَ فِيهِ ؟ قَالَ : مَعْنَى
قَوْلِ الْكَنْدِيِّ :

سَمَّوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا سَمَّوْتُ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ ^٢

قُلْتُ : أَعَزَّكَ اللَّهُ ، هُوَ مِنَ الْعُتْمِ . أَلَا تَرَى عَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهُوَ مِنْ
أَطْبَعِ النَّاسِ ، حِينَ رَامَ الدُّثْنَ مِنْهُ وَالْإِلْمَامَ بِهِ ، كَيْفَ افْتَضَحَ فِي قَوْلِهِ :

وَنَفَقَضْتُ عَنِّي النُّومَ أَقْبَلْتُ مُشْيَةَ الْـ حُبَابِ وَرُكْنِي خَيْفَةُ الْقَوْمِ أَزُورُ ^٣

قَالَ : صَدَقْتَ ، إِنَّهُ أَسَاءَ قِسْمَةَ الْبَيْتِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُلَطِّفَ التَّوَصُّلَ . فَجَاءَ
مَقْبَلًا بِرُكْنٍ كَرُّكَنِهِ أَزُورُ ^٤ ؛ فَأَعْجَبَنِي ذَلِكَ مِنْهُ ، وَمَا زِلْتُ مُقَدِّمًا لِهَذَا
الْمَعْنَى رِجْلًا ، وَمُؤَخَّرًا عَنْهُ أُخْرَى ، حَتَّى مَرَرْتُ بِشَيْخٍ يَعْلَمُ بِنِيَّاءِ لَهُ صِنَاعَةُ

١ ط : حَوْلِي .

٢ ديوان امرئ القيس : ٣١ .

٣ ديوان عمر : ١٢٣ وفيه « خشية القوم » .

٤ ب س : بِرُكْنِ أَزُورِ بِرُكْنِ أَزُورِ كَمْ ذَلِكَ .

الشعر وهو يقول^١ له : إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك فأحسن تراكيبه وأرق حاشيته ، فاضرب عنه جملة ، وإن لم يكن بدّ ففي غير العروض التي تقدّم إليها ذلك المحسن^٢ ، لتشط^٣ طبيعتك ، وتقوى منتك ، فتذكرت قول الشاعر وقد كنت أنسيته^٤ :

لَمَّا تَسَامَى التَّجَمُّ فِي أَفْقِهِ وَلاَحَتِ الْجَوَازُءُ وَالْمِرْزَمُ^٥
أَقْبَلْتُ وَالْوَطْءُ خَفِيفٌ كَمَا يَنْسَابُ مِنْ مَكْمَنِهِ الْأَرْقَمُ^٦
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ صَدَقَ ، وَابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ لَوْ رَكِبَ غَيْرَ عَرُوضِهِ
لَخَلَصَ^٧ ، فَقُلْتُ أَنَا فِي ذَلِكَ :

وَلَمَّا تَمَلَّأَ مِنْ سُكْرِهِ فَنَامَ وَنَامَتِ^٨ عَيُونُ الْعَمَسِ^٩
دَنُوتُ إِلَيْهِ عَلَى بَعْدِهِ دُنُوٌّ رَفِيقٌ دَرَى مَا التَّمَسُ^{١٠}
أَدَبُ إِلَيْهِ دَيْبَ الْكَرَى وَأَسْمُو إِلَيْهِ سُمُو النَّفَسِ^{١١}
وَبِتُّ بِهِ لِيَلْتِي نَاعِمًا إِلَى أَنْ تَبَسَّمَ ثَغْرُ الْغَاسِ^{١٢}
أَقْبَلُ مِنْهُ بِيَاضِ الطُّلَا وَأَرَشُفُ مِنْهُ سَوَادَ اللَّعَسِ^{١٣}
فَقَمْتُ وَقَبَلْتُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَقُلْتُ : لَلَّهِ دَرَّ أَيْبُكَ !

١ ب س : لتنيط .

٢ البيهقي لا سماعيل بن يسار من قصيدة له في الأغاني ٤ : ١٧٤ وذكر أبو الفرج (١٨٤)
أن فيهما غناء لابن سريج ، وأنه غنى بها في حضرة الوليد بن يزيد ؛ وانظر أيضاً
الأغاني ٩ : ٢٨١ - ٢٨٢ ، ٢٨٤ (٣) الأغاني (٩ : ٢٨١) .

حتى إذا الليل خبا ضوؤه وغابت

٤ الأغاني : خفي .

٥ ب س : فقلت .

٦ ب س : لتخلص .

٧ ب س : وملت .

٨ ب س : دنأ فالتمس .

قال ابن بسّام : وذكر بعض الرواة^١ ان هذين البيتين . [نعي
البيتين المتقدمين على شعر أبي عامر] . غنى بهما في مجلس الواثق
مُخَارِقٌ ، فطرب واستملح معناهُما ، وقال الواثق :

قالت إذا الليّلُ دجا فأتينا فجنّتها حين دجا الليّلُ
خنفيّ وطء الرجل من حارسٍ ولو درى حلّ بي^٢ الويل
وأنشد بعضهم لأبي دهبَل الجمحي^٣ :

قالت : إذا ما جئنا فأتينا ليلاً إذا ما هجع السامرُ
واستطع علينا كسقوط الندى ليلة لا ناه ولا زاجرُ

قال أبو عامر : فقال لي فاتك بن الصّقّعب : فهل جاذبت^٤ أنت
أحدًا من الفحول ؟ قلت نعم ، قول أبي الطيّب^٥ :

أخْلَعُ المجدّ عن كتفي وأطلسبه وأترك الغيث في غمدي وأنّجع

قال لي : بماذا ؟ قلت بقولي^٦ :

- ١ انظر الأغاني ٩ : ٢٨١ - ٢٨٢ .
- ٢ ب س : به ، وأثبت رواية ط والأغاني .
- ٣ ينسب هذا الشعر لوضاح اليمن ، انظر الأغاني ٦ : ٢٠٣ - ٢٠٤ ، وروايته : قالت
لقد أعييتنا حجة ، فأت ... البيت . وانظر الفوات ٢ : ٢٧٢ في ترجمة وضاح اليمن
(واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل بن عبد كلال) وتهذيب ابن عساكر ٧ : ٢٩٥ .
- ٤ ب س : جاريت .
- ٥ ديوان المتنبي : ٣٠٢ .
- ٦ انظر ما تقدم ص : ٢٤٩

ومن قُبّةٍ لا يُدْرِكُ الطرفُ رَأْسَهَا تَزِلُّ بِهَا رِيحُ الصَّبَا فَتَحْدَرُ
إِذَا زاحمتُ منها المَخَارِمَ صَوَّبَتْ هَوِيّاً على بعدِ المدى وهي تَجَارُ
تَكَلَّفْتُهَا وَاللَّيْلُ قَدْ جَاشَ بِحَرُّهُ وَقَدْ جَعَلَتْ أُمُوجُهُ تَتَكَسَّرُ
وَمِنْ تَحْتِ حُضْنِي أبيضٌ ذُو سَفَاسِقٍ وَفِي الكَفِّ مِنْ عَسَالَةِ الخَطِّ أَسْمَرُ
هُمَا صَاحِبَايَ مِنْ لَدُنْ كُنْتُ يَافِعاً مُقِيلَانِ مِنْ جَدِّ الفَتَى حِينَ يَعُثِرُ
فَذَا جَدُولٌ فِي الغَمْدِ تَسْقَى بِهِ المَنَى وَذَا غُصْنٌ فِي الكَفِّ يُجَنِّى فَيُشْمِرُ

فَقَالَ : وَالله لئنْ كَانَ الغَيْثُ أَبْلَغَ ، فَلَقَدْ زِدْتَ زِيَادَةً مَلِيحَةً طَرِيفَةً .
وَاخْتَرَعْتَ مَعَانِيَ لَطِيفَةً . هَلْ غَيْرُ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : وَقَوْلُهُ أَيْضاً ١ :

وَأَظْمَأَ فَلَا أُبْدِي إِلَى المَاءِ حَاجَةً وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ اليَعْمَلَاتِ لُعَابُ
قَالَ : بِمَاذَا ؟ قُلْتُ : بِقَوْلِي ٢ :

وَلَمْ أَنْسَ بِالنَّوْوسِ أَيَّامَنَا الأَلَى بِهَا أَيْنُنَا ٣ مَحْبُوبُهَا وَحِبَابُهَا
وَفَتِيَّةَ ضَرْبٍ مِنْ زَنَاتَةِ مُمَطِّرٍ بِوَبْلِ المَنَايَا طَعْنُهَا وَضِرَابُهَا
وَقَفْنَا عَلَى جَمْرٍ مِنَ المَوْتِ وَقَفَّةً صِلِي لَظَاهُ دَابُّ قَوْمِي وَدَابُّهَا
إِذَا الشَّمْسُ رَامَتْ فِيهِ أَكَلَ لِحُومِنَا ٤ جَرَى جَشَعاً فَوْقَ الجِيَادِ لُعَابُهَا

فَصَاحَ صَاحِبَةُ مُنْكَرَةٍ مِنْ صِيَاحِ الجَنِّ كَادَ يُنْخَبِ ٥ لَهَا فُؤَادِي
فَزَعَا وَالله مِنْهُ .

١ ديوان المتنبي : ٤٧٩ .

٢ ديوان ابن شهيد : ٩٥ .

٣ ط ب : أَيْنُنَا .

٤ ب س : لِحُومِهَا .

٥ ب س : يَنْجَب .

وكان بنجوةٍ منا جنيّ كأنه هضبة لركانتهِ وتقْبُضِهِ ، يحدّق في
دُونَهُمْ ، يَرْمِينِي بِسَهْمَيْنِ نَافِذَيْنِ ، وأنا أُلُوذُ بِطَرْفِي عَنْهُ ، وأُسْتَعِذُ
بِاللّهِ مِنْهُ ، لأنه مَلَأَ^١ عَيْنِي وَنَفْسِي . فقال لي لَمَّا انْتَهَيْتُ ، وقد اسْتَخَفَّتْ
الْحَسَدُ : على من^٢ أَخَذْتَ الزَّمِيرَ ؟ قلتُ : وإنما أنا نَفَاحٌ عِنْدَكَ مِنْذُ الْيَوْمِ ؟
قال : أَجَل ! أعطينا كلاماً يَرَعَى تِلَاعَ الفصاحة ، ويستَحِمُ بِمَاءِ العُدوبةِ
والبراعةِ ، شديدَ الأسْرِ جَيِّدَ النِّظَامِ ، وَضَعَهُ على أيّ مَعْنَى شِئْت . قلتُ :
كأيّ كلام ؟ قال : ككلامِ أبي الطَّيِّبِ^٣ :

نزلنا على الأكوارِ نمشي كرامةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا
لَدُمُ السَّحَابِ الْغُرِّ في فِعْلِهَا بِهِ وَنُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتَبَا

وكفوله^٤ :

أرأيتَ أكبرَ هِمّةٍ مِنْ ناقي حملتُ يداً سُرْحاً وَخُفّاً مَجْمَرا
نرکتُ دُخَانَ الرَّمْثِ في أوطانها طَلَباً لِقَوْمٍ يُوْقِدُونَ الْعَنبرا
وتَرَفَعَتْ رُكْبَاتُهَا عَنْ مِبرَكِ تَعَانٍ فِيهِ ، وَلَيْسَ مِسْكَاً أَذْفَرا
فَأَتَتْكَ دَامِيَةَ الْأَظْلَلِ كَأَنَّمَا حُدَيْتَ قَوَائِمُهَا الْعَقِيقَ الْأَحْمَرا

وكفوله^٥ :

- ١ ب س : كان ملأ .
- ٢ ب س : عن .
- ٣ ديوان المتنبي : ٣١٨ .
- ٤ ديوان المتنبي : ٥٤٠ - ٥٤١ .
- ٥ ديوان المتنبي : ٢٩٤ : وفي ط : كل ظالم

على كُلِّ طَائِفٍ تَحْتَ طَائِفٍ كَأَنَّمَا من الدَّمِ يَسْقَى أَوْ مِنَ اللَّحْمِ يَطْعَمُ
لَهَا تَحْتَهُمْ^١ زِيُّ الْفَوَارِسِ فَوْقَهَا فَكُلُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَنَانِمٌ
وَمَا ذَاكَ بَخْلًا^٢ بِالنَّفُوسِ عَلَى الْقَنَا وَلَكِنَّ صَدَمَ الشَّرِّ بِالشَّرِّ أَحْزَمُ

فَادْنِ وَاللَّهِ بِمَا^٣ قَرَعَ بِهِ سَمْعِي ، وَقُلْتُ لَهُ : أَيُّ مَاءٍ لَوْ كَانَ مِنْ
جِمَامِكَ ، وَاسْتَهَلَّتْ بِهِ عَيُونُ غَمَامِكَ ! ثُمَّ اسْتَقْدَمْتُ^٤ فَأَنْشَدْتُهُ^٥ :

وَلَرُبَّ لَيْلٍ لِلْهَمُومِ تَهْدَأَتْ أَسْتَارُهُ فَمَحَا الصَّوَى بِسُتُورِهِ
كَالْبَحْرِ يَضْرِبُ وَجْهَهُ فِي وَجْهِهِ صَعَبٌ عَلَى الْعُبَّارِ وَجْهٌ عُبُورُهُ
طَاوَلْتُهُ مِنْ عَزَمَتِي بِمُضَبَّرٍ أَثَبْتُ هَمِّي فِي قَرَارَةٍ كُورُهُ
وَعَلِيَّ لِلصَّبْرِ الْجَمِيلِ مُفَاضَّةٌ تَلْقَى الرَّدَى فَتَكِيلُ دُونَ صَبُورِهِ
وَبِرَاحَتِي مِنْ فِكْرَتِي^٥ ذُو ذُرَّةٍ عَهْدَتُ تُذَكِّرُنِي لِطَبْعِ ذَكِيرِهِ
فَرْدًا إِذَا بَعَثَ دِيَاجِي جَنْحِهِ هَوْلًا عَلَيَّ خَبَطْتُ فِي دِيحُورِهِ
حَتَّى بَدَا عَبْدُ الْعَزِيزِ لِنَاطِرِي أُمِّلِي فَمَزَقْتُ الدُّجَى عَنْ نُورِهِ

[وَأَنْشَدْتُهُ^٦ :

اللَّهُ فِي أَرْضٍ غُدِيتَ هَوَاءَهَا وَعِصَابَةٌ لَمْ تَتَّهِمْ إِشْفَاقَهَا
نَكَزَتْهُمْ أَفْعَى الْخَطُوبِ وَعَوَجَلُوا بِمِثْلٍ مِنْهَا فَكُنْ دِرْيَاقَهَا

١ الديوان : في الوغى .

٢ ب س : مما .

٣ ط : استعزمت .

٤ انظر ما تقدم ص : ٢٠٩

٥ ب س : همي .

٦ ديوان ابن شهيد : ١٣٧ .

وَأَفْتَحَ مَغَالِقَهَا بِعِزْمَةٍ فَيَصِلُ
وَلَوْ أَنَّهَا مِنْهُ إِذَا مَا اسْتَلَّهَا
لَوْ حَاوَلَتْ سَوْقَ الثُّرَيَّا سَاقَهَا
تَتَعَرَّضُ الْجُوزَاءُ حَلَّ نِطَاقَهَا]
وَأَنشَدَتْهُ ١ :

لَا تَبْكِيَنَّ مِنَ اللَّيَالِي أَنَهَا
فَأَقْلُ مَا لَكَ عِنْدَهَا سَيْفُ الرَّدَى
وَرَحِيلُ عَيْشِكَ كُلَّ رِحْلَةٍ سَاعَةٍ
فَإِذَا بَكَيْتَ فَبَكَ عُمَرُكَ ، إِنَّهُ
حَرَمَتُكَ نَفْسَةَ شَارِبٍ مِنْ مَشْرَبٍ
يُسْتَلُّ مِنْ شَعْرِ الْقَذَالِ الْأَشِيبِ
وَفَنَاءُ طَيْبِكَ فِي الزَّمَانِ الْأُطَيْبِ
زَجِلُ الْجَنَاحِ يَمُرُّ مَرَّ الْكُوكَبِ
وَأَنشَدَتْهُ ٢ :

وَلَمْ أَرَ مِثْلِي مَا لَهُ مِنْ مَعَاصِرٍ
وَلَوْ كَانَ لِي فِي الْجَوْ كَسْرٌ ، أَوْ مُهٌ
وَهَمَّتْ بِإِجْهَاشٍ عَلِيٍّ وَقَدْ رَأَتْ
فَقُلْتُ لَهَا : إِنْ تَجَزَّعِي مِنْ مَخَاطِرِ
[تَشَهَّتْ ثَمَارَ الْوَقْرِ مِنِّي وَإِنَهَا
وَلَا كَمِثَالِي مَا لَهُ مِنْ مُضَافِرٍ
رَكِبْتُ إِلَيْهِ ظَهَرَ فَتَخَاءَ كَاسِرِ
مُصَابِي فِي آثَارِ إِحْدَى الْكَبَائِرِ
فَإِنَّكَ لَنْ تَحْظِي بِغَيْرِ الْمَخَاطِرِ
لَدَى كُلِّ مُبِضِّ الْعَنَانِيذِ ٣ وَافِرِ

- ١ ديوان ابن شهيد : ٩١ . ٢ ديوان ابن شهيد : ١١١ (عن الذخيرة)
٣ ب س : كمصابي... مظافر . ٤ ب س : ولو أن لي في الجو كسراً
٥ ب س : لم . ٦ ط : الخطائر .
٧ العنانيذ : جمع عناز ؛ جاء في الامتاع والمؤانسة (٢ : ١٧٤) :
أبو العباس قد حج وقد عاد وقد غنى
وقد علق عنازاً فهذا هم كما كنا
وشرح المحققان العناز بأنه طبل كان يعلقه المخشون وأصحاب الغناء في أعناقهم
ويقترح محققو هذا القسم من الذخيرة أن تقرأ اللفظة « عنانيذ »

له في بياضِ اليومِ يَقْظَةٌ فاجر
رُوَيْدُكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي
ودون اعتزامي هَضْبَةٌ كَسْرِيَّةٌ
لِذَا نَحْنُ أَسْنَدْنَا إِلَيْهَا تَبَلَّجَتْ ٢
وَأَنْتِ ابْنُ حَزَمٍ مُنْعِشٌ مِنْ عَثَارِهَا
[وما جَرَّ أَذْيَالَ الْغَيِّ نَحْوَ بَيْتِهِ
إِذَا مَا تَبَغَى نَضْرَةَ الْعَيْشِ كَرَّهَا
فَسَلَّ مِنَ التَّأْوِيلِ فِيهَا مُهَنْدًا
[لِمُعْتَزِلِي الرَّأْيِ نَاءٌ عَنِ الْهَدْيِ
يُطَالِبُ بِالْهِنْدِيِّ فِي كُلِّ فَتْكَةٍ ٤

وَأَنْشَدَتْهُ ٥ :

وتحت سوادِ الليلِ هِجْعَةٌ كَافِرٍ [
غِيَابَةُ هَذَا الْعَارِضِ الْمَتَأَثِّرِ ١
مِنْ الْحَزَمِ سَلْمَانِيَّةٌ فِي الْمَكَّاسِرِ
وَارِدُنَا عَنْ نَيْرَاتِ الْمَصَادِرِ
إِذَا مَا شَرَقْنَا بِالْجُدُودِ الْعَوَائِرِ
كَأَرْوَعٍ مُعْرَوِرٍ ظُهُورَ الْجَرَائِرِ]
لَدَى مَشْرِعٍ لِلْمَوْتِ لِمَحَةِ نَاطِرٍ
أَخُو ٣ شَافِعِيَّاتِ كَرِيمِ الْعُنَاصِرِ
بَعِيدِ الْمَرَامِي مُسْتَمِيمِ الْبَصَائِرِ]
ظُهُورَ الْمَذَاكِي عَنْ ظُهُورِ الْمُنَابِرِ

وَقَالَتِ النَّفْسُ لَمَّا أَنْ خَلَوَتْ بِهَا
حَتَامَ أَنْتِ عَلَى الضَّرَاءِ مُضْطَجِعٌ
[وَفِي السَّرَى لَكَ ، لَوْ أَرَمَعْتَ مَرْتَحِلًا
ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ بِفَضْلِ ٦ الْقَوْلِ تَنْهَضُنِي ٧

أَشْكُو إِلَيْهَا الْهَوَى خَلُوءًا مِنَ النِّعَمِ :
مُعَرَّسٌ فِي دِيَارِ الظُّلُمِ وَالظُّلَمِ ؟
بُرءٌ مِنَ الشَّوْقِ أَوْ بُرءٌ مِنَ الْعَدَمِ]
فَقُلْتُ : إِنِّي لِأَسْتَحْيِي بَنِي الْحَكَمِ

١ استمده من قول الشاعر :

رُوَيْدُكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي

عناية هذا العارض المتألق

٢ ب س : ببلجة .

٣ ب س : أخوا .

٤ ط ب : فكة .

٥ ديوان ابن شهيد : ١٥١ .

٦ ط : بفصل .

٧ ط : تقضهني (أقرأ : تفضهني) .

الْمُلْحِفِينَ رِداءَ الشَّمْسِ مَجْدَهُمْ^١
 أَلَمْتُ^٢ بِالْحُبِّ حَتَّى لَوْ دَنَا أَجَلِي
 وَذَادَنِي كَرَمِي عَمَّنْ وَلِهَتْ بِهِ
 تَخَوَّنَتْنِي رِجَالُ^٣ طَالَمَا شَكَّرْتُ
 لَنْ وَرَدْتُ سُهَيْلًا غِيبًا ثَالِثَةً
 هُنَاكَ لَا تَبْتَغِي غَيْرَ السَّنَاءِ يَدِي
 حَتَّى تَرَانِي فِي أَدْنَى مَوَاقِبِهِمْ^٤
 رِيَّانَ مِنْ زَفَرَاتِ الْخَلِيلِ أَوْرَدُهَا
 قُدَّامَ أَرْوَغٍ مِنْ قَوْمٍ وَجَدْتُهُمْ^٥

وَالْمُنْعِلِينَ الثَّرِيًّا أَخَذَ^١ الْقَدَمَ
 لَمَّا وَجَدْتُ لَطْعَمَ الْمَوْتِ مِنْ أَلَمِ
 وَيْلِي مِنَ الْحُبِّ أَوْ وَيْلِي مِنَ الْكَرَمِ
 عَهْدِي وَأَثْنْتُ بِمَا رَأَيْتُ مِنْ ذِمِّهِ
 لَسْتُ قَرَعِينَ^٢ عَلَيَّ السَّنَّ مِنْ نَدَمِ
 وَلَا تَخِيفُ إِلَى غَيْرِ الْعُلَا قَدَمِي
 عَلَى النَّعَامَةِ شَلًّا^٣ لَا مِنْ النِّعَمِ
 أَمْوَاهَ نِيْطَةٍ^٤ تَهْوِي فِيهِ بِاللَّجْمِ
 أَرعى لِحَقِّ الْعُلَا مِنْ سَالِفِ الْأَمَمِ

فَفَتَحَ عَلَيَّ عَيْنَيْنِ كَالْمَاوِيَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ لِي : مَنْ الْقَائِلُ ؟

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا فَحَسِبْنَاهُ لَبِيبًا
 وَالتَّقِينَا فَرَأَيْنَا هُوَ بَعِيدًا وَقَرِيبًا

قُلْتُ : أَيْ هُوَ ، قَالَ : فَمَنْ الْقَائِلُ ؟

[فِيَا مَنْ إِذَا رَامَ مَعْنَى كَلَامِي رَأَى نَفْسَهُ نُصِبَ تِلْكَ الْمَعْنَى
 شَكَّوتُ إِلَيْكَ صُرُوفَ الزَّمَانِ فَلَمْ تَعُدْ أَنْ كُنْتُ عَوْنَ الزَّمَانِ]

١ ب س : اللهم .

٢ المُلْحِم : كَلَفْتُ ؛ وَلَعَلَّ صَوَابَ الْقِرَاءَةِ هُنَا « أَلَمْتُ » .

٣ نِيْطَةٌ : اسْمُ مَوْضِعٍ .

٤ ب س : سَائِر .

٥ تَرْجَمَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيْسَى بْنِ شَهِيدٍ وَالِدِ أَبِي

عَامِرٍ فِي الْخُدُودِ : ٢٦١ (الْبَغِيَّةُ رَقْم : ١٠٥٧) .

وتَقْصُرُ عَنْ هِمَّتِي قُدْرَتِي فَيَا لَيْتِي لَسَوَى مَنْ نَسَايِ
وَلَا غَرَوَ لِلْحُرِّ عِنْدَ الْمَبْضِيقِ أَنْ يَتَمَنَى وَضِيعَ الْأَمَانِي

قلت : أخي ، قال : فمن القائل ؟

صُدُودٌ وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبُ مُسَاعِفًا وَبَعْدُ وَإِنْ كَانَ الْمَزَارُ قَرِيبَا
وَمَا فَتَيْتُ تِلْكَ الدِّيَارُ حَبَائِبًا لَنَا قَبْلَ أَنْ نَلْقَى بِهِنَّ حَبِيبَا
وَلَوْ أَسْعَفَتْنَا بِالْمَوَدَّةِ فِي الْهَوَى لِأَدْنَى إِلْفَا أَوْ شَغْلَنَ رَقِيبَا
وَمَا كَانَ يَحْفُو مَمْرِضِي ، غَيْرَ أَنَّهُ عَدَّتْهُ الْعَوَادِي أَنْ يَكُونَ طَبِيبَا

قلت : عمي ٢ ، قال : فمن القائل ؟

أَتَيْنَاكَ لَا عَنْ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَنَا إِلَيْكَ وَلَا قَلْبٌ إِلَيْكَ مَشُوق
وَلَكِنَّا زُرْنَا بِفَضْلِ حُلُومِنَا حَمَارًا تَلْقَى بَرَّتْنَا بِعُقُوقِ

قلت : جدتي ٣ ، قال : فمن القائل ؟

وَيْلِي عَلَى أَحْوَرَ تَيَاهٍ أَحْسَنَ مَا يَلْهُو بِهِ اللَّاهِي
أَقْبَلَ فِي غَيْدٍ حَكِيمِنَ الطَّبَا بَيْضٍ تَرَاقٍ حُمُرٍ أَفْوَاهِ
بِأَمْرٍ فِيهِنَّ وَيَنْهَى وَلَا يَعْصِيَنَّاهُ مِنْ أَمْرِ نَاهِي

١ ذكر ابن سعيد أخا أبي عامر دون أن يسميه وأنشد له ثلاثة من الأبيات السابقة (المغرب ١ : ٨٦) .

٢ ذكر ابن سعيد أيضاً عم أبي عامر دون أن يسميه وأورد له الأبيات (المغرب ١ : ٨٥)

٣ البيتان «أتيناك لا عن حاجة...» وردا في ترجمة أحمد بن عبد الملك بن عمر ، وهو جد أبي عامر ، في المطمح : ٩ (وعنه نفح الطيب ١ : ٣٨٠-٣٨٢) والحدوة : ١٢٣ (البنية رقم : ٤٣٩) والحلة ١ : ٢٣٧ .

حَتَّى إِذَا أَمَكَّنَنِي أَمْرُهُ تَرَكَتُهُ مِنْ خِيفَةِ ١ اللَّهِ

قلت : جَدُّ أَبِي ٢ ، قال : فَمَنْ الْقَائِلُ ؟

وَيُنَحَّ ٣ الْكِتَابَةُ مِنْ شَيْخٍ هَبْنَقَةٍ يَلْقَى الْعْيُونَ بِرَأْسٍ مُخِّهِ رَأْرُ
وَمَنْتَنِ الرِّيحِ إِنْ نَاحِيَتَهُ ٥ أَبَدًا كَأَنَّمَا مَاتَ فِي خِيَشُومِهِ فَارُ

قلتُ : أَنَا ، قال : وَالَّذِي نَفْسُ فِرْعَوْنَ بِيَدِهِ ، لَا عَرَضْتُ لَكَ أَبَدًا ،
إِنِّي أَرَاكَ عَرِيقًا ٦ فِي الْكَلَامِ ، ثُمَّ قُلَّ وَاضْمَحَلَّ ، حَتَّى إِنَّ الْخُنْفُسَاءَ
لَتَتَدَوَّسُهُ ، فَلَا يَشْغَلُ رَجُلِيهَا . فَعَجِبْتُ مِنْهُ ، وَقُلْتُ لَزُهَيْرٍ : مَنْ هَذَا
الْجَنِّي ؟ فَقَالَ لِي : اسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ . إِنَّهُ ضَرَطَ فِي عَيْنِ رَجُلٍ فَبَدَرَتْ
مِنْ قَفَاهُ ، هَذَا فِرْعَوْنُ بْنُ الْجَوْنِ . فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، مِنَ النَّارِ
وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ! فَتَبَسَّمَ زُهَيْرٌ وَقَالَ لِي : هُوَ تَابِعَةُ رَجُلٍ كَبِيرٍ مِنْكُمْ ،
فَفَهَمْتُهَا ٧ عَنْهُ .

وله فصل في مثل ذلك : قال أبو عامر : ومَشَيْتُ يَوْمًا أَنَا وَزُهَيْرٌ بِأَرْضِ
الْجَنِّ أَيْضًا نَتَقَرَّى الْفَوَائِدَ ، وَنَعْتَمِدُ ٨ أُنْدِيَّةَ أَهْلِ الْآدَابِ ٩ مِنْهُمْ ،
إِذْ أَشْرَفْنَا عَلَى قَرَارَةٍ غَنَاءَ ، تَفَرَّتْ عَنْ بَرَكَةِ مَاءٍ ، وَفِيهَا عَانَةٌ مِنْ حُمْرِ

١ الجذوة (٢٦٧) : من خشية .

٢ هو عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد ؛ ترجم له الحميدي في الجذوة : ٢٦٧
(البغية رقم ١٠٧٢) ، وأورد له ثلاثة أبيات مما نسب له أبو عامر .

٣ ط : تَأَبَّى .

٤ ديوان ابن شهيد : ١٠٦ (عن الذخيرة وحدها) .

٥ ب س : نَاجِيَتِهِ .

٦ ط : عَرِيقًا . ٧ س : فَفَهَمْتُ .

٨ ط : وَنَعْتَمِدُ . ٩ ب س : الْآدَابِ .

الجن^١ وبغاليهم . قد أصابها أولتقُ فهي تصطك بالحوافر ، وتنفخ من
 المناخير ، وقد اشتد ضراطها ، وعلا شحيجها ونهاقها ، فلما بصرتُ
 بنا أجفلت إلينا وهي تقول : جاءكم على رجله ، فارتعتُ لذلك ، فتبسّم
 زهيرٌ وقد عرف القصد ، وقال لي : تهَيَّأ للحُكم . فلمّا لحقتُ بنا
 بدأتني بالتفدية ، وحيّتي بالتكنية ، فقلت : ما الخطبُ ، حُميَ حماك
 أيتها العانة ، وأخصبَ مرعاك ؟ قالت : شعيرانِ لحمارٍ وبغلٍ من عُشاقنا
 اختلفنا فيهما ، وقد رضيناك حكماً . قلتُ : حتّى أسمع . فتقدمتُ إليّ
 بغلةٌ شهباء . عليها جلُّها وبرقعها ، لم تدخل فيما دخلت فيه العانةُ
 من سوءِ العجلةِ وسُخفِ الحركة ، فقالت : أحدُ الشرينِ لبغلٍ من
 بغالنا وهو :

على كسل صَبَّ من هواه دليلُ
 وما زال هذا الحبّ داءً مُبرحاً
 بنفسي التي أمّا ملاحظُ طرفيها
 تعبْتُ بما حملتُ من ثقلِ حبِّها
 وما نلتُ منها نائلاً غيرَ أنّني
 سَقَامٌ على حرّ الجوى ونحولُ
 إذا ما اعتَرى بغلاً فليس يزولُ
 فسِحْرٌ ، وأمّا خدّها فأسيلُ
 وإنّي لبغلٌ للثقالِ حمُولُ
 إذا هيّ بآلتُ بُلْتُ حيثُ تبولُ

والشعر الآخرُ لدكين الحمار :

دُهِيتُ بهذا الحبّ منذ هويْتُ
 كلّفتُ بالفي منذُ عشرينَ حِجّةً
 [ومالي من برح الصّبابةِ مخلصُ
 ورأيتُ إراداتي فلسْتُ أريثُ
 يجولُ هواها في الحشا ويعيثُ
 ولا لي من فيضِ السقامِ مُغيثُ]

١ ب س : الوحش .

وغيرَ منها قلبَها لي نَمِيمَةً^١ نَمَاهَا أَحَمَّ الخُصِيَّتَيْنِ خَبِيثَ
وَمَا نِلْتُ مِنْهَا نَائِلًا غَيْرَ أَنْتَنِي إِذَا هِيَ رَأَتْ رَأَتْ حَيْثُ تَرُوثُ

فَضْحِكَ^٢ زَهِيرٌ ، وَتَمَاسَكَتُ وَقَلْتُ لِلْمُنْشِدَةِ : مَا هَوِيْتُ ؟ قَالَتْ : هُوَ
هَوِيْتُ ، بَلْغَةُ الْحَمِيرِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ إِنْ لِلرُّوثِ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ ، وَقَدْ كَانَ
أَنْفُ النَّاقَةِ أَجْدَرَ أَنْ يَحْكُمَ فِي الشَّعْرِ ! فَقَالَتْ : فَهَمْتُ عَنْكَ . وَأَشَارَتْ
إِلَى الْعَانَةِ أَنَّ دَكِينًا مَغْلُوبٌ ، ثُمَّ انْصَرَفَتْ قَانَعَةً رَاضِيَةً^٣ .

وَقَالَتْ لِي الْبَغْلَةُ : أَمَّا تَعْرِفُنِي أَبَا عَامِرٍ ؟ قُلْتُ : لَوْ كَانَتْ ثُمَّ عِلَامَةٌ !
فَأَمَاطَتْ لِثَامَهَا ، فَإِذَا هِيَ بَغْلَةُ أَبِي عَيْسَى ، وَالْحَالُ عَلَى خَدَّيْهَا ، فَتَبَاكَيْنَا
طَوِيلًا ، وَأَخَذْنَا فِي ذِكْرِ أَيْامِنَا ، فَقَالَتْ : مَا أَبْقَتْ الْأَيَّامُ مِنْكَ ؟ قُلْتُ : مَا
تَرَيْنَ ، قَالَتْ : شَبَّ عَمْرُو عَنْ الطَّوْقِ ! فَمَا فَعَلَ الْأَحْبَةُ بَعْدِي ؟ أَهَمَّ
عَلَى الْعَهْدِ ؟ قُلْتُ : شَبَّ الْغِلْمَانُ ، وَشَاخَ الْفِتْيَانُ ، وَتَنَكَّرَتْ الْخِلَانُ ،
وَمِنْ إِخْوَانِكَ مِنْ بَلَغَ الْإِمَارَةَ ، وَانْتَهَى إِلَى الْوِزَارَةِ . فَتَنَفَسَتْ الصَّعْدَاءُ
وَقَالَتْ : سَقَاهُمُ اللَّهُ سَبَلَ الْعَهْدِ ، وَإِنْ حَالُوا عَنِ الْعَهْدِ ، وَنَسُوا أَيْامَ
الْوُدِّ ، بِحَرَمَةِ الْأَدَبِ ، إِلَّا مَا أَقْرَأَتْهُمْ مِنْهُ السَّلَامُ ، قُلْتُ : كَمَا تَأْمُرِينَ
وَأَكْثَرُ .

وَكَانَتْ فِي الْبَرَكَةِ بِقُرْبِنَا إِيَّازَةً^١ بِيضَاءَ شَهْلَاءَ ، فِي مِثْلِ جُثْمَانِ النَّعَامَةِ ،
كَأَنَّمَا ذُرٌّ عَلَيْهَا الْكَافُورُ ، أَوْ لَبِيسَتْ غِلَالَةً^٢ مِنْ دِمَقْسٍ الْحَرِيرِ ، لَمْ أَرَّ أَحَفَّ
مِنْ رَأْسِهَا حَرَكَةً ، وَلَا أَحْسَنَ لِلْمَاءِ فِي ظَهْرِهَا صَبًّا ، تَشْنِي سَالِفَتَهَا ،

١ ب س : تَمِيمَةٌ .

٢ ب س : فَاسْتَضْحَكَ .

٣ ط : فَانْصَرَفَتْ ... رَاضِيَةً .

وتكسِرُ حَدَقَتَهَا . وتُلَوِّبُ قَمَحْدُوتَهَا . فترى الحُسْنَ مستعاراً منها ، والشكلَ مأخوذاً عنها . فصاحت بالبعلة : لقد حكمتُم بالهوى ، ورضيتُم من حاكمِكُم بغير الرضى ؛ فقلتُ لزُهَيْر : ما شأنُها ؟ قال : هي تابعةٌ شَيْخٍ من مَشَيْخَتِكُم ، تُسمَى العاقلة . وتُكنى أُمَّ خَفِيف . وهي ذات حظٍ من الأدب ، فاستعدَّ لها ، فقلتُ : أيتها الإوزَةُ الجميلة ، العريضة الطويلة ، أَيْحَسُنُ بِجمالِ حَدَقَتَيْكَ ، واعتدالِ مَنْكَبَيْكَ ، واستقامةِ جَنَاحَيْكَ . وطولِ جِيدِكَ ، وصِغَرِ رَأْسِكَ . مقابلةُ الضَّيفِ بمثل هذا الكلام ، وتلقِّي الطارئِ^١ الغريبِ بشبهِ هذا المقال ؟ وأنا الذي هِمْتُ بالإوزَ صَبَابَةً ، واحتملتُ في الكَلَفِ بها عَضَّ كلِّ مَقَالَةٍ ، وأنا الذي اسْتَرْجَعْتُهَا إلى الوطنِ المألوفِ ، وحبَّبتُهَا إلى كلِّ غطريف . فاتخذتها السادة بأرضنا ، واستهلك عليها الظرفاءُ منا ، ورضيت بدلاً من العصافير ، ومكَلَّماتِ الزرازير ، ونسيت لذة الحمام ، ونفَارُ الدُّيُوكِ . ونِطَاحُ الكِبَاشِ . فدخلَهَا العُجْبُ من كلامي ، ثم ترفعت وقد اعترتها خِفَّةٌ شديدةٌ في مائِهَا ، فمرةٌ ساجحةٌ ، ومرةٌ طائِرةٌ . تنغمس هُنا وتخرُجُ هناك ، [قد تَقَبَّبَ جَنَاحُهَا ، وانتصبت ذُنَابُهَا ، وهي تُطَرَّبُ تطَرَّبَ السَّرُورِ] : وهذا الفعلُ معروفٌ من الإوزِ عند الفرجِ والمرح ، ثم سكنت وأقامتْ عُنُقُهَا . وعَرَّضَتْ صدرَهَا ، وعَمِلَتْ بِمِجْدَافِهَا . واستقبلتنا جائِيَةٌ كَصَدْرِ المَرْكَبِ . فقالت : أيتها الغارِ المَغرورِ . كيف تحكُم في الفروعِ وأنت لا تُحْكِمُ الأصولَ^٢ ؟ ما الذي تُحَسِّنُ ؟ قلتُ : ارتجالَ شِعْرِ ، واقتضابَ خُطْبَةٍ . على حُكْمِ المقترحِ

١ ط : الطائر .

٢ ب س : ولا تحكُم في الاصول .

والنَّصْبَةُ . قالت : ليس عن هذا أسألك ، قلت : ولا بغيرِ هذا أجابُكَ ،
 قالت : حُكْمٌ ١ الجوابِ أن يَقَعَ على أصل السؤال ، وأنا إنما أردتُ بذلك ٢
 إحسانَ النَحْوِ والغريبِ اللّذَيْنِ هما أصلُ الكلام ، ومادّةُ البيان . قلت :
 لا جوابَ عندي غيرَ ما سمعتِ ، قالت : أقسمُ أن هذا منك غيرُ داخِلٍ
 في باب الجدَل . قلت : وبالجدَلِ تطلبُينَا [وقد عقدنا سَلَمَهُ ، وكُفِينَا
 حَرَبَهُ] وإنَّ ما رَمَيْتُكَ به منه لأنْقَدُ سِهَامِهِ ، وأحدُ حِرَابِهِ [وهو من
 تَعَالَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ عندنا في الجدَلِ في محكم تنزيله ، قالت : أقسمُ أن الله
 ما علمك الجدَلُ في كتابه ، قلت : محمولٌ عنك أمَّ خفيف ، لا يلزمُ
 الإوزَ حفظُ أدبِ القرآن ، قال الله عزَّ وجلَّ في محكم كتابه حاكياً عن
 نبيه إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، قال أنا أُحْيِي
 وَأُمِيتُ ﴾ (البقرة : ٥٥٨) . فكان لهذا الكلام من الكافر جواب ، وعلى وجوبه
 مقال ، ولكنَّ النبيَّ ٣ صلى الله عليه وسلم لما لاحَظَّ له الواضحةُ الفاطمةُ ،
 رماهُ بها وأضرب عن الكلام الأول . قال ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ
 فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ؛ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ وأنا لا أحسنُ غيرَ ارتجالِ
 شعر ، واقتضابِ خطبة ، على حكمِ المقترح والنصبة . فاهتزَّت من جانبيها ،
 وحال الماءُ من عينيها ، وهمتُ بالطيران . ثم اعترأها ما يعتري الإوزَ من
 الألفة وحسنِ الرَّجْعَةِ ، فقدَّمتْ عُنُقَهَا ورأسَهَا إلينا تمشي نحونا رؤُوداً ،
 وتنطق نطقاً مُتدارِكاً خفياً ، وهو فعلُ الأوزِ إذا أنيست واستراحت وتذلت ،
 على أني أحبُّ الإوزَ وأستظرفُ حركاتِها وما يعرضُ من سخافاتِها [.

ثم تكلمت ٤ بها مُبَسَّساً ، ولها مؤنساً ، حتى خالطتنا وقد عقدنا

٢ ط : بك .

١ ط : ما حكم .

٣ يريد النبي إبراهيم .

٤ ط : فتكلمت .

سلمها وكُفِينَا حَرْبَهَا . فقلت : يا أُمَّ خَفِيف . بِالَّذِي جَعَلَ غِذَاءَكَ مَاءً .
وَحَشَا رَأْسَكَ هَوَاءً ، أَلَا أَيُّمَا أَفْضَلُ : الْأَدَبُ أَمْ الْعَقْلُ ؟ قالت : بَلِ
الْعَقْلُ ، قلتُ : فَهَلْ تَعْرِفِينَ فِي الْخَلَائِقِ أَحْمَقَ مِنْ إِيْزَةَ . ودعيني من مشكلهم
في الحُبَارَى ؟ قالت : لا . قلت : فَتَطْلُبِي عَقْلَ التَّجَرُّبَةِ ، إِذْ لَا سَبِيلَ لَكَ
إِلَى عَقْلِ الطَّبِيعَةِ ، فَإِذَا أُحْزِزْتَ مِنْهُ وَبُؤْتُ مِنْهُ بِحُطَّ ، فَحِينَئِذٍ نَاطِرِي فِي
الْأَدَبِ . فَانصَرَفْتُ وَانصَرَفْنَا .

قال أبو عامر^١ : وَكُنْتُ يَوْمًا بِحَمَّامٍ لِي مَعَ أَصْحَابِنَا فَأَتَى رَسُولُ الْحَاجِبِ
أَبِي عَامِرٍ يَرْغَبُ إِخْلَاءَهُ لِبُنَيَّانٍ عَرَضَ فِي حَمَّامِهِ مَنَعَهُ مِنْ دُخُولِهِ .
وَكُنْتُ لَمْ أَصْغِبْهُ . فَخَرَجْنَا لَهُ عَنْهُ ، وَرَغَبُوا أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ
فَقُلْتُ^٢ :

شَكَرْتُ ^٣ لِلدَّهْرِ حُسْنَ مَا صَنَعَا	طَائِرُ مَجْدٍ بَجَنَّتِي وَقَعَا
نَفَرْتُ لَمَّا أَيقَنْتُ جَيْشَتَهُ	وَطَارَتِ النَّفْسُ عِنْدَهَا قَطْعَا
يَا حُسْنَ حَمَّامَنَا وَقَدْ غَرَبَتْ	شَمْسُ الضُّحَى فِيهِ بَعْدَ مَا مَتَعَا
أَيُّقِنَنَّ أَنَّ الْهَلَالَ زَاكِنُهُ	فُضَاءَ لِلْحَاضِرِينَ وَاتَّسَعَا
فَانْعَمَ أَبَا عَامِرٍ بِنِعْمَتِهِ	وَأَعْجَبَ لِأَمْرَيْنِ فِيهِ قَدْ جُمِعَا
نِيرَانُهُ مِنْ زِنَادِكُمْ قُدِحَتْ	وَمَاؤُهُ مِنْ بَنَانِكُمْ نَبَعَا

قال أبو الحسن : وَنُنْشِدُ هُنَا بَعْضَ مَقْطَعَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِذِكْرِ الْحَمَّامِ ،

١ هذا الفصل كله حتى قوله : انتهى كلام ابن حيان ، لم يرد في النسخة : ط .

٢ ديوان ابن شهيد : ١٢٦ (عن الذخيرة وحدها) .

٣ ب سر : شكوت .

قال المنفعل^١ :

انظرْ إلى حَمَامنا قد حكي حَالَيْنِ مِنْ حَالِ الْأَحْبَاءِ
حرارةَ الأنفاسِ يومَ النوى وحرّةَ الأنفاسِ في الماءِ
فماؤهُ من أدْمُعِي سائلٌ ونارُهُ من حرٍّ أَحْشَائِي

وقال في صفةِ حَمَامٍ كانتْ مَضَاوِيهِ مِنْ زجاجٍ أَحْمَرٍ ، وفي
سمائه حُمْرَةٌ وبياض :

تَحَيَّرْتُ مِنْ طيبِ حَمَامنا يُخَيَّلُ لِي أَنْ فِيهِ الْفَلَقُ
فَمِنْ حُمْرَةٍ فوقنا وبيضا كَخَدِّ الْحَبِيبِ إِذَا مَا عَرِقُ
رَأَى الدَّهْرُ مَا شَدَّ مِنْ حُسْنِهِ فَسَدَّ كُوى سَقْفِهِ بِالشَّقِّ

ومما يتعلق أيضاً بصفته قول الآخر : ولكنه خلطه بالنسيب ،
وأشار فيه إلى معنى غريب ، فقال :

ولم أَدْخُلِ الْحَمَامَ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ طَلابَ نعيمٍ قد رَضِيتُ ببُوسِي
ولكنْ لَتَجْرِي دَمْعِي مُطْمَئِنَّةً فَأَبْكِي وَلَا يَدْرِي بِذَاكَ جَلِيسِي
ودخل الحمامَ يوماً مِنْ أَهْلِ عَصْرنا الأديبان : أبو جعفر ابن هُرَيْرَةَ
التطيلي ، وأبو بكر ابن بُقَيٍّ ، فقال أبو جعفر^٢ :

يا حُسْنَ حَمَامنا وبَهْجَتِهِ مَرَأى مِنَ السَّحَرِ كُلُّهُ حَسَنُ
ماءٍ ونارٍ حواهُمَا كَنَفُ كالقَلْبِ فِيهِ السَّرورُ والحَزَنُ
ثم أعجبه هذا المعنى أيضاً فقال فيه^٣ :

١ ستأتي ترجمته في هذا القسم من الذخيرة .

٢ بدائع البداهة : ٢٥٥ ونفح الطيب ٣ : ٣٤٨ وديوان التطيلي : ١٤٥ .

٣ انظر المصادر السابقة .

ليس على لهُونا مزيد ولا لِحَمَّامِنَا ضَرِيبُ
ماءٌ وفيهِ لَهيبُ نارٍ كالشَّمْسِ في دِيةٍ تَصُوبُ
وابيضُّ من تحته رُخامٌ كالشَّالِجِ حينَ ابتدا يذوبُ

وقال أبو بكر :

حَمَّامُنَا فيه فَصْلُ القِيْظِ محْتَدِمٌ وفيه للبردِ سرٌّ غَيْرُ ذي ضَرَرٍ
ضِدَّانٍ يَنْعَمُ جِسْمُ المرءِ بينهما كالغصنِ ينعم بين الشمس والمطرِ

وقال أبو جعفر التُّطَيْلي . وقد نَظَرَ فيه إلى غلامٍ وسيم :

هلِ استمالكَ جِسْمُ ابنِ الأَبرِ وقد سالت عليه من الحَمَّامِ أُنْداءُ ؟
كالغصنِ باشرَ حرَّ النارِ من كَثْبٍ فظلَّ يَقْطُرُ من أعطافِهِ الماءُ ٢

وفي أبي عامر ابنِ المظفر الذي ذُكِرَ يقول أبو عامر بنُ شُهَيْدٍ من
جملةِ قصيدةٍ يقول فيها ٣ :

جُمِعَتْ بطاعةِ حُبِّكَ الأضدادُ وتألَّفَ الأفصاحُ والأعيادُ
كتبَ القضاءُ بأنَّ جَدَّكَ صاعدٌ والصُّبْحُ رَقٌّ وَالظَّلَامُ مِدادُ

ونقلتُ من خطِّ أبي مروان ابنِ حَيَّان قال : سلفَ لأبي عامر بنِ المظفر

- ١ في النفع ٣ : ٣٤٧ أن البيت الثاني للأعمى إجازة .
- ٢ ورد بهامش ب ١٣ بيتاً لابن دراج في وصف الحمام ، وهي قصيدة في ديوانه :
٢٥٢ - ٢٥٣ في مدح يحيى بن منذر ، ويستطيع القارئ أن يراحمها هنالك ،
ولا داعي لاثباتها .
- ٣ ديوان ابن شهيد : ٩٧ .

هذا بقرطبة عيشة راضية في سرور وحبور وقتاً ، إلى أن ساءت الأيام بطامة ففارقها بغصة ، وكان من محاسنه أنسه بالأدب ، وغلبة أهله على خاصته ، ولم يكن منهم في مغدّى ولا مراح ، فتجمّلت آثاره بهم ، وسارت أقوالهم فيه ، وكان من ألهمهم بذكره أبو عامر بن شهيد ، له معه أخبار مأثورة مشهورة . شاهدتهم ليلة في مجلسه [و] طُفَيْلَةً صغيرة عجيبة الخلق كانت تسقيهم [تسمى] أسماء عجبوا من مكابذها السهر معهم ، على صغر سنّها ، وحسن قيامها بخدمتهم ، فسأله ابن المظفر وصفها فقال : ١ :

أفدي أسيّماء من نديمٍ مُلَازِمٍ للكؤوسِ راتبٍ
قد عَجَبُوا في السَّهَادِ منها وهي لعمرِي من العجائب
قالوا : تَجَافَى الرُّقَادُ عنها فقلتُ : لا ترقُدُ الكواكب

قال أبو عامر وابن حيان^٢ : واستوحش أبو عامر ابن المظفر هذا من هشام المعتد وزيره حكم بن سعيد القزاز . وكانوا قد رمّوه بذنب سليمان بن هشام الناصري ، فلما خاف دبّر الفرار ، وخرج في لُمة من ثقات أصحابه وأعوانه ، وحمل معه عيون ذخائره وخاصة حرّمه ، وقطع أرضاً بعيدة ، ولم يعلم المعتد بخبره ، إلى أن جاء خبر اجتيازه بدير قرطبة راجعاً على عقبه من شاطبة ، لم يتفق له فيها ما أراد ، فكّر إلى ابن عبد الله بقرمونة مستجيراً به في ظنّه ، فأخلف ابن عبد

١ ديوان ابن شهيد : ٩٤ وبدائع البدائنه : ٣٥٣ والنفح : ٣ : ٢٦٠ وأخطأ ابن ظافر وتابعه المقرئ ، إذ جعل صاحب المجلس هو الحاجب المظفر نفسه لا ابنه .

٢ قال أبو عامر وابن حيان : كذا جاء ، ولعل الصواب : قال ابن حيان ، وجاءت « أبو عامر » سهواً .

اللهِ ظَنَّهُ . وخاطَبَ قائِدةَ بحَصْرِ المُرُورِ وبِإِزْعاجِهِ عَنِ قُطْرِهِ ، ولا يُجْتَازُ
عَلَى شَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ ، فَضَاقَتْ بِهِ الأَرْضُ يَوْمئِذٍ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ عَلَى أَبِي
حِمَامَةَ حِرْزَةَ البَصْدِرَانِي ، فَأَجَارَهُ وَبَوَّاهُ مُنْزَلاً فِي حِصْنِهِ عَلَى نَهْرِ قُرْطُوبَةَ .
أَقَامَ بِهِ فِي كَمَدٍ وَغُصَّةٍ ، وَالْحِمَامُ يُغَازِلُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ عِنْدَهُ .-

وَحَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ هُرَيْرَةَ الْكَاتِبُ قَالَ : قَصَدَ أَبُو عَامِرٍ ابْنَ الْمُظَفَّرِ
فِي خُرُوجِهِ مِنْ شَاطِئَةِ إِلَى مَوَالِيهِ الْعَامِرِيِّينَ بَعْدَ مُرَاسَلَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ ، فَلَمَّا
وَصَلَ رَدَّوهُ خَجَلاً خَائِباً ، فَرَغِبَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ أُخْتُهُ بِنْتُ الْمُظَفَّرِ الْإِيْمُ
الْمُقِيمَةُ - كَانَتْ - عِنْدَهُمْ وَقَتَهُمْ . فَأَسْعَفُوهُ بِذَلِكَ وَخَرَجَتْ إِلَيْهِ ، فَخَلَا
بِهَا وَأَوْدَعَهَا جَوْهَراً نَفِيساً كَانَ احْتِمَلَهُ ، وَوَلَّى نَاكِصاً ، وَالْعَبْدَى تَطَرَّدَهُ
عَنْ نَاحِيَتِهَا . وَأَسْلَمُوهُ غَرَضاً لِلْحُتُوفِ . فَمَاتَ عِنْدَ حِرْزَةِ البَصْدِرَانِي كَمَا
وَصَفَّاهُ . وَعَلِمَ ابْنُ عَمَّةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِمَكَانِ ذَلِكَ الْجَوْهَرِ ، فَلَمَّا هَلَاكَ
اخْتَدَعَهَا وَوَعَدَهَا أَنْ يَنْكِحَهَا ، وَكَانَتْ ضَعِيفَةَ الرَّأْيِ ، فَأَسْلَمَتْهُ إِلَيْهِ
وَعَدَرَ بِهَا وَلَمْ يَنْكِحَهَا ، فَصَارَتْ بَقِيَّةَ دَهْرٍ هَا تَجْفُوهُ وَتَشْتُمُهُ .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ أَبُو عَامِرٍ عِنْدَ حِرْزَةِ . وَأَيْسَرَ الْمُعْتَدِّ مِنْ انْصِرَافِهِ ، قَبْضَ
مَا خَلَّفَهُ بِدَارِهِ وَنَقَلَهِ إِلَى الْقَصْرِ ، فَطَلَبَ أَسْبَابَهُ ، وَتَتَبَعَ وَدَائِعَهُ وَعَقَارَهُ ،
فَانْفَتَحَ عَلَى أَهْلِ قُرْطُوبَةَ فِي هَذَا الْبَابِ بِذَلِكَ الْوَقْتِ بَلَاءٌ عَظِيمٌ ، أَجْلَى
بَعْضُهُمْ عَنِ الْأَوْطَانِ ، بِسَبَبِ تِلْكَ الْوَدَائِعِ الْعَامِرِيَّةِ ؛ انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ حَيَّانَ .

جَمَلَةٌ مِنْ شَعْرِهِ فِي أَوْصَافِ شَتَّى

حَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ قَالَ ٢ : لَمَّا قَدِمَ زُهَيْرُ الصَّقَلْبَسِيِّ فِتَى بَنِي عَامِرٍ حَضَرَةَ

١ مِنْ هَذَا تَعُودُ نَسْخَةُ ط إِلَى الْإِشْرَافِ مَعَ ب س .
٢ بِدَائِعِ الْبَدَائِعِ : ٨٣ - ٨٤ وَالنَّفْحُ ٣ : ٦١٠ - ٦١١ .

قرطبة من المَرِيَّة ، وجهه أبو جعفر ابنُ عباسٍ وزيرُهُ عن لُمةٍ من أصحابنا منهم ابنُ بُردٍ ، وأبو بكر المرواني ، وابن الحنَّاط ، والطَّبَّي ، فسألهم عني ، وقال : وجَّهوا عنه ، فوافاني رسولُهُ مع دابةٍ له بسرجٍ محلَّى ثَقِيلٍ ، فسرتُ إليه ودخلتُ المجلسَ ، وأبو جعفرٍ غائب ، فتحرَّك المجلسُ لدخولي وقاموا جميعاً إليّ ، حتَّى طلع أبو جعفرٍ علينا ساجداً لذيلٍ لم يَر أحد سَحَبَه قَبْلَهُ ، وهو يترنم ، فسَلَّمْتُ عليه سلامَ من يعرفُ حقَّ الرجال ، فردَّ رداً لطيفاً ، فعَلِمْتُ أنَّ في أنفه نُعْرَةً لا تخرُجُ إلَّا بسَعوطِ الكلام ، ولا تُراضُ^٢ إلَّا بمسْتَحْصِدِ النَّظَام ، فرأيتُ أصحابي يُصِيخُونَ إلى ترنمِهِ فسألْتهم عن ذلك ، فقال لي الحنَّاطي ، وكان كثيرَ الإنحاءِ عليّ ، جالباً في المحافلِ ما يسوءُ الأولياءَ إليّ : إنَّ الوزيرَ حضرهُ قسيمٌ من شعرِهِ ، وهو يسألُنَا إجازتَهُ . فعَلِمْتُ أنَّي المرادُ ، فاستنشدتُهُ فأَنشدَهُ ، وهو :

* مرضُ الجفونِ ولثغة في المنطق *

فقلت لمن حضر : لا تُجهدوا أنفسكم فلستم المراد ، فأخذتُ القلمَ^٣ وكتبتُ بديهةً :

مرضُ الجفونِ ولثغةٌ في المنطقِ سيَّانِ جرّاً عشقَ من لم يعشقِ
من لي بالثغ لا يزالُ حديثُهُ يذكي على الأكبادِ جمرَةَ محرقِ
يُنبي فينبو في الكلامِ لسانُهُ فكأنَّهُ من خمرِ عَيْنَيْهِ سُقِي

١ في النسخ : جلي ، وأثبت ما في البدائع والنفع .

٢ النفع : ولا ترام .

٣ ب س والنفع والبدائع : الدواة .

لَا يُنْعَشُ الْأَعْمَاطَ مِنْ عَشَرَاتِهَا وَلَوْ أَنْتَهَا كُتِبَتْ لَهُ فِي مُهْرَقٍ

ثُمَّ قُمْتُ عَنْهُمْ فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ وَرَدُّوا عَلَيَّ ، وَأَخْبَرُوا أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ لَمْ يَرْضَ مَا
جِئْنَا بِهِ مِنَ الْبَدِيَّةِ ، وَسَأَلُونِي أَنْ أَحْمَلَ مَكَائِدَ الْكَلَامِ عَلَى حَتَّارِهِ .
وَذَكَرُوا أَنَّ إِدْرِيسَ هَجَاهُ فَأَفْحَشَ . فَلَمْ أُسْتَحْسِنُ الْإِفْحَاشَ ، فَقُلْتُ
فِيهِ مَعْرَظاً إِذِ التَّعْرِيزُ مِنْ مُحَاسِنِ الْقَوْلِ :

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ كَاتِبٌ مَلِيحٌ شَبَابُ الْخَطِّ حُلُوُّ الْخَطَابَةِ
تَمَلَّأَ شَحْماً وَلَحْماً وَمَا يَلِيْقُ تَمَلُّؤُهُ بِالْكِتَابَةِ
وَذُو عِرْقٍ لَيْسَ مَاءَ الْحَيَاءِ وَلَكِنَّهُ رَشْحُ فَضْلِ الْجَنَابَةِ
جَرَى الْمَاءُ فِي سُفْلِهِ جَرِي لَيْنٍ فَأُحْدِثَ فِي الْعُلُوِّ مِنْهُ صِلَابَتَهُ

[قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : وَلَيْتَ شِعْرِي مَا لَتَتَصْرِيحُ عِنْدَ أَبِي عَامِرٍ إِذَا سَمَيْتَ
هَذَا تَعْرِيزاً ؟ وَلَوْلَا أَنَّ الْحَدِيثَ شُجُونٌ ، وَالتَّبَاعَ فِيهِ جُنُونٌ ، وَالْكَلامَ إِذَا
لَانَ قِيَادُهُ ، سَهْلَ اطَّرَادُهُ . وَإِذَا قُرُبُ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ ، لَمْ يَفَرِّقْ فِيهِ
بَيْنَ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ ، لَمَّا اسْتَجَزَتْ أَنْ أَشِينَ كِتَابِي بِهَذَا الْكَلَامِ الْبَارِدِ مَعْرِضُهُ .
الْبَعِيدِ مِنَ السَّدَادِ غَرَضُهُ ، وَقَدْ يَطْفَى الْقَلَمُ ، وَتَجْمَحُ الْكَلَمُ .
وَقَوْلُهُ :

* جَرَى الْمَاءُ فِي سُفْلِهِ جَرِي لَيْنٍ *

يُسَبِّهُ قَوْلَ الْآخَرِ ، وَضَمَّنَ بَيْتَ النَّابِغَةِ :

١ ط : سَمَاءٌ ؟ وَادْرِيسُ هُوَ ابْنُ الْيَمَانِيِّ الْعَبْدِيُّ الْيَابَدِيِّ ، وَقَدْ أَثْبَتَ ابْنُ ظَافَرٍ (بِدَائِعِ
الْبَدَائِعِ : ٨٤) أَبِي تَمَّازَ هَجَا فِيهَا إِدْرِيسَ أَبَا جَعْفَرٍ ابْنَ عَبَّاسٍ

يا سائلي عن خالدٍ ، عهدي بهِ رَطَبَ العُجانِ وَكَفَّهُ كالجِلْمَدِ
« كالأقْحَوَانِ غداةَ غَبِّ سَمائِهِ جَفَّتْ أَعاليه وَأَسْفَلُهُ نَدِي »

وقوله :

* وذو عرق ليس ماء الخياء *

ألمَّ به ابنُ زيدون فقال من جملة أبيات ١ :

مَخَضَّتْ في استهِ الأيُورُ حليياً فعلى عَيْنِهِ من الزُبْدِ نُقْطَتُهُ

وتأتى في هذا المعنى أبو الحسين ابنُ الجَدَّة فقال :

وَأَزْرَقَ والأمورُ لها اشتَبَاهُ وَتَوَقَّى العَيْنُ من قِبَلِ العُجانِ
ومما شَكَّ أَسْفَلَهُ العوالي بدا ٢ في عَيْنِهِ زَرَقُ السَّتانِ [

قال ابن بسام : قولُ أبي عامر في صفة الأُلثغِ مما أَحَسَّنَ فيه ، لاسيما على البديهِ . ومن أَحَسَّنَ ما سمعتُ في صفتِهِ ٣ قولُ الرَّمَّادِيِّ ٤ :

لا الرِّاءُ تُطْمَعُ في الوِصالِ ولا أنا الهَجَرُ يَجْمَعُنَا فنحنُ سَوَاءُ
فإذا خَلَوْتُ كَتَبْتُها في راحتي فبكِيتُ مُنْتَحِباً أنا والرِّاءُ

١ ديوان ابن زيدون : ٥٩٣ (نقلا عن الذخيرة) .

٢ ط : جرى .

٣ ط : في الأُلثغ .

٤ انظر ابن خلكان ٦ : ٩ ، ٧ : ٢٢٧ .

وأخذ لفظ الرّمادي هذا أبو القاسم ابن العريف^١ فقال :

أيها الألتغ الذي شفّ قلبي جدّ بنطق^٢ ولو نطقت بسبّ
هجرُك الرّاء مثل هجري سوّاء فكلّنا معذّبٌ دون ذنّب
فإذا شئت أن أرى لي مثلاً^٣ في هواني خطّطت راءً بجنبّي

على أنّ أبا الطيّب قد قال فأحسن^٤ :

قُشِيرٌ وَبَلَعَجَلَانٍ فِيهَا خَفِيَّةٌ كراءين في الفاظٍ ألتغ ناطقٍ
ويُشبه قول أبي الطيّب قولُ بعض أهل عصرنا ، وهو أبو الوليد ابن
حنّزَم الإشبيلي^٥ ، يصفُ سكران :

ويرومُ قولَ أبي الوليدِ وربما كتمتُ مكانةَ لامِهِ الواوانِ
وقال أبو عامر يتغزّل^٦ :

مرّ بي في فلّك من ربّ رب قمرٌ مُبْتَسِمٌ عن شنبِ
زَيْنُوا أَعْلَاهُ بِالْدُرِّ كَمَا ثَقَلُوا أَسْفَلَهُ بِالْكُثْبِ

١ أبو القاسم حسين بن وايد بن نصر المعروف بابن العريف (- ٣٩٥) قرطبي كان عالماً بالنحو والعربية ، له رحلة إلى المشرق ، واستأدبه المنصور لأبنائه ، وكان كثير المديح في أشعاره (ابن الفرضي ١ : ١٣٤) .

٢ ب س : بحرف .

٣ ب س : مثالا .

٤ ب س : قد ملح في قوله ؛ وانظر ديوان المتنبي : ٣٨٨ .

٥ ترجمته في القسم الثاني من الذخيرة .

٦ ديوان ابن شهيد : ٩١ (عن الذخيرة وحدها) .

فازدهتني أُرْيَحِيَّاتُ الصَّبَا واستخففتني دواعي طرَبِي
فَتَعَرَّضْتُ لِتَسْلِيمٍ لَهُ فإذا التَّيَّاهُ لَا يَعْْبَأُ بِي
قال : هذا العبدُ مَنْ دَلَّلهُ ما الذي أَمَّنه من غضي ؟
يا ظُبًّا لحظي ^١ خُذِي لِي رَأْسَهُ فهو لَا شَكَّ من اهلِ الرِّيبِ
فانبرتُ ^٢ أَلْحَاطُهُ تَطْلُبُنِي وأنا قُدَّامَها في المَرْبِ
لو تراني وأنا أَلْطِفُهُ وأدَارِيه مُدَارَاةَ الصَّبِي
خِلَتُهُ جَبَّارَ قومٍ مَرَدُوا وأنا في لُطْفِ الوَعظِ نبي

قال أبو عامر : ومن الواجب على الناقد أن يبحث عن الكلام ، ويفتش
عن شَرَفِ المعاني ، وينظرَ مواقعَ البيان ، ويختَرَسَ من حلاوة ^٣ خَدْعِ
اللفظ ، ويدعَ تزويقَ التركيب ، ويرَاطِلَ بين أنحاءِ البديع ،
ويُمثِّلَ أشخاصَ الصَّنَاعَةِ ، فقد ترى الشعرَ فِضِّيَّ ^٤ البَشْرَةَ ، وهو
رصاصيَّ المَكْسِرِ ، ذا ثوبٍ مُعْضَدٍ أو مهلهلٍ ، وهو مشتملٌ على بَهَقِ
أو بَرَصٍ ، مَبْنِيًّا بلبين التماثيل ، وصفوانِ التهاويل ، وهو لَا يُجِنُّ
صاحبه عن النسيم فضلاً عن الحَرَجَفِ ^٥ ، ولا يقيهِ رقيقَ رَيِّقِ الندى
فضلاً عن شُؤْبُوبِ الكَنْهَوْرِ ^٦ ، وقد ملحتَه ملاحَةُ الأسماء ،
واتقدَّ فيه الهوى ، واضطرمتْ في جانبيه نيرانُ الجوى ، ولمع فيه البرق ،
واستنَّ فيه الودق ، وسَفَحَتْ عليه الدُّمُوعُ ، وبان فيه الخشوع ، وهو

١ س : يا ظبا المنده .

٢ س : أخذت .

٣ ط : حلاته (أقرأ : خلا به) .

٤ ط : مضي .

٥ الحرجف : الريح الباردة الشاذة الهبوب .

٦ الكنهور : السحاب المتراكب .

﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً . حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾ (النور : ٣٩) لا يستحقُّ صاحبه غيرَ أن يكونَ تِلْعَابَةً ، أو صاحبَ بَرَاةٍ . وإنما يَسْتَحِقُّ اسمَ الصَّنَاعَةِ بِتَقَحُّمِ بُحُورِ الْبَيَانِ ، وَتَعَمُّدِ كِرَائِمِ الْمَعَانِي وَالْكَلَامِ ، وَأَنْ يَنْطِقَ بِالفَصْلِ ١ ، وَيَرْكَبَ أَثْبَاجَ الْحِدِّ . وَيَطْلُبُ النَادِرَةَ وَالسَّائِرَةَ ، وَيَنْظِمُ مِنَ الْحِكْمَةِ مَا يَبْقَى بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَيُذَكِّرُ بَعْدَ فَوْتِهِ ، وَيَتَصَرَّفُ تَصَرَّفَ الْمِلْحِ ، وَيَتَلَوَّنُ تَلَوَّنَ أَبِي بَرَاقِيشَ . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنَا ذَهَبَنَا بِقَوْلِنَا هَذَا مَذْهَباً كَرِيماً مِنَ الْكَلَامِ ٢ :

<p>وَهَبَّتْ لَهُ رِيحَانٍ تَلْتَظْمَانِ يَدَانِ مِنَ الصَّنْبَرِ تَبْتَدِرَانِ شِعَاعَيْنِ تَحْتَ النَّجْمِ يَلْتَقِيَانِ بِدَفْعِ صُرُوفِ النَّائِبَاتِ يَدَانِ وَهَلْ عُرِفَتْ نَارٌ بِغَيْبِ دُخَانٍ ؟ لَهَا بَارِقٌ لِلضَّيْفِ غَيْرُ يَمَانِ لِفَرَّخَةٍ طَيْرٍ أَوْ لِسَحْلَةٍ ضَانِ إِلَى أَنْ تَشْهَى التَّرْكَ شَهْوَةً وَانِي وَحَدَّاهُ بِالصَّهْبَاءِ تَتَقِيدَانِ بِبِشْرِ وَتَرْحِيبِ وَبَسَطِ لِسَانِ ٣ بِصَنْجٍ وَكَيْثَارٍ وَعُودِ كِرَانِ</p>	<p>وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّيْلَ عَسْكَرَ قَرَّةُ وَعَمَمَ صُلُوعَ الْهَضْبِ مِنْ قَطْرِ ثَلْجِهِ رَفَعْتُ لِسَارِي اللَّيْلِ نَارَيْنِ فَارْتَأَى فَأَقْبَلَ مَقْرُورَ الْحِشَا لَمْ تَكُنْ لَهُ فَقُلْتُ : إِلَى ذَاتِ الدُّخَانِ ، فَقَالَ لِي فَمِلْتُ بِهِ أَجْتَرَهُ نَحْوَ جَمْرَةٍ إِذَا مَا حَسَا أَلْقَمْتُهُ كُلَّ فَلَذَةٍ فَمَا زَالَ فِي أَكْلِ وَشُرْبٍ مُدَارِكٍ فَأَلْحَفْتُهُ فَامْتَدَّ فَوْقَ مِهْبَادِهِ وَمَا أَنْفَلَكَ مَعْشُوقَ الثَّوَاءِ نَمْدَهُ تُغْنِيهِ أَطْيَارُ الْقِيَانِ إِذَا انْتَشَى</p>
--	--

١ س : يمتطي الفصل .

٢ دوان ابن شهيد : ١٦٣ والنفع ٣ : ٤٤٠ .

٣ النفع : بئان .

ويسمو دخانُ المَندَلِ الرّطْبِ فوقه كما احتملت رِيحُ متونَ عُثان^١
إلى أن تشهتَ البينَ من ذاتِ نفسه وَحَنَّ إلى الأهلينَ حَنَّةَ حاني
فأتبَعْتُهُ ما سَدَّ خَلَّةَ حاله وَأَتَبَعَنِي ذِكْراً بِكُلِّ مَكَان

قوله : « وَعَمَتَمَ صُلْعَ الهُضْبِ »... البيت ، كقولِ بعضِ أهلِ عصرِنا
يَصِفُ الثَّلَجَ أيضاً^٢ :

وَأَتَرَعَ الوهدَ من ازبادِ لُجَّتِهِ بالبرُسِ يَنْبِتُ بينَ القوسِ والوترِ
فالأَرْضُ مَلَسَاءُ لا أَمْتُ ولا عَوْجُ كَنُقْطَةِ من سَرَابِ القاعِ لم تَمُرْ

وقوله : « » فأتبَعْتُهُ ما سَدَّ خَلَّةَ حالِهِ... البيت ، كقولِ حبيب^٣ :

فراحَ في ثنائي ورُحْتُ في ثيابِهِ
وأخذهُ بعضُ أهلِ عصرِنا فقال :

وَحَذُّ حَمْدِي بِجُودِكَ ، ذا هذا كِلانا اليومَ أَرْبَحُ صَيْرَفِي
لَأَصْبِحَ من نوالِكَ في رِياشِ وَتَصْبِحَ من مَقالي في حُلِي

قال أبو عامر : ولما أنشِدَ المعتلي بالله يحيى بن علي بن حمود قولَ ابنِ
قاضي مِيلَةَ^٤ يَصِفُ مَرَكَباً للرومِ أوقع به المسلمونَ وغرَّقوه وذكرَ قتلَ
العِلاجِ :

١ المثنى : الدخان . ٢ البيعان للأعشى التطيلي ، ديوانه : ٥٢ .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ١١٤ .

٤ تردد ترجمته في القدم الرابع من الذخيرة ، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد الترخي
(انظر ابن خلكان ٥ : ٣٤٨ ، ٦ : ١٥٩) .

إذا طفا أبصر الصَّمصام^١ يرقبه أو غاص في الماء من خوف الرّدى شرقا
وأي عيشٍ لموقوفٍ على تلفٍ يراقب الميتهتين : السيف والغرقا

وكانت إثر ذلك وقعة للمعتلي بالله على السودان بإشبيلية . فأمر أبا عبد الله
ابن الحنّاط بصفة ذلك^٢ إذ الوقعتان متشابهتان ، ففعل ؛ وبلغني أنا ذلك ،
فكتبتُ إلى المعتلي بشعرٍ طويل في المعنى أوله^٣ :

غناك سعدك في ظل الطُّبّا وسقى « فاشربْ هنيئاً عليك التاجُ مُرتفعاً »

ومنها في صفة الوقعة :

سَقِيّاً لَأَسَدٍ تَسَاقَى المَوْتَ أَنْفُسُهَا
قَامَتْ بِنَصْرِكَ لَمَّا قَامَ مَرْتَجِلاً
سَرِيَتْ تَقْدُمُ جَيْشِ النَّصْرِ مُتَخَذاً
فِي ظِلِّ لَيْلٍ مِنَ الْمَاضِي مُعْتَكِرٍ
وَصَفَّحَ قِرْنَ غَدَاةِ الرَّوْعِ يَكْتُبُهُ
أَجْرِيَتْ لِلزَّنَجِ فَوْقَ النَّهْرِ نَهْرَ دَمٍ
وَسَاعَدَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى بِقَتْلِهِمْ
مِنْ كُلِّ أَسْوَدٍ لَمْ يُدْلِفْ عَلَى ثَلَجٍ
كَأَنَّ هَامَتَهُ وَالرَّمْحُ يَحْمِلُهَا
وتلبسُ الصبرُ في يوم الوغى حلقاً
خطيب جودك^٤ فيها ينثر الورقا
سُبُلَ المَجْرَةِ فِي إِثْرِ الْعُلَا طُرُقاً
يَجْلُو إِلَى الْحَيْلِ مِنْهُ وَجْهُكَ الْفَلَقَا
مِنَ الظُّبَا قَلَمٌ لَا يَعْرِفُ الْمَشَقَا
حَتَّى اسْتَحَالَ سَمَاءً جَلَّتْ شَفَقَا
حَتَّى غَدَا الْفُلُكُ بِالنَّاجِي بِهِ غَرَقَا
بَأَنْ جَدَّكَ يَجْلُو صَفْحَهُ يَقْقَا
غَرَابُ بَيْنٍ عَلَى بَانَ النِّقَا نَعَقَا

١ س : الضرعغام .

٢ س : فأمر ابن الحنّاط أن يصنع في ذلك شعراً .

٣ ديوان ابن شهيد : ١٣١ .

٤ س : مجدك .

٥ س : الصبر .

ومنها :

إذا وني ثَغَرَ الحِطِّي ثَغَرْتَهُ أو عاذ بالنهر مسلوبَ القُوَى غَرِقَا
وأي نهرٍ يُرَجِّي العِبرَ عابِرُهُ وسُفْنُهُ طافياتٌ غُودَرَتْ فَلَقَا
قوله : « حتى استحالَ سماءٌ » ... البيت ، إلى قولِ المعرِّي أراه
أشار^١.

وعلى الأفقِ من دماءِ الشَّهيدَيْنِ نِ عليّ ونجليه شاهدانِ
فهما في أواخرِ الليلِ فَجرا نِ وفي أوليائِهِ شَقَقَانِ
وقوله : « كأنَّ هامتَه والرُّمَح » ... البيت ، أخذ معناه ابنُ الحداد فقال
من قصيدة في مدائح ابنِ صُمادح ، يصف غلبتَه على وادي آش سنةَ
خمس وخمسين^٢ :

بلادٌ غدتْ يَأْجُوجُ فيها فأفسدتْ فكنتَ كذي القرنين والجهنمُ السَّدُ
وما زال شرقي المَريَّةِ عاطِلاً إلى أن علاها من رؤوسِهِم عقد
وقد عوضوا من بائنات^٣ جُسومِهِم بمصمَّتَةٍ^٤ لا عظمَ فيها ولا جلد
كانهمُ فيها غرايبُ وَقَعُ على باسقاتٍ لا تروحُ ولا تغدو

ومن مشهورِ هذا المعنى قولُ الآخر :

١ شروح السقط : ٤٤١ .

٢ س : كقول أبي عبدالله ابن الحداد من أهل المرية من قصيدة يمدح بها ابن صمادح
يقول فيها ؛ وستأتي ترجمة ابن الحداد في هذا القسم من الذخيرة .

٣ س : باسلات .

٤ ط : مصممة .

وعاد لكنه رأس بلا جسد يسري ولكن على ساق بلا قدم^١
إذا تراءى على الخطي أسفر في حال العبوس لنا عن ثغر مبتسم

ولم أسمع في صفة الرأس المصلوب على الرمح أحسن من قول أبي
فراس يخبر عن سيف الدولة وقد أنقذ أبا وائل التغلبي من الأسر ،
وقتل أسره^٢ :

وأنقذ من ثقل الحديد ومسه أبا وائل والدهر أجده صاغراً
وآب ورأس القرمطي أمامه له جسد من أكعب الرمح ضامر

وكان هذا المقتول الذي أوقع به سيف الدولة قد ظهر على أطراف
الشام والتفت عليه القبائل ، وكان يُعرف بالمبرقع ، فحارب أبا وائل
تغلب بن داود وهو خليفة سيف الدولة على حمص ، فهزمه وأسرته
وألزمه شراء نفسه بعدد من الخيل والمال ، فخرج سيف الدولة من حلب
وأسرى حتى لحق في اليوم الثالث بنواحي دِمَشق ، فأوقع بالمبرقع .
وفي ذلك يقول المتنبي^٣ :

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائل
فدى نفسه بضممان النصار وأعطى صدور القنا الذابِل

١ ورد هذا البيت في اليتيمة ١ : ٣٧ .

٢ انظر ديوان أبي فراس : ١١٩ واليتيمة ١ : ٣٧ ، وابن سمام ينقل خبر المبرقع عن
اليتيمة ١ : ٣٦ - ٣٧ ؛ وانظر في خبره : سيف الدولة لكانار ص : ٢٢٠ نقلاً عن
ابن ظافر ، إذ يقول : « في سنة ٣٣٦ ظفر الأمير سيف الدولة بالقرمطي الملقب بالهادي
واستنقذ أبا وائل . . . الخ » .

٣ ديوان المتنبي : ٢٥٩ - ٢٦٠ .

ومنتاهمُ الخيلَ مجنوبةً فجنَّ بكلِّ فتيٍّ باسل
كانَ خـالـصَ أبي وائلٍ معاودةُ القـمـرِ الآفلِ
دعا فسمعتَ وكم صامتٍ على البُعْدِ عندك كالفائلِ

قال ابن بسام : وإذ قد أجرى أبو عامرٍ ذَكَرَ يحيى بن حمّود ،
فلنُشِرَ إليه ، وتلّو قصيدةَ أبي عامرٍ بفصلٍ نجعلُه منبّهًا عليه ، إذ قد مر
ذكرُه فيها ، ونُسقتُ له قوافيها . وأنا أشرحُ في هذا الموضعِ مقتله
خاصةً ، إذ كان خاتمةَ آثاره ، ومميّزاً من سائر أخباره . وسيمرُّ في
أخبارِ عمّه القاسمِ كيفَ نجمَ ملكه ، وعلى يدَيّ من نُظِمَ سيّدكُ .

ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن حمود الذي ذكر

قال ابن حيّان : حكى لي أبو الفتح البرزالي ^٢ قال : لما كان
عيد الأضحى سنة ستٍ وعشرين وأربعمائة ، وانغمس يحيى بن حمّود في
شُرْبِهِ ولُهوهِ ، سرتُ مع لُمةٍ من بني عمّتي إلى النّحاح بإشبيلية .
للاّجتماعِ بابنِ عمنا محمد بن عبد الله والقاضي ابن عباد ، فوصلنا
وأنبأناهما من خبر ابن حمّود يحيى ولُهوهِ ما رأيا أن يوجها إنيهِ
بجيشٍ لقتاله . فخرج إسماعيلُ بن عباد مع ابنِ عمنا محمد بن عبد الله
في المحرّم من سنة سبعٍ وعشرين بعدها ، وهما في بيعةٍ هشام بن الحكم
تلك الأيام ^٣ ، فجئنا إلى بابِ قرمونة بالجيشِ كي نغيظَ يحيى فيخرج

١ انظر الجذوة : ٢٣ والبيان المغرب ٣ : ١٨٨ وأعمال الاعلام : ١٣٦ .

٢ ط : البرزيلي .

٣ زاد في س : وخامر ناموسه الأمة .

أو يخرج أحدٌ من قبله ، وقد قدَّمتْ سَرِيَّةٌ وكن الجيشُ ناحيةً أخرى ، وقد كنَّا وجَّهنا فوارس ليلاً للسَّامرةِ بسورِ قَرْمُونَةِ ، فطار الخبرُ إلى يحيى وهو تلك الليلةَ على شرابٍ وقد أخذ منه ، فنعرَ نكرةً ووثب قائماً يقولُ : وابياضَ بخي الليلة ، وابن عبادِ زائري ! وأمر بالإسراج وتقدَّمَ إلى أصحابه وغلماؤه ، وبادر الخروجَ ليلاً على بابِ قرمونة ، وأصحابه يتلاحقون ، فالتأمتْ عندهُ في نحوٍ من ثلثمائةِ فارسٍ أكثرُهم دَغَلُ السَّريرةِ ، فمضى على وجهه مغترّاً يضربُ إِبْطِيْ أهنجنَ خيله ، مُعْنَقاً إلى حينه .

قال أبو الفتح : وأقولُ إنه على ذلك عند انتهائه ، لو ضرب مَصافاً يُقيم فيه ويقدمُ رجاله للحرب طائفةً يمدُّهم بطائفة ، وتقفُ خيلُهم رِداءَ لهم ما فارق الصواب . لكنَّ الحينَ غطى على بصره فألقى نفسه علينا في أوائل خيله ، ولما تستبينَ الأشباحُ ظلمةً . فانتشب الحربَ معنا غلَسَ ذلك اليوم ووالى علينا الشدَّاتِ الصَّعابَ بنفسه ، فعلمنا أنه لا يُنجينا إلا الصدقُ . فاستقبلناه بوجوهنا ثم رددنا عليه الكثرةَ ، وطاولناه بالقوة . فحمل علينا حملةً ثالثةً مع أَصْحابٍ له ، وكنا في سَنَدٍ ضَرُوسٍ كَبُودٍ ، منيعِ الصُّعُودِ ٢ إلينا ، فزودَ ٣ منه ونالُ من أصحابه ، فإذا رددنا عليهم استعنا بفضلِ الانحدار من علٍ ، فنخطفهم خَطْفَ الأجادِلِ ، فصَدَقْنَا هذه الحملةَ ، فساقنا ٤ حتى رمانا على إسماعيل بن عباد ومن معي من الأندلسيين ، فثاروا في وجهه ، فتواقفَ الفريقان ساعةً . وظهر كمين

١ البيان : بالكثرة .

٢ البيان : في جبل منيع الصمود .

٣ البيان : فزود .

٤ ط : فساقها .

ابن عباد وجاد صبرُهُ ، وحرَضَ غلمانَهُ العجمَ ، فشَدَّت الجماعةُ على يحيى شِدَّةً مُنْكَرَةً ، وَحَدَرُوا من ذلك التل الذي تسنموه فانكسروا ، وَصُرِعَ في ذلك قومٌ وتَمَادَى الطَّلَبُ وراءهم بعد موافقةٍ عظيمة ، فَصُرِعَ يحيى وَحُزَّ رَأْسُهُ ، وَطِيرَ به إلى ابن عبادٍ بِإِشْبِيلِيَّةٍ فخرٌ ساجداً وسَجَدَ ١ . من حضر لسجوده ، وانطبق البلدُ فرحاً ، واستمرت الهزيمةُ على أصحاب يحيى ، حتى ساء ذلك محمد بن عبد الله ، وبدت عصبِيَّتُهُ لقومه ، وكَلَّمَ ابنَ عباد في رَفْعِ السيف عنهم فأطاعه في ذلك ، وتمَّ لابن عبد الله ما أراد من حقنِ دماءِ قومه ، إذ لم يأتِ الذي أتاه إلا عن ضرورة ، ولم يتلغنم أن أسرع الرِّكْضَ إلى قرمونة دون إسماعيل بن عباد ، فجاءها لوقته وقد ملك سودان يحيى أبوابها على أهلها ، فدنا إلى مكان عورتها من سورها الجَوْفِي وقد عرفه ٢ ، ففُتِحَ له ودخل من ساعته دارَ يحيى وحاز جميعَ ما ألفاهُ من مالٍ ومَتاعٍ ، واشتمل على نسائه وأباح حُرْمَتَهُ لَبْنِيهِ ٣ . واستحلَّ حرامهنَّ ، واستوى في مجلسه ، ونصر نصراً لا كفاء له ، ورد الله عليه ملكه ، ثم لم يجده على ذلك شاكراً للنعمة ، ولا مقصراً عن ارتكاب المعصية . وسقط الخبرُ بمقتلِ يحيى على أهلِ قرطبةَ فما صدَّقُوهُ من الفرح .

قال أبو عامر : ومما يلزُم المدَّعي لصناعةِ الكلامِ إذا اعتمد وصف حالةٍ أن يستوفي ٤ جميعَها ، ويكون ما يطلبه من الإبداع والاختراع فيها غيرَ خارجٍ عنها وما هو بسبيلها ، فذلك أبهى لكلامه ، وأفخمُ للمتكلم به ،

١ البيان : وعجب .

٢ البيان : إلى مكان عرفه في سورها الجوفي .

٣ س : بنيه .

٤ س : يستوفي ذكره .

وأدل على أن الكلام له ومن تأليفه ، لا كما شهدته يوماً عند ابن حمّود وقد
 صدر عن ابن الشَّرب ، ومدحه عدة شعراء صدورُ أشعارهم لزِينبَ والرَّبابِ
 ولميس وفرتنى ، وأعجازُها للجودِ والكرمِ وبذلِ اللُّهى ، ولم يلمم أحدٌ
 منهم بذلك الغرض والمغزى إلا في بيتين أو ثلاثة ، فأنشده أنا يومئذٍ من
 جملة قصيدة أولها ١ :

فريقُ العدا من حدّ عزمك يفرقُ	وبالدَّهرِ مما خافَ بطشك أولقُ
عجبتُ لمن يعتدُّ دونك جنةً	وسهمك سعدٌ والقضاءُ مفوقُ
ومن يتني بيتاً ليقطعَ دونه	ممرَّ رياحِ النصرِ وهو الخورنقُ
وما شرب ابن الشربِ قبلك خمرةً	من الذلِّ بالعجزِ الصريحِ تُصَفِّقُ
توهمَ فيه الرّعنَ حصناً فزرتَه	بأرعنَ فيه مُرعدُ الموتِ مبرقُ
وحولك أسيافٌ من السعدِ تنتضي	وفوقك أعلامٌ من النصرِ تحفّقُ
بأبيضَ مُسودَّ الدّلاصِ كأنّه	شهابٌ عليه من دجى الليلِ يلمقُ
وأسودَّ مبيّضَ القباءِ كأنما	يطيرُ به نحو الكريهةِ عَقَعَتْ
وخيلٌ تمشّى للوغى يبطونها	إذا جعلتُ بالمرتقى الصَّعبِ تزلّقُ

وهذا البيت مما لم يُحسن أبو عامرٍ سرقته ، ولا بلغ به طيقته ، وهو
 من قول أبي الطيب ٢ :

إذا زلقت مشيتها يبطونها كما تمشّى في الصعيدِ الأراقسمُ

١ ديوان ابن شهيد : ١٣٠ (عن الذخيرة وحدها) .

٢ ديوان المتنبي : ٣٧٩ .

وله من أخرى في سليمان المستعين ^١ :

بكى أسفاً للبين يوم التفرقِ	وقد هَوَّنَ التوديعُ بعض الذي لقي
وما للذي ولّى به البينُ حسرةً	بكيتُ ، ولكن حسرةً للذي بقي
وقد شاقني الورقُ السواجعُ بالضحي	ومن يستمع داعي الصبايةِ يشتق
على فننٍ من أَيْكَةٍ قد تعلقتُ	بجبل النوى ^٢ من قلبي المتعلقِ
فصدقتُها في البين من غير عبرةٍ	وكم من كثيرٍ الدمعِ غير مُصدّقِ
لعلّ نسيمَ الريحِ تأتي به الصبا	بنشرِ الخُزامى والكباءِ المعبقِ
كأنَّ عليها نفحةً عبشيّةً	أتتُ من جنابِ المستعينِ الموفقِ

ومنها :

فملت الذي قد نلتَ إذ ليس للعلا ^٣ سواك كأن الدهرَ للناسِ مُنتقي
قوله : « وما للذي ولّى به البينُ حسرةً » . . . البيت ، يلحق قولَ
محمد بن هانيء ^٤ :

لا تسلي عن الليالي المواضي وأجرني من الليالي البواقي
وأوضحُ منه قولُ الآخر :

١ ديوان ابن شهيد : ١٣٢ (عن الذخيرة) .

٢ س : الهوى .

٣ ط : للهوى .

٤ ديوان ابن هانيء : ٩٥ .

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء^١
 وقوله : « كأنَّ الدهرَ للناسِ منتقمي » ... لفظُ بيت أبي الطيب^٢ :
 ولما رأيتُ الناسَ دون محلِّه تيقنْتُ أنَّ الدهرَ للناسِ ناقدٌ^٣
 ولأبي عامر قصيدة يقول فيها ، وقد أزمع على الخروج من قرطبة إلى
 مالقة لاحقاً ببيحيى بن علي^٤ :

أرى أعياناً ترنُّو إليَّ كأنَّما أدورُ فلا أعتامُ غيرَ محاربٍ
 ويحبُّ لي فهمي ضروباً من الأذى وأوجعُ مظلومٍ لقلبٍ وذئبي حجى
 غنيتهم على ما ترعمون عن الورى وهل يُقدِّمُ البازي على الطير في الضحى
 سلامٌ عليكم لا تحيةَ شاكرٍ وما قرِعتُ سني عليكم ندامةً
 عليكم بداري فاهدِموها دعائماً لئن أخرجتني عنكم شرُّ عصابةٍ
 وإن هضمتُ حقِّي أمةً عندها ولا غرو من تلك القلائسِ جالياً
 تُساورُ منها جانبي أراقمُ وأسعى فلا ألقى امرأةً لي يُسلم
 وأشقى امرئاً في قرية الجهل عالم فتيَّ عربيَّ تزدريه أعاجم
 لقد سفهتُ تلك الحلومُ الزواعم إذا زال عن ريش الجناح القوادم
 ولكن شجى تنسُدُّ منه الحلاقم وأوشكُ غداً أن يقرع السن نادم
 ففي الأرضِ بناءٌ لي ودعائم ففي الأرضِ إخوانٌ عليَّ أكارم
 فهاتا على ظهرِ المحجة هاشم إذا عرفتُ حقِّي هناك العمائم

١ البيت من أبيات لا بن الرعلاء الفسافي ، والرعلاء أمه ، انظر الخزانة ٤ : ١٨٧

وحماسة ابن الشجري : ٥١ والسمط : ٨ ، ٦٠٣ .

٢ ديوان المتنبي : ٣١٢ .

٣ هنا تنتهي ترجمة ابن شهيد في ط .

٤ ديوان ابن شهيد : ١٥٣ . ٥ كذا ورد .

قال أبو الحسن : وقد تقدّم القول من تحيّل حذّاق الصناعة في أخذ المعاني أن تُترك القافية والوزن ، وكذلك يجب أن يقصد إلى التطويل إذا قصر المتقدم ؛ ألا ترى قول أبي عامر حين سمع الرمادي يقول ^١ :

ولم أر أحلى من تبسم أعين
غداة النوى عن لؤلؤ كان كامنا
فقال أبو عامر في هذه القصيدة :

ولما فشا بالدمع من سرّ وجدنا
أمرنا بإمسك الدموع جفوننا
[فظلت دموع العين حيرى كأنها
أبي دمعنا يجري مخافة شامت
وراق الهوى منا عيون كريمة
تبسمن حتى بما تروق المباسم
إلى كاشحينا ما القلوب كواتم
ليشجى بما تطوي عدول ولائم
خلال مآقينا لآل نوائم]
فنظّمه بين المحاجر ناظم

فقام بهذا التركيب ما نُسيّت له حيلة التطويل .

وبيت الرمادي من قول ابن عبد ربّه :

وكأنما غاص الأسى بجفونها ^٢ حتى أتاك بلؤلؤ مشور
فاحتال الرمادي حتى أتى باللؤلؤ وعوّض من الغائص التبسم ، ووقعت له استعارة التبسم للعين موقعا لطيفا ، وإنما هو للشغور ، بسبب توسط اللؤلؤ الذي هو للعيون والشغور ، فنسخ المعنى نسخا ، وقلّبه قلبا .

١ انظر الجذوة : ٣٤٨

٢ س : بجفوننا .

وتشبيه الدموع بالؤلؤ أكثر من أن يُحصى ، ومن أحسنه قولُ القائل :
ولما وقفنا للوداعِ ودمعها ودمعي يثيران الصبايةَ والوجدا
بكت لؤلؤاً رطباً وفاضتْ مدامعي عقيقاً فصار الكلُّ في نحرها عقدا
ومن أحسن ما جاء من توقع أهل النّمايم ، والاحتيالِ لكتمان
الدموع السواجم ، لاسيّما وقد أزيّف الفراقُ ، وعصت بما فيها من الدمعِ
الآماقُ ، قولُ بعض العرب :
ومما شجاني أنها يومَ ودّعتْ تولّتْ ودمعُ العين في الحفن حائراً^١
فلما أعادت من بعيدٍ بنظرةٍ إليّ التفاتاً أسلمتهُ المحاجر
وقال آخر^٢ :

ولما أبت عيناى أن تحبسا البكا وأن تمنعا درّ الدموعِ السواكبِ
تثاءبتُ كي أبغي لدمعيّ علةً ولكن قليلاً ما بقاء الثاؤب
أعرّضتُماني للهوى ونعمتما عليّ ، لبّس الصاحبانِ لصاحب
وأنشد ثعلب^٣ :

ومُسْتَنجِدٍ بالحزنِ دمعاً كأنه على الخدّ مما ليس يريقاً حائراً
مكلاً مقلتيه الدمعُ حتى كأنه لما انهلَّ من عينيه في الماء ناظرُ
> وقال آخر : ورويت لقيس بن الملوّح :

نظرت كأني من وراء زجاجة إلى الدار من ماء الصباية أنظرُ^٤
فعيناى طوراً تَغْرِقانِ من البكا فأعشى وطوراً تحسّران فأبصر

١ المختار من شعر بشار : ٢٤٧ والعقد ٦ : ١٤ والزهرة : ٢٩٤ .
٢ هو أحمد بن أبي فتن كما في زهر الآداب : ١٠١٢ والسمط : ١٩٨ والمختار : ٢٢٠
والزهرة : ٣٢٠ .
٣ السمط : ٤٩٦ والأماي ١ : ٢٠٨ وزهر الآداب : ٩٤٢ .
٤ زيادة من زهر الآداب : ٩٤٢ والأماي ١ : ٢٠٦ .

وقال آخر ١ :

وقفنا والعيونُ مثقلاتُ يغالبُ طرفها نظَرُ كليلُ
نهته رِقبةُ الواشينِ حتى تعلق لا يَغِيضُ ولا يَسِيلُ

وأنشد ٢ :

ومن طاعني إياهُ أمطرَ ناظري إذا هو أبدى من ثنياهُ لي برقاً
كأنَّ دموعي تبصرُ الوصلَ هارباً فمن أجلِ ذا تجري لتدركه سبِقاً

والبيتُ الأوَّلُ من هذينِ كقولِ المتنبي ٣ :

تَبَلُّ خَدَيَّ كلما ابتسمتُ من مَطَرٍ برقه ثنياهَا
وقال أبو الشيص ٤ :

وقائلة وقد نظرتُ لدمعٍ على الخدينِ منحدرٍ سكوبٍ
تكذبُ في البكاءِ وأنتِ خِلوُ قديماً <ما> جَسَرْتِ على الذنوبِ
قميصُك والدموعُ تجولُ فيه وقلبكَ ليس بالقلبِ الكئيبِ
نظيرُ قميصِ يوسفَ حينَ جاءُوا على لَبَّاته بدمٍ كذوبِ
فقلتُ لها فذاكِ أبي وأمي رَجَمْتِ بحسنِ ظنكِ في الغيوبِ
أما والله لو فتشتِ قلبي لمَ تَرَكَ بالعويلِ وبالنجيبِ
دموعُ العاشقينِ إذا تلاقوا بظَهَرِ الغيبِ ألسنةُ القلوبِ

١ هو البحترى ، كما في زهر الآداب : ٩٤٢ والزهرة : ١٨٩ والمختار : ٢٤٧ .

والأما لي : ٢٠٦ وسط الكلى : ٤٩٦ والديوان : ١٨٢٢ .

٢ سطر الكلى : ٤٩٧ والأما لي ١ : ٢٠٦ وزهر الآداب : ٩٤٣ .

٣ زهر الآداب : ٩٤٣ وديوان المتنبي : ٥٥٣ .

٤ زهر الآداب : ٩٤٣ وثمار القلوب : ٣٥ . وديوان أبي الشيص : ٢٤ - ٢٥ .

وكان بشار يقول ^١ : ما زال فتى من بني حنيفة يُدخل نفسه فينا
ويُخرجُها منّا حتى قال :

نَزَفَ البكاءَ دموعَ عينكَ فاستعرَ عيناَ لغيركَ دمعُها مَدْرَارَ
من ذا يُعيرُكَ عينه تبكي بها أرايتَ عيناَ للبكاءِ تُعارُ؟

وقال آخر ، مما أنشد أبو علي البغدادي :

قالوا : فما نَفَسٌ يعلو كذا صُعْدًا وما لعينك لا ترقا مآقيها ؟
قلت : التلّومُ من تَدَأبِ سيركُمُ ودمعُ عينيَ يجري من قَدَسيَ فيها
وأنشد أبو علي لغيره ^٢ :

يقلن : لقد بكيتَ ، [فقلت] كلاً وهل يبكي من الطَّرَبِ الجليدُ ؟
ولكنّي أصاب سوادَ عيني عُوَيْدُ قَدَسيَ له طَرَفٌ حديد
فقالوا : ما لدمعهما سواء أكلتا مقلتيك أصاب عودُ ؟ !

وقال ابن أبي ربيعة في قريبٍ منه ^٣ :

كفكفتُ دمعِي بالرداءِ وإنما أخفيتُ فيضَ الدمعِ عن أصحابي

١ زهر الآداب : ٩٤٣ ، والأُمالي ١ : ٢٠٦ والسمط : ٣١٤ وديوان العباس بن الأحنف : ١١٦ .

٢ هو لأبي العتاهية عند ابن خلكان ١ : ٢٢٤ والسمط : ١٩٧ وانظر الأُمالي ١ : ٤٩ .

٣ ديوان ابن أبي ربيعة : ٤٣ .

٤ رواية الديوان :

فأنهل دمعِي في الرداءِ صبايَ فسترته بالبرد دون صحابي

فرأى سوابقَ عِبْرَةٍ مَسْفُوحَةٍ عمروُ فقال : بكى أبو الخطّابِ !

وقال العباس بن الأحنف^١ ورجع إلى الطريق :

لكنْ ذهبْتُ لأرتدي فطرفتُ عيني بالرداءِ

وقال ابن فتوح من أهل عصرنا :

وقد تعلّق بالأشفارِ منحدرًا تعلّقَ القطرُ بالاغصانِ والورقِ

وقال أبو جعفر ابن هريـرة التّطيلي^٢ :

يكفكفُ من تلك الدموعِ وربما جلاها الرداءُ وامترتها الأصابعُ

وحدّث أبو بكرٍ محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحّفي قال :

دخلتُ يوماً على أبي عامر ، وقد ابتدأتُ علته التي مات منها فتأنّسَ بي ،

وجرى الحديثُ إلى أن شكوتُ إليه تجنّيَ بعضِ إخواني عليّ ، ونفارَه

عني ، فقال لي : سأسعى في إصلاحِ ذاتِ البين . فخرجتُ عنه ،

واتفق لقائِي بذلك المتجنّي مع بعضِ إخواني ، وأعزّهم عليّ ، فلما رأيَني

مؤكّياً عن ذلك الصديقِ أنكر عليّ ، وسأله عن السببِ الموجب ، فأخبره

وزاد في مشيئتهما حتى لحقّا بي وعزّما عليّ في مكالمَةِ صاحبي ، وتعاتبنا

عتاباً أرقّ من الهوى ، وأشهى من الماء على الظّما ، حتى جئنا دارَ أبي عامر ،

فلما رأيَني ضحك وقال : من كان الذي تولّى إصلاحَ ما كنّا سرّرنّا بفساده ؟

قلنا : قد كان ما كان ، فأطرق قليلاً ثم أنشد^٣ :

١ لم يرد في دوائه ، وهو لبشار عند ابن خلكان ١ : ٢٢٤ والسمط : ٧٧

٢ لم يرد في ديوانه .

٣ ديوان ابن شهيد : ١٧١ (عن الذخيرة) .

مَنْ لَا أَسْمَى وَلَا أَبُوحُ بِهِ أَصْلَحَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَهْوَى
 أُرْسَلْتُ مِنْ كَابِدِ الْهَوَى فَدَرَى كَيْفَ يُدَاوِي مُوَاضِعَ الْبَلْوَى
 وَلِي حَقُوقٌ فِي الْحُبِّ ظَاهِرَةٌ لَكِنَّ الْفِي يَعُدُّهَا دَعْوَى
 يَا رَبَّ إِنَّ الرُّسُولَ أَحْسَنَ بِي يَا رَبَّ فَاحْفَظْنِي مِنَ الْأُسُوءَا

قال ابن المصحفي : ودخلتُ عليه يوماً في تلك العلةِ ومعي غلامٌ
 وسيمٌ من إخواننا ، وكان أبو عامر قبل ذلك يحبُّ مَازَاحَتَهُ فيُتَافَرُهُ ،
 حتَّى خاطب أبو عامر بعضَ إخوانه بشعرٍ مَسَّهُ فيه بطَرَفِ لِسَانِهِ ،
 فقال له ذلك الغلام : هجوتني يا أبا عامر دون أن تَسْتَثْبِتَ في أمري ،
 وأن تعلمَ من سري ما يوجبُ ذلك ، فقال : عليَّ تَكْفِيرُهُ بما يَمْحُوهُ - من
 القراطيس والصُّدُور ، وكان ذلك إثرَ صلاةِ العِشاءِ الأولى ، فطفنا بالجامعِ
 ثم انصرفنا إليه وأنشدنا ^١ :

أَلَا بَابِي زَائِرِي فِي الْعَتَمِ بُوْجِهْ يُجَلِّي سَوَادَ الظُّلَمِ
 تَكْتَمُ بِاللَّيْلِ فِي ظِلِّهِ وَهَلْ يُمْكِنُ الصُّبْحُ أَنْ يَكْتَمَ ؟
 أَتَى يَسْتَجِيرُ أَلِفًا لَهُ كَمَا جَاوَرَ الْبَانُ رَطْبَ الْعَنَمِ
 وَقَدَرَفَ مَا وَرَدُ تِلْكَ الْخُدُودِ بِمَا سَالَ مِنْ مَسَاكِ تِلْكَ اللَّحْمِ
 وَكَانَ يَحْمَحُمُ تَحْتَ الْعِذَارِ كَحَمْحَمَةِ الْخَيْلِ تَحْتَ اللَّحْمِ
 فَقُلْتُ : مِنَ الزَّائِرِي وَالْدَجَى ^٢ يَسُدُّ الْعَيُونَ بِشُوبِ أَحْمَ ^٣
 فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : لَأَسْمُ ^٤ بِمَا جِئْتُ مِنْ كَذِبٍ يَنْتَظِمُ

١ ديوانه : ١٥٢ (عن الذخيرة) .

٢ س : في الدجى .

٣ س : بشوبي آدم .

فَأَبْقَنْتُ أَنْ أَبَا خَالِدٍ سَرَى وَخِيَالَ حَبِيبِي أَلَمْ
فَأَبْصَرْتُ وَجْهًا حَكَاهُ الْهَلَالُ وَتَغَرَّأَ حَكِي الدَّرَّ لَمَّا ابْتَسَمَ
وَالْإِلَّاءُ فَعَفَوُ يُقِيلُ الْعَثَارَ فَذَوِ الْعَرْشِ يَرْحَمُ مَنْ قَدْ رَحِمَ
فَقَالَ : بَلِ الْعَفْوُ يَا سَيِّدِي وَقَبْلَانِي مِنْ بَعِيدٍ وَضَمَ
فَبِتُّ عَلَى بَرْدٍ طَيِّبِ الرَّضَى أَمَرْتُ بِلِيلِي وَإِنْ لَمْ أَنْمِ
وَقُلْتُ : ابْنُ زَيْدُونَ ، لَا كُنْتُ لِي بِخَالٍ ٢ وَلَا كُنْتُ لِي بِابْنِ عَمِّ
خَبِيثٌ سَعَى بَيْنَنَا بِالنَّمِيمِ وَقَطَّعَ خُلَّتَنَنَا بِالْجَلَمِ

فصل في ذكر آخر أيام^٣ أبي عامر ووفاته ، رحمه الله

قال : ولما طال بأبي عامر^١ ألمه ، وتزايد سَقَمُهُ ، وغلب عليه الفالجُ الذي عرض له في مستهل ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، لم يُعَدِّمْهُ حَرَكَةٌ وَلَا تَقَلُّبًا ، وكان يَمْشِي إلى حاجته على عَصَا مَرَّةً ، واعتماداً على إنسان مَرَّةً ، إلى قبل وفاته بعشرين يوماً ، فإنه صار حجراً لا يَبْرَحُ ولا يتقلب ، ولا يَحْتَمِلُ أَنْ يُحَرِّكَ الْعَظِيمَ الْأَوْجَاعَ ، مع شدة ضغط الأنفاسِ وعدمِ الصبر ، حتى هَمَّ بِقَتْلِ نَفْسِهِ ، وفي ذلك يقول من قصيدة^٤ :

أَنُوحُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْدُبُ نُبُلَهَا إِذَا أَنَا فِي الضَّرَاءِ أَزْمَعْتُ قَتْلَهَا
رَضِيتُ قَضَاءَ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ عَلَيَّ وَأَحْكَامًا تَبَقَّنْتُ عَدْلَهَا

١ ورد بيت مضطرب قبل هذا وهو :

فَقُلْتُ أَمْرَ بِهِمْ فَاشْعُرْ بِضَرْبِ فَاحِذِرْ حَانَ نَدَمِ

٢ س : لَا كُنْتُ بِخَالٍ .

٣ س : أَمْر .

٤ ديوانه : ١٤٥ (عن الذخيرة) .

أظُلُّ قعيدَ الدارِ تَجَبُّبِي العِصَا
وَأُنْعَى خِسيَّاتِ ابنِ آدَمَ عامِلاً
أَلَا رَبَّ خِصْمٍ قَدْ كَفَيْتُ ، وَكَرْبَةً
وَرَبَّ قَرِيضٍ كَالْجَرِيضِ بَعَثُهُ
فَمَنْ مَبْلَغُ الْفَتْيَانِ أَنَّ أَخَاهُمْ
عَلَيْكُمْ سَلامٌ مَنْ فَتَى عَضَهُ الرَّدَى
يُسَبِّحُ وَكَفَ الْمَوْتُ تَخْلَعُ نَفْسُهُ

على ضَعْفِ ساقٍ أَوْ هُنَّ السَّقَمِ رِجْلُهَا
بِرَاحَةِ طِفْلِ أَحْكَمِ الضَّرِّ نَصْلُهَا
كَشَفْتُ ، وَدَارٍ كُنْتُ فِي الْمَحَلِّ وَبَلْهَا
إِلَى خُطْبَةٍ لَا يَنْكُرُ الْجَمْعُ فَصْلُهَا
أَخُو فَتَكَّةَ شَنْعَاءَ مَا كَانَ شَكْلُهَا
وَلَمْ يَنْسَ عَيْنًا أَثْبَتَ فِيهِ نَبْلُهَا
وَدَاخِلُهَا حُبٌّ يَهْوُنُ ثُكْلُهَا

وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الْفَقِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيِّ بْنِ حَزْمٍ الشَّافِعِيِّ قَالَ : كَتَبَ إِلَى
أَبُو عَامِرِ ابْنِ شَهِيدٍ فِي عِلَّتِهِ الَّتِي اعْتَلَّهَا بِهِذِهِ الْأَبْيَاتُ ١ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْعَيْشَ وَلِيَّ بَرَأْسِهِ
تَمَنَيْتُ أَتِي سَاكِنٌ فِي غِيَابَةِ
أَذْرٍ ٢ سَقِيطَ الْحَبِّ فِي فَضْلِ عَيْشَةٍ
خَلِيلِيٍّ مَنْ ذَاقَ الْمَنِيَّةَ مَرَّةً
كَأَنِّي وَقَدْ حَانَ ارْتِحَالِي لَمْ أَفُزْ
فَمَنْ مَبْلَغُ عَنِّي ابْنَ حَزْمٍ وَكَانَ لِي
عَلَيْكَ سَلامٌ اللَّهُ إِنِّي مَفَارِقُ
فَلَا تَنْسَ تَأْيِينِي إِذَا مَا فَقَدْتَنِي
فَلِي فِي اِدْكَارِي بَعْدَ مَوْتِي رَاحَةٌ
وَإِنِّي لِأَرْجُو اللَّهَ فِيمَا تَقَدَّمْتُ

وَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ لَاحِقِي ٢
بِأَعْلَى مَهَبِّ الرِّيحِ فِي رَأْسِ شَاهِقٍ
وَحِيداً وَحَسْبِي الْمَاءُ ثَنِي الْمَفَاقِ
فَقَدْ ذُقْتُهَا خَمْسِينَ قَوْلَةً صَادِقٍ
قَدِيماً مِنَ الدُّنْيَا بِلَمْحَةٍ بَارِقٍ
يَدّاً فِي مُلَمَّاتِي وَعِنْدَ مَضَايِقِي
وَحَسْبُكَ زَاداً مِنْ حَبِيبٍ مَفَارِقٍ
وَتَذْكَارَ أَيَّامِي وَفَضْلَ خِلَاتِقِي
فَلَا تَمْنَعُونِيهَا عُلَّالَةً زَاهِقٍ
ذُنُوبِي بِهِ مِمَّا دَرَى مِنْ حَقَائِقِي

١ ديوانه : ١٣٣ (عن الذخيرة).

٢ تنفرد نسخة دار الكتب ببعض أبيات هذه القصيدة والقصائد التالية ، وتخل بها النسخة من .

٣ يذر الحب : يأخذه بأطراف الأسابع .

ومن جواب ابن حزم له :

أبا عامرٍ ناديتَ خلاً مُصافياً
وألفتَ قلباً مخلصاً لكَ مُنحضاً
شدائدُ يجلوها الإلهُ بلُطفه
وربَّ أسيرٍ في يدِ الدهرِ مطلقاً
سفينةُ نوحٍ لم تضيقْ بحُلُولِها
فإن تنجُ قلتُ الحمدُ لله مخلصاً

وسمع في تلكِ العلةِ نعي الوزيرِ
فقال قصيدته هذه ٤ :

أمن حكامهم المتفشيحُ الجنوبيُّ
أهدى إليَّ الملا ١ فافجئةً
والليلُ قد تامَ في أثوابِ نادبةٍ
والنهمُ تحسبُه فدامَ تابعه
وجاءَ ولُ الأفقِ يجري في منافسه
فقلتُ ولستُ منشورٌ على جسدي
أهدى المائيَّ من أزهارِ فكرته
فتيل مات فقال الليلُ قاربِ ذا
وبتُ سرُداً أناجي مقلتي شغفاً

١ س : فلا بأس .

٢ س : الملا .

٣ ستأتي ترجمة من اسمه ابن المائي في هذا القسم من الذخيرة ؛ ولعله شخص آخر .

٤ الديوان : ١٧٢ .

لا عشتُ إن متَّ لي يا واحدٍ أبداً
 إنَّ الكريم إذا مات صاحبه
 لم يمت قلبك لا تعجب فذو أملٍ
 أومتَّ قبلي فما منعك لي عجبٌ
 زاد البلاء على نفسي فأعدها
 حتى أهُمَّ بقتلي كلَّ داجيةٍ
 إنِّي إلى الله من عقبى بليتُ بها
 وموتُنَا واحدٌ لا شك مرثيٍّ
 أودى به الوجد والكلُّ الطابعي
 قد حم من دونه يوماً حمامي
 إنَّ الكريم إلى الأصحاب مَنمي
 صبري فصبري عليك اليوم وحشي
 يا قوم هل رام هذا قبلُ إنسي؟
 جرى بها الحكم والأمرُ الإلهي

وقال أيضاً في علته تلك ١ :

أقرَّ السلام على الأصحاب أجمعهم
 وقل له : يا أعزَّ الناسِ كلَّهم
 الله جارُّك من ذي منعةٍ ظفرتُ
 ما كان حبك إلا صوبَ غاديةٍ
 إن شاء صرفُ الرَّدَى تقديمَ أطوعنا
 وإن أحبَّ الثرى جسماً لياكله
 عشنا [أليفين] في برِّ الهوى زمناً
 فشتتتْ نوبُ الأيام ألفتنا
 وخُصَّ عمرًا بأزكى نورٍ تسليمٍ
 شخصاً عليٍّ وأولاهُم بتكريمٍ
 منه اللبالي بعاقٍ غير مدمومٍ
 طيباً وحاشا حبسِي فيك من أومٍ
 فقد رضيتُ - حماك الله - تقديمي
 أسمعُ بسمي له يَفديك تعظيبي
 حتى زقنا بنوانا طائرُ الشومِ
 قسراً ولم يُغنِها ظنِّي وتنجيبي

وكتب أيضاً إلى جماعةٍ من إخوانه في علته يومئذٍ ٢ :

هذا كتابي وكفَّ الموتِ تزعجني
 عن الحياة وفي قلبي لكم ذِكْرُ

١ ديوان ابن شهيد : ١٤٩ (عن الذخيرة) .

٢ ديوانه : ١٠٧ (عن الذخيرة) .

إن أفضيكم حقكم من قلة عُمري
لهفي على نيراتٍ ما صدعتُ بها
فاقرّ السلامَ على المنصورِ أفضلٍ من
واعطف بها عطفةً تهتزّ من كرمٍ

وقال أيضاً في علته تلك ١ :

تأملتُ ما أفنيتُ من طول مُدَّتِي
وحصّلتُ ما أدركتُ من طول لَدَّتِي
وما أنا إلا رهْنُ ما قدّمتُ يدي
سقى الله فتياناً كأنّ وجوههمُ
إذا ذكروني والثرى فوق أعظمي
يقولون : قد أودى أبو عامرٍ العُلا
هو الموت لم يُصرفْ بإجراسِ خاطبٍ
ولم يجتنّب للبطشِ مُهْجَةً قادِرٍ
يحلُّ عُرَى الجبّارِ في دار ملكه
وليس عجباً أن تدانَتْ منيتي
ولكن عجباً أن بين جوانحي
يحرّكني والموتُ يحفزُ مهجتي

إنّي إلى الله لا حقّ ولا عُمري
إلاً وأظالمٌ من أضوائها القمر
سعى لثأر بني الإسلام فانتصروا
على المظفرِ فهو الفلجُ والظفرُ

فلم أَرَهُ إلاّ كلمحةٍ ناظرٍ
فلم أُلْفِه إلاّ كصفقةٍ خاسرٍ
إذا غادروني بين أهل المقابر
وجوهُ مصاييحِ النجومِ الزواهر
بكواً بعيون كالستّابِ الماطر
أقلّوا فقدماً مات آباءُ عامر
بليغٍ ولم يعطَفْ بأنفاسِ شاعر
قويّ ولا للضعفِ مُهْجَةً صافر
ويهفو بنفسِ الشاربِ المتساكر
يُصدّقُ فيها أوّلي أمرٍ ٢ آخري
هوّى كشرارِ الحمرةِ المتطائرِ
ويحتاجني والنفسُ عند حناجري

وبلغني أن آخر شعر قاله يودّع إخوانه هذه الأبيات ٣ :

١ ديوانه : ١١٣ .

٢ س ب : أول الأمر .

٣ ديوانه : ١٢٩ .

أستودع الله إخواني^١ وعشرتهم
وفتية^٢ كنجوم القذف نيرهم
وكوكباً لي منهم كان مغربهم
الله يعلم أنني ما أفارقه
كنّا أليفين خان الدهر ألفتنا
فإن أعش فعل الدهر يجمعنا
لا ضيع الله إلا من يضيعه
قد كان بردي إذا ما مسني كلف
حتى رمتنا صروف الدهر عن كتب
إني لأرمقه والموت يضغطني

وكلّ خرق إلى العلياء سباق
يهدي ، وصائبهم يودي بإحراق
قلبي ، ومشرقه ما بين أطواقي
إلا وفي الصدر مني حرّ مشتاق
وأني حرّ على صرف الردى باقي
وإن أمت فسيبقه كذا الساق
ومن تخلّق فيه غير أخلاقي
لا يثلم الحسب آدائي وأعراقي
ففرقتنا ، وهل من صرفه واتي ؟
فأقتضي فرجة مُرتدّ أرمائي

ثم أوصى أن يدفن بجانب صديقه أبي الوليد الزّجالي^٢ ، ويكتب على قبره في لوح رخامٍ هذا النثر والنظم :

بسم الله الرحمن الرحيم « قل هونبأ عظيم أنتم عنه معروضون » ،
هذا قبر أحمد بن عبد الملك بن شهيد المذنب ، مات وهو يشهد أن لا إله
إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنّ الجنة حق ،
وأنّ النار حق ، وأنّ البعث حق ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها ، وأنّ الله
يبعث من في القبور . مات في شهر كذا من عام كذا . ويكتب تحت هذا
النثر هذا النظم^٣ :

١ س : أصحابي .
٢ ذكره الفتح في القلائد : ١٥٣ (وعنه النفح ١ : ٦٣٥ - ٦٣٦) وكناه « أبا مروان » .
٣ ديواند : ٩٨ والقلائد : ١٥٣ والنفح ١ : ٦٣٦ .

يا صاحبي قم فقد أطلنا
فقال لي : لن نقوم منها
تذكر كم ليلة لهُونا^١
وكم سرور هَمَنِي علينا
كلُّ كأن لم يكن تقضى
حصَّله كاتب حفيظ
يا ويلنا إن تنكبَّتْنا
ياربِّ عفواً فأنت مولى
أنحن طولَ المدى هجودُ ؟
ما دام من فوقنا الصَّعيدُ
في ظلِّها والزمان عيْد ؟
سحابةٌ ثرةٌ تجود ؟
وشؤْمُه حاضر عتيْد
وضمَّه صادق شهيد
رحمةٌ من بطشه شديد
قَصَّرَ في أمرِك^٢ العبيد

ينظر قوله : « لن نقوم منها » ... البيت ، إلى قول ابن المعتز^٣ يصف
أهل القبور :

وسكانِ دارٍ لا تراوَرَّ بينهم
كأنَّ خواتيماً من الطَّين فوقهم
على قرب بعضٍ في المحلة من بعضٍ
فليس لها حتى القيامة من فض

وما أرى أبا عامر إلا نقله من قول المعري في رثاءِ أمِّه حيث يقول^٤ :

سألت متى اللقاء ؟ فقل حتى يقومَ الهامدون من الرِّجام

قالوا : وكان أبو عامر كثيراً ما كان يخشى صعوبة الموت ، وشدة
السوق ، فيسر الله عليه ، وما زال يتكلم ويرغب إلى الله أن يرفق به ،
ويكثر من ذكره ، وقد أيقن بفراق الدنيا ، إلى أن ذهبت نفسه رحمه الله

١ القلائد والمفح : نغمنا .

٢ القلائد والنفع : شكرك .

٣ ديوان ابن المعتز ٤ : ٣٥٤ وزهر الآداب : ٧٧٤ .

٤ شروح السقط : ١٤٦٨ .

يوم الجمعة آخر يوم من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة . ولم يشهد على قبر أحد ما شهد على قبره من البكاء والعويل ، وأنشد على قبره من المراثي جملة موفورة لطوائف كثيرة ، منها قول أبي الأصمغ القرشي من قصيدة يقول فيها :

شهدنا غريباتِ المكارم والعُلا	تُبَكِّي على قبر الشهيدي أحمدَا
وما زال أهل الدين والفضل والتقى	عكوفاً به حتى حسبنَاهُ مسجدا
أريد بسقيا الغيث إحياءَ حفرةٍ	كدَرْنَا بها نجم العُلا المتوقدا
ولم أرَ مثلي بات مستسقي الحيا	لماء حياءٍ كان يشفي من الصدى
فأيّ جمال صار في قبضة الثرى	وأيّ بهاءٍ قد طوته يدُ الردى
وأيّ قناةٍ في طُلَى الأرض غُيِّبَتْ	وأيّ حُسامٍ في حشا القبر أغمدا
بنفسي الذي أودى وأنشأ للندى	حَمَاماً على دَوَحِ العلاءِ مغردا
أبا عامر ، بُعْداً لِسَهْمٍ مصيبةٍ	رماك به ريبُ المنون فأقصدا
لقد فُتَّ في نشر الفضائلِ يافعاً	وبرَزَتْ في جمع المكارم أمردا
لَشَقَّتْ عليك المكرماتُ جيوها	وأظهر فيك المعجذُ خدّاً مخددا

ومنه قول أبي حفص ابن برد الأصغر^١ من قصيدة أولها :

بفبك التَّربُّ من ناعٍ نعاني	نعى غيري إليّ وما عداني
وكيف ولم يسئل طرفي بدمعٍ	عليه ، ولم يُجَنِّ له جناني
لأيةٍ خصلة تبكيك عيني	ومالي بالحساب لها يدانٍ
أللهم المنوطة بالثريا	أم الشيم المهبذبة الحسنانٍ

١ سترد ترجمته في هذا القسم من الذخيرة

أم الكرم الذي ما زال يجري مع الأنواء في طَلَقِ الرهانِ
 أم القلم الذي قد كان يجني من القرطاس نُورَ البيانِ
 أم الرأي الذي ما زال يُغني عن السيف المهتدِ والسَّتانِ
 شهدتُ لقد أصيبَ بنو شهيدٍ بقاطعة السواعد والبنانِ
 به درجوا من الدنيا فبانوا وكلُّ ما خلا الرحمن فاني

فصل في ذكر ذي الوزارتين الكاتب أبي الوليد ابن زيدون ، واجتلاب عيون من أخباره ، وفصوص^١ من رسائله وأشعاره^٢

قال أبو الحسن : كان أبو الوليد صاحب^٣ منشور ومنظوم ، وخاتمة شعراء
 مخزوم ، أحدُ من جرَّ الأيامَ جرّاً ، وفات الأنام طراً ، وصرفَ السلطان
 نفعا وضراً ، ووسع البيان نظماً ونثراً ؛ إلى أدب ليس للبحر تدفقه ، ولا
 للبدر تألقه . وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزهر اقترانه . وحظ
 من النثر غريب المباني ، شعري الألفاظ والمعاني .

حدثني^٤ غير واحد من وزراء إشبيلية قال : لما خلَّص ابن عبد البر^٥

١ ب : ونصوص .

٢ ترجمة ابن زيدون في الجذوة : ١٢١ ، ٣٧٩ (البغية رقم : ٤٢٦) والقلائد :
 ٧٩ والمطرب : ١٦٤ والمعجب : ١٦٢ والمغرب ١ : ٦٣ واعتاب الكتاب : ٢٠٧
 والنفع (في صفحات متفرقة) والخريدة ٢ : ٤٨ وابن خلكان ١ : ١٣٩ والواني
 ٧ : ٨٧ ومقدمة سرح العيون ، ومقدمة تمام المتون .

٣ ب س : غاية .

٤ ب س : أخبرني .

٥ أبو محمد ابن عبد البر الكاتب ، انظر القسم الثالث : ١٢٥ .

من يد عباد ، خلوص الفرزدق من يد زياد ، بقيت حضرته من أهل هذا الشأن ، أعزى من ظهر الافعوان ، وأخلى من صدر الجبان . فهم يوماً باستخلاف^١ أبي عمر^٢ الباجي المشهور أمره ، الآتي في القسم الثاني من هذا الكتاب^٣ ذكره ، فكان أبا الوليد غصاً بذلك ، وواطأ أبا محمد ابن الجلد على الإشارة بالاستغناء عما هنالك ، فكانت الكتب تُنفذُ من إنشاء أبي الوليد إلى شرق الأندلس ، فيقالُ : تأتي من إشبيلية كتبٌ هي بالمنظوم^٤ أشبهُ منها بالمشور .

قرأت في كتاب أبي مروان ابن حيان ، وقد أجرى ذكر من اصطنع ابنُ جهنم من رجال دولته فقال : ونوّه أيضاً بفتى الآداب وعمدة الظرف ، والشاعر البديع الوصف والرّصف ، أبي الوليد أحمد بن زيدون ذي الأبوّة النّبهة بقرطبة ، والوسامة والدراية وحلاوة المنظوم والسلطنة وقوة العارضة والافتتان في المعرفة . وقدّمه إلى النظر على أهل الذمة لبعض الأمور المعترضة ، وقصره بعدُ على مكانه من الخاصّة والسّفارة بينه وبين الرؤساء ، فأحسن التصرف في ذلك ، وغلب على قلوب الملوك .

قال أبو مروان : وكان أبو الوليد من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة في أيام

١ ط : باستجلاب .

٢ في الأصول : أبي محمد ؛ وقد جاء في الفهرست العام في مقدمة الذخيرة أبو عمرو ، وفي القسم الثاني (نسخة الرباط رقم ١٣٢٤ الورقة ٣٨ ب) أبو عمر ، واسمه يوسف ابن جعفر ، وكان أبوه جعفر أحد الكتاب صدر الفتنة عند عدد من الملوكة ، وتوفي جعفر سنة ٤٣٥ .

٣ ب س : الديوان .

٤ ط : تأتي .

٥ ب س : بالانظم الخطير .

الجماعة والفتنة ، وفرّع أدبه ، وجاد شعره ، وعلا شأنه ، وانطلق لسانه ، فذهب به العُجب كلَّ مذهب ، وهوّن عنده كلَّ مطلب . وكان علقه من عبد الله بن أحمد بن المكوي ^١ أحد حكام قرطبة ظفر "أحجن" أدّاه إلى السجن ^٢ فألقى نفسه يومئذٍ على أبي الوليد ابن جهور في حياة والده أبي الحزم ، فتشَقّع ^٣ له وانتشَلَه من نكبته ، وصيره في صنائعه . ولما ولي الأمر بعد والده نوّه به وأسنى خطته ، وقدمه في الذين اصطنعهم ^٤ لدولته ، وأوسع راتبه ، وجلله كرامة لم تقنعه ، زعموا . واتفق أن عنّ له مطلبٌ بحضرة إدريس بن علي الحسّني ^٥ بمالقة فأطال الثواء هنالك ، واقترب من إدريس ، وخفّ على نفسه ، وأحضره مجالس أنسه . فعتب عليه ابن جهور ، [وصرّفه عن ذلك التصرف قبل قفوله ، ثم عاد إلى جميل رأيه فيه] ، وصرّفه في السفارة بينه وبين رؤساء ^٦ الأندلس فيما يجري بينهم من التراسل والمداخلة ؛ فاستقل بذلك لفضل ما أوتيته من اللسن والعارضة ،

١ هو عبد الله بن أحمد بن عبد الملك بن هشام ، أبو محمد ابن المكوي القرطبي ، كان أبوه أبو عمر أحمد بن عبد الملك (ترتيب المدارك ٤ : ٦٣٥) مولى بني أمية ، وكان من أئمة أهل زمانه وأحفظهم لمذهب مالك ، وعظم قدره بالأندلس وصار معتمداً لجميع قضائهما وحكاهما فيما اختلفوا فيه ، توفي منبعث الفتنة البربرية (٤٠١) ؛ أما ابنه أبو محمد فقد استقضاه أبو الحزم ابن جهور سنة ٤٣٢ ولم يكن من القضاء في ورد ولا صدر لقلّة علمه ؛ ثم صرّفه أبو الوليد ابن جهور ، وبقي خاملاً حتى أدركته منيته سنة ٤٤٨ (انظر. الصلة : ٢٦٧ - ٢٦٨ والمغرب ١ : ١٦٠) .

٢ يتضح من التمليق السابق أن سجن ابن زيدون تم بين ٧ محرم ٤٣٢ و ٣ بقين من ربيع الأول ٤٣٥ ، وهي الفترة التي تولى فيها ابن المكوي .

٣ ب س : فشفع .

٤ ب س : اصطنع .

٥ هو إدريس بن يحيى بن علي الملقب بالعمالي ، بويغ سنة ٤٣٤ تم خلعه أهل مالقة سنة ٤٣٨ (انظر البيان المغرب ٣ : ٢١٧) .

٦ ب س : أمراء .

فاكتسب الجاه والرفعة ^١ ، ولم يبعد في ذلك من التهاوت في الترقّي لبُعد الهمة ، فهو عَمَّا قَلِيلٍ إلى عِبَادٍ صَاحِبِ إِشْبِيلِيَّةٍ ، اجتذبه إلى ذلك فهاجر عن وطنه إليه ، ونزل في كنفه ، وصار من خواصه وصحابه ، يجالسه في خلواته ، ويسفر له في مهم رسائله على حال من التوسعة . وكان ذهابه إلى عباد سنة إحدى وأربعين وأربعمئة ، [فخلا بالحضرة مكانه ، وكثر الأسف عليه . انتهى كلام ابن حيان] .

قلت : فأما سعة ذرعه ، وتدفع طبعه ؛ وغزارة بيانهِ ، ورقة حاشية لسانهِ ، فالصبحُ الذي لا ينكرو ولا يردّ ، والرمل الذي لا يحصر ^٢ ولا يعدّ .

أخبرني من لا أدفع خبره من وزراء إشبيلية قال : لعهدي بأبي الوليد قائماً على جنازة بعض حُرّمه ، والناسُ يعزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سُمِعَ يُجِيبُ رجلاً منهم بما أجاب به آخر ، لحضور جنازه ، وسعة ميدانه .

وقد أخرجتُ من أشعارهِ التي هي حِجُولٌ وغُرَرٌ ، ونوادر أخبارهِ التي هي مآثر وأثر ، ورسائلهِ التي أحرستُ ألسنة الحَقْل ، [واستوفت أمد المنطق الجزل ، ما يسرُّ الآداب ويصورُها ، ويستخفُّ الألباب ويستطيرُها ^٣]

١ ب س : والمتفعة .

٢ س : يحصى .

٣ موضع هذه العبارة في ب س : وكيف يصح ذلك وهو منقول عن عمر رضي الله عنه ؛ وهي عبارة غريبة في موقعها

جملة من نثره، مع ما ينخرط في سلك ذلك من شعره

[له من رقعةٍ خاطبَ بها ابنَ جهور من موضعِ اعتقاله يقولُ فيها ^١ :
يا مولاي وسيدي الذي ودادي له ، واعتدادي به ، واعتماداي عليه ، أبقاك
اللهُ ماضيَ سدِّ العزم ، واريَ زند الأمل ، ثابتَ عهد النعمة . إن سلبتني -
أعزك الله - لباسَ إعتامك ، وعطلتني من حلي إيناسك ، وغَضَضْتَ عني
طَرَفَ حمايتك ، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، وسمع < الأصم >
ثنائي عليك ، وأحسَّ الجمدُ بإسنادي إليك ، فلا غرَوْ فقد يَغْصُ بالماء
شاربُهُ ، ويقتلُ الدواءُ المستشفيَ به ، ويؤتَى الحذر من مأمنه ، وإني لأتجلد
فأقول : هل أنا إلا يدُ آدماء سوارها ، وجبينُ عضه إكليلُهُ ، وهشرفُ
ألصقه بالأرضِ صاقلُهُ ، وسمهريَّ عرضه على النار مثقفهُ ؟ والعتب محدود
عواقبُهُ ، والنبوةُ غمرةٌ ثم تنجلي ، والنكبةُ « سحابةٌ صيفٍ عن قريبٍ
تقشعُ » ، وسيدي إن أبطأ معذور .

وإن يكنِ الفعلُ الذي ساءَ واحداً فأفعالهُ اللاتني سَرَرَنَ ألوفُ

وليت شعري ما الذنب الذي أذنبْتُ ولم يَسَعَهُ العفو ؟ ولا أخلو من أن
أكونَ بريئاً ، فأين العدل ؟ أو مسيئاً فأين الفضل ؟ وما أراني إلا لو أمرتُ
بالسجود لآدم فأبيتُ ، وعكفت على العجل ، واعتديتُ في السَّبِّ ، وتعاطيتُ
فَعَقَرْتُ ، وشربتُ من النهر الذي ابتلي به جنودُ طالوت ، وقدتُ لأبرهةَ
الفيل ، وعاهدتُ قريشاً على ما في الصحيفة ، وتأولت في بيعة العقبة ،

^١ هذه هي الرسالة الجدية ، التي شرحها الصفدي في تمام المتن ، ونصها كما أورده الصفدي فأقلا
من خط ابن ظافر (صاحب ذخائر الذخيرة) يدل على أن ابن بسام يوجز كثيراً بالحذف ،
ويغير بعض التغيرات الطفيفة محافظة على السياق الموجز .

ونفرتُ إلى العير بيدر ، وانخزلت بثلك الناس يوم أحد ، وتخلفت عن صلاتي
في بني قريظة ، وأنفتُ من إمارة أسامة ، وزعمت أن خلافة الصديقِ فلتة ،
« ورويتُ رُحمي من كتيبة خالد »^١ ، وضحيث بالأشمط الذي عنوانُ
السجودِ به^٢ ، لكان فيما جرى عليّ ما يحتملُ أن يسمى نكالا ، ويدعى ولو
على المجاز عقاباً

وحسبكَ من حادثٍ بامريء ترى حاسديه الله راحميناً^٣

فكيف ولا ذنبَ إلا نعمةٌ أهداها كاشع ، ونبا جاء به فاسق ؟ والله
ما غششتُك بعد النصيحة ، ولا انحرفتُ عنك بعد الصاغية ، ولا نصبتُ لك
بعد التشيعِ فيك ، فقيمَ عبثَ الخفاءِ بأذمتي ، وعاث في مودتي^٤ ،
وأنتى غلبني المغتلب ، وفخر علي الضعيف^٥ ، ولطمتني غيرُ ذاتِ سوار^٦ ؟
ومالك لا تمنع مني قبل أن أفترس ، وتدركني ولما أمزق ، وقد زانني اسمُ
خدمتك ، وأنلتُ الجميعَ من سماطك ، وقمتُ المقامَ المحمود على بساطك ؟
ألستُ المُوالي فيك نظمَ قصائدٍ هي الأنجمُ اقتادت مع الليل أنجماً^٧

١ من قول أبي شجرة السلمي وكان من الفتاك (تمام المتون : ١٨٦ - ١٨٧) .

ورويت رُحمي من كتيبة خالد وإني لأرجو بعدها أن أعمر

٢ يعني عثمان بن عفان ، وفيه إشارة إلى قول حسان (تمام المتون : ١٩١)

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرأنا

٣ البيت للعتبي ، انظر تمام المتون : ١٢١ .

٤ تمام المتون (٢٦٤) وعاث العقوق في مواتي .

٥ إشارة إلى قول امرئ القيس :

وانك لم يفخر عليك كفاح ر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

٦ من المثل : « لو غير ذات سوار لطمتني » ؛ فصل المقال : ٣٨١ والميداني ٢ : ٨١

والمسكري ٢ : ١٩٣ (تحقيق أبو الفضل) وفيها : لو ذات سوار .

٧ البيت للبحري ، ديوانه : ١٩٨٤ .

وهل لبس الصباحُ إلا برداً طرزته بمحامدك ، وتقلدتِ الجوزاءِ إلا عقداً
فصلَّتهُ بمآثرِك ، وقتَّ المسكُ إلا حديثاً أذعتهُ بمفاخرِك ، وما يوم حليلة
بسر^١ ، وحاشَ لله أن أعدَّ من العاملة الناصبة^٢ ، وأكونَ كالذَّبالَةِ
المنصوبةِ تضيءُ للناس وهي تحترقُ^٣ .

وفي فصل منها :

ولعمري ما جهلتُ أنَّ الرأيَ في أن أتحوَّلَ إذا بلغتني الشمس^٤ ،
ونبا ببي المنزل ، وأضربَ عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال^٥ ، ولا
أستوطي العجزَ فيضربَ بي المثل : خامري أمَّ عامر^٦ . وإني مع المعرفة
بأن الجلاء سباء ، والنقلة مثله^٧ ، لعارف أنَّ الأدبَ الوطنُ الذي لا يُخشى
فراقه ، والخليطُ الذي لا يتوقع زياله^٨ ، والنسب الذي لا يُجفى^٩ ؛
أينما توجه ورد أعذب منهل^٩ ، وحطَّ في جنابِ قبول ، وضوحك قبل

١ انظر فصل المقال : ١٢٧ ، ٤٨٦ والميداني ٢ : ١٥٠ والضبي : ٧٩ وتمام المتون : ٢٩٤ .

٢ اشارة إلى الآية « وجوه يومئذ خاشعة عاملة فاصبة » (الغاشية : ٢ ، ٣) .
٣ من قول العباس بن الأحنف :

كنت كإني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق
٤ من قول أبي تمام :

وان صريح الرأي والحزم لامرئ إذا بلغته الشمس أن يتحولا

٥ من قول البعيث (تمام المتون : ٣١٣) :

طمعت بليلي أن تريسع وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع

٦ فصل المقال : ١٨٧ والميداني ١ : ١٦٠ وتمام المتون : ٣١٨ .

٧ ب س : زواله .

٨ ب س : يخفى .

٩ ب س والصفدي : ورد منهل بر . ١٠ ب س : فزل .

إنزال رحله ^١ ، وأعطى حكم الصبي على أهله ،

وقيل له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيتٌ صالحٌ وصديقٌ ^٢
غير أن الوطن محبوب ، والمنشأ مألوف ، واللبيب يحنُّ إلى وطنه ، حنينَ
النجيب إلى عَظَنه ، والكریم لا يحفو أرضاً بها قوابله ، ولا ينسى بلداً فيه
مَراضِعُه ، قال الأول ^٣ :

أحبُّ بلادَ الله ما بين منعجٍ إليَّ وسلمي أن يصوبَ سحابُها
بلادٌ بها عَقَّ الشبابُ تمائمٍ وأولُ أرضٍ مسَّ جلدي تراها
مع مغالاتي بعلوُّ جوارِك ، ومنافستي في الحظ من قربك ، واعتقادي أن
الطمعَ في غيرك طَبَعَ ، والغنى من سواك عناء ، والبذل منك أعور ^٤ ،
والعوضَ لَفَاء ^٥

وإذا نظرتُ إلى أميرِ زادنسي ضناً به نظري إلى الأمراء ^٦
وكل الصيدِ في جوفِ الفرا ^٧ ، وفي كل شجرٍ نار واستمجد المرخُ

١ من قول عمرو بن الاهتم أو حاتم :

أصاحك ضيفي قبل انزال رحله ويخصب عندي والزمان جديب

٢ ب س والصفدي : ومقيل ؛ والبيت لعمرو بن الاهتم من مفضلية له قافية (المفضليات :
٢٤٩) .

٣ معجم البلدان (منعج) ليعض الأعراب .

٤ ب س : تعلق (أقرأ : بعلق) ؛ وفي تمام المتون : بعقد .

٥ في النسخ : عوز ؛ وصوبته عن تمام المتون : ٣٣٩ إذ فيه إشارة إلى المثل « بدل أعور »
انظر الميداني ١ : ٥٩ وفصل المقال : ٨١ .

٦ اللفاء : الشيء الخسيس .

٧ البيت لعدي بن الرقاع ؛ الشعر والشعراء : ٥١٧ وتمام المتون : ٣٤٠ .

٨ فصل المقال : ١٠ والميداني ٢ : ٥٤ والمسكري ٢ : ١٥٠ وتمام المتون : ٣٣٧ .

والعفار^١ . فما هذه البراءةُ ممن يتولاك ، والميلُ عمن يميلُ إليك ؛ وهلاً
كان هوالك في من هواه فيك ، ورضاك لمن رضاه لك :

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم^٢ وجداننا كلَّ شيءٍ بعدكم^٣ عدم^٤

أعِذكْ ونفسي أن أشيمَ خُلُباً، وأستمطرَ جَهِهاً، وأكدمَ غيرَ مكدم^٥ ،
وأشكو « شكوى الجريح إلى العقبان والرَّحِمِ »^٦ . وإنما أبستُ بك
لتدِرَ ، وحرَّكتُ لك الحوَارَ لتحنَّ^٧ ، ونبتَهتُك لأنام^٨ ،
وسريتُ إليك لأحمد السرى لديك ، بعد اليقين أنك إن سنيت عقد أمري
تيسر^٩ ، ومتى أعذرتَ في فك أسري لم يتعذر ، وعامُكُ محيطُ
بأنَّ المعروفَ ثمرةُ النعمة ، والشفاعةُ زكاةُ المروءة ، وفضلُ الجاهِ - تعودُ
به - صدقة .

وإذا امرؤُ أهدى إليك صنيعةً من جاهه فكأنَّها من ماله^{١٠}

١ فصل المقال : ٢٠٢ والميداني ٢ : ١٤ وتمام المتون : ٣٤١ .

٢ البيت للمتنبى ، ديوانه : ٣٢٤ .

٣ ب س والصفدي : واكرم غير مكرم ؛ وما ثبت هنا فإنما هو من المثل « كدمت غير مكدم » ، فصل المقال : ٣٥٥ والميداني ٢ : ٥٧ .

٤ من قول المتنبي (ديوانه : ٥١٣) :

ولا تشك إلى خلق فتشمته شكوى

٥ الميداني ١ : ١٩١ .

٦ من قول بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمراً ثم نـم

٧ ناظر إلى قول بشار :

فيا لله ثق إن عز ما تبتغي وقل إذا الله سنى عقد أمر تيسر!

٨ البيت لأبي تمام ، ديوانه ٣ : ٦٠ وتمام المتون : ٣٦٦ .

لعلِّي ألقى العصا بذراك ، وتستقرّ بي النوى في ظلك ، فتستلذّ جَنِّي
شكري من غرسِ عارفَتِكَ ، وتستطيبَ عَرَفَ ثنائي من روضِ صنيعتِكَ ،
فأستأنفَ التأدّبَ بك ، والاحتيال على مذهبِكَ ، فلا أوجدَ للحاسدِ مجال
لحظة ، ولا أدعَ للقادحِ مساعَ لفظة ، والله شهيدُك ^١ من إطلابي بهذه
الطلبة ، وإشكائي ^٢ من هذه الشكوى ، لصنيعةِ تُصيبُ بها طريقَ ^٣
المصنع ، وقد تستودعها أحفظ ^٤ مستودع ، [حسبما أنت خليقٌ له ،
وأنا منك حريّ به ، فذلك بيدِكَ ، وهينٌ عليك] ^٥ . [ولما توالى غرر
هذا النثر ، واتسقتْ دُرَرُهُ] ، فهزَّ عطفَ غُلُوّائه ، وجرَّ ذيلَ خُيَلائِهِ ،
عارضه النظمُ مباهياً ، بل كأيّده مداهياً ، حين ^٦ أشفق من أن يعطفَكَ
استعطفُهُ ، وتَميلَ بنفسِكَ ألطافُهُ ، فاستحسنَ العائدةَ منه ، واعتدَّ بالفائدة
له ، وما زال يستكره ^٧ الذهن العليل ، والخطر الكليل ، حتى زَفَّ إليك
منه عروساً مجلوةً في أثوابها ، منصوصةٌ بجليها وملاها ، وها هي ^٨ :

المهوى في طلوع تلك النجومِ والمنى في هبوبِ ذاك النسيمِ
سرّنا عيشُنَا الرقيقُ الحواشي لو يَدومُ السرورُ للمستديمِ

ومنها :

- ١ الصفدي : ميسرك .
- ٢ الاشكاء : إزالة الشكوى .
- ٣ الصفدي : مكان .
- ٤ الصفدي : أحسن .
- ٥ الصفدي : بيده .. عليه .
- ٦ ب س : حتى .
- ٧ الصفدي : يستكده ؛ ب : يستنكر .
- ٨ ب س : وهي هذه الأبيات ، وانظر ديوان ابن زيدون : ٢٧٨ .

وَطَرٌ مَا انْقَضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى
 زَارٌ مُسْتَخْفِيًا وَهِيَّاتٌ أَنْ يَخُ
 فَوْشَى الْحَلِيُّ إِذْ مَشَى وَهَفَا الطَّيْ
 أَيُّهَا الْمُؤَذِّنِي بِظُلْمِ اللَّيَالِي
 مَا تَرَى الْبَدْرَ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالشَّمْسُ
 وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحُو
 بَوًّا اللَّهُ جَهَّورًا شَرَفَ السَّؤْ
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْفَضْ
 قَلَدَ الْغُمُرُ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ

ومنها في ذكر اعتقاله :

سَقَمٌ لَا أَعَادُ مِنْهُ فِي الْعَا
 نَارُ بَغْيِي سَرَتْ إِلَى جَنَّةِ الْأَرِ
 [بَابِي أَنْتَ إِنْ تَشَأْ تَكُ بَرْدًا
 لِلشَّفِيعِ الْغَتَاءِ وَالْحَمْدُ فِي صَوِّ
 ثِدٍ أَنْسَ يَفِي بِبُرِّ السَّقِيمِ
 ضِ بَيَاتًا فَأَصْبَحْتُ كَالصَّرِيمِ
 وَسَلَامًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ]
 بِ الْحَيَا لِلرِّيَّاحِ لَا لِلْغُيُومِ

وبعد تمام هذه القصيدة : هاكها - أعزك الله - ييسطها الأمل ،
 ويقبضها الحجل ، لها ذنبُ التقصير ، وحرمةُ الإخلاص ، فهبْ ذنباً
 لحرمة ، واشفعْ نعمةً بنعمة ، لتأتي الإحسان من جهاته ، وتسلك إلى
 الفضل طرقاته ، إن شاء الله .

١ ب س : وفق .

وهذا البيت الأخير ، إلى معنى بيتِ البحري يشير ^١ :

حَاوَزَ حمدي وللرياحِ السلواني تجليبُ الغيثِ مثلُ حمدِ الغيومِ
وأخذه البحري من قول أبي تمام ^٢ :

وإذا امرؤٌ أهدى إليك صنيعاً من جاهِهِ فكأنّها من ماله
وقوله : « سقمٌ لا أعادُ منه »... البيت ، من قول علي بن الجهم ^٣

بيتٌ يُجددُ للكريمِ كرامةً ويُزارُ فيه ولا يزورُ ويُحفدُ
وله أيضاً ^٤ في ابن جهور ، وكتب بها [إليه] من السّجن ^٥ :

ما جال بعدك لحظي في سنا القمرِ
ولا استطلتُ ذمّاءَ الليلِ من أسفٍ
في نشوةٍ من سناتِ الوصلِ موهمةً
ياليت ذاك السوادَ الجوّنَ متصلٌ
أما الضننى فجنّته لحظةٌ عَنَنٌ
فهتُمُ معنى الهوى من وحي طرفك لي
إلا ذكرْتُكِ ذكرَ العينِ بالأثرِ
إلاّ على ليلةٍ سرّتْ معَ القِصرِ
أن لا مسافةَ بين الوهنِ والسّحرِ
قد استعار سوادَ القلبِ والبصرِ
كأنّها والردّى جاءّا على قدَرٍ
إن الحوارَ لمفهومٌ من الحوارِ

ومنها :

-
- ١ ديوان البحري : ٢٠٧٣ .
٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٦٠ وانظر ما سبق : ٣٤٤ .
٣ ديوان ابن الجهم : ٤٥ .
٤ ط : من قصيدة .
٥ ديوانه : ٢٥٠ .

من يسأل الناس عن حالي فشاهدُها
 لم^١ تطوِ بُردَ شَبَابِي كَبِيرَةً^٢ وأرى
 قبل الثلاثين إذ عهدُ الصبا كَشَبَ^٣
 يا للرزايا لقد شافهتُ منهلها
 هل الرياحُ بنجمِ الأرضِ عاصفةُ^٤
 إن طال في السجنِ إيداعي فلا عجبُ^٥
 وإن يشط أبا الحزم الرضَى قَدَرُ^٦
 من لم أزلْ من تأنيه على ثِقَةٍ^٧
 وزيرُ سَلَمٍ كفاهُ يَمُنُّ طائرِه
 أغننتُ قَرِيحَتُهُ مُغْنَى تجارِبِهِ^٨
 كم اشترى بكرى عينيه من سَهَرٍ^٩
 في جفيرة غابُ صرفُ الدَّهرِ خشيتِه
 حرمتُ منه وحُظَّ الناسُ كلُّهُمُ^{١٠}
 وكنت أحسبني والنجمَ في قرَنٍ^{١١}
 أحينَ رَفَّ على الآفاقِ من أدبي
 وسيلةُ سببٍ إلا تكن نَسَباً^{١٢}
 يا زهرة الزهر حَيّاً وهو إن فَنِيَتْ^{١٣}
 لي في اعتمادك في التأميلِ سابقةُ^{١٤}

محضُ اليانِ الذي يغني عن الخبر
 بَرَقَ المشيبُ اعتلى في عارض الشعر
 وللشبية غُصْنُ غيرُ مهتصر^٢
 غَمَرَا فما أشربُ المَكْرُوهَ بالغَمَرِ
 أم الكسوفُ لغير الشمسِ والقمر
 قد يودعُ الجفن حد الصارم الذكر
 عن كشفِ ضري فلا عتبُ على القدر
 ولم أبت من تجنيه على حذر
 شؤم الحروبِ ورأي محصد المر
 ونابت اللعنة العجلى عن الفكر
 هدوء عين الهدى^٣ في ذلك السهر
 عنها ، ونام^٤ القطا فيها ولم يُثَر
 لهذه العبرة الكبرى من العبر
 ففيم أصبحت منخطاً إلى العقار
 غرسُ له من جناه يانع الثمر
 فهو الوداد صفا من غير ما كندار
 حياته زينة الآثار والسير
 وهجرة^٥ في الهوى أولى من الحجر

١ في النسخ : إن . ٢ ب : عصر غير محتضر .

٣ ب س : السرى . ٤ ب س : وبات .

٥ أول مؤنث أول صفة للفتلة « وهجرة » ، والهجرة الأولى دليل السابقة ؛ وإنما أنبه إلى ذلك لأن محقق الديوان قد وقع في الخطأ لدى شرحه البيت (ص ٢٥٩) إذ قرأ « أولى » على أنها أفعل تفضيل .

هل من سبيلٍ ، فماء العتب لي أسينُ
لا تَلْنهُ عني فلم أسألك معتسفاً
فأشفعُ أكنُ مثلَ ممطورٍ ببلدتيه
إلى العذوبةِ من عتباك والخصرِ
رَدَّ الصبا غبَّ إيفاءٍ على الكيِّـرِ
جذلانَ بالوطنِ المألوفِ والمطرِ

[قوله : قد استعار سوادَ القلبِ والبصرِ « لفظ المعري حيث يقول^١ :

يَوَدُّ أَنْ ظَلامَ الليلِ دام ——— وزيدَ فيه سوادِ القلبِ والبصرِ]
وقوله : « هل الرياح بنجم الأرضِ عاصفةٌ »... البيت ، معنى قد طوي
ونُشر ، ومنه قول أبي تمام^٢ :

إنَّ الرِّياحَ إذا ما أعصفت قصفتُ
عيدانَ نجدٍ ولم يعبأَنَّ بالرَّثَمِ
بنات نعشٍ ونعشٍ لا كسوفَ لها
والشمسُ والبدرُ منها الدهرُ في الرِّقَمِ
وأخذه منه البحري فقال^٣ :

ولست ترى شوكَ القتادةِ خائفاً
سَمُومَ الرِّياحِ الآخذاتِ من الرِّندِ
ولا الكلبَ محموماً وإن طال عمرُهُ
ألا إنَّما الحمى على الأسدِ الوَرْدِ
وبيتُ البحري الأخيرُ من قول حبيب أيضاً^٤ :

فإن تَكُ قد نالتك أطرافُ وعكةٍ
فلا عجب قد يوعك الأسدُ الوَرْدُ

١ شروح السقط : ١١٩ .

٢ س : ومنه قول أبي تمام وقد تقدم إنشاده ؛ وانظر ديوانه ٣ : ٢٨٠ .

٣ ديوان البحري : ٧٥٧ — ٧٥٨ وفيه « عود الأراكة » .

٤ ديوان أبي تمام ٢ : ٩٩ .

وأخذه الأمير شمسُ المعالي ، ونشدهُ القطعةَ بِجملتها ^١ :

[قل للذي بصروف الدهرِ عيّرنا: هل عاندَ الدهرُ إلّا من له خطرُ
أما ترى البحرَ تطفو فوقه جيّف
فإن تكنُ عبيّثتُ أيدي الزّمانِ بنا
وتستقرُ بأقصى قعره الدّررُ]
ففي السماءِ نجومٌ ما لها عددٌ
ونالنا من تمادي بؤسه ضررُ
وليس يكسّفُ إلّا الشّمسُ والقمر

ومعنى بيتِ شمسِ المعالي الثاني من متداولاتِ المعاني ، منها قولُ ابن
الرومي ^٢ :

دَهْرٌ علا قدّرُ الوضيعِ به وغدا الشريفُ يحطه شرفُهُ
كالبحرِ يرسُبُ فيه لؤلؤهُ سفلاً وتطفو فوقه جيّفُهُ

وقد كرّرهُ ابن الرومي في مواضع ، منها قوله ^٣ :

قالتُ علا الناسُ إلّا أنت قلتُ لها: كذلك يستفُلُ في الميزانِ ما رجعتا

وقال المتنبي ^٤ :

ولو لم يعملُ إلّا ذو مَحَلٍ تعالى الجيشُ وانحطَّ القَتامُ

وقول ابن زيدون: « في حضرةٍ غابَ صرفُ الدهرِ خشيتَه » ... [البيت ،

١ اليتيمة ٤ : ٦١ .

٢ اليتيمة ٤ : ٦١ .

٣ ديوان ابن الرومي : ٥٦٣ .

٤ ديوان المتنبي : ٩٢ .

مع الذي بعده ، لم يخله من برد ، ولا أقامه على ساق نقد ، وخير^١ منهما^١ ما وصف من خبر التاجر [مع أبي دُلْفٍ وقد مرَّ به في مكان ، فوطىء له طَرَفَ طيلسان ، فقال له : يا أبا دُلْفٍ ، ليس هذا كَرَجَاكَ ، هذه حضرةُ أمير المؤمنين ، الشاةُ والذئبُ يشربان فيها من إناءٍ^٢ واحد .

ومن اللفظ المليح ، الطيار الخفيف الروح ، في هذا المعنى قولُ ابن عمار :

وَأَلْفَ بَيْنِ الظَّبْيِ وَالذِّئْبِ عَدْلُهُ^٣ فلا تجزعي إن زارَ ربَّكَ ذِيبُ

وله أيضاً قصيدة فريدة خاطب بها ابن جهور ، وهو في تلك الحال من الاعتقال ، أولها^٤ :

وَيَطْلُبُ ثَارِي الْبَرْقِ مُنْصَلَتَ النَّصْلِ	أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَبْكِيَ الْغَمَامُ عَلَى مِثْلِي ^٥
لَتَنْدُبَ فِي الْآفَاقِ مَا ضَاعَ مِنْ نَبْلِي	وَهَلَا أَقَامَتْ أَنْجُمُ اللَّيْلِ مَأْتَمًا
لَأَلْقَتْ بِأَيْدِي الذَّلِّ لَمَّا رَأَتْ ذُلِّي	فَلَوْ أَنْصَفْتَنِي وَهِيَ أَشْكَالُ هِمَّتِي
بِمَجْمَعِهَا ^٦ مَا فَرَقَ الدَّهْرُ مِنْ شَمْلِي	وَلَا فَرَقَتْ سَبْعُ الثُّرَيَّا وَغَاظَهَا
لَقَدْ قَرِطَسَتْ ^٧ بِالنَّبْلِ فِي مَقْتَلِ النَّبْلِ	لَعَمْرُ اللَّيَالِي إِنْ يَكُنْ طَالَ نَزْعُهَا

١ ط : وإنما أشار إلى .

٢ ب س : ماء .

٣ ب س : عفوه ؛ ولم يورده صلاح خالص في مجموع شعره .

٤ ط : وقال من أخرى وهو أيضاً بتلك الحال من الاعتقال ؛ وانظر ديوان ابن زيدون :

٢٦١ .

٥ ط : يبكي الحمام على قتلي .

٦ ب س : وغاضها .. بمطأها .

٧ ط : قرسط .

تخلت بآداسي وإنَّ مآربي
أُخَصَّ لفهمي بالقلى وكأنا
وأجفى على نظمي لكلِّ قلادةٍ
ولو أنتي أسطيعُ - كي أُرضي العدا -
أُقتولةَ الأجفانِ مالكِ والها
أقِلِّي بكاءً لست أولَ حرَّةٍ
وفي أمِّ موسى عِبرةٌ إذ رَمَتْ به
ولله فينا عِلْمٌ غيبٍ وحسبنا
وإنَّ رجائي في الهُمامِ ابنِ جهورٍ
كريمٍ عريقٍ في الكرامِ وقلما
يَرِفُ على التأميلِ لألاءِ بشره
ويغنى عن المدحِ اكتفاءً بسرِّوه
أبا الحزمِ إني في عتابك مائلٌ
حمائمُ سُكري صَبَّحتك هوادلاً
جوادٌ إذا استنَّ الجيادُ إلى مدى
ثوى صافيناً في مربطِ الهونِ يشتكي
أأنَّ زعمَ الواشونِ ما ليس مزعماً
ولم أشتَرِ حربَ الفِجارِ ولم أطلعُ
ولنِّي لتنهانسي نهائٍ عن التي

لسانحةٌ في عُرُضِ أُمْنِيَّةٍ عُطل
يبيتُ لذي الفهمِ الزمانُ على ذحل
مُفَصَّلَةِ السَّمطينِ بالمنطقِ الفصل
شريتُ ببعضِ العلمِ حظاً من الجهل
ألم تُتركِ الأيامُ نجماً هوى قبلي؟
طوتُ بالأسى كشحاً على مضضِ الشكل
إلى اليمِ في التابوتِ فاعتبري وآسلي
به عند جَوْرِ الدهرِ من حكَمِ عدل
لمستحكِمِ الأسبابِ مستحصدِ الجبلِ
يرى الفرعُ إلا مستميداً من الأصل
كما رَفَّ لألاءِ الحسامِ على الصقل
غنى المقلَّةِ الكحلَّاءِ عن زينةِ الكحل
على جانبٍ تأوي إليه العلا سهل
تناديكَ من أفنانِ آدَابِي الهدلِ
تمطرَ فاستولى على أمدِ الخصلِ
بتصهاله ما ناله من أذى الشُّكلِ
تُعذِّرُ في نصري وتعذِّرُ في خذلي؟
مُسَيَّلَمَةٌ إذ قالَ إني من الرِّسلِ
أشارَ بها الواشي ويعقلني عقلي

أَنْتَقِصُ فَيْكَ الْمَدْحَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ فَلَا أَقْتَدِي إِلَّا بِنَاقِصَةِ الْغَزَلِ ؟
 هِيَ النِّعْلُ زَلَتْ بِي فَهَلْ أَنْتَ مُكْذِبٌ لِقِيلِ الْأَعَادِي لِمَنْهَا زَلَةُ الْحَسْلِ ١
 أَلَا إِنَّ ظَنِّي بَيْنَ فَعْلَيْكَ وَاقِفٌ وَقُوفَ الْهَوَى بَيْنَ الْقَطِيعَةِ وَالْوَصْلِ
 وَإِلَّا جَنِبْتُ الْأَنْسَ مِنْ وَحْشَةِ النَّوَى وَهَوْلِ السَّرَى بَيْنَ الْمَطِيَةِ وَالرَّحْلِ
 سَيُعْنِي بِمَا ضَيَّعْتَ مِنِّي حَافِظُ وَيَلْفِي لَمَّا أَرَخَصْتَ مِنْ خَطَرِي مُغْلِي
 وَأَيْنَ جَوَابُ مَنْكَ تَرْضَى بِهِ الْعَلَا إِذَا سَأَلْتَنِي عَنْكَ أَلْسِنَةُ الْحَفْلِ ؟

ومعنى هذا البيت الأخير كقول الآخر ٢ :

فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ أَنْخَبِرَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلْ

وقوله : « ثوى صافناً في مربوط الهون » كقول المتنبي ٣ :

وإن تكن محكمات الشكلِ تمنعني ظهورَ جريٍ فيهن تصهالُ

قال القسطلي ٤ :

وذو غُرَّةٍ معروفةٍ سبقَ في المدى وقد قَرَحَ التحجيلِ من ألمِ الشكلِ

وقوله : « ويغني عن المدح اكتفاءً بِسَرُّوهِ » . . . البيت ، معنى متداولٍ
 وينظر إليه * قول القائل :

١ الحسل : ولد الضب ؛ ولعله إنما يريد « زلة الحذر » لأن الضب - وهو أبو الحسل - مشهور بالحذر .

٢ ب س : وهذا مأخوذ من قول الآخر .

٣ ديوان المتنبي : ٥٠٢ ، وقد مر البيت ص : ٨١ .

٤ ديوان ابن دراج : ٤٨ ، وقد مر البيت ص : ٨١ .

٥ ط : ومثله .

وأعشق كحلاء المدامع خِلْقَةً لئلاً تُرَى في عينها منّة الكحلِ

وفي بني جهنم يقول^١ :

بني جهنم أحرقتُمُ بجفائِكُمُ جَنَانِي فما بال المدائحِ تَعَبَقُ؟
تعدوني كالمندلِ الرطبِ^٢ إنما تطيب لكم أنفاسُهُ حين يُحَرَّقُ

وأراه توارَدَ في هذين البيتين مع أبي علي ابن رشيقي القيرواني حيث يقول^٣ :

أراك اهتمتَ أخاكَ الثَقَّةَ وعندكَ مقتٌ وعندِي مَقَّة
وأثني عليكَ وقد سؤتني كما طيَّبَ العودُ من أحرَقته

وأخذه معاً من قول أبي تمام^٤ :

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاوَرَتِ ما كان يُعرَفُ طيبُ عَرَفِ العودِ

وأنشدني بعضُ أهل وقتنا وهو أبو مروان ابنُ شَمَاحٍ لنفسه :

نوابُ غالتني فأبدتَ فضائلي فكانت وكنتُ النارَ والعنبرَ الوردا

ولغيره :

إن مسَّ النارُ جِسمي أبدَيْتُ طيبَ نسيمِ
كالدهرِ إن عضَّ يوماً أبانَ فضلَ الكريمِ

١ ديوان ابن زيدون : ٥٩٠ .

٢ ب س : كالعنبر الورد .

٣ ديوان ابن رشيقي : ١٢٢ .

٤ ديوان أبي تمام ١ : ٤٠٢ .

وأبو الوليد ابن زيدون على كثير إحسانه كثيرُ الاهتدامِ ، في النثرِ
والنظام .

وكتب إلى الأديب أبي بكر ابن مسلم^١ وهو مختفٍ بقرطبة بعد فِراره
من السجن فصلاً من رقعة [يقول فيها] :

أبدأً أولاً بشرح الضرورة الحافزة إلى ما صنعتُ ، إذ بلغني أنك
صدّرُ اللاتمين لي عليه ، ومن أمثالهم : ويلٌ للشجيّ من الخلي^٢ ، وهانٍ
على الأملسِ ما لاقى الدّبر^٣ . وأعاتبك على انفصالك عني ، وبراءتك أمدّ
المحنة مني ، [عسى أن تتلافى عوداً ما أضعت بدءاً ، وإن كنتَ في ذلك
كداغبة وقد حلم الأديم^٤ ، ومنفعة الغوثِ قبلَ العطَبِ ، وفي علمكَ أني
سُجنتُ مغالبةً بالهوى ، وهو أخو العمى ، وقد نهى عنه تعالى فقال :
﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ (ص : ٢٦) الآية . وشهدَ عليّ
فلانُ الناشرُ أذنيه طمعاً ، ليأكل بيديه جَشَعاً ، قال ، وكان القولُ
ما قالت جدّام ؛ وليتَ مع قبولٍ من لا تُجهلُ شهادته عليّ يُعذّرُ فيه
إليّ ، ولم يُقرّنِ الحشَفُ بسوء الكيلة^٥ . وكنتُ أولَ حبسي بموضعٍ
جرتِ العادةُ فيه وضع مستوري الناس وذوي الهيئات منهم ، وفي الشر
خيار ، وبعضه أهونُ من بعض . ثم نقلتُ بعدُ إلى حيثُ الجناة المفسدون ،

١ ليس من السهل التعرف إليه ؛ وقد قدر محقق الديوان أنه أبو بكر مسلم بن أحمد بن
أفلسح النحوي (الصلة : ٥٩١) وقد توفي سنة ٤٣٣هـ ؛ ولكن ليس من السهل قبول
هذا التقدير .

٢ فصل المقال : ٣٩٥ والميداني ٢ : ٢١٧ والفاخر : ١٨٩ .

٣ الميداني ٢ : ٢٣٤ والعسكري ٢ : ٣٦١ (تحقيق أبو الفضل إبراهيم) .

٤ فصل المقال : ٤٧٢ والميداني ٢ : ٢٦٤ والعسكري ٢ : ١٥٨ (أبو الفضل) .

٥ فصل المقال : ٣٧٤ والميداني ١ : ١٣٩ .

واللصوصُ المقيّدون ، ومُنْعَ مني عُوّادي ، فشكوتُ إلى الحاكمِ الحابِسِ
لي ، فصَمَّ عني ، ولو ذاتُ سِوارٍ لطمَنتي ^١ :

وإنّكَ لم يفخرْ عليكَ كفاحِرٍ ضِعِيفٍ ولم يغلبِكَ مثلُ مُغَلَّبٍ ^٢ [

فلم أستطع صبراً ، وعلمتُ أن العاجِزَ من لا يستبدُّ ، والمرءُ يعجزُ لا
المحالة ^٣ ، ولم أستجِرْ أن أكونَ ثالثَ الأذليّنِ : العَيَرُ والوَتِيدُ . وذكرتُ
أن الفِرَارَ من الظلمِ ، والهربَ ممن لا يطاقُ ، من سننِ المسلمين ، وقد
قال تعالى على لسان موسى : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ (الشعراء : ٢١)
فنظرتُ في مفارقةِ الوطنِ ، إذ قديماً ضاعَ الفاضلُ في وطنه ، وكسدَ العِلَقُ
الغبيطُ في مَعَدِنِهِ ، كما قال :

أضِيعُ في مَعَشَرِي وكَمِ بلدٍ يعودُ عودُ الكِبَاءِ من حَطَبِهِ
واستَخَرْتُ اللهَ في إنفاذِ العزمِ ، وأنا الآنَ بحيثُ أمنتُ بعضَ الأمنِ ، إلا
أن السعيَ لم يرتفعِ ، ومادّةُ البغي لم تنقطع . وختمَ رسالته بهذا النظم ^٤ :

شحطنا وما للدَّارِ ^٥ نأيٌ ولا شَحْطُ وشطٌّ بمن نهوى المزارُ وما شطوا
أحبابنا ولت ^٦ بحادثِ عهدنا حوادثُ لا عهدٌ عليها ولا شرطُ

١ انظر ما تقدم ص : ٣٤١ .

٢ انظر ما تقدم ص : ٣٤١ الحاشية : ٥ .

٣ ط : محالة ؛ وانظر فصل المقال : ٢٩٩ والميداني : ١٧٦ .

٤ من قول الشاعر :

ولا يقيم على ضميمٍ يراد به إلا الأذلان غير الحي والوتد

٥ ديوان ابن زيدون : ٢٨٥ .

٦ ط : بالدار .

٧ الديوان : ألوت .

لعمركمُ إنَّ الزمانَ الذي قضى
وما شوقُ مقتولِ الجوانحِ بالصدى
بأبرحَ من شوقي إليكم ودونَ ما
وفي الرَّبِّبِ الإنسي أحوى كناسه
ألا هل أتى الفتیانَ أنَّ فتاهمُ
وأنَّ الجوادَ الفائتَ الشَّوِ صافنُ
عليكَ أبا بكرٍ بَكَرَتْ بهمة
أبي بعد ما هيلَ الترابُ على أبي
لكَ النعمةُ الخضراءُ تندى ظلها
ولولاك لم تقدحُ ٢ زنادُ قريحتي
هرمتُ وما للشيبِ وخطُ بمفرقي
وطاولَ سوءِ الحالِ نفسي فأذكرتُ
ولما انتحوني بالتي لست أهلها
فقررتُ فإن قالوا الفِرارُ إرابةٌ
وإني لراجٍ أن تعودَ كبديها
فما لكَ لا تختصني بشفاعَةٍ

بشتَ جميعِ الشملِ منّا لمشطُ
إلى نُطفَةٍ زرقاء أضمرها وقطاً
أريدُ المنى منه القتادةُ والحرطُ
نواحي ضميري لا الكتيبُ ولا السقطُ
فريسةُ من يعدو ونهزةُ من يسطو؟
تخونتهُ شكُلٌ وأزرى به رَبطُ؟
لها الخطرُ العالی ، وإن نالها حطُ
ورَهْطِي فذأ حين لم يبق لي رَهْطُ
عليَّ ولا جَحدُ لدي ولا غمطُ
فيتتهبَ الظلماءُ من نارها سِقْطُ
ولكن أشيبَ الهَمُّ في كبدي وَخَطُ
من الروضةِ الغناء طاولها القحطُ
ولم يُبْمَنَ أمثالي بأمثالها قَطُ
فقد قرَّ موسى حين هم به القبطُ
لي الشيمةُ الزَّهراءُ والخاق السبطُ
يلوحُ على دهري لميسمها عُلْطُ؟

كَانَ أَوَّلَ هذه القصيدةِ ناظرٌ إلى قول راشد أبي حكيمة ٣ حيث

يقول :

١ الوقط ، الحفرة في الصخر .

٢ ط : تثقب .

٣ هو راشد بن اسحاق بن راشد أبو محمد الكاتب الأنباري ، توفي بعد الأربعين ومائتين

(انظر معجم الادباء ١١ : ١٢٢ وطبقات ابن المعتز : ٣٨٩ والفوات ٢ : ١٥)

والزركشي : ١١٧) .

ومستوحش لم يُمس في أرض غربة ولكنه ممن يُحبُّ غريب
[وقال الآخر :

فلا تحسبي أن الغريبَ الذي نأى ولكنَّ من نأين عنه غريبُ]
ويناسبه أيضاً قولُ المتنبي ^١ :

إذا ترحلتَ عن قومٍ وقد قدروا ألا تُفارقهم فالرَّاحلون همُ

وقوله : « هَرِمْتُ وما للشيبِ ... البيت ، ناقصٌ عن قول المتنبي ^٢ :
إلاَّ يشبُّ فلقد شابت له كبِدٌ شيئاً إذا خَضِبَتْهُ سلوةٌ نصلاً

وقوله : « وإنَّ الجَوَادَ » ، كقول أبي الطيب أيضاً ^٣ :

وما في طِبِّهِ أني جوادٌ أضَرََّ بجسمه طولُ الجمَامِ
وقد كرَّرَ هذا المعنى أبو الطيب في مواضع من شعره ، وكلف به وشغِفَ ،
وصرَّفَ الكلام فيه فتصرَّفَ ، وقد تقدم إنشاده . ومنه أيضاً قولُ عبد الجليل ،
المرسي للمعتمد بن عباد :

أَتَتَكَ على خلائقها جيَّادي وإنَّ كانَ الضَّيَّاعُ لها شِكالا

وكتب من سجنه إلى أبي حفص ابن برد ^٤ :

١ ديوان المتنبي : ٣٢٥ .

٢ ديوانه : ١١ .

٣ ديوانه : ٤٧٨ .

٤ ديوان ابن زيدون : ٢٧٣ .

ما على ظَنِّي باسُ
 رُبَّما أَشْرَفَ بالمر
 ولقد يُنجيكَ إِغْفا
 والمحاذيرُ سَهامُ
 يا أبا حفصٍ وما سا
 من سَنّا رأيكَ لي في
 وودادي لك نَصُ
 أَذُوبُ هامتْ بلحْمي
 كلُّهُم يَسْأَلُ عن حا
 يَلْبُدُ الوَرْدُ السَّبْنَى^٢
 إن أكنُ أَصْبَحْتُ محبو
 فتأمل كيف يَغْشَى
 رِيْقَتُ المسكُ في التُّرُ
 لا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرْدًا
 وأدرِ ذِكْرِي كاسًا
 فعسى أن يُسْمَحَ الدهنُ

يَجْرَحُ الدَّهْرُ وَياسو
 على الآمالِ ياسُ
 لَ وَيُرْدِيكَ احْتِراسُ
 والمقاديرُ قِياسُ
 والكَ في فَهْمِ لِياس
 ظَلَمَ^١ الخطبِ اقْتِباسُ
 لم يخالِفْهُ القِياسُ
 فالتَّهَامُ وانتهاسُ
 لي وللذئبِ اعتِساسُ
 وله بعدُ افتِراسُ
 ساءَ فللغيثِ احتِباسُ
 مُقْلَةٌ المجدِ النعاسُ
 بَ فيُوطا وَيُداسُ
 إنَّ عَهْدِي لك آسُ
 ما امْتَنَطَتْ كَفَّكَ كاسُ
 رُ فقد طال الشَّماسُ

قوله : « يَلْبُدُ الوَرْدُ السَّبْنَى » . . . البيت ، كقول النابغة^٣ :

وقلت يا قوم إنَّ الليثَ منقَبِضٌ
على برائِنِه للوثبةِ الضَّاري

١ ب س : غسق .

٢ السبني : الأسد - أو النمر - الجري .

٣ ديوان النابغة : ٨١ وزهر الآداب : ٧٧٨ .

وأخذه ابن الرومي فقال ^١ :

سكنت سكوناً كان رهنماً بوئبة عَمَّاسٍ كذاك الليث للوثب يلبدُ

وقوله : « لا يكن عهدك ورداً » من قول العباس بن الأحنف ^٢ :

لا تجعلي وصلنا كالورد حين مضى ذا طلعة وأديمي الود كالآس

وكررَ العباسُ في موضع آخر فقال ^٣ :

ولكنني شبتُ بالوردِ عهدَها وليس يدومُ الوردُ والآسُ دائمُ

ما أخرجته من شعر ابن زيدون في النسيب وما يناسبه

قال من قصيدة طويلة ^٤ :

بينتُم وبنّا فما ابتلت جوانحنا	شوقاً إليكم ولا جفّت مآقينا
لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم	رأياً ولم نتقلد غيره ديناً
نكادُ حين تناجيكم ضمائرنا	يقضي علينا الأسي لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت	سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
إذ جانبُ العيش طلق من تألفنا	وموردُ اللهو صافٍ من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الوصل دانية	قطوفها ° فجنينا منه ما شينا

١ ديوان ابن الرومي : ٥٩٧ وفيه « بعدوة » وانظر زهر الآداب : ٧٧٨ .

٢ لم يرد في ديوان ابن الأحنف .

٣ ديوانه : ٢٤٢ .

٤ ديوان ابن زيدون : ١٤١ .

٥ ب س : قطوفه .

لِيُسْقَى عَهْدُكُمْ عَهْدُ السَّرُورِ فَمَا
لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَا يَغَيِّرُنَا
وَاللَّهُ مَا طَلَبْتُ^١ أَهْوَاؤَنَا بَدَلًا
يَا سَارِي الْبَرْقِ غَادِ الْقَهْرِ فَاسْقِ بِهِ
وَيَا نَسِيمَ النَّصْبِ بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا
رَبِّيبُ مُلْكٍ كَأَنَّ اللَّهَ أَنْشَأَهُ
إِذَا تَأَوَّدَ آدَتَهُ رَفَاهِيَّةٌ
كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظَنَرًا فِي أَكْلَتِهِ
يَا رَوْضَةً طَالَمَا أُجِنْتُ لَوَاحِظُنَا
وَيَا حَيَاةَ تَمْلِينَا بَزْهَرَتِيهَا
يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَبْدِلْنَا بِسَلْسَلِيهَا
كَأَنَّنا لَمْ نَبْتَ وَالْوَصْلُ^٢ ثَالِثُنَا
سِرَّانَ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ يَكْتُمُنَا
إِنَّا قَرَأْنَا الْأَمْسَى عِنْدَ النَّوَى سُورًا
أَمَّا هَوَاكِ فَلَمْ نَعْدِلْ بِمَنْهَلِهِ
لَمْ نَجْفُ أَفْقَ جَمَالِ أَنْتِ كَوَكْبِهِ
وَلَا اخْتِيَارًا تَجْنِبْنَاهُ^٣ عَنْ كَتَبِ
نَأْسَى عَلَيْكَ وَقَدْ حُثَّتْ مَشْعَشَعَةٌ
لَا أَكْوَسَ الرِّيحِ تُبَدِّي مِنْ شِمَائِلُنَا
دُومِي عَلَى الْوَصْلِ - مَا دَمْنَا - مَحَافِظَةً

كُنْتُمْ لِأَيَامِنَا إِلَّا رِيَاحِينَا
أَنْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا
مِنْكُمْ وَلَا انصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا
مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى وَالْوَدِ يَسْقِينَا
مَنْ لَوْ عَلَى الْبَعْدِ حَيَا كَانَ يَحْيِينَا
مَسْكًا وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طِينَا
تُومُ الْعُقُودِ وَأَدَمَتُهُ الْبَرَى لِينَا
بَلْ مَا تَجَلَّى لَهَا إِلَّا أَحْيَانِنَا
وَرَدًّا جَلَاهُ^٢ الصَّبَا غَضًّا وَنَسْرِينَا
مُنَى^١ ضُرُوبًا وَلِذَاتِ أَفَانِينَا
وَالْكُوْثَرِ الْعَذْبِ زَقُومًا وَغَسَلِينَا
وَالسَّعْدِ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَاشِينَا
حَتَّى يَكَادُ لِسَانُ الصَّبْحِ يَفْشِينَا
مَكْتُوبَةً وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا
شَرْبًا وَإِنْ كَانَ يُرُونَا فَيُظْمِنَا
سَالِينَ عَنْهُ وَلَمْ نَهْجُرْهُ قَالِينَا
لَكِنْ عَدَدْتُنَا عَلَى كَرِهِ عَوَادِينَا
فِينَا الشُّمُولُ وَغَنَانَا مُغْنِينَا
سِيمَا ارْتِيَاكِ وَلَا الْأَوْتَارُ تَلْهِينَا
فَالْحَرْثُ مِنْ دَانَ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا

١ ب س : طرقت .

٢ ط : جنّاه .

٣ ب س : تجنّبناك .

فما استعدنا خليلاً عنك بصرفنا ولا استفدنا^١ حبيباً عنك يسلينا
 [ولو صبا نخونا من علو مطلعهِ بدرُ الدجى لم يكن حاشاك - يسبينا]
 أبلي^٢ وفاءً وإن لم تبدُ لي صلةً فالذكرُ يقنعنا والطيفُ يكفيننا
 وفي الجواب متاعٌ إن شفعت به بيضَ الأيادي التي ما زلت تولينا
 [عليك مني سلامُ الله ما بقيت صباةً بك نخفيها فتُخفيننا]

وهذه القصيدةُ بجملتها فريدة ، وقد عارضه فيها جماعةٌ قصّروا عنه ،
 منهم أبو بكر ابن الملح ، فإنه نازعه فيها الراية ، فقصر عن الغاية ، حيث
 يقول من قصيدةٍ أولها^٣ :

هل يسمعُ الربعُ شكوانا فيُشكينا أو يرجعُ القولَ مغناه فيُغنيننا

ثم استمرَّ في غزلها واسخفر فقال :

يا باخلينَ علينا أن نودعكم وقد بعدتم عن اللقيا فحيونا
 قفوا نزرکم وإن كانت فوائدُكم نزرّاً ومنكمُ بالوصلِ ممنونا
 سترتمُ الوصلَ ضناً لا فقدتكم فكان بالوهم موجوداً ومظنونا
 سرى من المسك عن مسراكُم خبرٌ يُعيدُ عهدَ هواكُم نشره فينا
 أيامَ بدرکُم يُحيي لباليننا قرباً وظيکُم يرعى بوادينا
 مهلاً فلم نعتقد دينَ الهوى تبعاً ولا قرأنا صحيفَ الحسنِ تلقينا

١ الديوان : ولا استفدنا . . . ولا اتخذنا .

٢ الديوان : أولي (تصحيحاً عن القلائد والمغرب) وفي أصول الديوان :
 أبلي (.

٣ ط : ابن الملح فمن قوله .

ومنها :

قد نصرف القول^١ يغويننا ويرشدنا ونترك الدارَ تُشجينا وتُسَلِّينا
ونتبعُ الحميَّ والأشواقُ محرقةً نخومُ بالماء والأرماحُ نَحْمينا
كواكبَ في سماء^٢ النقعِ قدُ جعلتُ لنا رُجوماً وما كنا شياطينا

قول ابن زيدون : « وإن كان يروينا فيُظْمِينا » معنى متداول^٣ ،
ومن أشهره قولُ ابن الرومي :

ريقٌ إذا ما ازدَدْتُ من شُرْبِهِ رِباً ثنائي الريُّ ظمآنًا
كالخمرِ أروى ما يكونُ الفتي من شربها أعطشَ ما كانا

وقال ابن الرومي أيضاً فيما يناسبُه من بعض الوجوه^٤ :

يا ربَّ ريتُ بات بدرُ الدُجى يعلُّهُ * بين ثناياكا
يُروي ولا ينهاكَ عن شربه والماءُ يرويكَ وينهاكا

وأشبهُ به ما أنشده الثعالبي :

كرُضابِ الحبيبِ يشفي عليلًا ثم يُنشي إلى المزيد غليلاً

وقوله : « سِرَّانٍ في خاطرٍ الظلماء » ... البيت [مما زاد فيه

١ ب س : العفل .

٢ ب س : بسماء .

٣ ط : معنى كثير .

٤ زهر الآداب : ٢٣٦ والأمالى ١ : ٢٢٨ .

٥ ب س : يمجّه .

للملح الاستعارة على قول أبي الطيّب ^١ :

أزورهم وسوادُ الليلِ يشفعُ لي وأنثني وبياضُ الصبحِ يغري بي [

على أن أبا الطيب أجاد فيه ما أراد، وكرره في مواضع من شعره كقوله ^٢

وكم لظلامِ الليلِ عندك من يدٍ تحبّرُ أنَّ المانويّةَ تكذبُ

وإنما أخذه من مصراع لابن المعتز حيث يقول ^٣ :

* فالشمس نمامةٌ والليلُ قَوَّادُ *

وكلّ من إلى هذا المعنى أشار ، فحوالي المثلِ دار ، وهو قولهم :

الليل أخفى للويل ^٤ :

وله من أخرى : في أثر نزهةٍ كانت له بمدينة ^٥ الزَّهراء ^٦ :

إني ذكرتكَ بالزَّهراءِ مشتاقاً والأفقُ طلقٌ ومرأى ^٧ الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلالٌ في أصائله كأنه رقٌّ لي فاعتلَّ إشفاقا

١ ديوان المتنبي : ٤٤٦ واليتيمة ١ : ١٥٣ .

٢ ديوانه : ٤٦٤ .

٣ ط : وإن كان أخذه من قول ابن المعتز ، وانظر اليتيمة ١ : ١٥٣ .

٤ فصل المقال : ٦٨ والميداني ٢ : ٩٤ والفاخر : ١٦٠ والعسكري ٢ : ١٨١ (أبو الفضل) .

٥ ب س : بمنية .

٦ ديوان ابن زيدون : ١٣٩ .

٧ القلائد : ووجه .

والروضُ عن مائه الفضي مبسمٌ كما حلتَ عن اللباتِ أطواقا
لا سكنَ اللهُ قلباً عن ذكركمُ فلم يَطِرْ بجناحِ الشوقِ خفاقا
لو شاءَ حملي نسيمُ الريحِ حين سرى وافاكمُ بفتى أضناهُ ما لاقى
يا علقي الأخطرَ الأسنى الحبيبَ إلى قلبي إذا ما اقتنى الأحبابُ أعلاقا
الآنَ أحمدَ ما كنا لعهدِكمُ سلوتمُ وبقينا نحن عشاقا

قوله : « وللنسيمِ اعتلالٌ في أصائله » . . . البيت ، أراهُ ألمٌ فيه
بقول ابن المعتز :

والريحُ تجذبُ أطرافَ الثيابِ كما أفضى الشفيقُ إلى تنبيهِ وسانِ
وقلبه الرضي فقال ١ :

وأمسَ الريحُ كالغيثِرى تجاذبنا على الكتيبِ فضولَ الريطِ واللممِ
وأحسبُ الفرزدقَ أبا عُذرتِه ، وواسمَ غُرتِه ، بقوله ٢ :

وركبِ كأنَّ الريحَ تطلبُ عندهم لها تيرةٌ من جذبيها بالعصائبِ
ومدَّ أطنابَ المعنى بالبيت الآخر حيث يقول :

سَرُوا يخبِطُون الريحَ وهي تلفهمُ إلى شُعَبِ الأكوارِ ذاتِ الحقائقِ
وقوله : « سلوتمُ وبقينا نحن عشاقا » يناسبُ قول الآخر ٣ :

١ ديوان الرضي ٢ : ٢٧٤ .

٢ ديوان الفرزدق ١ : ٢٩ وزهر الآداب : ٣٣٥ والكمال ١ : ١٨٣ .

٣ هو العباس بن الأحنف ، ديوانه : ٨٤ .

أشكرو الذين أذاقوني مودَّتَهُمْ حَتَّى إِذَا أَبْقَظُونِي لِلْهَوَى رَقِدُوا

قال ابن بسام : والشيء يذكرُ بالشيء وإن لم يكن من المنهاج ، ولا بُدَّ
مع ذِكْرِ المعترِضاتِ من المعاج : قرأت في كتاب « أخبار بغداد » لابن
طاهر ، قال محمد بن عبدوس الفارسي : سرتُ يوماً إلى ابن الجهم فأنشدني
لنفسه في العناق ^١ :

ألا ربَّ ليلٍ ضمنا بعد هجعة وأدنى فؤاداً من فؤادٍ معذبٍ
وبتنا جميعاً لو تُراقُ زجاجةٌ من الراح فيما بيننا لم تَسْرَبِ
فاقتدَحَ زندي لإبراء ^٢ مثله ، فأطرقتُ وقلتُ :

لا والمنازلِ من نجدٍ ولبلتنا بفيئدٍ إذ جسَدَ أنا بيننا جسَدُ
كم رام فينا الكرى في لُطفٍ مسلكه يوماً فما انفكَّ لا خدُ ولا عضدُ
ما أنصفوني دعوتي فاستجبتُ لهم حتى إذا قَرَّبوني منهم بعدوا
أردتُ هذا البيت .

وقوله : « لو شاء حملي نسيمُ الريح » . . . البيت ، كقول المجنون
وهو أحسنُ ما قيل في النحافة ، على زعم ^٣ المبرد ^٤

١ ديوان ابن الجهم : ٩٥ والمختار : ٢٤١ وأما القالي ١ : ٢٣١ وحساسة ابن الشجري :

١٩٦ ونهاية الأرب ٢ : ٥٤ .

٢ ب س : بإيراد .

٣ ب س : قول .

٤ انظر الكامل ١ : ٢٩٣ وديوان المجنون : ٨٠ .

إلا إنما غاديت يا أم مالك صدى أينما تذهب به الريح يذهب

وقال المتنبي^١ :

كفى يجسمي نحولاً أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترنسي

وقال الخبز أرزي^٢ :

أنحلني الحب فلو زج بي في مقلّة النائم لم يثبته

وله من أخرى ، وكتب بها من بطليوس أيام تكررّه عليها ، وهي
من غرر نظامه ، وحرّ كلامه^٣ :

يا دمع صب إن شئت ^٤ أن تصوبا	ويا فؤادي آن أن تذوبا
إن الرزايا أصبحت ضروبا	لم أر لي في أهلها ضريبا
قد ملأ الشوق الحشا ندوبا	في الغرب أن رحت به غريبا
عليل دهر ضامني ^٥ تعذيا	أدنى الضنى إذ أبعده الطيبيا
ليت القبول أحدثت هوبا	ريح يروح عهدا قريبا
والأفق المهدى إلينا طيبا	تعطرت منه الصبا جيوبا
يرزد حرّ الكبد المشوبا	يا متبعاً لسأده التأويا
مشرقاً قد سئم التغريبا	أما سمعت المثل المضروباً :

١ ديوان المتنبي : ٢ .

٢ سرفات المتنبي المنسوب لابن بسام : ١٩ .

٣ ديوان ابن زيدون : ١٥٤ .

٤ ب س : ما شئت .

٥ ب س : رامني .

أرسلَ حليماً واستشر ليبياً إذا أتيتَ الوطنَ الحبيباً
والجانبَ المستوضحَ العجيباً والحاضرَ المنفسيَّ الرحيباً
فَحَيَّ مِنْهُ مَا رَأَى^١ الْجَنُوبَا مصانعُ تُجاذِبُ القلوبَا
حَيْثُ أَلِفْتُ الرِّشَاءَ الرَّبِّيَا^٢ مُخَالِساً فِي وَصْلِهِ الرِّقِيَا
كَمْ بَاتَ بِدْرِ لَيْلِهِ الْغَرِيبَا لَمَّا انْتَفَى فِي سُكْرِهِ قَضِيَا
يَشْدُو حِمَامُ عَقْدِهِ تَطْرِيَا هَصْرَتُهُ حَلَوُ الْجَنَى رَطِيَا
أَرْشَفُ مِنْهُ الْمِسْمَ الشَّنِيَا حَتَّى إِذَا مَا اعْتَنَى لِي مُرِيَا
شَبَابُ أَفَقٍ هَمٌّ أَنْ يَشِيَا بَادَرْتُ سَعِيًّا هَلْ رَأَيْتَ الذِّيَا ؟
أَهَاجِرِي أُمُّ مُوسَى ثَانِيَا مَنْ لَمْ أُسَيِّغْ مِنْ بَعْدِهِ مَشْرُوبَا
مَا ضَرَّةُ لَوْ قَالَ : لَا تَثْرِيَا فَلَا مَلَامَ لَحَقَّ الْمَغْلُوبَا^٣
قَدْ طَالَ مَا تَجَرَّمَ الذُّنُوبَا وَلَمْ يَدْعُ فِي الْعُذْرِ لِي نَصِيَا
إِنْ قَرَّتِ الْعَيْنُ بِأَنْ أَوْبَا لَمْ آلُ أَنْ أُسْرِضِيَ الْعَضُوبَا

قد ينفع المذنب أن يتوب

قوله : « هل رأيتَ الذيبا ؟ » أخذه من قول الراجز يصفُ لبناً
ممدوقاً :

* جاءوا بضيحٍ هل رأيتَ الذئبَ قط ؟ *

وهذا التشبيهُ عند أهلِ النقدِ نوعٌ من أنواعِ الإشارةِ ، لأنه أشار
إلى تشبيهِ لونهِ بالماءِ الذي غلبَ على اللبنِ فصارَ كلونِ الذئبِ .

١ ب س : ما أرى . ٢ ب س : اللبيا .

٣ س : القلوبا . ٤ انظر الذخيرة ٣ : ٨٥٤ .

٥ فيه اعتماد على ما جاء في العمدة ١ : ٣٠٣ (تحقيق عبد الحميد) .

وقال من أخرى^١ :

ونفى الشكَّ اليقينُ	وضعَ الحقُّ المبينُ
تَهُمُّ منه الظنون	ورأى الواشون ما غرَّ
ورجَّوا ما لا يكون	أملوا ^٢ ما ليس بمنى
مهده مولى لا يخون	وتمنوا أن يخونَ الـ
وإذا الودُّ مَصُون	فإذا الغيبُ سليمٌ
وهواه لي دينُ :	قل لمن دان بهجري
بكَ واللهِ ضنين	يا جواداً بي إني
لكَ والعلتُ ثمين	أرخصَ الحبِّ فؤادي
هُ نفوسٌ لا عيون	يا هلالاً تراءَا
منكَ والقدرُ يلين	عجباً للقلبِ يقسو
بمرآكَ الحزينُ ؟	ما الذي ضرَّكَ لو سرَّ
حينُهُ فيكَ يحين	وتلطفَت بصب ^٣
والمعاذيرُ فنون	فوجوه اللفظِ شتى

وقال أيضاً^٤ :

ريحٌ معطرَةٌ النسيمُ	صَحَّتْ فَصَحَّ بها السقيمُ
لَاَ فِيهِ تَعَبٌ بالشميم	مقبولةٌ هَبَّتْ قَبُو

١ ديوان ابن زيدون : ١٧٦ .

٢ في النسخ : أملا .

٣ ب س : لصب .

٤ ديوان ابن زيدون : ٢٠١ .

٥ الديوان : راحت .

لَيْهًا أَبَا عَبْدٍ الْإِلَـ	هـ ١ نداءً مغلوبٍ العزيز
إِنْ عَيْلَ صَبْرِي مِنْ فَرَا	قَكَ فَالْعَذَابُ بِهِ أَلِيم
اللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّ حُبَّ	لَكَ مِنْ فَوَادِي فِي الصَّمِيم
وَلَثْنٌ تَحْمَلُ عَنْكَ بِي	جِسْمٌ فَعَنْ قَلْبٍ مَقِيم
قَل لِي : بَأْيَ خِلَالِ سَرِّ	وَيْكَ قَبْلُ أَفْتَنُ أَوْ أَهْمِيم
أَبْجَدِكَ الْعَمَمِ الَّذِي	نَسَقَ الْحَدِيثَ مَعَ الْقَدِيم؟
أَمْ بِالْبِدَائِعِ كَاللَّآ	لِي مِنْ نَثِيرٍ أَوْ نَظِيم؟
إِنْ أَشْمَسَتْ مِنْكَ ٢ الطَّلَا	قَةُ فَالْتَدَى عَنْهَا ٣ مَغِيم
وَبِلَاغَةٍ إِنْ عُدَّ ٤ أَهْ	لُوهَا فَأَنْتَ لَهُمْ زَعِيم
إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْحِظُو	ظَ حَبَاكَ بِالْحِظَةِ الْعَظِيم

قوله : « ولئن تحمّل عنك بي جسم » ... البيت ، معنى مشهورٌ أنشدتُ فيه لبعضهم :

أَقُولُ لَهُ حِينَ وَدَّعْتُهُ وَكُلُّ بَعْبَرَتِهِ مُلْبَسُ :
لَثْنٌ رَجَعَتْ عَنْكَ أَجْسَامُنَا لَقَدْ سَافَرْتُ مَعَكَ الْأَنْفُسُ
وَفِي قَرِيبٍ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا أَنْشَدْتَهُ لِحَسَنِهِ ، وَلَكُونِ هَذَا الْمَعْنَى فِرْعَا مِنْ
غَصْنِهِ ، قَوْلُ الْآخِرِ :

١ هو أبو عبد الله محمد بن مروان بن عبد العزيز الكاتب المعروف بابن روبش والد أبي بكر ابن عبد العزيز (انظر القسم الثالث ص : ٤٠) . رأس أبو عبد الله في دولة عبد العزيز ثم لما استولى المأمون بن ذي النون على بلنسية سنة ٤٥٧ عهد إلى أبي عبد الله هذا بتدبيرها (انظر الحلقة ٢ : ١٢٩ - ١٣١) .

٢ ب س س : تلك .

٣ ب س : منها . ٤ ط : حان .

حملتُكَ في قلبي فهل أنت عالمٌ
ألا إن شخصاً في فؤادي محلُّه
بأنك محمولٌ وأنت مقيمٌ ؟
وأشفاقه شخصٌ عليَّ كريم

وقال أيضاً ١ :

يا ليلُ طُلْ لا أشتهي
لو بات عندي قمري
إلاَّ كعهدٍ قصَّركُ
ما بتُ أرعى قمرَكَ

وقال أيضاً :

ودَّع الصبرَ ٢ محبُّ ودَّعَكَ
يقرعُ السنَّ على أن لم يكنْ
يا أخا البدرِ سناءً وسناً
إن يطلْ بعدك ليلى فلكنم
ذائعٌ من سرِّه ما استودعَكَ
زاد في تلك الخطى إذ شيعَكَ
حفظاً ٣ الله زماناً أطلعَكَ
بتُ أشكو قصَّرَ الليلَ معكَ

وقال :

بيني وبينك ما لو شئتَ لم يضيع
يا بائعاً حظَّه مني ولو بُذِلَتْ
يكفيكَ أنك إن حملتَ قلبي ما
تِهَ احتملْ واستطلْ أصبر وعزَّ أهْنُ
سرٌّ إذا ذاعتِ ٤ الأسرارُ لم يذغِ
لي الحياةُ بحظي منه لم أبع
لا تستطيعُ قلوبُ الناسِ يستطع
وولَّ أقبلَ وقُلْ أسمعَ ومرُّ أطمع

١ هذه القطعة والتاليتان لها في الديوان : ١٨٢ ، ١٦٧ ، ١٦٩ .

٢ ب س : الحسن ؛ ط : الحسن .

٣ س ؛ رحم .

٤ ب س : ضاعت .

أراه^١ احتذى في هذا البيت مذهب أبي العَمَيْثَل الأعرابي^١ :

فاصدق وعِفَّ وفه وأنصفَ واحتملَ^٢ واصفَحَ ودارَ وكافَ واحلم واشجعِ
والطف ولن وتأنَّ واحلُمَ واتشدَّ^٣ واحزِمَ وجدَّ وحامَ واحمل وادفع

وكقول ديكِ الجن^٢ :

احلُ وامرُرُ وضرَّ وانفع ولن واخذُ شُنَّ ورشَّ وابرَّ^٣ واتدب للمعالي

وهذا البابُ صنعه المولَّدُون وعدَّوه تقسيماً وتقطيعاً^٤ وتبعهم المتنبي
فقال^٥ :

أقلَّ أنلَّ أقطعِ احمل عُلَّ سلَّ أعدَّ^٦ زد هَشَ بش تفضل أدنَّ سرَّ صِلِ

ثم زاد أبو الطيب في هذا وتباغضَ حتى قال :

* عِشْ ابقِ اسمُ سد قد جد مرَّانه رِفِ اسرِّ نلَّ *

بيته المعروف ، وأحسنَ لعمرى ابنُ زِيدُون في هذا التقسيم ، ودفع^٦
بالحديث في صدر القديم ، ولو قرعَ سمعَ أبي منصور ، بما في^٧ تضاعيف
هذا التصنيف من الشذور ، لما كان عنده ابنُ وَشْمَكِيَر بمذكور ، ولا

١ التبيان للمكبري ٣ : ٨٦ ، باختلاف في الرواية .

٢ ديوان ديك الجن : ١٢٠ .

٣ ب س : وابن .

٤ في النسخ : وتعظيماً .

٥ ديوان المتنبي : ٣٣٢ .

٦ ب س : ودافع .

٧ ط : على ما في ؛ ب س : يمثل هذه الشذور .

أَغْرَبَ بِغَرَائِبِ الصَّاحِبِ ، وَلَا بِيَدَيْهِ الْبَدِيعِ .

ومن شعر ابن زيدون في النسيب السائر الغريب ، الطيار المديد ، الخفيف الروح ، قوله^١ :

أَمَّا رِضَاكَ فَشَيْءٌ مَا لَهُ ثَمَنٌ لَوْ كَانَ سَامِحِي فِي مِلْكِهِ الزَّمَنُ
تَبْكِي فِرَاقَكَ عَيْنٌ أَنْتَ نَاطِرُهَا قَدْ لَجَّ فِي هَجْرِهَا عَنْ هَجْرِكَ الْوَسَنُ
إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَهْدِي بِهِ حَسَنٌ قَدْ حَالَ مَذْغَابٌ عَنِي وَجْهُكَ الْحَسَنُ
وَاللَّهِ مَا سَاءَ نِي أَنِّي خَفِيتُ ضَيَّ بَلْ سَاءَ نِي أَنْ سَرِي فِي الْهَوَى الْعَلَنُ^٢
لَوْ كَانَ أَمْرِي فِي كَتَمِ الْهَوَى بِيَدِي مَا كَانَ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِي الْبَدَنُ

وهذا البيت الأخير ، إلى معنى صريح الغواني يشير^٣ :

فقلتُ : قلبي مكاتمٌ جسدي^٤ ولو درى لم يُقَمَّ بِهِ السَّمَنُ

وهذا البيت الرابع منها ناظرٌ إلى قول الآخر :

والله ما جَزَعِي نَفْسِي وَإِنْ هَلَكْتُ وَإِنَّمَا جَزَعِي مَا سَرَّ حُسَادِي

وقال من أخرى^٥ :

أَنْتِ مَعْنَى الضَّنَى وَسِرُّ الضُّلُوعِ وَسَبِيلُ الْهَوَى وَقَصْدُ الدَّمُوعِ^٦

١ ديوان ابن زيدون : ١٨٠ .

٢ ب س : علن .

٣ ديوان مسلم : ١٧٦ .

٤ الديوان : أحب قلبي وما درى جسدي .

٥ هذه القطعة والتي تليها في الديوان : ١٦٦ ، ١٥٣ .

٦ الديوان : وقصد الولوع .

أَنْتِ وَالشَّمْسُ ضَرَّتَانِ وَلَكِنْ لَكَ عِنْدَ الْغُرُوبِ فَضْلُ الْطُلُوعِ
لَيْسَ بِالْمُؤِيسِي تَكْلُفُكَ الْعَتَمِ بَ دَلَالاً مِنْ الرِّضَى الْمَطْبُوعِ
إِنَّمَا أَنْتِ ، وَالْحَسُودُ مُعَنَى كَوَكَبٌ يَسْتَقِيمُ بَعْدَ الرُّجُوعِ

وقال أيضاً :

غَرِيبٌ بِأَرْضِ الشَّرْقِ يَشْكُرُ لِلصَّبَا تَحْمِلُهَا مِنِّي ٢ السَّلَامَ إِلَى الْغَرْبِ
وَمَا ضَرَّ أَنْفَاسَ الصَّبَا فِي احْتِمَالِهَا سَلَامَ فَنَى يَهْدِيهِ جَسْمٌ إِلَى قَلْبِ

وهذا منقول من قول العباس بن الأحنف حيث يقول ٣ :

تَاللَّهِ مَا شَطَّتْ نَبَى ظَاعِنٍ سَارَ مِنَ الْعَيْنِ إِلَى الْقَلْبِ

وقال أيضاً ٤ :

سَاحِبُ أَعْدَائِي لِأَنَّكَ مِنْهُمْ سَمٌ يَا مَنْ يُصِحُّ بِمَقْلَتِهِ وَيُسْقِمُ
أَصْبَحْتَ تُسَخِّطُنِي وَأَمْنَحَكَ الرِّضَى جَوْرًا وَتَظْلِمُنِي وَلَا أَتَظَلَّمُ
يَا مَنْ تَأَلَّفَ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ فَالْحَسَنُ بَيْنَهُمَا مُضِيٌّ مُظْلَمُ
قَدْ كَانَ فِي شَكْوَى الصَّبَابَةِ رَاحَةً لَوْ أَنِّي أَشْكُو إِلَى مَنْ يَرْحَمُ

أولُ مصراعٍ من هذه المقطوعة مقتطعٌ من قول أبي الشيص ٥ :

١ ط : عند .

٢ ط : منا .

٣ لم يرد في ديوان ابن الأحنف .

٤ الديوان : ١٨١ .

٥ أمالي القاضي ١ : ٢١٨ وحامسة المزدوقي ٣ : ١٧٤ والحامسة البصرية ٢ : ١٤٩

وانظر ديوانه : ٩٢ - ٩٣ وفيه تحريجات عديدة .

أشبهت أعدائي فصرتُ أحبَّهم إذ كان حظي منك حظي منهم
وكذلك قوله فيها : « يا من تألف ليَّ ليله ونهاره » . . . البيت ، مقتضبٌ
من قول أبي الطيب ^١ :

الحزنُ يُفْلِقُ والتجلُّدُ ^٢ يردِّعُ والدمعُ بينهما عصي طيِّعُ

ما أخرحته من شعر ابن زيدون في المدائح
مع ما يتشبَّث به من سائر الأوصاف

قال من قصيدة ^٣ :

لنا هل لذات الوقف بالجزع موقفُ	أما في نسيمِ الريحِ عَرَفُ مُعَرَفُ
لنا كلفُ منها بما نتكلفُ	فنقضي أوطارَ المُنَى من زيارة
رِقاقُ الظبا والسهمريِّ المثقفُ	ضمانُ علينا أن تُزارَ ودونها
وأزهرُها من ظلمةِ الحقدِ أكلفُ	وقومُ عدى يبدؤون عن صفحاتهم
وهيهات ربحُ الشوق من ذاك أعصفُ	يودون لو يثني الوعيدُ ^٤ زَماعنا
بعيدُ مناظِ القُرطِ أحورُ أوطفُ	وفي السيراءِ الرِّقمِ وَسَطُ قبابهم
سُرى الأيِّمِ لم يُعلمَ لمسراه مُزحفُ	وليلةَ وافيننا ^٥ الكئيبِ لموعِدِ
كما ربيعَ يعفُورُ الفلا المتشوفُ	تهادى أناةَ الخطوِ مرتاعةَ الحشا

١ ديوان المتنبي : ٥٠٦ .

٢ الديوان : والتجمل .

٣ ديوان ابن زيدون : ٤٧٩ .

٤ ب س : البعيد .

٥ الديوان : وافتنا .

فما الشمسُ رُقَّ الغيمُ دون آياتها
 قَعِيدِكَ أَنْتَى زُرْتُ ، نُورُكَ فَاضِحٌ
 هَبِيكَ اغْتَرَزْتُ الْحَمَى وَاشِيكَ هَاجِعٌ
 فَأَنَّى ١ اعْتَسَفْتَ الْهَوْلَ خَطُوكِ مَدْمَجٌ
 لِحَاجٍ تَمَادِي الْحَبَّ فِي الْمَعْشَرِ الْعَدَا
 كَفَانَا مِنَ الْوَصْلِ التَّحِيَّةُ خُلْسَةً
 وَإِنِّي لَيْسَتْ هَوَيْنِي الْبَرْقُ صَبْوةٌ
 وَمَا وَلَعِي بِالرَّاحِ إِلَّا تَوْهُؤُكُمْ
 وَيُذَكِّرُنِي الْعَقْدَ الْمَرِنَّ جُمَانَهُ
 فَمَا قَبْلَ مَنْ أَهْوَى طَوَى الْبَدْرَ هَوْدَجٌ
 وَلَا قَبْلَ عِبَادٍ حَوَى الْبَحْرَ مَجْلِسٌ

سوى ما أرى ذاكَ الجَبِينُ الْمُنْصَفُ
 وعطْرُكَ نَمَامٌ ، وحليكَ مُرْجَفُ
 وفرعُكَ غَرِيبٌ ، ولبلُكُ أَغْضَفُ
 وردُ فُكِّ رَجْرَاجٍ وخصرُكَ مَخْطَفُ
 وأمُّ الهَوَى الْأَفَقَ الَّذِي فِيهِ نَشْنَفُ ٢
 فيومىءُ طرفُ أو بنانٌ مطرفُ
 إلى بَرْقٍ ثَغْرِ إِنْ بَدَا كَادَ يَخْطَفُ
 أَظْلَمَ بِهِ كَالرَّاحِ أَوْ يَسْتَرْشَفُ
 مَرِنَاتُ وَرُقٍ فِي ذُرَى الْأَيْكِ هَتَفُ
 وَلَا ضَمَّ رِثْمَ الْقَفْرِ خَدْرٌ مَسْجَفُ
 وَلَا حَمَلَ الطَّودَ الْمُعْظَمَ رَفْرَفُ

وهذا بيت القسطلي بجملته حيث يقول في ابن أبي عامر ٣ :

وكيف استوى بالبر والبحر مجلسٌ وقام بعبءِ الراسياتِ سريرُ ؟

وفيهما يقول ابن زيدون :

هو الملكُ الجعد الذي في ظلاله
 رَوَيْتُهُ فِي الْحَادِثِ الْإِدَّ لِحَظَّةٌ
 طَلَاقَةٌ وَجْهٍ فِي مِضَاءٍ كَمَثَلٍ مَا
 تُكْفُ صُرُوفُ الْحَادِثَاتِ وَتَصْرَفُ
 وَتَوَقُّعُهُ الْجَالِي دُجَى الْخَطْبِ أَحْرَفُ
 يَرُوقُ فَرْنَدُ السَّيْفِ وَالْحَدُّ مُرْهَفُ

١ ب س : وكيف .

٢ نشنف : نبغض ؛ والبيت قلق على هذا النحو .

٣ ديوان ابن دراج : ٣٠٢ .

على السيف من تلك الصرامة ميسم
أظن الأعادي أن حزمك نائم ؟
وفي الروض من تلك اللطافة زُحرف
لقد تعدّ الفُسلّ الظنون فتُخلف

ومنها :

ولما قضينا ما عانا أداؤه
رأيناك في أعلى المصلى كأنما
ولما حضرنا الاذن والدهرُ خادمٌ
وصلنا فقبلنا الندى منك في يد
ولولاك لم يسهل من الدهر جانبٌ
لك الخير أني لي بشكرك نهضة
أنرت بهيم الحال مني غرة
وكل بما يرضيك داعٍ فملحف
تطلع من محراب داود يوسف
تُشير فيمضي والقضاء مصرف
بها يتلف المال الجسيم ويخلف
ولا ذل مقتاد ولا لان معطف
وكيف أؤدي فرض ما أنت مسلف ؟
يقابلها ظرف الحسود فيطرف

قوله : « وما ولعي بالراح » ... البيت ، أراه قلب قول أبي الطيب ٢ :

وما شرقي بالماء إلا تذكرأ لماء به أهل الحبيب نزول ٣

وقوله : « ويذكرني العقد المرن » .. البيت ، نسخه من قول أبي تمام ٤ ونقص عنه :

وبالحلي إن قامت تترتم فوقها حماماً إذا لاقى حماماً تترتما

١ ب س : الطلاقة .

٢ ديوان المتنبي : ٣٤٧ .

٣ ب س : حلول .

٤ ديوان أبي تمام ٣ : ٢٣٣ .

وقوله : « طلاقه وجه » . . . البيت ، معنى مشهور ، وهو في شعرهم كثير ، ومنه قول البحري ^١ :

ويحسن دَلُّها والموتُ فيه كما يستحسن السيفُ الصَّـيْلُ

وزاد فيه بعض أهل عصري زيادةً مليحةً فقال :

مضاء كحدِّ السيفِ لدناً مهزُهُ يكفكه حَامُ كحاشية البردِ
وقوله : « ولما حضرنا الإذن » . . . البيت ، مع الذي بعده ، أرى أبا الوليد احتذى فيه حدَّ الوليد في أبياتٍ أنشدُها لحسنها ، وهي من أحسن ما قيل في الهية ^٢ :

ولما حضرنا سُدَّةَ الإذنِ أخَرَتْ	رجالٌ عن البابِ الذي أنا داخلُهُ
فأفضيتُ من قربِ ذي مهابةٍ	أقابلُ بدرَ التَّمِّ حينَ أقابلُهُ
كما انتصبَ الرمحُ الرُّدِّيَّ ثَقِفْتُ	أنابيهِ واهتزَّ للطعنِ ٣ عاملُهُ
وكالبدرِ وافتهُ لثمَ سَعُودُهُ	وتمَّ سناهُ واستهلَّتْ منازلُهُ
فسلمتُ فاعتاقتُ جنائي هَيَبَةً	تنازعُني القولَ الذي أنا قائلُهُ
فلما تأملتُ الطلاقَةَ وانثنى	إليَّ ببشرٍ آنستني مخايالُهُ
دنوتُ فقبلتُ الندى من يدِ امرئٍ	كريمٍ مُحَيَّاهُ سباطُ أناملِهِ
صَفْتُ مثلَ ما تصفُو المُدامُ خلالُهُ	ورقتُ كما رَقَّ النسيمُ شمائلُهُ

وقول ابن زيدون : « وصلنا فقبلنا الندى منك في يدٍ » . . . البيت ،

١ ديوان البحري : ١٨٢٢ وروايته « وقد يستحسن » .

٢ ديوان البحري : ١٦١٣ - ١٦١٤ .

٣ الديوان : اللطمن واهتز .

معنى ملبح ، ولفظٌ صحيح ^١ ، إلا أنه كما تراه ، لفظُ بيت البحري ومعناه . ويقولُ بعضُ أدبائنا إن ابنَ زيدون بحري زماننا ^٢ وصدقوا ، لأنه هذا حدو الوليد ، إلا أن أبا الوليد في بعضِ قصائده كابنِ حميدٍ سعيدٍ . وقال بعضُ أهلِ عصرنا وهو أبو محمد ابن سارة الشنتريني من جملة أبيات :

وإنَّ فمي يصفحُ راحتينِ فيعرفُ فيهما عَرَفَ السيادةِ
وقال بعضُ أهلِ العصر :

ولثمتُ بمناهُ فأعيا حسدي أنا لثمتُ العارضَ المتعجرا؟
وقال ابن زيدون من جملة قصيدة ^٣ :

يا أيها الملكُ الذي تدبِيرُهُ	أضحى لمملكةِ الزمانِ ملاكا
أعرض عنِ الخطراتِ إنك إن تشأ	تكنُ النجومُ أسنةً لقناكا
هصرَ النعيمُ بعطفِ دهرِكَ فأنثى	وجرى الفرندُ بصَفْحَتِي دنياكا
دُنيا لزهرتها شعاعٌ مذهَّبٌ	لو كان وصفاً كان بعضَ حُلَاكا
فتجلَّ في فُرُشِ الكرامةِ ناعماً	واعقدُ بمرتبةِ السرورِ حُبَاكا
وأطلْ إلى شدوِ القيانِ إصاحَةً	وتلقَ مترعةَ الكؤوسِ درَاكا
لكَ أريحيةٌ ماجدٍ إنْ تعترض	في لُهِوِ راحكٍ تستهلُّ لهاكا
من كان يعلقُ في خلالِ ندامه ^٥	ذَمٌّ ببعضِ خلاهِ فخلَاكا

١ ط : فصيح .

٢ ط : بأفئنا .

٣ ديوان ابن زيدون : ٤٣٩ .

٤ ط : تستمل .

٥ ط : نديه .

أَسْبُوعُ أَنْسٍ مَحْدَثٌ لِي وَحْشَةٌ عَلِمًا بِأَنِّي لَسْتُ فِيهِ أَرَاكَ
وَأَنَا الْمَعَذَّبُ غَيْرَ أَنِّي مُشْعَرٌ ثِقَةٌ بِأَنَّكَ نَاعِمٌ فَهَنَّاكَ
أَنْتَى أَقُومُ بِشُكْرِ طَوْلِكَ بَعْدَمَا مَلَأْتُ مِنَ الدُّنْيَا يَدَيَّ يَدَاكَ
بَرَدَتْ ظِلَالُ ذَرَاكَ وَاحْلُولِي جَنَّتِي نُعْمَاكَ لِي ، وَصَفَتْ جَمَامُ نَدَاكَ

وله من أخرى في ابن جهور أولها ١ :

هَذَا الصَّبَاحُ عَلَى سُرَاكِ رَقِيبَا فَصَلِّي بِفِرْعَكِ لَيْلِكَ الْغَرِيبَا
وَلَدَيْكَ أَمْثَالُ النُّجُومِ قَلَائِدُ أَلْفَتْ سَمَاءَكَ لَبَّةً وَتَرِيبَا

يقول فيها :

لَيْنُبُ عَنِ الْجُوزَاءِ قُرْطُكَ كَلَّمَا جَنَحْتَ تَحُتُ جَنَاحَهَا تَغْرِيبَا
وَإِذَا الْوَشَاحُ تَعَرَّضَتْ أَثْنَازُهُ طَلَعَتْ ثُرَيَّا لَمْ تَكُنْ لَتَغْيَا
وَلَطَالَمَا أَبْدَيْتَ إِذْ حَيَيْنُنَا كَفَاً هِيَ الْكَفُ الْخَضِيبُ خَضْيَا
أُظْنِيَّةٌ ٣ دَعَايَ الْبَرَاءَةِ شَأْنُهَا أَنْتِ الْعَدُوُّ فَلَمْ دُعَيْتِ حَبِيْبَا ؟
مَا الْهَجْرُ إِلَّا الْبَيِّنُ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَشْخُ فَاهُ بِهِ الْغُرَابُ نَعْيَا

ومنها في المدح :

مُتَمَرِّسٌ بِالْدَّهْرِ يَقْعُدُ صَرْفُهُ إِنْ قَامَ فِي نَادِي الْخَطُوبِ خَطْيَا
لَا يَوْسَمُ الرَّأْيُ الْفَطْيِيرُ بِهِ وَلَا يَعْتَادُ لِإِسْأَلِ الْكَلَامِ قَضْيَا

١ ديوان ابن زيدون : ٣٢٤ .

٢ ب س : أحيت .

٣ ب : أضنيئة .

بَسَامُ ثَغَرَ السَّنَّ إِنْ عَقَّدَ الْحُبَّاءَ فَرَأَيْتَ وَضَاحاً هُنَاكَ مَسْهِيَا
 مَلَأَ النُّوَاطِرَ صَامِتاً وَلَرَبَّمَا مَلَأَ الْمَسَامِعَ سَائِلاً وَمُجْبِياً
 إِنَّ الْجَهَاوِرَةَ الْمُلُوكَ تَبَوَّأُوا شَرْقاً جَرَى مَعَهُ السَّمَاءُ جُنْيَا
 عَقْدٌ تَأَلَّفَ فِي نِظَامِ رِيَاصَةٍ نَسَقَ اللَّالِئِ مُنْجَباً وَنَجْيَا
 فَإِذَا دَعَوْتَ وَلِيَدِهِمْ لِعَظِيمَةٍ لَبَّاكَ رَقْرَاقَ السَّمَاحِ أَدْيَا
 هَمٌّ تَعَاقِبَهَا النُّجُومُ وَقَدْ تَلَا فِي سُوْدٍ مِنْهَا الْعَقِيبُ عَقِيَا
 وَمَحَاسِنُ تَنْدَى رَقَاتُكَ ذِكْرَهَا فَتَكَادُ تُوهِمُكَ الْمَدِيحُ نَسِيَا
 كَانَ الْوِشَاءُ ، وَقَدْ مُنِيتُ بِإِفْكَهِمْ أَسْبَاطَ يَعْقُوبٍ وَكُنْتُ الذِّبَا

قوله : « فصلي بفرعك ليلك الغربيا » ، من قول أبي الطيّب ٢ :

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فارت ليالي أربعا

وقال التهامي ٣ :

وتود لو جعلت سواد قلبها وسواد أعينها سواد عذاري

ومنه قول المعري وقد تقدم ٤ :

يود أن ظلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والبصر

وقال محمد بن هاني ٥ :

١ الديوان : تبا نسها . ٢ ديوان المتنبي : ١٠٧ .

٣ ديوان التهامي : ٥٥ وروايته : « وسواد أعينها خضاب . . » .

٤ انظر ما تقدم ص : ٣٤٩ وفي ب س وقع بيت المعري قبل بيت التهامي وصدر بقوله .

وينظر اليه قول المعري .

٥ ديوان ابن هاني : ١٩٠ .

قد أظلمُوا بالدهمِ منها فجرهم فتكدّرت^١ شمسُ النهار تغضباً
واستأنفُوا بشياتها فجرّاً فلو عقدوا نواصيها أعادوا الغيها

وقوله : « فتكدّرتُهمك المديحَ نسيباً »... البيت ، من قول حبيب^٢ :

طاب فيه المديحُ والتدّحّ حتى فاق وصفَ الديار والتشبيها

وقوله : « ملأَ التواظُرَ صامتاً »... البيت ، من قوله أيضاً^٣ :

فأسألُها^٤ واجعل بُكاك جواباً تجدِ الشوقَ سائلاً ومُجيباً

وينظر إلى هذا^٥ المعنى من بعض الوجوه لفظُ أبي الطيب حيث يقولُ
في ابن العميد^٦ :

فدعاكَ حُسْدُكَ الرئيسَ وأمسكوا ودعاكَ خالِقُكَ الرئيسَ الأكبر
خلفتُ صِفَاتُكَ في العيونِ كلامه كالخطِ يملأُ مسمعي من أبصرا

ويلمحُ أيضاً هذا المعنى قولُ أبي نُؤاس^٧ ، على ما فسّره بعض
الناس :

* أَلَا فَاسْقِنِي خمرًا وقل لي هي الخمرُ *

١ ب س والديوان : فتكورت .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ١٦٨ .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ١٦٤ .

٤ في النسخ : أسألها .

٥ ط : ويتطرق هذا .

٦ ديوان المتنبي : ٥٤٠ .

٧ ديوان أبي نؤاس : ٢٧٣ وعجز البيت : « ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهر » .

وهذا التفسير فيه ، أضعف الوجوه. وبيتُ ابن شَرَفٍ أشبهُ من هذا
كله ببيت ابن زيدون ، وهو قوله يمدح صاحب القيروان ^١ :

سَل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ملءَ المسامعِ والأفواهِ والمقلِّ

وقال ابنُ زيدون من أخرى ^٢ :

أما وألحاظٍ مراضٍ صِحاحُ	تُصْبِي ^٣ وأعطافٍ نَشَاوَى صَوَاحُ
لفاتنٍ ؛ بالحسنِ في خَدَه	وَرَدُّ وأثناءَ ثنَاياهُ راح
لم أنْسَ إذ باتتْ يدي ليلَةً	وشاحهُ اللاصقَ دُونَ الوشاح
لأُصْفَيْنَ المرتضى جَهْوَراً	عهداً لروضِ الحسنِ عنه افتضاح
بَشَرْتُ آمالي بتأمله	فما عداني منه فَوَزُّ القَدَاح
لم أَسِمِ البرقَ جَهَاماً ولم	أَقْتَدِحِ النارَ بَزَنْدٍ شحاحُ
يا مُرْشِدِي جَهْلًا إلى غَيْرِهِ	أَغْنِي عن المصباحِ ضوءُ الصباح
ذو باطنٍ أقبسَ نورَ التَّقْصِي	وظاهرٍ أَشْرَبَ ماءَ السَّماح
إيه أبا الحزمِ اهْتَبِلْ غِرَّةً	ألسنةُ الدَّهْرِ عليها فصاح
لا طَارَ لي حَظٌّ إلى غايَةِ	إن لم أكن منك مَرِيشَ الجناح
عُتْبَاكَ بعد العَتَبِ أُمْنِيَّةً	ما لي على الدَّهْرِ سواها اقتراح
لم يشني عن أملٍ ما جرى	قد يُرْفَعُ الخرقُ وتوسى الجراح

١ هو في مدح علي بن أبي الرجال ، الذخيرة ٤ - ١ : ١٧٣ - ١٧٤ والتنف :

١١٠ والوفات ٣ : ٣٦٠ .

٢ ديوان ابن زيدون : ٢٤٧ .

٣ ط : تصبي .

٤ ب س والديوان : لبائن .

٥ الديوان : أقتدح الصم ببيض الصفاح .

اشفع فللشافعِ نعمى بما سَنَاهُ من عقدٍ وثيقِ النواحِ
إنَّ سحابَ الأفقِ منها الحيا والحمدُ في تأليفها للرياح

قوله : « وشاحه اللاصِقَ » ... البيت ، معنى متداولٌ ، ومن أقربِه
عصراً قولُ التحلي من أهل وقتنا :

إن العزيزَ عليَّ خَصْرُكَ إنَّه بالردفِ حُمِلَ منه^١ ما لا يحملُ
فخُذني له جسمي مكانَ وشاحه إنَّ العليلَ بشكله يتعلَّلُ

وقال ابن زيدون من أخرى في بني جهور عند نكبة بني ذكوان^٢ :

لولا بنو جهورٍ ما أشرقتْ هممي > غيدُ السَّوَالفِ في أجيادها تلُعُ
هم الملوك ملوك الأرض دونهم^٣ كمثل بيض الليالي دونها الدرع
قومٌ متى تحتفل في وصف سؤددهم لا يأخذ الوصف إلاَّ بعض ما يدعُ
أبو الوليد قد استوفى مناقبَهُم فللتفريقِ منها فيه مجتمعُ
مَهْذَبٌ أخلصنهُ أوَّليتُهُ كالسيف بالغِ في إخلاصِهِ الصَّنْعُ
إنَّ السيوفَ متى ما طابَ جوهرُها في أوَّلِ الطَّبْعِ لم يعلَقْ بها الطبعُ

[ومنها في عتابه أيضاً] :

قل للوزير الذي تأمِلُهُ وَزَرِي إن ضاق مضطربٌ أوْ هال مضطلعُ :
أصيحْ لهمسِ عتابٍ تحتَه مَقَّةٌ تُكَلِّفُ النفسُ فيه^٤ فوق ما تسع

١ ب س : منك .

٢ ديوان ابن زيدون : ٢٩٧ ؛ وقد تمت نكبة بني ذكوان عام ٤٤٠ ، وبسببها عزل أبو

الحسن ابن ذكوان عن القضاء (المغرب ١ : ١٦١) .

٣ ما بين حاصرتين زيادة من الديوان . ٤ ب س : منه .

ما للمئات الذي أحصفت عقדתه قد خامر القلب من تضيقه جزع ؟
لا تستجز وضع قدري بعد رفعه فالله لا يرفع القدر الذي تنضع
إن الألى كنت من قبل افتضاحهم مثل الشجى في لهاهم ليس ينتزع
تلك العرائن لم يصلح لها شمم فكان أهون ما نيلت به الجدع
أودعت نعمالك منهم شر مغترس لن يكرم الغرس حتى تكرم البقع

قوله : « إن السيف إذا ما طاب جوهرها » . . . البيت ، ينظر من
لحظ^١ مريب ، إلى قول جيب^٢ :

والسيف ما لم يلف فيه صيقل^٣ من سنخه لم ينتفع بصيقل

وله^٤ من أخرى ينهى المعتصد عباداً بهزيمة ابنه إسماعيل لابن الأفطس ،
وقتل ولد إسحاق بن عبد الله في تلك الحرب^٥ :

ليهن الهدى إنجاح سعيك في العدا وأن راح صنع الله نحوك أو غدا
وبشراك دنيا غضة العهد طلقته^٦ كما ابتسم النوار عن أدمع الندى
دعوت فقال النصر لبنيك مائلاً ولم تك كالداعي يجاوبه الصدى
وأحمدت عقبى الصبر في درك المنى كما بلغ الساري الصباح فأحمدا
ولما اعتمدت^٦ الله كنت مؤهلاً لديه بأن تحمى وتكفى وتعضدا

١ ب س : بلحظ .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ١٤٥ .

٣ ط : وقوله .

٤ ديوان ابن زيدون : ٤٦٧ .

٥ ب س والديوان : واغشى .

٦ ب س : دعوت .

وجَدْنَاكَ إِنِّ الْقَحْتَ سَعِيًّا نَجْتَهُ
وغيرُكَ شَاوٍ حِينَ أَنْصَجَ رَمَدًا
سَلَّ الْخَائِنُ الْمَغْتَرَّ كَيْفَ احْتِقَابُهُ
مَعَ الدَّهْرِ عَارًا بِالْفِرَارِ مَخْلَدًا
رَأَى أَنَّهُ أَضْحَى هَزْبَرًا مُصَمَّمًا
فَلَمْ يَعُدْ أَنْ أَمْسَى ظَلِيمًا مَشْرَدًا
وهذا منقولٌ من قول أبي الطيب^١ :

فَأَتَيْتَ مَعْتَزِمًا وَلَا أَسَدُ
وَمَضَيْتَ مِنْهَزِمًا وَلَا وَعَلُ
رجع :

يُودِ إِذَا مَا جَنَّتْهُ اللَّيْلُ أَنَّهُ
أَقَامَ عَلَيْهِ آخِرَ الدَّهْرِ سَرْمَدًا
لَبَّشَسَ الْوَفَاءُ اسْتَنَ فِي ابْنِ عَقِيدِهِ
عَشِيَّةَ لَمْ يُصْدِرْهُ مِنْ حَيْثُ أُوْرِدَا
وَأَصْبَحَ يَبْكِيهِ الْمَصَابُ بِشُكْلِهِ
بُكَاءَ لَبِيدٍ حِينَ فَارَقَ أَرْبَدًا^٢
وَنُلْمَعُ مِنْ أَخْبَارِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ بِلُئْمَعَةٍ :

قال أبو مروان^٣ : وفي سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة أوقع ابنُ عبادٍ
بابن الأفطس إلى جنب يابُرةَ ؛ وكان سببُ هذه الحرب أنَّ فَتَحَ بْنَ يَحْيَى
صاحبَ لَبْلَةَ يومئذٍ حليفَ^٤ ابن الأفطس وإلى عباداً لضرورةٍ ،

١ ديوان المتنبي : ٥٦٥ .

٢ قد وقعت بعد هذا البيت في النسخ (ما عدا ط) مادة طويلة فصلت بين القصيدة المتصلة
بهزيمة اسماعيل لابن الأفطس ، وبين الشرح التاريخي لها ، بحيث ضاعت الصلة بين
القصيدة والرد التاريخي ، فرأيت إرجاع ما نقل حول هذه الحادثة ، وما اتصل به بعد
ذلك ، واجراء تغيير في ترتيب سائر الترجمة .

٣ نجاه هذا النص موجزاً في ط ؛ وقارن بما جاء في البيان المغرب ٣ : ٢٠٩ وبخاصة
ص : ٢٣٤ .

٤ ب س : خليفة .

فكاشفه ابنُ الأفطس وخانه فيما كان ائتمنه عليه من ماله الصَّامِت ، عندما حمَّله إليه وديعةً وقتَ تورُّطه في حربِ عبادٍ قبلُ ؛ وانبتتَ بينهما العصمة ^١ ، وأرسلَ ابنُ الأفطس في ذلك الوقتِ خيله للضربِ على ابن يحيى فاستغاثَ عباداً ، فأرسل إليه خيلاً منتقاةً ، فلحقت الخيلُ الأفطسية وهي قد شنت الغارة على لَبْلَلة ، فكرَّت عليهم إذ كانوا ضِعْفَهُمْ ، واسترسلوا في اتباعِ العباديين ولأَ يشعرون ، فإذا بعبادٍ بحملته في كمينٍ قد خرج لئثرهم ، فدَهِشوا وولَّوا الأدبارَ فركبَهُم السيفُ ، وبذلَ عبادُ المالِ في رؤوسهم ، وكانت نقاوةَ خيلِ ابنِ الأفطس وأبطالِ رجاله ، فجزَّ لعبادٍ من رؤوسهم مائةٌ وخمسون رأساً ومن خيلهم مثلها ، فقصَّ جناحَ قرنه ، وأفنى حماةَ رجاله . ثم إنَّ عباداً لئثر ذلك جمعَ خيلَ حلفائه وخيله . وقوَّد عليها ابنَه إسماعيلَ مع وزيره ابنِ سَلَّامٍ ، وخرجَ نحو بلدِ ابنِ الأفطس يابرةً . وقد استدعى أيضاً ابنُ الأفطس حليفه إسحاقَ بنَ عبدِ الله فلحقت به خيله مع ابنه العزَّ بعدَ أن جمعَ ابنُ الأفطس بقايا جيشه من هزيمتهم المتقدمةِ الذِّكْر ، وأخرجَ كلَّ من قدَّرَ على ركوبِ دابةٍ من البياضِ ببلده ، وحشر من رجال البوادي بعمله خلقاً كثيراً ، وأقبلَ بجمعه هذا المنخوبِ ليدفعَ خيلَ ابنِ عبادٍ عن بلده يابرةً . وقد كان برابرةُ حليفه إسحاق في عسكره قالوا له : لا تلقهم ^٢ فلست تعرفُ قَدَرَ من زحفَ نحوكَ ، ونحن رأيناهم وسمعنا بجمعهم بلشبيلية ؛ فلم يسمعُ منهم ومضَى ، فالتقى الفريقان من غير نزولٍ ولا تعبَةٍ ، فاختلطوا واجتلدوا ملياً ، فحقَّقَ العباديون الضرابَ

١ البيان (٢٣٥) : الصحبة .

٢ ب س : لا تتابعهم .

وتابعوا الشدات ، فحاد البرابرُ عنه أصحابُ إسحاق ، وانهزم ابنُ الأفطس^١ وحُمِلَ السيفُ على جميعٍ من معه ، فاستأصلَهم القتلُ ، وقتل ولدُ إسحاقَ ، العزُّ^٢ ، وحُزَّ رأسه وبُعِثَ به إلى إشبيلية مع رأسِ ابنِ عمِّ لابنِ الأفطسِ صاحبِ يابرة يدعى عبيدَ الله الخراز ، ونجا ابنُ الأفطسِ في قطعةٍ من خيله إلى يابرة .

قال أبو مروان : وأقلُّ ما سمعتُ في إحصاءِ قتلى هذه الواقعة من ثلاثة آلاف رجلٍ فزيد . وأخبرني من أثقُ به أن بطليوسَ بقيت مدةً خاليةً الدكاكين والأسواقِ من استئصالِ القتلِ لأهلها في وقعةِ ابنِ عبادٍ هذه بفتيانِ أعمارٍ إلاَّ الشيوخَ والكهولَ الذين أصيبوا يومئذٍ^٣ . فاستدللتُ بذلك على فُشُوِّ المصيبةِ . وجزع إسحاقُ بن عبد الله من مُصابِ ابنه ، ولم يخضع لضدَّةِ عبادٍ في طلبِ رأسِ ابنه ، فإنَّ عباداً ضافه إلى رأسِ جدِّه محمد ابن عبد الله الذي هو مختزن عنده بإشبيلية ؛ انتهى كلامُ ابنِ حيان .

قال ابن بسّام : ولم يزل الرأسان عند آل عبادٍ مع عدَّةِ رؤوسٍ أهدتها إليهم الفتنةُ المبيدةُ^٤ ، حتى فُتِحَتْ إشبيليةُ على الأميرِ الأجلِّ سير بن أبي بكرٍ فجيء بجوَالِقٍ مقفلٍ مطبوعٍ عليه ، فأمرَ بفتحهِ ، لا يشكُّ أنَّه مالٌ أو ذخيرةٌ ، فإذا هو مملوءٌ من رؤوسٍ . فأعظم ذلك وهاله ، وأمر بدفعِ كلِّ رأسٍ منها إلى من بقي من عقبهِ بالحضرة^٥ .

١ ط : وانهزمت الخليل الافطسية .

٢ ط : وقتل العز بن اسحاق . ٣ العبارة مضطربة .

٤ المبيدة :قراءة لها وجه ؛ ولعل الصواب « المبيرة » .

٥ كل هذه الفقرة وردت في ط على النحو الآتي : وبقيت الرؤوس في تابوت وجد يوم دخل البلد ، حسبما تذكره في أخبار المعتمد .

حدثني من رأى رأسَ يحيى بن علي الحمودي ثابتَ الرّسمِ ، غيرَ متغيّرِـ
الشكل ، فدُفِعَ إلى بعض ولده فدفنه .

[رجع] .

قال ابن زيدون في ابن جهور من قصيدة أولها ^١ :

أجل إن ليلي حيثُ أحيأوها الأزدُ	مهاةُ حمّتها في مراتعها ^٢ الأسدُ
بمانيةُ تدنو وينأى مزارها	فسيان منها في الهوى القربُ والبعدُ
إذا نحن زُرناها تمرّدَ ماردُ	وعزّ فلم نظفر به ^٣ الأبلقُ الفردُ
هو الملكُ المشفوع بالنسك ملكه	فله ما يخفى ولله ^٥ ما يبدو
لقد أوسّع الإسلامَ بالأمسِ حسبةُ	نحت غرّصَ الأجرِ الجزيل فلم تعدُ
أباح حمىَ الخمرِ الخبيثةَ حائطاً	حمىَ الدّينِ من أن يُستباحَ له حدُ
فطوّقَ باستنصاها المصّرَ منّةُ	يكادُ يؤدي شكرها الحجرُ الصّلدُ
غني فحسُن الظنِّ بالله مالهُ	عزيزُ فصنّعُ الله من حوله جندُ
لنعمَ حديثُ البرِ أوضعتِ الصّبا	تبثّ نثاهُ حيثُ لا يوضعُ البردُ

وكان ابن جهور كسرَ يومئذٍ نَـانَ الخمرِ ، وكان مدحه أيضاً
يومئذٍ بمثل ذلك عبدُ الرّحمن بنُ سعيد المصغرَ بشعرٍ ^٧ أولهُ :

١ ديوان ابن زيدون : ٣٥١ . ٢ ب س : مراتعها .

٣ ب س : فلم يظفر بها . ٤ ب س : قلبه .

٥ ب س : فيما ملك ما يخفى ويا سر .

٦ ب س : عزيز بحسن . . ماله عرين ، وسقط البيت من ط ؛ والتصويب عن الديوان .

٧ ط : عبد الرحمن بن الأسعد ؛ وزاد في ط بعد « بشعر » : « تجاوز فيه غاية البرد » ، وسيأتي ما هو بمعناه .

كسرت لجبر الدين أوعية الخمر فأحرزت خصل السبق في الكسر والجبر
عمدت إلى الشر الذي جمعوا له ففرقت منه فاسترحنا من الشر

في أبيات غير هذه استبردت جملتها . وإنما ذهب إلى عكس قول
من تقدم من عبث الشعراء من ذم صب الشراب ، ومن أشهره قول بكر
ابن خارجة الكوفي^١ ، وقد رأى من سلطان وقته مثل ذلك فقال :

يا لقومي مما جنى^٢ السلطان لا يكن للذي أهان الهوان
سكبوا^٣ في التراب من حلب الكر م عقاراً كأنها الزعفران
صبها في مكان سوء لقد صا دف سعد السعد ذاك المكان
من . كميت يبدي المزاج لها لؤ لؤ نظم والفصل فيها جمان
فإذا ما اصطبحتها صغرت في القد ر عني من أمه^٤ الخيزران
كيف صبري عن بعض نفسي وهل يض بر عن بعض نفسه الإنسان ؟

وبلغني أن الجاحظ أنشد هذه الأبيات ، فقال للمنشد : « من
حق الفتوة أن أكتبها قائماً ، وما أقدر إلا أن تعمدني » لنقرس كان به .
قال المحدث : فعمدته وقام فكتبها .

وكان بكر بن خارجة هذا مولى بني أسد ، طيب الشعر ، خليعاً ماجناً ،
وكان يالّف هُدْ هُدْاً في موضع يأتيه كل يوم بقنينة شراب ، فلا يزال

١ في النسخ : بكر بن حارثة ؛ وقد ذكره صاحب الأغاني (٢٣ : ٦٦) كما أثبتته ،
وانظر كذلك قطب السرور : ١٨٤ ، ٢٢٠ ، وترجمة بكر بن خارجة في الوافي : ١٠
الورقة : ٨٠ - أ .

٢ ب س : لقد جنى ؛ الأغاني : لما جنى .

٣ الأغاني : صبا .

٤ الأغاني : من أجلها .

يشربُ على صوتهِ إلى أن يسكّر ، وكان أيضاً يهوى غلاماً نصرانياً وهو
القائل :

زُنَّارُهُ فِي خَصْرِهِ مَعْقُودُ كَأَنَّهُ مِنْ كَبْدي مَعْدُودُ
وبكرُ القائل^١ :

قلبي إلى ما ضَرَّني داعي يُكْثِرُ أسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدُوِّي إذا كان عدُوِّي بين أضلاعي ؟
ولصالح بن عبيدٍ في مثلٍ ما تقدَّم :

ليس همَّي ولا طویلُ انتحاي لمشيبٍ أدالَ^٢ غني شباي
لا ولا لاغترابٍ أحباب قلبي أو لصدِّ الإخوانِ والأصحاب
إنما حسرتي وعبرةٌ عيَني لشرابٍ يُصَبُّ فوق التراب
سُرَّت الأرضُ حينَ صُبَّ عليها فبكتُ صَبَّةً عيونُ السحاب

رجع :

وقال ابن زيدون يرثي^٣ :

١ قال أبو الفرج : (٢٣ : ٧٠) « وقد ذكر الصولي في أخبار العباس بن الأحنف وشعره
أن هذه الأبيات للعباس بن الأحنف ، وذكر محمد بن داود الجراح عن أبي
هفان أنها لبكر بن خازجة » .

٢ ب س : أزال .

٣ ديوان ابن زيدون : ٥٣٠ وهي في رثاء صديقه أبي بكر ابن ذكوان المتوفى سنة
٤٣٥ (راجع في ترجمته : الصلة : ٤٩٧ وترتيب المدارك : ٤ : ٧٨٤ والمغرب^٤
١ : ١٥٩) وقد سقطت هذه القصيدة من ط .

انظر^١ لحال السَّروِ كيف تُحالُ
من سُرَّ لَمَّا عاشَ قلَّ متاعُه
ولى أبو بكرٍ فراعَ له الورى
يا من شأى الأمثالَ منه واحدٌ
نقصتَ حياتُكَ حينَ فضلكَ كاملٌ
من للقضاءِ يعزُّ في أثناثِه
من لليتيمِ تتابعستَ أرزائُه ؟
هيهات لا عهدٌ كعهديكَ عائدٌ
حيًّا الحيا مثواكَ وامتدَّتْ على
وإذا التَّسيمُ اعتلَّ فاعتامتْ به
ولئنْ أذاكَ بعدَ طولِ صيانةٍ

وللدولةِ العليا كيف تُدالُ
فالعيشُ نومٌ والسُرورُ خيالُ
هولٌ تقاصرُ دونه الأهوالُ
ضربتْ به في السُّودد الأمثالُ
هلاَّ استُضيفَ إلى الكمالِ كمالُ
إيضاحُ مُشكلةٍ لها إشكالُ
هلكَ الأبُ الحانيَ وضاعَ المالُ
إذ أنت في وجهِ الزَّمانِ جمالُ
ضاحي ثراكِ من النعيمِ ظلالُ
ساحاتك الغدواتُ والآصالُ
قدَرُ فكلُّ مَصُونَةٍ ستُدالُ

وله من أخرى مما وجدته بخط ابن حيان يرثي بها أبا الحزم ابن جهور^٢ :

ألم تر أنَّ الشمسَ قد ضَمَّتْها القَبْرُ
وأنَّ الحيا إن كان أقْلَعَ صَوْبُه
إساءةُ دهرٍ أحسنَ الفعلِ بعدها
فلا يتَهَنَّ الكاشحونَ فما دجا
وإنْ يلكُ ولى جهورٌ فمحمَّدٌ
لعمري لنعمَ العلقُ أتلِفَه الردى

وأن قد كفانا فقدها القمرُ البدرُ
فقد فاضَ للآمالِ في أثره البحرُ
وذنبُ زمانٍ جاء يتبعُه العُدْرُ
لنا الليلُ إلَّا ريثما طلعَ الفجرُ
خليفتهُ العدلُ الرضا وابنهُ البرُ
فبان ونعمَ العلقُ أخلفَه الدهرُ

١ الديوان : أعجب .

٢ قال ابن زيدون يرثي أبا الحزم ابن جهور من قصيدة أولها : وانظر ديوانه :

هُمامٌ جَرَى يَتَلو أَبَاهُ كَمَا جَرَى
فَقُلْ لِلْحِيَارَى قَدْ بَدَأَ عَلَمُ الْهَدَى
أَبَا الْحَزْمِ قَدْ ذَابَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى
دَعِ الدَّهْرَ يَفْجَعُ بِالذَّخَائِرِ أَهْلَهُ
مَسَاعِيكَ حَلَّتِي لِلزَّمَانِ مُرْصَعٌ
أَمَامَكَ مِنْ حَفْظِ الْإِلَهِ صَنِيعَةٌ
وَمَا بَكَ مِنْ فَقْرٍ إِلَى نَصْرٍ نَاصِرٍ
تَحَامَتِ الْعِدَا لَمَّا اعْتَلَقَتْكَ جَانِبِي

مُعَاوِيَةُ يَتَلُو الَّذِي سَنَّهُ صَخْرٌ^١
وَالطَّامِعِ الْمَغْرُورِ قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ
قُلُوبٌ وَمِنْهَا الصَّبْرُ لَوْ سَاعَدَ الصَّبْرُ
فَمَا لِنَفْسٍ إِذْ طَوَاكَ الرَّدَى قَدْرُ
وَذِكْرُكَ فِي أَرْدَانِ أَيَّامِهَا^٢ عَطْرُ
وَحَوْلِكَ مِنْ آلَانِهِ عَسْكَرٌ مَجْرُ
كَفْتُكَ مِنْ اللَّهِ الْكَلَاءَةُ وَالنَّصْرُ
وَقَالَ الْمُنَاوِي: شَبَّ عَنْ طَوْفِهِ عَمْرُو

ووجدتُ له قصيدةً أخرى، على رويتها ووزنها، رثى بها أمَّ أبي الوليد
ابن جهور، وكرَّر أكثر أبياتها، أولُها^٣ :

هُوَ الدَّهْرُ فَاصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ فَمَنْ شِئِمَ الْأَحْرَارِ فِي مِثْلِهَا الصَّبْرُ
يَقُولُ فِيهَا :

هَنِيئًا لِبَطْنِ الْأَرْضِ أَنْسُ مُجَدَّدٌ
بِطَاهِرَةِ الْأَثْوَابِ قَانِتَةُ الضَّحَى
فَإِنْ أَنْتَ فَالْنَفْسُ أَنْتِ نَفِيسَةٌ
حَصَانٌ إِذَا التَّقْوَى اسْتَبَدَّتْ بِذِكْرِهَا
بَنِي جَهْوَرٍ أَنْتُمْ سَمَاءُ رِيَاسَةٍ

بِشَاوِيَةِ حَلَّتَهُ فَاسْتَوْحَشَ الظَّهْرُ
مُسْتَبْحَةً الْآثَاءِ مَحْرَابُهَا الْخَدْرُ
إِذَا الْجَسْمَ لَا يَسْمُو بِتَذْكِيرِهِ ذِكْرُ
فَمَنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ يَسْتَوْضَحُ الْجَهْرُ
مُنَاقِبُكُمْ فِي أَفْقِهَا أَنْجَمُ زُهْرُ

١ لم يرد هذا البيت في أصول الديوان .

٢ ب س : أَيَّامُ أَرْدَانِهَا .

٣ الديوان : ٥٣٩ .

٤ الديوان : يسرها .

تري الدهرَ إن يبطش فمَنكم يمينُهُ وإنْ تضحك الدنيا فأنتم لها ثغر
لكم كلُّ رَقراقٍ السَّماحِ كأنهُ حُسامٌ عليه من طلاقته أثر

إلى أبيات غير هذه من سائر أبيات القصيدة استمرَّ فيها بالتقديم والتأخير،
والتأنيث والتذكير ، ثم رثى بها آخرَ عباداً المعتضد ، وجعل أوَّلَ قصيدته
قولهُ ١ :

* هو الدهرُ فاصبرْ للذي أحدث الدهرُ ٢ *

البيت المتقدم ، ثم أتبعه بقوله ٣ :

حياة الوري نهجٌ إلى الموت مهينٌ فيا واضحُ المنهاجِ جرَّتْ فأنما
له فيه إضاعٌ كما يُوضع السِّفَرُ هو الفجر يهديك الصراطَ أو البحرُ
إذا الموتُ أضحى قَصَرَ كلِّ معمرٍ فإنَّ سَوَاءَ طال أو قَصُرَ العمرُ
ألم تَرَ أنَّ الدينَ ضيمٌ ذِمَارُهُ فلم تُغنِ أنصارٌ عديدهم كثرُ
بِحيثُ استقلَّ الملكُ ثانيَ عطفه وجرَّ من أذياله العسكرُ المجرُ
أنفَسَ نفس في الوري أقصدَ الردى وأخطَرَ علقٍ للهلي أفقدَ الدهرُ
أعبادُ يا أوفى الملوكِ لقد عدا عليكُ عداهُ أنَّ عليك حَلِيماً
فهلَّا عداه أنَّ عليك حَلِيماً

١ ط : وابتدأ مرثيته فيه بقوله .

٢ ديوانه : ٥٦٢ .

٣ ط : ثم قال فيها .

٤ الديوان : هادي .

٥ من قول أبي بكر (رضي الله عنه) إنما هو الفجر أو البحر ، ومعناه إن انتظرت
حتى يضيء الفجر هداك إلى الطريق ، وإلا فالبحر وهو غمرات الدنيا ، ويروي :
البحر - بالجيم - ومعناه الداهية والأمر العظيم .

غُشِيتَ فلم تَغْشَ الطَّرَادَ سَوَابِحُ
لَئِنْ كَانَ بَطْنُ الْأَرْضِ هَنِيءَ أَنَسِهِ
وَلَا ثَنَّتِ المَحْذُورَ عَنْكَ جَلَالَةُ
فَهَلْ عِلْمُ الشَّلَوُ المقدَّسُ أَتَنِي
وَأَنْ مَتَّانِي لم يُضْعَعُ مُحَمَّدُ
وَأَرْغَمَ فِي بَرِّي أَنْوَفَ عَصَابَةٍ
إِذَا مَا اسْتَوَى فِي الدَّسْتِ عَاقِدَ حَبِوَةٍ
وَلَا جُرَدَتِ بَيْضُ وَلَا أَشْرَعَتِ سَمَرُ
بَأْتِكَ ثَاوِيهِ لَقَدْ أَوْحَشَ الظَّهْرُ
وَلَا عَدَدُ دَثْرُ وَلَا نَائِلُ غَمَرُ
مُسَوِّغُ حَالِ ضَلَّ فِي كُنْهِيَ الْفَكْرُ؟
خَلِيفَتُكَ الْعَدْلُ الرِّضَا وَأَبْنُكَ الْبِرُّ؟
لِقَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَلِحَظِهِمْ شَرْرُ
وَقَامَ سَمَاطًا حَقْلُهُ فِي الصَّدْرِ

فتلاعب أبو الوليد كما ترى في هذه القصيدة تلاعب الخطيئة بنسبه^١ ،
وتصرف تصرف أبي حنيفة في مذهبه ، فأنت وذكرك ، وقدّم وأخّر [كما]
قال أبو العلاء^٢ :

رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الْأَصْدَادِ
وَبَلَغَنِي أَنَّهُ وَجِدَ لَابِسَ زَيْدُونَ إِثَرَ مَوْتِ عِبَادٍ شَعْرًا يَقُولُ فِيهِ^٣ :

لَقَدْ سَرَرْنَا أَنَّ النَّعْيَ مُوَكَّلٌ بِطَاغِيَةٍ قَدْ حُمَّ مِنْهُ حِمَامٌ
تَجَانَفَ صَوْبُ الْمَزْنِ عَنْ ذَلِكَ الصَّدَى وَمَرَّ عَلَيْهِ الْغَيْثُ وَهُوَ يَجْهَامُ

وقال بخاطب الوزير أبا عامر بن عبدوس بن قصيدة أولها^٤ :

١ ط : في نسبه .

٢ شروح السقط : ٩٧٦ .

٣ ديوانه : ٥٩٢ ، ولم يرد البيتان في أصول أبيه ، وإنما أوردتهما الصنفدي في
المثنون والثنائي .

٤ الديوان : ٥٩٢ .

أَثَرَتْ هَزَبَر الشَّرَى إِذ رَبَضُ
وما زِلْتَ تَبْطُ مُسْتَرَسلاً
أَرَى كُلَّ مُجَرِّ أبا عامرٍ
أَعِيدُكَ مَنْ أَنْ تَرَى مَنْزَعِي
أبا عامرٍ أَيْنَ ذَاكَ الْوَفَاءُ
وَأَيْنَ الَّذِي كُنْتَ تَعْتَدُ مِنْ
عَمَدَتَ لَشَعْرِي وَلَمْ تَتَّعِدْ
لَعَمْرِي لَفَوَّقْتَ سَهْمَ النِّضَالِ
وَشَمَرْتَ لِلْخَوْضِ فِي لُجَّةٍ
وَغَرَّكَ مِنْ عَهْدٍ وَلَادَةٍ
هِيَ الْمَاءُ يَأْبَى عَلَى قَابِضٍ
[وبعدُ ما أَمْسَكَ عَنْهُ ٣ .

قوله : « هو الماء يأبى على قابض » . . البيت ، أبلغُ منه في المعنى قولُ
الوزير أبي محمد بن عبد الغفور :

هِيَ الشَّمْسُ تَأْبَى عَلَى قَابِضٍ إِذَا الْمَاءُ نَالَتْ نَدَاهُ الْيَدِ
وَنُبِّئْتُهَا بَعْدِي اسْتَحْمَدَتْ بِسِيرٍ ٤ إِلَيْكَ لِمَعْنَى غَمَضَ
أبا عامرٍ عَثْرَةً فَاسْتَقْلَلْ لَتُبْرِمَ ٥ مِنْ وَدْنًا مَا انْتَقَضَ

١ فيه إشارة إلى المثل : « كل مجر في خلاء يسر » .

٢ الديوان : هي البحر .

٣ هكذا قال هنا ، ولم يرد من ذلك شيء في الديوان .

٤ الديوان : بسري .

لَا تَعْتَصِمُ ضَلَّةً بِالْحِجَابِ وَسَلَّمْ فَرَبَّ احْتِجَاجِ دَحْضِ
وَحَسْبِي أَنِّي أَطْبْتُ الْخَنَى لِأَفْنَانِهِ ١ وَأَجْتُ النَّفْضِ
وَيَهْنِكَ أَنْكَ يَا سَيِّدِي غَدُوتَ مِقَارِنَ ذَاكَ الرِّبْضِ

وكتب^٢ إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر بن الأفتس من رقعة ، وضمنها قصيدة أولها :

لَبِضِ الطُّلَى وَلِسُودِ اللَّمَمِ بَعْقَلِي - مُذْ بِنَّ عَنِي - لَمَمٌ :

لما لبس الحاجب^٣ - أعزّه الله - رداءَ المجدِ مُعَلِّمًا ، وحمل لواء
الحمد مُعَلِّمًا ، فاستطار بارقُ فجره ، واستضاعَ فائحُ ذكره ، وشُهرتُ
محاسنه على كل لسان ، وسارت مآثره مسير^٤ الشمسِ بكل مكان ،
لحمًا سَوَّغَ من كَرَمِهِ ، وأسبغَ من نعمه ، ووطأ للآملين من أكنافه ،
وهزأ إلى الراغبين من أعطافه ، ورفرفت أجنحةُ الأهواءِ عليه^٥ ، واهتزتْ
جوانحُ الآمالِ^٥ إليه ، وكثر التغايرُ على تفيؤِ ظيلته ، والتنافسُ في
الإعتلاقِ بحبله ، وكلُّ استفرغَ جهده ، وتوسَّلَ على حسبِ ما عنده ،
وَلَا غُرُوَ أَنْ يُسْتَمَطَّرَ الغمام ، ويؤمِّلَ الكرام ، ويكُنْشَرَ في المشربِ
العذبِ الزحام .

١ الديوان : لإبانته .

٢ من هنا حتى بداية خبر ولادة سقط كله من ط ؛ وهناك أجزاء من هذا الفصل قد زِيدت في الذخيرة بعد ابن بسام ، وقد صرح بذلك من زادها ؛ ولعل هذا القسم الواقع قبل رسالته إلى أبي بكر ابن مسلم قد زيد أيضاً لعدم قيامه على الاختيار .

٣ س : مسيرة .

٤ ب س : إليه .

٥ ب س : الأمل .

وما زلتُ - أبقي الله الحاجبَ - أتلقي من مساعيه المشكورة ، ويقرَعُ
سمعي بآثره الماثورة ، ما هو أندى من بلوغِ الأمل ، وأشهى من اختلاسِ
القبيل ، وأغضُّ من جنيّ الزهر ، والطفُ^١ من نسيمِ السحر ، حتى
انقادت نفسي في زمامِ التأميل والمودة ، ونازعتُ إلى الأخذِ بحظِّ من
الاعتلاقِ والممازجة . ونظرتُ إلى ما دون ذلك من أسبابِ البُعدِ المانعة ،
وامتدادِ البلادِ المعرّضة ، فغَضَضْتُ طرفَ الحية ، وطويتُ كشْحاً على
اليأسِ من دَرَكَ الأُمْنِيَّة ، إلى أن ندبَتني الأديبُ أبو فلان إلى مخاطبته ،
وحرّضني على مكابته ، ونهّني على ما في التناقلِ عن مُداخلته ، من
التضييعِ الصريح ، والتقصيرِ البينِ الصّحيح ، اذ هي أسنى علقٍ غوليَ
به^٢ ، وأنفس ذخرِ نوفسٍ فيه . فطربتُ إلى ذلك « كما طربَ النشوانُ مالتُ
به الحمر » ، واهتززتُ له « كما اهتزت تحت البارحِ الغصنُ الرطْبُ » .
ورأيتُ من شكرِ يدِ العلياء فيما حثني إليه ، وحضني عليه ، مما فيه
حليةُ الفخر ، ومَكْرُمَةُ الدهر ، أن أستفتحَ بابَ المكاتبة بالشفاعة ،
وأنهجَ طريقَ المخاطبة في العناية به ، وبيننا ، بعْدُ ، من ذمامِ الطلبِ ،
وحُرْمَةِ الودِّ والأدب ، ما أستقصِرُ نفسي معه أنْ أتقدم في خدمةٍ رغبته
بقلمي^٣ ، وقد تأخّرت قدّمي ، وبُعْدٌ لاقتصارِ غيبته كتابي ، دون
أن أزمَ لذلك ركابي ، وهو فتيّ نام جِدهُ ، واستيقظ حدهُ ؛ فتنكرَ الزمانُ له ،
واعترّتْ^٤ الأيام به ، بين ذئابِ سعاية عَوّت عليه ، وعقاربِ وشايةٍ دبّت
إليه ، وأضلي بنارِ حربٍ لم يجنّها ، وأعدتّه مباركُ جُرْبِ التبيس بها ،

١ ب س : ما هو ألطف .

٢ ب س : فيه .

٣ س : قلّمي ؛ وهنا موضع خرم في ب ، ضاعت بسببه ورقات .

٤ س : واعتزت .

آل به الأمرُ إلى فراق أحبته ، والبُعدُ^١ عن مسقط رأسه ومَعَقْ مائمه ، على ضيقِ حاله ، وضعفِ إحسانه . وأشهدُ أن ذلك لم يزدَهُ للحاجبِ لاءً ولاءً ، وعليه إلا ثناءً ، وأنه لا يزال يُعيدُ شكره ويُبديهِ ، وينشرُ حمده ويطويه ، والحاجب - أدام الله إعزازه - وليُّ إعدائه على زمنه لغشوم ، وأسلاً بإنصافه من دهره الظلوم ، بإلباسه من جميل رأيه ما عُرِّي منه ، وإيراده من شريعةِ رضاه ما حُلِّيَ عنه ، والتخليّةِ بينه وبين الأفق الذي لم يترَ كوكبَ سَعْدٍ إلا فيه ، ولا تَلَقَى نسيمَ حياةٍ^٢ إلاّ منه ، فإنه ممّا يُؤليه من إحسانه ، ويأتيه من الفضلِ في شأنه ، مُستَجَزَلٌ شُكْرَ من أنهضه لسان ، واستقلَّ به بَيّان ، وهو أهل الفضل ، والمعهود منه كرم الفعل ، والله يُبقيه ويُعليه ، وهو حسْبُهُ وحسبي فيه .

ولما اطرَدَ هذا النثر الحسنِ اتساقه ، ولَدَّ مساقه ، هزّت النظمَ أريجيّةٌ جذبَ لها بعنانه ، وعارضه بها في ميدانه ؛ وأبت أن ينفردَ النثر بقاءِ الحاجبِ ومشافهته ، ويستبدَّ بأن بلمح غُرَّتِه ، ويخدمَ بالحضورِ حضرتَه ، فأثبتُ منه ما إن أنعمَ عند تصفحه بالصفح عن الزلل يعرض فيه ، والخلل يبدو منه ، وصلّ النعمةَ بمثلها ، وقرَنَ العارفةَ بشكلها :

ليبيضِ الطلى ولسودِ اللممِ بعقلي ، مُدّ بنّ عَتِي ، أم^٣
ففي ناظري عن رشادِ عمي وفي أذني عن ملامٍ^٤ صَمَمِ
قفزت بشماسي على العناذلين شُموسٌ مُكَلَّلَةٌ بالظلمِ

١ س : وأبعد .

٢ س : حياة .

٣ ديوان ابن زيدون : ٤٠٦ .

٤ س : ملامي .

وما سَقَمْتُ لحظات العيون
يلوم الخليُّ على أنْ أحسنَ
وما ذو التذكُّرِ ممَّنْ يُلام
ولاني أراح إذا ما الجنوب
وأصبو لعرفانِ عَرَفِ الصَّبَا
ومن طَرَبِ عاد نحوَ البراقِ
أما وزمانٍ مضى عهده
قضى بالصَّبَابَةِ لما انقضى
لياليَ نامتْ عيون الوشاةِ
ومالت علينا غصون الهوى
وأيا مُنَا مُذهبات البرود
كَأَنَّ أبا بكرٍ المسلمي^١
ووشحَ زهرةَ ذاك الزمانِ
هو الحاجب المعتلي للعلا
ملكٌ إذا سابقته الملوك
فأطولُهمْ بالأَيادي يداً
وأروع لا مُبتَغِي رِفْدِهِ
ذُكُولُ الدَّمَائَةِ صعب الإباءِ
سما للمجرةِ في أفقها
وناصتْ مساعيه زهرَ النجومِ
نَهْيِك^٢ إذا جن ليل العجاجِ

إلاَّ لتُغْرِيبِي بالسَّقَمِ
وقد مزجَ الشوق دمعي بدم
ولا كرم العهدِ ممَّا يُذَمُّ
راحتْ بربِّنا جَنُوبِ العَلَمِ
وأهندي السلامَ إلى ذي سَلَمِ
أجهشت للبرقِ حين ابتسم
حميداً لقد جارَ لما حَكَمِ
وما اتَّصلَ الود حتى انصرم
عنا وعين الرضى لم تنم
فأجنتُ ثمارَ المني من أمَمِ
رِفاقِ الحواشي صوافي الأَدَمِ
أجرى عليها فرِندَ الكرم
بما حاز من زهرٍ تلك الشيم
شماريخَ كُلِّ مُنِيفٍ أَشَمِ
حوى الخِصْلَ أو بساهمته سهم
وأثبتهم في المعالي قدم
يخبِ ولا جاره يُهْتَضَمِ
ثَقِيفِ العزيمِ إذا ما اعتزم
فجرَ عليها ذيُولَ الهَمَمِ
وبارت عطاياه وطفَ الدِّيمِ
سرى منه في جنحه بدر تم

١ المسلمي : نسبة إلى بني مسلمة، وهم بنو الأطلس، وفي الديوان: الأسلمي ، وهو خطأ .

٢ نهيك : شجاع .

فشام^١ السيوف بهام الكُماة
جواد ذراه مطاف العفاة
يَهيمُ النزالُ به والسؤالُ
شهدنا لأوتي فصل الخطاب
وهل فات شيء من المكرمات
وَمُسْتَحْمَدُ بكريمِ الفعال
شائلُ تَهَجَّرُ عنها الشمولُ
على الروض منها رواء يروق
أبوه الذي قلَّ غَرْبَ الضلال
ولاذ به الدين مستعصماً
وجاهد في الله حقَّ الجهاد
فلا سامي الطرف إلا أذل
تَقِيلُ في العز من حمير
هم نَعَشُوا المُلْكَ حتى استقل
نجوم هدى والمعالي بروج
أبا بكرٍ اسلم على الحادثات
أناديكَ عن مقعة عهدُها
وإن يعدني عنك شحط النوى
وإني لأصفيك محض الهوى
ومستشفع بي بشرته

وروى القنا في نُحُورِ البهَمِ
وَمِناه رُكنُ الندى المستلم
ليثاً هَصُوراً وبجراً خضم
وخُصَّ بفضلِ النهى والحكم
جرى السيف يطلبه والقلَمُ
عفواً إذا ما اللثيم استدم
وتُجفَى لها مُشجياتُ النغم
وفي المسك طيب أريج يُشم
ولاءم شَعْبَ الهدى فالتأم
بذمة أبلج وافي الذمم
من دان من دونه بالصنم
ولا شامخ الأنف إلا رغم
مقاول عزوا جميع الأمم
وهم ظلموا الخطب حتى اظلم
وأسدُ وغى والعوالي أجَم
ولا زلت من رَيْبها في حرم
كما وشت الروض أيدي الرهم
فَحَظِي أَحْسَنَ ونفسي ظلم
وأخفي لبُعْدِكَ بَرَحَ الألم
على ثقة بالنتاج الأتم

١ شام : أغمد .

٢ في النسخ : بالظلم .

وغيرك أخفّر عهدَ الذمامِ إذا حُسِنُ ظني عليه أذَمَّ
وقدماً أقلتُ مُسيءَ العثارِ وأحسنتُ بالصفحِ عما اجترَمَ
وعندي لشكرِكَ نظمُ العُقُودِ تناسقُ فيها اللَّآلِي التُّومُ
تُجدُّ لفخرِكَ بُردَ الشَّبَابِ إذا لبسَ الدهرُ بُردَ الهَرَمِ
فعمشُ مُعْصِماً بيفاعِ السَّعُودِ ودُمُ ناعماً في ظلالِ النِّعَمِ
ولا يزلُ ١ الدهرُ أيامه لكم حشَمٌ والليالي خَدَمُ

هذا - أعزَّ الله الحاجب - ما اقتضتهُ القرينةُ مع اقتضائها، وأجابتنا به البديهةُ عند استدعائها ، والذهنُ عليل ، والطبعُ كليل ، والرويةُ فاسدة ، وسوقُ الأدبِ إلا عنده كاسدة . ولو أنني أوتيتُ في النثرِ غزارةَ عمرو ، وبراعةَ ابن سهل ، وأمددتُ في النظمِ بطبعِ البحري، وصناعةَ الطائي، لما رددتُ إلى الحاجبِ إلا ما أخذتُ منه، ولا أوردتُ عليه غيرَ ما صدر عنه، ولما أنفذتُ ما أنفذتُ إلا بين أملٍ يَبْسُطُ ، وخَجَلٍ يَقْبِضُ ، فرأيتُه موثقاً في أن يمنح ما بعثَ الأملَ إسعافاً ، وما أوجبَ الحجلَ إغصاءً ، ليأتيَ الإحسانَ من جهاته ، ويسلُكَ إلى الفضلِ طُرقاته . ومُراجعتُهُ لي عن كتابي بعهدِ كريم ، يكونُ كُحْلاً لعين الرضى بوجنتِ القبول ، أقفُ به من توالي النعمِ عليه ، وانتظامِ الأحوالِ بالصَّلاحِ لديه ، على ما تبتَّهجُ له نفسي ، ويتنظمُ معه عقدُ أنسي ، يدُ عندي جناها شَهِدُ ، وشذاها عنبرٌ وورد ، أرفلُها الشكرَ الجزيل ، وأتبعُها الثناءَ الجميل ، إن شاء الله . وليسْبَلِّغْ مني سلاماً يُهدي إليه نفسه ، وتحيةَ آخرها عندي وأولها عنده .

وكتب من قرطبة الى ابن مسلمة^١ بإشيلية قبل تحوله إليها :

يا سيدي ، وأرفعُ عُددي ، وأولَ الذخائرِ في عَددي ، وأخطرَ
عِلقي ملأتُ من اقتنائه يدي ، ومن أبقاهُ الله في عيشةٍ باردةٍ الظلال ،
ونعمةٍ سابعةٍ الأذيال ، قد تقاصرُ الثناءُ عليك ، وتوالى الحديثُ الحسنُ
عنك ، حتى حللتَ محلَّ الأمانة ، وكنتَ موضعَ تقليدِ الوطر ، وإبناثِ
الطوية . واللهُ يُمتَتعكَ^٢ بما حازه لك من الخير ، ووفرهُ عليك من
طيبِ الذكر .

في علمك - أعزَّكَ الله - ما تقتضيه العطلةُ من إظلامِ الخاطر ، وصدإِ
النفسِ ، ويجنيه طولُ المقامِ من إخلالِ الديباجة ، وإرخاصِ القدر .
وقد آن أن أجتني ثمرةً من آدابِ أطلتُ الاعتناءَ بها ، وأخلاقٍ أدمنتُ رياضةَ
الأنفسِ عليها . ولما غخضتُ الملوك ، وجدتُ عميدهم الذي أنسى السالفَ
قبله ، وتقدَّمَ الرَّاهنَ معه ، وأتعبَ الغابرَ بعده ، الحاجبَ فخرَ الدولةِ
مولاي ، ومن أطالَ اللهُ بقاءَه ، وكبتَ أعداءَه ، لما خصَّه اللهُ به من
سناءِ الهمم ، وسماحةِ الشَّيم ، وانتظامِ أسبابِ الرِّياسة ، وكمالِ
آلاتِ السياسة ، واجتماعِ المناقبِ التي أفردتهُ من النظراء ، وأعلتهُ
عن مراتبِ الأكفاء ، فرأيتُ قبل أن أحملَ لغيره نعمةً ، أو أوسمَ
ممنَّ سواه بصنيعة ، أن أعرضَ نفسي مملوكةً عليه ، عَرَضَ من لا يؤهلها

١ ستأتي ترجمته في القسم الثاني من الذخيرة ، وهو : أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد
ابن مسلمة الوزير الأديب ، مصنف كتاب « الارتياح بوصف الراح » ، هاجر
من قرطبة إلى أشيلية ووزر للمعتضد . (انظر المطح : ٢٣ وعنه النفع ٣ : ٥٤٤
والمغرب ١ : ٩٦ والجنوة : ٦١ والبغية رقم : ١٧٠) .

٢ س : يمتدك .

لإجازته إلا بالاستجازة ، ولا يطمع لها في قبوله إلا مع المساحة ، فلو كنت الوليد بن عبيد براعة نظم ، وجعفر بن يحيى بلاغة نثر ، وإبراهيم بن المهدي طبيب مجالسة ، وإمتاع مشاهدة ، ثم حضرت بساطه العالي ، لما كنت مع سعة إحاطته إلا في جانب التقصير ، وتحت عهد النقضان ، غير أنه لم يعدم مني نجابة غرس اليد ، وإصابة طريق المصنع ، من ولاية أخلصها ، ونصيحة أخلصها ، وشكر أجنيه الغرض من زهراته ، وثناء أهدي إليه العطر من نفحاته ، فقوّضت إليك هذه السفارة ، واعتمدتُك بتكليف النيابة ، لوجوه : منها حظوتك لديه ، ومواتك إليه ^١ ، سوغتك الله الموهبة في ذلك ، وأنهضك بأعباء الشكر لها . ومنها سرو مذهبك ، وكرم سجيتك ، وصحة مشاركتك ، لمن لم يستوجبها استيجابي ، ولا استدعاها بمثل أسباني ، من تداني الجدار ، وتصافي السلف ، والانتماء إلى أسرة الأدب . فإن وافقت السانحة ^٢ الإرادة ، فحظ أقبل ، وعبد بلغ من قبول سيده ما أمل ، ولم أقل : « عمرك الله » كما قيل في النجمين ^٣ ، بل قلت : « وقد يجمع الله الشيتين » ^٤ ، وإن عاق حرمان عادته أن يعوق عن الظفر ويعترض دون الأمل ، فأعلمه - أيده الله - أنني في حالي العطلة مع غيره والتصرف ، ويومي الإيطان والتطوف ، كالمهتدي بالنجم حين عدم ذكاء ، ومتميم الصيد إذ لم يجد الماء :

فإن أغش قوماً غيره أو أزرهم فكالوحش يذنيه من الأنس المحل

١ س : ومكانتك ليلي .

٢ س : السابعة .

٣ أي سهيل والثريا ، كما في قول عمر : عمرك الله كيف يلقيان .

٤ من قول الشاعر :

وقد يجمع الله الشيتين بمدا يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

والله يتولاهُ بالفسحة في عمره ، والإعلاء لأمره ، ويصرفُ الأقدارَ مع
إيثاره ، ويصرفُ وجوهَ التوفيقِ إلى اختياره .

ولكَ يا سيدي في انتدابك لما نذبتُكَ له ، ما للساعي المُنْجَحِ — من
الشكر ، وللمجتهد البالغ من العذر ، وملاكُ الأمرِ — تقديمُ المراجعة
بالإيجاب فأسكنُ إليها ، والجوابِ فأعتمدُ عليه ، وأهدي إليك نديَّ
الغضِّ الناصرِ من سلامي ، والأرجِّ العاطرَ من تحيتي .

وكتب إثر ذلك إلى المعتمد برقةً يقول فيها :

أطال الله بقاءَ الحاجب فخر الدولة مولاي وسيدي ، وموَلَى المناقبِ
الخليلة ، والضرائب النفيسة ، في أكملِ ما تكفلُ^١ له به من علو القدر ،
ونفاذِ الأمرِ ، وخصَّه من النعم بأسبغها سربالاً ، وأبردها ظلالاً ،
وأحمدتها مآلاً .

كنتُ — أعزَّ الله الحاجبَ مولاي — قد كتبت إلى الوزير أبي عامرٍ
عَبْدِهِ بما أيقنتُ أنه انتهى إليه ، واشتمل عليه ، فكتب الوزيرُ إلى بعضِ
أسبابه بما يقومُ مقامَ المراجعةِ لي بما يرتفعُ عن^٢ قدري ، ولا تتسعُ له
ساحةُ شكري ، لعلمي أنه بن الحاجب — أيده الله — صَدَرَ ، وبإذنه نَفَذَ ،
والذي عداني عن أن يكون الكتابُ في ذلك إلى الحاجب — أبقاه الله — التأدبُ
بآدابِ حصفاء العبيد في الإجلال والإعظام ، وترك التبسط والإقدام . وقلتما
استغنت أوائلُ مطالب الأتباع بحضرة المملوكِ من وسائل تمهدها ، وتعتمد

١ س : تكمل .

٢ س : مما . . . من

أوقات الإمكان بها ، لا أني اتخذتُ إلى الحاجبِ - أدام الله علوه - > غيرَ سيادته ذريعة ، أو التمسْتُ إليه إلاّ من نفاسةِ نفسه شفاعة . وأي معدّلٍ لمثلي عن تفيؤِ ظلاله ، والاعتمادِ بحبله ، وصناعةُ الأدبِ كاسدةٌ إلا عليه ، وطريقُ الأملِ موحشةٌ إلاّ إليه ؛ ولم يدعُني < ١ إلى استطلاعِ ما فباه شكٌ في كرمه ، ولا سوءُ ظنٍ بِسماحةِ شيمه ، بل لزومُ الطريقةِ في التوطئةِ للمطلب ، والتدرُّجِ إلى احرازِ الأرب . وحسبي أنّ أملي قد ارتاد الجَنابَ الرَّحْبَ ، والمُشربَ العذبَ . ولعلّ الحظوظَ ستُكشَفُ ، والنوائِبُ ستُصرفُ ، إلى أن أبلغَ إلى أبعدِ غاياتِ الأملِ من مشاهدةِ حضرته العلياء ، والنظرِ إلى غُمرته الزَّهراء ، فوالله ما ينصرفُ فكري ، ولا ينصرمُ حينٌ من عمري ، إلا في الذكرِ له والشوقِ إليه ، وتصورِ المثولِ بين يديه ، وأنا أقدمُ الاعتذارَ من مهابةِ تستملكُ جناني . وحَصَرَ يكادُ يقطعُ في أوّلِ المشافهةِ لساني ، فإن حدثَ ذلك فعُدري عُذْرُ الفضلِ بن سهل ، وقد انقطع بين يدي الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، من فراهة العبد أن تملكَ قلبه مهابةُ سيّده .

وسيفضي ذلك بمشيئةِ الله إلى ما يستجيزُهُ الحاجبُ مولاي من إمتاع ، ويقبلُهُ من شاهد ، ويستطِرُّهُ من أدب ، ويستلطفُهُ من إجمالِ طلب ، وجمالِ مذهب . كما أني أعلمُ أني سأصلُ إلى ما لم أعهدُ مثله من بهاءِ منظر ، وسناءِ مخبر ، ورفعةِ شان ، وعظمِ سلطان . ولعلّ السعادة تهيءُ لي من الحظ ما أثبتُ به ما ادَّعَيْتُهُ لنفسي من هذه الصفات ، وأنجزُ معه ما قدّمتُ عنها من هذه العُدات ، فَحَوَّلُ الله في ذلك كفيل ، وهو حسبي ونعم

١ زيادة عن نسخة دار الكتب ، ولم يرد في س .

الوكيل . زاد الله الحاجب مولاي من سنيّ قسمه ، وهنيّ نعمه ، وبلغه
النهاية من آماله ، وصرف بعزته غير الزمان عن كماله .

وكتب إليه بعد أن صدر عن حضرته إلى قرطبة رقعة^١ يقول فيها :
أطال الله بقاء مولاي للنعم يطوقها ، < والآمال يصدّقها >^٢ ،
والمن يقلّدّها ، والأحرار يستعبدّها . يعلّم الذي أسأله إعزاز مولاي ،
وإعلاء أمره ، وصلة تأييده ، وتمكين نصره ، أني لم أزل منذ فارقتُ حضرته
الجليلة ، حضرة المجد والسيادة ، ومحلّ الإقبال والسعادة ، لهجّ اللسان
بما أجناني من ثمار الحكمة والنعمة ، وأفادني من عقد الأدب والنشب ، فمن
كبد حاسد تصدّعت ، وأنفاس منافس تقطعت ، وناعم البال كسفتُ
بآله ، ومتمنّ لحالي طالما تمنيتُ حاله ، وقلّ لمن نال أدنى مكانة منه ،
ورقيّ أوّل درجة من الخصوص به ، أن تحسّدَهُ الكواكب في إشرافها ،
وتنحشد إليه الأماني من أطرافها ، والله يقيه لعبيده الذين أنا آخرهم في
الخدمة ، وأولهم في شكر النعمة ، ويرفع من همهم ما انخفض ، ويبسط من
آمالهم ما انقبض ، ولا يعدمهم التقلّب في نعمه ، والاعتلاق بأسباب ذممه ،
بمجدّه وكرمه .

وكانت من مولاي - أعزّه الله - إشارة^٣ بل عبارة^٤ أعددتُها طليعة^٥
لسعود ستوافي^٦ طلقاً ، ومقدمة^٧ لمسرّات ستوالي سُبّاقاً^٨ ؛ فلما لحق
الجسمُ بعد تركه النفسَ لديه ، والبراءة منه^٩ إليه ، بالوطن الذي

١ زيادة من نسخة دار الكتب . ٢ س : تتوافي .

٣ في المطبوعة : نسقا ، وهي قراءة جيدة .

٤ الضمير في « منه » يعود إلى « الجسم » .

أسلاني عنه ، وأبني لي العوضَ منه ، تأتيتُ من طاعته المقرنة بطاعة الله في نفسي مماوكته ، > لما أنا مهنتاً به ، منافسٌ فيه ، فساعتِ المآرب ، وأسمحتِ المطالبُ ، ولم يَرِني تعذُّرُ وجهٍ <^١ حاولته ، ولا عداني تيسرُ أمرٍ تناولته ، ولم تبقَ علّةٌ تسوغُ باعتراضها الاعتذار ، إلّا ما يترأخى ريشما يعاودُ أمره ، ويتجدّدُ في الحركةِ إذنه . ولم أستأذن لأنّ الأذنَ بعد عهده ، > وأنّ الميعاد لم يحكمْ عقده ، بل تجنبتُ أن أدلّ المشاورة ، أو أخلّ بزسمِ المؤامرة <^١ . فلمولاي الطولُ في أمرِ الواسطة عبيده بمراجعة أعتمدُ عليها ، وأجتهدُ في الانتهاء إليها . والله يبلغني الأملَ من وقفةٍ بحضرته ، ونظرةٍ إلى غرته ، وتقبيلٍ لراحته ، وتصرفٍ في ساحته ، فهو المالك لذلك ، والقادرُ عليه .

وله من رسالة حذف أبو الحسن رحمه الله هنا أكثرها^٢ ، ولم يذكرُ منها إلّا قطرةً من وابل ، أو نقشةً من سحر بابل ، وها أنا مُثبتها على تواليها إشادةً بحُسن معانيها ، واستفادةً من سني آدابه فيها ، وهي :

يا سيدي الذي كنتُ أراه أعدّ عُددي لأبدي ، وأحصنَ جُسنِي من زمَني . ومن أبقاه الله في أصلح الأحوال ، وأفسحَ الآمالَ ؛ أبدأُ من كتابي إليك ، بشرح الضرورة الخافرة إلى ما صنعتُ ، مما بلغني أنك صدرُ اللاتمين لي عليه ، وأول المسفتهين لرأبي فيه ، ومن أمثالهم : ويلٌ للشجي من الخليّ ، وهان على الأملس ما لاقى^٣ الدبير ، وأوسطه بمعاتبتك على ما كان من انفصالك عني ، وبراءتك أمدَ المحنةِ مني ، وأنك لم تكن في وِردٍ ولا صدر من مشاركتي فيها ، ولا كانت لك ناقةٌ ولا جملٌ في مظاهرتك لي

١ زيادة من نسخة دار الكتب .

٢ واضح أن هذا القم دخیل على الذخيرة، وقد ورد بعض هذه الرسالة ص : ٣٥٥ فيما

تقدم .

٣ س : يلقى .

٤ س : مورد .

عليها ، مع القدرة بك على تهوين خطيبتها ، وتذليل صعبها ، وتلين شديدها ، وتقريب بعيدها :

فأرى صدقك الحديث وما ذا لك لبخلي عليك بالإغضاء^١
أنت عيني وليس من حق عيني غص أجفانها على الأقداء^٢
ولنما يُعاتب الأديم ذو البشرة . والمثل السائر : « ويبقى الود ما بقي العتاب »^٣
وقال الأول :

أبلغ أبا مسمع عني مُغللة^٤ وفي العتاب حياة^٥ بين أقوام^٦
وأخيمه بتكليفك ما كان سبب الكتاب ، والداعي الى الخطاب ، عساك أن تتلافى
عوداً ما ضيعت بدءاً ، وتهتل آخراً ما أغفلت أولاً ، فيعود غيظه على ما أفسد ،
وإن كنت في ذلك كدابة وقد حلیم الأديم ، فمنفعة الغوث قبل العطب :
وخير الأمر ما استقلت منه وليس بأن تتبعه^٧ اتباعاً^٨
في علمك أنني سُجنت مغالبة بالهوى ، وهو آخر العمى ، وقد نهى الله تعالى عن
اتباعه ، وذكر أنه مضل عن سبيله ، إذ يقول : ﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن
سبيل الله ﴾ (ص : ٢٦) . وقال الشاعر :

إذا أنت لم تعص الهوى فادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال^٩
دون تأن تدرك بعض الحاجة به ، أو استثبات تؤمن موقعة الزلزل معه ، بل

١ البيتان لابن الرومي ، ديوانه : ٦٦ .

٢ صدره : إذا ذهب العتاب فليس ود ، انظر التمثيل والمحاضرة : ٤٦٥ .

٣ البيت لهما الرقاشي في البيان ٢ : ٣١٦ ، ٣ : ٣٠٢ ، ودون نسبة في التمثيل والمحاضرة : ٤٦٥ .

٤ البيت للقطامي ، ديوانه : ٣٥ والتمثيل والمحاضرة : ٦٧ .

٥ ورد غير منسوب في البيان ٣ : ١٨٧ .

أوردها سعدٌ وسعدٌ مُشتملٌ ما هكذا تورّدُ يا سعد الإبل^١

وشهد ابنُ العطار العاري من الثقة والأمانة ، البعيد من الرعية والصيانة ،
الناشر لأذنيه طمعاً ، الآكل بيديه جشعاً ، فكان القولُ ما قالت حدّام . ولم يقتصر
على أن ألحق بالشهود وهو واو عمرو فيهم ، ونون الجمع المضاف معهم ، دون أن يلحق
بخزيمة ذا الشهادتين^٢ ، وينوب منفرداً عن اثنين ، و

ليس على الله بمُستنكرٍ أن يجمع العالم في واحد^٣

وليتني مع من لا يحل قوله^٤ عليّ ، أعذر في شهادته إليّ ، ولم يقترن الحشف مع سوء
الكيلة^٥ ، وتستصف لي الغدّة إلى الموت في بيت سلوليّة^٦. خططنا خسف لم أر النجاء
منهما إلا أن ركبت الحولي الأشهب ، ورأيت خراسان مكان السوق أو هي أقرب^٧.
وكان المتولي سجني بعد شهر من إنفاذه ، له مجلس حضره فقهاء الحضرة . ومن أعلم
بسيماهم ، وجرى في غشيان الحكّام مجراهم ، فذكر له أنّه اتهمني بالمغيب على عهد المتوفى
مولاي - كان - نفع الله صداه وبلّ ثراه - وثبت عنده مع ذلك أنّي ممن تعلقه التهم ، ولا
ترتفع عنه الظنن ، فكلهم أفتى بالإعذار إلي ، فيما شهد به من ذلك عليّ ، ثم سجني

١ فصل المقال : ٣٤٧ والميداني ٢ : ٢١٤ والعسكري ١ : ٩٣ (أبو الفضل) .
٢ هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه الانصاري من الأوس ، يعرف بذّي الشهادتين ،
لأن الرسول (ص) جعل شهادته بشهادة رجلين (الاستيعاب : ٤٤٨) .
٣ لأبي نواس ، ديوانه ١ : ١٨٥ (تحقيق فاجنر) وخاص الخاص : ٨٨ والتمثيل والمحاضرة :
٨٠ ، ٤٣٤ ونهاية الأرب ٣٠ : ٨٠ ورواية الديوان « وليس لله » .

٤ س : قبوله .

٥ اشارة إلى المثل « أحشفأ وسوء كيلة » وقد مر ص : ٣٥٥ .

٦ اشارة إلى قول عامر بن الطفيل : « أغدة كذبة البعير وموت في بيت سلولية » .

٧ نثر قول عبد الله بن الزبير الأسدي :

تخير فاما أن تزور ابن ضابى عميراً وإما أن تزور المهلبا

هما خططنا كره نجاؤك منهما ركوبك حولاً من الثلج أشهباً

تاريخ الطبري ٢ : ٨٧٢ والشعر والشعراء : ٢٦٩ والأغاني ١٣ : ٤٣٢ وطبقات ابن
سلام : ١٧٦ (الطبعة الثانية) .

إن لم آت بمدفع ، أو أصدع من الحجة بمقنع ، فاحتاط واجتهد ، وتحرى واقتصد ،
 وصالحني من هذه الفتيا على النصف ، بتأخير الإعذار ، وتقديم السجن ، والصلح جائر
 بين المسلمين ، ثم أظهرت إليه عقداً كان المتوفي - قدس الله روحه ونور ضريحه -
 قد أشهد فيه أن لا مال له ، وأن جميع ما تحيط به الدار التي توفي بعيد هذا الإشهاد
 فيها إنما هو للغانية^١ التي في عصمته حاشا دقات يمينها ، ومحقرات عينها . ومعلوم أن
 من أشهد بهذا على نفسه ، وتقيّد إلى مثله من لفظه ، فمُحال أن يخلف عهداً ، أو يهلك
 عن وصية . وسألته الشورى فيما أثبتته من هذا العقد ، فلم يجني إلى ذلك . ولو لم تكن الشورى
 من أدب الله إذ يقول : ﴿ وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ (آل عمران :
 ١٥٩) لوجب أن يعلم أنها لقاح العقل ، ورائد الصواب ، وأن للمشاور إحدى الحسينين :
 صواباً يفوز بمحمدته ، أو خطأ يشارك في مذمته ، قال الشاعر :

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي عُدَّةٌ للقوادم^٢
 قد قرعت له العصا ، ونُبت على الذي دَعَوْتُهُ إليه ، لا يسوغ لي دفعه عنه ، ولا
 يجوز منعي منه ، فحيثنذ عكّلتني بمواعيد^٣

• كانت مواعيدُ عُرُقوبٍ لها مثلاً^٤ .

• إذا قطعنَ علماً بدا علكم .

وكان آخرها الذي نُسِخَ به ما قبله أن تُدرجَ الشورى إلى إبقاءِ الشورى للورثة ،
 فتَوَيْتُ أرقبُ هذا الحينَ وأرجو أن يحين ،

• كما يرجو أخو السنة الربيعا .

• كما في بطونِ الحاملاتِ رجاءُ^٥ .

فكنت وإياه سحابةً مُمحلٍ رجاها فلماً جاوزتهُ استهلتي^٥

١ س : للقامة .

٢ لِبشار بن برد ، ديوانه (جمع العلوي) : ٢٠٦ وانظر السمت : ٩٣٢ .

٣ صدر بيت لکعب بن زهير ؛ وعجزه « وما مواعيدُها إلا الأباطيل » .

٤ من قول المكعب الضبي (أو محرز بن المكعب) وصدره : وإني لأرجوكم على بطل
 سمعكم ؛ انظر الكامل ١ : ٨٠ ، ٨١ والحماسة ، شرح التبريزي (٤ : ١٥ - ١٦ ط . بولاق) .

٥ لكثير غزاة ، ديوانه : ١٠٣ وروايته « كأي وإياها » وانظر أما لي المرتضى ١ : ٤١٤
 ومجموعة المعاني : ١٤٢ .

وفي فصل منها :

ولم أقصَّ عليك يا سيدي ممّا اجتلبتهُ إلّا ما شهر شهرة الاسم ، وعُرف معرفة النسب ، و« ما يوم حلّمة بسرّ » . وكنت أول حبسي قد وضعتُ من السجن في موضع جرت العادة بوضع مستوري الناس وذوي الهيئات منهم فيه ، وفي الشر خيارٌ ، وبعضه أهون من بعض^١ . فمُنيت من مطالبة بعض مَنْ يَأتمر الناظرون في السجن له ويسمعون منه ، بما اقتضى نقلي إلى حيث الخناة المفسلون ، واللصوصُ المقيدون . وشكوت ذلك إلى الحاكم الحابس لي في اليوم الذي مضى ذكره بمشهد مَنْ تقدّم وصفه ، فانتفى من الرضى به ، وأظهر الامتناع مني ، وتقدّم إلى الموكل بالسجن في اختيار مجلس أباين فيه مَنْ لا تليق بي ملابسته ، وأنّيذُ عمن لا ترضى لي مجالسته . ثم لم ألبث أن أحضره مجلس نظره ، وأمر بتأديبه على امتثاله في ما أمره به ، وانتهائه إلى ما حدّ له . واستأنف العهد في التضييق عليّ ، ومنع من اعتاد صلتني من الوصول إليّ . فأصعدت إلى غرفة في السجن اقتنيت بها مع خصاصتها ، وأسلائي عن المصيبة بالكون فيها على مضاضتها ، انفرادي من لفيف الأخطا ، ومن ضمة السجن من السفلة والسقاط . فحين استوائني إليها عهد بحطّي إليهم وخططي بهم ووضعني بينهم ، فنقلت في نفسي ثلاث نُقل على أقبح النصب ، وأسوأ الرتب . ودخل إليّ ، في هذه الحال مَنْ أبلغني عن ابن أخي الحكم رسالة جامعة من السبّ الفاحش لفنون . مشتملة من الوعيد المرهب على ضروب ، فلو ذات سوارٍ لطمنتني ! !

وإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

فلم أستطع صبراً ، وعلمت أنّي قد أبليت عُذراً ، ولم يبق إلّا أن يعذرن لي ليذرك . وكاد ورأيت أنّ العاجز من لا يستبد ، فالمرء يعجز لا المحاة . ولم أستجز أن أكون ثالث الأدلّين : العير والوتد . وذكرت أن الفرار من الظلم والحرب ممّا لا يطاق من سنن المرسلين . قال الله عزّ وجلّ على لسان موسى عليه السلام ﴿ ففررت منكم لما خفتكم ﴾ (الشعراء : ٢١) . وقال الشاعر :

١ من قول أبي خراش الهذلي :

حمدت الهمي بعد عروة إذ نجما خراش وبعض الشر أهون من بعض

٢ إشارة إلى قول ليبيد « ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر » ، أي أنه أدى كل ما في طوقه ، ولم يبق إلّا أن ينجو فاراً من السجن .

لا عار لا عار في الفرار فقد فرّ نبي الهدى إلى الغار

ونظرت في مفارقة الوطن ، والبين عن الأحبة ، فتبين لي أن إبحاش نفسي ، بليناس أهلي ، وقطعها في صلة وطني ، غبن في الرأي ، وخور في العزم ، ووجدت الحرّ ينأى على الثكل ، ولا ينأى على الذل ، وأذنت إلى قولهم : ليس بينك وبين البلاد نسب فخيرها ما حملك .

• وإذا نبأ بك منزل فتحوّل ١ •

وقال بعض المحدثين :

أرى الناس أحلوةً فكوني حديثاً حسن
كأن لم يزل ما أتى وما قد قضى لم يكن
إذا وطنٌ رابني فكل مكانٍ وطنٌ

ولم أستغرب أن أسامَ مثلَ هذا الخسف في مسقط رأسي ، ومعنى تملائي ، وأوّل أرض مسّ تراها جلدي ، فقديماً ضاع المرءُ الفاضل في وطنه ، وكسدتُ العلق الغبيط في معدنه ؛ قال بعضهم :

أضيع في معشري وكم بلدي يُعدُّ عود الكباء من حطيه

فاستخرت الله عزّ وجلّ ، ووضح العذر ، ثابت قدم الحجّة ، عند من غصّ عين الهوى ، وخزن لسان التعسف . والله يُصيب غرض الصّواب برأيي ، ويقرب غاية النجاح على سعيي ، حسبما في علمه أني مظلوم مَبْغِي عليه ، منسوب ما لم آتِه إلَيّ ، فهو المؤمل بذلك والمرجو له .

ولعمرك يا سيّدي إنّ ساحة العُذر لتضيق عنك ، وما تكاد تتسع لك في إسلامك لتلمينك وابن جارك وشيخك الذي لم تزل مُتَوَفِّراً عليه ، آخذاً عنه ، مقتبساً منه ، مع إكثارك من ذكر هذا ، والاعتداد به ، وادعاء الحفظ له . وقد رَوَيْتَ أَنَّ حسن العهد

١ عجز بيت ؛ وصدره : « احذر محل السوء لا تحلل به » ، ينسب إلى عنبرة ، قال أبو الفرج الأغانى (٨ : ٢٣٤) : وهذا البيت لعنبرة صحيح لا يشك فيه .

من الإيمان ، وسمعت المثل : انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فالمرء كثير بأخيه ، وألا أقلّ
من استعمال الجحد ، واستغراق الجهد :

- فمبلغ نفس عذرها مثل منجج^١ .
- ولا لوم في أمري إذا بلغ العذر .

ولكن من لك بأخيك كله؟ وأين الشريك في المرأينا^٢؟ وبعد ما مرّ بي فالفضاء غالب ،
وما حمّ واقع ، ولا حدّر من قنبر ، وقد سبق السيف العدل^٣ ، وتقدّم
من فعلي ما جف به القلم ، وأنا الآن بحيث أمنت بعض الأمن ، إلا أن رزاً من وعيد سقط
إلي بأن السعي لم يرتفع ، وأن مادة البغي لم تنقطع ، وأن البصيرة مستحكمة في استرجاعي
من الأفق الذي أحلّ به ، والجنان الذي أحط فيه . وأكد ذلك في ظني ما كان أشار إليه
بعض من كنت آوي إلى الثقة بعهد ، وأبني على الوثاقّة من عقده ، من الفقهاء الموسومين
بالأثرة عند الحكم المذكور ، والمكانة منه ؛ وقد عاتبته على تأخره عن مفاطرتي ، وتقصيره
في مؤازرتي ، فاعتذر بأن ذلك لا سبيل إليه ، ولا منفذ للحيلة فيه ، إذ المحرّض علي
لا تتأني معارضته ، ولا يتهأ الاستبداد عليه ، وأنه وصفني بالبذاء ، وعابني بالتسلط
على الأعراض ، ووالله ما استعجزت هذا بعد أن هتك من سرتي ما هتك ، وانتهك من
حرماتي ما انتهك ، إذ كنت أقول معذوراً ، وأنفت مصدوراً ، فكيف قبل ذلك إذ لم يحدث
سبب . ولا عرض موجب ؟

• وما لي وهذا المُجتنى ثم ماليا .

و﴿ من كتب شهادتهم ويستلون ﴾ (الزخرف : ١٩) وليست هذه بذكر من النائم
التي دخل بها بين العصا ولحائها :

ولاني رأيت غواة الرجال لا يتركون أديماً صحيحاً

١ عجز بيت لعمرو بن الورد (ديوانه : ٤٠) وصدره : ليلغ عذراً أو يصيب رغبة .
٢ من قول الشاعر :

خير إخوانك المشارك في الضر وأين الشريك في الضر أيننا

وتنسب الأبيات لكثير في ترجمته من تاريخ ابن عساكر وفي الذهب المسبوك : ٣٣ ،
انظر ديوانه : ٤٩٢ ؛ وهي دون نسبة في الصداقة والصديق : ٩٢ وبهجة المجالس : ١ :
٧١٧ والعقد ٢ : ٣٠٨ .

٣ فصل المقال : ٦٧ والميداني ١ : ٢٢١ والفاخر : ٤٨ .

٤ البيت في الكامل ٢ : ٣٠٩ والحيوان ٥ : ١٨١ ولباب الآداب : ٢٤٠ وعيون
الاخبار ١ : ٣٩ ، وقال في الكامل إنه لم يبن أبي طالب أو إنه كان يكثر التمثل به .

وَمَنْ يَأْذُنْ إِلَى الْوَاشِينَ تَسْلُقُ^١ مَسَامِعُهُ بِالْسِنَةِ حِدَادٍ

ويا سيدي :

لو بغيرِ الماءِ حلقِي شَرِقُ^٢ كُنْتُ كَالْفَصَّانِ بِالماءِ اعتصاري^٣
ووالله ما توهمتُ أني أوتى مِمَّنْ زعم أني أتيت منه ، مع اتصالي به وانقطاعي إليه ، واتسامي
بالتأميل له والتعويل عليه ،

إن^٤ المعارف في أهل النّهى ذم^٥

ولكن :

إذا. كان غيرُ الله للمرءِ عُدَّةً أُنْتَه الرّزايا من وجوه الفوائد^٦

لقد كان من محاسن الشّيم ، وشروط المروءة والكرم ، أن يَهَبَ لي ما أنكر لما عرف ،
ويغفر ما أسخط لما أرضى ، ويدفع بالتي هي أحسن ، ويؤثر الذي هو أجمل وأرق ،
ويتوقّف عند ما نُص عليه من سعاية ، وزف إليه من وشاية ؛ فإن كان باطلاً أُلْغاه ، وفضح
المخبر المتقرّب به وأقصاه ، وإن كان حقّاً صبر صبر الحليم ، وأغضى لإغضاء الكريم
وقبل إنابة المعتب ، واقتصد في مؤاخذه المُنْذِب ، فقدّم التوقيف قبل التثييف ،
والتأنيب قبل التأديب ،

• فإنّ الرّفق بالخافي عتابٌ^٧ .

و • الحرّ يُلحى والعصا للعبدِ • .

ولست بمستيق أخاً لا تكلّمهُ على شعث أيّ الرّجال المهذب^٨؟

وهو يرى ويسمع أنّ بالخضرة قوماً لا يحصرهم العد ، تُحتمل سَقَطَاتهم ، وتُغتفر
هفواتهم ، وتقال عثراتهم :

١ البيت لمهدي بن زيد ، ديوانه : ٩٣ وهو مثل ، انظر فصل المقال : ٢٦٥ ، ٢٨٤ والخزانة ٤ : ٤٦٠ .

٢ عجز بيت المتنبي ، صدره : « وبيننا لو رعيتم ذلك معرفة » .

٣ البيت لأبي فراس الحمداني ، ديوانه : ٨٣ .

٤ عجز بيت المتنبي وصدره : ترفق أيها المولى عليهم .

• من أرجوزة لبشار ، ديوانه (جمع العلوي) : ٨٥ .

٦ ديوان النابغة الذبياني : ٧٨ .

وما شرُّ الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا^١
وما أعلم أنهم يدلون بوسيلة لا أشاركهم فيها ، ولا يمتنون بذريعة ينفردون دوني بها
هو الجدل حتى تفضل العين أختها وحتى يكون اليوم لليوم سيّداً^٢
فلأن كانت مسامحتهم لسابقة سلّكت فقد أحرزت منها الحظ الأعلى ، أو لكمال
أدب فقد ضربت فيه بالقدرح المعلن ، أو للطف تودّد فما قصرت في الاجتهاد ، غير أنني
حرّمت التوفيق

والأمر لله ، ربّ مجتهدٍ ما خاب إلا لأنه جاهد
فلأن كان ذنبني أن أحسن مطلبني أساء فقي سوء القضاء لي العذر^٣
والله لقد أظهرت مدحه ، وأضمرت نصحه ، وتمت على للصاغية له ، وجريت
ملء العنان إلى الاعتلاق به ، أسقيه السانغ من مياه ودي ، وأكسوه السانغ من برود حمدي ،
وأجنيه الغض من ثمرات شكري ، وأهدي إليه العطر من نفحات ذكري ، لا يفيدني
التحجب إليه إلا ضياعاً لديه ، ولا يزيدني التقرب منه إلا بعداً عنه :

كأنني أستلني به ابن حنينة إذا النزع أدناه من الصدر أبعدا^٤
والذي أحبه منك ، وأثق في المسارعة إليه بك ، لقاؤه مجارياً ذكري ، مفاوضاً في
أمري ، معلماً له بما لا يذهب عنه من أن الذي اخترته لنفسي غاية ما يسيء القرونّة ،
ويُسَاء المولى منه ، فالجلاء أخ القتل ، والغربة أحد السبّاءين ، قال الله تعالى : ﴿ ولو أننا
كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ﴾ (النساء : ٦٦) ، وقال الشاعر :

ومن يغترب عن داره لا < يزل > يرى مصارع مظلوم مجرّاً ومسحياً^٥

-
- ١ يدخل البيت في معلقة عمرو بن كلثوم ، انظر الزوزني : ٢٣٩ وفي رسالة الغفران :
 - ١٨٢ أن البيت لعمرو بن عدي ، وانظر الجزانة ٣ : ١٦٢ .
 - ٢ ديوان المتنبي : ٣٥٩ . ٣ ديوان أبي تمام ٤ : ٥٧١ .
 - ٤ لا بن الرومي ، ديوانه : ٧٧٠ .
 - ٥ البيتان للأعشى ، ديوانه : ٨٠ (برواية مختلفة) وانظر الأول منهما في الحماسة البصرية ٢ : ٦١ والثاني في معجم البكري (ككب) .

وتُدفن منه الصالحات وإن يُسيء^١ يكن ما أساء النار في رأس كبكبا
وقد هجرت الأرض التي هي ظفري ، والدار التي كانت مهدي ، وغبت عن أم^٢
أنا واحدها ، تمتد أنفاسها شوقاً إليّ ، > وتغض أجفانها حزناً عليّ < ١ ، والله يرى
بكاءها ، ويسمع لي على من ظلمني نداءها ، فلاستجابة مضمونة للمخلص والمظلوم ؛ وقد
حملتُ السمتين ، واستوجبت الصفتين ، ولتكن بغيتك التي تدخرها عليها كلمة تأمين ، وإشارة
إلى تأنيس وتسكين ، تراجعني بها فأظهر بحيث أنا آمنأ ، وألقي العصا مطمئناً ، فإن وجدت
عزَّ الشجرة فالعوان لا تُعلَّم^٣ الخيرة^٤ ، فإن أشبهت الليلة البارحة^٥ أعلمني بذلك ، فطلبتُ
الأمْن في مظانته ، وتقرّيت السلامة في موطنها ، وصبرتُ حتى يحكم الله لي وهو خير
الحاكمين ، ﴿ كلُّ يوم هو في شأن ﴾ (الرحمن : ٢٩) ، ومع اليوم غدٌ :
ولكلِّ حالٍ معقبٌ ولربما أجلى لك المكروه عما تحمّدُ
. ولك يا سيدي في انتدبك لما ندبتك إليه الفضل ، والأأيادي قروض^٦ ، والصنائع
ودائع ، « لا يذهب العُرف بين الله والناس »^٧ ، والتحية الطيبة والسلام المردّد على
سيدي .

وما يتعلقُ بذكر وفاة ذي الوزارتين ، رحمةُ الله عليه^٨

فصلٌ من تاريخ الشيخ أبي مروان ابن حبان ، رأيتُ إثباته لنبلِ
مساقه ، وحُسْنِ اتساقه ، يقول فيه :

- ١ زيادة عن نسخة دار الكتب .
- ٢ من المثل « العوان لا تعلم الحمرة » ، الميداني ١ : ١٣ والمسكري ٢ : ٣٨ (أبو
الفضل) واللسان (خمر) .
- ٣ من المثل « ما أشبه الليلة بالبارحة » ، فصل المقال ٢٢٧ : ٢ والميداني ٢ : ١٥٢ والمسكري
٢ : ٢٠٦ (٢ : ٢٤٧ أبو الفضل) والفاخر : ٢٥٤ .
- ٤ هنا تعود النسخة ب المشاركة مع س .
- ٥ عجز بيت للحطيئة وصدره : « من يفعل الخير لا يعدم جوازيه » .
- ٦ ليس من المقطوع به أن يكون هذا الفصل دخيلاً ، وإن كنت أرجح ذلك ، لأن طريقة
إثباته لا تشبه طريقة ابن بسام .

وفي يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة اثنين وستين وأربعمائة ، سار الحاجب سراج الدولة عباد بن محمد إلى إشبيلية - الحاضرة الأثيرة - لمطالعتها وتأنيس أهلها من وحشة خامرت عاينهم ، من أجل عدوان رجل منهم على يهودي جاء لامرجة السوق عندهم ، ماراه^١ في بعض الأمر ، فزعم أنه سب الشريعة ، فبطش به المسلم وسط السوق وجرحه وحرّك عليه العامة ، فقبض عليه صاحب المدينة عبد الله بن سلام واعتقله ، فكان لعامة الناس في إنكار حبسه كلام وإكثار خشى وباله ، فخطب السلطان بقرطبة <يعرفه> ما كان منه ويستأمره في شأنه ، فعجل إنفاذ ولده الحاجب سراج الدولة إلى إشبيلية في جيش كثيف من نخبة علمائه ووجوه رجاله ، لمشاركة القصة ، والاحتياط على العامة ، فعدوا معه وسط هذا اليوم ، وأنفذ معه ذا الوزارتين أبا الوليد ابن زيدون أحد الثلاثة كابري وزرائه المثناة وزارتهم ، عمّد دولته ، <ألزمه>^٢ النفوذ مع الحاجب على بقية وعك كان متألماً منه ، ولم يعذره في التوقف من أجله . فمضى لطيبته مسوقاً إلى منيته ، وخلف ولده أبا بكر القذّ الوزارة ، المرتسيم بالكتابة وراءه ، ساداً مكانه بالحضرة ، فأقر فيها أياماً ، ثم أمر بالمسير وراء والده لأمر كلفه ، أعجل بالانطلاق له ؛ فمضى بعينه غداة يوم السبت لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وستين بعدها . فخلت منهم منازلهم بقرطبة وصيرت إلى سواهم ، فتحدثت الناس بنبو مكان الأديب ابن زيدون لدى السلطان ، وأنّ استمساكه بعلي مرتبته ، بعد مختصه المعتضد بالله ، كان من المعتمد على الله رعاية لخصوصية ابنه

١ ب س : ما أراه .

٢ زيادة من نسخة دار الكتب .

به ، يَغْصُّ بِاستمرارها ثقتاهُ المختصَّانِ به ، الحظيانِ لديه ، المستهمانِ لخاصته : ابنُ مرتين وابنُ عمار ، إلى أن عملا في إبعاده وإبعاد ابنه الرقيب بعده ، فأمضي خلفه ، فعندها استساغا غُصَّته ، واستهما مكانه ، واحتويا على خاصَّةِ السلطانِ وتدبير دولته ؛ ولكلِّ دولةٍ رجال ، ولكلِّ مُكتفٍ أبدال .

ولم يطلُ الأمدُ بابنِ زيدون — رحمه الله — بعد لحاقِ ابنه به ، ووجدانه إياه مُتزايداً في مرضه ، نازحاً عن أَلَّافه ، على جهده في استدعائها على انتهاء المدَّةِ ، وانتهاكِ القوَّةِ ؛ فاستقرَّ به وجعه إلى أن قضى نحبَه ، وهلك بدار هجرته إشبيلية صدرَ رجبِ سنة ثلاثٍ وستين ، فدفن بها مشهوداً مفتقداً ، واحتوى تربها عليه ، فإِ بعد ما بين قبره وقبرِ ابيه لدينا ، رحمةُ الله عليهما ؛ فقد تولى من أبي الوليد كهلاً لن يخلف الدهرُ مثله جمالاً وبياناً وبراعةً ولساناً وظرفاً ، وحُلُولاً من مراتبِ البلاغةِ — نظماً ونثراً — بمِرقبةٍ لم يُخلفْ لها بعده عاطياً ، بقرانه بين الكلامين ، وبراعته في الفنين ، إلا أن يكونَ عند أُولي التحقيقِ والتحصيلِ في النظمِ أمدٌ طَلَقاً ، وأحثُّ عَنَقاً ، فلا يلحقه فيه تقصيرٌ ولا يخشى رهقاً ، أشهاده في الفنينِ عدولٌ مقانِحُ حضور عند أهل المعرفة .

لقد اتَّصلَ خبرُ هَلِكِهِ بعشيرتهِ أهلِ قرطبة فتناعوهُ ، وسيثوا لفقده ، وحزنوا عليه ، إذ كان منهم ، متعصباً لهم ، هاوياً إليهم ، حادباً عليهم ، وليجة خبيرٍ بينهم وبين سلطانهم الحديث الولاية ، فصار مصابه لديهم كفاء ما اجتثَّ فيه من تأميلهم ، والبقاء لمن تفرَّدَ به وحده ، لا ربَّ غيره . ولا جرم أن عزى الله إخوانه عنه بامتداد بقاء فتاهُ التدبِ أبى بكرٍ ولده ، ساداً ثلَّمه ، سامياً مسماهُ ، غائظاً عداه ، عاطياً منتهاه ، بأنواطِ صدقٍ ، يجذبِنَ إلى العلاء بضبعه ، من شماخةٍ ودماثةٍ وحصافةٍ ونزاهةٍ ومعرفةٍ ، ووفورِ حظٍ من أدبِ بلاغةٍ وكتابةٍ ، وشركةٍ في التعاليمِ المعليةِ ، واشتداد

في رعاية متقدم الذمة ، لم يفقد إخوانُ أبيه معها إلا عينه : خلالُ حرّكن حاله عما قليل بعد أبيه عند سلطانه قسطاسِ السياسة ، فاستبصر في إحضاره ، وأدناه من اجتباؤه ^١ ، ورقاه في مراتب والده ، منقللاً له في درجاتها ، راضياً بلاءه فيما ناط به منها ، حتى فرع ذروتها عما قليل ، فأحظاهُ بالوزارة ووزّره بحضرته الأثيرة إشبيلية ، وجمع له أعظمَ خططها العلية ، معاطن التنافس من قوَّامِ المملكة : خطة ولاية المدينة مجموعة إلى خطة ولاية السكة — بكل استقل ، وعلى كل استظهر ، فكفى وعدل ، فاغبط به السلطان ، وواتاه الزمان ، والله يؤتي فضله من يشاء ، له الفضل والامتنان .

وفي فصل ٢ : وكان أبو الوليد ممّن أنشأته دولة الجهاورة ، واصطفته اصطفاء الفرس للأساورة ، اختصّ بأبي الوليد اختصاص القُرْح ^٣ بالنور ، وارتبط بهم ارتباط الإفاضة بالقوْر ^٤ . وأبو الحزم ابن جمهور إذ ذاك رأس الجماعة ، وأصل تلك الإمرة المطاعة ، من رجل أدهى من فقيد عُمان ^٥ ، وأجرأ من ليث خفّان ^٦ ، وأدهى من عمرو بن الجحّان ^٧ .

١ س : أحبائه .

٢ من الواضح أن هذا الفصل اختلط بالنقل من القلائد ، ويتكرار شعر مر من قبل ، كما أن استئناف الحديث عن علاقة ابن زيدون بالجهاورة بعد أن أشبع المؤلف القول فيه ، يدل على أن هذا الفصل دخيل على الذخيرة .

٣ القرح : البياض .

٤ ارتباط الافاضة بالقور : أي حين يفيض الناس في الحج من عرفات إلى منى ، يندفعون بكثرة ، والافاضة سرعة الركض .

٥ هو قيس بن زهير الذي كان يضرب به المثل في الدهاء ، وقد جاءته منيته في عمان (انظر الدرة الفاخرة : ٢٠١) .

٦ من قول ليل الأخيلية :

فقي كان أحيا من فتاة حيية وأجرأ من ليث بخفان خسادر
وانظر الدرة الفاخرة : ١١٦ .

٧ لم أهتم لمعرفته ، وفي تكرير « أدهى » ما يستوقف النظر .

وكان ابن زيدون متصلاً بابنه أبي الوليد أطول حقبة ، اتصال أبي زيد بالوليد بن عَقْبَة ^١ « وبينهما تألفٌ أحرمًا بكعبته وطافا ، وسقياه من تصافيهما نطافا ، وابن زيدون يعتدُّ ذلك حساماً مسلولاً » ، ويرى أنه يردُّ به صعب الخطوب ذلولاً ، إلى أن طُلب عند أبيه أبي الحزم وتوسَّل ، فاستدفع به تلك الأسِنَّة المُشرعة والأسل ، فما ثنى إليه عنان عطفه ، ولا كفَّ عنه سنان صرفه ^٢ « مع استعطافه له بكلِّ مقال يحلُّ سخائم الأحقاد ، واستاطافه إياه بما يردُّ الصَّعب سَكِّيسَ القياد ؛ فمن بديع ذلك وأحسنه قوله ^٣ :

إيه أبا الحزم اهتبل غيرةً ألسنة الشكر عليها فصاح
لا طار لي حظَّ إلى غايصة إن لم أكن منك مريش الجناح
عتباك بعد العتب أمنيّةً مالي على الدهر سواها اقتراح
لم يشني عن أملٍ ما جرى قد يرفعُ الخرق وتوسى الجراح
فاشحن بحسن الرأي عزمي يرعُ منه العدا بكلِّ شاكي السلاح
واشفعُ للشافع نعمسى بما تُسرُّ من عقدٍ وثيق النواح
إن سحاب الأقتر منها الحيا والحمدُ في تأليفها للرياح

وكان القاضي أبو بكر ابن ذكوان ^٤ ، أجلَّ من اشتمل عليه أوان ، مَجْدُلاً وشرفاً ، وتفنناً في العلم وتصرفاً ، مع دعابة حين خلواته نحل حُبِّي المُحتبي ، ورقاعة عند نشواته كالتنوخى والمُهَلَّبِي ^٥ ، فإذا أصبحوا بكرَّ أبو بكرٍ إلى مُصادرة ما يتجه عليه الحكم ومواجهته ، وأنكر ما كان عليه من فكاهته ، فكأتما في بُرْدِيهِ الأناج ، وكأته وقاراً يذبل ^٦ أو شَمَام ، مع عدله في قضائه ، وإنفاذ الحكم بمقتضى الحقِّ وإمضائه . حتى إذا راح

١ عن أبي زيد الطائي ومنادته للوليد بن عقبة انظر الشعر والشعراء : ٢١٩ والهاشية .

٢ ما بين أقواس صغيرة موجود نصاً في قلائد العقيان : ٧١ .

٣ قد وردت هذه الأبيات فيما تقدم : ٣٨٣ ولم يكن يابن بسام حاجة لا عادتاً .

٤ انظر ما تقدم ص : ٣٩١ الهاشية : ٣ .

٥ إشارة إلى ما قاله العماليبي في اليتيمة ٢ : ٣٣٦ عن القضاة ندماء المهلبى « ويحتممون عنده في الاسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة » يفمسون لحاهم في الشراب القطربلي ويرشون به بعضهم بعضاً ، فإذا أصبحوا عادوا لمادتهم في التزمت والتوقر .

٦ في ب س : وقار يدخل ، وصوبته بما يناسب المعنى .

الرَّواحِ عادوا إلى القصف ، وتجاوزوا في ميدانهم كلَّ وصف . إلى أن اختلس أبو بكر منهما ، وتقلَّص ذيلُ مؤانسته عنهما ، فاعتاضا عنه بسواه ، وأفاضا فيما كانا فيه وما تعدَّياه .

واتفق أن مرَّ يوماً بقبره في لُمة من أخوانه ، وجماعة من عُمّار ميدانه . فعطفوا عليه مسلمين ووقفوا عليه متألِّمين ، فقال أبو الوليد^١ :

ما أقيح الدنيا خلافَ مودّع	غنيتُ به في حسنِها تختالُ
يا قبره العطر الثرى لا يبعدنُ	حلُّوْ من الفتيان فيك حلال
ما أنت إلا الجفن أصبح طيِّبه	نصلُّ عليه من الشباب صقال
يا من شأى الأمثال منه واحد	ضربت به في السؤدد الأمثال
نقصت حياتك حين فضلك كامل	هلاً استضاف إلى الكمال كمال
زرناك لم تأذن كأنك غافلُ	ما كان منك لواجب إغفال
أين الحفاوة روضها غض الجنى	أين الطلاقة ماؤها سلسال
هيهات لا عهد كعهلك عائدُ	إذ أنت في وجه الزمان جمال
فاذهب ذهاب البرء أعقبه الضنى	والأمن وافت بعده الأوجال
حيّاً الحيا مثواك وامتدت على	ضاحي ثراك من النعيم ظلال
وإذا النسيم اعتلَّ فاعتامت به	ساحاتك الغدوات والآصال
ولئن أذاك بعد طول صيانةٍ	قدرُ فكل مصونةٍ ستدال

وله ٢ :

على دارة الشَّرقي ^٣ مني تحيةٌ	زكتُ وعلى وداي العقيق سلامُ
ولا زال روض ^٤ بالرصافة ضاحك	بأرجائها يبكي عليه غمام
معاهدُ هوى لم تزل في ظلالِها	تدار علينا للسرور مدام
زمانَ رياض العيش خُضِرَ نواعم	تَرَفُّ وأمواهُ النعيم جمام
فإن بان مني عهدُها فبلوعةٍ	يشبُّ لها بين الضلوع ضرام

١ قد مر بعض هذه القصيدة ص : ٣٩٢ . ٢ ديوان ابن زيدون : ١٥٢ .
٣ الديوان : الثغب الشرقي . ٤ الديوان : نور .

ومن اجلها أدعو لقرطبة المنى
فما لحقت تلك الليالي ملامه^١
بسُقيا ضعيف الطلّ وهو رهام^٢
ولا ذمّ من ذاك الحبيب ذمام^٣

وله ٢ :

خليلي لا فطر يسر ولا أضحي
لئن شاقني شرق العقاب فلم أزل
وما انقل جوفي الرصافة مشعري
ويحتاج قصرُ الفارسي صباية^٤
وليس ذميماً عهدُ مجلس ناصح
كأنني لم أشهد لدى عين شهدة^٥
وقائع جانيها التجني فإن مشى
وأيام وصل بالعقيق اقتضيتها
معاهد لذات وأوطان صبوة^٦
ألا هل إلى الزهراء أوبة نازح
مقاصر ملك أشرفت جنباتها
محل ارتياح يذكرو الخلد طيبه
هناك الجمام الزرق تندى حفافها
تعوّضت من شدو القيان خيالها
ومن حملي الكأس المفدى مديبرها

وله يرثي^٦ :

- ١ ب س : حمام .
٢ الديوان : ١٥٨ وانظر القلائد : ٧٢ ، ويلاحظ متابعة الرواية كما جاءت في القلائد .
٣ الديوان : بمحوض . ٤ الديوان : ذكرى .
٥ ب س : الفلحا .
٦ الديوان : ٥٦٤ وقد تكررت أبيات منها في هذه الترجمة ، وكان من الممكن الاختصار على ذكرها في موضع واحد ، ومن الملاحظ أنها متابعة للقلائد في الأبيات المختارة منها .

أَعْبَادُ يا أوفى الملوك لقد عدا
فهلاًّ عداه أنّ عليك حليه
أأنفس نفس في الورى أقصد الردى
فهل علم الشلو المقدس أنني
وأن متاتي لم يضعه محمد
وأرغم في بري أنوف عصابة
إذا ما استوى في الدست عاقد حيوه

عليك زمان من سجيته الغدر
وذكراك في أردان أيتامه عطر
وأخطر علق للهدى أفقد الدهر
مسوخ حال ضل في كنهها الفكر
خليفتك العدل الرضا وابنك البر
لقاؤهم جهن ومنظرهم شذر
وقام سباطاً حفله فلي الصدر

ومما أغفل ابن بسام^١ من نسيب أبي الوليد الصحيح الأقسام ، النازح عن الأطماع
والأوهام ، المصدق قول الجعفرية فيما ينص من الإلهام ، قوله^٢ :

لئن قهر^٣ اليأس فك الأمل
وناجاك بالإفك في الحسود
وراقك سحر العدا المفترى
وأقبلتهم في وجه القبول
فإن ذمام الهوى لن أزال
فديتك إن تعجلي بالوفاء^٥
علام أطبتك دواعي القيل
ألم أوثر الصبر كيما أخف
ألم أرض منك بغير الرضى
ألم أغتفر موبقات الذنوب
وما ساء ظنني في أن يسيء
على حين أصبحت حسب الضمير
وصانك مني وفي أبي
سعت لتكدير عهد صفا

وحال تجتيك دون الحيل
فأعطيته جهرة ما سأل
وغرك زورهم المفتعل
وقابلهم بشرك المقتبل
أبقيته حفظاً كما لم أزل
فقد يهب الريث بعض العجل
وفيم نهك نواهي العذل
ألم أكثر الحجر كيلا أمل
وأبدي السرور بما لم أنل
ب عمداً أتيت بها أم زلل
بي الفعل حسنك حتى فعل
ولم تبغ منك الأمانى بدل
لعلق العلاقة أن يبتدل
وحاولت نقص وداد كمل

١ هذا القول صريح بأن هذا الفصل ليس من صنع ابن بسام .

٢ الديوان : ١٨٧ . ٣ الديوان : قصر .

٤ ب س : أبليه حفظك . ٥ الديوان : بالحقا .

فما عوفيت مِقَّتِي من أذى
ومهما هزرتُ إليك العنا
كأنتك ناظرتِ أهل الكلام
ولو شئتِ راجعتِ حُرَّ الفعال
فلم يكُ حَقَّتِي منك الأَخْسُ
عليك السلام سلام الوداع
وما باختيارِي تسَلَّيتِ عنك
ولم يدِرِ قلبي كيف النَّزْوِع
وليت الذي قاد عَفْواً إِلَيْكَ
يُحِيلَ عَذوبَةً ذَاكَ اللَّمَسِ

وقوله أيضاً ٣ :

فدبتُك ليس لي قلبٌ فأسلو
فإنَّ يكنِ الهوى داءً مُمِيتاً
أُسِرُّ عليك عتياً ليس يبقَى
وما ردِّي على الواشين إلاَّ

وقوله ٤ :

أنتى أَضْبَعُ عَهْدَكَ
وقد رأيتُك الأمانِي
يا ليت ما لكِ عِنْدِي
وطالَ ليلُكِ بَعْدِي
سَلِّي حَيَاتِي أَهْبِئْهَا
الدَّهْرَ عِبْدِي لَمَّا
أَمْ كَيْفَ أَخْلَفُ وَعْدَكَ ؟
رَضَى فَلَـم تَتَّعِدْكَ
مِنَ الْهُوَى لِي عِنْدَكَ
كَطُولَ لَيْلِي بَعْدَكَ
فَلَسْتُ أَمْلِكُ رَدَّكَ
أَصْبَحْتُ فِي الْحَبِّ عَبْدَكَ

١ ب س : صروف . ٢ ب س : عهد .
٣ الديوان : ١٧٨ ، والبيتان الأولان لم يردا في أصل الديوان .
٤ الديوان : ١٦٥ .

ولأبي بكر بن عمار يخاطب أبا الوليد ابن زيدون ، رحمهما الله :

كيفَ اعتزّزت على الدليل	وقطعت أسباب الوصول ؟
وقلتني وزعت أن	الذنبَ منا للقتيل
وعليك جاهدت العدا	وليك ملت عن العذول
يا قاتلي ودمي بصف	حة خذته أهدي دليل
ما ألتى الفعلَ الحمي	لَ بذلك الوجه الجميل
أبرزت في خلقِ الكَرِي	مِ وراءه خلقُ البَخِيل
ودعوتني حتى أجبت	نكَّ ثمَّ حدث عن السَّيْل
جدُّ بالقليل فإنَّ نفد	سيَّ منك تقنع بالقليل
واذكرْ على زمنٍ قطع	ناه بصافية شمول
إذ نسحبُ الأذيالَ ما	بينَ الخليجِ إلى النخيل
ونحلُّ من سيفِ الغدي	رِ بقبةِ الظِّلِّ الظَّليل
والروضُ ممطرٌ تنمُّ	عليه أنفاسُ القبول
والشمسُ ترمقنا خلا	ل الغيمِ عن طرفِ كليل
إبانَ يحدو الرعدُ من	ورقِ السحابِ كالحمول
ويَهزُّ كفُّ البرقِ في ال	آفاقِ مرهفةَ النصول
زمنٌ ستيكه الحما	مُ معي وتذهلُ عن هديل
يا برقُ أدِّ رسالي	تفديك نفسي من رسول
عرجٍ بشلبٍ مُحَيِّباً	ما شئتَ من تلك الطَّلول
والمعُ على شرفاتِ حم	صَ قرارةِ الشرفِ الأثيل
فإذا اجتلاك أبو الولي	دِ بناظرَ اليقظِ النبيل
فاقرأهُ من قلبي سَلا	مأَ يقتضي حسنَ القَبول
يا غرَّةَ الزمنِ البهي	مِ وعزَّةَ الأدبِ الدليل
ومُحكِّمَ القلمِ القصي	رِ على شبا الرمحِ الطويل

١ شلب (Silves) بلد بالبرتغال في الولاية المعروفة باسم الغرب (Algarve) انظر
الروض ، الترجمة الفرنسية : ١٢٩ .

أَعْلِمْتَ أَنْتِي خَادِمٌ
 لَمْ أَسْتَحِلْ عَمَّا عَهْدُ
 أَشْفِيعُ عَنَائِكَ الْجَلِيلِ
 وَلَنْ أَجِبَ لِرَاغِبٍ
 فَلَكُمْ أَتَيْتَ بِمَثَلِهَا
 يَا أَنْسَ بَدْرٍ فِي الظَّلَا
 ذَكَرَاكَ بِالشُّكْرِ الْجَزِيلِ
 تَ مَعَ الزَّمَانِ الْمُسْتَحِيلِ
 لَمَّا لِي لَدَى الْمَلِكِ الْجَلِيلِ
 وَأَقْلَتَ عَثْرَةَ مُسْتَقِيلِ
 وَهِيَ الصَّنِيعَةُ فِي مَثِيلِ
 مِ وَبَرَدَ ظِلٌّ فِي الْمَقِيلِ
 وَلَهُ يَتَغَزَّلُ فِي وَلَادَةٍ ٢ :

يَا نَازِحًا وَضَمِيرُ الْقَلْبِ مَثْوَاهُ
 أَلْهَيْتَكَ عَنْهُ فَكَاهَاتُ تَلَدُّ بِهَا
 عَلَّ النَّبَالِي تُبْقِيَنِي إِلَى أَجَلٍ
 وَلَهُ يَتَشَوَّقُ إِلَيْهَا ٣ :

غَرِيبٌ بِأَقْصَى الشَّرْقِ يَشْكُرُ لِلصَّبَا
 وَمَا ضَرَّ أَنْفَاسَ الصَّبَا فِي احْتِمَالِهَا
 وَلَهُ ٥ :

أَبُوحَشْنِي الزَّمَانُ وَأَنْتِ أَنْسِي
 وَأَغْرَسَ فِي مَحَبَّتِكَ الْأَمَانِي
 لَقَدْ جَازَيْتَ هَجْرًا ٦ عَنْ وَفَاءِ
 وَلَوْ أَنَّ الزَّمَانَ أَطَاعَ حَكْمِي
 وَيُظْلَمُ لِي النَّهَارُ وَأَنْتِ شَمْسِي ؟
 فَأَجْنِي الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِ غَرْمِي ؟
 وَبَعْتَ مَوَدَّتِي ظُلْمًا بِيخْسِ
 فَدَيْتَكَ مِنْ مَكَارِهِهِ بِنَفْسِي

- ١ س ب : بدري .
 ٢ هذا التعميم بأن هذه الأبيات غزل في ولادة مطابق لما في القلائد : ٧٣ وانظر الديوان :
 ١٤٨ فانها لم ترد في أصول الديوان ، وإنما زيدت فيه من المصادر ، وانظر المغرب
 ١ : ٦٥ .
 ٣ القلائد : ٧٥ والديوان : ١٥٣ . ٤ الديوان : هوى .
 ٥ القلائد : ٧٧ والديوان : ١٨٥ . ٦ الديوان والقلائد : غدرأ .

وله ١ :

ولقد شكوتك > بالضمير إلى < الهوى ودعوتُ من حنق عليك فأمنا
منيتُ نفسي من هواك بضلة ٢ ولقد تغرُّ المرء بارقةُ المنى
« وله يتغزل ، ويعاتب من يستعطف ويستترل » ٣ :

يا مستخناً بعاشقيه ومستغشاً لناصحيه
ومن أطاع الوشاة فينا حتى أطعنا السلو فيهِ
الحمدُ لله إذ أراني تكذيبَ ما كنت تدّعيهِ

وكتب عن المعتضد إلى صهره الموفق أبي الجيـش بن مجاهد ٤ :

عرفتُ عَرَفَ الصَّبَا إذ هَبَّ عاطرُهُ من أفق مَنْ أنا في قلبي أشاطيرُهُ
أراد تجديده ذكراه على شحط وما تيقنَ أنني الدهرَ ذاكره
نأى الزار بهِ والدارُ دانيّةُ يا حبذا القالُ لو صحت زواجه
خِلِّي أبا الجيـش هل يُقضى اللقاء لنا فيشتفي منك قلبُ أنت هاجره ؟

١ القلائد : ٧٨ والديوان : ١٩١ .

٢ الديوان : وفائك ضلة ؛ القلائد : صفائك ضلة .

٣ هذه العبارة وردت نصاً في القلائد وبمعناها الأبيات : ٧٧ ؛ وانظر الديوان : ١٩٠ .

٤ انظر القلائد : ٧٨ والديوان : ٢٣٦ ، وهي مقطوعة لم ترد في أصول الديوان ،
وإنما وردت بذيله منسوبة إلى المعتضد ، وقد نسبها صاحب القلائد إلى ابن زيدون ،
أما ابن بسام فسيوردها للمعتضد في القسم الثاني .

بعض خبر ولادة^١

قال ابن بسام : وأمّا ولادةُ التي ذكرها أبو الوليد بن زيلون في شعره فإنها بنتُ محمد بن عبد الرَّحمن النَّاصري . وكانت في نساء أهل زمانها ، واحدةً أقرانها^٢ ، حضوراً شاهد ، وحرارةً أوابد ، وحسنَ منظرٍ ومخير ، وحلاوةً موردٍ ومصدر . وكان مجلسُها بقرطبة منتدًى لأحرارِ المصر ، وفناؤها ملعباً لحياد النظم والنثر ، يعيشو أهلُ الأدب إلى ضوءِ غُرَّتِها ، ويتهالك أفراد الشعراء والكتّاب على حلاوة عَشْرَتِها ، إلى سهولة حجابها ، وكثرةٍ متتابها ؛ تَخْلُطُ^٣ ذلك بعُلُوِّ نصاب ، وكرم أنساب^٤ ، وطهارةِ أثواب . على أنها - سمحَ الله لها ، وتغمد زللها - اطرحت التحصيلَ ، وأوجدت إلى القول فيها السبيلَ ، بقلّةٍ مُبالآتها ، ومجاهرتِها بلذآتها . كتبت - زعموا - على أحد عاتقي ثوبها :

أنا والله أصلحُ للمعالي وأمشي مشيتي وأتبعُ تبيها

وكتبتُ على الآخر :

١ أهم المصادر عن ولادة - إلى جانب الذخيرة - هي الصلة : ٦٥٧ (وعنها نقل الضبي في البنية رقم : ١٥٩٥) وما أورده الحجاري في المسهب وعنه نقله صاحب المغرب (وترجمة ولادة فيه قد ضاعت) ، فأما ما جاء من نتف في القلائد فأكثره تخيل أو تخليط ؛ وعن هذه المصادر الأربعة نقلت المادة المتوفرة في المطرب : ٧ وتمام المعون والواني للصفدي ، والفوات (عن الواني) ٤ : ٢٥١ والزركشي (عنهما) : ٣٤١ وشرح الميون : ٢٢ ونزهة الجلساء : ١٠١ ونفح الطيب : ٤ : ٢٠٥ وقد ورد العنوان هذا بهامش ط .

٢ ب س : أوانها .

٣ ط : تختلط .

٤ ط : انتساب .

وَأَمَكْنُ عَاشِقِي مِنْ صَحْنِ خَدَيَّ وَأَعْطِي قَبْلِي مِنْ يَشْتَهِيهَا
هكذا وجدت هذا الخبر ، وأبرأ إلى الله من عهدة ناقله ، وإلى الأدب
من غلط النقل إن كان وقع فيه .

ولها مع أبي الوليد بن زيدون أخبارٌ طوالٌ وقِصارٌ ، يفوت إحصاؤها
ويشق استقصاؤها .

قال أبو الوليد^١ : كُنْتُ فِي أَيَّامِ الشَّبَابِ ، وَغَمْرَةِ التَّصَابِ ، هَائِماً
بِغَادَةِ ، تُدْعَى وَلَا أَدَى ، فَلَمَّا قُدِّرَ اللَّقَاءُ ، وَسَاعَدَ الْقَضَاءُ ، كَتَبْتُ إِلَيْ :
تَرْقُبْ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ زِيَارَتِي فَلَنِي رَأَيْتُ اللَّيْلَ أَكْتَمَ لِلسَّرِّ
وَبِيْ مِنْكَ مَا لَوْ كَانَ بِالْبَدْرِ مَا بَسَدَا وَبِاللَّيْلِ مَا أَدَجَى وَبِالنَّجْمِ لَمْ يَسِرْ
فَلَمَّا طَوَى النَّهَارُ كَافُورَهُ ، وَنَشَرَ اللَّيْلُ عَنَبَهُ^٢ ، أَقْبَلْتُ بِقَدْرِ كَالْقَضِيبِ ،
وَرَدَفِ كَالْكُثِيبِ ، وَقَدْ أَطْبَقَتْ نَرْجِسَ الْمُقْلِ ، عَلَى وَرْدِ الْحَجَلِ ، فَمَلْنَا
إِلَى رَوْضٍ مُدْبَجٍ ، وَظَلَّ سَجَسَجٌ ، قَدْ قَامَتْ رَايَاتُ أَشْجَارِهِ ، وَفَاضَتْ
سَلَاسِلُ أَنْهَارِهِ ، وَدُرُّ الْطَلِّ مَنثورٌ ، وَجِيبُ الرَّاحِ مَزْرُورٌ ، فَلَمَّا شَبِينَا
نَارَهَا ، وَأَدْرَكَتْ فِينَا ثَارَهَا ، بَاحَ كُلُّ مَنَّا بِحَبَّةٍ ، وَشَكَا أَلِيمَ مَا بِقَلْبِهِ ،
وَبَتْنَا بَلِيلَةَ نَجْمِي أَقْحَوَانَ الثَّغُورِ ، وَنَقَطِيفُ رَمَّانُ الصَّدُورِ . فَلَمَّا انْفَصَلْتُ
عَنْهَا صَبَاحاً ، أَنْشَدْتُهَا ارْتِياحاً^٣ :

١ هذا النص يستوقف النظر ، أولاً لأنه على لسان ابن زيدون ، وثانياً لأنه مصوغ في
قالب «مقامة» وأسلوبه لا يشبه أسلوب ابن زيدون أو ابن بسام ؛ ومن الغريب أنه
ثابت في ط وهي أكثر النسخ اقتصاداً .

٢ ط : عيره .

٣ ديوان ابن زيدون : ٣٧٧ ، وتنسب الأبيات في بعض المراجع لولادة .

ودَّعَ الصَّبْرَ حُبُّ ودَّعَكَ ذائعٌ من سره ما استودعَكَ
 يقرعُ السنَّ على أنْ لم يكنْ زاد في تلك الخطى إذ شيعَكَ
 يا أخا البدرِ سناءً وسنناً حفظَ الله زماناً أطلعَكَ
 إن يطُلْ بعدَكَ ليلى فلكم بيتٌ أشكو قِصرَ الليلِ معَكَ

قال أبو الوليد : وكانت عتبةٌ قد غتننا ١ :

أحبَّتْنا إني بلغتُ مؤملي وساعدني دهري وواصلني حبي
 وجاءَ يهنيني البشيرُ بقُرْبِهِ فأعطيتُهُ نفسي وزدتُ له قلبي
 فسألْتُها الإعادة ، بغيرِ أمرٍ ولأدَّة ، فخبأ منها برقُ التَّسَمِّ ،
 وبدا عارضُ التَّجْهِمِ ، وعابتْ عتبةً ، فقلتُ ٢ :

وما ضربتُ عتبي للذنبِ أنتُ به ولكنما ولأدَّةٌ تشتهي ضَرْبي
 فقامتُ تَجْرُ الذِّلَّ عائرةً به وتمسحُ طل الدمعِ بالغنمِ الرُّطْبِ
 فبتنا على العتابِ ، في غيرِ اصطحابِ ، ودمُ المُدَامِ مَسْفُوكِ ،
 ومأخِذُ اللّهُوِ مَتْرُوكِ . فلمَّا قامت خطباءُ الأطيارِ ، على منابرِ الأشجارِ ،
 وأنِفَت من الاعترافِ ، وباكرتُ إلى الانصرافِ ، وشَتَّ بِمَسكِ الأنفاسِ ،
 على كافورِ الأطراسِ ٣ :

لو كنتَ تُنصفُ في الهوى ما بيننا لم تهوَ جاريتي ولم تتمخِـرِ

١ أتيتهما ناشر ديوانه : ١٢٠ على أنهما من شعره ، وليس ثمة ما يؤكد ذلك .

٢ ديوانه : ١٧٥ ، وليس من أصل الديوان .

٣ تمام المتون : ١١ وأنيس الجلاء : ١٠٢ .

وتركت غصناً مُشيراً بجماله وجنحت للغصن الذي لم يشمر
[ولقد علمت بأنني بدر السما لكن دهمت لشقوتي بالمشتري]

وأما ذكاء خاطيرها ، وحرارة^١ نوادرها ، فأية من آيات فاطرها :
مرت^٢ بالوزير أبي عامر ابن عبدوس - المتقدم الذكر - وكان بقرطبة
أحد أعيان المصّر ، وبعض من هذى باسمها ، وتصرف على حكميها ،
وأمام داره بركة دائمة تتولد عن كثرة الأمطار ، وربما استمدت بشيء
مما هنالك من الأقدار ، وقد نشر أبو عامر كميته ، ونظر في عطفيه ،
وحشر أعوانه إليه ، فقالت له : أبا عامر :

أنت الخصب وهذه مصر فتدققاً فكلكما بحر
فركته لا يحير حرفاً ، ولا يرد طرفاً .

وطال عمرها وعمر أبي عامر حتى أربيا على الثمانين ، وهو لا يدع
مواصلتها ، ولا يغفل مراسلتها . وتحيف هذا الدهر المستطيل حال ولادة ،
فكان يحمل كملها ، ويرقع ظلها ، على جذب واديه ، وجمود روائحه
وغواديه ، أثراً جميلاً أبقاء ، وطلقاً من الظرف جرى إليه حتى استوفاه .

وكانت - زعموا - تقرض أبياتاً من الشعر ، وقد قرأت أشياء منه في
بعض التعلّيق ، أضربت عن ذكره ، وطويته بأسره ، لأن أكثره هجاء^٣
وليس له عندي إعادة ولا إبداء ، ولا من كتابي < في > أرض ولا سماء .

١ ط : وكثرة :

٢ سرح العميون : ٢٣ - ٢٤ والفوات والنفع وأنيس الجلساء .

٣ أثبتت المصادر نماذج من هذا الهجاء .

ونشير هاهنا أيضاً إلى شيء من أخبار أبيها المستكفي مدّاً لأطناب الآداب ،
ووفاءً بشرط الكتاب .

التعريف بمحمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصري والد ولادة^١

قال أبو حيان^٢ : بويح محمد بن عبد الرحمن الناصري ، يوم قُتِلَ
عبدُ الرحمن المستظهر يوم السبت ثلاث خلونَ من ذي القعدة سنة أربع
عشرة وأربعمائة ، فتسمى بالمستكفي بالله ، اسماً ذُكِرَ له فاختره
لنفسه ، وحكم به سوء الاتفاق عليه ، لما كلفه لعبد الله المستكفي العباسي -
أول من تسمى به - في أفنه ووهنه وتخلفه وضعفه ، بل كان هذا زائداً عليه
في ذلك ، مقصراً عن خلال ملوكية كانت في المستكفي سمية ، لم يحسنها
محمدٌ هذا لفرط تخلفه ، على اشتباههما في سائر ذلك كله : من توثبهما في
الفتنة ، واستظهارهما بالفسقة ، واعتداء كل واحدٍ منهما على ابن
عمّ ذي رحم ماسة ، وتوسّط كل واحدٍ منهما في شأنه بامرأة خبيثة ،
فلذلك حسناء الشيرازية ، ولهذا بنت سكرى المورورية^٣ فأصبحت في ذلك
على فرط التناهي عبيرة .

وقال صاحبُ كتابِ فقط العروس^٤ : ومن العجب اتفاقهما في الأخلاقِ

- ١ أخبار المستكفي في الجفوة : ٢٥ والبيان المغرب ٣ : ١٤٠ وأصل الأعلام : ١٣٥ .
والنفع ١ : ٤٣٢ ، ٤٣٧ وبروفنحال ٢ : ٣٣٥ ودوزي (Spanish Is.) : ٥٨٣ .
- ٢ ورد نص ابن حيان بصورة موجزة في ط .
- ٣ ط : الموروية ؛ ب س : الموروية ؛ البيان : المروزية .
- ٤ هو أبو محمد ابن حزم .

وفي العمر واللقب ^١ ، وأنَّ كلَّ واحدٍ منهما خُلِيعَ عن الأمر ، وكلَّ واحدٍ منهما تركه أبوه صغيراً .

قال أبو حيان : ولم يكنْ هذا المستكفي من هذا الأمر في ورْدٍ ولا صَدَرٍ ، إنما أرسله الله تعالى على أهل قرطبة محنةً وبليّةً ، إذ كان منذ عرِفَ غُفْلاً عَطُلاً منقطعاً إلى البطالة ، مجبولاً على الجهالة ، عاطلاً من كل خَلَّةٍ تدُل على فضيلة . عضَّتهُ الفتنةُ فأملقَ حتى استجاز طلبَ الصَّدقة . رأيتُه أيامَ الخسف بأهل بيتِه في الدولة الحمودية ، ولم يكن ممن لحقه الاعتقالُ لتحقير أمره ، يَقْصِدُ أهلَ الفِلاحَةِ أوَّانَ ضمهم لغلاتهم يسألهم من زكاتها تكليماً ومخاطبة .

وبالجملة في تلخيص التعريف بأمره أن أجمعَ أهلُ التَّحصيلِ أنه لم يجلسْ في الإمارةِ مدةَ تلكَ الفتنةِ أسقطُ منه ولا أنقصُ ، إذ لم يزلْ معروفاً بالتخلفِ والرَّكَاكَةِ ، مشتهراً بالشربِ والبطالة ، سقيم السر والعلانية ، أسير الشهوة ، عاهر الخلوة ، ضدّاً لقتيله عبد الرَّحْمَنِ المستظهر في اللَّبِّ والمعرفة . وكان افتتح هذه السنةَ المؤرخة القاسمُ بن حمود بخلافته ، واختتمها هذا المستكفي المذكور . وكان بينهما عبد الرحمن المستظهر القتيل ، فصرَّمتْ تلكَ السنةُ النكيدةُ عن ثلاثةِ خلفاء ، وهذا من غريب الأنباء ، والله البقاءُ السرمدى .

وقلَّد هذا المستكفي الأمر ولم يكن من أهله ، فتلقى جميعَ الناس بالإناس ، واستمالهم بالأهوية ، ورأى أنَّ المالَ عَزِيزٌ ، فظنَّ البِشْرَ الرخيصَ يقوم مقامه أو ينوبُ متابعه ، فكان يقول للناس أجمعين : ارتعوا

١ البيان : والمهر واللعب .

كيف شتم ، وتسموا بما أحبيهم من الخطط . فتسمى بالوزارة في أيامه مفردة^١ ومُشاةً أراذلُ الدائرة ، وأخابثُ النظار ، فضلاً عن زعانف الكتّاب والخدمة . وأمّا الشرطة العليا وما دونها من رفيع المنازل فحملها كثيرٌ من التجار والعامّة ، وانثال الناسُ على ابتغاء هذه المنازل عند السلطان بالطماعة في كَرَّةِ الدَّولة ، فغشوا بابَه ، وعَمَرُوا فِئاءَه^٢ ، وتعلّلوا بالمنى . فلمّا استبانوا ضعفه رفضوا خِطَطَهُمْ ، وتبرأ كثير منهم منها^٣ . وأقسم أنه لم يتقلدها ، ولا سيما عند تكرّر التقسيط عليهم للغرامة عند إلحاح الإضاقة ، فجرت لبعضهم عند الانتفاء عن تلك الخطط نوادر ظريفة مضحكة ؛ وانتهى هذا التنويه العام ، بهذا الملك الهمام ، إلى أن فضّه^٤ أيضاً في طبقات أهل العلم ، فأسهم منهم الفقهاء^٥ ، فأثر العلية منهم المشاورين أصحاب الفتوى بالإرقاء إلى خطة الوزارة ، خالطاً بهم فيها من ذكرناه من زعانف الخدمة ، وكبار الدائرة < و > النظار . وجاءوا في ذلك بطامة لم تسمع في الأعصر الحالية ، فأخطأوا وألحقوا بالدين وصمة ، وطلبوا زيادة المعتلي على العامّة ، ففتنوا بهذه الخطة ، وشدّوا أيديهم عليها ، وهجروا من خطّهم في الخطاب عنها ، مُعرضين بما يعاب من ذلك ، إلى أن مضوا بسبيلهم . وارتقى المستكفي أيضاً بكثيرٍ مِمَّنْ يحملُ المحابر ، ويدرسُ مسائلَ الدفاتر ، من أصاغر الطبقة الفقهيّة ، إلى ما بلغتْ عليّتهم من منزلة الشورى ، فوسمَ كافتهم بوسمِ الفتوى ، فأسرف في ذلك حتى

١ ط : وانثالوا عليه في طلب هذه الخطط وعمرُوا بابَه .

٢ ط : من تلك الخطط .

٣ ب س : قصه .

٤ ط : في طبقات الفقه .

٥ ب س : بعلت .

بلغ عددهم ^١ بقرطبة يومئذٍ إلى الأربعين ، وذلك ما لم يُعهد في الغابرين .

وكثُرَ الإرجافُ بتغيير رجال ^٢ الدائرة ، فاضطربت قرطبة لكثرة من كان فيها من المردة ، فقبضَ على جماعة من بني عمِّه وحاشيته ، منهم عليّ بن أحمد بن حزم ، وعبد الوهاب ابن عمِّه المتقدم الذكر ، سُجِنُوا بالمطبق ، ثم عاجل المستكفي ابن عمِّه عبد العزيز ^٣ العراقي ، فخنقَ وأمسى ميتاً ونعاهُ إلى الناس ، فلم يخفَ عليهم اغتياله .

وفي أيام المستكفي هذا استؤصلَ بقيةُ قصورِ جدِّه الناصر بالخراب ، وطُمِستْ أعلامُ قصرِ الزَّهراء ، واقتُلِعَ نحاسُ الأبواب ورصاصُ القُنيّ ، وغيرُ ذلك من الآلات . فطُويَ بخرابها بساطُ الدنيا ، وتغيَّرَ حُسْنُها ، إذ كانت جَنَّةَ الأرض ، فعدا عليها قبل تمامِ المائة من كان أضعفَ قوةً من فأرةِ المسك ، وأوهنَ بنيةً من بَعوضةِ السمود ، والله يسلطُ جنوده على من يشاء ، له العِزَّةُ والجَبَرُوت .

فلما كانت سنة سِتِّ عَشْرَةَ وتحرك يحيى بن حمود إلى قرطبة ، وضعف أمرُ المستكفي ، اتفق الملأ على خلعه ، فدخلوا عليه وقالوا له ^٤ : قد علمَ الله اجتهدنا في تثبيتك ، فاعتاص ذلك علينا ، واضطربنا إلى مقارعة عدونا ، وها نحن خارجون إليه ، ولا ندري ما يحدثُ عليك بعدنا ، فإن تُكُ لك الكَرَّةُ فلا تياسْ ، فمع اليوم غد . فأجملَ الردَّ ، وانقاد للدَّيَّةِ ،

١ ط : بلغ أهل الفتوى .

٢ ب س : رجالة .

٣ ط : عبد الرحمن .

٤ قارن بالبيان المغرب ٣ : ١٤٢ .

٥ ب س : فلا تسر .

واستشعر الذلّ ، واهتبل الغيرة ، وعزم على الهروب . فخرج على وجهه وقد لبس ثياب الغانيات متنقباً بين امرأتين لم يُميز منهما لمرانته على التخنيث . وخرج عن قرطبة فمات بأقلّيش ، فكانت دولته سبعة عشر شهراً صعباً تكيدات ، سوداً مشوّهات مشؤومات ؛ انتهى ما لخصّته في حديثه من كلام ابن حيان .

فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن سليمان بن الحناط الكفيف^١ وسياقة جملة من نثره ونظمه^٢

[قال ابن بسام] : وأبو عبد الله بن الحناط هذا زعيم من زعماء العصر - كان - ورئيس من رؤساء النظم والنثر في ذلك الأوان ، وجمرة فهم لفحت وجوه الأيام . وغمرة^٣ علم سالت بأعلام الأنام . فكم له من وقدة لا يبرأ أميمها ، ونكرة لا يسلم سليمها . وكانت بينه وبين أبي عامر بن شهيد بعد تمسكه بأسبابه ، وانحياشه - كان - إلى جنبابه ، مناقضات في عدّة رسائل وقصائد أشرقت أبا عامر بالماء ، وأخذت عليه بفروج الهواء ، وقد أوردت من ذلك ما يكون أنطق لسان بنباهة ذكره ، وأعدل شاهد على براعة قدره .

١ ط : المكفوف .

٢ ترجمة ابن الحناط في الجذوة : ٥٣ (والبغية رقم : ١٢٤) والصلة : ٦٤٠ والتكملة : ٣٨٧ والذيل والتكملة ٦ : ٢٢١ والمغرب ١ : ١٢١ والخريدة ٢ : ٢٩٧ وطبقات الشافعية ٢ : ١٦١ والواني ٣ : ١٢٤ وصفحات متفرقة من فصح الطيب .

٣ ط : وغرة .

٤ الوقفة : الضربة ؛ الأميم : المأموم أو المشجوع .

وقد ذكره ابن حيان في فصل من كتابه فقال ^١ : وفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة نعي إلينا أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحنّاط الشاعر الضريب القرطبي ، بقية الأدباء النحارير في الشعر ، هلك بالجزيرة الخضراء في كنف الأمير محمد بن القاسم ، وهلك إثره ابنه الذي لم يكن له سواه بمالقة فاجتث أصله . وكان من أوسع الناس علماً بعلوم الجاهلية والإسلام ، بصيراً بالآثار العلوية ، عالماً بالأفلاك والهيئة . حاذقاً بالطب والفلسفة ، ماهراً في العربية والآداب الإسلامية ، وسائر التعاليم الأوائلية ؛ من رجل موهّن في دينه ، مضطرب في تدبيره ، سيء الظن بمعارفه ، شديد الحذر على نفسه ، فاسد التوهم في ذاته ، عجيب الشأن في تفاوت أحواله . وُلِدَ أعشى الحملاق ، ضعيف البصر ، متوقد الخاطر ، فقرأ كثيراً في حال نعشاه ، ثم طفىء نور عينيه بالكلية ، فازداد براعة ، ونظر في الطب بعد ذلك فأنجح علاجاً . وكان ابنه يصف له مياه الناس المستفتين عنده ، فيهتدي منها إلى ما لا يهتدي له البصير ، ولا يخطيء الصواب في فتواه ببراعة الاستنباط ؛ وتطرب عنده الأعيان والملوك والخاصة . فاعترف له بمنافع جسيمة ، وله مع ذلك أخبار كثيرة مأثورة .

جملة من نثره

فصل له من رقعة خاطب بها ابن دري : حنانيك أيها الغيث المطيل ، ولبيك أيها الرّوض الحُضيل . فإنه طلع علينا من رُعين رائد رتع بروضك ، وكرع في حوضك ؛ هزّ بك عطف الشعر . فمدّ إليك طرفه ، وثنى إليك عينان الشكر . فحثّ نحوك طرفه .

١ نفس ابن حيان شديد الایجاز في ط .

وكان فلان^١ ذو الخلق العظيم ، والخلق الكريم - ﴿ ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ ﴾ والله ذو الفضل العظيم ﴿ (الحديد : ٢١) ﴾ يُتَحَفَّنَا من ذكركَ بنافجة مسك ، ويخبرنا بخبركَ عن واسطة سلك ، وتُعرِّفُ مواقعُ الغيث برؤاده ، ويؤقف على مواضع الماء بُورَّاده . فعن مِقَّةٍ نزعنا إليك فاجتهدنا ، وعن ثقةٍ نبهنا لها عمرٌ ثم نمنا ، وما حرَّكنا من أدبِكَ ساكناً ، ولا أثَرنا من كرمِكَ كامناً ، غيرَ أنَّ الجمرَ يُحش على ذكائه ، والنصلُ يُهز على مضائه ، فدونكها قد حبر الخبرُ تطريزها ، وإليكها قد خلص الفكرُ إبريزها ، تتلفَعُ منها في حلَّةٍ ثناء ، وتُتَوَّجُ منها إكليلَ بهاء ، يُخَالُ مِدَادُهَا من بهيم الليل صُنع ، ويحسبُ رَقُّهَا من أديم الصَّبَحِ قُطْع . أرسلناها كافورةً بمسكٍ موسومة ، وأهديناها^٢ درَّةً بياقوتٍ مختومة ، وأقدمُ^٣ أوَّلًا الاعتراف بالتهقير ، وأذعنُ في الكَفِّ عن التعبير ، إذ أهديتُ الدرَّ إلى منظمه ، وخلعتُ^٤ الوشي على منمنمه .

وله من أخرى^٥ :

الإسهابُ كلفة ، والإيجازُ حكمة ، وخواطر الألباب سهام ، يصابُ بها أغراضُ الكلام ؛ وأخونا أبو عامرٍ يسهبُ نثرًا . ويطولُ نظمًا ، شاعراً بأنفه ، ثانياً من عطفه ، متخيلاً أنه قد أحرز السباق^٥ في الآداب ، وأوتي

١ ط : واهتديناها .

٢ ط : وجعلت .

٣ هذه الرسالة أوردها ابن عبد الملك (٦ : ٢٢٤) بتمامها ، وهي موجهة إلى الوزير أبي العباس ابن أبي حاتم ابن ذكوان ومعها القصيدة الميمية التالية ليأخذ بمعارضتها أبا عامر ابن شهيد .

٤ ط : تصاب .

٥ الذيل : قصب السبق .

فَصَلَ الخطاب . فهو يستقصرُ أساتيدَ الأدباء ، ويستجملُ شيوخَ العلماء :
 وابنُ اللبونِ إذا ما لُزَّ في قرَنٍ لم يستطعَ صَوْلَةَ البُزْلِ القناعيسِ
 وفي فصل منها : في ليلةٍ بتها ، والكفُّ الخضيبُ سوارُها البدر .
 والشعرى العبورُ وشاحها النسر ، وكأنا سماءُها روضةٌ تفتحتِ النجوم
 وسطها زهراً ، وتفتجرتِ المجرةُ خلالها نهراً . وادٍ يسيلُ بعسجد
 على رضراضٍ زبرجد . فلما أصبت الغيرةَ ، وأقصدت الثغرةَ ، تقلبت^٢
 عراراً . وتناومت غراراً . حتى أنبهي الفجرُ ببرده ، وسرَّبلني الصبحُ ببرده ،
 وهبت^٣ من النومة ، وصحوت من النشوة . فزففتها إليك بنتَ ليلتها عذراء .
 وجلوتها عليك كريمةً فكرتها حسناء ، تتلفعُ بحبرةٍ حبر ، وتتبخترُ في شعار
 شعر^٤ . مؤتلفٌ بين رَقِّها ومدادها . ومجتمعٌ في بياضها وسوادها : الليل إذا
 عسعس . والصبح إذا تنفس : رقعتها كافورٌ نمنمٌ بمسك . وختامُها ياقوتٌ
 نُظِمَ في سلك ، فتحسبَ خطَّها تيمَّ لفظها فشكا . وتخال القلمَ رقاً
 لما به فبكى . فأنشدها أخاك الشهيدي . وكلفه على العروض والقافية
 معارضتها . وحمَّله على اللين والشدةِ مقارضتها ، فستوقد بقلبه قَبَساً .
 وتضربُ في أذنه جرساً ، فيتبيّن به خطه ، ويعرف لغيره فضله .
 وختمَ الرقعة بهذه الأبيات :

أقصر * عن لوميَ اللائم لما درى أنني هائمُ

- ١ البيت لحرير ، ديوانه : ٢٥٠ والتاج (قنص) .
- ٢ الذيل : توسدت .
- ٣ الذيل : حتى إذا ما أنبهي . . . هيب .
- ٤ ط : في شعر أو شعر .
- ٥ في النسخ : قصر ، والتصويب عن الذيل والتكملة .

مازلتُ في حُبِّهِ منصفاً
أسهرُ ليلى غراماً به
مُهَفِّفٌ ماس في بُرْدِهِ
شمسٌ ولكنما فرعها
إنَّ ابنَ ذكوان ذو راحة
لم يأتلِقْ برقها خلْباً
ومن أبوه أبو حاتمٍ
بني العلا بالتدى جاهداً
مُحَكِّكٌ حَوْلٌ قَلْبٌ
تُبَصِّرُهُ دهره قاعداً
إذا انتضى سيفه معلماً
من لم يكن شاعراً عالماً
البدْرُ في أخمصي شِعْقةً
الدُرُّ لو بلغوه المنى

من لم يزل وهو لي ظالم
وهو أخو سلوة نائم
غُصْنٌ ثَنَنَتْهُ الصَّبَا ناعم
ليلٌ على صبحها فاحم
كديمة^١ صوبها دائم
ولا اتقى خلفه^٢ الشائم
قصرَ عن جوده حاتم
وغيره للعلا هادم
مُحَنِّكٌ حازمٌ عازم
وهو بأعبائه قائم
لم تدْرِ أَيْتَهُمَا الصَّارِمُ
فإتني الشاعرُ العالم
والشمسُ في خنصري خاتم
نظمه في فمي الناظم

قوله : « لم تدْرِ أَيْتَهُمَا الصَّارِمُ » ، كقولِ حسانَ بن المصيبي :
قَوْمٌ يَمَانُونَ إِنْ سَلُّوا يَمَانِيَةً لم تعرفِ السيفَ في الهيجا من الرَّجُلِ
وقال عبد الجليل :
شبيهُ ما اعتقلوه من ذوابلِهِمْ فالحربُ جاهلةٌ من منهمُ الأَسْلُ

١ الذيل : ديمتها .

٢ الذيل : خلفها .

ولابن عبد ربه :

إذا أدارتَ بنائهُ قلماً لم تدرِ للشبهِ أيها القلمُ

وقال بعض أهل العصر :

بها الخيلُ والأبطالُ والبيضُ والقنا
سواءٌ بحكم العين والأذن واللِّبِ
فلا فرقَ إلّا أن يهْبَ بها الرّدى
فيُعرفَ أنّ الفضلَ للرّجلِ النّدبِ

وقال أبو الطيب ^١ :

هُمامٌ إذا ما فارقَ السيفُ غِمْدَهُ ^٢ وعائنته لم تدرِ أيُّهُما النصلُ

وكرّره في موضعٍ آخر فقال ^٣ :

قلوبُهُمْ في مضاءٍ ما امتشقوا قاماتُهُمْ في قَوامٍ ما اعتقلوا

وهو من متداولات المعاني . وإنما نقلوا كلُّهم بيتَ الحماني ^٤ :

ما علّقَ السيفُ متابنٍ عاشرَةٍ إلّا وعزمتُهُ أمضى من السيفِ

وكرّره أيضاً الحماني فقال :

١ ديوان المتنبي : ٤٠ .

٢ الديوان : الفمد سيفه .

٣ ديوان المتنبي : ١٢٧ .

٤ الحماني هو أبو الحسين علي بن محمد بن جعفر العلوي الكوفي ، نزل في بني حمان فنسب إليهم ، بيته وبين علي بن الجهم مناقضات حول حق العلويين أو العباسيين ، وله مرث في أخيه اسماعيل وفي يحيى بن عمر الشاعر العلوي ، وكانت وفاته سنة ٢٦٠ (انظر مروج الذهب ٧ : ٢٣٦ - ٢٤٢ وسمط اللّالي : ٤٣٩ والبصائر ١ : ٢٣٦) .

والسيفُ إن قستهُ يوماً بنا شَبَّهًا في الرَّوعِ لم تدرِ عزماً أينما السيفُ

وله من رقعة طويلة خاطب بها المظفر بن الأفطس قال في أولها :

حجَبَ اللهُ عن الحاجب المظفر - مولاي وسيدي - أعينَ النائبات ،
وقيض دونهُ أيدي الحادثات ، فإنه مُدَّ كان أنورَ من الشمس ضياءً ، وأكمل
من البدر بهاءً ، وأندى من الغيث كفاً ، وأحمى من الليث أنفاً ، وأسخى من
البحر بنائاً ، وأمضى من النّصل لساناً ، وأنجبه المنصورُ فجرى على سنّته ،
وأدبته فأخذ بسنّته ، وكانت الرّياسةُ عليه مَوْقُوفَةً ، والسياسةُ إليه
مصروفة ، قَصَرَتِ الأوهامُ عن كُنْهِ فضله ، وعجزَتِ الأقلامُ عن
وصف مثله . غيرَ أنَّ الفضائلَ لا بدَّ من نُشْرِها ، والمكارمَ لا عُذَرَ في
تركِ شُكْرِها :

فالشكرُ للإنسان أربَحُ متجبرٍ لم يَعدَمِ الحسranَ من لم يَشْكُرِ

وله في فصل :

وردني كتابٌ كريم جعلته عِيَوضَ يَدِهِ البِيضاءِ فقبلته ، ولمحتهُ
بدلَ غُرَّتِهِ الغراءِ فأجللته ، كتابٌ ألقى عليه الحِبرَ حَبِيرَهُ ، وأهدى إليه
السحرُ فِقَرَهُ ، أنذرَ ببلوغِ المني ، وبشرَ بِحصولِ الغنى ، تَخَيَّرَ له
البيانُ فطَبَّقَ مَفْصِلَهُ ، ورماه البنانُ فصادفَ مَقْتَلَهُ : معاركُ آداب ، ووقائعُ
ألباب ، سال المدادُ به نجيعاً ، وجرى الغرضُ إليه صريعاً ، ووصل
معه المملوكُ والمملوكَةُ اللذان سمّاهما هَدِيَّةً ، وتزّه كرمًا أن يقولَ

عطية : هِمةٌ تَرْحَمُ السماكين ، وَنِعمةٌ تَمَلَأُ الأذن والعين .

ومنه :

كُتِبْتُ عَلَى البعدِ مستجدياً لعلميَ أَنْتَ لَا تبخلُ
فجاءَ الرسولُ كما أَشتهي وقد ساق فوق الذي آملُ^١
وما كان وجهُكَ ذاكَ الجميلُ ليفعلَ غيرَ الذي يَجْمَلُ

وفي فصل :

وما حرَّكَ الحاجبُ - أيدهُ اللهُ - بكتابه ساكناً بحمده ، ولا نبته نائماً
عن قصده . كيف وقد طلعت الشمسُ التي صار بها المغربُ^٢ شرقاً .
وهبت الريحُ التي صار بها الحرمانُ رزقاً ؟ صاحبُ لواءِ الحمد ، وفارس
ميدانِ المجد ، طلاعُ كل ثنية ، وفعلُ كل سنية . يسيرُ صدرُ الجيشِ
وهو ربه ، ويتقلبُ فيه وهو قلبه . ولواءُ النصرِ عليه منشور ، وفؤادُ الكفر
منه مذعور .

وفي رسالته هذه طولٌ تصرفَ فيها في أنواعِ البديع . تصرفَ
المطبوع . واندرج له في أثنائها عدةُ مقطوعاتٍ من شعره كقوله^٣ :

ومُهْهَفٌ قَلِقَ الوشاح يروعهُ جِرَّسُ السَّوارِ ويشتكى من ضيقه
وسنانُ خَطِّ المسكُ فوق عِذاره لأمّاً فَهَمَّتْ الموتَ في تعريقه

١ كذا ورد ، وهو غير منسجم مع ما قبله وما بعده في التقفية .

٢ ب س : الغرب .

٣ ط : واندرج له في فصول هذه الرسالة عدة مقطعات من شعره ، منها قوله .

مَزَجَ المِدامَ بِريقه لِما سقى فَسَكَرْتُ مِنْ فَمِه ١ وَمِنْ لِبَرِيقِه

وَحَتَمَ الرِّقْعَةَ بِقَصِيدَةٍ هَتَأَهُ فِيهَا بِخُرُوجِهِ مِنَ الْأَسْرِ ، مِنْهَا قَوْلُهُ :

وَلَمَّا أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَكَ الَّتِي قَضَى اللَّهُ فِيهَا بِالنَّجَاةِ ٢ وَقَدَّرَا
تَهَلَّلَتِ الدُّنْيَا وَأَشْرَقَ نَوْرُهَا وَأَقْبَلَ سَعْدٌ كَانَ بِالْأَمْسِ أَدْبَرَا

وَسَيَنْخَرُطُ فِي سَلَكِ أَخْبَارِ ابْنِ عَبَّادٍ خَيْرُ إِسَارِهِ ، وَكَيْفَ خَرَجَ بِدَرُّهُ مِنْ
سِرَّارِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ما أخرجته من قصائده في المدح ، وما يتشبهت به من الأوصاف

له من قصيدة في علي بن حمود ، أولها ٣ :

وطفاءُ تَكْسِرُ للجُنُوحِ جناحا	راحتُ تَذَكَّرُ بالنسيمِ الرَّاحا
من برقها كي تهتدي مصباحا	أخفى مسالكها الظلامُ فأوقدتُ
حاد إذا ونت السحابُ صاحا	وكانَ صوتُ الرَّعدِ خلفَ سحابها
حُلَلًا أقام لها الربيعُ وشاحا	جادتُ على التلعاتِ فاكتستِ الرُّبى
طيباً ومزناً قد حكاها سماحا	روضُ يُحاكي الفساطمي شمائلًا
بُهِمٌ جُعِلَتْ أَعْرَها الوضاحا	أعليُّ إن تعلُّ الملوكُ فلمهم
أنسيتهَا المنصورَ والسفاحا	لما طلعت لها بكلِّ ثنيةٍ

١ ب س : فيه .

٢ ب س : بالنجاح .

٣ المغرب ١ : ١٢٢ والنفع ١ : ٨٣ (بيتان) .

٤ المغرب : مرت .

وله من أخرى [فيه] :

شَقِيَّيْ بَعْدَنَا بِالْبُعْدِ مِنْ نَعَمَ نَعْمَانُ
سَقَى الْقَطْرُ مَا بَيْنَ الْعَقِيقِ وَضَارِجِ
وَحْيَا الْحَيَا عَهْدًا عَهْدَنَا بِاللَّوَى
لِيَالِي رَوْضُ الْوَصْلِ فِيهِنَّ مَمَرُ
تُدِيرُ عَلَيْنَا الرَّاحَ فِيهَا جَاذِرُ
وَلَمْ أَرْ مِثْلِي كَيْفَ صَارَ بِقَلْبِهِ
وَلَا مِثْلَ هَذَا الْعَدْلِ كَيْفَ أَعَادَهُ

وله من أخرى فيه أيضاً^١ :

بَكَيْتَ لَهَا شَجَوًا وَهَنَ الْحَمَائِمُ
وَلَمَّا عَلَوْنَا^٢ الْحَزْنَ وَاعْتَسَقَتْ بَنَا
لَوَيْنَا بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ إِلَى اللَّوَى
لَشِنْ أَوْحَشَ الرَّبْعُ الَّذِي كَانَ آنَسًا
فَكَمْ لَيْلَةٍ فِيهِ وَصَلْتُ نَعِيمَهَا
سَقَى مَنِيَّتَ اللَّذَاتِ مِنْهَا ابْنُ هَاشِمٍ
إِمَامٌ أَقَامَ الدِّينَ حِدًّا حَسَامَهُ
وَيَزْهَرُ فِي يَمْنَاهُ نَوْرٌ مِنَ الظُّبَا

وهذا البيت ينظر إلى قول المتنبي^٤ :

١ بمض أبياتها في المغرب ١ : ١٢٣ .

٢ ب س : علون .

٣ ب س والمغرب : البث .

٤ ديوان المتنبي : ٢٤٥ .

وَأَوْحَشَ مِنْ لُبْنَى عَلَى الْبَعْدِ لِبْنَانُ
مَعَارِفَ فِيهَا لِلْأَحْبَةِ عِرْفَانُ
لَوْ دَيَّسْنَا فِيهِ صُدُودٌ وَهَجْرَانُ
وَعُصْنُ الصَّبَا إِذْ ذَاكَ أَخْضَرُ فِينَانُ
وَيُسْكِرُنَا بِاللَّحْظِ مِنْهُمْ غَزْلَانُ
مِنْ الْوَجْدِ بَرَكَانُ^٣ وَفِي الْجَفْنِ طُوفَانُ
عَلِيٌّ وَقَدْ مَرَّتْ مِنَ الظُّلَمِ أَرْمَانُ

يَنْحَنُ بِلَا دَمْعٍ وَدَمْعُكَ سَاجِمُ
رَسُومَ الدِّيَارِ الْيَعْمَلَاتُ الرَّوَاسِمُ
وَقَدْ عَلِمْتَنَا اللَّبَثُ^٣ تِلْكَ الْمَعَالِمُ
وَأَقْوَتْ مِنَ الْحَيِّ الرُّسُومُ الطُّوَلُاسِمُ
بِأُخْرَى وَأَنْفُ الْهَجْرِ بِالْوَصْلِ رَاغِمُ
إِذَا انْهَمَلْتُ مِنْ رَاحَتِهِ الْغَمَائِمُ
طَرِيرًا وَمَنْهُ فِي يَدِ اللَّهِ قَائِمُ
لَهُ مِنْ رُؤُوسِ الدَّارَعِينَ كَمَائِمُ

سفاكِ وحياتنا بكِ الله إئما على العيس نورُ والحدورُ كمامهُ
وقال أبو بكر بنُ عمار :

ندامى وما غيرُ السيوفِ أزهراً لديهم وما غيرُ الغُودِ كمامُ
وكذلك البيت الذي قبله كقول المتنبي^١ :

على عاتقِ الملكِ الأغرَ نجادهُ وفي يدِ جبارِ السمواتِ قائمهُ
وهومن قول حبيب^٢ :

لقد حان من يُهدي سُويداءَ قلبِهِ لحدّ سِنانٍ في يدِ اللهِ عاملهُ
وفي هذه القصيدة يقول ابنُ الحنّاط :

سيوفٌ إذا اعتلّتْ جهاتُ ثغورِها فمنهنَّ في أعناقهنَّ تماثُ
بكلِّ خميسٍ طبّقَ الجوُّ^٣ نقعه وضيقَ مسراهُ الجيادُ الصّلامُ
كانَّ مثارَ النّقعِ إثمِدُ عينِهِ وأشفارَ جفنيهِ الشّفارُ الصّوارمُ
تعدُّ عليه الطّيرُ والوحشُ قوتها إذا سار والتفتُ عليه القشاعمُ
وهذا المعنى قد تقدّم منه جملةٌ في مكانه ، وذكرْتُ من استنَّ^٤ في
ميدانه .

١ ديوان المتنبي : ٢٤٨ .

٢ ديوان أبي تمام : ٣ : ٢٧ .

٣ المغرب : طبق الأرض ؛ ط : طوق .

٤ ط : عليها .

٥ ب س : افتن .

وقوله : « سيف إذا اعتلت » . . . البيت ، من قول المتنبي ^١ :
 وكان بها مثلُ الجنونِ فأصبحتُ ومن جثِ القتلى عليها تائمُ
 وله من أخرى ^٢ :

لم يخلُ من نوبِ الزمانِ أديبُ كلاً فشانُ النائباتِ ينوبُ
 أمسي قراراً ^٣ للخطوبِ وأعتدي غرّضاً تُفوقُ نحوه فتُصيبُ
 وإذا انتهيتُ إلى العلومِ وجدتها شيئاً يُعدّ به عليك ^٤ ذنوبُ
 وغصّارةُ الأيامِ تأبى أن يُرى فيها لأبناء الذكاءِ نصيبُ
 ولذلك من صحبَ الليالي طالباً جدّاً وفهماً فاتتهُ المطلوبُ
 وهذا أيضاً من قول المتنبي ^٥ :

وما الجمعُ بين الماء والنارِ في يدي بأصعبَ من أن أجمعَ الجدَّ والفهما
 وقال أبو علي ابنُ رشيقٍ وولد معنى زائداً مُستظرفاً ^٦ :

أشقى لحدّك أن تكونَ أديباً أو أن يَرى فيك الورى تهديبا
 ما دُمْتَ مُستوياً ففعلُكَ كلُّهُ عِوَجٌ وإن أخطأتَ كنتَ مصيبا
 كالنقشِ ليس يتمُّ ^٧ معنى ختمه حتى يكونَ بناؤه مقلوباً

١ ديوان المتنبي : ٣٧٥ .

٢ الذيل والتكملة ٦ : ٢٢٢ ومنها أربعة أبيات في الغيث ٢ : ٧٤ .

٣ الذيل : مراداً .

٤ الذيل : انتميت .

٥ الذيل : تعد به علي .

٦ ديوان المتنبي : ١٦٢ .

٧ ديوان ابن رشيق : ٣٧ .

٨ الديوان : ليس يصح .

ومنها :

أَمْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَسْوَاحِلًا فسقى صداها غيثه الشُّبُوبُ
المعتلي بالله والملكُ الذي تاجُ الفخار برأسه معصوبُ
إن كان عدوًّا حُبًّا آلِ مُحَمَّدٍ ذنباً فلإني لستُ منه أتوبُ

وهذا كقولِ العباس بنِ الأحنف^١ :

إن كان ذنبي في الزيارة فاعلمي إني على كسبِ الذنوبِ لجاهدُ

وله من قصيدةٍ يرثي أبا الحزم بنِ جهور^٢ ، ويهنيءُ ابنه أبا الوليد ،
وكتب بها من الجزيرة الخضراء ، إذ أقصى عن قرطبة ، أولها :

إنّا إلى الله في الرّزءِ الذي فجَعَلَا والحمدُ لله في الحكمِ الذي وقعا
ولى أبو الحزم عن مُلكٍ تقلّدهُ أبو الوليدِ فعزَّ الملكُ وامتنعا
أبُ كَرِيمٌ غدا الفِرْدَوْسُ مسكنه وابنُ نَجِيبٍ تولى الأمرِ واضطلعا
للهِ شمسٌ ضحى في اللحدِ قد غربتْ فأعقبْتُ قمرًا^٣ بالسَّعدِ قد طلعا

[ومنها] :

١ ب س : مدح .

٢ ديوان ابن الأحنف : ٨١ .

٣ كان ابن الحنّاط من خاف من أبي الحزم ابن جهور بسبب ما شاع عنه من هجائه إياه
فلحق ببني حمود (الذيل والتكملة : ٢٢٣) .

٤ ب س : فاضطلعا .

٥ ب س : في القبر .

٦ ب س : أبقتة بدر دجى .

يا واحد الدين والدنيا أقلّ زللاً
لو أنه أعطي الدنيا بما رَحُبَتْ
وما عسالك سوى الإحسان تصنعه
وقد رأيت ابن سعد حين أمكنه
لَيَمَحُحُونَ مديحي فيك من كُتَبِ
وقال من أخرى :

تفرغت من شغلِ العداوةِ والظعنِ
أمقتولة الأجفانِ من دمعِ حزنها
فله سيري يومَ ودعتُ صحبتي
رحلتُ فكم من جُؤذِرٍ وغضنفرٍ
وما عن قلى فارقتُ تربةَ أرضكُم
وينظر هذا إلى قول القسطلي^٢ :

وفاحت ليالي الدهرِ مني مَيِّتاً^٣ فأخزين أياماً دُفِنْتُ بها حيناً
وكذلك قوله : « رحلت فكم من جُؤذِرٍ » . . . البيت^٤ ، من قول
المتنبي^٥ :

١ ب س : عن .
٢ ديوان ابن دراج : ١٨٠ وقد مر البيت ص : ٧٣ .
٣ ط س : الترب ؛ ب س : مني عتبراً .
٤ ط : ومعنى البيت الثاني . . . الخ .
٥ ديوان المتنبي : ٤٥٦ .

رحلتُ فكم بالكِ بأجفان شادينِ عليَّ وكم بالكِ بأجفان ضيغمِ

ومنها :

مررتُ بشُوسٍ^١ والنجومُ كأنها
وأسريت من بدر الظلام بالْبَسَةِ
لبسنا بها ليلاً من الثلج أبيضاً
ورحنا على ألبيرة^٢ فاستقلَّ بي
ولمّا تنكبتنا المنكب^٣ لم نجدُ
ترامت بنا الأهوالُ في كل لُجّةٍ
ترى السفنَ فوق الموج فيها كأنها

توقدُ من فكري وتُسرجُ من ذهني
بصحبة مطفي الجمر أو مكفي الظعن
كسسته يدُ الصنبرِ ثوباً من القطن
جناحُ عقابٍ لا يروحُ إلى وكن
لنا مركباً أهدى سبيلاً من السفن
تخيّلها جواً تجلّجَ بالسدّجنِ
تحدّرُ من رعنٍ وتوفي على رعنٍ

[ومنها] :

فبوّأتُ رَحلي ظلَّ أروعَ ماجدٍ
إمامٍ وصيٍّ المصطفى وابنُ عمِّه

يقولُ بلا خُلْفٍ ويعطي بلا منّ
أبوه ، فتمَّ الفخرُ بين أبٍ وابنٍ

وله من أخرى :

أرقتُ وقد غنى الحمامُ الهواتفُ
أعدنَ لي الشوقَ القديمَ وطاف بي
وما الجانبُ الشرقي من رمل عالٍجٍ
بمُنْعَرَجِ الأجزاءِ والليلُ عاكفُ
على النأي من ذكرى المليحة طائفُ
بحيثُ استوت غيظانُهُ والنفائفُ

١ في ط والمقتبس (١٢٩) شوش « فاحتل يومه ذلك على نهر شوش » ؛ وتحديدُه إلى الجنوب من قرطبة .

٢ ألبيرة (Elvira) ، انظر الروض المعمار : ٣٩ .

٣ المنكب (Almunecar) فرضة صغيرة على البحر تابعة لمركز مطريل (Motril) في منطقة غرناطة ، وتبعد مسافة ٢٣ كيلومتراً إلى الغرب من مطريل (انظر الروض ، الترجمة الفرنسية : ٢٢٥) .

إذا ما تغنى الرعدُ فوق هضابه
 بأحسن من أطلالِ علوّةٍ منظرًا
 خليلي هل بالخيفِ للشملِ ألفةٌ
 أني وقفةٍ عندَ العقيقِ ملامةٌ
 سقى عَرَصَاتِ الدَّارِ كُلُّ مُلِثَةٍ
 كأنَّ نَيْرَ القَطْرِ منها جواهرٌ
 كأنَّ ابتسامَ البرقِ فيها إذا بدتْ

وله من أخرى في القاسم بن حمود ، ويصف خيران الصقلبي ،
 وقتل المرتضى المرواني ، أولها ٢ :

لك الخير خيرانٌ مضى لسبيله
 وأصبح ملكُ الله في ابنِ رسوله
 يقول فيها :

وفُرقَ جمعُ الكفر واجتمع الورى
 وقام لواءُ الجمعِ ٣ فوق مَمْنَعٍ
 وأشرقتِ الدنيا بنورِ خليفةٍ
 من الهاشمين الذين بمجدهم
 فلا تسَلِ الأيامَ عما أت به
 ولما دعا الشيطانُ في الخيلِ حزبه
 كتائبُ من صنهاجةٍ وزناتسةٍ

١ وقع هذا البيت بعد تاليه في ط .

٢ المغرب ١ : ١٢٤ والبيان ٣ : ١٣٠ .

٣ ط : الرفع ؛ المغرب : النصر .

تقدّم خيرانٌ إليها بزعميه ليدركَ ما قد فاته من دُحوليه
فلما التقى الجمعانِ عاودَ رأيَهُ فخلّى لِبعضِ الهَوَلِ جُلَّ فضوله
وولى وأبقى منذراً من ورائه يقيمُ لأهلِ الغَدْرِ عُدَرَ نكوله

ذكر الخبر عن مقتل الأمير المرتضى المذكور

قال ابن حيان^١: كان عبد الرحمن بن محمد من ولد الناصر لدين الله قد نُصِبَ خليفةً بشرقي الأندلسِ ، ، وسُمي المرتضى ، فزحف بمن تألف معه من الموالي العامريين وغيرهم إلى غزو البرابرة المنتزين بقرطبة وأعمالها ، وأميرها يومئذ القاسمُ بن حمود ، وعقدوا مع المرتضى على غزو قرطبة ، فخرجوا بجملتهم سنة تسع وأربعمائة ، فعرجوا به في طريقهم إلى غرناطة ليليدأوا بحربِ ذلك الفريقِ من صنهاجة لما ارتأوه من الغدر بسلطانهم ، فأوبقوا الجماعةَ وأحلّوا بها الفاقة ، على أيدي البرابرة ، ورسا بتلك الواقعة مُلكُ الحموديّة ، وإذا قضى اللهُ أمراً سبّب له أسباباً. فجاءوا معهم ، في جملتهم منذرُ التجيبي وخيرانُ الصقلي وقطعةٌ من خيل الإفرنجية. ولما حلوا غرناطة وأميرها يومئذ زاوي بن زيري بن مناد ، ارتاعت صنهاجة واعصوبوا بأميرهم زاوي كِبشِ الحروب ، فأحكم لهم التدبير ، والدولة تسعده ، والمقدارُ ينجده ؛ وحملتُ عنه في تلك الحروبِ حكاياتٌ بديعة : منها أن المرتضى لما نازله خاطبه بكتابٍ يدعوه فيه إلى طاعته ، ومسحَ أعطافه ، وأجملَ مواعده . فلما قرئ على زاوي قال لكاثبه : اكتب على ظهر رقعة :

١ قارن بالبيان المغرب ٣ : ١٢٥ - ١٢٩ والا حاطة (ترجمة زاوي بن زيري) ودوزي (Recherches : ج ١ - الملحق : ١٥ والملحق : ١٧) .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ السورة ، لا تزده ، فلما بلغت المرتضى أعاد إليه كتاب وعيد ، فلما قرئ على زاوي قال : ردوا عليه ﴿ أَلَمْ أَكُ الْمُتَكَاثِرُ ﴾ إلى آخرها لم يزده حرفاً . فازداد المرتضى غيظاً ، ويئس منه ، وناشبه القتال ودنا إليه في تعبئة محكمة ، وكراديس منتظمة ، فاقتتلوا أياماً إلى أن انهزم الأندلسيون ، وطاروا على وجوههم ، مسلموهم وإفرنجهم ، لا يلوي أحدٌ على أحد ، والخيل تطردهم في تلك المضائق ، وصُرع المرتضى في ضنك ذلك المأزق ، ووقع البرابرة من نهب محلّة المرتضى على ما لا كفاء له اتساعاً وكثرة - ظلّ الفارس منهم يجيء من اتباعه المنهزمين ، ومعه العشرة الأبغل فما دون ذلك موقرةً بفاجر النهب ، ورفع الشارة والحليّة . وحيزت فساطيط أولئك الأمراء ومضارب الرؤساء الذين كانوا في جمع ذلك المعسكر المخدول يتباهون بالقوة والشارة ، بجميع ما فيها . وسبق سلطانهم زاوي إلى سرادق الحائين المرتضى ، فحازه بما حواه مما كان الأمراء قد جمعوا له وجملوه به . وكان أمراؤه والوجوه من أهله قد تناغوا بالبشارة ، وجاءوا محيي من لا يشك في الظفر ، فساقوا مع أنفسهم رفيع الحلية كي يتباهوا بذلك إذا دخلوا قرطبة ، حتى إن كثيراً من جاليتها والتجار المتجهزين منهم ومن سواهم اغتروا بذلك المعسكر الخاوي فصحبوه مبادرين ميسرة الفتح ، وسعة الربح ، فخابوا وحق البغي بهم ، وخسروا أموالهم .

وأول من انهزم من ذلك المعسكر منذر بن يحيى وخيران الصقلبي . وكان منذر قد أوقع في نفوس مدده من رجال الإفرنجية الذعر من غدر الموالي العامريين ، فشغل بذلك بالهم . فلما انهزم لم يعرفوا السر ، وأجفل منذر في أصحابه الثغريين ، فمرّ بسليمان بن هود صاحبه وهو مثبت للإفرنجية لا

يريمُ مَوْقفَه . فصاح به : النجاةَ يا ابن الفاعلة ، فلستُ أقفُ عليك ؛ فقال له سليمان : جئتَ والله بها صلعاء ، وفَضَحْتَ أهل الأندلس ! ثم انقلع وراءه ببقيةِ عسكرِهِ ، وانقلع أيضاً خيرانُ برجاله . وصبر الموالي العامريون قليلاً حول صاحبهم المرتضى ، على أحرَّ من جمرِ الغضا ، وهو مع جُبْنِه حَسَنُ الثباتِ ، حتى استعجَرَ القتلُ في أصحابه ، وصُرِعَ كثيرٌ منهم حوله ، فانكشفوا عنه ، وخاف أن يُقْبَضَ عليه فولى ، فوضع عليه خيرانُ عيوناً لثلاً يخفى أثره ، فلحقوه بقربِ وادي آش وقد أَمِنَ على نفسه ، فهجموا عليه وقتلوه ، وجاءوا برأسه إلى خيرانَ ومنذر ، وقد لحقا بالمرية ، فتحدَّثَ الناسُ أنهما اصطبحا على رأسه سُروراً بمهلكه ، وتناولاه من الذكر عبثاً بما لم يكنُ أهلاً له ، وجعلاً يقولان : يا أحيقُم^١ قُسمُ فاعْرِضْ جندَكَ ؛ كلمةٌ تحدَّثَ بها عنهما جرأةٌ على الله ونكثاً لعهودِهِ . ففُقد المرتضى على هذه السبيل ، ونجا من تلك الملحمة أخوه أبو بكر ابن هشام ، ولحق بالموالي العامريين فزهدوا فيه ، فاستقرَّ عند ابن القاسم صاحبِ حصنِ البُونتِ^٢ ، وكان شيعةَ المروانيةِ على سوءِ ما أسلفوه في سلفه ، فأجاره وضيّفه ، ولم يزل مقيماً عنده إلى أن كان من تقديمه للخلافة ما كان .

قال ابن حيان : فحلَّ بهذه الواقعة على جماعة من الأندلس مصيبةٌ سوداءُ أنست ما قبلها ، ولم يجتمع لهم على البربر جمعٌ بعد ، وأقروا بالإدبار ، وباءوا بالصغار .

وورد على القاسمِ بقرطبة كتابُ زاوي بشرحها مع نصيبه من الغنيمةِ ،

١ البيان : يا حسن ؛ ط س ب : يا أحيمر .

٢ ط والبيان : البنت .

وفي جملتها سُرَادِقُ المرتضى . ففصر به القاسمُ على نهر قرطبةَ وغشيهُ من
النَّظَارَةِ جُمْلَةً من عليهِ الناسَ ، وقلوبُهم تتَقَطَّعُ حَسْرَةً منه ؛
فركدت رِيحُ المروانية من ذلك الوقت بقتلِ ^١ من نجمَ منهم في أطرافِ
الأرضِ ، وأيسَ الناسُ من دولتهم ، وألوى الحمولُ بجملتهم ، فتقطعوا
في البلادِ ودخلوا في غمارِ الناسِ ، وامتهنُوا واستهينُوا .

حُدِّثَتْ بزوائدَ في شرحها جُصِرَتْهَا تسميماً للقصة :

قالوا : لما جاءُ منذرُ التجيبيّ في جيشه مع الإفرنجِ وغيرهم للاجتماع
بالمرتضى بشاطبةَ لغزو قرطبةَ ، وفي جملته ابن مسوف ، اجتاز على بِلَنَسِيَّةَ
فأغلقَ واليها مبارك ^٢ بابها في وجهه ، ومنعه من دخولها ؛ فلما اجتمع
بالمرتضى بشاطبةَ أغراهُ على مبارك ^٣ أن يُخرجَه معهم للغزو فلم يجبه
المرتضى لذلك ، وأقام عُدْرَ مباركٍ ، وأقعدَه خلفَه لجمعِ الأموال وإنفاذها
خلفه ، فأحقده عليه ، فجمع ابن مسوف وخيران ومنذر ، وتظاهروا على
الغدرِ به ، فمالوا به إلى غرناطةَ ، وقالوا : لا يصلحُ أن نسيرَ إلى قرطبةَ
وراءنا هذا العدو ، ثم دسوا إلى زاوي وأسروا عليه الغدرَ بالمرتضى . فلما
أصبحوا للقتال جعل منذرٌ يُحرِّضُ المواليَ العامريين سُخْرِيَةً يبغي توريطهم
ويقول : أين أنتم معشرَ أربابِ المملكةِ المؤثرينَ على كل طبقةٍ ؟ أين أصحابُ
الوظائفِ المرتبةِ ؟ هذا يومُكم ، تقدّمُوا . فحميَ القومُ وخرجتْ
صنهاجةَ ومغراوة من زَنَاتَةٍ فاجتلدوا أَيْاماً ، فلما حميَ اللوطيس

١ البيان : وقتل .

٢ ب : المبارك .

٣ ب : أغراه مبارك على .

أشارَ منذرٌ وخيرانُ بإدْناءِ المحلّةِ إلى قربِ حومةِ القتالِ . فلمّا
زُحِزِحَتْ صنهاجةٌ من موضعها اضطربَ العسكرُ^١ ، وشدَّ البرابرُ
شدّةً منكراً ، فانحازَ منذرٌ وخيرانُ لأوّلِ وقتهما وانهزما على وجوههما ،
فلم يكُ للناسِ ثباتٌ بعدهما ، فاستمرتْ بهنّ الهزيمةُ حسبما تقدّم .

وأخبرَ عن منذرٍ أنّه الذي ورّطَ المرتضى وحلفاءه^٢ ، وأقحمهم أوعاراً
صعبةً حتّى أنزلوهم فوق رؤوسِ صنهاجة في الجبلِ المطلِّ عليهم . ولما شرعَ في
قتالهم بانَ لمانذرٍ جدُّ الموالى ، ولم يشكَّ في ظهورهم فحسدّهم وتَحَيَّلَ
لهم بما قَلَّ حدّهم . وكان بلغه أيضاً عن زاوي أنّه لا يشكُّ في الغلبةِ
فتداركتهُ بكتابٍ يشنيه به عن حربيه ، فراجعتْ نفسُ زاوي وطمّعتْ
في النجاةِ فلذلك ما جدَّ في القتالِ^٣ .

وهوّلَ ما عاينتهُ زاوي من اقتدارِ أهلِ الأندلسِ في تلكِ الحربِ وجَمْعِ جاعهم
بسه ، وإشرافهم على التغلبِ عليه ، ما هانَ سلطانهُ عنده بالأندلسِ وعزم
على الخروجِ عنها نظراً في عاقبة أمره^٤ ، ودعا جماعةَ قومه مُستنصِحاً
فعصّوهُ في ذلك ، لظنهم بطيبِ معيشتهم بالأندلسِ ، فلم يشنه ذلك عن
عزمه ، وركبَ هو البحرَ بماله وأهله فلحقَ بإفريقيةِ وطنه . فكان من
أغربِ الأخبارِ في تلكِ الدّولةِ الحموديةِ انزعاجُ ذلكِ الشيخِ الباقعةِ زاوي
ابنِ زيري عن سلطانه ، ولفظه لما كان يلوّكُه من فلذةِ كبدِ الأندلسِ ،

١ ب : الممسكر .

٢ ب س : وحلفاءهم .

٣ حدثت بزوائد في شرحها . . . في القتال : لم يرد هذا في ط ، ولا وجود له في
البيان المغرب .

٤ زاد في س : فتجدد لذلك أثر الفتح عليه ، (أقرأ : فتحدث بذلك ...) .

أرض البيرة ، بأثر الفتح العظيم الذي أُتيح له على المرتضى ومن كان معه من عساكر أهل الأندلس . فأخذ في عبور البحر حين صفا العيشُ واخضرَّ عوده ، ووقم العدو وفُلَّ غربه ، فصمم في الرّحيل بعد أن استأذن صاحب إفريقيا يومئذ المعز بن باديس ابن عمه ، في ذلك ، فأذن له ، وحرص جميع بني عمه بالقيروان على رجوعه لهم لحال سنه ، وتعريضهم يومئذ عن مثيله من مشيختهم لمهلك جميع إخوانهم ، وحصوله هو قعدُد بني مناد .
 الغريب شأنه ، في ألاّ يحتجب عنه من نسائهم زهاء ألف امرأة في ذلك الوقت ، هنّ - زعموا - محرمٌ له من بنات إخوانه وبناتهن وبني بنينهن .
 فرحل عن الأندلس سنةَ عشرين وأربعمائة ، واستقلت به سفنه من مرسى المنكب ، وفي شحنتها من ذخائر الأندلس ما يفوت الإحصاء كثرةً لعظيم ما خمسَه^١ أيام الفتنه . فاجتمع شمله بالقيروان ، وأقره المعز في دولته وكفنه . إلا أنه لم يؤثره ولا أناف بمحلّه ولا قلده ولا واحداً من ولده شيئاً من عمله^٢ ، بل وكلّهم إلى سُحتهم^٣ .

قال ابن حيان : وحُدثتُ عن السبب المزعج كان ازاولي يومئذ في ارتحاله ، وذلك أنه لما انهزم المرتضى قال زاوي لقومه : كيف رأيتم ما قد خلصنا منه ؟ قالوا : عظيماً ، قال : فلا تناسوه وتغالطوا أنفسكم بعده ، إنّ انهزام من رأيتموه لم يكن عن قوّة منا . إنما جرّه مع القضاء غدرُ ملوكهم لسلطانهم ليُهلكوه كما فعلوا ، فإني عرفت ذلك من يوم نزولهم ، ولذلك ما كنت أقوي نفوسكم ، وقد نجّانا الله منهم برحمته ، ومضى

١ البيان : حازه ؛ ط : قشه (اقرأ : قشه أو قمشه) .

٢ س ب : أعماله .

٣ ط : محنهم .

القوم ولم يعدوا إلاّ رئيسهم ، واستخلافه هينٌ عليهم ، ولستُ آمنُ عودَهم جملةً إليكم فيما بعد ، فلا يكون لنا قوامٌ بهم ، فالرأيُ الخروجُ عن أرضهم ، واغتنامُ السّلامة مع إحرازِ الغنيمة ، والرجوعُ إلى الحملة التي انفصلنا عنها كافينَ للعيالِ والذريةِ ، مباعدينَ لهم لما وراءنا من أهلِ جنسنا^١ زناتة ، الأعداء في الحقيقة ، الذين لا يغفلون عنا وإن غفلتِ الخليفةُ ، لاسيما وقد قرّفتنا قرّحهم ، ونَبَسْنَا أحقادهم المدفونة . فإن فرغُوا لنا على قلةٍ عددنا ، وظاهروا علينا الأندلسَ وقعنا منهم بين لحيي أسد فاصطلمونا ، وها أنا قد أدّيتُ لكم النصيحة وأنا راحل عن الأندلس ، فمن أطاعني فليرحل معي . فلم يساعده أحدٌ ، فرحل كما وصفناه .

وبلغني أن جلالي بن زاوي تلوم بغرناطة^٢ ، بعد حصولِ والدِه بالمنكَب ، أياماً لتتميمِ لُباناته^٣ . وقد دبّر مع الراحلين من بني عمّه القبضَ على قاضي البلدِ ابن أبي زمين والشيخة من أهله إذا رجعوا من تشيعِ أبيه ليأخذَ أموالهم . فاهتدى ابنُ أبي زمين لتدبيره ونكَب عن المنكَب إلى حبّوس ، وكان متوقفاً بحصنِ آش يرتقبُ ركوبَ عمّه البحرَ فيلحقَ بغرناطة ، فكان ذلك كذلك . فركب مع ابن أبي زمين وقد خوفه بوائقُ الإبطاء ، فلم تشعرُ صنهاجةُ حتى أطلَّ عليهم قارعاً طبوله ، فخرجتُ صنهاجةُ تستقبلُه ووقف ابنُ عمّه جلالي ببابِ البلدِ حائزاً قد فسد تدبيرُه على ابن أبي زمين ، ولم يُعرجَ حبّوس عليه حتى صعد إلى قصبة غرناطة فضبطها وحطَّ رحله فيها . ثم خرج إلى ابنِ عمّه جلالي ليودّعه ،

١ س ط : جنه .

٢ ط : وتلوم ابنه جلالي بغرناطة .

٣ ب س : حاجاته .

فعاثه حلالي في اقتحامه عليهم وقال له : الفوت خفت أبا مسعود في بلدك ؟ !
 أهذا دخولٌ مكتتبٌ بفراقٍ عشيرته ؟ ! هو بدخولٍ شامتٍ أشبه ! !
 كأنك فتحتَ بلدًا وطردتَ عدوًّا ؟ ! فاعتذر له حبّوس ، وقال :
 ما ذاك إلا لرسمِ الإمارة ، وإرهابِ الرعيّة . ثم استوطن حبّوس البلدَ
 وأورثه عقبه .

قال ابن حيان : وبلغني أنّ زاوي استوهب عليّ بن حمّود ، يوم
 قُتل سليمان بن الحكم رأسه ، حنقاً على بني مروان المهديّ إليهم رأسُ
 زيري والدّه ، وأنّه أسعفه بذلك ، فصار عنده ، ونقله من الأندلسِ
 معه في ذلك الوقت مفتخراً به على أهل بيته . فإن يكنّ ذلك حقاً فزاوي
 أكبرُ من أدرك الثارَ المنيم ، ورخصَ العارَ المُقيم . وأخبارُ هذا الداهيةِ
 زاوي كثيرةٌ ، ونوادِرُ أفعاله ماثورة .

وكان حبّوس هذا أحدَ نأبِي ١ برابرةِ الأندلس اللذين يفترون
 عنهما ٢ ، لم يبق بعده يومئذ ، سوى محمد بن عبد الله نظيره ، من تُرهب
 له شدّةٌ . وكان على قسوته يُصغي إلى الأدب ، وينتمي في العرب ، للأثرِ
 المقفوّ في قومه صنهاجةً . وكان يؤثّرُ لذلك « كتابَ التيجانِ » لابن
 دريد ٣ في ذكر مناقبهم ، ولا يُغيبُ سماعه ومطالعتَه . وكان وقوراً
 حليماً ، فظاً مهيباً ، نزرَ الكلام ، قليلَ الضحك ، كثيرَ الفكر ٤ ،

١ ط : فاني ؛ ب س : نأبي ، وصوبته بحسب المعنى .

٢ ب س : يفترون عنهما ؛ والنابان أحدهما حبوس والثاني هو محمد بن عبد الله البرزالي ؛
 وافتّر عن فابه : كشف عنه .

٣ كذا في ب س دون ط ، والمشهور أنّ التيجان لوهب بن منبه ، غير أنّ هذا لا يمنع
 أن يكون لابن دريد كتاب بهذا الاسم .

٤ ب س : طويل .

شديد الغضب ، غليظ العقاب^١ ، شجاعاً حسن الفروسية ، جباراً متكبّراً ذاهيةً ، واسع الحيلة ، كامل الرجولية^٢ ، له في كل ذلك أخبار مأثورة^٣ .

أخبرني أبو الوليد ابن زيدون قال : سأل حبّوس يوماً محمد بن عبد الله في بعض التقائهما عن سنّه بمعراض فقال : ابن كم كنت يوم قُتل ابن الخير^٤ ؟ فأجابه مُسرّعاً : كنتُ يوم قُتلَ زيري بن مناد يَفْعَةً ، وشهدتُ وقعته مع قومي ابن كذا . فتبسّم حبّوس ، وعجباً من حضر من فطنتهما . وإنما أراد حبّوس تعيير ابن عبد الله بمقتل ابن الخير سلطان زناتة المصّاب في وقعة صنهاجة ، فعارضه ابن عبد الله بذكر وقعتهم بجدّ حبّوس زيري بن مناد . فلو كانا في الرّعيّل الأول من أذكيا العرب ما زادا على ما أتيا به .

وقد أعاد عليّ ولد ابن عبد الله أيام لقيته بقرطبة عن والده محمد ابن عبد الله بالطف من هذا التعريض ، مكتفياً باسم الموضعين عن ذكر اسم الرجلين ، فقال : قال حبّوس لوالدي يوماً : أشهدتَ يوم تلمسان ؟ فقال له والدي : لا ، أوّلُ مشاهدي يوم كَرَضُ ؛ ويومُ تلمسان يومُ الخيرِ وزناتة ، ويومُ كَرَضُ يومُ زيري وصنهاجة . فلم يزد أحدهما

١ س : الحجاب .

٢ ط : الرجولة .

٣ ب س : مشهورة .

٤ محمد بن الخير بن خزر الزناتي خاض حرباً ضد صنهاجة بقيادة زيري فقتل زيري ، ثم إن يوسف بن زيري أراد الثأر من زناتة وغلب محمد بن الخير وهزمه (سنة ٣٦٠) وحين وجد محمد أن يوسف قد أحاط به انتحر (البيان المغرب ٢ : ٢٤٣) .

على التبعيم ، وما درى من معهما ما ذهباً إليه ، إنتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسّام^١ : ومن مליح التلويح بالمعارض قول رجل من نمير
وقد سائرهُ ابنُ هُبيرةَ الفَزاري فزادت بغلةُ النميري عليه ، فقال له ابن هُبيرة :
غَضُّ من لجامها ، فقال : إنها مكتوبةٌ - أعزك الله - فضحك . وإنما
أراد ابنُ هُبيرةَ قولَ جرير :

• فغَضُّ الطرفِ إنَّكَ من نمير •

وأراد النميري قولَ ابنِ دارةٍ في فزارة :

لا تأمننَّ فزاريّاً خلوتَ به على قَلُوصِكَ واكتبنها بأسيارِ

وكانت فزارةُ ترمي بإتيان الإبل ، ولذلك قال الفرزدق يهجو ابنَ هُبيرة :

[أميرَ المؤمنين وأنتَ برُّ حليمٌ لستَ بالخشعِ الحريصِ]
أوليتَ العراقَ ورافديتهِ فزاريّاً أخذَ يدِ القميصِ ؟
ولم يكُ قبْلَها راعي مَخاضٍ ليأمننهُ على وركي قَلُوصِ

ومن المعارضِ : أن رجلاً هلابياً بات مع رجل من مُحاربٍ على
بعضِ المياه ، وقد كثر فيه صياحُ الضفادع ، فقال الهلابيُّ : ما تركتُنا
شيوخُ مُحاربٍ ننامُ الليلة ، فقال له المحاربيُّ : إنها أضلتَ برُقْعاً فجعلتُ

١ قارن بما جاء في السمت : ٨٦٢ - ٨٦٤ والاقتضاب : ٥٠ والمقد ٢ : ٤٦٨ - ٤٦٩
وفصل المقال : ٤ - ٦ والخزافة : ٤ : ١٦٨ والبيان : ٢ : ١٨١ - ١٨٢ وزهر
الأدب : ٢١ وكنايات الثعالبي : ٥٦ - ٥٨ فقد ورد فيها معظم هذه القصص المتصلة
بالتحريض .

تطلبه . أراد الهلالي قولَ القائل ١ :

تجيشُ بلا شيءٍ شيوخُ مُحاربٍ وما خلَّتْها كانت تريشُ ولا تبري
ضفادعُ في ظلماءٍ ليلٍ تجاوبتُ فدلَّ عليها صوتُها حيةَ البحرِ
وأرادَ المحاربيُّ قولَ الآخر :

لكلِّ هلاليٍّ من اللؤمِ بُرْقُعٌ ولا بن يزيديٍّ برقعٌ وجلالٌ ٢

وحضر بابَ عبد الملك ناسٌ من العرب فيهم تميميٌّ ونُميريٌّ ، فمرَّ
عليهم رجلٌ ٣ يحملُ بازيًا ، فقال التميمي : ما أحسنَ هذا البازي ! فقال
النميري : أجلُّ ، وهو يصيدُ القطأَ ؛ أراد التميميُّ قولَ جرير :

أنا البازي المطلُّ على نُمَيْرٍ أتبع لها من الجوّ انصبابا
وأراد النميريُّ قولَ الطرِمَاح :

تميمٌ بطُرُقِ اللؤمِ أهدى من القطأِ ولو سلكتُ سبلَ المكارمِ ضلّلتُ

ومن المعارض قول معاوية للأحنف بن قيس : ما الشيء الملتفُّ
في البجاد ؟ قال : السخينةُ يا أميرَ المؤمنين ؛ أراد معاويةُ قولَ القائل :

إذا ما مات مَيّتٌ من تميمٍ فسرّك أن يعيشَ فجىءُ بزادٍ
بُخْبُزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ أو الشيء الملتفُّ في البجادِ

١ البيتان للأخطل ، ديوانه : ١٣٢ وفيه : تنق بلا شيء .

٢ البيان والمعتمد : وقميص .

٣ ط : ومر على فاس من العرب فيهم نميري و تميمي رجل .

وأراد الأحنف أن قُرِيشاً كانت تُعَبِّرُ بِأَكْلِ السَّخِينَةِ^١ ، وهي حساءٌ من دقيق يُتَّخَذُ عند غلاءِ السَّعْرِ ، وفي ذلك يقولُ شاعرُ كنانة :

بأشدَّةٍ ما شَدَدْنَا غَيْرَ كاذبةٍ^٢ على سَخِينَةٍ لولا الليلُ والحَرَمُ

ومن المعارض قولُ النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة مُخْفِياً لشأنه عن قريش ، ومعه أبو بكرٍ ، فكلما سألهما سائلٌ عن شأنهما قال : نحنُ باغٍ وهادٍ ، يريدُ باغياً للخيرِ ، وهادياً إليه .

ومنه : قوله عليه السلام ، حين خرج هو وأبو بكرٍ يتحسَّانِ عن العيرِ ، وقد سألا بِسَبَبٍ فأخبرهما على أن يخبراه بأمرهما ، فلمَّا أخبرهما وسألهما ، قال له عليه السلام : نحنُ من ماءٍ ، فقال لهما بِسَبَبٍ : ما رأيتُ كالْيَوْمِ عَجَباً ، أَمِنْ ماءٍ كذا ، أم من ماءٍ كذا ؟ يعددُ مياهَ العربِ . وقد قال عليه السلام لأصحابه ، حين أرسلهم إلى بني قُريظَةَ أيامَ الأحزاب : إن رأيتموهم على غيرِ ما أحبُّ فالحَنُوا لي . فلمَّا انصرفوا قالوا له : يا رسولَ الله ، عَصَلٌ والقَارَةُ ، وقد كان هذان القبيلان غَدَرا ، فكفى لهما بهما أصحابُهُ عن غَدَرِ بني قُريظَةَ .

ومما يتعلَّقُ ببابِ المعارضِ^٣ : قوله عليه السلام للمرأة : عَلِمِي حَقِصَةَ رُقِيَةِ النَّمْلَةِ ، وكانت حَفْصَةُ عليها السلام عندما يريدُها صلى الله عليه وسلم ربَّما تَلَبَّتْ ، فأراد أن يلحن لها برقية النَّمْلَةِ ، وكانت العربُ ترقِيها في

١ ط : تعبير بالسخينة .

٢ ب س : غير منكورة .

٣ لم يرد هذا الخبر في ط ، وانظر مسند أحمد ٦ : ٣٧٢ .

الجاهليّة ، يقول لها : العروسُ تكتحل وتحتفل ، وكل شيءٍ تَفْتَعِل ،
غيرَ تعاصي الرجل .

وشبيهُ هذا ما فعله معاوية - رحمه الله - حين بلغه أن بعضَ بناته
تمتنع ، فدخل عليها ، فجعل ينكّثُ بقضيه ويُنشد :

من الخفّراتِ البيضِ أماً حرامها فصعّبُ وأما حلّها فذلّسولُ

ومن المعاريضِ الخبرُ المأثورُ عن كُثَيّرٍ وجميلٍ ، قال ^١ : زار
جميلُ ^٢ بثينةَ ورام إيصالَ شيءٍ إليها فعزّه ذلك . فلقِيَ كُثَيّراً وقد
ارتحل من عند أبيها ، فسأله عن موضعِ مَبيته ، فقال : كنت عند أبي بثينة .
فقال له : هل إلى إعلامها أنّي ها هنا سبيلٌ ؟ فقال : هل كان بينكما
شيءٌ تعرفُهُ هي ؟ فقال : نعم ، آخرُ عهدي بها بأسفلِ وادي الدّوم ،
وأصاب عمامتي شيءٌ ففسلته جاريتهُ . فرجع كُثَيّرٌ قبل أن يقومَ والدُ
بثينة من مجلسه ، فقال : ما رجعتك ؟ قال له كُثَيّرٌ : أبناتُ قلتها وأحببتُ
أن تسمعها ، قال : هاتِ ما عندك ، فأنشده :

وقلتُ لها : يا عَزَّ أرسل صاحبي على طولِ نأيٍ والرسولُ موكلٌ ^٣
[بأن تجعلني بيني وبينك موعداً وأن تأمريني بالذي فيه أفعلُ
وآخرُ عهدي منك يومَ لقيتني بأسفلِ وادي الدّوم والثوبُ يُغسلُ]
فقالت بثينة : احسأ ! فقال أبوها : مالك يا بثينة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا

١ انظر الزهرة : ١١١ - ١١٢ والأغاني ٨ : ١٠٧ والشعر والشعراء : ٣٤٨ .

٢ ط : ومن المعاريض ما حكى عن جميل أنه زار . . .

٣ ط : والموكل مرسل ، وانظر ديوان كثير : ٤٥٢ .

إذا هوَّ الناسُ من وراءِ هذهِ الرابِيةِ .

قال ١ : ودخل محمد بن أمية الشاعرُ مجلساً فيه قينةٌ تغني فأعجبته ،
فقال لها : جعلتُ فداكِ ، أتُحسِنين أن تُغَنِّي :

خَبَّرَني مَنْ الرِّسُولُ إِلَيْكِ واجعليه من لا ينمُ عليك ٢

فقالَتْ له : لا ، وقُدِّمتُ قبلكَ ، ولكنِّي أغنِّي في طريقته :

أحمدُ قال لي ولم يَدْرِ ما بي أتُحبُّ الفداةَ عُتْبَةَ حقا ٣
وأوماتُ إلى مُخَنَّثٍ ٤ كان على رأسها اسمه أحمد .

وقد أرخصَ الفقهاءُ في هذهِ المعارِضِ ، وقال بعضُ السَّلَفِ :
في المعارِضِ " مندوحةٌ عن الكذب " ٥ .

وكان التَّخْصِي إذا خرج من عنده أصحابُه يقول لهم : قولوا لِمَنْ
سألَكم عَنِّي : لا ندرِي أين هو ، فإنَّكم لا تَدْرُونَ أينَ أُنْحوَلُ من الدَّارِ .
ومنها قولُ شُريحٍ ، رحمه الله ، في شأنِ عبدِ الملك ، وقد عاده

١ انظر الأغاني ١٢ : ١٤٤ .

٢ البيت لمحمد بن أمية ، كما ذكر في الأغاني .

٣ لأبي العتاهية ، ديوانه : ٥٨٣ .

٤ ط : غلام .

٥ ط : وقيل إن فيها .

٦ قال الميداني (١ : ٩) إنه من كلام صمران بن حصين ؛ وروي عن مطرف بن عباد بن
الشخير (طبقات ابن سعد ٧ : ١٤٤) ورفعهُ البكري في السمع : ٢٤٠ إلى
الرسول (ص) ؛ وانظر فصل المقال : ٤ .

في علته التي مات منها : تركته يأمر وينهى ، فلما استُفهم قال : يأمرُ بالوصية وينهى عن البكاء .

وأهدى علي^١ بن هشام إلى المأمون جارية اسمها «صرف» حين أحسَّ بتغيره عليه ، وأمرها أن تكتب إليه بما عسى أن تحسَّ به من ذلك إليه ؛ فوقف^٢ يوماً بين يديه فسقطت منه رقعة^٣ ، فأخذها المأمون فإذا فيها : « يا موسى ، يا موسى » ليس شيء غير ذلك . فقال المأمون لجلسائه : أيُّكم يعلمُ إيماء هذه الرقعة ؟ فكلهم قال : لا أدري . فقال : هذه كتبتُ من قصري ، تخوفُ هذا الرجلَ بادرني ، أراد كاتبها قوله تعالى : ﴿ يا موسى إنَّ الملأَ يأتمرون بكَ ليقْتُلوكَ ﴾^٤ ثم حذف إخفاءً ، وكرَّر توكيداً . فبحث عن أمرِ الرقعة فإذا هي لصرف .

ومن مליح^٥ فطنة المأمون أيضاً - وله بهذا الباب بعض تعلق - أنه جلس يوماً في بعض مجالس أنسه ، وفي المجلس عريب المأمونية ، وأحمد ابن محمد بن حمدون الذي كان يهاها ، فأوماً إليها بقبلة ، فاندفعت تغني بيتَ النابغة الجعدي^٦ :

رمى ضرعَ نابٍ فاستمرَّ بطعنةٍ كحاشيةِ البردِ اليماني المسهمِ

فقال المأمون^٧ : من أوماً إلى عريب بقبلة ؟ فوجم الحاضرون ، فعزم عليهم ليخبروه^٨ . فقال أبو عيسى أخوه : لا تظلم الناس ؛ من يجترئ

١ هنا وقع خرم في ب ضاعت بسببه ورقات .

٢ انظر الاغانى ٢١ : ٧٨ - ٧٩ .

٣ ديوانه : ١٤٣ .

٤ س : علي وعلي لئن لم تخبروني لأقتلنكم .

على هذا إلاّ هذا الفاسق ؟ وأوماً إلى ابنِ حمدون ، فاستُفسرَ المأمون من أين وقع له ذلك ، فقال : هي لا تغنيّ حتى تؤمرَ واندفعتْ تغنيّ ارتجالاً .
ودخل حارثةُ بن بدر^١ على زيادٍ وفي وجهه أثر . فقال له زيادُ :
ما هذا الأثرُ في وجهك ؟ قال : ركبْتُ فرسي الأشقرَ فجمَحَ بي ! فقال : أمّا إنك لو ركبْتَ فرسكَ الأشهبَ ما فعل ذلك ! فكُنِيَ بالأشقرِ عن النبيذِ ، وبالأشهبِ عن اللبنِ .

فصل في ذكر الأديب أبي بكر عبادة بن ماء السماء^٢ ، وإثبات جملة من شعره مع ما يتعلّق به من ذكره^٣

قال ابن بسّام : [هو عبادة بن عبد الله الأنصاري من ذرية سعد بن عبادة ، وقيل له ابن ماء السماء لجدهم الأول . ولحق بقرطبة الدولة العامرية والحمودية ومدح رجالها] . وكان أبو بكر في ذلك العصر شيخَ الصنّاعة ، وإماماً^٤

-
- ١ في النسخ : زيد ، وهو خطأ ؛ وحارثة بن بدر القداني كان جليّس زياد (انظر ترجمته في- الأغاني ٢٣ : ٤٤٤ - ٥٠٠ وقد وردت القصة ص : ٤٨٢) .
 - ٢ ترجمة عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن ماء السماء في الجذوة : ٢٧٤ (البغية رقم : ١١٢٣) والصلة : ٤٢٦ وأدباء مالقة : ١٤٥ (مخطوطة خاصة) وصفحات متفرقة من فصح الطيب ، وله مقطعات شعرية في كتاب التشبيهات ، وانظر أيضا الفوات ١ : ١٤٩ وقد أورد له ابن شاکر موشحتين ؛ إلا أن الصفدي نسب إحداهما إلى محمد ابن عبادة القزاز (الواني ٣ : ١٨٩) . وقد كان عبادة أحد تلامذة اللغوي المشهور أبي بكر الزبيدي ، وقد ألف كتابا في أخبار شعراء الأندلس (النفع ٣ : ١٧٣) وعن هذا الكتاب ينقل ابن سعيد في المغرب ؛ وترجم له ابن خاقان في المطمح : ٨٤ ترجمة موجزة (وعنه النفع ٤ : ٥٢) وانظر المسالك ١١ : ٣٩٧ .
 - ٣ س : يتعلّق بذكره .
 - ٤ الفوات : وأحكم .

الجماعة . سلك إلى الشعر مسلماً سهلاً ، فقالت له غرائبه مرحباً وأهلاً . وكانت صناعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها ، ووضعوا حقيقتها ، غير مرقومة البرود ، ولا منظومة العقود ، فأقام عبادة هذا منادها ، وقوم ميلها وسنادها . فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه ، ولا أخذت إلا عنه . واشتهر بها اشتهاً غلب على ذاته ، وذهب بكثير من حسناته ^١ .

وهي أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب ، تُشَقُّ على سماعها مصونات الحبوب بل القلوب . وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأقننا واخترع طريقتها - فيما بلغني - محمد بن محمود ^٢ القبري الضرير . وكان يصنعها على أشطار الأشعار . غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة . يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المَرَكِزَ . ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان . وقيل إن ابن عبد ربّه صاحب كتاب « العقد » أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا . ثم نشأ يوسف بن هارون الرّمادي فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكز . يضمّن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة . فاستمر على ذلك شعراء عصرنا كمكرم بن سعيد وابني أبي الحسن . ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التضمير ^٣ . وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمّنها . كما اعتمد الرّمادي مواضع الوقف في المركز .

١ قوله : وكانت صناعة التوشيح... حسناته : النص في كتاب أدباء مالقة نقلاً عن كتاب الأصمغ .

٢ ط : حمود ؛ وهو محمد بن محمود القبري عند الحميدي (الجذوة : ٨٦) .

٣ هذه اللفظة غير واضحة تماماً في نسخة الدخيرة س ؛ وقد سقط النص كله في ط ابتداء من قوله : ثم نشأ . . . في المركز ؛ ولهذا أثبت ما جاء في الفوات .

وأوزان هذه الموشحات^١ خارجة عن غرض هذا الديوان^٢ إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب .

وقد أثبت من شعر عبادة في هذا الفصل ومن سائر كلامه ، ما يدل على تقدمه وإقدامه .

جملة من شعره في أوصاف شتى

أخبرني الفقيه أبو بكر بن العربي عن الفقيه أبي عبد الله الحميدي قال ، أخبرني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم^٣ أن أبا بكر عبادة كان حياً في صفر سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ، وكان البرد المشهور خبره في ذلك الوقت^٤ الذي لم ير مثله ، فقال عبادة^٥ :

يا عبيرة أهديت لمعتبر عشيّة الأربعاء من صفر
أرسل ملء الأكف من برد جلامداً تنهمي على البشر
فيآلها آية وموعظة فيها نذير لكل مزدجر
كاد يذيب القلوب منظرها ولو أعيرت قساوة الحجر

قال أبو عبد الله الحميدي : وذكر أبو عامر ابن شهيد أن عبادة هذا مات

١ ط : وهي أوزان .

٢ س : كتابنا هذا .

٣ ط : حكى أبو عبد الله الطميدي عن الفقيه أبي محمد ابن حزم ؛ وانظر الجذوة : ٢٧٤ .

٤ س : التاريخ .

٥ إنظر الجذوة ، ومنها بيتان في المسالك .

في شوال سنة تسع عشرة بمالقة ، ضاعت له مائة مثقال فاغتم عليها وكانت سبب وفاته . فلا أدري مَنْ وهمَ منها ، وأبو محمد بن حزم أعلم بالتواريخ وأحفظ للتقييد ، والله أعلم .

وقال ١ :

لا تشكُّونَ إذا عثُرُ
فيريكَ ألواناً ٢ من الـ
إيَّاكَ أن تدري يميـ
واصبرُ على نُوبِ الزماـ
وإلى الذي أغنى وأقـ
تَ إلى خَلِيطِ ٢ سوءَ حالِكَ
إذلالٍ لم تخطُرُ بيـالك
نُك ما يدورُ على شمالِكَ
ن وإن رمت بك في المهالك
ننى اضرعُ وسلهُ صلاحَ حالِكَ

وقال يتغزل :

إذا رُمْتُ قطفَ الوردِ ساورني الصَّدغُ
غزالٌ بجسمي قرةٌ من جفونه
زيارته أخفى خفاءً من السُّها
بعقربٍ سحرٍ في فؤادي له لَدغُ
وفي أدمعي من لون وجنته صِبغُ
ودونَ فراغي من محبته الفَرغُ

وقال :

ما مرَّ يومٌ عليَّ لم أركِ إلاَّ وجدتُ الضميرَ صَوْرَكَ

١ الفوات ٢ : ١٤٩ وفي الفيت ١ : ٩٧ منها بيتان .

٢ الفوات : صديقك .

٣ الفوات : أنواعاً .

ولامبيتي وأنت لست معي^١ إلا مبيت القطاة في الشرك^٢
أما أنا فالبعاد غيّرني وأنت خوف الرقيب غيرك
يا لُعبة صوّرت لسفك دمي غطي بفضل^٣ النقاب محجرك

وقد رويت هذه الأبيات^٤ لابن القطان .

نقلت من خط الوزير أبي عامر بن مسلمة قال : أنشدني^٥ أبو بكر
عبادة^٦ لنفسه .

اجل المدامة فهي خير عروس
واستغنم اللذات في عهد الصبا
تجلو كروب النفس بالتنفيس
وأوانه لا عطر بعد عروس
قال : وأنشدني أيضاً^٧ :

اشرب فعهد الشباب مُغتَنَمُ
وعاطنيتها بكف ذي غيد
وكانها صارم الأمير وقد
واحد بتدكاره الكؤوس فما
وفرصة في فواتها ندم
الحاظه في النفوس تحتكم
خضب حديثه من عداه دم
يلد نقلاً سوى ثناه فسم

وقال أيضاً :

١ س : إذ لست أنت معي .

٢ س : بالشرك .

٣ س : ببعض .

٤ س : هذه القطعة .

٥ ط : وأنشد له أبو عامر بن مسلمة في كتابه قال أنشدني .

٦ الفوات ٢ : ١٥٠ والممالك ١١ : ٣٩٨ .

٧ انظر الفوات والممالك .

وليلةٍ للسرورِ كان لها
قصيرةٍ أقصرَ الغرامِ بها
ناولني الكاسَ بدرُها بيدٍ
يعلُّني ريقَةَ الحياةِ فَمُ
وقال أيضاً :

سقى اللهُ أيامي بقرطبةِ المني
وكم مُرِجتُ لي الراحُ بالريقِ من يدي
أوان عذارى لم يرُعْ بمشيه
تعلُّني فيه الأمانى بوعدها
سلِّ العنَمِ البادي من السجف دانفاً
وقال أيضاً ٤ :

فهل ترى أحسنَ من أكؤسٍ
يقولُ للسَّاقِ : أغني ٦ بها
أغرقَ فيها الحمُّ لكنْ طفا
كأنما شَبَّها شاربٌ

١ ط : الحسن ساق بحسن خلخال .

٢ س : طريف .

٣ كرى المنتشي من : هذه قراءة نقدية .

٤ الفوات : ١٥٠ والمسالك .

٥ هنا تنتهي النسخة س ، وانحرم ما يزال مستمراً في ب ؛ ولهذا يصبح أكثر الاعتماد على ط م ، وستعامل م على أنها أوسع نصاً من ط ، وتثبت قراءاتها دون إشارة إلى ما تزيد به عن ط .

٦ في ط م : اغتبق لي ، والتصويب عن الفوات .

وهذا البيت أراه اخترع معناه^١ .

وله من أخرى في القاسم بن حمود:

ما ضيَّعَ اللهُ مُلْكاً أَنْتَ رَاعِيهِ ولا أَبَاحَ ذِمَّاراً أَنْتَ حَامِيهِ
للهِ دَرْكٌ مِنْ مَوْلَى عَوَارِفِهِ لم تُبْقِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ يَوَالِيهِ
تَهْدِيهِ وَالنَّاسُ قَدْ ضَلُّوا كَوَاكِبُ مِنْ آرائِهِ فِي سَمَاءٍ مِنْ مَعَالِيهِ
مُكْفَلًا بِرِضَاهُ هِمَّةٌ أَنْفَا ترمي إلى الغرضِ الْأَقْصَى فَتُصْمِيهِ
كَانَتْ خِلَافَتُنَا فِي الْغَرْبِ مَظْلَمَةٌ كَأَنَّ أَيَّامَنَا فِيهَا لِبَالِيهِ
سِيَاسَةٌ أَبْرَأْتُ بِالرَّفَقِ فِي مَهَلٍ دَاءَ الْخِلَافِ وَقَدْ أَعْيَا مَدَاوِيهِ
وَحِكْمَةٌ خَضَعَتْ هَامُ الْمُلُوكِ لَهَا عِزّاً فَلَا حُرّاً مَوْجُودٌ بِوَادِيهِ
مُؤَيَّدٌ جَاءَتْ الدُّنْيَا إِلَى يَدِهِ عَفْوَاً وَلَبَّيْتُهُ مِنْ قُرْبِ أَمَانِيهِ
جَلَّتْ أَيَادِيهِ حَتَّى إِنَّ أَنْفُسَنَا وما مَلَكْنَاهُ جُزْءٌ مِنْ أَيَادِيهِ

وقال يتغزل من قصيدة :

مُتَجَبِّراً لَا يَطْيِيهِ بِالرَّضَى أَحَدٌ وَلَا يَجْرِي الْوَفَاءُ بِبَالِهِ
دَارَتْ دَوَائِرُ صُدُغِهِ فَكَأَنَّما حَامَتْ عَلَى تَقْبِيلٍ^٢ نُقْطَةُ خَالِهِ
رَشَاءً تَوْحَشَ مِنْ مُلَاقَاةِ الْوَرَى حَتَّى تَوَحَّشَ مِنْ لِقَاءِ خِيَالِهِ
فَلَذَاكَ صَارَ خِيَالُهُ لِي زَائِراً إِذْ كُنْتُ فِي الْمَهْجَرَانِ مِنْ أَشْكَالِهِ
وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَرُمْتُ حَرَامَهُ فَحَمَانِي الْإِجْلَالُ دُونَ حَلَالِهِ
وَحَبَبْتُهُ حُبَّ الْأَكَارِمِ رَغْبَةً فِي خُلُقِهِ لَا رَغْبَةً فِي مَالِهِ

١ نسخة التيمورية : « من معانيه المخترعة وألفاظه المبتدعة » .

٢ ط : تحليل .

وهذا ينظر إلى قول المتنبي ^١ :

وأغيدَ يهوى نفسه كلُّ عاقلٍ عفيفٍ ويهوى جسمه كلُّ فاسقٍ

وقال عبادة في الحاجب ابن أبي عامر ^٢ :

لنا حاجبٌ حاز المعالي بأسرها فأصبح في أخلاقه واحدَ الخلقِ
فلا يفتَرُّ منه الجهولُ ببشره فمُعْظَمُ هولِ الرعدِ في أثرِ البرقِ

قال عبادة : أول شعري قلته أني وقفتُ على هدَفِ الرمي بعدوة النهر
بقرطبة ، وثمَّ غلمانٌ من أبناء العبيد ينتضلون ، فقلتُ :

وما راعني إلاَّ سهامٌ رواشقٌ إلى هدَفٍ ينحُوهُ كلُّ يدَيّ ظبيٍ
أقاموه كي يرموا إليه فلم يكنْ لهم غَرَضٌ حاشا فؤادي في الرمي

وهو القائل في ميمون بن الغانية وكان وسيماً :

قمرَ المدينة كيف منك خلاصٌ أو أين عنك إلى سواك مَنَاصُ ؟
ما أنت إلاَّ دُرَّةُ الحُسْنِ التي قلبي عليها في الهوى غَوَاصُ
والشادنُ الأحوى الذي في طَرَفِهِ سحرٌ يُصادُ بسَهْمِهِ القَنَاصُ
أمنْ جفونك من مَغَبَّةٍ ما جَنَّتْ فينا فليس على الملاح قصاصُ

وقال عبادة من قصيدة يمدح ابن حمود :

أَبْسَلُ عليك الماءُ حتَّى يشوبه دَمٌ والكرى حتَّى تُقَصِّصَ المضاجعُ

١ ديوان المتنبي : ٣٨٦ .

٢ البيتان في المسالك ١١ : ٣٩٨ .

أَجِمَّ جِياداً أَدَمَنَ الغَزْوُ نَهْكَهَا فَمِنْهَا حَسِيرٌ فِي الجِهَادِ وَظَالِعِ
وَأَغْمَدُ سِيوفاً تَشْتَكِيكَ جَفُونُهَا كَمَا تَشْتَكِي نُجْلَ العَيُونِ البرَاقِعِ
وَسَكَنُ عَجَاجِ الرَّكْضِ شَيْئاً فَقَلَمْنَا يَرَى الجَوُّ مِمَّا هَجَتْهُ وَهُوَ نَاصِعِ
وَأَنَسُ قُصُوراً طَالَ إِيجَاشُهَا بِهِ فَقَدْ أَشْفَقْتُ مِمَّا صَنَعَتِ المِصَانِعِ
وَهَلْ ضَرَّكَ البَاغِي بِسَهْمٍ مَكِيدَةٍ وَأَنْتَ بِوَاقِي عَصْمَةِ اللَّهِ دَارِعُ ؟
وَأَيُّ يَدٍ تَتَوَيَّ قِرَاعَكَ بَعْدَمَا رَأَيْنَا يَدَ الجَبَّارِ عَنْكَ تُقَارِعُ ؟

وهذه المعاني كلها مُتداوِلَة ، وألفاظها مُتناقِلة ، وإن كان قد تشبَّثَ بها معانٍ أُخَر ، فهي أَشهرُ من أن تُذكر ، منها قول المتنبي ^١ :

فَقَدْ مَلَّ ضَوْءُ الصَّبْحِ مِمَّا تُغَيِّرُهُ وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تُزَاحِمُهُ
وَمَلَّ القَنَا مِمَّا تَدْقُ صُدُورُهُ وَمَلَّ حَدِيدُ الهِنْدِ مِمَّا تُتَلَاطِمُهُ
وقال عُبادة فيه من أُخرى :

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا ابْنَ رَسُولِهِ وَوَلَّيْتَهُ المَخْتَصَّ بَعْدَ خَلِيلِهِ
ومنها :

وَلَهُ مِنَ السَّعْدِ المِتَاحِ مُبْعَدَلٌ يُغْنِي أَخَا ^٢ التَّنْجِيمِ عَنِ تَعْدِيلِهِ
وهذا كقول المتنبي ^٣ :

يُقَرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يُوَدُّهُ وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يُنْجِمُ

١ ديوان المتنبي : ٢٤٧ - ٢٤٨ .

٢ ط : آخر .

٣ ديوان المتنبي : ٢٩٢ .

وأبينُ منه قولُ ابنِ شَرَفٍ ١ :

ونُجُومُ آمالي طوالعُ بالمى والسعدُ يستغني عن التقويمِ
وفيها يقول عبادة :

كم يبعثُ الباغون رُسُلَهُمْ إلى من كتبهُ من زُرْقهِ ونُصُولِهِ
وزَعَ الإلهُ بئاسِهِ وعقابِهِ ما لم يَزَعْ بالنصِّ من تنزيلِهِ
هذا عليّ ناصرُ الدينِ الذي نُظِمَتْ لَهُ غُرُرُ السَّنا بحجوله

وهذا البيت الثالث منها كقول المتنبي ٢ :

ولا كُتِّبَ إلّا المشرقيّةُ عنده ولا رُسُلٌ إلّا الحميسُ العَرمرمُ
وكرّره في موضع آخر فقال ٣ :

ورُبَّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته وعُنوانُهُ للنّاظرينَ قَتامُ
حُرُوفُ هجاءِ الناسِ فيه ثلاثةٌ : جَوادُ ورمحُ ذابلُ وحسامُ
وقال المعري ٤ :

ولا قولَ إلّا الضربُ والطعنُ عندنا ولا رُسُلَ إلّا ذابلُ وحسامُ

ومعنى البيت الرابع منها نَظَّمَهُ من قول الحسن بن أبي الحسن البصري :
« يَزَعُ اللهُ بالسُّلطانِ ما لا يَزَعُ بالقرآنِ » .

١ التتف : ١١٢ .

٢ ديوان المتنبي : ٢٩١ .

٣ ديوان المتنبي : ٣٨١ .

٤ شروح السقط : ٦١٢ .

وكان عبادة يُظهر التشيع في شعره ، من ذلك قوله في يحيى بن حمود :

فها أنا ذا يا ابنَ النبوةِ نافثٌ من القول أرباً غيرَ ما ينفثُ الصلُّ^١
وعندي صريحٌ في ولائِكَ مُعْرِقٌ تشيعُهُ مَحْضٌ وبِيعَتُهُ بَتَلٌ^٢
ووالى أبي قيسٍ أباك على العلا فخيّم في قلبِ ابنِ هندٍ له غل

وله من أخرى في علي بن حمود الحسني^٣ :

أطاعتكَ القلوبُ ومن عَصِي^٤ وحزبُ الله حزبُكَ يا عليُّ^٥
فكلُّ من ادّعى معكَ المعالي كذوبٌ مثلَ ما كذب الدّعيُّ^٦
أبى لك أن تُهاضَ عُلَاكَ عَهْدٌ هشاميُّ وجدُّ هاشميُّ^٧
وما سميتَ باسمِ أبيك إلا ليَحْيَا بالسّميّ له السّميُّ^٨
فلن قال الفَخُورُ أبي فلانٌ فحسبُكَ أن تقولَ أبي النّبيِّ^٩

قوله : « عهدٌ هشامي » قد تقدّمت الإشارة به ، والوجه الذي قاله بسببه ، في أخبار الخليفة سليمان ، المفتتح • باسمه هذا الديوان^{١٠} .

وله من أخرى يرثيه ويهنيء أخاه القاسمَ بالخلافة :

صلى على الملكِ الشهيدِ مَلِكُهُ وسَقاه في ظلِّ الجنانِ الكوثرُ^{١١}
مولى دَهْتَهُ عبيدُهُ ، وغَضِنْفُرُ تركته أيدي العُفْرِ وهو مُعْفَرُ^{١٢}
كانت تَهَيَّبُهُ الأسودُ فغاله في قصره مُسْتَضَعَفٌ مُسْتَحْفَرُ^{١٣}
لم يَتَنرِ عزُّ المُلْكِ عنه منونه فسمتَ له من حيثُ لم يكُ يحذرُ^{١٤}

١ منها أربعة أبيات في المسالك ١١ : ٣٩٨ .

٢ المسالك : ولا عصي . ٣ انظر ما تقدم ص : ٤٣ .

خَتَلْتُهُ سِرّاً وَالْقَبَائِلُ دُرْعُ تَحْمِيهِ لَكِنْ الْمَنَايَا جُمَرُ
وَلَوْ أَنَّهَا رَامَتْهُ جَهْرًا لَانْتَشَتِ وَالْبَيْضُ تُفْرَعُ وَالْقَنَا يَتَكَسَّرُ

ثم خرج إلى المدح فقال :

مَا غَابَ بِدُرِّ التَّمِّ إِلَّا رِيْشَمَا جَلَّتِ الدَّجَى عَنَّا الصَّبَاحُ الْأَزْهَرُ
إِنْ يَهْوِ مِنْ أَفْقِ الْخِلَافَةِ نَيْرٌ يَهْدِي السَّبِيلَ فَقَدْ تَلَاهُ نَيْرُ
بِالْقَاسِمِ الْمَأْمُونِ أَفْرَخَ رَوْعَنَا فَالْقَسَمُ وَافٍ وَالتَّصِيبُ مَوْفَرُ

قوله : « خَتَلْتُهُ سِرّاً » البيت مع الذي يليه ، معنى قد طوي ونشر ،
< وَكُسِفَ رُؤُوسُهُ مِمَّا ابْتَدَلَ ، وَأَسْنَى مَاؤُهُ مِمَّا عُلِّيَتْهُ وَنُهِلَ ،
ومنه قول المهلب يَرِثِي جَعْفَرًا الْمُتَوَكِّلَ :

جَاءَتْ مَنِيتُهُ وَالْعَيْنُ هَادِئَةٌ هَلَا أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَالْقَنَا قِصْدُ
فَخَرَّ فَوْقَ سَرِيرِ الْمَلِكِ مُنْجَدِلًا لَمْ يَحْمِهِ مُلْكُهُ لَمَّا انْقَضَى الْأَمَدُ
ومنه قول الأسدي أيضاً يَرِثِيهِ ، وألم بهذا المعنى فيه :

هَكَذَا فَلْتَكُنْ مَنَايَا الْكِرَامِ بَيْنَ نَائِيٍّ وَمَزْهَرٍ وَمُسْلَمِ
بَيْنَ كَاسِيْنٍ أَرْدِيَاهُ جَمِيعاً كَأْسٌ لَذَاتِهِ وَكَأْسُ الْحَمَامِ
لَمْ يُزَلْ نَفْسَهُ رَسُولُ الْمَنَايَا بِصُنُوفِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ
هَابِهِ مُعْلَنًا فِدْبٌ إِلَيْهِ فِي كَسُورِ الدَّجَى بِحَدِّ الْحَسَامِ

وأخذ هذا المعنى عبدُ الكريم التميمي فقال يَرِثِي صَاحِبَ خَرَاجِ
المغرب ، وكان تناول دواءً فمات بسببه :

١ هو يزيد بن محمد المهلب ، انظر مروج الذهب ٧ : ٢٨٠ والسيوطي : ٢٧٨ .

سنايا سَدَدَتِ الطَّرِيقَ عنها ولم تدعُ لها من ثنايا شاهقٍ مُتَطَلِّعاً
فلَمَّا رَأَتْ سورَ المهابةِ دونها عليك ولمَّا لم تَجِدْ لك مَطْمَعاً
ترقَّتْ بأسبابٍ لطافٍ ولم تَكْثُرْ تَوَاجُهُ موفورَ الجلالةِ أروعاً
فجاءتكَ في سرِّ الدَّواءِ خَفِيَّةٌ على حين لم تحذَرُ لداءِ تَوَقُّعاً

وقد أخذ أيضاً هذا المعنى بعضُ أهلِ وَقْتِنَا وهو أبو محمد عبدُ المجيد بن
عبدون ، فقال من قصيدةٍ يرثي بها الوزيرَ أبا المطرف ابن الدَّبَّاحِ الكاتبَ ١ :

ثَارَتْ إليه المنايا من مكامنها سرّاً على غفلةِ الحُرَّاسِ والسميرِ
أولى هُنَّ وأولى لو هَمَّ مَنْ به والمنع ذوَ راحةٍ والدَّفْعُ ذو حذرِ

في أبياتٍ غير هذه هي ثابتة في موضعها من هذا المجموع .

ولله درُّ صريع الغواني فإنه أخذ عليهم ثنايا البديع في هذا المعنى ، وإد
كان بينهم بُعدٌ كما ترى ، حيث يقول ٢ :

ألم تَعْجَبْ له أن المنايا فَتَكُنَّ به وهُنَّ له جنودُ
وقال أبو الطَّيِّب ٣ :

تَخُونُ المنايا عَهْدَهُ في سليله وتنصُرُهُ بين الفوارسِ والرَّجُلِ

١ ترجمته في القسم الثالث : ٢٥١ .

٢ ديوان مسلم بن الوليد : ١٤٩ .

٣ ديوان المتنبي : ٢٧٠ .

ذكر الخبر عن ولاية القاسم بن حمود قرطبة إلى انقضاء الأمر بانقطاع دولته وتغلب القاضي ابن عباد عليها^١

قال ابن حَيَّان : بُويع القاسمُ بن حمود بقرطبة صبيحة يوم الأحد ،
بعد ست ليالٍ من مقتل أخيه عليّ بها ، وأحسنَ تَلَقِّي الناسِ وأجملَ
مواعيدهم ، وأخرج النداءَ في أقطار البلاد بأمان الأحمر والأسود وتخليّة
الناس لشأنهم ، وبراءة الذمة ممّن تسوّر على أحد . وقرّرَ الفتية الثلاثة
التي فتكت بأخيه فأقرّوا بجريمتهم ، ونفّوا عن جميع الناس المواطأة^٢
والتدليس ، فقتلهم القاسم لوقتِه ، وأطفأ النائرة بولايته . وتنسّم الناس
رَوْحَ الرّققِ ، وباشروا ظُلَّ الأمن ، وأطمأنت بهم الدّار . وأمرَ
بإسقاط رسم التّقريّة^٣ ، وأظهر البراءة منها ، وأقصى السّعاة وطردهم ،
وأقرّ القاضي والحكّام والخدّمة على منازلهم . وزاد كَلَفُ القاسم في
اتّخاذ السودان ، وقوّدهم على أعماله ، إلى أن ضعف أمرُه ، وتسلّط
البرابرة عليه حتى احتقروه . فكاتب مُنذرَ بن يحيى في السّرّ يبئُ شأنهم ،
ويستنهضُه لتقويمهم ، فلم يكن فيه فضلٌ لذلك . وكان يحيى ابنُ أخيه عليّ
بالعدوة ، وأخوه إدريسُ بمالقة ، فلما قُتل أبوهما عليّ اتّفقا لأوّل
وقتهما على ضبط مالقة وشدّ سلطانها ، إلّا أنّهما أظهرَا مُبايعةَ عمّتهما
القاسم ، إلى أن انكشف له يحيى من أوّل سنة عشر وأربعمائة ، وانتقل إلى مالقة
وجعل أخاه بالعدوة ليقربَ هو من أذى عمّه القاسم ، فحلّ بالأندلس

١ قارن بالبيان المغرب ٣ : ١٢٤ - ١٣١ وخاصة ص : ١٣٠ ؛ والنص في ط موجز ،
ولهذا تم اعتماد كثير من زيادات م .

٢ ط : المواطات .

٣ البيان : التقوية .

لأول وقت جواز يحيى شواطئ من نار ، وأضرمها سعيراً ، واستخف بعمة ، وضم^١ الرجال وسعى لتبديد شمل عمه . وشكا القاسم أمره إلى البرابرة فتناقلوا عنه^٢ ، وأحبوا التضريب بينهما . ولم يزل أمر يحيى يقوى ، وأمر القاسم يضعف ، فلم يجد مخرجاً مما وقع فيه إلا الهرب من دار الخلافة والانقلاب إلى عمله باشبيلية ؛ وكان يكثر الندم على ما دخل فيه من سلطانهم إلى أن عيل صبره ، ففر^٣ من قرطبة إلى عماله باشبيلية في خمسة فوارس من خاصته ، وذلك ليلة السبت لثمان خلت ربيع الآخر سنة اثني عشرة وأربعمائة ، اتخذ الليل جملاً ولم يعلم بخبره إلا عند الصباح . فضبط البربر قصر قرطبة إلى أن لحق يحيى ابن أخيه بعد خطوب ، فبوع يحيى في التاريخ ، واجتمع عليه الفريقان : الأندلس والبرابرة من أهل قرطبة وأعمالها خاصة . وكانت أم يحيى لبونة بنت محمد بن الأمير حسن ابن القاسم الملقب بقنون ، فعرف يحيى بكرم الولادة لما جاء هاشمي^٤ الأيوبي ، رابع أربعة من أبناء القرشيات من خلائف الإسلام : أولهم جدّه الأكبر علي بن أبي طالب ، وابنه الحسن بن علي ، ثم الأمين محمد بن هارون . فعرف يحيى بهذه الفضيلة ، وسلك سبيل والده في التحقّق بالفروسية والحبّ لركن الخيل والخروج للكنص ، وتنكب ما سوى ذلك من مذموم أخلاق أبيه ومكره سيرته ، فجانب العصبية وآثر النصفة وطلب السلامة ، فطاب خبره . إلا أن العجب والكبر شانا خصاله هذه ، إلى أن خلط وتبلد . وتمرّست به عفاريت

١ م : واستضم .

٢ م : عليه .

٣ ط : وأمر القاسم يضعف إلى أن فر .

٤ م : الطرفين .

زَنَاتَةٌ ، فَضِيْقَتْ عَلَيْهِ فِي التَّكَالِيفِ ، حَتَّى أَقْصَرَ بَعْدَهَا قَصْرٌ ، وَتَوَلَّى دُونَ أَنْ يُعْذَرَ ، وَرَكِبَ مَا عَابَ مِثْلَهُ عَلَى عَمَّةٍ ، فَصَارَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ خُسْرًا ١ .

وَأَقْرَبُ يَحْيَى أَصْحَابَ الْخَطِّ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ؛ وَحَسَنَ رَأْيِهِ فِي أَحْمَدَ ٢ . بِنِ
بَرْدٍ وَعَوَّلَ عَلَيْهِ فِي كِتَابَتِهِ ، وَاسْتَخْلَصَ مِنَ الْإِنْدَلُسِيِّينَ صَاحِبَهُ : جَعْفَرَ ٣
ابْنَ مُحَمَّدَ بْنَ فَتْحٍ وَالْفَقِيهَ الْأَدِيبَ أَبَا عَمْرٍ ابْنَ مُوسَى ابْنَ مُحَمَّدٍ الْيَمَانِيَّ الْوَرَّاقَ
صَاحِبَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ النَّبْهَانِيَّ ، وَوَلَاةَ خُطَّةِ الْوِزَارَةِ فَكَادَتْ الْجِبَالَ
تَنْهَدُ لِهَذِهِ الْعَظِيمَةِ ، وَجَمَعَ مَرْكِبُهَا بِهِ ٤ ، وَأَبْدَعَ فِي الْكِبَرِ وَالْخُسْنُوعِ وَانَّةٍ .
وَقَدَّمَ أَيْضًا إِلَى الْوِزَارَةِ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَرَضِيِّ الْكَاتِبَ ، فَكَانَ أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ
عَلَى دَوْلَتِهِ ، وَارْتَقَبَ عَقْلَاءُ النَّاسِ عِنْدَ ذَلِكَ ٥ حُلُولَ الْمَحَنَةِ ، فَقَدِيمًا ٦
اسْتَعَاذُوا بِاللَّهِ مِنْ وَزَارَةِ السَّفَلَةِ . وَوَصَّلَ جَعْفَرُ بْنُ فَتْحٍ صَاحِبَهُ الْأَقْدَمَ
إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْإِفْلِيلِيِّ كَبِيرَ الْأَدْبَاءِ بِقَرْطُبَةٍ بِالْخَلِيفَةِ يَحْيَى ٧ ، وَرَغَّبَهُ فِي
الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، فَذَاكَرَهُ وَحَدَّثَهُ وَنَوَّهَ بِهِ . وَسَمَا فِي أَيَّامِهِ أَبُو بَكْرُ بْنُ ذَكْوَانَ
وَأَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ ٨ أَخُوهُ ، وَأَنْهَضَهُمَا إِلَى الْوِزَارَةِ
عَقَبَ وَفَاةَ الشَّيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنَ ذَكْوَانَ . وَغَرَّبَ شَاوُءُ أَبِي بَكْرٍ
مِنْهُمْ ، فَجَاءَ أَحُوذِيًّا نَسِيجَ وَحْدِهِ فِي فَضْلِهِ وَعِلْمِهِ وَعِفَّتِهِ . وَعَدَلَ
بُرُوعُ الظَّرْفِ بَابِنَ عَمَّةِ أَبِي الْعَبَّاسِ إِلَى الْإِشْتِهَارِ بِالْمَجُونِ ، فَجَاءَ فِيهِ
طَرْفًا لَيْسَتْ وَرَاءَهُ غَايَةٌ ، يَصُورُ الْقُلُوبَ بِرَقَّةِ ظَرْفِهِ وَحَرَارَةِ

١ هنا ينتهي الحرم في النسخة ب .

٢ ط : تبدأ هذه الفقرة بقوله « وكتب له أحمد . . . الخ » .

٣ ط : وقرب حمفر . . الخ . ١٤ م : بهذا الوضیع .

٥ ط : أهل اللب . ٦ ط : فقدا .

٧ ط : إلى الخليفة . ٨ تقدم التمریف بهما .

نادرته ، لا يكادُ أحدٌ يُمْكِنُه من أذُنِه إلا أخذ بفؤاده رِقَّةً وحلاوةً ،
ويشوبها ببعض الهَزَل عند انبعاثِ النَّادِرَةِ ، له في ذلك أخبارٌ مشهورة ، من
أشهرها ما تَفَاكَهَ الناس به في تلك الدولة من قطعة له مُجُونِيَّة ،
نَبَسَ بها بديهةً في بعض خَلَوَاتِه ، وقد أَكثَرُوا عليه تَهْنئةً بالوزارة فقال :

أنا مشغولٌ بعزفي ^١ وبضَرْبِي للحجَّارة
إنما يَصْلُحُ مثلي أن يُرَى راكبَ جَارِه
أو يُرَى في جوف خانٍ لابساً نصفَ غَرَارِه
قد نضاً عني ثيابي حتَّى الكأسَ المُدَارِه

ومُلَحَّه في الأدب غزيرةٌ شاهدةٌ له بقوة الطَّبَعِ وخفَّةِ الروح .
ثم لم يُبْعَد أن أقصر بعدُ عن الهزل على حين الذِّكَاء ، فاعتدلت حاله ،
وهبَّتْ له ريحٌ بعدَ حينٍ ، أحظته ^٢ عن العليَّة من نَسَمَطِه .

قال ابن حيان ^٣ : ثم فر يحيى بن علي أيضاً عن قرطبة إلى مالقة أمام

١ ط : بهزمي . ٢ م ب : أحظته .

٣ ورد الخبر شديد الإيجاز في ط ، ولذلك أثبت رواية م ب في المتن ، وهذه رواية
بط : « ثم فر يحيى بن علي عن قرطبة أيضاً ، وجيء بهمه القاسم بن حمود ، وصرف إلى الخلافة
بها كرة ثانية ، فانبعثت من ذلك فتنة عاثت في الناس معائبها ، فجلس القاسم على سرير
الملك بقصر قرطبة كرة أخرى في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة فبان الاختلال ، إلى أن اتفق
الناس على خلعه في جمادى من العام الداخل ، فارتفعت بزواله عن قرطبة دولة آل حمود بعد
وقعة البرابرة على أهلها بالمرج باد فيها جماعة منهم . ثم انصرفت الكرة على البرابرة فقتلوا
قتلاً ذريعاً ، وارتحلوا عن قرطبة ، وجاء القاسم مفلولاً إلى إشبيلية ، وكان خلف بها ولده
محمد بن القاسم ، فوثب أهل إشبيلية عليه . وجاء القاسم بعد والناس يقاتلون ابنه بالقصر ،
فرضي القاسم منهم بإسلامه مع من معه ، فعاقدوه على ذلك . وخرج ابنه وأهله ، ورحل بهم
إلى شريش . وملك إشبيلية القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد ، فحارب يحيى عمه القاسم
بشريش ، وحاصره إلى أن حمله مقيداً أسيراً إلى مالقة في خبر طويل » .

البرابرة ، وجيء بعمه القاسم بن حمود إلى قرطبة كرتة الأخرى التي أعقب ابن أخيه يحيى بن علي ، في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ، فتكثف سريره أغمارُ الناس من البرابرة ، وخرجوا لقتالهم سنة أربع عشرة على نظام مسرود ، فانهزموا وقتلوا قتلاً ذريعاً ، فارتحلوا عن قرطبة وحلوا بقلشانة وشذونة وغيرها من الكور . وانتبذت من الهزيمة طائفةً من صعاليك القبائل وألفاف البطون ، والتفوا بالقاسم يرجون به كربة الدولة ، فدعوه إلى الرجوع إلى إشبيلية ، وكان خلف بها ولده محمد بن القاسم مع وزيره محمد بن خالص ، فسار بجماعته تلك يؤمها ، وإذا بنجر هزيمة قد سبقه إليها ، فخاف أهلها معرفة من معه ، فوثبوا على ولده وأصحابه وحصروهم بدار الإمارة ، وأحاطوا به ، ووقع بينهم قتال شديد . فوافى القاسم باب إشبيلية بمن معه ، ولاطفهم في القول ، وطمع < في > خديعتهم فلم يصغوا إليه ، واشتد الأمرُ على ولده ورجاله ، فرضي القاسم من أهل البلد بإسلامهم جميعاً إليه موفورين بماله وأهله ، فعاقده على ذلك ، فخرج ابنه وولده محمد وأهله ، ودخل بهم إلى شريش . ولم يدع مع ذلك السعي في الفتنة على ابن أخيه يحيى صاحب الدولة . وكانت آفة القاسم بإشبيلية من قبل ثقته محمد ابن زيري بن . دوناس اليفرني ، فقدم زعيمهم القاضي محمد بن إسماعيل ابن عباد ، وأطمعه في إمارة البلد بعد دفع القاسم عنه ، فاغتر بقول ابن عباد وعاقده على ذلك ، فأعان أهل إشبيلية على قتال محمد بن القاسم ، فلم يك لأصحابه بعدُ نظام ، وخرجوا عن البلد ، وملكه أهله . فوثبهم ابن عباد زعيمهم بالغادر محمد بن زيري ، فخرج وصفت إشبيلية من البرابرة . وآلت حالُ القاسم بعدُ مع ابن أخيه يحيى إلى أن حاربه بشريش ، وحاصره عشرين يوماً ، كانت بينهم فيها حروب صعاب ، قتل الله فيها من الفريقين أمة . وأجلت الحرب عن قهر يحيى لعمه القاسم ، وحمله مقيداً إلى مالقة أسيراً ، وقبض على حرته « أميرة » القرشية وسائر حرمه وولده وأسبابه ، بعد نهب

وامتحان لجماعتهم ، لم يقدر يحيى على تخليصهم منه لتلطي الحرب . وكان يحيى أولاً في حلف مع محمد ولد عمه القاسم ، فدلّه على إشبيلية حارس لابن عباد ، فلما انجلت الحرب وقع يحيى على نكث لعمه القاسم ، فقبض على ابنه محمد وقيده وبعث به إلى قصبة مالقة ، وحينئذ صمد إلى شريش لعمه فبلغ فيه ما وصفناه .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي حفص بن برد الأصغر ، وإيراد جملة من نظمه ونثره ، مع ما يتصل من قصّة وخبر بذكره^١

قال ابن بسام : كان أبو حفص ابن برد الأصغر في وقته فلّكّ البلاغة الدّائر ، ومثّلها السّائر ، نفّث فيها بسحره ، وأقام من أودّها بناصع نظمه وبارع نثره ، وله إليها طروق ، وفي عروقها الصّالحات عروق ، إذ كان جدّه أبو حفص الأكبر - على ما تقدّم ذكره - واسطة السّلك ، وقطب رحى الملّك ، بالحضرة العظمى قرطبة ، وقد تقدم من أخباره الماثورة ورسائله المشهورة في أخبار سليمان ، وغيره من ملوك بني أبي عامر وبني مروان ، أول ما يشهد أن آل برد جمهور كتابة ، ومحور خطابة ، وقد فخر أبو حفص هذا بذلك في كتابه الموسوم بـ « سرّ الأدب وسبك الذهب » من أرجوزة يقول فيها :

١ ترجمة ابن برد الأصغر في الجذوة : ١٠٧ (البغية رقم : ٣٥٤) والمغرب ١ : ٨٦ والمطمح : ٢٤ ومعجم الأدباء ٢ : ١٠٦ والمسالك ٨ : ٣١١ ونفح الطيب ٣ : ٤٤٥ (عن المطمح) وصفحات أخرى .

يا طالب الدنيا بأقصى الجهد إسعَ بِجِدِّ منك لا بكَد
 من شاءَ خبري فأنا ابنُ بُردٍ حدُّ حُسامي قطعَةٌ من حدي
 وأرفعُ الناسِ بناءَ جدِّي من نَظَمَ الألفاظَ نَظَمَ العقد
 ونقدَ الكلامَ حقَّ النقدِ وكفَّ بالأقلامِ أيدي الأسد
 بهِ استضاءَ في الخطوبِ الربدِ كُلُّ إمامٍ ووليٍّ عهد

فصول مقتضبة من كتابه المذكور

قال في صدره : أمّا بعد ، فإنَّ الله تعالى - وله الحمد - جعلنا أهلَ بَيْتٍ أَشْرَبَ حُبِّ صِنَاعَةِ الكلامِ نفوسَهُم ، وشَغَلَ بطلبِ البيانِ والتَّبَيُّنِ قُلُوبَهُم ، فغداً بالبحثِ عن الأصولِ ، على حَسَبِ ما وهب الله تعالى لنا من المَعْرِفَةِ ، وسَهَّلَ علينا من الخُزُونَةِ ، حتى عَرَفْنَا المقسومَ لنا منها فتفقهناه ، وفهمنا المنعمَ به علينا فأحْكَمْنَاهُ ، ثم انعطفنا على الفروعِ فذهبنا مع فنونها ، واستكثَرْنَا من عيونها . ثم إننا لَمَّا رَأَيْنَا أنَّ الأصولَ قد اخترناها زَاكِيَةَ المَنَابِتِ طَيِّبَةَ المَغَارِسِ ، وأنَّ الفروعَ قد لَوَيْنَاهَا لِدَنَةِ الأفنانِ عَذْبَةَ <الْحَنَى> ، تَرَامَتْ بنا آمالنا إلى أن نَجْتَنِي من زهرتها ونَطْعَمَ من ثمرتها ، فرأينا أن نَعْدُ^١ يداً إلى غرسِ قد أبرَّناه ، حتى بلغ إناه ، فنقطفَ من خياره ، ونَتَأَنَّقَ في اختياره .. وأصبحنا بعدُ نرْمِي أغراضَ الكلامِ بِأسهمٍ أزرَّها التسديدُ ، ونَعْقِلُ^٢ مناظِمَ القولِ بِالسِّنِّ بَرِيءٍ منها التَّعَقُّيدَ ، ونَذِيبُ^٣ من المنشورِ جداولَ النِّطَافِ ، ونُجَمِّدُ

١ من أول الفصل لم يرد في ط ؛ وفي موضعه : « فرأينا أن نعد . . . » .

٢ ط : ونعقد .

٣ ب م : ونرتب .

منَ المنظرمِ جواهرَ الأصدافِ . وكانَ جدِّي أجمدُ بنِ بُردٍ - رحمه الله - بطولِ ممارسته لهذه الصناعة، برِخاءِ اللبِّ والنهمةِ في الطَّلَبِ ، ودَعَةِ الزَّمَانِ وإقبالِ السلطانِ ، ومسافةِ العمرِ^١ الممتدَّةِ له ، قد اقتغَدَ سنامَها ، ورفعَ أعلامَها ، وأصبحَ إمامَها ، وزينَ أَيْامَها ، وركبَ وَسَطَ مَسَاقِها ، وأحرَزَ قَصَبَ سِباقِها .

وفي فصل منه :

فلنَّتي وافقَتُ أوَّلَ معالجتي لهذه الصَّنَاعةِ آخرَ أَيْامِه ، وأوَّانَ بتاتِ عمرِه وانصرامه ، خلا أَنَّهُ - عفا الله عنه - ولَمَّا يَحُلُ المَقْدورُ به ، قد كانَ أقْبَسني مصابيحَ من وصاياه فيها ، ووطأ لي مراكبَ من دلائله^٢ إليها ، وَضرب لي صُوى من هداياته^٣ نحوها ، أفاد الله بها نفعاً ، وأوسعَ معها إرشاداً . ثُمَّ إِنَّ الأيَّامَ لَئثَرَ مُصَابِه ، وبعد ذهابه ، باكَرَتني صروفُها ، وشَغَلَتني برَقَعِ خروقيها . ومُكَابِدَةُ ضيقِها ، وسوقِ الأدبِ قد كسدتْ ، وجمرةُ السلطانِ قد همدتْ ، والعيِّ أَمْضَى من البيانِ ، والإساءةُ أَحْمَدُ^٤ من الإحسانِ ؛ وأَقلامُنَا يومئذٍ في عَطلة ، ومحابرُنَا في عُقلة^٥ ، وكُتُبُنَا تحت موجدة ، وحينئذٍ قُلْتُ :

قَرَعْنَا بِالْكِتَابَةِ بَابَ حِظِّ لَنَدْخُلَهُ فزاد لنا انغلاقاً

١ ب م : ومناقبه الفر .

٢ ط : الابلّة .

٣ ط : طوا . من مداد اية .

٤ ب م : أدهى .

٥ ب م : غفلة .

فلم تَبْلُغْ بلاغتنا منهاها^١ ولا مَدَّ المدادُ لنا ارتفاقا
ولا رَاحَتُ تَقَرُّطُسُ بالأمانِ قراطيسُ أجَدُّناها مَسَاقا
وقَلَمَتِ المطالبُ من حُدَّاهَا لنا أَقْلَامَنَا ساقاً فساقا
فلا هَظَلَتْ على الآدابِ مُزْنُ ولا بَرَحَتْ أَهْلَتُهَا محاقا
وَعَوَضْنَا بما ندرِبه جهلاً لعلَّ السَّوقَ مُدْرَكَةً نَفَاقا

فما زلنا مع الخطوبِ مُساجِلين ، ولصروفِ الأيامِ مُناضِلين ، فيومٌ
لنا ويومٌ علينا^٢ . حتى إذا أراد الله أن يحبي لهذه الصَّناعةِ رَسْماً ،
ويُعِيدَ لها دَوْلَةً واسماً ، ويرَفِّعَ سائرَ العلومِ مِنَ التَّخَوُّمِ إلى النُّجُومِ ،
وفُنُونِ الآدابِ^٣ مِنَ التُّرابِ إلى السَّحابِ ، طَرَفَ جَفَنُ السَّعْدِ الباهتِ ،
وارتد نفسُ الجدلِ الخافتِ ، ولقيَ عَشْرَةَ العلمِ مُقِيلُها ، ودولةُ الجهلِ
مُذِيلُها . ونَخَوَةَ الباطلِ مُزِيلُها ، ورسومَ الغباوةِ مُحِيلُها ، وقداحَ
البلاغةِ مُجِيلُها ؛ ورَفَعَتْ لي سُجُوفُ الأمانِ ، عَنِ المَلِكِ اليماني ،
غُرَّةَ كِنْدَةٍ التي تَضْحَكُ عنها ، وهَضْبَةَ تُجِيبُ التي تَأْوِي إليها ،
أبي الأَحْوَصِ مَعْنِ بنِ مُحَمَّدٍ ، أَيَّدَهُ اللهُ كما أَيَّدَ الحقَّ ، وَصَدَّقَهُ
وَعَدَهُ كما أَحْيَا الصَّدَقَ ، فوصلتُ به سببي ، ولويتُ بِقُوَى أَطْنابِهِ
طُسْبِي ، ورأيتُ به للحلمِ جِلاً موطوداً ، وللديانةِ ظلاً ممدوداً ،
وللتقوى جِلاً مشدوداً ، وللعلمِ بحرأ طموحاً ، وللأدبِ^٤ روضاً مجوداً

١ ب : ثواء .

٢ فما زلنا . . . علينا : سقط من ط ؛ وموضعه : « وفي فصل منها » .

٣ ط : الأدب .

٤ ب م : ورسم .

٥ ب م : وللأدب .

مَرُوحاً . ولم يزل - لا زلت به النعل - مُنْذُ اعْتَصَمْتُ بِحُرْمَتِهِ ١ ،
واعْتَزَيْتُ إِلَى خِدْمَتِهِ ، يُقْبَلُ عَلَيَّ فِي مَجَالِسِهِ الْمَأْنُوسَةِ بِاللَّحْظِ
وَاللَّفْظِ ، وَيُكْسِبُنِي بِمَنَازَعَةِ الْأَدَبِ شَرَفَ الْمَرْتَبَةِ وَالْحِظِ ، فَأَتَمَّرُنُ
عَلَى تَثْقِيفِهِ وَتَقْوِيمِهِ ، وَأَتَضَمَّرُ عَنْ رِيَاضَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ ، وَتَلْزُمُنِي
هَيْبَةُ كِمَالِهِ ، وَرُوعَةُ جَلَالِهِ ، إِلَى شَحْذِ سَجَايَايَ ، وَجَمْعِ قُوَايَ ،
وَاجْتِنَابِ الْخَطَلِ فِي لِيَاوَانِهِ ، وَالزَّلَلِ فِي مِيدَانِهِ ، فَلَا تَرَى
شَيْئاً أَشْبَهَ بِهِ فِي التَّفَضُّلِ ، وَبِي فِي التَّقَبُّلِ ، مِنْ قَوْلِ حَبِيبٍ ٢ :

نرمي بأشباحنا إلى ملكٍ نأخذُ من ماله ومن أدبِهِ ٣

والبلاغةُ وإن كانت من فنونِ العلمِ أَرَقَّ مَا اسْتَرَقَّ ، وَالْطَفَّ مَا
غَرَفَ ٤ ، وَأَيْسَرَ مَا بِهِ حَاضِرٌ ، وَأَقْلَرَّ مَا أَمَلَّ ، وَأَوْهَنَ مَا
خَزَنَ ، وَأَدْنَى مَا اقْتَنَى ، فَلَهُ كَلَّفُ بَانْتِقَادِهَا شَدِيدٌ ، وَصَوْتُ فِي مَعْرِفَةِ
نُقَادِهَا بَعِيدٌ . وَقَدْ خَلَّصَ بِيَمِينِهِ الْعَالِيَةِ جَوْهَرَ الْكَلَامِ مِنْ أَخْبَائِهِ ،
وَمُمَرَّ الْقَوْلِ مِنْ أَنْكَائِهِ ، فِي غَيْرِ مَا كِتَابٍ مُتَمِّمٍ إِلَى الْبَلَاغَةِ ، مُعَلِّمٍ فِي
الْكِتَابَةِ ، فَجَاءَ بِالصُّوَابِ حَاسِراً ، وَبَيَانَ الْحَقِيقَةِ سَائِراً ، وَفِي هَذَا النِّقْدِ سَقَطَ
الْعِشَاءُ بِمَنْ سَقَطَ عَلَى السَّرْحَانِ ، وَفِيهِ أَسَاءَ مَنْ أَحْسَنَ بِنَفْسِهِ الظَّنَّ
فِي الْإِحْسَانِ ٥ .

١ ب م : بِمَعِصَتِهِ .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ٢٧٦ .

٣ ط : عَرَفَ .

٤ ب م : مَا حَضَرَ .

٥ ب م : الْإِنْسَانُ ؛ وَالْإِشَارَةُ إِلَى قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَيْسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنَّا لَا كَمْنَ هُوَ بَابُنْهُ وَبِشْعَرِهِ مَفْتُونٌ

ومن هذا الباب تَوَلَّجْتُ إلى صنعة هذا الكتاب ليرى - أيده الله - كيف نبت كلامي على سقفيه ، ونما ما أودع تربة قبُولي من غرسه . فلأني ضَمَنْتُهُ ، في فنون من البلاغة وفصول من الكتابة ، سلطانيات وإخوانيات . وكلُّ ما أوردته مما وَلَدَتْهُ ، وما وضعته مما صَنَعْتُهُ ، لم أَغْلِهْ لغيري ، ولا خُفْتُ فيه أمانة سواي ؛ إلاَّ أَنِّي طَرَّرْتُهُ بأبواب من بيوت الشَّعْرِ المحتوية على الحكم البوالغ ، والجارية مَجَرَّى الأمثال السوائر ، لشعراء مُجِيدِينَ ، وعلماء مُفِيدِينَ ، قد ركبوا مِنِ المعاني أوطأها مَرَكَبًا ، ووردوا ليلَ لُفَاطٍ أَعَذَبَهَا مَشْرَبًا ، وتَخَطَّوْا في نظمهم الحشونة إلى اللدونة ، والتكلف إلى التلطُّف ، وخاضوا جُسُومَ الْحِكَمِ إلى الأرواح ، وخرجوا بِحُسْنِ التَّخَلُّصِ من الالتباس إلى الإيضاح ، لثلاث تَبَايَنَ طبقةٌ مشورةٌ طبقةٌ منظومة ، ولا تبعد مرتبة جامدةٌ من مرتبة ذائبة ، وليأتني في ازدواج الليل والنهار ، وامتزاج الماء بالعقار :

فصول له في التحميدات^١

فضل : الحمد لله الذي علا وقهر^٢ ، وبطن وظهر ، وبحكمته قدَّر وأمر ، وبعده قدَّم وأخَّر .

فصل آخر : الحمد لله الذي علَّم القرآن ، خلق الإنسان علَّمه البيان ، المحجوب عن الأبصار ، والفائت إحاطة الأفكار ، تعالى^٣ في

١ نقل ابن سميذ بعض هذه التحميدات في المغرب .

٢ ب م : فقهر .

٣ ب م : تواری .

الحُجُبِ العِلا ، واطْلَعَ على النَجْوَى ، وعلمَ السِّرَّ وأخفى ، خلق
الْخَلْقَ للفناء ، ثُمَّ يَعِيدُهُم للبقاء .

فصل : الحمد لله اللطيف الخبير ، العالم بذات الصدور ، الذي يَطْلَعُ على
الإصرار ، ويعلمُ خَفِيَّ الأسرار ، ويتوفاكُم بالليل ويعلم ما جَرَحْتُمُ
بالنَّهَار .

فصل : الحمد لله جالي الكرب السود ، وفاتحِ المِبْهَمِ المسدود ، الذي
أقال العِشْرَاتِ ، وأدال من الحِسْرَاتِ ، وانتاش من البِأْسَاء ، وأعقب
بالنِّعْمَاء ، وأراح من جَهْدِ البلاء .

فصل : الحمد لله واصلِ الحبلِ بعد انقطاعِهِ ، وملائمِ الشَّمْلِ^١
بعد انصداعِهِ ، المُصْبِحِ بنا من ليالي^٢ الخطوب ، والمأحي عِنا غِيَاهِبَ
الكرُوب ، والتَّائِمِ لما انتثر من الألفَةِ ، والجامعِ لما انتشرَ من الكلمة .

فصل : الحمد لله الكائنِ قبل المكانِ ، والموجود في عَدَمِ الزمان ،
الحَيِّ الذي لا يدركهُ الموت ، والدَّائِمِ الذي لا يلحقه الفَوْتُ ، والفَرْدِ
الذي ليس له نظير ، والصَّمَدِ دون وَلِيٍّ ولا ظهير ، وارثِ الأرضِ ومن
قطنها ، والسماءِ ومن سكنها ، مُمِيتِ كلِّ حَيٍّ وباعثِهِ ، ومُحْيِي كلِّ
مَيِّتٍ ومُنْشِرِهِ .

فصل : الحمد لله خالقِ العوالمِ^٣ على تنافرٍ^٤ في الصفاتِ شديداً ، وتباينٍ

١ ب والمغرب : الشعب ؛ م : الشعب .

٢ ب م والمغرب : ليل .

٣ ب م : العالم . ٤ م : تغاير .

في التركيبات بعيد ، فمن صلصال كالفخار ، ومن مارجر من نار ، ومن
جواهر روحانية^١ وأنوار ، وكل عالم منها ناطق بأنه خالق ، وشاهد
بأنه واحد .

فصل : الحمد لله وإن عثرت الحدود ، وهوت السعود ، المرجو
للإدالة ، والمدعو في الإقالة ، والقادر على تعجيل الانتصار ، والآخذ
للإسلام بمُنيم النار^٢ .

فصل^٣ : أمّا بعد ، فما أتيت البصائر من تعليل ، ولا الأعداد
من تقليل ، ولا القلوب من خور . ولا السواعد من قصر ، ولا السيوف
من كهم ، ولا الرماح من جدم ، ولا الجياد من لؤم أعراق ، ولا
الصفوف من سوء اتساق . ولكن النصر تعذر ، والوقت المقدور حضر ،
ولم يكن لتمضي سيوف لم يرد الله مضاءها ، ولا لتبقى نفوس لم يرد
الله بقاءها . وفي قوله تعالى أحسن التأسّي وأجمل التعزي ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ
فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ﴾ وتلك الأيام نداولُها بين الناس ﴿

(آل عمران : ١٣٩) .

فصل : الحمد لله مؤلف الآراء ، وجامع الأهواء ، على ما أعتمد من

١ ب م : روحانيات .

٢ المغرب : بالنار ؛ في النسخ : النار .

٣ حق لفظة « فصل » ان تسقط ، لأن ما يجيء ليس تحميداً وإنما هو قال للتحميد ، وكذلك

جاء في المغرب .

٤ ط : أوتيت .

٥ المغرب : لم يشأ .

سيفِ الفتنة^١ ، وأطفأ^٢ من نار الإحنة ، وأصلح الفاسد ، وألّف^٣ الشارد ، ونشر الأمن^٤ ، وأحيا الحق^٥ ، وجمع الشمل^٦ ، ووصل الحبل ، ورجع الكلمة إلى أجمل نظام ، وأنعم على المسلمين أتمّ إنعام .

فصل : الحمد لله الذي صيّر أعداءنا في أعدادنا ، وأضدادنا من أعضادنا ، والسيوف المسلولة علينا مسلولة دوننا ، والجيوش المجهزة إلينا مجهزة عنا ، حمدنا من لا يستغرب له صنعا ، ولا يرى من آياته بدعا ، ولا يطيق لنعمه عدا ، ولا يحُدُّ لآلائه حدا .

وله فصول في شكر النعم^٣

فصل : إنَّ للنعم عيوناً إذا كُحلن بالشكر أرينَّ المنعم عليه السبل^٤ التي يأتي المزيد منها ، وتنحدر المواد عليها ، والمناهج التي تُفضي بها إلى دار إقامتها ، وتبلغها مأمناها ومُلقي عصاها .

فصل : أما بعد ، فإنَّ زهر النعمة إذا تفتح بوابل^٥ الشكر رأَتْ فيه قُرَّتْهَا العَيْنُ ، وأخذت منه^٦ حاجتها النفس .

فصل : نعم حاضن النعمة الشكر ، يغذوها فتنمي ، ويحترسها فتحتمي ،

١ المغرب : وأحمد .

٢ ب م : وعطف .

٣ اختار في المغرب بعض هذه الفصول .

٤ ب م : السبل .

٥ ب م : يفضي .

٦ ب م : غب وابل .

٧ ب م : فيها . . . منها .

وَيَلْطِفُهَا فَتَلْقِي عَصَاهَا ، وَيَعْطِفُهَا فَتَعْطِي جَنَاهَا . وَلِبْسُ الْجَارُهَا الْكُفْرُ ،
يُطِيرُهَا عَنْ مَوْضِعِهَا ^١ ، وَيَنْفِرُهَا عَنْ مَشْرِعِهَا ، وَيَبْقَى صَاحِبُهَا مُبْلِسًا ^٢
مِنْ إِبَاسِهَا ، وَحِشًا مِنْ إِيْنَاسِهَا .

فصل : مِنْ رَبِّي النِّعْمَةُ فِي حَجَرِ الشُّكْرِ ، وَأَرْضُهَا تُدْثِي الْحَمْدَ ،
وَكَفَلَتْهَا بِأَدَاءِ الْحَقِّ ، رَأَى فِي شَخْصِهَا النَّمَاءَ ، وَتَعَرَّفَ مِنْ عُمْرِهَا
الْبَقَاءَ ، وَأَمِنَ عَلَيْهَا التَّحَوُّلَ وَالْإِلْتَوَاءَ .

فصل :

- الشُّكْرُ حَرَمٌ لِلْمَنَةِ ، وَأَمَانٌ بِيَدِ النِّعْمَةِ .
- إِذَا أَقْفَلَ بَابُ النِّعْمَةِ فَالشُّكْرُ مِفْتَاحُهَا ^٣ .
- الشُّكْرُ عُوْذَةٌ عَلَى الْعَارِفَةِ ، وَتِمِيمَةٌ فِي جِدِّ النِّعْمَةِ .
- مَنْ شَكَرَ النِّعْمَةَ التَّحَفَّ بِهَا ، وَمَنْ كَفَرَهَا عَرِيَ مِنْهَا .
- الْكُفْرُ غُرَابٌ يَنْعَبُ عَلَى مَنَازِلِ النِّعَمِ .
- الشُّكْرُ بِيَدِ النِّعْمَةِ أَمَانٌ ، وَعَلَى وَجْهِ الْعَارِفَةِ صِيَوَانٌ .
- مَهْرُ النِّعْمَةِ الشُّكْرُ ، وَطَلَاقُهَا الْكُفْرُ .

فَقَرُّ فِي وَصْفِ الْقَلَمِ وَالْمَدَادِ وَالْكِتَابِ

- الْكِتَابُ مِنْ حِلْيَةِ ^٤ الْمَلَائِكَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾

١ ب : يطير بها عن موقعها .

٢ ب م : سليما .

٣ ط : مفتاحه .

٤ ب م : حل .

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ (الانفطار : ١١ و ١٢) .

- المدادُ كالبحر ، والقلمُ كالغوّاص ، واللفظُ كالجوهر ، والقرطاسُ كالسلك .
- الدِّوَاةُ كالقلب ، والقلمُ كالخاطر ، والصَّحِيفَةُ كاللسان .
- العقلُ أبٌ ، والعلمُ أمٌ ، والفكرُ ابنٌ ، والقلمُ خادم .
- ما أعجبَ شأنَ القلم ، يَشْرَبُ ظِلْمَةً وَيَلْفِظُ نُورًا .
- قد يَكُونُ قلمُ الكاتبِ ، أمضى من سنانِ المحاربِ .
- القلمُ سهمٌ تُنفَذُ بهِ المقاتل ، وشَفَرَةٌ تُطَبَّقُ بها المفاصل .
- إذا أخذَ الكُتَّابُ شِكَّتَهُمُ للكلام ، واختَرطوا ظُبَيَاتِ الأَقلام ، فكم من عرشٍ يُثَلِّ ، ودمٍ يُطَلِّ ، وجبارٍ يُذَلِّ ، وجيشٍ يُفَلِّ .
- لولا القلمُ ما عُبِثَتْ كُتَّاب ، ولا سُرِيتْ مَقَانِب ، ولا انتَضِيَتْ سيوف ، ولا ازْدَلَقَتْ صفوف .
- على غيثِ القلمِ يَتَفَتَحُ زَهْرُ الكَلِمِ .
- ما أصوغُ القلمَ لِحِلْيِ الحِكَمِ .
- قاتل اللهُ القلمَ ، كيف يَفْلُ السَّنان ، وهو يُكْسِرُ بالأسنان .
- فسادُ القلمِ خَدَرٌ في أَعْضاء الخط .

قال ابن بسّام . وهذا محلول من قول القائلِ حيثُ يقول :

من خَطَّ يوماً بِبِرِّيَّةٍ فَسَدَتْ أَصَابَ أَعْضاءَ خَطِّهِ خَدَرٌ

— رداءة الخط قذى في عين القارىء ٢ .

١ المغرب : والطرس .

٢ المغرب : القراءة .

فصول له تنخرط في سلك^١ الأمان

< فصل > : ^٢ إنَّ أَفْضَلَ مَا تَنَاجَى الْمُسْلِمُونَ بِهِ ، وَوَجَّهُوا بِصَائِرِهِمْ إِلَيْهِ ، وَصَحَّحُوا نِيَّاتِهِمْ فِيهِ ، وَلَمْ يَكُونُوا لِأَوْعِيهِ عَنْهُ ، وَلَا لَفَتَتْهُمْ لَافَتُ دُونِهِ ، مَا قَرَّبَ مِنْ رِضَى اللَّهِ ، وَأَبْعَدَ مِنْ سُخْطِهِ ، وَعُمِلَ فِيهِ بِأَمْرِهِ ، وَاحْتَسِبَ فِيهِ خِلَافَةُ رَسُولِهِ فِي أُمَّتِهِ ، مِنَ الْإِصْلَاحِ بَيْنِ الْمُتَحَارِبِينَ وَتَحْذِيرِهِمْ < مَا > فِي سَفَكِ الدِّمَاءِ ، وَتَأْرِثِ نَارِ الشُّحْنَاءِ ، وَتَوْكِيدِ مِرْبَرِ الْحَقُودِ ، وَإِقَاطِ عِيُونِ الْحُرُوبِ ، مِنْ فُسَادِ الدِّينِ ، وَوَهْنِ الْيَقِينِ ، وَذَهَابِ الرِّجَالِ ، وَنِفَادِ الْأَمْوَالِ ، وَاجْتِيَاكِ النِّعَمِ ، وَاسْتِنْزَالِ النَّقَمِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (النساء : ١١٤) وَقَالَ : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الحجرات : ٩) .

فصل : إنَّ الْحَرْبَ مَشْكَلَةٌ لِلنَّفُوسِ ، مَتَلَفَةٌ لِلْأَمْوَالِ ، < مَجْلِبَةٌ > لِلنَّدَامَةِ فِي الْعَوَاقِبِ ، تَلَدُّ مِبَادِيهَا لِلْأَشْرَارِ ، وَتُنْجِي كَلَاكِلَ عَاقِبَتِهَا عَلَى الْأَخْيَارِ . وَقَلَّمَا يَقْدَحُ شُعْلَاهَا ، وَيُبْغِي مَرَجِلَهَا ، إِلَّا فِرَاشُ الشَّرِّ وَذِبَانُ الطَّمَعِ ، مِمَّنْ لَا يَحْنُقِلُ بَعَارٌ ، وَلَا يَسْتَحْنِي مِنْ فِرَارٍ ، فَإِنْ هَلَكَ لَمْ يُفْقَدْ ، وَإِنْ نَجَا لَمْ يُحْمَدْ . ثُمَّ تَرْتَكِضُ جَمَاهِيرُ النَّاسِ وَأَوَّلُو الذِّكْرِ ، وَالْأَعَاظِمُ أَخْطَارًا ، وَالْأَحَاسِنُ آثَارًا ، فِي لُجَجٍ تَبْعُدُ عَنْهَا السَّوَاحِلُ ، وَيَنْوُؤُنَ بِفَوَادِحَ تُهْدُّ عَنْهَا الْكَوَاهِلُ ، فَأَصْحَ

١ ب م : كتب .

٢ سقط هذا الفصل وثلاثة فصول بعده ، من النسخة ط .

النَّاسَ لُتْبًا، وَأَبْعَدُهُمْ نَظَرًا ، وَأَخْيَرُهُمْ أَحْسَابًا، مِنْ حُضٍّ عَلَى الصَّلَحِ ،
وَنُسَبِّ إِلَى إِبْرَاءِ الْجُرْحِ ، وَلَمْ يَأَلُ إِرْشَادًا وَتَبْصِيرًا ، وَمِنْ سُوءِ الْعَوَاقِبِ
تَخْوِيفًا وَتَحْذِيرًا ، وَبَادِرَ نَارِ الْفِتْنَةِ بِالْإِطْفَاءِ ، وَعُصْبَ الْمُتَحَازِيزِينَ^١
بِالْإِرْخَاءِ ، وَشَوْكَةَ الْحَرْبِ بِالْخُضْدِ ، فَحَقَّقَنَ الدَّمَ ، وَحَمَى الْحُرْمَ ،
وَأَوْطَنَ النَّعْمَ .

<فصل> : أما بعد، فقد آنَ أَنْ تُوقِظُوا^١ سِوَاهِيَّ الْعُقُولِ، وَأَنْ تَرِيحُوا
عَوَازِبَ الْأَحْلَامِ، فَتَسْلُكُوا السَّخَائِمَ، وَتُعْمِدُوا الصَّوَارِمَ، وَتُعِيدُوا السَّهَامَ
فِي كَنَانِهَا ، وَتَقِفُوا الْأَسِنَّةَ فِي مَرَائِزِهَا، وَتُسْلِمُوا الْخِيُولَ فِي مَرَابِضِهَا،
وَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ الْقَادِرَ عَلَيْكُمْ وَالْآخِذَ بِنَوَاصِيكُمْ <لَهُ غَضَبَاتٌ>^٢ أَقْلُهَا
اسْتِثْصَالُ آثَارِ النَّعْمِ عَلَيْكُمْ ، وَسَطَوَاتُ أُبْرُزُهَا تَحَكُّمُ أَيْدِي الْبَلَاءِ فِيكُمْ ،
فَكَمْ صَالٍ بِنَارِكُمْ لَمْ يَشْرَكْكُمْ فِي قَدْحِهَا، وَشَقِيٌّ بَفِتْنَتِكُمْ وَلَمْ يَغْمَسْ
مَعَكُمْ بَدَأَ فِيهَا ، وَمَتَوَفَّرٌ سَعْيَتُمْ لَذَهَابِ وَفَرِهِ ، وَمَسْتَوٍ أَعْنَتُمْ عَلَى
انْكَشَافِ سِتْرِهِ ، فَلَا الْعِظَّةَ تَسْمَعُونَ، وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تُرْعَوْنَ ، أَمَا وَاللَّهِ
لَتَجْرَعَنَّ الْخُطْبَانُ ، وَلَتَقْرَعَنَّ الْأَسْنَانُ ، وَلَتُحَاوِلَنَّ الْأُوبَةُ وَلَا مَآبَ
لَكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ وَلَا قَبُولَ مِنْكُمْ .

<فصل> : بايع الإمامَ عبدَ اللَّهِ فلانٌ^١ بِانْشِرَاحِ صَدْرِهِ، وَطَيْبِ نَفْسِهِ،
وَنَصَاحَةِ جَنَبِهِ ، وَسَلَامَةِ غَيْبِهِ ، بِبَيْعَةِ رِضَى^٢ وَاخْتِيَارِ ، لَا بَيْعَةَ
إِكْرَاهٍ وَإِجْبَارٍ ، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَالْمُؤَاوَزَةِ وَالنَّصْرَةِ ، وَالْوَفَاءِ
وَالنَّصِيحَةِ ، فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْجَهْرِ وَالنَّيَّةِ ، وَالْعَمَلِ عَلَى مَوَالِقِ مِنْ
وَالَاهُ، وَمُعَادَاةِ مَنْ عَادَاهُ ، مِنْ بَعِيدٍ وَقَرِيبٍ ، وَغَرِيبٍ وَنَسِيبٍ ، وَيَقْبِمْ

١ ب : المتحازين .
٢ زهادة تقديرية لالتنام السياق .

على الوفاء به والقيام بشروط بيعته ، بالله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة ، والقائم على كل نفس بما كسبت ، ويُعطيه على ذلك كله ذمّة الله وذمّة محمد رسوله ، وذمّة الأنبياء والمرسلين ، والملائكة والمُقرّين ، وعباد الله الصالحين .

ومتى خلعت رِبْقَةً بَخْتَرٍ أو غدر ، أو طَوَيْتَ كَشْحاً على نَكْثٍ أو حنث ، فعليك المشيُ إلى بيت الله الحرام . بيطحاء مكة من مُستقرّك ثلاثين حِجَّةً ، نذراً واجباً لا يقبلُ الله تعالى إلاّ الوفاء به ؛ وكلّ زوجة لك مهيرة ، أو تنكحها إلى ثلاثين سنةً ، فطالِقٌ تحتك طلاقَ الحَرَجِ ثلاثاً . وكلّ أمةٍ أو غرةٍ أو عبدٍ لك أو تملكُهُ فأحرارٌ لوجهِ الله العظيم . < وكلّ مالٍ لك من صامتٍ أو ناطقٍ أو تملكه إلى ثلاثين سنةً غيرَ عَشْرَةِ دنانيرٍ أو قدرها فصدّقةٌ على الفقراء والمساكين ، وقد برىء الله تعالى منك ورسولُهُ وملائكتهُ . والله بجميع ما انعقدَ عليك في هذه البيعةٍ شهيدٌ ، وكفى به شهيداً ، وعلى الأعمال والنيّات مُثيباً .

<فصل> : أمّا بعد ، فإنّ الغلبةَ لنا والظهورَ عليك جلباك إلينا على قدميك دون عهدٍ ولا عَقْدٍ يمنعانِ من إراقة دمك . ولكنا ، بما وهب الله تعالى لنا من الإشرافِ على سرائرِ الرّئاسةِ ، والحفظِ لشرائعِ السياسةِ ، تأملنا من ساسَ جهتك قبلنا ، فوجدنا يد سياسته خرقاء ، وعينَ حزامته عوراء ، وقدّمَ مُداراته شلاءً ، لأنّه مالٌ عن ترغيبك فلم ترْجُه ، وعن ترهيبك فلم تخشِه ، فأدّتكَ حاجتُك إلى طلابِ الطعمِ الدّنيّةِ ، وقِلّةُ مهابتك إلى التّهالكِ على المعاصي . الويّة . وقد رأينا أن نُظهِرَ فضل سيرتنا فيك ،

ونعتبر بالنظر في أمرِك ، فمهدنا لك الرغبة لتأنسَ إليه ، وظللنا لك
الرهيب لتفرقَ منه ، فإن سَوَّتَ الحالتانِ طبعك ، وداوى الثِقافُ والنارُ
عودك ، فذلك بفضل الله عليك ، وبإظهاره حُسْنَ السِّياسَةِ فيك ؛ وأمانُ
الله لك مبسوطٌ مِنَّا ، ومواريثُهُ بالوفاءِ لك معقودةٌ علينا ، وأنت إلى
جهتك مصروفٌ ، وبعفونا والعافية مِنَّا مكنوف ، إلا أن تطيشَ الصَّنِيعَةُ
عندك ، فتخلعَ الرِّبْقَةَ وتمرقَ من الطَّاعَةِ ، فلسنا بأولٍ من بُغْيٍ عليه ،
ولست بأولٍ من بَدَتْ^١ لنا مَقَاتِلُهُ من أشكالك إن بَغَيْتَ ، وانفتحت
لنا أبوابُ استئصالِهِ من أمثالك إن طُلِبَتْ .

أمان غريب^٢ الصنعة : أما بعد ، فإنكم سألتُم الأمانَ أو أن تَلَمَّظت
السيوفُ إليكم ، وحامتِ المنايا عليكم ، وهَمَّتْ حظائرُ الخِذلانِ أن
تُفْرَجَ^٣ لنا عنكم ، وأيدي العصيان أن تُتَحِفَنا بكم . ولو كِلنا لكم
بِصَاعِكُمْ ، ولم نَرَعْ فيكم ذمَّةَ اصطناعِكُمْ ، لضاقَ عنكم مَلَبَسُ
الغُفْرانِ ، ولم يَسْدِلْ عليكم سَرُّ الأمانِ . ولكننا علمنا أن كَهولَكُم
الخلوفَ عنكم ، وذوي أسنانِكُم المُعاصينَ لكم ، مِمَّنْ يَهَابُ وَسَمَ
الخلعانِ ، ويخافُ سطوَ السلطانِ ، وأنهم لا يُراسلونكم في ميدانِ معصية ،
ولا يزاحمونكم مَنهَلِ حيرة ، ولا يماشونكم إلى مَوْقفٍ وداعٍ نِعْمَةٍ .
ولولا تحرجنا^٤ أن نقطعَ أعضادهم^٥ بكم ، ورجاؤنا أن يكونَ العفوُ على

١ ب م : ترامت .

٢ ب م : أمان آخر ؛ وانظر المغرب : ٨٨ حيث نقل هذا الأمان .

٣ المغرب : تنفرج .

٤ ب : عليكم ملتقى .

٥ ب م : المعالين (اقرأ : القالين) ؛ المغرب : المعاصين .

٦ ط : تحوجنا . ٧ ب م : أعضاءهم .

المقدرة تأدياً لكم ، لشرب دماءكم سباع الكُماة ، وأكلت لحومكم ضياعُ الفلاة . وقد أعطيناكم بتأميننا إياكم عهدَ الله تعالى وذمته ، ونحن لا نخفرهما أيام حياتنا إلا أن تكونَ لكم كربةً ، ولغدرتكمُ ضرةً ، فيومئذٍ لا إعدارَ لكم ولا إقصارَ عنكم ، حتى تحصدكم ظُباتُ السيوف ، وتقتضي ديونَ أنفسكم غُرماً الحتوف .

وفي العتاب ^١ : أظلم لي جو صفائك ، وتوعرت علي أرض إخالِكَ ، وأراك جلدَ الضميرِ على العتاب ، غيرَ نافعِ الغلةِ من الجفاء . فليت شعري ما الذي أقسى ^٢ مُهجةَ ذلك الودِّ ، وأدوى ^٣ زهرةَ ذلك العهد ؟ عهدي بك وصَلتُنا تفرقُ من اسمِ القطيعةِ ، ومودَّتُنا تسمو عن صِفَةِ العتابِ ونِسبةِ الجفاء ؛ واليومَ هي آنسُ بذلك من الرضيعِ بالشدي ، والخليعِ بالكأس . وهذه ثُغرةٌ إن لم تحرُسْها المراجعةُ ، وتُذكَ فيها عيونُ الاستبصار ، توجهتْ منها الحيلُ على هدمِ ما بنينا ، ونقضِ ما اقتنينا ، وتلك ناعيةُ الصفاء ، والصارخةُ بموتِ الإخاء .

لا أستبدُّ — أعزَّك الله — من الكتاب إليك ، وإن رَغِمَ أنفُ القلمِ ، وانزوت أحشاءُ القرطاس ، وأخرسَ فمُ الفكرِ ، فلم يبقَ في أحدها إسعادٌ لي على مكاتبتك ، ولا بشاشةٌ عند محاولةِ مخاطبتك ، لقوارصِ عتابك ، وقوارعِ ملامك ، التي قد أكلت أعلامك ، وأغصت كُتُبك ، وأضجرت رُسلك . وضميري طاول لم يطعمَ تجنياً عليك ، ونفسي وادعةٌ

١ انظر المغرب : ٨٨ .

٢ ب م : أقسى .

٣ ب م : وأذبل .

لم تَجْنِ ذَنْباً إِلَيْكَ، وَعَقْدِي مُسْتَحْكِمٌ لَمْ يَمْسَسْهُ وَهْنٌ فَيْكَ . وَأَنَا
الآن عَلَى طَرَفٍ مِنْ إِخَائِكَ مَعَكَ ، فِيمَا أَنْ تَدْلِي بِحُجَّةٍ فَأَتَنصَلَ عِنْدَكَ .
وإِمَّا أَنْ تَنْبِيءَ بِحَقِيقَةٍ فَأَسْتَدِيمَ خُلَّتِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَأْزِمَ عَلَى فَأَسِيكَ فَأَقْطَعُ
حَبْلِي مِنْكَ . كَثِيراً مَا يَكُونُ عِتَابُ الْمُتَصَافِيَيْنِ حِيلَةً تُسَبِّرُ الْمَوْدَةَ بِهَا ،
وَتُسْتَشَارُ دِفَائِنُ^١ الْأَخْوََةِ عَنْهَا ، كَمَا يُعْرَضُ الذَّهَبُ عَلَى اللَّهَبِ ،
وَتُصَفَّقُ الْمُدَامُ بِالْفِيدَامِ . وَقَدْ يَخْلُصُ الْوَدُّ عَلَى الْعُتْبِ خَلَاصَ الذَّهَبِ
عَلَى السَّبَكِ . فَمَا إِذَا أُعِيدَ وَأَبْدِيَ ، وَرُدَّ دَوُوبِلَى ، فَإِنَّهُ يُفْسَدُ غَرَسُ
الإِخَاءِ ، كَمَا يُفْسِدُ الزَّرْعَ تَوَالِي الْمَاءِ .

فصول في الاستزارة

— الْيَوْمَ يَوْمٌ بَكَتْ أَهْطَارُهُ، وَضَحِكْتَ أَزْهَارُهُ، وَتَقَنَّنَتْ شَمْسُهُ،
وَتَعَطَّرَ نَسِيمُهُ، وَعِنْدَنَا بَلْبِلٌ هَزَجٌ، وَسَاقٍ غَنِيَجٌ، وَسُلَافَتَانِ : سُلَافَةُ
إِخْوَانٍ، وَسُلَافَةُ دِنَانٍ ؛ قَدْ تَشَاكَلْتَا فِي الطَّبَاعِ، وَازْدَوَجْتَا فِي إِثَارَةِ
السَّرُورِ ؛ فَاخْرِقْ إِلَيْنَا سُرَادِقَ الدَّجْنِ تَجِدْ مَرَأَى لَمْ يَحْسُنْ إِلَّا لَكَ ،
وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِكَ .

— الزِّيَارَةُ فِي اللَّيْلِ أَخْفَى، وَبِالزَّائِرِ وَالْمَزُورِ أَحْفَى، وَقَدْ سُدِلَ حِجَابُهُ،
وَوُقِعَ غَرَابُهُ، وَتَبَرَّقَعَتْ نَجُومُهُ بَغْيُومِهِ، وَتَلَفَّتْ كَوَاكِبُهُ بِسَحَائِبِهِ ؛
فَاهْتِكْ إِلَيْنَا سِرَّهُ، وَخُضْ نَحُونَا بِجَرِّهِ ؛ وَلَكَ الْأَمَانُ مِنْ عَيْنِ وَاشٍ
تَرَكَ ، وَشَخْصٍ رَقِيبٍ يَلْقَاكَ .

— الْبَدْرُ صِنُوكُ ، فَإِنْ طَلَعَتْ مَعَهُ عَلَيَّ ذُعَرَ الْخَافِقَانِ ، وَالشَّمْسُ

١ ب م : دَقَائِقُ .

ترُبُّكَ ، فإنَّ صاحِبَتَها إليَّ استرابَ الثَّقَلانِ ؛ فاجعل ليالي السَّرارِ مواقيتَ
الازديارِ ، وأيامَ الانكشافِ ساعاتِ الائتلافِ .

— لم نَلْتَقِ منذُ عَرَيْنَا مركبَ اللهو ، وأُخِلِينَا رَبْعَ الأنسِ ، وَقَصَصْنَا
جناحَ الطَّرَبِ ، وَعَبَسْنَا في وُجوهِ اللَّذاتِ . فإنَّ رَأَيْتَ أَنْ تَخْفَ إلى
مجلسٍ قد نُسَخَتْ فيه الرِّياحِين بالدواوينِ ، والمجامِرُ بالمحابرِ ، والاطباقُ
بالأوراقِ ، وتَنازُعُ المَدَامِ بِتَنازُعِ الكلامِ ، واستماعُ الأوتارِ باستماعِ الأخبارِ ،
وَسَجْعُ البَلابلِ بِسَجْعِ الرِّسائلِ ، كَما أَنَّ أَشْحَدَ لَذَنكَ ، وَأَصْفَلَ
لِفِكْرِكَ ، وآنسَ لِحاطِرِكَ . وأطيبَ لِنَفْسِكَ ، وأفرَجَ لِهَمِّكَ ، وأرشدَ
لِرَأْيِكَ .

— نحنُ من منزلِ أبي فلانِ بَحيثُ نَلْتَمِسُ^١ سَنالَكَ ، وَتَتَسَنَّمُ رِيالَكَ ؛
وقد راعنا اليومُ باكَفْهَرارِ وجهِهِ ، وما ذَرَّ من كافورِ ثَلْجِهِ ، فَادَّرَعْنَا لَهُ
بِالسَّتُورِ ، وانغمسنا بينَ جُيُوبِ المَرُورِ ، وَرَفَعْنَا لِبَناتِ الزَّنَادِ رِياياتَ^٢
حمرَاءَ ، وأَجَرِينا لِبَناتِ الكُرومِ خِلالَ شُقرَاءَ ، وأُحْبَبْنَا أَنْ تُشْهَدَ جَيْشَ
الشِّتاءِ كَيفَ يَهْزَمُ ، وأنفاسَ البَرْدِ كَيفَ تُكْظَمُ .

فصول قصار في مدح الإخاء

— بيننا خصائصُ ودادَةٍ ، كأنها وشائجُ ولادةٍ .

١ ب م والمغرب : نلتمس .

٢ المغرب : ألوية .

- رَعَيْتُ بِهِ السَّعْدَانِ ، وَأَخَذْتُ مِنْ رَيْنَبٍ دَهْرِي بِهِ الْأَمَانُ .
 - جَلَىَّ مِنْ مَطْلَبِي مَا أَظْلَمَ عَلَيَّ ، وَأَشْعَلَ مِنْ هَمِّي مَا خَمَدَ لَدَيَّ .
 - أَمْضَى لِسَانِي ، وَبَلَّ رِيقِي ، وَأَشَادَ بِاسْمِي ، وَأَعْلَى قَدْرِي .
 - لَا وَالْحِجْرِ الْيَمَانِي ، وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي ، لَا جَعَلْتُ سِوَاهُ قَصْدِي ،
 وَلَا اسْتَكْفَيْتُ غَيْرَهُ عَظْمَ أَمْرِي .
 - نَاصِرِي إِذَا تَكَاثَرَتِ الْخُطُوبُ عَلَيَّ ، وَمُجِيرِي إِذَا أَتَخَذَتِ الْأَيَّامُ
 جَانِبِي .

- هُوَ ذُخْرِي الْمُعَدَّة ، وَرُكْنِي الْأَشَدَّ ، وَسِلَاحِي الْأَحَدَّ .
 - خَزَانَةُ سِرٍّ لَا إِقْلِيدَ لَهَا ، وَلَا لِلتَّصَوُّصِ حِيلَةٌ فِيهَا .
 - آرَؤُهُ كَالْمَرَاثِي إِذَا جُلِّيَّتْ ، وَالسُّيُوفِ إِذَا انْتَضِيَّتْ .
 - يُحْسِنُ عِشْرَةَ الْخَارِ ، وَيَسِيءُ عِشْرَةَ الدَّرْهِمِ وَالْدِينَارِ .

وله في ضِدِّ ذلك ^١ :

- خَلَيْتُ ^٢ عَنْهُ يَدِي ، وَخَلَدْتُ قِلَاهُ خَلْدِي .
 - بَيَّضُ الْأَنْوَقِ مِنْ رِفْدِهِ أَمَكْنُ ، وَصَفَا الْمُشَقَّرِ مِنْ خَدِّهِ أَلْبِنُ .
 - مَنَزُورُ النَّوَالِ ، رَثُّ الْفَعَالِ ^٣ .
 - أَحَادِيثُ وَعْدِهِ لَا تَعُودُ بِنَفْعٍ ، وَلَا هِيَ مِنْ غَرْبٍ وَلَا نَبْعٍ .
 - مُطَحَّلِبُ الْوَجْهِ ، مُهَرَّاقُ مَاءِ الْحَيَاءِ ، مُظْلَمُ الْخَلْقِ ، دَبُورِي
 الرِّيحِ ، مُقَشَّعِرُ الْوَجْهِ .

١ انظر المغرب : ٨٩ .

٢ ط : خلوت .

٣ المغرب : المقال .

- طاشتْ عنده الصنِيعَة ، وضاعتْ فيه اليد .
 - على وجهه من التعيسِ قُفْلٌ ضالٌ متاحه ، وليلٌ مات صباحه .
 - غنيٌّ من الجهل ، مُفْلِسٌ من العقل .
 - تنصاء لُ النعمِ لديه ، وتقنِج محاسنُ الإحسانِ عليه .
 - لم ينظم عليه قط خَرَزٌ ١ ثناء ، ولا استحقَّ أن يلبسَ بِيَزَةً مديح .
 - غربالٌ حديثٌ ، إذا وعى سِرّاً فطرَ منه .
 - أجالَ قدحاً غير قامرٍ ، ورمى بسَهْمٍ غير صائب .
 - كَبِدُ الزَّمانِ عليه قاسية ، ونِعمُ الله له ناسية .
 - شرٌّ بُقعةٍ لِيَغْرَسِ المودَّةَ وبَذَرِ الإخاء .
 - قصيرُ الوفاء للإخوان ، عَوْنٌ عليهم مع الزَّمان .
 - هو كَدَّرُ الدُّنيا وسَقَمُ الحياة .
 - رَقَدَتْ مُلءَ عيني في فرشِ القلَى له ، وشربتُ زلالُ ماءِ العزَّاءِ .
- عنه .
- مُرَبِّ لَأَطْفالِ الإحْنِ ، مُحِي لَأَمْواتِ الدَّمَنِ .

وهذه جملةٌ أيضاً من شعره في أوصاف شتّى
النسب وما يُناسبه

قال ٢ :

لَمَّا بدا في لازورٍ دِيّ الحَريْرِ وقد بهَرُ

١ المغرب : در .

٢ الأبيات في الجذوة والمطمح : ٣ والنفع : ٥٤٦ .

كَبَّرْتُ مِنْ فَرَطِ الْجَمَا لِي وَقَلْتُ : مَا هَذَا بِشَرِّ
فَأَجَابَنِي : لَا تُنْكِرَنَّ ثُوبَ السَّمَاءِ عَلَى الْقَمَرِ

وهذا كقول ابن الرومي ^١ :

يَا ثُوبَهُ الْأَزْرَقَ الَّذِي قَدْ فَاقَ الْعِرَاقِيَّ فِي السَّنَاءِ
كَأَنَّهُ فِيهِ بِدْرُ تِمِّمٍ يَشُقُّ ^٢ فِي زُرْقَةِ السَّمَاءِ

وابن المعتز أيضاً القائل :

وَبِنَفْسِي الثُّوبَ قَتَلْتُ لِي مُحِبِّهِ مِنْ رَائِهِ
الْآنَ صَرَتْ الْبَدْرُ حَيْثُ نَ لَبَسَتْ ثُوبَ سَمَائِهِ

ورأى ابن بردٍ غلاماً قد بَيَّضَ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ أَفْقِنَا فِي لِبَاسٍ ^٣
الْبَيَاضِ عِنْدَ الْحُزْنِ فَقَالَ :

أَجِلْ جُفُونَكَ فِي ذَا الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ وَلَمْ عَلَى النَّأْيِ مِنْهُ حَادِثَ الزَّمَنِ
وَأَعْجَبَ لَضِدِّينَ فِي مَرَأَةٍ قَدْ جُمِعَا : شَخْصَ السَّرُورِ عَلَيْهِ لِبَسَةُ الْحُزْنِ

وفي لباسِ أَهْلِ أَفْقِنَا الْبَيَاضَ عَلَى الْمَتَوَفَى يَقُولُ الْخُلَوَانِيُّ ^٤ :

لِئِنْ كَانَ الْبَيَاضُ لِبَاسَ حُزْنٍ بِأَنْدَلَسٍ فَذَاكَ مِنْ الصَّوَابِ
أَلَمْ تَرْنِي لَبَسْتُ بَيَاضَ شَيْبِي لِأَنِّي قَدْ حَزَنْتُ عَلَى الشَّبَابِ :

١ ديوان ابن الرومي : ١٣٧ .

٢ ط : يَنْشُقُ .

٣ ب م : لِبَسَةُ .

٤ تَجَمَّى . تَرَجَمَتْهُ فِي الْقِسْمِ الرَّابِعِ .

وقد أخذ هذا المعنى بعضُ أهل عصرنا وهو أبو العباس أحمد بن قاسم
المحدث بقرطبة فقال ^١ :

قالت وقد نظرتُ فرَوَّعَهَا شيبُ على فودَيَّ مُتَشِيرُ :
ما شأنُ تلك البيضِ ؟ قلتُ لها : ماتَ الشبابُ فَيَبِضَ الشعرُ

وقال ابن برد :

أقبلَ في ثوبٍ لازوردٍ قد أفرِغَ الثبرُ من عليه
كأنه البدرُ في سماءٍ قد طرَّرَ البرقُ جانبيه

وقال أيضاً :

بأببي طائرُ حُننٍ لاقِطٌ حَبَّ القلوبِ
كلَّمَا اهتزَّ جناحُ الـ صَدَّ هُزَّتْ بالوجيبِ
يَتَغَنَّى بلسانٍ مُعْرِبٍ فوق قضيب :
أعطيَ الملِكَ مُحِبٌ فازَ مني . بنصيب

وينظر من هذا بعض النَّظَرِ قَوْلُ أبي نواس ^٢ :

وما أنا ^٣ إن عمرتُ أرى جناهاً وإن ضنَّتُ بمخوسِ النَّصِيبِ
مُقَنَّعةٌ بثوبِ الحسنِ ترعى بغيرِ تكلفٍ ثَمَرَ القلوبِ

وقال ابن برد أيضاً :

١ سترجم له ابن بسام في هذا القسم ويكرر البيتَين وبني الحلواني أيضاً .

٢ ديوان أبي نواس : ٣٦٢ .

٣ ط : وما لي .

كيف لا أعشَقُ ظبياً سارحاً في ظِلِّ ملكٍ ؟
 إنما السَّنَرَةُ فيه مَزْجُ كافورٍ بمسك
 وهذا كقول ابن فتوح^١ :

قد قُضِبَ وبدرٌ ديجورٍ وثغرٌ دُرٌّ ولحظٌ يعفورٍ
 نازل صبري وأيُّ مُصْطَبَرٍ يفي بتلك اللواحظُ الحور
 كأنما نورهُ وسمرتُهُ مسكٌ مشوبٌ بـذَوْبِ كافور
 وقال ابن برد :

بأبي أنت وأمي لم تطبعتَ بظلمي ؟
 أبداً تأتي بعَتَبٍ دون أن آتي بجُـرْمِ
 بيننا في الحبِّ قُربى سقمٌ عَيْنِكَ وجسمي
 وهذا كقول ابن الرومي :

يا عليلاً جعلَ العِلَّـ مِفْتَاحاً لِسُقْمِي
 ليس في الأرضِ عِلـلٌ غَيْرُ جَفْنَيْكَ وجِسْمِي
 وأخذه محمد بن هانيءٍ فقال^٣ :

المُدنَّفانِ مِنَ البريةِ كُلِّها : جسمي وطرفُ بَابِلِي أَحـورُ
 والمُشْرِقاتُ النِّيراتُ ثَلَاثَةُ : الشمسُ والقمرُ المنيرُ وجعفرُ

١ سترد ترجمته والأبيات في هذا القم .

٢ ب م : الملاحظ .

٣ ديوان ابن هانيء : ٣٦٢ .

وقال ابن برد :

يا كثيرَ الجفاءِ لي	ومُضِيعاً	وسائلي
طال حُبِّي ولم تَقْضُ	مِنْكَ	نَفْسِي بِطَائِلِ
أنتَ لي هاجِراً وإن	كنتَ في ثوبِ	واصلِ
أنتَ أَمَرَرْتَ مِنهلاً	كان أحلى	مناهي
سوف أبكيك لاستحَا	لَكَ	تلكَ الشَّائِلِ
بجفونٍ قريحَةٍ	ودموعٍ	هواملِ

وقال أيضاً ١ :

يا من بفيه يَعْبِقُ العَنْبِرُ	وَمَنْ لَمَاهُ سَكْرٌ مُسْكِرُ
صَحَّ الهَوَىٰ مِنَّا وَلَكِنِّي	أعجبُ من بعدِ لنا يُقَدِّرُ
كأَنَّنَا في فَلَكَ دائِرِ	فَأنتَ تَخْفَى وَأَنَا أَظْهَرُ

وقال أيضاً :

صَبَّ ذَكَتُ في فَوَادِهِ الحُرْقُ	يَغْرَقُ في دَمْعِهِ وَيَحْتَرِقُ
لَدَدَهُ في دَجَى صِبَابَتِهِ	وَجْهٌ بِمَاءِ الشَّبَابِ مُؤْتَلِقُ
لَمَّا رَمَتْهُ العَيونُ ظَالِمَةً	وَأَثَرَتْ في جَمَالِهِ الحَدَقُ
أَلْبَسَ سَنَ نَسَجَ شَعْرَهُ زَرْدًا	صَيَغَتْ لَهُ من زَمَرْدٍ حَلَقُ

وقال في مثله :

١ أورد ابن ظافر البيتين الثاني والثالث منها في بدائع البدائنه : ٢٥٣ ونسبهما لابن خفاجة .

هو في الحسن كالجوا زين إذ جاء سابقاً
 د بريح الصبا حذي بعذارتي زمردي
 وقال أيضاً :

وجه لمصباح السماء مباهي
 رقم العذار غلا لتيه بأحرف
 نادى عليه الحسن حين لقيته :
 وبدي الشاب عليه رشح مياه
 معنى الهوى في طيتها متناهي
 هذا المُنَمَّنُّ في طراز الله
 وهذا كقول المتنبي ^١ :

فدعاك حسدك الرئيس وأمسكوا
 خلفت صفاتك في العيون كلامه
 ودعاك خالقك الرئيس الأكبر
 كالخط يملأ مسمعني من أبصر
 وقال ابن بزد :

أعنبر في فمه فتتا
 يا شارباً ألتمني شارباً
 انظر إلى الذاهب من ليلنا
 أم صارم من لحظه أصليت؟
 قد هم فيه الآس أن يبتنا
 وامزج بماء الذهب المنبتا
 كأنه ذهب في البيت الثاني منها ^٢ إلى معارضة ابن المعتز في قوله ^٣ :

قد صاد قلبي قمر
 بوجنة كأنما
 يسحر منه النظـر
 يقنـدح منها الشر

١ يستشهد به ابن بسام كثيراً ، وانظر ديوان المتنبي : ٥٤٠ .
 ٢ ب م : كأنه قد ذهب بقوله : « قد هم فيه الآس أن يبتنا » .
 ٣ الأوراق للصولي : ٢٣١ .

وشارِبٍ قد همَّ^١ أو نَمَّ^١ عليه الشعْرُ
 ضِعْفَةً أَجْفَانُهُ والقلبُ منه حَجَرُ
 كَأَنَّمَا مَقَلَّتْهُ^٢ من فعلِهِ تَعْتَصِرُ
 الحُسْنُ فِيهِ كَامِلٌ وفي السُّورَى مُخْتَصَرُ

وليست يدُ ابنِ بردٍ فيه عن مَرَمَاهِ بِقَاصِرَةٍ ، ولا صِفَتُهُ حِينَ جَارَاهِ
 بِخَاسِرَةٍ ، بل سَاوَاهِ وَزَادَ ، وَأَجَادَ مَا أَرَادَ . أَلَا تَرَى قَوْلَ ابْنِ الْمُعْتَزِ عَلَى
 تَقْدِيمِهِ : « قَدِ هَمَّ^٣ أَوْ نَمَّ^٣ عَلَيْهِ الشَّعْرُ » لَا يَكَادُ يُخْرَجُ عَنْ لَفْظِ الْعَامَّةِ ،
 وَابْنُ بَرْدٍ جَمَعَ فِي بَيْتِهِ بَيْنَ بَايِنٍ مِنْ أَبْوَابِ الْبَدِيعِ : فَجَانَسَ بَيْنَ الشَّارِبِ
 وَالشَّارِبِ ، وَأَنْبَأَ أَنَّ مَحَبَّةَهُ فِي آخِرِ دَرَجَةٍ مِنَ الْمُرُودَةِ^٤ ، وَأَوَّلِ دَرَجَةٍ
 مِنَ اللَّحِيَّةِ ، بِإِشَارَةِ عَذْبَةٍ وَعِبَارَةٍ حُلُوءِ رَطْبَةٍ ، دُونَ تَطْوِيلِ ، وَلَا
 تَثْقِيلِ ؟ وَقَوْلُ ابْنِ بَرْدٍ : « وَامزُجْ بَمَاءِ الذَّهَبِ الْمَنْبَتَا » - [يَعْنِي بِذَلِكَ
 الْفِضَّةَ ، وَالْمَنْبَتُ مُؤَلَّدٌ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ] - يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ
 الصَّنُوبَرِيِّ^٥ :

وَلَيْلَةٍ كَالرَّفْرِفِ الْمُعْلَمِ مُحْفُوفَةٍ الظُّلْمَاءِ بِالْأَنْجَمِ
 تَعَلَّقَ الْفَجْرُ بِأَرْجَائِهَا تَعَلَّقَ الْأَشْقَرُ بِالْأَدْهَمِ
 عَدَلْتُ فِيهَا بَيْنَ خَمْرَيْنِ مِنْ خَمْرِ الْعَنَاقِيدِ وَخَمْرِ الْفَمِ

١ ط : نَمَّ أَوْ هَمَّ .

٢ الصولي : الْحَاظَةُ .

٣ ب م : نَمَّ أَوْ هَمَّ .

٤ ط : الْمُرْدَةُ ؛ ب م : الْمُرُودِيَّةُ .

٥ ديوان الصنوبري : ٤٨٧ عن قطب السرور : ٦٩١ ومنها بيتان في نثار الازهار :

٧٠ ونهاية الأرب ١ : ١٤٥ .

تَتَلَوَّلُ الْجَامَ يَدِي مِنْ يَدٍ ١ مَوْشِيَّةِ الرَّاحَةِ وَالْمَعْصَمِ
شَبَّهْتُ ذَوْبَ الرَّاحِ فِي جَامِهَا بِذَوْبِ دِينَارٍ عَلَى دَرْهَمِ

وإن كان الصنوبري أراد غير ما ذهب إليه ابن برد ، لأنه أمر محبوبه أن يمزج له مُدَامَةً صفراء بماء زُلَال ، والصنوبري شَبَّه ذَوْبَ الرَّاحِ فِي كَأْسِهَا بِذَوْبِ الذَّهَبِ [وَشَبَّه الكَأْسَ بالدَرْهَمِ ، فعَلِمَ ابن برد الإشارة ، وأنَّ الخمر إذا اصْفَرَّتْ شَبَّهَتْ بالذهب] والمنبت إذا ذَوَّبَ أَشْبَهَ الماءَ ، فَنَاسَبَ قولَ الصنوبري على هذه الإشارة . وقد نَحَا هذا النَحْوُ [بعضُ أهل أَفْقِنَا] وهو أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بنُ حَسَّانَ ٢ المعروفُ بالسَّنَاطِ فَقَالَ ٣ :

أَدِرْ كَأْسِيكَ ٤ يَا قَمَر النَّدِيِّ فَقَدْ نَامَ الْخَلِيُّ عَنِ الشَّجِيِّ
كَفَى بِكَ وَالْمُدَامَةَ لِي صَبَاحاً يُفَرِّقُ عَسْكَرَ اللَّيْلِ الدَّجِيِّ
فَخُذْ ذَهَباً وَرُدِّ لَهُ ٥ لُجَيْنِيًّا تَكُنْ فِي النِّقْدِ ٦ أَرْبَحَ صِيرْفِي

وقول ابن المعتز « والقلب منه حجر » .. البيت ، كقول المؤمل المحاربي ٧ :

١ الميوان : يدي .

٢ في النسخ : حسان بن الحسن ؛ وقد ترجم له الحميدي في الجذوة : ١٧٩ (البغية رقم : ٦٣١) وابن سعيد في المغرب ٢ : ٣٧ نقلاً عن المسهب باسم « الحسن بن حسان » وقد اشتهر في قرطبة أيام عبد الرحمن الناصر وله فيه مدائح ، وأصله من وادي الحجازة ؛ وقتل نفسه غيظاً لأنه وجد امرأته مع رجل .

٣ الأبيات في المغرب ٢ : ٣٧ . ٤ ب م والمغرب : نجميك .

٥ المغرب : لنا . ٦ ب م والمغرب : في الناس .

٧ في النسخ : المأمون الحارثي ؛ وهو خطأ ؛ والمؤمل بن أميل من بني نجسر بن محارب ، كوفي مدح المهدي ، وهو ولي عهد ، وتوفي حوالي ١٩٠ هـ (انظر ترجمته في الأغاني ٢٢ : ٢٥٥ ومعجم المرزباتي : ٢٩٨ وتاريخ بغداد ١٣ : ١٧٧ والخزانة ٣ : ٥٢٣) والبيتان من قصيدة له طويلة ، انظرهما في معجم المرزباتي ، والثاني منهما في التمثيل والمحاضرة : ٩٠ وخاص الخاص : ٩١ .

﴿شكوتُ ما بي إلى هندی﴾ فما اكرثت^١ يا قلبها أحديد^٢ أنت أم حجر؟

وبعده :

إذا مرضنا^٢ أتيناكم نعودكم^٣ وتذنبون^٤ غنائيكُم^٥ فنعتذر^٦

وقال ابن برد :

بَخِداعٍ عَالِلُوهُ	وَبِهَجْرٍ وَصَالُوهُ
لَمْ يُبَالُوا يَوْمَ صَدِّ	أَيَّ وَجْدٍ حَمَلُوهُ
أَخْرَجُوهُ عَنْ مَحَلِّ	لِلتَّسَلِّي دَخَلُوهُ
بَلَّغُوا فِيهِ الْأَعَادِي	كُلَّ شَيْءٍ أَمَلُوهُ
رُبَّ سِتْرِ لِلتَّصَابِي	فَوْقَهُ قَدْ سَدَلُوهُ
وَسْنَا نَارَ حُمَيَّا	فِي الدَّجَى قَدْ أَشْعَلُوهُ
كَلَّمَا سَقَّوهُ كَأْسًا	لِإِثْرِ كَأْسٍ قَتَلُوهُ
وَهِيلَالٍ بِشَرِي	بَنَجُومٍ كَلَّلُوهُ
فِي بَيْمٍ مِنْ ظَلَامٍ	بَسَنَاهُ حَجَّلُوهُ
نَشَطُوهُ ثُمَّ لَمَّا	لَانَ عَظْفًا أَخْجَلُوهُ
عَدَلُوهُ عَنِ وَصَالِي	حَسَدًا ثُمَّ وَلَّوهُ
لِنَمَّا حَبِيَّ فَيْكُمُ	مِثْلَ مَا قَدْ سَأَلُوهُ ^٦

١ ط ب م : فقلت لها ، والتصويب عن المرزباني .

٢ ط : مرضتم .

٣ ب م : ونعتذر .

٤ ب م : أسدلوه .

٥ ط : فيه .

٦ ب م : مثلاً فقد أرسلوه .

وذكرتُ بهذه القطعةِ قطعةً على وزنها ورويها ، ويتعلق بها خبرٌ من سيءِ
 الأخبار وشرها . قالوا : كان الأمين ^١ محمد بن هارون يوماً على بركةِ
 ماء وقد عَضَهُ ببغدادَ الحصارُ ، وأُخِذَتْ عليه الأقطارُ ، إذ دَخَلَ عليه
 غُلامُهُ كوثر الخادم الوسيم ، وكان له من حَبِّه جزءٌ مقسومٌ ،
 وقد أصابه سهمٌ خَرَقَ حجابَ قلبه فخرَّ لِحِينِهِ ، فجزَّعَ عليه الأمينُ
 جزءاً كان دونه الجنون ، ثم قال ^٢ :

قَتَلُوا قُرَّةَ عَيْنِي وَمِنْ أَجْلِي قَتَلُوهُ
 يَا هَلَالَ الدَّجْنِ قُلْ لِي مَا لِقَوْمِي جَهْلُوهُ ؟
 طَلَعَ الْبَدْرُ نَهَاراً فَلَذَا لَمْ يَعْرِفُوهُ
 أَخَذَ اللَّهُ لِقَلْبِي مِنْ أَنْاسٍ خَرَقُوهُ !

وذكر بعضُ الرواةِ أنَّ أبا محمد التيميَّ زاد في هذه الأبيات فقال :

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ فَضْلاً عَلَيْهِمْ حَسَدُوهُ
 مِثْلَمَا قَدْ حَسَدَ الْقَاثِمَ بِالْمُلْكِ أَخُوهُ

وفي غُلامِهِ كوثر يقول ، وقد نظر إلى طُلُوعِ البدر ، وهو يشرب ،
 على الفُسْطَاطِ ^٣ :

- ١ ب م : بينا الأمين .
 ٢ انظر الأغاني ١٩ : ٣٢٤ - ٣٢٥ وتاريخ الخلفاء للسيوطي : ٣٢٧ ، والتيمي
 المذكور هو عبدالله بن أيوب مولى بني تميم ، من أهل الكوفة ، من شعراء الدولة
 العباسية ، وكان أحد الخلفاء المجان ، صديقاً لابراهيم الموصلي وابنه ثم اتصل بالبرامكة
 ومدحهم (الأغاني ١٩ : ٣١٩) .
 ٣ ب م : وعلى الفسطاط نرجس ؛ السيوطي : وقد سقاه وهو على بساط نرجس ؛
 والأبيات تنسب أيضاً للحسين بن الضحاك الخليلي ، كما في تاريخ بغداد لطيفور :
 ٣٢٥ وزهر الآداب : ٧٠٢ والديارات : ٣٩ ؛ وانظر ديوان الخليلي : ٨٨ .

وصفَ البدرُ حُسْنَ وجهكَ حتى خِلْتُ أَنِّي وما أراكَ أراكا
 وإذا ما تَنَفَّسَ الرَجِيسُ الغُصَّ تَوَهَّمْتُهُ نَسِيمَ شذاكِ
 خُدَعُ لِلْمُنَى تَعَلَّلْنِي فِي لكِ بِإِشْرَاقِ ذَا وَنَكْهَةِ ذَاكَ
 لِأَقِيمَنَّ مَا حَيْثُ عَلَى الشُّكِّ رِ لِهَذَا وَذَاكَ إِذْ حَكِيَّاكَ

وهو القائل فيه حين يثس^١ من نفسه :

يا كَوْثَرِي^٢ حاصرني طاهرُ إني على ما نابني صابرُ
 لم يَبْقَ من مُلْكِي إِلَّا الذي تراهُ والجسرانِ والماطرُ

وقال ابن برد :

أَسْرُ في اللَّيْلِ وَلَكِنَّهُ قَدْ وَقَفَ الصُّبْحَ عَلَى الْإِفْتِصَاحِ
 يَا عَجَبِي مِنْ شَادِنِ أَهِيْفِ يُطَارِدُ الْخَيْلَ وَيَثْنِي الرَّمَاخَ
 إِذَا مَشَى وَالْجَيْشُ^٣ قَدَّامَهُ صَاحَ عَلَيْهِ حَسَنُهُ : لَا بَرَّاحَ

وذكرتُ بهذا المعنى قولَ محمد بن هاني وإن لم يكن به فَيَتَطَرَّفَ الْمَغْزَى
 [بنا] إِلَيْهِ^٤ :

قَمَرٌ لَّهُمْ قَدْ قَلَدُوهُ صَارِمًا وَلَوْ انْصَقَّوهُ قَلَدُوهُ كَوَكْبًا
 جَاءُوا بِهِ مِنْ بَعْدِ أَنْ حَشَدُوا لَهُ مِنْ رِدْفِهِ^٥ جَيْشًا لثَلَاثًا يُغْلَبَا

١ ب م : أيس .

٢ ط : كوثر .

٣ ب م : والجند .

٤ ديوان ابن هاني : ١٩٣ .

٥ ب م : طرفه .

وكانما طَبَّعُوا له من لَحْظِهِ سيفاً رَقِيقَ الشَّفَرَتَيْنِ مُشْطَبَا
خَالَسَتْهُ نَظَرًا وكان مُورِدًا فاحمرَّ حتى كاد أن يَتَلَهَّبَا
هذا طِرَازٌ ما العيونُ كَتَبْنَهُ لكنَّهُ قَبْلَ العيونِ تَكْتَبَا
صِفَةً تَحَيَّرَ بعضُها في بعضِها حتى غدا التوريدُ فيها مُذْهَبَا

وقال ابن برد :

زِدْتُكَ ذُلًّا فَزِدْتُ تِيهًا واخْطَئْ ذَلًّا من يَليها !
لَيْتَكَ حُمِلْتَ بعضَ ما بي فَذُقْتَ ما ذُقْتُ مِنْكَ فيها
يا شاعرَ الحُسْنِ بي تَرَفَّقْ لا تَقْتُلْنِي بِهِ بَدِيها

ومن شعره في سائر الأوصاف

قال :

ويومٍ تَفَنَّنَ في طَيِّبِهِ وجاءَتْ مَوَاقِيتُهُ بِالْعَجَبِ
تَجَلَّى الصَّبَاحُ به عن حَيَا قد اسقى وعن زَهْرٍ قد شَرِبِ
وما زِلْتُ أَحْسِبُ فيه السَّحَا بَ وَنارُ بوارِقِها تَلْهَبُ
بِخَانِي تُوَضِّعُ في سِرْها وقد قُرِعَتْ بِسِياطِ الذَّهَبِ

يناسبُ معنى البيت الثاني منها قول ابن حمديس الصَّقْلِي ١ :

من قَبْلِ أن تَرَشُّفَ شَمْسُ الضُّحَى رِيقَ الغَوادي من ثُغورِ الأَفَاحِ
وقوله : « بِخَانِي تُوَضِّعُ في سِرْها » .. البيت ، يشبه قول الآخر من أناشيد أبي
علي البغدادي ٢ :

١ ديوان ابن حمديس : ٨٩ .

٢ ط : ومعنى البيت الأخير من قول الآخر .

حتى إذا ما رَفَعَ الآلَ الضَّحَى حَسْبَهُ سِلَاسِلًا مِنْ الذَّهَبِ

وقد قال بعضُ أهلِ عصرِنا وهو أبو بكرٍ ابنُ بَقِيٍّ^١ فذهب به مذهباً عجيباً ، وَلَدَّ مَعْنَى غريباً :

يا لَكَ مِنْ بَرَقٍ وَمِنْ دِيمَةٍ خَلَتْهُمَا فِي لَيْلَى الْعَاتِمِ
سوطاً من العسجدِ تُومِي بِهِ كَفُّ النَجَاشِيِّ إِلَى حَاتِمِ

وقال ابنُ برد :

رُضَابُكَ رِيٍّ لِمَنْ قَدْ عَطِشَ وَقُرْبُكَ أَنْسٌ لِمَنْ قَدْ وَحِشَ
وَكَمْ لَيْلَةٍ جُلَّتْهَا^٢ فَانْجَلَتْ إِلَى مُدْنَفٍ زُرْتَهُ فَانْتَعَشَ
وقد فَتَحَ الْأَفْقُ لِلنَّاطِرِينَ عَنْ شَهْلَةِ الصَّبْحِ هُدْبَ الْغَبَشِ

وينظرُ هذا إلى قولِ المعري^٣ :

وصبحَ قد^٤ فَلَيْنَا اللَّيْلَ عَنْهُ كَمَا يُفْلَى عَنِ النَّارِ الرَّمَادُ

وقال ابنُ برد :

عارضٌ أَقْبَلَ فِي جُنْحِ الدُّجَى يَتَهَادَى كَتَهَادِي ذِي الْوَجَى
أَتَلَفَتْ رِيحُ الصَّبَا لَوْلُوهُ^٥ فَانْحَنَى ° يُوقِدُ عَنْهُ السَّرْجَا

١ ترجمته في القمم الثاني من الذخيرة .

٢ ب : جيتها .

٣ شروح السقط : ٣٠٧ .

٤ الديوان : وإصباح .

٥ ب : فانتحي .

٦ ب م : سرجا .

وَكَأَنَّ الرَّعْدَ حَادِي مُضْعَبٍ كلما صال عليه وَسَجَا
وَكَأَنَّ الْبَرْقَ كَاسٌ سَكَبَتْ في لَهَاةِ الْمُزْنِ حَتَّى لَهَجَا
وَكَأَنَّ الْجَوَّ مِيدَانٌ وَغَى رَفَعَتْ فِيهِ الْمَذَاكِي رَهَجَا

ومعنى البيت الثاني من هذا كقول ابن المعتز، وهو من أحسن ما قيل في
الصُّبْحِ ١ :

وَالصُّبْحُ يَتَلَوُ الْمُشْتَرِي فَكَأَنَّهُ عُرْيَانٌ يَمْشِي فِي الدُّجَى بِسَرَّاجٍ
وَقَالَ تَمِيمُ بْنُ الْمَعِزِ ٢ :

وَكَأَنَّ الصَّبَاحَ فِي الْأَفْقِ بَازٍ والدُّجَى بَيْنَ مَخْلَبَيْهِ غُرَابٌ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ ٣ :

وَالصَّبْحُ يَلْمَحُ مِنْ خِلَالِ سَحَابِهِ ٤ كَالْمَاءِ يَلْمَعُ مِنْ خِلَالِ الطُّحْلُبِ
وَقَالَ ابْنُ بَرْدٍ ٥ :

سَقَانِي وَجَفَنُ اللَّيْلِ يَغْسِلُ كُحْلَهُ بِمَاءِ الصَّبَاحِ وَالتَّسِيمِ رَقِيقُ
مَدَامًا كَذَوْبِ التَّبِيرِ أَمَّا نِجَارُهَا فَضَخْمٌ وَأَمَّا جِرْمُهَا فَدَقِيقُ

١ ديوان المعاني ١ : ٣٥٨ ومحاضرات الراغب ٤ : ٥٤٧ .

٢ ديوان تميم : ٧٠ .

٣ ديوان البحتري : ٨٠ .

٤ الديوان : حتى تجلى الصبح من جنباته ؛ ب : يلمع .

٥ الحلة السبراء ٢ : ٤٩ والنفع ٤ : ٢٤٢ والبيان ٣ : ٢٠٨ منسوبين للمعتضد ،
وسيردان في الذخيرة ، قسم : ٢ كذلك .

وقال أيضاً :

وكانَ اللَّيْلَ حِينَ لَوَى هارباً^٢ وَالصُّبْحُ قَدْ لَاحَا
كِلَّةٌ سَوْدَاءُ حَرَّقَهَا^٣ عامِداً أُسْرَجَ مَصْبَاحَا

وقال أيضاً^٤ :

تأملُ فقد شقَّ البهَّارُ مُغْتَسِماً كمائمه عن زهره الخَضِلِ الندي
مَدَاهِنَ تَبْرِ فِي أَنَامِلِ فَضَّةٍ على أَذْرُعٍ مَخْرُوطَةٍ مِنْ زَبْرَجْدٍ^٥

وقال :

سقى جَوْفَ الرُّصَافَةِ مُسْتَهِيلاً^١ تُؤَلِّفُ شَمْلَهُ أَيْدِي الرِّيحِ
مَحَلُّ^٢ مَا مَشَيْتُ إِلَيْهِ إِلَّا مَشَى فِيَّ ابْتِهَاجِي وَارْتِهَاجِي
كَأَنَّ تَرْتَّمِ الْأَطْيَارِ فِيهِ أَغَانِ فَوْقَ أَوْتَارِ فِصَاحِ
كَأَنَّ تَشَنِّي الْأَشْجَارِ فِيهِ عَذَارَى قَدْ شَرِبْنَ سُلَافَ رَاحِ
كَأَنَّ الْجُدُولَ الْمُنْسَابَ نَصَلُ^٣ صَقِيلُ الْمَتَنِ هَزَّ إِلَى كِفَاحِ
كَأَنَّ رِيَاضَهُ أَبْرَادُ وَثِي تَعَطَّفُ فَوْقَ أَعْطَافِ مِلَاحِ

وقال :

يَا نِعْمَةً مِنْ عَشْيٍ غَابَ حَاسِدُهُ وَصَحَّ فِيهِ اجْتِمَاعُ دُونَ تَشَنِّيَتِ

١ انظر النفع ٣ : ١٩٧ .

٢ ب م : ذاهبا .

٣ ب م : أحرقتها .

٤ انظر الجذوة والمطمح والنفع ٣ : ٢٩٣ ، ٥٤٦ .

٥ ب م : ومرد .

[رَحْنَا إِلَى النَّهْرِ وَالْأَرْوَاحُ لَاعِبَةٌ
 ولاح في الماء منه مَنَظَرٌ حَسَنٌ
 كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ صَافِي اللَّجَيْنِ وَقَدْ
 بِمَوْجِيهِ بَيْنَ إِحْيَاءٍ وَتَمْوِيتٍ]
 حَبَسْتُ مِنِّي عَلَيْهِ طَرْفَ مَبْهُوتٍ
 ذَابَتْ عَلَى مَتْنِهِ زُرْقُ الْيَوَاقِيتِ

وقال يصفُ كَلْفَ الْبَدْرِ^١ :

وَالْبَدْرُ كَالْمَرَاةِ غَيَّرَ صَقْلَهَا
 وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسٌ بِضَوْءِ صَبَاحِهِ
 عَبَثُ الْعَذَارَى فِيهِ بِالْأَنْفَاسِ
 مِثْلَ التِّبَاسِ النَّقَسِ بِالْقِرَاطِ

ورأيتُ ابنَ بردٍ قد ذكر في كتابه أنه لم يسمع^٢ فيه لأحدٍ شيئاً، وابنُ
 المعتز القائل في وصف الفرند^٣ :

جَرَى فَوْقَ مَتْنِهِ الْفِرَنْدُ كَأَنَّمَا
 تَنْفَسُ فِيهِ الْقَيْنُ وَهُوَ صَقِيلُ

قال أبو الحسن : وإذ قد انتهينا إلى ذكرِ البدر فنلتميعُ بشيءٍ مما
 قيل فيه من مقطوعاتٍ وأبياتٍ لها موقعٌ بهذا الموضع ، لمحدثين متقدمين
 ومعاصرين :

قال ابن المعتز^٤ :

انْظُرْ إِلَيْهِ كَزُورْقٍ مِنْ فِضَّةٍ
 قَدْ أَثْقَلَتْهُ حَمُولَةٌ مِنْ عَنَبٍ

١ سرور النفس (الورقة : ٧٨) دون نسبة ، وحلقة الكميت : ٣٠٠ والأول وحده

في الغيث ٢ : ١٥٣ والخيرة ٣ : ٨٧٤ .

٢ ب م : لم ير .

٣ ط : وابن المعتز قال ؛ وانظر زهر الآداب : ٧٧٦ .

٤ ديوان ابن المعتز ٤ : ٩٨ والأوراق : ٢٦١ وديوان المعاني ١ : ٣٤٠ وحلقة الكميت :

. ٢٧٥

وسمع ابنُ الرُّومي هذا التشبيه فقال : أنا لم أرَ قطُّ^١ زَوْرَقًا مِن فضةٍ ،
ولِنَما أَصِفُ ما شَاهدْتُه ، وأشَبّه بما عَينَنتُه ، قال^٢ :

ما أنْسَ لا أنْسَ خَبَازًا مَرَرْتُ بِهِ يدحو الرُّقَاقَةَ وشك اللحمِ بالبَصْرِ
ما بين رُؤيتِها في كَفِّهِ كُرَّةٌ وبين رُؤيتِها قوراءَ كالقَمَرِ
إلاّ بمقدارِ ما تَنداحُ دائِرَةُ في صَفْحَةِ المائِ يَرمى فيه بالحِجرِ
[وقال المعري^٣ :

ولاحَ هلالٌ مِثلُ نُونٍ أَجَادهَا بذَوْبِ النُّصارِ الكاتِبِ ابنُ هلالٍ
وقال^٤ :

وكانَ الهلالُ يهوى الثَّريّا فهما للوداعِ معتَقانِ
وقال ابنُ المعتز^٥ :

* مِثلُ القِلامَةِ قد قُدَّتْ مِنَ الظُّفْرِ * .

-
- ١ ب م : إنَّنا لم نَر .
٢ مختار الديوان : ٣٤١ والشريشي ٢ : ٥٨ ومجموعة المعاني : ١٩٧ وشرح مقصورة
حازم ١ : ١١٩ والسمط : ٤٤٢ .
٣ شروح السقط : ١١٩٧ وروايته : « بجاري للنصار » .
٤ شروح السقط : ٤٣٠ .
٥ صدره : ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا ؛ انظر الصناعتين : ٢٢٢ وديوان
المعاني ١ : ٣٤٠ وحلبة الكميت : ٢٧٥ ، وديوان ابن المعتز ٣ : ٥٠ وفيه « كاد
يفضحه » ، والأوراق : ١٨٧ - ١٨٨ وحماسة ابن الشجري : ٢٥٨ - ٢٥٩ وتشبيهات
ابن أبي عون : ١٣ .

وقال أبو المغيرة ابن حزم^١ :

لَمَّا رَأَيْتُ الْهَلَالَ مُنْطَوِيًّا فِي غُرَّةِ الْفَجْرِ قَارَنَ الزَّهْرَةَ^٢
شَبَّهَتْهُ وَالْعَيَانُ يُشْهَدُ لِي بِصَوْلِحَانٍ أَوْفَى لَضَرْبِ كُرَّةٍ^٣
وله ٣ :

قَلْبِي وَقَلْبُكَ لَا مَحَالَةَ وَاحِدٌ شَهِدَتْ بِذَلِكَ بَيْنَنَا الْأَلْحَاطُ^٤
فَتَعَالَ فَلْتَنْغِظِ الْحَسُودَ بِوَصْلِنَا إِنَّ الْحَسُودَ بِمِثْلِ ذَاكَ يُغَاطُ^٥
وله إلى من ودَّعه ، وأودَّعه من الجوى ما أودَّعه^٦ :

يَا مَنْ حُرِّمْتُ وَصَالَهُ أَوْ مَا تَرَى هَذِي النَّوَى قَدْ صَعَّرَتْ لِي خَدَّهَا ؟
زَوَّدَ جَفُونِي مِنْ جَمَالِكَ نَظْرَةً فَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنْ رَأَيْتُكَ بَعْدَهَا

قال ابن برد : ولمّا مات محمد بن ربيب ، صنيعة أبي الأحوص وأبي
عُتْبَةَ ، وورد الخبر قرطبة ، سألتني أبو عامر بن شهيد رثاءه^٧ وَوَصَفَ
عِلَّتِهِ ، وكانت العلة الكبرى ، فقلت :

سَيَرُوحُ الْمَرءُ إِنْ لَمْ يَغْتَدِ وَالْمَنَايَا لِلْفَتَى فِي مَرَصَدِ
مَاتَ مِنْ كُنَّا نَرَاهُ أَبَدًا بَارِيءَ النَّفْسِ عَلِيلَ الْجَسَدِ
بِحَرِّ سَقَمٍ مَاجٍ فِي أَعْطَافِهِ فَرَمَى فِي جِلْدِهِ بِالزَّبَدِ
كَانَ مِثْلَ السَّيْفِ إِلَّا أَنَّهُ حَمَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ فَصَدِيَ

١ البيتان في المطمح : ٢٢ والنفع ١ : ٦٢١ .

٢ هنا تنتهي الترجمة في ط .

٣ البيتان لابن برد في الجذوة : ١٠٨ والمطمح والنفع ٣ : ٥٤٥ .

٤ المطمح والنفع ٣ : ٥٤٦ .

رَكَانٌ المرءَ لم يُحْمَ الأذى لائِثٌ منها بِثَنِيٍّ زَرَدٍ
يَنْفِي الإِخْوَانُ عَنْهُ جَانِباً وَيَفْلُ الدَّهْرُ قَصْدَ العُودِ
وَتَرَى المُشْفِقَ عَنْهَا يَنْزَوِي وَتَرَى الآنَفَ مِنْهَا يَفْتَدِي

ومن بدائمه العقم ١ ، المستترلة للعُصم ، وما أرى أبا الحسن نجافي عنها غاضاً منها ، لكن قدر أعجله ، أو زمن لم يسمح له ، ولأمر ما عطل هذا الورق ، وأحال على الأيام أن تستنطق ، فالحمد لله الذي لم يشكلنا بها ، ويسرنا لاكتتابها .

رسالة في السيف والقلم وكتبها إلى الموفق أبي الجيـش مجاهد ، يقول فيها : أمّا بعد حمد الله بجميع محامده وآلائه ، والصلاة على خاتم أنبيائه ، فإنّ التسابق من جوادين سبقا في حلبة ، وقضيين نُسقا في تُربة ؛ والتحاسد من نجمين أنارا في أفق ، وسهمين صارا على نسق ؛ والتفاخر من زهرتين تفتحتا من كرامة ، وبارقتين توضحتا من غمامة ، لأحمد وجوه الحسد ، وإن كان مذموماً مع الأبد . وربما امتدّ أحد الجوادين بخطوة ، أو خُصّ أحد القضيين بربوة ، أو كان أحد السهمين أنفذ مصيراً ، أو راح أحد النجمين أضوا تنويراً ، أو غدت إحدى الزهرتين أندى غَضارة ، أو أمست إحدى البارقتين أسنى إنارة ؛ فالمقصر يرتقب تقدماً ، وتقارب الحاليتين في المجانسة يشب نار المنافسة ، وإن حال بينهما قدح النقاد ، وقبح تحاسد الأضداد .

وإنّ السيف والقلم لما كانا مصباحين يهديان إلى القصد ، من بات يسري إلى المجد ، وسلّمين يلحقان بالكواكب ، من ارتقى لساقيات المراتب ، وطريقين يشران نهج الشرف لمن تفرّى إليه ، ويجمعان شمل الفخر لمن تأشب عليه ، ووسيلتين يرشفان العلى فم عاشقها ، ويسطان في وصال المنى يد وامقها ، وشفيعين لا يؤخر تشفيعهما ، ومجمعين لا يفرّق تجميعهما ، جرّرا أذيال الخيلاء تفاخراً ، وأسمّاً بأنف الكبرياء تنافراً ، وادّعى كل واحد منهما أنّ الفوز ليقْدَحِه ، وأنّ الورى ليقْدَحِه ، وأنّ الدرّ من أصدافه ، وأنّ البكر من زفافه ، وأنّ البناء من تشييده ، وأنّ الملاء من تعضيده ، وأنّ كباء الثناء

١ من الواضح أن هذه الرسائل قد أدخلت على نص الذخيرة ، ولهذا ميزناها بحرف طباعي مختلف ، وقد انفردت بها النسختان ب م .

موقوفٌ على مجامره ، وأن خطيب القصر محبوس على منابره ، وأن حُلل المآثر من نسيجه ، وأن أفراد المفاخر من تزويجه . وحين كشف الجدل قناعه ، ومدَّ الخصام ذراعه ، وهزَّ الإباء من عطفه ، وأشمَّ الأنف من أنفه ، قاما يتباريان في المقال ، ويتساجلان في الحصال ، ويصف كل واحد منهما جلال نفسه ، ويذكر فضل ما اجتني من غرسه ، ويبتأي بمنقبة نافرت السها ، ومرتبة ريتضة خيستها^١ ، ورياسة من ذوائب الجوزاء صادها ، ونباهة في صهوة العتوق أفادها .

فقال < القلم > : ها ، الله أكبر ! أيها المسائل بدءاً يعقل لسانك ، ويحيرُ جنانك ، وبليهة تملأ سمعك ، وتضيئ ذرعك . خيرُ الأقوال الحق ، وأحمدُ السجايا الصديق . والأفضلُ من فضله الله عزَّ وجلَّ في تتريله ، مُقسماً به لرسوله ، فقال : ﴿ ن . والقلم وما يسطرون ﴾ (القلم : ١) ، وقال : ﴿ اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ﴾ (العلق : ٤) نجل من مُقسم ، وعزَّ من قسم ، فما تراني ، وقد حللت بين جفن الإيمان وناظره ، وجلت بين قلب الإنسان وخاطره ؟ لقد أخذتُ الفضل برُمته ، وقدتُ القصر بأزمته .

فقال السيف : عدنا من ذكر الطبيعة إلى ذكر الشريعة ، ومن وصف الحصلة إلى وصف الملة ، لا أسر ولكن أعلن ، قيمة كل امرئ ما يحسن . إن عاتقاً حمل نجادى سعيد ، وإن عضداً بات وسادي لسديد ، وإن فتي اتخذني دليله لمهدي ، وإن امرأ صيرني رسيه لمقدي ، يشق مني الدجى بمصباح ، ويقابل كل بابٍ بفتح . أفصحُ والباطلُ قد خرس ، وأبتسمُ والأجل قد عبس ؛ أقضي فلا أنصف ، وأمضي فلا أصرف ؛ أزري بالوفاء ، وأهتك الأمة هتك الرداء .

فقال القلم : نعوذُ بالله من الحور بعد الكور^٢ ، وقُبْحاً للنحلي بالبور . و < الحياة > تسود ما يبيض الصفاء ، وتكدّر ما أخلص الإنحاء ، وتؤكد أسباب الفتن ، وتضرب بقلبها الثمن . الحق أبلج ، والباطل لجلج ، إن < تأبى النصفة > فإنها^٣ في قدحها لأمونا الطائر ، محمودة الباطن والظاهر . أحكم فأعدل ، وأشهد فأقبل ؛ وترحل عزماني شرة

٢ الحور بعد الكور : نقصان بعد الزيادة .

١ خيستها ، ذلها .

٣ ب م : فان .

وغرباً ولا أرحل ، أعدُ فلاني ، وأستكفي غاكفي ، أحلب الغننى من ضروعه ، واجتني
التدى من فروعه . وهل أنا إلاّ قطبٌ تدور عليه الدول ، وجوادٌ شأوهُ يدرك الأمل ،
شفيع كلِّ ملكٍ إلى مطالبه ، ووسيلته إلى مكاسبه ؛ وشاهدُ نجواه قبل كلِّ شاهد ،
وواردٌ معناه قبل كلِّ وارد .

فقال السيف : يا لله ! استنتت الفِصالُ حتى القرعى^١ ، وربُّ صلفٍ تحت الرّاحلة^٢ ؛
لقد تحاول امتداداً بباع قصيرة ، وانقاضاً بجنّاح كسيرة . أمتعربُ والفلس غنك ،
ومستجلبُ وكل بقعة وطنك ؟ جسم < عار >^٣ ، ودمع نار ، تحفى فتنعل بربّياً ، حتى
يعود جسمك قيّاً ، إن الملوك لتبادر إلى درمكي ، ولتحاسد في ملكي ، ولتوارثني ظلّ
النسب ، ولتغالي فيّ على الحسب ؛ فتكللني المرجان ، وتنعلي العقيلان^٤ ، وتلحفني بخلل
كحلل ، وحمائل كخمائل ، حتى أبرز بيراز الهندى يوم الجلاء^٥ ، والروض فب السماء .

فقال القلم : من ساء سمعاً ساء إجابة^٦ . أستميد بالله من خطئل أرهيت فيه سواظك ،
وزلل افتحت به كلامك ؛ إنَّ ازدرائك بتمكّن وجداني ، وبخس أثلاني ، لنقص
في طباعك ، وقصر في بلعك ؛ ألا وإنَّ الذهب معدنه في العقر ، وهو أنفس الجواهر ،
[والنتار] مكنها في الحجر ، وهي إحدى العناصر ، وإنَّ الماء وهو الحياة ، أكثر المعاش
وجداناً ، وأقلّها أثماً ، وقلّما تُلغى الأعلاق النفيسة ، إلاّ في الأمكنة الخسيسة . وأما
التعري ، ففتننا بالجمال عن جرّ الأفيال ؛ وهل يصلح الدر حتى يطرح صدفه ، أو
يتهجّ الإغريض حتى يشذب صفه ، أم يتألأ الصبيح حتى تنجلي سدفه ؟ إنَّ للفصحاء

١ فصل المقال : ٤٠٣ . والمسكري ١ : ٧١ .

٢ فصل المقال : ٤٣٠ والميداني ١ : ١٩٨ والمسكري ١ : ٣١٦ .

٣ كذا في ب م ؛ وزيادة عار مستوحاة مما سيحيى في السياق .

٤ ب م : العنيان .

٥ ب م : الجلاذ .

٦ فصل المقال : ٤٨ والميداني ١ : ٢٢٣ والمسكري ١ : ١٤ .

للرجال معروف ، وإنّ الخضر على النساءِ موقوف . ولولا جلاءُ الصباقل صدأك لأسرعت
ذهاباً ، وعدت مع التراب تراباً .

فقال السيف : جمعجة رحيّ لا يتبعها طِحن ، وجلجلة رعد لا يليها مزُن ، في وجه
مالك تعرف أمّرتَه ١ ، وجه لثيم ، وجسم سقيم ، وغرب يُفلّ ، ودم يُطلّ ، ودموع
سِجّام ، كأنّهن سُخام ، ورأس لم يتقلقل فيه لب ، وجوف لم يتخضخض فيه قلب ،
أوْحشُ من جوف العيرِ ٢ ، يشهد عليه كثرةُ الجور بقلة الخير . فهُبّ من نومك ،
وأفطر من صومك ، وتحكّم بطرف نظار ، في جسم ماءٍ وحلة نار . إن انتضاني جاهل ،
أوْهمتُهُ أني سائل ، ففرّ خوفاً أن يفرق ، وولي حذراً أن يحترق ؛ في بحر زبد الشعل ٣ ،
وبرق سحابه الخليل ٤ . لو انتضيتُ والشمس كاسفة لم يُنظر وقت تجلّيتها ، أو السنون
مجذبةٌ أيقن بالحيّا راعيها . قد خطّ القرنندُ في صفحتي أمثال صغار الخيلان ، في البيض
من صفحات الحسان . أكرع يوم الوغى في لبّة البطل ، فأعود كالخلد كسي صبغ الخجل ،
كأنما اشتملت بالشقيق ، أو شربت ماء العقيق .

فقال القلم : إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً ٥ . ما كل بيضاء شحمة ولا كل
سوداء تمرة ٦ . إن ماعك السائل زلحامد ، وإن جِرمك الملهب لبارد ، ولن يفرق
فيه حتى تكرع في السباسب العطاش ، ولن يحترق به حتى يقع في نار الجبابب الفراش ،
فأقصر عن جفئك من العمى رواقاً ، واحلل من خصرك للجهل نفاقاً ، يُسفر البلاءُ لك عن
قضيبي عاج ، ولسان سراج ، وقدح ورق جلّج بالعبان ، وحلّة نرجس فوق جسم
أقحوان ؛ لليل في فوديه لطح ، وللمسك في صدغيه نضج . أنجلي عن المهارق ، انجلاء

١ فصل المقال : ٢٩٤ والميداني ٢ : ١١ والمسكري ٢ : ١٠٤ ؛ وأمرته - بفتح الهمزة
وتخفيف الميم - وإمرته - بكسر الهمزة وثقل الميم - أي نماره وكثرته .

٢ فيه إشارة إلى قول امرئ القيس : « وواد كجوف العير قفر قطعته » .

٣ ب م : الشقل .

٤ ب م : الجلل .

٥ الميداني ١ : ٢١ والمسكري ١ : ٣١ (أبو الفضل) .

٦ الميداني ٢ : ١٥٦ والمسكري ٢ : ٢٨٧ (أبو الفضل) .

الغمام عن الحداثات ، وأرقم في بطون الصحف ، مالا يرقم الربيع في الروضة الأنف ،
من منمنم يختال بين مسهم ، ومعضد فوق مسرد^١ .

ولما كثر تعارضهما ، وطال تراوضهما ، وقابل كل واحد منهما بجمعه جمعاً ، وقرع
بنعه نبهاً ، ولم يَنْشَنْ أَحَدُ الصَّارِمِينَ كَهَاماً ، ولا ارتدَّ أَحَدُ العَارِضِينَ جَهَاماً ، تبادرا
إلى السَّلمِ يعقدان لواءها ، وإلى المؤالفة يردان ماءها ؛ وقالان من القبيح أن تشئت أهواؤنا ،
وتتفرق آراؤنا ، وقد جمعنا الله في المألف الكريم ، وأحلنا بمحل غير ذميم ، بأعلى يد
نالت آمالها ، ووافت المطالب في أوطانها ، ولم تقابل باباً مغلقاً إلا قرعته ، ولا حجاباً مُضْلعاً
إلا رفعتة ، ولا جدّاً غائراً إلا أقالته ، ولا أملاً غائراً^٢ إلا أسالته — تلك يد الموفق أبي الجيـش
مولي المعالي ومسترقها ، ومستوجب المكارم ومستحقها ، للعاهد لواء المجد بذوائب السَّماك ،
والمطلِّ بفخره على الأفلاك ، والمقدم إذا أحجمت الأبطال ، والضاحك إذا بكت الآجال ،
والسَّاري إلى العلياء إذا أدلج الكرام ، والمُسَهِّد في الآراء إذا هجد الأنام ، والطالب
نأر العديم بجوده ، والمشفع النّيل بمزيدة ، والمسعف لميعاده^٣ ، والمخلف لإيعاده ، والمجري
في ذاويات الهسم ماءً ، والمطلع في ظلمات الآمال سناءً . فإذا قد عدل بيننا بحكمه ،
يوم وغاه ويوم سلمه ، فجاوز بك حد المسألة ، وجاوز بي حد المشارة ، ولم يشك حتى
بلغ مناه ، ولم يشني حتى وافق < هواه > ، ولم يقصر بي عن غاية بَلْغِكَ إليها ، ولم يقلمك
إلى مرتبة أخّرني عنها ، فأجمل رداء نرتديه ، وأفضل حذاء نختديه ، وأهدى سبيل نقصده ،
وأصفى منهل نرده ، مؤالفة نجرور ذيلها ، ونميل ميلها ، ومعاشرة نتجاني ثمارها ، ونتعاطى
عقارها ، وذنوب نخلي أوطانها ، ونهدم بنيانها ، ودمن^٤ نعتي دمنها ، ونرد في أجفانها
وسنها .

ثم قال القلم : إن مما نبرم به عقدنا وننظم عقدنا ، ويستظهر به بعضنا على بعض ،
إن حالت حال ، كان للدمر انتقال ، أن نخط^٥ كتاباً مصيباً ، يكون لنا متناً وعلينا رقيماً ،
قد يدب الدهر بعقاربها ، بين المرء وأقاربه ، ويسعى بالنسيمة ، بين الفرعين من الأرومة .

فقال السيِّف : أنت والبيان ، وجرياً^٦ والميدان . فقال القلم : إن الثر في ذلك مثَلُ

١ ب م : مسهد .
٢ ب م : لمعاده .
٣ ب م : عابراً .
٤ ب م : وحرباً .

يسير ، وإن الشعر في ذلك ذكر خطير ، وإنه لشدو الحادي ، وزاد الرائح والغادي .
وأختره على النثر ، تنويهاً بالذكر ، فقال :

قد آن للسيف ألا يفضل القلما	مذ سُخِّرَا لَفَى حَازَ الْعُلَى بِهِمَا
إن يُجْتَنَى المجد غَضاً من كِثَامِهِ	فإنَّما يُجْتَنَى من بعض غرسهما
ما جَارِيَا أَمَلًا فَوَاقِبَا أَمَدًا	إلَّا وَكَانَتْ خِصَالُ السَّبْقِ بَيْنَهُمَا
سَقَاهُمَا الدَّهْرُ من تَشْتِيته جَرَعًا	وَلِيَالِي صُرُوفٍ تَقَطُّعُ الرَّحْمَا
حتى إذا نام طَرْفُ الْجَهْلِ وَانْتَبَهَتْ	عَيْنُ النِّهْيِ قَرَعَا سَنِيهِمَا نَدْمَا
راحا بِكَفِّ أَبِي الْجِيْشِ الَّتِي خَلَقَتْ	غَمَامَةً كُلَّ حِينٍ تُعْطِرُ النَّعْمَا
غَدَادَ حَبْلَهُمَا لِلنَّبْتِ مُنْعَقَدًا	وَرَا حَ شَمْلَهُمَا لِلْمُنْفَضِ مُلْتَمَا
يَا أَيَّتُهَا الْمَلِكُ السَّامِيُّ بِهِمَّةِ	إِلَى سَمَاءٍ عَلَا قَدْ أُعِيَتْ لِمِصْمَا
لَوْلَا طِلَابِي غَرِيبَ الْمَدْحِ فَبِكَ لَمَا	وَصَفْتُ قَبْلَ عُلَاكِ السِّيفِ وَالْقَلَمَا
وإنَّما كَانَ تَعْرِيفًا كَشَفْتُ بِهِ	مِنَ الْبَلَاغَةِ وَجْهًا كَانَ مُلْكُمَا

> رسالته في النخلة < :

أما بعد - جعلك الله من المؤثرين على أنفسهم والموقنين شُحها ، والمنجزين لمواعيدهم
والمعطين صدقها - فقد علمت ما سلف لنا في العام الفارط من عتابك ، ولبسنا شكته من
ملامك ، لما كتمتنا صرام النخلة التي هي بأرضنا إحدى الغرائب ، وفريدة العجائب ،
هرباً من أن نلزمك الإسهام في رطبها ، وحرصاً على تمام لذة الاستبداد بها ، وقلت ، وقد
سألناك من جناها قليلاً ، ورجونا أن تُنِيلنا منها ولو قليلاً : لو علمت أن لكم به هذا
الكلف ، وإليه هذا النزاع ، لأمسكته عليكم ، وجعلتُ حكم جداده إليكم ، ولكنها
إن شاء الله في العام الآنف غلَّتْكم ، عتاد نفيس لكم ، وذخر حبيس عليكم .

فلما نحن فرسمنا تلك العدة في سويداوات قلوبنا ، وروكلنا بها حافظة خواطرنا ، وأما
أنت فهيلت عليها التراب ، وأسلمتها إلى يد البلي . حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ،

١ الجداد - بفتح الجيم وكسرهما - : قطف النخل أو الثمار عامة .

وَأَزَيَّنَتْ زَيْتَهَا ، وبلغت ١ غايتهل ، وأشبع القمر صبغها ، وأحكمت الشمس نضجها ،
 دببت إليها الضراء بصرامك ، ومشيت نحوها الجهر بجرامك ٢ ، على حين نام السَّمَار ،
 وغفلت الحارة والجار ، وأبت بها إياة الأمد بفريسته ، وتحكمت فيها تحكّمه في
 عُنَيْزته ٣ .

ولما رأينا على ذلك طلائع الرُّطب في الأسواق ، والجنيّ من بكر النّخيل على الأطباق ،
 هزّت جوانحنا ذكرُ العدة ٤ ، وقلقل أحشاءنا حذر الخيبة ، فركضنا الممليج إلى حرمتك ،
 وجعلنا نشدّ طمعاً في لقائك ، فلما غشينا الجهة تلقّنا فتى وضاح الجبين ، أخذ بالعيون ،
 في وجهه للأدب شاهد ، وبين عينيه من الطرف رائد ، فقال : بأبي أنتم ، وعين الله تكلؤكم
 حيث كنتم ، أراكم ناشدي ضالة أو مستدركي سببٍ فانت ، فاسألوا فريماً سقطتم على
 الخبير ، وشاوروا فالمشورة تفتح غلق الأمور . فقلنا له : بأبائنا أنت ، إننا لَنرجو يمين
 لُقباك ظفراً بالمطلب ، ونجحاً في المذهب . جاؤك وصديقنا الذي نحن تلقاه مترله ، وفي
 حاشية محلّه ، وعدنا منذ عام بأن يُسهم لنا في جنى نخلة لديه ، لم تنفقاً تربة هجر عن
 مثلها ، ولا أوت قماريُّ بُصرى ٥ إلى شكلها ، فجنّنا لنأكل منها وتطمئن قلوبنا ،
 ونعلم أن قد صدقنا ونكون عليها من الشاهدين .

قال الفتى : يا لإخواني في الخيبة ، وشركائي في فوت الأمل ، أنا ساكن المحلة التي
 منبت هذه النخلة في ساحتها ، وقد صرمها منذ خمسة عشر يوماً ، ولقد كنت قبل صرامها
 أمتنعها . نظر العاشق إلى المعشوق ، فإذا رأت الطير وهي على سَعَفها ما أوصل إليها من
 لحظاتي ، وأتابع عليها من زفراتي ، رمتني بأفرادٍ من رُطبها أحلى من شفاة العذارى .
 وأنا اليوم أبكي منها ربماً خالياً ، وبعد ثلاثة أغدو عنها جالياً ٦ .

١ ب : حتى إذا أخذت الأرض زينتها وبلغت .

٢ الجرام : صرام النخل ؛ وفي ب م : بجرامك .

٣ لعل الصواب : « عقيرته » .

٤ كذا ولعل الصواب : بصرة .

٥ ب م : رأيت .

٦ ب م : حالياً .

فما هذا الخيس أبا عبد الله بعهدك ، وما هذه الرُبْدَةُ في وجه عدوك ١ ، وما هذا الاستئثار على إخوانك المؤثرين لك ؟ إن كنت لم تحضرنا يوم صرامها لنحتكم على قولك فيها ، وتلخذ معك بأجزل الأقسام منها ، فالعذر لا يضيق عنك ، واللوم لا ينسبط إليك . هاتِ مما ذخرت له لساعات تفكّكه ، أسهم لنا فيما اعتدته ليوم نوروزك . لم يكن جناها بتزر فيتقسّمه الإهداء ، ولا بلون فتطيب عنه النفس . ولا تخش منا ما أفسد به > ابنُ الزبير عماله < حين قال لهم : « أكلتم تمرّي وعصيتُم أمرّي » ٢ ، إذا نحن أكلنا منها فمسرّنا نناصب عنك أعداءك برّاً وبحراً ، ولا نعصِ لك أمراً .

جعلنا الله فداك : نحن عصابةٌ نتحلّى بأدب ، وننتمي إلى حفظ غريب وصياغة قريض . وربما لم تصدّق في هذا الطريق مَضاءنا ، ولا قبلت يقيناً غَناءنا ؛ فأردنا أن نصف لك شيئاً من كلام العرب في النخل وبدء نباته ، والتمر وتلوّن حالاته ، فإن سرّك ما جثنا به ، وراقك ما أفضنا فيه ، جعلت جوائزنا تمرّاً ، وكان ذلك لنا أجراً .

نعم ، تقول العرب لصغار النخل ٣ : الجثيث ، والودي ، والمهراء ، والفسيل ، والأشياء ، والكافور ، والضّمدُ ، والإغريض . فإذا انعقد سمته السَّيَاب ، فإذا اخضرّ قبل أن يشتدّ سمته الجُدال ، فإذا عظم فهو البُسْر ، فإذا صارت فيه طرائقُ فهو المُخَطَّم ، فإذا تغيّرت البُسرة إلى الحمرة فهي شُقْحَة ، فإذا ظهرت الحمرةُ فهي الزَّهو وقد أزهى ، فإذا بدت فيه نقطة من الإרטاب قيل قد وكت ، هي بُسرة مُوكَتَة ٤ ، فإذا أدرك حَمَلُ النّخلة فهو الإناض ، فإذا أتاها التّوكيت من قبل ذنبها فهي مذنبَة ، فإذا بلغ الإרטابُ نصفها فهو المجزّع ٥ والمُجزّع ، لغتان ، فإذا بلغ ثلثها ٦ فهي حُلْقانة ، فإذا جرى الإרטابُ فيها كلها فهي مُنْسَبَة .

١ وما هذه الرُبْدَةُ في وجه عدوك : عبارة مستقيمة المعنى إلا أن معناها غير ملائم للسّياق ؛ ولعل الصواب « ماهذه الرُبْدَةُ . . . وعدك » .

٢ عند البلاذري (الانساب ٥ : ١٩٤ و ٣٦٣ وانظر الاشتقاق : ٤٠٧) أنه قال ذلك لعامله على وادي القرى . ويقال إنه قالها لشيوخ من العراقيين وجههم إليه مصعب .

٣ انظر المخصص ١١ : ١٠٢ وما بعدها والتلخيص : ٤٨٦ .

٤ قال السيرافي (المخصص ١١ : ١٢٢) : بسرة موكت ، بغير هاء .

٥ ب م : المخرع ؛ ولم تورد المماجم بهذا المعنى .

٦ ب م : ثلثها .

فيا أبا عبد الله أجدنا رطباً ، نُمجِّبُكَ خُطْباً . هذا قليل من كثير ، وثِمَادٌ من بحور ،
وليس يطيب وصفنا نظماً ونثراً لمناقب هذه النخلة إلاّ بعد اختيارنا منها ، وفوز قداحنا
بها . إذا أنت فعلت فكلّفنا فيها خاصة ما تكلفه عمرو بن بحر الجاحظ في نخل الدنيا عامة
نأثرك به ، ونُربِّي فيه عليه . ولعلّكَ تحبّ أن تسمع شيئاً من منظوم الكلام في النخل يذيب
من جمودك ، ويولد عقيم جودك ، فالمنظوم خدّاع بحسنه ، مُستميلٌ بظنه . أنشد الأصمعي
لأبي الغفار الرّياحي ١ :

غَدَتْ سَلْمَى تُعَاتِبُنِي وَقَالَتْ رَأَيْتُكَ لَا تَرْفَعُ لَنَا مَعَاشَا
فَقُلْتُ لَهَا أَمَا تَكْفِيكَ دُهُمٌ إِذَا أُمْنَحْتُ كُنَّ لَنَا رِيَاشَا
بَوَارِكُ مَا يُبَالِغُ اللَّيَالِي ضَرَبْنَ لَهَا وَلِلْأَيَّامِ جَاشَا
إِذَا مَا الْقَارِيَاتُ طُلُبْنَ مَدَّتْ بِأَسْبَابِ نَسَالٍ ٢ بِهَا انْتَعَاشَا
تَرَى أَمْطَاءَهَا بِالْبُسْرِ هُدَلًا مِنَ الْأَلْوَانِ تَرْتَعَشُ ارْتَعَاشَا

هذا وإنّا لنخشى أنّك أزيدُ تمادياً في أمرِكَ ، وأعظمُ شُحّاً على تمرك ، إراغة ٣
المعاش ومعالجة الاقتيات ٤ . فقال لها : في النخل التي رزقنا الله كفافاً من العيش كاف ،
وبُلغة من القوت مقننة . ثم أعظمَ من أمرها بدنوّ طعامها في الجلوب ، وصبرها لتصرف
الليالي والأيام . وما ترى أرسل هذه الآيات على ألسنتنا إلاّ شيطانٌ قد شكّا إليك عسرة
فأثنته بسرة ، فهو يجب إبقاءنا عندك ، ودفع متطفلٍ الإخوان عنك ، فلعن الله الشيطان وأعاذنا
منه ، وصلى الله على محمد ولا صدنا عنه ، فإنه يقول : « نعت العمة لكم النخلة » ،
والخطاب لجميع المسلمين . وأنت قد استوليت على عمة من عمّاتهم ، تستبد بغيرها دونهم ،
وتُمسك معروفها عنهم . ونحن رجالٌ من بني أخيها أتينا نعتفيها ، فإن أنت سويتنا مع
نفسك فيما تدرّ به عليك ، وتملأ منه يديك ، وإلا نافرناك إلى السلطان ، وألّبتنا عليك
أبناء الزمان . ونستغفر الله ونسأله أن يبدلنا من بخلك نوالاً ، وبمطلك إعجالاً .

ورسالة سمّاها بالبديعة في تفضيل أهُبِ الشاء على ما يفرّش من اللواط ،

يقول فيها : ألهك الله إلى مرشد الأمور ، ومنحك صواب التدبير ، وعرفك

١ نهاية الأرب ١١ : ١١١ . ٢ ب م : تنال . ٣ ب م : إزاغة .
٤ هذه العبارة الواقعة بعد الشعر قلّة في موضعها لأنها فصلت بين الآيات ونثر الكاتب
لها ، ابتداء من قوله : فقال لها .

من بركة التواضع ما يدخلك في أهله ، وقبّح إليك من نقيضه الكبر ما يعدل بك عن سبيله ، وجعل أحب أسباب معايشك إليك ، ما عاد قليله بكثير المنفعة عليك . وما دعائي هذا بحق استوجبه بالتسليم لمن إلى الدنيا سبقتك ، وإلى باكورة التجارب مدّ يده قبلك ، ولكنه عرض لمحاسن الأخلاق عليك ، وإضراب عن وجه المعاتبة لك ، في الهوة التي كانت منك . وإني وإن كان شأو سني أمدّ ، وساعد زمي أشد ، وكنت بالأيام أقطن ، ولمسائل تجاريها أقطن ، فما أحب أن أقضي الخمر بالربا ، ولا أن أجزع اعن أحمد أخلاق أهل الفتا ، فأحتج عليك معنّاً ، وأرادك القول مجملًا ، استطالةً بأبهة الكبر عليك ، وأنسأ إلى مساعدة الجاهلين فيك ، على ما عليه اليوم أقوامٌ أساءوا تديريهم ، وجعلوا مقاديرهم ، ورأوا لأنفسهم من الحق ما لم يجعلهم الله له أهلاً ، ولا أسلّكهم منه حزنًا ولا سهلاً . وإن طالت مناقلتنا الكلام ، وامتدّ لنا ميدان الخصام ، فلا تحسبي منهم ، ولا تنظمي في سلوكهم ، وإنّ من دوحة كلامك على آتي غصن شئت ، وانعطف من جداول معانيك في أي جزع أحبيت .

عِيتِي - أعزك الله - بارتحاص الأشياء ومقا < رعة الأقوام > ٢ في الشراء ، وقلت : لم تؤثر ذلك إلا للزم الخليفة ، والهمة الدقيقة ، وإلا فالشيء ربما غولي في ثمنه لطول الاستمتاع به ، وتعرّف نماء فائدته ، وربما مالت نفس الحريص إلى الرخيص ، فطال بقاؤه معه ، وبلغ في التعوض منه أضعاف الذي كان استثنى ، ونامت هناك عين الرائي ، واحتجب دونك وجه النظر . وسأفسح للكلام ميداناً ، وأنثر عليك من الألفاظ مرجاناً ، وأعاطيك من سلاف المعاني أكواساً ، وأشمك من روض البيان آساً ، وأريك صورة الحسنة في جمالها ، وأعاطيك الحلية بزمامها ، فلعلك أن تكون سلس الرجوع إلى الحق ، ملوياً ثني العنان عن التنادي في الباطل ، فنروح مشكورين : أنت على الاستماع وأنا على الإفهام .

جلّ ما له عبت ، وفيه قلت ورددت ، وبه أبدأت وأعدت ، [من] لئلا يثاري في الصيف والشتاء ، أهب الشاء ، ومراوحتي منها في البرد والحر ، بين البطن والظهر . وأي بساط منها أدل على التواضع وأعرب عن القناعة ، وأدفاً في السبرة ، ، وألين في المس ، وأخف في المحمل ، وأمكن للنقلة ، وأوفق لمقتدار الحاجة ، وأجدر بطول المتعة ٣ ،

- ١ كذا في ب م : واحلها « أهدع » أو « أنزع » .
٢ قراءة تقديرية .
٣ ب م : وأحذر لطول المتعة .

وأبقى على حدث الصبر ، وأغنى عن تكلف التبطين ومراعاة أوقات الترقيع ، والمحافظة على الطّي والنشر ؟ تجيدُ على الابتذال ، وتعنى مع الامتهان ، ولا تحوجك إلى خبط ينازلك في السّوم ، ويحجلك أمام القوم ، تنتج^١ جيئك بعرق الاختلاف إليه ، وذل التكرار عليه . ، وهو تبجح في دكانه ، واشتغل^٢ عن سوء مقامك باستطابة محادثة صبيانه . ثم لعلّ القمل الذي يكون لم يحضر ك ، فتشمت العدو بنفسك ، وتبدي ما كان مستوراً من خالك . وهذه بأنفسنا مكتفية ، وعن سواها مستغنية ، مع صيانة المروءة ووقاية ماء الوجه . إن قلبتها لبطونها شتوت على وثارة ، أو صرفتها لظهورها صفت في لدونة . للعال فيها - فضلاً عنك - على تقادم العهد ووقوع الاستبدال ، أكبرُ عون وأكمل انتفاع ، في التهيد للطفل الصّغير ، واستعمالها في أبي الحميم في سحرة الليلة للقرّة . فإن دعتك حاجة نفسك إلى البكور بالغداة ، فقد وجدت من ذلك نعم المُعين ، وإن أدلج إليك ضيف يكرم عليك ، لم يكن بحضوره لوقته عندك بنفس تقيسه به وتقرنه معه .

وبعد ، فإنك لا تتكلف شراءها إلا في وقت تتقرب إلى ربك به ، وتستجزل من كريم ثوابه عليه ، لأنك تستعملها في أضحيتك التي ترجو بركتها ، وتأخذ نسيئة إليها فيها ، فتتفلك أجر آخراك ، وتُعجل لك منفعة دنيائك . ثم أن جردتها مع الأعوام فتجرد آخر استئناف منفعة ، فهي أيمنُ قعيد لك ، وأغبط كائن معك .

وباب الارتخاص الذي نعت علي هاهنا ، باب قد قامت الدلائل على فضله ، وكان له ظهري^٣ من نفسه . فعال ولو في درائك عبقر ، ورُفرف تُسّر ، فلن تبلغ من هذه الفضيلة ، ولن تحظى بمثل هذه المزية ، مع قلة المؤنة ونزارة الكلفة .

ثم اعلم أنها من معاهد صالحى السلف ورؤساء الحكمة ، الذين كانوا بالدنيا أعرف ، وعن زخارفها أعزف ، جاءت بذلك الأخبار ، ونقله الخيار . ولم يجعل الله عز وجل من هذا الجنس أقرب قربان فدى به ابن خليله ، وسمّاه ذبحاً عظيماً في تنزيهه ، إلا لسر من فضله سبق في علمه .

فإن قلت : لا ترى صنفاً من الناس أكثر افتراضاً لها من المعلمين ، وقد قيل إن العقل لا يُرضى عندهم ، فكيف تسلم في حسن الاختيار لهم ، واختيار المرء قطعة من عقله ، وعيار على نقصه أو فضاه ؟ قلت لك : الصوف تجمع أنت وكل ذي معرفة على أنه زي

١ ب م : تنتج . ٢ ب م : واستقل . ٣ ب م : ظهري .

التساك ، ولباس المنقطعين للتعبد ، وعمدة الطراز الأول من السلف . فإن قلت : وها هو في جزيرتك زي رهبان البيع وأرباب الخانات ، وهم أضعف الناس أحلاماً وأدناهم طينة ، والقائلون بأن الله ثلاثة — تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . فجملة القول في هذا المعنى أنه لم يحجب الله تعالى وجوه المعاش ، التي يصحبها جميل النظر ، ويلوح عليها سيما البركة عن جنس من خلقه دون جنس ، ولا أبدأها إلى صنف وحجبها عن صنف ، بل ألهم الكل إلى رشده ، وعرفه نهج معرفته ، > وإن تباينت < الأشكال والمراتب ، واختلفت التحل والمذاهب . كما جعلها لقدرته في سائر الحيوان من الطائر والداخر بين الأنس والشارد في صَحْصَحِ الفقر ، كل يختلف مسعاه لنفسه ، ووجه تدبيره لشأنه ، على ما يستر له وألهم إليه . والمعلّمون نظروا إلى ضعف سبب اكتسابهم ، وفكّروا في تيسر ما تعود عليهم صناعتهم ، فأخذوا بالأقوى والأرق ، واعتمدوا على الأرخص والأوفى ، ثم علموا أنهم إن تحاملوا على أنفسهم ، وافترضوا ما يزينهم^٢ لم يلبث أحدهم أن يقوم عن مجلسه لبعض الأمر أو لقضاء القرض ، فتقوم حرب لعب الصبيان على ساق ، وتبلغ بتمزيق ذلك الذي افترضه وغالى فيه بالأيدي والأقدام ، والترامي والأزدحام ، ما لا تبلغ أنياب كلاب القنص في إهاب العقيرة ، فيعود > فيرى <^٣ ما يسخر العين ، ويوجب الرّين . وهذا النوع الذي أنسوا إلى خيره ، وآثروه على غيره ، لو أقامه الصبيان مقام الطبل ، وجعلوه هدفاً للنبيل ، لم يكن أثرهم فيه إلاّ أثر الندى في صمّ الصفا .

وفي اختلاف ألوانه تذكرة للناظر إليه ، وعظة لمجبل بصره فيه ، فما كان منه أسود ذكّر بسواد الشباب ، وقميص الفتوة ، وطيب زمن الحداثة ، فأبكى لفراقه ، وقلّة المتعة به ؛ وما كان منه أبيض ذكّر بيباض المشيب ، ونذير الرحلة ورائد الأجل ، فجزّ إلى العبادة وبعث على صالح العمل .

هذه — أبقاك الله — خصال لو قُسمت على كل مستعمل لهذا الشأن من رخيص وغال ، ودون وغال ، لأربت على الكفاية ، وجازت مدى الغاية ، فعها من مُمّليها ، ودع القوس لباريها ، وأسلم أعتة الجياد إلى مُجّريها . لم آت في معناها بظلمة تحتاج إلى صباحك ، ولا جثت بلفظ ذي تهمة يضطر إلى إيضاحك . فإن كنت قد لبست شبكة المعارضة ، وأوترت قسي المناقضة ، ورشت سهام المناقلة ، فإلى غيري فاكشف صفحتك ،

١ زيادة لاكتمال المعنى .

٢ ب م : يزينهم . ٣ زيادة للمعنى .

في سوى هذا الفن فشمّر عن ساعديك ، فقد قام بنفسه وأعرب عن ذاته ، ولم يترك مقالاً لقائل ، ولا مجالاً لجائل .

وأخافُ عليك - شحاً بك - أن تستقبلَ بدمٍ هذه الأهُبَ كلَّ مُفترشٍ لها ، مُغشِبٍ بها ، فلا تجده إلاّ شيخاً رائعَ الوسامة ، أبيضَ الشعرة ، أنسَ إخوانه ، وحلِسَ أسطوانه ، قد حفظَ المسائل ، وملاً من إجازات الشيوخ الخزائن ، تقصده الفتياتُ والفتيان ، وتفديه الجاراتُ والجيران ، وتتنافس في حضوره أيامَ الزفاف ، ويختصّ بصدور المجالس وطيبات الصحاف ، أو معلماً ذا سبَكة طولى ، وجبين أخلى ، قد ائتمنته الملوك على ثمار قلوبها ، وعماد ظهورها ، وقِطْعَ أكبادها ، يتوسط من صبيته قلب جيش ، ويعيش بالطفاء أمهاتهم أخصب عيش ، يقعد عنده الوراقون ، ويتحاكم إليه في الخطوط الناسخون ، فإذا كانت أيامَ الأخميسة والجمعات أطال قَلَنَساته ، وولّى الزيارة مِنَساته ، وسار مُهينما بتسيحه وتقديسه ، وتهيله وتحميده ، يزور الإخوان ويتعاهد المعارف ، والكل هَسَّ إليه ، مُقبل عليه .

فإن عارضتَ هذا الجُنس ، وناقضتَ هذا الصنف ، دون اتقاء مَنْ وراءَهُما من الأصاغر والأكابر ، والملوك والسوقة ، ضاقت عليك الأرض وكثر عدد الخصي ، ولم يُستبث في شأنك ، ولا رقتَ كبدٌ لرقّة بيانك . وأخوك مَنْ صدّقك ، ومُحبّك من نصحك ، وأنا أستغفر الله ممّا كان في ذلك من قول أو عمل ، والسلام .

فصل في ذكر الأديب أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي واجتلاب جملةٍ من أشعاره مع ما يتشبّثُ بها من أخباره^٢

كان أبو مروان هذا أحدَ حُمّةِ سَرُحِ الكلام ، وحمّلةِ ألويةِ الأَقلام ، من أهل بيتٍ اشتهروا بالشعر^٣ ، اشتهارَ المنازلِ بالبدر .

١ ب م : أسطوانه .

٢ ترجمة أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي في الصلة : ٣٤٣ والمغرب ١ : ٩٢ والنفع ٢ : ٤٩٦ (فقلا عن الذخيرة) والحدوة : ٢٦٥ (البغية رقم : ١٠٦٥) وبغية الوعاة : ٣١٢ والمسالك ١١ : ٣٩٨ .

٣ ب م : بالنثر .

أراهم^١ طرأوا على قرطبة. قبل افتراق الجماعة ، وانتشار^٢ شمل الطلعة ،
وأناخوا في ظلها ، ولحقوا بسراوات أهلها ، وأبو مضر أبوه زيادة^٣ الله
ابن علي التميمي الطنبلي هو أول^٤ من بنى بيت شرفهم ، ورفع بالأندلس
صوته بنباهة سلفهم .

قال ابن حبان : وكان أبو مضر^٣ نديم^٥ محمد بن أبي عامر ، أمتع
الناس حديثاً ومُشاهدة^٦ ، وأنصعهم ظرفاً ، وأحذقهم بأبواب الشذ
والملاطفة^٧ ، وآخذهم بقلوب الملوك والجلّة^٨ ، وأنظمهم لشمل إفادة
ونجعة^٩ ، وأبخلهم بدرهم وكيسرة ، وأذبتهم عن حريم نسب^{١٠} . ونعمة^{١١} ،
له في كل ذلك أخبار^{١٢} بديعة ؛ من رجل شديد الخلابة ، طريف الخلوة^{١٣} ،
يضحك من حضر ، ولا يضحك هو إذا نذر ، رفيع الطبقة في صنعة
الشعر ، كثير الإصابة في البديهة^{١٤} والروية ؛ انتهى كلام ابن حبان .

قال ابن بسام : وشعر^{١٥} أبي مضر ليس من شرط^{١٦} هذا المجموع لتقدم
زمانه .

فأما ابنه أبو مروان هذا فكان من أهل الحديث والرواية ،

-
- ١ ب م : وأراهم . ٢ ب م : وانتشار .
٣ أبو مضر زيادة الله بن علي بن حسين بن محمد بن أسد التميمي الطنبلي (٣٣٦ - ٤١٥) ؛
انظر الصلة : ١٩٠ ؛ وترجم الحميدي في الجذوة : ٢٠٥ لمن اسمه زيادة الله بن علي .
ولم يرفع في نسبه ، وذكر أنه ألف للمنصور كتاب «الحمام» ؛ وقد كان محمد بن حسين
أخو أبي مضر من دخل الأندلس أيضاً سنة ٣٢٥ واتصل بالهامريين وتولى الشرطة
بمعهدهم وكانت وفاته سنة ٣٩٤ (الصلة : ٥٦٣) .
٤ ط : شحذاً وملاطفة . ٥ ط : الملوك الجلّة .
٦ ط : الافادة والنجعة . ٧ ب م : نسب .
٨ م : طريف ؛ ب م : الحلقة . ٩ ط : البديهة .
١٠ ط : نمط .

ورحل إلى المشرق ، وسمع من جماعة من المحدثين^١ بمصر والحجاز ، وقُتِلَ بقرطبة سنة سبع وخمسين وأربعمائة . ولقتله خبر طن^٢ ابن حيان به ، ولم يمنعه من سرد قصصه استبشاعه ، وحسبك من شتر سماعه ؛ ونلّمع منه بلعة :

قال ابن حيان : وذلك أنه عدّا عليه - زعموا - نساؤه بتدبير ابن سوء خلف له ، حملهن على ذلك لشدة تقيره على نفسه وعليهن في المعيشة ، وحسبه هن^٣ . مع ذلك عن التماس الحيلة لتوسعة الضيقة . فقد كان في ذلك ، مع انسداد الستر عليه ، وسعة ريعه بالحضرة^٤ ، وبعد نبعته لابتغاء الفائدة ، إلى استناده لراتب هيلالي واسع كان يجريه السلطان عليه [عوثاً] على صيانته ، ويأبى إلا التزيتي بالقل والاعتزاء إلى المسغبة ، عجباً لمن عرفه أو سمع به ، يُصدّق زعم الجاحظ في نوادر كتابه في البخلاء ويزيد عليها ؛ فحمل عنه في ذلك أشياء يكاد النظر يحيلها ، حتى لأفضى به تقيره على أهله أن وكلهن إلى أنفسهن في أكثر مؤنهن ، وقاتهن بأمداد من غلت الحبطين القمح^٥ والشعير ، يستدعيها هن من مستقبل غلته مياومة^٦ ، ويكلفهن استطحاتها بأيديهن ، وهو قد استوحش منهن واعتزلهن ، وانفرد بنفسه ليله ونهاره ، لا مؤنس له سوى غلام حزور من ولده ، مشوف الخلفة ، ضعيف العقل ، لا أم له ، يدعى عبد الرحمن ، آواه إليه من جميع ولده وأقصى سائرهم في قعر داره ، وصير بينه وبينهن عدة أبواب موصدة ، فأصبح بمكانه ذلك في ربيع الآخر من العام المؤرخ قتيلاً فوق فراشه ، مضرّجاً بدمه ، مبعوجاً بالخناجر في

١ ب م : جماعة المحدثين . ط : دريعة ؛ ب م : ريعه بالحاضرة .
٢ ب م : علف . . . البر . ط : ويتكلفهن .
٣ ط : وقد .

وريده وإلبته^١ وأعلى جسده ، مُفَزِعاً لِمَنْ عاين مَصْرَعَهُ ، قد أعلن نساؤه بالتَّوَحُّعِ عليه ، يزعمن أنه طُرِقَ بِمَكَانِهِ مُتَفَرِّداً عَنْهُنَّ^٢ ، وأخبرن أنَّ ابنته زِيَادَةَ اللَّهِ المُسَمَّى بِاسْمِ جَدِّهِ لم يكن عنده علمٌ حتى جئن إليه وأخبرنه بما جرى على أبيه ، فهَبَّ مُسْتَعْمِلاً لِلرَّوْعِ مغالطاً بالدمع ، داعياً بويله ، سائلاً عن أبيه سُؤَالَه بِالشَّيْءِ الَّذِي هُوَ جَاهِلُهُ ، بِلِسَانِ تَحْيِيلٍ^٣ يُسَبِّئُ عَنْ دَهْشِهِ ، وعَيْنٍ جُمُودٍ تَدُلُّ عَلَى صَحْوِهِ . وقد تَكَابَسَ^٤ النَّاسُ عَلَيْهِ تَوَجُّعاً لِأَبِيهِ . وَطُلِبَ مَوْضِعُ تَسْوِيرٍ عَلَيْهِ ، أَوْ نَقَبٌ يُوَلِّجُ مِنْهُ إِلَيْهِ ، فلم يَقِفْ أَحَدٌ عَلَى عَيْنٍ وَلَا أَثَرٍ مِنْ ذَلِكَ ، فعرف ابنُ جهورٍ بما جَرَى ، فأَوْقَعَ التَّهْمَةَ بِهِ ، واستبعدَ أَنَّ يُطْرَقَ أَبُوهُ بِتِلْكَ الدَّاهِيَةِ ، مِنْ يَدِ أَعْيِ المُرْدَةِ ، إذ كَانَ مِنْ وَطْءَةِ الخُلُقِ ، ودُمَانَةِ النَّفْسِ ، وَخِلَابَةِ المَنْطِقِ ، وَاجْتِلَابِ المُوَدَّةِ مِنْ جَمِيعِ الخُلُقِ ، وَطَلَبِ السَّلَامَةِ مِنْهُمْ ، بِحَيْثُ لَا يَحْقُدُ عَلَيْهِ ذُو غَائِلَةٍ مِنْهُمْ وَلَا يَغْتَالُهُ صَاحِبُ فَتْكَةٍ . فَأَحَاقَ بِهِ تَهْمَتُهُ وَأَمَرَ صَاحِبُ المَدِينَةِ بِالتَّوَكُّيلِ بِهِ وَالكَشْفِ عَلَى دَاهِيَةِ أَبِيهِ المَصَابِ ، والوقوفِ عَلَى صُورِ مَحْتَتِهِ ، فلم يَوقِفْ عَلَى أَثَرِ امْتِحَانٍ ، وَبَحَثَ عَنِ الأَمْرِ فَشَمِلَتِ الرِّيْبَةُ أَهْلَهُ ؛ وَاسْتَفْهَمَ صَاحِبُ المَدِينَةِ الغُلَيْمَ ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَوَصَفَ أَنَّهُ شَاهِدَ المَحْنَةِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّ امْرَأَتَهُ أُمَّ وَلَدِهِ زِيَادَةَ اللَّهِ وَابْنَتِيهَا ، ابْنَتِي القَتِيلِ ، تَوَلَّيْنَ شَأْنَهُ بِسَكْنَيْنِهِ الَّذِي كَانَ يُحَاوِلُ بِهِ النِّسْخَ حَتَّى بَرَدَ ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ ابْنَ زِيَادَةَ اللَّهِ حَضَرَ ذَلِكَ ، فَفَحَشَتِ القِصَّةَ ، وَاضْطَرَّ صَاحِبُ المَدِينَةِ إِلَى هَتِكِ حِجَابِ القَتِيلِ فِي نِسْوَانِهِ ، وَبَطْشِ بِهِ بِضَرْبِ أُمِّ وَلَدِهِ الفَاجِرِ زِيَادَةَ الشَّرِّ ، فَدَرَأَتْ عَنْ نَفْسِهَا العَذَابَ بِأَقْرَارِهَا بِكَيْفِيَةِ الحَالِ وَصِفَةِ المَحْنَةِ المَهُولَةِ ؛ فَسَجَنُوا . وَدُفِنَ

١ ط : وإلبته .
٢ ب م : لمكان تفرده عنهن .
٣ ب م : جهل .
٤ م : تكاثر .

أبو مروان اليومَ الثاني من مُصابه ، ولم يتخلف أحدٌ عن جنازته ممن سمع خبره ، لاشتهار فضله فيهم ، واجتماعِ صالحِ الخلالِ له من الفقه والحديث والروايةِ والأدبِ والشعرِ واللغةِ والعربيةِ ، إلى دَمائةِ الخليفة، واستقامةِ الطريقةِ ، والتزامِ الحقائق ، واكتمالِ الإيمانِ ، بقضائه لجميعِ فرائضه ، وعوده في نافلةِ الحجِّ بعد تأديةِ فَرَضه، على وَهْنٍ بجسده ، وتخلف في ناضه ، رغبةً في الاستكثار من الخير ، والترقي في المعرفة ، وزيادةً لمعاني العلم [وطلبه] ولقاءِ رجاله . فأكثر الناسُ من تأبينه ، وأخلصوا الدَّعاءَ على قاتليه ، واستبطأوا السلطانَ في إنفاذِ الحدِّ عليهم بالشبهة التي ظهرت . وأفتى الفقهاءُ بتطويلِ سجنهم بعد الضربِ المُبرِّحِ . وتوقفَ ابنُ القطانِ^٢ عن صدِّع^٣ الفتوى في القصَّةِ إلَّا بعد إتمامِ النَّظرِ على عبد الرحمن ابنه ، والوقوفِ على جنسِ آفته : هل هي في جسمه دونَ عقله ، أو في أحدهما ، أو كليهما ، فيعملَ بحسبِ ذلك . فإن كان مُمَيَّزاً عاقلاً فهو وليُّ الدَّمِ القائمُ بطلبه دون من تقدَّم إلى ذلك من بني أخي المقتول وأبناءِ عمِّه ، وعندها تستقيمُ له الفتوى في طلبه . فخالفه صاحبه ابنُ عتابٍ* ، وألغى حقَّ الغليمِ ابنه عبد الرحمن ، ونجمَ الخلافِ وبانِ الإشكالِ . فأخذ ابنُ جمهورٍ برأيِ ابنِ عتابٍ ، وانفصلَ الحفلُ عن الأخذِ بالقَسَامَةِ على

١ ط : بانفاذ .

٢ هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال (٣٩٠ - ٤٦٠) ، كان بارعا بمعرفة المسائل واختلاف العلماء والفتاوى والوثائق ، قدمه المستظهر للشورى سنة ٤١٤ (الصلة : ٦٤ - ٦٥) .

٣ ب م : صريح .

٤ ب م : وعند ذلك .

٥ هو أبو عبد الله محمد بن عتاب (٣٨٣ - ٤٦٢) شيخ أهل الشورى في زمانه، قدم إلى تلك الحطة سنة ٤١٤ أيضا وكان عليه مدار الفتوى (الصلة : ٥١٥) .

المتهمين ثلاثتهم ، زيادة الله ابن القتيل وأمه وأم ولده الأخرى ، وسُجن زيادةُ الشرِّ ابنه زماناً طويلاً ، ثم سُرَّحَ فظلَّ خاسئاً بين الناس ، يخال أنه طليقٌ وهو من شنائهم ومقتهم في محابسٍ موصدةٍ . وطاح دمُ أبي مروان - رحمه الله - فلم يُقرَّع فيه أحدٌ بضغثٍ ، ولا حَبَقَتْ فيه عُنزٌ . وبلغتْ تَرَكتُه قيمةً وافرةً في أثمانٍ دفاترَ ، وأثاثٍ فاخرٍ ، ومتاعٍ رفيعٍ ، من كُسوةٍ وفرشٍ كثيرٍ الناسُ جُمَلَتَه ، وأخذوا في مذمتِه لسوء ما كان يدَّعيه من القُلِّ ، ويأخذُ نفسه به من شَطَفِ المعيشة ^١ . وللغرائزِ المفطورةِ سلطانٌ على النفوسِ لا يُغالبُ بِصِدْقٍ نَظَرٍ ولا قوَّةِ معرفةٍ ، ومن أدَّى حقَّ الله في ماله فليس بشحيحٍ فيما قَتَرَ ^٢ من إنفاقه ؛ على أنَّ المرءَ راعٍ مَسْئولٌ عَمَّن يَقوتُه من أهله ، حباناً الله بالتوفيقِ ، وأقامنا على وضوح الطريقِ ، بمنه ؛ انتهى ما لخصته في هذه الحادثة من كلام ابن جِبَّان .

قال ابن بسام : قول أبي مروان فيما تقدم من وصفه لابن هذا القتيل ^٣ إذ جاء سائلاً عن مُصِيبَتِه « سؤالُه بالشيء الذي هو جاهلُه » ، محلولٌ ^٤ من قول جَوَّاتِ بن جُبَيْرٍ ، ويتعلق به خبر نورده على العادة من الزيادة في الافادة : ذكر أهل الأدب أن الأتراك لما قتلوا المتوكل ^٥ جعفرأ بتدبير ابنه المنتصر ،

١ ب م : المعيشة .

٢ ب م : قدر .

٣ ط : قوله عن ابن هذا القتيل .

٤ ط : حله .

٥ ب م : لما قتل الاتراك المتوكل .

وكان ذلك ليلاً، فلما وقعت الصبيحة^١ وارتفعت حضر المنتصر للحين^١، فجلس على كرسي وحفَّ به بُغَا الصَّغِيرَ وجميعُ قَسَلَةِ أبيه ، فجعل المنتصر يسأل ويقول : ما هذا الصِّباحُ وما هذا الخبر ؟ سؤالَ جاهلٍ به ، فكان كما قال خَوَات بن جُبَيْر :

وأهل خباء صالح ذاتُ بينهم قد احترَبُوا في عاجلٍ أنا آجلُهُ
فأقبلتُ في السَّاعينَ أسألُ عنهمُ سؤالك بالشيء الذي أنت جاهلُهُ

فقال بُغَا : إن الفتحَ بنَ خاقان عدوَّ الله قتلَ أميرَ المؤمنين ، فقال : وما فعلتم بالفتح ؟ قالوا : قُتِلَ وسفك دمه .

وخبرُ قتلِ المتوكل جعفر بتدبير ابنه المنتصر^٢ أشهرُ من أن يُذكر ، وقد أُلْعِتُ من ذلك بلمعة في أخبار [الخليفة] سليمان ، المُفتَتَحَ به^٣ هذا الديوان^٤ . وكان البُحْثَرِي ليلةَ قَتْلِهِ حاضراً فاخْتَفَى في طَيِّ الباب ، وهو القاتلُ فيه من قضيذة يرثيه^٥ :

وكان ولي العهد أضمرَ غَدْرَةَ فمن عجبٍ أن وليَ العهد غادرُهُ
فلا مُلَّتِي الباقي تُراثَ الذي مَضَى ولا حملتُ ذاك الدَّعاءَ منابِرُهُ
وكان كثيراً ما يرتاح في شعره إلى ذكره وذكر الفتح بن خاقان وتأبينهما، وهو القاتلُ فيهما^٦ :

١ ط : الخبر . ٢ ط : وخبر قتل المنتصر أباه جعفرًا .

٣ ب م : المستفتح باسمه .

٤ انظر ما تقدم ص : ٣٨ - ٤١ .

٥ ديوان البحري : ١٠٤٨ وروايته « أكان » .

٦ ديوانه : ٤١٨ وروايته « بين مرمل وبين صبيغ » .

مَضَى جَعْفَرُ وَالْفَتْحُ بَيْنَ مُوسَى
أَطْلَبُ أَنْصَاراً عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَ مَا
وَبَيْنَ قَتِيلٍ فِي الدِّمَاءِ مُضَرَّجٍ
ثَوَى مِنْهُمَا فِي التُّرْبِ أَوْسَى وَخَزَرْجِي

وفيهما أيضاً يقول ١ :

تَدَارَكْنِي الْإِحْسَانُ مِنْكَ وَنَالَتْنِي
وَدَافَعَتْ عَنِّي حِينَ لَا الْفَتْحُ يُرْتَجَى
عَلَى فَاقَةِ ذَاكَ النَّدَى وَالتَّطَوُّلُ
لِلدَّفْعِ الْأَذَى عَنِّي وَلَا الْمُتَوَكَّلُ

وقال في غُلام له ٢ :

عَسَى آيِسٌ مِنْ رَجْعَةِ الْوَصْلِ يَوْصَلُ
أَيَّاسَ سَكَنًا فَاتَ الْفِرَاقُ بِنَفْسِهِ
وَدَهْرٌ تَوَلَّى بِالْأَحْبَةِ يُقْبَلُ
وَحَالَ التَّعَازِي دُونَهُ وَالتَّزِيلُ
لَمْ يَعْجَبْ لِمَا لَمْ يَغْلُ جَسْمِي الضَّنَى
فَقَبْلَكَ بَانَ الْفَتْحُ مِنِّي مُودَّعًا
وَفَارَقْنِي شَفْعًا لَهُ الْمُتَوَكَّلُ
وَلَا فَعَلَ الْوَجْدُ الَّذِي خَلَّتْ يَفْعَلُ
وَمَا كُلُّ نِيرَانٍ الْجَوَى تُحْرِقُ الْحَشَا
وَلَا كُلُّ أَدْوَاءِ الصَّبَابَةِ يَقْتُلُ

جملة ما أخرجته من أشعار بني الطُّبْنِي

أخبرني الفقيه أبو بكر ابن العربي عن الفقيه أبي عبدالله الحميدي قال ٣
أخبرني أبو الحسن العائذي ٤ أن أبا مروان الطُّبْنِي لَمَّا رَجَعَ مِنْ بِلَادِ

١ ديوانه : ١٧٩٥ وروايته « ومسنى على حاجة ذلك الجدا ؛ يتنفي لدفع الذي أخشى » .

٢ ديوانه : ١٨٩٢ (مع بعض اختلافات في الرواية) .

٣ الجذوة : ٢٦٦ وانظر المغرب ١ : ٩٣ .

٤ الجذوة : المابدي .

المشرق إلى قرطبة ، واجتمع إليه في مجلس الإملاء أنشد .

إني إذا حضرني ^١ ألفُ محبرةٍ تقولُ أنشدني ^٢ طَوْرًا وأخْبَرَنِي
يا حَبْتًا ألسُنُ الأَقْلَامِ نَاطِقَةٌ ^٣ «هذي المكارمُ لا قعبانٍ من لبْنٍ»

ووجدتُ في بعضِ التَّعَالِيقِ بَحْطَ بعضِ أدبَاءِ قرطبةٍ قال ^٤ : لما عدا
أبو عامرٍ أحمدُ بنُ محمدٍ بنُ أبي عامرٍ على الحَدَثِ ^٥ في مجلسه وضربه
ضرباً موجعاً وأقرَّ بذلك أعينَ مطالبيه ، قال أبو مروان الطَّبْطَبِيُّ فيه :

شكرتُ للعامري ما صنعا ليثُ عرينٍ عدا لعزته
لَمْ أَقُلْ للحدَيْلِمي ^٦ لَعَا مُفْتَرِساً في وِجَارِهِ ضَبْعَا
[لا برحتُ كَفَّهُ مُمَكِّنَةً من الأمانِي فنعمَ ما صنعا]
وَدِدْتُ لو كنتُ شاهداً لهما حتى ترى العينُ ذُلَّ من خضعا
إن طالَ منه سُجُودُهُ فلقد طالَ لغيرِ السَّجُودِ ما ركعا

[وابنُ رَشِيقٍ القائل قبله ^٨ :

كم ركعةٍ رَكَعَ الصَّفْعَانِ تحتَ يدي ولم يَقُلْ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمَدَهُ]

١ الجذوة : احتوشنتني .

٢ الجذوة : حدثني .

٣ الجذوة : نادى بمقوتى الأعلام ناطقة ؛ المغرب : صامت بمقوتى الأعلام زاهية .

٤ صدر بيت لأمية بن أبي الصلت ، وعجزه « شيبا بماء فعادا بمد أبوالا » .

٥ النفح ٢ : ٤٩٧ والمسالك ١١ : ٣٩٩ .

٦ ط م ب : الخديلمي .

٨ نقل المقرئ هذه القطعة في الهجاء ٢ : ٤٩٧ - ٥٠٠ ؛ وانظر البيت في ديوان ابن

رشيق : ٥٩ .

قال ابن بسّام : والعوبُ تقول فلانُ ينجأُ العصا^١ وفلان يركع^٢
لغير صلاة إذا كنوا عن عهر الخلوة . ومن مליح الكناية لبعض المتقدمين
يخاطب امرأته :

قلتُ التشيعُ حُبُّ أصلعِ هاشمٍ فترفضي إن شئتِ أو فتشيعي
قالت : أصبَلعُ هاشم ! وتنفقتِ بأبي وأمي كل شيءٍ أصلع

ولما صُنفتُ كتابي هذا عن شتين الهجاء ، وأكبرته أن يكونَ ميداناً
للسُفهاء ، أجريتُها هنا طرَفًا^٣ من مליح التعريض في إيجاز القريض ،
مما لا أدبَ على قائله ، ولا وصمة أعظمُ ، على من قيل فيه . والهجاءُ ينقسم
قسمين : قسمٌ يُسمونه هَجْوَ الأشراف ، وهو ما لم يبلغ أن يكون سباباً
مُقذِّعاً ولا هُجْراً مُستبشعاً ، وهو طأطأ قديماً من الأوائل ، وثُلَّ
عرشَ القبائل ، إنما هو توبيخٌ وتعير ، وتقديمٌ وتأخير ، كقول النجاشي
في بني العجلان^٤ ، وشُهرةُ شعره تُغني عن ذكره ، واستعدوا عليه
عمر بن الخطّاب ، وأنشدوه قولَ النجاشي فيهم فدرأ الحدَّ بالشبهات .
وفعلٌ مثل ذلك بالزبرقان حين شكَا الحُطَيْثَةَ . وسأله أن يُنشد
ما قال فيه ، فأنشد قوله :

١ البيان والتبيين ٣ : ٥٦ وكتابات الجرجاني : ٣٦ .

٢ ب م : يسجد .

٣ النفع : طلقا .

٤ النفع : عظمى .

٥ قصة النجاشي وبني العجلان وردت في الشعر والشعراء : ٢٤٨ - ٢٤٩ ، كما وردت
قصة الحطيفة والزبرقان في الكتاب نفسه : ٢٤٤ - ٢٤٥ ، والقصتان تترددان كثيراً
في المصادر الأدبية ، وقد وردتا بشيء من التفصيل في ب م ، ولكن شهرهما تغني
عن إثبات النص المطول .

دَعِ الْكَازِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا واقعدُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

فسأل عن ذلك كعب بن زهير فقال: والله ما أودُّ بما قال له حُمَيْرُ النَّعَمِ . وقال حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ : لم يَهْجُجْهُ وإنما سَلَحَ عليه بعد أن أكل الشَبْرُمَ ، فهمَّ عَمْرُ بِعِقَابِهِ ثُمَّ اسْتَعْظَفَهُ بِشَعْرِهِ المشهور .

وقد قال عبد الملك بن مروان يوماً : احفظوا^١ أحسابكم يا بني أُمَيَّةَ ، فما أودُّ أن يكونَ لي ما طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ وأنَّ الأعشى قال في^٢ :

تَبَيَّتُونِ فِي الْمَشْتَى مَلَاءَ بَطُونِكُمْ وَجَارَاتُكُمْ غَرَّتْنِي بَيْنَ خِمَائِصَا
وَلَمَّا سَمِعَ عُلْقَمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ هَذَا الْبَيْتَ بَكَى وَقَالَ : أَنَحْنُ نَفْعَلُ هَذَا
بِجَارَاتِنَا ؟ وَدَعَا عَلَيْهِ ؛ فَمَا ظَنَّنَاكَ بِشَيْءٍ يُبْسِكِي عُلْقَمَةَ بْنَ عَلَاثَةَ ، وَقَدْ كَانَ
عِنْدَهُمْ لَوْ ضُرِبَ بِالسَّيْفِ مَا قَالَ حَسَّانُ ! ؟ وَقَدْ كَانَ الرَّاعِي يَقُولُ : هَجَوْتُ
جَمَاعَةً مِنَ الشَّعْرَاءِ وَمَا قُلْتُ فِيهِمْ^٣ مَا تَسْتَحْيِي الْعِذْرَاءُ مِنْ إِنْشَادِهِ^٣ فِي
خَدْرِهَا .

ولمَّا قال جرير :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنْكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كعباً بَلَغْتَ ولا كلاباً

أطفأ مصباحه ونام ، وقد كان باتَ ليلته يتململ ، لأنه رأى أن قد بلغَ حاجته وشفَى غيظه . قال الرَّاعِي : فخرجنا من البصرة فما وردنا

١ ب م : قوا .

٢ ب م : وما هجوت أحداً منهم .

٣ ب م : أن تنشده .

ماءٌ من مياه العرب إلاّ وسمعنا البيت قد سبقنا إليه ، حتى أتينا
حاضر بني نُمَيْر فخرج إلينا النساءُ والصبيان يقولون : قَبَحَ اللهُ
وقَبَحَ ما جُمْتُمونا به !

والقسم الثاني هو السَّبَابُ الذي أحدثه جريرٌ وطبَّقتهُ ، وكان
يقول : إذا هجوتم فأضحكوا . وهذا النوعُ منه لم يهدم قطُّ بيتاً ، ولا
عُيِّرَتْ به قبيلة ، وهو الذي صنَّا هذا المجموع ^١ عنه ، وأعفيناه أن يكون
فيه شيءٌ منه ، فإنَّ أبا منصورٍ الثعالبي كتب منه [في يتيمة] ما شأنه
وسمُّه ^٢ ، وبقي عليه إسمه .

ومن مליح التعريض لأهل أفقنا قول بعضهم :

في بني الحَيَّان سر في للعالم < آية >
يفهم القومُ بشيءٍ نسألُ اللهَ الكفايةُ

ومن مليح التعريض لأهل أفقنا ^٣ ما قال بعضهم في غلامٍ كان
يَصْنَحُ رجلاً يُعرفُ بالبعوضة :

أقولُ لِشَادِنِكُمْ قَوْلَةً ولكنّها رَمَزَةٌ غامِضَةٌ
لُزُومُ البعوضِ له دائماً يَدُلُّ على أنها حامِضَةٌ

وأنشِدْتُ في مثله لبعض أهل الوقت ^٤ :

١ ب م : هذا الكتاب .

٢ ب م : اسمه .

٣ ب : لبعض أهل وقتنا .

٤ ب م : وأنشدت لأبي الحسن .

بيني وبينك سِرٌّ^١ لا أبوحُ به الكلُّ يَعْلَمُهُ واللهُ غافِرُهُ

وحكى أبو عامرٍ بن شهيد عن نفسه قال : عاتبتُ بعضَ الإخوان عتاباً شديداً عن أمرٍ أوجعَ فيه قلبي ، وكان آخرَ الشعر الذي خاطبتهُ به هذا البيت :

وإني على ما هاجَ صدرِي وغازِني لَيَأْمَنِي من كان عِنْدِي لَهُ سِرٌّ
فكان هذا البيت أشدَّ عليه من عَضِّ الحديد ، ولم يزل يَقْلُقُ^٢ به حتى بكى إليَّ منه بالدموع .

وهذا البابُ مُمتدُّ الأطنابِ ، ويكفي ما مرَّ ويمرُّ منه في أضعافِ هذا الكتاب^٣ .

ومن شعرِ أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن زيادة الله الطنبي^٤ ، مما أخذتهُ عنه ، قوله^٥ :

كم بالهوادِجِ يومَ البَينِ من رَشَأٍ يهفو عليه وشاحٌ جائلٌ قَلِقُ
وكم بِرِامةٍ من رِيمٍ يُفارقُنَا لَهْفانَ يثنِيهِ عن توديعنا الفَرَقُ
وَنَرَجِسٍ كَفَرِنْد السيفِ ساهرنِي^٦ مُعَلِّلاً بنَسِيمٍ عَرَفُهُ عَبِيقُ

١ ب م : شيء .

٢ ب م : يقول .

٣ ب م : وفيما مر منه كفاية .

٤ ترجمته في المغرب ١ : ٩٣ وذكر ان الحجاري جملة أشعر بني الطنبي ؛ وانظر المسالك

١١ : ٣٩٩ .

٥ وردت أبيات منها في المسالك .

٦ ب م والمسالك : ساومني .

نادَمتُهُ وشابُّ الليل مُقْتَبِلُ
 في فتيةٍ كنجومِ السَّعدِ أوجهُهُمُ
 نلهوُ برقراقه صفراءِ صافيةِ
 يسعَى بها مُرهَفٌ كالغُصْنِ نَعْمَهُ
 والنجمُ كَفٌ يُحْيِيَتَانِهَا ١ الأفقُ
 في أوجُهُ الحادِثاتِ الجُونِ تأتلقُ
 يكادُ ينجابُ من ٢ أضوائِها الغَسَقُ
 ماءُ النعيمِ عليه النورُ والورقُ ٣

وأنشدني أيضاً له :

يا سالياً عاشقيه
 وَمَنْ مُدامي ونُقلي
 هلاًّ جَزَيْتَ فؤادي
 وعاشقاً كلَّ تِيهِ
 بوجنتيه ٥ وفيه
 ببعضِ مالكِ فيه

وأنشدني أيضاً لنفسه :

عَجَباً أن يكونَ ساكِنُ قلبي
 ويُجازي على الوفاءِ بِغَدْرِ
 جازني كيف لا أتركُ السَّدْرَ
 راتعاً منه في بساتينِ حُبِّي
 حَسْبِي اللهُ ثُمَّ حَسْبِي وحَسْبِي
 بَ إِذَا كانَ فَرَطُ حُبِّكَ ذَنْبِي

وهذا كقول أبي بكر ابن عمار :

لئنْ كانَ ذَنْبِي للزَّمانِ محبتي
 فذلك شيءٌ لستُ منه أَتُوبُ

١ ب م : به .

٢ ب م : عن .

٣ المسالك : والعذق . .

٤ المغرب : ساليا .

٥ المغرب : من وجنتيه .

وقال العباسُ بنُ الأحنف^١ :

إن كان ذَنْبِي في الزَّيَّارَةِ فاعلمي إني على كَسْبِ الذُّنُوبِ لَجَاهِدُ

فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن مسعود وإثبات
جملة من أقواله ، في جِدِّه وأهْزَالِه^٢

وكان - رحمه الله - ظريفاً في أمرِه ، كثيرَ الهزلِ في نظْمِه ، ونثرِه ،
وأراه فيما انتحاه ، تَقْيِيلَ مِنْهَاجِ سَمِيَّةٍ وَكَنْيَّةٍ محمد بن حجاج بالعراق ،
فَضَّاقَتْ سَاحَتُهُ ، وَقَصُرَتْ رَاحَتُهُ ، وَأَعْيَاهُ الصَّرِيحُ فَمَدَّقَ ، ولم
يُحَسِّنِ الصَّهْلَ فَهَقَّ . ولَمَّا كان هذا المجموع كتابَ أدب ، وعَقْدًا
يُجْمَعُ الدُّرُّ وَالْمَخْشَلَبُ ، رأيتُ أن لا أُخْلِيَه من ذكره ، وهذه فصولُ
من نظمه ونثره .

فصلٌ له من رقعة خاطب بها ابنه إذ تَوَجَّه إلى الغربِ ، وقد بلغه خَلْعُ
عذارِه في البَطَالَةِ والشربِ ، قال فيها : فاز يا بُنَيَّ من استشعر البرَّ والتقوى ،
واستمسك بالعروة الوثقى ، واعتصم بحبلِ القناعة والرضى ، وتحصَّنَ بالعفافِ ،
وتبلغ بالكفافِ ، فلم^٣ يُزَاحِمِ الأقدارَ ، ولا غالبَ الليل والنَّهارِ .

ولشَدَّةِ يا بُنَيَّ ما أُوغِّلْتَ في البلادِ ، واستوطأتَ في غُرْبَتِكَ خُسُونَةَ
المهادِ ، وتورَّطْتَ مُوحِشَ المجاهِلِ ، وتوردتَ آجِنَ المناهِلِ :

١ انظر ما تقدم ص : ٤٤٩ .

٢ ترجمته في المغرب ١ : ١٣٤ (نقلا عن الذخيرة والمهذب) وانظر المسالك ١١ :

٤٠٠ .

٣ ب م : ولم .

نَجَاوَزَتْ فِي هَذَا وَذَلِكَ مَا بـ ، أَمَرَتْ وَلَمْ تَقْنَعِ مِنَ الْبُعْدِ بِالْدُونِ
وَلَمْ تَتَذَكَّرْ شَوْقَ أُمِّ حَزِينَةٍ عَلَيْكَ وَشَيْخِ هَائِمِ الْقَلْبِ مُحْزُونِ
بِمَاذَا يَفِي هَذَا وَذَلِكَ لَوْ حَوَتْ يَمِينُكَ مَا حَازَتْ خَزَائِنُ قَارُونِ

فَأخْبِرْنِي يَا تَاجِرَ الْبَحْرَيْنِ ، وَسَمْسَارَ الْعِرَاقَيْنِ ، وَدَلِيلَ الْحِجَازَيْنِ ،
وَخَيْرَتَ الْفِلَاسَيْنِ ، وَابْنَ عَظِيمِ الْقَرْيَتَيْنِ ؛ أَنْعِيسْ بِكَ مِنْ خَرَّاجِ
وَلَّاحِ ، مَاضٍ عَلَى السَّرَى وَالْإِدْلَاجِ ، جَرِيءٍ عَلَى اللَّيْلِ الدَّاجِ ، كَالسَّرَاجِ
الْوَهَّاجِ ، وَالْعَارِضِ الثَّجَّاجِ ، وَصِفْ لِي مَوْقِعَ الشَّمْسِ فِي الْعَيْنِ الْحَمِيَّةِ ،
وَكَيفَ كَانَ مَخْلَصُكَ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ الْوَبِيَّةِ ، وَكَيفَ رَأَيْتَ مَدِينَةَ يُونُسَ
[وَجَنَّةَ إِرَمَ] ، وَالْبُرْكَانَ [الْمُونِسَ] وَجَزِيرَةَ الْغَنَمِ ، وَالزَّوَايَةَ^١
وَصَخْرَةَ الْعُقَابِ ، وَبِشْرَ الْهَآوِيَةِ وَكَنِيسَةَ الْغُرَابِ ، وَهَوْلَ الْعُرْفِ ،
وَالْمَعْدِنِ وَذَلِكَ الْجُرْفِ ، وَمَبِيضَ الْعَنْقَاءِ ، وَالْفَلَاةَ الْخَرْقَاءَ يَوْمَ الْبَلَقَاءِ^٢ ،
وَالثَّنِيَّةَ الْخَلْقَاءَ ، وَمَرَسَى الزَّرْقَاءِ ، وَإِيْوَانَ كَسْرَى ، وَكَفَرْتُوئَى ،
وَالْهَرَمِينَ وَالْمَنَارَ ، وَجِبَلَ الْلُكَّامِ وَالْغَارَ ، وَغَانَةَ السُّودَانَ ، وَغَرَائِبَ
الْبُلْدَانِ ، وَفِيَاءَ بَنِي تَمِيمَ ، وَالْكَهْفَ وَالرَّقِيمَ ، وَحَلْقَ وَادِي الْأَشْبُونَةِ ،
وَمَدِينَةَ جَبْيَبُونَةَ ؛ وَكَيفَ كَانَ دَكُّكَ^٣ عَلَى الْمَجُوسِ ، بِضُرُوبِ

١ ط : والزواية . ٢ ط : وفلاة يوم البلقاء .

٣ الدك : الشعوذة : وقد قال الجوهري في كتابه المختار في كشف الأسرار : ٧٤ اعلم
أن أهل هذه الصناعة أكبر دك وزغل ، . . وقال في ص ٦٢ : وهم صنّاع في صوغ
الكلام والدك على الناس ؛ وقال : إني كشفت لهم ثلاثمائة طريقة في الدك ، وقال
(ص : ٦٣) ومنهم من يجعل دكه في فحمة وينزل ما فيها من الدك إلى البودقة ثم تحترق
العقاقير التي وضعها في البودقة ويبقى الدك سبيكة . . . وعلى حسب العبارة الأخيرة
يكون « الدك » في الأصل بعض المواد المستعملة في علم الصنعة خداعا ، ثم أصبحت
اللفظة تدل على « العملية » نفسها . وذكر ابن خلكان لا بن شهيد كتابا اسمه « كشف
الدك وإيضاح الشك » (الوفيات ١ : ١١٦) وقال الجوهري (ص : ٥) إنه رأى
الكتاب المذكور وطالعه ، وأنه صنف كتابه حاذيا فيه حذو ابن شهيد .

الشَّعْوَذَةُ وَالنَّامُوسُ^١ ؛ [وَاحِكٍ لَنَا مِنْ لُغَاتِهِمْ أَحْسَنُهَا ، وَمِنْ هَيْئَاتِهِمْ أَتْقَنُهَا :

لَقَدْ اجْتَرَأَتْ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ وَلَقَيْتَ كُلَّ غَرِيبَةٍ شَنْعَاءَ

» وَخَرَجْتَ مِنْهَا كَالشَّهَابِ وَلَمْ تَزَلْ مَذْ كُنْتَ خَرَّاجاً مِنَ الْغَمَاءِ^٢ »

فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ .

[وَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ بِالشَّجَرَةِ الْجَامِعَةِ وَاللِّبَانِ^٣ ، مِنْ عُيُونِ ذَوِي الْحَسَدِ وَالشَّنَانِ] . فَأَيْنَ مِنْكَ الْحَيَّةُ الْفَضْنَاضُ ، وَسُلَيْكُ بْنُ السَّلَكَةِ وَالْبِرَّاءُ ؟ أَوْ مَا سَمِعْتَ أَنَّ السَّفَرَ الطَّوِيلَ ، يَرُدُّ خَشْبَةَ الْبُدِّ إِلَى عَوِيدٍ قِنْدِيلٍ ؟

صَحَّ عِنْدِي أَنَّ الْعَسَلَ فِي [تِلْكَ] الْجَهَةِ مِمَّكَنٌ غَيْرُ غَالٍ ، وَمُنْحَطٌ غَيْرُ عَالٍ ، فَتَنَاوَلْ إِقَامَتَهُ وَتَرْكِيئَهُ ، وَأَتَقِنْ صِنَاعَتَهُ وَتَرْبِيئَهُ . لَقَدْ نَسِيتُ يَا بُنَيَّ أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْكَ بِنُسْخَةٍ فِي تَرْبِيبِ الْعَسَلِ الْمَشْرُوبِ ، مُطَابِقَةً لِلْمَرْغُوبِ ، التَّقَطُّطُهَا [مُغْتَنِمًا] عَنْ فُلَانٍ الْيَهُودِيِّ كَانَ انْتَخَبَهَا لِلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأَصْحَابِهِ كَعِيسَى بْنِ سَعِيدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْلَمَةَ . وَلَسْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ دُونَهُمْ ، فَتَجَابَتْكَ قَدْ ظَهَرَتْ ، وَالْدُرَّةُ

١ الناموس : وقوعها بعد لفظة « شعوذة » يشير إلى أنها مرادفة لها ، يقول الجوهري (ص : ٣٨) : وجعل له ناموساً من بعض النواميس يأكل به أموال النصارى . . . أعظم ناموس لهم قنديل النور ، ويقول أيضاً : (ص : ٥٤ - ٤٦) ثم رأيت مع هذا القرد من الناموس ما لا يقدر عليه أحد .

٢ البيت لأبي تمام ، ديوانه ١ : ١٩ .

٣ ط : اللوبان . ٤ ب م : تربية .

قد ندرت^١ ، ومخايل^٢ السعود طالعة ، وآيات^٣ الفلاح ساطعة ،
 كما سُمّي اللديغ سليماً ، وسُمع^٤ عن طهر الإوز قديماً . كانت تلك النسخة^٥
 في طيها يا بُني غاية ، وفي لذتها نهاية ؛ ولست تعدّم في الجهة عَوْضاً
 منها ، فابحث عنها ، فخير المال يا بُني ما هبط من الأنبوط ، وصفتي على
 القنوط^٦ . وقد صحّ عندي عنك بعض ذلك ، والألمعي ذو تنجيم . ولا
 تعدّن هذا تعديداً عليك ، ولا كرامة^٧ ، للشيطان الرجيم .

فاشرب^٨ على ودّي وقف صافياً ففعل^٩ المَحِب الوامِق الذّاكِر
 ولا تكن^{١٠} تشرب^{١١} إلّا على حُسْن أغاني خَلَف الزامر
 وزد^{١٢} جفّاء لا تكن^{١٣} ناسياً فهو من المستطرف النادر
 وتخذ^{١٤} على الرّيق من اسبابه جوارش^{١٥} الأوّل والآخِر
 حتّى ترى أملس^{١٦} طاوي الحشا قرّة^{١٧} عين^{١٨} الشامت^{١٩} الساخر

والبلد^{٢٠} بكثرة الصيد^{٢١} موسوم ، والحوث^{٢٢} الطريّ هناك غير معدوم ،
 والبرجان^{٢٣} الذي عليه المدّار^{٢٤} موافق ، والصّاحب^{٢٥} مُشاكِل^{٢٦} مطابِق .

وله من أرجوزة [مزدوجة] خاطب بها الوزير ابن بقتة^{٢٧} على لسان

١ ب م : برزت .
 ٢ ب م : وحكي .
 ٣ لم أجد « الأنبوط » ولعله آلة التقطير ، أما القنوط فهو القصب أو الأنبوب (انظر ملحق دوزي) .
 ٤ هكذا وردت في ط ؛ وصورتها في م : اللرحان ، وهي غير معجمة في ب ؛ وأقرب الصور إليها لبركة labarca أي القارب ، وهو مناسب للمعنى ، لأنه يتحدث عن الصيد البحري ، فلعل اللبركان (البرجان) هو الدوّقي أو صاحب القارب .
 ٥ بقتة : غير واضحة الرسم في ب م ؛ وربما قرئت « ابن بقتة » وقد ورد هذا الاسم عند الحديث عن الهدية التي أهداها ابن شهيد إلى عبد الرحمن الناصر ، انظر النفح ١ : ٣٥٩ ، ٣٦٠ وأزهار الرياض ٢ : ٢٦٤ ، وهذا المذكور هنا قد يكون ابناً أو حفيداً له .

جارية كان أهداها إليه ، وضاعت حالها بين يديته ^١ ، وهي طويلة ^٢ منها :

إِنِّي بِاللَّهِ وَبِالْوَزِيرِ
وَهَبْتَنِي لِأَوْحَدٍ مُنْقَطِعِ
[وَلَمْ يُبَيِّنْ لِي بِهَذَا الْعِيبِ
عَيِّبَانٍ فِي الدَّرْهِمِ نَقْصٌ وَرَدِي
جَعَلْتَنِي أُسِيرَةً مَمْلُوكَةً
يُعْزَى عَلَى الْقَالِ إِلَى مَسْعُودِ
كَمَا يُكَنِّي بِأَبِي الْبَيْضَاءِ
وَكُنْتُ أَرْجُو مَعَهُ لِلرَّاحَةِ ^٣
إِذَا بِهِ أَدْخَلَنِي فِي شُغْلٍ
وَقَالَ لِي إِنَّ كُنْتَ تَهْوِينِ التَّحَفَ
فَانْتَبِهِي وَحَكْمِي الْأَصَابِعَ
أَلَا وَهَبْتَنِي لِشَخْصٍ تَاجِرٍ
أَوْ لِيْنِي كُنْتُ لِبَعْضِ الْجُنْدِ
يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَلَا يُقَاسِي
قَدْ كَسَدَتْ آدَابُهُ وَالشَّعْرُ
الْحَنُ فِي أَشْعَارِهِ مِنْ تَيْسٍ
وَلَوْ تَرَاهُ سَائِرًا لِلِسُوقِ

أَدْفَعُ مَا حَلَّ مِنْ الْمَحْذُورِ
فِي الْقُبْحِ وَالْفَقْرِ خَفِيَ الْمَوْضِعِ
مِنْ فَقْرِهِ حَتَّى دَهَى بِالشَّيْبِ
وَوَاحِدٌ قَدْ كَانَ يَكْفِي ^٢ لَوْ قَدْ
لِطَلْعَةٍ حَائِلَةٍ صُلُوكَةٍ
وَهُوَ شَقِيٌّ لَيْسَ بِالْمَحْمُودِ
أَسْوَدُ كَالسَّرْوَةِ فِي الظُّلْمَاءِ
إِذَا لَمْ يَنْقُزْ بِطَائِلِ الْمَلَاَحَةِ
لَفَرَطِ الْإِلَامِ بِسُوقِ الْغَزْلِ
وَالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَحُلَّةِ الطَّرْفِ
وَاطْرَحِي عَنْ نَفْسِكَ الْمَطَامِيعَ
وَلَمْ أَكُنْ عِنْدَ فَقِيرٍ فَاجِرٍ
فَرُبَّمَا حَازَ نَفِيسَ الْمَجْدِ
خُطَّةَ خَسْفٍ بِسُؤَالِ النَّاسِ
فَمَا لَهُ عِنْدَ الْبَرَايَا قَدْرٌ
أَعْجَزُ فِي الْبَيْتِ مِنَ الْفَرِيَسِ
إِذَا بَدَأَ فِي كُسُوفِ الْغُرُنُوقِ

١ ب م : لديه .

٢ ط : قصي .

٣ ب م : بالراحة ، ولعل الصواب « وكنت أَرْضَى مَعَهُ بِالرَّاحَةِ » .

مُسَمَّرًا فِي الطَّيْنِ عَنْ سَاقِيهِ
يَأْخُذُ فِي التَّعْيِيرِ^١ وَالْإِزْهَادِ^٢
فَمَرَّةً يُعْطَى وَالْفَأْ يُنَمَّعُ
وَلَوْ تَرَى إِذَا النَّدَى مَثَوَاهُ
قِطْعَةً لِبَيْدٍ دَارِسِ الْآثَارِ
إِلَى قُدُورٍ هِيَ أَقْصَى عَقْلِ
وَقُدْسٍ^٣ مُعَلَّقٍ مُقَابِلِي
وَطُوبَى^٤ بِمَوْضِعِ الرُّقَادِ
يَا شَوْقَنَا فِيهِ إِلَى قِنْدِيلِ
هَذَا جَمِيعُ كُلِّ مَا فِي الْبَيْتِ
[وَقَدْ شَكََا مِنْهُ لِبَعْضِ بَعْضِي
غَيْرُ الَّذِي كَسَوْتَنِي بِمَالِقَةٍ
فَلَا تَدْعَنِي غَرْضًا لِلْقُرْ
لَا سِيَّمَا ، زِيَادَةً فِي التَّحَفَةِ
وَرُبَّمَا جِثْتُ لَهُ بَائِثَيْنِ
بِذَا وَذَا تَنْطَبِخُ الشُّشُونُ^٥

مُدَاوِلًا عَصَاهُ فِي كَفِّهِ
مُنْكَمِشًا فِي طَلْعَةِ الصِّيَادِ
وَمَرَّةً يَمْشِي وَعَشْرًا يَقَعُ
لَقُلَّتْ سَبْحَانَ الَّذِي أَبْلَاهُ^٦
قَدْ طُرِحَتْ حَوْلَ مَكَانِ النَّارِ
لَمْ يَكُ فِيهَا قِطْعٌ غَيْرُ الْبَقْلِ
أَوْدَعُ فِيهِ فِي الدَّجَى مَغَازِلِي
كَأَنَّنَا مِنْ أَعْبَدِ الْعُبَادِ
وَتَوَقَّنَا أَيْضًا إِلَى مِندِيلِ !
بَلَا دَقِيقٍ يُرْتَجَى وَزَيْتِ
إِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْ ثِيَابِ الْأَرْضِ
فَبَيْنْتُ قَبْلَ اللَّيْلِ مِنْهُ طَالِقَهُ [
فَقَدْ كَفَانِي عَدَمِي لِلْبُرِّ
أَنْتِي حُبْلَى مُقَرَّبٌ بِنُطْفَةٍ
لَكَ يَحُوزَ قُرَّةَ الْعَيْنَيْنِ
يَا لَيْتَهُ لَوْ أَنَّهُ قَبُونَ^٧

١ ط : التعيير .

٢ أقدر أن يكون صواب القراءة « يأخذ في التعيير والارعاد » أي يكثر في مشيه ويضطرب مهتزازاً حتى يستدر عطف المحسنين ، لما يرون من عجزه .

٣ ط : بلاه .

٤ هكذا ورد في الأصول .

٥ ط : وطربة .

٦ في النسخ : تنطبخ ؛ والششون هي البقول التي تطبخ (كالسبانخ وغيره) أو تغلى دون تبييل (انظر : ششون عند دوزي) .

٧ لم أهتم إلى تبين معناها .

كيسُ الفقيرِ كلهُ في طرفه^١ يعدُّ سلطانَ الهوى من ظرفه

وله من أخرى :

ولم أزلْ في عكاظ ^٢	أصبحُ في دُكان ^٣ :
هذا الطَّيِّبُ المداوي	هذا الحكيمُ المعاني
فيا لعوقِي وكُتبي	وكُحلي الأصبهاني
إذا تكحلتَ منه	يوماً فلستَ تتراني
قُمْ يا غلامُ فتاد :	علمُ الدُّنَا علما
فالعلمُ في الدينِ حق	كالعلمِ في الأبدانِ
هذا لهذا قوام	كالروحِ للجثمانِ
أنا أبْطُ بِحَذْقِ	نغانغ الصَّيَّانِ
أنا أشقُ بِلُطْفِ	متي على السرطانِ
أنا المرَجَّتِي المسمى	مُشمرَ الأجفانِ
عندي سناً حرمي ^٤	وطرفُ سلكِ وِرانِ ^٥
عندي حمامي ولُبني ^٥	في مِرودِ قيرواني
أنا دللتُ البرايا	على خفي المعاني

١ غير واضح المعنى .

٢ ط : غطاط .

٣ ط : دكاني .

٤ السنا الحرمي هو نفسه الذي يسمى سنامكي (شرح أسماء العقار : ٢٩) والسلك هو المفص (منهاج الدكان : ١٣٥) والران لم أجده في المصادر ؛ فإن كان صورة موجزة لضرورة الشعر من « الرنج » فإن هذا هو التارنج نفسه (شرح أسماء العقار : ٢٨) وإن كان بالزاي فهو خشب . معروف .

٥ الحمامي : نوع من النباتات يوجد بالشام ولا يعرف بالمغرب (ابن الحشاء : ٣٥) ولبنى هي الميعة السائلة (انظر منهاج الدكان : ١٤٣ وابن الحشاء : ٧٠) .

أنا تكلفتُ صَيْدَ الـ	مَنْقَاءِ بِالْوَرَّشَانِ
أنا بعثتُ رسولا	للفُرسِ عن تَرْجُمانِ
وسُئِلْتُ نُمُودَ حَتَّى	تَمَّتْ لَهُ الهَرَمَانِ
أنا رأيتُ بعيني	تَسَافُدَ الْغَرَبَانِ
أنا أدرتُ برأبي	نَاعُورَةَ الْخِذْلَانِ
لكنَّها لم تُقَدِّرْ	لِلْحَيْنِ بِالذَّوَرَانِ

وله من مُقطَّعاتٍ اندرجت في رسائله الهزليَّة :

طُرَّةُ مَسكِ وَشَارِبُ أَخْضَرُ	وَتَغَرُّ دُرٍّ وَمُقْلَتَا جُوذَرُ
رَيْمٌ إِذَا رُمْتُ أَنْ أَكَلَمَهُ	كَلَمَتِي مِنْ جَفْوَنِهِ خَنْجَرُ
وإن تَعَرَّضْتُ مِنْ عَوَارِضِهِ	لثَمًّا تَجَنَّى عَلَيَّ وَاسْتَكْبِرُ
كَأَنَّ خَيْلَانَهُ وَوَجْتَنَهُ	سَمَاءُ حُسْنِ نَجْمِهَا تَزْهَرُ
طَرَزَ فِيهِ الْجَمَالَ مُبْتَدِعًا	وَشَيْئًا بِلُطْفِ الْمُهَيِّمِينَ الْأَكْبَرِ
وَقَامَ فِي خَدِهِ لِعَاشِقِهِ	عُذْرٌ بِذَلِكَ الْعِذَارِ إِذْ عَذَّرُ

وقال أيضاً :

قُلْ لِلَّذِي دَلَّهَنِي حُبَّهُ	أَفْسَدَتْ مَا أَصْلَحَتْهُ ٢ أَوْ لَا
لَمَّا بَدَأَ وَجْهَكَ فِي حُسْنِهِ	كَالْبَدْرِ وَافِيَ السَّعْدِ وَاسْتَكْمَلًا ٣
كَأَنَّمَا طَرَفُكَ مِنْ سِحْرِهِ	مِنْ مُقَلِّ الْحُورِ قَدْ اسْتَكْمَلَا

١ م : يعني ، وربما قرئت في ب : يعني .

٢ ط : اصلحت ما أفسدته .

٣ ب م : فاستكملا .

أَطْمَعْتَنِي حَتَّى إِذَا قُلْتُ قَدْ أَنْ حَرَمْتَ الصَّبَّ مَا أَمَلَا
وَاللَّهِ لَوْلَا لِحَظَاتُ الْهَوَى لَكُنْتُ مِنْ ذَا الْعَالَمِ الْأَفْضَلَا

وقال ١ :

جَنَّبُونَا سَجِيَّةَ الْعُشَاقِ وَدَعُونَا مِنْ الْهَوَى وَالتَّلَاقِ
وَأَقِلُّوْا مِنْ الْبُكَاءِ عَلَى الرَّسَنِ مِ وَلَا تَأْسَفُوا غَدَاةَ الْفِرَاقِ
مَا بِشَخْصِ الْحَبِيبِ يَفْرَحُ ذُو الْعَقَبِ لِ وَلَا بِالْخُدُودِ وَالْأَحْدَاقِ
إِنَّمَا الْمُلْكُ ثُرْدَةٌ ٢ مِنْ تَفَايَا مِنْ دَجَاجِ مُسْمِنَاتِ عِتَاقِ
وَإِذَا قِيلَ لِي : بِمَنْ أَنْتَ صَبَّ وَعِلَامَ انْكَابُ دَمْعِ الْمَآتِي ؟
قُلْتُ : بِالسَّكْبَاجِ ٣ وَالْجَمَلِيَا تِ وَرَخْصِ الشَّوَامِعِ بِالرُّفَاقِ
وَجَشِيشِ السَّمِيدِ أَعَذَّبُ عِنْدِي مِنْ رُضَابِ الْحَبِيبِ عِنْدَ الْعِتَاقِ

وقال :

مَا زَارَنِي طَيْفُكَ يَا هَذِهِ إِلَّا تَمَنَيْتُ بِأَلَا يَزُورُ*
فَتُورُ الْحَاطِكِ ذَاكَ الَّذِي أَعَارَ أَعْضَائِي هَذَا الْفَتُورُ
وَقَدْ كِ الْمَائِسُ فَوْقَ النِّقَا قَدَّ فُؤَادِي الْهَائِمَ الْمُسْتَطِيرُ
كَمْ قَائِلٍ : صَفَهَا لَنَا وَاخْتَصِرُ وَلَا تُطَوَّلْ ؛ قُلْتُ : شَمْسُ الْقُدُورُ

١ هذه القطعة لم ترد في ط .

٢ راجع صفحات متفرقة من كتاب الطَّبِيعِ فِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ ، للاطلاع على أنواع الثُرْدَةِ والتَفَايَا .

٣ انظر ص : ٩٤ ، ١١٢ من المصدر السابق .

٤ ألوان الطعام الجملي والمثلث والمري والمخلل والممسل ... الخ ، (ص : ٨٥ من كتاب الطَّبِيعِ ؛ وانظر ص : ١٢١ حيث يصف إعداد « جمليّة » .

٥ ب : يحور ؛ م : يحور .

قِيلَ وَزِدْ قُلْتُ لَهُمْ إِنَّهَا
تَسْتَقْدِرُ الْحَيْفَةَ أَنْفَاسَهَا
لِللْكُحْلِ وَالْغُمَرَةِ فِي وَجْهِهَا
نَقَرَاءُ شَقَرَاءُ عَلَى سُمْرَةٍ
فِي سَعَةِ مِثْلِ الدِّنَا وَالْبَحُورِ
وَتَجْعَلُ الْفَسْوَ مَكَانَ الْبَحُورِ
وَالطَّيِّبِ وَالزَّيْنِ شَهَادَاتُ زُورٍ
فَهَلْ تَرَى يَا سَيِّدِي مِنْ فُطُورٍ

وله من أخرى في سليمان بن الحكم المستعين يقول فيها :

هَلْ لَكَ يَا مَوْلَايَ فِي طَرْفَةٍ
لَيْسَ عَلَى مُرْسِلِهَا نَحْوُكُمْ
قَدْ أَبْدَعْتَ أَهْزَالُ أَشْعَارِهِ
لَكُنْهَا كَاسِدَةٌ هَا هُنَا
لَيْسَ عَلَى عَاتِقِهِ ٢ عَقْدَةٌ
وَانْتَفَقَتْ عَنَفَقَتِي بَعْدَمَا
وَكُنْتُ ذَا هَدْيٍ وَسَمْتُ إِلَى
وَلَا بَدِيعٌ لَا وَلَا مُنْكَرٌ
فَعَلْتُ فِي آخِرِ عُمْرِي كَمَا
أَصَبْتُ فِي نُسْكِى وَزُهْدِي الَّذِي
وَكَانَ صَوْتِي قَبْلُ ذَا فِتْنَةٍ
وَقَدْ غَدَا نَاعُورَةٌ خَانَهَا الدَّ

تُسْلِكَ حَسَنًا طَرْفَ الْمُتَحَفِّينَ؟
مِنْ حَرَجٍ إِنْ رَاحَ صِفَرُ الْيَمِينِ
فِي الْعَالَمِ السَّحَرِ الْحَلَالِ الْمُبِينِ
أَكْسَدُ مِنْهَا فِي قَرَى شُرَيُونَ^١
إِلَّا مِنْ الْبَرْدِ ، لِأَجْلِ الْيَمِينِ
شَبْتُ وَذَا مِنْ حُرْفَةِ الْمُعْلِقِينَ
أَنْ لَفَّتِي مَوْجُ الْخَنَا وَالْمُجُونِ
أَنْ يُفْسِدَ الدِّينَ صِلَاحُ الْبَطُونِ
تَفْعَلُ شَأْنُ السُّوءِ بِالْخَالِبِينَ
أَصَابَهُ مُنْذَرٌ فِي أَلْيَسَرُونَ
تَسْتَنْزِلُ الطَّيْرَ بِحُسْنِ الرِّينِ
مَاءُ كَذَا الدَّهْرِ مُجِيجٌ خَوْونُ

وله فيه من أخرى يصفُ اللَّصَّ الَّذِي أَخَذَهُ فِي طَرِيقِ قَرْطَبَةِ ٣ :

-
- ١ شريون : حصن من حصون بلنسية (انظر أخبار وتراجم أندلسية : ٧٠ ومعجم ياقوت).
٢ ط : عانته .
٣ ب م : في الطريق ؛ ومنها أبيات في المسالك .

يا ابنَ خيرِ الملوكِ والخلفاءِ
 قَيْضَ اللهِ لي مِّنَ ابْنِ أَبِي الرَّ
 لم يكنْ مثله مِّنَ أولادِ^١ جالو
 قالَ لي قُرطُبِيّ أنتَ تَحْيِلُ
 ما أنا - يافدِيتكم - قُرطُبِيّ
 وقُلِ الحقَّ والفصاحةَ خَلَّ
 الشعيرَ الشعيرَ دَعِي مِّنَ الشَّعْ
 هاتِ ذاكَ النِّطاقَ واخْلُصْ وإلاَّ
 وأرادَ العَدُوَّ ذبحي ولكنْ
 فَعَلاني بالهَنْدُواني حتَّى اسَ
 واعتراي ما لستُ أَذْكَرُ لكنْ
 يا صُبَّاباً خَلَيْتُ في ذلكَ الفَحْ
 وهو باقٍ هناك ما هَبَّتِ الرِّيةُ
 كيفَ أَحتالُ بالتَّخْلِصِ من قِرْ
 لو يكونَ الحرمانُ أَقصى خراسا
 إن أكنْ ثاوياً بِحمصٍ غريباً
 فوقَ رَأْسِي قِبالةً^٦ عَهْدُها من

وأجلَّ السَّوْلاةِ والأمرِ
 يشِ غليظَ الفؤادِ ذا كبرياءِ
 تَ ولكنَّ مِّنَ فِراخِ الزَّناءِ
 تَ ورأقتَ غفلةَ الرُّقْباءِ ؟
 قالَ دَعُ ذا فليس حينَ انْتِماءِ
 ليس هذا بِمَوْضِعِ الفصحاءِ
 رَ أَنَا الآنَ أشعرُ الشعراءِ
 لَمْ تُقَلِّبْ عَيْنَيْكَ نحوَ السماءِ
 حاطَ ذو العَرشِ صَبِيَّتِي ونسائي
 ودَّ ظَهري وسالَ مِنِّي دمائي
 ظنَّ ما شئتَ غيرَ^٢ كَشَفِ الغطاءِ
 صرَّ كَثِيفاً^٣ مُطَبِّقَ الأرجاءِ
 حُ ولاحتْ كواكبُ الجوزاءِ
 دي ؟ انبئنا <يا> معشرَ الأولياءِ
 نَ ° حداهُ إليّ دونَ حُداءِ
 هيناً بينكم دميثَ الثَّواءِ
 زَمَنَ المنذِرِ بنِ ماءِ السماءِ

١ ب م : ابناء .

٢ ط : عند .

٣ ب م : كثيبا .

٤ هذا البيت وأربعة بعده لم ترد في ط .

٥ صورة اللفظة في ب م تشبه : « فراساي » .

٦ قبالة (capelo) ، قلنسوة ، وغالباً ما تكون للكاردينال .

فلقد عِشْتُ بُرْهَةً نَاعِمَ البَا

لِ <...> لِحْماً خَصِيبَ الْفِئَاءِ

ومنها :

كُنْتُ يَمْتَنُّكُمْ أَرْجَى حَيَاةٍ
وخرجنا كما دَخَلْنَا بِلَا شَيْ
مُدَّةً فِي ذَا الْمَكَانِ ذَا الْحَرْفِ لَمَّا

فِي اتِّصَالٍ بِكُمْ فَمْتُ بِدَائِي
١ وَلَكِنْ رَبَّيْتُ صَفْعَ قَفَائِي
مُدَّةً صَفْعُ ظَالِمٍ بِاعْتِدَاءٍ ٢

وقال من أخرى :

لَا حَ عَلَى عَارِضِي الْقَتِيرِ
وكان ذَا الدَّهْرِ قَدْ كَسَانِي
فَاعْتَضْتُ ٣ مِنْهُ رِدَاءَ شَيْبٍ
أَبْيَضُ لَكْنَهُ سَوَادُ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ لَا ارْتِدَاعُ
وإن تَمَادَيْتُ ذَا خُمَارٍ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالْمَصِيفِ يَغْلِي
لَمْ تَغْلِ حِينَ الشِّتَاءِ مِنْهُ
وَزَارَنِي زَائِداً لَهْمِي
فَاجَأَنِي وَالْمَحَلُّ صِفْرُ

فَحَلَّ مَا مِنْهُ أُسْتَجِيرُ
بُرْدَ صَبَاً مَأْوَهُ نَمِيرُ
وَاسْتَرْجَعُ الْمُنْحَةَ ٤ الْمَعِيرُ
فِي الْقَلْبِ مُسْتَبْشَعٌ نَكِيرُ
وَالْعَمْرُ كَالْبَرْقِ يَسْتَطِيرُ
فَلَا خَمِيرٌ وَلَا فَطِيرُ
بِرَأْسِهِ الْحَرُّ وَالْحَرُورُ
بِالْبُرِّ فِي بَيْتِهِ الْقُدُورُ
مَنْ لَا يُسَمَّى إِذَا يَزُورُ
لِلْبُرْدِ فِي جَوْفِهِ ٥ صَفِيرُ

١ المغرب : فلس .

٢ ب م : ذي اعتداء .

٣ ط : واعتضت .

٤ ط : المنحة .

٥ ط : يومه .

والفأرُ يدعو وحقَّ صومٍ في فيه إذ خانَه السَّحورُ
لَهْفان قد أزمعَ ارتحالاً لو يستطيعُ الشَّقِي ١ يسِيرُ ٢
الشَّعْرُ قُوَّتِي وقوتُ فأري إذا سبى قلبهُ الشعيرُ
فلو ترانا به حيارى والمهرُ ٣ في قبضينا أسير
أبصرتهُ مُشْخِلاً طريحاً ذا وبرٍ منه يستطير
والشيخُ مِن بين ذا وهذا وهذه خاسىءٌ حسير
حيرانُ من دهشةٍ كأنني قلبتُ ٤ خانَه الغدير

وله من أخرى :

أُغْنِي سُلَيْمِي اسْلِم سَقَاكَ الْحَيَا مَثِي وإن كان ما أغنى وقُوفٌ على مغنى
فكم قد بكى في الدَّارِ قَيْسُ صَبَابَةٍ ولم يقض أن يقضي اللبَّانةَ من لبنى

ومنها :

أبا القاسم اسمع من عبيدك طرفةً أبشكها فأذن لها تليج الأذنا
دنت ليلةُ التَّيْرُوزِ منا ولم تكن لِمَتَرَضِي لنا فيها من العيش بالأدنى
وقالت خجولي * سر إلى السوق واحتفل ولا تُبْقِ فيها من جراديقها ٦ منا ٧

١ ط : السقي : ب م : السمي .

٢ ب م : تدور .

٣ ب م : والقط .

٤ القلبق أو القلابق : السلحفاة المائية .

٥ ب م : حجو .

٦ ط : خداريقنا (دون أعجام للقاف) : ب م : مداريقها ؛ والجراديق : الفطائر .

٧ هذه هي قراءة ط ؛ وفي ب م : فنا ، وهي قراءة جيدة بمعنى « نوعاً » .

وقف بآبن نصر واحشون^١ ثم قفة^٢
 وجز بالفتى الجزار واختره هابلاً^٣
 ولا بد من أنترجسة صغرية^٤
 فقلت وأين النقد يا ابنة عزة^٥
 فقالت : أديب شاعر متفتن^٦
 بلا قطعة ؟ هذي لعمرك هجنة^٧
 لئن لم تجيء بالتين ألبست شيرة^٨
 فلا ينكسر بالله جاهي عندها^٩
 من اطرف^١ ما يحويه كي تذهب الشجنا
 بقدر ابن فتوي^٢ أبي بكر المضي
 وإياك أن تنسى التوابيل والحناء
 لقد جيئتها بلقاء مستينة نننا
 حوى من حظوظ الطرف في زعمه الأسنى
 فسير راشداً عنا فما لك من معنى^٤
 وبالزيت أضحي سجنك البيت والدنا
 وخذ في الذي أحتاج شعري ذا رهنا

ووجدت لابن مسعود هذا غير ما قصيدة في مثل هذه الأنحاء ، تُرْجى
 على حصي الدَّهْناء ، وفيما مرَّ منها كفاية ، ولا يتسع هذا المجموع
 لاستقصاء الغاية .

محمد بن مسعود آخر^١

وكان أيضاً قبله بحضرة قرطبة محمد بن مسعود آخر يعرف بالبيجاني^٧ ،
 وينتمي في غسان ، وكان شاعراً مجوداً جزل المقاطع ، حسن المطالع ، جيد

١ م : من اطراف .

٢ ب م : بعد ابن بترى .

٣ ط : يا بن عزة .

٤ ب م : مغنى .

٥ الشيرة : الكيس .

٦ لم يرد هذا العنوان في ط م .

٧ أبو عبدالله محمد بن مسعود البيجاني ، أصله من بجاجة وسكن قرطبة فنسب إليها ، وكان

كثير الشعر (انظر الجفوة : ٨٦ والبقية رقم : ٢٨١ والنفع ٣ : ٣٨٧ - ٣٨٩) .

الابتداع ، لطيف الاختراع ^١ ، كثير الغوص على دقيق المعاني ، حسن الاستخراج للألفاظ الراققة والتصريف المستعمل الكلام .

وقرّف عند المنصور بن أبي عامر بالرهق في دينه ، وسُجِنَ بالمطبق مع الطليق القرشي ^٢ لأمر غريب اتفق له ، والطلق يومئذ غلامٌ وسيم ، وكان ابنُ مسعود به كليفاً ، فقال فيه من قصيدة أولها ^٣ :

غدوتُ في الحبِّ خديناً لابن يعقوب وكنتُ أحسبُ هذا في التكاذيبِ

[يقول فيها] :

رأتُ ^٥ عدائيَ تعذبي وما شَعَرَتُ	أنَّ الذي فعلتَهُ ضِدُّ تعذبي
راموا بعادي عن الدنيا وزُخْرُفِها	فكان ذلك إدناسي وتقريبي
لم يعلموا أنَّ سجنِي لا أبا لمُ	قد كان غايةَ آمالي ومرغوبي
يا ابنَ الخلائفِ من مروانٍ ماحزني	على ضياعِك يا ابنَ الصبيَّةِ الشيبِ
وفيك ما يتسلى العاشقون به	من حسن خلقٍ ومن ظرفٍ ومن طيبِ
بلى لقد فُجِعَتْ نفسي لمحتجبٍ	قد كان من لحظٍ عيني غيرَ محجوبِ

١ زاد في ب م : ورأيت له عدة أشعار .

٢ الطليق القرشي : هو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، مات قريباً من الأربعمائة (انظر ترجمته في الجذوة ٣٢١ والبنية : ١٣٤٣ والحلة السيرة ١ : ٢٢٠ والمغرب ١ : ١٨٦ والمعجب : ٢٨٥ والتيمية ٢ : ٦١ والمسالك ١١ : ١٧٦ ونفح الطيب ٣ : ٥٨٦ وكتاب التشبيهات ؛ وعنه دراسة في كتابي : تاريخ الأدب الاندلسي ، عصر سيادة قرطبة : ٢٢٣-٢٣٥ ، الطبعة الثانية) .

٣ ب م : وهو القائل يومئذ فيه .

٤ النفح : السجن ، ب م : الحب .

٥ النفح : رامت .

قد صيغَ من فضةٍ بيضاءٍ صافيةٍ
 والتفَّ بالياسمين الغَضَّ بينهما
 ما أقبح الصَّبْرَ عندي بعد فرقتِهِ
 يا غائباً قد أطالتْ كَفُّ غيبتِهِ
 تعجَّبَ القطر من عيني حين همت
 عندي استقرَّتْ جنودُ الكَرْبِ أجمعها
 سِجْنٌ وقيدٌ وأعداءٌ منيتُ بهم
 في منزلٍ مثل ضيقِ القبرِ أوسعهُ
 يحنُّ عند مقاساةِ البلاءِ به
 ولو توسَّدَ أطباقَ الثرى جسدي
 ووشَّحَ الحسنُ خديه بتذهيبٍ
 نضيرٌ وردٍ بماء الحسنِ مهضوبٍ
 يا نفسُ ذُوبِي عليه هكذا ذُوبِي
 على لظى الشوقِ والأحزانِ تقليبي
 منها الشَّابِبُ في إثر الشَّابِبِ
 فليستَ نسمعُ من بعدي بمكرُوبٍ
 لا يسأمُونَ مع الأيامِ تربيبي
 دَخَلَتْهُ فحسبتُ الأرضَ تهوي بي
 قلبي إليك حنينَ الهيمِ والنيبِ
 ناداك قلبي بترجييعٍ وتثويبِ

وكان ابن مسعود يومئذٍ بالمطَبَقِ مع جماعةٍ من رؤساءِ الأدباءِ ، فلم
 يزل الطَّلِيقُ يأخذُ عنهم ، ويستمدُّ منهم ، حتَّى ثرِيَّ تَرْبُهُ ، وطلع
 عَشْبُهُ ، وسما ذِكْرُهُ ، وطار شعرُهُ . وكانت أشعارُهُ تأتي ابنَ أبي عامر
 فيتهمهُ فيها .

وانطلق الطَّلِيقُ من مُعتَقَلِهِ وبقي ابنُ مسعود مدةً محبوساً إلى أن انطلق
 سنة تسع وسبعين وثلاثمائة بعد مديدة . وليس من طبقةِ كتابي لِيتقدَّم
 زَمَانِهِ ، وإنَّما جرَّ حديثَهُ حديثُ سَمِيَّةِ المتقدِّمِ الذكرِ ، وكذلك الطَّلِيقُ
 أيضاً مُتقدِّمُ الألوانِ ، وليس من طبقةِ هذا الديوانِ .
 وابن مسعود هو القائل في سجنه ، وقد انطلق الطَّلِيقُ عنه ، وقُرِبَ
 ضدهُ منه :

ولي جليسٌ قُرْبُهُ مني قد قَدَيْتُ من لَحْظِهِ مَقْلِي
 نادَمَنِي في السَّجْنِ من قُرْبِهِ لو أنَّ خَلْقًا كان ضِدًّا له
 إذا اشْتَهَى قَاطِي في حُجَّةٍ^٣ كأنه يَجْلِسُ من ذا وذا
 بُعدُ الأمانِي كُلِّها عني وقَرَحَتْ من لَفْظِهِ أَذْنِي
 أَشَدُّ في السَّجْنِ من السَّجْنِ زاد على يوسفَ في الحُسْنِ
 سَلَطَ إِبْطِيهِ على ذَهْنِي بين كَنِيفَيْنِ من النِّتْنِ^٤

والطليق القائل :

غُصْنٌ يَهْتَزُّ في دِعْصِ نَقْصَا أطلَعَ الحَسَنُ لنا من وَجْهِهِ
 ورنا عن طرف ريمٍ أَحْوَرِ وتناهى الحَسَنُ فِيهِ إِنَّمَا
 رَبٌّ كَأْسٍ قد كَسَتْ جُنُحَ الدَّجَى ظَلَّتْ أَسْقِيها رِشًّا في طَرْفِهِ
 فَكأنَّ الكَأْسَ في أَمْلِيهِ أَصْبَحَتْ شَمْسًا وفَوْهٌ مَغْرِبًا
 فإِذَا ما غَرَبَتْ في فَمِهِ يَجْتَنِي مِنْهُ فُوادي حُرْقَا
 قَمَرًا لَيْسَ يَرى مُتَحَقًّا لَحْظُهُ سَهْمٌ لِقَلْبِي فَوْقَا
 يَحْسَنُ الغَصْنَ إِذَا ما أَوْرقَا ثوبُ نورٍ من سناها يَقْقَا
 سَنَةٌ تَوَرَّثُ عَيْنِي أَرْقَا صُفْرَةُ الرِّجْسِ تَعْلُو الورْقَا
 وَيَدُ السَّاقِي المَحْيِي مَشْرِقَا تَرَكَّتْ في الخَدِّ مِنْهُ شَفَقَا

١ النفح : كذبا .

٢. النفح : راهنني .

٣ النفح : إذا ارتعى فكري في وجهه .

٤ هنا تنتهي الترجمة في ط .

٥ انظر بعض هذه القصيدة في النفح ٣ : ١٩٧ ، ٥٨٦ ، والحدوة : ٣٢٢ والمغرب ١ :

١٨٦. وسائر المصادر المذكورة في ترجمة الطليق، وبخاصة الحلة السيراء ١ : ٢٢٢ -

وهذا يشبه قول الآخر ١ :

ومدامة صفراء علكلني بها صهباءُ تغربُ إن بدت من كفه	رشاً كغصنِ البان في حركاته في فيه ثم تلوحُ في وجناته
وغمامٍ هطيلٍ شؤبوبة فكأنَّ الأرضَ ٢ منه مطبقٌ	نادمَ الروضَ فغنى وسقى وكانَ الهضبَ جاناً أطبقا
خلع البرقُ على أرجائه وكانَ العارضَ الجونَ به	ثوبَ وشي منه لمّا أبرقا أدْهمُ طَلَّ ٣ عليه بَلَقا
في ليلٍ ظلَّ ساري نجمها وقد البرقُ لنا مصباحها	حائراً لا يستبينُ الطُرُقَا فثنى ٤ جُنَحَ دجاها مُشرقَا
وشدا الرعدُ حيناً فجسرت فانتشى شرباً وأضحى مائلاً	أكؤسُ المزنِ عليها غدقا مثلَ نَشوانٍ وقد خَرَّ لَتَقَى
وغدتْ تحنو له الشمسُ وقد وكانَ الوردَ يعلوه الندى	ألحفتهُ من سناها نُمرُقَا وجنَّةُ المعشوقِ تندى عرقَا

وله من أخرى :

قمرِيُّ الوجهِ أبدى بضحي	وجهه خطُّ الغوالي غبشا
فأراني سُبْحاً في ذَهَبِ	من عِذارِيه كما اصفرَّ العشا
ضُرْجَتِ خدَاه حتى خلتهَا	عَضَّ طرفي فيهما أو خدشا

١ هو ابن فتوح ، كما سيرد في ترجمته في هذا القسم .

٢ ب م : الورد .

٣ الحلة : خلى .

٤ الحلة : لها مصباحه فانتشى .

وحوثُ عِناهُ [خمرأ] لم يَرُحْ
فكانَ الصبحُ في وجنتَه
عَشِيَّتْ عَيْنُ امرئٍ لم تكتهِلْ
جَدَّ في قَتليَ حَتَّى خِلتُهُ
لم يزلْ يُوْشَى بنا حَتَّى غدا

ومنها :

أين لي ملجأ إذا ما طرفه
ونصتُ الحَاطِظُ أنْصَلَّها
رِشاً إِمّا مَشى تَحسِبُهُ
ثَقُلُ الحَصْرُ بَرْدُ راجعٍ
فلَذا ما ظَلَّ يوماً قَاعِداً
خَمِشتُ الحَاطِظُ عينيَ خَدَه
نَقِشتُ عَينيَ عليه أَسْطُراً
مَنَعْتُ ثُمَّ تَجَلَّتْ فَدَنْتُ
أنتَ كالبدرِ يَرى اللَّيْلُ به
كن كما شِئتَ فَقَدْ شاءَ الهوى

بجوشِ السَّحرِ نَحوي جَيشاً
فثناني بَطَشُها أنْ أَبْطِشا
غَصناً نِيطَ بهَضْبٍ فانتَشى
مُثلما أَثَقَلَتِ الدَّلَوُ الرِّشا
خَلتُهُ أَوْطىءَ مِنْهُ فُرْشا
مُثلما بِاللَّحْظِ قَلْبِي خَمِشا
أَعْرَبْتُ عَمَّا بِقَلْبِي نَقِشا
ربما أَرْدَاكَ ما قَدْ نَعِشا
مُؤَنِّساً طَوَراً وَطَوَراً مُوَحِشا
إنَّه يُنْفِذُ فِينا ما يَشا

الذخيرة في محاسن أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (١٥٤٢)

القسم الأول - المجلد الثاني

تحقيق
الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

١*

فصل في ذكر الشيخ الأديب الكامل أبي مروان ابن حيان^١ والاتبان^٢ بفصول مقتبسة^٣ من كلامه سوى ما مر ويمر منها في أثناء هذا الديوان

ولما تحدّث بتاريخه في ملوك الطوائف^٤ بأفقتنا استشرفت طائفة منهم إلى مطالعة غرّره ، وعدّوه من فُرَصِ العمرِ وغرّره ، واهتزّوا لقطفِ زهره ، وافتقروا إلى مطالعة فقره ، واستهندّوه إياه ، وأجزلوا على ذلك قِراه ، وأنّ تسمعَ بالمُعَيدي لا أن تراه ، [ليس بعُشكٍ فادْرُجِي ولا

١ أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان (٤٦٩ -) ؛ ترجم له ابن بشكوال في الصلة : ١٥٠ وانظر الجذوة : ١٨٨ (والبغية رقم : ٦٧٩) ؛ وقد كتب عنه الأب ملشور أنطونية رسالة بعنوان *Ibn Hayyan de Córdoba y su Historia de la Espana musulmana* (ضمن دفاتر تاريخ أسبانيا ، المجلد الرابع ، بونس آيرس ١٩٤٦ ص ٥ - ٧٢) ؛ وللأستاذ غرسيه غومس بحث صغير عنه في مجلة الأندلس (المجلد ١١ ، ١٩٤٦) وكتب عنه الدكتور مؤنس فصلا صغيراً في كتابه «تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس» ص ١٠١ (مدريد ١٩٦٧) وفي كتاب بونس بويجس عن مؤرخي الأندلس وجغرافيتها معلومات عنه (ص ١٥٢ - ١٥٤) ؛ وانظر تاريخ الفكر الأندلسي : ٢٠٨ - ٢١١ ؛ وللدكتور محمود مكّي بحث مفصل ضاف عنه جعله مقدمة على القطعة التي نشرها من كتاب المقتبس (القاهرة ١٩٧١) ، وإلى جانب هذه القطعة هنالك قطعتان من هذا الكتاب نشر إحداهما أنطونية (باريس ١٩٣٧) ونشر الثانية الدكتور عبد الرحمن الحجي (بيروت ١٩٦٥) وهناك جزء يختص بفترة عبد الرحمن الناصر من ٣٠٠ - ٣٣٠ وهو ما يزال قيد التحقيق .

٢ ب م : وإيراد .

٣ ب م : مقتضبة .

٤ ب م : ولما تحدّث في قص [. . .] بتاريخ ابن حيان ، وكان ذلك في مدة ملوك الطوائف .

كرامة ، لإنه [وإن كان فيما قرع من هذا الباب ، قد مرى سحابه فصاب ، فإنه أخطأ التوفيقَ وما أصاب ، إذ جاء أكثرُ كلامه كما قال ابن الرومي :
 مهما تقبل فسهامٌ منك مُرسلةٌ وفوك قوسك والأعراضُ أغراضُ
 وما تكلمت إلا قلّت فاحشةٌ كأن فكّيك للأعراضِ مقراض
 ومن علم أن كلامه من عملِهِ ، أقلّ إلا فيما ينفعه ، ومن اعتقد
 أنه مسئولٌ عما يقول ويكتب عليه ما يكتب ، لم يستفرغ المجهود
 في القول فضلاً عن أن يثلب . والله درّ القائل :

فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه
 ومع ذلك فقد كان سهماً لا ينمي^١ رميه ، وبحراً لا ينكش^٢ آذيه ؛
 لو ثلب الماء ما نفع ، أو تعرض لابن ذكاء ما سطع^٣ ، يتناول الأحساب
 قد رسخت في التخوم ، وأنافت على النجوم ، فيضع منارها ، ويطمس
 أنوارها ، بلفظ أحسن من لقاء الحبيب غيب الموعِد ، وأمكن من عذر
 الطبيب عند العود . فرب شاخ بأنفه ، ثان من عطفه ، قد مر في كتابه
 بفصل قد جرّده لوضع حسبه ، وخلّده أهدونه باقية في عقبه وولده ،
 فيرده ورود الظمان الرنق ، ويلبسه لبس العريان الخلق .

وقد أثبت في هذا الاختيار من نثره ما هو شاهد على ما أجريت من
 ذكره . وكانت وفاة هذا الشيخ [الباقية] سنة تسع وستين وأربعمائة .

١ ط : ينهي ؛ ونمت الرمية : إذا أصيبت وغابت عن النظر ثم وجدت ميتة ، ولذلك قيل :

كل ما أصميت ودع ما أتميت .

٢ ينكش : ينزف .

٣ ب م : طلع .

٤ ط : اجترت .

فصول من كلامه في أوصاف شتى

فصل جعله مفتتح تاريخه الكبير^١ ، قال في صدره :

الحمد لله الذي علا في سمائه ، وتفرّد ببقائه ، وتسمّى الجبارَ بجبروته
[وكبريائه] ، فله الأسماءُ الحُسنى ، والمثل الأعلى ؛ خلق الإنسانَ علّمه
البيان ، وأجرى بيده فلكَ القلم العظيم الشّان ، فعلمه ما لم يعلم ، وأشهده
ما لم يحضر ، وكرّر عليه نبأ ما لم يلحق من القرون الماضية ، والأُمم البائدة ؛
وأراهُ سبيلَ مُنقلبهم عن هذه الدُّنيا الفانية ، التي استعمرهم فيها قرناً بعد
قرن ليلولهم فيما آتاهم ، فتهافتوا في شهدها ، وتهاكّوا كالأذبة عليها ؛
لا الآخرُ بما انتهى إليه عن الأوّل معتبر ، ولا الغابرُ بما مرّ على الماضي مزدجر ،
حكمةٌ بالغةٌ فما تغني التّذر ، إذ كلّ مُقدّر^٢ كائن ، وكلّ مربوب
مسخر .

وبعض لفظه في هذا الأصل محلول ، من قول القائل حيث يقول :

تَرَحّاً	لدار	إنّما	سكّانها	رُفُقُ	مُخِيبَةٌ
دارُ	غريبُ	خيرُها	وترى	الشّرور	بها مُرِبَةٌ
أدْوَتُ	وغاب	دواؤها	عن	كلّ	نفس مستطِبة
وصفت	محبةُ	أهلها	منها	لمدْغلةٍ	مضِبة

١ ب م : كتابه الكبير ؛ وهذا التاريخ الكبير هو المسمى بالمتين ، وقد ذكر ابن سعيد أنه
في نحو ستين مجلدة (النفع ٣ : ١٨١) .

٢ ب م : مقدور .

لم يدرِ فيها حلوها من مرّها إلّا الألبّة^١
فتهافتوا في شُهدّها وتهاكّوا مثلَ الأذبة

وله من رقعة^٢ :

وبعد ، فإنّي امرؤٌ يسرّت لطلبِ هذا الخبر ، واقتفاءِ هذا الأثر ،
أحرسُ شاردّه ، وأقيّدُ نافرّه ؛ وأبيتُ بأبوابه ، وأنصبُ لطلابه ؛
فشغلتُ به دهرآ ، وفجرتُ منه نهرآ ، صيرني تريباً لعدنان ، وزماماً
على الحدّثان ، أقصُ أنباءه ، وأضربُ أمثاله ، وأحصي وقائعه ، وأحرزُ
مواعظه . وأنساني المدةُ إلى أن لحقتُ بيدي منبعثَ هذه الفتنة البربريّة
الشنعاء المذلّمة ، المُفرّقة للجماعة ، الهادمة للمملكة المؤثّلة ، المغربة الشاؤ
على جميع ما مضى من الفتن الإسلاميّة ، ففاضت أهوالها تعاظماً أدلّني
عن تقييدها ، ووهمني إلّا مخلص منها ، فعطلتُ التاريخ إلى أن خلا صدر
منها ، نفّسَ الخناقَ ، وبلل الرماق ؛ فاستأنفتُ من يومئذٍ تقييداً ما استقبلتهُ
من أحداثها ؛ فأنعمتُ البحثَ عن ذلك عند مَنْ بقي يومئذٍ من أهل العلم
والأدب لدينا ، فلم أظفر منه إلّا بما لا قدر له ، لزهديّ مَنْ قبلنا قديماً
وحديثاً في هذا الفن ، ونقّيهم له عن أنواع العلم . وانثنيْتُ خائباً
خجلاً ألوم نفسي على التقصير ، وأحدوها بالأمل ، وأعذر من قال « هممتُ
ولم أفعل »^٣ ؛ وشرعتُ في التقييد غيبَ ذلك التّفنيد ، غير مُخلٍّ به ،

١ ط : ألبّة .

٢ انفردت ب م بهذه الرسالة والتي تليها .

٣ من قول ضابّى بن الحارث البرجمي :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلاله

ووصلتُ القولَ فيما فاتني قبلُ من ذكر انبعاث تلك الفتنة ، وأخبار ملوكها ، ومشهور حروبها ، ممّا أصبتُ به عندي تذكرة ، أو أخذته عن ثقة ، أو وصلتني به مشاهدة ، أو حاشته إليّ مذاكرة ؛ حتّى نظمتُ أخبارها إلى وقتي مكملّة ، وجئتُ بها على وجوها ، وأوردتها على سبوغها ؛ ناشراً مطاويها ، ومعلناً بخوافيها ، غير مُحابٍ ولا حائف في الصّدق عليها ، سالكاً سبيلَ من اتّسيتُ به من مستأخري أصحاب التّاريخ بالمشرق ، كأبي محمّد الحصري . وأبي بكر ابن القوّاس القاضي ، والفرغاني^١ ، ونظائرهم من أعلام الفقهاء الذين لحقوا الفتنة الحادثة عندهم بالمشرق بعد الثلاثمائة ، من تصرّيحهم بأخبار أمرائهم المتوثّبين على المملكة عند وهن مُتقلّدي الخلافة فيهم . فلأمرٍ ما اعتنوا بذكر أخبار الأعاجم هناك من الدّيلم والأتراك ، مع عدم الفائدة فيها وتنفّسني العار بوجوها ، وبُعدها ممّا كتبه من قبلهم من أخبار ملوك العرب صدر الإسلام لفظاً ومعنى ، وعقدأ ومبنى ؛ حتّى توسّعوا في ذكرها ، وتناوعوا في التّنقير عنها . وإنّ ذلك لا محالة كان لاستغرابهم شأنها ، ولا كبارهم مجيء الزّمان بمثلها ، وإشارتهم إلى أنّها طرقت هادِمةً لما بنته الدّنيا ، مُغيّرةً لمحاسنها ، مزهّدةً فيها ، مؤذنةً بانقطاعها ، كي يكون البقاء لمن تفرّد بجبروته ، ويدوم البهاء لمن لا تتسلّط الغيّرُ على ملكوته .

١ كان عبد الله بن أحمد الفرغاني (٣٦٢ -) مؤرخاً ، وله كتاب يعد صلة على تاريخ الطبري (انظر ترجمة الطبري عند ياقوت) وكان ابنه أبو منصور أحمد بن عبد الله (- ٣٩٨) مؤرخاً كذلك ، وله تاريخ وصل به تاريخ والده ، وعنه ينقل ابن خلكان في مواضع (راجع فهرست وفيات الأعيان) وله أيضاً سيرة كافور وسيرة جوهر (ابن خلكان ٥ : ٤١٦) وسيرة العزيز (معجم الأدباء ٣ : ١٠٥) .

فركبتُ سننَ مَنْ تقدَّمَنِي فيما جمعتُهُ من أخبار ملوك هذه الفتنة البربرية ،
ونظمتُهُ وكشفتُ عنه وأوعيتُ فيه ذكرَ دولهم المضطربة ، وسياساتهم
المنفّرة ، وأسباب كبار الأمراء المنتزعين في البلاد عليهم ، وسبب انتفاض
دولهم ، حالٍ فحالٍ بأيديهم ، ومشهور سيرتهم وأخبارهم ، وما جرى
في مُددهم وأعصارهم ، من الحروب والطوائل ، والوقائع والملاحم ؛
إلى ذكر مقاتل الأعلام والفرسان ، ووفاة العلماء والأشراف ، حسب ما
انتهت إليه معرفتي ، ونالته طاقتي .

وكنْتُ اعتقدتُ الاستئثار به لنفسي ، وخبأهُ لولدي ، والضَّنَّ بفوائده
الجمَّة على مَنْ تنكَّبَ إحمادي به إلى ذمي ومنقصتي ، طويتُ على ذلك
كشعاً ، وأوجبتهُ عزماً ، إلى أن رأيتُ زفافه إلى ذي خطبة سنية أتنِّي
على بُعدِ الدَّار ، أكرم خاطبٍ وأسنى ذي همَّة ، الأمير المؤثِّل الإمارة
المأمون ذي المجدين ، الكريم الطرفين ، يحيى بن ذي النون .

وفي فصل له من أخرى ، صدرها :

يا مولاي وسيدي، قحطاني زمانه، وغلاب أقرانه ، المتوقّي في مُلكه
مَنْ ضَرَّ اعتمادُهُ عليه ، ومَنْ هنأه الله جليل الفتح له ، وعلى رعيته به ،
ولا ألهاهُ طمَحانُ السَّروُر بجلالته عن تحقيق التواضع لمولاه ، وإخلاص
الحشوع لوجهه ، والعياذ بعصمته ، من إقراف ما جرّ مثله على مقترفه ،
وسؤاله تسويغه إيَّاه ، بالتخلُّ له ، والفوز بجميل عافيته ، بمنَّه .

وله من رقعةٍ خاطب بها ابن عبَّادٍ بظهوره على ابن ذي النون :
لو أنَّ فتحاً اعتلى عن تهته ممنوحة بارتفاع قدر ، أو جلالة صنع ،

أو فرط انتقام مُستأصل ، أو تنزّل حكم من الرّحمن فاصل ، لكان فتحه ١
هذا لك ، على عدوّ أسود الكبد ، مظاهر البغي على الحسد ، طال والله ما ٢
استحييته لا من خجل ، وتنكّبه لا عن وهل ؛ فأبى له رأيه الفائل ، وجدّه
العائر ، وحينّه المجلوب ، وحزبه المكبوب ٣ ، إلّا اكتساب العار ، وممانته
مُحصّد الأقدار ؛ فجمع الجيش ذا الألوف ، وتجمّع الشقّة العنوف ،
ثم لا يرزأ العدو الغائظ له إلّا التسلّط على ضعفاء رعيته بإفساده لأقواتهم ،
ونيله من دماء المحاويع منهم ، إلى التقاط سقاط سنبلهم ؛ فكم نال فساقه
الذين أرسلهم عليهم من دم أرملة غرثى ، وبتيمة ٤ كفرخ الحبارى ،
إلى من أُصيب فوقهم من عابر سبيل وضارب لمعيشة ؛ مؤيّم نسوة ،
وموتيم صبيّة ؛ أضحوا طعم ذئاب .

وفي فصل منها :

حتّى ابتعثك امتعاضك ٥ تحت صدق العزيمة ، ومهل الرّويّة ، وصواب
التدبير ، وتقذّم الاستخارة ، مستظهِراً منهنّ بعدة ضربت عليه بالأسداد ،
وباعدته عن السداد ؛ وابتعثك تعالى للسمو ٦ إليه لما دنا منك قبل اكتمالك
في الاحتشاد ، وانتهاك في الإعداد ٧ ؛ ويسرّك لرميه بأهزاع الكنانة

١ ط : فتح .

٢ ط : طالما .

٣ ط : وعز به المكتوب .

٤ ط : ويقيم .

٥ ب م : حتّى حرك العدى امتعاضك .

٦ ط : للسير .

٧ ب م : الاعداد .

ومظنّة النجاة ، وطليلة السّعادة ، الحاجب سراج الدّولة سيد العرب أنعم الله به عليك في من حضرَكَ من خاصّة الغلمان ، لله درُّهم من حُماة حقائق ، ومدركي أوتار ، ورحضة عار ، اهتدوا بقمرهم الساري ، وليتهم العادي ، وحاميهم الواقي العبادي ، مقتفياً أثرَكَ في محمود موافك ؛ طرّف الله عيون حسدتيك^١ فيه ، ومتّعك بما منحك من يُمن طائرهِ وسعده اللذين بهما انقضّ على عدوك انقضا ضالكوكب الساري ، فخسف به وبجمعه ، أحفل ما كان في عديده ، وأوثق ما هو بجنوده ، فطواه طي الرّداء ، وغلّ أيدي كمانه عن إعمال القنا ، وأرغى فوقهم سقب السماء ، فاقسّمتهم أيدي الختوف بين حرّ الحديد وبرد الماء [أولى لهم فأولى: قبيل الله معذرة المستكرهين منهم ، وقارض سواهم بطاعتهم لظلم فرّ عنهم فرار الظّليم ، وأسلم بائياً بالعار الذي قدماً تحاماه ذوو النهى ، ورأوا أن الموت منه أحجى ، ولم يقرنوا بمعذرة الحارث بن هشام ما الفرار منه أخرى] .

وله من أخرى يعاتب صاحب الصّلاة ابن زياد :

يا سيدي المعتلي بسموّ رتبته ، المعتدي باعتداء بصيرته ، ومنّ أصحابه الله التوفيق ، وأقامه على سواء الطريق ، ونحاه من معتبة الصديق : [من كلامهم] : إنّ أدهى المكروه ما كان^٢ من تلقاء المحبوب ، لا سيما إن قارن فادح نكبة ، ووافق كارث مصيبة ، فزادها حطباً وأشعلها نفخاً ، وتلك داهيتي العظمى بك ، إذ علمت عظيم محنتي بأمتي الفاجرة ، التي فلتت غربي ، وفرت كبدي ، ونظمت أشتات المصائب في سلكي ، خبلاً للبال ، وثلماً

١ ب م : حسدك .

٢ ط : جاء .

للمال ، الذي لا تنام العينُ على حرازته وتنام على الإثكال . وكان الظنُّ
لشيعي فيك أن تأخذ بحظك من مشاركتي ، فتَنكبتَها ، وتجاوزتَ إلى قطعِ
أصرتي وتذكية لوعتي ، بقيامك دون الحبشيتين النطيفتين ابنتي قباط^١
الحناط ، جارقي جنبي ، ومسبتي كربني ، اللهجتين سرّاً وعلانية
بأذاتي^٢ وإمداد أمتي الفاجرة خليلتهما في غيبتها لكون بيتهما دبرَ بيتي^٣
في حائط يليهما . فلم تزل تُناولهما منه ما تُسلِّله^٤ في الفلتات والخرجات
السيئات حتى استأصلت متاع البيت .

وفي فصل منها :

وقد كان صاحب المدينة ذهب إلى اعتقالهما بما لاح من ظلامي ،
فبادرته أنت واستنقذتَ وزكّيتَ غير مستثبت في مآل من استنقذته ، ولا
سائل عن باطن من زكّيته ، وشكّكتَ السلطانَ في صدق تهمته ، فهل
سَبَقَكَ إلى مثل هذه العجلة قيمٌ شرعة ، أو فارسٌ منبر ، أو واعظ
أمة ؟ فتعلم الآن أن قد قمعتني قمع المقهور ، ودحرتني دحر المليم المأزور ،
وحركتَ عليّ من اعتكار الضمير ، وفساد التفكير ، ما لم أمتلك معه والله
عن عرض اسمك عليه ، والنجوى ببثني إليه ؛ ورجل الدولة الذي اعتمدته
بخطابك ، وثبتَ غرْبته عن النظر لي ، قد حلَّ يده عن ذلك ، وأرسلني
مُخلّي العنان في ميدان الخصام الرحيب الساحة ؛ وكنتَ حسبتَ أنه منحرف

١ ب م : نباط .

٢ ب م : بأذاتي .

٣ ب م : داري .

٤ ب م : تسله .

عني فلذلك ما انتحيته بكتابك ، وحسبت أيضاً لشغل بالي أن سراك تحت
الظلام خفي عليّ إذ تحدث وتغزل ، وأنا عنك بمعزل .

وله من أخرى خاطب بها ذا الوزارتين أبا القاسم ابن عبد الغفور :
لا أبشك من ذكر حالي لاثلال عرشي ، وانفلال غربي ، بما أخشى
تناسيك له ، أو ونّيك في المعونة عليه ، فأنت طودي من بين هذه الهضاب ،
ومُصدقُ ظنّي فيما ينوب من طلاب ، الموحى بأشجاني إلى جنان الملك
اللباب ، نهاية الآمال الرغاب ، أقرضك الله بغير حساب .

وخاطبه الوزير الأجل^١ أبو بكر ابن زيدون برقعة يقول فيها : وللذي
أسكن^٢ لآله من حسن قبورك ، وجميل تأويلك ، أقابيل^٣ بالحقير ، وأواجه
بالتأفه اليسير . ويعلم الله تعالى لو تاحفتك بهبة عمري ، ما رأيت ذلك
كفاء^١ لقدرك ، ولا وفاء^٢ ببرك ، فكيف ما دونه ؟ فلك المترلة التي لا تُسامى ،
والجلالة التي لا توازى ، وما شيء^٣ وإن جل^٤ إلا^٥ ومحتقر^٦ لك ، مستصغر^٧
عند محلك . ويصل مع موصل كتابي هذا^٨ ما ثبت ذكره في المدرجة طيه ،
وأنت بمعاليك تتفضل^٩ بقبوله ، وتصل أجمل^{١٠} صلة بالتغاضي عن وتاحت ،
والاستجازه^{١١} لزارته ، مقتضياً بذلك شكري وحمدي ، ومُستبدّاً^{١٢}
منهما بجميع ما عندي .

فراجع ابن حيّان برقعة يقول فيها : إن لفجآت المسرات الباغته لآمال النفوس

١ ب م : أن ذلك كفه .

٢ ط : مع موصله .

٣ ط : والاستجارة ؛ ب م : والاستغارة .

الحائمة ، صدمات تُذهل الجنان ، وتعقل اللسان ؛ فمن فرّح النفس ما يقتل ،
ومن باهر الصنع ما يُذهل ، ولا كمثل ما فاجأني^١ من فضلك المبتدّر ميقاته ، المقتضى
المزیدُ فيه على وفاق من إنفاض الأزودة ، وخمود المصابيح المعطّلة ، وعنة
من الظنون المخوفة بنكد السنة . لم يشغلك عن جودك شاغل حتى قضيت
نذكرك فيّ لأوّل وقته ، ولم ترضَ بعادتك المتكلّفة لي بشأن الدّهْن ، حتى
تحمّلتَ عني ثقل القوت ؛ فلم أكد أثيرُ برق الزيت ، حتى نلتُ ودّقه^٢ ،
حاشداً لأحمال البرّ التي استحققتْ أعدالُه^٣ [أوطابه] فأسالتْ غُرّته^٤ .
وطرقني قطارُ هديتك الفاجئة غداةً أصبحتُ فيها^٥ مُنفصلاً من الزاد ،
مُسْتَوْفراً للارتداد ؛ فأجلتْ عيني منها في حديقة مجدٍ لم يُصبها مطر ، ولا
تكمّمها^٦ زهر ، أكسبت فرحي دهشاً ، وأحالت بياني بلهاً ، حتى نولتُ
كتابك الكريم ، ونظرتُ في لآلئه التّوم ، فيالي^٧ به من اهتزاز لذكرك ،
وارتياحٍ لطولك . فجوزيت أوفى جزاء المنعمين ، وأوفرَ قرض المحسنين ،
بما أُرحتَ من فكري بكشفك عني في أديم يوم همّ عام^٨ ، فعَمّتَ فيه
أوعيتي ، وأفهقتْ آيتي ، مع أنك قتلت^٩ شكري ، فلا فضلَ فيه لمقابلة

١ ب م : فاجأني .

٢ ط : ريقه .

٣ ط : واطابه .

٤ ب م : فأدالت عزته .

٥ ط : فيه .

٦ ط : تكسها .

٧ ب م : فنالني .

٨ عام : أي مطبق بالماء وهو السحاب ؛ وإذا قرئ « غام » فكأنه من غمى البيت أي غطاه .

٩ ب م : قبلت .

معروفك إلا^١ لمحاض^١ الدعاء لك ، في حراسة مهجتك ، ودوام نعمتك ،
واستبصار الملك الأعلى عميد الورى مستكفيك ، في حسن رأيه فيك . أعاذك
الله من عين الكمّال ، ووقاك طوارق الأيام والليال ، وحفظ على زماننا
ما فيك من كرم الخلال ، وأنهضك بما التزمته من إحداث من أقسم أن^٢
الجود في عصرنا عدم^٣ لا ينال ، بمنه وبمنه .

وله من أخرى يهتئ بعض العمال بخلاصه من نكبة : كتابي عن نفس
قد أشرق وجه صباحها ، وهبت رياح^٤ ارتياحها ، وسرى نقس السرور
فيها ، بما طلع علينا من البشائر^٥ السارة بخلاصك ، وجميل انفكاكك
ومناصك ، على حين بلغت قلوب الأوداء^٦ الحناجر ، وكادت موارد الحزن^٧
لا تكون لها مصادر ، فإن الأيام عمت فيك ، باساءتها إليك ، كل^٨
منتسب إلى فضل ، متسم باسم نبل ، وإن كانت قد أصابت فيك سواد
ناظرها الذي تضيء به وتنجمل ، وسخت منك بحلي جيدها الذي يحق
به أن تبخل ، فذلك خلّق لها لم نزل نصحبها^٩ عليه اضطراراً لا اختياراً .
فالحمد لله الذي كفى ووقى^{١٠} .

فأنت أعلم^{١١} بمجاري الأمور ، ومصاير الدهور ، وأهدى إلى التسليم

١ ب م : بمحاض .

٢ ط : ريع .

٣ ط : البشارة .

٤ ب م : الحمد .

٥ ب م : نزل تصحبها .

٦ ط : ووقى .

٧ ب م : أمرف .

للمقدور ، فلم تورّد الأيامُ عليكَ من حوادثها المجهول النُّكر ، ولا وردت عليك بالفتنة البكر ، ولا هاضت منك بما جنته ، ولا هدَّتْ مِنْ ركنك بما أتنه ، بل صادفت منك الإبريز الذي لا يزيد السبَّكُ إلاَّ تخليصاً ، والمبرِّز الذي لا يعقبه حؤول الأحوال نكوصاً ؛ تتلقَّى الخطوب بصدر وساع ، وصبر منفسح الباع ؛ وتسبر الدهر بمسباره ، وتعرف من مكنونه^١ حقيقة إيراده وإصداره .

١ ط : مكتومه .

وهذه فصول مقتضبة من طويل كلامه في تاريخه ،
وكنيت عن أكثر من به صرح ، وأعجمت باسم
من به أعرب وأفصح ، رغبة بكتابي عن الشين ،
وبنفسي عن أن أكون أحد الهاجيين ، إلا في بعض
أخبار ملوك الطوائف . لما تعلق بذكرهم من فنون المعارف

وله إلى ابن عبد الغفور ، وقد أعاره سِيفاً من تاريخه ١ :

ليس يخفى عليك مكانُ هذه الصُّحف المستملاة من الصُّدور ، المستعراة
من النظير ، من أنفُس مؤلِّفِها ، وقلوب مصنِّفِها ، فأبشك شأنَ الاهتمام
بها . وناولتُك يوم التقينا السُّفيرَ الحقيق ، ختام تاريخي المهجور ، سائلاً
عُلاك تصفحه كيما تُكذِّب ما زوَّره فيه عليّ ، ولا محالة أن قد فعلت ،
ورددت وجهت . واستأخر صرفه إليّ ، فحملتُ ذلك على نسيانك ،
لتقسُّم الأشغال لحاظرك ، ولتناخ القلق ٢ بي : « ويومانٍ مِن هجر الحبيب
كثيرٌ » ؛ ونفسي منطلقةٌ إلى حضوره حذراً من أن يعدوك ، فلا أستقبل
فيه الحيرة . فتفضَّلْ بصرفه غانماً حمدي ، إن شاء الله .

فصل :

نُعي إلينا فلانٌ ، وكان في غفلته ، وبُعد فطنته ، وغباوة شاهده ،

١ انفردت ب م بهذه الرسالة .

٢ م : لناح القلوب ؛ ب : لنا القلوبي .

وفجاجة شمائله ، وشكاسة خلائفه ، آية^١ من آيات خالقه ، من رجل نسمة ريب ، وقرارة حرب^٢ ؛ على لسانه نملة^٣ تدب على أعراض الناس ، لا يراعي لأحد ذمة^٤ ، فصار مشنوءاً إليهم ومُرَهَقاً في دينه محروماً ، لم ترتفع له قطّ حال ، ولا فارقه إقلال ، ولا أتيح له مرفق إلاّ من حيث يرتشيه ، لتلقين خصم أو توهين عقد ، أو دفع حق بمشغبة ، أو بهت خصم بمعاندة ، له في ذلك نواذر محفوظة . وكان مع هذه المساوىء وسخّ الثياب ، زمر المروءة ، مكحل الأظفور^٥ ، وضر الطوق ، داني الغائط من المائدة ، لا يتقدّر شيئاً ألبتة . وهو أول^٦ من لاعن^٧ زوجه^٨ بالأندلس فأرى الناس العمل في اللعان بالعيان .

فصل ٤ :

وكان فلان^٩ من البُخل بالمال ، والكلف بالإمساك ، والتقتير في الإنفاق ، بمنزلة بدّ فيها ملوك عصره . لم يرغب قطّ في صنعة ، ولا سارع إلى حسنة ، ولا جاد بمعروف ، فما أعملت إلى حضرته مطيّة ، ولا عرّج إليه أديب ولا

١ ط : غرب (اقرأ : حزب) .

٢ ب م : الاظفر .

٣ في أخبار أبي عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمداني المعروف بابن الهندي أنه لاعن زوجه (سنة ٣٨٨) فلما لاموه في ذلك قال : أردت إحياء سنة (الصلة : ١٩ والمغرب ١ : ٢١٢) والديباج المذهب : ٣٨) ولا أدري إن كان هذا هو الذي يتحدث عنه ابن حيان هنا ، فإن ابن الهندي وصف أيضاً بأنه كان حافظاً للفقّه وأخبار أهل الأندلس ، بصيراً بمقد الوثائق ، ألف فيها ديواناً كبيراً ، وكان طويل اللسان بصيراً بالمحنة تنتجها الخصوم فيما يحاولونه ويشاورونه ، وكان وسيماً حسن الخلق والخلق (توفي سنة ٣٩٩) .

٤ لم يرد في ط .

شاعر ، ولا امتدحه ناظمٌ ولا ناثِر ، ولا حظي أحدٌ منهم بطائل ، ولا
استُخرج منه درهم في حقّ ولا باطل ، فأصبحَ في اللؤم قريعَ دهره ،
وفريدَ عصره ، لا يَعدِلُه فيه مَلَك ولا سِوَقَة . وكان فرطَ الثوارِ بصقع
الأندلس في إثثار الفرقة ، وتشتيت كلمة الجماعة ، فاقتطع ناحيةً ، وتفرّد
في الشقاق ، وصار جرثومة الخلاف والنفاق ، إذ أمّه من بعده ، وسلك
سنّته ، فتركه الله في ضلاله ولم يرضَ له عقوبة الدنيا مثوبة ، لما هو أعلم
به . من رجلٍ كثرت جبايته ، وكثف جمعه ، فكلما درّت ضروعُ ورقه
وتبرّه ، وغزرت استفادته ، زاد حرصه ، وتضاعف جشعه :

كالخوت لا يكفيه شيءٌ يلقمه يصبغُ عطشانَ وفي البحر قمه

فصل :

ونُعِي إلينا عدوُّ نفسه ، زاوي بن زيري موقدُ الفتنة بعد الدولة العامرية .
وردّ التّبأ بمهلكه في القيروان وطنه ، بعد منصرفه إليها خاملاً مغموراً
بين أعظم قومه ، لم يرتفع له ذكر بينهم . مهلكه كان - زعموا - من
طاعونة أصابته . فالحمدُ لله المنفرد بإهلاكه ، الكفيل بقصاصه ؛ فلقد كان
في الظلم والجور ، والاستحلال للمحارم والقسوة ، آيةً من آيات الله ؛
أهان الله مثواه ، ولا قدّس صدهاء .

فصل :

وانكدرَ على أثره من الظلّمة المسرفين المترقّين من السّمسرة إلى شرف
المنزلة ، فلانُ الكاتبُ الضعيفُ الرأي [والعقل] . وكان قد ركض في
حلبة كتّاب الرسائل ، وقلّد جملةً من تدبير الأعمال الجلائل ، من غير

معرفة ، ولا قديم أبوة ، ولا إحكام صناعة . ومن استخدام مثله في شيء من العمل كانت حذرتُ حكماء الملل والفلاسفة الأول ، لاجتماع الحلال الذميمة فيه .

فصل :

ونُعي إلينا فلانٌ صديق فلان ، وكانا أخص^١ أخوين ، فرق بينهما من عافى الفرقدين . من رجل مُرخص في السَّماع ، صَبَّ بإنشاد الأغزال المفتنة^٢ ، مُسامح في النَّبِيذ ، ظنين الخلوة عهريها ، حاطٌّ في بعض اللذة ، مُسَفٌّ إلى الرشوة ، إلى شكاسة خلق وحدة يكدران صفوه ، ويُبعدانه عن رصانه طبقته .

فصل في بكيء :

وكان فلان مع تحقُّقه بعلم اللسان ، في غير ورد ولا صدَر من البيان ، مقلِّداً من العلم ، مقلِّداً ، بريئاً من البلاغة ، جريئاً على الخطابة ، بإيراد ما حفظه من قول من قبله ، يُطيل مع ذلك فيخرج عن الغرض المقصود . وكان أوَّل ما قام بذلك المقام اختصر القول ، ليتخلَّص^٣ من مأزق ضنك لم يقمه قبل . ثمَّ استمرَّ على ذلك فازداد مع المراتة عيًّا وجبسة ، ونثر ألفاظه ولم ينسَّقها ، وطمس معانيه ولم يكشفها ، وأقلَّ الابتداع^٤ ، وحذف^٥

١ ب م : أخص .

٢ ط : الأغاني الفاتنة .

٣ ب م : ليخلص .

٤ ب م : الانتزاع .

٥ ط : وحرف .

الحديث ، وأدقّ الكلام ، وأحال النظم لما يسرده ، فشهد مقامه ألا حرّ بالواد^١ ، ولا فارس للأعواد^٢ .

فصل :

وكان فلان غليظ الطبع ، خشن الجانب ، وخيم الخيم ، فدمأ جهم اللقاء ، يعتريه ضجر يخلّ به ، قلماً ينجو الخصم منه من بادرة ، له في ذلك أخبار شائعة . وكان فيما زاد من علته خطأ الطبيب لإصابة المقدار ، فبان عليه أثر خطأ العلاج .

[قال ابن بسّام] : وهذا محلول من قول ابن الرومي^٣ :

والناسُ يلحونَ الطَّيِّبَ وإنَّمَا غَلَطُ الطَّيِّبِ إصابةُ المقدارِ

فصل :

ونُعي إلينا فلان ، وكان فظاً قاسياً ظنيناً جشعاً جباراً مستكبراً قليل الرحمة نزرَ الإسعاف زاهداً في اصطناع المعروف ، أحد^٤ الجبابرة القاسطين على الرعية ، المجترئين على ردّ أحكام الشريعة^٥ وكان مهلكه - زعموا - من طاعونة طلعت عليه ببعض أطرافه ، فتجاسر على قطعها بفرط^٦ جهالته ، فمات معذباً في الدُّنيا ولعذاب الآخرة أشدّ .

١ من المثل : لا حر بوادي عوف .

٢ الأعواد : المناير .

٣ انظر ابن خلكان ٢ : ٣٦١ .

٤ ب م : وكان أحد .

٥ ط : الدين .

٦ ب م : لفرط .

فصل :

ومات فلان الغني^١ العَبَام ، حُجَّةُ الله في الرِّزْقِ وَغِيظُ الأَنَامِ ،
فنهض بريئاً من كل خَلَّةٍ جميلة ، تدلُّ على فضيلة ، إلى عِيٍّ غَالِبٍ [عليه] ؛
وكان أخوه مثله في الأَفْنِ والجهالة^٢ ، وكلاهما ممن استهنت به خَطَّةُ
الوزارة بحملهما اسمها الخطير الأثير ، من غير تعلُّق بفضيلة في حديث ولا
قديم ، ولا معرفة بشيء من التعاليم .

فصل ٣ :

وكان فلان من جَمْعِ الحطام الدُّنْيوي والكَلَفِ بالترقيح ، ما حَدَّثَ
عنه فيه بكل قبيح ، مع انطلاق يده على الأوقاف ، وأكل أموال اليتامى
والضَّعَافِ . أخذ بأوفر حظٍّ من الفلاحة ، وضرب بأعلى سَهْمٍ وأفوز قدح
في التجارة . ثم تجاوزهما ثانياً عنانه إلى الاستعمال والعمارة ؛ فكم زوج
من عوامل البقر مسومة بالاحتراث لسنام الأَرْضِيين ، محمولة على هام
عتاة الجلبابرة ، إلى عدتها من بساتين ودكاكين ، ومنازل مُغَلَّةٍ ، إلى
أعجل جرياً منها وأسرع دوراناً مع الساعات من مناسج الحرير المرتفعة ،
يحوكها في طرزه ، ويرفع له فيها السوق ، فيقبض الرِّبْحُ ، ولا يستكفُ
سُحْنَتِ الظَّلْمَةِ بأفحش القُبْحِ كل القبح . كلُّ هذا من داءِ الفتنَةِ المبيرة ،
ولا يزال مع ذلك مُضَاعَ الجار .

١ ب م : الغني .

٢ ط : والجهل .

٣ لم يرد في ط .

فصل :

ونُعي إلينا فلان ، وكان مع ثروته مُضاع الجار ، مطول الغريم ،
عائِب^١ الصديق ، مكرهاً إلى الأنام ، معضوضاً بأنياب الملام ، مقدماً
في صدور الأمثال ببسطة الرزق ، على ضيق الباع في العلم والفضل ، والاتساع
في الجهل ، فلا يحفظ من الفقه مسألة ، ولا يوثق من الشروط عقداً ،
ولا يتخلّص في التلاوة من سورة ، ولا يفيض في الأدب ببيت شعر ، ثم
يأوي بجهله إلى حَرَج صدر ، وغالب نَزَق ، فلا تلقاه الخصوم أبداً إلاّ سريع
التغضب سيء التناول ، ينازق الذئباب شراسة . سوّلت له نفسه الجهول
أنه قاضٍ لما ناسب الذكّاونة^٢ ، وأول من ظفر من قلائسهم بطويلة ،
فنبذ مسحة الفلاحة ، وأعجبتة نفسه الغراء فخال أنه إمام الأمة المستظهر
على الإمارة ، فارتقى إلى الغي ذرى شاق زلّت منه قدمه ، فهوى في الحضيض
أسرع من رُقيّة . غرّه ابن عمّه الشهير البطالة ، السفية الماجن ، من رجل
دد^٣ ، لم يكن قطّ من الجدد في صدر ولا ورد ، دنّ شراب ، وزير قحاب^٤ ،
دفتره الدّف ، وتسبيحه السُخف ، وأنسه بكأس وقينة ، ودرسه لنميّة
وغيبة ، وقضمه لحوم الغافلين ، ورأيه رأي المستهزئين . إنما أربّه بطنه
وفرجه ، وهمّه عيبته وخرجه ، وبطانته كلُّ بطال ماجن ومأفون عائِب ،
يرضون منه بالكيسرة والعِرق ، جريئين^٥ على تمزيق أهْب الخلق ، يتجسسون

١ ط : عانت .

٢ الذكاونة : أسرة بني ذكوان .

٣ ط : حرد .

٤ ب م : ووثن صحاب .

٥ ب م : جري .

له عن أخبارهم ، ويهدون إليه معايبهم ، بها يعمر مجلسه وينفي ساعات
كسله ، وبنوادرها يهزُّ مزهره ، وترسل النَّعَمَ عليه رياحُ ضلوعه^١ .
فيالك من شقِّ بلا فصل ، وإرهاق من غير هطل ، يقطع دهره بتعميره
الموائد ، وتعطيله المساجد .

فصل ٢ :

ونعي إلينا فلان الدَّغِيل ، غازله السِّلَّ ، كالأفعوان الصِّل ؛ وكان
أحد أعاجيب الدنيا في الفجور والخبث ، والزَّهو والكبر ، والعقوق والجرأة .
وانكدرَ لِأثر مهلك الجبَّارين المذكورين ؛ وكان من أكابر الظَّلمة المترقِّين^٢
من السَّمسرة صدورَ البتنة ، يحوب البلاد ابتغاءَ المعيشة ، ولا يحاشي الترفيح
عن ارتكاب كلِّ قبيح . ولم يكن إلَّا « كَلَا » حتى فتحت له أبواب الرزق
على عاميَّته وأفنه وأمَّيته . وكان إذا كتب مضطراً يُضحكُ مَنْ تأمله ،
له في ذلك نواذر محفوظة أسمى بها من حُجَج الله تعالى في الرزق المقسوم :
لو كانت الارزاق مقسومة على الحجي لم يرزق .

وهذا من قول حبيب^٤ .

١ ب م : ويرسل للتغير (اقرأ : للتغير) عليه ريح ضلوعه .

٢ لم يرد هذا الفصل في ط .

٣ ب م : المرفقين .

٤ يعني قوله :

ولو كانت الأقسام تجزي على الحجي هلكن إذن من جهلن البهائم

فصل :

وفلان أحد من انسدل عليه السّتر في هذه الفتنة المبيرة^١ ، وكان على نباهة اسمه عاطلاً من الفضائل التعاليمية ، إلاّ أنّه كان ذرب اللّسان ، كثير النوادر ، ذا جواب حاضر ، وكان يلقّب بالجنّي ؛ فعاتبه يوماً فتى من قريش المروانيّين بقرطبة فقال له : ما عندك من خبر السّماء ؟ فقال : انقرض سلّطان بني مروان ؛ فأفحمه .

فصل :

وصدّر فلان^٢ مع أصحابه الرّسل ، وقد امتلأت خفائمه ممّا قمّشته من السّحت^٢ ، بضروب الكدية والشّحد ، وبخلّ حتى بالزاد المأدوم في الطريق ، وضمّن به على الرفيق ، وأشرح عليه الجوالقات تأميلاً في توصيله للبيوت في حمارة القيظ حتى زنّخ ، فكان أحرص الوفد - زعموا - على قمش ذلك السحت ، وأغوصهم على استخراجهِ ، وأشرهم إلى التعرّض بطلبهِ ، فلان منهم الولي اللوام العاطل من كل حلية جميلة تدلّ على فضيلة ، فإنه حمّلت عنه في ذلك أخبار ، إلى زيادة مساو فيه غصّت ممن أرسله وصرفه .

قال ابن حيّان : ولولا أن أكون لهم مغتاباً ، ولرّسلٍ نفذوا عن البيضة ثلاثاً ، لشرحتُ من مساوئ أخبار هذا الوفد أكثر ممّا وصفته .

قلت أنا ، صاحب الكتاب : حاشاك أبا مروان من الثّلب والاغتيال .

١ ط : المبيدة .

٢ ط : السخف .

فصل :

وفلان ساذجُ الكتابة ، بَيِّنُ الجهل والتخلف ، طلق اللسان بالحناء والهجر ، أحد الأفسال من أولي النَّبَاهَةِ ، عظيم البطالة والباطل ، ومن كل حلية جميلة عاطل ، من رجل عيَّ اللسان ، مثلوم الجنان ، قدم الحلقة ، طويل اللحية متهافت ، لم يُرهِف الأدبُ طباعه ، ولا استخرج منه كلمة حكمة ^١ .

فصل :

ومن غرائب هذا الدهر الغُفْل في اعتبار تحوّل ^٢ العالم ، والتنويه بمُضاعي ^٣ الأسافل ، أن هلكت أمٌ عجوز لبني كوثر ، فاهتبل بنوها في السعي لها ، وإنذار طبقات الناس لشهود جنازتها بأنفسهم والمشي على أعظم القرية بنعيمها ، فسارعت طبقاتهم لشهود جنازتها ، فجيء بسريرها ، وابنُ جهور الوزير يقدم حضّارها ماشياً على قدميه ، قد اتسّى به كلُّ ذي منزلة رفيعة ، ووقف على جدّها إلى أن ووريت وانقضّ جمعها ، ثمّ ضُرب على قبرها قُبّةٌ عالية تمهيداً للمبيت عليها طول أسبوعها ومدة زيارة قبرها ، حسبما كانت الجبابة تفعله في الأعصر الخالية على قبور الملوك الأعرّة ؛ فقُضي ^٤ العجب بمشاهدة هذه النادرة في امرأة من [نساء] حثالة العامة ، مردّدة في الحمول ، لم يكن قطُّ بينها وبين النباهة من كلا طرفيها نسبة

١ ب م : رحمة .

٢ ط : تحويل .

٣ ب م : بمناعي .

٤ ط : فاهتبل بنوها في المشي على أعظم القرية إلى شهود جنازتها .

٥ ب م : فبقي .

في الدولة القريبة ولا البعيدة ، ولا ظفرت ببعل مئر ولا ذرية نبيهة ؛ عهدي
ببعلها الشيخ مطرف ناجل هؤلاء الصبيان من بنيتها قرني حزقة^١ ، أحد سماسة
البر^١ بقرطبة ، يروح بها يومه الأطول كيش الإزار ، أعظم أفراحه ظفره
بقوت يومه . وكان مع ذلك كثيراً ما ينتاب الخانات على قلته وقماءه حاله ،
فيروح نشوان العشيّات^٢ يمسح الأرض بأسماله . وكان له تقدّم في ضرب
القرقرة ، محكماً لأفانين إيقاعها . فسبحان الكبير المتعال ، ناقل الأحوال ،
مبدّل العسر يسرا .

فصل :

وتوفي فلان ، وما علم بموته لحمله ، وأخنى الدهر على أهل بيته ؛
على أنه كان خالفة^٣ منهم تطبعاً ، عاطلاً من كل خلة تدلّ على فضيلة ،
وله أولاد سُخف قاسموه الجهل شقّ الأبلهة .

فصل :

وتوفي الوزير الحسيب ، أحد أعظم القرية قرطبة^٤ ، فسيء عوام^٥ الناس
بمهلكه^٤ ، لعفاف كان يديه ، وبشر يشيعه ويستعمله ، وينطوي من أمثاله
لأهل^٥ الدنيا على ضده ؛ إذ كان زاهداً في إسداء المعروف ، راغباً عن اتخاذ

١ ب م : أحد السماسرة .

٢ ب م : فيروح العشيّات نشوان .

٣ ط : وتوفي فلان .

٤ ط : لموته .

٥ ب م : لأمثاله من أهل .

الصنعة ، تاركاً للمواساة ، شراً إلى الخطام الدنيوي^١ ، عطلاً من جميع التعاليم المحظية ، لا يجيل في شيء منها قِديحاً ، ولا يقيم لسانه لحناً ؛ وكان قد عضه صرف الزمان المتقلب بأهل بلده فأقعدَهُ إلى الأرض ، واضطره إلى التوكُّل على مسحاته ، مرقحاً معيشته بعمارة بستانه ، إلى أن عطف الدهر عليه بصحبة متوثبي السلاطين^٢ المنتزين على الأقطار وسط الفتنة ، فخاض معهم ، وصار أخصاً من مارسها ، وشاطر السلطان خطة الموارث ، ولزمه العمل على ذلك فسلخها نيئاً على عشرين سنة ، مرى فيها درتها من غير تعقُّب ولا توقُّع عزلة ، إلى أن تولت ذلك منه المنية ، وقد اقتعد الثرى مطية .

فصل :

وتوفي الفقيه النبيه ، السري المغفل ، المجتمع على كمال خصاله ، المتفق على كمال خلالة ، بقرطبة ، أبو القاسم سوار بن أحمد^٣ ، ختام رجال المملكة بها ، وسوار معصمها لدى أيام الزينة ، وكان حليماً وقوراً ركيناً ، مطلق البشر ، حسن المشاركة ، متودداً إلى الناس ، وجيهاً إلى السلطان — على انزوائه عنه ، وقد أراده أمراء التصرف فاستغفاهم ، فخلّوه واختياره ، وكسوه أثواب الوزارة فنضاها ، ولم يعج عليها ولا ارتضاها ، حتى سقط

١ ب م : حطام الدنيا .

٢ ط : متولي الإمارة .

٣ أبو القاسم وأبو سويد ، سوار بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن مطرف بن سوار بن دحون القرطبي (- ٤٤٤) كان من أهل الذكاء والفهم حافظاً للمسائل عارفاً بمقد الشروط ، (الصلة : ٢٢٤) .

عنه اسمُها . وكان على خصاله الجَمَّة من أحفظ الناس لأخبار بلده قرطبة
وسيرَ ملوكها المروانية . وأحصاهم لنواديرهم وآثارهم وعيون أخبارهم ،
بفصاحة لسان . وخلابة منطق . وحسن إيراد ، يصور إليه الأفتدة .

فصل :

مِنْ رَجُلٍ غَبَرَ دهره^١ . عَطُلًا لا ينظر في شيءٍ من التعاليم^٢ ،
إلى أن فتح الله عليه درس هذه المسائل الفقهية : فركض في حلبة الفقهاء
المشاورين . وقُدِّمَ لعلو السن لا لعلو الدرجة . وكان في ذاته كرية الطَّلعة ،
بأذى الهيئة . دَرِنَ الكسوة . هزِيل الدابة ، يمتهن نفسه في خدمة أهله ، مما
يتنزه عنه كثير من العامة . تفتحمه عيون الناس ويحصون نوادره ، وكان
موصوفاً بالنَّهم . على ضؤولة جسمه ، وانهداد قوته ، وملازمة الذَّرب
لمعدته . وطلبه لعلاجها .

فصل :

مِنْ رَجُلٍ^٣ معدنٌ من معادن الجهل والأفَن والغباوة ، وحجة من حجج
الله تعالى في الرزق ، واستظهرَ بما رأى الناس فيه من شدَّةِ وطأة المجاعة
بما شاء من وفور الزاد وكثرة الطعام ونفاسة البر وسعة الثروة^٤ ، فاغتنى على
فرط الزلزلة في المجاعة^٥ بكثرة القوت والطعام أرسى من شعلان وثبير^٦ ، بما

١ ط : دهرًا .

٢ ب م : العلوم .

٣ ط : وفلان .

٤ ط : بما شاء من ادخار القوت والطعام .

٥ ط : الزلزلة والمجاعة .

٦ ط : وشمام .

يفوت التقدير ، وولي المظالم صدرَ اكتهاله أيامَ التخليط الواقع بمنبعث
الفتنة :

ومن المظالم أن ولي ت على المظالم يا فزارة

فصل :

ومضى فلان^١ فأدرج^١ في جنّته غير فقيد ، لم تبك عليه غير نفسه ،
إذ لم يكن لغيره نصيب في خيره ؛ لأنه كان جهم المحيّا ، باسر اللّقاء ،
مُشَنّاً إلى الورى . شكس الجبلّة ، كزّ الحلقة ، سريع الضجر ، شتّ الطبيعة ،
متغمغم المنطق ، لا يكاد يُبين الكلام ، لا طريق للخير من وجه عليه ،
ولا يتأدى بسبب إليه ؛ وكان مع ذلك مصاحباً للظلمة من أمراء الفتنة ،
خواصاً في دولهم المدهمة ، معيناً على مظالمهم الموبقة ، قد رُزق الحظ في
شأنه ، وبُعْدَ الصيت في جودة حوكه لأعماله ، فاكتسب وثري من المال ،
محوطاً بمنيع الجاه ، مغلولاً^١ بوثق من الشح . لا يتسلط عليه حق ولا باطل ،
ولا يمتريه مجتدٍ ولا سائل ، ولا حُظي أحد منه بطائل .

فصل :

وكان حجة الله في القسّم ، ومحنته لذوي الفهم ، إذ كان من الأميّة
والعاميّة وخمول الأصل ، ونذالة الفرع ، ولؤم الأطراف ، ودخلة
الأعراق ، على ثبّج عظيم ، وبمكانٍ مُقعدٍ مقيم ، وعفو الله لا يبعد
عن جاءه بقلب سليم .

١ ب م : واندرج .

فصل :

وانكدرَ بآثر وفاته^١ ابن باشة^٢ المعروف بالأصغر، هدّام القصور، ومبوء المعمور ؛ وكان من التبجُّح في اللؤم ، والالتحاف للشؤم ، مع دناءة الأصل والفرع ، وتنكُّب السداد ، وتقيلُ الفساد ، على تبجٍ عظيم . بيده بادت قصور بني أمية الرفيعة ، ودرست آثارهم البديعة ، وحطَّتْ أعلامهم المنيعة . وصار من البديع أن قدَّمه ابنُ السقاء مدبِّرُ قرطبة وقت النظر في جميع آلات^٣ ما تهدم من القصور المعطَّلة ؛ فاغتنى عليها أعظم آفة ، يبيع أشياء جليلة القدر، رفيعة القيمة، في^٤ طريق الأمانة ، ولم يكُ مأموناً على باقة بقل^٥ ؛ فعاث فيها عياث النار في يَبِيس العرفج ، وباع آلاتها من رفيع المرمر ، ومُثَمَّن العَمَد ، ونضار الخشب ، وخالص النحاس ، وصافي الحديد والرصاص ، بيعَ الإدبار . ولم يزل^٦ ينفق ما غلَّ بمراى ومسمع في أبواب الباطل ، حملت عنه في التبذير نوادر تشهد بأن الدار ليست بدار مثوبة ولا جزاء . وكانت رُسُلُ أملاك الأندلس تأتيه كثيراً في ابتغاء ما لديه من تلك الآلات بالأثمان النفيسة^٧. فيبذلها هو في أنواع الضلالات إلى أن استنفدها على طول المدة ، ثم فقر آخر مدته، واختل واعتلَّ، ووافته منيته

١ ب م : اثر وفاته .

٢ ط : باشة .

٣ ط : لجمع آلات .

٤ ب م : على .

٥ ط : فاقة نعل .

٦ ب م : ولا يزال .

٧ ط : وكانت رسل الأملاك تأتيه لشراء تلك الآلات بأغل الأثمان .

وقد اغتدى مثلاً لمن عرفه وسمع به . وأغِيْظُ من ذلك لأولي الألباب تسليطه^١ على هدم قصور بني أمية المبتناة على أساس العلا ، المسخر فيها أصناف الوري ، المكتملة الاستواء في حِقَب من السنين تترى ، حتى اغتدت بجزيرة الأندلس كإرم ذات العماد لا يخشى على أركانها انهدام ، فلماً أذنَ تعالى بحطِّ أعلامها ، وطمس آثارها ، أتاح لها هذا الأنيسان الضعيف القوى ، القصير المدى ، كإتاحة الجرذ المهين لسدِّ مأرب ذي الأنباء البديعة ، فدكدها حتى عادت كومَ رماد ومصيدَ ضباب ، ولم يُقلع عنها حتى أوقع النار على صخورها^٢ ، وصيرها كلساً لكل مرتاد . فيا لها موعظة لمن بقي على الأرض ممن لحق هذه البقعة السعيدة بدولة أملاكها . فتبارك مُنزِلُ الآيات وممجل النقمات ، ومصرف الدُّولات ، ومبدِّل البقعات .

قال ابن بسام : إلى هذا المكان انتهى ما أخرجته في هذا الفصل من كلام ابن حيان . وكان عندهم^٣ بقرطبة خاتمة المتكلمين وجمهور المحسنين ، على ما تراه ركب من إثم ، واحتقب من ظلم ، وتناول من عرض ، وأطبق من سماء على أرض ، عجباً بافتنانه ، وتعجبياً من بيانه ، وتنبيهاً على مكانه من علو شأنه ومشهور إحسانه . وعجائبه أكثرُ إعلماً ، وأشهر أياماً . وأكثر ما وجدته^٤ من كلام هذا الشيخ الباقعة ، ففي هذا الباب — أعني الذم — أحفى شبابة قلمه ، وخلدَ أوابدَ كلمه . ولو وجدت له في سواه شيئاً أستشهد به على فضله ، وأجعله ذريعة إلى الثناء بنبله ، لكنك له

١ ب م : تسليط الله تعالى له .

٢ ب م : حتى قلع ضخام صخورها وأوقد النار عليها .

٣ قارن بالبيان المغرب ٣ : ٢٣٣ .

٤ ط : وجدت .

أجمع ، وإليه أسرع . وعلى كل حال فقد سلمَ على لسانه أميرُ بلده أكبرُ أهل زمانه ، أبو الحزم ابن جَهْوَر ، وابنه بعده ، فجرى لهما بأيمن طائر ، ولم يعرض لذكرهما^١ إلاّ بخير ، وقد أثبتتُ من ذلك ما دلّ على الإحسان ، ووفى بشرط الديوان .

فصول من كلامه في إيجاز الخبر عن أولية دولة بني جهور

قال ابن حيّان : وفي منتصف ذي الحجة من سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، بعد خلع هشام المعتدّ ومقتل وزيره حكم الحائك ، اجتمع الملا من أهل قرطبة على تقليد أمرهم وتأميرهم للشيخ أبي الحزم^٢ ابن جَهْوَر ، وعدّوا من خصاله ما لم يختلف فيه أحد منهم^٣ ، وأبى من ذلك ، فألحوا عليه ، حتى أسعفهم شارطاً اشترك الشيخين : محمد بن عباس وعبد العزيز بن حسن ابني عمه خاصة من بين الجماعة ، فرأوا مشورتها دون تأمير ، فرضي الناس بذلك ، وخلعوا من دونهم من الرؤساء ، ووجدوا له عقد الرئاسة ، فأعطوا منه قوسَ السياسة باريها ، وولّوا من الجماعة أمينها المأمون عليها ، فاخترع لهم لأوّل وقته نوعاً من التدبير حمّلهم عليه ، فاقرن صلاحهم به ، واقتصر من الجند على أعيانهم ، وسدّ باب البرابر جملة إلاّ من قد صار في البلد من بني يفرن الموثوق بهم ، وأقصى من سواهم من فرق البرابرة من غير إيماء ، فنال منهم الرضى ، وملكهم عما قليل ، وأصبح في ذلك عجباً .

١ ب م : ولم يذكرهما .

٢ ط : على تقديمهم لأبي الحزم .

٣ ط : ما لم يختلفوا فيه .

وأجاد السياسة ، فانسدل به السُّتر على أهل قرطبة مدته ، وحصل كل ما يرتفع من البلد في جميع أوقاته ، بعد إعطاء مُقاتلته فارسهم وراجلهم ، وصير ذلك بأيدي ثقات من أهل الخدمة ، مُشاركاً لهم بضبطه ، فإن فُضِّل شيء تركه بأيديهم مُثَقَّفاً مشهوداً عليه إلى أن يَعِنَّ وجهه تصرفه فيه ^١ ، لا يلتبسُ بشيء منه ولا يدخل داره ، ومتى سئل قال : « ليس لي عطاء ولا منع ، هو للجماعة وأنا أمينهم » ؛ وإذا رابهُ أمرٌ أو عزم على تدبير ، أحضرهم وشاورهم فيسرعون إليه ، فإذا علموا مراده فوضوا إليه بأمرهم ؛ وإذا خوطب بكتاب لا ينظر فيه إلا أن يكون باسم الوزراء . فأعطى السلطان قسطه من النظر ، ولم يخلُ مع ذلك من النظر لنفسه وترقيحه لمعيشته ، حتى تضاعف ثراؤه وصار لا تقع عينه على أغنى منه ، حاط ذلك كلهُ بالبخل الشديد والمنع الخالص ، اللذين لولاهما ما وجد عائبه فيه طعناً ، ولكمل لو أن بشراً يكمل . وكان مع براعته ، ورفعة قدره ، وتشيده لقدمه بحديثه ، من أشد الناس تواضعاً وعفةً وصلاحاً ، وأنقاهم ثوباً ، وأشبههم ظاهراً بباطن ، وأولاً بآخر ، لم يختلف به حال من الفتاء إلى الكهولة ، ولم يُعثر له قط على حال يدل على ريبة ؛ جليس كتاب منذ درج ، ونجى نظر منذ فهم ، مشاهداً للجماعة في مسجده ، خليفة الأئمة متى تحلفوا عنه ، حافظاً لكتاب الله قائماً به في سره وجهره ، متقناً للتلاوة ، متواضعاً في رفعة ، مشاركاً لأهل بلده ، يزور مرضاهم ويشاهد جنازتهم .

وفي فصل :

واستمرَّ ابن جهور في تدبير قرطبة ، فأنجح سعيه بصلاحها ، ولمَّ شعنها

١ ط : وجه تصرفه .

في المدة القريبة وأثمرَ الثمرة الزكية ، ودَبَّ دبيب الشفاء في السقام ، فنعش
منها الرُّفَات ، وألحفها رداءَ الأمن^١ ، ومانع عنها من كان يطلبها من أمراء
البرابرة المتكسِّفين لها، المتوزَّعين أسلابها ، بخفض الجناح والرَّفَق في المعاملة،
حتى حصل على سلمهم ، واستدرار مرافق بلادهم . ودَرَأَ القاسطين عليه
من ملوك الفتنة ، حتى حفظوا حضرته وأوجبوا لها حُرْمَةً^٢ ، بمكابדתه^٣
الشدائد حتى ألانها بضروب احتياله ؛ فرَخَّت الأسعار ، وصاح الرُّخاء
بالناس أن هلمُّوا ، فلبَّوه من كل صقع ، فظهر تزيُّد^٤ الناس بقرطبة
من أوَّل تديره لها حتى ملأوا المساجد والأفنية^٥ ، وسمت
أثمان الدور بها ، والابتناء لخرابها الفاشي ، أخذاً بالهويناء، فاتصل البنيان بها ،
وغلَّت الدُّور ، وحرَّكوا الأسواق، فعجب ذو التحصيل^٦ للذي أوى
إليه في صلاح أحوال الناس من القوَّة ولما تعدَّل^٧ حال ، أو يهلك عدوُّ ،
أو تقوَّ جباية ، وأمر الله تعالى بين الكاف والنون .

وتوفي أبو الحزم ليلة الجمعة السادس من محرَّم سنة خمس وثلاثين
وأربعمائة، فصار الأمر إلى ابنه أبي الوليد محمد بن جهور بن محمد بن جهور
ابن عبيد الله السَّري من آل عبدة، نهاية بيوت الشَّرَف الأثيل بقرطبة ، على
أسِّ الدهر المُغرب شأوهُ في نظم قلادة خمسة ككعوب الرمح أنبوباً

١ ب م : الطمانينة .

٢ ط ب م : مكابדתه .

٣ ب م : تزايد .

٤ بعدها في م ب : وحرَّكوا الأسواق ؛ وسترده بعد قليل .

٥ ط : الناس للتحصيل .

٦ ب م : تعدل .

٧ ط : وولي ابنه أبو ؛ وقارن بالبيان المغرب ٣ : ٢٣٤ .

على أنبوب ، هم ما هم ، تناقلوا الوزارة والكتابة ما بينه وبين خامسهم عبيد الله ذي المنقبة الزائدة ، خوَّهم الله الرياسة على تعاقب الأزمان واختلاف الأعصار ، ولم تنقلها الفتنة إلى أن ورثها تربُّها هذا الوالي الفاضل أبو الوليد ، ولما يعرف البؤس يوماً ، فأعانه ذلك على الحَسَب والمروءة ، وأقرَّ أبو الوليد لأول ولايته^١ الحكام ، وأولي المراتب على حسب ما كانوا عليه أيام أبيه .

قال ابن حيان : وكنتُ ممن جادته سماءُ الرئيس الفاضل أبي الوليد الثرة ، وكرم في فعله ابتداءً من غير مسألة ، فأقحمتني في زمرة العصابة المبرزة الحصل ، مع كلال الحدِّ وضعف الآلة ؛ واهتدي لمكان خلعتي وقد ارتشف الدهرُ بلالتي ، بأن قلدني [إملاء] الذِّكر في ديوان السلطان المطابق لصناعتي ، اللاتق بتحرفي ، براتب واسع ، لولا ما أخذ عليَّ كتتم ما أسداه لجهدتُ في وصفه ، وإلى الله تعالى أفرع في إجمال المكافأة عني برحمته .

ثمَّ اقتفى أبو الوليد آثار أبيه أبي الحزم في السياسة من درء^٢ الحدود ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، والتأوَّل في تعطيل الإقادة بالحديد-البتَّة ، لعدم الإمام المجتمع عليه في الوقت ، والتربُّص لإدبار الفتنة ؛ فأصبح من العَجَب^٣ العُجاب تنكافُ النَّاس في الأعمِّ عن^٤ التَّظالم والتَّسافك ، بخلاف ما كانوا عليه تحت الضَّبط الشديد ، وتجاوز الحدود ، بأيدي جبابرة أصحاب الشرطة أيامَ الجماعةِ ، فلا يكاد يُسمع لشرارهم من معهود ذلك إلَّا النادرةُ الفذَّة . وبرَّز أيضاً أبو الوليد في فكِّ العُقَل السلطانية ، وأنفَذَ الحكمَ

١ ط : وأقر لوقته .

٢ ب م : السياسة في درء .

٣ ب م : في العجب .

٤ ط : من .

في المظالم الديوانية ، وعقار الغيب عن قرطبة التي أجلتها الفتنة الغماء ،
أشياء عظيمة القدر توقّف والده عنها ، فأطلقها وردّها على أربابها ، وشمل
العالم الدّعة .

وأما عترة الأشراف الأموية ، فتقلّب بهم الزمان ، وغيّر أحوالهم
الحدثان . وكان بقرطبة منهم طائفة غامضة الشّخص ، باذة الهيئة ، عارمة
الأدب والمروءة ، متطبّعة بأخلاق العوام الغفل^١ ، أكثرهم من ولّد النّاصر ،
مُعصّو صين ببيع سبب لهم من أبناء أمرائهم في الفتنة يدعى ابن المرتضى ،
أبوه كان صاحب البيعة بالشّعر يومى إليه بالأصابع ؛ فخالطه من ذلك على
سُكر الشّباب وخيلاء الشرب والأفن والغباوة عجبٌ وخطرسة ، عقّد
ناصيته بالثّرياً ، فاصبح من طماح همّته في جهّد^٢ ، يراقب الناس منه
فتنة عمياء^٣ ، ويمشي في الناس مختالاً ، أصعّر الحدّ ، أشوّس اللحظ ،
جميل الرّوءاء والشّارة ، عالي القلنسوة^٤ ، تلحظه العيون ، وكان له بقايا
من شبيع المروانية ؛ فبلغ ابن جهور عنه ما بعثه على إزعاجه من قرطبة^٥ ،
فاستقرّ بشرقيّ الأندلس حيث اضطرب أبوه المرتضى ، فبطّل الإرجاف بعده .

قال ابن حيّان^٦ : وفي سنة ست وخمسين وأربعمائة كثر خوض أهل

١ ط : قد تطبّعوا بأخلاق العوام .

٢ ب م : في بلية .

٣ ط : عجباء .

٤ ب م : القلنساة .

٥ ب م : إخراجهم من البلد .

٦ قارن بالبيان المغرب ٣ : ٢٥٥ .

قرطبة في الذي رأوه من تنافس ولدي أبي الوليد محمد بن جهور في الانتصاب^١ لخلافته: عبد الرحمن كبير جماعتهم، وأخيه عبد الملك أشههم فؤاداً وأصلبهم عوداً، الذي كشف عن وجوههم غُمة مَرَكِسهم ابن السقاء، كافر نعمتهم، فاستدرك لهم ما كان تولّى من سلطانهم، لفتكته به التي أثبتت أوتاد مَلِكهم، ثم شدّ يده بِطَلَب حقه من ذلك، ونازع أخاه كبيرة عبد الرحمن ما ذهب إليه من التفرد به؛ وقد كان أشار على أبيهما بعض حلفائه^٢ من رؤساء الأندلس بإيثار عبد الرحمن منهما، فتمسك الشَّيْخُ بحظه من إرضاء ولده الصغير عبد الملك، فمال إلى قسمة الرياسة بينهما حياته، غير ناصب لأحدهما للأمر، يقضي الله به لمن يشاء بعده، صنع والده فيه؛ فمتّع نفسه بهواها في صغير ولده، وأنشد قول ابن الجزي^٣:

وإذا الفتي فَقَدَ الشَّبابَ سما له حُبُّ البنين ولا كحُبُّ الأصغر

فارتع ولديه هذين في دنياه، وبسط أيديهما في سلطانه، فطفقا يستميل كل منهما طائفة من الجند، ويصطنع من الرعية فرقة، ويفتلذ من عقيدة الملك فلذة، فأصبح الأمر مختلطاً، والأرباب متفرقين، والمخاوف تطلع من كل ثنية، والهوادي تؤذن بالأعجاز، والله كل يوم في شأن. ثم خاف عليهما، فجعل إلى أكبرهما عبد الرحمن النظر في أمر الجباية، والإشراف على أهل الخدمة ومشاهدتهم في مكان مجتمعهم، والتوقيع في

١ ب م والبيان : الانتصاب .

٢ في النسخ : خلفائه .

٣ يعني عبد الملك بن ادريس الجزي ، والبيت من قصيدة له في الآداب والسنة ، كتب بها إلى بنيه (الجذوة : ٢٦٢ واعتاب الكتاب : ١٩٤) .

٤ ط : فطفق .

الصُّكُوكِ السلطانية المتضمنة للحل^١ والعقد ، والاطرّاح والضمّ ، وجميع أبواب النفقات . أُلْجَأَ كُلٌّ ذَلِكَ إِلَى خْتَمِهِ^٢ ، وَأَمْضَاهُ تَحْتَ حُكْمِهِ . وَجَعَلَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ النَّظَرَ فِي الْخُنْدِ ، وَالتَّوَلَّى لِعَرْضِهِمْ ، وَالْإِشْرَافَ عَلَى أُعْطِيَتِهِمْ ، وَالرُّكُوبَ فِيهِمْ لِدَى الرَّوْعِ ، وَتَجْرِيدَهُمْ فِي الْبَعُوثِ ، وَالتَّقْوِيَةَ لِأَوْدِهِمْ ، وَجَمِيعَ مَا يُخَصُّهُمْ ؛ فَرَضِيَا مِنْهُ بِهَذَا التَّقْسِيمِ ، وَأَقَامَهُمَا بِهِ عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .

قال ابن بسّام: إلى هذا الموضع انتهى ما وجدته^٣ من أخبار الدولة الجمهوريّة من كتاب^٤ ابن حيّان وقت تجرّدي للفراغ من تميم^٥ هذا الديوان ، واستعجلت لإخراج هذه النسخة المقرّرة منه ، وأعياني تتبّعه لآثارهم ، وشرّد عليّ وجود لفظه ونظمه^٥ لبقية أخبارهم ، ولم أجد بداً من نظامها ، لتجيء أخبارهم بتدماها^٦ : فرقت الضحى بالغلس ، وجمعت بين حافر العير وجبهة الفرس . على تفاهة علمي ، وغبّ نوب أنستني اسمي ، وجرت مجرى الروح في جسمي :

كان عبّاد^٧ قد خامر صدره من شأن ابن السقاء مدبّر دولة بني جمهور ما لا يسعه بّوح ولا كتم ، ولا يردعه سفه ولا حلم ، شرّفاً بحسن سيرته ،

١ ط : خطه .

٢ ب م : ما لخصته .

٣ ب م : من كلام .

٤ ب م : من إملاء .

٥ ب م : وشرّد علي نظامه .

٦ ب م : ليحيى خبرهم بتدماها .

٧ قارن بالبيان المغرب ٣ : ٢٥٦ .

وفرقاً من استمرار مريرته ، وحسداً لآل جهور في من حَسَمَ عنهم الأطماع ،
وجمَعَ دولتهم الشعاع . فقد كان ابن السقاء هذا من الاستقلال بمكانه ،
والضبط لسلطانه ، والاستيلاء على ميدانه ، بحيث يُخيف الأنداد ، ويغيظ
الأعداء والحساد . فدسَّ عبّاد إلى عبد الملك بن جهور من جسّره على
الفتك ، وإلى ابن السقاء من ألقى في رُوعه حُبَّ الملك ، وكلاهما راش
وبرّى ، حتى جرى القدرُ بينهما بما جرى . وسيأتي الخبر عنهما مشروح
الأسباب ، في القسم الرابع من هذا الكتاب .

وخلا لعبد الملك الجوّ بعد ابن السقاء ؛ فأعرضَ وأطال ، وطلب الطعن
وحده والنزال^١ : وأعجبه شأنه وازدهاه ، وأمره شيطانه ونهاه ؛ ووجد
عبّاد السبيل إلى شيء طالما كان شرّداً كراه ، ونغصّ عليه كثيراً من لذّة
دنياه : من افتقار بني جهور إلى نصره ، وتصرفهم بين نهيه وأمره . وانقبض
عن عبد الملك لأوّل استبداده بالأمر حُماتُه الذين كان ابن السقاء يرفعهم
برفعه^٢ ، ويصطنعهم بمحقّه^٣ ، ويوردهم ماءَ سماحته وبذله ، ويلحفهم
ظلّتي تواضعه وعدله . وقد خامر نفسَ يحيى بن ذي النون من الشّغف
بقرطبة ما هوّن عليه إنفاقَ المال ، واحتمال الأثقال ، وتكليف الحلّ
والترحال ؛ فهي مضمار خيله ، ومدرّج سبله ، وحديث نفسه ، وهمّ
يومه وأمسه . وخلت السنون ، وغالت عبّاداً المنون ؛ وصار الأمر إلى
ابنه المعتمد سنة إحدى وستين [حسبما يُذكر في القسم الثاني من هذا

١ من قول المتنبي :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

٢ البيان : يرفعهم برفقه ؛ وهو أصوب .

٣ ط : بخرقه .

المجموع ، إن شاء الله] .

فلما كان سنة اثنتين بعدها ، دلف ابنُ ذي النون إلى قرطبة ، وكان لا يُغِبُّها شرُّه ، ولا ينام عنها مكره ؛ وقد احتاج عبد الملك بن جهور إلى استمداد من المعتمد لانقضاء مَن لديه ، وعجزه عما كان أسند من تدبير^١ قرطبة إليه ، فأمدّه المعتمد بجمهور أجناده ، على أكابر قوَّاده ، وقد تقدّم إليهم بمراده ، ونهَج إليهم^٢ سبيل إصداره وإيراده ؛ فوافوا قرطبة ، ونزلوا بربضها الشرقي^٣ ، وأقاموا بها أياماً يحمون حماها ، وأعينهم تزدحم عليه ، ويدبُّون عن جناها ، وأفواههم تتحلَّب إليه . فلما سُم ابن ذي النون سفره واجتواه ، وقضى من غزو قرطبة وطَّره وما قضاه ، أخذ في الرحيل عنها ، فما انقشعت سُدفَة ليله ، ولا تمزَّق غبار سنابك خيله ، حتى هتك العبَّاديون الحريم ، وركبوا الأمر العظيم ؛ باتوا متحدثين بالقول ، ثم غلَّسوا مظهرين للرحيل ؛ وعبد الملك متأهَّب لتشييعهم ، عازم على البكور إلى توديعهم ، وشكرهم على حُسن صنيعهم ؛ فلم يرعه إلاَّ لاحداقهم بقصره ، وارتفاع أصواتهم بالبراءة من أمره ، وإصمات الأفواه عن ذِكْره ؛ وقد تمخَّضت له ليلته بيوم عقيم ، وافترَّ له ناجذ صبحها عن ليل بهيم ، ومشى من أنصاره هنالك بين أسد شتيم ، وأسود مسموم : ومَن يجعل الضَّرغام للصَّيد بازَه تَصَيِّدَه الضَّرغام في من تصيِّدا^٤

١ ب م : أمر .

٢ ط : لهم .

٣ ب م : بربض الجانب الشرقي منها .

٤ ب م : عن .

٥ البيان : عن يوم .

٦ البيت للمتنبي ، ديوانه : ٣٦٠ .

وقُبِضَ للحين عليه وعلى إخوته ، وسائر أهل بيته وأسرته . وبالغوا لوقتهم في انتهاك حرمة ، وإزالة نعمة ، وإخفار ذممه . وأخرج الشيخ اليَسن أبو الوليد - بقيةُ أشرف الأندلس كان في وقته - مفلوجَ الشَّدَق ، مائلَ الشَّقِّ ، مغلوبَ الباطل والحق ، لم تُحفظ له حرمة ، ولا رعيَ فيه إلَّا ولا ذِمة .

بلغني أنه لما وسِطَ به قنطرة^١ قرطبة خارجاً منها على مركب هجين ، وحالُه تُقرُّ عيون الحاسدين ، رفع يديه إلى السماء ، وأخذ يبتهل في الدعاء ، وكان مما حُفِظَ عنه قوله : اللهمَّ كما أجبتَ الدعاءَ علينا فأجبه لنا ؛ فمات بعد أربعين يوماً من نكبتِه بجزيرة شلطيّش مُزالَ النعمة ، [مُذال الحرمة] ، فتعالى المنفرد بالبقاء ، جبار الأرض والسماء . وأقرَّت ساقَتُه بها ، فأقاموا هنالك أكثر أيام المعتمد ، يأخذهم الحدّاثان ويدعهم^٢ ، ويخفّضهم الزمان أكثر مما يرفعهم .

فصل له في ذكر رحيل ابن ذي النون عن قرطبة يقول فيه :^٣

لما نزل ابن ذي النون بسبيله ، فكشف الله همّه عن أهل قرطبة ، أبدوا الشّمات به ، وقضوا بالإدبار عليه ، وتنقّصوا حجاه ، واستفالوا رأيه ، وأضافوا سُوءَ محلّه إلى حُظوة جدّه ، من غير استعانة منه بغريزة لبّ ، أو مادّة معرفة ، أو اكتساب تجربة ، إذ جمع الجيش ذا الألوف المختلفة الألسنة ، التّاهك الكُلفة ، فجرّه على بُعد الشُّقّة إلى قِرْن غُفْل غبيّ ،

١ ب م : توسط قنطرة .

٢ ب م : ويضمهم .

٣ لم يرد هذا الفصل في ط .

منخلع من صالح الخصال ، مُتَرَدِّ في هوة السفال ، لا يُتَحَرَّزُ منه^١ في حال من الأحوال ، راکب للغيّ ، مستميت على الإمارة ، مُطَّرِح للنظر في العاقبة ، شَتَّيت الشَّمْل ، قليل الوفر ، نزر العدَد ، < من > حال^٢ البلد < و > حاضِرِ أهله^٣ ، إلى مَنْ فارقوا من جاليهم ، قد وقَدَهُ ورجاله ورعيته طولُ ما صحبوا الغلاء وحالفوا المجاعة ، يكاد يأسه يستولي على طمعه فيدفعه بالتوطي عن الكريمة ، والتحكيم على متقلد خُطَّة البغي في سوءِ العاقبة ، قد مثَّل منتصباً لخطته ، لابساً فؤاد القاسي فوق درعه ، يُكَاثِر بحور الحصى من فرط جهله ، قد جمعَ محاشه عند شمرته لحربه ، فما إن تتامَّت عِدَّتُهُم مائتي فارس ، أكثرهم مسوقون^٤ حاقدون معوقون^٥ مستقصرون ، يشترى لهم القوت من السوق ، مضيقاً على رعيته ، ويزدلف بهم في غد أيامهم ، ويعدهم ثواب عاجل الطَّعْن نسيئةً على مستأخِر النَّصر ؛ قد علِم ذلك من اختلال أحواله عدوُّه المتظاهرةُ قواه وعدَدُهُ ، فنزل بساحته نزول النّظير له ، المتكافئ العدَّة ، متسنماً هضاب جبل البلد المسامطة لباب المدينة الجوفي ، مهتضباً وأحبُّشَه اللُّهَام ، بلنزاله إياهم ساترات تلك الأهضام ، كالمثقدِّم بالاستظهار على مرهوب بيات الليل ومُغافَصَة النهار ، قد اقتصر من اللُّصوق بأهل البلد والموالاة لقتالهم على قَفْصٍ^٥ يده لزروعهم ؛ أطل بذلك حصار قرطبة ، وأعداؤه يعجبون من طول كَنَفِهِ لها ، ويرونه لا محالة محروم المصال ، مع ما يُزجى مِنْ كَتائب لو قادها

١ ب م : لا يتحرا (ي) منه .

٢ قبل « حال » بياض بمقدار كلمة في ب ، وفي ب م : حاصر أهله .

٣ لعل الصواب « مسوقون » .

٤ معوقون : شبههم بالمنافقين الذين كانوا يعوقون الناس عن الخروج .

٥ القفص : الجمع ؛ وفي النسخ : قبض .

غشومٌ مسلَّطٌ يوفيهما حقَّ إقدامها على مَنْ قادها إليه ، لما قاومه نظيرٌ من أملاك أفنقه ، إذ يقود عِدَّةَ دارعين ما بين أجناده وأمداده، ذوي السنة شتى ، وبطارق أعزَّة تُعرب عنهم التراجمة ؛ لكنَّه سلطان الله يُؤتبه من يشاء ، وينزعه ممَّن يشاء . وما أحسنَ ما تمثَّلَ به معاوية عندما أفاده جدُّه بخطوة الخلافة دون عليّ رضي الله عنه الذي نازعه إياها، على بون ما بينهما ، إذ قال وقد جرى ذِكر علي رضي الله عنه وخيبة سعيه :

لئن كان أدلى خاطباً فتعذَّرتْ عليه وكانت رائداً فتخَطَّتِ
فما تركته رغبةً عن جَنابهِ ولكنَّها <كانت> لآخرَ خُطَّتِ

فليت شعري ما الذي يقوله مُهنِّيُّ ابن ذي النون بقفوله إلى حضرته ، ويصوغه بمتدحه في تمجيده ، مع ضيق تولُّجهما عن معذرةٍ ينحلانها له ، واعتياص احتيالهما في تخليصه من قبيح ما ركبهُ ؟ إنَّ وجوه التَّكذُّب لتُخجل دون مقابله ، والله تعالى شهيد عليه ، كفيل بجزائه .

فلمَّا تولَّى ابن ذي النون وقَفَلَ لطِيبته ، أصبح فؤاد سلطان قرطبة الرابض إلى جنبه فارغاً من همِّه ، مسترجحاً لرأيه ، حامداً لحدِّه ، واثقاً بدوام مُلكه ، يَرى أنَّ قد فاز بحظِّه ، بإيقاد نار الفتنة بين ابن ذي النون وابن عباد قِرنِه ، وأنَّه مخيَّر في التشبُّث بها ، والانفصال عنها ، متى شاء وكيف ارتأى . فاشتدَّ جدُّلُه ، واسترخى لبيُّه ، وارتاح إلى منصرف مَنْ عنده من رَجُل ابن عباد الثقال عليه ، كيما يخلو بشأنه . فجعل يَدَسُّ إليهم مَنْ يعرِّض ، ويقطع تعهُّدهم ، وهم يُروونه الحرصَ على الانطلاق عنه ، والاستبطاء لإذن أميرهم لهم وقد كاتبوه ، يأخذون في التأهُّب لمسيرهم ، ويعدون مَنْ ذهب إلى السفر معهم بوشك رحيلهم ، وسُرَى القين أولى بهم . وقد سرى بين قوَّادهم وكبار مَنْ جاورهم من أهل البلد

من التدبير معهم ، في أخذهم لسلطانهم البيعة التي تُريهم أموراً غابت عنه ، أذهله عن التجسُّس عليها أنهماكه في لذَّاته ، ومقارفته لمدامه ، إلى أن انتهت مدتها . فثارت الجماعة بعد مسير ابن ذي النون عنه بسبعة أيام سواء ، وكان من خلعه وزوال أمره ما نذكره بعد هذا إن أعاننا الله .

قال ابن بسَّام : فصَحَّ عندي أنه وَصَفَ كيفية خلعهم وإخراجهم من قرطبة في جزء كبير سمَّاه « البطشة الكبرى » في مجلِّد كبير لم يقع إلَيَّ وقت هذا التحرير .

فصل ١ في ذكر الفقيه القاضي أبي الوليد المعروف بابن الفرضي ٢

شاعر مُقِلّ ، هو في العلماء أَدْخَلَ منه في الشعراء ، ولكنَّه حَسَنَ النِّظَام ، مقترن الكلام ، رحلَ ورحلَ إليه ، وأخذَ وأُخِذَ عنه .

أخبرني الفقيه أبو بكر ابن الفقيه الوزير أبي محمد ابن العربي عن الفقيه أبي عبد الله الحُمَيْدي قال : حدَّثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم

١ لم يرد هذا الفصل إلا في ب م .

٢ أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الحافظ المعروف بابن الفرضي : هو صاحب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس الذي ذيل عليه ابن بشكوال بكتاب الصلة . وله من المؤلفات أيضاً أخبار شعراء الأندلس ، وكتاب في المؤتلف والمختلف ، وكان فقيهاً عالماً في جميع فنون الحديث ، قتل في الفتنة لست خلون من شوال سنة ٤٠٣ (انظر الصلة : ٢٤٦ - ٢٥٠ والجنوة : ٢٣٧) (والبغية رقم : ٨٨٨) والمغرب ١ : ١٠٣ والمطمح : ٥٧ والمطرب : ١٣٢ ووفيات الأعيان ٣ : ١٠٥ والديباج المذهب : ١٤٣ وتذكرة الحفاظ : ١٠٧٦ والشذرات ٣ : ١٦٨ والنفع ٢ : ١٢٩) .

قال : أخبرني القاضي أبو الوليد ابن الفرضي قال ^١ : تعلّقت بأستار الكعبة وسألت الله الشهادة ، ثمّ انحرفت وفكّرت في هول القتل ^٢ فندمت ، وهممت أن أرجع فأستقبل الله ذلك فاستحييت . فمات مقتولاً رحمه الله في الفتنة أيام دخول البرابرة قرطبة سنة أربعمائة . قال أبو محمد/ ابن حزم : أخبرني من رآه بين القتل يومئذ وهو في آخر رمق يقول : « لا يُكَلِّم أحدٌ في سبيل الله - والله أعلم بمن يُكَلِّم في سبيله - إلاّ جاء يوم القيامة وجرحه يتعب دماً ، اللّون لون الدّم والريح ريح المسك » . كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك ، ثمّ قضى نحبه هنالك . وهذا الحديث في الصحيح ، أخرجه مُسلم بن الحجاج مسنداً عن النبي صلى الله عليه ^٣ .

وأخبرني الفقيه المذكور عن الحميدي قال : أنشدني الفقيه أبو عمر ابن عبد البر ، قال : أنشدني أبو الوليد [ابن] الفرضي شِعْرَهُ في طريقه إلى المشرق في طلب العلم ، وكان كتب بها إلى أهله ، حيث يقول ^٤ :

مَضَتْ لي شهور منذ غيبت ثلاثة^٥ وما خِلْتُني أبقي إذا غيبتُ شهراً
وما لي حياة بعدكم أستلذّها وأوكان < هذا > لم أكن بعده حرّاً
سأستعبب الدهر المُفَرِّق بيننا وهل نأفعي أن صرت أستعيب الدهراً
أعلّل نفسي بالمتى في لقائكم وأستسهل البرّ الذي جُبنت والبحراً
ويؤنسني طيُّ المراحل بعدكم أروح على أرضٍ وأغدو على أخرى

١ الجذوة : ٢٣٨ .

٢ ب م : في هذا القيل ، والتصويب عن الجذوة .

٣ صحيح مسلم : ٢ : ٩٦ ، باختلاف يسير .

٤ وردت في الصلة والجذوة والبنية والمغرب والنفع .

٥ في المصادر : لم أكن في الهوى .

وثالهما فارقتكم عن قلى <لكم> ولكنها الأقدار تجري كما تجري
رعتكم من الرحمن عين بصيرة ولا كشفت أيدي الردى عنكم ستر

والبيت الأول من هذا ينظر إلى قول أبي عبد الله ابن شرف القروي :

فارقتهم لا لِمَلالٍ ولا قِلَى ولكن للخطوب الكبار
ستة أعوام وما كان لي في فرقة الأيام عنهم قرار

وقال أبو مروان ابن شَمَّاخ^١ :

صبرت والبعد أحوال وذا عجب ولم أكن صابراً والبعد أميال

وقال الحميدي^٢ : وأنشدني أيضاً الفقيه أبو عمر ابن عبد البر :

إن الذي أصبحت طوعَ يمينه إن لم يكن قمرأ فليس بدونه
ذلّي له في الحب من سلطانهِ وسقامُ جِسمي من سقام جُفونه

وبالسند المذكور عن أبي عمر بن عبد البر قال : أخبرني أبو الوليد ابن الفرضي
بتاريخه في العلماء والرواة للعلم بالأندلس .

١ سترد ترجمته في هذا القسم من الذخيرة ، ويرد البيت نفسه في ترجمته .

٢ الجذوة : ٢٣٩ وانظر البيتين في المصادر المذكورة .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر ابن اللمائي^١ والثبات جملة من نظمته ونثره^٢

وكان أبو جعفر هذا [وقته] أحدَ أئمةِ الكتّاب ، وشُهْبِ الآداب ،
مَنْ سَخَّرَتْ له فنون البيان ، تسخيرَ الجنِّ لسليمان ، وتصرَّف في محاسن^٣
الكلام ، تصرَّف الرياح بالغمام . طَلَعَ من ثنياه ، واقتعد مطاياها ، وله
إنشاءات سريّة ، في الدولة الحمُوديّة ، إذ كان علَمَ أدبائها ، والمُضطلع
بأعبائها ، إلّا أنّي لم أجِد عند تحريري هذه النسخة من كلامه إلّا بعض
فصول له من منشور ، [هي ثِمادٌ من بحُور] ، وقد أخرجت من براعته
ما يشهد له بالفضل في صناعته ، والتقدم على أكثر جماعته .

١ اسمه أحمد بن أيوب ، عمل كاتباً لدى الناصر لدين الله علي بن حمود ، وتولى تدبير
ملكه ، وأحرز لذلك صيتاً شهيراً وجلالة عظيمة ؛ وعرض له داء النسمة (ضيق النفس)
وتمادت علته ولم ينجح شيء في علاجها ، ثم لم تفارقه حتّى كانت سبب وفاته عام ٤٦٥
بمالقة ، ونقل منها إلى حصن الورد فدفن فيه بمعهده منه بذلك ، وكتبت على قبره أبيات
من نظمته ، وحصن الورد عند حصن منت ميور (الذيل والتكملة ١ : ٧٣ - ٧٥ والاحاطة
١ : ٢٤٠ - ٢٤٣ نقلا عن الذيل والذخيرة ؛ وانظر المطمح : ٢٥) (وعنه النفع ٣ : ٥٤٧)
والجفوة : ٣٧٠ (والبغية رقم : ١٥٢٠) والمغرب ١ : ٤٤٦ . وقد ذكر في ترجمة
ابن شهيد فيما تقدم من الجزء الأول أنه رثى اللمائي عندما جاءه نعيه ؛ ولا بد أن يكون
شخصاً آخر ، أو أن يكون النعي كاذباً ، لأن ابن شهيد توفي سنة ٤٢٦ .

٢ ب م : وإيراد جملة مما وجدته من نثره .

٣ ب م : بمحاسن .

فصل له من رقعة خاطب بها أبا جعفر ابن عباس^١ :

غُصْنُ ذِكْرِكَ عِنْدِي نَاضِرٌ ، وَرَوْضُ شُكْرِكَ لَدَيَّ عَاطِرٌ ، وَرِيحُ
إِخْلَاصِي لَكَ صَبِيًّا ، وَزَمَنُ آمَالِي فِيكَ صَبِيًّا ؛ فَأَنَا شَارِبُ مَاءِ إِخْلَاطِكَ ،
مَتَفِيئٌ بِظِلَالِ^٢ وَفَائِكَ ، جَانِ مِنْكَ ثَمَرِ قَرْعِ طَابَ أَكْلُهُ ، وَأَجْنَانِي
الْبَرِّ قَدِيمًا أَصْلُهُ ، وَسَقَاتِي إِكْرَامًا بَرْقُهُ ، وَرَوَّانِي إِفْضَالًا وَدَقُّهُ ؛ وَأَنْتَ
الطَّالِعُ فِي فَجَاجِهِ ، السَّالِكُ لِمُنْهَاجِهِ : سَهْمٌ فِي كُنَانَةِ الْفَضْلِ صَائِبٌ ،
وَكَوْكَبٌ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ ثَاقِبٌ ، إِنْ أَتْبَعْتَ^٣ الْأَعْدَاءَ نَوْرَهُ أَحْرَقَ ، وَإِنْ
رَمَيْتَهُمْ بِهِ أَصَابَ الْحَدَقَ ؛ وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَلِسَانِي يَقْصُرُ عَنْ جَمِيلِ أَسْرِهِ ،
وَوَصْفِ وَدِّ أَضْمَرِهِ ، « وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ » .

وَمَوْصَلُ كِتَابِي هَذَا اخْتَلَّ مَا عَهْدَهُ مِنْ أَمْرِهِ ، وَطَغَى عَلَيْهِ بِحَرِّ دَهْرِهِ ،
فَإِنْ سَبَّحَ غَرَقَ ، وَإِنْ شَرِبَ شَرِقَ ، وَلَهُ أَصْلٌ يُوصلُهُ إِلَى اسْتِقْلَالِ بَكَ ، > فَإِنْ
مَدَدْتَ يَدَ اعْتِنَاءِ نَجِيَّتِهِ ، وَإِنْ لَحَظْتَ بَعِينَ احْتِفَاءِ أَحْيِيَّتِهِ <^٤ .

وله من أخرى يعزّيه في أبيه :

إِنْ لَمْ أَجِدِ التَّائِينَ ، فَأَجِدُ الْبِكَاءَ وَالْحَنِينَ ؛ وَإِنْ لَمْ أَحْسِنِ التَّمَلُّقَ
وَالْإِطْرَاءَ ، فَأَحْسِنُ الْإِخْلَاصَ^٥ وَالِدُعَاءَ . وَاتَّصَلَ بِي مَوْتُ الْوَزِيرِ أَبِيكَ —

١ سترجم له ابن بسام في هذا القسم من الذخيرة ؛ وهذه الرسالة وردت في المطبع : ٢٥ .

٢ ب م : ظل .

٣ المطبع : ابتغت .

٤ زيادة عن المطبع .

٥ ط : الخلوص .

لَقَّاهُ اللهُ غفرانه - وكونك بفضل الله مكانه، فَرَوَّعَ جَنَانَ الصَّبْرِ، وأخرس
لسان الشكر : بدرٌ أَقْلَ ، وهلالٌ اسْتَقْلَلَ . أُعْزِيكَ وَأُسَلِّيكَ ^١ . قَدَرُ
مصائبك قَدَرُ ثوابك . صبراً جميلاً عليه لتؤجَّرَ ، وفعلاً حميداً بعده
لِتُدَكَّرَ . أصاب الغُرَّةَ ^٢ فأصب ، وأتعبَ أهلَ زمانه فأتعبَ . أقول
مُحَقِّقاً ، وستشهد لي مصدِّقاً : أولاني من البرِّ ما لا أدفعه ، وألبسني من
الإكرام ما لا أخلعه :

ستسفعُ عيني عليه دَمَماً إذا ما العيونُ سفَحْنَ الدُّمُوعا
فقد كان غُصْني به ناعماً وروضي أنيقاً ودهري ربيعاً

وله من أخرى إلى القاضي ابن عباد :

روض العلم - أيدك الله - في فنائك مُونِق ، وغصنُ الأدب بمائك
مُورِق ، وقد لفظَ بحرُ العلم دُرَرَه ، وأطلعَ رَوْضُ المجد زَهْرَه ، فأهدى
ذلك مع المُنشد أبي محمد نَفِيسَ أجناسه ، وبعث هذا نَسِيمَ ^٣ أنفاسه ،
فهو لؤلؤُ أدب ، ونوَّارُ طَرَب ، يَسْقِيكَ جَنَانُهُ عُقَارَ اعتقاده ، في
كَأْس وداده ، وَيُغْنِيكَ لِسَانُهُ أشعار حمده، في مثاني قصده؛ مُشيراً إلى
ثَمَر مَعَانٍ من بدائعه لا تُجَنِّى ، فوق شَجَرِ بيانٍ مِنْ غرائبه لا تُرْتَفَى ،
فإذا لاحظها الفِكرُ أنس ، وإذا رامها أيس ^٤ . ولم يسرِ إلَّا ليحمد سُراه ،

١ ب م : فأسليك .

٢ ب م : العزة .

٣ ب م : بنسيم .

٤ ط : ينجى .

٥ ب م : ينس .

ولا قصد إلاَّ ليلِغ مُناه ، ولم يُنادِ بِحمدك إلاَّ لتُجيبه ، ولم يرمِ بك دهره
إلاَّ ليصيبه ^١ ؛ فأَطرَّ رجاءَه بعضُ ^٢ طَلَّك ، ووَسَدَ جوازته أبردَي
ظَلَّك ^٣ ، فما ماؤك بوشل ، ولا وردُك بنهَل ، وفيه أجر ، ولديه شكر .

وله من أخرى :

وردني لك كتاب كريم بَنَتِ البلاغةُ سماءَ بيانه ، وجادت أرضُ
إحسانه ، فنورُ شمسِه يُشرق في ليلِ نِقسه ، وكوكبُ نَوَّاره يأتلق في اسطاره ،
فأصبحتُ تحتالُ بِحُلَّتِكَ ، وتبسم عن مودتك ، وقد سرى خيالكُ فَشَوَّقَ ،
واستطارَ برقُكُ فَأَرَّقَ ؛ فأجفانُ الإخلاصِ ناظرةٌ إليك ، ويدُ القَبولِ مُسلِّمةٌ
عليك ، فَصِلْ ما جعلك الفضلُ فيه أصلاً ، وراكُ له أهلاً . وقد حلَّ
المنشد أبو محمد من جَفَنِ الشكرِ في سَواده ، ومن صَدُرِ الإحسانِ في
فَواده ، ألبَسَني حُلَّةَ إِيخائِكَ ، وسقاني رِسلَ وفائِكَ ، وحالي حالُ مَنْ
يَعِدُّكَ في عَدَدِهِ ، وَيُعِدُّكَ مِنْ عَدَدِهِ .

١ ط : لتصيبه .

٢ ط : بعد .

٣ يشير إلى قول الشماخ (ديوانه : ٣٣١) :

إذا الأرطى توسد أبرديه خدود جوازيء بالرمل عين

٤ ب م : ولدي .

٥ ط : روض .

٦ ب م : وكوكب نوره يتألق في روض طرسه .

ومن شعره

ولم يقع لي من نظم أبي جعفر عند إملائي هذه النسخة من هذا المجموع
إلاّ ما أنشدني^١ الأديب أبو بكر ابن بقي قال : أنشدني أبو الربيع ابن العريف
لجدّه الكاتب أبي جعفر ابن اللّثامي^٢ :

قد قلت إذ سارَ السّفِين بهم^٣ والبَيْن ينهب مُهَجّتي نهباً
لو أنّ لي مُلكاً أصول به لأخذت كلّ سفينة غصباً

[أنشد أبو منصور هذين البيتين للخبّاز البلدي في اليتيمة]^٤ .

وأنشدني أيضاً عنه له^٥ :

غنّي وللإيقاع فَوْ قَ بيانٍ مَنْطِقِهِ بيانُ
وكأنما يَدُهُ فَمٌ وقَضِيْبُهُ فيها لسانُ

ودخلَ عليه بعضُ أصحابه في عِلَّتِهِ التي مات منها، فجعل يُروِّحُ
عليه ، فقال في مقامه^٦ :

روّحَتي عائدي فقلتُ له^٧ مَهْ ، لا تزدني على الذي أجِدُ
أما ترى النَّارَ وهي خامدةٌ عند هبوب الرِّياح تتَقَدُّ ؟

١ ط : ومن شعره ما أنشدني .

٢ وردا منسويين له في المغرب ١ : ٤٤٧ .

٣ المغرب : به .

٤ اليتيمة : ٢٠٩ ، والخبّاز البلدي هو محمد بن أحمد بن حمدان (انظر الوافي ٢ : ٥٧) .

٥ انظر المغرب ١ : ٤٤٧ .

٦ النفع ٣ : ٥٩٦ والذيل والتكملة ١ : ٧٣ - ٧٤ والاحاطة ١ : ٢٤٣ .

وممّا قال في هذه العلّة ، وكانت داء النّسمة :

عَظُمَ البلاءُ فلا طيّبٌ يُرتجى منه الشّفاءُ ولا دواءٌ يَنجَعُ
لم يبقَ شيءٌ لم أعالجها بهِ طمعَ الحياة ، وأين من لا يطمعُ ؟
« وإذا المنيّةُ أنشَبَتْ أظفارها ألفتَ كلَّ تيمةٍ لا تنفعُ »^١

وممّا وجدته^٢ أيضاً بخطّه لنفسه :

طلعتُ طوالع^٣ للرّبيع فأطلعتُ في الرّوض ورّداً قبلَ حينٍ أوّاهِ
حيّاً أميرَ المؤمنين مُبشّراً ومُؤملاً للنّيل من إحسانهِ
[ضنّتُ سحائبه عليه بمائها فأناه يَسْتسقيهِ ماءَ بنانه]
دامتُ لنا أيّامه موصولةً بالغزِّ والتّمكين في سلطانه

[وله :

يا كبدي بالبينِ مَنْ أكلَمَكَ ويا دُموعَ العينِ مَنْ أسجَمَكَ ؟
ويا فؤادي كم تُقاسي الهوى مُكْتَمًا عنيّ ، ما أكتَمَكَ !
علَمْتَكَ الكَمَّ أما تستَحِي ويحك أنْ تكتُمَ مَنْ علَمَكَ ؟
كنتُ أداوِيكَ فلا ذنبَ لي لو أنّني أعلمُ مَنْ أسقمَكَ]

ونقل أيضاً من خطّه قصيدةً من شِعْره يشكو نوائب دهره ، أولها :

أمسى سقامي زاجري ومُؤنّبي وغدا مَشِبي واعطي ومؤدّبي

١ البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، شرح أشعار الهذليين ١ : ٨ .

٢ ب م : وجدت .

٣ ب م : طلائع .

أوهتْ خطوبُ الدهرِ مني عاتقي^١
وهمتْ سحائبُهُ عليَّ فغادرتْ
فأظِلُّ أبصِرُ فيه ما لم أحتسب
سِنٌ حديثٌ تحتَ^٢ جدٍّ شارفٍ
أغدو على بكرٍ لصرفِ بناتِهِ
أفتضُّ منها كلَّ يومٍ عُدْرَةَ
يا سيدي وأخي الوفيَّ وما أخي
وإذا غدا العلمُ المشرفُ أهْلُهُ
هلاًّ اهتديتْ إلى خطابِ مُرْزَلٍ
لم يُبقِ منه الدهرُ غيرَ مدامعٍ
أخفنيَ الأيامُ في لهواتِها
وكتبتَ عن ودٍّ وقد كتبتَ الإخا
بأرقَّ من دمعِ المشوقِ فؤادُهُ
فظللتُ منه في غديرِ بلاغةٍ
كرمتْ مغارسُهُ فأورقَ فرعُهُ
صُبْحٌ تدرَعُ من سوادِ مداده
خَفِيتْ معانيهِ على أوهامنا
طلعتْ كواكبه ولما تَطَلَّعُ
أنا مُذنبٌ لا شكَّ إذ لم أستطع

ثِقْلاً ، وزعزعَ منكباهُ متَكَبِي
أرضي قرارةَ كلِّ خطبٍ مُعْجِبِ
جوراً وأقرأ فيه ما لم أكتب
وسوادُ رأسٍ فوق قلبٍ أَشْيَبِ
وأروحُ مُبْتَنِياً بأخرى ثِيْبِ
لا تُشْتَهَى وأزفُ ما لم أخطبُ
منه إلى قلبِ الإخاءِ بأقربِ
نسباً يُؤلِّفنا فنحنُ بنو أب
ما بين أضلاعِ الخطوبِ مغِيبِ
سُفْحٍ وقلبٍ بالسَّقامِ مُعَذِّبِ
وسجنتي فيها فكيف شعرتُ بي؟
بين النفوسِ صحائفُ لم تُكْتَبِ
وأرقَّ من ريقِ الحبيبِ وأعذبِ
عذبٍ ومُلتَفٍّ الحداثقِ مُعْشَبِ
علماً وأثمرَ بالكلامِ الطَّيِّبِ
ليلاً كفعلُ^٣ الزَّائِرِ المترقِّبِ
فالفِكرُ بين مُصدِّقٍ ومُكذِّبِ
وغرَبَ فيهِ لنا ولما تغرَّبِ
ردَّ الجوابِ وأنتَ غيرُ المُذنبِ

١ ب م : أوهت عتاق خطوب دهمري عاتقي .

٢ ط : فوق .

٣ ط : بفعل .

حملته من طيب الإخاء حبة^١ فيكم وإخلاص^٢ لكم فتطيب
وبعث ماء الورد فيه سائغاً عذباً لذائقه زلالاً^٣ فاشرب
أذكي من المسك الفتيق نسيمه^٤ أرجأ وأصفى من لعب^٥ الجندب

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله البزلياني^٦ وإثبات جملة مما نثر ، مع ما يتعلق بذلك من خبر

وأبو عبد الله البزلياني كان في^٣ ذلك الأوان ، أحد شيوخ الكتّاب ،
وجهازة أهل الآداب ، ممتن أدار الملوك ودبرها ، وطوى الممالك ونشرها .
وقد أجرى ابن حيان طرفاً^٤ من ذكره ، وشرح مآل أمره . وقد ألفت
أنا منه بلمعة^٥ في أخبار ابن عبد البر في القسم الثالث^٦ من هذا المجموع^٧ .

وذكره بموضع آخر من كتابه فقال : ولما قبض عبّاد^٨ على البكريين
بأونبة وشلطيش وتملكهما منهم سنة ثلاث وأربعين ، جعل بهما ابنه محمداً ،
واستكتب ابن البزلياني الكاتب البليغ النحرير . وإلى ابن عبّاد صارت مصايرُه
بعد طول تقلُّله في البلاد .

١ ط : رضاب .

٢ أبو عبد الله محمد بن أحمد البزلياني : أصله من مالقة ، وكان في خدمة حبوس أولاً ، ثم
انتقل إلى بني عبّاد ، وقد عزا إليه ابن حيان ذوراً في ثورة اسماعيل بن المعتضد على أبيه ،
وذكر أن المعتضد قتله .

٣ ط : وأبو عبد الله هذا أيضاً من .

٤ ط : حرفاً .

٥ ب م : وقد أتيت به مشروحاً .

٦ ب م : بموضعه .

٧ انظر القسم الثالث ص : ١٤٦ - ١٤٧ .

فصول من نثره

فصل من رقعة عن حبّوس إلى ابن عبد الله أمير قرْمُونَة^١ :

مِن النُّصْحِ تَقْرِيعٌ ، وَمِنَ الحِفَافِ تَضْئِيعٌ ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ ،
إِذَا عُدِّيَ بِهِ عَنْهُ اسْتِحَالٌ . وَوَصَلَ إِلَيَّ مِنْكَ كِتَابٌ طَمَسَتْ مِنْهَا ،
وَعَمِيَتْ مَعْنَاهُ ، أَوْمَاتَ فِيهِ إِلَى النُّصْحِ ، وَدَلَّتْ عَلَى سَبِيلِ النُّجْحِ ؛ فَوَقَفْتُ
عَلَى فُصُولِهِ وَمَعَانِيهِ ، وَأَحْطْتُ عُلَمَاءَ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ . وَلَمْ يَكُنْ لِمَنْ أَوْحَشَتْ
جِهَتُهُ ، وَتَغَيَّرَتْ مَوَدَّتُهُ ، أَنْ يَدْخُلَ مَدْخَلَ النَّاصِحِينَ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ
جَمَلَةِ الْمَشْفُوقِينَ . وَكَانَ بِالْجَمَلَةِ أَوَّلُهُ سَبَابٌ ، [وَآخِرُهُ إِعْجَابٌ] ؛ وَالسَّبَابُ
لَا يَنْطِقُ بِهِ كَرِيمٌ ، وَالْإِعْجَابُ لَا يَرْضَى بِهِ حَلِيمٌ . وَقَدْ نَزَّهَنِي اللَّهُ عَنْ
الْمُقَارَضَةِ بِهَذَا وَمِثْلِهِ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْقَائِلِ :

وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتَمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ^٢

فَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَصْلِحَ مِنِّي بِسَبِّكَ فَاسْدَأْ ، وَتَسْتَقْرِبَ مِنِّي وَدِّيَ
بِاسْتِطَالَتِكَ مَبَاعِدًا ، فَمَا هَذِهِ شَيْمٌ يَقْضِي بِهَا الْفَضْلُ ، وَلَا سِيَاسَةٌ يَحْكُمُ
بِهَا الْعَقْلُ . وَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ التَّخْوِيفَ وَالْإِيْعَادَ ، وَالْإِبْرَاقَ وَالْإِرْعَادَ ،
فَقَدْ كَفَانِي بَيْتُ الْكُمَيْتِ^٣ :

١ هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله البرزالي (البرزيلي) الزناتي ، بُويعَ بِقَرْمُونَةِ سَنَةِ ٤٠٠ هـ ،
وَتُوفِيَ سَنَةَ ٤٣٤ هـ (انظر البيان المغرب ٣ : ٣١١) وَقَدْ مَرَّ لَهُ ذِكْرٌ فِي صَفَحَاتٍ سَابِقَةٍ مِنْ
هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الذَّخِيرَةِ) .

٢ الْبَيْتُ مِنَ الْحِمَاسِيَةِ رَقْمٌ : ٢٥٣ (شرح المَرْزُوقِي : ٧٥٠) لِمُعْبِدِ بْنِ عُلْقَمَةَ الْمَشْهُورِ بِاسْمِ
مُعْبِدِ بْنِ أَخْضَرَ الْمَازَنِيِّ (السَّمْطُ : ٣٤٣) .

٣ انظر ديوانه ١ : ٢٢٥ .

أَبْرِقْ وَأَرْعِدْ يَا يَزِيدُ دُ فَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرْ

وأنا أحد البرابرة : لا أخرج عن جماعتهم ، ولا أبعد عن موافقتهم ،
ولا أرغب بنفسي عن نفوسهم :

وما أنا إلاّ من غزيرةٍ إن غَوَتْ غَوَيْتُ وإن ترشد غزيرةٌ أرشد^١

وفي لزوم الجماعة السداد والرشاد ، والغى في الانفراد والاستبداد .

وأما قولك : « فمن كان متبوعاً قلماً يستقيم أن يكون تابعاً ، ومن
عُرف في النادي مطاعاً لم ينقلب مطيعاً ، إلاّ أن يصادف هَدْيَ العُمَرَيْنِ ،
وأجدرُ بذلك أن يبعُد » - فقد أزريت على كل خلافة ، وبيّنت أنّك
خارج عن كل فرقة ، وأنّ غرضك المحاماة عن عزّك ، والمُرّامة دون
حِرْزك ، وليس هذا نظراً مُشفقاً ، ولا قولاً مُحققاً ، إذ لا تتمّ ديانة
إلاّ بإمامةٍ يُدعى إليها ، وتجرى السنن عليها ، إلاّ في مذهب نافع بن
الأزرق وعبد ربّه وأشباههما .

وفي فصل منها : وما ذكرته من الذي بين الطائفتين من بني عمّنا بالعدوة ،
فكل أمر يقدر ، ولكل نبيٍّ مُستقر^٢ ، والدنيا أحوال ، والحرب سجال ،
وخيرهم وشرهم عنّا بعيد ، وكلُّ من نصرك وأبدك فهو القريب الودود ، وإن
تفرقت الآباء والجدود . ومن شدّ عن الجماعة وفارقها ، ونابذها وشاقّها ،
فهو الجاني على نفسه وعليها ، والجارُّ سوءَ العاقبة إليه وإليها^٣ ؛ وأكثرُ

١ البيت لدريد بن الصمة ، الأصمعيات : ١١٢ (وانظر تخريج البيت في المصادر ص ١١٠) .

٢ سورة الأنعام : ٦٧ .

٣ ب م : وعلينا . . . إليه وإلينا .

الوبال واقعٌ على الظَّالم ، ونازلٌ بالجارم . والله وليُّ التَّوفيق ، والهادي إلى سواء الطَّريق .

قال ابن بسام : وذكرتُ بإنشاده : « وتجهلُ أيدينا » . . . البيت ، ما حَدَّثْتُ به عن يحيى بن علي الحمودي^١ في أيام محاربته لاشبيلية ، وبعضُ الرِّجالة يعلن بثَلْبِهِ ، ويصرِّحُ أقبحَ التصريح بسبِّهِ ، وهو يظنُّ أنْ قد تحصَّنَ منه بالأسوار ، واحتجب عنه بما دونه من حماة الذَّمار ، فدَبَّ إليه دَيِّب الكرى ، وساوره مساورة ليث الشَّرى ، حتَّى خالطه سيفه الصَّقيل ، ثمَّ انصرف إلى مركزه وهو يقول :

* ونشتمُ بالأفعال لا بالتَّكَلُّم *

[وله من أخرى عنه إلى ابن منذر : واتَّصل بي ما وقع بينك وبين المؤمنين^٢ وأبي المنذر والموفق^٣ وعضد الدَّولة أبي الحسن ، وأنَّكم اضطررتم إلى إخراج كل فريق منكم النَّصارى إلى بلاد المسلمين ، فنظرتُ في الأمر بعين التَّحصيل ، وتأولته بحقيقة التأويل ؛ فعظمُ قلقي ، وكثرَ على المسلمين شَقَقي ، في أن يطأ أعداؤهم بلادهم ، ويؤتمِّموا أولادهم ، ويتَّسع الخرقُ على الرَّاقع ، وينقطع طمَعُ التَّلَاقِ على الطَّامع . ولو لم تكن - يا سيدي - الفتنةُ إلَّا بين المسلمين ، والتَّشاجرُ إلَّا بين المؤمنين ، لكانت القارعةُ العظمى ، والدَّاهية الكبرى . فإذا تأيَّدنا بالمشرِّكين ، واعتصدنا بالكافرين ، وأبجناهم حرِّمتنا ، ومنحناهم

١ ب م : يحيى بن علي بن حمود .

٢ المؤمنين = عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر .

٣ الموفق = مجاهد العامري .

قَوَّمتنا ، وقتلنا أنفسنا بأيدينا ، وأدَّتْنا إلى الندم مساعينا ، كانت الدائرة أمضًى ، والخيرة أرمَضَ ، والفتنة أشدَّ ، والمحنة أهدًى ، والأعمال أحبط ، والأحوال أسقط ، والأوزارُ أثقل ، والمضارُّ أشمل . واللهُ يعيدنا من البوائق ، ويسلك بنا أجمل الطرائق .

ولما انتظرتُ أن يُسفر لي ذلك الديجور ، وتستقرَّ تلك الأمور ، وأبطأ ذلك عليَّ ، ولم يَعد من قبلك رسول إليَّ ؛ داخلْتُ عميدَ الدولة^١ جاري في هذه الأنباء ، وراوضته في علاج هذه الأدواء ؛ وأنتَ يا سيدي للمسلمين الحصنُ الحصين ، والسبب المتين ، والنصيح المأمون ، فاجرٍ في جَمْع كلمتهم ، والمرامة دون حَوَزَتهم] .

له من أخرى: يا سيدي الذي قطعْتُ بالاتِّصال به مدة^٢ عمري ، ونظمتُ في أجياد علاه دُرَرَ حمدي وشكري ؛ ومَن أبقاه الله للفضل^٣ يرسي هضابه ، والعلم يذُلُّ صعابه ، والمجد يؤلِّف مُختلفه ، والحمد يلبس مفوَّقه . أنا أحمدُ حالاً آوتني ؛ إليك وإن كانت ذميمة ، وعلةٌ أصحَّتْ أُملي وإن كانت مُليمة^٤ فقد عادتْ^٥ كريمة ، فربُّ صغيرة عادت عظيمة ، وهيهات :

١ عميد الدولة = محمد بن عيسى بن محمد بن مزين صاحب شلب ، بويغ آخر سنة ٤٤٥هـ وتلقب بالناصر ولم يزل ملكاً حتى سنة ٤٥٠هـ (البيان المغرب ٣ : ٢٩٧ - ٢٩٨) ولا يمكن أن يكون هذا جاراً لحبوس ، فلعل عميد الدولة لقب لشخص آخر ، وما يؤكد ذلك أن حبوس توفي سنة ٤٢٨هـ ؛ والظاهر أن الرسالة ليست على لسان حبوس .

٢ ب م : مسافة .

٣ ب م : للحلم .

٤ ب م : أدتني ، ولعل الصواب « أدتني » .

٥ ب م : سليمة .

٦ ب م : وضعت .

مَنْ رَغِبَ عَنِ الْفَضْلِ فَنَفْسَهُ ظَلَمَ ، وَمَنْ فَرَّ مِنَ اللَّيْلِ أَدْرَكَهُ حَيْثُ خَبِثَ . وَمَنْ لِكُلِّ ظِمَانٍ بَعْدَ زَلَالٍ ، وَلِكُلِّ أَمَلٍ بَنِيْلٍ الْآمَالُ ؟ وَمَا كُلُّ مُسْتَسْقٍ يُمَطِّرُ ، وَلَا كُلُّ طَالِبٍ يَظْفِرُ . وَلَوْلَا الْعِلَلُ لَمْ تُحْمَدِ الصَّحَّةُ ، وَلَوْلَا التَّرَحُّهُ لَمْ تَطِيبِ الْفَرَحَةُ . وَمَا ضَاقَ عُذْرُ مَنْ وَسَّعَ حِلْمُكَ ، وَلَا خَذَلَ دَهْرُ مَنْ نَصَرَ عَزْمُكَ . وَمَا عَشْتُ يَا سَيِّدِي عَمْرًا لَمْ أَقْطَعِهِ فِي ذِرَاكَ ، وَلَا نَلْتُ حِظًّا لَمْ يَكُنْ بِمَسْعَاكَ ، وَلَا حَسَنٌ لِي عَمَلٌ خَالَفَ هَوَاكَ ، وَلَا لَذَّةٌ لِي أَمَلٌ لَمْ يَكُنْ بِرِضَاكَ . وَالْآنَ قَدْ أَمَكَّنَكَ اسْتِرْقَاقُ حُرِّ رَائِدِهِ مِنْ حُرِّيَّتِكَ ، وَابْتِنَاءُ مَجْدٍ دَعَاثِمُهُ مِنْ سَرُوكَ وَمَرْوَعَتِكَ ؛ فَالْأَبْيُّ مُصْحَبُ لِمَرَامِكَ ، وَالْعَصِيُّ مُطِيعٌ لِعِزَّتِكَ . وَمَا أَحْسَنَ الْعَافِيَةَ وَلَا كَحُسْنِهَا بَعْدَ الْبَلَاءِ ، وَمَا أَلَذَّ السَّعَادَةَ وَلَا كَلَذَّتْهَا بَعْدَ الشَّقَاءِ ، وَمَا أَنْقَعَ الْوَرْدَ لَغْلَةً الْخَوَاسِ ، وَأَطْيَبَ الظِّلَّ لِلضَّاحِي الشَّامِسِ ! وَمَنْ عَدِمَ الشُّفْعَاءَ قَامَتْ أَمَامَهُ فُضَائِلُكَ ، وَمَنْ قَسَا عَلَيْهِ الزَّمَنُ^١ لَانَتْ لَهُ شِمَائِلُكَ . وَالشَّمْسُ بَعْدَ السَّحَابِ أَهْيَى ، وَالْإِمْكَانُ بَعْدَ التَّعَذُّرِ أَشْهَى . وَمَنْ يَحْسُدُ مَنَاوئًا ، وَيَغْبِطُ مِضَاهِيًا ، فَأَنَا أَحْسَدُ قِرْطَاسِي عَلَى مَلَاقَاتِكَ ، وَأَغْبِطُ نَفْسِي^٢ عَلَى مَنَاجَاتِكَ . فَإِنْ مُنَعْتُ عَنْكَ عَيْنِي فَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي كُلِّ حَسَنِ تَرَاهُ ، وَإِنْ حَزَنْتُ بِالْبُعْدِ مِنْكَ فَقَدْ سَرَرْتُ بِمَا مِنْ لِقَائِكَ أَتَمَّنَاهُ . وَاللَّهُ يَدِينُنِي مِنْ حُضْرَةِ الْمَجْدِ ، وَالتَّمَاخِ غَرَّةَ السَّعْدِ .

وله فصل من رقعة: وتوجه فلان إلى ما قبلك يأمل سنأ فهداه، ورجاء

١ ب م : فخر .

٢ ب م : الزمان .

٣ ب م : أنفاسي .

هَبْ له نَسِيمُهُ فحْيَاهُ وأَحْيَاهُ . وإنَّ طَائِراً أُجْرِيَ بِسَعْدِكَ لِسَانُح ، وإنَّ تَاجِراً^١
افْتَتَحَ بِاسْمِكَ لِرَاحِج ، وبِعِزَمَاتِكَ تَنْفِذُ الأَسِنَّةُ فِكَيْفَ أَشْحَذَهَا ، وَلِمَثَلِكَ تَنْفَعُ
التَّذْكَرَةُ فِكَيْفَ أَنْبَذَهَا ؟ وَقَدْ تُهْزُ الصَّوَارِمُ فَتَقْدُ الدُّرُوعُ ، وَتُهَاجُ
الضَّرَاغِمُ فَتَقْضُ الْجُمُوعُ ؛ وَحِمَاكَ الْإِسْلَامُ فِكَيْفَ يُبَاحُ ؟ وَرُكْنُكَ
الْإِيمَانُ فِكَيْفَ يُزَاحُ ؟ وَجَارُكَ الْأَدَبُ فِكَيْفَ يُهْتَضَمُ ؟ وَحِزْبُكَ الْقُرْآنُ
فِكَيْفَ يَغْلِبُ وَيَذْمُ^٢ ؟

[وَلَهُ فَصْلٌ مِنْ أُخْرَى عَنْ حَبَّوسَ إِلَى صَاحِبِي شَاطِبَةِ :

وَقَدْ عَقَدَ اللهُ بَيْنَنَا عَقُوداً قَادَهَا لِلَاخْتِيَارِ ؛ وَفِي طَوْلِ الْأَمَدِ ، وَتَصَرُّمِ
الْمُدَّدِ ، وَتَبَاعُدِ الدِّيَارِ ، وَتَقَلُّبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، مَا يُحِيلُ الْأَحْوَالَ ،
وَيَقْطَعُ الْآمَالَ ، وَيُشْفِقُ مِنْهُ الضَّئِينَ ، وَتَسُوءُ مِنْهُ الظُّنُونُ ؛ لَا سِيَّمَا إِلَى
هَذِهِ الْفِتْنَةِ الَّتِي تُبَلِّدُ الْحَلِيمَ ، وَتَخْلُطُ الصَّحِيحَ بِالسَّقِيمِ . وَأَنَا لَكَمَا الصَّنْفِيُّ
الَّذِي لَا تَقْدَحُ الْأَيَّامُ فِي وَدَّةٍ ، وَالْوَفِيُّ الَّذِي لَا يَخْشَاهُ الْأَنَامُ عَلَى عَهْدِهِ .
وإِذَا لَا سَبِيلَ إِلَى أَنْ أُوَدِّيَ مَعْتَقِدِي فِي ذَلِكَ مَشَافَهَةً ، فَإِنِّي أَنْبَأْتُهُ مَكَاتِبَةً ،
مَعَ مَنْ يَنْطِقُ بِلِسَانِي ، وَيُشْفِقُ بِجَنَانِي ، أَلَصَّقَ أُسْرَتِي نَسْباً ، وَأَفْضَلَ خَاصَّتِي
حَسْباً ، وَأَصْدَقَهُمْ عَنِّي خَبِراً ، وَأَحْمَدَهُمْ فِي السَّفَارَةِ أَثْراً ، الْوَزِيرُ
أَبِي فَلَان] .

وَلَهُ فِي فَصْلٍ : تَغْدِيكَ نَفْسٌ نَفَسَتْ عَنْهَا خَنَاقَ الْكَرُوبِ ، وَأَنْقَذَتْهَا مِنْ
أَيْدِي شَعُوبٍ ، وَأَسْأَلَ الَّذِي سَنَى لَكَ الْفَضْلَ عَلَيَّ ، وَجَعَلَ مِنْ نِعْمَتِكَ أَكْبَرِيَّ^٣ :

١ ب م : متجراً .

٢ وحزبك . . . ويذم : زيادة من نسخة دار الكتب .

٣ في النسخ : اكبر .

هَمَّتِي وَلُبِّي ، وطَبَعَ بِشُكْرِكَ أَصْغَرَيَّ : لساني وقلبي ، أن يميزك جزاء
مَنْ أَحْسَنَ ثَمَّ عَادًا^١ ، ووالى فضله وزاد ، كالرَّيَاضِ تَعَاهَدَتْهَا الْعِيَادُ ؛
وَأَلَا يُخْلِيكَ مِنْ فَعْلٍ يَكْتُبُ الذِّكْرُ مَحَاسِنَهُ عَلَى صَفْحَاتِ الدَّهْرِ ، وَيَصِيرُ
ثَاقِبَهُ^٢ فِي سَمَاءِ الْفَخْرِ ، ثَالِثَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ .

وله في فصل من أخرى: قَدْ قَيَّدَنِي مِنْ بَرِّكَ وَإِثَارِكَ مَا أَفْصَحَ عَنْ طِيبِ
نِجَارِكَ ، وَأَوْضَحَ عِنْدِي كَرِيمَ آثَارِكَ ، وَتَرَكَنِي أَرْسُفُ فِي قِيُودِ الْاِمْتِنَانِ ،
وَأَنْوَاءِ^٣ بِأَعْبَاءِ الْإِحْسَانِ . وَأَقْعَدَنِي عَنْ لِقَائِكَ لِسَانٌ حَسِيرٌ ، وَخَاطِرٌ بَهِيرٌ ،
وَحَدٌّ كَلِيلٌ ، وَلَحْظٌ مِنَ الْحَيَاءِ عَلِيلٌ ؛ وَشِمَّةٌ^٤ الدَّهْرِ إِذَا صَفَا تَكْدَرُ ،
وَإِذَا عَافَى تَنْكَرُ ، وَإِذَا سَرَّ أَحْزَنَ ، وَإِذَا سَهَّلَ اخْشَوْشَنُ^٥ ، وَإِذَا سَمَحَ
بِالْإِنْعَامِ ، بِخَلٍّ بِالتَّمَامِ .

وله فصل: هَذَا الْوَقْتُ الَّذِي كُنْتُ أَتَأَيَّاهُ^٦ ، وَالْحَيْنَ الَّذِي مَا زِلْتُ أَتَمَنَّاهُ ،
وَالزَّمَنُ^٧ الَّذِي قَاسَيْتُ فِيهِ تَعَبَ الْإِنْتِظَارِ ، وَقَطَعْتُ إِلَى بُلُوغِهِ مَسَافَةَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .
وإِلَى مِثْلِكَ يُتَقَرَّبُ بِإِخْلَاصِ الْوَدَادِ ، وَمِنْ فَضْلِكَ تُجْتَنَى ثَمَرَةُ [حُسْنِ]

١ ط : أعاد .

٢ ب م : وتصير باقية .

٣ ط : ولا أبوه .

٤ ب م : وسمة .

٥ ب م : وإذا أسهل أحزن .

٦ ب م : أتأناه .

٧ ب م : والزمان .

الاعتقاد ؛ ولا يجتمع رجاؤك^١ واليأس في قلب ، ولا تحِلُ محبتك^١
والحرمان في خِلْب .

وله في فصل : البدرُ موصوفٌ ولا كصفة السّاري به ، والبحرُ معروفٌ
ولا كعرفة الجاري فيه ؛ وقد جلوتُ بنورك من الظلُمات ، واجتليتُ بجَنابك من
الأمنيات ، ما وسمَ زماني^٢ الغُفل ، وصارَ لذلك الدّهرُ على سائر الدهور^٣
الفضل ؛ أيّامَ ناديكَ مَحَطُّ كلِّ مرتاد ، وجاركُ أَمْنٌ من جار أبي دُوادٍ ،
إلى أن ضرب البُعْدُ بجرانه ، وحكم الدهر بعدوانه ، وأعاد العين أثرًا ، والخبرَ
خبرًا ، واللّقاء تَوْهيمًا ، والمناسمةُ تَوْسِمًا ؛ ومع ذلك فما خِستُ بدم
فضائلك ، وما أنستُ إلّا بكرم شمائلك ؛ أَمِزج بذكرها خُطبان^٤ الخطوب
فَتَحَلَّوْني ، وأسرج بسناها في أجفان الكروب فتنجلي ، وأرمي بها إذا
هوى سهمي فيصيب ، وأتَنَسَّمُ عَرَفَها إذا خوى نجمي فيصوب .

وحاربتني الأيامُ عليك ، فلم توجدني سبيلًا إليك ؛ إلى أن طلع
نجمك في مطلعهِ ، ووقع حزمك في موضعه ، وأعطيتِ القوسُ بارِيها ،
والسّهامُ رامِيها ، والدّررُ أجِيادها ، والغُررُ جِيادها ، وفي الشمس
يقوى السّعد ، وفي عنق الحسناء يستحسن العِقد .

١ ط : رجاؤه . . . محبته .

٢ م ب : أيامي .

٣ ط : الدهر .

٤ يضرب المثل بمنّة جار أبي دواد ، ، انظر ثمار القلوب : ١٢٧ .

٥ ط م : والمناسبة .

٦ الخطبان : العلقم .

[وله من أخرى إلى ابن عبد الرحيم : طيب ثنائك ثني إليك أنسي ،
وغريب وفائك أفاء عليك نفسي . والثناء النفيس شركُ النفوس ؛ وفعل
المحجوب مصائدُ القلوب ؛ ومن كان الفضلُ من أنصاره ، اجتمع
على إثارة ؛ حين طلعت من سماءِ فضلك نجومه ، ونصرت بك من روض
رجائي هشيمه . وأنا أحمد للأيام هذه الكرة ، وأستغرب من أفعالها هذه
النُدرة . وأحب أن يعلم سيدي أنني سابق في مضمار وداده ، لاظاً^١
بشاي ارتباطه واعتقاده ، أنني عليه خنصري إذا عدت واعتددت ، وأبدأ به
بعد البسملة إذا كتبت من وددت واعتقدت . وله - أعزه الله - الرأي العالي
في قبول من أقبل عليه ، والتزاع إلى من نزع إليه . فأقسم لو كتب عني
عطارد ، أو جعلت لك النجوم قلائد ، ما أقنع في وصف ودادي ، ولا
بلغت الأمل من مرادي] .

وله من أخرى إلى أبي جعفر ابن عباس ، وقد زاره فلم يوفه حقته :
كُلِّفُ المروءة - أبقاك الله - صعبةً إلا على الكرام ، وطرق الجفاء
رحبةً لسلوك اللثام ، والأحمق يرى البير خسراناً ، ويعتقد لإكرام الوافدين^٢
نقصاناً ، فيمنع الكثير من عرضه ، ويمنع اليسير من عرضه ، ويلبس
درعاً وهو مهتوك بالطعن ، ويجعل الكبرياء رداءً^٣ وهو مطرّز باللعن ؛
والكبرياء رداءُ الله الذي من جاذبه إياه قصمه ؛ والتقى جبل الله الذي من
تعلق به عصمه ، وما يتكبر متكبر إلا من جهله ، وعُجِبُ المرء أحد

١ ط : لاض .

٢ ب م : الزائر .

٣ ب م : رداء .

حَسَّادُ عَقْلِهِ ؛ وَالْمُتَكَبِّرُ فِي النُّفُوسِ صَغِيرٌ ، وَالْمُتَوَاضِعُ فِي الصُّدُورِ كَبِيرٌ ؛
وَالرَّفِيعُ مَنْ تَرَفَّعَ عَنِ الدَّنَاءَاتِ ، وَالْوَضِيعُ مَنْ ادَّعَى لِنَفْسِهِ وَاجِباً وَضِيعَ
الوَاجِبَاتِ . وَجِثَّتْكَ زَائِرًا ، فَكَأَنِّي ١ جِثَّتْكَ آمِلًا ، وَأَرَدْتَ مَصَافَحَتَكَ
فَمَا مَدَدْتَ يَدًا ، وَطَلَبْتُ مُعَانِفَتَكَ فَخَلَّتْكَ مَقْعَدًا ، وَبَعْدَ أَنْ هَمَمْتَ بِالنُّهُوضِ
أَقْعَدَكَ الْكَسَلَ ، كَأَنَّكَ خُمُصَانَةٌ ٢ أَنْقَلَهَا الْكَفَلُ ؛ وَجَعَلْتَ تَشِيرَ بِالْحَاجِبِ
وَتَلُويَ الشَّقْفَةَ ، وَتَدَّعِي بِالْجَهْلِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَعْرِفَةً . فَمَا كَانَ ضَرْكَ
حِينَ أَخْلَلْتَ لَوْ أَجَلَّلْتَ ، وَمَا كَانَ يَسُوؤُكَ حِينَ نَظَرْتَ لَوْ أَجْمَلْتَ ٣ ،
وَمَا كَانَ يَنْقُصُكَ حِينَ حَكَمْتَ لَوْ عَدَلْتَ ؟

زَعَمْتَ أَنِّي أَخْطَأْتُ فِي كِتَابٍ ؛ « سَخَنَ الْوَجْهَ » بِالسَّيْنِ ، وَطَمَسْتَ
طُرُقَ الْمَخَارِجِ لِي وَهِيَ تَسْتَبِينُ ، وَهَذِهِ اللُّغَةُ كُلُّهَا قَدْ طَلَبْتُهَا
فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا « صَحَنَ الْوَجْهَ » بِالصَّادِ ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَعِيرَ « صَحَنَ
الدَّارِ » لِلْوَجْهِ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ أَجْعَلَ « السَّحْنَ » جَمْعَ سَحْنَةٍ ، وَهُوَ أَقْرَبُ
وَأَعْرَفُ ؛ وَإِنْ قُلْتَ إِنَّ الْأَكْثَرَ اتَّفَقُوا عَلَى كِتَابِهِ بِالصَّادِ ، فَإِنَّ لِمِثْلِي
أَنْ يَخْتَارَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَا أَرَادَ . وَمَا أَبْرَأَى نَفْسِي مِنْ زَلٍّ ، وَلَا أَعْصِمُهَا
مِنْ ظُهُورِ خَلَّةٍ ؛ فَالْأَدِيبُ يَجْعَلُ لِلْأَدِيبِ مَخْرَجًا ، وَلَا يَجْعَلُ بَابَ الْعَذْرِ
لَهُ مُرْتَبَجًا .

١ ط : فَكَأَن .

٢ ب م : وَهَنَانَةٌ .

٣ ب م : أَكَلْتُ .

٤ ب م : كِتَاب .

٥ ب م : أَكْثَرُ الْعَرَبِ .

وفي فصل منها: ومن العجب أن تنسبني إلى الشعوذة وهي حصنك إذا^١ غلبت، وتلحطني في الشطى وهي عادتك إذا كتبت. ولعمري لقد قلتها ولقد جهلتها، وتركتها وما عرفتها؛ وكما أن بركة الأشجار في الأنوار، فكذلك بركة الأدب في الرسائل والأشعار. فأين رسائلك وأشعارك، ومؤلفاتك وآثارك؟ هيهات هيهات: غلبك على الحق أهله، ونفاك^٢ عنه جهله؛ وكفاك ما طار لك من حُسن الذكر، وطيب النشر^٣، ولثله فاعمل^٤، وعلى ما كسبت منه فتوكل، فستحصد الذي زرعت، وتعلم عاقبة ما صنعت^٥.

وهذه نبذة من كلامه الواقع من هذا السفر، مكان الواسطة من عقد البكر، جميعها أبو الحسن في مسودة هذا التأليف، ورأيت قد أُلْع منها عند التحرير بالترز اللطيف على عادته من إثارة الاختصار واقتضاب ما يتخلص على الانتقاء والانتخاب. وقد رأيت أن أحبر منها هذه الأوراق التي بقيت بيضا، بما ينجل الروض أريضا، ويزري بالمسك فضيضا، تحفظاً بتلك الآثار الكرام أن تعفو، وخوفاً على تلك الأنوار الوسام أن تخبو.

[...] ^٥ أفاز الله يا سيدي الأعلى قدحك، وجعل لمرضاته كدحك، وسدّد إلى أغراض الصواب سهامك، وأورد على حياض السحاب أعلامك؛ وفتح المبهمة

١ ط : إذ .

٢ ط : ونقلك .

٣ ط : الشكر .

٤ هذه نهاية الترجمة في ط ؛ وما جاء بعد ذلك فهو زيادة دخيلة أوردتها من اطلع على مسودات

ابن بسم ، وألحقها بترجمة البزلياني ، وقد انفردت بها م .

٥ بياض بمقدار ثلاث كلمات .

بعزْمك ، وأوضح المظلمات بنجمك ، وأبقى المحاسن ببقياك ، وسقى مواطنَ العلياء بسُقياك .

كتابي يا سيدي ، وأجلَّ عُددي ، كعب الله لك السلامة ، ووهب لك الكرامة ، ولو تقدَّمني في الاعتراف بمأثرك مُطنب ، أو أفحمني في أوصاف مفاخرِكَ مسهب ، ما شقَّ غباري في ودادك مُجار ، ولا تعلَّقَ بآثاري في اعتقادك مُبار . وكيف وقد حزتُ الغائتين من تفضيلك [وإعزازك] ، وأحرزتُ الفضيلتين من تجميلك وإحرازك ؛ وما انفردتُ من زماني^١ بفائدة توازيك ، ولا استبددتُ من إخواني بفائدة تُساويك ؛ وبحسب ذلك ضنِّي بك وشُحِّي ، ومحبَّتِي لك ونصحي ؛ وما أذكركُ ما لا تذكر ، ولا أبصركُ ما لا تبصر ؛ فأني علمٌ إلاَّ سلكتُ شعابه ، وأيُّ حلمٍ إلاَّ ملكتُ رقباه ؛ وإن كنتُ لا أوردُ عليك إلاَّ ما يؤثرُ عنك ، ولا أوفدُ إليك إلاَّ ما يظهرُ منك ، فللساعي مراده ، وللداعي اعتقاده ، وللمجتهد أجره ، وللمقتصد عذره ؛ فما أستصبحُ إلاَّ من قمرِكَ ، ولا أستوضحُ إلاَّ بغررك ، ولا أعشو إلاَّ لنارك^٢ ، ولا أمشي إلاَّ بأنوارك . والله يبقيك للأفضلين أسوة ، ويحييك للأكرمين قدوة .

واتصل بي يا سيدي ما وسوسَ به الشيطان من الأمر ، حتى عمد^٣ له البيان ، في الفتق لأثر مسحوب وقدر مكتوب . وأنت الذي نجذته التجارب ، وشحذته النوائب ، وارتضع أخلاف الحروب ، وامتضع أصناف الخطوب ، وعجمَ قناة الزمن ، واقتحم غمرات المحن ، بقلبٍ غير منخوبٍ ولا وهل ، وعقلٍ غير مسلوبٍ ولا وكل ، وذكاءٍ تنكسفُ له ذكاء ، وآراءٍ ينكشفُ لها الغطاء ، وعلمٍ بما تأتي وتذر ، وفهمٍ بما تورد وتصدر ، ومذاهبٍ مثلها لك التحقيق ، ومطالبٍ شرحها التوفيق ؛ فهي بعصمة الله محفوفة ، وبنعمته مكفوفة ، وعلى إرادته متوقفة ، وفي طاعته متصرفة ؛ فكم لك في المشركين من البلاء الجميل ، وعلى المسلمين من الغناء الجزيل ؛ فكم علمٍ خلّدت ،

١ ب م : زمانك .

٢ ب م : أعشى الابرار .

٣ قراءة تقديرية .

وحزم أيدت ، وكم فضل أيدت وأعدت ، وكم طول بنيت وشيدت ، وكم راية للدين رفعت ، وغياية عن المسلمين قشعت . أفالآن يدعى للهوادة ، ويسعى لغير العادة ، حين أملت للزيادة ، واكتهلت في السيادة ، وأرج بفخرك كل ناد ، ولهج بذكرك كل حاد ؛ عديم أتراب وأقران ، ونديم آداب وقرآن ؛ لم تفنك من الفعال فضيلة ، ولا شانك إلى الكمال وسيلة . ولا اعرفك من المعالي ما لا تعرف ؛ ولا أصفك من المفاخر بما لا توصف ؛ الألسنة عن واجبك حسيرة ، والأمكنة بمنابك معمورة ؛ والله تعالى يزيدك علواً ومجداً ، ويقيدك سمواً وجداً . وأنت لا تألو المسلمين نصحاً ، ولا يُعلمهم سعيك نجاحاً ، ولا يفقدهم هديك صفحاً . فعياذاً بالله أن يسفك بك دم ، ويهتك بسبك محرّم ، أو يهلك بطلبك مسلم ؛ وأنت العالم بأمر الله ، والقائم بسنة رسوله ، والحاكم بما يرضاه ، والعاصم بتنزيله ، والمقتدي بسبيله ، والمهتدي بدليله . فلا أتلو عليك من آدابه إلا ما أحكمت تأويله ، ولا أجلو لك من تبيانه إلا ما قدّمت تحصيله . فما مثلك من أهل الفضل [يذكر] بقول الله عز وجل : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (التوبة : ٧٠) .

وله عنه إلى صاحبي شاطبة^٣ : كتبتُ يا سيدي ، ومشاربُ الآمال قد تكدّرت ، ووجوهُ المحاسن قد تغيّرت ، وأيدي التوازر قد قصرت ، وسبيلُ التناصُر قد توعرت ، إلا أن يتلافى الله الخلل بتسديد نظركما ، وينعش الأمل بحميد أثركما ؛ فينظم الشمل ، ويصل الحبل ، ويسد الثلم ، ويشد الخزم ، ويرقع المنخرق ، ويجمع المفترق ، ويضع الإصر ، ويرفع الوزر ، ويعيد الكلمة متففة ، والأمة متسقة ، والأيدي متأيّدة ، والنفوس متودّدة ، والأهواء متعاضدة ، والأنحاء واحدة ، والدماء محقونة ، والعاقبة مأمونة ؛ والله تعالى يعين كلاً على الصّلاح ، ويفضي بنا إلى النّجاح ، بعزّه .

١ ب م : وينهك (أقرأ : وينهتك) .

٢ ب م : بطلب .

٣ هما مظفر ومبارك ، وكانا صاحبي بلنسية أيضاً (انظر القسم الثالث من الذخيرة : ١٣) ؛ وقوله : « عنه » لا يعرف إلى من تشير على وجه اليقين .

واتصل بي ما وقع بينكما وبين المظفر أبي محمد من التنازع ، الذي أخاف أن يفضي بكم إلى التقاطع ، وورد عليّ كتابكما الكريم في ذلك بما ترقبت أنصرام أجله ، وتنظرت انحسام علله ، حتى خشيت أن يتمادى بكم اللجاج ، ويتعاصى في أموركم العلاج ، وأشفقت من ادلال الشيطان بمخاتله ، وإطلال الخذلان بجائله ؛ فيقرع الثكلان سنه من الندم ، وينطوي الحرآن على يده من ألم . وحالي يا سيدي في الأخذ من أحوالكما بأوفر نصيب ، والتزع في أموركما بأكبر ذنوب ، حال من أعد كما لحواث الزمن ، وكوارث المحن ، واعتقد كما العدة الكافية ، والعصمة الواقية ، فيما استسرّ وعلن ، وظهر وبطن ؛ فلم أر نفسي في سعة من إهمال التذكرة ، واغفال التبصرة . والله يعيد الكل من الشتات والشمات ، ويعيدكم إلى المواساة والمواتاة .

ولم يخف عليكما ما في صلاح ذات البين ، من الفوز بخير الدارين ، وأمن العباد ، وخصب البلاد ، وإعزاز الدين ، وإذلال القاسطين ، وتوهين المشركين ، وقوة العضد ، ووفور العدد ، ودعة الأجسام ، والرعة عن الآثام ، وسر العورات ، وحفظ الحرمات ، والانتهاز إلى حدود الله ، والازدجار بزجره ، والتأدب بأدبه ، والالتزام بأمره ؛ فإنه يقول عز من قائل ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ (الانفال : ١) وقال ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ﴾ . . . الآية (آل عمران : ١٠٣) وقال صلى الله عليه وسلم « لا تقاطعوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً وعلى طاعته أعواناً » . وقد علمتم أنه لم يهلك من هلك من الأمم الماضية ، والقرون الخالية إلا بتقاطعهم وتحاسدهم وتدابروهم وتحاذهم ؛ وأن اللجاج مطية الجهل ، والهوى آفة العقل ، والحمية من أسباب الجاهلية ، والعصبية من العنجهية ، والحرب مشتقة المعنى من الحرب^١ ؛ مع ظنك المتغلب وكأنه المنغلب ، توتم الأطفال ، وتلتهم الرجال ، سوق^٢

١ من قول أبي تمام (ديوانه ١ : ٧٠) .

لما رأى الحرب رأي العين توفلس والحرب مشتقة المعنى من الحرب

٢ ب م : بسوق .

لا ينفق حاضروها غير النفوس والأرواح ، وشربٌ يتعاطون المنايا بظبا السيوف وأطراف
الرماح ؛ مصروعهم دائر^١ ، وصارعهم خاسر ، وماضيهم نادم ، وباقيهم واجم .

والذي يحملون من أوزارهم وأوزار مع أوزارهم ، ويحتقبون من آصارهم ، تسليطُ
النصارى على المسلمين ، وعيْثهم في بلادهم يقتلون ويأسرون ؛ فالأموالُ مُستهلكة ،
والحرمانُ منتهكة ، والدِّماءُ مهراقة ، والنِّساءُ مستاقاة ، وعقد الدِّين مفسوخ ، وعهد
الإسلام منسوخ ، والكفرُ عال على الإيمان ، والسَّوءُ غالبٌ على الإحسان . فقد بلغني
أنَّ مذهبكم الاستجاشة بالنصارى إلى بلاد المسلمين ، يطؤون ديارهم ، ويعفون آثارهم ،
ويجتاحون أموالهم ، ويسفكون دماءهم ، ويستعيدون أبناءهم ، ويستخلمون نساءهم .
وإن نفذ هذا — وأعوذُ بالله — فهي حالٌ مؤذنةٌ بالذَّهاب ، وجريرةٌ تؤذنُ بالخراب ؛
ولم نأمن أن يظهر لهم من الخلل في بلادنا ، والقلَّة في أعدادنا ، ما يجرتهم علينا ، ويجرحهم
إلينا ، بما لا تقدر على مكائرتهم فيه ، ولا تقوى على مصابرتهم به ، فتلك الوقعة التي لا
ينتعش عثورها ، والقارعة التي لا ينجر كسيرا . ولم أجد يا سيدي وعدِّي دواءً أنجع ،
ولا سعيًّا أنفع ، من صلة يدي بيد الفتى الكبير فلان ، في توسطه هذه الأحوال بينكم ،
والتأني لإصلاح ما فسد منها عليكم ، ولم نلف سبباً إلى كشف هذه الغيابات ، وفتح هذه
المبهمات ، أقوى في النجاح ، وأهدى إلى الصَّلاح ، من بعث أعلام بلدنا ، ووجوه رجالنا .

وكتب إلى ابن الناصر : سيدي وأعظمُ عُددي ، بقيت لمجندي توستسه ، وحمدي
تلبسه ، كُتبتُ — كتب الله لك ما يفوتُ أملك — عن نفسٍ تعدك أكرم نفائسها ،
فلا يساويك معظّمٌ في هاجسها ، وضميرٌ صفا لك منهله ، فلا أحدٌ قبلك ينزله^٢ ، وود
أحكمتُ لك عقده ، ونظمت بك عقده ؛ حقيقةً أدني نظرها إليك ، وخليفةً وقف سرها
عليك ؛ فطرفُ اهتبالي إليك شاخص ، وضميرُ إدلالي عليك خالص ؛ والعهد الذي أنت
لحرمانه لاحظ ، ولأماناته حافظ ، ينجدُ لساني في المقال ، ويمدُ عناني في الاسترسال ،
ويوفدُ إليك النصيح محضاً ، ويورد عليك الصدق فرضاً ؛ موازنةً لا أرى التخلّف عنها

١ ب م : داير .

٢ ب م : نزاله .

ديانة ، ومظاهرة لا أعدّ التبرّي منها أمانة ؛ وأخوك من صدقك ، وعدوك من مذقك .

واتّصل بي ، ما جزعت له ، من لزومك مع الموفق أبي الجيـش ، ومن تبعكما من معاقديكما ، لفاتنة المظفر أبي محمد ومنازلته ومقارعتة ، واستجاشة كلّ حزب منكم بالتصاري ، وطمعكم أن تمنعوا بهم ذماراً ، وتفضوا بإخراجهم أوطاراً ، وتلركوا بأيديهم أوتاراً ؛ ولم يخف عليك ما يتسبّب بالفتن ، من البلوى والمحن ، وما يكتسب فيها من الحوب ، ويحتقّب بها من الذنوب ، وما ينوب الظالم والمنصف من معرفتها ، ويصيب البريء والتطف من مضرّتها ، وما يعمّ من بأسائها ، ويطمّ من دهيائها ، باخترام الرجال ، وإيتام الأطفال ، وإرمال النساء ، وإحلال الدماء ، وانتهاب الأموال ، واعتساف الأهوال ، وإخلاء الأوطان ، وجلاء السكّان ، وانقطاع السبل ، واتساع الخلل . هذا إذا كانت الدّعوة واحدة ، والشرعة معاضدة ، فأما إذا انساق العدو إلينا ، وتطرق علينا ، وضري على أموال المسلمين ودمائهم ، وجروّ على قتل رجالهم وسبي نسائهم ، وبانت له العورات ، وتحققت عندهم الاختلافات ، وأحدوا رحاهم ، واستمدّوا من وراهم ، لم يكن للمسلمين بهم بعد يد ، ولا عن إخلاء هذه الجزيرة بدّ ، والله يحميها من الغير ، ويكفيها سوء القدر .

وإن أحقّ من لم شعث المسلمين ، وضمّ متكتّ الدّين ، من أيّد الله أوّلهم بأوليّه ، ورقع خللهم بمساعيم ومساغيه ؛ وكانت وقائعهم في المشركين مشهورة ، وصنائعهم بالكافرين مذكورة ، ومن لا تورّخ الأيام إلاّ بغزواته ولا تحلّي الأيام إلاّ بفعلاته . وأنت قاضٍ من تلك القواضب ، وثاقب من تلك الكواكب ، وغرّة من تلك الأوضاع ، وشعلة من ذلك المصباح ، ومعلّى من تلك القداح ، وعامل من تلك الرّماح ، فحقيق عليك أن تجري إلى غاياتهم ، وتعلي راياتهم ، وتحمي ذكرهم ، وتُحيي مجدهم . وقد علمت ألاّ عدّة أعدّ ، ولا نجدة أنجد ، من توازر القلوب ، وتناصر العيون ، وتضامن الأيادي ، وتظاهر المساعي ؛ فحيثنّ يخشّ الجانب ، وين المجانب ، ويصحب الأبيّ ، ويطيع العصي . ومن خلا من صالح الأعوان ، وضع الاستظهار بأجباء الإخوان ، كان أجذم الرّماح ، كهام السّلاح ، مقصوص الجناح ، خائب القداح ، مفلول الحدّ ، مصلد الرّند ؛ والمرء كثير بأخيه ، والجناح بقوادمه وخوافيه ، والانفراد في الوطن غربة ،

والانقيادُ للآخر كربة ؛ مع أن الغلبة بالتغريز والإخطار ، ليست من شيم أولي البصائر والأبصار .

ومن الذي دعاكَ يا سيدي إلى فتنةٍ تخوضُ غمارها ، وتحمل أوزارها ، ولا تغتبط بعقبها غالباً ولا مغلوباً ، ولا تتشطُّ من بوساها حارباً ولا محروباً ؟ ! فإن كان وفاءً لمن عاهدت ، وغناءً عمّن عاقدت ، فأدنى المساعي إلى النجح ، وأولى المطالب بالكدح ، وأبعد المذاهب من العيب والقدح ، ما بُدئء بالمشاركة^١ وختم بالصلح ؛ فالله تعالى يقول : « والصلحُ خيرٌ » « والفتنة أشدُّ من القتل » .

والاتفاق يا سيدي أضْمُ للشمل ، وأوصل للحبل ، وأحمد فاتحة وخاتمة ، وأرضى بادئةً وعاقبةً ، وأسلمُ دنيا وآخرة . ومعاذ الله أن تزلَّ بك قدم ، أو يحلَّ بك ندم ، أو تزعجك إلى المجاهل بلحاجة ، وترهج لك في الباطل عجاجة .

وله عن تأييد الدولة أبي جعفر :

كُتِبْتُ - كُتِبَ الله في قلبك ذكراً لا يمحوه نسيان ، وأعذبَ لي من شربك ما ينسي مرارة كلِّ خطبان - ولو أعطيت الأجسام لطاقة الأرواح ، لطرتُ إليك بلا جناح ؛ وإلاَّ يمثّل الجسم بين يديك ، فالقلب مائلٌ لديك ، والنفس حائمة عليك ، والأملُ نزاعٌ إليك . فهل لمولاي عطفة ، تميلُ إلى عبده عطفه ، فتقبّلُ الثريّاً كفته ، أم هل له إليه لحظة ، تنيله الدنيا بها حظّه ؛ فقد طال إبعادُ الليالي بالإحالة ، وأوعاد آمالي بالإدالة ، وأنا بينهما كالظنقر يوم صفتين ، والخلافة يوم تحكيم المسلمين . وقد أطلت من عنان أملي ما قصّرَ خطا العوائق ، وفستحت من ميدان رجائي ما ضيقَ مسارحَ البوائق ، فلا عذر لي ولم أفصلُ به الجوزاء عقوداً ، وأنل السماء قعوداً ، فالواعد حري بالوفاء ، والله مليٌّ بالعطاء .

وله : الحسبُ - أعزّك الله - في موطنه ، كالدّهْب في معادنه ، والشرف في الأشراف ، كالدّر في الأصداف ، والمجد في أهله ، كالفرع في أصله ؛ ومن حازت

١ ب م : بالمشاركة .

له آفاق المعالي نجيب ؛ ورث السيادة نجيباً عن نجيب ، وكان الكرم فيه كالفرند في القواضب ، والضياء في الكواكب ، والصفاء في الماء ، والروح في الأحياء^١ وإن لم يحظ بك العيان ، ولا أسعد بقربك الزمان ؛ فالرؤية بالقلب لا بالعين ، والقرب بالنفس على الدنو والبين ؛ ومن كان مثلك نور ناظره ، وخيالك سمير خاطره ، فقد قاربك مقاربة الارتياح للأرواح ، بل مازجك ممزجة الماء للراح . وإذا كان المعتقد من الإخوان أوفاهم ذمة ، والمعتمد عليه في الحدثن اعلاهم همّة ، وأحقّ الناس بالوفاء وارثوه ، وأشبه الأتباع لتبع بنوه ، وقد أعلقت ودّي منك من يزكو وده ، وأوثقت عقدي بمن لا ينحل على الأيّام عقده . فشاري ودّك بنفسه رابح التجارة ، ومضيع عهدك في أسه فاحش الخسارة . وأنا أحمد يوماً وصلني بمعرفتك ، وأذم دهرأ قطعني عن صلتك ، واعتقدك أكرم العقد ، وأعدك للأهل والولد . ولا وسيلة إلاّ فهمك ، ولا وصيلة إلاّ همك ؛ فما أزور الرياض إلاّ تشوقاً إلى شيمك ، ولا ألاحظ السحاب إلاّ تخيلاً لكرمك .

وفيما يحكيه فلان^٢ [مردّد] شكرك ، ومطيّب ذكرك ، من مآثرك الزاهرة ، ومفآخرك الباهرة ، شائق يحوّم طير القلوب عليك ، وسائق يحدو بالنفوس إليك ؛ وأنت أرق نفساً وطبعاً ، وأكرم أصلاً وفرعاً ، من أن يجمع عليّ بعدك وبعده كتابك ، وفقدك وفقد خطابك .

وكتب إلى صديق وقد بعث تفاحاً : لو لم تكن نفسي لك ، لأهديتها إليك ، ولولا أنه حقك أثبتته لديك ، لجلوت وجه مودّتي عليك ، متوجّجاً بطيب الذّكر يرفل في حلل الشكر ، وما عسى أن يهدي الغريق في بحار برّك ، والمنقطع في مضمار شكرك ! لكن لك الإبداء بالفضل والإعادة ، ولي الاقتداء بالجرى على العادة ، في إهداء الحقيق إلى الخطير ، ومقابلة الجليل بالقليل ، فما قصرت مقدرته ، من أطالت مكارمك معذرتة .

ولكفي بشمائلك الشّمولة ، وشغفي بخلائقك المعسولة ، بعثت بما يحكيها ولا يدانيها ، ويخبر بريّاه وطعمه عن بعض ما فيها ، تفاح قطع حمرته وصفرته من خجلات الحدود

ونزعت صورته شبه فوالك اليهود ، وختم على ألد من سلوى النحل ، وأعذب من جني النخل ؛ ناسب الرياض وأفنى عمره عمرها ، فورثته زهرها ، تذكرك أسافله سرالبطون الغلب ، وطعمه لذادة الثغور الشنب .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر أحمد بن عباس^١ وسياقة جملة من نثره ، مع ما يتعلق من الأخبار السلطانية بذكره

كان أبو جعفر هذا قد بذأ أهل زمانه^٢ في أربعة أشياء :
المالُ أوَّلاً : لم تجتمع — زعموا — عند أحد من نُظرائه ما اجتمع عنده
من عَيْنٍ وورقٍ ، ودفاتر وخيرقٍ ، وآنية ومتاع ، وأثاث وكُراع .
والعُجب : فلم يكن الفضل بن يحيى ، ولا معلمه عمارة بن حمزة ،
ولا عبيد الله بن ظبيان ، ولا مُطعم بن جبير ، في ذلك إلاَّ بعض قُوى
سنبه ، وحُثالة واطيء عَقِبِهِ^٣ .

والبُخل : حتى لو أن الجاحظ رآه ما ضرب في البخل مثلاً ، ولا
ذكر في رسالته رجلاً . له في ذلك أخبار تخرق سجع العادة ، وتَضيق
عن قبول الزيادة . حُدِّثْتُ عن الوزير أبي محمد بن الجَدِّ ، وكان امرأً
صِدْقٍ ، أنه سافر أيتام شبيبهته في معسكر زهير فتى ابن أبي عامر قبل

١ أبو جعفر أحمد بن عباس : ترجم له في المغرب ٢ : ٢٠٥ (واعتمد على الذخيرة) والنفع

٣ : ٥٣٥ والاحاطة ١ : ١٢٩ (١ : ٢٦٧ تحقيق عنان) وراجع ترجمة ابن شهيد

فيما سبق من هذا القسم .

٢ ب م : قد بذ الناس وقته .

٣ تأتي هذه الفقرة في ب م بعد الحديث عن بخله .

٤ ب م : سافرت ؛ وكذلك سائر الخبر بضمير المتكلم .

أن يظهر أمره ، ويشتهر بصحبة السلطان ذكره ؛ فرحلوا في بعض الأيام وقد خلصَ إلى الأحشاء برْدُ الأجسام ، وسوى برْسُ السماء بين الغيطان والآكام ، حتى كأنَّ الأرض صفيحة^٢ حسام ، أو صبيرُ غمام ؛ وغيبَ مطرٌ قد غادر الكتبانَ وعوثا ، وصيرَ المسالك تلاءاً ميثاً^٣ ؛ فكبتَ به فرسه وقد تأخرَ عن صحبه ، وساختَ رجلُه في بعض ذلك الخبارِ فصرعَ حينه . وكانت عنده فروة^٤ فنكَّ قد أعدَّها لأيام الوفد ، فاستظهر بها يومئذ على شدة ما كان فيه من الجهد ، ومخافة من عادية ذلك البرد ، فأصابه من الطين ما كاد يُشكِّكُه في عيانه ، وأقام عامة يومه على إصلاح ما فسد من شأن فروته وشانه . فورد العسكرَ وقد زاحمَ الليل ، وبثَّ الوزيرُ المذكورُ في طلبه الخيل ، فساعة رآه قال له : ما غالك ، وأيُّ شيء حبسَكَ لا أبالك ؟ فطلقَ بقُصٍّ عليه أمره وهو يضحك ، وكان آخرَ ما راجعه به أن قال : أو ما عندك غيرُ ذلك الفنك ؟ ثمَّ انتفخَ في إهابه ، واستدعى قهرمان ثيابه ، وقال له : كم أودعتَ عيابي ، وأدرجتَ أثناء^٥ ثيابي في سفرنا هذا من الأفناك ؟ فجاءَ منها بعدد ، ما ظنَّ أنها تَجتمعُ لأحد ، ولا يُحيطُ بها مِلْكُ يَد . قال أبو محمد : ولم أشك في تحصيل فروته ، وجَرَّ ذُيولَ كسوته^٦ ، فوالله ما زاد على أن عدَّها ، وأمر القهرمانَ فردَّها ؛ ثم قال : يا أبا محمد ، هذه ثيابُ سَفْري ومهنتي ، فكيف

١ البرس : القطن ، ويعني به هنا الثلج .

٢ ب م : صفحة .

٣ الميث : جمع ميثاء ، وهي الأرض السهلة أو الرابية الطيبة .

٤ الخبار : ما تهور من الأرض وساخت فيه القوائم .

٥ ب م : في أثناء .

٦ ب م : فروة ... كسوة .

لو رأيت ثياب المدينة ، وملابس الزينة ؟ !
والكتابة : وهي أقلُّ أربعته ، وعلى كلِّ حال فله بها يد ، ونفسٌ
ممتدَّة ، وفيها يوم وغد ، وعدَّةٌ وعدَد .

وقد ذكر ابن حيَّان من أين غرَبَ وطلَّع ، وكيف طار حتَّى وقع ،
وأنا مثبتٌ من ذلك في هذا المكان ، ما يليقُ بهذا الديوان ، بعد إثبات بعض
فضائله ، واستخراج^١ ما حضرنى من رسائله .

فصول له في أوصاف شتى

من ذلك رقعة [خاطب بها أبا المغيرة ابن حزم] قال فيها :

أنهى إليّ كتابك رجل طويل القامة ، صَقِيلُ الهامة ، بعينيه لِيَانَة ، وعلى
أسنانه طُرَامَة^٢ ، وفي شاشيته^٣ وضارَة ، وفي منطقهِ لُكْنَة صعبة ، وعلى
أنفه عقدة كالْكُبَّة ، وفي أطواقه سَعَة ، يخرج منكباه من أقطارها كأنَّها
ثيابٌ واليه ، أو شَبَارِقُ^٤ رَاهِب < تائه >^٥ ، وفي مشيته تَفَحُّجٌ قبيح كأنَّه
عائم في يَبَسٍ^٦ ؛ وعليه غِفَارَة شَقَّافَة شَبَكِيَّةُ السَّيْدَارَة^٧ ، وأظنُّ

١ ب م : وإخراج .

٢ الطرامة : خضرة تركب الأسنان أو بقية الطعام بينها .

٣ الشاشية : غطاء الرأس من حرير أو جلد أو غيرها .

٤ الشبارق : الثوب الرقيق أو المقطع .

٥ زيادة من نسخة دار الكتب وحدها .

٦ ب م : يبيس .

٧ السيدارة : القلنسوة بلا أصداغ ؛ وفي ب م ط : السداوة ، ولعل صوابها « السداة » .

العمالقة غزلت صوفها زمن الفِطْحَل^١ ، والأكاسرة تولت صباغها عام
 الصُّفْر^٢ ؛ كأنَّها الطليسان الحرَبِيّ ، أو التُّبَّان^٣ السَّعْدِيّ . ولقيتُ الرَّجُلَ
 وقد أحاط بي جَمْعٌ ، والتفَّ عليَّ قومٌ ، فوقفتُ معه موقفاً كفاك الله
 خزيه ، ولا وقفك مثله . وقد عهدتُك تجري بميدان الفكاهة ، وتنخرط
 في سلك الدُّعابة ؛ فلما أسلم إليَّ الكتاب ولحظتُ عنوانه ، وحياني بلفظ
 لم أفهم لسانه ، قلتُ : خبأها [أبو المغيرة] وربُّ الكعبة ، وأهدى إليك
 بهذا الإنسان لعبة ؛ ورماك عن قوس فكاهته بهيئة باذة ، ودهاك من تماثيل
 خياله ؛ بطلعة شاذة ؛ وسدَّ تطيبك بسدادٍ من ثغره ، وطار إلى أفق
 تدبيرك^٤ بجناح من هزله . فتماسكتُ وما كدت ، ثمَّ تجلّدتُ ؛ ولجأتُ
 إلى فضِّ الكتاب ، وابتغيْتُ نقلةً لأستترَ [بجملة أسباب] ؛ واعتصمتُ
 بعصمة خطِّه الموشِيّ ، ولفظه البَابِلِيّ ؛ وصعدتُ في الكتاب وصوبتُ
 لأعمل لنفسي شغلاً ، حتّى رأيتُ النَّسَبَ ، وسمعتُ اللَّقَبَ ، فقلتُ :
 الرَّجُلُ — لا محالة — عِبريٌّ^٥ المنتمى ، وشاهد الطَّلعة عدلٌ مُزَكَّى .
 فَوَحَتْ الطَّرَبَ ، وحرمة الأدب ، لقد هممتُ أن أوفي الشُّطارة حقَّها ،
 وأسمِّمَ الخلاعةَ وسمها ، فأجعلَ في يده عكَّازَ قصبة خضراء ، وفي رأسه
 قلنسوة بيضاء ، وأضع على عاتقه^٦ خُرْجاً بنُخالة ، وأقيم من نفسي ومَن حَضَرَ

١ الفطحل : زمن نوح ، أو دلالة على زمن قديم : « والحجارة رطبة » .

٢ عام الصفر : هو عام يؤرخ به الرومان من عصر قيصر اكتبيان (Octavius)
 (المغرب ٢ : ٨) .

٣ التبان : سراويل صغير يكون للملاحين .

٤ ب م : حيله .

٥ ب م : تدبيرك .

٦ ب م : عربي .

٧ ب م : عنقه .

عَرَافَةً وآلَةً ، وأخذ به من طُرُق بني مَرْدَخاي^١ على قارعة المحجة بين الناس ، وأقلّده سيف الباجي أبي القاسم ، فإنه صَفِيحَةٌ مُقَشَّرَةٌ لا غِرَارَ لها ولا ظُبَّة ، كأنه قضيبُ صاحب اسفيريا^٢ ، أو عمود نيزكي^٣ لم يُحَدِّد له زُجْجًا ؛ وهذا شرط ذلك اللَّعَب ، ففي نفوس القوم خَوَرٌ ، لا تحمل معه السلاح إلاَّ بخوف وحذر . وتأمّلتُ خُفْيَه فإِذَا بهما من كَيْسِ سُخْتٍ ؛ بال ، مُصَدَّرَانِ تصدير السَّنْدَالِ^٥ ، قد انهرت أشداقُهُما ، وهدّلت مشافِرُهُما ، وصار عاجُهُما آبنوساً ، ونعلُهُما خيالاً مرسوساً^٦ ؛ فقلتُ : لا يزدوجُ طيلسانُ ابن حرب إلاَّ بِخُفْيِ حُنَيْنٍ ، وقد كُفِينَا ارتياد خِلْعَةٍ ، تُوافق هذه الطَّلْعَةَ ؛ ثمَّ جمعتُ جراميز صبري ، وأخذتُ بكظمِ نفسي ، واستعدتُ بالله من آفة الغفلة ، وشغَلَ بالي ذلك المرأى الشَّنيع ، والموقفُ المهوول ، وحرمتُ عامَّةَ نهاري مَنْ يُعلمني ، حتى ظفرتُ بِمَنْ أوسعنيهِ علماً ، وفسره لي نصّاً ، فللففتُ رأسي حياءً منه ، وتمنيتُ أن تُضدِرَني البلادُ عنه ؛ وأدرَكْتُهُ - لا محالة - خجلةُ ذلك الملتقى ، فحمداني زورته ، ومنعني عودته ، يرجم في الظنِّ السَّوْءَ ؛ وإن يقل فمعذور ، وإن يكن منِّي ما كان فغير مَكْشُوم ، لأنك رميتني بآبِدة الأوابد ، وداهية الغَبَرِ^٧ ، ومشكلة لا تنفرج بالبدية ، ولا يُنْقَذُ فيها إلاَّ بطول الرويَّة ، وما أعجب

١ ب م ط : مردخان .

٢ ب : اسفيرا ؛ م : أسعير ؛ والاسفيريا : خليط من اللحم والبيض والبصل .

٣ نيزكي : نسبة إلى النيزك ، وهو الرمح القصير .

٤ الكميخت : (لفظة فارسية) نوع من الجلد .

٥ ب م : السندان .

٦ ب م : مرسوساً ؛ مرسوساً : قد نسي لتناول المهد عليه .

٧ ط : العمر ؛ ب م : الغبر .

شأنها إن كان وقع اتفاقاً ، وأغلب الظن أن تأنيها اعتماداً .

ومن جواب أبي المغيرة عليها : وأرجع من كتابك إلى ما ركض جواد
الهزل ، وشهر سلاحه ، ونشر علمه ، وشبّ زبُونَ حربيه ، وأوقد
وطيس فنتته ؛ بل إلى ما مدّ بساطه ، وفرش أنماطه ، وأدار كؤوسه ،
وأماط عبوسه^١ ، وحرّك أوتاره ، ونبّه أطيّاره ؛ بل إلى ما أقام لعيه ،
وحرّك لُعيه ، وأحضر مجونه ، واستجر^٢ فنونه ، وزمّرَ في بُوقه ، ونقر
بطنَ دُفّه ، ورقص على إيقاع لحنه ، فقَلَنْسَ في أختانه ، وطرطر في
قرونه^٣ ، وبربر في رعي ضانه ، وترهّب في غير خالقه ، ولم يدع من
الجدّ طرفاً ، ولا للهزل سبباً ، إلاّ وتمسّك به . فهو القائمُ القاعد ،
والغويُّ الراشد ، في وصف الطّاريءِ بالكتاب عليك^٤ ، الذي هدّبه الزمان ،
وقاده إليك الخذلان ، وحمله إليك من أنزح مكان ، ليكون أتمّ في إلهائك^٥ ،
وأبلغ في إضحائك . فالغريبُ من كل حقّ وباطل نافقٌ ، والموجود كاسد .
ولم أُميّز من هيئته غير القامة ، وأنكرتُ سائر ذلك من الهامة ؛ فعهدي
بجيبه كالصّحيفة الصّقيلة ، وخدّه كمرآة الغريبة ، وعينه كناظر صقر
طاوٍ على مرّقب ، وضفدع ينظر من خلال طُحْلُب ؛ وأنفه كغفرار
سيف ليس الذي قلّدتَه به ، وألقيتَ حمائله في عُتْقَه ، ولسانه كمخراقٍ

١ ط : غموسه .

٢ ب م : واستمد .

٣ ب م : قروبه .

٤ ب م : لهزل .

٥ ب م : إليك .

٦ ب م : إلهالك .

لاعب ، وبصوتٍ شبيب به نثيماً^١ ، وزَجَرُ أبي عروة همساً خفياً ؛
 وأثوابه تُزري على اليمَن^٢ بشرفِ صنعةِ صنعاثها ؛ وخُفَّهُ لو وطىء لابسُهُ
 على الصَّميم في المجلس بين جعفر والرَّشيد والحاجب الفضل بن الربيع ،
 ما أنكر مدخله ، ولا تُبين خَلْلَهُ . لطفُ توَصُّلِ يوهمك أن السَّحر
 يَمُدُّه ، وقواه تشده ؛ لو شاء أن يجمع بين الجن والإنس ، ويضمَّ جميع
 الأنواع تحت جنس ، ما ارتقى صُعداً ، ولا لقيَ كبدًا^٣ . فكيف انقلبت
 هذه العين ، وانسلخت من ذلك الزَّين ، وصارت أبدةً تُلهي ، ونادرةً
 تجري ، لولا ما هيأهُ سعدُك ، وسبَّبَهُ جدُّك ؟ وقد قامَ النُّوروز بما
 وجب عليه ، ولم يوجِدْكَ السَّيْلَ إليه ، فارتقبُ من المهرجان نعتها ،
 وانتظر فيه شِكْلَها . وكنتُ أسومك مساجلي بنظيرها ، وأمقابلتي بمثلها ،
 لكن من لي بمساعدة الزمان بقسطك ، والأخذ فيه بشرطك ؟

ولابن عباس من رقعة إلى أهل غرناطة يقول في فصل منها^٤ : لم أعقر
 ناقَةَ رضاكم فأُسَخِّط ، ولا أكلتُ من شجرة عقوقكم فأشحط ؛ وإنما
 أعطيتكم صفقة الصَّاغية لأُكرِّم ، وانحرفت عنكم على زاوية المِقة كي
 لا أهان ، ونمتُ على مهاد الثَّقة بكم لثلاً^٥ أتَّهم . أفالיום يقال : جعلتُنا
 قنطرة ، وكتبتَ إلى صديقك كتباً مبطَّنة^٦ ؟ ! وكان ابن أبي موسى مَوَاتاً
 نُفِّخُ^٦ الرُّوح فيه ، وعيالاً علينا فاستأثرتم به ، وجعلتموني مركز دائرتم

١ ط : وبصرته شبيباً تيمياً .

٢ ب م : النمر .

٣ ب م : كدا .

٤ انظر المغرب ٢ : ٢٠٥ .

٥ المغرب : مسترة .

٦ المغرب : نفخنا .

في اللَّفْظ ، وعينَ سعايتكم في القصد ، فضرِبتم بي ^١ أمثال السُّوء ، إلى معانٍ طوال الصَّقَمِ بي عارها ، وطوَقتموني شنارها ، انحداراً عليّ كالسيل بالليل ، وتصديّاً ^٢ إليّ كالسَّهم ، وتولَّعاً بي كأنِّي عندكم ذنبُ الدهر . تُلزِموني صيدَ العنقاءِ في جحوركم ، وتشرطون عليّ بيضَ الأنوقِ في بيوتكم ؛ فأقِرُّوا الطيرَ في وُكُناتها ، واتركوا القِطَاةَ بمنامها ، وكونوا تجافيفَ الإنس ، وصُورَ الحِمَّامات ، وخيالَ الظِّلِّ ، أو ﴿ كسرَابٍ بقيعةٍ يحسبهُ الظَّمآنُ ماءً حتى إذا جاءه لم يجِدْهُ شيئاً ﴾ (النور : ٣٩) .

وأما ما عدّتموه من الآثار الجميلة عندي ففصل قبيح بكمْ لإيراده ، والكرِيمُ ينتزهُ عن مثله ، والمنُّ بالصَّنِيعَةِ تكفيرها ؛ ولقد أجهدتُ نفسي في خدمةِ هواكم ، واتَّبَع رضاكم ، وصرتُ منقاداً لرمز حواجيبكم ، وتبعاً لركابكم ؛ على أنِّي ما أكلتُ من حلّوائكم ما يحطّي في أهوائكم ، ولا لمَطْتُ ^٣ من دنياكم العريضة بلدظة ؛ ولقد خَبِنا من صفقات أرباحكم ، وحصلنا على الحرمان من متاجركم ؛ وقفنا بشمّ قُتاركم ، واستنشاق النسيم مِن تلقائكم ^٤ .

وله من أُخرى إلى أهل قرطبة عن زهير الفتي : أنتم - معشَرَ الأعلام ، وأكابر الرِّجال - غُرُرُ المصر ، وبقايا هذا العصر ، وموضع اقتباس النور والرأي ،

١ ب م : لي .

٢ ب م : وتسديداً .

٣ ب م : تلمطت .

٤ ط : وصرنا .

٥ ط : لقائكم .

والملاّ المُقْتَدَى به^١ ، والمشار إليه ، مَنْ حاط هذه الملة ، وانتدب لصلاح الأمة ، ومُخَضَّ^٢ الرَّأْيِ وهذَّبه ، وأَلْقَحَ عَقِيمه ونَتَجَه ، ورفع عن هذا العالم أسباب الشُّبْهَة ، وكشف لهم عن غطاء الهداية ، فقد طالما خبطوا عشواء ، وأخذوا بغتة ، وكلب عليهم من بني زمانهم مَنْ انتدب لتجويز المُحَال . ولو أخذنا في عدِّهم^٣ ، وبَسَطْنا أولهم وآخرهم^٤ ، لخرجنا عن غرض الخطاب إلى التَّأليف ، وجانبنا سير القصد في الأمور إلى التَّصنيف . وأشدُّ هذه العصابة المشؤومة ابن عبَّاد ، الذي سَلَّ سيف الفتنة والبغي من قرابه ، وأثار بعير الظلم من مَبْرَكه^٥ ، وانتزَى ببطنته أشرأ ، ومشى في الأرض مَرَحاً ، وظن أن يحرق الأرض ويبلغ الجبال طُولاً ؛ فغزا [أهل] الإسلام في عُقْرِ دارهم ، وأسقط عن نفسه حرمة الله فيهم ، وأذهب ذِمَّتَه ، وبني أمره على دعامة زيت ، وأتى لشأنه^٦ من ظهر بيت ، واستعار اسم الشهيد هشام المؤيَّد بالله لغير أهله ، وعزاه^٧ إلى مَنْ ليس من شكله ؛ فضاعف السيئة ، وجاهر بالمعصية ، واتبع الرسم الدائر ، وجعل حظَّ^٨ الناس فيه التَّمثيل في اسم كاذب ؛ واعترض على مُنْكره بكهانة شقّ وسَطِيع ، وآيات طَسَم وجديس ، واحتجَّ بكتب الجفَر ، ودان بالتناسخ ؛ وأضاف

١ ب م : بكم .

٢ ب م : ومُخَضَّ .

٣ ط : عددهم .

٤ ط : بآخرهم .

٥ ب م : بروكه .

٦ ب م : شأنه .

٧ ب م : وعدا به .

٨ ط : خط .

إلى هذه الغرائب قراعَ أَسْمَاعِ الأَغْمارِ بها ، يُرِيهِمْ وجوه الاستبصار ، فضلاً عَمَّنْ تدرَّجَ في طبقات المعرفة ، وجرى على وتيرة الدَّراية ، وسبقت له ^١ قدم صدق في الرِّوَاية . ثمَّ رفع السوط للسيف ، فأوجع قلوب المسلمين باللسان واليد ، يحكم كيف شاء في أبشارهم ، وصارفهم صرف الدينار بالدراهم في أموالهم ؛ لا تتخلل الموعظة قلبه ، ولا تقرع التذكرة سمعه ، فتارةً يأخذ النصراني واليهود بذب التوراة والإنجيل ، وأخرى يقول للمسلمين توبوا ممّا ^٢ عسى أن يكون .

[وفي فصل منها: فإن كان كاذباً فيها لها حسرة ، وإن كان صادقاً ^٣ فما أحوَجَ المُلْكُ إلى قطرة]! وكتابي هذا إليكم وقد اتفقت الكلمةُ في وضع رأس الإمارة على كاهله ، وتصلُ الإمامة في نصابه ؛ وأعدنا الحقَّ إلى أهله ، وأصفقنا على بيعه رضًى واتفاق وطاعة لعبد الله أمير المؤمنين لإدريس المتأيد بالله — أيدته الله — وطهرنا المنابر من دنس تلك الدعوة المستعارة ، وهتفنا بها هتف التبشير ، وقامت بها الخطباءُ على المنابر ، وانجلى الغايةُ عن فَلَاقِ الصُّبْحِ ، وأقلعت ^٤ الظلمة عن وَضَحِ الشمس ، وأزاح — بفضلته — تعالى غُصَّةَ الشك ، وشجى الإفك .

فاعتبروا بما ألقينا إليكم اعتبار من يحتاطُ لدينه وتقواه ، ويرغب

١ ط : لهم .

٢ ب م : لا .

٣ ط : فإنما .

٤ ط : المؤيد .

٥ ط : وانقلعت .

عن المضيفة بنفسه في دنياه ؛ والرمز يكفيكم ، والإيماء يغنيكم . ولم نجعل
علمكم بحال الموصوف ، لمعرفةنا بمكانكم من التحصيل ، إذ أنتم أهل
النظر والتأويل . ولما استوثق الأمر على مناجه^١ ، واستتم الرأي على
أدراج^٢ه ، هزناكم هزة التذكير ، ورمينا إليكم بنبد يسير^٣ .

وله من أخرى إلى أبي المغيرة ابن حزم : قرأت الرقعة الكريمة التي
ناولتنيها اليد العزيزة ، فكأنَّ البدر مدَّ إليَّ كفاً^٤ تخنَّمت بالنجوم
الزاهرة ، أو الدهر أعطاني بها أماناً من خطوبه الجائرة ؛ وعانيت وشياً
منمنماً ، وأبصرت ريطاً مسهماً ، وطفقت ألتمس المجارة ، وأروم
المباراة ، فإذا شأوي حسير^٥ ، وباعي قصير ، وفي ملجَم ، ولساني
مُفحَم ، لأنني تعاظيت أسدَّ العرين وهو مُشبل خادر ، وموج البحر وهو
مُزبد زاهر :

وفي تعَب من يحسد الشمس نورها وَيَطْمَعُ أن يأتي لها بضَرِيبٍ^٦
لله أنتَ من نَتْرَةِ آداب ، وسليل أحساب ، وسام^٧ حاسد ، وسراج
محامد ، إن ناضلَّ عن الحرِّم حماه ، وإن رمى الغرض أصماه ؛ يفتح
مغاليق^٨ الأمور بسياسته ، ويستزل الشارد المُتَمَتِّع بلطافته .

١ ب م : مناجه .

٢ ط : هزناكم بهذه التذكرة . . . يسيرة .

٣ ب م : يداً .

٤ ب م : حصير .

٥ البيت للمتنبى ، ديوانه ٣٢٧ :

٦ ط : وسام (اقرأ : وشجى) .

٧ ب م : مغاليق .

وفي فصل منها : ولو جاز أن يُقرن مع البدن العَجَف ، ويُنظم مع
الجوهر الصَّدَف ، لشفَعْتُها^١ إليك ، لكنها ممنوعة ما سألت ، وغير مدركة ما
طلبت ، فالسادة لا تمتزج مع العبيد ، والشَّهَد لا يضاف إلى الهَبِيد . ورأيت ما
نخلتَه الرسالةُ المعرِبة عن فنون البراعة ، وأعرتها من بدائع الصناعة ، التي لو
رام نُبْدَأَ منها بديع الزَّمان ، أو عمرو بن عثمان ، لتردَّداً يخبطان عشواء ،
وأصبحا في خجلة يطلبان النِّجاء . فدونها عذبة اللثام ، كريمة الأخوال
والأعمام ، بتدلُّ المهج أقلُّ أثمانها ، والعنبر الورد يسيل من أردانها . فإن
كنتَ حضَضْتَنِي على أن أصونها في تآمور الخاطر ، وأكتبها على جبهة
الأسد الخادر ، فأعزُّ من هذا أن أنوطها بذنائب العيوق ، وأودعها الجوانح
على التحقيق ؛ فهي لمن تأمل دُرٌّ نثير ، ولمن تنزَّه روضة وغدير ؛ لنسيم
الأدب فيها هبوب ، ولكلِّ قلبٍ منها^٢ نصيب ؛ قد وُشِّحتْ بغرائب
الكَلِم ، ورُصِّعتْ بجواهر الحكم .

ليس^٣ فيها عيب يُدرك ، ولا سبب يُفرك ، غير صدَرِها عن صدَرِ
فاجر نِكْس ، ومن لسان ملحد رجس ، لا يؤمن بالله واليوم الآخر ،
ولا يؤاخي إلَّا كلَّ منافق كافر ؛ يسبُّ الصَّحابة الأبرار ، ويكذِّبُ بالجنة
والنار ، ولا يرجو حساباً ، ولا يحذر عقاباً ؛ ادَّعى خلافة الله فهي منه
تَضِيجٌ ، ولبس أثوابها فهي عليه تعجٌّ ؛ لو اتعظ بمصرع أبيه ، لأقلع
عماً هو فيه ؛ بل أشبَّهه حقاً فما ظنكم ، وتَقَيَّلَه نسقاً فزاد وتمم ؛

١ ب م : لشفعت لها .

٢ ب م : ومن كل قلب .

٣ هذه الفقرة حتى قوله : « حنقها وغضبها » لم ترد في ط ، وهي دخيلة - فيما يبدو -
لأنها منقطعة الصلة بما قبلها وما بعدها .

يأخذ الرشوة على بيت الله الحرام ، ويستخف بشرائع الإسلام ؛ يهتك الحرم ويسفك الدماء ، ويستصحب الأوغاد والشُّطار ؛ يشرب الشَّيعةُ وقودُ جهنم وحصَبُها ، وعليهم يزداد حنقُها وغضبُها .

وفي فصل منها: وبقيَ جزءٌ من الإطالة أسوقه إليك، وأورده عليك: أنا مُقرٌّ بالعجز لبيانك، مُقبِّلٌ أنجمَ الثَّريَّا من بنانك، راغبٌ أن تلبسني من عفوك ثوباً أسحب أذياله، وأن تُفَيِّثني من صفحك ظيلاً آمناً زِياله، إذ أنا سَكَيْتُ هذه الصناعة التي بيدك لواؤها ، ولك يدين رؤساؤها ، وإليك تُعزَى وتُنسب ، وباسمك على منابرها يُخطب . وتردني لك كتبٌ لو فوجيءَ بها نُقادُ الكلام ، وجهابذةُ النثر والنظام ، لألقوا إليها السَّلم ، وادَّعوا عندها البَكم . فأنى لي بمقاومتك ، مع تقدُّمك وتخلُّفي ، ومصارعتك ، مع قوتك وضعفي ؟ ! فالواحد لا يُقرن مع الكل ، والفرع لا يُضاف إلى الأصل . فأسألك وأستغفك ، وأضرعُ إلى مجدك ومعاليك ، ألاَّ تُرهِّقني عُسراً ، فيظهر عجزِي ، ولا تُحمِّلني إصراً ، فيبين نقصي ؛ فإنَّك إمامٌ^٢ وأنا مأموم ، وأنت حاضر وأنا معدوم ، وأنا قُفٌّ وأنت نَهْرٌ ، وأنا جدول وأنت بحر .

قال ابن بسام : وسائرُ رسائل أحمد بن عبَّاس ثابتة في القسم الثالث من هذا المجموع في أخبار أبي عامر ابن التَّأَكُّرُتِي^٣ ، إذ تنازعا في هذه الصناعة الرَّأْيَة ، وجرياً^٤ من البلاغة فيها إلى غاية .

١ ب م : فيتبين .

٢ ب م : إمامي .

٣ انظر القسم الثالث : ٢٢٩ - ٢٤٤ .

٤ ط : وتجارباً .

إيجاز الخبر عن مقتل أحمد بن عباس وزهير فتي بني عامر^١
وما اتصل به من خبر نادر^٢

قال ابن حبان : كان سبب فساد باديس بن حبّوس وجماعة قومه
صنهاجة على جارهم وحليفهم القديم الحلف والولاية^٣ زهير الصّقْلبيّ، فتي
المنصور بن أبي عامر، موالاته لكاشحه محمد بن عبد الله زعيم زناته . ومضى
على ذلك حبّوس من عداوته ، وخلفها كلمة باقية في عقبه ، أضرم^٤
زهير^٥ بعد ناراها بتمادي تمسكه بالمذكور وإيفاده إليه المدد بقرمونة ،
واستخفافه بحق باديس ، وإنزاله إياه منزلة الأكفاء ، وهيهات له من ذلك
من فتي غير قليل التجربة ؛ فأثر شفاء نفسه عن النظر لعاقبة أمره ، وأضمر
الغدر ، وقدم العُدْر ، وأرسل رسوله إلى زهير مُلطفاً في العتاب ، مستدعيّاً
تجديد المحالفة ، فسارع زهير إلى ذلك، وأقبل نحو باديس إقبال المستطيل
عليه ، المتصور له صورة اليتيم في حجره ، المضطر إلى اتباعه وموافقته ،
فصار في تضييع الحزم والاعتزاز بالعجب ، والثقة بالكثرة ، والانخلاع
من فضيلة الرأي وفائدة التجربة ، ضدّاً للقصد الذي قصده ، وآية للغابرين
بعده ، إذ جاء مدلاًّ يجمعه وكثرته ، أشبه شيء بمجيء الأمير الضخم إلى
العامل من عمّاله ؛ قد ترك رسوم الالتقاء بالنظرَاء المعهودة له ولمن قبله ،

١ انظر البيان المغرب ٣ : ١٦٩ والاحاطة ١ : ٢٦٨ - ٢٧٠ ، ٥٢٦ - ٥٢٨ (تحقيق

عنان) .

٢ ط : خبر ونادر .

٣ ط : باديس بن حبوس على جاره القديم الحلف .

٤ ب م : ضرم .

من التوافق على المكان ، والاستظهار بآخر حدود الأعمال ، وغير ذلك من وجوه الخزم^١. فأعرضَ زهيرٌ عن ذلك كله، وأقبل ضارباً بسوطه ، حتى تجاوز الحدَّ الذي جرت به العادة ، من الوقوف عنده^٢ من عمل باديس دون إذنه ، وصيّر الأوعار والمضايق خلف ظهره ، لا يفكر فيها ، واقتحم البلد حتى وصل إلى باب غرناطة ، وخرج إليه باديس في جمعه ، وقد أنكر^٣ اقتحامه عليه ، وعدّه حاصلاً في قبضته ، فبدأه بالجميل والتكريم ، وأوسع عليه وعلى رجاله في القيرى والتعظيم ، ما مكن اغترارهم ، وثبت طمأنينتهم .

ووقعت المناظرة^٤ بين باديس وزهير ومن حضرهما من رجال دولتيهما من أوّل يوم التقائهم ، ففشا بينهما عارض الخلاف لأوّل وهلة ، وحمل زهير أمره كله على التشطط ، وخلط التهجير بالدالة ، والجفاء بالملاطفة ، وزعم في بعض ما يقوله ان الذي جاء به زيارة قبر حليفه وخليله حبسوس ، وهو قد بخل بالتعزية على ولده إثر موته . واتصلت بينهما المناظرة ، والإمرار يزداد ، وزهير يأبى ذلك ويتهاون كأنه قد اقتدر على خصمه ، ووزيره أحمد بن عباس المعجب التياه يفري الفري في تصريح ما يعرض به زهير ، إيعاداً للقوم ، وإغلاظاً عليهم^٥.

١ وردت العبارة موجزة في ط على النحو الآتي : « تمسكه بالذكور ، فأرسل إليه باديس رسوله معاتباً مستدعياً تجديد المحالفة ، فسارع زهير وأقبل نحوه ، وضيع الخزم ، واغتر بالمعجب والثقة بالكثرة ، أشبه شيء بمجيء الأمير الضخم إلى العامل من عماله ، قد ترك رسوم الالتقاء بالنظراء ، وغير ذلك من وجوه الخزم » ؛ وما في البيان المقرب مطابق لنص النسخة ط .

٢ ب م : الحد الذي جرت عادته بالوقوف عنده .

٣ ب م : استكثر .

٤ - ٤ : يقابل هذه العبارة في ط : « ومن حضرهما من رجال دولتيهما ، فنشأ بينهما عارض الخلاف لأوّل وهلة ، وحمل زهير أمره كله على التشطط ، ووزيره أحمد بن عباس يفري الفري في التصريح بما يعرض به زهير » .

فَعَزَمَ بَادِيسُ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى الْقِتَالِ ، وَوَاقِفُهُ قَوْمُهُ صُنْهَاجَةٌ ، فَأَقَامَ
 مَرَاتِبَهُ ، وَنَصَبَ كِتَابَتَهُ^١ ، وَأَرْسَلَ إِلَى طَرِيقِ زَهِيرٍ فَقَطَعَ قَنْطَرَةً لِأَعْيَدَ لَزَهِيرٍ
 عَنْهَا ، وَالْحَائِثُ زَهِيرٌ لَا يَشْعُرُ ، وَبَاتَ تَتَمَخَّضُ لَهُ لَيْلَتُهُ عَنْ رَاغِيَةِ الْبَكْرِ ؛
 وَغَادَاهُ بَادِيسٌ صَبِيحَتَهَا عَلَى تَعْبَةِ مُحْكَمَةٍ ، فَلَمْ يَرَعُهُ إِلَّا رَجَّةُ الْقَوْمِ
 رَاجِعِينَ^٢ إِلَيْهِ ، تَخَفَقَ طَبَوْلُهُمْ وَهَدِيرَ رِقَاصَتِهِ الْأَسَاوِدُ ، فَدَهَشَ زَهِيرٌ وَأَصْحَابُهُ ،
 فَيَا لَكَ مِنْ أَمْرِ شَتِيتٍ ، وَهَوْلٍ مَفَاجِئٍ ، قَسَمَ بِالْمَرَّةِ بَيْنَ نَفْسِهِ وَمَالِهِ ،
 وَوَزَعَ هَمَّهُ بَيْنَ رُوحِهِ وَرَحْلِهِ ! إِلَّا أَنْ أَمِيرَهُمْ زَهِيرًا أَحْسَنَ ابْتِدَاءَ الثَّبَاتِ
 لَوْ اسْتَمْتَمَ ، وَقَامَ يَنْصُبُ الْحَرْبِ^٣ ، فَنَبَتَ فِي قَلْبِ عَسَاكِرِهِ ، وَقَدَّمَ
 خَلِيفَتَهُ هَذِيلًا الصَّقْلَبِيَّ فِي وَجْهِهِ أَصْحَابَهُ مِنَ الْمُوَالِي الْعَامِرِيِّينَ الْفُحُولِ
 وَعَشِيرَتِهِ الصَّقْلَبِ وَغَيْرِهِمْ لِاسْتِقْبَالِ صُنْهَاجَةٍ . فَلَمَّا رَأَوْهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ
 حُمَتُهُ وَشَوَكَتُهُ ، وَأَنَّهُمْ مَتَى خَضَعُوا ، لَمْ يَثْبِتْ لَهُمْ مَتْنٌ وَرَاءَهُمْ ،
 فَاخْتَلَطَ الْفَرِيقَانِ ، وَاشْتَدَّ بَيْنَهُمَا الْقِتَالُ مَلِيًّا ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كِتْلًا ، حَتَّى
 حَكَمَ اللَّهُ بِالظُّهْرِ لِأَقْلَ الطَّائِفَتَيْنِ عِدْدًا لِيُرِيَ اللَّهَ قُدْرَتَهُ ، وَيُجَدِّدَ فِي
 قُلُوبِ عِبَادِهِ عِبْرَتَهُ ، فَتَكَصَّ فِي الصَّدْمَةِ قَائِدُهُمْ هُذَيْلٌ ، وَالرَّحَى عَلَيْهِ
 دَائِرَةٌ ، إِمَّا بَطْعَنَةً أَرَدَتْهُ عَنْ مَتْنِ فَرَسِهِ ، أَوْ بِكِبُورَةٍ كَانَتْ مِنْهُ ، وَابْذَعَرَّ أَصْحَابُهُ
 عِبَادِيدَ وَانْهَزَمُوا ، وَقِيدَ هُذَيْلٌ لَوْقَتِهِ إِلَى بَادِيسٍ أُسِيرًا ، فَأَعْجَلَ بِضَرْبِ
 رَقَبَتِهِ . فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ نَظَرَ زَهِيرٌ إِلَى مُصْرَعِهِ ، فَانْثَنَى عَنْهُ وَفَرَّ عَلَى وَجْهِهِ ،
 فَلَمْ يَسْتَصْحَبْ ثِقَةً ، وَلَا انْحَاذَ إِلَى فِتَّةٍ ؛ وَلَجَّ بِهِ الْفَرَارُ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ

١ ب م : كَاتِنُهُ .

٢ ب م : رَاجِعِينَ .

٣ زَادَ فِي ب م : بِمَا أَسْرَعَ الْقَمُودَ عَنْهُ .

٤ ب م : حَصَدُوا .

خلفه لا يلوون على شيء ، وركبتَ صنهاجةُ وَلَقَّهَا [وَمَنْ تَبِعَهَا] من أمداد زَنَاتةٍ أَكْتَافَ القوم ، باذلين السيف فيهم بصدق العصبية وإيثار الفناء ، فلم يُبْقُوا على أحد قدروا عليه ، ولا فرقوا بين أندلسي ولا جندي ولا سوقي ، فأساءوا الاعتداء ، وأبادوا أمةً ، حتى إمام فريضة زهير ولد الفقيه ابن نابل . فاستدل بقتلهم على من سواهم ؛ وعلم المنهزمون أنه أخذ عليهم المضيق المعترض في طريقهم ، فنكَّبوا وأخذوا في شعاب وعرة وجبال شاذخة ، أَلْجَأَهُمْ إِلَيْهَا السيف ، فكانت حَتَفَ مَنْ فَرَّ ، وتقطعوا وتمزقت أوصالهم . وفي هذه السبيل أودى أميرهم زهير وصار ذلك سبب مجهل مصرعه واعتصم الرجالة بتلك الأوعار الأشبة .

وأما السودان من رجالة زهير فإنهم غدروه^١ أوّل وهلة وعمدوا^٢ إلى خزانة سلاحه فنهبوها ، ونادوا بشعار صنهاجة ، وانقلبوا معهم ، ووضعوا السلاح فيهم ، وليست بانبدع من أفعالهم ، وكانوا قطعة خشنة يتقاربون الخمسمائة ، وكان زهير يعدّهم للنائبة ، فكانوا أوّل من أعان عليه . ولثوم مقام الأندلسيين بهذا المأزق وانهزموا ، فاصطلم عسكرهم . فنصر باديس^٣ ، وغنم رجالُ باديس من المال والخزائن والأسلحة والحلية والعُدَدُ والغلمان والخيام ما لا يُحَاطُ به وَصَفًا ولا قيمة .

وظهر باديسُ في الموقعة على قومٍ من وجوه رجال زهير ، فعجل على

١ ط : وجهل مصرعه ؛ وسودان زهير غدروه .

٢ - ٢ في ط : وانقلبوا مع صنهاجة ، وليست بالبدع من أفعالهم ، وكانوا قطعة خشنة يقاربون خمسمائة .

٣ ب م : والعدة .

٤ ب م : يقوم .

الفرسان والقواد بالقتل، فكان ذلك من أكبر ما صنعه لخلاف الوجه في قتال أهل القبلة . واشتمل الأسارُ على حَمَلَةِ الأَقلام جميعاً، وفيهم وزيرُهُ التياهِ المستكبر المعجب أبو جعفر أحمد بن عبّاس، الجارُّ لهذه الحادثة : قَيْدَ إلى باديس، وصدْرُهُ وصدور أصحابه تغلي^١ عليه بما أوقد من هذه النائرة، فأمر بحبسه ليستخرجَ منه مالاً، وشفّاهُ الولوغُ في دمه، وعجلَ عليه إلى مديدة، وحلت به الفاقة بعدُ دون أصحابه من حَمَلَةِ الأَقلام ، فإن باديس عف^٢ عن دمائهم من بين أصحاب السيوف إلاّ مَنْ أُصيب منهم في الحرب^٣، وأما الأسرى كابن حزم وابن الباجي صاحب الرسائل وغيرهم فأطلقهم^٤.

قال ابن حيّان : أخبرني القُرَشِيّ المعروف بالقِطّ عن شيخ من شيوخ صنهاجة يسمى بُلُقَيْن^٥ قال : سرتُ والله ليلةَ الوقعة إلى الرّقيع ابن عبّاس مستنزلاً له عما كان صاحبهُ الجاهل زهير تمادى فيه من قطعة باديس صاحبنا^٦، وعذلتَه وألطفت وقلت له : اتقِ الله فإنما هذا منك ، وصاحبك منقاد إليك ، وقد تعرّفنا البركة في تألّفنا ، وقد ربّبنا به مثلاً هذه النعمة التي كثر عليها حُسّادُنا، فاستدمّ بنا ما نحن فيه من الاتفاق، ولا تُعنى إلى الفتنة، فيزول أكثر ما تراه . ما الذي غرّكم من موالة ابن عبد الله

١ ب م : تلظى .

٢ ط : عف باديس عن . . .

٣ ب م : المعركة .

٤ ط : وأطلق ابن حزم والباجي وغيرهما .

٥ ط : عن بلقين الصنهاجي .

٦ ب م : مستنزلاً عما أزمع عليه صاحبه . . . من قطيعتنا .

حتى تقاطعوننا^١ في رضاه ؟ فأجيبوا هذا الفتى أميرنا فيما دعاكم إليه^٢ من الألفة . فجعل يستجهلني ، ويحجب جواب المتبوع للتابع ، وأنا أرفقُ به بعد أن قبلتُ وجهه ، واستعبرت رقّةً لاستلانه ، فلم يزد بذلك إلا قسوة ، وقال : دَعِ القعاقع فليست تهولنا ، وكلامي لك الليلة مثلُ كلامي لك أمس ، والله لا نزلّم إلاّ على رضانا ، وإلاّ أعقبكم على ذلك ندامة ؛ فأحفظني كلامه وقلت : يا هذا < أبهذا > أرجع إلى الجماعة ؟ قال : نعم وأشد منه . فانصرفت إلى أميرنا باديس ومن معه من المشيخة ، وإن دموعي لتتحدّر على وجهي غضباً ، فلما رأوا ما بي ابتدروا سؤالي ، فخيرتهم وقلت : يا صنهاجة ، هذه إحدى الكبر ، قوموا لدفاعها بقوة وإلاّ فليست داركم ! فالتظّت الجماعة ، وسعّر بلقين ابن حبوس نار أخيه باديس ، فحمي الوطيس ، وكان أحرص منه على الحرب ، فهيأنا لها ، وصبّحنا القوم على تعبئة محكمة ، فما زالت الشمس إلاّ وهم جزرٌ مذبّحة ، ومغويهم ابن عباس بدنة مشعرة .

وكان سبب نجاة القائد ابن شبيب من يدي باديس ، وقد أسر ذلك اليوم ، أن نظر إلى ابن عباس وهو يقاد إلى باديس أسيراً ، فلم يمنعه هول مقامه أن صاح : حاجب ! أسألك بالذي نصرّك ألا يفلتك هذا المأبون الزاري بالخليفة ! فوالله ما جنّى كلّ هذا غيره ، فليتنّ عاينتُ حتفه ولا أبالي القتل بعده . فتبسم باديس لقومه وعرف صدقه ، وأمر بإطلاقه .

وحكى أحمد القيسي متقبّل السكة بالمرية أن مهلك زهير وأصحابه كان

١ ب م : تسخطونا .

٢ ب م : إلى ما دعاكم إليه .

بقدر الله على يدي أحمد بن عباس وزيره المدبر لسلطانه ، إذ كان في باطنه فاسد الضمير عليه ، حريصاً على إيرا طِه والحصول على المرية مكانه ، إذ كانت دار والده عباس وحوزته ، وأهلها صنائعه وخوله ، وجندها تربيته ، فهو يرى أن مهلكه تراثه ، ويحرص على زواله .

وَحُدِّثْتُ^١ أن باديس لما تقدَّم تلك الليلة بجبس الأوعار أشعر بذلك زهير ، وقال له بعض أصحابه : أطعني وقتلني عارها ، وهون على نفسك هذا الخرق ، وخلّ عنها ، وتقدَّم إلى قوادك الليلة في الارتحال معك سرّاً ، واتخذ الليل جملاً ، فلعلَّك تجاوز هذه الأوعار فتخرج من الورطة ، فإنَّ القوم متى تبعوك فيها دخلوا من التَّغِيرِ فيما خرجت عنه ، وتبها لك العطفُ عليهم بمجال فسيح يمكنك القتالُ فيه والتعلُّقُ ببعض حصونك . وأكثرَ من ذلك حتى ردَّ عليه أحمد بن عباس قوله وقال : هذا وسواس أدخلك فيه الذُّعر . فقال له : ألمثلي تقول هذا يا أبا جعفر وأنا فارس [ابن فارس] ، نيفتُ على عشرين وقعةً وأنت ما قرعتك قطُّ وعِرَّةة ! استعلم عاقبة أمرك . فأجلت الوقعةُ عن أسره^٢ ، وكان مناه الخلاصَ إلى المرية لينفرد بالإمارة .

وكان من جهله المأثور أن قال يومئذ للذين يحملونه إلى باديس : الله الله في حَمولتي^٣ ! قولوا لأبي منادٍ باديس يحتاط عليها لا تنخرم ، فإنَّ فيها^٤ قطعة دفاتر لا كفاء لها ! فضحك البرابرُ من جهله .

١ ب م : وبلغني .

٢ ب م : على أسر ابن عباس .

٣ ب م : حمولي .

٤ ب م : فيه .

ولما سقط إلى المريّة خبرُ زهير ملكوا بلدهم^١ ، وكاتبوا عبد العزيز بن أبي عامر ، فلحق بالمريّة ودخلها عفواً إثرَ الوقعة ، وذلك مُنسلَخَ ذي القعدة سنة سبعٍ وعشرين^٢ وأربعمائة ، وظَفِرَ^٣ مِن تركة مولاه زهير وأصحابه الصَّقلب المصابين معه في هذه الوقعة على أموال عظيمة وأمتعة رفيعة تفوت الإحصاء والقيمة ، أَمسى فيها عبد العزيز كخرقاء وجدتُ صوفاً ، فرطَ تَبَذِيرُ ، إلى مال كثير من العين أصابه بيت مال زهير من الورق والذهب ، ووضعَ عبدُ العزيز كلَّ ذلك غيرَ موضعه ، فتضاعفت البليّة .

مقتل أحمد بن عباس

قال ابن حيّان : وكان باديس قد أُرْجأ قتله مع جماعة من الأسرى ، وكان الرئيس أبو الحزم بن جهور قد وجّهَ رسولاً إلى باديس شافعاً في جماعتهم ، مؤكّداً في شأن أحمد بن عبّاس ، وكان^٤ أبعدهم من الخلاص . واعتذر في حبسهم ليمين مغلظة ، وشدَّ صفاد أحمد ، ورغب عن الرغائب المبدولة فيه ، فاشتدَّ البلاء بأحمد لفرط فزعه وثقل حديدته ، وامتناعه عن استيفاء الغذاء المقيم لجسمه ، وتألّمه من عقر القيد لظنوبه . وظل يستعطف باديس ويشهّيه بكثرة ما بذل له من الأموال في فكّك نفسه ، وباديس يترجّع في ذلك وقتاً ، وتأبى له قوة غضبه عليه إلّا شفاء نفسه بقتله ، فأثر الشفاء

١ ب م : بلدتهم .

٢ ب م : تسع وعشرين .

٣ ب م : وظهر .

٤ - ٤ موضع العبارة في ط : فكان أبعدهم خلاصاً ، وأثر الشفاء من قتله على عظيم ما كان يعطى في فديته .

منه على عظيم ما كان يعطي في فديته ، وتولى قتله بنفسه [مع] أخيه بلقين إغراقاً في العداوة وتحقيقاً في الأنفة . فانصرف يوماً من بعض ركباته مع أخيه بلقين ، فلما توسّط الدار التي فيها أحمد بن عباس وقف فيها هو وأخوه بلقين وصاحبه الخاصة علي بن القروي لا رابع لهم ، وأمر بإخراج أحمد إليه ، فأقبل يرسف في قيوده حتى أقيم بين يديه ، فأقبل على سبّه وتبكيته بذنوبه ، وأحمد يُلطِّفُه ويسأله إراحته ممّا هو فيه ، فقال له : اليوم تستريح من هذا الألم وتنتقل إلى ما هو أشدّ ! وجعل يُراطينُ أخاه بلقين بكلامه ، فبان لأحمد وجه الموت منه ، وجعل يكثر الضراعة لباديس ويُضعف له عدد المال ، فأثار غضبه وهزّ ميزانته ، فأخرجها من صدره ، فاستغاث الله عند ذلك - زعموا - وذكر أولاده^١ ، فاعتوره أخوه بلقين بزرقات كثيرة كبّته لوجهه ، وشركهما ابن القروي فمزقوه . وأمر باديس بحز رأسه ، وووري خارج القصر . وزعموا أن القيد الذي بساقه عسر إخراجه بعد موته على خازن باديس فرض قدميه حتى ، انتزعه وهما القدمان الدّرمان والكعاب التي لم يخشن لها موطئ في سالف الزمان . فمضى ابن عباس [بسبيله] ، رحمه الله ، على هذه السبيل ، ولم تبك أرض عليه ، ولا قطيع ذنب عتر فيه .

وكان أحمد بن عباس كاتباً حسن الكتابة ، مليح الخطّ ، جيّد الخطابة^٢ ، غزير الأدب ، قوي المعرفة ، شارعاً في الفقه ، مشاركاً في العلوم ، مقتبساً للشعر من غير طبع فيه ، حاضر الجواب ، ذكي الخاطر ، جامعاً للأدوات

١ ب م : وذكر بأولاده .

٢ ب م : الخطاب .

الملوكيَّة ، جميل الوجه ، حسن الخلقة ، كلفاً بالأدب ^١ ، مؤثراً له على مائت لذكاته ، جماعاً للدفاتر ، [مقتنياً للجيد منها] ، مغالياً فيها ، نفعاً مَنْ خصه بشيء منها ^٢ ، لا يُستخرج منه شيءٌ للؤمه إلا في سبيلها ، أثرى كثيرٌ من الوراقين والتجار معه فيها ، حتى جمع منها ما لم يكن عند ملك . حكى وراقه أنه حصلها قبل مقتله بسنة ، فبلغت المجلدات في التحصيل أربعمئة ألف ، وأما الدفاتر المحزومة فلم يقف على عددها لكثرتها .

وكان مع ذلك أغنى ملوك الأندلس ، ولا يُعلم ابنٌ ورث لأبيه ما ورثه أحمد هذا ^٣ . زعم بعض مَنْ عرف أمره أن ماله العين بلغ خمسمئة ألف مثقال جعفرية ، سوى الفضة والآنية والحلية . وأما الأمتعة في المخازن والكسوة والطيب والفرش فبحسب ذلك . ثم حاط هو تلك النعمة بالبخل الشديد القبيح ، وحماها بالإمساك الصريح ، وأثلها بالاكْتساب والترقيح ، حتى أضعفت أضعافاً ؛ ولم يوفقه الله فيها لبرٍّ مُزلفٍ إليه ، ولا لصنيعة مشكورة منه ، بل كرهه الخلق فيه ^٤ بالكبر والعُجب ، والصِّلَف والتَّيّه ، فطمست بذلك محاسنه ، ووضحت مقابحه .

وحسبك ^٥ من جهله وعجبه أن عامل أهل قرطبة الذين فيهم منتماه ، وهم بقية الناس ، أيام دخلها مع زهير صاحبه ، بأسوأ ما عنده ، فحجب كبيرهم الشيخ أبا عمر ابن أبي عبدة من غير عذر ، وما عُرف عباسٌ

١ ب م : مسهماً بالأدب .

٢ ط : خصه بها .

٣ ب م : ولا يعلم أب ورث ابناً مثلاً .

٤ ب م ط : له .

٥ ط : ومن عجبه أنه دخل قرطبة ومنها منتماه وهم بقية الناس فحجب .

أَبُوهُ إِلَّا بِخِدْمَةِ ابْنِ عَمِّهِ ، وَتَنْقُصَ أَدَبِيَّتَهُمْ أَبَا عَامِرٍ بِنِ شَهِيدٍ وَلَمْ يَكْ
 [يَحْسَنَ] مُسْتَمْلِياً لَهُ . ثُمَّ أَجْمَلَ وَصَفَ جَمَاعَتَهُمْ ، [وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُمْ] ،
 فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ بِقَرْطَبَةِ ١ إِلَّا سَائِلًا أَوْ جَاهِلًا . وَهُوَ مَعَ تَنْقُصِهِ الْحَلِيقَةَ
 أَظْهَرَهَا نَقْصًا ، لَمْ يُنَافِسْ فِي مَكْرَمَةٍ وَلَا رَغْبٍ فِي إِسْدَاءِ مَنَّةٍ ، وَلَا لَذَّةِ
 بِنِعْمَةٍ شَاكِرٍ ، وَلَا هَشٍّ لثَنَاءٍ حَامِدٍ ، وَلَا اسْتُخْرِجَ دَرَاهِمٌ مِنْ عِنْدِهِ إِلَّا
 فِي سَبِيلِ الشَّهَوَاتِ ؛ فَأَسْمَنَ جَسْمَهُ ، وَهَزَلَ عِرْضَهُ ، وَأَشْبَعَ بَطْنَهُ ،
 وَأَجَاعَ ضَيْفَهُ ، يُمَسِّكُهُ عَلَى الْهُنِّ ، وَيُعَلِّلُهُ بِالْأَمَلِ ،

• لَكِي يَقَالُ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودٌ ٢ •

مِنْ رَجُلٍ كَانَ يَطُوفُ فِي مَقَاصِيرِهِ - زَعَمُوا - عَلَى خَمْسِمِائَةٍ مِنْ
 مُثَمَّنَاتِ الْقِيَانِ ، وَرَبَّمَا لَمْ يَكُنْ حَظُّ الْحَسَنَاءِ مِنْهُنَّ عَنْدهُ غَيْرَ لَدَغَةِ الْعَصَّةِ ،
 ثُمَّ لَا يَعُودُ الدَّهْرَ إِلَيْهَا ، وَاتُّهِمَ عَلَى ذَلِكَ ٣ بَعَثَهُ الْخُلُوءُ لِلَّذِي شُهِرَ بِهِ مِنْ
 قَلَّةِ الْجَمَاعِ ، إِلَى بَجْلِ لَا كِفَاءَ لَهُ بِالْخُبْرِ فَمَا فَوْقَهُ ، يَحْمِلُ النَّاسُ عَنْهُ
 فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ شَائِعَةٍ ، مِنْ أَحْضَرَهَا مَا حَكَاهُ لِي الْوَزِيرُ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ زَيْدُونَ ،
 عَنْ ابْنِ الْبَاجِي كَاتِبِ الرِّسَائِلِ قَالَ : دَعَانِي ابْنُ عَبَّاسٍ يَوْمًا مَعَ خَوَاصِّ
 أَصْحَابِهِ إِلَى دَارِهِ ، فَصَرْنَا فِي مَجْلِسٍ نَاهِيكَ بِهِ ، مُتَشَاكِلِ الْحُسْنِ ٤ فِي
 فُرْشِهِ وَسُتُورِهِ وَآلَتِهِ وَآنِيَتِهِ ، قَدْ صُفِّقَتْ ٥ فِيهِ فَوَاكِهِ غَرِيبَةٍ وَأَنْقَالَ
 مُلُوكِيَّةَ عَلَى طَوْلِهِ ، مَا وَقَعَتْ عَيْنِي قَطُّ عَلَى أَكْثَرِ مِنْهَا وَلَا أَغْرَبَ مِنْ أَجْنَاسِهَا ،

١ ب م : بِقَرْطَبَتِكُمْ .

٢ صدره : جوعان يأكل من زادي ويمسكي .

٣ ط : لَذَّةٌ .

٤ ب م : مُتَشَاكِلِ الْخُفْسِ .

٥ ب م : صُنِفَتْ .

ولا أنفس من أطباقها ، وقد غُطِّيَ جميعُها بمناديل شَرِبَ تَبِينُ صَوْرُهَا
من تحتها فتَصَوَّرَ الأعين والقلوب إليها . فأخذ يلاعبنا بالشطرنج التي كانت
أغلب الشهوات عليه ، فاستغرق فيها ولها عن سائر ما أرادنا له ، ووصل
اللعبَ نهاره كلُّه وبعض ليلته ، لا يرفع رأسه ولا يدعو لنا بطعام ولا غيره ،
إلى أن جعنا وألحنا عليه في الانصراف إلى منازلنا ، فبعد لأيٍ أذن لنا .
فانصرفنا ولم نرزأهُ شيئاً مما كان أعدَّ لنا ، ولا اعتذر إلينا ، ولا مِنَّا
إلاَّ مَنْ أَسِيَّ على ما حُرِمنا من نعيم ما بين يديه ، وتعجَّب من قِيَحَتِهِ
وبخله واستخفافه بمن دعاه .

ومن صلف ابن عباس وعجبه^١ الذي صحبه إلى يوم محنته أنه لما قيدَ
إلى باديس أسيراً فوقعت عينه عليه ، بدأه أحمد بالابتسام وقال له :
أبا مناد ! رأيت أيَّ كأسٍ أدركتها لك على هؤلاء الكلاب ؟ ! - يشير
إلى الموالي العامريين - أريد أن تتقدَّم إلى حفظ دفاتري فإنها أهمُّ ما عليَّ .
فتعجَّهم له باديس وقال : أمكراً عند الموت يا ابن الفاعلة ؟ إيتاي تغالط !
وأمر بتلته إلى محبسه . فعند ذلك عرف ما يُراد به ، ويش من المغالطة
في جرِّمه .

قال أبو مروان : وبلغني أنَّ عبد العزيز بن أبي عامر سعى على دمه
ودماء المأسورين معه من أصحاب زهير عند باديس ، لما حصل على المريَّة ،
وخاف أن يتخلَّص فيكدرها عليه . وإن آكد ما أشخص به أبا الأحوص
ابن صُمادح يومئذ لباديس خبر ابن عبَّاس ، فقتله انصراف ابن صُمادح عنه .

١ ط : ومن صلفه .

وحكى^١ خادماً لباديس قال : رأيت جسد ابن عباس^٢ ثاني يوم قتل ،
ثم قال لي باديس : خذ رأسه ووارده مع جسده . فنبشت صداه^٣ وأضفتُهُ
إلى جسده بجانب^٤ قبر أبي الفتح قتيل باديس أيضاً . وقال لي : ضَعْ عدوَّ
إلى جنب عدوِّ إلى يوم القيصاص .

وحكى أن باديس وبلقين أخاه إذ طَعَنَّا يومئذ أحمد بن عباس ما وقع
إلاَّ عن سبع عشرة طعنة ، وإنه لباقي الدِّماء طَلَقَ اللسان طامع في الحياة ،
فعجبنا من قوة نفسه ، وكان الظن أن يلفظها لأوَّل طعنة ، لفرط ترفهه
وغضارة جسمه ، فاغتاظ باديس عند ذلك وأمر بقطع جسمه .

وحدَّثت من غير وجه أن ابن عباس كان قد أولع قبل محنته ببيت
من الشعر صيَّره هِجْيراً أوقات لعبه للشطرنج ، أو معنى يَسْنَح له ،
مستطيلاً بِجَدِّه ، ومكافياً بسعده ، فيقول :

عيون الحوادثِ عني نيام وهَضمي على الدهر شيءٌ حرامٌ

وذاعَ بيته هذا في الناس وغازَظهم حتى قلبَ له مصراعه الأخير بعض
الأدباء فقال « سيقظنا قَدَرٌ لا يَنَام » . فما كان إلاَّ « كَلَّا » حتى
تنبَّهت الحوادث لهضمه انتباهةً انتزعَتْ منه نخوته وعزَّته ، وغادرتَه
أسيراً ذليلاً يرسف في وزن أربعين^٤ من قيده ، مترعجاً من عضِّه لساقه
البضَّة ، التي طالما تألَّمت من ضغطة جورِّبه - غبَّ يومٍ أصبح فيه أميراً

١ انظر الإحاطة ١ : ٢٧٠ .

٢ ب م : عن صداه ؛ الإحاطة : فنبشت قبره .

٣ ط : بحيث .

٤ الإحاطة (٢٦٩) : أربعين رطلا .

مُطَاعاً ، أَعْنَى خَلَقَ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَآمَنَهُمْ لِمَكْرِ رَبِّهِ ؛ فَأَخَذَهُ أَخَذَ مَلِكٌ
مُقْتَدِرٌ ، وَسَلَبَهُ نِعْمَةً لَمْ يَكُنْ لَهَا كُفُؤاً ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

وَحَكِي^١ عَنْهُ أَنَّهُ نَزَلَ فِي بَعْضِ سَفَرِهِ مَنَزَلاً ، وَاسْتَدْعَى مَاءً لَغَسَلَ
رِجْلَيْهِ ، لِإِثْرٍ خَلَعَهُ لِحُفْيِهِ ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَبُّ الْمَنْزِلِ الْمَاءَ ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ جُبَّةٌ
أَسْمَاطٌ ، فَمَرَّ أَسْفَلَهَا بِقَدَمِ أَحْمَدَ فَتَأَلَّمَ وَتَأَوَّهَ لِحُرُوشَتِهَا ، وَكَأَنَّ شَيْئاً لَدَغَهُ ،
[تَمَاجُناً] ، وَقَالَ : أَبْعِدْ يَا هَذَا فَقَدْ بَرَدَتْ رِجْلِي بِجَبَّتِكَ ، إِنَّمَا هِيَ
اسْكَلْفَاجٌ وَلَيْسَتْ بِسَاجٍ ! فَخَجَلَ الرَّجُلُ وَأَخَذَ فِي طَرَفٍ مِنَ الْإِعْتِذَارِ .

وَأَخْبَارُهُ فِي الْكِبَرِ غَرِيبَةٌ شَائِعَةٌ جَدّاً .

وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو عَامِرٍ ابْنُ التَّائِكِرْنِيِّ^٢ : يَا سَيِّدِي ، وَأَجَلٌ عُدْدِي ،
وَذَخِيرَةٌ الْآيَاتِ عِنْدِي ، وَفَائِدَتُهَا الْعِظْمَى بِيَدِي ، الَّذِي أَسْتَنْدُ^٣ إِلَى فَضْلِهِ ،
وَأَسْتَظِلُّ^٤ مِنْ هَوَاجِرِ النَّوَائِبِ بِظِلِّهِ ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللهُ لِلْأَيَّامِ مَقَرَّعاً ،
وَلِلْخَائِفِينَ مَقَرَّعاً ، أَحْمَدَ مَسْعَاهُ ، مَنْ كُنْتَ مَنْتَهَا ، وَحَمْدُ سُرَاهُ ، مَنْ
كَانَ مِنْ ضِيَائِكَ سَنَاهُ ؛ وَقَادَ النَّجَاحَ بِرَمَّتِهِ ، مَنْ سَمَا إِلَيْكَ بِهِمَّتِهِ ، وَقَرَّبَ
مَنَالُ الْجُوزَاءِ ، عَلَى مَنْ أَمْتَطَى إِلَيْكَ الرِّجَاءَ ، وَأَخْصَبَ رَائِدُ مَنْ وَجَدَكَ ،
وَأَعَذَبَ وَارِدُ مَنْ وَرَدَكَ وَاعْتَمَدَكَ . وَأَنْتَ الْخَيْرَاتِ شَفْعاً مَنْ
كَانَ إِلَيْكَ شَافِعاً ، وَلَمْ يَعْدَمْ مِنَ الصَّالِحَاتِ نَفْعاً مَنْ كَانَ عِنْدَكَ نَافِعاً ،
لَأَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ مِنْ حَوْضِ الْمَجْدِ < فِي > عَقْرِهِ ، وَجَمَعَ لَكَ بَيْنَ رَوْضِ

١ ورد هذا الخبر مقدماً في ب م على سابقه .

٢ لم ترد هذه الرسالة في ط ؛ ويبدو أنها مقحمة ، وأن سياق الترجمة ينتهي نهايته الطبيعية قبلها ؛
وترجمة أبي عامر التائكرني في القسم الثالث من الذخيرة : ٢٢٦ .

٣ ب : أسند .

الحمد ومَطَرِهِ ؛ وَجَرَيْتَ من المكارم في مضمار طالما أحرزَ أبوك خَصْلَهُ ،
وأويتَ من حفظِ الذَّمِّمِ إلى جوارِ شَدِّ ما عرف أولوك فضله ؛ والله تعالى
يزيدك من جزيل نِعَمِهِ ، ولا يُخْلِكَ من جليل قسمه بحوله .

< وفلان جمع > إلى ذمام النَّسَبِ ذمام الأدب ، وأوى من تأميك
إلى حِصْنِ حصين ، ومَتَّ من صحبة أبيك - رضي الله عنه - بالسَّبِّ
المتين ، وحقيقٌ على مثلك ممَّن جمع أَشْتَاتَ الفضل ، واحتاز مكارم
القول والفعل ، أن يجمع بين شفاعتي والنجاح ، ويؤلِّف بين حاله والصلاح .
وفلان شاكر فَضْلِكَ ، وراجي طَوْلِكَ ، ممَّن يمتُّ بوسائل ، ويُدْني
بوسائل ، أنتَ المعين على رَعِيهَا ، والمؤيِّد على حفظها ، وحاجته حاجتي
وإرادته إرادتي ، وشكري لك على ما تُؤليه وتؤليني فيه ، شكرٌ يتضوَّع
نسيمُهُ ، ويأرج شَمِيمُهُ ؛ وهذه بَكرُ حوائجي فاجعل مهرها القبول ،
وأوَّلُ شفاعتي فأوسِّعها فضلك الجزيل ، ورأيك الحميل ، ناهجاً لأُملي
فيك السبيل ، وموضِحاً لرجائي لك الدَّلِيل ، إن شاء الله .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي حفص عمر بن الشهيد

وإيراد جملة مما انتخبته من نظمه ونثره^١

وأبو حفصٍ هذا [في وقتنا] كان فارسَ النَّظْمِ والنَّثْرِ ، وأعجوبةَ
القِرانِ والعصر ، ونهايةَ الحُبْرِ والحُبْرِ ؛ رَقَمَ بُرُودَ الكلام ، ونظَّمَ

١ ذكره الحميدي (الجدوة : ٢٨٣ والبغية رقم : ١١٦٥) ونسبه إلى تيجب وقال إنه كثير
الشعر ، مقدم عند أمراء بلده ، وكان لقاءه له بالمرية في حدود سنة ٤٤٠ هـ ؛ وانظر نفح
الطيب ٣ : ٤١٣ ؛ وسترد رواية الحميدي هذه في ترجمته (انظر ص : ٦٩٠) وهي
رواية انفردت بها الفسختان ب م .

عقود النثر والنظام . وهو وإن لم يزر لِمَلِك ، ولم تدرْ عليه رحي مُلك ،
فليس بمُتأخِرٍ عن طبقات المحسنين ، ولا بسُكيتِ حلّيات^١ الكتّاب المجيدين .
وقد أخرجت في هذا الفصل^٢ من بارع كلامه ، في نثره ونظامه ، ما
يشهدُ برسوخ أعلامه ، وشُهرة^٣ أيامه .

جملة من كلامه في أوصاف مختلفة

من ذلك رقعة خاطب بها بعض إخوانه يقول فيها : أبشك أحدىة
حسب تضحك سِنك ، وتطبق بالطيب وقتك^٤ ، فما زالت النوارد
مستغربة^٥ لاسيما نوارد عليه الكتبة : وجهت فلاناً إليّ بكتاب يخصك
ما تضمّنه ، وكنتُ — علم الله — حين موافاته منزلي حليف ألم ، قد أطلت
عليه التملُّل ، وأسهرتني ليله^٥ الأطول ، وقد انفَضَّ عني من كان
معي رجاء غفوة أستشفي بها ، وأستردُّ بعض مُنتي بها . فقرع الباب
قرعاً مُنكراً يتبيّن الحرج فيه ، ويظهر الضجر في تناليه ؛ فتداخل الخادم
رعباً وقالت : هو خطب ؛ ثم خرجت على تحامل ، بروعة جنان ،
ولحجة لسان ، ومنطق جبان ؛ تنقل قدمها إليه على وجل :

* كما يمسُّ بظَهْرِ الحية الفرقُ *

١ ب م : في حلّيات .

٢ ب م : الديوان .

٣ ط : بوضوح . . . وشهر .

٤ لعل الصواب : ردنك (وهي قراء نسخة دار الكتب) .

٥ ب م : ليلى .

ثم قالت : مَنْ الرجل ؟ فأغضض رأسه نحوها وقبض على لحيته يمينه ،
وأحدَّ النظر إليها وتنهَّد وقال : أوَّاه على طُموس رسم الأدب !
وتمثل :

إنِّي لأفتَحُ عيني ثم أغلِقُها على كثير ولكن لا أرى أحداً^١

ثم أقبل على الخادم وقال : يا لكعاء ، كسبت في ترفه^٢ العيش معرفة
الحلو والمر ، والخشن من اللين ، وفي كل ذلك لم تحفظي بيتاً واحداً من
الشعر يحسن به أدبك ويحججرك أن تقولي مَنْ الرجل ؟ أين أنت
يا لكعاء مِنْ قول أبي تمام^٣ :

يحميه لالأوه ولو ذعيتُه من أن يُدال بمن أو ممّن الرّجلُ

ولكنك ما علمت ، حرجة الصدر ، قلبك فارغ إلا من الغفلة ،
ولحظاتك بليدة على التفصيل والجملة . أقسم لو أنك امرأة من الأزد ، أسد
البأس ومقاديم الناس ، لرأيت لألة الأزدية في أسرة وجهي ، ولولا
تحفزي للأمر الذي وردت له ، لكان لي ولك خطب ، ولأعطيتك قانوناً
في الفراسة والزجر ، ونبذت إليك بعلم من علوم الدهر ، لا يلتبس عليك
معه الشريف أيام عمرك . يا هذه قولي لرب المتزل يترمرم لإنفاذ هذا
الكتاب . فقالت له الخادم : عافاك الله ، إنّه عليل ، ومن وصبه ثقيل ،

١ البيت لدعبل في العقد ١ : ٢٨١ ، ٢ : ٢٩٥ ، ٣ : ٢١٤ وشرح الشريشي ١ : ٣٥١
وديواته : ٥٧ (تحقيق محمد نجم) وروايته : حين أفتحتها .

٢ ط : مؤنة .

٣ ديوان أبي تمام ٣ : ١٥ ، وفيه : أو لودعيت .

٤ ط : شأن .

وقد برَّح به السَّهر ، ولان لففوته السَّمر ، ولا بدَّ من التَّخفيف عنه .
فجر جَرَّ جَرَّجَرَةَ العَوْدِ الدَّبر ، وتزيَّد من الحرج والضَّجَر ، وقال :
بَسْلُ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ أَنْ نَقْرِي وَلَا نَخْلُق ، أو نَتَوَجَّهَ فِي أَمْرٍ فَلَا
نَحْقُق . يا هذه ، ليس هذا إيوان كسرى فنترودَّ لاستخراج الحاجة به : المال
والصَّبْر والعقل ؛ ومن العَجَب وقوفي معك منذ اليوم أضرب لك الأمثال ،
وأُصِرُّ المِقال ، وأنت لاهيةٌ عني ، لا يعينك أمري . أترين صاحبك
شَرِبَ من الخمر أقداحاً ، وسمع نوبات ^١ ، فلمَّا اعتدل مزاجه ، وتوارت
وجوهُ النواثب عنه ، قال للدَّهر ^٢ أدِرْ دوائِرَكَ فَإِنِّي لَا أَعْبَأُ بِكَ ! ؟
قد علمتُ عِلَّتَهُ ؛ أقسم لو أنَّ به ألف علَّة ، تكون حياته من جميعها
مُخْتَلَّةٌ ^٣ ، لينفُذَنَّ هذا الكتاب . قالت له الخادم : ويحك ما أجفاك
مِنْ وافد الأزْد ! أين منك رِقَّة الحجاز وفصاحة نَجْد ؟ ما أقبح هذا العقوق ،
بمن شَرِبَ ماءَ العقيق ، وأسوأ هذا الأدب ، ممَّن ينتهي إلى ذؤابة العَرَب !
فقال : يا لكعاء ، إنك لتجادليني عن نَسَبِي ؟ وحياة ما نقاؤه من الخُطى ،
وتجشَّمته من البيداء ^٤ ، لينفُذَنَّ هذا الكتاب ، أو لأشهدنَّ عليه ^٥ بالعصيان
والتكاسل ، والتواني والتناقل ؛ فمثلي لا يَرُدُّ إِلَّا بِحَزْمٍ ، ولا يصْدُرُّ إِلَّا
عن فَضْلٍ . فقالت له الخادم : ما أسوأ تقديرِكَ للأُمور ! لئن كان مخموراً
خُمَاراً وَصَبَ ، فهؤلاء الشهود معهم شَرِبَ ، وعندهم طَرِبَ ، وصاحبُ
المدينة منه يَنْسَبُ ، وعلى صلة سَتَسَبُ ، فأين تذهب ؟ فشمخَ بأنفه ،

١ نوبات : جمع نوبة وهي الدورة الفنائية .

٢ قال للدَّهر : سقطت من ط .

٣ ط : مختلفة .

٤ ط : النداء ؛ ب : البداء (اقرأ : البداء) .

٥ ط : عليك .

وكسر من طَرَفه ، ومدَدَ الزَّفَرَةَ ، وردَّدَ التلهف والحسرة ، ثم قال :
أَفِ لِلدُّنْيَا فَمَا تَزَالُ تَعْتَبِنَا بِمَثَلِ هَذِهِ الْهِنَاتِ . فَلَمَّا شَدَّ عَلَى شِسْعِهِ لِلانصراف
أَقْبَلَ عَلَى الْخَادِمِ فَقَالَ :

قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعَا وَلَا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعَا^١

أما إنك لولا أن تكوني باهليَّة الضَّئِيءِ لعرفتُك . ولكن سأودعُ^٢
عندك أَرْجَاً يَدُلُّ عَلَى مَوْقِفِي فِي هَذِهِ الْبُحْبُوحَةِ . أَنَا الْعَتَكِيُّ الْحَسَبُ
وَالنَّسَبُ ، وذو الهمَّة والأدب ، فَمَنْ سَأَلَكَ فَقُولِي مَا شَهِدْتَ ، وَحَدَّثِي
عَمَّا عَايَنْتِ ، وما أَرَاكَ تَجِدِينَ ظَاهِرًا تُقِيمِينَ بِهِ فِرَاضَ الثَّنَاءِ عَلَيَّ ؛ اذْهَبِي
لَا مَحْفُوظَةً وَلَا مَكْلُوءَةً . ثُمَّ انْحَدِرْ فَمَا عَلِمْنَا مَا كَانَ مِنْهُ .

وله من مقامة حذف بعض فصولها لطولها

قال في صدرها : إِنَّ صِنَاعَةَ^٣ الْكِتَابَةِ مِحْنَةٌ مِنَ الْمِحَنِ ، وَمِهْنَةٌ
مِنَ الْمَهَنِ ؛ وَالسَّعِيدُ مَنْ خَدَمَتْهُ دَوْلَةٌ لِإِقْبَالِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ كَانَتْ رَأْسَ
مَالِهِ ، وَالْعَاقِلُ مَنْ إِذَا أَخْرَجَهَا مِنْ مِثَالِهِ لَمْ يَدْخُلْهَا فِي مَنَاقِبِهِ ، لِأَسِيْمَا
وَقَدْ تَنَاوَلَهَا [يَدُ] كَثِيرٍ مِنَ السُّوقِ ، وَبَاعُوهَا بِيْعَ الْخَلْقِ ؛ فَسَلَبُوهَا تَاجَ
بِهَائِهَا ، وَرَدَّاءَ كِبَرِيَّائِهَا ، وَصَبَرُوهَا صِنَاعَةً يَكَادُ الْكَرِيمُ لَا يَعْصِيهَا لِحَظَّهُ ،
وَلَا يَفْرِغُ فِي قَالِبِهَا لَفْظُهُ ؛ إِذَا لِحَظُّهُ أَنْ يَعْثُرَ الْكَرَامَ إِذَا وَلَّى الْأَعْلَاجَ ،
وَأَنْ تَسْتَنْجِعَ الْأَسَادَ إِذَا اسْتَأْصَدْتَ النَّعَاجَ . غَيْرَ أَنَّهُ مَنْ وَسِمَ بِسِمَتِهَا ،

١ البيت للقطامي ، ديوانه : ٣١ .

٢ ب م : سأدع .

٣ ط : صنعة .

وظهر في وسمتها ، فغيرُ مجهول مكانه ، ولا مُسلمٌ له كتمانهُ . وما عسى أن يصنع بذي مكانة وحسب ، إذا اتفقَ يومُ سرورٍ وطربٍ ؛ ورغب رغبةً كريم ، أن يُورِّخَ له بمنثورٍ ومنظوم ؟ أقسمُ لو كان وجه الإنسان^١ في صفاقة نعله ، أو وقاحة حافر بغله ، لما وسَّعه غير الإسعاف ، على حُكم الإنصاف وإلا لَزِمَهُ اسم التبريد والجمود . وبهذا السبب دُفِعا إلى النَّصَب فيما تسمعه ، وربما تستبدعه^٢ . ولئن مرت بك كلمات مُحاليَّات ، تنظمها سلوكُ هزليَّات ، فانما هي أوصاف طابقت موصوفاتها ، وحلَّتْ على أقدار مُحليَّاتها . والبلغُ كالجوهرِيّ واجد التعب ، في نظمِ الدرِّ أو المخشَلَب ، وكالصَّانِع^٣ واجدُ العناء ، في سَبْكِ الصَّقر أو الفضة البيضاء ، وكالعقاب واجد الانهواء ، على الصَّقر أو المُكَّاء . والعافلُ مَنْ بَرَزَ يومَ السُّرور في زِيِّ الأعياد ، ويوم الحُزن في ثياب الحداد ؛ وسيان في الفجاجة والبرْد ، مَنْ جَدَّ عند الهَزَلِ أو هَزَلَ عند الجَدِّ . ولا أوضح في القياس ، مِنْ حركات النَّاسِ ، كحركاتِ الشُّموس والأقمار ، في الفلكِ الدوَّار ، كُلِّما انتقلتْ في المنازل والبروج ، عُدَّتْ بالأسطرلاب والزَّيْج ، ووَقِفَ على حقائقها ، بثوانها ودقائقها ، محصورةً بالحدود ، في القريب والبعيد ، كحركات الفقيه ابن الحديد ، فإنَّ أيامه على مناكب الأيَّام أُرديَّةُ شباب ، وفي مفارقتها تيجانُ نخوةٍ وإعجاب .

وفي فصل منها : فدُونَكها عذراء ، مُحجَّلةٌ غراء ، كما رُفِعَ عنها سَجَفُ الإبداع ، وأبرزتْ من كِناس الاختراع ؛ تنظر بعين الغزال رُوع ، وأويس

١ ط : وجهه .

٢ ط : تستبدعه .

٣ ط : وكالصانع .

بعدما أطمع . نعم، اتَّفَقَ من الربيع^١ وقتُ حلول الشمس في الحَمَلِ ، وقام وزنُ الزمان واعتدلَ ، وأخذَ آذَارُ على ما اعتاد ، فحلَّتِ الوهاد والنَّجَادُ^٢ ، وخلع على ظهور المروج ، ضروب الدبابيج^٣ ، وأثقلَ صدورَ الأشجار ، بحلَى النُّوَارِ ، واطَّيَّ نفوس الأطيَّار ، بنضارة الثَّمار ، فبعثت أشجانها ، تُرجِعُ ألحانها ، فما شئتَ من رُمان تملأُ^٤ كَفَّ العميد ، من أمثال النُّهود ، تحت القلائد والعقود ، وتفتق عن أمثال الجمر ، إن وصفتُ فكاللَّثاتِ الحُمْرِ^٥ أو ارتُشفتُ فكالرُّضابِ الخَصِرِ أو الخَمَرِ . ولما انتظمتُ للزمان هذه المحاسن ، حنَّتُ نفسُ الفقيه بسيادتها ، إلى كَرَمِ عاداتها ، من الإحسان إلى الأتباع ، والتسلية لنفوس الأُلُف والأشباع ؛ فلمَّا صمقُ^٥ الديكُ وصاح^٦ ، واستغفر كلُّ عبد مُنيب ربَّه وسَبَّح ، وهمَّ بشنِّ الغارة كمينُ الصبح من المشرق ، واهتزَّ الفجرُ اهتزاز الرُّمح في يمين الأفق ، أطلقَ لسانه الفصيح ، بالتهليل والتسبيح ، ثم دعا بماء طَهُور ، وأفرغه نُوراً على نُور ، فوضأً وجهاً وضأً ، يملأُ العيون بهجةً وسناء .

وفي فصل منها : وملنا إلى منزل بدويّ ، ذي هيئةٍ وزيّ :

١ ب م : البديع .

٢ ب م : الأوهاد والأنجاد .

٣ ب م : الديباج .

٤ ط : تملأ .

٥ صمق : أتى بصوت شديد ، والأشهر أن يقال في حال الديك « صمق » ؛ وفي ب م : صمق ، وهي قراءة جيدة ، وسيكرر الكاتب « صمق وصرخ » في المقامة الآتية في حديثه عن الديك .

٦ ط : وصرخ .

له منزلٌ رَحْبٌ عريضٌ مُزَرَّبٌ^١ بأعوادٍ بَلْطُوطٍ وَطُوجٍ مُفْتَلٍ^٢
« تَرَى بَعَرَ الْآرَامِ فِي عَرَصَاتِهِ وَقِيَعَانِهِ كَأَنَّهُ حَبٌّ فَلْفُلٌ »

فهشٌ وبشٌ ، وكنسٌ منزله ورشٌ ، وصيرٌ عياله إلى ناحية ، وجمع
أطفاله في زاوية ، وجعلَ يَدُورُ كالخُدُرُوفِ أمامَ الصُّفوفِ ، يتلقى الواحد
منا بعد الواحد ، يأخذُ بركابه ، ويكشرُ عن نابه ، ويتمثل :

أخْذِي كَذَا بِرِكَابِ الضَّيْفِ أَنْزِلُهُ^٣ أَلْذُّ عِنْدِي مِنَ الْإِسْفَنْجِ^٤ بِالْعَسَلِ
أَوْ مِنْ رَغَائِفِ كَانُونٍ مُلْهَوِجَةٍ أَوْ رَائِبٍ بِقَرِيٍّ جَيِّدِ الْعَمَلِ
أَوْ مِنْ خُورٍ عَجُولٍ فِي مَسَارِحِهَا أَوْ مِنْ رُكُوبِ الْحَمِيرِ الْفَرَةِ فِي الْكَفَلِ

ثم مال بنا إلى بيتٍ مُكَنَسٍ ، مُنَوَّعٍ مُجَنَّسٍ ، قد جلَّلهُ حُصْرًا
بَلَدِيَّةٍ ، وَغَشَاهُ بُسْطًا بَدَوِيَّةً ، ومدَّ فيه شرائطَ وَحِبَالًا ، كَأَنَّهُ يريد
أَنْ يُخْرِجَ خِيَالَآ^٥ ، وَعَلَّقَ مِنْهَا غُلَّالَ وَمُلَاءَاتَ ، وَهَمَائِينَ وَسَرَاوِيلَاتَ ،
وَكَمْ شَتَّ مِنْ خِرَاقٍ مُعْصِفَةٍ ، وَعَصَائِبَ مُزْعِفَةٍ ، حَتَّى الْمَقْنَعَةَ وَالْحِمَارَ ،
وَالدَّلَالَ الْمُسْتَعَارَ ؛ وَقَدْ اتَّخَذَ فِي الْحَائِطِ كُؤَةً^٦ وَثَانِيَةً ، وَمَلَأَهَا حَقَاقًا
وَأْتِيَةً ، وَأَوْدَعَهَا مِنْ عَتَادِ الْعُرُوسِ فَاخِرَةٍ ، وَمِنْ طَيْبِ الْبَادِيَةِ أَوَّلَةٍ وَآخِرَةٍ ،
مِثْلَ حِرَاقَةِ الْوَرْدِ بِالْبَلْبَانِ ، وَعَصَارَةِ الْعَصْفَرِ بِالزَّعْفَرَانِ ، وَشَيْءٍ مِنَ الْأَثْمَدِ
وَالْإِسْفِيذَاجِ^٧ ، وَمِرَاوِدِ الزَّجَاجِ ، وَحِبَاتِ الْمِصْطَكِيِّ وَالْبَلْبَانِ ، وَغِبَارِ الْعَفْصِ
وَقَشُورِ الرِّمَانِ ، وَكَثِيرٍ مِنْ سَنُونِ ذَلِكَ الْمَكَانِ . فَقُلْتُ : يَا صَاحِبَ الْمَنْزِلِ ،

١ مزرب : محاط بزرائب أو أسوجة ؛ الطوج : الحلفاء (Spartum) .

٢ الاسفنج : عجين لدن راب بالتخمير ، يلقى في الزيت ويعرك بالبيض ثم يحشى بالجوز أو
ما أشبه (شبيه بالقطائف المشرقية) انظر كتاب الطبخ : ٨٨ .

٣ أغلب الظن أن اللفظة هنا تعني « خيال الظل » .

٤ ب م : والاسميدام .

هَشَّتْ وَهْنَيْتَ ، لَقَدْ أُوتِيتَ وَأُوتِيتَ ؛ وَجَعَلْتُ أَرْقُقُ عَنْ صَبُوحٍ ١ ،
وَأَقُولُ :

* مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بُذِيَ طُلُوحٌ ٢ *

مَنْ أَيْنَ لِلْبِدَاوَةِ ، بِهَذَا الرَّوْنَقِ وَالطَّلَاوَةِ ، وَكَيْفَ حَتَّى أَغْرَتَ عَلَى
حَانُوتِ الْعِطَّارِ ، وَمَتَى نَقِيلُ سَوْقَ الْبَزِّ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ ؟ لَقَدْ قَرَّتْ بِكَ
الْأَعْيُنُ ، وَسُرَّتْ الْأَنْفُسُ . هَذَا زِيُّ الْعُرُوسِ فَأَيْنَ الْعُرْسُ ؟ فَضَحَكَ
الْبَدْوِيُّ مُلءَ فِيهِ ، وَتَوَسَّمتُ الْإِزْدِرَاءَ فِيهِ ، وَأَنْشَدُ :

يَا أَخِي نَحْنُ عَلَى أَذَى ٣١ نَتَّاجُ بَدَوِيٍّ
سَادَةٌ نَاسٌ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا دَوِيٍّ
عِنْدَنَا إِنْ جَاءَ ضَيْفٌ شَبِيعٌ جَمٌّ وَرِيٍّ
وَسَرِيرٌ حَشْوُهُ رِيٍّ شُ الْفَرَارِيحِ وَطِيٍّ
وَكِرَامَاتٌ كَثِيرَاتٌ وَهَيْثَاتٌ وَزِيٍّ

ثُمَّ قَامَ مِنْ مَكَانِهِ ، وَدَعَا بِصَبِيَّانِهِ ، وَأَغْرَاهُمَ بِدِيكَ لَهُ هَرَمٍ ، لِيَذْبَحَهُ
فِي طَاعَةِ الْكَرَمِ ٤ . فَأَجْرَوهُ لِأَمَّتِهِمُ الْهَاوِيَةِ ، مِنْ زَاوِيَةٍ إِلَى زَاوِيَةٍ ، حَتَّى
سَقَطَ الدِّيكُ سَقُوطَ طَلِيحٍ ، جَسَماً بِلَا رُوحٍ ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ ، مُتَهَافَتِينَ ٥
عَلَيْهِ ، وَهُوَ يَضْطَرِبُ اضْطِرَابَ الْمَخْنُوقِ ، وَيَسْتَعِيثُ بِالْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ .

١ من المثل : « أَعْنُ صَبُوحُ تَرْقُقُ » (فصل المقال : ٧٥ والميداني ١ : ٣١٥ والمسكري

١ : ١٦) يَضْرِبُ مِثْلًا لِمَنْ كُنِيَ عَنْ شَيْءٍ وَهُوَ يُرِيدُ غَيْرَهُ .

٢ صدر بيت ، وعجزه : « سَقِيتُ الْغَيْثَ أَيْتَهَا الْخِيَامُ » ، ديوان جرير : ٢٧٨ .

٣ ب م : وَإِنْ كُنَا .

٤ ب م : وَاهْتَزَ هَزَةً هَرَمَ لِلْكَرَمِ .

٥ ب م : يَتَهَافَتُونَ .

وَاتَّفَقَ لِفِرطِ حَنَفِهِ ، وَمُؤْلَمِ تَقَلُّقِهِ ، أَنْ عَضَّ عَلَى أَيْدِيهِمْ ١ عَضَّةً ،
وَانْتَفَضَ مِنْهُمْ نَفْضَةً ، وَصَعَدَ فِي بَعْضِ الْجَوَائِزِ ٢ ، وَحَمَدَ اللَّهَ حَمْدَ
الْفَائِزِ ، وَتَمَثَّلَ :

إِذَا غَرِقَتْ بِبَحْرِ مِنْ الرَّدَى فَيَاضِ
فَلَا يَكُنْ بِهَلَاكِكَ عَلَيْكَ ظَنُّكَ قَاضِ
فَلَيْسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ ٣ سَيْفُ الْمَنِيَّةِ مَاضِ

وَحَانَ وَقْتُ الظَّهِيرَةِ ، فَصَفَّقَ بِجَنَاحَيْهِ ثِنْتَيْنِ ، وَصَرَخَ صَرَخَتَيْنِ ،
وَاقْتَدَى بِهِ الْمُؤَذِّنُونَ ، وَتَجَمَّهَرُ الْمُؤَذِّنُونَ ، حَتَّى إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ اسْتَصْرَخَهُمْ
فَأَصْرَخُوهُ ، وَتَوَاتَبَتْ إِلَيْهِ السَّادَةُ وَالْوُجُوهُ ، فَقَالَ لَهُمُ الدَّيْكَ : أَيُّهَا السَّادَةُ
الْمَلُوكُ ، فَيَكُمُ الشَّابُّ مُتَّعٌ بِالشَّبَابِ ، وَالْأَشْيَبُ نَوَّرَ شَيْبُهُ مَعَ الْكُوعَابِ
وَالْأُتْرَابِ ؛ وَقَدْ صَحَبْتُكُمْ مَدَّةً ، وَسَبَّحْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى رُؤُوسِكُمْ مَرَاراً
عَدَّةً ، أَوْقَظْتُكُمْ بِالْأَسْحَارِ ، وَأَوْدَنْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ؛ وَقَدْ أَحْسَنْتُ لِدَجَاجِكُمْ
سَفَاداً ، وَرَبَّيْتُ لَكُمْ مِنَ الْفَرَارِيحِ أَعْدَاداً ؛ فَالآنَ حِينَ بَلَى فِي خِدْمَتِكُمْ تَاجِي ،
أُنْعَى إِلَى دَجَاجِي ، وَتُنْحَى الشَّفَرَةُ عَلَى أَوْدَاجِي ؟ ! وَحِينَ أَدْرَكْنِي الشَّيْخُ ،
يُحْزَقُ لَحْمِي وَيُطْبَخُ ؟ يَا لِلْكَرَامِ ، مِنْ ذُلِّ هَذَا الْمَقَامِ ! وَجَعَلَتْ دُمُوعُهُ
تَسْفَحُ مِنْ دَمِهِ ، وَالْحُزْنُ يُطْبِقُ عَلَى فَمِهِ ؛ ثُمَّ غَشِيَ عَلَيْهِ ، فَاجْتَمَعَتْ
الْبَدَاوَةُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ إِلَيْهِ ، يَضْرِبُونَ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ ، وَيُخْلِصُونَ لَهُ فِي
الدَّعَاءِ ؛ ثُمَّ أَفَاقَ مِنْ غَشْيَتِهِ وَأَنْشَدَ :

١ ب م : أحدهم .

٢ الجوائز : جمع جائزة وهي خشبة السقف .

٣ ب م : حين .

٤ ط : والحرر .

عَلَامَ يُقْتَلُ شَيْخٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ بَرِيٌّ ؟
 مُحَقَّقٌ مُتَحَرِّجٌ مُوَحَّدٌ سُنِّيٌّ
 هَلْ نَصْرٌ هَذَا كِتَابٌ أَوْ قَالَ هَذَا نَبِيٌّ
 لَا ذَنْبَ لِي غَيْرَ أَنْتِي مُؤَذَّنٌ بِدَوِيٍّ

فرقت له أنفسُ القوم ، وأقبلوا على صاحب المنزل باللوم ، فقال :
 ويحكم ، إن هذا الديك ذو فخذٍ وصُدْرَةٍ ، وقد أصابني عليه ضجرة ؛
 ولي في ذبحه سِرٌّ ، ولا بُدَّ أن تزَيِّنَ به قِدرٌ ، وتُضرمَ تحته النيران ،
 ويشبعَ من لحمه الضيفان ^١ ؛ أما تروونه قرّةَ العين والقلوب ، سبيكةً لُجينٍ
 مُحْكَمَةِ التذهيب ؟ وتمثل :

ومن ^٢ شيمتي مهما تزَيَّنَ منزلي بضيفٍ أن آقره بأحسن ما عندي
 لو أن دمي خمرٌ لرويتُه به ولو صلحت كبدي شويت له كبدي
 بذلك أوصاني أبي مُذْ عَقَلْتُهُ وقد كان أوصاهُ بهذا قبله جدِّي

فقال الديك : لا أكذبُ ، الحقُّ طريقٌ مُستبين ، واتباعُه مُروءةٌ
 ودين ؛ أما إنه لعلّ خُلُقٍ عظيم ، كريم ابن كريم ؛ غير أنه لؤم في
 أمري وأفرط ، وغلط ما شاء أن يغلط . أما علم أن هَرَمَات الديوك ،
 ليست من مطاعم الملوك ، وأنها بالأدوية ، أشبهُ منها بالأغذية ؟ ! وأقسمُ
 لو اتخذتُ برمةً من فؤادٍ مهجور ، ووضعني من مثله على تننور ، لا قضى
 بي حاجة ، ولا عَدِمَ منِّي نِيوَاءٌ وفجاجة ^٣ ؛ وإنَّ له في بَنيّ ما لا يحده

١ ط : الصبيان .

٢ ب م : من .

٣ ب م : مجاجة .

فيّ ، من طيب المشمّ ، ولذّة المطعم ، والتوليد لأحمَر ما يكون من الدّم .
 وأنّى^١ كالفرّوج اسفيدباجا^٢ ، لمن أراد أن يعدل مزاجاً ؟ فزكى
 قوله ، كلّ من حوله ، لم يألوه تعظيماً ، واتخذوه من ذلك اليوم حكيماً .
 وصرف البدوي من أطفاه ، ما أحسن به قيرى أضيافه ، وختّم نوبة
 بيرة ، بالرغبة في بسط عذره ، فسمعنا منه ، ورحلنا سحراً عنه .

وفي فصل منها : ولم تزل الجباد تمعج بكلماتها ، والشمس تنتقل في
 درجاتها ؛ حتى أشرقنا على عين كالدّينار ، كأنما هندست بالبركار ،
 ذات ماء ريان من الشّنب والخصر ، وحصباء كالأسنان ذوات الأشر ؛
 وقد حفّ بها النّبات حفيف الشارب بقم الأمرد ، وترينّت بخضرة كالمرأة
 الصقيلة طوّقت بالزّبرجد .

ومنها : فأصغيتُ فإذا بصوت ناقوس ، في دير قسيس ؛ وقرية
 آتة ، كلّها حانة ؛ دار البطاريق ، وملعب الكاس والإبريق ؛ سائمته
 الخنازير ، وحياضها المعاصير ، ومياهها الأنبذة والخسور ؛ وشكلها
 مثلث مسطوح ، هندسته حواريو المسيح ؛ نباتها غصون من قدود ،
 تهترّ في أوراق من برود ، وتثمر رماناً من نهود ، وتفاحاً من خدود ،
 وعقارب من أصداغ ، وأفاعي من أسورة وعقود ؛ وفيها مدام من رُضاب ،
 وسفّاة من كواعب أتراب ، وغيد لمهوى قرط ، وارتجاج لكثيب في
 ميرط ؛ وجولان لطاق ، وغصص لخلخال في ساق ، وخنث في ألفاظ ،
 ومواعيد بألحاظ ، وقلوب تكلف وتُشغف ، ونفوس تنشأ وأخرى

١ ب م : وأين .

٢ الاسفيدباج : تغايا بيضاء ساذجة ، وهي إذا كانت من لحم الضأن تقطع قطعاً صغيرة وتخلط
 ببعض التوابل واللوز المقشر ، وتنضج على نار لينة (كتاب الطبخ : ٨٥) .

تَتَلَف . فَلَمَّا أَكْثَرَ مُحَدَّثُنَا بِحَضْرَةِ الْفَقِيهِ ، مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ ، وَمِنْ هَذِهِ
 الْمَحَاسِنِ ، الْمُحَرَّكَاتِ لِكَثِيرٍ مِنَ السَّوَائِكُنِ ، قَطَّبْنَا لَهُ وَجْهَ الْاسْتِكْرَاهِ ،
 وَغَضَضْنَا لَهُ عَلَى الشَّفَاهِ . فَبَيْنَا نَخُنْ كَذَلِكَ نَكْثُرُ لَغَطًا ، وَنَرَى الْحُلُولَ
 بِالْمَسِيحِيِّينَ غَلَطًا ، إِذْ نَظَرْنَا إِلَى اطِّرَادِ صَفُوفٍ ، مِنْ أَعْطَافِ خَنْثَةِ
 وَخُصُوفِ هَيْفٍ ، وَشُمُوسٍ وَأَقْمَارٍ ، عَلَى أَفْلَاقِ جُيُوبٍ وَأَزْرَارٍ ؛ لَا سِوَى
 إِلَّا مِنْ مُقَلٍّ ، وَلَا دَرَقٍ إِلَّا مِنْ خَجَلٍ ، وَلَا عَارِضٍ إِلَّا مِنْ خَلْقٍ ،
 وَلَا صِنَاعَةٍ غَيْرِ تَخْلِيقٍ ، وَلَا اسْمٍ غَيْرِ عَاشِقٍ وَمَعشُوقٍ ؛ فَتَشَقَّعَ الْقَسْبُ
 بِحَسَنِ خُدُودِهِمْ ، وَأَقْسَمَ بِنِعْمَةِ قُدُودِهِمْ ، إِلَّا أَجْزَأَتِ الْمُنَّةُ ، وَثَنِيَّتُهُمُ
 الْأَعْيَنَةُ ، تَعْرِيجًا إِلَيْنَا ، وَتَحَكُّمًا فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ عَلَيْنَا . فَكَرَمَتِ الشَّفَاعَةُ ،
 وَقَلْنَا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَجَلُّنَا جَوْلَانِ الزَّنَانِيرِ ، عَلَى هَيْفِ الْخُصُوفِ ،
 نَعْصُ بِمَا بَقِيَ مِنَ الطَّرِيقِ ، غَصَّ الدَّمَالِيجِ^١ بِخَدَالِ السُّوقِ ، حَتَّى وَافَيْنَا
 الْبَابَ ، وَأُنْخَنَّا الرِّكَابَ ، وَتَوَلَّى تَوَلَّى الْحُرَّ ، ضَرْبًا مِنَ الْبَيْرِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَنَعَ بِالْدَنْ
 وَجْهَ مَدَامِهِ ، تَقَنَّنَ الْوَرْدَ بِأَكْمَامِهِ ، وَقَضَانَا مِنَ الْإِكْرَامِ نَافِلَةً وَفَرَضًا ،
 وَشَدَدْنَا الْجِيَادَ عَنْهُ رَكْضًا ، وَسَرْنَا حَتَّى رُفِعَ لَنَا فِي طَرِيقِنَا جُدْرٌ ، فَإِذَا
 كَنِيسَةٌ عَارِيَةُ الْأَطْلَالِ^٢ مِنَ الْجَمَالِ ، إِلَّا تَعْلِيَّةَ الْمُتَوَسِّمِ^٣ ، لِلتَّخْيِيلِ وَالتَّوَهُّمِ ،
 كَالثُّوبِ الْكَرِيمِ أَخْلَقَهُ ابْتِذَالَهُ ، أَوْ كَخَدِّ الْأَمْرَدِ تَغَشَّاهُ سِبَالُهُ ، فَهَيْجَ
 ذِكْرًا ، وَأَجْدَ^٤ فِكْرًا ، فَأَنْشَدْتُ :

وَكَنِيسَةٍ أَخَذَ الْبَلَى مِنْهَا كَمَا أَبْصَرْتَ فَيْثًا فِي مُغَارٍ يُنْهَبُ

١ ب م : غصص الدمالج .

٢ ب م : الأطلال .

٣ ط : التوسم .

٤ ط : وأحد .

نَمَتْ عَلَيْنَا فِي السَّفَارَةِ نَفْحَةٌ
أَهْوَى إِلَيْهَا بِالْمَطِيِّ تَحِيلٌ^١
فَتَوَاقَفَ الرُّكْبَانُ فِي عَرَاصَتِهَا
أَنْتَى تَأْتَتْ لَابْنَ آدَمَ قَسْدَرَةٌ
وَمِنْ آيٍ أَرْضٍ كَانَ رَائِعَ مَرْمَرٍ
كَمْ صَادَ إِبْلِيسَ بِهَا مِنْ تَائِبٍ
وَكَمْ ابْتَقَى الْقَيْسِسُ فِيهَا مِنْبَرًا
سَقِيًّا لَهَا مِنْ دَارِ غَيٍّ لَمْ يَزَلْ
كَلَّا وَمَا زَالَتْ نَجُومٌ مُدَامَةً
بِشِّ الْمُصَلَّى إِنْ أُرِدْتَ تَعَبْدًا
مِنْ مَاءٍ كَرَمٍ كَانَ فِيهَا يُسْكَبُ
مِنْهَا بَرِيٌّ وَالْأَمَانِي تَكْذِبُ
كُلُّهَا مُتَحَيِّرٌ مُتَعَجَّبٌ
حَتَّى اسْتَقَامَ وَتَمَّ ذَاكَ الْمَنْصِبُ
كَسَوَاعِدِ الْغَزْلَانِ فِيهَا يُجْلَبُ
بِحَبَائِلِ أَلْقَى بَيْنَ تَرَهُّبٍ
مِنْ جَوْذَرٍ وَبَدَأَ عَلَيْهِ يَخْطُبُ
فِيهَا كَرِيمٌ بِالْمَلَّاحِ مُعَذَّبٌ
فِيهَا بِأَفْوَاهِ النَّدَامَى تَغْرُبُ
فِيهِ وَلَكِنْ كَانَ نِعَمَ الْمَشْرَبِ

ثم أغدذنا سيرا ، وكأننا نُنفَرُ طيرا ؛ حتى نظرنا من السائمة تسرح
في مروجها ، كالغذاري تَمِسُ في دبابيجها ؛ كلاًّ نصير ، وماء نَمِر ؛
وما زلتُ أروى هناك بالرائب والميس^٢ ، حتى كاد كياني ينقلب إلى كيان
التيس . ثم رحلنا وتذكرنا الطراد ، فمشيت الحيات ، وتوالت آساد ،
واستعدت بباز وكلاب ، فإذا بحر من برك^٣ ، يخرقه سفين من برك^٣ ،
وفي السيور صقور إذا نظرت ، وليوث إذا جرّدت ، تنظر من أمثال
الدنانير ، وتتخطف بأشباه المرفهة الذكور ، فأرسلناها لإرسال سهام الأحداق ،
إلى قلوب العشاق ، فلم نرَ إلّا ريشاً مخلوجاً ، ومنسراً يُحسِن توديعاً ؛

١ ط : تحيل .

٢ الميس (أو الميس) : مصالة اللين (والميس المطبوخ في Brosat = Vocabulista) .

٣ البرك : جمع بركة ، طائر مائي صغير أبيض .

٤ التوديع : الفصل .

ووردنا ماءً في رقّة النسيم ، ولذاذة بنت الكروم ، فشربنا وطعمنا ،
 وقربنا سباع الفلاة ، ممّا فضل عن الكُماة ، ونقشتُ على مرّمرّةٍ بيضاء ،
 ساعة وردنا ذلك الماء :

يا ربّ ماءٍ عازبٍ مجّه	مُزَنٌ هزيمٌ الودقِ في سَبَسَبِ
زبرجد جالّله مكثّه	غشاء ديباجٍ من الطُّحْلُبِ
إن كان فيما قد مضى مَورِداً	فللعطاشِ الأُسْدِ والأذُوبِ
باكرته مع كُلِّ ذي هِمّةٍ	لا يرتضي الأفلاكَ عن مركب
ولغَط الطيرِ بأرجائه	كلَغَط الصَّبِيّةِ في المكتبِ
فانقَضَ من أيماننا كوكبٌ	ذو ناظرٍ أنورٍ من كوكبِ
مُكَحَّل الآفاقِ ذو مَنَسَرٍ	يسترزق الرّحمن من مِخْلَبِ
فاستشعر الطير هروباً وهل	عن نازل المقدور من مَهْرَبِ
فصادَ ما أوسعَ صحبي قِرى	وفاض في الأبعدِ والأقربِ
صَيندٌ لعمري لم يعبه سوى	أنْ لم يكن نُقْلاً على مَشْرَبِ

ثمّ لم نزل نسري سُرى النجوم في الدياجي^١ ، إذ تلقّانا شاب كما
 ذُهِب عقيق خديّه ، ونمّ شاربُه بالتذكير عليه ، متقلّد حسامٍ كأنما
 طُبِيع من لَحْظِه لا من لَفْظِه ، على جوادٍ ظمآن الأسافل كخَصْرِيّه ،
 رِيّان الأعالي كَرْدِيّه ؛ تستعيد عيونُ البرّة من النظر إليه ، وتزدحم أطماع
 الفَجَرَة حواليه :

ذو مقلةٍ شهلاء روميّةٍ	وذو لسان عربيّ مُبينٍ
قلت وقد عيبَ بتلثيه	مقالَ ذي رأيٍ وعقلٍ رصينٍ
طلعتُه الدنيا و [يا] قلّما	يُجمع للإنسان دنياً ودين

١ ط : نسري النجد في الدياميم .

فلما بلغنا ، قبل عُرْف جواده ، وعبراته تنسكب على نجاهه . قلنا : مالك لا أبالك ؟ فقال : مُنفلتٌ من السجن ، وآبقٌ من أهل الحصن ، وعائدٌ من ظلمات الغواية ، بنور الهداية ، ومن ذلّ عبادة الأوثان ، إلى عزٍّ ١ عبادة الرَّحمن ؛ ولي خبر أريد أن أقصّه ، ويمتَنُّ ٢ الفقيه وفقه الله أن يسمع نصّه . فخرج إليه الإذن ، وقيل له ادنُ ؛ ففضى فرضَ التحية ونافلتها ، ثمّ قال : أيها الفقيه ، للأشياء غايات تنتهي إليها ، ومقادير تجري عليها ، أما والخلاق العليم ، والفاطر الحكيم ، الذي أسعد قوماً بالهداية وأثابهم عليها ، وأشقى آخرين بالضلالة وعذبهم بها ، لقد أنخلتني عبادة الطواغيت فعبدتُ الصليب وقرعتُ الناقوس ، وفعلتُ كلَّ ما قرئت به عينُ إبليس ؛ قدَرْتُ لم يكن ليخطئني ولا يتخطأني ، إلى أن استنقذني ربِّي وهداني ؛ وأنا أشهدُ أيّها الأَشهاد أن الله إلهٌ واحدٌ ، ليس له ولدٌ ولا والد ، كان ولم تكنِ الأكوان : لا ٣ أرضٌ ولا ماءٌ ولا دُخان ، مخترعُ الكلِّ ومُنشئُهُ ، ومُعِيدُهُ ومبِدئُهُ ، له المثلُّ الأعلى ، والأسماءُ الحسنى .

١ ط : بعز .

٢ ط : ويتنى .

٣ ط : ولا .

ومما وجدت له من المدائح في المعتمد بن صمادح

له من قصيدة^١ :

لما دعيتك المكرماتُ أجبتَها لا وانياً عنها ولا متاثلاً
فهزرت من أسد الرجال قوادماً وهتكت من بُردِ الظلامِ حبالاً
وسريت في القمر المنيرِ بمثله وجهاً وأعراقاً زكتُ وشمالاً

ومنها في اجتماعه بصهره ابن مجاهد :

أبدى علي^٢ فرحةً بمحمد أبدت مسالك في الصفاء جلائلاً
فلئن غدا بك للقلوب مُباهياً فلقد رأى ملكاً أغرَّ حلالاً
سبَّطَ اليدين^٣ كأنَّ كُلَّ غمامةٍ قد رُكبتُ في راحته أناملاً
وأما وحقتك إنه الحقُّ الذي بذَّ الحقوقَ مسامياً ومساجلاً
لقد احتملنا في مغيبك لاجعاً أنحى على كبدٍ وأنقل كاهلاً

ومنها :

تفديك أنفسُنا التي ألبستَها حُللاً من النعمى وكنَّ عواطلا
كانت نواك البحر يزخرُ موجه فالآن صار لنا إيابك ساحلاً
لا عيش إلاَّ حيث أنت^٣ وإنما تمضي ليالي العمرِ بعدك باطلا
لا عطلتُ منك الحياةُ فإنَّها لولاك ما سرَّتُ لبيباً عاقلاً

١ منها بيتان في النفع ٣ : ٤١٣ ، وذكر أنه استحسناها فقال للشمره : هل فيكم من يحسن

أن يجلب القلوب بمثل هذا ؟

٢ النفع : البنان .

٣ النفع : كنت .

وله من أخرى :

سقى كل غيث صادق البرق وابل
فروى غصوناً كالقدود تطلعت
خليلي عوجاً بي على الربع دارساً
ملاعيب كاسات ونزهة أعين
وأحسن من روض تحلى بنوره
جواد كأن الأرض جمعاء راحة
ليهن تحبباً أنها عندما اغتدت
تكد سوق الدرّ فيك قصائدي
جللت فجل القول فيك وإنما
يزين شعري أنه فيك سائر

منابت نوار الرّبي والحماثل
من أوراقها في مثل خضر الغلال
نحي رياضاً أهدقت بجداول
ومسلى لمشتاق وذكرى لغافل
محباً ابن معن في حلي الفضائل
له وبحور الأرض خمس أنامل
قبلاً له سادت جميع القبائل
وتزري بعرف المسك عنك رسائي
يقدّر لقدر السيف قدر الحماثل
وزين عنان الطرف بمنى المجاول

وله من أخرى وكان المعتصم قد هجر التبيذ زمناً :

عسى دهرنا أن يكف الخطوبا
وشت حادثات الليالي بها
وكم من ذمام لها مثله
وأنت ابن معن على خليقة

ويجعل منك لكأس نصيبا
فأعرضت عنها وكانت حبيبيا
يحلّ الحقد ويثني القلوبا
تقيل المسيء وتمحو الذنوبا

وله فيه من أخرى :

هجر المدام وكان يآلف وصلها
فاصفرّت الأفداح من جزع ولو
وتطلع الساقى يؤمل عودة

ملك جليل في الملوك عظيم
يسطعن لم يارج هن نسيم
ليعود عهد بالكرام كريم

وله من أخرى :

لو خَيَّمُوا بِظِلَالِ الضَّالِّ والسَّمْرِ
لكن مَقِيلُهُمُ المَرْهُوبُ جَانِبُهُ
بَحِثْ لَا لِبَدٍّ إِلَّا فَوْقَهُ لِبَدٌ
وَأَيْنَ مَوْقِعُ شَكْوَى الصَّبِّ مِنْ زَرَدٍ
دُونَ الظُّبَاءِ ظُبًّا جَدًّا الصَّلِيلُ بِهَا
وَفِي الهَوَاجِجِ أَبْشَارٌ كَأَنَّهَا
مَلَكٌ لَهُ سَيْرٌ فِي الْمُلْكِ فَاضِلَةٌ
إِذَا أَنَامَلَهُ ضُمَّتْ عَلَى قَلَمٍ

لم أَشْكُ مِنْ لَهَبٍ فِي الْقَلْبِ مُسْتَعِرٍ
بَيْنَ السَّتَوْرِ وَالْهِنْدِيَّةِ الْبُتْرِ
تُرَى وَلَا شَارَةَ إِلَّا عَلَى شَرَرٍ
وَمِنْ حُسَامٍ وَمِنْ نَابٍ وَمِنْ ظُفُرٍ
وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ دُونَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَجَوْهَ جَدْوَى أَبِي يَحْيَى عَلَى الْبَشْرِ
أُعِيَتْ عَلَى كُتُبِ الْأَخْبَارِ وَالسَّيْرِ
يَوَدُّ مُهْرَقُهُ لَوْ قَدْ مِنْ بَصَرٍ

وقال من أخرى :

وَمِمَّا شَجَانِي فِي الْغُصُونِ حَمَائِمٌ
يُرَجَّعْنَ أَلْحَانًا لَهْنٌ شَوَاجِيًا^١
سَقَى اللَّهُ أَبْكَأَ مَا يَزَالُ حَمَامُهُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ لِلدَّهْرِ بَاهِيَتْ نَجْمُهَا
إِلَى أَنْ رَأَيْتُ الشَّمْسَ فِي الْأَفْقِ طَالِعًا
أُمُتَّعْتُمْ بِاللَّهِ لُقِّيتَ عِصْمَةً
لَكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى إِذَا ذُكِرَ النَّدَى

تُجَاوِبُ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ حَمَائِمًا
فَيُرْسَلْنَ أَسْرَابَ الدُّمُوعِ سَوَاجِمًا
يُهَيِّجُ مَشْتَاقًا وَيُسَعِدُ هَائِمًا
بَنَجْمٍ مِنَ الصَّهْبَاءِ يَجْلُو الْغَوَائِمَ
كُوجِهِ ابْنِ مَعْنٍ إِذْ يُجَلِّي الْمَوَاسِمَ
كَأَلَمْ تَزَلْ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ عَاصِمًا
وَدَعَ هَرِمًا فِيمَا سَمِعْتَ وَحَاتِمًا

وله أيضاً :

الْخَمْرُ مَوْصُوفَةٌ بِالْمَجْدِ وَالشَّرَفِ
تُعَوِّضُ^٢ الْخَلْفَ الْبَاقِيَ عَنِ السَّلَفِ

١ ب م : أَلْحَانًا ... سَوَاجِيًا .

٢ ب م : تَعَوِّضُ .

انظُرْ وباركْ على حاسٍ ومُعْتَصِرٍ
 كأنما كأسُها نجمٌ على فلقٍ
 ألقيتُ في دَنِّها الدنيا بأجمعها
 ولا الأميرُ أبو يحيى بمُسْتَقِلٍ
 تخالَفَ الناسُ حتَّى في معارفهم
 كمنَّت في الكون حتَّى لحَت منه لنا
 فالدهر تحت صباحٍ غير مُلْتَبِسٍ
 والطَّولُ منك به صفوٌ بلا كَدَرٍ
 مكارِمٌ لم تزلْ تجري لغايتها

ماذا تولَّدَ بينَ القارِ والحَرْفِ
 وريحُها نفَسٌ في روضةٍ أنْفِ
 فليس عن صرفِها قلبي بمُنْصَرَفٍ
 عن عادةِ البرِّ والإجمالِ واللَّطفِ
 وليس في خَلْقهِ خَلْقٌ بمُخْتَلَفٍ
 فردَ الجمالِ كَونَ الدُّرِّ في الصَّدَفِ
 وتحتَ نَيرِ سَعْدٍ غيرِ مُنْكَسِفٍ
 والحكمُ منك به عدلٌ بلا جَنَفٍ
 كالسَّهمِ سَدَّه الرَّامي إلى الهدفِ

وقال أيضاً :

فشرَّبَتْها^١ كِلَفَ الفؤادِ عَمِيداً
 خُتِمَتْ بِطِينَتِها وزَمَزَمَ حولها
 وتَنوَّسِيَتْ فكأنَّ صَفَّ دنانِها
 وكأنَّما الحِمَارُ كلبُهُمُ وقد
 وكانَ ذا القرنينِ أفرغَ دونها
 صَهْبَاءُ ألبَسَها التَّورْدُ مَجْسِداً
 فإذا شَمَمَتْ فَمِسْكَةٌ مَفْتُوقَةٌ
 وإذا طَعِمَتْ فَرِيقَ أَشْنَبٍ واضحٍ
 حُذِيَتْ على خلقِ ابنِ مَعْنٍ فاغْتَدَتْ

راحاً وكانت مَرَّةً عُنُقوداً
 قَسَّ وغادر بابَها مَسدوداً
 في الحانِ أصحابِ الرِّقيمِ رُقوداً
 ألقى ذِراعِهِ وسدَّ^٢ وصِيداً
 سدَّأ جرى قِطراً وسالَ حديدأ
 عَجِباً وقلَّدَها الحِبابُ عَقوداً
 وإذا لحظتَ فبارقاً معقوداً
 شَفَّ المشوقَ تَجَنُّباً وصُدوداً
 أملاً وكترأ للسُّرورِ عَتِداً

١ ب م : نشر بها (اقرأ : بشر بها) .

٢ ب م : وشد .

أخبرني الفقيه أبو بكر ابن الوزير الفقيه أبي محمد العربي عن الفقيه أبي عبد الله الحميدي قال: كان الوزير أبو حفص عمر بن الشهيد كثير الشعر، متصرفاً في القول ، مقدماً عند أمراء بلده ، وشاهدته في حدود الأربعين وأربعمائة بالمرية ، وكتبت من أشعاره طرفاً ، ومن شعره مما كتبت^١ :

في صُحْبَةِ النَّاسِ فِي ذَا الدَّهْرِ مَعْتَبَرُ
لَيْسَتْ تَشِيخٌ وَلَا يَزْرِي بِهَا هَرَمُ
إِذَا حَبِثَ بَيْنَهُمْ أَطْفَالٌ وَدَّهَمُ
كَأَنَّهَا شَرَّرَ سَامٍ عَلَى لَهَبٍ
كَأَنَّ مِثَاقَهُمْ مِثَاقُ غَانِيَةٍ
فَلَا يَغُرُّكَ مِنْ قَوْلِ طَلَاوْتِهِ
لَوْ يُنْفِقُ النَّاسُ مِمَّا فِي قُلُوبِهِمْ
لَكِنْ فِيهَا نَقُودَ الْقَوْلِ جَارِيَةٍ
يَقْضِي الْمُحْنُكَ أَوْ يَقْضَى^٣ لِحْنُكَتِهِ
تَسَابِقُ النَّاسُ إِعْجَاباً بِأَنْفُسِهِمْ
فَلِلتَّسَامِي ضِبَابٌ فِي صُدُورِهِمْ
وَمَا عَذَرَتْهُمْ لَكِنْ عَذَرَتْهُمْ

لَا عَيْنٌ يُوَثِّرُ مِنْهَا لَا وَلَا أَثَرُ
لَكِنْهَا فِي شِبَابِ السَّنِّ تَخْتَضِرُ
لَمْ يَتْرِكِ الْبَغْيُ حَابِيَهُنَّ يَشْغِرُ
يَغْدُو الْحَمُودُ عَلَيْهِ حِينَ يَنْتَشِرُ
يُعْطِيكَ مِنْهَا الرِّضَى مَا يَسْلُبُ الضَّجْرُ
فَإِنَّمَا هِيَ نُورٌ وَلَا ثَمَرُ
فِي سَوْقٍ دَعَاوَاهُمْ لِلصَّدَقِ مَا تَجَرُّوْا
عَلَى مَقَادِيرَ مَا يَقْضَى بِهِ^٢ وَطَرُ
وَبَيْنَ ذَاكَ وَهَذَا يَنْفَدُ الْعُمُرُ
إِلَى مَدَى دُونِهِ الْغَايَاتُ تَنْحَسِرُ
وَلِلتَّكَبُّرِ فِي آثَانِهِمْ نَعَرُ
فَالْجَهْلُ لَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرُ

وبالسند المذكور عن الحميدي ، قال : ومما كتبت له أيضاً :

١ جاء في موضع هذه المقدمة في ط قوله : ومن شعره في الأوصاف ، له من قصيدة ؛ وانظر

الجدوة : ٢٨٣ .

٢ ط : بها .

٣ الجدوة : يفضي ... أو يفضى .

٤ ط : تنحصر .

تعلّم لحظك سفك الدماء وأنت تعلّمت ألاّ تدي
وليتك إذ كنت لي ممرضاً رثيت فزرت مع العود
حنانيك إن هلاك العبيد لم مما يعود على السيد
وما بي نفسي ولكنني أشح بمثلك أن يعتدي

وقال أيضاً^١ :

يا قومُ شدّوا المطيَّ واسروا فإنّ رُوحِي بأرضِ قومٍ
نام الخليّونَ واستراحوا ومنّ لعين الشّجي بنومٍ
وطيبُ هذا التّسيم يُنبئني أنّي أراهُ غداً يومي

فصل في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد^٢
وإيراد جملة من أشعاره وما يتشبه بها من مستطربات^٣ أخباره

قال ابن بسّام: وكان أبو عبد الله هذا شمسَ ظهيرةٍ ، وبحرَ خبيرةٍ

١ ليست هذه الأبيات من رواية الحميدي ، وقد وردت قبل الأبيات الرائية في ب م .
٢ ترجمته في المطمح : ٨٠ والتكملة : ٣٩٨ والمغرب ٢ : ١٤٣ والذيل والتكملة
٦ : ١٠ والاحاطة ٢ : ٢٥٠ والمحمّدون من الشعراء : ٩٩ والخريدة ٢ : ٢٠٤
والسلفي : ١٧ والوافي ٢ : ٨٦ والفوات ٣ : ٢٨٣ والمسالك ١١ : ٤٠٠ والزرکشي :
٢٦٢ ، وانظر ابن خلکان ٥ : ٤١ - ٤٢ وصفحات متفرقة من نفع الطيب ؛ وأورد
ابن خلکان نسبه كالآتي : محمد بن أحمد بن خلف بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم ، وورد
في سائر المصادر محمد بن أحمد بن عثمان ؛ ووصفه ابن عبد الملك بأنه كان متقدماً في التعاليم
والفلسفة ، مبرزاً في فك الممعي لا يكاد يدرك فيه شأوه ، وذكر ابن الأبار أن ديوانه
مدون على حروف المعجم ؛ وكانت وفاته في حدود ٤٨٠ بالمريّة .

٣ ط : مليح .

وسيرة ، وديوان تعاليم مشهورة^١ ؛ وضَحَ في طريق المعارف وضوح^١
 الصُّبْحِ الْمُتَهَلِّل ، وضربَ فيها بقَدْحِ ابنِ مُقْبِل ؛ إلى جلالَةِ مَقْطَع ،
 وأصالَةِ مَتَرِج ، ترى العِلْمَ نِمُّ على أشعارِهِ ، وَيَتَبَيَّنُ في منازِعِهِ وآثارِهِ ،
 وله في العَرُوضِ تَأْلِيفٌ ، وتصنيفٌ مشهورٌ معروفٌ ، مَزَجَ فيه بين
 الأنحاءِ الموسيقِيَّةِ ، والآراءِ الخَلِيلِيَّةِ^٢ ، وردَّ فيه على السَّرْقَسْطِيِّ المنبُوزِ
 بالحمار^٣ ، ونقضَ كلامَهُ فيما تكلَّمَ عليه من الأَشْطَارِ .

وأصلُ أبي عبد الله من وادي آش إلاَّ أَنَّهُ استوطنَ المَرِيَّةَ أَكْثَرَ عُمُرِهِ ،
 وفي بني صُمَادِحٍ مُعْظَمُ شعرِهِ ، ومع ذلك طُوْلِبَ عندهم هنالك^٤ ؛
 ولحقَ بثغْرِ بني هُود ، وله فيهِم أيضاً غيرُ ما قصيدٌ ، وهو القائلُ بعد
 خروجهِ مِنَ المَرِيَّةِ من قطعة فلسفِيَّة^٥ :

لَزِمْتُ قَنَاعَتِي وَقَعَدْتُ عَنْهُمْ فَلَسْتُ أَرَى الْوَزِيرَ وَلَا الْأَمِيرَ
 وَكُنْتُ سَمِيرَ أَشْعَارِي سَفَاهاً فَعَدْتُ لِفِلْسُفِيَّاتِي سَمِيرَا

١ ب م : وضح .

٢ تأليفه في العروض هو « المستنبط في علم الأعاريض المهملة عند العرب » وله أيضاً « قيد
 الأوابد وصيد الشوارد » وكتاب ثالث اسمه « الامتعاظ للخليل » ، وفي هذا الأخير رد
 على السرقسطي المنبوز بالحمار واسمه سعيد بن فتحون ، وقد مر التعريف به (انظر الذيل
 والتكملة : ١٠) .

٣ شرح ابن عبد الملك هذه المطالبة ، وذلك أن أخا ابن الحداد قتل رجلاً فقبض عليه ، ونالت
 الشاعر بسببه مطالبة أخفى نفسه من أجلها حيناً ، ففصل إلى مرسية ونفذ منها إلى سرقسطة
 سنة ٤٦١ .

٤ أقام ابن الحداد في كنف المقتدر أحمد بن هود مدة وامتدحه وامتدح ابنه الحاجب المؤمن
 ثم عاد إلى المرية سنة ٤٦٤ .

٥ انظر نفح الطيب ٣ : ٥٠٢ .

وكان أبو عبد الله قد مُنيَ في صباه بصبيّةٍ نصرانيّةٍ ، ذهبتْ بلبّه كلّ مذهبٍ ، وركبَ إليها أصعبَ مركبٍ ، فصرفَ نحوها وجهَ رضاه ، وحكمها في رأيه وهواه ؛ وكان يُسمّيها « نُويّرة » كما فعله الشعراءُ الظُرفاءُ قديماً في الكنايةِ عمّنْ أحبُّوه ، وتغيّرَ اسمُ منْ علّقُوهُ .

وقد كتبتُ في هذا الفصلِ بعضَ ما قال فيها من ملّحه ، ورائقِ أوصافه ومِدَحِهِ ، وسائرِ شعره بعد تقديمِ فصولٍ من نثره ، ما يُقِرُّ بتفَضُّلهِ ، ويشهدُ له بجملةِ الإحسانِ وتفصيله .

جملة من نثره

فصل له من جواب عن كتاب عتاب استفتحه^١ من قول أبي الطيّب^٢ :

إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ ما يَعتادُهُ من تَوَهُّمٍ
وعادى مُحبِّيه بِقولِ عُدَاتِهِ وأَصْبَحَ في ليلٍ من الشكِّ^٣ مُظْلَمٍ

لما كان - أعزَّكَ اللهُ - العتابُ ؛ جلاءَ الأقداءِ ، وصِقَالَ الأصدقاءِ ،
وعِقَالَ الأعداءِ^٤ ، وَسَمَتني منه بوسُومٍ ، وَلَفَحَتني بِسَمُومٍ ؛ وأَسْرَرَت
حَسْوَاً في ارتغاءٍ ، فَأَدْرَجَت^٥ ذِمّاً في ثناءٍ ؛ والحُرُّ يأنفُ من الضَّيِّمِ ،

١ ب م : افتتحه بقول .

٢ ديوان المتنبي : ٤٥٦ .

٣ ب م : قطع من الليل .

٤ ط : الكتاب .

٥ ب م : الأوداء .

٦ ب م : فأدجت .

ويشمنز من الذئم ، ولا يقتصر على الاجتزاء^١ بغير الجزاء ؛ ولو ترك القطا ليلاً لنام^٢ ، « وفي العتَاب حياة بين أقوام »^٣ . فاصطبر لشرب صبره ، وانتدب لتسوغ^٤ مقره ، فمن الحكم العدل ، والقضاء الفصل ، أن الدغك بما لدغتي ، وأجرعك ما جرعتني ، غير آفك في حال ، ولا مباحة بمحال ، فالتمويه ليس من الخلق النبیه ؛ والحر على ما ساء يصير ، وكل مجر بالخلاء يسر^٥ ؛ والفضل لمن حواه ، لا لمن زخرف دعواه ، وتحقيق البرهان غير تنميق البيان ، والسودد في محاسن الخلال والفعال ، لا في إمكان الزمان وإقبال السلطان ، وقيمة كل امرئ ما يحسن^٦ : أمثال أضربها لك واضحة المناهج ، ومقدمات أنشئها معك صادقة النتائج ، وجمّل تشميل على تفصيل حالنا ، ونبدّ تشير إلى ما فيه جرّينا .

وقد دهمني عتابك وإجلابك ، بريح تعصف ، ورعد يقصف ، واستقبلي خطابك وإطنابك ، بوبل يخشف^٦ ، وسبل ينسف ، بلغ الرّبي وزاد ، وغمر الرّبي والوهاد ؛ لو أمّ الهلالي^٧ لاقتلّع أزهاره ، وطمس أنواره ؛ أو اعتمد الميكالي لطمّ

١ ط : الأجزاء .

٢ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٣٨٤ والميداني ٢ : ٨٢ والعسكري ٢ : ١٦٢ .

٣ جز بيت ، وصدّره : أبلغ أبا مسمع عني مغفلة .

٤ ب م : لسوغ .

٥ مثل ، انظر فصل المقال : ٢٠٣ والميداني ٢ : ٥٤ والعسكري ٢ : ١٣٣ .

٦ ب م : يخشف .

٧ الهلالي : لعله يعني أبا اسحاق الصابي .

على قَرِيَّة^١ ، وطما على سَرِيَّة^٢ ، فما ظَنَّتْكَ بغير^٣ ، على مَذْهَبِكَ
 غُمُر^٤ ، يحتلُّ من الأدب في صَبَب^٥ ، لا يَرِدُ إِلَّا بَقْطَه^٦ ، ولا يُزَوِّدُ
 إِلَّا سَقَطَه^٧ ؛ فهل عندكَ مِرْيَة^٨ أنه غريق أثيَّة^٩ ، ومُحْتَمَلُ آذِيَّة^{١٠} ؟
 تَضَمَّنَ صدره من بَرِّكَ وتقريظك ما ملأ صدري ثَلَجًا ، وأفقي أَرْجًا ،
 فحيَّاهُ حَمَدي بِنُورِهِ ، وسقاه شُكري من عُقارِهِ . ثُمَّ أَنتَقِلُ من
 تَصَفِّحِهِ إلى صفاحِ تَأْيِيبِ لامعة ، ورماحِ تَثِيبِ شَارِعَةٍ ، وسيهامِ
 مَذَامَ ، وأعلامِ مَلَامِ ، تَرُوعُ المِقْدَامِ ، وتُدْحِضُ الأَقْدَامِ ؛ لكنْ
 تَلَقِّيْتُهَا في لُؤْمٍ^{١١} التَّجَمُّلِ ، وتوقيتها بِجُنُنِ التَّحَمُّلِ ؛ وما عسى
 أن أقولَ لزعيمٍ من زعماءِ حضرتي ، وعميدٍ من عَمَدِ أُسْرَتِي ، وقمرٍ
 من أقمارِ أَفلاكِي ، ووُسْطَى أسلاكِي ، يُسَلِّمُ له وَيُسْتَسْلِمُ ، وَيُعْرَضُ
 عن زَاخِرِ جَفَائِهِ ، ولا يُلْتَقَتُ إلى زَبَدِهِ وجُفَائِهِ ؟

تَبَيَّنَتِ العِلَّةُ الدَّاعِيَةُ^{١٢} إلى قَعَقَعَةِ شِنَانِكَ ، وجَعَجَعَةِ لِسَانِكَ ،
 وَمَعَمَعَةِ نِيرَانِكَ . ولقد أَوْضَحْتُ في المجلسِ المذكورِ علاءَكَ ، وَأَخْفَقْتُ
 فيه لَوَاءَكَ ، وَأَعْبَقْتُ فيه أَنْبَاءَكَ ، غيرَ مُوَاطِئٍ بِرَمَزٍ^{١٣} كما أَنهَى إِلَيْكَ ،
 ولا مُلَاحِظٍ بِهَمَزٍ^{١٤} كما صَوَّرَ لَدَيْكَ ؛ فامْلِكْ من جَمَاحِكَ ، واخْفِضْ
 من طَمَاحِكَ ، ولا يُجْرَجِرْ بَازِلُكَ ، ولا يُزَجْجِرْ بِأَسِلُكَ ، فما نَبِجُ

١ القرى : مجرى الماء .

٢ السري : النهر .

٣ البقط : تفاريق الأشياء ؛ ولعل الصواب هنا « نقطة » ، وفي ب م : وخطه .

٤ ب م : يروى .

٥ لؤم : جمع لأمة ، وهي آلة الحرب .

٦ ب م : الدافعة .

٧ ب م : بلمز .

كلبي بدرك ، ولا سترغيمي زهرك ، ولا بهرج ميري درك ؛ ولا ألدت
في آيتك ، ولا حططت من رايتك ؛ ووجه المحرص أقبح ، وخد
المورش أوقح ، ورب ملوم لا ذنب له :

ومن وضعت للقول أغراض سمعه رمته ولم تخطيء سهام النمام

وكان الأحجى بمكانتك ، والأحرى بأصالتك^١ وركانتك ، أن تمحص
ما أنهي عني إليك ، وتخلص ما به شبه عليك ؛ ولا يبتز من حليمك
هذا الابتزاز ، ولا يستفز من جلدك^٢ هذا الاستفزاز ؛ ولو وليت البحث
قيسطه ، وأعطيت النظر حقه ، لذكرت قول الزباء : « عسى الغوير
أبؤساً »^٣ ، ولتبين أن الخائن المائن^٤ ، الذي حرق ناب حرجك
وحردك ، وأعض أنامل ضجرك وضممديك^٥ ، ولم يذهب — أذهب
الله شرواه ، وأبعد منا^٦ نجواه — إلا ليطيش بأناتيك ، ويغيش من
هناتيك ، والتيق لا يهتز لحريق^٨ ، والهشيم لا يثبت لنسيم .

وفي فصل : ومطلعنا من أفق ، ومرجعنا إلى تحقق ؛ وإن كانت

١ ب م : بأثارتك .

٢ ب م : خلدك .

٣ انظر فصل المقال : ٤٢٤ والميداني ١ : ٣١٢ والعسكري ٢ : ٧٣ .

٤ ب م : المائن الخائن .

٥ ط : خرق حجاب خرجك .

٦ ط : وخمدك .

٧ ب م : منك .

٨ التيق : أرفع موضع في الجبل ؛ الخريق : الريح الشديدة ؛ وفي ب م : لحريق .

أيدي الفِتنِ قد أزعجت أسلافنا عن الوطن ، واغتصبت^١ أملاكنا إلا أسماء ، واستلبت جماهيرنا إلا اللّقاء ، فقد أعدّرت إذ أبقت بأيدينا ما أبقي مياه الصّون بزرقنها وجِمامها ، وزهّرات السّرو في غصّارتها وكمامها . ولم أمتدح المعتمّم طالب جدّي ، ولا راغب ندّي ؛ على أن جميعنا رائد في رياض إنعامه ، ووارد في حياض إكرامه ؛ ولكنّي مُنيتُ بقرّة حسّدة ، أعجزتهم مُحاكاتي ، وأعوزتهم محاذاتي ، فوخزوا فضلي بمثل الأشافي ، ورّموا عِرْضي بثالثة الأثافي .

وفي فصل : ولو أنّي من هذه الفرقة التي مزجّتي بها ظلّمك ، وضمّتي إليها هضمّك ، وعملتُ عملهم على حُكْمِكَ ، وسلكتُ سُبُلهم^٢ على زعمك ، لكان لي في تشبّثك الدّاني ، وتعلّقك المُجاهدي ، أسنى مؤتسى ، وأهدى مُقتدى . فلاتسامي مناقيل ، وللتّرقى منازل ؛ وإن جمعتني بهم الصّفات ، فقد أفردتني منهم الموصفات ، وما كلُّ بيضاء شحمة ، ولا كلُّ سوداء تمرّة :

قد يبعدُ الشيءُ من شيءٍ يُشابههُ إنّ السّماءَ نظيرُ الماءِ في الزّرقِ

وما كلُّ معنى يَضْحُ ، ولا كلُّ دعوى تَصْحُ ، كمثل ما تابعت لإيراده ، وشقعت ترداده ، من أنك غرستني وبنيتني^٣ ، وأقمتني وقومتني ، وكلها عبارة تؤلّم الأبّي الحمي ، واستعارة توهّم السّامع الشّاسع ، وإشارة تُعجّب الحاضر الناظر . ولستُ بمنكرٍ مُعاضدتك في شأن الكتابين

١ ب م ط : واعتصبت .

٢ ب م : سبلهم .

٣ ط : ونهيتي .

الكرمين ، فهما وَسْمِيْكَ وَلِيْثُكَ ، المكتوبان بزعمِكَ على وجهِ صباحك ،
 والموصولان بأجنحةِ رياحك . ولن تعدَم^١ على ذلك جزيلَ حمدي هنالك .
 وحاشا لله [أن] أنكرَ اليدَ وإنْ صَغُرَتْ ، أو أكفَرَ النِّعْمَةَ^٢ وإنْ
 نَزُرَتْ ؛ ولستُ بحيةٍ صَمَاءَ كما أشرْتُ ، ولا بسِلْقَةٍ^٣ طلساء كما عرَّضْتُ .
 ولو غيرُ أعمامي أرادوا نقيصتي جعلتُ لهم فوقَ العرائنِ ميسماً^٤
 وما أفصحَ تبيانك لفهامتي ، وأوضحَ برهانك على جهالتي ، في تلويحك
 بل تصريحك ، أي لم أَرِمُ ذَرَايَ^٥ ، ولا برَحْتُ مِثْوَاي ، ولا أَعْمِلْتُ
 لي رِجَالاً للعلماء ، ولا هَجَرَةً للفُهَمَاءَ^٦ . فيا للأدبِ لهذا العجب ، ما أكثرَ
 إجحافك ، وأقلَّ إنصافك ! كأنك جهلتَ أنَّ العلماءَ بمصري متوافرون ،
 والمشِيخةَ الجِلَّةَ به متكاثرون ، وأنَّ فنونَ العلمِ به تُلْتَمَسُ ، ومن
 أنواره تَقْتَبَسُ ، وإليه كانت أولاً وفادتُك^٧ ، ومنه عَظُمَتْ^٨ إفادتُك .
 وأما زعمُكَ أنَّ الدهرَ لو عَضَّنِي^٩ والخبرَ لو عَجَمَنِي ، لتبيَّنتُ أن
 بحري ضحضاحٌ ، وأنَّ إصباحي مصباح ؛ فليس بأولِ جَنَفِكَ ، ولا
 ببدعٍ من سرفِكَ ؛ إنَّ التَّقدُّمَ بالأذهان لا بالأسنان^{١٠} ، والتَّفهُّمُ بالأفهام

١ ب م : ولم تعدم .

٢ ب م : المنة .

٣ السلقة : الذئبة .

٤ البيت للمتلمس ، انظر الأغاني ٢٣ : ٥٦٩ .

٥ ب م : داري .

٦ ب م : للفقهَاء .

٧ ب م : أول وفادتك .

٨ ب م : عظمى .

٩ ب م : حنكني .

١٠ ب م : للأذهان لا للأسنان .

لا بتكاثر الأعوام ، والمرءُ بأصغريه ، والحسامُ بغراريه ، والسقطُ يحرقُ
الحرَجَّةَ وهو حقير ، والنَّاطِرُ يَحْتَرِقُ^١ الفلكَ وهو صغير . وأما الامتحانُ
فذهني لإبريزُ ناره ، ولُبِّي تبريزُ مضارِه ، وطالما فُوضِلْتُ ففَضَلْتُ ،
وثُوضِلْتُ فنَضَلْتُ ، وقد أنصف القارة من راماه^٢ ، والحلبةَ مَنْ جاراها ،
وإن قلتَ المذَكِّيَّةَ لا تُقاسُ بالجداعِ^٣ ، فإنني أقول : في الإجراء
مِن مائةٍ تركُ الجداعِ^٤ ، وكشَفُ القناعِ :

وتخفى السوابقُ من غيرها إذا لم تُضَمَّ إلى مقبضٍ^٥

وإذا شئتَ نفحكَ ذكاءً لا تخبو ناره ، ولا تَنَبُّو شِفاره^٦ ، وبهركَ
مَضاءُ لا تطيشُ سهامُه ، ولا تُخَفِّقُ أزلامُه ، وإن كنتَ على زعمك
عَوْدًا لا يقلحُ^٧ ، فالحديدُ بالحديدِ يُفْلَحُ^٨ .

وفي فصل : فتحققْ أني مُكدِّرُ^٩ الشمسِ التي تكسِفُها ، ومُغَوِّرُ

١ ب م : يَحْرُق .

٢ انظر فصل المقال : ٢٠٤ والمسكري ١ : ٣٦ .

٣ انظر المثل : « مذكية تقاس بالجداع » في فصل المقال : ٤١٣ والميداني ٢ : ١٤٧ والمسكري
٢ : ٢١٧ .

٤ انظر المثل : « ترك الجداع من أجرى من مائة » في فصل المقال : ١٥٤ والضبي : ٢٨ والميداني
١ : ٨١ والمسكري ١ : ١٨٨ .

٥ ب م : مقنص .

٦ ط : أشفاره .

٧ يقال في المثل : « عود يقلح » ، يضر ب للمسن يؤدب ، والقلح : صفرة تركب الأسنان ،
والتقلح هو نزعه وتثقيته ؛ انظر المسكري ٢ : ٣٩ (تحقيق أبو الفضل) والميداني ١ : ٣٠٩ .

٨ انظر المثل : « الحديد بالحديد يفlech » في فصل المقال : ١٣٤ والميداني ١ : ٨ والمسكري ١ : ٢٢٩ .

٩ ب م : مكور .

البحار التي تترَفُّها ، وأنا أخلعُ عليك حظِّي من الفهم الأدبي والعلم الشعري ،
ولم أجعلهما غرضاً ، فلم ألمحهما^١ إلاَّ عَرَضاً ؛ وكذلك أناقصُ زَهْوَك ،
وأخالفُ بأوَك ، وأعترفُ لتعدُّيك ، لعلِّي أرضيك . وإنِّي لا أضربُ بسهمٍ
في فهمٍ ، ولا أختصُّ بقسمٍ في عِلْمٍ ، ولا آخذُ بحظٍّ في لَفْظٍ ، ولا
ألمُّ بمغنىٍّ لمغنىٍّ ، ضيقُ العَطَن في القِطن ، عالمٌ باضمحلالِ خيالي ،
ونُضوبُ أوْشالي ، مُنْقَطَعُ الرَّجاءِ عن تَنْشِيةِ واحدتك ، ونَقْصيةِ قافيتك ،
واعتراضُ عروضك . والله انت ! لقد أغربتَ بعنقاك ، [وبرزت]
بيلقاك ، فلا داحسَ لغبرائك ، ولا مُباري لغرائك . إلاَّ أنَّ الحسناء
لا تعدَمُ داما^٢ ، وبليق^٣ مع جريه لا يفقد ملاما^٤ ؛ فكم ندي قضي متلوه ،
وحكم مشاهدوه ، أن يتيملك هذه منحلة^٥ من إحدى بناتي ، وحقيقتك
مُنتخلة^٦ من بعض خيالاتي . وزعموا أنَّك في لواحبها^٧ سلكت ، وعلى
قوالها سبكت ، وما زدت على أن مسخت راءها نونا ، وصيرت أبقارها
عونا . ومن الظلم الجحَم أن تجعل نصري خذلانا ، وعصدي عدوانا ؛ وكلُّ^٨
سمع قولي : إنَّ بحرَ الوزير أزخرُ من أن يستمدَّ بجزري ، وعِلْمُه أوفرُ^٩
من أن يستكثرَ بتزري ، وفضله أبرع من أن يختلس من حلالي ، وشمسه
أرفع من أن تقتبس من سهاي ؛ والاتفاقُ غيرُ نكير ، فقد جرى لهَمَام

١ ب م : ألمحها .

٢ انظر المثل في فصل المقال : ٤٢ والميداني ٢ : ١٠٩ والمسكري ٢ : ٢٧٣ .

٣ بليق : اسم فرس ، وفي المثل : « يجرى بليق ويذم » يضرب للرجل يجتهد ثم يلام ؛ انظر

السان (بليق) والمسكري ٢ : ٤٢٤ والميداني ٢ : ٢٤٩ .

٤ ب م : منتخلة .

٥ الواحب : جمع لاحب وهي الطريق الواضحة .

٦ ط : أمتن .

وجريز ، وقبلهما للكندي والبكري^١ .

وفي فصل : وهذه نزغاتُ الحاسدين ، وتَنَتَّغاتُ^٢ المنافسين ، فأعرض
عن فندهم ، ولا تحفل بعندهم ، وقل في قولهم قولَ الأحنف في مثلهم :
• عشيّةٌ تقرضُ جليداً أملسا^٣ • .

ومَن قال سمعَ ، ومَن قرعَ قرعَ ، ومن جمَعَ كبحَ ، ومَن زهي
ازدري^٤ ؛ فلا تسمعُ ممَّن يقصدُ إسماعك ، ويعتمدُ لإيجاعك ، فلو
فحصتَ لما انتقصتَ ، ولو تحققتَ لما تدفقتَ ، فربُّ غيثٍ عاد عيئاً ،
وعجلةٌ تهبُ ريثاً^٥ ؛ فقد تعاطينا كأسَ التصف ، فلنجدع أنفَ الأنف ،
ولنطفئ سقطَ الشنف^٦ ، ولنمخُ السالفَ بالمؤتلف ، فقد بردت كبدُ
الإخلاص ، وانتهجت سبيلُ الاستخلاص ، وانصقلت ماويةُ^٧ الصفاء ،
وتوثقت آخيةُ الإخاء ، فلا يختلج بهاجسك ، ولا يخطر بخاطرك ، أن
هفواتِ هذه الهنوات تغضُ أجفاني عن لحظ سنائك ، أو تُخرسُ لساني
عن إيضاح علالك ، وعلى ما خيلت ، أن انفصلَ من تقديمك ، وأن أنفك^٨
مِن تعظيمك .

١ همام : الفززدق بن غالب بن صعصعة ، أما الكندي فهو امرؤ القيس ، والبكري : طرفة
ابن العبد .

٢ التنغ : العيب ؛ وفي النسخ : « تبقات » .

٣ انظر المثل : « عشيّة تقرم جليداً أملسا » في العسكري ٢ : ٥٤ (تحقيق أبو الفضل) والميداني
١ : ٣٢٠ ؛ والعشيّة : تصغير عشة وهي دويبة تقع في الجلد فتفسده .

٤ ب م : ازدهى .

٥ انظر فصل المقال ٣٣٥ والضبي : ٦١ والميداني ١ : ١٩٨ والعسكري ١ : ٣١٣ .

٦ السقط : الشرارة ؛ الشنف : البخضاء .

٧ الماوية : المرأة ، وقيل حجر البلور .

وله من أخرى إلى ابن الحديدي^١ بطليطة : قد سطع - أعزك الله - من سنك وسنايك ، وتضوع من نناك وثنائك ، وانتشر من علاك وحلاك ، ما ضمتخ مسكه اللوح ، وستر نوره يوح^٢ ؛ فسور سيرك تئلى في منازل الفضائل ، وصور غورك تجلى في محافل الأفاضل ؛ ولا غرو أن تنزع الأنفس الشاسعة لقاءك ، وتتمنى لقاءك ؛ ولا بدع أن تمتد الأعين النازحة إليك ، وتود أن تقع عليك ، فالفضل موموق^٣ ، والنفيس مرموق^٤ ، وحرص الحوباء^٥ على مشافهة الأخلاء يقضي عليها باقتداح زند المخاطبة ، واستفتاح غلق المكاتب ، وإذا عديم التناط ، فقد وجب التباطق^٦ ، ولو أن التكتاب لا يقع إلا بعد وقوع طير التعارف ، على ماء التألف ، وتفيؤ النفس ، ظلال الأنس ، لانسدت أبواب المواصل ، وانبتت أسباب المراسلة . وما زلت مذ تنسنت أرج ذكراك ، وتوسمت^٧ نهج عليك ، أصبو إليك صبو الهائم ، وأظمأ نحوك ظمأ الحائم ، وأرتقب للإمكان صالحة^٨ أتوصل بها إلى مجاراتك في ميدان الاستدلال ، وأتوسل بها إلى معاطاتك أفنان الالتئام والاتصال ، والزمن يأبى إلا التي ، فيشهد العوائق إلي^٩ ، إلى أن دهمني من ضروب خطوبه بعجائب ، واستقبلني

١ امله أبو بكر ابن الحديدي وكان مقدماً عند أهل طليطة ومن أهل العلم والدهاء ، حسن النظر في صلاح بلده ، وكانت العامة تعضده ، ولهذا كان اسماعيل بن ذي النون ثم ابنه يحيى من بعده يستشيرانه في مهمات الأمور (البيان المغرب ٣ : ٢٧٧) وسيعقد ابن بسام فصلاً في القسم الرابع يتحدث فيه عن مقتل أبي بكر هذا (انظر المطبوعة ٤ / ١ : ١١٨) .

٢ الألوح : الجو ؛ يوح : الشمس .

٣ الحوباء : النفس .

٤ التباطق : التراسل بالبطاقات ، وكأنه اشتقه إذ لم يرد استعمال الفعل « بطق » في المعاجم .

٥ ط : وتوهمت .

٦ ب م : ماتحة (اقرأ : فاتحة أو سائحة) .

من صنوف صروفه بغرائب ، قذفتني من سمائي ، وسقتني غير مائي ،
فأيدي التغرُّب تتعاطاني ، وأقدامُ التَّوْب لا تتخطَّاني . والله يحسن العقبي ،
ويُعقِبُ الحُسنى ، بمنه .

وله من أخرى : قد كنتُ خاطبتك في أمر فلان ، وجلوتُ إليك^١
معه خبري ، وشكوتُ إليك عَجْرِي وبُجْرِي ، لتنظرَ كيفيةَ حاله ،
ولعلَّكَ تصرفه عن محاله . فما أصرتَ بنهركَ زَبْدًا ولا حَبًّا ، ولا أثرتَ
لْمُهْرِكَ عَنقًا ولا خَبًّا ، ولا ساكتَ لشعبك صُعْدًا ولا صَبًّا ، ولا فككتَ
لسعيك وتداً ولا سبًّا . وعهدتُكَ - أبقاك الله - أنفذَ سهامي ، وأقتل
سمامي ، فما الذي عاق بداركَ إلى رغباتي ، وسكَّنَ ميثارك في طلباتي ؟
فعوداً إلى معترفاتك^٢ ، وجرياً على قديم عاداتك ، في أن تعملَ حيلَكَ
البابليةَ ، وهدايتك اللاهوتيةَ ، وأطافك الناموسيةَ ، ودقائقك البطايموسيةَ ،
ففساك أن تُطلقَ ربقي ، وتُعتقَ رقتي .

وله من أخرى إلى أبي بكر الخولاني المنجَّم^٣ : لو أنصفك الزمانُ
الذي أنت غُرَّةُ أيامه ، ودرَّةُ نظامه ، لكنتَ أحقَّ بالسَّرطان من الزَّبْرَقان ،
وأولى بالميزان من كيوان ، وأحجى بعلوِّ المراتب من سائر الكواكب ،
فما زلتَ لفلِكِ علمها مركزاً ، ولمدى فهمها محرزاً . ولو ميَّزَ الزمانُ ضياءَ
جوهرِكَ ، وصفاءَ عنصرِكَ ، لما عداكَ عن العروج ، إلى فلكِ البروج ،

١ ب م : عليك .

٢ ب م : معترفاتك .

٣ ذكره العماد في الحريدة ٢ : ٥٨٤ وقال إنه منجم المعتمد ، وسيأتي له ذكر في القسم الثاني
من الذخيرة ، ويعتمد عليه ابن بسام في رواية بعض الأخبار .

وأرجو أن هذا زمانه ، وقد آن أوانه ، فقد ظهرت له دلائل ، وشهدت له^١ محاييل . فكأنني بك من ذات الصدع ، إلى ذات الرجع ، على كبِدِ الجزع^٢ ، فيا ليت شعري هل يتمارى فيك ، فيقول من يصافيك : ما رشق ولا مشق ، ولكنه شبه وموه . أوردنا الله خير موارد النجاة والهدى ، وعصمنا من الضلالة والردى ، بمنه .

وله أيضاً : يا سيدي الذي هو قسيم ذاتي إن تحققت الذوات والنحائر ، وشقيق نفسي إن تبيّت الخلائق والغرائر ، ومن أبقاه الله بقاء الفرقدين ، في تدبير السعدين ؛ بيننا - أعزك الله - من التحام المقة واستحكام الثقة ، ما أربأ به عن تضمين الصحائف ، ولو قدت من السوالف ، وأنزله عن اشتغال المداد ، ولو كان من دم الفؤاد ، فصفاؤنا شمسي^٣ النقاء ، ووافؤنا فلكي^٤ البقاء ، ولا تضمن الطروس ، إلا ما لحقه الدروس . وكتابي بعد^٥ إثر إتحافك لي بكتابين كالنيرين ، فإن كان القمر ويوح ، لإنارة اللوح ، فهذان لجلاء الأذهان .

وهذه أيضاً جملة من شعره في أوصاف شتى

ومن ذلك مَلَحَه في نورية ، قال :

ورأت جفوني من نورية كاسمها ناراً تُضِلُّ وكلُّ نارٍ ترشدُ
والماءُ أنت وما يصحُّ لقابضٍ والنارُ أنت وفي الحشا تتوقدُ

١ ب م : به .

٢ ذات الصدع : الأرض تنصدع عن النبات ؛ وذات الرجع : السماء ، ترجع بالمطر ؛ والكبد : المعانة والمشقة ؛ الجزع : القطع .

٣ ب م : هذا .

وقال أيضاً^١ :

قلبي في ذات الأثيلات رهين لوعات وروعات
فوجتها نحوهم إنهم وإن بغوا قبله بغياتي
وعرسا من عققات اللوى بالهضبات الزدريّات
وعرجا يا فتيتي عامر بالفتيسات العيسويّات
فلنّ بي للروم رومية تكنس ما بين الكنيسات
أهيم فيها والهوى ضلّة بين صوامع^٢ وبيعات
وفي ظباء البدو من يزدرى بالظبيّات الحصريّات
أفصح وحدي يوم فصح لهم بين الأريطى والدؤىحات
وقد أتوا منه إلى موعد اجتمعوا فيه لميعات
بموقف بين يدي أسقف ممسك مصباح ومنساة^٣
وكلّ قس مظهر للتقى بأي إنصات وإخبات
وعينه تسرح في عينهم كالذئب يبغي فرس نعجات
وأبي مرء سالم من دوى وقد رأى تلك الظبيّات
فمن خلدود قمريّات على قلدود غصنيّات
وقد تلوّا صحف أناجيلهم بحسن ألحان وأصوات
يزيد في نفر يعافيرهم عني وفي ضغط صباباتي
والشمس شمس الحسن من بينهم تحت غمامات اللثامات
وناظري مختلس لمحها ولمحها يضرم لوعاتي

١ وردت أبيات من هذه القصيدة في الخريدة ٢ : ٢٦٧ منسوبة للأسد بن بليطة .

٢ ب م ط : صوامع .

٣ المنشأة : العصا .

وفي الحشا نارٌ نوريةٌ عُلِقَتْهَا منذُ سنَيَاتِ
لا تنظني وقتاً وكَم رُمَتْهَا بل تلتظي في كلِّ أوقاتي
فحيّ عني رشا المنحى وإن أبى رَجَعَ تحيَّاتي

وقال أيضاً :

حديثك ما أحلى فريدي وحدتي
ولا تسأمي ذكره فالذكرُ مؤنسي
وبالله فارقي خبل نفسي بقوله
أحقاً وقد صرحتُ ما بي أنه
وأقسمَ بالإنجيل إني لماثينٌ
ولا بدّ من قصتي على القسّ قصتي
فلم يأتهم عيسى بدين قساوةٍ
وقلبي من حُسن التجلّد عاطلٌ
سيصبحُ سري كالصباح مُشهرّاً
ويغري بذكري بين كأسٍ وروضةٍ

عن الرّشأ الفَرْد الجمال المثلثِ
وإن بعث الأشواق من كلِّ مبعث
وفي عَقْد وجدي بالإعادة فانفني
تبسم كاللاهي بنا المتعبثُ
وناهيك دمعي من محقّ محنتُ
عساه مغيثَ المدنف المتغوّثُ
فيقسو على مضني ويلهو¹ بمكرث
هوى في غزال الوادين المرعثُ
ويمسي حديثي عرضة المتحدّثُ
وينشد² شعري بين مثنى ومثلث

وقال أيضاً :

صُنْتُ اسمَ إلفي فدأباً³ لا أسميه
وصاحبي عددي⁴ قد رمزتُ به
ولا أزالُ بِالغازي أعميه
بذكر أعدادٍ ما تحوي مَبَانِيهِ

١ ط : مثنى ويلفو .

٢ ب م : ويشد لشعري .

٣ ب م : فرأياً .

فجذرُ أوّله رُبْعٌ لآخره وجذرُ آخره رُبْعٌ لثانيه
وإنَّ ثانيه خُمُسٌ لثالثه فافهم فقد لاح للأفهام خافيه

وقال أيضاً :

أمّا الذي بي فإنّي لا أسميه لكن سألقي رموزاً جمّةً فيه
إذا أردتَ من الأعداد نسبته فجذرُ أوّله عَشْرٌ لثانيه
وإن أضفتَ إلى ذي الجذر رابعه رأيتَ ثالثه زُهرًا معانيه
ونصفه أوليتَ أختَ الرشيد به فقد تبينَ ماضيه وبقايه

وله فيها أيضاً :

عساكِ بحقّ عيساكِ مريحةَ قلبي الشاكي
فإنّ الحُسن قد ولاكِ لِإحيائي وإهلاكي
وأولّعي بصُلبانٍ ورهبانٍ ونسّاكِ
ولم آتِ الكنائسَ عن هوى فيهنّ لولاكِ
وما أنا منك في باوى ولا فرجٌ لبلواكِ
ولا أسطيعُ سلواناً فقد أوثقتِ أشراكِ
فكم أبكي عليك دماً ولا ترثين للباكي
فهل تدرين ما تقضي على عينيّ عيناكِ
وما يُذكيه من نارٍ بقلبي نوركِ الذّاكي ؟
حجبتِ سنّاكِ عن بصري وفوق الشّمس سيماكِ
وفي الغصن الرّطيب وفي الـ نقا المرتجّ عِطفاكِ

وعند الرّوض خدّاك ومن ١ ربّاه ربّاك
نويرة إن قليت فإنّ في أهواك أهواك
وعيناك المنبّثا لك أنّي بعضُ قتلاك

وقال أيضاً :

وبين المسيحيّات لي سامريّة
مُثلثة قد وحدّ الله حسنّها
وطيّ الخمار الجونِ حُسنُ كأنما
وفي مَعْقِدِ الزُّنَّارِ عقدُ صبايبي
وفي ذلك الوادي رشاً أضلعي له
بعيدٌ على الصبّ الحنيفي أن تدنو
فثنّي في قلبي بها الوجدُ والحزن
تجمّع فيه البدرُ والليلُ والدّجن
فمن تحته دعصٌ ومن فوقه غصن
كناسٌ ، وقمرِي فؤادي له وكنُ

وله فيها أيضاً :

رويدك أيّها الدّمعُ الهتونُ
يظنُّ بظاهري حلمٌ وفهمٌ
إلى كم أَسْتَسِرُّ بما أُلَاقِي
نويرة بي نويرة لا سواها
فدون عيان من أهوى عيونُ
ودخلة باطني فيه جنون
وما أخفيه من شوقي يَبِينُ
ولا شكٌ فقد وَضَحَ اليقينُ

وله فيها من قصيدة :

ومن جرحته مقلتك نويرة
أرى كلّ ذي سلوى رآك متبمّا
ونارُ الأسي تحبو بقربِ نويرة
فليس يرجّي من جراح الأسي أسوا
فما أكثر البلوى بحسبك والشكوى
ومن لي بأن آوي إلى جنة المأوى

١ ب م : وفي .

وقال فيها أيضاً :

وفي شرعة التثليث فردُ محاسنِ
وأذهل نفسي في هوى عيسويةِ
فمن لحنوني بالتماحِ نوريةِ
سبتني على عهدٍ من السلمِ بيننا
تنزّلَ شرعُ الحبِّ من طرفه وحيا
بها ضلّتِ النفسُ الحنيفةُ الهديا
فتاةٌ هي المردى لنفسيّ والمحيا
ولو أنها حربٌ لكانتُ هي السبيا

واسمُها على الحقيقة « جميلة » ولذلك قال فيها :

أتعلم أن لي نفساً عليه وأشواقاً مبرحةً دخيله ؟
وفي طيِّ الحميلة ريمٌ لأنسٍ رمزتُ بها فله الحميلةُ
فصحفَ اسمها كما تراه ، وجرى في وصفها طلقَ الجموح فلم يَفِ
شرطُ الكتابِ بمداه .

ما أخرجته من المدائح في أميره ابن صمادح

من ذلك قصيدة أولها^١ :

لعلك بالوادي المقدسِ شاطيءُ فكالعنبر^٢ الهندي ما أنا واطيءُ
وإنّي في ربّاك واجدٌ ربحهم فروح^٣ الهوى بين الجوانح ناشيءُ

١ وردت أبيات منها في المسالك والمغرب وابن خلكان والمطبع ونفع الطيب ٣: ٥٠٣ والخريدة .

٢ ط : فكالمنبري .

٣ النفع : فجر .

ولي في السرى من نارهم ومنازهم
لذلك ما حنّت ركابي وحمّمت
فهل حاجها ما حاجني أو لعلها
رويداً فذا وادي لبيني وإنه
ميادين^٣ تيامي ومسرّح ناظري
ولا تحسبوا غيداً حمّتها مقاصر
محاملة السلوان مبعث حسنه
فكيف أرقّي كلم طرفك في الحشا
وما لي لا أسمو مراداً وهمّة
وما أخرتني عن تناء مبادئ
ولكنّه الدهر المناقض فعله
كانّ زماني إذ رأي^٧ جذيله
فداريتُ إعتاباً ودارأتُ عاتياً
فألقيتُ أعباء الزمان وأهله
ولازمتُ سمت الصمت لا عن فدامة

هداة^١ حداة^٢ والنجوم طوافي
عرابي وأوحى^٢ سيرها المتباطي
إلى الوخد من نيران وجدي لواجي
لورّد لباناتي وإنّي لظامي
فللشوق غايات به ومبادئ
فتلك قلوب ضمّتها جاجي
فكلّ إلى دين الصبابة صابى
وليس لتمزيق المهند رافى
وقد كرّمت نفس وطابت ضاضى
ولا قصّرت بي عن تناء^٦ مناشى
فذو الفضل منحط وذو التقص نامى
قلاني فلي منه عدو ممالى
ولم يغني أني مدار مدارى
فما أنا إلا بالحقائق عابى
فلي منطق للسمع والقلب مالى

١ ابن خلكان : حداة هداة .

٢ أوحى : أسرع .

٣ النفع : موارد .

٤ ابن خلكان والخريدة : حوتها .

٥ الضاضى : جمع ضضى . وهو الأصل والمعدن .

٦ ب م : تناء .

٧ ط : رأى ابن جذيله .

ولولا علا الملك ابن معن محمد
لآلئ^١ إلا أن^٢ فكري^١ غائص^٢
لما برحت^٣ أصدافهن^٣ الآلئ^١
وعلمي^١ دأما^٢ ونطقي^٢ شاطئ^٣
تجاوز حد^١ الوهم واللحظ^٢ والمنى
وأعشى^١ الحجبى^٢ لألاؤه^٣ المتلالئ^١
فتنعكس^١ الأبصار^٢ وهي حواسر^٣
وتنقلب^١ الأفكار^٢ وهي خواسئ^٣

أنشده هذه القصيدة سنة خمس وخمسين ، وأخذ^١ عليه أنه همز
فيها ما لا^٢ يهمز^٣ فقال^٣ :

عجبت^١ لغمازين^٢ علمي^٣ بجهلهم^٣
تجلت^١ لهم آيات^٢ فهمي^٣ ومنطقي^٣
ولاحت^١ لهم همزية^٢ أوحديّة^٣
رموها^١ بنقص^٢ بيتت^٣ فيه نقصهم^٣
وإن أنكرت^١ أفهامهم^٢ بعض همزها^٣
وإن^١ قناني^٢ لا تلين^٣ على الغمز^٣
مبيّنة^١ الإعجاز^٢ ملزمة^٣ العجز^٣
وويل^١ بها ويل^٢ لذي^٣ الهمز^٣ واللمز^٣
ومن لمس^١ الأفعى^٢ شكا^٣ ألم^٣ التكرز^٣
فقد عرفت^١ أكبادهم^٢ صيحة^٣ الهمز^٣

وقال من أخرى :

أقبلن^١ في^٢ الحبرات^٣ يقصرن^٣ الخطا^٣
سرب^١ الجوى^٢ لا الجوى^٣ عود^٣ حسنه^٣
مالت^١ معاطفهن^٢ من^٣ سكر^٣ الصبا^٣
وبمسط^١ العلمين^٢ أوضح^٣ معلّم^٣
ما أخجل^١ البدر^٢ المنير^٣ إذا مشى^٣
ويُرِن^١ في^٢ حُلل^٣ الوراشين^٣ القطا^٣
أن يرتعي^١ حب^٢ القلوب^٣ ويلقُطا^٣
ميلاً^١ يخيف^٢ قدودها^٣ أن تسقُطا^٣
لمهفهِف^١ سكن^٢ الحشا^٣ والمسقطا^٣
يختال^١ والخوط^٢ التّضير^٣ إذا خطا^٣ !

١ الحريرة : ذهني .

٢ ط : لم .

٣ انظر النفع ٢ : ٥٠٣ .

ومنها :

يا وافدي شرق البلاد وغربها . أكرمتما خيلَ الوفادةِ فاربطا
ورأيتما ملكَ البريةِ قاطباً ووردتما أرضَ المريّةِ فاحططاً
يرمي^١ نحر الدّارعين إذا ارتأى ويُدِلُّ عزّ العالمين إذا سطا

ومنها :

فإليكها تُنبِكْ أنّي ربّها نسبُ القطا متبيّنٌ مهما قطا

ومعنى هذا البيت منقولٌ من قول المعريّ حيث يقول^٢ :

عُرِفْتُ جدودك إذ نطقتَ وطالما لَغَطَ القَطَا فأبانَ عن أنسابهِ

وقال النابغة قبله^٣ :

تدعو القطا وبه تدعى إذا نُسيَتْ يا صدقها حين تدعوها فتنسَبُ

والمّ بهذا المعنى بعضُ أهل عصرنا وهو عبد الجليل ، من قصيدة يمدحُ
بها المعتمد بن عباد حيث يقول :

وحين أسمعْتُ ما أسمعْتُ من كلمٍ تمثَلْتُ لهم الأعرابُ والحللُ

ومن أناشيد أهل المعاني لأبي وجزة السّعدي^٤ في صفة القطا مما يتعلّق

١ ب م : يدي .

٢ شروح السقط : ٧٢٥ .

٣ ديوان النابغة : ١٧٧ والمعاني الكبير : ٣١٩ .

٤ هو يزيد بن عبيد بن بني سعد بن بكر ، كان شاعراً راوية للحديث ، وتوفي بالمدينة سنة ١٣٠

(انظر ترجمته في الشعر والشعراء : ٥٩١ والأغاني ١٢ : ٢٣٩ والخزانة ٢ : ١٥٠ وابن

حيان رقم : ٥٦٦ والجمهرة للزبير : ٢٦٨) .

بهذا المعنى ^١ .

مازلن ^٢ ينسبنَ وهنَا كلَّ صادقةٍ باتتْ تُباكر ^٣ عرماً غير أزواج ^٤
حتى سلكن الشوى منهنَّ في مسكٍ من نسلِ جوابة الآفاق مهداج ^٥
تنسابُ منهنَّ فيه أمةٌ خلقتْ جدّاً مذبحّةً منه ^٦ بأوداج ^٧

وله أيضاً :

خليلي ^٨ من قيس بن عيلان خلتيا ركابي تُعرجُ نحو مُنعرجاتيها
بعيشكما ذات اليمينِ فلئنّي أراحُ لشمَّ الرّوحِ من عقداتها

١ الأبيات من قصيدة له ورد عدد من أبياتها في اللسان والمعاني الكبير : ١٠٥٢-١٠٥٣ ، والبيتان الأولان منها في اللسان (هجج) ومحاضرات الراغب ٢ : ٦٧٣ والأول وحده في اللسان (زوج ، قطا) والحيوان ٥ : ٥٧٣ والميداني ١ : ٢٧٨ والمعاني الكبير : ٣١٨ ، والثاني وحده في اللسان (هجج ، مسك) والثالث في المعاني الكبير : ٦٤٠ .

٢ المعاني والحيوان : وهن .

٣ في المصادر : تباشر .

٤ أي أن القطا تقول : قطا ، قطا حين تفرزعها الحمر ليلا فتنسب أنفسها فتصدق في نسبتها .
العرم : بيض القطا لأنه منقط . غير أزواج : لا يكون بيضها إلا فرداً .

٥ الشوى : الأطراف ؛ المسك : الذبل من العاج كهيئة السوار ، جوابة الآفاق يريد الريح .
مهداج : ريح حنون . يتحدث عن حمر الوحش في ورودها الماء ، وقد شبه الشعر الذي في قوائمها بالمسك ، حين وردت الماء (الذي هو من نسل الريح لأن الريح تسوق السحاب وتمصره) .

٦ المعاني الكبير : تنحاز منها ؛ وفي النسخ : جنداً .

٧ يصف الأمة التي تنساب في الماء أو تنحاز فيه ، وهي المسك ، والجد جمع جداء وهي التي لا لبن لها ؛ قال ابن قتيبة : وكان بعض العلماء يزعم أنه أراد القطا ينحاز من الحمر عند الماء ؛ مذبحّة : أراد الأطواق في أعناق القطا كأنه أثر الذبح ، وكان يرويه « حذاً » والقطاة حذاء (أي قصيرة الذنب قليلة الريش) .

فقد عبت ریح النعَامی كأنما
وتیماءُ للقلب المتیّم منزلٌ
وإن تُسعدا من أسلم الصبرُ قلبه
فبانَتْها الغیناءُ مألُفُ بانهٍ
وروضُها الغنّاءُ مسرحُ روضةٍ
هنالك خُوطٌ في منابتِ عِزّةٍ
مشاعرُ تہیامٍ وكعبةُ فتنَةٍ
فکم صافحتني في منادا يدُ المنی
عهدتُ بها أصنامٌ حسنٍ عهدني
أهلٌ بأشواقٍ إليها وأتقي
غرامٌ كالإقدام ابنِ معنٍ ومغرمٌ

ومنها :

وكم قد رأت رأيَ الخوارج فرقةً
بعزم أبي لا يُردُّ مضاًؤه
هو الجاعلُ الهيجا حشاً وسانه
فكنتَ عليّاً في حروب شرائها
وهل تُملك الأفلاك عن حركاتها؟
هوّى فهو لا يعدو قلوبَ كمانها

ومنها :

وكم خطبتي مصرٌ في نيل نيلها
ولم أرض أرضاً غير مبدلٍ نشأتني
ورامتُ بنا بغدادُ وردَ فرائها
ولو لحتُ شمساً في سماء ولاتها

١ ب م : أجسام .

ولي أملٌ إن يسعد السعدُ نلتَهُ^١ ويفهمُ سرَّ النفسِ في رمزاتها
وأسنَى المني ما نيل في ميعَةِ الصَّبَا وهل تحسنُ الأشياءُ بعد فواتها ؟

قوله : « هو الجاعلُ الهيجا حشاً » . . . البيت ، ذهب بمعناه إلى قول
أبي الطيب^٢ :

كَأَنَّ الهَامَ فِي الهيجا عيونٌ وقد طبعَتْ سيوفُكَ من رقادِ
وقد صُغَتْ الأسنَةُ من همومٍ فما يخطرُنَ إلَّا في فؤادِ

والمُّ أبو الطيب في بيته بقول مُسلم^٣ :

لو أنَّ خلْقاً يخلُقونَ منيَّةً من بأسهم كانوا بني جبريلا
قومٌ إذا احتدمُ الهجيرُ من الوغى جعلوا الجماجمَ للسيوفِ مقيلا

وقول مُسلم يشير إلى ما قال النَّمري^٤ :

ذكرُ بروثفهِ الدِّماءُ كأنَّما يعلو الرجالَ بأرجوانٍ ناقعِ
وكانَ وقعته يجمجمةِ الفقى خدرُ المدامةِ أو نعاسُ الهاجعِ

وقال ابنُ الحُدَّاد من أخرى^٥ :

١ كذا في ب م وسقط البيت من ط .

٢ ديوان المتنبي : ٧٩ .

٣ ديوان صريع الفواني : ٦٠ وديوان المعاني ٢ : ٥١ .

٤ ب م : احمر ؛ الديوان : حمي .

٥ هو منصور بن سلمة النمرى (ترجمته في الأغاني ١٣ : ١٣٩ وطبقات ابن المعتز : ٢٤٢

وتاريخ بغداد ١٣ : ٦٥ والشعر والشعراء : ٧٣٦) .

٦ انظر النفع ٣ : ٥٠٣ وقال إنه مما يتغنى به بالأندلس .

فَذَرِ الْعَقِيقَ مَجَانِباً لِعَقُوقِهِ وَذَرِ الْعَذِيبَ عَذِيبَ ذَاتِ الضُّعَالِ ١
أَفُقٌ مُحَلًى بِالْقَوَاضِبِ وَالْقَنَا لِلْأَغْيَدِ الْمَعْطَارِ لَا الْمَعْطَالِ
حُجْبُوكَ إِلَّا مِنْ تَوَهُّمٍ خَاطِرِي وَحَمُوكَ إِلَّا مِنْ تَبَوُّءٍ بَالِي
وَالْقَارِظَانِ جَمِيلِ صَبْرِي وَالْكَرَى فَمَتَى أُرْجِي مِنْكَ طَيْفَ خِيَالٍ ؟

وَالْقَارِظَانِ رَجُلَانِ ذَكَرْتَهُمَا الشُّعْرَاءُ قَدِيمًا ، قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ ٢ :

وَحَتَّى يَثُوبَ الْقَارِظَانِ كِلَاهُمَا وَيَنْشُرَ فِي الْهَلَكِيِّ كَلِيبٌ لَوَائِلَ

فَأَحَدُهُمَا فَقَدَ فِي طَلَبِ الْقَرْظِ ؛ نَهَشْتَهُ حَيَّةٌ ، وَاسْمُهُ عَامِرُ بْنُ رَهْمٍ بْنُ
هُمَيْمٍ مِنَ النَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ ، وَلَا حَدِيثَ لَهُ . وَأَمَّا حَدِيثُ الْآخَرِ فَسَبَبُهُ
كَانَ خُرُوجَ قُضَاعَةَ مِنْ مَكَّةَ ، وَذَلِكَ أَنَّ خَزِيمَةَ بْنَ مَالِكٍ بْنِ نَهْدٍ هَوِيَ
فَاطِمَةَ بِنْتَ يَذْكَرَ بْنِ عَتْرَةَ وَخَطَبَهَا ، فَرَدَّ أَبُوهَا عَنْهَا ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ
هُوَ وَأَبُوهَا يَذْكَرُ يَطْلُبَانِ الْقَرْظَ ، فَمَرَّا بِقَلِيبٍ فِيهِ مَعْسَلٌ لِلنَّحْلِ ، فَتَقَارَعَا
لِلنَّزُولِ فِيهَا ، فَوَقَعَتِ الْقَرْعَةُ عَلَى يَذْكَرَ ، فَتَزَلَّ وَاجْتَنَى الْمَعْسَلَ ، ثُمَّ قَالَ :
أَخْرِجْنِي ، فَقَالَ لَهُ خَزِيمَةُ : لَا أَخْرِجُكَ حَتَّى تَزُوجَنِي فَاطِمَةَ ، فَقَالَ :
أَخْرِجْنِي وَأَفْعَلْ ؛ فَتَرَكَهُ هُنَاكَ وَمَاتَ بِهَا . وَانْصَرَفَ إِلَى الْحَيَّةِ ، فَسُئِلَ عَنْهُ
فَقَالَ : أَخَذْتُ طَرِيقًا وَأَخَذْتُ أُخْرَى ، وَاتَّهَمُوهُ ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ فَمَنْعَهُ أَهْلُهُ .
وَإِنْ خَزِيمَةُ شَهَرَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ ٣ :

١ ب م : الحال .

٢ ديوان الهذليين : ١٤٧ ، وانظر عن حديث القارظين ديوان بشر ابن أبي خازم : ٢٦
وفصل المقال : ٤٧٣ ، والميداني : ١ : ١٤٢ والأزمدة والأمكنة : ٢ : ١٣ والأغاني : ١٣ : ٧٥ .

٣ الأغاني : ١٣ : ٧٦ .

فتاةٌ كأنَّ رُضابَ العَصِيرِ يُعلُّ بفيها مع الزنجبيل
قتلتُ أباهَا على حُبِّهَا فتبخلُ إن بخلتُ أو تنيل

فاحتربتُ بكرٍ وقضاعةٌ بسببه ، فكان ذلك أوَّل بدء تفرُّقهم عن تهامة ،
فلما أخذوا يتفرَّقون قيل لخزيمة : إنَّ فاطمة قد ذُهبَ بها فلا سبيلَ إليها ،
فقال : أمَّا ما دامتُ حيَّةً فأنا أطمعُ فيها ، وقال :

إذا الجوزاءُ أردفتِ الثريا ظننتُ بآل فاطمةَ الظنونا^١
وحالت دون ذلك من همومي همومٌ تُخرجُ الداءَ الدافينا

وقال ابن الحداد أيضاً :

فيا عجباً أن ظلَّ قلبي مؤمناً بشرع غرامٍ ظلَّ بالوصل كافرًا
أرجي لسواني نشوراً وحسنها يرى رأي ذي الإلحاد أن ليس ناشراً
وليس على حُكم الزمان تحكُّمٌ على حسب الأفعال يُجري مصادرا
ومعرفةُ الأيام تُجدي تجارباً^٢ ومن فهم الأَشْطار فكَّ الدوائر^٣
ولولا طلابُ الدهر غاية علمها لما بسطوا منها بسيطاً ووافرا
ولولا أبو يحيى ابنُ معنٍ محمدٌ لما كانت الأيامُ عندي ذخائرا
فلا تُنكروا مني بديعاً فمجدُه^٤ نواذرُ قد أُوحت إليَّ النوادر^٥

١ الأغاني : بفيها يعل به .

٢ أي طلعت الجوزاء إثر الثريا عند الفجر ، ففي ذلك الوقت يرجع أهل البوادي إلى مياههم ،
فعند ذلك أظن الظنون بآل فاطمة لأنني لا أعرف أين ينزلون ، معنا أم مع غيرنا .

٣ ط : محارباً ، غير معجمة في ب ، م : محارباً .

٤ بعد هذا البيت وقع خرم في النسخة ب .

٥ ط : فهجره (اقرأ : ففخره) .

يُحْجُ ذَرَاهُ الدَّهْرَ عَافٍ وَخَائِفٌ جَمُوعاً كَمَا وَافَى الْحَجِيجُ الْمَشَاعِرَا
فَزَر مَكَّةً مَهْمَا اقْتَرَفَتْ مَا تَمَّا وَزُرْ أَفْقَهُ مَهْمَا شَكُوتُ مَفَاقِرَا^١
تَهَيَّمُ بِمَرَاهُ الْعَصُورُ جَلَالَةً وَتَحْسُدُ أَوْلَاهَا عَلَيْهِ الْأَوَاخِرَا
وَلَهُ فِيهِ أَيْضاً^٢ :

يَا سَائِلِي عَمَا زَكَنْتُ^٣ مِنَ الْوَرَى وَالسَّرُّ قَدْ يُفْضِي إِلَى الْإِعْلَانِ
لَهَا سَقَطَتْ عَلَى الْخَيْرِ بِحَالِهِمْ عِنْدَ الْعُرُوضِ حَقَائِقُ الْأَوْزَانِ
هَمٌّ كَالْقَرِيضِ وَكَسْرُهُ مِنْ وَزْنِهِ يَبْدُو مِنَ التَّحْرِيكِ وَالْإِسْكَانِ
هَاجُوا سَكُونِي فَاسْتَدَمْتُ هَيَاجَهُمْ إِنَّ الْحَرَكَ دَلَالَةُ الْحَيَوَانِ
فَانْجَابَ عَنْ شَمْسِي دَجَى لِجَلَابِهِمْ وَلَرْبَ بُرءٍ كَانَ فِي بُحْرَانِ
لَمَّا فَضُلْتُ رَمَوْا بِكُلِّ عَظِيمَةٍ وَالْفَضْلُ مَوْضِعُ أَسْهَمِ الْبَهْتَانِ
شَادَ ابْنُ مَعْنٍ فِي تَجِيبِ مَكَارِمَا لَيْسَتْ لِمَعْنٍ فِي بَنِي شَيْبَانَ
يَا مَنْ يَضِيفُ إِلَيْهِ حَاتِمَ طَيْئِ مَرَعَى وَلَكِنْ لَيْسَ كَالسَّعْدَانِ
أَعْطَتْهُ أَجْدَاءَ الْقُلُوبِ سِيَاسَةً خَفِيَتْ لَطَائِفُهَا عَلَى سَاسَانِ
وَبَدَتْ إِلَيْنَا مِنْهُ صُورَةُ سِيرَةٍ تَنْبِيكَ عَمَّا سَنَهُ الْعِمْرَانِ

قوله « هم كالقريض » ... البيت ، كقول أبي العلاء^٤ :

١ ط : معاقرا .

٢ انظر الحريدة ٢ : ٢٨١ .

٣ ط م : ركنت .

٤ ط : فقى .

٥ اللزوميات : ٦٦ / أ (نسخة ليدن : ٢٠٦) ، ١ : ١٧٦ (ط . هندية) .

تَقَارَبَ عَالِمُنَا وَامْتَزَجَ^١ فَرَجَ حَيَاتِكَ فِي مِنْ يَزْجُ
فَلَمَّني رَأَيْتُ طَوِيلُ^٢ العَرُوضِ مِنْ مُتَقَارِبِهِ وَالهَزْجِ

وله فيه من أخرى :

سَلِ الْبَانَةَ الْغِنَاءَ عَنْ مَلْعَبِ الْجَرْدِ وَرَوَضَتِهَا الْغِنَاءَ عَنْ رَشَا الْأَسَدِ
وَسَجَسَجَ ذَاكَ الظِّلَّ عَنْ مُلْهَبِ الْحِشَا وَسَلْسَلَ ذَاكَ الْمَاءَ عَنْ مَضْرَمِ الْوَجْدِ
فَعَهْدِي بِهِ فِي ذَلِكَ الدَّوْحِ كَانَسًا وَمَنْ لِي بِالرُّجْعَى إِلَى ذَلِكَ الْعَهْدِ
وَفِي الْجَنَّةِ الْأَلْفَافِ أَحْوَرُ أَزْهَرُ تَلَاعَبُ قُضْبُ الرُّنْدِ فِيهِ قَنَا الْهِنْدِ

ومنها :

فَأَيَّ جَنَّانٍ لَمْ يَدْعَ نَهَبَ لَوْعَةٍ وَأَمَلُ مِنْ دَمْعِي لِإِلَانَةِ قَلْبِهِ
وَفِي صَدْغِهِ اللَّيْلِيَّ نَارُ حِبَابٍ وَإِنِّي بَذَاتِ الْأَيْكِ أَسْعِدُ وَرُقَهُ
وَفِي زَنْدِهِ الرِّيَّانَ سَوْرُ تَعْصُهُ وَأَحَازِرُ أَنْ يَنْقَدَّ لَيْنًا فَأَنْثِي
وَقَدْ جَرَحْتَ عَيْنَايَ صَفْحَةً خَدَّهَ وَأَحَازِرُ أَنْ يَنْقَدَّ لَيْنًا فَأَنْثِي
فَيَدْمِي كَمَا ثَارَ الشَّرَارُ مِنَ الزُّنْدِ وَآمَلُ مِنْ دَمْعِي لِإِلَانَةِ قَلْبِهِ
بِقَلْبٍ شَفِيقٍ مِنْ تَشْنِيهِ مَنْقَدَ وَلَا أَثْرُ لِلْغَيْثِ فِي الْحَجَرِ الصَّلْدِ
مِنْ الْقَرْطِ يَصْلَاهَا حَبَابٌ مِنَ الْعَقْدِ فَهَلْ عِنْدَ ذَاتِ الطَّوْقِ مَا لِلْهُوَى عِنْدِي

ومنها :

وَيَا لَكَ مِنْ نَهْرِ صَوُولٍ^٣ مَجْلَجِلٍ كَأَنَّ الثَّرَى مَزْنٌ بِهِ دَائِمُ الرِّعْدِ

١ اللزوميات : غدا الناس كلهم في أذى .

٢ م : خفيف ؛ اللزوميات : ألم تر أن طويل القريض .

٣ ط : متول .

إذا صافحته الريحُ تصقلُ متنه وتصنع فيه صنع داود في السرد
 كأن يد الملك ابن معنٍ محمدٍ تفجّره من منبع الجود والرّفد
 ويرفل في أزهاره واخضراره كما رفلت نعماء في حلل الحمد
 وقد وردت في غمره نهّل القطا كما ازدحمت في كفّه قبّل الوقد
 مفيضُ الأيادي فوق أدنى وأرفعٍ وصبوب الغوادي شامل الغور والنجد
 فمن جوده ما في الغمامة من حياً ومن نوره ما في الغزاة من وقد
 تلاًّ كالإفرند في صارم النّهي وكُرّر كالإبريز في جاحم الوقد
 وإن ولّهُ فيه أذيهان معشرٍ فلا فضل للأنوار في مقلة الخلد
 ومنك أخذنا القول فيك جلالةً وما طاب ماءُ الورد إلاّ من الورد

قال ابن بسام : قوله « أذيهان معشر » بالتصغير ، يشبه قول عيسى بن عمر^٢ : ما كانت إلاّ أثياباً في أسيفاط قبضها عشاروك . ولعله أراد أن يتبع أبا الطيّب في قوله^٣ :

ظللْتُ بين أصيْحابي أكفّفهُ وظلّ يسفحُ بين العُذرِ والعَدَلِ
 وهيهاتَ ، ما كلُّ من جرى سبق ، ولا كلُّ من ارتاح نطَق .
 وله من قصيدة أولها :

نوى أجرتِ الأفلاكَ وهي النَّواعجُ وأطلعتِ الأبراجَ وهي الهِوارجُ

١ م : ويرز .

٢ عيسى بن عمر الثقفي النحوي البصري (- ١٤٩) كان صاحب تقييد واستعمال للغريب ؛

انظر نور القبس : ٤٦ وانباء الرواة ٢ : ٣٧٤ والفهرست : ٤١ ومعجم الأدباء ١٦ : ٣٧٤

ووفيات الأعيان ٣ : ٤٨٦ .

٣ ديوان المتنبي : ٣٢٨ .

طواويسُ حُسنٍ روعتني بينها
مَوائسُ قُضبٍ فوق كُتبٍ كأنما
وما حزني ألاّ تعوجَ حدودُهم
مُضرجُ بردِ الوَجنتين كأنما
وما الدَّهرُ إلاّ ليلةٌ مُدلهمةٌ
كأنّك في الأملاكِ نقطةٌ دائر
سماحٌ وإقدامٌ وحِلْمٌ وعِفّةٌ
فقد صاك من فضلِ العوالم طيبه
مَساعٍ أحلتك العلّا فكأنها

غرايبُ حُزنٍ بالفراق شواحج
تحمّلُ نَعمانَ بهنٍّ وعالج
لو الهودجُ المزور^١ منهم عانج
له من ظُباتِ المقلتين ضوارج
وكونُ ابنٍ معنٍ صبحها المتبالج
وأملأكها منها خطوطُ خوارج
مزجنا فأبدى^٢ مهجةَ الفضل مازج
وهل يكتُمُ المسكُ الذكيّ نوافج
مراقٍ إلى حيثُ السَّها ومعارج

وله فيه من أخرى :

لقد سامني هوناً وخسفاً هواكم
إذا شئتَ تنكيلاً وتنكيدَ عيشةٍ
وإن تبغِ إحساناً وإحصادَ مقصدٍ
حليمٌ وقد خفتَ حاوِمٌ فلو سرى
جوادٌ لو أنّ الجودَ بارى يمينه
ذكيٌ لو أن الشمسَ تحوي ذكاهه
ولو في الحدادِ البيض حدّةٌ ذهنه

ولا غروَ عزُّ الصَّبِّ أن يتعبدا
فحسبك أن تهوى سليمي ومهددا
فحسبك أن تلقى ابنَ معنٍ محمّدا
بعنصرٍ نارٍ حلّمه ما تصعددا
لكان قرارُ الحرب في الناس سرمداً
لما وجد الظمآنُ للماء موردا
لما صاغ داودُ الدّلاصَ المسرداً

واصطبغ المعنصمُ يوماً مع ندمائه ، وأظهر صبيّةً مهدويّةً في أنواعٍ

١ م : المزور .

٢ ط م : فأبدى .

من اللعب المطرب ، وحضر أيضاً لاعبٌ مصريٌ هنالك ، فارتجل ابن
الحدّاد يصف ذلك :

كذا فلتلُحْ قمرأ زاهرا	وتجنِ الهوى ^١ ناضراً ناضرا
وسيبك صوبُ ندَى مُغْدِقٍ	أقام لنا هاملأ ^٢ مامرا
وإنَّ ليومكَ ذا رونقاً	منيراً لنور الضحى باهرا
صباحُ اضطباحٍ بإسفاره	لحظنا مُحِيّاً العلا سافرا
وأطلعتَ فيه نجومَ الكؤوس	وما زال كوكبُها زاهرا
وأسمعنا لاحقاً فاتناً	وأحضرتنا لاعباً ساحرا
يُزَفِّنُ فوق رؤوسِ القيان	فتنظرُ ما يُذهلُ الناظرا
ويخطفها ^٢ ذيلُ سرباله	فتبصرُ طالعها غائرا
فظاهرها ينثي باطنأ	وباطنها ينثي ظاهرا
وثنأه ^٢ ثانٍ لآلعا به	دقائقُ ثني الحجبى حائرا
وفي قيسِ الراحِ من سحره	خواطرُ ولّهتِ الخاطرا
إذا وردَ اللحظُ أثناءها	فما الوهمُ عن وِردِها صادرا
ومن بدعِ نِعَمائكَ إبداعه	فما انفكَّ عارضُها ماطرا
وسروكَ يجتذبُ المغرباتِ	ويجعلُ غائبها حاضرا

وله فيه أيضاً :

والنفسُ عادِمةُ الكمالِ وإتّما	بالبحثِ عن علمِ الحقائق تكملُ
والمرءُ مثلُ النَّصلِ في إصدائه	والجهلُ يُصدى والتفهّمُ يصقلُ

١ ط : وتحبي الهدى ناضراً ناضرا ؛ م : وتجنّي الهدى .

٢ ط : ويخطفها .

ومنها :

متألىء^١ يثني العيونَ نواكساً كالشمس تعكسُ لحظَ من يتأملُ
لا يتَّقِي رَمَدَ النَّوَابِ ناظرٌ يجلى بنيرَ صفحتيك^١ ويكحل
وكانَ راحته الذَّرَاعُ إفاضةً وكأنَّما الأنواء منها الأمل
تنصَّورُ الأكوانُ في حوْبائه فكأنَّ خاطره الصَّقيلَ سَجَنَجَل

ومنها :

وإذا رأيتُ الشَّهْبُ مزعَ غزوةٍ ودَّتْ جميعاً أتها لك جحفل
ولوِ الأمورُ جرتْ على مقدارها حملَ السلاحَ لك السَّمَاكُ الأعزل

وله فيه من أخرى :

دوينَ الكُثيبِ الفردِ قُضِبُ وكُثبانُ عليها لورقِ الوجدِ سجعُ وإرنان^٢
وفي ظللِ الأفنانِ خُوطُ على نقأ منيعُ الجنى لدنُ التأوُدِ فينان
وفي مكنسِ الرِّقَمِ المنمَمِ أَحورُ كأنَّ مصاليتَ الظُّبَا منه أجفان
وبين دراريِّ القلائدِ نيرُ له الحسنُ تمُّ والتَّلَشُّمُ نقصان
على صُدْغهِ الشَّعْرَى تلوحُ وتلتظي وفي نحره الجوزاءُ تزهى وتزدان

ومنها :

وما بالُ طرفي لا يوافيكَ شاكياً وطرفُكَ في كلِّ الأحايين وسانان

١ م : صفحتيه .

٢ ط : يسمع إرنان .

وفي نغرك الوضاح ريّ لباني فظلمك صدهاء^١ وقلبي صديان^٢
تسح بأهواء الوري منه راحة^٣ شآبيبها فيها^٤ بلحين^٥ وعقيان^٦
وما كيميئيه الفرات ودجلة^٧ وإن حكموا أن المريّة بغدان^٨
به اعتدلت أزمانها وهواؤها فكانون^٩ أبلول^{١٠} وتموز^{١١} نيسان^{١٢}

وله من أخرى يعتذر من خروجه عن المريّة بعد اعتقال أخيه ، وكتب
بها من مرسية^٣ :

الدهر لا يتفك من حدّثانه والمرء منقاد^١ لحكم زمانه
فدع الزمان فإنه لم يعتمد^٢ بجلاله أحداً ولا بهوانه
كالمن لم يخصّ بنافع صوبه أفقاً ولم يختار أذى طوفانه
لكن لباريه بواطن^٣ حكمة في ظاهر الأضداد من أكوانه
ومنها :

وعلمت أن السعي ليس بمنجح ما لا يكون السعد من أعوانه
والجدد دون الجد ليس بنافع والرّمح لا يمضي بغير سنانه
ومنها :

وسما إلى الملك الرضا ابن صمادح فأداني بالسخط من رضوانه

١ م : صدهاء ، وكلاهما صحيح .

٢ م : فينا .

٣ أنظر نفع الطيب ٣ : ٥٠٤ وذكران المعتصم بن صمادح حين قرأ الأبيات قال : لا يتهيأ له صلاح عيش الا بأخيه ، فهو منه بمنزلة السنان من الرمح ؛ وأمر باطلاقه .

وهوى بنجمي من سماءِ سنائه وقضى بحطّي من ذُرّاً سلطانه

ومن شعره أيضاً في بني هود ، ولحقّ ابنُ الحدّاد بسرقة سنة
إحدى وستين ، فأكثر المقتدر بالله من برّه ، وعلم أنه متشوّفٌ إلى شعره ،
فمدحه بقصيدةٍ أوّلها :

أسالتْ غداةَ البينِ لؤلؤُ أجفانِ وأجرتْ عقيق الدّمع في صحن عقيانِ
وألقّتْ حُلّالها من أسّى فكأنما أطارت شوادي الورق عن فنن البان
وأذهلها داعي النوى عن تنقّب فحيّاً مُحَيّاها بتفّاح لبنان
وقد أطبقتْ فوق الأفاحي بنفسجاً كما خمشت ورداً بعنّاب سوسان

ومنها :

وليلٍ بهيمٍ سيرتهُ ونجومه أزاهرُ روضٍ أو سواهرُ أجفانِ
كانَ الثريّاً فيه كأسُ مُدامةٍ وقد مالت الجوزاءُ ميلاً نشوان
وما الدّهرُ إلّا ليلةٌ مُدّمةٌ وشمسُ ضحاها أحمدُ بنُ سليمان

وله فيه من أخرى أوّلها :

وقفوا غداة النّفرِ ثمّ تصفّحوا فرأوا أسارى الدّمع كيف تسرّحُ

وفيها يقول :

كافأت متجهي بوجهي نحوكم ونواظرُ الأملاك نحوي طمّحُ
أيّامَ روعني الزمانُ برّيه وأجدّ بي خطبُ الفرار الأفذحُ
ولئن أتاني صرفهُ من مأمّني فالدّهرُ يُجمِلُ تارةً ويملّحُ

فكأنما الإظلامُ أيمٌ أرقطُ وكأنما الإصباحُ ذئبٌ أصبحُ^١

صدعَ الزمانُ جميعَ شملي منحياً
ففضى بحطّي عن سمائي واقتضى
يممتها سرقسطةٌ وهي المدى
حيثُ العلا تجلي وآثارُ المنى
والنفس توفنُ أنَّ عهدك في الندى
فحيا المنى من بحر جودك يمتري

إنَّ الزمانَ مُملَكٌ لا يُسجَعُ
رِحْلاً تُطِيحُ ركائبي وتطلّعُ
والدَّهرُ يكبحُ واعتزامي يجمعُ
تُجْنِي وساعيةُ الطالب تُنْجِعُ
موفٍ بما طمحتُ إليه وتطمحُ
وسنا الضُّحى من زند مجدك يقدحُ

ومنها :

والشعرُ إن لم أعتقدهُ شريعةً
فبسحره^٢ مهما دعوتُ إجابةً
فاذخر من الكلم العليّ لآلئاً
وارباً بمجدك عن سواقطٍ سقطٍ
ونظامُ ملكك رائقٌ متناسبٌ
فكما جللتُم فليجلَّ المدحُ

أمسي إليها بالحفاظ وأصبحُ
ولفكره مهما اجتليتُ توضّحُ^٣
يبأى بها جيدُ العلاء ويبجعُ^٤
هي في الحقيقة مقدحٌ لا ممدحُ
فكأنما الإظلامُ أيمٌ أرقطُ

وكان ابنُ ردمير الطاغية قد بنى على بعض حصون سرقسطة ، فنهد^٥

١ الأضبح : ما كان لونه على لون الرماد؛ وإذا قرئت بالصاد المهملة دلت على لون فيه حمرة؛
والأول أدق في وصف الذئب .

٢ م : فلسحره .

٣ بعد هذا البيت تعود النسخة ب لمشاركة ط م وينتهي الحرم .

٤ ب م ط : وينجح .

٥ ط : فتفقد .

له المقتدر ، وأسرى إليه ، وأناخ عليه ، وابن ردمير في جموعه يُشرف
على ذلك من بعض جباله ، ثم عطف المقتدر على بعض حصونه وافتتحه ،
وانصرف غانماً إلى سرقسطة سنة اثنتين وستين ، فقال يصف ذلك :

مضاؤك مضمونٌ له النصرُ والفتحُ وسعيكَ مقرونٌ به اليمنُ والنَّجْحُ
إذا كان سعيُ المرءِ لله وحده تدانت أفاصي ما نحاه وما ينحو
بك اقتدَحَ الإسلامُ زند انتصاره وييضُك نارٌ شَبَّها ذلك القَدَحُ
وجلَّى ظلامَ الكُفْرِ منك بغرةٍ هي الشمس والهنديُّ يقدمها الصبح
فهم ذهلوا عن شرعهم وحدوده فقد عطلَ الإنجيلُ واطرحَ الفصح

وله يهتئء المؤتمن بن المقتدر بن هود بمولودٍ من جملة قصيدة :

فبشّر سماء السَّنا والسَّناء بنجم هُدًى لاح في آل هودِ
بمقتبسٍ من شمس النفوس ومقتدحٍ من زناد السَّعودِ
هلالٌ تألَّق من بدرٍ سعدٍ ومزنٌ تخلَّق من بحر جودِ
شهابٌ من النِّيَّرين استطار لإرداء كلٍّ مرِيدٍ عنيدِ
ونصلٌ إذا تمَّ منه انتضاءٌ فويحَ العدا من مبيرٍ مبيدِ
تبيّن فيه كُمونُ الذكاء ويا رَبَّ نارٍ بمخضَرٍّ عودِ

وله أيضاً من قصيدةٍ في المقتدر ، ويذكر كمال السلم بينه وبين أخيه
المظفر ، ويصفُ غزوَ الحاجبِ ابنه المؤتمن وبنياه^٢ في نحر العدوِّ حصن^٣
المدور :

١ ط : ومقترع : ب م : زنود .

٢ ب م : وشأنه .

٣ ط : وحصن .

مساعبكَ في ينحر العدوَّ سهامُ ورأيك في هام الضلالِ حسامُ
ولمحك يُردِّي القرن وهو مدججٌ وذكركَ يثني الجيش وهو هام
كأنَّكَ لا ترضى البسيطةَ منزلاً إذا لم يُطنبه عليك قتامُ

ومنها :

كأنَّكَ خلتَ الشمسَ خوداً فلم يزل يُقنَّعها بالنَّقع منك لثامُ
وقد يحسبونَ السَّلم منك سلامةً وربَّ منامٍ دبَّ فيه حمامُ
ثم عاد ابن الحدَّاد إلى المريَّة ، وَحَسُنَ بعدُ بها مثنواه ، وأكرمته
المعتصمُ وأجزَلَ قِراه .

ومن شعره في النسب وما يتصل به من الأوصاف

آيا شجراتِ الحي من شاطيء الوادي سقاك الحيا سقياك للدنفِ الصادي
فكانتُ لنا في ظلِّكنَّ عشيةً نسيْتُ بها حسناً صبيحةَ أعيادي
بها ساعدتني مِن زماني سعادةً فقابلني أنسُ الحبيبِ بإسعادي
فيا شجراتِ أثمرتُ كلَّ لذَّة جُناكِ لذيدٌ لو جنيتِ على الغادي
فهل لي إلى الظَّبي الذي كان أنساً بظِّلِكَ من تجديدِ عهدٍ وتردادِ
وقلبي على أغصان دَوْحك طائرٌ ينوحُ ويشدو والهوى نائحٌ شاد

وقال أيضاً :

يا زائراً ملأ النواظرَ نورا والنفسَ لهواً والضُّلوعَ سرورا

١ ب م : العادي .

لو أستطيعُ فرشتُ كلَّ مسالكي حديقاً ويضـّـ موالفٍ ونحورا
فيك اكتسى جوي سناً وتلاؤوا وارثدُ تُربي عنبراً وعبرا
وله أيضاً^١ :

واصل أخاك وإن أذاك بمنكرٍ فخلوصُ شيءٍ قلماً يتمكنُ
ولكل شيءٍ آفةٌ موجودةٌ إنَّ السراج على سناهُ يدخنُ
وشعرُ ابن الحداد كثير ، ولا يفني بشرط هذا الكتاب إلا ما كتبت منه .

لُـمـعُ من أخبار الأمير ابن صمّادح المذكور^٢

هو أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي . وقد ذكر ابن حيّان
بيته في تحييب ، وألغى بلُـمـعٍ من أسباب ملكه المغصوب ، ويّتن كيف
تبلّج نهاره ، ومن أين انصبَّ تيّارُه . وقد كتبت من ذلك ما أمكنني
تفسيرُه ، ولاقتُ بكتابي أعجازه وصدوره .

قال ابن حيّان^٣ : كان جدُّه محمد بن أحمد بن صمادح المكتني أيضاً
بأبي يحيى صاحب مدينة وشقة وعملها ، طلعت نباهته في أيام المؤيد

١ وردا في الحريرة والمغرب والتكملة والذيل والتكملة وسرور النفس ، الورقة : ٤٤٩ والنفع

٣ : ٥٠٤ . وأورد المقرئ مهما قصة .

٢ راجع أخباره في البيان المغرب ٣ : ١٦٧ ، ١٧٣ - ١٧٥ والمعجب : ١٩٦ والمغرب

٢ : ١٩٥ والقلائد : ٤٧ وأعمال الأعلام : ١٩٠ والمطرب : ٣٤ والحلة السيرة

٢ : ٧٨ - ٨٨ والحريرة ٢ : ٨٣ - ٨٩ ووفيات الأعيان ٥ : ٣٩ والوفائي ٥ : ٤٥

وتاريخ ابن خلدون ٤ : ١٦٢ وعبر الذهبي ٣ : ٣٠٦ وصفحات متفرقة من نفع الطيب .

٣ قارن بالبيان المغرب ودوزي (Recherches ج ١ الملحق : ١٩) .

٤ ط : حاجب .

هشام ، ثم كان له بسليمان اتصال^١ فنتى له الوزارة وأمضاه على عمله . وكان أوّل أمره مجاملاً لابن عمته منذر بن يحيى التجيبيّ ، يُظهر موافقته ، ويكأتمه من حسده إياه ما لا شيء فوقه ، حتى خذله تجمّله^١ ، فلم يلبث أن تفرّجت^٢ الحال بينهما بعد مُضيّ سليمان ، وتحارباً على مُلك وشقة ، فعجز ابنُ صمّادح عن منذرٍ لكثرة جمعه ، وأسلم له البلد وفرّ بنفسه ؛ فلم يبقَ له بالشجر متعلق ، وكان أوّل ساقطٍ من الثوّار ، لم يتملّ سلطانه ولا أورثه من بعده .

وكان أبو يحيى هذا رجلَ الثغر رأياً ومعرفة ، ودهياً ولساناً وعارضة ؛ ولم يكن في أصحاب السيوف من يعدله في خلاله هذه — من رجلٍ محروم ، يقارنه الشّوم ، ويقعدُ به النّكدُ واللّؤم . وكان يحملُ قطعةً صالحةً من الأدب ينالُ بها حاجته مخاطباً ومذكراً ، وكان لا يزال يسمو إلى طلب الدنيا والحرص عليها في أكثر حركاته ، فيقعد به جدّه ، ويُنكسه زمانه ، إلى أن أخفى عليه — حسبما ذكرناه .

وأما معن^٣ ابنه^٣ ذو الغدرة الصّلعاء^٤ ، فإنّه لما قتل زهير فتي ابن أبي عامرٍ صاحبُ المريّة ، وصارت لعبد العزيز بن أبي عامرٍ واستضافها^٥ إلى بلده بلنسية ، واستمد بما ورثه من تلاد الفتيان العامرين موالي جدّه ،

١ البيان : جملة .

٢ البيان : تقبّحت ؛ وأراه استعمال « تفرّجت » بمعنى : انكشفت وتوضح منها ما كان مستوراً ، أو املها : « تمرّجت » بمعنى فسدت .

٣ ب م : أبوه .

٤ ب م : الشّعاء .

٥ ب م ط : واستضافت .

حسده على ذلك مجاهدٌ صاحبٌ دانية ، وأظلم الأفقُ بينهما ، فخرج مجاهد غازياً إلى بلاد عبد العزيز ، وهو بالمرية مشغولٌ في تركةٍ زهير ، فخرج مبادراً عنها لاستصلاح^١ مجاهد ، واستخلف فيها صهره ووزيره معن بن صمادح ، فكان شرَّ خليفةٍ استخلف ، لم يكد يوارى وجهه عبدُ العزيز عنه حتى عمل بالغدر به والتمهيد لنفسه عند رعيته ، فخان الأمانة ، وطرده عن الإمارة ، ونصب له الحرب ، فغرب في اللؤم ما شاء ؛ وتنكبَّ التوفيقَ ابن أبي عامر لاسترعائه الذئب الأزل^٢ على ثلثته ، ومسترعي الذئب أظلم ، وسرُّ الله في خليفته لا يظهر أحداً عليه ؛ وكان من العجب أن تملأها^٣ ابنُ صمادح مدته ، وخلفها ميراثاً في عقبه .

ثم أفضى الأمرُ من بعده إلى ابنه أبي يحيى محمد بن معن ، وصار من العجائب أن ارتقى ذروة الإمارة ، وتلقبَ من الأسماء الخلفيّة بالمعتم ، والرشيد لم يلد ، وهو يعلم أن من الجور أسَّ ملكه الموروث عن أبي لم يكرم فيه فعله ، ولا طال في طلبه^٤ تعبهُ ، ثم لم يكفه تغطيه عن أجنحة النوائب بساحله الذي حال الحوزُ^٥ أمامه واللجُّ وراءه ، فرعى خضرته ، ولبس فروته ، وأفنى دجاجه ، مستبدّاً بمال ألفاه ، لا يتجاوز به شهواته ومآربه إلى قضاء حق في جهاد عدو أو سد ثغر ، أو معونة على بر ؛ حتى ملَّ العافية ، وبطر الدعة ، وطلب الزيادة ، فسعى للتوسّع في برة .

١ ب م : لإصلاح .

٢ ب م : تملكها .

٣ ط : فيه .

٤ ب م والبيان : الحزن .

٥ ب م : يده .

فحاول مفاتنة^١ أحق الناس بولايته ، ابن خاله عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي عامر الفتي المتأمر - كان - ببلنسية بعد أبيه عبد العزيز المنصور ، ولم يرع فيه حقَّ صهره يحيى بن ذي النون كبير أمراء الأندلس ، وقد كان بادر إلى مفاتنته ، وبادر السير إثر خاله عبد العزيز بنفسه ، طمعاً في مدينة لورقة ، فصدَّ عنها خائباً ، وانصرف على قطيعة عبد الملك منها وزير صدق ، شيخ مجرب للأُمور ، يلجأ من تديره إلى كهف منيع ، وهو الوزير ابن عبد العزيز ، وعلى ذلك صمد ابن صمادح هذا على حصن من عمل تدمير وثب فيه لعامل عبد الملك ، وجرت بينهما خطوب^٢ ، واستعان بحليفه باديس ، واستمدَّه على ما ذهب إليه من الفتنة ، فوجده مسارعاً إلى ذلك ، لما كان يعتقده من العصبية البربرية ، ويذهبُ إليه من لإبراء الفرقة بين أصدقاءه الأندلسيين^٣ ، على ذلك كله انقلب ابنُ معنٍ هذا خائب السعي ، قبيح الحجل ، ضائع النفقة ؛ انتهى كلامُ ابن حيان .

قال ابن بسام^٤ : ولم يكن أبو يحيى^٥ هذا من فحولة ماوك الفتنة^٦ ، أخلد إلى الدعة ، واكتفى بالضيق من السعة^٧ ، واقتصر على قصص يبينه ، وعِلق يفتنيه ، وميدان من اللذة يستولي عليه ويبرز فيه ؛ غير أنه كان

١ ب م : معاقبة .

٢ ط : من ازدراء فرقة الأندلسيين ؛ ب م : من ارداء .

٣ نقل ابن الأبار هذا النص في الحلة (٢ : ٨٢) ونسبه إلى أبي عامر السلمي ونقله ابن سعيد ونسبه إلى ابن بسام .

٤ ب م : أبو معن .

٥ ب م : من فحولة الملوك .

٦ ب م والبيان : واكتفى من (البيان : عن) الضيق بالسعة .

رَحَبَ الفِئَاءَ ، جَزَلَ العِطَاءَ ، حَلِيمًا عَنِ الدِّمَاءِ والدِّهْمَاءِ ؛ طَافَتْ بِهِ
الْأَمَالُ ، وَاتَّسَعَ فِي مَدْحِهِ المَقَالُ ، وَأَعْمَلْتُ إِلَى حَضْرَتِهِ الرِّحَالَ ، وَلَزِمَهُ
جَمَلَةٌ مِنْ فُحُولِ شِعْرَاءِ الْوَقْتِ كَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَدَّادِ وَأَبِي الْفَضْلِ ابْنِ
شَرْفٍ وَابْنِ عُبَادَةَ وَابْنَ الشَّهِيدِ وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ لَمْ يُعْلِقْ بِسِوَاهُ سَبَبًا ،
وَلَا شَدَّ إِلَى غَيْرِ ذَرَاهِ كُورًا وَلَا قَتَبًا .

وَقَدْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حُلُقَائِهِ مِنْ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ فِي الْجَزِيرَةِ ، فُتُونٌ
مُبِيرَةٌ ، غَلَبَتْهُ عَلَيْهَا ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ سَجِيَّتِهِ مُكْرَهًا إِلَيْهَا ، لَمْ يَكُنْ مَكَانُهُ
مِنْهَا بِمَكِينٍ ، وَلَا صَبَحَهُ فِيهَا بِمَبِينٍ . وَقَدْ انْدَرَجَتْ لَهُ وَلَهُمْ فِي تَضَاعِيفِ
هَذَا التَّصْنِيفِ قِصَصٌ تَضَيِّقُ عَنْهَا الْأَيَّامُ ، وَتَتَبَرَّأُ مِنْهَا الْقَرَاطِيسُ وَالْأَقْلَامُ .

وَلَمَّا أَهَابُوا بِأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِرِ الدِّينِ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ بْنِ تَاشْفِينَ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ ، دَخَلَ ابْنُ صِمَادِحٍ فِي غِمَارِهِمْ ، وَمَشَى عَلَى آثَارِهِمْ ، فَخَرَجَ
عَنِ الْمَرِيَّةِ إِلَى لَيْسَطٍ^١ يَجْرُ جَيْشًا ، لَا تَتَأَيَّى الطَّيْرُ غُدُوته^٢ ، وَلَا يَتَوَقَّعُ
الْعَدُوُّ وَطْأَتَهُ :

وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِيِّ أَعْرَضَتْ . وَكُنْ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ^٣
فَأَلْفَى بِهَا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ وَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى صَلَاحَتِهَا ، وَضَرَبَ^٤ أَبْنَيْتَهُ

١ فِي النَّمِخِ : لَيْسَطٌ ، وَقَدْ تَكَلَّبَ الْبَيْطُ وَهِيَ (Alledo) حَصْنٌ بَيْنَ لُورِقَةِ وَمَرْسِيَةِ .

٢ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

تَتَأَيَّى الطَّيْرُ غُدُوته ثِقَّةً بِالشَّيْخِ مِنْ جَزَرِهِ

٣ الْبَيْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَعِيمِ التَّمِيمِيِّ الثَّقَفِيِّ وَكَانَ مِنْ شِعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ يَهْوَى زَيْنَبَ أُخْتِ

الْحُجَّاجِ ، انْظُرِ الْأَغَانِي ٦ : ١٨٠ - ١٩٧ فِي أَخْبَارِهِ ٤ وَالْبَيْتُ ص : ١٨٣ ، وَفِي

الْأَغَانِي : ١٥٣ .

٤ ب م ط : وَاضْطَرَبَ .

بين جوزائها وحققتها ، وتمكّنَ من قيادها ، وألقت إليه بأفلاذ أكبادها ، لولا أجلٌ محتومٌ ، وتخاذُلٌ من مُلوكِ الطوائف بالأندلس معلومٌ ؛ فعرض ابنُ صُمّادح نفسه عليه ، ومثّلَ بين يديه ، فتلقّاهُ أميرُ المسلمين ، رحمه الله ، بجميلِ نظَرِهِ ، وبوّاهُ جانباً من مُعسكرِهِ ؛ فكان كالثقبيّ أفضى إلى البحر ، أو الكوكب الدرّيّ غرقَ في لُجّةِ الفجر ؛ وسيأتي الخبرُ عن ذلك مشروحاً في أخبار محمد بن عبّاد المخلوع ، بموضعه من هذا المجموع ^١ .

وأتسى ابنُ صُمّادحٍ به مجاهرّاً بالعصيان ، وأبدى صفحةَ الشّتَان ، فوافيا نكبتهما كفرسي رهان ؛ غيرَ أنّ ابنَ صُمّادحٍ كانت بينه وبين الله سريرة ، أو سلفت له عندَ الحمام يدٌ مشكورةٌ ، مات وليس بينه وبين حلولِ الفاقة به إلّا أيامٌ يسيرة ، في سُلطانه وبلده ، وبين أهله وولده .

حدّثني مَنْ لا أَرُدُّ خبره عن أروى بعض مَسانٍ حظايا أبيه قالت : إني لَعِنْدَه وهو يُوصي ^٢ بشأنه ، وقد غُلِبَ على أكثرِ يَدِهِ ولسانه ، ومُعسكرُ أميرِ المسلمين يومئذٍ بحيثُ نَعُدُّ خيماتهم ، ونسمع اختلاط أصواتهم ، إذ سمعَ وَجبةً من وَجباتهم ، فقال : لا إله إلّا الله ، نُغْصِرَ علينا كلُّ شيءٍ حتّى الموتُ ! قالت أروى : فدمِعتْ عيني ، فلا أنسى طرفاً إليّ يرفعه ، وإنشاده إيتاي بصوتٍ لا أكاد أسمعُهُ :

ترَفَّقْ بِدَمْعِكَ لا تُفْنِنِه فبين يديكَ بكاءٌ طويلٌ

١ موضعه القسم الثاني من الذخيرة .

٢ ب م : يوصيني .

وكان فيما أوصى به إلى ابنه الذي كان رشحاً لسلطانه^١ ، وبوأه صدرَ أيوانه ، ولقبه من الألقاب السلطانية بالوائق بالله ، أن قال له : يا بنيَّ إنَّ ابنَ عبَّادٍ معنى السريرة ، وشيخُ هذه الجزيرة ، فساعة يبلُغُكَ عنه شيءٌ فأخفِ صوتك ، وانجُ وليتَكَ .

فلما فار التَّنور ، وبطلتْ تلك الأساطير ، وسقط عليه بخبر ابن عبَّادٍ الخبير ، باع ذِرْوَةَ الملك ، بصَهْوَةِ الفُلك ، واعتاض من مُناسمة الرُّوحِ والريَّحان ، بمزاحمةِ الشَّراعِ والسَّكَّان ، ومن سماعِ نغمِ المزامير والأوتار ، بالتَّصامُمِ عن صَخَبِ تلك الأتباعِ والغمار . وخلَّى أهلُ المريَّةِ بينه وبين شأنه رَعِيًّا للذَّمام ، ومكافأةً عن سالفِ أياديه الجسام ، وسُخَّرَ له البحرُ فنجاً ولم يعلقه شرَك ، ولا رَجَعَ عليه دَرَكٌ^٢ .

ولأبي يحيى بن صُمادح :

وتحتَ الغلائِلِ معنىً غريبٌ شفاءُ الغليلِ وبُراءُ العليلِ
فهل لي مِن نيله نائلٌ ولا بن السَّييلِ إليه سبيل
فما لي إلَّا الهوى متجرٌ فغيرُ الغواني متاعٌ قليل
فيا ربَّةَ الحُسْنِ في غايةٍ وعَصَرَ الشَّبابِ وظِلُّ المَقبلِ
ذريني أعانقُ منك القَصيبَ وأرشفُ من ثغركِ السلسبيل

١ هو ابنه معز الدولة أحمد ، وقد عهد إليه أبوه أن يلحق ببلاد ابن حماد إذا هو سمع بخلع ابن عباد على يد المرابطين ، فلما حدث ذلك ، غادر المريَّة في رمضان وقيل شعبان سنة ٤٨٤ وقصد بجاية فأنزله المنصور بن الناصر بن علناس في كنفه (الحلة السيرة ٢ : ٨٩ - ٩٠) .
٢ عند هذا الحد تنتهي الترجمة في ط ؛ ويبدو أن ما أحق بعد ذلك إنما هو دخيل على الذخيرة ، فهو مأخوذ عن القلائد والمطمح .

وكتب إليه النحلي^١ :

أيا من لا يضافُ إليه ثانٍ ومن ورثَ العلا باباً فباباً
أجلَّك^٢ أن تكونَ سوادَ عيني وأبصرُ دون ما أبغني حجاباً
ويمشي الناسُ كلَّهمُ حماماً وأمشي بينهمُ وحدي غراباً

فوصله ، وراجعهُ^٣ :

ورَدَّتْ ولَّيلُ البهيمِ مطارفُ عليكَ وهذي للصَّباحِ برودُ
وأنتَ لدينا ما بقيتَ مُقَرَّبُ وعيشُك سلسالُ الحمامِ برودُ

وله في خبر^٤ :

لما غدا القلبُ مفجوعاً بأسودِهِ وفُضَّ كلُّ ختامٍ من عزائمهِ
ركبتُ ظهرَ جوادي كي أعزِيهِ وقلتُ للسَّيفِ كن لي من ثمائه

وله^٥ :

انظر إلى حُسْنِ هذا الماءِ في صَبَبِهِ كأنه أرقمُ قد جدَّ في هربه

١ انظر الحلة السيرة ٢ : ٨٨ والقلائد : ٤٨ والمغرب ٢ : ١٩٧ وكانت المناسبة أن دخل النحلي المرية والناس قد لبسوا البياض ، أما هو فكان يرتدي أسعالا سوداء ؛ وسترده ترجمة النحلي في القسم الثاني .

٢ الحلة والقلائد : أيحمل .

٣ القلائد : ٤٨ والمغرب .

٤ القلائد : ٤٩ .

٥ المصدر نفسه ؛ والنفع ١ : ٦٦٦ ، ٣ : ٣٢٩ والمغرب ٢ : ١٩٧ .

أبو يحيى رفيعُ الدولة بن صمادح^١

من بيت إمارة، وإلى عليها السعد طوافه^٢ واعتماؤه ، انتجعوا انتجاع الأنواء ،
واستطعموا في المحل والأواء ، وأبو يحيى فجرُ ذلك الصُّباح ، وضوءُ ذلك المصباح ،
التحف بالصُّون وارتدى ، وراح على الانقباض واغتدى ، فما تراه إلا سالكاً جدداً ،
ولا تلقاه إلا لابساً سؤدداً . وله أدبٌ كالرُّوض إذا زهر ، والصُّبح إذا اشتهر ، وقفه على
النسيب ، وصرفه إلى المحبوبة والحبيب :

يا عابدَ الرحمن كم ليلةٍ أرقتني وجداً ولم تشعر
إذ كنت كالغصن ثنته الصُّبا وصحنُ ذاك الخلد لم يشعر

وله :

مالي وللبر لم يسمح بزورته لعلّه ترك الإجمال أو هجرا
إن كان ذاك لذنب ما شعرت به فأكرمُ النَّاس من يغفو إذا قدرا

وله :

وأهيفَ لا يلوي على عتب عاتب ويقضي علينا بالظنون الكواذب
يُحكّم فينا أمره ففطيمه ويُحسبُ منه الحكمُ ضربةً لازب

وله :

وعلقته حلّو الشمائل ماجناً خنت الكلام مرتج الأعطاف
ما زلت أنصفه وأوجبُ حقّه لكنّه يأبى على الإنصاف

١ رفيع الدولة : ذكره صاحب سبط الجمان ولم يسمه وكناه أبا يحيى وكذلك فعل السالمي ،
وكناه صاحب المطمح أبا زكريا (وفي النفع ٣ : ٣٦٩ أبو زكريا يحيى بن المتعم) ؛
انظر في ترجمته الحلة ٢ : ٨٢ والمغرب ٢ : ١٩٩ والمطح : ٣٠ والنفع ٣ : ٣٦٩ ،
٣٨٧ ، وفي ج ٧ : ٤٣ ترجمة منقولة عن المطمح ولهي مختلفة عن ما جاء في المطمح المطبوع ؛
وتعد هذه القطعة دخيلة على الذخيرة ولذلك ميزتها بحرف طباعي أصغر .

٢ المطمح : حجه .

وله :

حبيبٌ متى بنأى عن القلب شخصه
ويهدأ ما بين الضلوع إذا بدا
يكادُ فؤادي أن يطير من البين
كانَ على قلبي تمانم من عني

وله إلى أبي نصر^١ :

قلمتُ أبا نصرٍ على حالٍ وحشةٍ
وقررتُ بكَ العينانِ واتصلَ المني
فجاءت بك الآمالُ واتصلَ الأنسُ
فأهلاً وسهلاً بالوزاراتِ كلها
وفازت على يأسٍ لبغيتها النفسُ
ومن رأيه في كلِّ مُظلمةٍ شمسُ

وكتب ابن اللبَّانة لرفيع الدولة^٢ :

يا ذا الذي هزَّ أمداحي بحلته^٣
وادبك لا زرعَ فيه اليوم تبذله
وعزّه أن يهزَّ المجدَ والكرما
فجُد عليه لأيامِ المني سلما

فراجعهُ :

المجد ينجل من لُقياك^٤ في زمنٍ
فدونك التزّر من مُصِفٍ مودتته
ثناءً عن واجب البرّ الذي علما
حتى توفّر أيامِ المني للسلما

وله^٥ :

سلوت أبا نصرٍ وما كنت ساليا
وأظهرت عن قرب المزار التنايا

١ يعني الفتح بن خاقان .

٢ عند ابن الأبار (الحلة ٢ : ٩١) أنه كتب بذلك إلى هز الدولة وهو أخو ربيع الدولة ؛

وانظر النفع ٣ : ٣٦٩ ، ٧ : ٤٢ - ٤٣ .

٣ الحلة والنفع : بحلته .

٤ الحلة والنفع : من يفديك .

٥ هذه القطعة والتي تليها لم يوردهما المطبع المطبوع .

فديتك قل كيف اجترأت على النوى وخلقت من تهواه بالجزع ثاويا
ظننت بأن يسليك نأي عمله وهيئات ما تزداد إلا تماديا

وله :

عجبت أبا نصر لعيشك آسيا بفاس وما فيها مقام لفاضل
وفي حمص الدنيا نعيم وجنة وماء وظل وارف غير زائل

فصل في ذكر الأديب أبي محمد بن مالك القرطبي^١ وإيراد جملة من نظمه ونثره

وكان فرداً من أفراد الشعراء والكتاب ، وبحراً من بحور المعارف
والآداب ، شقّ كلام الكلام عن أفانين النور والزهر ، ورفل من
النثر والنظام بين الأصال والبكر ؛ ولم يقع إليّ من شعره ونثره ، إلا
نُبذةٌ كليماء المريب بذات صدره ، وفيما أثبت منها ما يُعرب^٢ بذكره ،
ويُعرب عن عجيب أمره . وأقام بالمرية مدةً تحت ضنك معيشة مع
عدة مدائح ، رفعها لأمرها ابن صمادح ، فلمّا كان يوم عيد أنشده
شعراً قال فيه :

١ ترجم الفتح في القلائد (١٧٠ - ١٧١) لمن سماه الوزير المشرف أبا محمد بن مالك ونقل
المقري بعض تلك الترجمة (١ : ٦٧٤) ويؤخذ مما ذكره ابن خاقان أن منزلة ابن مالك
ارتفعت لدى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وأنه بوأه المراتب اللائقة به وجعله مشرفاً حل
سرف أموال خصصت لإصلاح الأحوال بشرق الأندلس ؛ وقد التقى به الفتح بطرطوشة ،
كما لقيه باشبيلية .

٢ ب م : اخترت . . . ما يعرف .

الإخواننا لهماً عليكم* وحسرة*
 عليكم* سلام* من مُحِبٍّ يودُّكم*
 وما هو إلاَّ البَيْنُ قد جدَّ جدُّه
 حقائبٌ قد ضُمِّنَ كلَّ لطيفةٍ
 أمتعصماً بالله يا خيرَ موئِّلٍ
 مضى الفطرُ والأضحى ولا نيلَ يُقتضى
 وكم عفتُ قدماً من جزيلِ مواهبٍ
 سأرحلُ عنكم دون زادٍ لبُلغةٍ
 فلما صَحِبْنَاكُمْ أبرَّ أصحابٍ^١
 فقد قَلِقْتُ نحو العراقِ^٢ ركائبِي
 فلم يَبْقَ منه غيرُ شدِّ الحَقائبِ
 وإن صَفِرَتْ من مُنْفساتِ المواهبِ
 وأكرمَ مأمولٍ وأفضلَ واهبٍ
 فلم أخفقتُ وحدي إليك مطالبي
 وقد خَطَبْتَنِي من جميعِ الجوابِ
 وتلكَ لعمري سبَّةٌ في العواقبِ

فقال له ذو الوزارتين^٣ أبو الأصْبَغِ ابنُ أرقم : عياداً بالله من ذلك
 يا أبا محمَّد . وما زال يُعلنُ باضطرابه ، ويشكو الفقرَ في أشعاره ، حتَّى
 أعياهُ ذلك ، فجعل بعدُ يصفُ الغنى واليسارَ هنالك ، تعريضاً وتطبيهاً ،
 فمن ذلك قوله من جملة قصيدة :

وما نذكر الإعدامَ إلاَّ تَخَيُّلاً
 لكثرةٍ ما أغنى نَدَاهُ وما أَقْنَى
 وأكثرُ ما نخشاهُ طغيانُ ثَرَوَةٍ
 فلما نرى الإنسانَ يَطْفئُ إذا استغنى

فقال له بعضُ أصحابه : ومن أينَ هذا الغنى وقديماً تشكو الفقرَ ؟
 ومضوا معه إلى منزله فما وجدوا معه غيرَ قُلَّةٍ فخارٍ وقدرٍ للماء ، ونحوِ
 ثمانيةِ أرطالٍ دقيقٍ في مخللة .

١ ب م : صواحب .

٢ ط : الفراق .

٣ ط : الوزير .

فصول له من مقامة تعرب عن حفظ كثير
خاطب بها ابن صمادح المذكور
اقتضيتها لطولها وسقت بعض فصولها

يقول في فصل منها :

إن تَطَلَّعَ - لا زال طالماً نجمٌ سَمُودِهِ - إلى نبأ من أنباء عبيده ،
فإني أنبئه ، ولا أنبيءُ إلاَّ حقاً ، وأخبرُهُ ولا أُخبرُ إلاَّ صدقاً ؛ أمّا
الأفئدة من بعده فمفزودة ، وأمّا الأكبادُ لبُعْدِهِ فمكبودة ، والدَّهْرُ
من بعده ليلةٌ ليلاء ، والنَّاسُ جيلةٌ دهماء .

وفي فصل : بُشِّرَى لنا ولدولته الغراء ، وهنيئاً لنا ولحضرتِه الزَّهراء ،
فتحٌ تفتَحُ له أزاهيرُ^٢ النجاح ، وبشرٌ^٣ تباشرت به تباشيرُ الفلاح ،
ورُواءُ^٤ أشرق منه جبينُ الصَّباح ، وخبرٌ تَصَوَّعتْ به نوائجُ^٥ الرِّيح ؛
يومٌ هزَّ له الزَّمانُ ثِنينَي^٦ عطفه ، وشمخَ عزَّةً بأنفه ؛ فالآن حين انصدع
جَوْنُ^٧ الهزيع ، عن جَوْنِ^٨ الصَّديع ، فوجهُ الزَّمانِ ضحيانٌ مُشرق ،

١ يعتمد ابن مالك في هذه المقامة حل الأبيات الشعرية ، وسأشير إلى نماذج من ذلك في سياق
هذه التعليقات ، ولكن استقصاء ذلك كله يشغل الحواشي كثيراً .

٢ ب م : أزهار .

٣ ب م : وبشرى .

٤ النوائج : الرياح الشديدة المروور والهبوب ؛ ب م : نوائج ؛ ط : بوائج .

٥ انصدع جون الهزيع عن جون الصديق : انشق سواد الليل عن بياض الصبح ، والصديق :

انصداع الصبح ؛ ب م : انصدع جون الضريع .

وعُودُ الدَّهْرِ فينانُ مَورِقُ ، والعيشُ غُضَّةٌ مَكَاسِرُهُ ، عَذْبَةٌ مَوارِدُهُ
ومَصادِرُهُ ، طابَ كَما لَذَّتْ لشارِبِها الشَّمولُ ، وتَضَوَّعَ كَما خَظَرَتْ
عَلى الرُّوضِ القَبولُ .

وفي فَصل : فَلَلَهُ يَومُنَا بِالأمسِ ، ما أَجَلَبَهُ لَلطافِ الأَنسُ ^١ ، حينَ
طَلَعَ عَلينا مَنٌ كانَ طَلوُعُهُ أَلَذَّ إلى الأَعينِ مِن وَسَنِها ، وأَوَقَعَ في القُلوبِ
مِن سَكنِها ، طَلَعَ طَلوُعُ الصَباحِ المُتَهَلِّلِ ، وجاءَ مَجيءَ العارِضِ المُسبِلِ ،
دَلَفنا إِلَيهِ كَالقَطا الأَسرابِ ، فبَهِرَنا الأَمْرُ العُجابُ ، وكادَتِ الأَفئدَةُ مَما
وَجَعَتْ ، والأَلبابُ مَما رَجَفَتْ ، أَلّا يَرجِعَ نافرُها ^٢ ، ولا يَقعَ طائِرُها .

وفي فَصل : لا تَسمَعُ إِلَّا هَمَمةً وصَهِيلًا ، وقَعَقَةً وصَليلًا ،
فخَلَّتِ الأرضُ تَمليلُ مَيلًا ، والجِبالُ تَكونُ كَثيبًا مَهِيلًا ، لا تَعلَمُ
لأَصواتِ تلكَ الغِماغِمِ ، وضُوضاءِ تلكَ الهِماهِمِ ، مِن وَهواهِ صَهِيلِ ،
ودَرَدابِ طُبولِ ، أَزْثيرُ ليوثِ بَآجامِ ، أَم قَعَقَةُ رَعدٍ في اِزدحامِ غِمامِ ؟
فَتَراحِمَ في الأفقِ الهَميمِ والهِديدِ ^٣ ، وتَلاطمَ في الجَوى النَسيمَ والوئيدَ ^٤ ،
فكَادَتِ الدَنيا بَنا تَمدِ ، لا تُبصِرُ غَيرَ مَلمَلةٍ جَآءوا ^٥ ، ومَواراةٍ ^٦ شَهباءَ ،
قَد ضَعُضَتِ ^٧ التَلالُ ، ودَكَدَكَتِ القِلالُ ، إِذا فَرَعَتِ مِن ذاتِ نَيقِ ،

١ ب م : أَجَلَبَهُ الأَنسُ .

٢ ب م ط : تَنافَرها .

٣ الهَميمُ : كَأَنَّهُ مِنَ الهَمِمةِ وَهي الصَوْتُ الخَفِيُّ ؛ والهِديدُ : الدَوِيُّ ؛ وَفي ب م : البَهِيمُ .

٤ النَسيمُ : الصَوْتُ الضَعيفُ الخَفِيُّ ؛ الوئيدُ : الصَوْتُ العَالي الشَدِيدُ .

٥ الكَثيبَةُ الجَآءوا : الَّتِي يَطلُوها السَوادُ لكَثَرَةِ الدَروعِ ؛ ط : بِأَواءِ .

٦ ب : سَواءه ؛ ط : مَواَدِه .

٧ ب م : صَفَصَفَتِ .

أو صَوَّبَتْ^١ من فجّ عميق ، أو تطالعت من أفقٍ سحيق ، حسبتهما تجيشُ
على البلاد بحاراً ، أو تسحُّ على الوهاد مدراراً ، فقد نسجت فوقها من القتام ،
ظُللاً كتراكمُ الغمام^٢ ، فكأنها رفعت سماءً من عجاج ، وأطلعت
نُجوماً من زُجاج .

ومنها : حتى لاحَ لنا من مَلِكِ الأملاك ، وثالث القمرين في الأفلاك^٣ ،
وجهٌ جلّى^٤ هبوةَ ذلك العثير ، والعجاج الأكدَر ، فحين جَلَّتْ غِرَّتُه
الغراءُ جلايبَ الغُبارِ [لم ندرِ أبدِرُ الليلِ] أمْ شمسُ النهارِ . فله ما
ضمتُ^٥ أطنابُ ذلك السرداق ، وما أظَلَّتْ أفياءُ تلك الخوافق ، من مال
المُسيفِ وعنبرِ المُستاف^٦ ، وليث العرين وبحرِ الاغتراف ، ومن نزالِ
الهواجر ، وبذالِ الجواهر ، فلما جَلَّتْ غِرَّةُ وجهِه المُتَهَلِّل ، غبايةَ ذلك
القَسْطَل ، جعلتُ أنأملُ ضراغيمَ فوق قُبْ صَلام ، فمن كُنتِ تسبِغُ
بِكُماة ، ومن حُمُ تَرْدِي^٧ بحماة ، قد نَحَلْتِ بحلي لِبَاتِها وألجمها^٨ ،
تَحَلِّي الغياهِبِ بأنجمها ، يرفلن في العبقرِيّ ويحملنَ جِنَّةَ عَقبَر ، ويسفرنَ

١ ب م : صرفت .

٢ ب م : من الغبار . . . كتراكم الغمار .

٣ ط : وثابت . . . الأحلاك .

٤ ط : جلا .

٥ ط : ضمنت .

٦ من قول المعري (شروح السقط : ١٢٦٤) :

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف

والمسيف هو الذي ذهب ماله . والمستاف : الشام ، يقال : ساف الطيب يسوفه واستافه

يستافه . .

٧ ط : تودي (وهو خطأ) .

٨ ب م : وأنجمها .

عن مثل الصبح إذا أسفر، من الجياد اللواتي تضمن^١ أقوات النور القشاعم ،
وتقري سراحين الفلاة بالطلّى والجماجم ، أنجاد^٢ كأنها أسنتها ، وحياد^٣
كأنها أعنتها ، فما ترى غير محارب يهز^٤ حراباً ، وأعاريب تركض^٥ عراباً .

[وفي فصل]^٦: كلّ قد أخذ عتادَ اليومِ للبأسِ الشديد ، يُظاهِر^٧
بالحديد على الحديد ، تلبّب بالسّابريّة وتدرّع ، وتعصّب بالصقال وتفتنع ،
حتى اليلاميق والدروع سواء ، وحتى المقلّة النجلاء والحلقة الخوصاء ،
من كلّ مسرود الدّخارص ، متألّق دُلامص^٨ ، كأنما جلّلتها بحبكتها
السحاب ، أو خلع برّده عليه الحُبّاب ، أو غُمِسَ في ماء فجمد عليه
الحُبّاب ، وكأنما باض^٩ على رؤوسهم نعام الدّوّ ، وبرقت في أكفهم
بوارقُ الجوّ ، لكنّها ما هُزّت فبوارق ، وإذا صُبّت فصواعق ، من كلّ
ذي شُطْب كأنما [أهل] قرى نمل ، علون منه قرا نصل ، فإذا أصاب
فكلُّ شيءٍ مَقْتَل ، وإذا حزّ فكلُّ عضوٍ مفصل ، أمضى في الأشباح ،
من الأجل المتاح ، عَضْبُ الحدّ^{١٠} صقيل ، يكاد إذا انتضي يسيل ، ويكاد
مُبَصِرُهُ يَفْنَى عن الورد ، إذا اخترط من الغمْد^{١١} ، ما لم يَخْلُهُ ريعان شراب ،
في صحصحان يباب ، لاشتباه فرنده بحباب في شراب ، أو حُبّاب في

١ ط : جياد تضمن .

٢ الكلام متصل في ب م .

٣ ب م : فظاهر .

٤ الدخرص والدخرصة من الدرع ما يوصل به البدن ليوسعه . والدلامص : البراق الذي
يعرق لونه .

٥ ب م : باضت .

٦ ب م : المتن .

٧ من قول المري : فلولا الغمد يمسكه لسالا .

سراب ؛ فلما رأيت جفنه قد انطوى على جمر الغضا ، وماء الأضا^١ ،
وانضم^٢ على خضرة الجُنح ، وروّنتِ الصُّبح ، قلتُ : سبْحان مكوّر الليل
على النهار ، والجامع بين الماء والنار .

وفي فصل : ومن كلّ مثقّف الكعوب ، أصمّ الأنبوب ، كأنما سلّب
من الرُّومِ زرقَتها ، واجتلبّ من العرب سمرتها ، وأخذ من الذئب عسلانته^٣ ،
ومن قلب الجبان خفّاقته ، ومن رقرقِ السراب لمعانه ، أو استعار^٤ من
العاشق نحوّله ، ومن العليل ذُبُولَه .

فكررتُ الطّرفَ خِلالَ تلكَ الجياد ، فرأيتُ مقرّباتِ خيلٍ يتخايلن
تخايلَ العذارى الرُّود ، ويتهادبنَ تهادي المهارى القود ، فكأنّما يتوجّسن-
عن أطراف أقدام ، ويتشاوسنَ عن مُقلِ آرام : فمن مُبيضٍ شطر
كايضاضِ المُهرّق^٥ ، ومسودٍ شطرِ كاسوداد العوّهق^٥ ، كأنما اختلس^٦
نصفه الفلّك ، واحتبس بنصفه الغسق ، «مُقابِلُ الخلق بين الشمس والقمر^٧» ،
ومُقسّمُ السّربالِ بين الجُنحِ والفجر ؛ إذا توجّسن^٧ عن رقيقتين ، كأنما

١ الأضا : جمع أضاة وهي البركة .

٢ ط : وارتسم .

٣ ط : واستعار .

٤ ب م : الفرق .

٥ العوّهق : الخطاف الأسود ، وقيل هو الطائر الذي يسمى الأخيّل ولونه أخضر أورق .
وقال ابن خالويه : العوّهق الصبغ شبه اللازورد .

٦ ب م : والبدر .

٧ توجّسن : تسمع .

صيفنا من لجن^١ ، حسبته من شهامة نفس^٢ ، ولطافة حس^٣ ، يُحس^٤
وطء الرزايا ، ويعلم مغيبات الخفايا . ومن وَرَدَ كأنما جُلِّلَ بورداً ،
أو خُلِّعت عليه من الصَّبَّاحِ المسفِرِ ، حُلَّةُ فجره المَعْصِفَرِ ، أو شُقَّتْ
عنه كرائمُ شَتِّيق^٥ ، أو سُلَّتْ عقيقته من أديم عقيق^٦ ، أو كسي خدود
الغانيات ، فرمي بالعيون الرّانيات ، فأخجلته حياءً^٧ ، وضرَّجته دماءً^٨ ،
واستعار بُردَ الأفق ، عند وقت الغسق^٩ ؛ ومن أصفر كأنما يصفرُّ عن وجنة
عليل^{١٠} ، ويرفلُ في حُلَّةِ أصيل^{١١} ، أو كأنما كسفت في أديمه الشمس^{١٢} ،
أو ذُرَّ^{١٣} على نُقْبَتِهِ الورس^{١٤} ، حتى ليكادُ الجاديُّ يجري من ماءِ عطفيه^{١٥} ،
ويُجنى الخوذانُ من روضِ مَتْنِيهِ^{١٦} ، ومن ذي كَتَمَةٍ قد نازع الخمر جريالها^{١٧} ،
فسلبها سربالها^{١٨} ، ومن محجِّلِ هملاج^{١٩} ، كأنما سورٌ بوقفِ عاج^{٢٠} ، أو سُكِّلَ
بشكالين^{٢١} ، صيغاً له من ناصع لجن^{٢٢} ، أو من خوافق برق وشيخ^{٢٣} ، تسير بها
متونُ عناجيج^{٢٤} ، إذا أهوت بها سراعاً^{٢٥} ، خلتها سفناً تحمل سراعاً^{٢٦} ، تثني
متونها هباتُ الرِّياح^{٢٧} ، كما تثني^{٢٨} أعطاف النشأوى نشوةُ الرِّيح^{٢٩} ، فكان
أعطافها أعطافُ سكارى^{٣٠} ، وكانَ قدودها قدودُ عذارى^{٣١} .

وفي فصل منها : وعَلِمَ - لا زال مؤيداً - أن الدَّاءَ يبرأ إذا حُسِمَ ،
والخَطْبَ يستشري كلما قَدُمَ^{٣٢} ، وأنهم إن تُركوا في اليوم كراعاً^{٣٣} ،
صاروا في الغد ذِراعاً^{٣٤} ، فرماهم ببديياتِ عزمٍ كالنَّجُومِ العواتم^{٣٥} ، وماضيات

١ محلول من قول البحرى (ديوانه : ١٧٤٥) :

متوجس برقيقتين كأنما تريان من ورق عليه موصل

٢ ط : رد .

٣ ط : ثنت .

٤ من المثل : إن يعط العبد كراعاً يتسع ذراعاً ؛ في ط : ساروا في الغد .

رأي كالسيوف الصوارم ، وآراء تصدع صفا الجلمود ، وعزمات تنقب في الصخرة الصيخود ، فغدت أمانهم نقماً وكانت نِعماً ، وعادت أراجيتهم هموماً وقد كانت همماً ؛ فقرع السن من الندم ، « وزلة الرأي تُنسي زلة القدم » ، وأيقن أن من خطب بنات النصر بالسعد زوج ، ومن ألحح الرأي بالعزم أنتج .

ومنها : ولما علم أنه إما شرق وإما غرق ، وعان الموت مُحرمَةً أظافره ، موفيةً موارده ومصادره ، ووصلت له دؤلول ابنة الرقم^١ ، في أعلى تلك القمم ، فحينئذ انحلت عمايته وغياطه ، واستخذى لحق مولاہ باطله ، وكان حرياً أن تقيم حلائله ، وأودم أنه لو ظلت بين منازل النجوم نوازله ، لرأى أنها عقالاته لا معاقله^٢ ، فرمى بيده صاغراً إلى السلم ثقةً بعفوي كظل المزنة الممدود ، وكرم كشط اللجة المورود . فلولا حلم كالجبال رصين ، وجود كالسحاب هتون ، لبادوا خلال تلك الديار ، كما بادت جديس في وبار ، ولتغلت تلك المنازل تغل الجلد ، ومحت كما محت وشائع من برد^٣ . وما دلائهم في غدرهم الذي غدروا ، وغرهم في خترهم الذي ختروا ، إلا العلم بأن سوف يعفو حين يقتدر ، فقد اعتصموا

١ الدؤلول : الداهية ، والرقم كذلك .

٢ نثر هنا أبياتاً لأبي تمام (ديوانه ٣ : ٢٧ . ٢٨) :

وكم ناكث للمهد قد نكثت به أمانيه واستخذى لحقك باطله
إذا مارق بالغدر حاول غدره فذاك حري أن تبين حلائله
وإن بين حيطاناً عليه فإنما أولئك عقالاته لا معاقله

٣ من قول أبي تمام (ديوانه ٢ : ١٠٩) :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي ومحت كما محت وشائع من برد
والوشائع : غيوط الثوب ؛ ومحت : أخلقت .

بجبل مُعْتَصِمٍ بِخَالِقِهِ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى رِزْقٍ مُتَوَكِّلٍ عَلَى رَازِقِهِ ، وَاسْتَوْثَقُوا
مَنْ عَقَدَ مَنْ لَا عَقْلَهُ بِأَنْشُوطَةٍ ، وَلَا مِيثَاقَهُ بِأَغْلُوطَةٍ .

وفي فصل : فَيَا أَيُّهَا الْمَغْتَرُونَ بَخْلُفِهِ الْفَضْفَاضِ ، وَكِرْمِهِ الْفَيَاضِ ،
لَا يُجْهَلُنَّكُمْ تَحْلَمُهُ ، وَلَا يَغْرَنَّكُمْ تَكْرُمُهُ ، فَالْبَحْرُ قَدْ تَرَدَّى غَوَارِبُهُ وَلَيْسَ
بِطَامٍ ، وَالْعَارِضُ قَدْ تُصِيبُ صَوَاعِقُهُ وَلَيْسَ بِرُكَامٍ ، وَالنَّصْلُ قَدْ
يَبْرِي وَهُوَ غَيْرُ مَوْثَلٍ ^١ ، وَأَيْنَ نَارٌ لَيْسَ لَهَا شَرَارٌ ، وَأَيْنَ ^٢ خَمْرٌ لَيْسَ لَهَا
خُمَارٌ ؟ فَهُوَ جَدْبٌ وَرَبِيعٌ مُعْرِقٌ ، وَلَيْلٌ وَنَهَارٌ مُشْرِقٌ ، فِيهِ الصَّابُ
وَالْعَسَلُ ، وَفِيهِ السَّهْلُ ^٣ وَالْجَبَلُ ، لَهُ خَاطِرٌ عَلَى خَوَاطِرِ الْحَوَادِثِ مُرْسَلٌ ،
وَطَرْفٌ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ مُوَكَّلٌ . فَأَنْتَى بَعْنَادٍ مِنْ تَمِيدِ الْأَرْضِ إِذَا وَجِمَ ^٤ ،
وَيَرِقُ نَسِيمُ الْهَوَاءِ إِذَا ابْتَسَمَ ؟ فَلَمْ يَجْتَمِعْ لِلْمَلِكِ - حَاشَاهُ - خَضَابُ
الصَّوَارِمِ ، وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ ، قَسَمَ الْعَدْلَ بَيْنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ ، كَقِسْمَةِ
الْغَيْثِ بَيْنَ النَّبْتِ وَالشَّجَرِ ، فَلَا غُرُورَ أَنْ يَفُوقَ جَمِيعَ الْأَنَامِ وَهُوَ مِنْ
الْأَنَامِ ، فَإِنَّ الْمَسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ ^٥ ، وَإِنَّ مَعْدِنَ الذَّهَبِ الرَّغَامَ ^٦ .
فَهُوَ الْأَبْلَجُ الْمَتَدَفِّقُ ، وَالْأَزْهَرُ الْمُتَأَلِّقُ ، مِنْ جَوْهَرَةِ الْمَجْدِ وَهُوَ مَاؤُهَا ،
وَمِنْ مُهْنَجَةِ الْعَلْيَاءِ وَهُوَ سَوِيدَاؤُهَا ، وَلَا يَقْتَدِي فِي سَوْدَدِ بَغْرِيْبٍ ، بَلْ

١ مؤل : محدد .

٢ ب م : وأي .

٣ ط : السهب .

٤ ط : رجم .

٥ من قول المتنبي (ديوانه : ٢٥٨) :

فان تفق الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

٦ من قول المتنبي (ديوانه : ٩٢) :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

يجري على سني منه وأسلوب ، كالغيث شؤبوا بشؤبوب ، والرُمح أنبوباً
على أنبوب^١ .

وفي فصل : فله أي مراد ردتُهُ ، وأي مُوردٍ وردتُهُ ، لم أكن ممّن
غرّه السراب ، حين أعوزهُ الشراب ، ولا كنتُ كمن زجر الطير بالنتجم
والدّبران ، ولا ممّن سقطَ العشاءُ به على سرحان^٢ ، ولا كمن قال مرعى
ولا كالسعدان^٣ ؛ كلاً ، إنّ مملوكك ألقى أرواقه ، حيثُ مدّ المجد
رواقه ، بحيثُ يُعتصرُ الندى من عوده ، ويُرتشفُ صيفُ الجودِ من
ناجوده ، فانتقيتُ الجارَ قبل المنزل ، وبوّأتُ رحلي في المحلّ المُقبل ،
ورنعتُ في أثرِ الغمام المُسبل^٤ .

وفي فصل : ولولا ذلك لكان لي في الأرض العريضة مسارح ، وفي
أبناء الكرامِ منادح ، غيرَ أني عن أكثر المراتع عزوف ، ولأكثر المِشارعِ
عيوف وأنّني لكالسيف^٥ لا يحمّد كلّ من حمّله ، وكالرُمح لا يُسرّ بكلّ
مَن اعتقله ، وما كلّ عَجيبٍ في عيني بعجيب ، ولا كلّ غريبٍ في نفسي

١ نثر قول البحرّي (ديوانه : ٢٤٧ - ٢٤٨) :

لا يحتذي خلق القصي ولا يرى متشبهاً في سؤدد يغرب
شرف تتابع كابرأ عن كابر كالرُمح أنبوباً على أنبوب

٢ انظر فصل المقال : ٣٦٢ والميداني ١ : ٢٢١ والعسكري ١ : ٣٣١ .

٣ انظر فصل المقال : ١٩٩ والغصبي : ٥٤ والميداني ٢ : ١٥٢ .

٤ نثر قول أبي تمام (ديوانه ٣ : ٤٩) :

بوّأت رحلي في المراد الميقل فرتمت في أثر الغمام المُسبل
من مبلغ أبناء يعرب كلها أني ابتليت الجار قبل المنزل
وفي ط : أنزلت رحلي .

٥ ط : كالسيف .

بغريب . أنساني الله رشدي يومَ أنساه ، وأبدلنيهِ يومَ أستبدلُ سواه ، ما وصل أو قطع ، ورفضَ أو اصطنع ، وما ضرَّ أو نفع . ولئن أعقَبَ يوماً من الدَّهرِ بحرمانٍ - وحاشاه - فلقد سبق بمعروف ، وإن ساعني منه يوماً فعلةً - وخلاه - فإن اللّواتي قد سررنَ ألوف^١ . ولقد ألقى ودُّهُ صدري^٢ خلاءً من غيره فاستوطن ، وصادف قلبي فارغاً فتمكَّن^٣ .

وفي فصل : ما رأيتُ وجهاً أسمع ، ولا حلمأ أرجح ، ولا سجيّةً أسجح ، ولا بشراً أبدى ، ولا كفوّاً أندى ، ولا غرّةً أجمل ، ولا فضيلةً أكمل ، ولا خلقاً أصفى ، ولا وعداً أوفى ، ولا ثوباً أظهر ، ولا سمناً أوفر ، ولا أصلاً أطيب ، ولا رأياً أ صوب ، ولا لفظاً أعذب ، ولا عرضاً أنقى ، ولا ثناءً أبقى ، مما خصَّ الله به ثالث القمرين ، وسراجَ الخافقين ، وعمادَ الثقلين ، المعتصم بالله ذا الرّياستين ، دامت راياتُهُ منصورة ، [وآياتُهُ] منظورة ، ومقاصيرُ ملكه بالسَّعد معمورة ، ما هبت صبأ وجنوب ، وما أقام يذبلُ وعسيب . ولاني وإن أطنبتُ فأطبيت ، وأسهبْتُ فأعذبت ، للحجل أن يكونَ مثلي يثيرُ غباراً على جبينه ، وينظمُ سواراً عن يمينه . فإنَّ فكري بعدُ كالسيفِ الخشيب ، والقدحِ المخشوب^٤ ، فهذا لم تذكّر^٥ .

١ من قول الشاعر :

فان يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللاني سررن ألوف
وانظر ما تقدم ص : ٣٤٠ .

٢ ط : خلدي .

٣ من قول الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا
٤ السيف الخشيب : الحديث الصنعة أو الذي برد ولم يصلح ؛ المخشوب : الذي بري البري الأول .
٥ ط : تذكر .

ظُبَّتاه ، وذلك لم يُخَلِّقْ حقواه ، فإنه أَوَّلُ استعمال القريحة ، ورياضة
السَّجِيحة ، وأَوَّلُ الضَّرام سقطٌ ثمَّ يَلْتَهَب ، « وأَوَّلُ الغَيْثِ طَلٌّ » ثمَّ
يَنْسَكِبُ ١ .

وفي فصل : فَإِنِّي غَادَرْتُ بَعْدِي لِحِمَاً عَلَى وَضَم ، وجرحى بين عقبان ٢
وَرَحَمَ ، ستعلمُ أَيَّ خَبَرٍ أَنْعَمُ ٣ وَأَحَبَّرَ ، وأي دُرٍّ أَنْظُمُ وَأَنْثُرُ ، فَإِنِّي
وإن كُنْتُ الأَخِيرَ زَمَانَهُ ٤ ، والسَّكَيْتُ أَوَانَهُ ، لدليلة ٥ على الدلائل ، ومُخِيلَةٌ
على المخايل ، أَنِّي آتِي بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الأَوَائِلُ [فَأَفْصَلُهَا كَتَفْصِيلِ الجواهر
في العِقْدِ ، وَأَقْدَرُ تَقْدِيرَ دَاوُدَ فِي السَّرْدِ] .

وفي فصل : وَيَا لَهْفِي أَلَا تَكُونُ مَعُونَتِي لَهُ إِلَّا بِاللسَانِ ، دونَ السَّانِ ،
أَطَاعَنُ أَمَامَهُ دِرَاكَاً ، وَأَزَاحِمُ قُدَّامَهُ الأَقْرَانَ لِكَاكَاً ٦ ! وَلَوْلَا أَفْرُخُ
كَزُغْبِ القَطَا ، يَدْبَتُونَ فِي نَائِلِيهِ عِنْدِي دَيْبِ الكَرَى ، فيستشفون عِلَالَتِي ،
ويستترفون بِلَالَتِي ، لَامْتَطَيْتُ مِنْ جَدَوَاهِ السَّابِحِ اليَعُوبُ ٧ ، وَتَقَلَّدْتُ
مِنْ نَدَاهِ الصَّارِمِ الرَّسُوبَ ٨ ، وَاعْتَقَلْتُ مِنْ عَطَائِهِ الصَّعْدَةَ السَّمَرَاءَ ،

١ من قولهم : وأول الغيث قطر ثم ينهر .

٢ ب م : غربان .

٣ ب م : أي جيد أفلد .

٤ من قول المعري :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطه الأوائل
٥ ط : لدلالة .

٦ اللكاك : الزحام .

٧ يعبوب : الفرس الطويل الكثير الجري ، وقيل الجواد السهل في حدوه .

٨ الرسوب : السيف الماضي الذي يغيب في الضريبة .

وادرعتُ من حباته القضاضة الجدلاء^١ ، فيبصرُ هنالك ، مملوكه ابنَ مالك ، يلاعبُ الأسنةَ كعامر بن مالك^٢ ، فينظرُ أحسنَ منظر ، ويبلو أفضلَ مخبر ؛ ربَّ القصائدِ والقنا المتقصد ، فطوراً طعنًا بالمثل^٣ وضرباً بالمنصل ، وطوراً ارتجالاً بالخطبة الفيصل ، كخطبة قيس بن سنان^٤ ، في حمالةِ عبسٍ وذبيان ، خطبةُ تباري الرِّيحَ في هبوبها ، من لدُنْ طلوعِ الشمسِ إلى غروبها ، حضاً على السَّلمِ والمُحاجة ، ونهياً عن الحربِ والمناجزة ؛ فلو شهدَ هنالك لشهدَ أمراً معجباً ، وأبصرَ خطيباً مُسهباً ، فيرى شقشقةً وقرماً مصعباً ، ينجحُهم إلى السَّلمِ لُماً لُماً وثُباً وثُباً .

قال ابن بسّام : ومدَّ ابنُ مالكٍ في رسالته هذه أطناب الإطناب ، وشنَّ الغارة فيها على عدَّة شعراء وكتَّاب ، من جاهليّين ومُخضرمين ، ومُحدثين ومعاصرين ، ولو ذكرتُ من أين استلبَ واختطفَ ، جميع ما وصف ، وانصرفَ إلى كلِّ أحدٍ كلامه ، نثره ونظامه ، لحصل هو ساكتاً ، وبقي باهتاً .

ومن شعري له من قصيدةٍ في يوسف بن هود أولها :

شرح الشباب أمن رَوْحٍ وريحانٍ عَصْرَاك أم جوهرٌ في الوهم روحاني^١
عهدي بلبلك فجراً والهجير ضحىً ضحيانَ أزهرَ رَقراقٍ الأصيلان

١ الجدلاء : الدرع المحكمة النسيج .

٢ هو أبو براء عامر بن مالك شيخ بني عامر ، وكان يلقب ملاعب الأسنة ، لمهارته في التصرف بالرمح ؛ وفي ب م : ملاعب الأسنة .

٣ م : بالنبل ؛ ب : بالليل .

٤ المشهور هرم بن سنان الذي قام بالحمالات بين عبس وذبيان .

٥ ب م : واقتطف .

٦ ب م : ريحان .

أكان عهدك في دارين ينفح أم
وكان من غفلات الدهر طيبك أم
سقياً لِعهدك ما أُندي نوافحه
عَصْرُ جنيتُ جناهُ الغضَّ من قمرٍ
إذ تشرَّبُ لي الأغصانُ مائسةً
فلم أزل ساحباً أذبالَ بُردته
وابتزَّ رائحَ ريعانٍ نذيرُ نهى

ومنها :

وإنما العذرُ لي أن جئتُ في زمنٍ
والله لولا رجائي أن تهاودني
لُمتُ من كمدٍ غيظاً على دُولٍ
وليس يوسفُ عندي مثلَ يوسف بل
إذ ما يزال بقسطي باخساً أبداً
وقد حويتُ قصاباً^٢ السَّبَق في بدعٍ
وكم بدائع لي ما باشرتُ بشراً
لكن بصائرهم عُمي ولا بَصْرُ
لقد أجدُ فؤادي من محبته

لا الجليلُ جيلي ولا الأزمانُ أزماي
إلى ابن هودٍ هوادي كل مدعان
صروفُ أزمانها تجري بإزماي
لقيا أبي عمر^١ من عمري الثاني
من لم يزني بقسطاس^٣ وميزان
شتى وأحرزتها في كل ميدان
ولا سرى طيبها في وهم إنسان
والشمس تشرقُ إلاَّ عندَ عميان
ما كنتُ أحسبه وسواس جنان

١ ط : عامر .

٢ ب م : بقسطاسي .

٣ ط : نصاب .

٤ ب م : ولا سرى وهما في طيف وسنان .

مغنيطس^١ في ذراه الرّحّب يجذبنا أم سحر^٢ بابل أم آثار^٣ حرّان ؟
 أم عنصر^٤ شاق أجساماً وأنفسها^٥ يجوهر^٦ فيه جسماني ونفساني ؟
 براهن^٧ هنّ عن عليك موضحة^٨ لو أحوجتنا إلى إيضاح^٩ برهان
 فضائل^{١٠} لك تستدعي فضائلها لك الأفاضل^{١١} من آفاق^{١٢} بلدان
 وليس فضلك^{١٣} مطويّاً صحيفته فيستدلّ^{١٤} على ضمن^{١٥} بعنوان
 فالصبح^{١٦} أبين^{١٧} لألاء^{١٨} لمصره من أن يعان^{١٩} بشرح^{٢٠} أو بتبيان

فصل في ذكر الأديب أبي أحمد عبد العزيز بن خيرة^٢ القرطبيّ المشتهرة^٣
 معرّفته بالمنفّتل ، وسياقة جملة^٤ من نظمه ونثره ، مع ما يتعلّق^٥ بذكره

والمنفّتل أيضاً ممّن نثر^١ الدرّ المفصّل ، وطبق^٢ في بعض^٣ ما نظم^٤
 المفصّل ، ولم يحضرني في وقت^٥ تحرير^٦ هذه النسخة^٧ من شعره إلا
 النّزر القليل ، وقد يُعرب^٨ عن العتق^٩ الصّهيل ، ويكفي^{١٠} من البياض^{١١} الغرّة^{١٢}
 والتّحجيل .

فصل له من رُقعة وقد بعث^١ بآترجّة^٢ ، قال فيه^٣ : وقد بعثت^٤ إليك

١ ط : وأنفسنا .

٢ ذكره الحميدي (الجدوة : ٣٦٦) في من شهر بالكنية ولم يعرف اسمه « أبو أحمد المنفّتل »
 (البغية رقم : ١٥١٠) وانظر المغرب ٢ : ٩٩ حيث ذكر أنه من أعلام شعراء البصرة
 في مدة ملوك الطوائف ، وإن صاحب المسهب ذكره ، وذكره العمري في المسالك ١١ : ٤٠٤
 والعماد في الخريدة ٢ : ١٦٥ وسماه أحمد بن شقاق ؛ وجمع ابن ظافر في بدائع البدائنه بين
 التسميتين فقال : أحمد بن الشقاق (في البدائع : الشقاق) المنعوت بالمنفّتل . ويقول العمري :
 « وأقام على القواية برهة ثم ألقه » وانظر النفع ٣ : ٢٦٤ ، ٣٣٢ ، ٣٨٧ - ٣٨٨ .

٣ ب م : عند إملاء .

٤ انظر المسالك ١١ : ٤٠٦ .

من بنات الثمار أجملها^١ ، ومن نتائج البستان أفضلها ؛ لم تطرفها^١ عَيْنُ أحد ، ولا باشرها بشرٌ بيدٍ ؛ قد صيرت من الأغصان خدراً ، وأرسلت من الأوراق سِتراً ، فلما تكاملَ حسنُها ، ومادَ بها غُصْنُها ، وارتوت من ماء الجمال ، وصارت في نِصاب الكمال ، هتكتُ سِتْرَها ، وطَرَقْتُ خِدْرَها ، فإذا هي في حُلَّةٍ الخائف ، قد اصفرت وَجَلًا من يَدِ القاطف ، فشربتُ على ودها رِطْلين ، وتناولتها بالرَّاحَتَيْنِ ، ثم وضعتها في هَوْدَجٍ خَيْرُزَّانٍ ، وآثرتُك بها على جميع الإخوان ؛ فَبَحْرُمَةٍ الكأس التي رضعنا ، وأمير الظرف^٢ الذي بايعنا ، إلا ما رفعت قَدْرَها ، وجعلت القبولَ مَهْرَها ، وجلوتها على مجلس المدام ، وحجبتها عن عيون اللثام^٣ ، فخصَّالُها عجيبة ، وصفاتها غريبة ، إنْ خزنتها عطرَتُ أثوابك^٤ ، وإنْ أمسكتها أذهبت أوصابك ، وإنْ أعملت فيها غَرْبَ السكين ، قرنتُ لك بين النرجسِ والياسمين ، وأرتك وَجَنَةَ الكئيب ، على سالفَةِ الحبيب ؛ يا لها من أترجةٍ غَضَّةٍ ، قد صُورَتْ من ذهبٍ وَفُضَّةٍ ! قد سرقت من العاشق سِيماه ، ومن المعشوق طَعْمَ ثَناباه ، وَخَصَّصَتْ بالحُسنِ أجمع ، وأعطيت الطبائعَ الأربع . فصِلْني - وَصَلِ اللهُ آمالك ، وَقرن بالنمو سَعْدُكَ وإقبالكَ - بالأمرِ * بقبولها ، وتعريفي بوُصولها ، إن شاء الله .

١ المسالك : تطرقها .

٢ المسالك : الطرب .

٣ ط : الأنام .

٤ المسالك : ثيابك .

• المسالك : بالمن .

جملة من شعره في أوصاف شتى

قال :

سمعَ الزمانُ لنا بأسعدِ ليلةٍ والسَّمْحُ لا يُدْرَى ١ له قبلُ
أبصرتُ نفسي بينَ ظبيّ قفرةٍ هذي المدامُ وهذه النّقلُ
وكأنَّ ذا وعدٌ وذا إنجازُهُ وكأنني منَ بينهم مَطلُ

وقال أيضاً ٢ :

بيتنا كأنَّ مدادَ الليلِ شَمَلْتُنَا ٣ حتى بدأ الصّبحُ في ثوبِ سحولي
كأنَّ ليلتَنَا والصّبحُ يتبعها زنجيةٌ هَرَبَتْ قدامِ رومي

وقال أيضاً ٤ :

ولما تجلّى الليلُ والبرقُ لامِسٌ كما سَلَ زنجيٌ حُساماً من التّبرِ
وبِتُ سَمِيرَ النّجمِ وهو كأنه على مِعصمِ الدّنيا جِباثُ من درٍ

وقال يَصِفُ الشّمسَ وقد طَفَلَت للغُروب :

لاني أرى شمسَ الأصيلِ عَليّةً تَرْتادُ من ٥ بين المغاربِ مَغرباً
مالتُ لتَحبُّبِ شَخصِها فكأنها مَدَّتْ على الدُّنيا بساطاً مُذهِبا

١ ب : يرجى .

٢ المسالك ١،١ : ٤٠٥ .

٣ ط : يشملنا .

٤ ورد البيتان في المسالك .

٥ ط : ما .

وقال أيضاً :

مَنْ لِي بِظَلَمِي بِزَنِّي نُسْكِي قَامَ مِنَ الْكَافُورِ وَالْمُسْكِ
لَوْ أَنَّ دَاوُدَ رَأَى وَجْهَهُ أَلْقَى إِلَيْهِ خَاتَمَ الْمُلْكِ
أَوْ أَنْ يَعْقُوبَ رَأَى وَجْهَهُ فِي غَيْبَةِ الصَّدِيقِ لَمْ يَبْكِ

وقال أيضاً :

لَا شَيْءَ أَعْجَبُ مَنْ تَرَكَ لِي رُوحِي يَوْمَ الْوَدَاعِ وَلَمْ أَتْرُكْ تَبَارِيحِي
وَمَنْ بَقَايَ أَمْشِي فِي دِيَارِهِمْ يَا مَنْ رَأَى جَسَدًا يَمْشِي بِلَارُوحٍ ؟

وله أيضاً :

مَا لِي بِجُورِ الْحَبِيبِ مِنْ قَبْلِ هَلْ حَاكِمٌ عَادِلٌ ؟ فَيُحْكَمَ لِي ؟
حُمْرَةَ خَدَيْهِ مِنْ دَمِي صُبِغَتْ وَيَدَّعِي أَنَّهَا مِنَ الْخَجَلِ

وحضر عند القائد ابن دري بجيان مع أبي زيد بن مقانا الأشبوني ^٢ ،
واستدعاهما إلى عِنَبٍ أَسْوَدَ قَدْ قُطِفَ فِي غَيْرِ إِبَانِهِ ، مِنْ عَرِيشٍ قَدْ أُقِيمَ
عَلَى أَرْبَعِ قَوَائِمَ ، تَحْتَهُ صَهْرِيحٌ ، فَقَالَ الْمُسْتَفْتَلُ ^٣ :

عِنَبٌ تَطْلَعُ فِي حِشَا وَرَقٍ نَدَى صُبِغَتْ غُلَاثِلُ خَدَّهِ بِالْإِنْعَدِ
فَكَأَنَّهُ مِنْ بَيْنِهِنَّ كَوَاكِبٌ كُسِفَتْ فَلَاحَتْ فِي سَمَاءِ زَبَرَجَدِ

١ ط : عادل حاكم .

٢ أبو زيد عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني القبذاتي : له ترجمة في القدم الثاني من الذخيرة ،

ونسبه الحميدي (الجانوة : ٢٦٠) إلى بطليوس ؛ ورويت القصة والبيتان في النفع ٣ :

٢٦٤ وبدائع البدائنه : ٣٦٥ - ٣٦٦ .

٣ انظر البيتين في المسالك والنفع وبدائع البدائنه .

وقال في صفة خال^١ :

في خدّ أحمد خال^٢ يَصْبُو^٣ إليه الخلي^٤
كأنه رَوْضُ^٥ ورْدٍ جنّاته حبشي^٦

وقال فيه :

قدّ فؤادي بحُسن قدّه وسدّ بابَ الكرى بِصدّه
أردتُ تقيله فذابستُ سوداء قلبي بصحنِ خدّه

وأخذ هذا ابن ربّاح أبو تمام الحجام فقال في صفة الخال^٣ :

يا لابساً للحسن ثوبَ سمائه كالبدر يُشرق في دجى ظلماته
أحرق قلبي فارتى بشرارة في صحن خدّك فانطقا في مائه

ووعد المنفلتَ بعضُ أخوانه أن يعمل^٤ مِرْقاساً^٥ ويدعوه إليه ، وصنع
ذلك فلم يدعُ^٦ عنه فقال :

يا أجود الناسِ بما عنده إلا إذا استعمل مرقاسا
فإن ينلها عُدُّه^٧ بيّن^٨ إذ لم يجد فيهن أنفاسا

١ وردا في المغرب والحريفة .

٢ ب م : يسمو .

٣ ترجمة أبي تمام ابن رباح الحجام في القسم الثالث (ص : ٨٢١) والبيتان في المسالك ١١ : ٤٥٢
برواية مختلفة .

٤ ط : يستعمل .

٥ المرقاس ، (أو المركاس كما في كتاب الطيخ : ٢١) نوع من النقائق ، يدق اللحم ويمرّك
في قصعة بشيء من الزيت ثم يضاف إليه ثلاثة أرباعه من الشحم ويحشى به المصران ويقتل
ثم تصنع له مرقة من خل وزيت .

وقال فيه يهجوهُ :

لا آكل المرقاس دهري لنا ويل الورى فيه قبيح العيان
كانما صورته إذ بدت أنامل المصلوب بعد الثمان

وقال ١ :

إن جفاني الكرى وواصل قوماً فله العذر في التخلف عني
لم يخل الهوى لجسمي شخصاً فإذا جاءني الكرى لم يجدي

وهذا كقول الآخر :

لم يعش أنه جليد ولكن ذاب سقماً فلم تجده المنون

وقال المنفقتل :

بأبي غزال زارني فشفا الفؤاد المدنقا
عانتقته فكأنني يعقوب عائق يوسف

وقال أيضاً :

قلت لمن أهوى تصدق على مُعَذَّبٍ حُبِّكَ أضناه
بقُبلة من فيك يا سيدي فقال لي : يحفظك الله

وقال :

لو تقاسي من الهوى ما أقاسي ما تمنيت^٢ أن قلبك قاسي
كنت أدعوك للعناق ولكن أتقي أن تدوب من أنفاسي

١ وردا في المسالك .

٢ ب م : لتمنيت .

وقال في صفة قطرميز^١ وأخبر عنه^٢ :

أنا من كل فتنـةٍ مخلوقُ جسدي لؤلؤٌ وروحي عقيقُ
فإذا ما الكؤوس دارتْ بريقي فاح في الأفقِ منه ميسكٌ فتيقُ
فكأنني بين الكؤوس هلالٌ وكأنَّ الكؤوسَ حولي بروق

وقال يهجو الأفوه الشاعر الجزار^٣ :

وباردٍ المنظر والمخيرٍ أبردُ من ريح الصَّبَا الصَّرصرِ
تبدو على أضراسِهِ صفرةٌ كأنه من فمه قد خري
حديثه أوحش من وجهه وشِعْرُهُ يُشبهُ ذاك الطري

وله في < ابن > ميمون بن الفراء^٤ :

لا بن ميمون قريضٌ زمهرير البردِ فيهِ
فإذا يَتَّ يَتَّ يَتَّ نَفِقتْ سوقُ أبيه

١ القطرميز (Bocal) نوع من الزهرية ضيق عند العنق واسع الفم .

٢ الأبيات في المسالك .

٣ ط : الحرار .

٤ يعرف بالأخفش بن ميمون أو بابن الفراء ، أصله من القبذاق وتأدب في قرطبة وله أمداح

في ابن النغريلي (النغرله) الاسرائيلي وزير صاحب غرناطة (انظر المغرب ٢ : ١٨٢ - ١٨٤

والنفع ٣ : ٣٨٧ ؛ وبيننا المنفلت في النفع والثاني منهما فيه ٣ : ٣٣٢ ونسه ابن سعيد

٢ : ١٨٤ لابن زيدون) .

٥ المغرب والنفع : فاذا ما قال شعراً .

وقال في جهران^١ بن يحيى صاحب لبلة^٢ :

إنَّ ابنَ يحيى ضحكةٌ فتوسَّمْ واذكرْ به خُدَّامَ نارِ جهنَّمِ
أكلَ الحَبِيثَ فشعرُهُ متساقِطٌ كالكلبِ أسقطَ شعرَهُ لعقِ الدَّمِ

وله من رُقعةٍ خاطبَ بها ابنَ النخريلي الإسرائيلي^٣ : مَنْ فهمَ عن
الزمانِ وخلُقيهِ ، ورفلَ في جديدهِ وخلقهِ ، وعَلِمَ أنه يستأصِلُ ريشما
يواصلُ ، ويقصِمُ غِيبًا ما يقسمُ ، لم يُبالِ بوقعِ سلاحهِ ، ولا استعدَّ
لوقتِ استصلاحهِ ، ولَمَّا أغصنتي بالريقِ ، وحفزني بالمضيقِ ، ولم يترك
هتاً إلاَّ سنَى عَقْدِهِ ، ولا نظماً^٤ إلاَّ نثرَ عِقْدِهِ ؛ ورأيتُ الاستحالةَ
في الحالِ ، والعيلةَ في العيالِ ، وجدَّآ قد جدَّ فجاءَ من المُصلِّينِ ، وساهمَ
فكان من المُدَحِّضينِ ، هيأتُ راحلةً وأثاثاً ، وطلقتُ ابنةَ الوطنِ ثلاثاً ،

١ ب م : حمدان .

٢ ثار بليلة أبو العباس أحمد بن يحيى اليحصبي سنة ٤١٤ وظل يحكمها حتى سنة ٤٣٣ وتلقب
تاج الدولة ثم خلفه أخوه محمد عز الدولة حتى سنة ٤٤٣ وجاء بعده ابن أخيه فتح بن خلف بن
يحيى ناصر الدولة إلى أن قضى المعتضد على دولته سنة ٤٤٤ ، ولا أدري إلى أي واحد يشير
بقوله « جهران » ولعل الصواب : حمدان وهي صورة من صور « أحمد » .

٣ ب م : لثق .

٤ ابن النخريلي الإسرائيلي : يكتب الاسم على أشكال لعل أصوبها ابن نغدة أي « المديبر » ويطلق
على اثنين مشهورين هما صموئيل بن يوسف (اسماعيل أو اشموال بن يوسف) ويوسف
ابنه ، وقد كان اسماعيل عالماً وزر لصاحب غرناطة ، وخلفه ابنه يوسف فاساء التصرف
فيما يبدو ، فثار عليه الناس وقتلوه . ولكز ابن بام ينسب أفعال الابن إلى أبيه ، ويتابعه
في ذلك ابن سميذ في المغرب ، وهذا خطأ على وجه الدقة (انظر مقدمتي على رسالة الرد على
ابن النخريله لابن حزم : ٩ - ١٨ ، القاهرة ١٩٦٠) .

٥ ب م : لم يَألم .

٦ ب م : حقدأ .

وقلتُ لِمَا أن أجدَ فأظهر ، أو أموتَ فأعذر^١ ؛ فكم من حرّةٍ سافرة
القناع ، تندُبني موقتَ الوداع ، وبأكيةٍ يومَ الرّحيل ، بُكاءَ الحَمَامِ
على الهديل ؛ فقد فقأتُ عينَ السّرى ، بأربعٍ كقداحِ السّرا^٢ ، يتشبّثون
بالآكام ، تشبّثَ الخصومُ بالأحكام ؛ ويتعلقون بالمطيّ ، تعلقَ الأيتامُ
بالوصيّ ، إلى أن أخضلتُ الدموعُ المحاجر ، وبلغتُ القلوبُ الحناجر ؛
وجعلتُ أعوذُهن^٣ بالملثاني ، وأبسطُ لهنّ في الأمانِي ، وأقولُ : ستّنين
هذا الموقف ، إذا اتصلتَنّ بإسماعيل بن يوسف ، فتي كرمٍ خالاً وعمّاً ،
وشرحَ من المجد ما كان مُعَمّي ، قُسمّاً فصاحة ، وكعباً سماحة ، ولقمان
علماً ، والأحنفُ^٤ حلماً . أكرمَ همّةً من هَمَام ، وأعظمَ بسطةً من
بسطام ؛ إن خاطبَ أوجزَ ، وإن غالبَ أعجزَ ، أو جادَ أجاد ، أو وعدَ
أعاد ؛ يأمر ويَسير ، ويأجرُ ويَجير ؛ مأوى السّماحِ والضيّف ، ورحلةُ
الشتاءِ والضيّف ؛ حامي الذّمار ، بعيدُ المضمار ؛ لا يظلمُ فقيراً ، ولا
يُخَيّبُ فقيراً : يحافظُ على صِلاته ، حفظه لصلاته ، ويحنُّ إلى البذل ،
حنين الغريب إلى الأهل :

قرنَ الفضائل والفواضل فشأى الأواخر والأوائل

١ من قول امرئ القيس :

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا

٢ السراء: ضرب من الشجر تتخذ منه القسي، وقال زهير - والكاتب هنا يرمي إلى ما ورد عنده :

ثلاث كأقواس السراء وناشط قد انمحص من لس الغير جمافله

٣ استعمل «أربع» على التأنيث ، ثم قال: «يتشبثون، ويتعلقون» ثم عاد إلى التأنيث بقوله «أعوذهن» . الخ .

٤ ب م : وأحنف .

سقطوا برِفعةٍ فضله
هذا ابنُ يوسفٍ الذي
شرفَ الزمانُ بمثله
من لم يَلُذْ بِجَنابِهِ
مُتَقَلِّدٌ سَيْفَ الْعُلَا
قَصَرْتُ فِي وَصْفِي لَهُ
مَا قَلَّ مَا يُرْجَى الْكَمَا
سَكَنَ النَّدَى فِي كَفِّهِ
وَجَرَى الْحَيَاءُ بِوَجْهِهِ
كَالشَّمْسِ فِي شَرَفِ الْمُنَاقِلِ^١
وَرِثَ الْفَضَائِلَ عَنْ فَوَاضِلِ
شَرَفَ الْأَسْنَةِ بِالْعَوَامِلِ^٢
لَمْ يَأْمَنِ الدَّهْرُ الْمُخَاتِلِ
وَالْمَكْرُمَاتُ لَهُ حَمَائِلِ
وَلَوْ أَتَيْتِي سَحْبَانُ وَائِلِ
لُ لَمَنْ أَبُوهُ غَيْرُ كَامِلِ
سُكِنِ الرَّوَاجِبِ فِي الْأَنَامِلِ
جَرَى الْفَرَنْدِ عَلَى الْمَنَاصِلِ

فحين سمعوا بوصفه ، الذي هو طليعةُ عُرفه ، وثقوا بمجده ، وودَّعوني
مُسْتَبْشِرِينَ ، وتركتهُم منتظرين .

وله فيه من قصيدةٍ أولها^٣ :

أَحَاجِيكُمْ هَلْ يَمْتَمُوا الضَّالَّ وَالسَّدْرَا
وَفِي الْهُودَجِ الْمَزْرُورِ جَوْذَرُ رَمْلَةٍ
كَأَنَّ الثَّرِيَا مَا بَدَأَ مِنْ وَشَاحِيهَا
يَذَكِّرُنِي شَكْلَ الْهَلَالِ سِوَارُهَا
أَبَى قَلْبِي الْمَعْمُودُ أَنْ يَسْكُنَ الصَّدْرَا
أَسِيلُ مَجَالِ الْقَرْطِ فِي حَرَّةِ الذَّفَرَى
وَقَدْ هَمَّتِ الْأَرْدَا فُ أَنْ تَسْلُمَ الْخَصْرَا
وَقَدْ أَرْسَلْتُ مِنْ دُونِ هُودَجِهَا سَتْرَا
وَلَوْ عَايَنُوا أَجْفَانَهَا نَظَرُوا السَّحْرَا
يَقُولُونَ إِنْ السَّحَرَ فِي أَرْضِ بَابِلٍ

١ ب م ط : المقاتل .

٢ بعد هذا البيت وقع خرم في ب .

٣ ورد منها عشرة أبيات في المسالك ١١ : ٤٠٦ .

٤ المسالك : قد بدت .

يريكَ طلوعَ البدرِ طرقُ شعاعها
 فيا لكَ من نحرٍ يزِينُ عِقْدَها^١
 فلا هَجَرَتْ عيني سوابقُ أدمعي
 فقل في شجٍ قد باتَ يمسحُ دمعهُ
 وقد ضربَ الليلُ البهيمُ رواقهُ
 كأنَّ سماءَ الأرضِ بحرُ زبرجدٍ
 لقد طال هذا الليلُ فالدهرُ بعضهُ
 وما اكتحلت عيني بمثل ابن يوسفٍ
 وتفجأ من إيضاح غرَّتْها الشعري
 إذا عِقْدُ مَنْ تشجى بها زين النحرا
 كما أن ليلى بعدهم هجرَ الفجرا
 بكفَ وأخرى تحتها كبدٌ حرى
 وأطلعَ في الآفاقِ أنجمهُ الزُّهرا
 وقد نثرَ الغواصُ من فوقه درا
 ولم أرَ ليلاً قبله شاكلَ الدَّهرا
 ولستُ أحاشي الشمس من ذاولا البدرا
 ومنها :

بدورٌ ولكنَّا أمنا سرارها
 غيوتٌ^٢ إذا ما المحلُّ شبَّ ببلدةٍ
 يخالون من فرط الحياءِ أذلةً
 وترتجُ أحشاءُ الملوكِ لهم ذعرا
 ومن لم يكن للنظمِ والنثرِ محسناً
 فإنَّ نداهم علَمَ النظمِ والنثرا
 بجورٌ ولكن لا نرى دونها برأ
 كهوفٌ إذا جاءت بنا أرضه كبرى
 بحرٌ ولكن لا نرى دونها برأ
 كهوفٌ إذا جاءت بنا أرضه كبرى
 وترتجُ أحشاءُ الملوكِ لهم ذعرا
 ومن لم يكن للنظمِ والنثرِ محسناً
 فإنَّ نداهم علَمَ النظمِ والنثرا

وهذا القصيدُ اندرجَ له من الغلو فيه ، ما لا أثبتُه ولا أرويه ، وأبعدَ
 الله المتفنتل ، فيما نظم فيه وفصل ، وقبَّحه وقبَّح ما أمَّلَ^٣ .

١ ط : تزِين عقودها .

٢ م : كهوف ، وسقط البيت من ط .

٣ هذه العبارة التي تنص على عدم إدراج الغلو قد نسخت بما جاء بعدها من إثبات للغلو ،
 وتعليق لابن بسام عليه ، وهذا قد يشير إلى مرحلتين من العمل في نص الذخيرة ؛ ولم يرد
 هذا القم في ط حتى نهاية الفصل .

وله في هذه القصيدة من الغلو في القول ، ما نبهنا منه إلى ذي القوة
والحول ، وهو قوله :

ومن يكُ موسى منهمُ ثم صنوه	فقل فيهمُ ما شئتَ لن¹ تبليغ العُشرا
فكم لهمُ في الأرضِ من آيةٍ تُرى	وكم لهمُ في الناسِ من نعمةٍ تَرى
أجامعَ شملِ المجد وهو مُشتتٌ	ومُطلقَ شخصِ الجود وهو من الأُسرَى
فصَلَّتْ كرامَ الناسِ شرقاً ومغرباً	كما فضلَ العقيانُ بالخَطَرِ القِطْرا²
ولو³ فرَّقوا بين الضلالة والهْدَى	لما قَبَلُوا إلّا⁴ أناملك العُشرا
ولا سَلِمُوا كَفَيْكَ كالرُّكنِ زُلْفَةً	فيمناكَ⁵ لليمنى ويسراك لليسرى
وقد فزت بالدُّنيا ونلت بك المني	وأطمعُ أن ألقى بك الفوز في الأُخرى
أدينُ بدينِ السَّبْتِ جهراً لديكم	وإن كنتُ في قومي أدينُ به سرا
وقد كان موسى خائفاً مُترقباً	فقيراً وأمنتُ بالمخافة والفقرا

قال ابن بسّام : فقَبَّحَ الله هذا مكسباً ، وأبعد من مذهبه مذهباً ، تعلق
به سبباً ؛ فما أدري من أيّ شؤون هذا المدلّ بذنبه ، المجترىء على ربّه ،
أعجبُ : ألتفضيل هذا اليهودي المأفون على الأنبياء والمرسلين ، أم خلعه
إليه الدُّنيا والدين ؟ حشره الله تحت لوائه ، ولا أدخله الجنة إلّا⁶ بفضل
اعتنائه .

١ م : لم .

٢ القطر : النحاس .

٣ م : وان .

٤ ط : المأبون .

فصل في تلخيص التعريف بمقتل ذلك اليهودي^١

وكان من عجائب ذلك الزمان الواهي النظام ، اللاعب بالأنام ، ترقى ذلك اليهودي المأفون^٢ الرأي ، الزاري على كل ذي دين^٣ ، لم تسلم له يهود في دينها الملعون ، ولا أمنت على غيبها الظنين . وكان أبوه يوسف رجلاً من عامة اليهود ، حسن السيرة فيهم ، ميمون النقية عندهم ، تولى لباديس ولأبيه قبله حبس بخرناطة جباية المال ، وتدير أكثر الأعمال ، ونجم ابنه بعد غلاماً وضياً ، ومركباً - زعموا - وطياً ، وكانت لمن اعتنى يومئذ بالغلما فتنه ، حتى كان يقال إنه وإنه ، فقلد أزمته الأعمال ، وخلتي بينه وبين أثباج الأموال ، وأوطىء عقبه جماهير الرجال ، وجرى به طلق الجموح ، مهوئاً فيه ماثور القبيح ، فتأى بجانبه ، وأعرض عن ذكر عواقبه ، حتى كان يغسل يده من القبيل ، ويتمدح بالطعن على الملل ؛ ألف كتاباً في الرد على الفقيه أبي محمد بن حزم المتقدم الذكر ، وجاهر بالكلام ، في الطعن على ملّة الإسلام ، فما دفع عن ذلك بتأنيب ، ولا استطيع تغييره عليه إلا بالقلوب ؛ قد نصبه مكانه من السلطان غيظاً للأحرار ، وحمه^٤ على الليل والنهار . واليهود مع ذلك تشاءم باسمه ، وتنتظم من من جور حكمه ، على ما كان قد رخص لهم من الخطام ، ووطأ لهم من

١ واضح أن القصيدة موجهة إلى اسماعيل ، وهذا الفصل يشرح مقتل ابنه يوسف ، وقد أشرت إلى اضطراب ابن بسام في ذلك .

٢ ط : المأفون .

٣ م : على كل دين .

٤ م : نصب .

٥ م : وحجة .

مراكب الأمور العظام ، وهو مع ذلك متمادٍ في غلوائه ، غافلٌ عن عادة الله في نظرائه . فغصّب يهود أحكامها ، وذلّل أعلامها ، وتسمّى من خططهم الشرعيّة بالناغيد^١ ، معناه المدبّر بالعربية^٢ ، خُطّةٌ تحامها قداماؤهم ، وتطأطأ عنها قديماً زُعماؤهم ، اجترأ هو عليها بوهي أسّته ، وقلّة نظره لنفسه . وأمّا ما بلغ من المنزلة عند صاحبه وغلبته عليه فما لا شيء فوقه .

أخبرني من رآه يُسائرُ صاحبه بساحة قرطبة في بعض قَدَماته عليها لبعض تلك الشؤون المضلّة ، والفتن المصمّلة^٣ ، قال المحدث : فرأيت مع باديس ، فلم أفرق بين الرئيس والمرؤوس ، فأنشدت : « تشابهت المناكب والرؤوس^٤ » .

وحدثتُ عن ابن السقاء مدبّر قرطبة يومئذٍ أنّه قال : لا بأس باسماعيل لولا أنّه نسي اليهودية .

وكان على ذلك قد نظرَ في الكتب ، وشدا^٥ أشياء من علم العرب . وكان آخر أمره قد حجب صاحبه عن الناس ، وسجنه بين الدّن والكاس ، ملحداً في أمره ، مبرماً لأسباب غدره ، ووعدَ جاره ابن صمادح بالمربة أن يُقعيدَه مكانه ، ويخلعَ على أعطافه سلطانه ، فسرّب إليه ابن صمادح

١ ط : بالناغير .

٢ م : عندهم .

٣ م : المذهلة .

٤ من قول أعربي يهجو بني جوين :

إذا ما قلت أيهم لأي تشابهت المناكب والرؤوس

انظر فصل المقال : ١٩٦ - ١٩٧ وعيون الأخبار ٢ : ٢ .

٥ م ط : وشدا .

صميم الأموال ، وجلا عليه وجوه الآمال ، وإنما كان أراد أن يثُلَّ عرش الباديسي^١ بالصُمادحي ، لما كان يعلمُ من كلاله ، ويتيقنُ من قلة استقلاله ؛ وقد عزمَ ساعةً يخلو له وجهُ ابن صُمادحٍ بعد باديس أن يتمرَّس بجانبه ، ويلحقه بصاحبه ، كأنه نظرَ خبرَ عبِيد الله بن ظبيان ، حين وضع رأس المصعب بين يدي عبد الملك بن مروان ، فسجد عبدُ الملك ، قال ابنُ ظبيان : فقتُ في ركابي ، وأحسَّ بي ورفع رأسه وقال : ما الذي أردت أن تصنع ؟ قلتُ : هَممتُ أن أقتلك فأكونَ قد قتلتُ ملكي العرب في يومٍ واحدٍ . فقال : لولا منتك علينا برأس المصعبِ ، لكان عنقُك أهون ما يضرب . فأرادَ هذا اليهوديُّ على انحطاطه عن الرجال ، وانخراطه في سلك ربّات الحجال ، أن يستدركَ على ابن ظبيان ، بقتل رئيسين من رؤساء ذلك الزَّمان ؛ فلمَّا تمَّ تدبيره ، واستوسقت له أموره ، لزمَ سكْنى القصر ، وأخذ مفاتيحَ مصر ، وأظهر لصاحبه أنَّ الناس قد ملُّوا سياسته ، ونفسوا عليه رياسته .

وركبَ ابنُ صُمادحٍ بعسكره^٢ ، وكمنَ حيثُ يسمعُ صوتَ المهيب ، ويتنصَّم^٣ - بزعمه - رَوْحَ الفرجِ القريب . فلمَّا كان اليومُ الذي أراد أن يختمه بدهيته الدهياء ، ويلبسَ سواد ليلته لغدرته الشنعاء ، نذِرَ به قومٌ من الرِّجالة المغاربة ؛ وقد كان الناسُ قبل ذلك استرابوا باختلالِ الشَّان ، واستوحشوا من احتجاج السلطان ، وقد كان اليهودي ملكَ ابن صُمادحٍ أكثرَ حصون غرناطة باحتجان أموالها ، وإفساد قلوب رجالها ،

١ ط م : الباديسي .

٢ ط : نجمه .

٣ م : وتنسم .

فأضافها ابنُ صمادح إلى بلده ، وباديس لا يشعر بخروجها عن يده ، واليهودي أثناء ذلك يريشُ ويبري ، وشفرته في أديمِ صاحبه تخلقُ وتفري ، فلماً كان اليومُ الذي أراد الله فيه إزالة نعمته عنه ، وإراحة عباده وبلاده منه ، نذَرَ به أولئك المغاربةُ ، فأعلنوا بالصياح ، وثاروا^١ إلى السلاح ؛ وأتى الصَّريخُ بقيَّةَ الجند وعامة أهل البلد ، ونادى مناديبهم : غدَرَ اليهودي وخان ، وطاح المظفر - يعنون باديس - وхан ! فدخلوا القصر من كلِّ باب ، وهتكوا حرمة اليهودي دون حجاب^٢ ، فقتل - زعموا - في بعض خزائن الفحم . وسمع باديسُ الوجبة فخرج يقول : اسماعيل لا يحفل بسواه ، ولا يرتاع لشيء يسمعه من ذلك ولا يراه .

وقد استطال الناسُ على يهود ، وقتلَ منهم يومئذٍ نيفٌ على أربعة آلاف ، ملحمةٌ من ملاحم بني إسرائيل ، باعوا بذلتها ، وطالَ عهدُهم بمثلها . ورجعَ ابنُ صمادحٍ قد صفرت يداه ، وأخلفه ما تمنَّاه ، وانقلبَ اليهوديُّ مذموماً مدحوراً ، لم يُمتنعَ بدينه ، ولا خلصَ إلى ما رجاه .

١ م : وثابوا .

٢ م : وهتكوا دون اليهودي كل حجاب .

ذِكْرُ الأديبِ أبي المطرَفِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ فتوح^١ ، وإِثباتِ جُمْلَةٍ من شعرِهِ في الغَزَلِ والمديحِ

بَلَّغْنِي أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ بَابْنَ صَاحِبِ الإسْفِيرِيَا^٢ ، من مشاهير الأدباء ،
وله شعرٌ كثيرٌ إِلَّا أَنَّ إِحْسَانَهُ نَزَرُ يَسِير . وله تَأْلِيفٌ في الأدبِ ترجمهُ
بكِتَابِ « الإغراب »^٣ في رِقَائِقِ الآدَابِ » ، ورفعهُ إلى المأمونِ بِحِجْيِ بنِ ذِي
النُّونِ ، وتصنيفُ آخرِ سَمَاءَ بِكِتَابِ « الإِشَارَةِ إلى معرفة الرجال والعبارة » ،
وكتابُ سَمَاءَ « بستان الملوك » ، رفعهُ إلى ابنِ جهورِ أيامِ إمارته بِقِرطَبَةِ .

وحدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ صَحِبَ أَبَا حَفْصِ بنِ بَرْدٍ الأصغرَ ، وجاذبه
أَذْيَالِ المذاكِرَةِ ، وراكضهُ أَفْرَاسَ المحاضرة ، حتَّى وقفه - بزعمه - على
البديعِ والبيانِ على حقيقتِهِما ، ووضحتْ لَهُ جَادَتُهُما ، وعرفَهُ أَنْحَاءَهُ ، وكاشفه
أَجْزَاءَهُ ؛ قال ابنُ فتوحٍ : فَمَتَى رَمْنَا مَعْنَى أَطْلَقْنَا عَلَيْهِ بُزَاةَ البَحْثِ ، وأخذناه
أَحْسَنَ - أَخَذَ ، وصَدَنَاهُ دُونَ كَلَالِ فِهْمٍ ، ولا نَبْوَ لِسَانٍ ، إِلَّا أَنَّ أَبَا حَفْصٍ
يَشْفُ عَلَيْنَا جُمْلَةً في المُلْحِ القِصَارِ ، أضعافُ شَفَوْنَا عَلَيْهِ في مطولاتِ الأشعارِ .
قال ابنُ بَسَّامٍ : وابنُ فتوحٍ هذا كثيرُ الِاهْتِدَامِ والِاغْتِصَابِ ، والِاخْتِطَافِ
والِاسْتِلابِ ، لأشعارِ سِوَاهُ ، قَبِيحُ الأخْذِ في كُلِّ ما انتحاه ، وشعرُهُ كثيرٌ

١ ترجم له ابن الأبار (التكملة رقم : ١٥٥٢) وذكر أن كنيته أبو الحسن ، وقال : روى
عن أبي بكر مسلم بن أحمد الأديب بقرطبة ، وله كتاب بستان الملوك ، ذكره القنطري .
ومسلم بن أحمد هو ابن أفلح النحوي الأديب (٣٧٦ - ٤٣٣) كان رجلاً جيد الدين
راوية للشعر وكتب الآداب ، وكان تلاميذه كالأب الشفيق (انظر الصلة : ٥٩١ - ٥٩٢) .
٢ م : بصاحب الاسفيرييا ؛ والاسفيرييا (وتكتب أيضاً اسفريا) نوع من الطعام ، راجع
وصفه في كتاب الطبخ : ٢٣ .
٣ م : الاعراب .

البرد ، وبينه وبين ابن بردٍ من مسافة البعد ما بين القطب الثابت ، والقصب
 الثابت ^١ . وقد أثبت في هذا المجموع من شعر الرجلين ، ما يتبين به الصبحُ
 لذي عينين ؛ على أنني ظلمتُ ابنَ بردٍ ولم أعدل ، إذ لا يُمثل بينهما بأفضل ،
 وأين مواقع السيل ، من مطالع سهيل ، وهو معه كما يقابل الصباح بمصباح ،
 وتبارى الرياح بجناح . وأكثر شعر ابن بردٍ مليح السرد متمكن القوافي
 لا تكاد له قافية تخرج من مركزها ، وقوافي ابن فتوح قلقة موضوعة في غير
 مكانها ، نازلة في غير أوطانها .

جملة من شعر ابن فتوح في النسيب

قال ^٢ :

قَدْ قَضَيْتُ وَبَدَّرْتُ دِيحُورِ وَتَغَرُّ دُرٌّ وَلِحْظُ يَغْفُورِ
 أَزَالَ صَبْرِي وَأَيُّ مُصْطَبِرِ يَبْقَى لَتَلْكَ الْمَلَاظِ الْحُورِ
 كَأَنَّمَا نُورُهُ وَسَمَرْتُهُ مَسْكٌ مُشَوَّبٌ بِذُوبٍ كَافُورِ

وقال أيضاً :

وَقَفَّ الْعِذَارُ بِخَدِّهِ فَحَسِبْتُهُ لَيْلًا تَوَقَّفَ وَسَطَ ضَوْءِ نَهَارِ
 وَتَوَرَّدَتْ وَجَنَاتُهُ فَحَسِبْتُهَا نَارًا تَلْكَطِي فَوْقَ مَاءٍ جَارِ

وقال :

خَلَعَ الْجَمَالُ عَلَيْكَ ثَوْبَ بَهَائِهِ فَغَدَوْتَ تَسْحَبُ ذَيْلَهُ مُتَبَخِّرًا

١ هنا ينتهي الحرم في ب .

٢ وردت هذه الأبيات ص ٥٠٨ من هذا الجزء .

فكأنَّ خدَّكَ والعذارُ بصحنه صُبْحُ جرى فيه دجى فتحيِّرا
وما أقبح هذا الأخذ ، فإنه لفظُ تميم بن المعزِّ حيثُ يقول ^١ :
ما بانَ عُذري فيه حتَّى عَدَّرا ومشى الدُّجى في صُبْحهِ فتحيِّرا ^٢
وقال :

ولما أَحسَّ الليلُ أَني منادمٌ مُعذَّبٌ قلبي بالتجنُّبِ والهجرِ
تولَّى مُغِذًّا لا يَقْرُ كأنتما يعاينُ ألفاً فهو في إثرهِ يجرى
فما كان ما بين الطَّقول وفجره كما بين جفن العين في الطَّول والشَّفَر
وما أَحسن قول إبراهيم بن العباس في قصر اللّيل ^٣ :

وليلةٍ منِ اللَّيالي الزُّهرِ قرَّنتُ فيها بدرها ببدري
لم تكُ غير شفقٍ وفجرٍ حتَّى تنقَضَتْ وهي بِكرُ الدَّهرِ
ولغيره في هذا المعنى ^٤ :

يا ليلةٌ كادَ مِنْ تقاصُّرِها يَعرُ منها العِشاءُ في السَّحرِ

١ اليتيمة ١ : ٣٠٨ ودنية القصر ١ : ٩٣ وألحق بديوانه : ٤٦٤ .

٢ الدمية واليتيمة : في خده ؛ الدمية : فتبخَّرا .

٣ ديوان إبراهيم بن العباس : ١٤٥ ومعاني العسكري ١ : ٣٥١ وزهر الآداب : ٢٩٩

ونهاية الأرب ١ : ١٣٤ وسرور النفس : ٣٢ .

٤ نسبة في سرور النفس : ٣٢ لابن المعز .

وقد أكثرَ الناسُ في قصرِ الليلِ وطولهِ ، فمنهم مَنْ استهدفَ فيما
وصَفَ ، ومنهم من عدل وأنصف ، كقول بشار^١ :

لم يطل ليلى ولكن لم أتم ونفى عني الكرى طيفُ ألمٍ
وإنما أخذه من قول الأعرابي^٢ :

ما أقصرَ الليلَ على الرَّاقِدِ وأهونَ السَّقمَ على العائِدِ
وممن بلغَ الغايةَ في الإنصافِ ، لو سلَّمَ له من الاستلاب والاختطاف ،
قولُ ابنِ بسَّامِ البغدادِي^٣ :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدَّعي أنْ نجومَ الليلِ ليست تغور
ليلى كما شاءتْ فإن لم تجدْ طالَ وإن جادتْ فليلى قصير

وهذا يجملته منقول^٤ ، من قولِ علي بن الخليل ، حيث يقول^٤ :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدَّعي أنْ نجومَ الليلِ ليست تزول
ليلى كما شاءتْ قصيرٌ إذا جادتْ وإن ضنتْ فليلى طويل

وهذه السَّرقةُ كما قالَ بديعُ الزمانِ في التنبيهِ على الخوارزميِّ في بيتٍ
أخذَ وزنه ومعناه وبعضَ لفظه : إن كانت قضيةُ القطعِ تجيبُ في الرَّبْعِ ،

١ ديوان بشار : ٢١١ (جمع العلوي) وفيه تخريج كثير .

٢ ورد لابن المعتز (الأوزاق : ٢٢٤) .

٣ سرور النفس : ٣٠ ومعاني العسكري ١ : ٣٤٨ وزهر الآداب : ٧٤٩ والمختار : ٢٠

ونهاية الأرب ١ : ١٣٥ .

٤ انظر المصادر المذكورة في الحاشية السابقة .

فما أشدَّ شفتي على جوارحه أجمع ، ولعمري ما هذه سرقة ، إنما هي
مُكابرةٌ محضة ، وأحسبُ أن قائله لو سَمِعَ هذا لقال : هذه بضاعتنا ردتْ
إلينا ؛ فحسبتُ أنَّ ربيعةَ بنَ مُكْدَمٍ وعتيبةَ بنَ الحارث ما كانا يستحلان
من النهب ما استحلته ، إنما كانا يأخذان جُلته ، وهذا الفاضلُ قد أخذه كله .

وأخذه عليُّ بنُ الحليل من قول الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان
حيثُ يقول^١ :

لا أسألُ اللهَ تغييراً لما صَنَعْتُ نامتْ وقد أسهرتْ عينيَ عيناها
فالليلُ أطولُ شيءٍ حينَ أفقدُها والليلُ أقصرُ شيءٍ حينَ ألقاها
وابن بسامٍ في هذا كما قال الآخرُ :

وفى يقولُ الشعرَ إلاَّ أنه في كلِّ حالٍ يسرقُ المسروقا
رجع :

وقال ابنُ فتوح :

وخلَّ كانَ يألُفني قديماً مواصلةَ الصَّوادي للورود
فلما قلَّ وفَرِي صارَ يلقى تحيَّاتي بلحظٍ^٢ من بعيد
برئتُ إلى البريةِ من إخاهُ كما برىء المسيحُ من اليهود

١ زهر الآداب : ٧٤٩ والمختار : ٢١ والمكبري : ١ : ٤٠ وسرور النفس : ٣٠ ونهاية
الأدب : ١ : ١٣٥ وديوانه : ٢٠ .

٢ ط : بلفظ .

وقال :

رِيمٌ أَرُومٌ الدَّهْرَ مِنْهُ عَلَى رَغْمِ الْعِدَا قَرِيبًا فَمَا أَقْدَرُ
كَأَنَّمَا غَرَّتْهُ نَحْتَهَا مَاءٌ عَلَيْهِ صَارِمٌ يُشْهَرُ
كَأَنَّمَا حَمَرَتْهُ^١ إِذْ بَدَتْ مِنْ فَوْقِهَا نَارٌ بِهَا تُسْعَرُ
كَأَنَّمَا وَالصُّدْعُ قَدْ شَابَهَا ذُوبٌ عَقِيقُ شَابَةِ عَنبر
كَأَنَّمَا يَهْتَزُّ مِنْ بُرْدِهِ غُصْنٌ بِيَدِ سَاطِعٍ مِثْر
كَأَنَّمَا اللَّهُ لَتَعْدِينَا أَلْبَسَهُ الْحُسْنَ وَلَا أَكْثَرُ

قال ابنُ بسام : وتشبيهه صفاء الوجه وحمرة ، بصفاء الماء وحمرة النار
من مبتدلات الألفاظ ، ومُتداولات المعاني ، وما أمْلَحَ قول محمد بن
هاني^٢ :

افتك بهذا السامري السّاحرِ وأذقه طعمَ المشرقي الباتر
كم قلتُ إذ نَزَّهْتُ في وجناته طرقي فما رجعتُ إليّ محاجري
ذا ويحكم ماءً وجمراً محرقاً فقد اشتفيتُ وما تروى ناظري

وأخذه ابنُ هانيء من قول تميم بن المعز^٣ :

وبارزةٍ بين أحبارها بروزَ الشموسِ لإسفارها
وقد فصلت بين ثقل الكتيبِ ولين القضيبي بزُئارها
تري الماء والنار في وجهها قد امتزجا بين أبشارها
فلا النَّارُ تعدو على مائها ولا الماءُ يعدو على نارها

١ ب م ط : حمرتها .

٢ لم ترد في ديوانه .

٣ ديوان تميم : ٢٣٩ .

وقولُ ابنِ فتوحٍ « غُصْنٌ بِبَدْرِ مُثْمَرٍ » كقولِ بعضِ البصريّين :

بأبي قَضِيبٌ مُثْمَرٌ إِثْمَارُهُ بِدَرُ الدُّجَى
لَمَّا بَدَا لِي سَافِراً عَنْهُ نَقَدْتُ^١ لَهُ الْحَجَى

وقال ابنُ وكيعٍ^٢ :

غُصْنٌ ظَلَّ مُثْمَرًا بِيَدَيْهِ مِنْ الثَّمَرِ
مَا رَأَى النَّاسُ قَبْلَهُ غُصْنًا أَثْمَرَ الْقَمَرِ

وقال أبو الوليد بن زيدون القرطبي^٣ :

عُذْرِي إِنْ عُدِلْتُ فِي خَلْعِ عُدْرِي غُصْنٌ أَثْمَرَ ذَرَاهِ بِيَدِي
هَزَّ مِنْهُ الصَّبَا فَقَوْمٌ شَطْرًا وَتَجَافَى عَنِ الْوَشَاحِ بِشَطْرِ

وقولُ ابنِ فتوحٍ « كَأَنَّمَا اللَّهُ لَتَعْدِينَا » البيت ... ينظرُ إلى بَيْتٍ
من جملة هذه الأبيات لتمييم بن المعز حيث يقول^٤ :

وَسَاقٌ يَمْلَأُ الْعَيْنِينَ حُسْنًا رَخِيمٌ دَلَّهَ يَصْبُو وَيُصْبِي
شَقَائِقُ خَدَّهِ بِاللَّحْظِ تَسْبِي وَلَحْظٌ جَفَوْنَهُ بِالْغَنَجِ يَسْبِي
لَهُ نَبْتُ عَلَى الْخَدَّيْنِ غَضٌّ يُصْنَفُهُ فَيَتَلَفُ كُلُّ لُبٍّ
تَبَارَكَ مَنْ بَرَاهُ بِلَا شَبِيهِ وَسَلَطَهُ عَلَى قَتْلِ الْمُحِبِّ

١ ب م : نبذت .

٢ لم يردا في ديوانه .

٣ ديوان ابن زيدون : ٢٣٠ .

٤ لم ترد في ديوانه .

وقال ابن فتوح^١ :

ومُدَامَةً صَفراءَ عَلَّني بها رَشاً كغصنِ البانِ في حَرَكَاتهِ
صَهباءَ تَغربَ إنْ بدَتْ من كَفِّهِ في فيه ثَمَّ تَلوَحُ في وجناته

وهذا من قول^٢ الآخر^٣ :

بدرٌ بدا يَشْرَبُ شَمساً بدَتْ وحدها في الحُسْنِ من حَدَّةِ
تَغْرُبُ في فيه وَلَكِنَّها من بَعْدِ ذا تَطْلُعُ في خَدِّهِ

وقال الطَّلِيقُ المِروانيُّ المتقدِّمُ^٤ الذَّكْرُ في شعرِ تَقْدِمْ إنشاده^٥ :

فإذا ما غَرَبَتْ في فَمِهِ أَطْلَعَتْ في الحَدِّ مِنْهُ شَفَقاً

وقال ابن فتوح :

ناولني الكأسَ على غَفْلَةٍ مَنْ مَلَأَتْ أَلْحاظُهُ الكاسا
ظيُّ إذا ما شَمَتَهُ شارباً ذَكَرَني شاربُهُ الآسا^٦

وهذا من قول ابن بُرْدٍ وقد تقدَّم^١ :

يا شارباً أَلْثَمِي شارباً قد هَمَّ فيه الآسُ أنْ يَنْبُتَا

١ وردا من قبل ص : ٥٦٥ .

٢ ط : كقول .

٣ هما لكشاجم في قطب السرور : ٥٦٩ .

٤ انظر ما تقدم ص : ٥٦٤ .

٥ ط : الكاس ، الآس .

٦ انظر ما تقدم ص : ٥١٠ .

وكذا بيته الأول من قول الآخر :

يا رَبَّ ساقِ يُديرُ كأساً تملؤه في الهوى جُفونهُ
كأنما قدَّهُ قَضيبٌ يهفوا بلبِّ الليبِ لينهُ

وحدث ابنُ فتوحٍ هذا عن نفسه قال : ماشيتُ غلاماً معذراً كنتُ
قديمَ الامتراج به ، والكلفِ بقربه ، فلقيني بعضُ إخواني معه في جوف
المسجد الجامع فسلم عليّ مضمراً خبراً ثم قال لي : مثالك في عصرنا مثالُ
ذي الرُّمّة في وقته ، تفنّك الأطلالُ^١ ، وما شخص^٢ من آثار الديار ؛
ففهمتُ عنه ، وأنشدته قبلَ أن يستمَّ كلامه :

ما ربيعُ مَيَّةَ معموراً يطيفُ به غيلانُ أبهى رباً من ربيعها الخرب^٣

فقال : إلى متى يدومُ غرامُك بهذا الغلام ، وهذه بنودُ عزّله قد
رُفعتْ ، وعُقَداتُ خلعه قد عُقدتْ ؟ فقلتُ : لا والله ما أرى بنودَ
عزّله ، ولا عُقداتِ خلعة ، وإنّما أرى لاماتِ مِسْكِ في صحيفَةِ كافور ،
وسُطورَ دُجى في مَهَارِقِ نور ، فولّيتُ عني .

وكتبتُ إليه :

أيتها العائِدُ المُفَنِّدُ جهلاً في هوى من قِوامِ نفسي هواهُ

١ ط : يلهو .

٢ ط : دثر .

٣ البيت لأبي تمام ، ديوانه ١ : ٦٢ .

٤ ط : عزله . . . خلعه .

أَنْتَ تَلْحَى عَلَى قَضِيبٍ لُجَيْنٍ عَظَفْتَنِي عَنْ غَيْرِهِ عَظْفَاهُ
كَانَ صُبْحاً لِعَاشِقِهِ فَلَمَّا بَقَلْتُ صَفْحَتَاهُ أَغْشِي^١ سَنَاهُ
مِثْلَ ضَوْءِ الْهَلَالِ يَزْدَادُ ضَعْفاً نَوْرُهُ إِنْ دَجَّتْ لَهُ أَفْقَاهُ
وَقَالَ أَيْضاً :

نَشَرَ الْغَمَامُ رِدَاءَهُ فَتَقَنَّنَتْ خِجَلًا بِهِ لِلنَّاطِرِينَ ذُكَاؤُ
فَكَأَنَّهُ سَرٌّ تُشِيرُ بِمُقْلَةٍ مَطْرُوفَةٍ مِنْ خَلْفِهِ عِذْرَاهُ
وَكَأَنَّهَا إِذْ مَدَّهُ مِنْ تَحْتِهَا سَرٌّ تَضِيقُ بِكُتْمِهِ الظُّلْمَاءُ

وهذا كقول ابن عبد ربّه :

نَهَارٌ لَاحَ فِي سِرْبَالٍ لَيْلٍ فَمَا عُرِفَ الرُّوَّاحُ مِنَ الْبُكُورِ
وَعَيْنُ الشَّمْسِ تَرْنُو مِنْ بَعِيدٍ رَنُوَ الْبِكْرِ مِنْ خَلْفِ السُّتُورِ
وَإِنْ الْمُعْتَزَّ الْقَائِلُ قَبْلَهُمَا^٢ :

تَظَلُّ الشَّمْسُ تَرْمِقُنَا بِطَرْفٍ خَفِيَ لِحْظُهُ^٣ مِنْ خَلْفِ سِرِّ
تُحَاوِلُ فَتَقَّ غَيْمٍ وَهُوَ يَأْبَى كَعَيْنٍ بِحَاوِلٍ نَكَحَ بِكْرِ

١ ط : أغي .

٢ ديوانه ٤ : ٩٠ والأوراق : ٢٦١ وحلقة الكميت : ٣٢٩ ونهاية الأرب ١ : ٤٦ وشرح

الشريشي ١ : ٧٢ .

٣ الدهوان : بلحظ مريض مدنف .

وتابعه ابنُ الروميَّ فقال^١ :

واليومُ مدجونٌ فجونته ما بينَ مُطْلَعٍ^٢ ومُحْتَجِبٍ
ظَلَّتْ تَلاَحُظُنَا^٣ وَقَدْ بَعَثَتْ ضَوْءاً يَلاَحُظُنَا بَلاَ هَبْ

ومحمد بن سيق^٤ من غلمان ابن أبي عامر :

فكَأَنَّ الشَّمْسَ بَكَرٌ حُجِبَتْ وَكَأَنَّ الغَيْمَ سَرٌّ قَدْ سُدِّلَ

وقال ابنُ فتوح يصفُ الشَّمْعَ :

ولما دَجَا الأفقُ^٥ واغْرَوْرَقَتْ كَوَاكِبُهُ وَسَطَ لُجِّ السَّحْبِ
نَصَبْنَا لَهُ قُضْباً صَاغَهَا مِنَ التَّبْرِ صَانِغَهَا لِلْعَجَبِ
وَدَارَتْ نُجُومٌ مِنَ الرَّاحِ فِي بَرْجِ التَّصَابِي بِأَفْقِ الطَّرَبِ
وَهَزَّ نَسِيمُ الصَّبَا عَظْفَهُ^٦ وَقَامَ خَطِيبُ الصَّبَا فَاخْتَطَبَ
تَجَهَّمْ وَجْهَهُ السَّمَاءَ إِذْ رَأَى سُرُورَ الْوَرَى بَتَهَادِي النَّخَبِ
كَأَنَّ السَّحَابَ بِهِ إِذْ بَدَتْ بَخَاتٍ عَلَى غَيْمِهَا تُرْتَكَبُ
تَسِيرُ وَيَقْرَعُهَا رَعْدُهَا لَتَعْدُو بِسَوَاطِئِهِ^٧ مِنْ ذَهَبِ

١ ديوان ابن الرومي : ١٤٧ .

٢ الديوان : فحرفته فيه بمطلع .

٣ الديوان : شمس تساترنا ؛ ط : ظلت تلاحظه .

٤ ب م : مزيق ؛ والقاف غير معجمة في ط ؛ ولعل الصواب : « يثق » .

٥ ب م : الليل .

٦ ط : غصته .

وهذا كقول ابن بُرْدٍ وقد تقدّمَ إنشاده^١ :
 بخاتي توضع في سِيرِها وقد قُرِعَتْ بسيّاطِ الذهبِ
 وقولُ ابنِ فتوحٍ في صفةِ الشّمعِ من قول أبي الفضل الميكالي^٢ :

وليلٍ كلونِ الحجرِ أو ظلمةِ الخبرِ نصبنا لداجيه عموداً من التّبرِ
 [يشقُّ جلايبَ الدُّجى فكأنّما نرى بينَ أبدينا عموداً من الفجرِ]
 تبدّى لنا كالغُصْنِ قدّآ وفوقه شُعاعٌ كأنّا منه في ليلةِ القدرِ
 تحمّلَ نوراً حتفه فيه كامنٌ وفيه حياةُ الأنسِ والتهو لو يدري
 تراه يدبُّ الدهرَ في بري نفسه وقد كان أولى أن يريش ولا ييري
 إذا ما عرّته علةٌ قُطِطَ^٣ رأسه فيختالُ في ثوبٍ جديدٍ من العمرِ

وهذا كقول ابن المعتز^٤ :

وصفراءَ تونسُ جلاّسها بقَدَّ يُقَطِّعُ أنفاسها
 تبيتُ تُقْضِي لباناتنا وتُعمِلُ في نفسها باسها
 ولم أرَ مِن قبلها مثْلها إذا قَطَّعوا راسها

وهذا المعنى يتطرّفُ قولَ العباس بن الأحنف^٥ :
 أحرّمُ منكم بما أقولُ وقد نالَ بهِ العاشقونَ من عشقوا

١ انظر ما تقدم ص : ٥١٦ .
 ٢ زهر الآداب : ٦٩٢ و سرور النفس : ٤٢٧ .
 ٣ في النسخ : قد ، وزهر الآداب : جر (اقرأ : حز) .
 ٤ لم ترد في ديوان ابن المعتز ؛ ونسبها صاحب سرور النفس : ٤٢٤ للنّامي ، ولم تدرج في ديوانه المجموع .
 ٥ ديوان العباس : ١٩٧ .

صِرتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نَصَبْتُ نُضْيَةً لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ
وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِنَا وَهُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مَرْزُقَانَ يَصِفُ شَمْعَةً
أَقِيمَتْ بِجَانِبِ مُطَيِّبِ نَرْجِسٍ :

وَشَمْعَتَيْنِ يَرُوقُ الشَّرْبُ حَسَنَهُمَا^٢ نَوْرٌ وَنَارٌ مُجَالٌ فِيهِمَا الْبَصَرُ
فَظِي تَمُوتُ إِذَا مَا نَالَهَا بَلَلٌ وَذَاكَ يَحْيَا إِذَا مَا عَمَّهُ الْمَطَرُ

وَوَقَفْتُ عَلَى رَأْسِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ ابْنِ خُلْدُونَ وَصِيفَةً فِي يَدِهَا شَمْعَةٌ فَقَالَ^٣:

يَا شَمْعَةٌ تَحْمِلُهَا أُخْرَى شَبَّهْتُهَا شَمْسًا عِلْتُ بِدِرَا
امْتَحَنْتُ لِاحِدَاهُمَا مَهْجَتِي بِمَثَلٍ مَا تَمْتَحِنُ الْأُخْرَى

وَقَالَ أَيْضًا غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ^٤ :

وَقَدْ أَنَبُّوا جَنَحَ الدُّجَى كُلَّ شَمْعَةٍ كَأَنَّ سَنَاها مِنْ مَحْيَاكَ أَوْ فِكْرِي
بِأَيَّةٍ مَا تَبْكِي وَفِي النَّارِ صَدْرُهَا وَقَدْ جَمَدَتْ عَيْنَايَ وَالنَّارُ فِي صَدْرِي
وَقَدْ نَصَبُوهَا رَزْدَقًا بَعْدَ رَزْدَقٍ كَمَا أَشْرَعُوهَا تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْخَمْرِ

١ ترجمة ابن مَرْزُقَانَ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مِنَ الذَّخِيرَةِ .

٢ ب م : بَيْنَهُمَا .

٣ ط : وَقَالَ فِي جَارِيَةٍ كَانَ فِي يَدِهَا شَمْعَةٌ ؛ وَانْظُرْ نَفْعَ الطَّيِّبِ ٣ : ٢٦٤ .

٤ ط وَالنَّفْعُ : لِاحِدَاكَ .

٥ ب م : وَقَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ هُرَيْرَةَ التَّطِيلِي ؛ وَلَمْ تَرُدَّ الْأَبْيَاتُ فِي دِيْوَانِهِ ، وَهِيَ تَلْحَقُ بِقَصِيدَتِهِ
رَقْم ٢٤ (ص : ٧٠) فِي رِثَاءِ زَوْجَتِهِ .

٦ ب م ط : خَمَدَتْ .

وهذا كقول أبي الفضل البغدادي من جملة أبيات تأتي في أخباره من
القسم الرابع :

فنارك من جمرٍ وناري من نجرٍ وصدرك في نارٍ وناري في صدري
وقال أبو الفضل الميكالي^١ :

يا ربَّ غُصْنٍ	نورهُ	يُزري	بِنُورٍ	الشَّفَقِ
يَظَلُّ	طولَ	عُمُرِهِ	يَبْكِي	يَجْفَنُ
صُفْرَتَهُ	تُخْبِرُ	عَن	عِشْقٍ	ولما
نارُ المُحِبِّ	في	الحشا	ونارُهُ	في
لاحَ لنا	في	مَغْرِبٍ	فردِّنا	في
				مَشْرِقٍ

وقال أيضاً فيها^٢ :

أعددتُ لليلِ إذا الليلُ غسقُ
وقيَّدَ الأُلحاظَ من دونِ الطُّرُقِ
قُضبانَ تبرٍ عريّتٍ من الورقِ
يُغني النَّدَامى ضوءُها عن الفلَقِ
شفاؤها إن مرضت ضربُ العُنُقِ

وقال^٣ :

وقضيبٍ مِن بنات النَحْلِ لِي في قَدِّ الكَعَابِ

١ زهر الآداب : ٦٩٣ .

٢ سرور النفس : ٤٣٤ - ٤٣٥ .

٣ زهر الآداب : ٦٩٣ .

يُشْبِهُ العاشِقَ في لَوْنٍ ودمعٍ والتهابِ
كُسيَ الباطِنُ منه وهو عُرْيَانُ الإهابِ
فإذا ما أنعمَ الأبداءَ نَ مَلَبُوسُ الثيابِ
فهو للشقوةِ < منها > في بَلَاءٍ وكِذابِ

وقال الأسعد بن بليطة :

لنا شمعةٌ نيطتْ ذُرَاهَا بِشُعْلَةٍ كحَيَّةٍ تَبِرُ نَضَضَتْ بِلِسَانِهَا
إذا عَثَرَ السَّاقِي بِذِيلٍ مِنَ الدُّجَى نَحَرْنَا لَهُ نُحْرَ الدُّجَى بِسَنَانِهَا
تَمَوْتُ إِذَا مَا قَبَّلْتُ خَدَّ حَائِطٍ فَتَثَبْتُ خَالاً فَوْقَهُ مِنْ دَخَانِهَا
كَأَنَّ الْجَدَارَ امْتَصَّ جَوْهَرَ رُوحِهَا وَلَمْ يَسْتَعِمْ مِنْهَا سَوِيدَا جَنَانِهَا

وقال أبو العلاء المعري^١ :

وصفراءَ لَوْنِ التَّبَرِ مِثْلِي جَلِيدَةٌ عَلَى نَوْبِ الْأَيَّامِ وَالْعَيْشَةِ الضَّنْكَ
تُرِيكَ ابْتِسَاماً دَائِماً وَتَجَلِّدُكَ وَصَبْرًا عَلَى مَا نَالَهَا وَهِيَ فِي الْهَلْكَ
وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا لَقَالَتْ مُحَقَّةٌ تَخَالُونَ أَنِّي مِنْ حَذَارِ الرَّدَى أَبْكَي
فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لَوْجِدٍ وَجَدْتُهُ فَقَدْ تَدَمَّعُ الْعَيْنَانِ مِنْ شِدَّةِ الضَّحْكَ

وقال ابن فتوح وقد استهدي مقصداً فبعث بها وكتب معها :

خُذْهَا إِلَيْكَ فَإِنَّهَا مَخْلُوقَةٌ مِنْ فِطْنَةٍ مَشْبُوبَةٍ وَذَكَاءِ
تَحْكِيكَ فِي دَفْعِ الْمَلَمِ^٢ لِأَنَّهَا وَلِيعَتْ بِشَقِّ حَنَاجِرِ الْأَعْدَاءِ

١ شروح السقط : ١٦٨٣ وسرور النفس : ٤٢٨ .

٢ ط : المهم .

قال ابنُ بسام : وقد نهي بعضُ الظُّرَفَاءِ الأدباءَ عن إهدائها واستهدائها ،
قال الفقيه ابنُ قالوص في ذلك :

إعطاءٌ مثلي للمقصِّ نقيصةٌ وأرى إعارتها أجلُّ العارِ
إنَّ المقصِّ حكَّتْ بصورة شكلها « لا » والجوادُ بِـ « لا » لئيم نجار

وهذا من الاختراعِ البَدِيعِ ، والتَّشْبِيهِ المطبوع . وتشبيهُ ابنِ فتوحٍ
صديقه بالمقصِّ من الوصفِ القبيحِ < فهو > مما مال فيه إلى العقوق ، وعدا
به سواء الطريق . ومتى كانت المقصُّ تشقُّ الحناجر ، وتجرُّ الجرائر^١ ،
كأنَّه لم يسمع قولَ الآخر ، وهو ابنُ الرُّومي^٢ :

وما تكلَّمتَ إلَّا قُلْتُ فاحشةً كأنَّ فكَّيكَ للأعراضِ مقراضُ

وهذا بالمقصِّ أشبه ، وعلى تفاهة قدره أنبه . ولم أسمع في المقصِّ^٣
أحسن من قول ابنِ الرُّومي أيضاً يصف قوادة :

تسعى لكبي تجمعَ وسَطَيهما كأنَّها مسمارُ مقراضٍ

وسُمِّيَتِ المقصُّ لملازمتها القصاصَ ، وهو أطرافُ الشعر .
وقال ابنُ فتوح في صفةِ نحلة :

وطائرةٌ تخفي كأنَّ جناحها ضميرٌ خفي لا يحدِّدُه وهَمٌّ
منافرةٌ للإنسِ تأنسُ بالفلا مِرْقَرَقَةٌ للشَّهَد من بعضها السَّمُ
فادناؤها رشدٌ وهتكُ حجابها إذا احتجبت في غير إبتانها ظلم^٣

١ ب م : وتجر الجرائر .

٢ انظر ما تقدم ص : ٥٧٤ .

٣ هنا تنتهي الترجمة في ط .

وحدث ابنُ فتوح أيضاً عن نفسه قال : كنتُ ليلةً في رمضان أطوفُ
بالمسجدِ الجامعِ بالمريّة سنة ثلاثين^١ ، وإذا فتي حسنُ المنظر ، فسلمَ عليَّ
سلاماً ارتاحت له نفسي ، وانشرحَ له صدري ، فرددتُ عليه ردّاً من
توسّم فيه سمةَ الفهم ، فقال لي : بحرمة الأدب إلّا ما أعدتَ عليَّ البيتَ ،
فأعدتُه ، وأنشدتُ سائرَ الأبيات ، فقال : الشعرُ > لك ؟ قلت : أجل < ؛
ثم قال لي : إنّما أخذته من قولِ العباسِ بن الأحنف^٢ :

وأحسنُ أيامِ الهوى يوماً الذي تروّعُ بالهجرانِ فيه وبالعتبِ
إذا لم يكن في الحبِّ سخطٌ ولا رضى فأتينَ حلاواتُ الرسائلِ والكتبِ ! ؟

فقال : ورّيتُ بك زنادي ، فأخبرني عن السببِ الموجب لترديدك
البيت ، قلتُ له : مُنيتُ بخلٍّ مولعٍ بالخلاف ، مائلٍ إلى قلّةِ الإنصاف ،
إن لا ينته غضب ، وإن استعنته عتب ، وقد علم الله شفقةَ نفسي لفرقة ،
فقال : قلبَ الله لك قلبه ، وجنبك عتبه . ثم ولّى عني وقد غرسَ في كبدي
ثمرّة ودّه ، فبتُ الليلةَ مستأنساً بخياله ، جذلانَ بوصاله ، حتى رأيتُ
غرّةَ الفجر تلمعُ في كفل الدُّجى ، فخلته بحراً تسرّبَ فيه جدول ، أو

١ أقدر أن هنا سقطاً في النص ، لا يتم المعنى دونه ، كأن يقال « وأنا أردد قولي . . . »
وأنه لا بد من إيراد البيت المقصود ، وذلك ينسجم مع قوله من بعد « بحرمة الأدب إلّا ما
أعدت علي البيت » .

٢ ليس الشعر للعباس بن الأحنف ، وإنما ينسب تارة لعليّة بنت المهدي (الأغاني ١٠ : ١٨٥
والقنوات ٣ : ١٢٥) وتارة لأبي حفص الشطرني (الاغاني ٢٢ : ٥١ والقنوات ٣ : ١٣٦)
وكان الشطرني قد نشأ في دار المهدي وكان يقول الأشعار لعليّة فتتخلها .

عجاجاً سُلَّ من تحته منصُّل ؛ فقامتُ ثابتاً على قصده^١ ، فلم ألبث أن سمعته
يَنشُدُ ويطلبُ منزلي ، ففرعَ البابَ وأذنتُ له فدخل ، فرحبتُ به ، وقمتُ
إليه ، وأقبلتُ عليه ؛ فقال لي : يا ابن الكرام ، إنَّ هذا يومٌ قد بكى ماء
غيمه ، ونبضَ عرقُ برقه ، وخفقَ قلبُ رعدِهِ ، واغرورت مقلَّةُ أفقه ،
ونحنُ لا نجدُ الخمرَ ، فبمَ نَقطعُ تأويله ؟ فقلتُ : الرأيُ إلى سيدي أبقاه
الله ، فقال لي : كيف ذكرُك لرجال مصرِك ، ووقوفك على شعراءِ عصرِك ؟
قلتُ : خيرُ ذكرٍ . فقال : مَنْ أعذبهم لفظاً ، وأرجحهم وزناً ؟ قلتُ :
الرقيقُ حاشيةَ الظرفِ ، الأنيقُ ديباجةَ اللطفِ ، أبو حفص ابنُ بردٍ .
قال : فمن أقواهم استعاراتٍ ، وأصحهم تشبيهاتٍ ؟ قلتُ : البحرُ العجاجُ ،
والسراجُ الوهاجُ ، أبو عامرٍ ابنُ شهيدٍ . قال : فمن أذكركم للأشعارِ ،
وأنظمهم للأخبارِ ؟ قلتُ : الحلو الظريفُ ، البارعُ اللطيفُ ، أبو الوليد بنُ
زيدون . قال فمن أكلفهم بالبديعِ ، وأشغفهم بالتقسيمِ والتتبعِ ؟ قلتُ :
الرائعُ في روضةِ الحسبِ ، المستطيلُ بمرجةِ الأدبِ ، أبو بكر لإبراهيم بن
يحيى^٢ الطُّبْنِي ، فأنشد :

وخاطبَ قُصّاً في عكاظٍ محاوراً على البُعدِ سحبانٌ فأفحمه قُصٌّ^٣

١ ب م : بائياً على قصوره ؛ ب : قصوده .

٢ في ب م : يحيى بن إبراهيم ؛ والصواب ما أثبتته وهو إبراهيم بن يحيى بن محمد بن حسين
ابن أسد التميمي ، وكان صديقاً للفقهاء أبي محمد ابن حزم ، توفي سنة ٤٦١ (الحنوة :
١٤٩ والبغية رقم : ٥٣١ والصلة : ٩٦) وهو ابن عم عبد الملك بن زيادة الله الذي تقدمت
ترجمته ، يلتقيان في « حسين » .

فصل في ذكر الأديب أبي بكر بن ظهارة وإبائ جُملةٍ مما وجدتُ له من الأشعار

وكان أبو بكرٍ هذا من فتيانِ الأدباء في ذلكَ الأوان ، ثم اعتبط وماءُ معرفته غيرُ مُحتاج ، ورُكنُ إبداعه غيرُ مراح ، في شرح شبيبته وأوان ظهوره ، ولولا ذلكَ لبزَّ أهل الآفاق ، رقةً وحسن مساقٍ^٢ . وأكثرُ ما وجدتُ من شعره ففي مدح أبي المغيرة بن حزم ، إذ كان قد ميَّزه تمييزَ مثله من صيارفةِ النثرِ والنظم . وحُدِّثُ عن بعض من جعل الانتجاعَ بهذا العلق الذي نحنُ في إقامةِ أودِه [من أجل ذخائره وعدده] ، أنه انتجعَ أبا بكر بن ظهارة ، وكان من الاقلال في غاية ، ومن قلة ذات اليد في نهاية^٣ ، وقصده في ذلكَ بخمسةِ أبياتٍ شعريٍّ أنشدتها سقطت من ذكرى ، فباع ابنُ ظهارة ثوبه ووجهه إليه بشمه ، وكتبَ إلى مُستمحه بهذه الأبيات^٤ :

يعزُّ على الآدابِ أنْ تَكْ رَبُّهَا	وأنتَ في أهلِ الغنى خامدُ النارِ
وخمسةُ أبياتٍ كأنَّكَ قلتها	بهاءٌ وإشراقاً منَ القمرِ السَّاري
طلبتُ لها كفوًّا كريماً من القريِّ	فقصَّرَ باعُ المالِ عن نيلِ أوطاري
سيوى فضلةً لا تُستقلُّ بنفسها	وأقلل بها لو أنها ألفُ دينار
بعثُ بها لا راضياً لك بالذي	بعثُ به إلاً فراراً من العار

١ ذكره ابن سعيّد (المغرب ٢ : ٢٨١) ونسبه إلى لورقة ، وكذلك ورد ذكره في المسالك

١١ : ٤٠٧ ، وكلا المصدرين يعتمد على الذخيرة .

٢ ط : لبز أهل عصره .

٣ ط : وكان من ذوي الاقتار .

٤ المغرب ٢ : ٢٨٢ .

ومن شعر ابن ظهاري قوله ^١ :

والله ما أربى ^٢ من الدنيا إلاّ المدامُ ووجهُ من أهوى
فإذا نظرتُ إلى صفاتهما ^٣ لم يَبْقَ لي أملٌ ولا دعوى

وقال ^٤ :

صَبَّغُوا غلالته بِحُمْرَةِ خدّه وكسوه ثوباً من لى شَفَتَيْهِ
فَتَخَالَهُ فِي ذَا وتلكَ كأنما نثرَ البنفسجُ والشقيقُ عليه

وقال ^٥ :

مَنْ لي بِداني المحلِّ نائمٍ تَراهُ عيني ولا أناله
لا وصلَ لي منه غيرُ أني أقولُ للناسِ كيف حاله

وقال ^٦ :

علّاني فاتما أنا حيثُ جادروضِ الهوى من الوصلِ غيْثُ
وكانَ الظلامَ لما تولّى نَميرٌ راعهُ منَ الفجرِ لَيْثُ

١ وردا في المغرب .

٢ ب م والمغرب : أ ملي .

٣ ب م : صفاتهما .

٤ وردا في المغرب والمساك .

٥ انظر المغرب ٢ : ٢٨٣ .

٦ وردا في المساك .

وقال :

أما ترى بدر^١ الدُّجى مشرقاً يضحك^٢ من نورٍ بلا ضحك ؟
كأنما يَنْشُرُ مِنْ نورِهِ في الأرض كافوراً على مسك

وقال ^٣ :

إذا أردتَ صباحاً فانظرُ إلى وجهِ ساقبك^٤
فقد أطلتَ سؤالاً؛ يا قومُ هل غرَّدَ الديكُ
ماذا تُريدُ بصبُحٍ أو أين ترقى أمانيك
وللنجومِ مدارٌ عليك والبدْرُ يسقبك

فصل^٥ في ذكرِ الأسعدِ بنِ إبراهيمَ بنِ أسعدَ بنِ بَلَيْطَةَ^٦

« سَرَدَ المعاني أحسنَ السرد ، واقتبسَ المعالي كالأسدِ الورد ، فأبرزَ
دُرَرَ المحاسنِ من صدفها ، وأحرزَ ما شاء من فخرِ الاجادة وشرفها »^٧.

١ ب م والمغرب : وجه .

٢ المغرب : يبسم .

٣ وردت في المغرب والمسالك .

٤ المسالك : صباحاً .

٥ وردت ترجمته في الجذوة : ١٦٦ (البنية رقم : ٥٨١) والمطمح : ٨٣ والمغرب ٢ : ١٧

والمطرب : ١٢٦ والخريدة (في ثلاثة مواضع) ٢ : ٩٠ ، ٢٦٢ ، ٥٨٥) والمسالك (في

موضعين في الثاني منهما ظنه ابناً له) ج ١١ : ٤٠٨ ، ٤٦٠ وخلط بعض شعره بشعر ابن

الحداد ، ونقل المقرئ (النفع ٤ : ٥١ - ٥٢) ترجمته عن المطمح ، وانظر النفع أيضاً

٤ : ١٠٠ .

٦ ما بين حاصرتين من المطمح : ٨٣ .

وأصله^١ كان من حضرة قرطبة، وتردّد بأقطار الجزيرة شرقاً وغرباً^٢، وكان بها في وقته أحد الغرائب، وأعجوبة^٣ في عيون العجائب؛ عالم^٤ بما يريشه ويبريه، على لوثة^٥ - زعموا - كانت فيه؛ وكان بعيد الهمم، بليغاً بالسيف والقلم، تردّد على ملوك الطوائف بالاندلس، فارس جحفل، وشاعر محفل، فجرى في الميدانين، وارتزق في الديوانين. ولم أظفر من شعره في حين إخراجي هذه النسخة من هذا المجموع^٦ إلا بقليله؛ ولا بأس - بحمد الله - من الزيادة فيه^٧؛ وقد أثبت منه ما يعترف بحقّه، ويعرف به مقدار سبقه.

ما أخرجته من شعره في النسب وما يناسبه من الأوصاف

قال^٨:

لو كنت شاهدنا عشيّة أسنا والمزنُ تبكيّنا بعينيّ مذب
والشمس قد مدّت أديم شعاعها في الأرض تمنح غير أن لم تذهب
خلت الرّذاذ برادة من فضة قد غربلت من فوق نطع مذهب

وقال^٩:

ظلّنت به والدّموعُ جاريةً أقبلُ الجيد منه والليّتا
تقطرُ دُرّاً حتّى إذا وردت روضة خديّه عدن ياقوتا

١ ط : وأظنه .

٢ ط : وتردد ببلاد المغرب .

٣ ب م : في حين تألّفي هذا التصنيف .

٤ ب م : ولا بأس بحول الله من حصوله .

٥ هي في الجدوة والمسالك : ٤٠٨ ، ومنها بيتان في المطمح والفتح .

٦ وردا في المسالك : ٤٠٨ .

وهذا من قولِ الحسن^١ ، وزادَ في التشبيه ، فأجادَ ما أراد فيه ، وهو :
وقد غَلَبَتْهَا عِبْرَةٌ فدموعها على خَدَّها بَيضٌ وفي نَحْرها صُفْرٌ
وقال^٢ :

ليس ليومِ البينِ عندي سِوَى مَدَامعٍ نَجِيعُهَا سَكَبُ
كأنَّما فُضَّ بِأَجْفَانِهَا رُمَانَةٌ فَانْتَشَرَ الْحَبُّ
وقال :

عَوَّذْتُ قَلْبِي مِنْهُ بِكُلِّ مَا يُتَعَوَّذُ
كأنَّما خَدُّهُ وَالْهَذَا حِينَ تَأْخُذُ
تُفَاحَةٌ عُلِّقَتْ فِي سَلْسَلٍ مِنْ زُمُرُذٍ

وقال :

قَمَرٌ لَوْ مِنْ فَوْقِهِ مِنْ صُدْغٍ غَالِيَةٍ حَنْشٍ
وَدَنَا لَيْلِثٌ جَمْرَةٌ مِنْ وَجْنَتِيهِ فَاَنْكَمَشَ

وأملحُ من هذا التشبيه ، قولُ تميم بن المعز فيه^٣ :

طَمَعْتُ تَقْبِلُهُ عَقَارِبُ صَدْغِهِ فَاسْتَلَّ نَاضِرُهُ عَلَيْهَا خَنْجَرًا

١ هو أبو نواس ، وهذا البيت في ديوان المعاني ١ : ٢٥٨ وتشبيهات ابن أبي مون : ٨٤

ونهاية الأرب ٢ : ٢٧٢ .

٢ وردا في المسالك .

٣ تقدم هذا البيت من قبل .

وقال محمد بن هاني^١ :

وكانَّ صفحةَ خدِّه وعذاره تُفاحه رُميتُ لتقتُلَ عقرباً

وقال الأسعد^٢ :

مَنْ رأى الوردَ تحتَ قطرٍ نداهُ لم يعبُ فوقَ وجنتي جدرياً
أنا شمسٌ أردتُ في الأرضِ مشياً فنثرتُ النُّجومَ حلياً عليّ

وهذا كقول ابن السراج النحوي^٣ صاحب كتاب «الأصول»^٤ :

لي قمرٌ جدَّرَ لما استوى فزادهُ حُسناً وزادتُ همومي
كأنما غنى لشمس الضُّحى فنقطة طرباً بالنُّجوم

وقال الأسعدُ في سمجٍ بينَ مليحين^٥ :

أما ترى الدهرَ بما قد أتى من حُسْنِ هذينَ وهذا السَّمجُ
كدُرَّتِي عِقْدٍ على ثَغْرَةٍ بينهما واسطةٌ مِن سَبَجِ

١ ديوان ابن هاني : ١٩٤ .

٢ هما في المسالك : ٤٠٨ والخريدة ٢ : ٩٠ ، ٢٧٠ ، ٥٨٧ .

٣ هو أبو بكر محمد بن السري النحوي (- ٣١٦) ؛ انظر ترجمته في إنباء الرواة ٣ : ١٤٥ .

وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .

٤ إنباء ٣ : ١٤٨ وذكر أنه قالها لما حضر ابن يانس المغني .

٥ وردا في الخدوة .

وقال يصف الخيلان^١ :

تَتَنَفَّسُ الصَّهْبَاءُ فِي لَهَوَاتِهِ كَتَنَفَّسَ الرِّيحَانِ فِي الْأَصَالِ
وَكَأَنَّمَا الْخَيْلَانُ فِي وَجَنَاتِهِ سَاعَاتُ هَجَرٍ فِي زَمَانِ وَصَالِ

قال ابنُ بسّامٍ : وهذان النوعان من وصف الجُدريّ والخيلان غيرُ موجودين في أشعار المُحدثين والمولدين والعصرين إلّا في النادر ، وأنا أنشد في هذا الموضع بعضَ ما تعلّق من ذلك بحفظي ، ووقع في شركِ صُدري . قال الشيخُ أبو مروان بن سراج^٢ :

جُدَرْتُ فَقَالُوا بِهَا عِلَّةٌ سَتَقْبَحُ بَعْدُ بِأَثَارِهَا
إِلَّا لَهَا رَوْضَةٌ نَوَّرَتْ فزادتُ جَمَالاً بِأَنْوَارِهَا

وقال أبو عامر ابن عبدوس القرطبي :

أَكْثَرَ الْحَاسِدُونَ فَيْكَ فَقَالُوا جُدَرِيٌّ بَدَأَ عَلَى وَجْتِهِ
وَيَحْجَمُ مَا دَرَوْا بِأَنَّكَ وَرَدٌ نَثَرَ الْجَوْهَرُ النَّفِيسُ عَلَيْهِ
وَنَجْمُ السَّمَاءِ أَسْرَى خُلَاهَا وَجَمَالُ الْوَشَاحِ فِي طَرَّتِهِ

ولأبي زيد بن العاصي :

عَابَهُ الْحَاسِدُ الَّذِي لَامَ فِيهِ أَنْ رَأَى فَوْقَ خَدِّهِ جُدْرِيّاً
لِنَمَّا وَجْهَهُ هَيْلَالٌ تَمَامٌ جَعَلُوا بَرْقَعاً عَلَيْهِ الثُّرَيَّا

١ قطعة من ثلاثة أبيات في المطرب ٤ : ١٢٦ والخريدة (٩٠ ، ٢٦٩ ، ٥٨٧) والمساك :

٤٦٠ . واثنان في المساك : ٤٠٨ .

٢ سيجي الحديث عنه في هذا القسم .

ولأبي تمام بن رباح :

[أوقدت قلبي فارتى بشرارةٍ في صحن خدك فانطقت في مائه]^١

وله أيضاً :

خدكَ مرآةٌ كلُّ حُسْنٍ تحسُنُ من حُسْنِها الصِّفَات
مالي أرى فوقه نجوماً قد كُسِفَتْ وهي نِيراتُ ؟

وأنشدني أبو محمد بن فرج الجياني لنفسه يصف خالين بخد غلام
أحدهما أصغرُ من الآخر :

إني ضعفتُ عن الهوى قد صادني عبدُ القويِّ بلحظِ ريمٍ أحورٍ
أبصرتُ في الحمَّام منه محاسناً حَسَنٌ بلوى قلبي المتَّحِيرُ
جسمٌ من البلَّورِ يطفو فوقه عَرَقٌ تبدَّى مثلَ نَظْمِ الجَوهَرِ
وبخده خالانٍ أمّا واحدٌ فيلوحُ والثاني كأن لم يظهر
فكانه من حُسْنِه بدرُ الدُّجى كسَفَ السُّهى في صحنه والمشتري

وأنشدني أبو بكر الدَّاني لنفسه^٢ :

بدا على خدِّه خالٌ يُزِينُهُ فزادني شغفاً فيه إلى شَغَفٍ
كأنَّ حَبَّةَ قلبي عندَ رُؤْيته طارت فقلتُ لها في الخدِّ منه قفي

١ تقدم من قبل .

٢ انظر القسم الثالث ص : ٦٦٩ .

رجع :

وقال الأسعد يصف النفط ^١ :

والنَّفْطُ مَهْمَا افْتَرَّ فَوْهُ فَاغْرَأَ أَجْرَى لِسَانِ النَّارِ فَوْقَ الْمَاءِ
فَكَأَنَّهُ ذَهَبٌ بَدَأَ فِي صَارِمٍ أَوْ رَجَعُ بَرْقٍ فِي أَدِيمِ سَمَاءِ

وله ^٢ :

وتلذَّ تعذِيبِي كَأَنَّكَ خَلْتَنِي عَوْدًا فَلَيْسَ بِطِيبٍ مَا لَمْ يَحْرِقْ

وهو مأخوذ من قول ابن زيدون :

تظنونني كالعود حقاً وإنما تلذَّ لكم أنفاسه حين يحرقُ

وقال في أسود ^٣ :

يَا رَبَّ زَنْجِيْ لَهْوْتُ بِهِ الشَّمْسُ عِنْدَ سَنَاهُ مَمْقُوْتُهُ
مُحْدُوْدُبٌ قَدْ غَابَ كَاهِلُهُ فِي مَنْكِيهِ فَلَا تَرَى لَيْتَهُ
قَدْ حَكَّمَتِ التَّجْعِيْدُ لِمَتِّهِ فَرَاكَمْتُ فَكَأَنَّمَا تَوْتَهُ
وَإِذَا سَعَى بِالْكَأْسِ تَحْسَبُهُ جُعْلًا يَدْحَرُجُ فَصَّ يَاقُوْتَهُ
وَكَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي يَدِهِ نَجْمٌ رَمَى فِي الْجَوِّ عَفْرِيتَهُ

١ هما في المسالك : ٤٠٨ .

٢ هذا البيت والذي يليه لم يردا في ط : وأغلب الفن أنهما دخيلان من المطمع : ٨٤ (النفع
٤ : ٥٠) والبيت الذي للأسعد هذا أحد بيتين في الجذوة : ١٦٦ ؛ وانظر ديوان ابن
زيدون : ٥٩٠ وروايته : تعدوني كالمندل الرطب إنما ؛ وقد مر البيت في ترجمة ابن
زيدون ص : ٣٥٤ .

٣ وردت ثلاثة منها في الخريدة : ٥٨٨ واثنتان في المسالك : ٤٠٨ .

وأخذَ هذا التشبيهَ من قولِ [بعضِ أهلِ أفقنا وهو] ابنُ زرقونَ
في الكُمَيْتِ الشاعرِ ١ :

تَأَمَّلْتُ الكُمَيْتَ وقد علاه من الأثوابِ ثوبٌ ذو احمرارِ
فقلتُ لصاحبي جَعَلَ تَمْشِي لَعَمْرِي في ثِيَابِ الجُلَّتَانِ

ومن قديمِ هذا التشبيهِ قولُ الفرزدقِ في نُصَيْبٍ وقد لبس ثياباً بيضاً ٢ :

كَأَنَّهُ لما بدا للناسِ أيرُ حمارٍ لفَّ في قرطاسِ

وقال ابنُ بَلْبِطَةَ الأسعدِ ٣ :

وزورقٍ أبصرتهُ عائماً وقد تَمَطَّى ظَهَرَ دَأْمَاءِ
كَأَنَّهُ في شَكْلِهِ طائرٌ مدَّ جَنَاحَيْهِ على الماءِ

وأنشدني أبو بكرُ الخولانيُّ المنجَّمُ قال : أنشدني ابنُ بَلْبِطَةَ الأسعدِ
لنفسه ٤ :

رَأَيْتُ لِيَوْسُفَ في بَيْتِهِ فخرَبَهُ اللهُ بينَ البيوتِ

١ أبو بكر الكميّ بن الحسن شاعر وشاح كان من شعراء عماد الدولة أبي جعفر بن المستعين
ابن هود بسرقة ، لقيه الحميدي وقرأ عليه كثيراً من شعره (انظر الجذوة : ٣١٤ والبغية
رقم : ١٣١٥ والمغرب ١ : ٣٧٠ والنفع ٣ : ٤٥٣ والتكملة : ٣٤٨ ؛ وانظر جيش
التوشيح : ٨٦ - ٩٦) .

٢ ينسب أيضاً لجرير : انظر ديوانه : ١٠٣٠ .

٣ هما في المسالك : ٤٠٨ .

٤ وردت الأبيات في الخريدة : ٩٠ والمسالك : ٤٠٨ .

حصيرَ صلاةٍ علاه^١ الغُبارُ وقد نسجتُ فوقه العنكبوت
فقلتُ له : كمَ لَذاك الحَصرِ وكمَ لك لم تَقْرَ فيه القنوت
فقالَ : هُنالكَ أَلْفَيْتُهُ^٢ وثمَّ يكونُ إلى أن أَمُوتُ^٣

وأنشدني له أيضاً^٤ :

أَحْبِبْ بَنَوْرَ الْأَفَاحِ نَوَّارَا عَسَجْدُهُ فِي لُجَيْنِهِ حَارَا
أَيُّ عَيُونٍ صَوَّرَنَ مِنْ ذَهَبٍ رُكِّبَ فِيهَا اللَّجِينُ أَشْفَارَا
إِذَا رَأَى النَّاظِرُونَ بَهْجَتَهَا قَالُوا نَجُومٌ تَحْفُ أَقْمَارَا
كَأَنَّ مَا أَصْفَرَ مِنْ مُوسَطَه عَلِيلُ قَوْمٍ أَتَوْهُ زَوَّارَا
كَأَنَّ مُبْيِضَه صَقَالِبَه صَارُوا مَجُوساً فَاسْتَقْبَلُوا النَّارَا
كَأَنَّهُ ثَغْرُ مَنْ هَيَّوْتُ وَقَدْ أَلْقَيْتُهُ فِيهِ بِفِي دِينَارَا

وأنشدني له أيضاً من قصيدة أولها :

أَرْجِي عِساهُ فِي الْهُوَى وَلَعَلَّهُ وَلَوْ وَصَفُوا حَالَ الْعَلِيلِ لَعَلَّهُ
خَلِيلِيَّ مِنْ نَعْمَانٍ مَا أَكْثَرَ الْهُوَى لِحَاجَا وَصَبْرِي فِي الْهُوَى مَا أَقْلَهُ

ومنها :

فَلَا تَضْرِبَنَّ حَدَّآ بِحَدِّ فَإِنَّهُ إِذَا السَّيْفُ لَأَقَى مُضْرِبَ السَّيْفِ فَلَهُ

١ ط : عليه .

٢ ب م : نموت .

٣ منها أربعة في المغرب .

٤ ب م : كانوا .

٥ ب م : وضعت .

ومن شعر الأسعد في المديح وما يتصل به

له من قصيدة في ابنِ صمّاحٍ أولها^١ :

برامة ريم زارني بعد ما شطاً تفنّصته في الحلم^٢ بالشتّ فاشتطاً
رعى من أناس في الحشا ثمر الهوى جنياً ولم يرع العرّار ولا الخمطاً
خيال لمقوم البنان براعة^٣ تأوتني بالرقمتين فذي الأرطى
فأنشقي من خدّه روضة المني وألثمني من صدغه حية رقطاً
كان الدجى جيش من الرّنج نافر وقد أرسل الإصباح في إثره القبطاً

[منها في وصف الديك :

كان أنو شروان أعلاه تاجه وناطت عليه كف ماريّة القرطاً

< ومنها > :

وطائر حسن بالسقاة موكل بحب قلوب الشرب يلقطها لقطاً [
توهم عطف الصّدغ نوناً بخدّه فبات بمسك الحال ينقطه نقطاً

وهذا كقول ابن المعتز^٤ :

غلالة خدّه صيغت بوردي ونون الصّدغ معجمة بخال

١ منها ستة عشر بيتاً في المطمح (مكررة في النفع ٤ : ٥٠ ، وثلاثة في النفع ٤ : ١٠٠)
و ١٣ ثم ٧ في الحريرة : ٥٨٥ ، ٢٦٦ ، ٩٠ و ٤ في المسالك : ٤٦٠ .

٢ ب م : بالحلم .

٣ المطمح والنفع : برامة .

٤ الأوراق : ١٩٩ .

مُحِيرَةً الْإِلْحَاطِ مِنْ غَيْرِ سَكْرَةٍ
أَرَى صَفْرَةَ الْمَسَاكِ فِي حَوَّةِ^١ اللَّحْمِ
عَسَى قُزَحٌ قَبَّلَتْهُ فَإِخَالَهُ
وَسَارِيَةَ نَحْلًا تَلَأُلُوْهُ بَرَقَهَا
فَبَتْنَا نَحْلًا الْجَوْءَ بِحَرًّا قَدْ أَرْسَلَتْ
وَبَاتَتْ تَثِيرُ الْمَسْكَ مِنْ هَجْعَةِ الثَّرَى
حَيًّا الْبَسَّ الْبُسْتَانَ وَشَيْئًا مَرَصَّعًا
كَأَنَّ أَبَا يَحْيَى بِنَ مَعْنٍ أَجَازَهَا^٢
تَأَلَّفَ مِنْ دُرٍّ وَشَذَرٍ نَجَارُهُ
أَقُولُ لِرُكْبٍ يَمْمُوا مَسْقَطَ النَّدَى
أَفِي الْمَجْدِ يَبْغِي لِابْنِ مَعْنٍ مَنَاقِضُ
وَلَوْ قَابَلَ الشَّمْسَ الْمُتَيْرَةَ أَظْلَمْتُ

مَتَى شَرَبْتُ الْإِلْحَاطُ عَيْنِكَ إِسْفَنطَا
وَشَارِبَكَ الْمَخْضَرَّ بِالْمَسْكِ قَدْ خُطَّ
عَلَى الشَّقَةِ اللَّمِيَاءِ قَدْ جَاءَ مَخْطَا
سَلَسَلْ تَبْرِ وَالظَّلَامُ قَدْ أَشْمَطَا
عَلَى مَتْنِهِ كَفُّ الْبُرُوقِ لَهُ نَقَطَا
رِيَاضُ تَرَى لِلنَّوْرِ فِي فَرْعِهَا وَخَطَا
وَمَدَّ عَلَى الْعَقِيَانِ مِنْ سِنْدَسٍ بِسَطَا
فَعَلَمَهَا مِنْ كَفِّهِ الْوَكْفَ وَالْبَسَطَا
فَجَاءَتْ بِهِ الْعَلِيَا عَلَى جِيدِهَا سَمَطَا
وَقَدْ جَاوَرَ الرِّكْبَانُ مِنْ دُونِهَا السَّقَطَا
وَمَنْ يُوْقِدُ الْمَصْبَاحَ فِي الشَّمْسِ قَدْ أَخْطَا
سَنَاهَا وَلَوْ أَوْمَأَ إِلَى الْبَدْرِ لَانْخَطَا

وله من أخرى في المعتضد :

عَلَيْكَ عَقَلْتُ مَطِيَّ الْأَمَلِ
وَفِيكَ تَنَسَّمْتُ زَهْرَ الْعُلَا
كَأَنَّا وَمَجْدُكَ يَسْمُو بِنَا
أَيَا مَلِكًا رَاعِ سَرَبَ الْعَدَا
وَأَمْنُ سَرَبِ الصَّرِيحِ الْجَلَلِ
أَتَصْبِحُ بِحَرًّا مَعِينَ الْجَدَا
وَفِيكَ اعْتَقَلْتُ بَزْرُقِ الْأَسْلِ
ذَبَالُ^٣ أُمَدَّتْ^٣ إِلَيْهَا شَعْلُ
وَيَكْرَعُ عَبْدُكَ ذَا فِي وَشَلْ ؟

١ ط والخريدة : حمرة .

٢ ب م : أجادها .

٣ ب م : ذبالا أعدت ؛ وسقطت جميع الأبيات من ط .

ففي سأرتك^١ أمانيه من أقاصي الشواهي حتى نهل
أعدّ لأعدائكم صعدةً ونصلاً جرازاً وطرفاً رفل
جهازُ ابن هيجاء علامته بطعن الكلى وبضرب القل
وشخت الحواشي لمن سامه رُحاب الخليقة في من يحل
تنسم إذا شئت ريحانة وهز إذا شئت عضباً أفل
فمثلي لدى ملك ماجد يهان ويقتضى لكي يرتحل ؟
أبتك من بجرّي بعضهما فجلدي بكتماها قد نغل
ولست أريد الذي قد مضى فقد سبق السيف فيه العذل
فلا غيض بجرّك غيث الوري فنحن الرياض وأنت السبل

فصل في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزّاز^٢

من مشاهير الأدباء الشعراء . وأكثر ما اشتهر^٣ اسمه وحفظ نظمه
في أوزان الموشحات التي كثرت استعمالها عند أهل الأندلس . وقد ذكرت
فيما اخترت في هذا القسم من أخبار عبادة بن ماء السماء من برع في هذه
الأوزان من الشعراء . وهذا الرجل ابن القزّاز ، ممن نسج على منوال

١ كذا ؛ ولعل الصواب : شأيرتك ، أي ارتفعت ببصرها إليك .
٢ ترجمته في أخبار وتراجم للسلفي : ٧٦ وسماء هناك عبادة بن محمد (وعبادة هو ابن هذا
الشاعر المترجم به) والقلاند : ١٤ والخريدة : ٢ : ١٨٢ والمغرب : ٢ : ١٣٤ والوافي
٣ : ١٨٩ والتفح : ٣ : ٤١١ ، ٤٩٣ ، ٦١٠ ، ٤ : ١٣ ، ١٠٣ وترجمته في أزهار
الرياض : ٢ : ٢٥٢ أجود ، وهي منقولة عن ابن خاتمة ، وانظر مسالك الأبصار : ١١ :
٣٧٧ ودار الفراز حيث وردت له موشحات ؛ ومن الغريب أن لسان الدين لم يذكره
في جيش التوشيح .
ط : ذكر .

ذلك الطراز ، ورقم ديباجه ، ورصع تاجه . وكلامه نازل في المديح ،
فأما الفاظه في هذه الأوزان من التوشيح فشاهدة له بالتبريز والشفوف ،
وتلك الأعاريص خارجة عن غرض هذا التصنيف .

فصل له من رقعة خاطب بها أبا بكر الخولاني المنجم يقول فيه :

إن لم تتقدم بيننا مخاطبة ، ولا جرت بيننا مكاتبة ، فقد علم الله
تعالى أن ودادي لك محض لا يشوبه كدر ، وأن ثنائي عليك غص
يتضوع تضوع الزهر ، فحال قدري لوصفك الجليل ، مطرزة بذكرك الجميل ،
وتيجانه على مفارق مجدك الأثيل ، مرصعة بلآلء حمدك الجزيل . وكنت
عند حلولك بالمرية ، قد باشرت من أفعالك السنية ، وشهدت من محاضرك
الحسان ، ما يكل عن وصفه كل لسان ؛ وما زلت مذ غبت عنها - لا غاب
نجم سعدك ، ولا أصلد واري زندك - أذكر مآثرك ، وأنشر مفاخرك ،
وأبث ما عاينت من مناقبك ، كالذي يتعين من واجبك ، أعان الله على
أدائه ، والقيام بأعبائه . ولما بلغنا ما سنأه الله من التأييد والتمكين ، والظهور
على المشركين ، بسعد المعتمد على الله ، نظمت بعض ما سمعته من ذلك
الخبر السار ، ووصفت ما حاز فيه من الفخار ؛ ولم تطب نفسي - فاديتك -
على الإرسال بما قلت إلا لعلمي بمجدك فيما يعول فيه عليك ، وأشرت
إلى ما تراه ، وتقِفُ عليه إن شاء الله ؛ فلك الفضل في توصيل ذلك
إليه ، وتقبيل الكريمتين عني يديه ؛ فإن نجح السعي وساعد السعد ، فمن عندك
أرى ذلك ، فأنت المشارك المشكور على اهتبالك ؛ ولولا جوائح جرت
علي ، فقصت جناحي وسلبت ما لدي ، لأمضيت عزمي ، وكنت مكان نظمي .

١ ب م : وأنشد .

ومن قصيدته التي بعث بها يومئذ قوله في أولها^١ :

ثناؤك ليس تسبقه الرياح	يطير ومن نذاك له جناح
لقد حسنت بك الدنيا وشبت	فغنت وهي ناعمة رباح
ثناؤك في طلاها حلي در	وفي أعطافها منه وشاح
تطيب بذكرك الأفواه حتى	كان رضاها مسك وراح
ملكك عنان دهرك فهو جار	كما تهوى فليس له جماح
فذاك ملوك هذا العصر طرأ	فإنك ضيغم وهم لقاح
وأنت بكل ما تحوي جواد	وهم بأقل ما حازوا شحاح
فزندك في العلا والحرب وإر	ولا زند لهم إلا شحاح
جزاك الله خيراً عن بلاد	محا عنها الفساد بك الصلاح
جنب ^٢ إلى الأعادي أسد غاب	برائتها المهتدة الصفاح
وقدتهم فكان لهم ظهور	ولولا الشمس ما ظهر الصباح
وقفت وموقف الهيجاء ضنك	وفيه لباعك الرحب انفساح
والسنة الأسته قائلات	قفوا هذا المؤيد لا برّاح
محمد بن عبّاد هزبر	لعباد المسيح بدا فطاحوا

ومنها :

رأى منه أبو يعقوب فيها عقاباً لا يهاض له جناح
فقال له لك القيدح المعلق إذا ضربت بمشهدك القيداح

١ منها ١١ بيتاً في المغرب و ٦ في قلاند العقيان : ١٤ وأربعة في الحريرة .

٢ ب م : جلبت .

في أبيات غير هذه ثابتة في القسم الثاني من هذا المجموع ، إذ لها موقعٌ بذلك الموضع :

وله من أخرى ^١ :

يا دَوْحَةَ بظلالها أنفياً	بَلْ مَعْقِلًا آوي إليه وأجلاً
رَمِدَتْ جفوني مُدَحَلَّتْ هنا ولو	كُحِلَتْ برؤيتكم لكانت تبرأ
فَخُبْتُ عنك وإنما أنا جوهرٌ	في طيِّ أصدافِ الحوادث أخبأ
يا مَنْ إذا انتسبَ البرايا للثرى	فله من الشمسِ المنيرة ضئضىء
لم أخرجْ فيكَ المديحَ وإنما	من بحركَ الفياض هذا اللؤلؤ
أما بنو عبد الحميد فإنهم	زُهرٌ وأنت هلالُها المتلألئ
فخَرَ الزمانُ بنا لأنك حاتمٌ	في جوده ولأنتي المتنبئ

وأنشدني أبو بكر الخولاني المنجم ، قال أنشدني أبو عبد الله القزاز لنفسه ^٢ :

أبا عامرٍ ماذا أتيتَ من العارِ	فها أنت من ثوبِ العلاء في الورى عاري
تبدلتَ شرطياً بصاحبِ شرطةٍ	كريمٍ نجارِ النفسِ ممتنعٍ الجارِ
فأصبحتَ كالطرطورٍ كان لسيدٍ	فأخلقَ حتى صارَ في رأسِ عيارِ

١ منها ه أبيات في المسالك وثلاثة في المغرب .

٢ ط : وهو القائل .

٣ ط : العلاء به .

وله في رجلٍ قرّاق^١ من أهل جَيّان :

أوغادُ أهلِ المريّةِ افترسوا عرسك يا وغدَ أهلِ جَيّانِ
قرّاقُهم أنتَ غيرَ أنهم قد بشروا رأسَ قافك الثاني

وقال :

شابتُ وزارَةُ عصرنا فأشبّها عبدُ العزيزِ
فكأنتما هو يوسفُ وكأنّها امرأةُ العزيزِ

وقال :

انظرُ الفحمَ قد علاهُ بَيّاضُ وكسا لونَ وجههِ تَتَربّيا
لَوْنُ شَعْرِ الشَّبَابِ كانَ ولكنْ حُرِّقُ النَّارِ أورثته المشيبا

فصل في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن مالك الطغفيري^٢ من غرناطة

لم أقف من ذكر هذا الرَّجُلِ إلّا على أبيات من شعره ، وفصلين
من نثره ، ويُسْتَدَلُّ على الشَّجَرِ ، بالواحدة من الثمر ، ومع قلته فإنه
يعرف أنه صدرُّ أديب ذو حفظ كثير وأدب غزير .

فصل^٣ له من رُقعةٍ يصفُ فيها السَّوْطَ الذي يجلب لحثّ الخيل من
المغرب : وتوأمُ هذا الجوابِ - أعزَّكَ اللهُ - البعثةُ بالمُحَنَّةِ ؛ وقد تَخَيَّرْتُها

١ القراق : الذي يصنع الأقراق (نوع من النمل) فهو الإسكاف .

٢ لم أجد أحداً ذكره سوى العمري في المسالك ١١ : ١٢ ؛ اعتماداً على الذخيرة ؛ وفي ب م :

الطغفيري .

عَقِيلَةَ أَتْرَابٍ ، كَرِيمَةَ أَصْحَابٍ ، تَسْمُو بِالنَّسَبِ الْبَحْرِي ، وَتَتَبِعُ بِالنَّصَابِ
 الْمُلُوكِيَّ ، قَدْ أَشْبَهْتُ سَرَقَ الْحَرِيرِ لِمَسَاءٍ ، وَاشْتَقُّ اسْمُهَا مِنْهُ ، وَدَعَجَ
 الْآبَنُوسَ لِبَسَاءٍ ، مُحْكِي لَوْنَهَا عَنْهُ ، كَأَنَّمَا اسْتُلْتُ مِنْ ظَهَرِ حَيَّةٍ ، أَوْ
 حُلْتُ مِنْ أَكَارِعِ طَلَاءٍ مُوشِيَةٍ ، عَنَوَانُ عِزَّةٍ ، وَجَمَالُ بَزَّةٍ ، وَدَلِيلُ
 لِنَافَةِ ، وَخَلِيفَةُ خَيْرَانَ الْخِلَافَةِ ، أَبْهَى فِي أَيْدِي الصَّيْدِ ، مِنْ طُرَرِ الْغَيْدِ ١ ؛
 وَأَحْسَنُ عَلَى أَعْنَاقِ الْجُرْدِ ، مِنْ قَطَاطِي الْمَرْدِ ؛ وَكَأَنِّي بِالْفَقِيهِ ، يَحْرُكُ رَأْسَهُ
 عِنْدَ هَذَا التَّشْبِيهِ ، فَيَقُولُ : الصَّدَقُ عَلَى الْأَلْمَعِيِّ لَا يُبْطِئُ ، وَفِرَاسَةُ الْمُؤْمِنِ
 لَا تُخْطِئُ ، كُلٌّ عَلَى شَاكِلَتِهِ يَفْعَلُ وَيَقُولُ ، وَمِنْ جِرَابِهِ يَزِنُ وَيَكِيلُ ،
 وَيُظَنُّ مَا يُظَنُّ ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ، وَبَعْدَ رَغْبَةٍ لَهُ وَرَغْبَةٍ فِيهِ ، أَقُولُ :

يَا مَعْلَمَ الْعُلَمَاءِ يَا زَيْنَ النَّدَى	لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ فَقِيهِ أَوْحَدٍ
أَكْثَرَتْ لِطَرَابِي فَظَنَنْتِي أَنْتَنِي	أَصْبَحْتُ مِنْ وَعْرِ الْعَتَابِ بِقَرْدٍ ٢
مَا حَقَّ ذَاكَ السُّوْطِ سُوْطٌ ٣ مَدَائِحِ	أَصْبَحْتُ مِنْهَا بِالْمَكَانِ الْأَبْعَدِ
لَمَّا أَتَيْتُ سَمْعِي فَخَرْتُ شَطَارَةً	وَطَرَدْتُ مِنِّي مِنْكَبِي مَتَمَرِّدٍ
فَامَنْنَ بِبَسْطِ الْعُذْرِ فِي تَأْخِيرِهِ	مَتَنًّا أَرِدْتُ مِنْهُ بِأَعْذَبِ مَوْرِدٍ
وَانْعَمَ بِأَيَّامٍ أَرَقَّ مِنَ الْهَوَى	وَأَلَذَّ مِنْ وَصْلِ الْحَبِيبِ الْمُسْعِدِ
تَاللَّهِ إِقْسَامَ الْمَحَبِّ لَمَّا حَبَا	دَهْرِي بِأَكْرَمِ مَنْكَ عِلْقًا فِي يَدِي
أَنْتَ الْوَهْرُ أَخُو التَّفَضُّلِ طَالِبًا	وَأَنَا إِذَا قَبِلْتُ يَدَاكَ الْمُجْتَدِي

١ ط : العيد .

٢ ط : بفرقد .

٣ ب م : شوط .

وله من أخرى خاطبَ بها والد غلام تناول بيرةً في الحمام ، قال فيها ^١ :
ولا ظهيرَ إلاَّ فُرَيْخٌ لي رطيبُ العِظام ، لم يَقْنَأْ دمه ، ولا تَغْرِفْه ،
ولا انْعَقَدَ مُحْخَه ، ولا دعاه من الشَّبابِ شرخه ؛ فعلى هذه الحال ما وكلَّ
بي النجيبُ ابنُك - دامتْ به قُرَّةُ العين - عيناً راعية ، وبترجيبي على
علاة الحال ^٢ أذنأ واعية ، فانتاشني من ذلك المقام بيد طالت أيدي ^٣ المتطاولين
إلى ركني ، في سماء بَعْدَ على أرشية الأذرعِ هواؤه ، وقعدَ عن القائم
ماؤه ^٤ ، فوشكانُ ما استفرغ لي منه جمَّةُ المجهود ، وقربُ العدم من
الوجود ؛ وطافَ عليَّ منها بأكوابٍ كما رأيتْ مُقْلَةً المشرق في دمعها
المفرق ، وسمعتْ بجابية الشيخ العراقي تفهق ^٥ ، وطرفَ ^٦ ذلك بنبدٍ من أدبه
البارع ، كنبذ الزارع ، ولمَّح من نظمه الساطع كبرقه اللامع .

--- وأنشدتُ لعبد الرحمن ^٧ بن عبد الرزاق وزير عبد الله الأمير ^٨ - [كان
بها - من قصيدةٍ أولها] :

بِجَلِّ الطَّاعِنُونَ بالتَّسْلِيمِ فَأَعَارُوا الْجَفُونَ سُهْدَ السَّلِيمِ

١ ب م : يصف فيها قدر الحمام ، خاطب بها والد غلام ، كان له هناك حفظ وإكرام ،
يقول فيها .

٢ ب م : على ذات الحال .

٣ ب م : يد .

٤ ب م : نماؤه .

٥ من قول الأعشى (ديوانه : ١٥٠) :

نفى الذم عن آل المخلوق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

٦ ط : وظرف ؛ ب م : وظمن .

٧ بهامش ط تصحيحاً : لعبد الرحيم .

٨ ليس يتضح علاقة هذه الأبيات بالترجمة ، أو علاقة المترجم به بعبد الرحمن بن عبد الرزاق ؛
والأمير عبد الله هو عبد الله بن بلقين آخر بني زيزي في غرناطة (٤٦٩ - ٤٨٣) ولكني
لم أجِدْ ذكراً لوزيره في المصادر .

وطوى كل مطمع فيهم اليا
 ما عليهم لو ودعوا مستهاماً
 قلت يوماً وقد أتت منبت^١ البيا
 علمي القضب منك حسن التثني
 علمتها سفك الدماء كماء^٢
 أياسوا من إسعاد سعدى ومن إذ
 وله من أخرى^٣ :

صَبَّ عَلَى قَلْبِي هَوًى لَاعِجُ
 فِي شَادِنِ أَحْوَرَ مُسْتَأْنِسِ
 مَا قَدَرُ نَعْمَانَ إِذَا مَا مَشَى
 فَقَدُهُ مِنْ رَقَّةٍ مَائِسِ
 كَأَنَّ مَاءَ الْحُسْنِ فِي خَدِّهِ
 عُنْوَانُ مَا فِي ثَوْبِهِ وَجْهِهِ
 فَلَا تَقْيِسُوهُ بِبَدْرِ الدُّجَى
 وَدَبَّ فِي جِسْمِي ضَنْى دَارِجُ
 لِسَانُ تَذْكَارِي بِهِ لَاهِجُ
 وَمَا عَسَى يَبْلُغُهُ عَالِجُ ؟
 وَرَدُّهُ مِنْ ثِقَلٍ مَائِجِ
 مُدَامَةُ شَعْشَعِهَا الْمَازِجِ
 تَشَابَهُ الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ
 ذَا مُعْلَمِ الْوَجْهِ وَذَا سَادِجِ^٤

فصل في إيراد أشعار رُئي بها الوزيرُ الفقيهُ أبو مروان بن سراج^٥
 رحمه الله بحضرة قرطبة مع ما يتشبه بها ويذكر بسببها

وهي جملة قصائد لغير واحد من أهل العصر، منهم من يأتي ذكره

- ١ ط : منية .
- ٢ ط : الظليم .
- ٣ منها أربعة أبيات في مسالك الأبصار .
- ٤ ب م : ذا طرر الوجه وذا سامج .
- ٥ ترجمته في الصلة : ٣٤٦ والقلائد : ١٩٠ والخريدة : ٣٧٤ وترتيب المدارك : ٨١٦ والمغرب : ١١٥ والديباج المذهب : ١٥٧ وبنية الوعاة : ٣١٢ .

فيما بعد ، ومنهم من لم يسمَحْ بإثباتِ شعره النقد . وقد وجدتُ الكاتبَ أبا الوليد بنَ طريف^١ قد أثبتَ في جزء لطيف جُملةَ هذه القصائد ، ولم يسَلُكْ فيها أسلوبَ ناقد ، ضنّانةً منه بحظّها من التّسامي بالمؤبّن بها ، وتثبيتاً لذكر اسمه المطرّزة به حواشيها ، فنشرَ طيَّ كلَّ نسيجةٍ عن منوالها ، وأثبتها بحالها . وقد أثبتُ أنا منها ما يَلِيقُ بالكتاب ، فراراً من الاطناب ؛ وسردتُ الفصلَ الذي أدارَ أبو الوليد عليه رحاه ، وقدمته صدقةً بينَ يديّ نَجْواه .

قال أبو الوليد : وكان أبو مروان عبدُ الملك بن سراجَ قدّ العَصْرِ ، وعَلِمَ الفَخْرَ ، وبَقِيَّةَ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ ، ونُخْبَةَ أَهْلِ التَّقَدُّمِ في شَرَفِ النِّصَابِ ، وكرَمَ الأحسابِ ، ونسبُهُ في كِلابِ بنِ ربيعة ؛ أصابَ سلفه سبأٌ قديمٌ صيرهم أولاً في ولاءِ بني أُمَيَّةَ بالْمَشْرِقِ ، فكانوا في عدادِ مُقَدِّمَةِ المَوَالِي المِروانيّين ، وصدرأ في عِظَمائِهِمْ ، ثم اتصَلَتْ نَبَاهَتُهُمْ بِالْأَنْدَلُسِ بِرِثْهَا خَالِيفٌ عَنْ سَالِفٍ ، ويخلفها عن تالِدٍ طَارِفٍ ، مع صِيَانَةٍ وَعِفَّةٍ وَكَرَمِ طَعْمَةٍ ، وَعُلُوِّ نَفْسٍ وَشَرَفِ هِمَّةٍ ، وَعُدُولٍ عَنْ خِدْمَةِ السَّلْطَانِ ، وَتَنَزُّهِ عَنْ التَّصَرُّفِ فِيهَا وَالْإِمْتِهَانِ ، وَانْحِيَاشٍ إِلَى طَلَبِ الدِّيَانَةِ وَانْحِطَاطٍ فِي شَعْبِ طَرِيقَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ؛ وَيُؤَثِّرُ أَنَّ سِرَاجَ ابْنِ قُرَّةِ الْكَلَابِيِّ^٢ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ جَدُّهُمْ الَّذِي

١ هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن طريف بن سعد ، روى عن شيوخ قرطبة ومن بينهم أبو مروان ابن سراج وابن حيان ، وكان أديباً نحوياً لغوياً كاتباً بليغاً ، وهو أحد شيوخ ابن بشكوال ، وكانت وفاته سنة ٢٢٠ هـ (الصلاة : ٧٩ - ٨٠) .

٢ ذكر القاضي عياض أنه « قوة » بالواو ، وهو سراج بن قوة بن رعي بن الكاهن (ترتيب المدارك : ٨١٦) .

إليه ينتمون ، وناهيكَ بذلك شرفاً مؤثلاً ، وفخراً خالداً مؤبداً ؛ فتمسكوا بالانقباض عن التكالب^١ على الدنيا ، على أنها كانت متصدية لهم لوجنحوا إليها ، ومُعَرَّضة لهم لو أقبلوا عليها ، بل اقتصروا على مكاسبهم الطيبة وترقيح رفيع معاشهم ، من فاشي ضياعهم المنتشرة المغلة ، مُقْتَعِدِينَ غاربَ الوقارِ والتجلة ، أيامَ الصلاحِ وزمانَ الجماعة ؛ ثم استمروا على طريقتهم تلك في مُدَّةِ الفتنة وأمدِ المحنة ، عندَ تقلصِ الأموال ، وذهابِ الأحوال ، وفشوِ الاختلال ، لم يفارقوا مع تزلزلِ الأقدام ، وتقلبِ الأيام ، وذهابِ السلطان ، وتضعُّعِ الأركان ، مركزهم من الصيانة ، ولا أخلوا بكريم عادتهم من التحلي بها ، والترتبي بباهرِ رونقها ، ولا انحطوا عن رفيع مرتبتهم من نفاسة المأخذ والسيرة التي آثروها ، ولا انسلخوا من حلةِ القناعة ، إلى أن درَج من درَج منهم ، وستر التجميل ضافٍ لديه ، وظلُّ الجلالة مكتنفٌ له ومشتملٌ عليه .

ثم نشأ هذا الشيخ أبو مروان فيهم محيي [رسم] عِلْمِ اللسان بجزيرة الأندلس ومُقيم أودِه ، ومُسَدِّدُ زِيغِه ، ومُثَقِّفُ معوجِّ قناته ، وموضِّحُ مُعْضَلِه ، ومُجَلِّتِي غياهِبِ مُشْكَلِه ، وجامع مفترقِ أدواته ، وحاوي قَصَبِ السبقِ في إحرازِ بعيدِ غاياته ، وتجاوزِ أقصى نهاياته ، وأعلمُ به من كلِّ من شُدَّتْ إليه الأفتاب ، وأنضيت في طلبِ ما عنده الرِّكَّاب ؛ ولقد كان في ذلك كله آيةٌ من آياتِ الله معجزة ، وندرةٌ من ندراتِ الأيامِ معجبة ، ونوراً ساطعاً ، وجوذاً سابقاً ، مع متانةِ الدِّينِ ، وصحةِ اليقين ، وجلالةِ المأخذ ، وجزالةِ المقطع ، وصلابةِ القناة في الحقائق ، وقلةِ الإدهانِ فيها ،

١ ب م : التهاوت .

وملازمة الجدّة في جميع الأحوال ، ومشهود^١ الثقة فيما يتقلّده ، وبراعة الإيجاز فيما يلقيه ويورده ، وحُسن التّأدية ، وقُرب الإفهام ، وتذليله كلّ صَعَبِ المَرَامِ ، والتّبيين في الرّدّ والإقناع في الجواب ، وترك الجدال والمراء ، والبُعْدِ عن العُجْبِ والخِلاء ؛ لعظيم ما كانَ يحمله ، وجليل ما يتخلّله ، وخطير ما يشتملُ عليه صدره ، ويحشُّ به بجره ، ويسخو به ذكره ، وتفيضُ به مَوَادُّ مَعْرِفَتِهِ ، وتنهلُ به أَهَاضِيبُ عِلْمِهِ ، وتسحُّ به شَائِبِ إحاطته ، ثم لا يزالُ مع ذلك دهره يعترفُ بالتّقصير ، ويتسبُّ إلى التّعذير ، ويعلمُ أنَّ الإحاطةَ مُعْجِزةٌ ، وأنَّ محاولتها معوزةٌ . سبق بهذه الخلال الحميدة مَنْ سَلَفَ ، وأَيَسَّ^٢ بإدراك بعضها من خَلَفَ ، لم ير قبله مثله ، ولا يرى بعده ، والله أعلم . وأحيا كثيراً من الدّواوين الشهيرة الخطيرة ، التي أحالتها الرّواة الذين لم تكملْ لهم الأداة ، ولا استُجْمِعَتْ لديهم تلك المعارف والآلات ، واستدرك فيها أشياء من سَقَطَ واضعها ، ووهم مؤلفيها ، ككتاب البارِعِ لأبي عليٍّ البغدادي ، وشرح غريب الحديث للخطّابي وقاسم بن ثابت السَّرْقُسْطِي ، وكتاب أبيات المعاني^٣ للقُتَيْبِي ، وكتاب النّبات لأبي حنيفة وكتاب الأمثال للأصبهاني وغير ذلك من كتب الحديث وتفسير القرآن^٤ ، مما لم يحضرنِي ذكره ، ولم يمكن حصره ، إذ كانت قبل فتحها عليه ، وإصلاحها بين يديه : طامسة الأعلام ، مُخْتَلَةٌ النّظام ، وقد سدَّ التّصحيفُ طُرُقَهَا ، وعوّرَ التّبديل نَسَقَهَا ، ففتحَ

١ ب م : ومشهور .

٢ ب م : وأيس .

٣ ب م : وكتاب المعاني .

٤ ط : وغير ذلك من الكتب .

مُسْتَعْلَقَتَهَا ، وَنَظَّمَ مُفْتَرَقَهَا ، وَعَانَى خَلْلَهَا ، وَأَزَاحَ عِلْلَهَا ، وَقَيَّدَ مَهْمَلَهَا ،
وَأَبْرَزَ مَحَاسِنَهَا ، وَأَثَارَ كَمَائِنَهَا ، وَأَعْتَقَهَا مِنْ هَجْنَةِ التَّعْطِيلِ فَرِغَ
فِي اسْتِعْمَالِهَا ، وَأَطْلَقَهَا مِنْ رِبْقَةِ الْخُمُولِ فَحَرَّصَ عَلَى حَمْلِهَا وَانْتِحَالِهَا ،
فَلَوْ رَأَى ذَلِكَ الْوَاضِعُونَ لَهَا وَشَاهِدُوهُ لَسَلِمُوا لَهُ وَأَذْعَنُوا ، وَصَرَحُوا بِفَضْلِ
شَفَوْفِهِ عَلَيْهِمْ وَأَعْلَنُوا .

وَلَقَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ بِذَهَابِهِ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَأَطْفَأَ بَوَاقِيَهُ سِرَاجًا مُنِيرًا .
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِثَمَانِ خُلُونٍ^١ لَدَى الْحُجَّةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ
وَأَرْبَعِمِائَةٍ^٢ ، وَمَوْلَدُهُ كَانَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ لِاثْنَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْهُ سَنَةُ
سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ^٣ وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي اعْتِلَاءِ سَنَتِهِ حَسَنَ الْبَنِيَةِ ، مَمْتَعًا بِمَحَاسِنِهِ
وَتَوَقَّدَ ذَهَنُهُ وَسُرْعَةً خَاطِرُهُ ، يَقْرَأُ دَقِيقَ الْخَطِّ ، وَيُثَابِرُ عَلَى الْمَطَالَعَةِ
وَيَدَأْبُ عَلَيْهَا ، وَلَا يُخْلِلُ بِحَظِّهِ مِنْهَا ، وَيُقْرَأُ عَلَيْهِ مُسْتَغْلَقُ الْكُتُبِ ،
وَعُوبِصُ الْمَعَانِي وَغَامِضُهَا ، فَيَنْكُرُ وَهْمَ الْقَارِئِ وَيُحَسِّنُ الرَّدَّ عَلَيْهِ ؛ خَتَمَ
اللَّهُ بِهِ عِلْمَ اللِّسَانِ ، كَمَا خَتَمَ بِهِ وَبِأَيِّهِ قَبْلَهُ أَفْضَلَ أَهْلَ الزَّمَانِ . وَدَفَنَ
عَصْرَ السَّبْتِ التَّاسِعِ^٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ الْمُؤَرَّخِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنَهُ الْوَزِيرُ
الْفَقِيهَ أَبُو الْحُسَيْنِ سِرَاجُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، تَالِيَهُ فِي الْفَضْلِ وَكَرَّمَ الْخِلَالَ مَعَ
سِرِّي الْخِصَالِ ، وَحَازَ مِيرَاثَ مَفَاخِرِهِ الْجُمَةِ . وَكَانَ يَوْمُهُ حَافِلًا مَشْهُودًا ،
وَالْأَسَفُ فِي الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ عَلَيْهِ شَدِيدًا ، وَالثَّنَاءُ حَمِيدًا ، وَتَنَاضَتْ لُحْمَةُ
أَهْلِ الْأَدَبِ مِنَ الْآخِذِينَ عَنْهُ وَالْمُقْتَبِسِينَ مِنْهُ وَغَيْرِهِمْ فِي تَأْيِينِهِ وَرِثَائِهِ ،

١ ط : لثلاث خلون ؛ وعند ابن بشكوال : ليلة عرفة .

٢ ب م : سنة خمسماية .

٣ في الصلة : سنة أربعماية .

٤ ط : الرابع .

فأكثروا وأجادوا ، وأبدؤا وأعادوا ؛ منهم الشيخ الفقيه أبو بكر بن خازم^١ وبقية الأعيان - كان - في ذلك الأوان من أهل قرطبة وذوي السوابق النسيبة فيهم ، رثاه بقصيدة أولها^٢ :

ألم تر أن الموت نادى فاسمعا فأنت جدير أن تشيب وتجزعا

.....

ولما فشا بين البرية نعيه أصمَّ به الناعي وإن كان اسمعا
ومما شجاني أنني إذ سمعته تمنيت أن نسقى كؤوس الردى معا
فقطعت قلبي ثم سأل بدمعي فيالك دمعاً من فؤادٍ تقطعا !

ومعنى هذا البيت الأخير مشهور ، وقد اندرج منه في تضاعيف هذا التصنيف كثير ، ومنه قول ابن دريد^٣ :

قلبٌ تقطّع فاستحال نجيعا وجرى فصار مع الدموع دموعا

رجع :

فيا طالباً للعلم لا تطلبته بطي الثرى قد غادروا العلم أجمعا
أبعد أبي مروان تبصرُ عالماً نبيها لأنواع العلوم مجمعا ؟
إذا ما احتبى في مجلس العلم أنصتوا له وأتى بالمعجزات فأبدعا
وما كان إلا الغيث عم بنفعه إلا أنام فلما عم بالري أقلعا

١ ط : ابن خازم ؛ وهو خازم بن محمد بن خازم (٤١٠ - ٤٩٦) قرطبي غلب عليه الأدب وكان له تصرف في اللغة ولكنه لم يكن بالضابط لما رواه (الصلة : ١٧٨) .

٢ ط : قال فيها ..

٣ ديوان ابن دريد : ٣٩ (ط . تونس) .

ومنهم الأديب أبو جعفر أحمد بن عبد الله المعروف بابن شانجه^١ الوكيد
الاختصاص به وال لزوم له ، والأخذ عنه . رثاه يومئذ بقصيد يقول فيه :

نعي علم الهدى والعلم ناعٍ فأودى ما تضمنته الصدورُ
سيعلم من نعاه لنا بأنّا وجدنا الفضل ناعيه كثير
يقول القائلون حواه لحدّ تجسم دونه كرمٍ وخير
ولا والله ما وارثك أرضٌ وسرّوك فوقها أبداً يسيرُ

ومنهم الوزير الفقيه النبيه أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكّي بن
أبي طالب القيسني^٢ أحد أعيان وقته ذكاء ونُبلاً ، وسرواً كاملاً
وفضلاً ، أبنه بقصيدة أولها :

انظر إلى الأطواد كيف تزولُ والحالة العليا كيف تحولُ
الموت حتمٌ والنفوس دائعُ والعيش نومٌ^٣ والمُنى تضليلُ
لا يعصمُ العصماء منه شاهرُ صعبٌ ولا الوردُ السبّنتي غيلُ
يرمي فما تشوي الرميّة نبله فيصأبُ تنبالٌ بها ونبيلُ
يهوى الفتى طول البقاء مؤملاً وله رحيلٌ ليس عنه قُفولُ
يلهو ويلعب مُطمئنّاً ذاهلاً وله رسيمٌ نحوها وذميلُ

١ صحب أبا مروان ابن سراج مدة أربعين عاماً ، وكان من أهل المعرفة بالآداب ومعاني الأشعار
وكان عمر الأخذ نكد الخلق ، وتوفي سنة ٥١٤ (الصلة : ٧٧ - ٧٨) .

٢ جده مكّي بن أبي طالب هو المقرئ المشهور ؛ أما هو فكان شيخ ابن بشكوال ، صحبه خمسة
عشر عاماً ، وكان عالماً باللغات والآداب ضابطاً ، جماعة للكتب في هذا الشأن ، وتوفي
سنة ٥٣٥ (الصلة : ١٢٩ والمغرب ١ : ١٠٨ وانباء الرواة ١ : ٢٦٧ وبغية الملتبس
رقم : ٦١٧) .

٣ ب م : خلس .

٤ ب م : منه .

ومنها :

أودى سراجُ المجدِ وابنُ سراجِهِ فليَنورِ شمسِ المَكْرُماتِ أَفولُ
لو كانَ عِلْمُ الدينِ يَبكي مِيتاً لبكى الحَديثُ عليه والتَّزِيلُ
كَمُ من حَدِيثِ النَّبِيِّ أَبانَهُ فبدَتْ له غُرُرُ بُرَى وَحُجُولُ
كَم مُصْعَبٍ في النُّحُورِ ارضِ جِماحِهِ حتى غَدَا والصَّعْبُ مِنْهُ ذَلُولُ
أَدْنَى إلى الأفهامِ نائِيَّ عِلْمِها حتى تساوى عَالَمٌ وَجَهُولُ
طَبٌّ بأدواءِ الكلامِ مُلَقِّنٌ سَهْمٌ على عَوْرَاتِهِ مَدْلُولُ

قوله : « انظرُ إلى الأطوادِ كيف تَزُولُ » مَعْنَى مَنقُول ، ومنه قولُ ابنِ بَسَّامِ البَغدادِيِّ ٢ :

قد استوى النَّاسُ وماتَ الكَمالُ وقال صرْفُ الدَّهْرِ أينَ الرِّجالُ
هذا أبو القاسمِ في نَعشِهِ قوموا انظروا كيف تَزُولُ الجبالُ
وقال ابنُ الرُّومِيِّ :

مَنْ لم يُعَينِ سِيرَ نَعشِ مُحَمَّدٍ لم يَدِرِ كيف تُسِيرُ الأَجبالُ
وقال الرُّضِيُّ يرثي الصَّاحِبَ ٣ :

أَكْذا المَنونُ تُقَطَّرُ الأَبطالُ وكذا الزَّمانُ يَضَعُضُ الأَجبالُ ؟
جَبَلٌ تَسَنَّمَتِ البِلادُ هَضابَهُ حتى إذا مَلَأَ الأقالِمَ زالا

١ ب م : به .

٢ ابن خلكان ٣ : ٢١٤ ، ٥ : ٣١ ونسبها لابن المعتز .

٣ ديوان الرضي ٢ : ٢٠١ .

وقال أبو محمد الصَّقَلِيّ للمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ١ :

ولما رحلتُمُ بالندي في أكفكم وقلقلَ رضى منكم وثبيرُ
رَفَعْتُ لساني بالقيامةِ قد دَنَتْ فهذي الجبالُ الراسياتُ تسيرُ

وقوله: «يهوى الفتى طولَ البقاء»... البيت مع الذي بعده ، من المعاني المتداولة أيضاً ، وقد تفرقت ٢ في أثناء هذا الكتاب .

ومنهم الوزيرُ الكاتبُ أبو محمد عبدُ المجيد بن عبدُون ٣ أحدُ الزُعماء في صناعة الشعرِ والنثرِ ، وثبوتُ القدمِ في الأدبِ ، أبتهُ أيضاً بقصيدةٍ فريدةٍ أولها :

الحكمُ حَكَمَكَ في القاري وفي البادي	ما منك يا موتَ لا واقٍ ولا فادي
عليكَ يا مورِدَ الحادي على الهادي	قدَمُ أناساً وأخرَ آخرينَ فلا
فصبِحُ شيبَكَ في أفقِ النهى بادي	يا نائمَ الفكرِ في ليلِ الشبابِ أفقُ
فألقِ سمعَكَ واستجمعِ لإيرادي	سلي عن الدهرِ تسألُ غيرَ إمتعةٍ
على جديسٍ ولا طسمٍ ولا عادٍ	نعم هوَ الدهرُ ما أبقتَ غوائلهُ
بآلِ مَامةٍ من بيضاءِ سِنَدادٍ	أَلقتَ عصاهُ بنادي مأربٍ ورمتَ
وعبدتَ للرزايا آلَ عَبَّادٍ	وأسلمتَ للمنايا آلَ مَساحمةٍ
منها تُصرَعُ أضداداً بأضدادٍ	ما لليالي أقالَ اللهُ عثرتنا
بعودٍ طَلَحَ وأسيافاً بأغمارٍ	فلتَ قنا سمهرٍ شلتَ أناملُها

١ ديوان ابن حمديس : ٢٦٩ .

٢ ط : تصرفت .

٣ ترجمته في القمم الثاني من الذخيرة .

فَعَوَّضْتَ مِنْ حُسَيْنٍ الْخَيْرِ أَوْ حَسَنٍ
بُعْدًا لِيَوْمِكَ يَا نَوْرَ الْعَلَاءِ وَلَا
لَهْفِي عَلَيْكَ خَبَا فِيهِ سَنَّاكَ وَمَا
لَأَشْمَسَ قَبْلَكَ زَادَتْ^١ بِالْغُرُوبِ سَنًا
أُطْلَعْتَ ذَكَرَكَ لَمَّا غَبَتْ وَابْنُكَ فِي
لَمَّا مَلَأَتْ دَلَاءَ الْمَآثِرَاتِ إِلَى
وَطَبَّقَتْ بِكَ أَفَاقَ الْعُلَا هِمَمٌ
غَضَّتْ عَنَانَكَ أَيْدِي الدَّهْرِ نَاسِخَةٌ
لَا دَرَّةٌ دُرٌّ لِيَالٍ غَوَّرْتَكَ وَلَا
فَمَا سَمِعْنَا بِبَحْرِ غَاضٍ فِي جَدَّتِ
وَلَا بَطُودَ رَسَا تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا
أَعْجُوبَةٌ قَصَّرَتْ مِنْ خَطْوِكَ حَجَى
لَقَدْ هَوَتْ مِنْكَ خَانَتَهَا قَوَادِمُهَا
وَمُقَرَّمٍ كَانَ يَحْمِي شَوْلَ قَرِطَبَةٍ

ومنها :

مَنْ لِلْعُلُومِ إِذَا مَا ضَلَّ نَاشِدُهَا
مَنْ لِلْحَدِيثِ إِذَا مَا ضَاقَ حَامِلُهُ

بِالْأَرْقَطِ ابْنَ أَبِيهِ أَوْ بَعْبَادٍ
شَجَا بِمَوْتٍ وَلَا سَلَى بِمِيلَادٍ
خَبَا وَلَكِنَّهَا شَكْوَى عَلَى الْعَادِي
وَاسْتَأْنَفَتْ نَشْرًا^٢ أَنْوَارٍ وَأُورَادٍ
أَفَقَ الْعُلَا نِيرَ هَدْيٍ وَإِرْشَادٍ
أَكْرَاهَا وَاحْتَبَى فِي حِلْمِكَ النَّادِي
زَانَتْ مَطَالَعَ آبَاءٍ وَأَجْدَادٍ
عِلْمًا يَجْهَلُ وَإِصْلَاحًا بِإِفْسَادٍ
سَقَى صِدَاهَا غَرِيضُ الرَّائِحِ الْغَادِي
وَكَانَ مِيلَ الرَّبَى^٣ يَرْمِي بِأَزْبَادٍ
عَلَى السَّهْلِ حَمَلُوهُ فَوْقَ أَعْوَادٍ
فَلَمْ يَكُنْ فِي قُوَى مِنْهَا وَلَا آدٍ
بِكُوكِبٍ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ وَقَادٍ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا بَلَّ شَوْلَ بَغْدَادٍ

فِي ظُلْمَةِ الشَّكِّ بَعْدَ النَّيْرِ الْهَادِي ؟
ذَبْرَعًا بَتْنٍ وَإِضْاحٍ وَإِسْنَادٍ ؟

١ ط : وارت .

٢ ط : نشأ ، وسقطت من م .

٣ ب م : الملا .

٤ ب م : منه .

من للتلاوة أو من للرواية أو من للبلاغة بعد العاد والبادي ؟
شق العلوم نظاماً والعلا زهراً ثمين ما بين رؤاد ووراد
مضى فله ما أبقت وما أخذت أيدي الليالي من المفدي والفادي !

وهذه القصيدة طويلة سلك فيها أبو محمد طريقته في الرثاء ، إلى
الإشارة والإيماء ، بمن أباده الحدثان من ملوك الزمان ، وقد نسق ذكرهم
على توالي أزمانهم في قصيدة [اندرج له كثير من البديع فيها] ، هي ثابتة
في أخباره في القسم الثاني من هذا المجموع . واقتفى أبو محمد أثر فحول
القدماء ، من ضربهم الأمثال في التأين والرثاء ، بالملوك الأعزة ، وبالوعول
المتنعة في قلل الجبال ، والأسود الخادرة في الغياض ، وبالنتسور والعقبان
والحيات في طول الأعمار ، وغير ذلك مما هو في أشعارهم موجود ،
فأما المحدثون فهم إلى غير ذلك أميل ، وربما جروا أيضاً على السنن الأولى .

وممن رثاه يومئذ الكاتب أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن طريف
أحد كتاب العصر ، وفرسان النظم والنثر ، رثاه بقصيدة أولها :

يُبيحُ الحمامُ متبَعِ الحجابِ ويسري إلى المرءِ من غيرِ بابِ
ولم أرَ أنفَدَ من سهمه وأفوزَ من قِدْحِهِ بالغِلابِ
ألم تَرَهُ كيفَ هدَّ الهُدَى وأصمى العُلا بألِيمِ المُصابِ ؟

ومنها :

فمَنَ لخفايا حديثِ الرِّسُولِ ومن لغوامضِ علمِ الكتابِ ؟
ومن ذا يروِّي ظمَاءَ العقولِ ويشحِّدُ البابهَنَ النِّوابي ؟

١ ب م : القوى .

فلهني عليه وإن كان لهني قليل الغزاء ضعيف المتأب
إذا عادني عيدٌ تذكاره أجدّ أسي لم يكن في الحساب
وإن جمّد الدّمع في ناظري مددت قواه بقلبٍ مُذاب
فلا شيء أعجب من يومه برؤية ثلّان بين الرقاب
عزاء سراج العلّا فالجميع قليل البقاء سريع الذّهاب

ومنهـم الوزير الكاتب أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين الكاتب
المشرف أبي مروان بن عبـله العزيز^٢ المقدّم في نبـله^٣ على تأخـر سنـه ،
رثاه أولاً بقصيدة أولها :

هل فوجئت بمصابٍ قبله العربُ أو أسقطت لِمُلم غيرِه الشهبُ ؟

ومنها :

ما كنت أحسب أن الموتَ معترضٌ ذاك الجلالَ ولما ينته الرهبُ
مَن لا تَمُرُّ عليه الشمسُ طالعةً إلّا وعرينُها من نعلِه ترِبُ
إذا تطلّع في ناديه محتبياً لم يأتِه الدّهرُ إلّا وهو مُنتقِبُ
يا طالبَ العلم لا ترحل فقد رديتُ بك المهارى وجفّ الماءُ والعُشْبُ
فيم الذّميلُ وحثّ السيرُ منتجياً وأين يُبلغك التقريبُ والحبيبُ
ضلّك سبيلك لا دأد ولا عَلمُ وغاض شربك لا وردٌ ولا قَرَبُ
يا فاصلَ الخطّةِ الشنعاءِ قد عوّصتُ نعيّا بها الخطباءُ اللّسنُ والخطبُ

١ ب م : فوق .

٢ ترد ترجمته في القسم الثاني من الذخيرة .

٣ ط : المتقدم بنبله .

إن الخُصومَ قد اصطككت مرافقها^١ فخلّ بينهم حكماً فقد شغبوا
 قلها لدى الحفل تمضي إنَّ مبلغها طودَ العلّا زعزعتك النائباتُ وما
 ما مات من خلّدت فينا^٢ ماثره لولا سراج وفي وجدانه عيوض^٣
 [فإن تغلّل بأيدينا صوارمنا لم تعن^٤ إلّا^٥ وأطرافُ القناسِ سلب]

ومنهم الفقيهُ الأديبُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ محمدٍ القرشيُّ المرواني
 الناصريُّ ، عينُ أهلِ بيته الخطيرةُ ، وأحدُ شهبها المنيرةُ ، رثاه أيضاً
 بقصيدة أولها :

رَمَتْهُ الرّزايا عن قسيّ خطوبها بسهمٍ فأتيا فوقتَ نحوه أيا ؟
 فيا عَجَباً أنّي طواه ضريحه وقد كان يطوي الدهرَ من نشره طياً
 فثُلّ ذرا عرشِ العلّا وتناثرتْ نجومُ المعالي من مراتبها وهيا
 وكم آيةٍ للدينِ بينَ شرحها ولم يعترفها عن جوابٍ ولا فُتيا
 وكم مُصعبٍ في النحوِ راضٍ جماحه فعاد ذلولاً بعدَ ما كان قد أعيّا
 وكم مِن حديثٍ للنبيّ أبانته وألبسه من حُسْنِ منطِقِهِ وشيا

١ ب م : اصطفت مواقفها .

٢ ط : فيها .

٣ ط : تفنى .

٤ هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن حكم بن سليمان بن الناصر
 الأموي ، ويعرف بالأحمر ، تتلمذ على أبي مروان ابن سراج وكان حافظاً للفقهِ متفتناً
 في المعارف ، توفي سنة ٥٤٢ هـ (الصلة : ٥٥٧) .

٥ ب م : أبته قصيدة يقول فيها .

ومنهم الأديبُ النَّبِيلُ أبو العباس أحمد بن محمد الكِنَافِي أحدُ تلامذته
الآخِذِينَ عنه ، رثاه أيضاً بقصيدة أولها :

رُزءٌ تَطَلَّبْتُ فِيهِ الصَّبْرَ فامتنعاً ورمْتُ دَمْعِي عَلَى التَّسْكِينِ فاندفعاً

قال فيها :

حديثٌ صدقَ نَعْيُ النَّاعِي إِلَى ضُحَى فزَعْتُ فِيهِ إِلَى التَّكْذِيبِ حِينَ نَعَى
صَبْرًا سَرَّاجٌ فَمَا يُبْقِي الرَّدَى أَحَدًا كُلُّ سَيْجَرٍ عُهُ مِّنْ كَأْسِهِ جُرْعًا
أَقُولُ صَبْرًا كَأَنِّي غَيْرُ مُكْتَرَبٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَا مُوجَعَانِ مَعَا

إلى غيرها من قصائد طويلة قليلة الطائل أثبتتها أبو الوليد المذكور بحملتها ،
لم يتسع هذا المجموع لاستيفائها^١ ، وفيما مر منها كفاية .

وأكثر من أثبتته في ذلك اليوم أطال في مدح ابنه ، وليس من عادة
أئمة الشعراء المُقْتَدِي بهم الاكثار من مدح المعزى في تأبين حميمه
المتوفى ، وإنما يُلمنون به إلاماً بعد التوفر على نُدْبَةِ مِيتِهِ والإشباع في
ذِكْر ما فُقِدَ من خصاله ، ثم الكَرَّرَ على تَسْكِينِ جَأْشِهِ ، وَحَضَّه على
التعزى اتقاءً لربه ، هذه طريقة فحول^٢ الشعراء .

والوزيرُ الفقيه أبو الحسين^٣ ابنه المخاطب يومئذٍ بهذه الأشعار هو سِرَّاجُ

١ ب م : وليس هذا المجموع لاستقصائها .

٢ ط : قدما .

٣ ترجمة أبي الحسين سراج بن عبد الملك في الصلة : ٢٢٢ والمغرب : ١ : ١١٦ والقلائد :

٢٠٢ وأخبار وتراجم أندلسية : ١٣٢ والديباج المذهب : ١٢٦ وترتيب المدارك : ٨١٥ : ٤

والحريرة : ٢ : ٨٤ والمطرب : ١٢٣ والمسالك : ١١ : ١٤ ومعجم الأدباء : ١١ : ١٨١

وبغية الوعاة : ٢٥١ .

ابن عبد الملك بن سراج ، اسمٌ وافقَ مُسمّاه ، ولفظٌ طابقَ معناه ، فإنه سراجُ علمٍ وأدب ، وبحرُ لغةٍ لسانِ العرب ، وإليه في وقتنا هذا بحضرةِ قرطبةٍ شدُّ الأفتاب ، وإنضاءُ الرّكّاب ، في الاقتباسِ منه ، ثم إنّه في هذا الفنّ الذي نحن في إقامةِ أوّده ، زمامهُ وخطامهُ في يده ، ولننظّمه ونثره ديباجةً رائقةً ، وهو القائلُ^١ :

لَمَّا تَمَكَّنَ مِنْ فَوَادِي مَنَزَلًا وَغَدَا يُسَلِّطُ مُقَاتِيهِ عَلَيْهِ
نَادَيْتُهُ مَسْتَرْحِمًا مِنْ عِبْرَةٍ أَفْضَتُ بِأَسْرَارِ الضَّمِيرِ^٢ إِلَيْهِ
رِفْقًا بِمَنْزِلِكَ الَّذِي تَحْتَلُّهُ يَا مَنْ يُخْرَبُ بَيْتَهُ بِيَدَيْهِ !

وهذا البيتُ الأخيرُ منها كقولِ التّهامي^٣ :

حَرَقْتُ سِوَى قَلْبِي وَدَعُهُ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ وَأَنْتَ فِي سُودَائِهِ

وأنشدتُ أيضاً لبعضِ أهلِ العصر :

فَقُلْتُ لَهُ لَا تَرْمِ قَلْبِي فَإِنَّهُ مَكَانُكَ وَالْمَرْمِيُّ أَنْتَ وَلَا تَدْرِي

وقال أبو الوليد بنُ حَزْمُ^٤ :

أَذْكَيْتَ فِي قَلْبِي بِنَايِكَ لَوْعَةً حَتَّى خَشِيتُ عَلَى مَحَلِّكَ فِيهِ

وفي قريبٍ منه قولُ ابنِ شَرَفٍ :

عَجِبْتُ مِنْهُ وَأَحْشَاثِي مَنَازِلَهُ كَيْفَ اسْتَقَرَّ بِهَا مِنْ كَثَرَةِ الْقَلَقِ

١ وردت الأبيات في المغرب والحريدة والمسالك والسلفي .

٢ ب م : الدموع .

٣ ديوان التهامي : ٨٩ .

٤ ترد ترجمته في القسم الثاني من الذخيرة .

وقلبَ هذا المعنى بعضُ فتيانٍ وقتنا وهو الأديبُ أبو بكر بنُ بقيّ فقال^١ :

أبعدته عن أضلُعٍ تشتاقه كي لا ينامَ على وِسَادٍ خافقٍ

وبلغني أنه خرجَ مع بعض إخوانه إلى بعض البساتين ، فعارَ فرَسُ^٢
أحدهم فاتبعه صاحبه وساعده أبو الحسين ، وتخلّفَ عنهما^٣ أبو الحسن بنُ
اليسع^٤ ، وأكبَّ على راحه هنالك ، فكتب إليه أبو الحسين ابن سراج^٥ :

عَمَرِي أبا حَسَنٍ لَقَدْ جِئْتَ الَّتِي عَطَفَتْ عَلَيْكَ مَلَامَةَ الْإِخْوَانِ
لَمَّا رَأَيْتَ الْيَوْمَ وَلَتَى عَمْرُهُ وَاللَّيْلُ مُقْتَبِلُ الشَّيْبَةِ دَانِي
وَالشَّمْسُ تُنْفَضُ زَعْفَرَانًا فِي الرَّبَى وَتَفْتُ مَسْكَتَهَا عَلَى الْغِيْطَانِ
أَطْلَعَتْهَا شَمْسًا وَأَنْتَ عُطَارِدُ وَحَفَفَتْهَا بِكَوَاكِبِ النَّدَمَانِ
فَأَتَيْتَ بَدْعًا فِي الْأَنَامِ مُخْتَلِدًا فِيمَا قَرَنْتَ وَلَاتَ حِينَ قِرَانِ
وَلَهَيْتَ عَنِ خَلْتِي صَفَاءٍ لَمْ يَكُنْ يُلْهِيهُمَا عَنْكَ اقْتِبَالُ زَمَانِ
غَنِيَا بِذِكْرِكَ عَنْ رَحِيقِ سُلْسُلٍ وَحْدَائِقِ خَضِرٍ وَعِزْفِ قِيَانِ
وَرَضِيَتْ فِي دَفْعِ الْمَلَامَةِ أَنْ تُرَى مُتَعَلِّقًا بِالْعَذْرِ مِنْ حَسَنَانِ

وهذا رواء الديباج الحسرواني ، ورونقُ العَصْبِ اليماني ، ولمثله فلتنشرح

١ من أبيات له سائرة ، انظر الحريدة ٢ : ٢٣٧ وابن خلكان ٦ : ٢٠٣ والمطرب : ١٩٨
والمغرب ٢ : ١٩ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢١ والنفع ٣ : ٢٠٩ ، ٤ : ١٥٥ ، ٢٣٧
وسترد ترجمة ابن بقي والأبيات في القسم الثاني من الذخيرة .

٢ ط : عنه .

٣ أبو الحسن بن اليسع : أخباره في الحلة السيرة ٢ : ١٧٢ - ١٧٦ والمغرب ٢ : ٨٧ ،
٢٤٨ والقلائد : ١٦٧ .

٤ ط : فارتجل أبو الحسين ؛ وانظر الحلة : ١٧٣ .

الصدور ، ويتشوّف السرور ، ويدعن المنظوم والمنثور ، ألا ترى ما آتقَ استعاراته ، وأرشقَ إشاراته ، وأقدره على الإتيان بالتشبيه دون أداته ، وكذلك طبعه في سائر مقطعاته .

على أن أشعار العلماء على قديم الدهر وحديثه بينة التكلف ، وشعرهم الذي روي لهم ضعيف ، حاشا طائفة^١ ، منهم خلف الأحمر ، فإن له ما يستندر ، وقطر^٢ له أيضاً ما يستغرب ، كقوله وقد رويت لغيره :

إن كنتَ لستَ معي فالذكر منكَ معي يرءاك قلبي وإن غيبتَ عن بصري
فالعينُ تبصرُ مَنْ تهوى وتفقدُهُ وناظرُ القلبِ لا يخاو من النظر

والخليل بن أحمد ، له أيضاً بعض ما يحمد ، ومؤرج السدوسي ، وابن دُرَيْدٍ من الشعراء العلماء ؛ وكذلك من علماء البصرة أبو محمد اليزيدي^٣ وبنوه ، وهو القائل في حمويه ابن أخت الحسن الحاجب^٤ :

إن فخرَ الناسُ بآبائهم أتيتهم بالعجبِ العاجِبِ
قلتَ وأدغمتَ أباً خاملاً^٥ أنا ابنُ أختِ الحسنِ الحاجبِ

١ هو أبو علي محمد بن المستنير أحد تلامذة سيويه (توفي سنة ٢٠٦) انظر نور القيس :

١٧٤ وفيه نماذج من شعره ، وانباء الرواة ٣ : ٢١٩ وفي الحاشية ثبت بمصادر ترجمته .

٢ أبو محمد اليزيدي : يحيى بن المبارك بن المنيرة العدوي (٢٠٢) . ترجم له ابن خلكان

٦ : ١٨٣ (وفي الحاشية بيان بمصادر ترجمته) وانظر مجموعة من شعره في نور القيس :

٨٠ - ٨٧ ؛ وقد قام الدكتور محسن غياض بجمع شعر اليزيديين (بغداد ١٩٧٣) .

٣ انظر شعر اليزيديين : ٣٤ .

٤ ط : جاهلا .

ومن هذا أخذ دعبل^١ قوله :

سألته مَنْ أبوه فقال دينارٌ خالي
فقلت دينارٌ من هو فقال والي الجبالِ

وابنُ مُناذِرٍ أيضاً عالمٌ شاعرٌ ، وأبو محلم السَّعدي^٢ ، وهو الذي يقول :

تصيحُ لكسرى حين تسمعُ ذكره بصمَاءٍ عن ذِكْرِ النَّبِيِّ صَدُوفٍ
وتغرقُ في إطرَاءِ ساسانَ وابنه وما أنتَ مِن أعلامِهِمْ بشريفٍ

ومن العلماء الشعراء أحمدُ بنُ أبي كامل وهو القائل :

لا أرى فيما أرى شبيهاً لكَ غيرَ البدرِ في الظَّلَمِ
غيرَ أنَ البدرَ ليسَ له لحظةٌ تدعو إلى السَّقَمِ

ومن الرواة الأخباريتين محمدٌ العتيبي^٣ ودو القائل :

رأى الغواني الشيب لاح بمفرقي فأعرضن عني بالحدود النواضر

١ ديوان دعبل : ١٣٦ .

٢ اسمه محمد بن سعد (ويقال هشام) بن عون السعدي ، وكان يسمى بمحمد ومرة بأحمد وكنيته أغلب عليه ، وكان أعرابياً يفخم كلامه ويعرب منطقته ، توفي سنة ٢٤٨ (الفهرست

٤٨ وانباء الرواة ٤ : ١٦٧) . وفي ب م ط : ابن محلم .

٣ هو محمد بن عبيد الله بن عمرو : أموي النسبة ، بصري ، وكان يروي الأخبار وأيام العرب ، وكان مستهتراً بالشراب ويقول الشعر في عتبة فعرف بالعتبي ، توفي سنة ٢٢٨ .

(انظر ابن خلكان ٤ : ٣٩٨ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى) .

الآيات .

هؤلاء أعيانُ العلماء الشعراء بالمشرق ، ممن علا شعرهم ديباجة ورونتي ، فأما من سواهم كيونس^١ والأخفش^٢ وأبي عمرو بن العلاء وسيبويه والفراء وسائر أصحابهم فأكثرُ الرواة لم يسمع لهم بشعر ، والكسائي^٣ الذي يقول : « إنما النحو قياسٌ يتبع » له شعرٌ ضعيف ، يبينُ التكليف . فأما أبو عبيدة فله شعر يضحك ، لا سيما قوله في ابن أخي يونس النحوي ، وكان يُسمّى خُرْكَ^٤ ، لم أرَ أن أكونَ من رُوَاتِهِ إذ هو معدودٌ في هناته .

وللأصمعيّ قصيدةٌ في بني برمك أكثرَ فيها من الغريب ، وما أتى بغريب ؛ وكذلك من علماء الكوفة جماعةٌ مثلُ خالد بن كلثوم ، وأبي عمرو الشيباني ، وابنِ الأعرابي وأصحابهم ، زعم ابنُ المنجم أنه لم يسمع لهم بشعر .

وأما العلماءُ الشعراء بأفئتنا هذا الأندلسي من حين استفتحت^٥ الجزيرة إلى آخر دولة بني عامر^٦ ، فقد تقدّم المصنفون قبلي إلى تدوين نثرهم ونظمهم ، فأغنائي عن ذكرهم ، وإنما شرّطتُ ذكرَ أهلِ عصري ممن شاهدته بعُمرِي ، أو لحِقَه بعض أهلِ دهري .

١ في النسخ ابن ليونس . . . جرك ؛ والتصويب عن نور القبس : ١١٤ وانباء الرواة

٢ : ٢٨٢ ، وورد شعر أبي عبيدة فيهما .

٣ ب م : افتتاح .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي مروان عبد الملك بن محمد بن شماغ^١، وإيراد جملة من نظمه ونثره ، مع ما يتعلق به ويذكر بسببه

وأبو مروان هذا أحد من شافهته^٢ وذاكرته^٣ ، وأنشدني شعره ، وكان باهر الضوء، صادق النوء، ينفثُ بالسحر، في عقْد النظم والنثر، ويوفي على أنواع البديع، إيفاء نيسان على محاسن فصل الربيع، إلى علم أعذب من الماء ، وأكثر من حصي الدَّهْناء، وفهم أذكى من الشمس، وأجرى من النفس في النفس ؛ ولولا أنه اختضر ، لبهر الشمس والقمر ، كما أعجز من نظم ونثر ، وسبق أكثر من تقدم وتأخر^٤ ، وقد أجريت من نظمه ونثره ، ما يُشيدُ باسمه ، ويدلُّ على سعةِ علمه .

فمن ذلك رُقعة خاطب بها الفقيه قاضي الجماعة^٥ أبا عبد الله بن حمدين ، افتتحها متمثلاً بهذه الأبيات^٦ :

لما وَضَعْتُ صَحِيفَتِي فِي بَطْنِ كَفِّ رَسُولِهَا
قَبَّلْتُهَا لَتَمَسَّهَا يُمْنَاكَ عِنْدَ وَصُولِهَا
وَتَوَدَّ عَيْنِي أَنَّهَا تَرَكْتُ بَعْضَ فصولِهَا
حَتَّى تَرَى مِنْ وَجْهِكَ الـ حَيْمُونَ غَايَةَ سَوَالِهَا

١ لم أجد من ترجم له ، وفي الذيل والتكملة ٥ : ٣٣ ذكر لعبد الملك بن محمد بن شماغ النافقي أبي مروان أخي أبي جعفر وأنه روى عن أبي جعفر البطروجي ، ولم يزد على ذلك .

٢ ط : أدركته .

٣ ط : ولولا أنه اختضر لمهر وهر .

٤ ط : أخرجت .

٥ ط : القاضي .

٦ ط : قال فيها .

نَعَمْ ، أدام الله ^١ عزَّ الفقيه سامي الرِّفعة ، إني حاسدٌ هذه الرِّفعة ،
لأنها تحظى دوني برؤيته ، فلو حظيت بمثل ما به حظيت ، لبكفَّ قلبي
غاية أمنيته . أمثالٌ أضربها عليك ما لها أمثال ، وسكَّسَالٌ أمزجُه لديك
يحيا به الصِّلصال ، يا أيها الخطي الذي أنبتَه وشيجه ، يا أيها الأعوجي الذي
هذبَه ^٢ تخريجه ، يا أيها الفرعُ الذي ثبَّت أصله فوق السماء ، وشمخَ
سِنخه بناصيةَ الجوزاء :

إذا ثبَّتت فوق السماء أصوله فإين أعالیه وأين الذوائبُ ؟

بعدَ صبتك في النِّبَاهة حتى طبَّق الغبراء ، وصعدَ سرُّوك في الجلالة
حتى آتق الخضراء ، لو اقتصرت على ما بنى لك أولك ، لسبقَ جهْدُ
السَّابِقين مهلكُك ، بل بنيت على ما بنوا ، وسموت كما سموا ،
فلو فضَّت خواتم الطين ، عن آباتك الأكرمين ، لبصُرَت بعظامهم تهتزُّ
وهي رَمِيم ، إعجاباً بما أهداه إليها سعيك الكريم :

فقد يضحك الحي سينَّ الفقيد فتَهتزُّ أعظمه بالعراءِ

خطبتُ ودَّك ، فإن ترَّني كُفِّوْا ، بلغتُ المبالغَ الشاسعة ^٣ عفواً ،
ظمئتُ إلى شَمُولِ تلك الشمائل ، فإن سقيتني منها نُغْبَةً ، سرتُ في
الأريحية حَقبة . ما أرى الفقيه يعلمُ من أمري ، أكثر من معرفته بضيئني

١ ط : دام عز ؛ ب م : أعز الله .

٢ ط : أدبه .

٣ ب م : الواسعة .

وَنَجْرِي . سَأَلْتُكَ لَكَ فِي شَأْنِي بِلُحْمَةٍ^١ وَاخْتَصِر ، فَقَدْ يُرَوِي - وَإِنْ قُلَّ - الزُّلَالُ الْخَصْر . كَانَ مَدَّةً فِي يَدِي زَمَامٌ بِلَدِي ، ثُمَّ نُقِلْتُ إِلَى حِمَص ، وَكَانَتْ لَحْمٌ مَتَى شَاءَتْ أَمْرًا لَمْ تُعْص ، فَلَمَّا رَمَتْ بِصِنَهَاجَةِ اللُّجَج ، وَثَارَ لَهُمْ ذَلِكَ الرَّهْج ، فِي يَوْمٍ أُشْرَعَتْ فِيهِ الْأَسْنَةُ ، وَأُجْهِضَتْ لِشِدَّةِ خَطْبِهِ الْأَجْنَةُ ، فَانْتَهَبَ مَالِي كَمَا انْتَهَبَ مَالُ الْمَصْرُ ، وَكَسَدَ فِي حِمَصٍ^٢ سَوْقُ النِّظَمِ وَالنَّثَرِ ، زَهْدُنَا فِيهَا^٣ فَمَقْتَنَادَا ، وَسَكَنَّا عَنِ الْكِتَابَةِ فَمَا أَبْنَاهَا ، وَبَلَّغْنَا إِلَى غَافِقٍ^٤ ، بَعَلْتِي مِنَ الْأَدَبِ غَيْرَ نَافِقٍ ، بِحَيْثُ يَتَسَاوَى الْجَهْلُ وَالْعِلْمُ ، وَيَصْنَعُ الْبَلِيغُ الْقَدَمُ^٥ ؛ وَإِنِّي - أَعَزَّ اللَّهُ الْفَقِيهَ - وَإِنْ كَانَ أَوْطَانِي اللَّهُ مِنْهَا أَوْطَانِي ، وَأَعْطَانِي مِنْهَا أَعْطَانِي ، وَأَوَانِي مِنْهَا إِيْوَانِي ، لَعَدَمِ الشَّكْلِ ، لَغَرِيبٌ فِيهَا بَيْنَ الْأَحْبَةِ وَالْأَهْلِ . فَإِنْ تَبَلَّكَ عَيْنُ الْفَقِيهِ الشَّفِيقِ ، ضَيَاعَ صَدِيقٍ ، فَلَتَبَلَّكَ مِنِّي لَطَائِرُ كَرِيمٍ ، رُدَّ لِي وَكَرٍ لَيْثٍ ، وَلَتَرِثَ لِدُرَّةٍ سَنِيَّةٍ ، رَدَتْ^٥ إِلَى صَدَقَةِ دُنْيَةٍ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ ! أَنَا الْمَصْدُورُ أَكْثَرُ نَقْمًا ، وَشَكُوتَ بَنَاءٍ ؛ وَإِنْ كُنْتُ أَطَلْتُ الْخُطَابَ ، فَإِنْ حَوَارَ الْفَقِيهَ لَدَّ لِي وَطَابَ ، وَانْتَظَرِي لَجَوَابِهِ انْتَظَارَ الصَّائِمِ لِلْفِطْرِ ، وَالسَّارِي لِلْفَجْرِ ، وَأَقْرَأْ عَلَيْهِ مِنْ سَلَامِي عِدَدَ مَنَاقِبِ الْفَقِيهِ ، بَلْ عِدَدَ مُحَاسِنِ أَبِي الْحَسَنِ أَيُّهُ ، فَإِنَّهَا تَجَاوِزُ الْحَدَّ ، وَلَا تَطَاوِعُ الْعَدَّ .

١ ب م : سَأَلْتُكَ ... بِلُحْمَةٍ .

٢ ب م : بِاشْبِيلِيَّةٍ .

٣ ب م : زَهْدُنَا فِي حِمَصٍ .

٤ غَافِقُ : مِنْ كَوْرَةِ فَحْصِ الْبَلُوطِ .

٥ ب م : صَرَفَتْ .

قوله « وإني بها لَعَدَمُ الشَّكْلِ ، لغريب بين الأحبة والأهل » محلول^١
من قول الخطابي حيث يقول^٢ :

وإني غريبٌ بين بُسْتٍ وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي
وما غربة الإنسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشَّكْلِ

وأخذه عمر بن أبي عمر السجزي فقال^٣ :

وليس اغترابي في سجستان أنني عدمتُ بها الإخوان والدار^٤ والأهلا
ولكنه مالي بها من مُشاكلٍ وإن الغريب الفرد من يعدم الشكلا

وقوله « فتهتز أعظمه بالعراء » كقول أبي تمام^٥ :

ولو علم الشيخان أد^٦ ويعرب^٧ لسُرَّتْ إذَا تلك العظام الرماثمُ

وإليه أشار محمد بن هانيء بقوله^٨ :

فليت أبا السبطين والتربُ دونه رأى كيف تبدي حكمه وتعيد^٩

فأجابه القاضي أبو عبد الله برقعة اقتضبت بعض فصولها لطولها [قال فيها^{١٠} :

كتبتُ ولو قدرت هوى وشوقاً إليك لكنت سطرأ في كتاب

١ انظر يتيمة الدهر ٤ : ٣٣٥ وعكس ترتيب البيتين .

٢ المصدر السابق نفسه .

٣ ط : والجار .

٤ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٢ .

٥ ديوان ابن هانيء : ٥٨ .

٦ في النسخ : يبدي . . . ويعيد .

٧ ورد بعض هذه الرسالة في القلائد : ١٩٣ .

من صحب الآصال والبكر ، عرف وأنكر :

ما أحسن العيش لو أن الفقى حجر تنبو الحوادث عنه وهو ملموم^١]

عمر^٢ بابك ، وأخصبَ جنابك ، وطاوعك زمانك ، ونعيمَ بك
ليوانك :

وسقى بلادك غيرَ مُفسدٍ^٣ صوبُ الربيعِ وديمةً^٤ تهي^٥

فما درجَ بسبيله^٦ ، منَ كنتَ سُلالةَ سليله ، ووارثَ مجده^٧ ومقبله^٨ ،
وما خامَ وضرع ، فخرٌ رمى عن وترِ قومك ونزع ، لم يهلك هالك ،
تركَ مثلَ مالك^٩ .

[كاهندواني لا يُخزبكَ مشهدُه وسطَ الهياج إذا ما تضربُ البهمُ]

فرِكتَ المهاد ، وألفتَ السهاد ، وتقبلتَ^٧ الآباءَ والأجداد ، فأسرَجتَ
في ميدانِ عتاقِ الجودِ برُاقاً ، مرَّيتَ له حافراً وساقاً^٨ ، فاحتلَّ من شعابِ

١ البيت لتميم بن أبي بن مقبل ، ديوانه : ٢٧٣ وشرح شواهد المغني : ٢٢٧ والخصائص

١ : ٣١٨ .

٢ في النسخ : غني ، والتصويب عن القلائد .

٣ البيت لطرفة ، ديوانه : ٩٣ ؛ وفي ب م : وسقى ديارك .

٤ القلائد : لسبيله .

٥ القلائد : معرسه .

٦ فيه اشارة إلى المثل : « فقى ولا كالك » .

٧ في النسخ : وتقبلت ، والتصويب عن القلائد .

٨ القلائد : في ميدان الحمد . . . اتخذ له الريح خافية وساقا .

المجدِ صُفْعاً ، أثارَ به نَقْعاً ، ودَوَّمَ في جوِّ السماء ، تدويمَ قَرَعِ العماء ،
[كأنَّه على قَمَّةِ الرأسِ ابنُ ماءٍ مُحَلَّق]^٢ ، فحَقُّ لباهرٍ فضيلِكَ أن
يطولَ فيقول :

ما بقومي شَرُفْتُ بل شَرُفُوا بي وبنفسِي فخرْتُ لا يجودِي^٣
أو يتنَزَّلَ ، فيتمثَّل :

لسنا وإن أحسابنا كَرُمَتْ^٤ يوماً على الأحسابِ نَتَكَلُّ^٥
نَبِيَّ كما كانتْ أوائلنا تَبِيَّ ونَقَعْلُ مثلَ ما فَعَلُوا

كم مُتَعاطٍ شَأَوْ طَلَقِكَ ، ومُشْطَرِطٍ مَنالَ أَفْقِكَ ، سَوَّاتٍ له نَفْسُهُ
شَقَّ غُبارِكَ ، واقتفاءً مَناهِجِ آثارِكَ ، سَلَكَ فما أدراك ، وبلَجَ^٦ بعيرُهُ فَبَرَكَ :
• فَهْنٌ رذايا بالطريقِ ودائعُ •

وابن اللبون إذا ما لَزَّ في قَرَنٍ لم يستطعْ صولةَ البزلِ القناعيسِ^٧
لو بما تعزَّزَ به من عشائرَ نسبوك ، وآباءِ صدقٍ ولدوك فأنجبوك :
أضاعت لهم أحسابُهم ووجوههم دجى الليلِ حتى نظَّم الجَزَعُ ثاقبه^٧

١ ط : وجه .

٢ من قول ذي الرمة (ديوانه ٢ : ٤٩٠) :

وردت اعتدافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء معلق

٣ انظر ديوان المتنبي : ١٥ .

٤ ب م والقلائد : لسنا وإن كرمت أوائلنا .

٥ ط : وثلج ؛ القلائد : وثلج ، وهي قراءة جيدة .

٦ هو لجرير (التاج : قمص) .

٧ البيت لأبي الطمحان القيبي (الأغاني ١٣ : ٨ - ٩) .

وجلباب أدب ، شفع الحسب ، وكسا الدرّة الذهب ، فننّاك وترّ
الأبد ، كالسيف الفرد ، إذ غلت الرّكاب ، وعلقت الأسباب — لتعدّيت
منابج العواء ، فهصّرت هقعة الجوزاء ، واتخذت إكليلها إكليلاً ، فلم
تذممك نزيلاً ، وقبلت أخصّ قدميك تقبيلاً .

وفي فصل : بيننا وسائل ، أحكمتها الأوائل ، ما هي بالأنكاث ،
والوشائج الرّثاث ، من دونها ودّ جناهُ شهد ، ومرادُه خلد ، أنضرّ من
أنيق الخضر ، وأعبق^٢ من فتيق الزّهر ، غبّ المطر ، [جمّت^٣ أعراضه ،
ونديت حياضه ، سرى له التّسيم ، فوشى به التّسيم :

ما روضة من رياض الحزن معشبة غناء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعيم التّبت مكتهل
يوماً بأطيب منه نشر رائحة ولا بأحسن منه إذ دنا الأصل

لو كان بشراً كان حسن البشّرة ، أنيق الحيرة [، أرج عرّف
التّسيم ، مشرق جبين الأديم ، رائق رُقعة الجلباب ، مُقتبل راد^٤
الشباب ، كالصّباح المنجاب ، تبرق أساريه ، وتلقاك قبل اللقاء تباشيره :

ورثناهُنَّ عن آباءِ صديقٍ ونورثُها إذا متنا بنينا^٥

١ ب م : كالمرهف .

٢ ب م : وأطر .

٣ ط : جفت .

٤ للأعشى الكبير ، ديوانه : ٤٣ .

٥ ط : منبتل رداء (اقرأ : مسبل رداء) ؛ القلائد : مقتبل رداء .

٦ ط : تشرق ؛ القلائد : تروق .

٧ إلى هنا ينتهي ما ورد من الرسالة في القلائد .

المِقَّةُ تبعثُ الثقة ، لا يُلْهِيتُكَ وقد لاحَ البَدْرُ ، ووضَحَ للسَّاري
الفَجْرُ ، جوابٌ أُنيتُهُ ، ودَيْنٌ مَطلتُهُ ولَوَيْتُهُ :

فَقُلْتُ امْكُتِي حَتَّى يُسَارَ لَعْنًا نَحْجُ مَعًا قَالَتْ : أَعَامًا وَقَابِلَهُ ؟

لِاسْجَاحٍ وَمَعْدِرَةٍ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ مَقْدَرَةً ، فَنَظَرَةٌ إِلَى مِيسِرَةٍ ،
لَوْ بِحَسَبِ مَا أَطْوَاهُ ، لَبَيِّنَتْ دَاعِيَّ مُنَادِيهِ ، لِبَادَرَتْ بِدَارِ الْعَيْنِ ، وَأَوْفَزَتْ
لِإِفَازِ^١ لَمَعِ الْيَدَيْنِ ، وَاقْتَضَبَتْ الْمَدَى ، فَكَانَ الْكَلَامَ وَكُنْتُ الصَّدَى ، وَمَا
بَتَّهِتُ خَجَلِ التَّسْوِيفِ وَاللَّيَانِ ، بِأَرْقَدَ مِنْ مَعْضُوضِ الْأَفْعَوَانِ ، وَمَفْتَرِشِ
حَسَكِ السَّعْدَانِ :

على الفراش لضوء الصبح مرتقب كأنه <أرق شكت> به الإبر

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَلَا غُرُوَ إِنْ اسْتَعْجَمَ لِسَانٌ ، وَحَصِرَ بَيَانٌ ، لِحَنَّةِ
جَنَانٍ ، وَخَرِيدَةِ بَيَانٍ ، تَرُودُ رَوْضَ الْآدَابِ ، وَتَرِدُ ذُوبَ مَاءِ الْأَلْبَابِ ،
نَمَاهَا كَهْلَانٌ ، وَنَهَدَ بِهَا سَحَابَانٌ ، تَدْعُو نَزَالَ ، وَتَتَنَجَّزُ رَدَّ السُّؤَالِ :

بَيَانٌ لَمْ تَرِثْهُ تَرَاثَ دَعْوَى وَلَمْ تُنْبِطْهُ مِنْ حِسْنِي بَكِيٍّ^٢

أَهْلًا بِهِ طَائِرَ وَدَادٍ وَقَعَ ، وَبُلْبُلَ وَادٍ سَجَعَ فَرَجَعَ ، وَهَيَّجَ دَاءَ
دَفِينَا ، فَذَكَرَ بَعْضَ مَا كُنَّا نَسِينَا :

فَفَضَّضْتُ خَتَامَهُ فَتَبَلَّجَتُ لِي غَرَائِبُهُ عَنِ الْخَبْرِ الْجَلِيِّ
فَكَانَ أَغْضًى فِي عَيْنِي وَأُنْدَى عَلَى كَبْدِي مِنَ الزَّهْرِ الْجَلِيِّ

١ في النسخ : وَأَوْعَزَتْ إِيْمَازَ ؛ وَصَوْبُهُ بِحَسَبِ الْمَعْنَى .

٢ البيت والأبيات التالية لأبي تمام ، ديوانه ٣ : ٣٥٥ - ٣٥٧ .

وأحسنَ موقعاً منّي وعندي من البُشرى أتتْ بعدَ النعيِّ
> وضمّنَ صدره ما لم تُضمّنْ صدورُ الغانياتِ من الحلّي <^١

لله فطنةٌ فطّرتَه ، ويدٌ سطرته ، وصحيفةٌ احتوته ، وأناميلُ لوتَه !
ما أبدعَ ما وسقَ ، وأعجبَ ما نظمَ ونسقَ ، إن هو إلّا سحرٌ يؤثرُ ،
ودرٌ ينثرُ ، وأنفاسٌ تتعبقُ ، ونفوسٌ تُسبي وتُسرقُ ، إلى أغراضٍ
كقطعِ الرّياضِ ، ومعانٍ كأبكارِ الغواني لوين^٢ قدوداً ، وكسينَ من وشي
الكلامِ مجاسداً وبروداً ، فمعجبه يهزجُ بيقاعه^٣ ، ويرتجلُ على إيقاعه :
أنا الذي نظَرَ الأعمى إلى أدبي وأسمعتُ كلماتي من به صممُ^٤

سميرُ الآذان ، وحديثُ الرُّكبان :

[به تنفّضُ الأحلاسُ في كلِّ منزلٍ وتعقّدُ أطرافُ الحِبالِ وتوثقُ]

نادى شخصٌ طللٍ حابسٍ ، وكلّمَ ربيعَ رسمٍ دارسٍ ، من نفّسٍ
أبدادٍ ، وفؤادٍ فادٍ ، صديّ حتى بليّ ، ودُهيّ حتى فنيّ ؛ بمثله وقَفَ
جَميلٌ ، واستعبر يقول :

ألم تسألِ الرّبيعَ القواءَ فينطقُ وهل تُخبرنك اليومَ ببداءِ سملق^٥

١ زيادة من الديوان .

٢ ب م : أدرن .

٣ ط : بيقاعه .

٤ انظر ديوان المتنبي : ٣٢٣ .

٥ ب م : باد .

٦ انظر ديوان جميل بثينة : ١٤٤ .

فكان حياً جلجل رعدُهُ ، وأسبل ودقهُ ، بأكتافِ جَوَى محلّ واديه ،
وأجذبتْ بواديه ، فلائياً ما لان مدرُّهُ ، وانبجسَ حَجَرُهُ ، وطلعَ نجمُهُ
وأشرقَ زَهْرُهُ :

> ما كلُّ ماءٍ كصداءٍ لشاربه كلاً ولا كلُّ نبتٍ فهو سعدانٌ^١

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا
نَكْدًا﴾ (الأعراف : ٥٨) شتان بين رَبْوَةِ بَقاع ، وصفوانةٍ بَقاع ، وأينَ
من الغَمَرِ المعين ، وشَلٌّ ينضح بمثلِ رشحِ الجبين ؟ في كلِّ شجرٍ نار ،
واستمجدَ المرخُ والعفار^٢ ، وأن تَسْمَعَ بالمعيدي^٣ ، وتخبّرَ عن الإياسي^٤ ،
فشاكه أبا يسار ، فبدونِ ما وصفتنه ينفقُ الحمارُ^٥ ، وتخطبُ غيرُ ذاتِ
التجار ؛ ما هي إلّا حُلَى فضائلِك خلعتها عليّ ، وخمائلُ شمائلِك أضفتها
لِليّ ، والا فودّ تجاوزَ القَدَر ، فأعمى البَصَر :

[وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلَةٌ ولكنَّ عينَ السخطِ تبدي المساويا]^{*}

والشَفَقِ والغَسَقِ ، ولوامعِ الفلَقِ ، إنك لصاحبُ الرّاية ومحرزُ
الغاية ، زعيمُ حلبةِ البيان ، وفارسُ ذروةِ الإحسان ، [لتعطّ القوسُ

١ لم يرد إلا في نسخة دار الكتب ؛ وفي البيت إشارة إلى المثليين : ماء ولا كصداء ومرعى

ولا كالسعدان ؛ انظر فصل المقال : ١٩٩ والضمي : ٢١ ، ٥٤ ، والميداني ٢ : ١٥٣ ، ١٥٢ .

٢ انظر فصل المقال : ٢٠٢ والميداني ٢ : ١٤ .

٣ انظر فصل المقال : ١٣٥ والضمي : ٩ والميداني ١ : ٨٦ .

٤ انظر فصل المقال : ٣٣ والميداني ١ : ٢٤٢ .

٥ البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، انظر بهجة المجالس ١ : ٨١٤ وعيون

الأخبار ٣ : ٧٦ .

باريها ، وتمنح المنحة ذوبها [، وإن للمتاعبي ذلك المضمار ، أن يبايع
بيد الصغار ، وينبذ بأزمة مقادير الأقدار :

ولإذا الرجال رآوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار^١

لا عطر بعد عروس^٢ ، ويا لك من نضو فؤاد هجت به ادكاراً ،
وحركت له حواراً^٣ ، تجاسر بجمعه ، واستن على ظله ، فدسع بجرة
عقير^٤ ، فانفقت عن فرصة فقير^٥ :

نزرأ كما استكرهت عابر نفحة من فارة المسك التي لم تفتق

على حين ذوى روض الأدب ، فقاط مصيف الطرب ، [وألفت
« قال مالك »^٦ ، وتركت ما هنالك] ، فما عهدي الآن به إلا زورة
اللمم ، وذكره الحلم ، أذوقه شميماً ، وأطعمه نسيماً ، وأغري المحافظ
عليه ، وأغبط أفئدة من الناس تهوي إليه :

فكأنني وما أزين منه قعدي يزين التحكيما^٧
لم يطق حمله السلاح إلى الحر ب فأوصى المطيق ألا يقيما

١ البيت للفرزدق وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٢٠٧ والخزانة ١ : ٩٩ .

٢ انظر فصل المقال : ٤٢٧ والميداني ٢ : ١٠٨ .

٣ من المثل : حرك لها حوارها تحن (العسكري ١ : ١٠٠) .

٤ دسع البعير بجرته : دفعها حتى أخرجها من جوفه .

٥ كذا هو ، ولعل صوابه « عن غرصة فقير » والغرصة : الحزام ، والفقير : الحمل المكسور
الفقار ؛ وفي ط : قرصة فقير ، وهي قراءة جيدة ، وهو يومئ إلى القلة ، ويفسره
البيت التالي .

٦ قال مالك : يريد أنه ترك ميدان الأدب ، وتعلق بالفقه ، وإلى مثل هذا يشير الأعمى
التطيلي بقوله :

ويا قال زيد أعرضي أو تعارضني فقد حال من دون المنى « قال مالك »

٧ الشعر لأبي نواس ، ديوانه : ٣٢٥ .

وإن أنحتَ بعطيك من أفق غافق ، ذا بضاعة أدب غير نافق ، أصبحت
منها كالمسك ينفع^١ نفسه ، أو الفذ يكلم حسه ، معاشر معاشر لم تغدُهم
رقة الآداب ، ولا أعربتُ ألسنتهم عواملُ الإعراب :

فهنَّ يلفِظُنَ به إلغاطا مثلَ النبطِ لاقتِ الأنباطا^٢

وإن نطق زهير ، قالوا نهق العير :

أرضُ الفِلاحَةِ لو أتاها جِرْوَلٌ^٣ أعني الحطيثة لاغتدى حرًا^٤
تصدًا بها الأفهامُ بعدَ صقالها وتُرَدُّ ذُكرانُ العقولِ إناثا
أرضُ خلعتُ اللهوَ خلعتُ خاتمي فيها وطلقتُ السرورَ ثلاثا

فخيرُ أنيسِ المرءِ ذكرٌ يشحدُ الفكرَ ، وروضُ كتابٍ يصقلُ
الألباب :

أعزُّ مكانٍ في الدنيا سرجُ سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابٌ^٥ ،

ولله ما حويتَ ، ونعمَ ما اقتنيتَ ، من حداثقِ أدبٍ ، في بِنَفاعٍ^٦
حَسَبَ ، سنخُ ضربِ الأرضِ بعروقه ، وبسقى فاستوى على سوقه
يونقُ البقاعَ ، ويُعجبُ الزَّرَّاعَ ، كرمَ [مَدَدُهُ فزكا ثمره ، وطابَ

١ في النسخ : ينافع .

٢ انظر اللسان : (لفظ) .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ٣٢٥ .

٤ ديوان المتنبي : ٤٨٠ .

٥ ب م : بقاع .

خُبْرُهُ وَخَبَرُهُ [. أَكْرَمُ نَسَبٍ وَأَفْضَلُ نَشَبٍ ، نَاهِيكَ مَا يَرُوقُ جَمَالاً ،
وَيَخْفُ حَمَالاً ، لَا تَبْتَزُّكَهُ اللَّصُوصُ ، وَلَا تَرْحَلُ بِهِ دُونَكَ الْقُلُوصُ :

[يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ لِنَّ بِهِ كَفَافاً شَدَدَتَا]

وَلَنْ تُرَاعَ فَلَـنَ تَضَاعَ ، وَمَنْ يُوْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرَ أَكْثَرٍ ،
وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا^١ ، وَأَبْلَغُكَ سَلَامًا ، يَكُونُ بِنَحْرِ عَقْدِكَ نِظَامًا ،
وَيَضْرِبُ عَلَى رَوْضٍ وَدَّكَ غَمَامًا :

فِيُنَبْتُ حَوْذَانًا وَعَوْفًا مَنُورًا سَأَتُبِعُهُ^٢ مِنْ خَيْرٍ مَا قَالَ قَائِلُ^٣

قال ابنُ بَسَّامَ : والفقيهُ قاضي الجماعة أبو عبد الله بن حمدٍ ، هذا
في وقتنا غُرَّةُ الزمانِ الزاهرةِ . وآيةُ الإحسانِ الباهرةِ . أَحَدُهُ مَنْ تَقَدَّمَ
عَلَى أَهْلِ الْفَضْلِ ، تَقَدَّمَ الْإِسْمُ عَلَى الْفِعْلِ ، وَاسْتَوَى عَلَى النَّبْلِ ، اسْتِيْلَاهُ
الشَّمْسُ عَلَى الظِّلِّ ، وَلَهُ صَدْرٌ يَسَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ ، وَلِسَانٌ يَخْلُقُ السَّحَرَ

١ زاد في نسخه دار الكتب :

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل

٢ ط : سَأَتِيكِهِ .

٣ البيت للناطقة الذبياني ، الأغاني ٨ : ٢١٤ ، وسقط من قصيدة في ديوانه : ١١٣ - ١٢٠
(شرح ابن السكيت ، تحقيق الدكتور شكري فيصل) .

٤ بنو حمدٍ تغلبيون في نسبهم ، وقد كان لمحمد بن علي منهم ابنان أحدهما أبو القاسم أحمد
(الصلة : ٨١ والمغرب ١ : ١٦٢) وكان قاضياً للجماعة بقرطبة وتوفي سنة ٥٢١ هـ ؛ والثاني
أبو جعفر حمدٍ بن علي قضاة بلده سنة ٥٢٩ هـ ثم صرف عن القضاء سنة ٥٣٢ هـ ثم أعيد وبقي
حتى انهيار دولة المرابطين ، فتسلم زمام قرطبة ودعي له على منابرها وسمى نفسه « أمير
المسلمين المنصور بالله » (وكانت وفاته سنة ٥٤٨ هـ) أما أبو عبد الله المذكور هنا فهو
ولد أبي القاسم أحمد . وقد سماه ابن خاقان أيضاً (الغلائد : ١٩٢) قاضي الجماعة ، ولا بد
أن يكون تولي القضاء بعد وفاة والده (أي بين ٥٢١ - ٥٢٩ هـ) .

لو استحلّه ، وهو وإن كانَ اليومَ ، بالحضرةِ العُظمى قُرطبةَ ، يعسوبَ الإسلامِ ، ومَدَارَ الأَنامِ ^١ ، وجماعَ النّقصِ والإبرامِ ، فلهذا الشّأن الذي تصدّيتُ لإقامةِ أوده بهذا الدّيوانِ ، من عنايته أوفرُ نصيبٍ ، ولأهله من استقلاله وكفايته حمى غيرُ مقروب ^٢ ، وقد رفعت له على علّمه نارٌ ، فضربتُ عليه في حرّمه أرواقٌ وأستارٌ ، وسارتُ على ألسنةِ الرُّكبانِ من كلمه رسائلُ وأشعارٌ ، أجزلُ من ذكرِ أبانٍ ، وأحسنُ من الحديثِ عن جنانٍ ، وأوضحُ من عذْرِ قريشٍ في حُبِّ عُثمانٍ ، ولم أظفرَ منها ^٣ عندَ تحرير هذه النسخة من هذا الكتابِ ، إلّا بهذا الجوابِ ، وفيه متعةٌ جدٌ كافيةٌ ، وعلامةٌ من الفضلِ غيرُ خافية ، ويُعَلِّمُكَ يجنى الشجرة الواحدةُ من ثمرتها ، ويدلّك على خزامى الأرضِ النّفحةُ من رائحتها .

جملة من شعر ابن شماخ

من ذلك ما أنشدنيه لنفسه من جملةِ أبياتٍ اندرجتْ له في رسالةٍ مَوْشَحَةٍ عارضَ بها بديعَ الزّمانِ ^٤ في طريقته ، وضربها على قالب سبيكته ^٥ ، يقول فيها

أودتُ بنخوةٍ ^٦ أهلَ حمصٍ بديعةً ملأتُ قلوبَهُمْ عليّ حفاظاً
فتشّتُ فيهم قارصاً يأتي بها فكأنّما فتشتُ فيها القارظاً

١ ب م : الأيام .

٢ ب م : معزوب .

٣ ب م : منه .

٤ ط : البديع .

٥ ب م : وأفرغ فيها . . . سكه .

٦ ب م : بسجوة .

وله فيها :

بعثتُ بها يَغنوها كلُّ نائِرٍ ويعيا^١ بما ضمتها كلُّ قارضٍ
جعلتُ حياتي أجرَ مَنْ قالَ مِثْلَها فَمَنْ شاءَ عُمراً طائلاً فليُقارضِ

وأنشدني أيضاً لنفسه :

فَوَيْحَ جُفُونِي كَيْفَ تُطْلِقُ لِحْظَها ورؤيةُ هذا الخلقِ تتركها رُمداً
نوابُ غالِتي فأبدتُ فضائلي فكانت وكنْتُ النَّارَ والعنبرَ الوردِ

وهذا من قول أبي تمام^٢ :

لولا اشتعالُ النَّارِ فيما جاوَرَتْ ما كان يعرفُ طيبُ عَرَفِ العودِ

ومنها يصفُ ناقةً :

تجدُّ على أنَّ الفياثي بَرَّينها فتعرفُها عتقاً وتنكرُها جهداً

ومنها في المديح :

فلولا علَّاهُ عِشتُ دهريَ كلَّه وكيسُ كلامي لا أحلُّ له عقداً

قال ابن بسّام : واستعارته كيساً للكلام ، من مضحكات الأنام ،
وقرأتُ في أخبارِ الصَّاحبِ ابنِ عَبَّادٍ قال^٣ : كُنَّا نَتَعَجَّبُ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ^٤ :

١ في النسخ : ويعى .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ٤٠٢ .

٣ انظر رسالة الكشف عن مساوئ المتنبي (مع الإبانة للمعيني) : ٢٣٤ - ٢٣٥ .

٤ ديوان أبي تمام ١ : ٢٥ .

« لا تسقني ماء الملام » ، ونستبشعُ استعارته له ماءً حتى عذُبْتُ عندنا
بـ « حلواء البنين » في قول أبي الطيّب :

وقد ذُقْتُ حلواءَ البنينَ على الصبا فلا تحسبني قلتُ ما قلتُ عن جهل

كيف لو سمعَ الصاحبُ استعاراتِ أهلِ وقتنا ، كقول المهدي بن الطلاء :

• بقرَاطُ حُسْنِكَ لا يرثي على علي •

وقوله :

• أفاقت بك الأقطار من برص البلوى •

[وقول ابنِ الطراوة :

أبا حَسَنٍ فُتَّ الملوكةَ مهابةً فكلَّتهمُ فأسَ المهابةِ عالكُ]

وقول حسان بن المصيصي :

إذا كانتَ جفانُك مِن لُجَينٍ فلا شكَّ الغنى فيها ثريدُ

وقد قدحَ أهلُ النقدِ في المتنبي بخروجه في الاستعارة إلى حيزِ البُعدِ

بقوله :

مَسْرَّةٌ في قلوبِ الطيبِ مفرقها وحسرةٌ في قلوبِ البيضِ واليلبِ

١ انظر الوساطة : ٤٢٩ ، ١٨٠ ورسالة الصاحب : ٢٤٤ ، وأبيات المتنبي في ديوانه :

٤٢٤ ، ١١ ، ١١٩ ، ٥٧٢ ، .

وفي قوله :

إِلَّا يَشْبُ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ شَيْباً إِذَا خَضَبَتْهُ سَلَوَةٌ نَصَلَا

وفي قوله :

لَمْ يَحْنِكْ نَائِلُكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَيَّبَهَا الرُّحْضَاءُ

فَجَعَلَ كَمَا تَسْمَعُ لِلطَّيْبِ وَالْيَلْبِ وَالْبَيْضِ قُلُوباً ، وَلِلْكَبِدِ شَيْباً وَلِلْسَّحَابِ حُمًى ، [كَمَا جَعَلَ أَبُو تَمَامٍ الدَّهْرَ يُصْرَعُ فِي قَوْلِهِ :

• خُطُوبٌ كَانَ الدَّهْرَ مِنْهُمْ يُصْرَعُ^١ •

وجعله بشار يُمِيقُ بقوله^٢ :

وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا صَحُوتُ وَإِنْ مَاقَ الزَّمَانُ أُمُوقُ

وكذلك [أَخَذَ عَلَى الْمُتَنَبِّي فِي قَوْلِهِ :

لَوَيْتَهُ دَمْلُجاً عَلَى عَضْدٍ لِدَوْلَةٍ رَكْنُهَا لَهُ وَالِد

لَمَّا كَانَ الْمَدْحُ لِعَضْدِ الدَّوْلَةِ أَرَادَ أَنْ يَصُوغَ لَهُ دَمْلُجاً فَأَخْطَأَ الصَّوْغَ ، لَا سِيَّمَا فِي بَيْتٍ خَتَمَ بِهِ الْقَصِيدَةَ ، وَهُوَ آخِرُ مَا يَقَعُ فِي السَّمْعِ ؛ وَأَعْجَبَ مِنَ الصَّاحِبِ ابْنِ عَبَّادٍ حِينَ لَمْ يَجِدْ مِنْ اسْتِعَارَاتِ أَبِي تَمَامٍ شَيْئاً يَنْعَاهُ إِلَّا قَوْلَهُ « مَاءُ الْمَلَامِ » وَلَيْسَ هَذَا بِأَعْجَبَ مِنْ قَوْلِهِ : « هُوَ كَوَكَبِ الْإِسْلَامِ أَيْةُ ظِلْمَةٍ » .

١ ديوانه ٢ : ٣٢٤ وصدرة : تروح علينا كل يوم وتفتدي .

٢ ديوان بشار : ١٦٥ (جمع العلوي) .

ولأبي حفص ابن بُرد من أهلِ أفقنا شيءٌ مضحكٌ على رشاقته وهو قوله :

يا شاعِرَ الحُسْنِ بي تَرَفَّقْ لا تَقْتُلْنِي كذا بديها

وإن كان أبو بكر بن عمّار اتّبعه ، فلقد صفعه ، أو اقتفى أثره ،
فلقد طوى خبره ، بقوله .

روى ليضربَ وابتدعت لطفة^١ إنَّ الطَّعَانَ بدائهُ الفرسانِ

ومن شعر ابن شماخ ما أنشدنيه من قصيدة :

بلى قد حلبتُ الدهرَ في كلِّ وجهةٍ	فلم يَبْقَ خِلفٌ يُستدرُّ ولا شطرُ
[فأصديتُ حتى ضنتُ السَّحْبُ بالحيا	ورويْتُ حتى انهلَّ بالسَّبلِ الصَّخر]
وكانَ على الإنسانِ إنْفادُ جهده	فإنَّ يُكْدِ بعدَ الجَهدِ كان له عذر
على العُصبِ أن يفري إذا جُرِّدَ الصلا	وليسَ عليه التَّاثُ أو ساعدَ النصر
وقدَّرَ لي استيطانُ لك ^٢ وقلَّما	يكونُ لمن كانت له وطناً قدر
مؤهَّلةٌ مِن أهلِها غيرَ أنَّها	مِن الكرمِ المَوجودِ في غيرها قفر
فإن كسدتُ أَعلاقُ علمي لديهم	فلاغرو أن يكسِدُ لدى النعمِ الشَّدَر

جَزَمَ بحرفِ النَّصبِ وأراه وهمَ فيه . على أن أبا الحسن اللحياني حكى

١ ب م : بطمئة .

٢ لملها يك (Yecla) شمال مرسية ؛ وهناك لكّة وهي من كورة شذونة حيث كان لقاء طارق ورذريق (الروض المطار : ١٦٩) وذكر صاحب الروض (١٨٥) لكّة في أقصى الشمال ، مما يجعل تعيين الموضع الذي قصده ابن شماخ غير متيسر .

في نوادره أن بني صباح من بني ضبة^١ يجزمون بعوامل النصب ، وأنشد
لشاعرهم :

وأغضي على أشياء منك لترضني وأدعى إلى ما سرّكم فأجيبُ

وليسَ العملُ به ، ولا لمحدثٍ أن يتعلّق بسببه .

وفي هذه القصيدة يقول :

فيا لك إن لم تُقْضَ لي عنك رحلةٌ فلا يُقْضَ إن يمتدَّ فيك لي العمرُ

قال ابن بسام : فكأنه والله أُجِيبَتْ دعوتهُ في هذا البيت ، لأنه ماتَ
فيما أرى وقد نَيْفَ على الثلاثين .

وقرأتُ في أخبار المتنبي في القصيدة التي ودع فيها عضد الدولة فجرت
فيها ألفاظٌ على لِسَانِهِ كأنه ينعى فيها نفسه ولم يقصد ذلك ، منها قوله :

ولو أني استطعتُ خففتُ طرفي فلم أبصر به حتى أراكا^٢

ثم قال :

إذا التوديعُ أعرضَ قالَ قلبي عليك الصمتَ لا صاحبتَ فاكا

وقال في آخرها :

وأيّا شئتَ يا طرفي فكوني أذاةً أو نجاةً أو هلاكا

١ بنو صباح : انظر الاشتقاق : ١٩٢ - ١٩٣ ، ١٩٨ .

٢ ديوان المتنبي : ٥٨٤ ، ٥٨٦ .

فجعل قافية البيت « هلاكاً » فهلك ، وذلك أنه ارتحلَ عن شيراز
 حضرةِ عضد الدولة بعدَ أن وصلَ إليه من صلاته أكثر من مائتي ألف
 درهم ، فخرج عليه في طريقه قومٌ من بني ضبة الذين كان هجّاهم ،
 فحاربهم فأجلت الواقعةُ عن قتله وقتل ابنه مُحسّد ونفر من غلمانه^١ ،
 وفاز الأعرابُ بماله ، وذلك سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . وأول من جرت
 على لسانه ألفاظٌ يُتطير منها المؤمل بن أميل^٢ في قوله :

شفّ المؤملَ يومَ الحيرةِ النظرُ لَيْتَ المؤملَ لم يُخلقْ له بصرُ

فعمى .

ومن شعر ابن شمّاخ من جُملةِ قصيدةٍ وصف فيها ارتحاله عن وطنه ،
 ومثوّاه بأشبيلية على غير رضى ، أولها :

يا ليت شعري هل دامت لهم^٣ حال عهدتها في حفاظِ العهد أم حالوا؟

يقول فيها :

فإن تكن سائلاً عمّن تركت فقد شابَ الشباب وقد شَبَّ الاطفال
 صَبَرْتُ والبُعدُ أحوالٌ وذاعجب ولم أكن صابراً والبُعدُ أميالُ
 أرجو الإيابَ لقال^٤ فيه أسمعُه والدهرُ يفعلُ ما لا يخبرُ القالُ

١ في النسخ : محسن وتفرق غلمانه .

٢ قد مر التعريف به ص : ٥١٢ وانظر الأغاني ٢٢ : ٢٥٥ - ٢٥٦ .

٣ ب م : بهم .

٤ ط : بفأل .

وفيهما يقول :

فهل لهم سائل عني فيخبرهم كما أنا عنهم منذ غبتُ سأل؟
إن كان يسأل عن ثوبي فلا درن أو كان يسأل عن حالي فلا حال
أضاع مجدي مال ضيعته يدي ما أضيع المجد إن لم يرعه مال
وبز حالي ترحالي إلى بلد منذ جشنته لم يكن لي عنه ترحال
أقمت حولين فيه خاملاً^١ خرساً كأنتي وأنا السلسال صلصال
بل لم أزل مُعرباً عما لدي فلم أجِدْ به مُعرباً يُنبِيه تصهال
أطال شغلي فراغي منذ حللت به إن الفراغ من الأشغال أشغال
إن أبقى في حمص تبق النار في حجر وإن أسر سار في الآفاق سلسال
[وعز من العيش مالي أرتقيه وفي بني أبي لنا بالمصر آمال]^٢
ضاءت بسود دهم أرجاء قرطبة وعاد إدبار ذلك العصر إقبال

فصل في ذكر الفقيه أبي عمر أحمد بن عيسى اللبيري^٣

من أفراد الزهاد - كان - في ذلك الأوان ، ومع ما كان أدير عليه يومئذ من الأمور ، وجُعِلَ إليه من التقديم والتأخير ، فإنتي وجدته خالص

١ ب م : جامداً .

٢ ط : العيش .

٣ أورد ابن بشكوال ترجمة لأبي عمر أحمد بن يحيى بن عيسى اللبيري الذي يروي عنه أبوالمطرف الشعبي ، وقد لقيه أبو المطرف بغرناطة سنة ٤٢٨ ، وكان أبو عمر يعرف قديماً بابن المحتسب ثم عرف بابن عيسى ، وكان أديباً شاعراً متكلماً ، له مؤلفات قرأها عليه أبو المطرف ، وقال ابن خزرج ان ابن عيسى توفي سنة ٤٢٩ (الصلة : ٤٨) وترجم له ابن سعيد (المغرب ٢ : ٩٥) في قسم البيرة ، ولكن جانباً عما ذكره مختلط بترجمة أبي الوليد غانم ، وهي الترجمة التالية .

الأدب، [محصّد السّبب]، ذَهَبَ بِفُصُوصِهِ وَعِيُونِهِ ، وتَلَاعَبَ بِمَنْشُورِهِ وموزونِهِ ، وتَصَرَّفَ بَيْنَ مَذَالِهِ وَمَصُونِهِ ؛ إِلَّا أَنْ أَكْثَرَ مَا أَلْفَيْتُ لَهُ مِنَ المَقْطُوعَاتِ وَالْأَبْيَاتِ ، فِي الزُّهْدِ وَالْعِظَاتِ ، وَقَدْ كَتَبْتُ مِنْهَا مَا هُوَ مِنْ شَرْطِ هَذَا المَجْمُوعِ ^١ .

أخبرني مَنْ لَا أَرُدُّ خَبْرَهُ عَنِ الفَقِيهِ أَبِي المُطَرِّفِ الشَّعْبِيِّ ^٢ عَنْ شَيْخِهِ هَذَا الفَقِيهِ أَبِي عَمْرِو بْنِ عَيْسَى ، قَالَ : خَاطَبْتُ الوَظِيرَ أَبَا العَبَّاسِ بْنِ العَرِيفِ فِي أَرْضٍ تَعْدَى عَلَيَّ فِيهَا بَرُوقَةٌ مِنْهَا :

أَمَّا بَعْدُ ، وَفَقَّكَ اللهُ لَمَّا يُرْضِيهِ مِنْكَ عَمَلًا ، وَيَرْضِيكَ مِنْهُ جِزَاءً ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا حَرْثًا وَالنَّاسُ زَارِعُونَ ، وَكُلٌّ فِي مَعَادِهِ ، يَأْكُلُ مِنْ حَصَادِهِ ، وَذُو الْجَاهِ يُسْأَلُ فِي الآخِرَةِ عَنْ جَاهِهِ ، كَمَا يُسْأَلُ ذُو المَالِ عَنْ مَالِهِ . وَقَدْ أَحْوَجَتِ الأَيَّامُ إِلَى جَاهِيكَ ، وَأَغْنَتِ القَنَاعَةُ عَنْ مَالِكَ ، فَاتَّخِذْ عِنْدِي اليَوْمَ يَدًا ، تَجِدْهَا عِنْدَ اللهِ مُضَاعَفَةً غَدًا ، فَالْحِظْ حَاجَتِي بَعِينَ يَقْطُتِكَ ، وَلَا تَلَحِظْهَا بَعِينَ سَنَتِكَ ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَوَحًا ضَمَّنَهُ المَقَادِيرَ كُلَّهَا ، يَلْحَظُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتِّينَ لَحْظَةً ، يَجِبِي بِكُلِّ لَحْظَةٍ وَيُؤْمِتُ ، وَيُعْزُّ وَيَذِلُّ ، وَيَرْفَعُ وَيَضَعُ ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيُحْكِمُ مَا يُرِيدُ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّكَ تُلْحَظُ بِمِثْلِ مَا بِهِ تُلْحَظُ .

١ ب م : مَا هُوَ شَرْطُ للكتاب .

٢ أَبُو المَطَرِ الشَّعْبِيُّ هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قَاسِمٍ مِنْ أَهْلِ مَالِيقَةَ ، كَانَ فَقِيهًا ذَاكِرًا لِلْمَسَائِلِ يَحْفَظُ المَدُونَةَ وَغَيْرَهَا ، أَخَذَ عَنْ شَيْخِهِ مَالِيقَةَ كَاتِبِ أَبِي يُونُسَ الأَلْبِيرِيِّ وَحُسَيْنِ بْنِ مَوْسَى الفَقِيهِ المَشَاوِرِ وَغَيْرِهِمَا ، وَشَوَّورَ بَيْلَدِهِ فِي الأَحْكَامِ ، تَوَفِيَ سَنَةَ ٤٩٧ (الصَّلَةُ : ٣٢٩ وَأَدْبَاءُ مَالِيقَةَ : ١٣١) .

وله من أخرى : خاطبَ بها بعضَ إخوانه سنةَ سِتِّ عشرةَ وأربعمئة :
سَمَتَ بك سماءُ العلمِ إلى سُموة ، ودنَّتْ بك أرضُ السكينةِ إلى
دُنوة ، ودارَ بك فلَكُ المعرفةِ^١ في ملكوته ، وغابتْ بك نجومُ الحكمةِ
في جبروته ، وهَيَّأتْكَ يَدُ القُدرةِ هيئةً روحانيَّة ، وأحيَاكَ رُوحُ القدُسِ
حياةً إلهيَّة ، وألبستَكَ الشريعةَ لباسَ التقوى ، وراشتَكَ الطبيعةَ بَرِيشَ
النهي ، حتى تَطِيرَ مع الرُّوحانيِّين ، في مجالِ الصَّدِّيقين ، إلى منازلِ
المُقرَّبين ، فتذوقَ بَرْدَ عيشِ النعيم ، وتلذَّ بالنظرِ إلى وجهِ القيوم ،
وتشتاقَ إلى لقاءِ الرَّبِّ الرَّحيم . هيهات ! كيف يَنعمُ مَنْ لا يَعْلَمُ أينَ^٢
النعيم ، من مُلكِ القديم ؟ ! إنَّ اللهَ يا أخي عباداً أقامَ أرواحهم بقيوميته
على صراطٍ مستقيم^٣ ، فمشت بأقدامِ الصَّدق إلى الحق ، فدنت منه ،
فنظرت إليه على جلاله ، في اتساعِ كماله ، فضعفتُ لكبرِ سُلْطانه ؛ ثم
أفاقَتُ بالإسلام ، ونطقتُ بالإيمان ، وأبصرتُ بالإحسان ، واتصلتُ
بالقرآن ، فأمرها فقامت بالخدمة ، وعلمها ففازت بالحكمة ، فانقطعتُ
إليه بالكلية ، ودانتُ له بالحنيفية ، فأواها إلى كنفه ، ونعمها بطرائفِ
تُحَفِّه ؛ فملكها أبداً لا يبِيد ، وعلمها به يَزِيد ؛ حتى أطلعَ لها السِّرَّ ،
وأكملَ لها البرَّ ، فحييتُ بقربه ، وشربتُ بكأسِ حُبِّه ، فرفضتُ الأسبابَ ،
وخرقتُ الحجابَ ؛ وببَيَاضِ وجوها البرهان ، وأثلجها البيان ، ﴿ وجوهٌ
يومئذٍ ناضرة ، إلى ربِّها ناظرة ﴾ (القيامة : ٢٢) فرحمانهم علائمهم ،
وجبارُهم رزاقُهم ، خلاؤهم ملاء ، وملاؤهم خلاء ، وسماؤهم أرض ،
وأرضُهم سماء ، روحانيون جسمانيون إنسيون ملكيون ، أولئك
الأصفياءُ الأتقياء ، الأولياءُ النجباء ، أُناسُهم العون ، فساعدهم الكون .

١ ب م : العلم .

٢ ب م : أنى .

٣ ب م : صراطها المستقيم .

ومن شعره

أنشد له الفقيه أبو المطرف الشَّعْبِي :

يا خالقاً خلَقَ الزَّمانَ بِقُدْرَةٍ في غيرِ حينٍ من أحيانِ الزَّمانِ
يا مُحدِثاً للكلِّ كُنْتَ ولم تَزَلْ وكذاك رَبِّي لا يزالُ بلا مكانِ
أنت الذي جَلَّتْ صِفَاتُ جَلالِهِ وعلتْ^١ جلالَتُهُ عن أدراكِ العيانِ

وأنشد له :

مَلِكٌ تَعَالَى فَوْقَ غَايَاتِ العُلا يَتَقَضَى القِضاءَ على نِهاياتِ الثَّرَى
من فوقِ فوقِ الفوقِ يَنفِذُ حُكْمَهُ في تَحْتٍ تَحْتِ التَّحْتِ تَحْتِ الإِنْتِها
قُرْباً وَبُعْداً وهو أَبْعَدُ مَنْ نَأَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وهو أَقْرَبُ مَنْ دَنَا
جَلَّتْ صِفَاتُ جَلالِهِ فَجَلالُهُ قد جَلَّ^٢ عن تَحديدِ كَيْفٍ وَمَنْ وما

وأنشد له أيضاً :

شَرِبْتُ بِكَأْسِ الحَبِّ مِنْ جَوْهَرِ الحَبِّ رَحيقاً بِكَفِّ العَقْلِ في رَوْضَةِ الحَبِّ
وَخامَرَ ماءَ الرُّوحِ فَاهْتَزَّتِ القَوَى قَوَى النِّفَسِ شَوْقاً وَارْتِياحاً إلى الرَّبِّ
وَنادَى حَنِيناً^٢ بِالْأَنْبِياءِ حَنِينُها : إلهي إلهي مَنْ لِعَبْدِكَ بِالْقَرَبِ ؟
فَخاطَبَهُ وَحياً إِلَيْهِ مَلِكُهُ : سَأُكشِفُ يا عَبدِي لِعَيْنِكَ عَنْ حُجْبِي
فَأُعلنُ بِاتِّساعِ : مَثَلِكَ لَمْ أَجد تَعالَيْتَ عَنْ كَفْوَ يُكَافِيكَ أو صَحْبِ

١ في النسخ : وجلت (اقرأ : جلت) .

٢ ط : حنيناً .

أَجُولُ بَبْعُضِي فَوْقَ بَبْعُضِي كَأَنِّي بَبْعُضِي لِبَعْضِي كَالنَّجَائِبِ وَالرَّكِبِ
فَخَذُ بَزِمَامِ الشُّوقِ مِنِّي تَعْطِفًا إِلَيْكَ وَلَا تُسَلِّمْ زِمَامِي إِلَى لُبِّي
لَعَلِّي أُسْقَى ثُمَّ أُسْقَاهُ دَائِمًا رَحِيقًا بِكَفِّ الْعَقْلِ مِنْ جَوْهَرِ الْحَبِّ

ويجانب هذا رقعةٌ مرّت بي في بعض التعاليق لرجلٍ ناسكٍ من أهلِ
سرقسطة كتبَ بها مُداعباً لصديق ، كتبَ إليه : ليت شعري يا أخي ما الشرابُ
الذي تشربُه [وتستعمله] ، فتحمَرُّ عنه وجناتُك ، وتنشَطُ إلى سعيك
حركاتُك ؛ بياضُك أبداً مُشربٌ^١ بِحُمرة ، كأنك مُدمنٌ خُمرة ،
وأنت في كلِّ حالٍ طروبٌ لعوبٌ ، غيرُ عبوسٍ ولا قطوب ، لا يظهرُ
عليك همٌّ ، ولا يخامِرُك غمٌّ ؛ فلو وصفت لي صفةَ غداثك وشرابك ،
رجوت التأهّبَ بإهابك ، والتخلّقَ بأخلاقك وآدابك .

فأجابَه الزّاهد :

خَذُ كَمَاةً^٢ اللَّيْلِ فِي جَامٍ مِنَ السَّهْرِ وَاسْكُبْ عَلَيْهِ دُمُوعَ الْعَيْنِ بِالسَّحْرِ
وَامزُجْهُ بِالْخَوْفِ مَزْجًا نَاعِمًا^٣ أَبَدًا وَقُمْ عَلَى قَدَمِ الْإِيرَادِ وَالصَّدَرِ
وَاجْعَلْ مِنَ الشُّوقِ مَخَوَاضًا لِسَاكِبِهِ لِيَسْتَوِيَ لَكَ مِنْهُ الصَّفْوُ بِالْكَدَرِ
وَاشْرَبْهُ مُصْطَبْرًا بِاللَّهِ وَارْضَ بِمَا يَجْرِي عَلَيْكَ مِنَ الْأَحْكَامِ فِي الْقَدَرِ
وَاغْسِلْ بِيَاقِيهِ وَجْهًا لَا حَيَاءَ بِهِ أَلْقَتْ^٤ عَلَيْهِ الْمَعَاصِي حِمَاةَ الْغِيَرِ

١ ط : مشوب .

٢ ب م : كيت (اقرأ : كثة) .

٣ ب م : دائماً .

٤ ط : مخواضاً ؛ ب : مخواناً .

٥ ب م : أبقت .

لعلَّ قلبك أن تصبو معاطنه لتستمدَّ^١ مجاري السمع والبصر
 فيهتدي كلُّ عضوٍ نحو غايته فبينَ مُزدَجَرٍ عنهُ ومُعتَبَرٍ
 إنَّ الوجوهَ قلوبٌ إن نظرت إلى حقائقِ الحالِ أو حدَّدتَ^٢ في النظر

إذا امتلأت القلوبُ مِن ضُروبِ دَواعِيها ، أظهرتُ الوجوهُ بطلانَ
 دعاويها ، ونمَّ على الأوعيةِ ما جُعِلَ فيها ، ولذلك قالَ من قال : الحمدُ
 لله الذي ألبسَ أوليائه حُللاً من ضمائرهم ، وأنارَ وجوههم بنور إخلاص
 سرائرهم ، وكلَّلهم بالمهابةِ في العيون ، وطهرَ قلوبهم من اختلاجِ سوءِ^٣
 الظنون ، فنفوسهم مستريحةٌ رائحةً ، ومحاسنهم لأهلِ العقولِ لائحةً ،
 وثناؤهم عطرُ الانتسام ، فهم بينَ الأنامِ كالأعلام ، بهم يُستمطرُ الغمامُ
 إذا حُجِب ، وفي جُمْلَتهم يُحشرُ السعيدُ إذا نَجِب ، فمن جاراهم نُكِب ،
 ومن حاربتهم غُلِب ، ومن أفلَحَ إليهم بخلافٍ ربحهم عطب .

ومنها : يا بؤسَ مقامِ الظالمين ، وندامةَ العاصين ، إذا رأوا العذاب ،
 وتقطَّعتْ بهم الأسباب ، ويقولونَ هلْ إلى مَرَدٍّ من سبيل ، ولاتَ حينَ
 سَبِيلٍ ﴿ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (سبا : ٥٢) ، ﴿ وَلَوْ رُدُّوا
 لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (الأنعام : ٢٨) ، كيفَ يتعلَّقُ المنقطعُ
 بحَبْلِ الاتصال ، أو يجدُ قلبه برْدَ ماءِ الوصال ، وقد خالف أمرَ الكبيرِ

١ ب : تصفو معاطفة ؛ ب م : تستمر .

٢ ط : جدت .

٣ ب م ط : سر .

٤ انظر الآية : ٤٤ من سورة الشورى .

المتعال ؟ ألا ومن خالف خوليف به ، ومن عدل عن سلوك سبيل الرشاد
نكص على عقبه ، ومن أبصر واجتهد أدرك غاية مطلوبة ، واتصل
بمحبوبه ، ووصل إلى رياض مرغوبه ، وصل إلى مقام أمين ،
في جنات وعيون ، يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين :

كم بين من عبّر الصراط^١ خفيفاً وأتى الإله من الذنوب نحيفاً
وطوى المراحل بالطوى عن كل ما كره الإله وجانب التعنيفاً
حتى أناخ ببابه وقبابه ضيفاً عزيزاً عنده معروفاً
فأتى القرى بجبابه وجزائه^٢ حتى ينال من النعيم صنوفاً

فصل في ذكر الأديب العالم النائر الناظم أبي محمد غانم^٣ ، والأخذ
بطرف مستظرف من خبره وحميده أثره

قال ابن بسام : وكان أبو محمد غانم بن وليد ، ونسبه في بني مخزوم ،
قد بدّ وقتة أهل ذلك الإقليم ، في أنواع التعاليم^٤ ، فردّ عصره ونسيج
وحده ، في تناهي جدّه ؛ متفنناً جرى في ميدان السبق ، وفقهاً قرطس

١ ط : الطريق .

٢ ط : وجوابه .

٣ هو غانم بن وليد بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي من أهل مالقة (٤٧٠ -) ؛ انظر الجذوة :
٣٠٦ (والبغية رقم : ١٢٨٠) والصلة : ٤٣٣ وأدياء مالقة : ١٧٩ والمطمح : ٦٠ والمغرب
١ : ٣١٧ والمطرب : ٨٤ ومعجم الأدياء ١٦ : ١٦٧ وبغية الوعاة : ٣٧١ وصفحات

متفرقة من النفع .

٤ ب م : وجميل .

٥ ب م : في مخزوم .

٦ ط : التعليم .

أغراض الحق ؛ وكان في هذا الباب الذي ولجنا فيه من أهل الروية والبديه ؛
حدث عنه الفقيه أبو عبد الله بن عميشل^١ وكان من خاصته الملازمين له ،
والآخذين عنه ، أن أبا محمد أنشد هذين البيتين^٢ :

وإذا الديار تنكّرت عن حالها فذر الديار وأسرع التحويلا
ليس المقام عليك حتماً واجباً في بلدة تدعُ العزيز ذكلاً
وسئل الزيادة عليهما فقال :

لا يرتضي حرّ بمنزل ذلة إن لم يجد في الخافقين مقيلاً
فارض العلاء لحرّ نفسك لا تكن ترضى المذلة ما حييت سبيلاً
واخصص بودك من خبرت وفاء لا تتخذ إلا الوفي خليلاً
فلقد خبرت الناس منذُ عرفتهم فوجدت جنس الأوفياء قليلاً
سقيلاً لأيام الشباب فإنها كالإلف حاول أن يجد رحيلاً

جملة من نثره

من ذلك رُقعة خاطب بها بعض إخوانه بغرناطة ، قال فيها :

يا سيدي سموّاً ، وسندي علوّاً ، كلُّ جوادٍ من بني جودي سابق ،

- ١ ذكر ابن عسّكر في أدباء مالقة : ١٦٦ علي بن عميشل وقال : من أشياخ مالقة ، ولم يذكر كنيته ، وذكر ص : ١٩٠ سليمان بن عميشل ، ويرجع بنسبه إلى قبيلة عاملة ، وكنيته أبو أيوب .
- ٢ وردا في المغرب ١ : ٣١٨ ومعهما بيت ثالث .
- ٣ ب م : لو .
- ٤ ب م : الوفاء .
- ٥ بنو جودي : ينتسبون إلى بني سعد بن بكر بن هوازن ، وقد رأس بعضهم (النفع) : (٢٩١) ؛ كان جدهم جودي بن أسباط يلي الشرطة للحكم الرضي ، كما ولي قضاء البيرة (الحلة) (١٥٥ : ١) .

وكلُّ سيّدٍ من بني سودة سامق ، ولولا أن أجاهرَ بسرَ الإطراء ، وأناظرُ
في باب الإغراء ، لقلتُ إنك حابسٌ لوائهم ، وفارسٌ وفائهم ، وحارسٌ
ثنائهم ؛ ورحم الله من كان لك سمياً ، فلقد كان سرياً ، وفي الفضلاء
سنيّاً ، وأرجو أن يكونَ عند ربّه مرضيّاً .

وردني - أعزك الله - كتابٌ ألدُّ من مراشفِ الأحباب ، وخطابٌ
أرقُّ من معاني أبي الخطاب ، عمر بن أبي ربيعة ، فله على علمك معانٍ
بديعة ، جلوتُ منها زهرَ المعاني في رياض الشعر ، وعروس الأمانى في نثار
النثر ، وتبسّم لي عصرُ الربيعِ قبل أوانه ، فتقسّم ناظري بين شقائقه
وحوذانيه ، ووَرَدِهِ وسوسانه ، إلى لطائف من أبحار دُرَر ، وأنواع
غُرَر ، بعضها من بنات الفكر ، وبعضها من بنات الذّكر ، وغيرُ نكيرٍ
أن يصيرَ رَوْضُ النّهي ، في حلي روض الرُّبى ، ودرّ الأفكار كدُرّ التجار .
ولما رتّع ناظري في تلك المراتع ، وربع خاطري في تلك المراع ، هزّني راحُ
الأريحية ، وازدهنتني خفّةُ الأمنية ، فلو كنتُ ممن يشربُ الرّاح ،
لطرْتُ بلا جناح ؛ تذكّرتُ بخطابك ونظامك تلك الشّمائل ، بمالقة ،
ورَوْح تلك البُكرِ والأصائل ، وإن لم يكن إلّا في ليالٍ قلائل .

وفي فصل منها : ومما أغفلته بقلة اليقظة ، وسألتُ الله ألا تكتبهُ
عليّ الحفظةُ ، تهنتُك بالفارس المولود ، والفرع المودود ، والنجم
السعيد ، الذي تطلّع في أفقِ سماءك ، وتلفّع بلفاعِ ضيائك ، ملّيته
ولداً برّاً ، ووفياً حرّاً .

تقسّمتُ خطراتِ القلبِ رِيحانٍ هذي ارتياحي وفي هاتيك رِيحاني

١ ط : بالراح .

٢ وردت هذه الرسالة في أدباء مالقة : ١٧٩ - ١٨٠ .

لأنتي على السنّ والدنيا مولية^١ أرتاحُ نحو نسيمٍ ساق عرفهمُ
لأنتي على السنّ والدنيا مولية^١ أمن لبيرةَ تسري الرّيحُ حاملةً
كأنما يعتلي بالجسمِ رو-طاني مقررَ مُلكِ الرئيسِ المستجار به
رَوْحَ النّسيمِ فأحياني وحيّاني؟ يا لائخَ البرق من أعلامها غسقاً
باديسَ فاز بتمكين وإمكان طَوْدُ من العلم والآدابِ راسيةً
جُدُ بالتّحيةِ مَنْ حيّاً فأحياني حرُّ الفضائلِ معسولٌ شمائله
أصوله وذراهُ فوق كيوان أحيا أبو الحسنِ المشهورُ منصبه
يُخصّصَ من زينةِ العليا برُجحان قد كان عتبي موصولاً على زمني
محاسنَ الدّهرِ من حُسن وإحسان حتى طلعتَ به بدرأ فأرضاني

وله من أخرى خاطب بها أبا الحسن الحصريّ : ما أفصحَ لسانك ،
وأفصحَ ميدانك ، وأوضحَ بيانك ، وأرجحَ ميزانك ، وأنورَ صباحك ،
وأزهرَ مصباحك ، أيّها السابقُ المتمهلُ في ميدان النّبل ، والسّامِقُ^٢
المتطولُ بفضائل الذّكاء والفضل ، أرحتني من غلّ^٣ الهمّ ، فازدهتني
أريجيّة ، وأزحتني عن ظلّ الغمّ ، فلاحَتْ لي شمسُ الأُمّية ، بما أطلعتني
عليّ ، وأنفذته مكارمك إليّ . فقلت : أعصُرُ الشّبابَ رَجَع ، أم كوكبُ
السّعدِ طَلَعَ ، أم بارقُ الإقبالِ لمع ؟ كلا والله ، إنها لمكرُمةٌ فهريةٌ ،
أهدتها^٤ نفسٌ سنيّةٌ ، وهمّةٌ عليّةٌ . إن قلتُ الوشيّ الصّنعانيّ فقد نقصتها ،

١ أدباء مالقة : الفارط .

٢ ب م : والشاق ؛ أدباء مالقة : والسابق .

٣ أدباء مالقة : جوى .

٤ ب م وأدباء مالقة : وأهدته .

٥ ط : أحدثها .

أو الديباجُ الحسروانيّ فقد بخسْتُها . بلى والله ، أرني زهرَ الربيع في غيرِ أوانه ، وحُسْن الصَّنيع على عَدَمه في أهلِ زمانِه ، لمحتُ منه عِقْدَ اللآلِ ، يبقى على أخرى الليالِ ، فأنت واحدُ البلاغة الذي لا يجارى . وفارسُ الفصاحة الذي لا يُبارى . وقد اعتقدتُ ما به أشرت ، وإياه اعتمدت ، لو لاح لي في أفقِ النقلةِ صباح ، أو استقلّ بي في طرقِ الرحلة^١ جناح . وكم حاولتُ^٢ مسألةَ النوائب بانقباضي ، ومدارةَ الدنيا بتركي لأغراضها وإعراضي ، فإذا الانقباضُ قد حصلني في جملةِ النقبض . والتركُ للأغراض قد جعلني للنوبِ كالغرض ، ولا سلاحَ إلاّ الدُّعاء إلى الله تعالى في الصّلاح ، ولا جناحَ إلاّ التمني لمن يقولُ ما عليك جناح ؛ فسبحان من قدرَ أن أكونَ لنابِ النوبِ حرباً ، وتكونَ عليّ أيامُ الزمانِ إلِباً . أصلى بنارِ المصائب السّود ، كأنّي ممّا أنا بأك منه محسوداً^٣ . أستغفرُ الله ! فقد حمي صدري حتى غلّى مِرْجلُهُ ، وضاقَ مجالُ فكري حتى اتسعَ في الشكوى مِقْبولُهُ . ولو أنّي سلّمتُ لمواقعِ الأقدار ، وعلمتُ أنّه ليس على القدرِ اختيار ، ورضيتُ بما يأتي به الليلُ والنهار ، وتيقّنتُ أنّ خُلُقَ الزمانِ عداوةُ الأحرار ، لأرحتُ قلباً يتقلّبُ في جمرِ الأسى ، وأذكرتُ لُبّاً قد نسي الاقتداء بالأسى .

١ ط : الوصلة .

٢ ط : حاولت .

٣ من قول المتنبي :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه أني بما أنا بك منه محسود

ومن شعره

أنشد له الفقيه [الزاهد] المذكور في الزهد :

صرَفَ بقايا العمرِ في طاعةٍ ولا يغرَنكَ كيدُ الغرورِ
وارحلَ إلى الأخرى بزادِ التقى فإنما الدنيا متاعُ الغرورِ

قال : وخرجنا معه إلى ربوةٍ تُعرفُ بالعقابِ مُشرِفةٍ على وادي
مالقة ، فقال بديهة^١ :

ضحك الزمان بحسنه وبهائه كالصبِّ يضحكُ بعدُ طول بكائه
وكانَ إقبالَ الربيعِ بوصله وصلُ الحبيبِ أذاكَ بعدَ جفائه
وكانما وادي العقابِ عشبةٌ مُستمطرٌ دمعي بجزيةٍ مائه
وكانَ رشحَ الطلِّ في رَوْضِ الرُّبى رشحُ الحدودِ بدا بنارِ حياته

قال : وهبطنا إلى الوادي فلم نجد ماءً ، فحفرنا في الرملِ حتى خرج
الماء من قاعه ، فقال :

أيتها الحسي الذي جا د بماء دون منعٍ
إن تخف غيضاً من الـ قميظ فهذا فيض دمعي

قال : وطبخنا له مرةً شرابَ تفاحٍ فوجد فيه رائحةَ ثوم ، فقال :

دُهِيتُ يا قومُ بأعجوبةٍ لم تَكُ في الزنج ولا الرومِ
شرابُ تفاحٍ تخيرتهُ فعاد مطبوخاً من الثومِ

١ الأبيات في أدباء مالقة : ١٧٩ .

٢ ط : منه ، ب : منذ ؛ م : منك .

وأنشد له :

يا غريباً بحُسنه قصّتي فيك أغربُ
أنتَ في طيّ ناظري والمنى منك تُحجّبُ
لا تَلُم في مداده بدمِ القلبِ يُكْتَبُ
إنّ إدريسَ ماجدٌ للعلا فيه مذهبُ
جدّه خاتمُ الهدى^١ وعليّ^٢ له أب
فهو للمجد مطلعٌ وهو للمجد مغربُ

وقال له عتيق المغنّي [المهدوي] وهو بالقصر : إني أحفظُ بيتاً فلعلّك
تُدَيّله ، وأدخِلْهُ في طريقته ، والبيت :

يا نائبَ الوجه عن شمس الضُّحى غسقاً والبدرُ لو كلّفوه ذاك لم يَنْسُبِ

فقال بديهة^٣ :

في غُرّة الملكِ العالِي^٢ ومَنْظَرِه بدرٌ يعطلُ نورَ السَّبْعَةِ الشَّهْبِ
نرى محيَّاهُ في ليلٍ فيخبرُنا عن الحقيقةِ أنّ الشمسَ لم تَغِبْ

ودخل مجلسَ باديس فوسّع له على ضيقٍ كان فيه ، فقال^٣ :

صبرَ فؤادك للمحبوبِ منزلةً سمُّ الخياطِ مجالٌ للحبيبينِ
ولا تسامحْ بغيضاً في معاشرَةٍ فقلّما تسعُ الدنيا بغِضيينِ

١ ب م : حاتم العلا (م : خاتم) .

٢ ب م : العليا .

٣ البيتان في أكثر المصادر المذكورة في ترجمته ، وفي نفع الطيب ٢ : ٢٦٥ ، ٢٩٨ ،

٤٤٧ ، ٥٩٦ ؛ ٤ : ٢٨ .

قال ابن بسام^١: وهذا من قول الخليل بن أحمد، وقد دخل عايه بعض
إخوانه وهو على نمرقة صغيرة، فرحّب به وأجلسه معه في مكانه، فقال:
إنها لا تحملنا، فقال له الخليل: ما تضايق سمّ الحياط لمحبّين، ولا اتسعت
الدُّنيا بمتباغضين. وسمع هذا أيضاً ابنُ عبد ربّه فقال هذين البيتين^٢:

صِلْ من هَوَيْتَ وإن أبدى معاتبةً فأطيبُ العيشَ وَصَلْ بينَ خلتين
واقطعْ حبائِلَ خيلٍ لا تُلائمُهُ فربُّمَا ضاقتِ الدُّنيا بإثنتين

ومن مدائحه

له من قصيد في العالي بالله إدريس بن يحيى بن عليّ بن حمّود أولّها:

لولا التخرُّجُ لم يُحجَبْ محيّاك	حيّيتِ عنا وحيّينا بمحيّاك
هذا اللثامُ غمامٌ ما يُبينُ هُدًى	حُطّي اللثامَ فليس البدرُ إلّاك
لما هَدَيْتِ إلى نَعْمَانٍ سافرةً	كانتْ هدايتُنَا مِن بَعْضِ نَعْمَاكَ
أيا غزالتنا شمسُ الضُّحَى طلعتْ	على اتفاقٍ فسيماها كسيماك
بدَوْتَ في حِلّةٍ زرقاءٍ وهي كذا	فقال قاضي الهوى: هذي ولا ذاك
أظلماتني منك يا ظمياءُ جائرةً	ما كانَ ضَرَكِ لو أحظى بسُقيّاك
إنّي أراك بتملّ النفس حاذقةً	قولي بفضلِكَ مَنْ بالقتلِ ^٣ أوصاك
مالي وللبرقِ أسْتَسْقِيهِ مِن ظمأٍ	هيهاتَ لا رِيَّ لي إلّا ثناباك
إن كان واديك ممنوعاً فموعدُنَا	وادي الكرى ثمّ تلقاني وألقاك

١ انظر النفع ٣ : ٢٦٥ ، ٣٩٨ .

٢ انظر النفع ٣ : ٤٤٧ .

٣ ط : بالحب .

٤ كذا ، وهو خارج على المقبول من الصيغ ، إذ حقه أن يقول « تلقيني » .

رَقَّ الدُّجَى فتلّاقينا على جَزَعٍ وأينَ مثنويَ من أقطارِ مَثَوَاكِ
دمعي ببغدادَ ممدودٌ بدجلتها وأنتِ من رَوْضِ نَجْدِ نَشْرِ رِيَاكِ
ريحَ الصَّبَا بلّغني أنفاسَ ذي ظمأ وبرّديها بما يقضيه مجراكِ^١
أو يمتعي حضرةَ العالي بما احتملت مني الضُّلُوعُ فثمَّ البُرءُ للشاكي

وله نثرٌ فيه طويلٌ إذ وليَ الخلافةَ ، قالَ فيه بعدَ الصّدرِ : ولم يتركِ
المتطولُ عاينا عزَّ وجهه بالهدى ، أمةَ محمدٍ عليه السلامُ سُدَى ؛ بل
نظّمَ شملها بإمامٍ عادلٍ تجتمعُ إليه ^٢ ، وتعوّلُ عليه ، تتوارثه كابرًا عن
كابرٍ ، وتتلقاه غابرًا عن غابرٍ ؛ إلى أن أذنَ اللهُ للإمامِ الهاشميِّ ،
والملكِ الفاطميِّ ، والفرعِ العلويِّ ، لإدريسِ العاليِ باللهِ بنِ يحيى المعتلي باللهِ
ابنِ علي الناصر لدين الله بن حمّود بن أبي العيش بن عبّيد الله بن عمر بن
إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن ^٣ بن عليّ بن أبي طالب ؛ فقام
العالي باللهِ بخلافةِ المغربيّين ، واضطلعَ بملكِ العدوتين ؛ ولَمَّا آن أوانُ إمامته ،
حانَ من عدوّه حينُ قيامته ^٤ . وكان مقتلُ العبدِ الغادرِ * — وكافرُ النعمةِ
كالكافرِ — في جُمادى الآخرةِ سنةَ أربعٍ وثلاثينَ ، وفي عشرينَ ليلةٍ
خلتْ من كانون . فانجلتْ سمومُ الشتاءِ بانجلائه ، وانقضتْ أيامُ السّومِ

١ ب م : يمضيه مجراك ؛ ط : فعواك .

٢ ب م : بامام ترجع إليه .

٣ في النسخ : الحسين .

٤ ب م : بين إقامته .

ه الأرجح أن الإشارة هنا إلى السطيفي ، وهو رجل من مالقة ، تعاون مع نجاه الصقلبي الذي اعتقل إدريس ، فلما اخفق نجاه في تحقيق أهدافه واغتاله بعض العبيد ، ثار العامة على السطيفي وقتلوه وباعوا إدريس بعد أن أخرجوه من معتقله (انظر البيان المغرب ٣ : ٢٩١) .

بانقضائه ، وكان عقبَ الشهر في استقبال شهر رَجَبِ الشهر الأصمّ ، سُمِّيَ بذلك لأنَّ العربَ أسقطتْ فيه قَعْقَعَةَ السِّلاحِ ؛ وكانَ المثلَ إنما جرى في مضمار ، على مَفرقِ الليل والنهار ، وأرى الناسَ مخايلَ السعدِ والإيناس ، وهو قولهم : عِشْ رَجَبًا تر عَجَبًا ؛ وكان هذا العجبُ آخِرَ يومٍ من الليالي ، وقامتْ فيه دولةُ هذا الملكِ العالِي ، والشمسُ تأخُذُ مِن قَعْرِ الفَلَكِ في الصُّعود ، وتؤذُنُ بِجَري الماءِ في العود ؛ وترقَى بالعالمِ في دَرَجِ السَّعود :

واستقبلَ الملكَ إمامُ الهدى في أربعٍ بعدَ ثلاثينا
خِلافَةَ العالِي سمَتُ نحوَه وهو ابنُ خمسٍ بعدَ عشرينا
إِنِّي لأرجو يا إمامَ الهدى أن تملكَ المُلُكَ ثمانينا
لا رَحِمَ اللهُ امرءاً لم يقل عندَ دُعائي لك آمينا

فسفرت الدنيا قناعها فتيةً ، وبلغتْ النفوسُ بخلافته الأمانةً ، وانثالت عليه بيعاتُ الأمصار ، وأمتتْ حضرته الرُّسلُ من جميعِ الأقطار ، وبدأ بالفضل ، وصدع بالعدل ، فأحيا مآثرَ آبائه الطاهرين ، وفي وصفِ دولته يقولُ من اتسمَ بسيماءِ نعمته ، ومحبةِ دعوته :

ضَحِكَ الزمانُ إليك بعدَ عبوسٍ ونفى دُجى الإيحاشِ بالتأنيسِ
فأدِرْ نجومَ الراحِ في فلكِ المُنَى وتَطوفُ نحوَكَ من أكفِ شَموسِ
في رَوْضةٍ تُحيي النفوسَ كأنما باتتْ تنقَسُ عن عُلَا لإدريسِ
مَلِكٌ أقامَ اللهُ دولةَ مُلكِهِ فكبا مِنِ الأعداءِ كلُّ رَئيسِ
من دوحَةِ الوحيِ التي بسموها درَسَتْ مَعاني الكُفْرِ أيَّ دروسِ

قال : ودخلتُ يوماً على العالي ، ووصلتُ إلى مجلسه العالي ، وأنا على
بُعدٍ منه ، وانتزاحٍ عنه ، ألحظه بمُقلة حاثم ، وأناجيهِ بقلبٍ هائم ؛
فأنشدته^١ بيتي إسحاق الموصلي في المأمون^٢ :

يا سَرَحَةَ الماءِ قد سُدَّتْ موارِدُه أما إليك طريقٌ غيرُ مسدود
لحاثمٍ حامٍ حتّى لا ورودَ له مُحَلَّلاً عَن طريقِ الماءِ مردود^٣
فقرَّبَ وأدنى ، وسألَ عن حالي فأحفى^٤ ؛ فتغنّى بعدَ هدمِ محمد بن
الحماميّ المغني بشعرٍ لعبدِ الله بنِ المعتز^٥ :

هل يُزِيلُ البينَ محْتالٌ أنْ غَدَتْ للبينِ^٦ أجمالُ

فأمرَ العالي بتذييله فقلتُ :

إنّما العالي إمامٌ هُدَى حَلَيْتُ في عَصْرِهِ الحالُ
مَلِكٌ إقبالٌ دَوَلَّتِهِ لِدَوِي الأفهامِ إقبالُ
قُلْ لِمَنْ أَكَدَتْ^٨ مطالبُهُ راحَتاهُ الجاهُ والمالُ

١ ب م : فأنشدت .

٢ انظر الأغاني ٥ : ٣٥٠

٣ الأغاني : لا حيام له . . . مطرود ؛ ب م : مسدود .

٤ في النسخ : فأجفى .

٥ ط : مبدء .

٦ الخبر في النسخ ٣ : ٦١٤ - ٦١٥ .

٧ ب م : للحي .

٨ ط : أبدت .

ولم أكد استتم^١ إنشاد هذه الأبيات ، حتى أنعم عليّ بالصّلات . ولما انفصلتُ وقد تسربتُ أثوابَ نعمته ، قصّدتُ إلى وزيره وثقته أبي عمر بن هاشم^١ فأعلمته ، وأثّنتُ وشكرتُ ، ولو استطعتُ جعلتُ الريح لساناً ، والزّمانَ ترجُماناً .

قال : وحضرتُ مجلسه أيضاً فتغنّيتُ الحماميّ بشعرٍ محدثٍ أوّله :

إذا بَلَغْتَنِي يَا نَا قَتِي الْمَسْمِيَّ لِإَدْرِيسَا

فكأنّ العالي بالله استحسنَ الحِلَّةَ ولم يرضَ قوله « المسمي » ؛ وإنما هو المُسمَى أو المُسمَى من سميت أو أُسميت ، ولا يُقالُ من التسميةِ سموتُ ولا سميت ، ولو قالَ « المُسمَى لِإَدْرِيسَا » لصحَّ الوزنُ والكلامُ ؛ فأطرقَ قليلاً - أيده الله - ثم قال للمُغْنِي أعِدِ الصوتَ^٢ ، قل :

إذا ضاقتْ بكَ الدُّنْيَا فَعَرَّجْ نَحْوَ لِإَدْرِيسَا

إذا لاقَيْتَهُ تَلْقَى رَئِيساً غَيْرَ مَرُوسَا

وَمَنْ عَزَمَاتُهُ تَنْفِي عَنِ الْأَوْطَانِ لِإِبْلِيسَا

لِإِمَامٍ مَاجِدٍ مَلِكٌ يُزِيلُ الْغَمَّ وَالْبُوسَا

فتبادَرَ مَنْ بِالْحَضْرَةِ إِلَى حِفْظِهَا ؛ ثم قالَ لي : أيجوز من طريقِ النَّحْوِ « رَئِيساً غَيْرَ مَرُوساً » ؟ فقلتُ : للنحويّينَ في هذا مذهبان ، وهُما في جَوَازِهِ وَاِمْتِنَاعِهِ فَرَقَتَانِ ، فَأَهْلُ الْبَصْرَةِ أَنْكَرُوهُ ، وَالْأَخْفَشُ وَالْكَوْفِيُّونَ

١ في المغرب (١ : ٤٢٥) أبو عمرو بن هاشم ، وأورد له بيتين .

٢ ط : بهذا الصوت .

جوازه وامتناعه فرقتان ، فأهل البصرة أنكروه ، والأخفش والكوفيتون أجازوه^١ ، وأنشد من أجاز تركَ صَرفِ المصروف قولَ عباس بن مرداس^٢ :

فما كان قيسٌ ولا حابسٌ يفوقانِ مرداسَ في مجمعِ

وأنشدوا^٣ :

وقائلةٍ ما بالُ دوسرَ بعدنا صحا قلبه عن آلِ ليلي وعن هندِ

ومثله :

وميمَنٌ وَلَدُوا عا مرُّ ذو الطول وذو العرضِ

فلم يصرفوا مرداساً ولا دوسراً ولا عامراً وهي منصرفة . وللبصريين في هذه الأبيات تبديل ، ومذاهبٌ وتأويل ؛ روى مكان دوسر « ما للقريني بعدنا » وتأولوا في عامر القبيلة . والذي يعولُ عليه أن منعَ الصرف دونَ علةٍ ضرورةً عند سيبويه ، وإن كان في اختلافهم مجال ، لمن تصرفَ في سبيلِ المقال .

ثم أمرَ بعدُ أن يُبدلَ مكانَ « غيرَ » في البيت « ليس مرؤسا » ، وقال : السلامةُ من الاختلاف ، أولى في طريق الإنصاف .

١ تأمل استشهادات أبي الوليد غانم تجد أن اعتذاره - من جهة النحو - ضعيف متهافت ، فإنها شواهد على عدم صرف الاسم العلم .

٢ انظر سيرة ابن هشام ١ : ٤٩٤ والعيني ٤ : ٢٦٥ .

٣ انظر العيني ٤ : ٢٦٦ ، وهو لدوسر بن دهبيل القريني .

٤ البيت لذى الاصبع المدواني ، انظر العيني ٤ : ٢٦٤ .

ومن مراثيه

أنشد له الفقيه ابن عميل المذكور يرثي أخويه من جملة قصيدة :
يا دَمْعُ لا تَحْذُلْ وكن مُسْعِداً لا تَخْش من صَبْرِي أن يَمْنَعَكَ
أَخُ غَرِيقٌ وَأَخٌ في الثَّرَى وترتجى السَّلَوةَ ما أَطْمَعَكَ !
إن جُمُودَ العَيْنِ خَوْفَ العِدا ورَقَبَةَ الحُسَّادِ لَنْ يَنْفَعَكَ
يا عُمُراً أَعْمَرْتَ قَلْبِي أَسَى ودَعَ صَبْرِي مِثْلَما ودَعَكَ^١
رُزْتُ في الدُّنْيا يَدَيَّ نَصْرَتِي^٢ يا دَهْرُ تَبّاً^٣ لَكَ ما أَفْجَعَكَ

وله فيهما :

ما طمعي في العيش من بعدما كدَرَهُ موتُ شَقِيقَيَا
كفانِ صافحتُ المُنَى عنهما فكفَتِ الأَيَّامُ كَفِياً
هذا فقيرٌ طاحَ في قَفْرَةٍ ودا غَرِيقٌ ما أرى حَيّاً

وله من قصيدة يرثي الفقيه القاضي أبا علي بن حسون^٤ أولها :

الموتُ أَعْرَبَ في أَصَحِّ مَساقٍ أنَّ المنيَّةَ شَمَرَتْ عن ساقِ

١ ب م : أودع ... أودعك .

٢ ب م : بذني نصرتي .

٣ ط : بتأ .

٤ ب م : فقيده .

• هو الحسن (وفي القصيدة : حسين) بن حسون من علماء مالقة ، ويبدو أنه تورط في ثورة نجاء الصقليين والسطيفيين فوجهه العالي لأنه بايع عدوه (النفخ ٣ : ٣٩) ثم ولاه العالي قضا مالقة ، وقاسى شدة من اختلاف الخلفاء على بلده (المغرب ١ : ٤٣٠ - ٤٣١) .

[الموتُ يخبرُ عَنْ مرارةِ كأسِهِ
هَلَاءَ توأصينا بصورةِ حالنا
يا آمِلَ الدُّنيا لباقي عُمُرِهِ
حَسَناءُ زِي¹ بالنّهْيِ مَهْجُورَةٌ
مَعشُوقَةٌ الحَرَكَاتِ إِلَّا أَنّهَا
كَمْ أودَتِ الدُّنيا بَغْضٌ شَبِيبَةٌ
ومَوْقِرٌ لبسَ المشيبِ جَلالَةٌ
طَرَفَتُهُ أحداتُ المنونِ فَأُطْرِقَتِ
لو كان يَبْقِي الموتُ حَبِيراً عالماً
ما أَنْصَفَتِ عَقْبَاكَ يا طَلقَ الرّدى
ولّى حُسَيْنٌ والمحامِدُ² بعده
أَسْفِي لَرِيّة³ كُنْتَ عَقْدَ جَمالِها
تَزْدانُ مِنْكَ بِحُسْنٍ ما قَدْ طَوَّقَتِ
عِلْمٌ أَعْيَنَ بِفَضْلِ حِلْمٍ راجِسِحِ
وصَباحَةٌ⁴ وسَمَاحَةٌ⁵ قُسِمَتْ لَهُ
ومنَ الغَرِيبِ غُرُوبُ شَمْسٍ في الثرى
أَبْقَيْتَ في الدُّنيا ماثِرَ ثَرَةٍ
قَدْ كانَ مَجْلِسُكَ المُبارَكُ موسِماً

والكَاسُ¹ مَلَأَى لَمْ يُدْرِها ساقِ
والنَفْسُ تَرَقى في لَهى وتراق؟
أَقْصَرُ فَمَا أَمَلٌ عَلَيْها باقِ
فإذا تَعَرَّتْ مُتَتَعَتِ بِطَلاقِ
أَفْعَى تَدَبُّ لَأَعشَقَ العُشاقِ
كَالْغُصْنِ ماسٍ-بناضِرِ الأوراقِ
بَحْرٍ لِباغِي العِلْمِ عَذَبِ مَدَاقِ
مِنْهُ الفُضائلُ أَيْما لِطَراقِ
لَوْقى الحَمامَ أبا عَلِيٍّ واقِ
أُردَيَتِ عالِماً على الإِطْلاقِ
كَيْلا تُقاسِي جاحِمَ الأَشْواقِ
فابْتُزَّ ذاكَ العِقْدَ دُونَ وفاقِ
زَيْنَ الحَمامِ الوُرُقِ بِالْأَطْواقِ
أَخَذَ الأَمانَ لَهُ مِنَ الإِخْلاقِ
رِزْقاً تَبارَكَ قاسِمُ الأَرْزاقِ
وَضِياؤُها باقٍ على الآفاقِ
تَبْلَى حُلَى الأَيامِ وَهي بَواقِ
فأَقامَ أَوْحَشَ مِنْ غَداءِ فِرَاقِ

١ ب م : ر يا .

٢ ب م : والمحاسن .

٣ رية : الاسم القديم للمالقة (المغرب ١ : ٤٢٣) .

٤ ط : فازدان منك بحسن ما طوقته .

٥ ب م : بسماحة .

غَيَّبَتْ عَنْهُ مَغِيبَ بَدْرِ كَامِلٍ وَاللَّيْلُ أَدْهَمُ ضَارِبٌ بِرَوَاقِ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ وَالْكَسُوفُ مَرْتَبٌ قَمَرٌ تَوَارَى فِي زَمَانٍ مَحَاقِ
مَنْ ذَا أُعْزِي فِيكَ مِنْ هَذَا الْوَرَى لَمْ يَلْقَنِي إِلَّا بِحَزْنِكَ لَاقِ
وَالنَّاسُ مَحْزُونُونَ فِيكَ كَأَنَّمَا كَانَ اتِّفَاقُهُمْ عَلَى إِصْفَاقِ

وله ١ في بُلُقَيْنَ بن باديس ٢ ، من قصيدة أولها :

هُوَ الْعَمْرُ يُطَوِّى وَالْأَمَانِي رَوَاحِلُ هُوَ الْعَيْشُ يُقْنَى وَاللِّبَالِي مَرَاحِلُ
إِذَا كَانَتْ الْأَمَالُ تُدْعَى قَوَاتِلًا عَلَى الْحُكْمِ فَلَا آجَالُ مَنَا مَقَاتِلُ
نُغَالِبُ أَجْنَادَ الرَّدَى الدَّهْرَ بِالْمُنَى كَمَا غَالِبَ الْحَقِّ الْمُصْرَحَ بَاطِلُ
وَأَحْوَالُنَا بَيْنَ الْحَيَاةِ وَصَدَّهَا تُصَرِّفُ وَالْأَقْدَارُ فِيهَا الْعَوَامِلُ
عَلَى ذَا تَقْضَى عَالَمٌ بَعْدَ عَالَمٍ وَلَمْ تَخْتَلَفْ فِيهِ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ

ومنها :

مَضَى مَلِكُ الْعَلْيَا وَلَمْ يُظْلَمِ الضُّحَى وَلَا انْتَقَلَتْ عَنْ حَالِنَ الْمَنَازِلِ
وَلَا انْهَدَتْ الشُّمُّ الرَّوَاسِي وَلَا انْتَنَتْ أَعَالِي دِيَارِ الْأَرْضِ وَهِيَ أَسَافِلُ
فَقَقُلْ لِعَتَاقِ الْخَيْلِ تَنْدُبُ يَوْمَهُ فَقَدْ فُجِعَتْ فِيهِ الْقَنَا وَالْقَنَابِلُ
وَلَيْسَ صَهِيلَ الْخَيْلِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنْ عَوِيلُ رَجَعَتِ الصَّوَاهِلُ
[وَلَا تَعْجَبُوا مِنْ وَاكِفِ الْقَطْرِ لِأَنَّهُ دَمُوعٌ هَرَاقَتَهَا السَّحَابُ الْهَوَاطِلُ]

١ ط : وله من أخرى .

٢ بلقين (ويكتب أيضاً بلكين) بن باديس بن حبوس الصنهاجي : جعله والده باديس ولي
عهده ولقبه سيف الدولة ولكنه توفي سنة ٤٥٦ ، وأتهم ابن النفريلة بدس السم له (البيان
المغرب ٣ : ٣٥٩ والإحاطة ١ : ٤٣٩ - ٤٤٢) .

فَقُلْ لِلْسَانِ الْمَجْدِ أَخْرِسَتْ مَفْحَمًا^١ لَفَقْدِ بُلُقَيْنِ ، فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ ؟
فِيَا طَالِبًا لِلْجُودِ لَا تُتْعَبِ الْمَنَى فَقَدْ نَصَبْتُ فِي الْأَرْضِ تِلْكَ الْأَنَامِلَ
كَأَنَّ جَمِيلَ الصَّبْرِ رَاءُ^٢ وَمَنْ غَدَا بِحَاوِلٍ^٣ وَصَلًا مِنْ تَأْتِيهِ وَاصِلَ

ومنها^٤ :

وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو نَحْوَ قَصْرِكَ مَادِحًا فَهَا أَنَا أَشَدُّ حَوْلَ قَبْرِكَ ثَاكِيلٌ
وَقَدْ كُنْتُ فِي مَدْحِكَ سَحْبَانًا وَائِلٍ فَهَا أَنَا مِنْ فَرْطِ التَّأْسَفِ بَاقِلٌ

وفيها يقول :

أَفَنِي^١ أَيْتَهَا الْمَوْلَى الرَّئِيسُ فَإِنَّمَا بِقَاوُكَ عُمُرٌ لِلنَّدَى مُتَطَاوِلٌ
وَلِإِنْ كَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ انْجَابَ ظِلَّهُ فَأَنْتَ لِهَذَا الْمَدَى كَافٌ وَكَافِلٌ
وَلِإِنْ كَانَ شَمْسًا قَدْ تَوَلَّى ضِيَاؤُهَا فَيُوشَعُ فِي تَمَكُّنِ نَوْرِكَ حَاصِلٌ
وَلِإِنْ كَانَ بَدْرًا أَنْتَ عَنَصَرُ نُورِهِ فَأَيْنَ مِنَ الشَّمْسِ الْبَدُورُ الْأَوْفَلُ ؟
إِذَا ثَبَّتَ الْمَاءَ الْمَعِينُ بِحَالِهِ فَلَيْسَ نَكِيرًا أَنْ تَفِيضَ الْجَدَاوِلُ
وَفِي الْخَيْسِ أَشْبَالُ^٢ تَرَشَّحُ^٣ لِلْعَدَا وَأَرَاوُكَ الْحُسْنَى مُوَاضِرُ الْفَوَاصِلِ

وَأُنْشِدْ لَهُ مِنْ أَشْعَارِهِ فِي صَبَاهِ :

هُوَ^١ عَلَيْكَ فَقَدْ مَضَى مَنْ يَعْقِلُ وَالْبَيْسُ مِنَ الْأَخْلَاقِ مَا هُوَ أَفْضَلُ
فَلَقَدْ لَمَّا تَأْتَى عَلَيْكَ مَسْرَّةٌ^٢ إِلَّا تَتَابَعَ بَعْدَهَا مَا يُشْكَلُ

١ ب م : معجماً .

٢ ط : يواصل .

٣ البيتان التاليان في النفع ٣ : ٣٩٨ والقافية فيهما منصوبة .

٤ ط : تفيض .

وإذا خَبَرْتَ النَّاسَ لَمْ تُلَفْ امْرَأً
 ما بالهم - نكبت بهم آمالهم -
 فمُسَاتِرٌ ضَعُفَتْ قُوَى آرائه
 ومُقَلَّدٌ مُتَعَاوِلٌ مُتَادِبٌ
 ومِنَ الْغَرَائِبِ مَنْ يُقَارِعُ فِي النِّهْيِ
 ومنها :

حَاوَلْتُ أَنْ أَلْقَى الزَّمَانَ بِطَبْعِهِ
 في الأرضِ مَتَسَعٌ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ
 لوْلا الْوَفَاءُ وَشِيْمَةُ لَا تُنْقَلُ
 وإنْ تَنَبُّ مُنْزَلَةٌ دَعَاها مُنْزِلُ
 وأنشدَ له :

بَعَيْنِكَ هَلْ لِي مِنْهَا مُتَخَلِّصٌ
 وإنْ زَمَانًا ضَنَّ عَنِي بِوَصْلِكُمْ
 فإنْ كُنْتُ تَدْرِيهِ فَكَيْفَ يَكُونُ ؟
 على طُولٍ مَا قَاسَيْتُهُ لَضُنِّي
 وأنشدَ له :

أَمِطْ عَنْكَ لَوْمِي فَالطَّبَاعُ ضُرُوبُ
 إذا مَا تَجَنَّتِي الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ
 فليسَ لِدَاءِ الْوَدِّ مِنْهُ طَبِيبُ
 وإنْ كَانَ مَا قَدْ حَالَ مِنْهُ لَعَلَّةٌ
 فكلُّ مُدَاوٍ بِالْعِتَابِ مُصِيبُ
 يقولونَ لِي غَمَضَ عَلَى غَدْرِ مَنْ مَضَى
 ولا تَعْتَبِنْ إِنَّ الْوَفَاءَ غَرِيبُ
 فَقُلْتُ لَهُمْ إِنِّي غَرِيبٌ كَمَثَلِهِ
 وكلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
 ومنَ سَالِمِ الْأَيَّامِ فَهُوَ لَبِيبُ

فصل في ذكر الأديب أبي عبد الله بن السراج المالقي^١

محسِنٌ في أهلِ عصرِهِ مَعْدُودٌ ، وشاعِرٌ بني حَمْدُودَ ، وله فيهم

١ هو أبو عبد الله محمد بن السراج المالقي، وقال الحميدي: لم يقع لي اسم أبيه، وقال إن ابن شهيد ذكره (عل الأرجح في حانوت عطار) ولم ترد ترجمته في القطعة المتبقية من كتاب أدباء مالقة - وهو يبدأ بالمحمدين، إذ يبدو أنها سقطت فيما سقط من أوراق الكتاب (انظر الحذوة: ٥٦ والبنية رقم: ١٤٤ والمغرب ٤٣٤: ١ - ٤٣٥ والمحمدون: ٣٣٨ والمسالك ٤١٣: ١).

غيرُ ما قصيد ، ومقطوعاتٌ في التسيب وجدتها بخط الأديب أبي عليّ الحسن ابن الغليظ^١ من أفقٍ مألقة أيضاً ، صاحبه الكثير الاتصال به والمتأدّة له . وقد اخترتُ منها ما يليقُ بشرطِ هذا المجموع .

قال أبو عليّ : أردتُ يوماً الأُنسَ به ، فعلمتُ اتصالَ شربه ، فانفردتُ مع صديقٍ وكتبْتُ إلى ابنِ السراج^٢ :

يا خليلًا صفا وكدرَ يَومِي هل إلى الطيبِ في غَدٍ من سبيل ؟
لو تراني أُسارقُ اللَّحظَ خائِي وأُستقى مِن ريقِهِ المَسْئُولِ
لَتَمَنَيْتَ أَنْ تَرَى « حُسْنَ الْوَرْدِ » د « تُغْنِيكَ بِالْغِنَاءِ الثَّقِيلِ »^٣
يا خليلًا مثاله نُصَبَ عَيْنِي لو خلونا إِذْ شَفِيتُ غَلِيلِي

فألفاهُ رَسُولِي سكرانَ فَكُتِبَ إِلَيَّ :

يا صَدِيقِي شُعِلْتُ عَنْكَ بِخُطْبِ لم يَكُنْ لي بَرَكَةٍ مِن سَبِيلِ
وَعَدًا نَلْتَقِي عَلَيْهَا سُلَافًا مُزَّةً فِي حَرَارَةِ الزَّجْجِيلِ
أَثْقَلْتَنِي هَوًى بَقَدِّ خَفِيفِ حُسْنُ الْوَرْدِ فَوْقَ رَدْفِ ثَقِيلِ
سَلَبْتُ صَبْرِي الْجَمِيلَ وَقَلْبِي بِجَهْوَنِ نُجْلٍ وَوَجْهِ جَمِيلِ
كَحَلَّتْ بِالسَّهَادِ وَالِدَمْعِ طَرْفِي يَوْمَ أَبْصَرْتُهَا بِطَرْفِ كَحِيلِ
هِيَ سَوَّلِي مِنَ الْمِلَاحِ كَمَا أَزْ لَكَ مِنْ سَادَةِ الْأَخْلَاءِ سَوَّلِي
لَا عَدَتْنِي زِيَارَةٌ مِنْكَ تُذَكِّي نَوْرَ عَيْنِي سَنَاءً وَتَشْفِي غَلِيلِي

١ ترجم له في المغرب ١ : ٤٣٥ وذكره في بدائع البداهة : ٨١ والنفع ٣ : ٢٧٠ ، ٣٩٨ ،

٦١٠ بما لا يخرج عما ورد في الذخيرة من علاقة بينه وبين ابن السراج .

٢ انظر المغرب ١ : ٤٣٥ .

٣ المغرب : بعينيك بالحناب الظليل ؛ ب م : بالغناء النبيل .

٤ ب م : رضى .

وكنْتُ معه يوماً على جريّة ماءٍ في موضعٍ حسنٍ بحارُ فيه الطّرف ،
ويَقصرُ عنه الوصف ، وأقمنا هنالك أياماً في أطيبِ عيشٍ وأظرفِ
منظرٍ ، وكنْتُ أهيّجُهُ للقول فقلتُ :

شربنا على ماءٍ كأنَّ خَريرَهُ خَريرُ دُموعي عندَ رؤيةِ أزهري
حلفتُ بعينيهما لقد سَفَكَتُ دمي بأطرافِ فتانٍ والحاظِ جوذرِ
وقلتُ^١ :

شربنا على ماءٍ كأنَّ خَريرَهُ
فقال مُبادِراً :

بُكاءُ مُحِبٍّ بانَ عنه حبيبُ
فَمَن كانَ مشغوفاً كئيباً بالفه فلأنّي مَشغوفٌ بهِ وكئيبُ
وأزهريُّ التي يَذْكُرُ جاريةً كانتَ لبعضِ إخوانينا ، وله بها كَلَفٌ ،
وفيهما يقول :

خَليليَّ في ربحِ الصِّبَا لو تَنَسَّمتُ علينا شفاءٌ من هوى متسعرِ
رَسولُ التي في صوتها سوطُ لَحظها على هائمٍ مثلي بها غيرِ مُقصرِ
تَذَكَّرتُ بالوادي زماناً لقيتُها بهِ فيهِ والمُشتاقُ حِلْفُ تَذَكَّرِ
فلو صُبَّ في كأسِي أذَى لشربتهُ على شرطٍ أن أسقاهُ من كفِّ أزهري
ووردَ عليه يوماً رَسولُ حُسْنِ الوَرْدِ ومعه قَفَصٌ فيه طائرٌ يغرّد ،

١ انظر بدائع البداهة : ٨١ والنفع ٣ : ٢٧٠ ، ٦١٠ والمساك ١١ : ٤١٣ وقد وردت
القافية بالباء بعدها هاء « حبيب ، كئيب » في بدائع البداهة .

فاقرأه^١ سلامها ، ودفع^٢ إليه القفص^٢ هدية منها إليه ، وأخبرني بذلك ،
 واجتمعنا إثر هذا وهجته^١ لذكرها ، وبين يدينا ورد^٢ كثير^٢ نصير معلق^٢
 من أغصانه ، فقال :

ذَكَرْتُ بِالْوَرْدِ حُسْنَ الْوَرْدِ شِقَّتَهُ^٢ حُسْنًا وَطِيبًا وَعَهْدًا غَيْرَ مَضْمُونِ
 هَيْفَاءُ لَوْ بَعْتُ أَيَّامِي لِرُؤُوسِهَا بِسَاعَةٍ لَمْ أَكُنْ فِيهَا بِمَغْبُونِ
 كَالْبَدْرِ رَكْبَهُ فِي الْغُصْنِ خَالِقُهُ فَمَا تَرَى حِينَ تَبْدُو غَيْرَ مَقْتُونِ
 فَاشْرَبْ عَلَى ذِكْرِهَا خَمْرًا كَرِيقَتِهَا وَخُصِّصَنِي بِهَوَاهَا حِينَ تَسْقِينِي

قال : فقلتُ أنا :

بدا الوردُ في أغصانه متعرِّضاً يُذَكِّرُنِي مَنْ لاسمه حُسْنُ الْوَرْدِ
 يُذَكِّرُ أَيَّامًا نَعِمْنَا بِطِيبِهَا وَرَشَفَ رُضَابُ طَعْمِهِ حَسْنَ الْوَرْدِ
 فدعني ولا تلح على الحب أهله فلو كنت تدري لم تلمني على وجدي

وقال أبو علي :

ولما تبدَّى الوردُ فوق غُصُونِهِ وَذَكَرُنِي بِالْوَرْدِ فِي صَفْحَةِ الْخَدِّ
 ذَكَرْتُ بِهِ مَنْ خَدُّهُ لِي رَوْضَةٌ تَهِيمُ بِهَا مِنْ حُسْنِهَا رَوْضَةُ الْوَرْدِ
 فقلتُ لِمَنْ عَهْدِي لَهُ مِثْلُ عَهْدِهِ سَقَاكَ الْحَيَا مِنْ صَاحِبِ حَافِظِ الْعَهْدِ
 وقلتُ اسقني كأساً على طيب ذكرها فَإِنِّي مَشْغُوفٌ بِهَا بَيْنَكُمْ وَحْدِي

وشربنا يوماً على ماءٍ يتفجَّرُ من أعالي أحجار ، وقد أهدقتُ بنا عدة^٢

١ ظ : وهجته .

٢ شقته : شقيقته .

أشجار ، وترددَ فيها علينا غناءُ أطيار ، تُنسي لحنَ الأوتار ؛ وانكسر
لنا الكأسُ هنالك ، وكانَ بتلك القريةِ صديقٌ لنا فكتبَ إليه :

بقينا بلا كأسٍ سوى شَقَفِ شربةٍ يُميتُ سُرورَ الشَّارِبِ المُترنِّمِ
فمنَّ بكأسٍ يا فتى الفتكِ^١ والذي مَضَى لي زَمَانٌ وهوَ فيه مُعلِّمي

وهبَّتْ علينا في ذلك المكان رِيحٌ عَطِرةٌ أنتَ بأنواعِ أرواحِ النَّبات ،
فقال :

ألا يا نسيمَ الرِّيحِ هل أنتَ مخبري بحالِ حبيبٍ ليس لي عندهَ علمٌ ؟
حبيبٌ رآني أَشتفي منه فاتقَى جُفُونِي بِسُتْرِ تَحْتَهُ الْقَمَرُ التَّمُّ

وقال عند رَحيلنا :

عليكَ سلامُ اللهِ يا ماءَ موضعٍ شَرَبْنَا عليه مثله قهوةٌ خمرًا
ورَوَى الي مِن حُسْنِهَا وجُفُونَهَا سَقَتْنِي سَحْرًا خَمْرَةً تُسَكِّرُ السَّحْرَا

وكتبَ إلى صديقٍ له ونحنُ على ذلك الماء :

هل لك في الشَّرْبِ يا أبا الحسنِ في منزلٍ طيِّبِ الثرى حَسَنٍ ؟
أرجاؤه لا تزالُ دائِرةً بواكفٍ من مياهِه هَتَنِ
لو كانَ ممَّا يُباعُ كنتُ له مُشْتَرِيًا بِالْغَلَا مِن الثَّمَنِ
ما كنتُ فيه والزَّقُ يُصَحِّبُنِي أَبْدِلُ كَأْسِي بِتَاجِ ذِي يَزَنِ

وقال وقد ارتحلنا من ذلك المكان :

سقى صفحةَ الصَّفَاحِ من غيثٍ عبرتي سحائبُ تروي تُربِّها وثرأها

١ ب م : الحمي .

شَرِبْتُ بِهَا يَوْمًا وَصَحْبِيَ مَاجِدٌ لَهُ رَاحَةٌ يُسْقِي السَّحَابَ نَدَاهَا
جَوَادٌ^١ إِذَا مَا اسْتَمْطَرَتْ جُودَ كَفِّهِ ظَوَامِي^٢ أَمَالٍ هَمِّي فَسْقَاهَا

قال : ودعوتُهُ إلى النزهة بالبادية ومَطلعتُهُ ، وكان بعضُ خَدَمَتِنَا
قد أعرَسَ ورَغِبَ إليَّ أن أبقى لأحضر العُرْسَ ، فكتبتُ إليه :

يا صديقاً وداده ما يَرِيمُ وخليلاً إخاؤه لي يَدُومُ
جاءني راغباً لأحضرَ عُرْساً مَن له عندنا ذِمَامٌ قَدِيمُ
وهو عُرْسٌ لا تأتيه خاوي البَيطُ نِ فَإِنَّ الغَدَاءَ فِيهِ نَسِيمُ

فكتبتُ إليَّ :

إن كنتَ تُبْقِي على عُرْسِ البواقين فأنتَ عندي مجنونُ المجانينِ
دَعُ ذا وسر بي إلى أمِّ الحسانِ ففِي صدري لها وضلوعي قلبُ مفتونِ
وصاحبُ العرسِ بوقونٌ^٣ وأنتَ ففِي ما زِلْتَ تَكَرَّهُ أحوالَ البواقينِ

وخرجنا إلى البادية في أيام الربيع ، وأقمنا على رَوْضَةٍ ورد وحولها
مياهٌ تَطَرَّدُ ، وأمُّ الحَسَنِ^٤ تغرَّدُ ، فقال ارتجالاً :

يا سيدي والذي رضاهُ رَضَى عليه دُونَ الأَنَامِ اعْتَمَدُ

١ ب م : كريم .

٢ لفظة بوقون وجمعها بواقين ، وردت كذلك في ب م ط ، ويبدو أن الذي أوحى باستعمالها
قول ابن الغليظ في الأبيات السابقة « فَإِنَّ الغَدَاءَ فِيهِ نَسِيمُ » ومن كان يغدي نسيماً فإنه بوقون ،
وترجيح ذلك من Bocinero وهو نافخ البوق أو القرن ، ولفظة Bocon بالاسبانية تعني
أفوه أو « فشار » .

٣ أم الحسن : الطائر الذي يسمى الهزار (المغرب ١ : ٤٣٤) ، وفي درة الحجال أن أم
الحسن بلغة المغاربة هي العندليب والشحرور والنبليل (انظر أمثال العوام : ١٨٤٧ ص :

٤٢٤) .

أما ترى الدهرَ كيف جاد لنا بيومٍ أنسٍ ساعاته جُدَدُ
ورَدُّ جَنِّيٍّ وروضةٌ تركتُ بوفرها والمياهُ تَطَرِدُ
فقل لأَمِّ الحسانِ تَقْتُلُنِي ولا عليها دَمٌ ولا قَوَدُ
واشربْ كشربي على محبةٍ من في صوتها العذبِ طائرٌ غَرِدُ

ومالت الشمسُ هناك إلى الغروب ، وأحدثتْ شُعاعاً في تلك الروضة ،
وعلا خريرُ الماءِ ببردِ العشيِّ ، فقال أيضاً :

إذا الشمسُ مالت للغروب رأيتني أميلُ بأثقالِ الهوى فأميلُ
تذكرني أوصافَ مَنْ عَرَّضَ الهوى عليَّ فلمّا همتُ ظلٌّ يحولُ
خليليَّ وجدي فوقَ ما تُبصرانيه فهل لي إلى السلوانِ عنه سبيلُ
خذارحمةٍ من بعضِ ما بي من الهوى فإنَّ الهوى حملٌ عليَّ ثَقِيلُ

قال : واجتمعنا يوماً بمجلس أنس ، وكتبنا إلى أبي بكرٍ عبادة^١ ، وقد
كان تابَ عن الشرابِ ويساعدُ في التَّيْبِذِ :

نبيذُكَ المحكَّمُ يدعوكَ مستشعراً شوقاً إلى فيكا
فامننْ بإقبالٍ وإلاّ مضى جميعنا دُمتَ لنا ديكاً

فراجعنا بقوله وجاء لوقته :

قصدي بود ليس مشكوكاً فيه وعهد ليس متروكا
من حقّ ناديكُم على شاكر غدا لكم صنواً ومملوكا
وكيف صبري عن نديٍّ أرى فيه دم الكرمِ مسفوكا

١ هو أبو بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن ماء السماء الوشاح ، وقد مرت ترجمته ص :

وغبّت مدة طويلة من الدهر في سَفَرٍ لقيت فيه نصيباً ، وصحبتُ قوماً
لم يَحْسُنْ موقعهم من نفسي ولا التذذت بهم ، ثم قدمتُ مشتاقاً إلى الانس
به ، فكتبتُ إليه ^١ :

يا من أقلب طرفي في محاسنه فلا أرى مثله في الناس لإنسانا
لو كنتَ تعلم ما لاقيت بعدك ما شربت كأساً ولا استحسنيت ريحانا

فورد عليّ من حينه فقال : أردت مجاوبتك فخفتُ أن أبطيء ، فصنعتُ
الجواب في الطريق ، وهو :

يا من إذا ما سقتني الرَّاحَ راحتُهُ أهدتُ إليّ بها روحاً وريحانا
من لم يكن في صباح السبت يأخذها ^٢ فليس عندي بحكم الظرف لإنسانا
فكن على حسن هذا اليوم مصطبحاً مؤخراً حسناً فيه وحسانا
وفي البساتين إن ضاق المحلُّ بنا مندوحة لا عدمننا الدهر بستانا

قال : وغبّت في غزوة مع يحيى المعتلي بالله ^٣ ، وذلك في سنة أربع وعشرين ،
فاتصل بي أنه تنزه مع بعض أصحابه في زمان الورد ، وفصاحة أمّ الحسن ،
وأنه صنع أشعاراً في وصفها ، منها ^٤ :

ومُسَمِّعة غَنَّتْ فهاجَّتْ لنا هوى جَنِينا به منها ثمارَ المني * جَنِينا
دعوتُ لها سقياً فما استكمل الرضى دُعائي لها حتى سقاها الحَيَا سقيا

١ منها أبيات في المغرب ١ : ٤٣٦ والنفع ٣ : ٣٩٨ والمساك .

٢ ط : يظهرها .

٣ هو يحيى بن علي بن حمود أبو زكريا وأبو محمد بويج سنة ٤١٢ بقرطبة ثم خلع في السنة
التالية ، ثم أعيدت دولته سنة ٤١٦ وخرج في السنة التي تليها إلى مالقة وقتل سنة ٤٢٦
وقد شرح ابن حيان قصة مقتله في ما تقدم .

٤ أورد خمسة أبيات منها في المغرب ١ : ٤٣٤ - ٤٣٥ .

٥ ط : الهوى .

٦ ط : بها .

وكنْتُ رَفِيقاً للوزير الكاتب أبي بكر ابن زياد ، وسألني مخاطبته
ليزيدَ عليها ، فكتبتُ إليه في ذلك ، فزادَ فيها :

وكأسٍ على طيبِ استماعي لصوتها شربتُ ودَمَعُ المِزْنِ^١ يسعدني جريا
ولو أفلعتُ أُولَى عزاليهِ لَانْبَرَتْ رياحُ النوى تمرى دموعَ الهوى مرثيا^٢
خليليَ هذا اليومُ لو بيعَ طيبُهُ بما حوتِ الدنيا لقلتُ له الدنيا
وللهِ أيتامي وما خِلْتُ أنها تُعوّضُني من قُربها في الرضى نأيا
تَوَلَّتْ حَمِيدَاتٍ فسقياً لعهدِها ورعياً ولا سَقِياً لهذي ولا رعياً
جَفَنِي عيونُ الغانياتِ وطالما سَعَتْ طولَ أيتامي لتبصرني سعيًا
وأطلعَ شَيْبِي عَارِضاً فوق عارضي يَسِيعُ هُموماً ما عليَّ لها بَقِيًا
مضى عُمُري والدَّهْرُ لي غيرُ منصفٍ يُكَلِّفُني أشياءَ جَلَّتْ عن الأشياءِ^٣
فلا جيدٌ من غِيداءِ يشفي عناقُها غَلِيلَ صباباتي ولا شَفَةَ لَميًا
كفى حزنًا أني أرى الحُسْنَ ممكنًا ولستُ أرى لي فيه أَمراً ولا نهيًا
ولو تَعَدَّلُ الأَيَّامُ في بذلِ خُطَّةٍ لما كنتُ في السَفلى وغيري في العليا

وقال في ديكٍ صدحَ سحرًا :

رعى اللهُ ذا صوتٍ أنسنا بصَوْتِهِ وقد بانَ في وجهِ الظَّلَامِ شُحُوبُ

١ ب م والمغرب : العين .

٢ ب م : تجري . . . جرياً ، والتصحيح عن المغرب ، ولم يرد البيت في ط .

٣ وقع في ب م قبل البيت الأخير .

٤ ط : الجيد .

٥ ط : صرخ .

٦ ط : كان ؛ وما في المغرب يتفق وما أثبتته .

دعا من بعيد صاحبا فأجابته يخبرنا أن الصبح قريب
علي له لو كنت أملك أمره^١ حياة على طيب الزمان تطيب

وقال وقد رأى الغيث ينزل :

تأمل سقوط الغيث ماذا أثار من هو في قلب المحب كنين^٢
رأى في جفوني دمعها جامد الهوى ففاضت^٣ على الإسعاد منه جفون

وقال أيضاً :

ذكرتكَ بالوادي الذي كنت مرة^٤ به والهوى ما بيننا أبداً غير^٥
فحركت مني باعث الشوق ساكناً وكلّني صبراً ومن أين لي صبر ؟
فيا نازحاً والدأر مني قريبة^٦ إلى كم يطول الصد لي منك والهجر ؟
إذا الله يوماً خصّ بالقطر ساحة^٧ « فلا زال منهلاً بساحتك القطر »

قال أبو علي : وطالت بنا الأيام ، وسئمتنا المدام ، فتناومنا لها ،
فقال ابن السراج :

يا راقدين تنبّهوا من رقدة^٨ منعتكم طيب السرور العاجل

١ ب م والمغرب : عمره .

٢ المغرب : كمين .

٣ المغرب : غير ذائب فذابت .

٤ ب م : لقيتك فيه والهوى بيننا غير .

٥ من قول ذي الرمة :

ألا يا أسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك انقطر

٦ ط : طول .

وصلوا بعامكمُ السُّرورَ فإنكم لا تضمنون سروركم في القابل
لا خلقَ لُغْنُ متجراً من بائعٍ بالبخسِ عاجلٍ طيبه بالآجل
للهِ هذا اليومُ لو ظفرتُ يدي فيه^١ بحفظِ العهدِ في القابل
وقال أيضاً :

رعى اللهُ فتياناً أنستُ بقرهم على جَدولٍ للماءِ فيه خَرِيرُ
أقمنا به يومين في خفضِ عيشَةٍ ولا عيشٍ إلا قهوةٌ وغدير
تدورُ القوافي بيننا نستحثها وكأسُ الحمى بالسُّرور تدور
وفي الشجرات الخضر منه رقيقةٌ لنغمتها بين الضُّلوع هدير
إذا ما تغنت فوقنا قلتُ قينةٌ تلاها بصوتٍ مثلثان وزير
سبني بصوتٍ لو يباعُ اشتريته بما مرّ من عمري وذاك يسير

واستغفناه يوماً من الشرب وكان يدمنه على ضعفه ، فقال :

رعى الله يوماً لم أجِدْ فيه مُسعداً على شربها والمُسعدون قليلُ
شربتُ بها وحدي ولأتي بشربها إذا لم أجِد لي مُسعداً لكفيل
وقال أيضاً :

خليلي هُبَاً للمُدامةِ واشربا سُروراً على الطيرِ الذي يترنمُ
علا صوته حتى حسباهُ عاشقاً يروحُ ودمعُ العينِ في الخلدِ يسجم
كأنّا سألناهُ مزيداً لما شدا به فهو من إلحاحنا يتبرّم

وقال :

يا حابساً كأس المدامة حُثَّها نحوي فلي في شربها تأويلُ
واطرَبْ على وجهِ الربيعِ فقد بدا مِنْهُ لَنَا وجهٌ أغرُّ جميل
واشربْ على ماء الخليجِ فإنه ضَيْفٌ إقامتهُ لديكَ قليل
لو كان أمري في يدي ما فارقتُ يوماً يَدَي رامشنةٍ وشمول

وقال في أمِّ الحَسَن :

ومُسَمِّعةٌ تُغْنينا ارتجالاً وتُصَحِّبُنَا بنغمتها دَلالاً
وبينَ أَكُفِّنا خَمَرٌ وماءٌ إذا ما سألَ خِلْتِ الدُّرَّ سالا
فإن شاءتْ سَقَيْنَاها مُداماً وإن شاءتْ سَقَيْنَاها زُلالاً
ولو سَقَيْتِ دَمِي ودَمِي حَرَامٌ لكانَ الحُسْنِ مَنطِقَها حلالاً

قال : وكنا يوماً على الوادي في أيام الربيع ، فمرَّ به سِرْبٌ مِلاح
فيهنَّ جاريةٌ حسناء ، ظريفةُ المنطق ، وهي تأكلُ باقلاءً ، فاعترضها
وسألها منه فدفعته إليه ، فقال بديهةً :

وسربٍ ملاح مرَّ بي وبصاحبي^١ ونحنُ على ماءٍ يُذَكِّرُنَا عَدَنًا
ويحملنَ فولاً عندهنَّ نظيرُهُ عوانٌ ولكن نورهُ عزٌّ أن يجنَى
فقلتُ عسى من فولكنَ بقيةٌ فقلن : وأيُّ القولِ ترغبهُ منا ؟
فقلتُ الذي تحتَ السراويلِ قلنَ لي جهلنَ^٢ ولم تفهم مَقالَتنا عَنَّا
حرَّامٌ على من كان شيخاً مشوَّهاً وصالُ ملاحٍ فتنَ شمس الضُّحى حسناً
وفيهنَّ نشوى الطَّرفِ لم أرقبها من الإنسِ شمساً تحمِلُ الدَّعص والغصنا

١ ب م : وبصحبتي .

٢ ب م : طمعت .

وأقمنا بالبادية في أيامِ العَصيرِ مدّةً في لهُوٍ وطيب ، وقفلنا فكتب إليّ :

رعى اللهُ عصراً ضمّنا في عصيره محلّ وصلنا اللهو فيه لياليا
تدورُ علينا الرّاحُ في أريحية من العيش لو دامت زماناً كما هيا
أقولُ لأصحابي خذوا من حياتكم برأبي زاداً سوف ينفدُ فانيا
ومن ملّ منكم شربها فليردّها إليّ فإنّي لا أملُ التّماديا
أرى عمراً الإنسان يوماً يسره فمن نال ذاك اليوم نال الأمانيا
فلا تلق يوماً بالخلاف إلى غدٍ فلست بما لاقيت بالأمس لاقيا
ولا تخلُ من كأس يسرك شرباً على طرب ما دام سرّك خاليا
فإن أهلك أيامَ الشّباب فواجبٌ على من جفته أن يرى الدّهر باكيا

وقال أيضاً :

ألا من مُنقذي من كربٍ ليلٍ تعرّضَ بينَ طرفي وارتياحي ؟
تضاعفَ طوله واشتدَّ حزني به حتى يئستُ من الصّباح

فصل في ذكر الأديب أبي القاسم خَلَف

ابن فَرَج^٢ الإلبيري المعروف بالسّميسر

وكان باقعةَ عصره ، وأعجوبةَ دهره^٣ ، وهو صاحبُ مزدوجٍ كأنّه

١ ب م : وامتد .

٢ ترجمة السّميسر وبعض أخباره في المغرب ٢ : ١٠٠ والمطرب : ٩٣ والخريدة ٢ : ١٦٧
والمسالك ١١ : ١٦٧ وأخبار وتراجم أندلسية للسلفي : ٢٨ ، ٨٣ وفي نفح الطيب
مقطعات كثيرة له (انظر الفهرست) ، وبدائع البدائع : ٣٧٩ ، ٣٩٤ ويبدو من أخباره
أنه هجا باديس أو بلقين فطلب فهرب إلى المعتصم بن صمّاح ، الذي لم يسلم فيما يقال من
هجائه ، وقيل بل وضع ذلك على لسانه (أخبار وتراجم : ٨٣ : ٨٤ والنفح ٣ : ٤١٢)
وإنه قطعة يرثي فيها الزهراء (النفح ١ : ٥٢٧) .

٣ ب م : كان أحد بواقع الزمان وعجائب أهل هذا الشأن .

هذا فيه حدّ و منصور الفقيه^١ ، وله طبع حسن ، وتصرف مستحسن في مقطوعات الأبيات ، وخاصة إذا هجا وقدح ، وأما إذا طوّل ومدح ، فقلّما رأيتُه أفلح ولا أنجح ، وقد أثبت من ذلك ، بعض ما تخيرتُه له هنالك . وله مذهب استفرغ فيه مجهود شعره . من القدح في أهل عصره ، صنّت الكتاب عن ذكره ، [ألا تسمع إلى قوله :

ألا قل لأهل القبروان لحاكمُ وأستاهكم هانت عليكم فهنمُ
فأستاهكم تعطونها ولحاكمُ تغفونها بالخلق طراً لعنمُ

والسميسر في هذا كما قال القائل :

عاني من معائب هي فيه خالد فاشتفى بها من هجائي

أو كما قال الآخر :

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسه مرّاد لعمري ما أراد قريب^٢

لكنه ليست ضعة المرء في نفسه بمذهبة جوهرية الأدب المركب في الإنسان ، وقد أوما إلى ما كانت عليه حاله بقوله :

حسبي صحيح ولكن هواي يؤهين حسبي
فصّح رأيي لغيري ولم ينصح لنفسي

١ هو منصور بن اسماعيل الشافعي التميمي الضرير ، أصله من رأس العين ، وله مصنفات في مذهب الشافعي ، وكانت وفاته بمصر سنة ٣٠٦ (انظر طبقات الشيرازي : ١٠٧ والسبكي : ٣١٧ وابن خلكان : ٥ : ٢٨٩ ونكت الحميان : ٢٩٧) وأكثر شعره في الأخلاق والحكم ؛ وقد أورد ابن عبد البر في كتابيه بهجة المجالس وجامع بيان العلم قطعاً كثيرة من شعره .

٢ زاد بعده في نسخة دار الكتب : وفي مثل : رمتني بدائها وانسلت .

ثم بعد أن لوح ، صرّح وأوضح في قوله :

إذا تَبَطَّنْتُ لَذَّتِي فَأَنَا نَطِيسٌ نَفْسِي عَسَى أَدَاوِيهَا
فَلَا تَكُلمُ مُوَلِّعاً بِلَذَّتِهِ فَإِنَّهَا عِلَّةٌ يُعَانِيهَا^١

ما أخرجته من شعره في أوصاف شتى

[من شعره في الازدواج على كل منهاج ، قوله :

لا تَفَرَّتْكَ الحَيَاةُ فَمَوْجُودُهَا عَدَمٌ
لَيْسَ فِي الْبَرْقِ مُتْعَةٌ لَا مَرَى يَخْبِطُ الظَّلَمَ]

وقال أيضاً^٢ :

بِئْسَ دَارُ المَرِيَّةِ الْيَوْمَ دَارَا لَيْسَ فِيهَا لِسَاكِنٍ مَا يُحِبُّ
بِلَدَةٍ لَا تُعَارُ إِلَّا بِرِيحٍ رُبَّمَا قَدْ تَهَبُّ أَوْ لَا تَهَبُّ

وقال^٣ :

أَقَارِبُ السَّوْمِ دَاءٌ سَوْءٌ فَاحْمِلْ أَذَاهُمْ تَعَشُّ حَمِيدَا
فَمَنْ تَكُنْ قُرْحَةً بِفِيهِ يَصْبِرُ عَلَى مَصِّهِ الصَّدِيدَا

١ زاد بعده في النسخة المذكورة : ونقلنا هذا من خطه في سفر عرضه علي أبو بكر الحولاني المنجم باشبيلية سنة ثمانين وأربعمائة ، ولكن ليست (له) صفة طبيعية في ذاته ، على بدع من أدواته .

٢ وردا في النفع ٣ : ٣٩٠ .

٣ وردا في المسالك والنفع ٤ : ٢٠ .

٤ النفع : قرابة .

٥ ب م : تكن .

وقال ^١ :

قالوا المَرِيَّةُ فيها نَظَافَةٌ قُلْتُ لِإِيهِ
كَأَنَّهَا طَسْتُ تَبَرٍ وَيَبْصَقُ ^٢ الدَّمُ فِيهِ

وقال في ملوك ^٣ الأندلس :

نَادِ الْمُلُوكَ وَقُلْ لَهُمْ مَاذَا الَّذِي أَحْدَثْتُمْ
أَسْلَمْتُمْ الْإِسْلَامَ فِي أَسْرِ الْعِدا وَقَعْدْتُمْ
وَجَبَ الْقِيَامُ عَلَيْكُمْ إِذْ بِالْإِصْطَارِ قَمْتُمْ
لَا تُنْكِرُوا شَيْءَ الْعَصَا فَعَصَا النَّبِيِّ شَقَقْتُمْ

وقال :

رَجَوْنَاكُمْ فَمَا أَنْصَفْتُمُونَا وَأَمَلْنَاكُمْ فُخَذَلْتُمُونَا
سَتَصْبِرُ وَالزَّمَانُ لَهُ انْقِلَابٌ وَأَنْتُمْ بِالْإِشَارَةِ تَفْهَمُونَا

وهذا كقول الآخر مما أنشده الثعالبي ^٤ :

سَتَصْبِرُ إِنْ جَفَوْتَ فَكَمْ صَبَرْنَا لَغَيْرِكَ مِنْ أَمِيرٍ أَوْ وَزِيرٍ
وَلَمَّا لَمْ نَنْلِ مِنْهُمْ سُورُوا رَأَيْنَا فِيهِمْ كُلَّ السَّرُورِ

١ وردا في المسالك والنفع ٣ : ٣٩٠ .

٢ المسالك : ويزف .

٣ ب : أمراء .

٤ نسبهما للسببر في المسالك .

وقال ١ :

يا مُشْفَقاً من خُمُولِ قومٍ ليس لهم عندنا خَلَاقُ
ذَلُّوا وقد طالما أَذَلُّوا دَعَهُمْ يَذوقوا الذي أَذاقوا

وقال :

إذا رأيتَ العَبْدَ فاحْكُمْ على مَوْلَاهُ مِنْ ظَاهِرِ مَرَّاهُ
دَلِيلُ حَالِ المَرءِ عِبْدَانِهِ والعَبْدُ مِنْ طِينَةِ مَوْلَاهُ

وهذا المعنى كثير ، ومنه قولُ أبي الحسن بن مضا^٢ القرطبي في غلامٍ
وسيم من عبيد المتوكل للمتوكل^٣ :

قد جاءكم فاضحُ الهلال يَعْْبَقُ بالمِسْكِ والغوالي
لا تُنْكروا نشرها عليه فالعبدُ مِنْ طِينَةِ المولي

وقال السَّمِيسِرُ^٤ :

خذ من الدَّهْرِ ما أتى إن نعيماً وإن نَكَدَ
كُنْ كسَكْتينِ جازِرٍ قاطعٍ كلَّ ما وَجَدَ

وقال :

ليسَ يخلو المَرءُ من همٍ باكتسابِ اللحمِ والدمِ
حَيَوَانٌ حيوانٌ صحفوهُ فهوَ أقومُ

١ وردا في الحريرة والنفع ٤ : ١٠٨ .

٢ ب م : قول الحسن بن مضا .

٣ ط : وسيم للمتوكل ؛ والمتوكل المعنى هنا هو عمر بن المظفر صاحب بطليوس (٤٣٠ - ٤٦٠) .

٤ وردا في المسالك .

٥ ط : حيران ؛ ب م : حتى ان .

كأن معنى البيت الأوّل ينظر إلى قول المعري^١ :

يغنى الفتى بالمنايا عن مآربه وينفخ الروح في طفل فيفتقر

وقال في عبد الله الأمير بغرناطة وقد رآه يحصّن على نفسه^٢ :

يَنِي على نفسه سفاهاً كأنه دودة الحرير

وهذا المعنى [كثير] مطروق ومنه قول حبيب^٣ :

وإن يَبِنَ حيطاناً عليه فإنما أولئك عقالاته لا معاقله

وقال ابن الرومي :

انظر إلى الدّهر هل فاتته بُغْيَتُهُ في مطمح التّسراؤ في مسبح النّون
ومن تحصّن مسجوناً على وجلٍ فإنما حصنه سجنٌ لمسجون

وقال السّمسير^٤ :

قالوا أتسكنُ بلدةً نفسُ العزيزِ بها تهونُ ؟
فأجبتهم بتأوّه كيف الخلاصُ بما يكون !
غرناطة مثوى الجنينِ نـ يلدُ ظلمته الجنين

١ اللزوميات ١ : ٢٥٧ .

٢ ورد في النفع ٣ : ٤١٢ .

٣ ديوان أبي تمام ٣ : ٢٨ .

٤ انظر المسالك .

وقال^١ :

بَعُوضٌ جَعَلَ دمي قَهْوَةً وَغَنَيْنِي بِضُرُوبِ الْأَغَانِ
كَأَنَّ عُرُوقِي أوتارُها وَجِسمِي رَبَابٌ وَهْنُ الْقِيَانِ

ولعمري لقد أصابَ في أن جعل جسمه الرباب ، وكان تشبيهه
البعوضَ بالقيان أولى من القيان ، فإليهم كان يتزع ، وبهم زعموا كان
يقولُ ويسمع ، وفيهم لم يزل يسجد ويركع .

وأنشدتُ لبعضهم في البعوض :

ضاقَتْ بِلَنَسِيَّةٍ بي وذادَ عني غُمُوضِي
رَقَصُ البَراغيثِ حَولي^٢ على غناءِ البَعُوضِ

ولم أسمع في وصفها أحسنَ من قولِ ابن المعتز^٣ :

بَتْ بِليلي كَلته لم أطرف
[من قرقس يلبس ثوب السدف
يُليم^٤ بالعرِيانِ والمُلقَف]
يَلْسَعُنَا^٥ بشعرٍ مجوَّف
غادَرَ جِسمي كعُشُورِ المُصحَفِ^٦

١ وردا في المطرب والنفع ٣ : ٣٢٩ وبدائع البداهة : ٣٩٤ .

٢ ب م : فيها .

٣ ديوان ابن المعتز ٤ : ١٠٤ والأوراق : ١٥٧ .

٤ الديوان : قرقسه كالزئبر المنتف .

٥ الديوان : برحن .

٦ الديوان : يلسعننا .

٧ الديوان : حتى غدا فيه كشكل المصحف .

وقد أخذَه الآخرُ فقال :

ونقطنِي بخراطيمهنَّ كنقطِ المصاحفِ بالحمرةِ

وقال أبو عُمر القسطلِي^١ :

بِتَ بِليلي كلّه لم أنمِ عن قرقسٍ يلبس ثوبَ الظلمِ
يشدو على جسمي بصوتٍ أعجمِ كأنما غنّى على شُرْبِ دمي

ما أخرجته من شعره في الزهد والحكم

جُمْلَةُ الدُّنيا ذَهَابُ	مِثْلَ ما قالوا سَرابُ
والذي منها مَشِيدٌ	فخرابٌ وَيَبَابُ
وأرى الدَّهرَ بَخِيلًا ^٢	أبدًا فيه اضطراب
سَالِبٌ ما هو مُعْطٍ	فالذي يُعْطِي عَذَابُ
وليومِ الحشرِ إنْعا	مٌ سَوَّالٌ وجَوَابُ
وصِراطٌ مُسْتَقِيمٌ	يومَ لا يُطَوَّى كِتَابُ
فاتَّقِ اللهَ وَجَنِّبْ	كلَّ ما فيه حِسَابُ

قال :

ليسَ لمنَ لَيْسَتْ له قُدْرَةٌ كالأخذِ عند الرزءِ بالصَّبْرِ
أو لا فما حيلةٌ مستضعِفٍ ليسَ له فَضْلٌ على الذَّرِّ ؟

١ لعله ابن دراج القسطلِي ، ولكن هذا الرجز ليس في ديوانه .

٢ ب : سخيلاً ؛ ط : سخيلاً (اقرأ : سخيلاً) .

نسبته منها فهذي وذا تحت الذي حدّ له يجري
من كان مخلوقاً من الأرض إذ رُكِبَ لم يَطْلُعْ على السرّ
حتى تُرى الجثّة مطروحةً والنفسُ في عالمها تسري
فَعِنْدَهَا يَأْمَنُ ما يَتَّقِي وعِنْدَهَا يَعْلَمُ بالأمر
هذا على مذهبنا ثمّ قد قِيلَتْ مقالاتٌ ولا أدري
لقد نشبنا في الحياة التي تورَدُّنا في ظلمة القبر
يا ليتنا لم نكُ من آدمٍ أورطنا في شبه الأسر
إن كان قد أخرجه ذنبه فما لنا نُشْرِكُ في الأمر ؟ !

والسميسر في هذا الكلام ممّن أخذ الغلوّ بالتقليد ، ونادى الحكمة
من مكان بعيد ، صرّح عن عمى بصيرته ، ونشر مطوي سريرته ، في غير
معنى بديع ، ولا لفظ مطبوع ، ولعلّه أراد أن يتبع أبا العلاء ، [فيما كان
ينظمه من سخيّف الآراء] ، ويا بعد ما بين النجوم والخصباء ، وهبه ساواه
في قصر باعه ، وضيق ذِراعِهِ ، أين هو من حُسْنِ إبداعه ، ولطفِ اختراعه ؟

وقال السّمسِر ٢ :

أصابَ الزّمانُ بني عامر وكانَ الزّمانُ بهم يُفخِرُ
فعادَ نهارهم ٣ مظلماً وليلهم بعدُ لا يُقْمِرُ
وأَيامهم بعدُ لا تُزدهى وصُبْحهم ظلٌّ لا يُسفر
أماهم الدّهرُ قبلَ المتونِ فهم ميّتونَ ولم يقبروا

١ ب م : فما .

٢ وردت أربعة أبيات منها في المسالك .

٣ ط : فغادر برقمهم ؛ م : فعاد زمانهم .

كَأَنَّهُمْ أَرْبَعُ دَارَسَاتُ فَمَا لَهُمْ غَيْرَ أَنْ يُذَكَّرُوا
فَإِنَّ السَّرِيرُ وَأَيْنَ السَّرُورُ وَأَيْنَ الْقُصُورِ الَّتِي عَمَرُوا؟
فَلَا تَعْجَبَنَّ بِمَا قَدْ تَرَى فَلَا خَيْرَ فِي كُلِّ مَا تُبْصِرُ
وَهَوْنٌ عَلَيْكَ كَثِيرَ الْحَيَاةِ فَسُكْنَاكَ فِي قَبْرِكَ الْأَكْثَرِ

وقال أيضاً :

دَعْ عَنْكَ جَاهًا وَمَالًا لَا عِيشَ إِلَّا الْكَفَافُ
قُوتٌ حَلَالٌ وَأَمْنٌ مِنْ الرَّدَى وَعَفَافٌ
وَكُلُّ مَا هُوَ فَضْلٌ فَإِنَّهُ لِسَرَفٍ

وقال :

لَا تَوَقَدَنَّ عِدْوًا وَأُطْفِئِ بِالْتَّوَدُّدِ
فَالنَّارُ بِالْقَسَمِ تَطْفَأُ وَالنَّارُ بِالْقَسَمِ تَوَقَدُ

وقال :

قَدْ هَجَرْتُ اللَّذَاتِ إِلَّا قَلِيلًا بَعْدَ وَصَلِي لَهَا زَمَانًا طَوِيلًا
فَأَنَا ثَابِتُ الْبَنَانِي^١ لَكِنْ لِي قَلْبٌ عَنِ النَّوَاسِي أَزِيلًا
وَبِحَقِّ أَقُولُ لَوْلَا حِذَارِي مِنْ كَلَامِ الْوُشَاةِ قَالًا وَقِيلًا
لَبَدَا لِلْأَنَامِ مِنِّي عُجَابٌ وَلَأَوْضَحْتُ لِلرُّوَاةِ السَّبِيلَا

١ يعني ثابت بن أسلم أبا محمد البناني وكان من الأتقياء الزهاد في العصر الأموي ، اختلف في وفاته بين سنّي ١٢٣ و ١٢٧ (انظر تهذيب التهذيب ٢ : ٢ - ٤) .

وقال :

المالُ ذُلٌّ ، وذُلٌّ أَلَا يُرى لكَ مالٌ
فاحْرِصْ كَأَنَّكَ باقٍ فما لذي الفَقْرِ حالٌ
واقنَعْ فإنكَ فانٍ غدًا وكلُّ^١ مُحالٌ

ومن شعره في ذكر الطب والأطباء

كلُّ عَليمٍ ما خلا الشَرَّ عَ وعِلمَ الطبِّ باطلٌ
غيرَ أنَّ الأوَّلَ الطبُّ على رأي الأوائِلِ
هل تَمَامُ الشَّرِّ إلَّا أن يكونَ الجِسمُ عامِلٌ^٢ ؟
فإذا كانَ عَليلاً بَطَلَتِ تلكَ العَواملُ

وقال :

العِلمُ علَمانِ عِلمُ الأديانِ والأبدانِ
ما الطبُّ للدينِ إلَّا كالرُّوحِ للجُثمانِ
هل الشَّريعةُ إلَّا بِصِحةِ الأبدانِ ؟

وقال^٣ :

يا آكلًا كلَّ ما اشتَهاهُ وشاتمَ الطبِّ والطَّبيبِ
ثِمَارَ ما قد غَرَسْتَ تَجَنِّي فانتظِرِ السَّقمَ عن قَرِيبِ
يَجْتَمِعُ الدَّاءُ كلَّ يومٍ أَغذيةُ السَّوءِ كالذُّنوبِ

١ ب م : فكل .

٢ ط : حامل .

٣ وردت في المغرب والحريدة والنفح ٤ : ١٠٨ .

وقال :

لا تَسْتَرْبُ مِنْ غَيْرِ مَا تَجْنِيهِ كَالْحَانِي الْمُرِيبِ
وكذا حَكُوا بُلْ صَافِيَا واضْرِبْ^١ بِهِ وَجَهَ الطَّيِّبِ

[والقائلُ قد تقدّم إلى ذلك قبله :

إذا ما كنتَ ذا بولٍ صحيحٍ فقمُ فاضْرِبْ بِهِ وَجَهَ الطَّيِّبِ]

وفي ذكر الشعر والشعراء

قال :

أنا أَحَبُّ الشَّعَرِ لِكُنِّي أَبْغَضُ أَهْلَ الشَّعَرِ بِالْفِطْرَةِ
فَلَسْتُ تَلْقَى رَجُلًا شَاعِرًا إِلَّا وَفِيهِ خَلَّةٌ تُكْرَهُ^٢
إِنْ لَمْ يَكُنْ كَفَرٌ تَكُنْ آفَةٌ تَلْزِمُ الظَّهْرَ أَوِ السَّرَّةَ
وَالْعُجْبُ وَالنُّوْكُ إِلَى الْجَهْلِ فِي أَكْثَرِهِمْ إِلَّا مَعَ النَّدْرَةِ

والتَّسْمِيرُ فِي هَذَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

عَابَنِي مِنْ مَعَائِبِ هِيَ فِيهِ حَكَمٌ فَاشْتَفَى بِهَا مِنْ هِجَانِي^٣

١ ب م : والطم .

٢ ب م : نكرة .

٣ ر ص ٨٨٣ : وفيه « خالد » موضع « حكم » . ولم يرد البيت في ب م وورد بيت

آخر هو الذي مر أيضاً وهو :

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسه . . . البيت .

أما نسخة دار الكتب فقد جاء فيها بيتان آخران زيادة على هذين ، وهما :

يا من يعيب وعييه متشعب كم فيك من عيب وأنت تميب
أو كما قال الآخر :

وأجراً من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال ذوو العيوب

فإنه كان - زعموا - ممن وسع هذه الخلال ، وجمع هذه الأحوال ،
حاشا التي في السرة فإنه انتبذ عنها ، وبرىء إلى أصحابه الشعراء منها .
وما ينقضي التعجب من السميسر ، فإنه لما سمع المتنبي يقول :

أبوكم آدم سنّ المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان^١

حسده على غلوه فقال بيته المتقدم الذكر :

إن كان قد أخرجه ذنبه فما لنا نشارك في الأمر ؟

والسميسر في هذا كما يحكى عن بعض الرواة قال : كان أحد المختلين
قد تسربل المجون ، وعبد البطالة والجنون ، حتى مسح شبابه ، وأقصر
أثره ، ولم يدع عاراً إلا ركبته ، ولا إثم إلا ارتكبه ، فطاف به طائف
اعتلال ، بعد طول إملاء من الله وإمهال ، فكان يقول : أي رب ، بأي
ذنب أخذت ، وعلى أي جريرة عوقبت ؟ ! هذا كان استغفاره ، حتى
محا الموت أخباره .

وقال أيضاً :

يا شعراء العصر لا تحسبوا شعركم منذ كان محسوسا
فإنما حياتكم ميتت كأنما محينكم عيسى
إن كان منظومكم عندكم سحراً فمنظومي عصا موسى

وقال في أبي عبد الله بن الحداد بالمرية^٢ :

قالوا ابن حداد فقي شاعر قلت وما شعر ابن حداد ؟
أشعاره مثل فراخ الزنى فتش تجد أخبث أولاد

١ ديوان المتنبي : ٥٥٨ .

٢ مرت ترجمته ص : ٦٩١ .

ومن شعره في أوصاف شتى

ضمتُ في مَعَشِرٍ كما ضاعَ نوحٌ بينَ قَومٍ قد أصبحوا كُفَّارَهْ
ضربوه وما ضُربتُ ولكن جعلوني ممَّنْ يُنافِرُ دارَهْ
فتأخَّرتُ عن ديارِي لهوني والهويْنَا لمنْ يُخلِّي ديارَهْ

وقال :

رأيتُ بني آدمَ ليس في جُموعِهِمْ مِنْهُ إِلَّا الصُّورُ
فلمَّا رأيتُ جَمِيعَ الأَنامِ كذلك صِرتُ كَطِيرٍ حذر
فهما بدا مِنْهُمُ واحدٌ أَقلُّ قُلْ أعوذُ بِرَبِّ البَشَرِ

وقال ٢ :

تَحْفَظُ مِنْ ثِيَابِكَ ثُمَّ صُنْها وإِلَّا سَوفَ تلبسُها حِدادا
ومِيزَ عن زَمانِكَ كُلَّ حينٍ ونافرَ ٣ أهْلَه تَسُدُّ العِبادا
وظُنَّ بِسائِرِ الأَجناسِ خيراً وأَمَّا جِنسُ آدمَ فَالْبِعادا
أَرادوني بِجَمْعِهِمْ فَرُدُّوا على الأَعقابِ قد نكصوا فرادى
وعادوا بعدَ ذا إِخوانَ صِدقٍ كَبعضِ عِقاربٍ عادَتْ جرادا
ومَنْ يَلْمَحُ ذُكاءَ بِنائِظِيهِ يظُنُّ بياضَ قِرطاسٍ مِدادا

١ ط : فأصبحوا .

٢ وردت أربعة منها في المغرب وخمسة في النفع ٣ : ٢٩١ .

٣ النفع : وناظر .

٤ ط : صادت (اقرأ : صارت) ؛ النفع : رجعت .

وقال :

بمعني من تكسب الولد علمي بأن البنين من كبدي
فإن يعيشوا أعش على ظلع وإن أموتوا أمت من الكمد
وإن أمت قبلهم تركتهم أهون بين الأنام من وتد

وقال :

حاسدي^١ لي مُعَذَّبٌ يتقلّى من الحسد
وأنا عنه غافل لا وجدت الذي يجد
دعنه يشقى بدائه داؤه علة الكبد
طار ذكرى ولم يطير ذكره فهو يتقد

وقال :

قصتي يا سادتي مضحكة بينكم من حيث يبكي بالقل
إن أجثكم بغريب قلتم عندنا أغرب فاسكت أو فقل
أبصر النصال^٢ دُرّاً غالباً قال عِندي منه أغلى وأجل

ومن مقطوعاته الإخوانيات

ورد ابن شرف غرناطة ، فتخلف عن قصده ، فكتب إليه معذراً :

كتبتُ إلى سيدي قبل أن أراه ورجلي قد زلت
أيقصدُ يذبل^٣ غرناطة وأترك قصديه في زمرتي

١ ط : حاسد .

٢ كذا في ب م ، ولم يرد البيت في ط .

٣ ب م : بدبل .

ونهبطُ كيوانُ من برجه إلينا ونحنُ على غفلةٍ
فمعدرةٌ لكَ حتى أراكَ فأنتَ الممثلُ في مُهجتي

فأجابه ابنُ شَرَفٍ :

بدأتَ وللمبتدي الفضلُ في فُروضِ المودةِ والسنةِ
وما الودُّ إلّا امتنانٌ وقد سبقَتْ سواكَ إلى المنّةِ
وبالتسبيحِ في أوّلِ الهجرتينِ تقدّمَ قومٌ إلى الجنةِ
وحُدثتُ أنكَ سَمَحُ الطباعِ إذا ما طباّعُهُمُ ضنّتِ
ونفْسُكَ فاضلةٌ حرّةٌ إذا عايَنتُ فاضلاً حنّتِ
خلائقُ لو مازجتها الجبالُ إذنِ رقصتَ لكَ أو غنّتِ
فلو مِن أبانٍ ورضوى خلقتَ لما كنتَ إلّا مِن القنّةِ

وله في الوزير الكاتب أبي عُمر بن الباجي^١ :

يا فاضلَ الشرطةِ شرطي على شَريطِكَ تنويهي ولا أخليفُ
فاحذفْ لي السّينَ وسوفَ التي زِيدتَ على الزائدِ فهو الأخفُ
« فسوفَ » سيفٌ قلبتَ واوُها كم قطعْتَ أعناقَ من قد سلفُ
فردّها حالاً ففعلٌ متضى ماضٍ وما استقبيلٌ قد يَختلفُ

ومن شعره في النسيب وما يناسبه

قوله :

بين الأزرّةِ والمآزِرِ حُسْنُ^١ تحنُّ له الأكابرُ
فإذا نظرتَ إلى الخُدو دِ رأيتَ أنواعَ الأزاهيرِ

١ ترجمته في القمم الثاني من الذخيرة .

٢ ب م : جيب .

وإذا تأملتَ الثغو رَ وما لناظمهنَّ ناثر
أبصرتَ دُرّاً يفتدي خمرأ وما للخمر عاصر
وإذا تأملتَ المعاً جرَ تحتها دُعجُ المحاجر
خلتَ المنيةَ أقبلتُ من جيش صقلب والبرابر

وذكرتُ بهذا البيتِ الأخير وإن لم يكن في معناه قولَ بعضِ أهل
عصرنا :

بي شادنُ خدُّه كالصُّبحِ منبجُ وصدُّغه كسوادِ الليلِ يلعبُ بي
كالزَّنجِ حلتَ بأرضِ العربِ فاصطلحتُ فما بقائيَ بينَ الزَّنجِ والعربِ !؟

نظرَ في هذا إلى ما أنشدَه الثَّعالبِي لبعضِ أهلِ عصره :

سوادُ صدغينِ من كُفْرِ يُقابلهُ بياضُ خدينِ من عدلٍ وتوحيدِ
قد حلتِ الرُّومُ أرضَ الزَّنجِ فاصطلحا فويحَ نفسي بينَ البِيضِ والسُّودِ !

وقال السَّمِيسِرُ :

لما أبى عن وِصالي وأضرمَ القلبَ نارا
ولم أجدْ لي عزاءَ دَعوتُ ربِّي انتصارا
وقلتُ : يا ربَّ أنبئتُ بعارضِيهِ عِذارا
فكانَ ذاكَ ولكن زادَ الفؤادُ استعارا
إذ صارَ صُبْحاً وليلاً وكانَ قبلُ نهارا

وهذا كقول الآخر إلا أنه قلبه :

حلقوا رأسه ليزداد قبحا غيرة منهم عليه وشحا
كان قبل الحلاق صبحاً وليلاً فمحووا ليله وأبقوه صبحاً

وقال :

أيها العائب العِذا رَ وذُو الجهل عائبُهُ
لا أَحِبُّ العِذارَ إِلَّا إذا شابَ صاحِبُهُ
فاطرحْ قَوْلَ من يقو لُ كما طرَّ شارِبُهُ
هو والطفلُ واحدٌ حينَ يَهواهُ راغِبُهُ
أنا أشكوه وهو تُل بهِ عني مَلاعِبُهُ
وإذا ما اصطَفَيْتُ كهم لَأَ صَفَّتْ لي مَشارِبُهُ

وأينَ هذا من قولِ بعضِ أهلِ العصرِ في ضِده :

ما أنتَ والجلوازُ في خَلْوَةٍ إِيَّاكَ ما امتدَّ بها الصَّوتُ
اللهُ في نَفْسِكَ مِن ظَنَّةٍ يَهونُ في جانِبِها الموتُ
إن كانَ فالطفلَ ولم يَحْتَلَمْ مِن قَبْلِ أنْ يَدْرِكَهُ القَوْتُ

وقال أيضاً يناقضه^١ :

أوصيكَ حيثُ النصحُ مُعْتَرَضٌ^٢ إِيَّاكَ والمُرَدَّ وهيَ مُحْتَلَمَةٌ
الطفلُ ما أَصْبَحَتْ أو بَرَّتْهُ إذا اسْتَشاطَتْ كأنَّها حَلَمَةٌ

١ لم ترد هذه المقطوعة والتي تليها في ط .

٢ هذا الشطر مختلف في وزنه عن سائر الأَشْطَار في المقطوعة .

واقسُ عليه إذا شكاً وبكى
لا تحشّ والقولُ عنك مُرتفعُ
فإن تجاوزتَ ما حدثتُ فما
لا رَحِمَ اللهُ كلَّ من رَحِمه
عاقبةَ الظلم فيه مِن ظلمه
يسوعني أن تُعدَّ في القَطْمه

وقال أيضاً يناقضُ السِّميسر :

بدا لي منك نُبْلٌ وانطِبَاعُ
سأجعلُ بيننا حيثُ التقيْنَا
وبينَ يديكَ أمرٌ لا تَكِلُهُ
ستلقى في غَدٍ طفلاً بزيعاً
ترى صُبْحاً من الكافورِ بَضّاً
فما استهواك فاتركه ودَعَه
إذا ارتعدَ الحُسامُ وراقَ حُسناً
هو الجِدُّ الذي لا هَزَل فيه
كبيرُ السنِّ زادَ على ثمانِ
فإن يلكُ صاحباً وأردتَ زوراً
أترضى أنْ يُقالَ أبو فلانِ
وظنّني أن ستكفيكَ الإشارةُ
وقوعَ السَّوطِ مِن كَفِّي أماره
إلى نظيرِ الغَمارةِ والغَراره
يجرُّ مِن بَزاعتهِ إزاره
كما تُتدري النقاوةُ والنَّضاره
وحاصِرُهُ وإن أبدى حصاره
فذاك الوقتَ لا تأمنُ غِياره
فدَعُ سَمَجَ الفُكاهةِ والشطاره
وعشْرِ كيف تألفه الزَّياره ؟
فحصنُ ما استطعتَ من الحصاره
يُنالكُ ولو حَمَلتَ بها الإماره ؟

وقال أيضاً في مثله يناقضُ السِّميسر :

الطفلُ في عَشْرِ فما هوَ دونه
لا تعذُلِ الإنسانَ في شَهواتِهِ
حتى يجيءَ الظنُّ غيرَ مرجَمِ
في الناس من يلتذُّ أكلَ الحَصْرُمِ

ومن الإفراط في مدح العذار قول ابن غصن الحجاري^١ :

فديتك لا تخف مني سلوا إذا ما غير الشعر الصغارا
أدين بدين خل كان خمراً وأهوى لحية كانت عذارا

وقال أيضاً بعض أهل العصر^٢ يُناقِضُهُ ، واستطردَ فيه إلى هَجْوِهِ
استطراداً ظريفاً :

إن كنت تهوى ملبحاً فلا تَقُلْ بِمُعَذَرٍ
واهوَ الصَّغَارَ ففيهم على الحقيقة تُعَذَرُ
دَعِ الكِبَارَ لقوم دانوا بدين السَّمِيسِرِ

وحقيقه الاستطراد^٣ عندهم أن يري^٤ الشاعر أنه يريدُ مذهباً^٥ ، وهو
إنما يريد غيره ، فإن قَطَعَ ورجَعَ إلى ما كان فيه فهو الاستطرادُ الحقيقي ،
وإن تَمَادى فذلك الحُرُوجُ ؛ وأصحُّ الاستطراد قولُ السَّمَوَالِ^٦ :

ونحنُ أناسٌ لا نرى القَتْلَ سُبَّةً إذا ما رأتهُ عامرٌ وسلولُ

واتبعه الفرزدقُ فقال^٧ :

كأنَّ فجاجَ الأزْدِ حول ابن مسمعٍ^٨ إذا اجتمعوا أفواهُ بكر بن وائلِ

١ انظر القسم الثالث ص: ٣٣٥ ، ٣٣٩ .

٢ ط : الأدب .

٣ هذا الفصل عن الاستطراد متابع للعمدة ٢ : ٣٩ - ٤٢ .

٤ ط : أن يوصي .

٥ ب م : صفة شيء ؛ العمدة : وصف شيء .

٦ شرح المرزوقي ، الحماسية رقم : ١٥ وزهر الآداب : ١٠١٦ .

٧ البيت له في زهر الآداب : ١٠١٥ .

٨ هو مالك بن مسمع بن شيبان سيد بكر ، انظر عنه صفحات متفرقة في شرح النقاظ .

ثم أتى جريراً فأرسي وزادَ بقوله^١ :

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسْمِي وَعَلَى الْبَيْثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ

فهجا واحداً واستطردَ باثنين . وقال مخارقُ بنُ شهابِ المازنيّ يصفُ
معزى^٢ :

تَرَى ضَيْفَهَا فِيهَا يَبِيتُ بِغُبْطَةٍ وَضَيْفُ ابْنِ قَيْسٍ جَائِعٌ يَتَحَوَّبُ

فوفد ابنُ قيسٍ على التَّعْمان ، فقال له : كيف مخارقُ بنُ شهابٍ فيكم ؟
قال سيّدٌ شريفٌ ، من رجلٍ يمدحُ تيسه ويهجو ابنَ عمّه !

ومن جيّد الاستطراد قولُ دَعْبِل ، وقيل بشار وهو أصحُّ^٣ :

خَلِيلِي مِّنْ كَعْبٍ أَعِينَا أَخَاكَمَا عَلَى دَهْرِهِ إِنَّ الْكَرِيمَ مُعِينٌ
وَلَا تَبْخَلَا بِخُلِّ ابْنِ قَرْعَةَ إِنَّهُ خَافَتَهُ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينٌ
إِذْ جِثَّتْهُ فِي حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَيْنٌ

وقال أبو تمامٍ في صفةِ فرسٍ^٤ :

وَلَوْ تَرَاهُ مُشِيحاً وَالْحَصَا زَيْمٌ عَلَى السَّنَابِكِ مِنْ مَثْنَى وَوَحْدَانٍ
أَيَقْنَتَ إِنَّ لَمْ تَثْبُتْ أَنْ حَافِرَهُ مِنْ صَخْرٍ تَدْمَرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عِثْمَانٍ^٥

١ شرح النقاظ ١ : ٢١٣ وروايته : وضفا البعث ، وكذلك ديوان جرير : ٩٤٠ وزهر الآداب : ١٠١٥ .

٢ الحيوان ٥ : ٤٨٩ - ٤٩٠ يصف تيس غنمه .

٣ ديوان بشار (جمع العلوي) : ٢٢٠ وزهر الآداب : ١٠١٦ .

٤ ديوان أبي تمام ٤ : ٤٣٤ وزهر الآداب : ١٠١٤ - ١٠١٥ وأخبار أبي تمام : ٦٨ .

٥ هو عثمان بن ادريس السامي (الشامي) .

وأخذَه البُحْري فقال^١ :

ما إن يَعاَفُ قَدْى ولو أوردَتْه يوماً خلائِقَ حمدويهِ الأحول

وقد يَقَعُ من الاستطرادِ ما يَخرجُ به من ذمٍّ إلى مدح ، كقول زهير^٢ :

إنَّ البَخيلَ مَلُومٌ حيثُ كانَ ولا كُنَّ الجَوادَ على عِلاتِهِ هَرِمُ

ومن مدحٍ إلى ذمٍّ ، كقول بكر بن النطاح في مالك بن طوق^٣ :

ففي شَقِيتُ أُمُواله بَعفاته كما شَقِيتُ بَكَرٌ بأرماحِ تغلبِ

وهذا مليح ، أوله خروج وآخره استطراد ؛ وملاحظته أن مالكا من

بني تغلب ، فصارت الاستطرادُ زيادةً في مدحه . ومما استطرَدَ به أبو الطيب قوله^٤ :

يَمُوتُ به غِظاً على الدَّهرِ أهله كما ماتَ غِظاً فاتكُ وشيبُ

على أن هذا البيت لم يقع مَوْقعَ غيره من أبيات هذا الباب . إذ ليس

المقصدُ فيه مدحاً ولا هجاءً للرجلين المذكورين ، لكن التشبيهُ والحكايةُ لا غير .

وأصلُ^٥ الاستطراد أن يريكَ الفارسُ أنه فَرٌّ ، وإنما فَرٌّ ليكُرَّ ،

١ ديوان البحري : ١٧٤٥ وزهر الآداب : ١٠١٥ وأخبار أبي تمام : ٦٩ .

٢ ديوان زهير : ١٥٢ .

٣ زهر الآداب : ١٠١٧ وديوانه : ٧ (صنعة حاتم الضامن) .

٤ ديوان المتنبي : ٥٥٠ .

٥ العمدة : وقيل أصل .

وكذلك الشاعر يُريك أنه في شيء فيعرض له شيء لم يقصد إليه فيذكره
وإن لم يقصد حقيقةً إليه . ومن الاستطراد نوعٌ يسمى الإدماج ، كقول ابن
طاهر لابن وهب حينَ وزرَ للمعتضد :

أبى دهرُنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نُحِبُّ ونكرِمُ
فقلتُ له نعماكَ فيهم أتمها ودعْ أمرنا إنَّ المُهمَّ المقدَّم

ومن مליحِ الإدماج قولُ ابنِ مسعدةَ في فصلٍ من رُقعة :

كتابي ومن قبلي من القواد والأجنادا^١ ، في الطاعة والانقياد ، على
أحسن ما تكونُ عليه طاعةُ جُنْدٍ تأخّرتْ أرزاقهم ، واختلّت أحوالهم .
فقال المأمون : ما أحسنَ إدماجهُ المسألة في الإخبار ، وإعفاء سُلطانِه من
الإكثار ! ! اكتبوا له رزق^٢ ثمانية أشهر . وهذا النوعُ عندهم أغربُ من
الاستطراد ، ومن مليحه أيضاً قولُ بعضِ الفقهاء :

إن كنتِ كاذبةَ الذي حدّثتني فعليك لثمٌ أبي حنيفةَ أو زُقر^٣
الواثينِ على القياسِ تمرّداً والراغبينَ عن التمسكِ بالأثر

ومما هجى به السّمسير قولُ ابنِ الحدّاد : ويدخلُ في بابِ الاستطراد :

يا أهلَ غرناطةٍ نيكوا سمسيركمُ ففي رُميلتنا عنه لنا شغلُ

١ العمدة : قواده وأجناده .

٢ ب م : برزق .

٣ هو أبو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس من بني العنبر ، سمع الحديث وغلّب عليه الرأي
(طبقات الشيرازي : ١٣٥ والجواهر المضية ١ : ٣٤٣) .

فصل في ذكر الأديب الأريب أبي العباس أحمد بن قاسم المحدث^١ وجملة مما وقع إليّ من نثره ، تعرب عن محله من الأدب وفهمه

قال ابن بسام : أبو العباس هذا في وقتنا بحضرة قرطبة ، مقلّة عين العصر ، وصفحة وجه الدهر . تبرزاً في النظم والنثر . وقد أثبت من كلامه قطعة تنبئ عما طالعه من علوم . ونظر فيه من أنواع التعاليم ، على صغر سنه . ولدانة غصنيه .

لما بلغه جمعي لهذا التصنيف خاطبني برقعة استفتحها بهذه الأبيات :

يا من تكلفت جمع المجد في ورقي أنا أناديك جهراً غير تعريض
ذهبت عصرك يا من شعره ذهب بالملذبات فأتبعنا بتفضيض
فشبه تبرك متلو^٢ بفضتنا جمان خود على لبائها البيض

يا سيدي وعمادي . طال بقاؤك ، ودام علاؤك ؛ تكلفت من العناية
بتنويري ما دلّ على محنتك الكريم . ونصابتك السليم . على انتمائك من المجد
إلى دوحة ساقها قويم^٣ . وطلعها هضيم ؛ ولولا ثقتي بتميزك ، وظهورك
في هذه الصناعة وتبريزك ، ما اجترأت على أن أجري بما كتبت إليك به

١ ذكره أبو الوليد ابن خيرة في شيوخه وقال : أدركته وجالته ، وله كتاب مفيد في النفس
(انظر التكملة : ٣٧ والذيل والتكملة ١ : ٣٦١ والمغرب ١ : ١٠٩ والمساك ١١ :

٤١٥) .

٢ ب م : مجلوا .

٣ ط : قديم .

كفّاً ، ولا أن أخط متباهياً بها حرفاً ، فهي تجري منك على يدي نقاد ،
وأنا إذ عليك أنشرُ بزّي أضعُ الثوبَ في يدي بزاز^١ .

وكتبَ إليّ أيضاً في مثله أولَ ورودي بقرطبة ، وقد بلغه ثنائي عليه
بمجلس بعض الأعيان فيها^٢ :

يا دَوْحَةَ المجدِّ الكَرِيمِ وسلالةَ الشرفِ الصَّمِيمِ
والغُرَّةُ الغراءُ في وجهِ الثَّيرِ وفي النَظِيمِ
قد كان نامَ زمانُنا عن كشفِ آثارِ العلومِ
حتى أتيتَ مُنبِهاً جَفَنِيهِ تنبيهَ النسيمِ
فردّدته بفظانٍ يمحو محوً عن تلكَ الرسومِ
إنَّ الصَّباحَ إذا انجلى جَلَى المنامَ عن النُورِ

من الواجبِ كانَ - أعزّكَ اللهُ - عليّ وعلى مَنْ ينتسبُ إلى أدبٍ ،
ويتعلّقُ منه بأدنى سببٍ . أن يمتطي إليك ظهورَ العيسِ المهريةِ . وصهواتِ
الحيادِ الأعوجيةِ . حيثما استقرّ مكانك . وثبتَ إيوانك ؛ فكيف إذا جلاك
مصباحُ بلادنا بضياته ، وسرّك ليلُ عراصنا ؛ بظلماته . فانتظمتك معنا
هذه الجلدان التي جللتَ عنها قدراً . وسموتَ رفعةً وخطراً . ولكنَّ
المهيبَ لا يُجسرُ عليه . ولا تنقلُ قدَمُ التّقدّمِ بداهةً إليه . بل يرتقبُ منه

١ من قول المتنبي (ديوانه : ١٩٠) :

ملك منشد القريض لديه يضع الثوب في يدي بزاز

٢ في النسخ : بقرطبة .

٣ ب م : النجر .

٤ ط : عارضنا .

المتوصل^١ لفظة في عرض ناحيته ، أو لحظة تقع على ساحته ، نجعل
الأولى سبيلاً ، والأخرى هادياً ودليلاً .

ولقيتُ فلاناً فأنشئ إليّ جملة كلامك في ، وأنت ممن لا يجارى خطاباً ،
ولا يُبارى كتاباً وجواباً ، براعة في لفظٍ يتبرّج في مُلام الوشي الصنعاني ،
ويتصدى في أردية العصب اليماني ، ونظم ودّ الربيع لو توشع به تفصيلاً ،
ونثر كثير العقود ، وتوفيف البرود ، والغرر البيض في الطرر السود .
إن نظمتَ فصريع صريع ، والبديع غيرُ بديع ، وإن نثرتَ فالصاحبُ صاحب ،
وقابوسُ ذو بؤس ، وهذا بابٌ لو استقصيته فيك غاية الاستقصاء ،
واستقرّيته نهاية الاستقراء ، لتغلغل بنا الكلام ، إلى نفاذ الأمدّة والأقلام .

وفي فصل منها : ولما كنتُ متى انحرفت إلى النثر ، أو انصرفت إلى
الشعر ، أجريتُ فيهما بعدك بالخطار ، وضربتُ منهما عقبك بذئ الفقار ،
رأيتُ أن أتبع بعضه بعضاً ، حتى أجلو عليك وردهما جنباً غصاً ، فهاك
النثر يجلو ، والنظم يجلو :

يا ماجداً ينمي إلى بسام قد ذبت بين حبة وهيام
توقاً إلى لقياك ...

[ثم كتب قصيدة على روي نسي^٢ قال فيها يصفُ شعراً خاطبته به] :

لا حشوّ فيه ولا معاظلة^٣ به سليس على الأسماع والأفهام

١ ط : التوصل .

٢ يريد على روي « بسام » .

٣ ب م ط : معاظلة .

وَيُرى البَدِيعُ به بغير تَكْلُفٍ ما بينَ مفردٍ وبينَ تَوَامٍ
مُتَقَسِّمٌ مُتَقَابِلٌ مُتَظَارِدٌ مُتَجَانِسٌ مُتَطَابِقٌ الأقسام
لأن رُمتَ تشبيهاً أثبتَ بكلِّ ما يجدُ الشَّجِي مِنْ لَوْعَةٍ وَغَرَامٍ
أو رُمتَ تشبيهاً قَرَنْتَ مُشَبَّهًا بِمُشَبِّهٍ في غَايَةِ الانْتِمَاءِ
أو رُمتَ مدحاً لم تكن مُتَطَلِّباً ما ليس في المدحِ من أحكام
حِذْقاً بما تَأْتِي ومعرفةً به وتصرُّفاً في أَفْقٍ كُلِّ كَلَامٍ

وأحسنُ من هذا التَّقْسِيمِ قولُ أبي بكرِ عبادَةَ بن عبد الله بن عُبَادَةَ من
جَمَلَةِ أبياتٍ خَاطَبَنِي بِهَا أَيَّامَ مُقَامِهِ عِنْدَنَا بِالْأَشْبُونَةِ ، أَوَّلَهَا :

يَا مُنِيفاً عَلَى السَّمَاكِينِ سَامٍ حُزْتُ فَضْلَ السَّبَاقِ مِنْ بَسَامٍ
قَدْ خَبَرْتُ الْوَرَى فَلَمْ أَلْفَهِمْ إِلَّا نِقَالَ الْأَفْهَامِ وَالْإِفْهَامِ
وَتَأَمَّلْتُ مِنْكَ نُكْتَةً بَغْدَا دَ لُبَّابَ الْعِرَاقِ مَعْنَى الشَّامِ
شَكَ ذَهَبِي فِي أَنْ يَرَى بَصْرِي مَدَّ لَكَ حَتَّى لَحِطْنِي فِي الْمَنَامِ
إِنْ تَحَكُّ مِدْحَةً فَأَنْتَ زُهَيْرٌ أَوْ نَسِيّاً فَعُرْوَةٌ بَنُ حِزَامِ
أَوْ ثُبَاكِيْرُ صَبْدَ الْمَهَا فَا بَنُ حَجَرٍ أَوْ تُبْكِي الدِّيَارَ فَا بَنُ خِذَامِ
أَوْ تَذُدُّمَ الزَّمَانِ وَهُوَ حَقِيقٌ فَأَبُو الطَّيِّبِ الْبَعِيدُ الْمَرَامِي

في أبيات غير هذه، مع خبر طويل هو ثابت في موضعه من هذا المجموع .

فصل لأبي العباس من رُقعة خاطب بها بعض إخوانه : كُتِبْتُ وَأَنَا
من الحُزْنِ فِي ثَوْبِ حِداد ، وَدَمَعِ كَأَكُفِّ الْأَجْوَادِ ، شَوْقاً وَوَحْشَةً

إلى الأنس بتفيؤ ظلك الوارف ، كعهدي السالف ، وتوقاً ودهشةً إلى برد
 مائك الحصب ، كرمان الماضي الحصب^١ :
 سقياً لظلك بالعشي وبالضحى ولبرد مائك والمياه حميم^٢

< وإني > وإن كنت مقيماً على كرم عَقْد^٣ ، كهذا الزمان الذي قام
 وزنه فأصبح غلاماً ، وأطلع حسنه قمرأ تماماً ، بين فرادى من نوابت
 أزهار كالرباط ، وتوأم من حدائق أنوار كالأنماط ، قد تفتحت
 عيونها ، وتكشف مصونها ، وحلت أزرار جيوبها ، عن مسكها وطيبها ،
 وابتمست أفواه ثغورها ، عن لؤلؤها وشدورها ، وأترعت جداولها
 فتسلسلت ، وتربت أرضها فتصندلت ، لعالم أنك لي على أمثالها ،
 ثقةً بمجدك الذي هو ضربة لازب . واستنامة إلى أن عقبك من الوفاء على
 الذرورة والغارب .

واندرج له فيها شعراً قال فيه :

أو حين نور عارضي فتفتحت أنواره فكأنتها أنوار
 أصبحت لا تلوين فارعي حقه أو ما لمظلم ليلة إسفار ؟
 يا هذه حرّب الزمان شهدتها فعلي من ذاك الغبار خمار

١ الحصب : المفروش بالحصباء ، ويكون الماء صافياً ، ولذلك قال أبو ذؤيب :

فكرمن في حبرات عذب بارد حصب البطاح تغيب فيه الأكرع

وقد خصبت الأرض فهي خصبة مثل خصيبة .

٢ من أبيات لأبي القمقام الأسدي (معجم البلدان - وغل) .

٣ ب م : عهد .

ومن المديح :

جَزَلٌ أَحَطْتُ بِخُبْرِهِ فوجدته كالخمر لكن ليس فيه خمارٌ
نَادَتْ تحالفه العلا فأجابها ألا تفرق ما أضاء نهار
آهًا وإنَّ من التوجع آهةً لو حُمَّ أن يدنو إليك مزار
فأبث من أمرى الخفي وراحةً للنفس في أن تطلق الأسرار
خُذْهَا كما اعتدلت أنابيبُ القنا ميري الثفاف لها وذهي النار^١

قوله « فعليّ من ذاك الغبارِ خمارٌ » في صفة الشيب كقول ابن المعتز :
« هذا غبارُ وقائع الدهر » وقد تقدّمَ هذا المعنى بما فيه :

وأخذه < آخر > فقال :

قالت غبار قد علا لك فقلت ذا غير الغبارِ
هذا الذي نقل الملو ك إلى القبور من الديار

وله من أخرى : ولما ورد كتابه غاية الفصاحة ، ومنتهى البلاغة والملاحه ،
قبلته عشراً ، وأقبلته مني رأساً وثغراً ؛ وحين فضضت مسكة الخاتم^٢
سقط بصري على شكلٍ مُشَقٍّ خطه فاندمج ، ووسّع بين أسطاره فانفرج .
فيا للكتاب من كتاب قصّر وطال ، وجمد قلم كاتبه وسال ، نتيجة
برهانٍ مُقدّماته الطبع والبراعة ، والجزالة والإصابة ، جمع بين مبدأ

١ ورد هذا البيت في المغرب .

٢ ط : سك الخاتم .

البلاغة^١ وآخرها ، في سحابةٍ طولها فتر ، وعرضها ظفر ، ولا غرو فمن
عَلِمَ الأصولَ استنبطَ الفروع ، ومن انتقى القليلَ استغنى عن شَغْبِ^٢
الجُمُوعِ ؛ ولذلك جعلته إماماً أحذيه ، ومثالاً أُمائله وأقتضيه . ولو أسهبتُ
هكذا أبداً ما بلغتُ غايةَ الوصفِ ، ولا أعطيته من حقه النصف .

وله من أخرى فيمن حملَ القلنسوةَ وأنهضَ إلى الشورى ، وخطبَ
بها قاضيَ قطره : لم يَغِبْ عنكَ - زاد اللهُ في توفيقك - رحلةُ أحدِ القائمين
بنَشْرِ علاك ، المطيِّبينَ محاضِرَهم بطيبِ ذكراك ، الفقيهَ أبي فلان أبقاهُ
اللهُ ، وأنه هجرَ الوطنَ على خصبه ، ووصلَ منزلَ الغربةِ على جده ،
مُتَكَرِّراً إلينا ، ومدارساً علينا ، بأصغرِينَ أكبرِينَ : قلبِ أصمَعِ ، ولسانِ
مصمَعِ ، فما مطلتهُ بحمدِ الله الأيتامَ ، ولا سوفتهُ الأعوامَ ، حتى لحقَ بالمرتبةِ
التي تفصلُ بها القضيةُ الشنعاءُ^٣ ، وتسمَعُ النازلةُ الصنماءُ ؛ وحتى أفضى
إلى المتزلةِ التي تفتضي تعصبيَّةَ بالشورى ، وإلحاقه بعدادِ أهلِ الفتيا ، تطبيقاً
للمفصلِ ، وتبييناً للمشكلِ ؛ وعند ذلك ما رأينا لإنهاضِهِ إليها ، وأن يتزينا
بزِيِ أهلها عمن سواه ، وحمائنا على التزامه دون كلِّ زِيِ عداه ، على
ما أنت الحريُّ بحمله عليه كما حملناه . ولما كانَ مثلكَ في سرك ، وميلك
إلى المجدِّ وصغوك ، لا يُعلمُ كيف يبيِّنُ المجدَّ ويشيده ، ولا كيف يمهده
ويُنَجِّده ، كما لا يُعلمُ الفمُّ التَّبَسُّمَ ، ولا اللسانُ التَّكَلَّمَ ، كان واجباً
أن يكتفى بيسيرِ العبارةِ ، وقليلِ الإشارةِ ، ومهما زدته من كريمِ رعاية ،

١ ط : الغاية .

٢ ط : شغب .

٣ ب م : الخطبة (اقرأ : الخطبة) الصنماء (اقرأ : الصلحاء) .

وجميل حفاية ، فنحن شاكروك شكراً يهز عطفك^١ ، طوراً هز المهند ،
وطوراً هز القضيبي الأملد .

وله من أخرى يعزّي بعض الأعيان : قد علم - أطل الله بقاءه وأحسن
عزاه - أن سكان هذه الدّار ، وإن تراخت بهم الأعمار ، ينتقلون منها
تنقل الأفياء ، كما يتلونون فيها تلوّن الحرباء ؛ فإن من وقع تحت الكون
والفساد ، وانبعث من الأضداد في مركز الأضداد ، غير بديع^٢ في طباعه
أن ينحلّ جرمه ، إلى ما منه تألّف حجمه ، وأن تتخلص شعله نفسه من
ذلك الصّلتال الذي سقطت لديه ، فاحتوى عليها وأوت إليه ، ثم ضرب
لها أجلّ معدود ، ووقت محدود ، وهو النهاية بعد المبدأ ، والتلاشي بعد
المنشأ ، فتعود عند ذلك الطبيعة الترابيّة إلى أصلها^٣ ، والشعلة النوريّة
إلى شكلها ؛ فإن كان ما قدّمت خيراً حمدت الجيئة ، وإن كان شراً رغبت
- وأنتى لها - في الفيئة . ثم لم تترك في حين سلوكها إلى الوقت المعلوم ،
والأجل المحتوم ، سالمة من الضّراء ، آمنة من البرحاء ، بل قرّنت بها هنات
مُجحفات ، وحسّبت إليها خطوب متلفات ، فلم تنفك من تغيير مُجحف ،
وتعشير مُتلف^٤ .

وإذا كان الوزير - أعزه الله - عالماً جملةً هذا الخبر وتفصيله ،
ودقيقاً هذا الغرض وجليله ، فالمتوفاة - قدّس الله روحها ، وبلّ بالرحمة
ضريحها - وإن كانت منه كالبنان من اليد ، والزّند من العصد ، فإنّي

١ ب م : عطفك

٢ ط : بميد .

٣ ط : أرضها .

٤ ب م : يحصف ... يتلف .

لأعلم أنه لم يتلقَ واردَ حمامها تلقى الغافل الفارغ ، بل سَلَّمَ للقضاء ،
وأفضى إلى الدُّعاء ، فلا معنى لتذكيره الصبرَ ومنه يُستفاد ، وتبصيره
الأجرَ وعنه يستتراد^١ . ولما كانت التعازي على الأعصرِ الحالية من العوائد
الجارية ، كتبتُ رقعتي هذه ، فإن لم تكن تبصيراً ، كانت مطالعةً وتذكيراً .

وله في فصلٍ في صفة ورّاق : وأما أبو فلان فإنه يُقلَّبُ من المعاش
كفناً صفرأ ، ويستلذُّ من ضرعه مقداراً نزرأ ، بخطوطٍ غير منصّمة ،
ونقطةٍ غير منقسمة ، وشُكُلٍ تشكّلُ الخطَّ عن الإتيان ، وتُطلقُ رجلَ
الفاقة والحرمان ، فقُبْحَنَ من خطوطٍ تحطُّ الحظوظ ، ونقطةٍ تثير القنط ،
وشُكُلٍ تبعثُ الكسل ؛ وقُبْحَ من رزقٍ يحرمُ سلمه بجليلِ الأفهام ، [ويخبط
بدقيقِ الكلام] ويعضدُ بريقِ الأقلام^٢ ؛ ثم يفضي خابطه^٣ لحظ نزر ،
غير جليل ولا ثر^٤ .

وهذه جملة من شعره

قال في النسب على مذهبِ أهل أفقنا في لباس البياض على المتوفى^٥ :

قالت وقد نظرتُ فروّعها شيبٌ على فوديّ منتشرٌ
ما شأنُ تلك البيض ، قلتُ لها ماتَ الشبابُ فبيّضَ الشعر

١ ب : وعنده يستتراد .

٢ ب م : ويخبط بدقيقِ الأقلام .

٣ ب م : خابطها .

٤ ب م : ضر .

٥ وردت في المسالك .

وهذا كقول الحلواني تلميذ أبي علي ابن رشيق^١ :

إذا كان البياضُ لباسَ حُزنٍ باندلسٍ فذاك من الصواب
ألم ترني لبستُ بياضَ شبيبي لأنني قد حزنتُ على الشبابِ^٢ ؟

[وأراه من هذا نقل ، وعليه عوّل .]

وقال ابن فرج صاحب كتاب « الخدائق » مما ينظر إليه بعض النظر :

ونرجسٍ تطرِفُ أجفانه كُفْلَةً قد دبَّ فيها الوسنُ
كانه من صُفرةٍ عاشقٍ يلبسُ اللين ثيابَ الحزن

وقال أبو العباس ابن قاسم :

قالت وقد نظرتُ شبيبي فروءَها : إن المشيبَ لسود الشعرِ أكفانُ
فقلت : أنكرتِ كافور الزمان به من بعد مسكٍ وطيب الدهر ألوان
قالت : فأينَ من الكافور نَفْحَتُهُ قلتُ : انقضتْ وتبدى منه جثمان
قالت : فإن كان كافوراً فلم ضعفت قواك والطيبُ للأعضاء معوان
فقلت : ما بي من الأيام أثقلني قالت : كذلك شيبُ المرء شهان
[فقلت : يا ليتني للنشء منصرفٌ كيما تعودَ إلى الإبراق أغصان]
قالت : وهل عاد أقوامٌ كما نشأوا من قبل أن يرجعوا مثل الذي كانوا ؟

١ ستأني ترجمته في القسم الرابع ؛ وقد مر البيت من قبل .

٢ ب م : لحزني إذ بكيت على الشباب .

٣ ب م : دام .

وذكرتُ بتشبيهه الشيبَ بالكافور بيتي الحضرمي^١ ، على أنه من المشهور^٢ ، وهما :

قالتُ وقد خلطتُ في عارضي مِسْكُ الشبابِ بكافورِ المشيبِ
يا ليتَ ذا المسكِ لم يخلطُ فما عند الغواني لذا الكافور طيب

وهذه العروض معروفة ، وإن لم تكن مألوفة ، وهي من مجزوء البسيط التي أنشد الخليل^٣ في مثالها قول بعض العرب :

يا بنتَ غيلانَ ما أصبرني على خُطوبِ كنتِ بالقُدوم^٤
وقال أبو العباس بن قاسم :

لهجَ الناسُ بالقبيحِ وهاموا	فالزَمَ البيتَ واسدَدَ الأبوابا
وإذا ما خرجتَ تَطْلُبُ رِزْقاً	فتلينَ لهمْ وكنْ ختلاًبا
وإذا ما جلستَ يوماً إليهمْ	فالزَمِ الصمتَ واضممِ الأثوابا
فكثيرٌ ممنْ تُجالسُ تلفي	من عيوبِ الورى لديه عيابا
وإذا ما سألتهمْ عن جميلٍ	لم تجد فيهمْ ^٥ لديه جوابا
لقيَ الناسُ قبلنا غرةَ الدَّه	رٍ ولم نلقَ منه إلاَّ الدُّنابى
فانقبضِ والزِمِ التَّصاؤنَ حتى	يُغْلِقَ الموتُ من حياتك بابا

١ ب م : الحضرمي .

٢ ب م : عل أنه معنى كثير .

٣ ط : مثلها .

٤ البيت للمرقش الأصغر ، انظر شرح المفضليات : ٥٠٤ .

٥ وردت أبيات منها في المغرب ، وبيت واحد في الغيث ٢ : ١٠٣ .

٦ ط : واشدد ؛ المغرب : واغلق .

٧ المغرب : سأته عن جميل فيهم لم تجد .

فصل في ذكر الأديب أبي طالب عبد الجبار^١

من أهل جزيرة شُقر ، كان يُعرَف بالمتنبّي ، أبرعُ أهلِ وقته أدباً ، وأعجبُهم مذهباً ، وأكثرهم تفتناً في العلوم . وأوسعهم ذرعاً بالإجادة في المشور والمنظوم . وكان - بلغني - يَعِيدُ نفسه بملك ، وينخرطُ للمجون في ملك ، لا يبالي أين وقع ، ولا يحفل بشيء صنع . وكان قد استتر ببُلغة ، واقتصرَ على طريقة ، فلم يطرأ على الدُّول ، ولا تجاوزَ في شعره ملح الأوصاف والغزل . وله أرجوزةٌ في التاريخ أغربَ فيها ، وأعرَبَ بها عن لُطفِ محله من الفهم ، ورسوخِ قَدَمه في مطالعةِ أنواع العلم ، وقد أثبتّها على طولها ، لاشتغالِ فصولها على علمٍ جليل ، وباعٍ في الخبرِ طويل ، وقدّمتُ قبلها جملةً مما وقع في شركِ حفظي من سائرِ شعره ؛ على أنه استفرغَ مجهوده في وصفِ صنتِ الكتابِ عن ذكره .

جملة من أشعاره في أوصاف شتى

قال يصفُ مجاري الماءِ في سواقي أجنّة بلنسية^٢ :

خرجنا للتزاهةِ في البقيعِ ففلنا الوصلَ مِن رشٍّ بديعٍ^٣

١ لم تذكر المصادر نسبة ، فالغرب ٢ : ٣٧١ والمساك ١١ : ٨١٥ يعتمدان على الذخيرة ؛ وقد احتشد المصادر الكاتب في الحريدة (٢ : ٢١٠) على تاريخ الأندلسيين بمصر ، فتمرف إلى كنيته أبو طالب ثم وجد في مجموع ابن الصيرفي المصري أن كنيته أبو الوليد ، واستدل على أنه تجاوز العام ٣٧٥ هـ لأنه ذكر في أرجوزته علي بن يوسف بن تاشفين ، وهو استنتاج خاطئ ، إذ أن ذكره لعلي بن يوسف لا يعني أنه عاش حتى نهاية خلافته .
٢ ورد منها بيتان في المساك .
٣ ب م : بزيغ .

وهبْ لَنَا النسيم بكلّ طيبٍ كأنّا منه في زَمَن الربيعِ
على نهرٍ كأنّ الماء فيه بقايا فوقَ خدّ^١ مِن دُموعِ

وقال يصفُ منزله^٢ :

كيفَ البقاءَ بيتٍ لا أنيسَ به ولا وطاءَ ولا ماءً ولا فُرُشُ
كانه كُوءٌ في حائطٍ نُقِبتْ^٣ في ظلمة الليلِ يأوي جوفها حنش

وقال^٤ :

قلْ لأبي يوسفِ المنتقى الفاضلِ الأوحِدِ في عصرِه
ومَن إذا حرَّكَ أوتارَه^٥ وظلَّ يُبدي السحرَ من عشرِه
تخاله إسحاقَ أو معبداً يشدُّو بالحنانِ على وترِه
هلْ لكَ أنْ تُسمعَ مهديكم وأنْ تُوفّي الحقَّ مِن بيرة^٦
حتى إذا الأيامُ أبدتْ له ما في ضميرِ الدهرِ^٧ من سرِه
وصيّرَ التاجُ على رأسِه وأقبلَ الوَفْدُ إلى قصرِه
أعطاك من جدواه ما تشتهي فيضتهِ البيضاء أو تبه

١ ب م والمساك : خدي .

٢ وردا في المغرب ٢ : ٣٧٢ .

٣ المغرب : ثقبِت .

٤ وردت منها ستة أبيات في المغرب .

٥ ب م والمغرب : موسيقه .

٦ المغرب : فطرد الأشجان من فكره .

٧ المغرب : الزهر .

وقال :

وشادين وجهه ذكاءُ فيه حيا الحسن والحياءُ
لما اغتدى قارئاً بحزنٍ لذّ لي^١ الحزن والبكاءُ
ثم^٢ تذكرتُ قولَ ربّي «يزيدُ في الخلقِ ما يشاء»

وقال :

وخمارٍ أنختُ به مسيحي رَحِيم الدّلّ ذي وجهٍ صبيح^٣
سقاني ثمّ غنّاني بصوتٍ فداوى ما بقلبي من جُروح
وفضّ فم الدّنان على اقتراحي^٤ ففاح البيتُ منها طيبَ ريح
فقلتُ له لكم سنةً تراها فقال أظنّها مِن عهدِ نوح
فلما أن شدا الناقوسُ ضرباًه دعاني أن هلُمّ إلى الصُّبوح
وحيّاني وفدّاني بكأسٍ وقبلني فردّ^٥ إليّ روحي

فصول من خطبته التي جعلها مقدمة لأرجوزته

قال في صدرها : أما بعد ، فإنه لما كانت مخاطبة الرئيس ، تنوبُ
عن لقائه الذي هو حياةُ النفوس ، وريبعُ القلوب ، وثلجُ الصدور ، وناظم

١ ط : أدلّي .

٢ ب م : حتى .

٣ المغرب : فني وتر فصيح .

٤ المغرب : اقتراح .

٥ ب م والمغرب : صوتاً .

فرائد^١ الحظوظ والحبور ، وكانت حالي قد أناخت بذراه الرّحب ، وآمالي قد كَرَعَتْ في مَوْرده العَدْب ، إذ هو سماءٌ تمطر ، وبحرٌ لا يُكْدَر ، وَغَيْثٌ ممرعٌ يحيا به المجدب ؛ وما زلتُ أرومُ لقاءه على تراخي الأيّام ، فيحولُ بيني وبينه قَدَرٌ لا يُرام ، وعقالُ تقاضيه غيرُ مُطلق ، وبابُ الرجاء به مُخلق ؛ فأعملتُ المدادَ والأقلام ، برجزٍ صنعته ، وكلامٍ وضعته^٢ ، والغرضُ فيه امتداحه ، والقصدُ منه استمناحه ، وهو في معنى ما تضمنته كُتُبُ التواريخ ؛ قطفتُ عيونَ زَهرها ، والتقطتُ مكنونَ دُرّرها ، واقتصرتُ على أقلّها دُونَ أَكْثَرها ، ممّا لا يَسَعُ جهله ؛ وحذفتُ كلَّ حديثٍ يتغلغل ، وخبرٍ يتسلسل ، إلّا ما زدتُ حُلّاه رونقاً ، ومجتلاه تألقاً ، من شأن فتح الأندلس ، وما اتصل بذلك من أخبار أملاكها الدُّرُس ، إلى وقتنا هذا ، ومن وليها من بني أُميّة وغيرهم . وذكرتُ من وَلِيّ الخلافة بالشرق من بني العبّاس بعد المطيع لله إلى وقتنا هذا ، وهو وقت التاريخ الذي ذكرته في الأرجوزة ، والإمامُ الآنَ فيه القائمُ بأمرِ الله ابنُ القادر بالله^٣ ، وقصدتُ إلى معنى الاستدكار به لجوامعِ التاريخ والأخبار ، وسلكْتُ مذهبَ الاختصار ، رجاءَ أن تُطْلِعني^٤ قريحتي على مَغْزاه ، وتنشِطَ مُنْتي إلى قُرب مَرّماه ، وقدّمتُ أولاً مقدّماتٍ من أصول الاعتقادات .

١ ط : فوايد .

٢ ب م : نظمته .

٣ لقد تجاوز في أرجوزته عهد القائم بالله (٤٢٢ - ٤٦٧) ، وسرد من جاء بعده من خلفاء بني العبّاس حتى المسترشد ٥١٢ - ٥٢٩ ، ويبدو أن ذلك قد زيد فيها من بعد .

٤ ب م : تطيعني .

وأول أرجوزته

يَقُولُ مُهْدِيُ الْوَرَى الْمُتَنْتَظِرُ هَا فَاسْمَعُوا مَا قُلْتُهُ وَاعْتَبِرُوا
أَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ فِي التَّرْجِيزِ رَبِّ الْأَنَامِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ
ثُمَّ بِذِكْرِ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ طَوْلَ الْأَبَدِ
وَالطَّيِّبُونَ آلُهُ الْكَرَامُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
أَهْدِي مِنَ الْقَرِيضِ مَا تَحْتَقِقُهُ إِلَى رَئِيسِ سَيِّدِ أَمَلَتِهِ
تَنْفِقُ سَوْقُ الْعِلْمِ فِي ذِرَاهُ مُضْمِنًا لِلْبَعْضِ مِنْ حُلَاهُ
فِي كَلِمٍ كُلُّوْهُ الْعُقُودِ أَنْظِمُ مَا ضَمَّنَهُ الْمَسْعُودِ
وغيرُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَثْمَةِ فِي كُلِّ ٢ مِنْ وَلِيِّ أَمْرِ الْأَثْمَةِ
مُقْتَصِرًا مِنْهُ عَلَى عُيُونِهِ وَحَاضِرًا لِلْحَشْرِ مِنْ فَنُونِهِ

في التَّحْمِيدِ

وَالْحَمْدُ لِلْمُبْتَدِعِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ذِي الْآلَاءِ وَالنِّعَمَاءِ
سُبْحَانَهُ مِنْ خَالِقِ جَبَّارِ يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحَارِ
وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مَعْلُومٌ فَهُوَ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الْقَيُّومُ
رَبِّ عَظِيمٍ أَوَّلٌ لَمْ يَزَلِ بَارِي الْبَرِيَّةِ الْكَبِيرِ الْمُعْتَلِ
أَبْدَعَهَا مِنْ بَعْدِ أَنْ لَمْ تَكُنْ بَدْعَةً خَلَقَ لَهَا مُهَيِّمِ

١ ب م : حلاه .

٢ ب م : سير . . . وكل .

وعرشه قد كان فوق الماء كذا المقالُ الحسنُ الملاء
من قبل أن لم يكُ عرشٌ لا ولا ملاً يرى تكوينه ولا خلا
ولم يكن شيءٌ سواهُ قبلُ تبارك اللهُ المليكُ العدلُ
وانفردَ الربُّ بوحْدانيتهُ فوق النّهى والوهم عن بريته
وسبقتُ كلَّ البرايا قدرته والصفةُ العليا فذلك صفته
جلتُ صفاتُ الصانع القديم عن قول جهنم^٢ وذوي التجسيم
فافهم مقال جهنم مميّز يومي إلى الحقِّ ولما يُلغز
إياهُ فاعبد أيتها الإنسانُ فهو اللطيفُ القادرُ المنانُ
ولتعتبر في ملكوتِ العالم كلاً وفي نفسك يا ابنَ آدم
ألم تكن من نطفةٍ مكوّناً ثمتَ هيأ لك صنْعاً مُتقناً ؟
من آلة الإحساسِ والحياةِ والقوتِ والرّزقِ إلى المماتِ
فصرتَ حيّاً ناطقاً بصيراً نعتبرُ الحكمةَ والتدبيراً
علّمنا بالقلمِ البيّاناً حتى علّمنا قبلُ ما قد كانا
من أُممٍ بادَتْ بصرفِ الأدهرِ أشهدنا من ذاك ما لم نحضر
سُبْحانه من واحدٍ قدير مُصرفِ الأزمانِ والدُّهورِ

١ ب م : قيل .

٢ ب م : من بعد .

٣ يعني جهنم بن صفوان صاحب مذهب الجهمية ، وهو مذهب التجسيم .

مقدمات من أدلة المعرفة والاستدلال على الصانع تعالى من الصنعة

والجسم ليس فاعلاً في الجسم. قال بهذا القول أهل العلم. ليس^١ ذا أولى برسم العقل من ذلك لما استويا في المثل ؟ أف^٢ لقول الفتن البصريّة^٣ دافوا معاً بقدم الحوادث واحذروا هناك الله يا ذا الفهم وجانب^٤ الحيدة والتعمقا وقُل بما يقول أهل الحق وأدوات الحس يا مَنْ يفحص السمع والبصر ثمّ اللمس وكل ما تدركه موجود جهاته سيّ بلا امتراء أعلاه والتحت وبعد خلف ثمّ أمام سادس الجهات فبعضها يوجب فاعلم بعضاً فكل ماله قياس يعقل إنّ له فافهم مقالاً آخر

قال بهذا القول أهل العلم من ذلك لما استويا في المثل ؟ أهل الهوى والفرقة الغوية سوف يُجازون بخزي كارث قولهم واحذروا مقال جهم فإنّ ذلك نهج من ترندقا من مثبتي صفات ربّ الخلق عن علمها ومن عليها يحرص والشمّ والذوق فتلك خمس مؤلف مبعض محدود معلومة من غير ما خفاء وبيئة ويسرة تحيف وهكذا مقترن الصفات فلا تكُنّ بجمل هذا ترضى من المضاف في المعاني أول فكل ما له طرف لا إمترا

١ ط : وليس .

٢ ب م : الألة البصرية ؛ وهو يعني المعتزلة .

٣ ط : وجنب .

٤ ط : مفرق .

إِنَّ لَهُ فاعِظِلْ كَلَامِي وَسَطًا
 فِي أَنْ مَا ظَاهِرُهُ مَشْهُودُ
 وَالْخَبْرُ الصَّحِيحُ بِاتِّفَاقٍ
 وَعَلِمْنَا الْبَحْرَ وَإِنْ لَمْ نَرَهُ
 وَالنَّقْلُ فِي تَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ
 وَهُوَ بِالْجَمِّ الْغَفِيرِ كَافٍ
 وَكُلُّ مُحْسُوسٍ فَذُو ابْتِدَاءٍ
 وَالْحَدُّ قَوْلٌ مُوجَزٌ مَطْبُوعٌ
 وَالْإِسْمُ مَا دَلَّ عَلَى الْمَوْجُودِ
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْجِسْمَ وَالزَّمَانَ
 إِذِ الزَّمَانُ حَرَكَاتُ الْجِسْمِ
 وَكُلُّ شَيْءٍ جَوْهَرٌ أَوْ عَرَضٌ
 فَإِنْ فَحَصْتَ قَائِلًا مَا الْجَوْهَرُ
 فَالْجَوْهَرُ الْحَامِلُ لِلْأَعْرَاضِ
 وَالْعَرَضُ الْمَحْمُولُ كَالْأَلْوَانِ
 وَقِسْمَةُ الْوُجُودِ فَضُرُوبُ
 مَا تَجِدُ الْخَمْسَ مِنَ الْخَوَاسِ
 ثُمَّ وَجُودٌ لِمِثَالِ الْعَقْلِ
 ثُمَّ وَجُودٌ ثَالِثٌ رَفِيعٌ
 كَذَلِكَ فَتَنْشِ < يَتَكَشَفُ > الْغَطَا
 فِيهِ فاعِلِمْ بَاطِنٌ مَوْجُودُ
 سَمَاعِنَا عَنْ مِصْرَ وَالْعِرَاقِ
 عِلْمٌ صَحِيحٌ لَيْسَ فِيهِ شُبْهٌ
 يُغْنِي عَنِ الرَّؤْيَةِ بِالْأَبْصَارِ
 وَبِالْجَمَاهِيرِ بِلَا خِلَافٍ
 وَمُدَّةٌ تُفْضِي إِلَى انْتِهَاءِ
 مُخَصَّصٌ يُدْرِي بِهِ الْمَوْضُوعُ
 فَمَازَهُ مِنْ سَائِرِ الْمَعْدُودِ
 مُصْطَحِبَانِ أَبَدًا قِرَانَا
 وَذَلِكَ أَقْصَى مُدْرَكٍ بِالْوَهْمِ
 إِلَّا الَّذِي الطَّوْعُ لَهُ مَفْتَرَضُ
 وَمَا هُوَ الْعَرَضُ إِذْ يُفْسَرُ
 وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ بِذِي أِبْعَاضٍ
 وَحَرَكَاتٍ الْجَرْمِ وَالْإِسْكَانِ
 ثَلَاثَةٌ يُدْرِكُهَا اللَّيْبُ
 فَافْهَمْ هَذَاكَ اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ
 يَعْرِفُ هَذَا ذُو الْحُجَى وَالنَّبْلِ
 فَوْقَ الْعُلَا عَلَّمَهُ الْبَدِيعُ

بُرْهَانُهُ يُدْرِكُ بِالذِّكْرِ مِثْلَ دُخَانِ النَّارِ فِي التَّحْمِيلِ
وَكَالْبِنَاءِ وَثِمَارِ الشَّجَرِ وَالْأَثَرِ الْكَائِنِ عَنْ مُؤَثَرٍ
وَحَسْبُنَا مَا لَا يَصْحُحُ جِهْلُهُ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ وَهَذَا أَصْلُهُ

فِي بَيَانِ الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ

أَوْصِيكَ يَا مَنْ يَطْلُبُ الْعُلُومَ
وَلَا تَقْلُ بِالْمِثْلِ لِلتَّقْلِيدِ
وَاتَّخِذِ الْعِلْمَ لِنَفْسِ الْعِلْمِ
وَالْعِلْمُ ، إِنْ أَرَدْتَ حَدًّا مَطْلَبُهُ
وَالْعِلْمُ عِلْمَانِ أَيَا مِنْ يَبْحَثُ
إِنَّ الْقَدِيمَ عِلْمُ رَبِّ الْعَرْشِ
وَمَحْدَثٌ فَذَلِكَ عِلْمُ الْخَلْقِ
وَكُلُّ عِلْمٍ مَحْدَثٌ عِلْمَانِ
كَالْعِلْمِ أَنَّ اثْنَيْنِ ضَعْفٌ وَاحِدٌ
وَبَعْدَهُ فَعِلْمُ الْأَسْتِدْلَالِ^١
مَا فِيهِ مَا يَنْظُرُ مَنْ يُفَكِّرُ
وَصَانِعُ الْعَالَمِ فَرَدٌ صَمَدٌ
فَصُنْعُ الْاِثْنَيْنِ اشْتِرَاكٌ مِنْهُمَا

أَنْ تَعْرِفَ الْمَوْهُومَ وَالْمَعْلُومَ
فَذَلِكَ رَأْيُ الْكُودَنْ الْبَلِيدِ
لَا لِلْمُبَاهَاةِ وَلَا لِلخَصْمِ
مَعْرِفَةُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ
عِلْمٌ قَدِيمٌ ثُمَّ عِلْمٌ مَحْدَثٌ
بَارِي الْبَرِيَّةِ الشَّدِيدِ الْبَطْشِ
مَنْ نَاطَقٍ وَغَيْرِ مَا ذِي نُطْقٍ
عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ بَلَا بُرْهَانٍ
وَأَنْ لَيْسَ قَائِمٌ كَقَاعِدِ
وَالْمُنْطِقِ الْبَاحِثِ عَنْ أَحْوَالِ
يُدْرِكُ هَذَا كُلُّ مَنْ يَعْتَبِرُ
وَالصَّنْعُ لَمْ يَشْرِكْهُ فِيهِ أَحَدٌ
لَا يَخْلُوانِ مِنْ تَغَايُرِهِمَا

١ ب م ط : يسع (اقرأ : يسوغ) .

٢ ب م : فذو .

٣ ب م : وبعد فالعلم بالاستدلال .

٤ ب م : والنظر الباحث .

وكلُّ ما زاد على اثنين كذا
والانفرادُ غايةٌ في المدحِ
وللتصارى القولُ بالتثليثِ
وطابقوا اليهودَ في التجسيمِ
وللبراهميةِ والمجوسِ^٢
جلَّ الإلهُ الفردُ عن شريكِ
وليسَ ذا حدٍّ ولا انتهاءِ
أحاطَ بالأشياءِ طرّاً علمُه
أحصى الكثيرَ منهُ والقليلَ
وجادَ بالغنى وقدَّرَ العدمَ
من خالف التوحيدَ فهوَ قد هذى
والاشتراكَ من دواعي القدحِ
أفطعُ^١ بهِ مِن مذهبِ خبيثِ
أفَ لهِ مِن منطِقِ ذميمِ
مقالُ سوءٍ ليس للقُدوسِ
فهوَ ذوُ التقديسِ والتبريكِ
فهوَ فوقَ الفوقِ ذو اعتلاءِ
وعَمَّ فيما قد براهُ حكمُه
وعَلِمَ الجُملةَ والتفصيلاً
وكانَ عدلاً منه كلُّ ما قسَمَ

التفكر في الملكوت

با مَن يُجِيلُ فِكْرَهُ للعبرةِ
انظرُ إلى المواتِ والنباتِ
كيفَ ترى التكوينَ فيها مائلاً
يؤلفُ الأربعةَ العناصرِ
وجاوزِ العبرةَ نحوَ الفلكِ
تُبصرُ هنالكَ النجومَ الحُنساً
والأبرُجَ الثابتةَ المكانِ
في كلِّ موضوعٍ له بالفكرةِ
والحيوانِ نَظَرَ استنباتِ
يُنَبِّئُكَ أَنَّ لِقَوَّاهَا فاعِلاً
يَمْنَعُ مِن أضدادها التنافرا
حيثُ السمواتُ ذواتُ الحبكِ
سخرَها مَن في العلا تَقْدَساً
نَيِّرةً تَعْلُو على كيوانِ

١ ب م : أقطع .

٢ ط : المجوس .

يَهْدِي بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَعَدَدُ السَّخِينِ وَالْحِسَابِ
وَتُعَلِّمُ الْأَنْوَاءُ وَالْمَنَازِلُ شَوَاهِدُ تَشْهَدُ بِالتَّوْحِيدِ
وَأَسْمُ إِلَى تَفَكُّرٍ فِي النَّفْسِ^٢ بِحَجْمِ^٣ جِسْمِ الْعَالَمِ الْمُحِيطِ
وَانْظُرْ إِلَى التَّسْخِيرِ فِيهَا لِأَزْمَا يَلْحَقُهَا النِّقْصَانُ وَالزِّيَادَةُ
مِنْ ذَاتِهَا فِي حَالَةِ التَّصْرِيفِ لِقُوَّةِ الْعَقْلِ الَّذِي يَحْمِلُهَا
إِذَا هِيَ أَعْلَى رُتْبَةٍ وَأَشْرَفُ لَكِنَّهُ تَلْحَقُهُ الْآفَاتُ
فَدَلٌّ ذَاكَ أَنَّ رَبًّا فَوْقَهُ يَمْلِكُهُ وَكُلٌّ مَا سِوَاهُ
وَكَسْمٌ لَهُ فِي خَلْقِهِ مِنْ آيَةٍ يُبْصِرُهَا ذُو الْفِطَنِ الصَّاحِبِ
واعتَبِرِ الْمَقَاسِ الْمَطْرُودَةَ بَيِّنَةً فِي حُجَجِ الْعُقُولِ

كُلًّا وَفِي ظُلُمَاءِ لُجِّ الْبَحْرِ يَعْلَمُهُ بِهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ
ذَا طَالَعُ مِنْهَا وَهَذَا أَقِيلُ لِلوَاحِدِ الْمُتَبَدِّعِ الْحَمِيدِ^١
تُبْصِرُ قَوَاهَا فِي مَحَلِّ الْقُدُسِ الْمُسْتَدِيرِ الشَّكْلِ ذِي التَّخْطِيطِ
يَوْمَتَهَا كَمَا يَوْمُ الْعَالَمِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ لَهَا إِرَادَةٌ
فَهِيَ تَنْقَادُ إِلَى التَّكْلِيفِ فَهِيَ إِلَى اخْتِيَارِهِ يَنْقَلِبُ
مِنْهَا إِذَا حَصَلَتْهُ وَالْطَّفُ مِنْ غَيْرِهِ وَالْعَجْزُ وَالْعَاهَاتُ
بَايِنَ بِالذَّاتِ وَالْأَسْمِ خَلْقَهُ مِلْكَ إِحَاطَةٍ^٥ قَدْ احْتَوَاهُ
تُنْبِئُ أَنْ لَيْسَ لَهُ نِهَايَةٌ إِنْ أَعْمَلَ الْفِكْرَةَ وَالْقَرِيحَةَ
فَبَعْضُهَا بِبَعْضِهَا مُعْتَصِدُهُ شَاهِدَةٌ بِالصِّدْقِ لِلرَّسُولِ

١ ب م : المجيد .

٢ ب م : واسم إلى التفكير نحو النفس .

٣ ب م : تحمل .

٤ ب م : التصرف . . . التكلف .

٥ ب م : ملك أحاطه .

بدء الخليقة وذرة البرية

أقول قولاً ليس بالمُفند إن مقال المسلمين اتفقاً من غير أصل أو مثال شيء أبدع تكوين المبادي الأول وكان بدء الخلق في يوم الأحد فخلق الله السموات العلا أخرج من ماء دُخاناً فسما أسكن فيها الجن قبل آدم وادم صور من صلصال ثم برا لآدم حواء فمكثا مقدار ربع يوم بالهند حيث العود والقرنفل فولدا هابيل ثم قساينا كما حكى في قصص القرّبان من قتل هابيل ببغي الحسد فقال ما يروى من القريض ثم خلا بزوجه لما سلا سماء شيئاً آدم أبوه

ولي لسان كشبا المهند أن إله العالمين خلقاً مكوّن من ميت أو حي بقُدرة عظيمة لم تنزل وتم في يوم العروبة العدّد كما عن الرسول في الذكر تلا ثم دحا الأرض ليلو الأمّا فأنقن الرحمن خلق العالم فكان منه جملة الأنسال فسكنا جنته العلّباء وأهبطا منها هبوطاً لوم والميسك والكافور ثم الصندل^١ ليقيضي الخالق أمراً كائنا شأنهما في محكم القرآن قضاء باري الباريات^٢ الأحد آدم قول الأسف المهيض فحملت حواء منه رجلاً فكان في سيرته يتلوه

١ ب م : المغدل .

٢ ب م : مبدي المبديات .

فعاشَ تِسْعَ مائةِ سنيناً
 ثُمَّ تَوَلَّى الْحُكْمَ شَيْثٌ بَعْدَهُ
 وَأَنَّ شَيْثَ غَشِيَّ امْرَأَتَهُ
 فَانْتَقَلَ النُّورُ إِلَيْهِ فَأَصَا
 فَوَلَدَتْ قَيْنَانَ لِأَنْوُشٍ
 ثُمَّ ابْنُهُ مِنْ بَعْدِ مَهْلَايِيلَ
 ثُمَّ ابْنُ مَهْلَايِيلَ يَرْدُ مَلِكاً
 وَقَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ خَنْوُخُ
 ثُمَّ مَتَوْشَلُخُ ابْنُهُ وَالنُّورُ
 وَقَامَ لِمَلِكٍ بَعْدَهُ ذَا فَضْلٍ
 وَنَاحٌ^٢ نُوْحٌ وَالْفَسَادُ قَدْ ظَهَرَ
 فَصَارَ فِي الْفُلْكِ وَقَدْ عَمَّ الْغَرَقُ
 ثُمَّ نَجَّا وَمَعَهُ أَوْلَادُهُ
 وَيَافِثٌ فَالْتَسَلُ مِنْهُمْ كَاتِنٌ
 آدَمُ بَعْدُ ثُمَّ ثَلَاثِينَ
 فَسَدَ فِي أَحْكَامِهِ مَسَدَةٌ
 فَحَمَلَتْ أَنْوُشٌ^١ فَاسْمَعَ نَعْتَهُ
 وَكَانَ يَقْفُو فَعَلَّ مَنْ قَبْلُ مَضَى
 فَصَارَ ذَا مُلْكٍ وَذَا جِيُوشٍ
 وَالْعَهْدُ مَأْخُودٌ فَمَا يُقْبَلُ
 وَالنُّورُ مَوْرُوثٌ يُجْلِي الْحُلُكَا
 ضَمَنَ هَذَا كُلَّهُ التَّارِيخُ
 فِي وَجْهِهِ وَالشَّرَفُ الْمَذْكُورُ^١
 فِي كَائِنَاتٍ وَاخْتِلَاطٍ نَسْلٍ
 وَصَنَعَ السَّفِينَةَ ذَاتَ الدُّسُرِ
 مَنْ جَحَدَ اللَّهَ تَعَالَى وَفَسَقَ
 سَامٌ وَحَامٌ وَهُمَا عَتَادُهُ
 تَحْوِيهِمُ الْآفَاقُ وَالْمَدَائِنُ

الأنبياء المنصوص على قصصهم في القرآن

وَنِعْمَةُ اللَّهِ بِبَعَثِ الرُّسُلِ بِحَمْدِهَا يَنْطِقُ كُلُّ مَقُولٍ
 أَوْلَهُمْ آدَمُ الصَّفِيُّ وَآخِرُ مُحَمَّدُ النَّبِيُّ
 أَرْسَلَهُمْ طَرّاً لِيَهْدُوا النَّاسَ مُؤَلِّفًا بِالدَّعْوَةِ الْأَجْنَاسَا

١ ب م : يانوش .

٢ ب م : المانور .

٣ ب م : وقام .

فأدحضوا كلَّ مقالٍ زائفٍ أكرمَ بهم من صفوةِ خلائفِ
تأنيهمُ الملائكُ الكرامُ بكلِّ ما يرُيدُهُ العلامُ
فبيّنوا الحلالَ والحراما وأنفذوا الأمورَ والأحكاما
حتى بدا الصُّبحُ لذي عَيْنينِ وأسمعوا مَنْ كانَ ذا أذنينِ
تألفهمُ صحابةُ أمجادُ أسدُ حُرُوبِ قَادَةِ أنجادُ
حتى هدى اللهُ بهم من اهتدى لولا همُ لأصبحَ الناسُ سدى
فاختصرَ كلَّ مرسلٍ بمعجزةٍ من آيةٍ وكلماتٍ موجزةٍ

الحلفاء الأربعة ومن تلاهم من بني أمية

تُمتَّ خصَّ الخلفاءَ الأربعةُ فأكلَ اللهُ بهم ما صنَّعه
فاستُخلفَ الصديقُ ثاني اثنينِ ذاكَ أبو بكرٍ بغيرِ مَبِينِ
جرَّدَ في جهادِ أهلِ الرِّدةِ ولم يكنْ يَرْضَى بغيرِ الشِّدةِ
ثم توفاهُ الإلهُ راضيا وكان في ذاتِ الإلهِ ماضيا
ثم تولَّى عمرُ الفاروقُ فالتأمتْ من بعده الفُتُوقُ
واستعملَ البُعوثَ والأجنادا وألِفَ الحُرُوبَ والجهادا
حتى أتتهُ مِحْنَةُ الشهادةِ فهَيَّا اللهُ له السَّعادةِ
فصَيَّرَ الشُّورى إلى أصحابهِ ستنهمُ وهو يشكو ما بهِ
فأثروا عثمانَ بالخِلافةِ وكان للإلهِ ذا مَخَافَةِ
فمهَّدَ الأُمّةَ ذو النورينِ حتى سقاهُ اللهُ كأسَ الحينِ
إذ حَصَّروه في حَرِيمِ الدَّارِ مُستسلِمًا من غيرِ ما أنصارِ
طوبى له من أشمطِ قَتيلِ يقومُ طُولَ اللَّيلِ بالتَّزِيلِ
بؤسًا لِقومٍ قَتَلُوا عثمانًا إذ نَقَمُوا استخلاصَهُ مروانا

ثُمَّ تَوَلَّاهَا أَبُو السَّبْطَيْنِ
 عَلِيَّ ذُو الْعِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ^١
 فَسَارَ طَلْحَةُ مَعَ الزُّبَيْرِ
 وَخَرَجَتْ عَائِشَةُ لِلصُّلْحِ
 فَشَبَقَتِ الْحُرُوبُ يَوْمَ الْجَمَلِ
 وَقُتِلَ الزُّبَيْرُ قَبْلَ الْمَلْحَمَةِ
 وَثَارَتِ الْحُرُوبُ بِالْخَوَارِجِ
 ثُمَّ مَضَى عَلِيٌّ إِلَى مُعَاوِيَةَ
 فَاجْتَمَعُوا لِلْحَرْبِ فِي صَفَيْنَا
 وَدَامَ فِي حُرُوبِهِ عَلِيٌّ
 حِينَ أَصَابَتْهُ يَدَا ابْنِ مُلْجَمٍ
 تَبَأَ لَهُ مِنْ خَارِجِيٍّ فَاسِقٍ
 فَاغْتَالَهُ وَهُوَ يُنَادِي سَحْرًا :
 ثُمَّ تَوَلَّى الْحَسَنُ الْإِمَامَةَ
 وَحَقَّقَ اللَّهُ بِهِ الدَّمَاءَ
 وَسَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ
 فَسَارَ فِيهَا ابْنُ أَبِي سَفْيَانَ
 وَكَانَ فَرْدًا فِي النِّهْيِ وَالْحِلْمِ
 فَانْتَقَلَ الْأَمْرُ إِلَى يَزِيدٍ
 مَجْتَرَمًا فِي قَتْلِهِ الْحُسَيْنَا

ذَاكَ أَبُو الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ
 وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَذُو الْبِرَاعَةِ
 إِلَى الْعِرَاقِ فِي أَحْتِ سَبْرِ
 فَانْصَرَفَتْ وَالْحَرْبُ ذَاتُ كَلْعٍ
 حَتَّى أُصِيبَ طَلْحَةُ فِي الْمَقْتَلِ
 مُنْصَرَفًا عَنْهَا حَلِيفَ مُنْذَمَةٍ
 أَصْلَاهُمْ بِالنَّارِ ذُو الْمَارِجِ
 فَاضْطَرَبَ الْأَمْرُ بِعَمْرِو الدَّاهِيَةِ
 فَأَيَّتَمَوْا الْبَنَاتِ وَالْبَنِينَ
 حَتَّى دَهَاهُ حَادِثٌ وَبَيٌّ^٢
 فَخَضَبَ الْمَفْرِقَ مِنْهُ بِالْدَّمِ
 خَالَفَ فِي التَّنْزِيلِ أَمْرَ الْخَالِقِ
 قَوْمُوا إِلَى الصَّلَاةِ يَدْعُو مِنْذِرًا
 فَمُنِحَتْ بِبَيْمِنِهِ السَّلَامَةُ
 وَأَذْهَبَ الْمِحْنَةَ وَاللَّوَاءَ
 حَيَاتِهِ وَصَارَ عَنْهَا نَاحِيَةً
 بِسِيرَةٍ لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
 حَتَّى رَمَاهُ حَبْنُهُ بِسَهْمٍ
 فَحَادَ عَنْ مَتَاهِجِ التَّسْدِيدِ
 وَجَاءَ فِي الْحَرَّةِ فَعَلَاءَ شِينَا

١ ب م : ذُو الْعِلْمِ وَذُو الشَّجَاعَةِ .

٢ ط : دَعِي .

حتى أتاه الموتُ حتَّفَ أنفِهِ
 ثمَّ أبو ليلي تولَّى الحكماً
 وكان لا بأسَ به في السيرة
 فاستخلفوا مروانَ نجلَ الحَكَمِ
 فأوقعته زوجته في عَطْبِهِ
 يقولُها لابن يزيدَ خالدٍ
 وكان ذا بأسٍ وذا دهاءٍ
 يقتحمُ الحربَ بجأشٍ رابطٍ
 ثمَّ تولَّى الأمرَ عبدُ الملكِ
 لكنَّه كان شديدَ الحزمِ
 وكان مِن عُمَآله الحجاجُ
 حتى إذا بابن الزُّبَيْرِ ظفروا
 للحرَمينِ والعراقِ مالِكاً
 سقاهُ كأساً مرَّةَ المزاجِ
 وثارَتِ الحربُ مع ابنِ الأشعثِ
 وغلبَتِ البُغَاةُ عبدُ الملكِ
 حتى توفاهُ مزيلُ ملكِهِ
 وكان في السيرةِ لدنأً لينا
 وقد بنى الجامعَ في دمشقِ
 في عَهْدِهِ فتَحَّجَّ أندلوساً
 فلم تكنْ له يدٌ في صرفِهِ
 فعاقبه حمامُهُ إذ حُمَا
 ثم انقضَّتْ مدَّتُهُ اليسيرةُ
 طوبى له من ملكٍ محترَمٍ
 إذ أنفَت من قوله : ابنُ الرطبةِ
 سليلها غضبانَ قولَ حاقِدٍ
 وبسطةٍ في العلمِ والذكاءِ
 كفعله في يومِ مرجِ راهطٍ
 وكانت الدِّمَا به لم تُسْفَكِ^١
 أبو الخلائفِ الرُّضِيُّ الحَكَمُ
 سراجُهُ في خطبه الوَهَّاجُ
 وكان في مكَّةَ يعلو المنبراً
 ومُصْعَبُ أخٌ له هُنَالِكَ
 وكان للحروبِ ذا احتِياجٍ
 فاغتالَهُ الحجاجُ لما يلبَثُ
 بالخزمِ والجدِّ وعزمٍ موشِكٍ
 فولِّيَ الوليدُ بعدَ هُلْكِهِ
 مُسْتَمْسِكاً حتى أذيقَ الحينا
 مُقْتَصِداً في ذاكَ وَفَّقَى الصَّدَقِ
 طارقُ مولى ابنِ نُصَيْرِ موسى

١ ب : فكان للدماء غير مسفك .

في عامٍ تسعينَ مَضَتْ واثنينِ
 ثمَّ سُلَيْمَانُ تَوَلَّى الْمُلُوكَا
 وَكَانَ ذَا غَزْوٍ وَذَا حُرُوبٍ
 نَعَتْ إِلَيْهِ نَفْسَهُ جَارِيَتُهُ
 وَكَانَ ذَا حُسْنٍ وَذَا جَمَالٍ
 فَأَنْشَدَتْ بَيْتَيْنِ مِنْ قَبْرِ يُضْرِ
 ثُمَّ تَوَلَّى الْأَمْرَ بَعْدُ عُمَرُ
 زَهْدًا وَعِلْمًا وَاعْتِدَالًا وَتَقَى
 قَتَا سَبِيلَ جَدِّهِ الْفَارُوقِ
 إِلَى انْتِهَاءِ الْحَتَمِ مِنْ مُدَّتِهِ
 ثُمَّ تَلَاهُ وَالْيَا يَزِيدُ
 تَصْبِحُهُ سَلَامَةٌ شَرَابُهُ
 حَتَّى أَتَاهُ الْحَيْنَ بَعْدَ حَبِينِهَا
 فَصَارَ فِي الْأَمْرِ هِشَامٌ يَحْكُمُ
 قَتَلَ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ إِذْ خَرَجَ
 فِدَامَ فِي جَدِّهِ إِلَى أَنْ مَاتَا
 فَصُبِّرَ الْمُلُوكُ إِلَى الْوَلِيدِ
 لَمَّا اغْتَدَى مُشْتَغَلًا بِالْحَمْرِ
 فَأَهْلَكَ الْأُمَّةَ بِخَلَاعَتِهِ

ثُمَّ سَقَاهُ الدَّهْرُ كَاسَ الْحَيْنِ^١
 وَسَاسَهُ حَتَّى تَوَلَّى هُلُكَا
 فِي الرُّومِ لَا يُبْقِي عَلَى الدُّرُوبِ
 يَوْمًا وَكَانَتْ أَعْجَبَتُهُ بَزْتُهُ
 بَيْنَ شَبَابٍ رَاقٍ وَاكْتِمَالِ
 حَتَّى مَسِيرُهُ إِلَى الْجَرِيضِ
 وَكَانَ فِي الْعَدْلِ إِمَامًا يُؤْتَرُ
 حَتَّى اغْتَدَى فِي الْأَمْرِ فَرْدًا مُنْتَقَى
 وَدَحَضَ^٢ الْبَاطِلَ بِالْحَقُّوقِ
 فَصَارَ عِنْدَ اللَّهِ فِي رَحْمَتِهِ
 فَظُلٌّ فِي سِيرَتِهِ بِحَيْدٍ
 وَرُبَّمَا تَغْبِقُهُ حَبَابُهُ
 وَبَانَ عَنْهُ الْمُلْكُ عِنْدَ بَيْنِهَا
 بِسُوسٍ فِي سِيرَتِهِ وَبِحَزْمٍ
 عَلَيْهِ قَتْلًا^٣ يَكُنْ فِيهِ حَرَجٌ
 وَزَالَ عَنْهُ مُلْكُهُ وَفَاتَا
 فَلَمْ يَكُنْ فِي الْحُكْمِ بِالسَّتِيدِ
 وَبِالْأَغَانِي وَسَمَاعِ الزَّمْرِ
 فَانْخَلَعُوا لِذَلِكَ عَنْ طَاعَتِهِ

١ ب م :

فِي زَمَنِ الْوَلِيدِ دُونَ مَيْنِ فِي عَامِ تَسْعِينَ مَضَتْ وَاثْنَيْنِ
 ثُمَّ أَذْيَقَ حَيْمَةَ الْوَلِيدِ فَضَمَّهُ فِي الْجَدَثِ الصَّهْدِ

٢ ب م : يَقْفُو ... وَيَدْحَضُ .

حتى ثوى مُعتقاً حُساماً يا عَجَباً مِن ذاكَ كيفَ جازا
 وقدّموه دُونَ أن يُمارا في العقلِ والدينِ بلا مثيلِ
 وهكذا الأَكثَرُ في التحصيلِ لأنّهم قد كتموا النصوصا
 فأشبهوا السباعَ والنصوصا وقدّموا ابنَ عمه يتريدا
 فكانَ في سيرته سديداً ذا ورعٍ عدلاً رِضاً صَوّاما
 يتلو كتابَ رَبِّهِ قَوّاما فدامَ في الأمرِ شهوراً خَمْسا
 حتى ثوى فضمّنوه الرُّمّاسا فقَدّموا أخاهُ إبراهيمَ
 وخَلَعوه بعدَ ذا ذَميما واستخلفوا مِن بعده مَروانا
 في طاليعِ ما إن عدا كيوانا فبأبَحِ الناسُ لَهُ بالأمرِ
 فصلّيَ القومُ بِهِ في جَمَرِ وقَتَلَ الإمامَ إبراهيمَ
 وكانَ ما اجترَمه عَظيما وقامتِ الحربُ على ساقِ بِهِ
 إلى حِمامِهِ وحينِ نَحْيِهِ إذ سارَ صالِحٌ معَ المَسودّةِ
 إلى خراسانَ يَجُنْدِ جَنْدَهُ فسيقَ مَروانُ إلى الحِمامِ
 طوقَ طوقَ الصّارِمِ الحُسامِ وانقرضَ الأملاكُ من أُميّه
 والموتُ قصرى كلَ نفسٍ حيّه

الدولة العباسية

فصارَ في الأمرِ بَنو العباسِ فلم يكن في حُكمهم من باسِ
 أوّلُ أُملاكهمُ السِّفاحُ خُبِرَ مِنْهُ العَدْلُ والصِّلاحُ
 لكنّه كانَ كثيرَ القَتْلِ في عَبدِ شَمْسٍ طالِباً بذحلِ
 دعا أبو سَلَمَةَ الخَلالُ إليه فانقادَتِ لَهُ الرِّجالُ
 فكانَ رأسَ مَظْهَري دَعوتِهِ فخافَ مِنْهُ القَدَحُ في دولتهِ

إِذْ كَانَ قَدْ مَالَ إِلَى آلِ عَلِيٍّ
 فَدَسَّ مَنْ سَارَرَهُ جُنْحَ الْغَيْثِ
 كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ السَّرَّاجُ
 قَدْ سَوَّدُوا الثِّيَابَ^١ وَالرَّايَاتِ
 يَدْعُونَ فِي بِلَادِ خُرَّاسَانَ
 فَقَتَلُوا مَرْوَانَ فِي بُوَصِيرٍ
 لَمَّا رَأَى رَأْسًا لِمَرْوَانَ قُطِعَ
 وَكَانَ لَا يَقْبَلُ ذَا نَيْمِهِ
 وَكَانَ ذَا عِلْمٍ وَذَا أَنَاةٍ
 حَتَّى حَوَاهُ بَعْدَ قَصْرِ جَدَثُ
 فَصَيَّرَ الْأَمْرُ إِلَى الْمَنْصُورِ
 إِذْ كَانَ ذَا سِيَاسَةٍ وَحَزْمٍ
 فَخَرَجَتْ بِمَكَّةَ وَيَثْرِبَ
 قَالَتْ الْحَرْبُ^٢ إِلَى اهْتِجَاجٍ
 فَاحْتَالَ حَتَّى اغْتَالَهُ الْمَنْصُورُ
 فَخَلَّصَ الْأَمْرُ لِأَبِي جَعْفَرٍ
 حَتَّى تَوَفِّيَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ
 فَوَلَّى الْأَمْرَ ابْنُهُ الْمَهْدِيُّ
 وَهُوَ مَمْدُوحُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ
 مُشَابِعًا مَنْ رَامَ مِنْهُمْ أَنْ يَلِي
 بِأَسْمٍ أَذْلَقَ كَالصَّلِّ نَهَشَ
 فِي عَسْكَرٍ مَجْرٍ لَهُ عَجَاجُ
 يَبْغُونَ مِنْ إِثَارَةِ الثَّارَاتِ
 بِطَاعَةِ السَّفَاحِ لَا مَرْوَانَ
 فَسَجَدَ السَّفَاحُ لِلْقَدِيرِ
 فِي طَبَقٍ بَيْنَ يَدَيْهِ قَدْ وُضِعَ
 مَجَانِبًا لِلشَّيْمِ الذَّمِيمَةِ
 مُقْتَدِيًا بِآلِهِ الْهَدَاةِ
 وَصَارَ حَتَّى الْحَشْرِ فِيهِ يَلْبَثُ
 فَأَحْكَمَ التَّدْيِيرَ لِلْأُمُورِ
 مُسَدِّدَ الرَّأْيِ قَوِيَّ الْعَزْمِ
 طَالِبَةً آلَ أَبِي طَالِبٍ
 مَعَ أَبِي مُسْلِمٍ السَّرَّاجِ
 لَمَّا أَنَاهُ الْقَدَرُ الْمَقْدُورُ
 مَهْنَةً مِنْ غَيْرِ مَا تَكْدُرُ^٣
 وَبَزَّتِ الْأَيَّامُ عَنْهُ مُلْكُهُ
 ذُو السَّيْرِ الْحُسْنَى الرِّضَا السَّرِي
 فِي غَيْرِ مَا قَصِيدَةٍ وَقَافِيَةٍ

١ ب م : الهيئات .

٢ ب م : الحال .

٣ ب م : مكدر .

مُشَبَّهًا بِعُتْبَةَ مُحَبُّوبَةٍ
لَابَنَتِ عُلْبَةَ شِعْرًا فشا
وكان يَشْتَدُّ عَلَى الزنادقة
إِذْ كَانَ فِي الْعَدْلِ إِمَامًا مُقْسَطًا
فَوَلَّى الْهَادِي ابْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ
عَدْلًا إِلَى أَنْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ
فَصَارَ هَارُونُ الرَّشِيدُ تَالِيًا
فَشَيْدَ الْمُلْكِ وَأَعْلَى كَعْبَهُ
وَاسْتَوَزَرَ الْبِرَامِكَةَ الْأَمْجَادَا
حَتَّى دَهَا مِ حَدِيثُ الْأَيَّامِ
ثُمَّ دَمَى الْحَيْنُ الرَّشِيدَ فَاخْتَرِمَ
ثُمَّ وَلِيَ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ
فَلَمْ يَزَلْ مُشْتَغِلًا بِاللَّهْوِ
يُنْشِدُهُ أَبُو نَوَاسٍ الْحَسَنُ
أَشْعَارَهُ فِي الْخَمْرِ وَالْغِلْمَانِ
حَتَّى أَتَاهُ الْحَتَفُ بِالْمَأْمُونِ
أَنْحَى عَلَيْهِ طَاهِرٌ فَاغْتَالَهُ
وَدَارَتْ الْحُرُوبُ فِي بَغْدَادِ
فَجَاءَهَا الْمَأْمُونُ عَبْدُ اللَّهِ

فِي كِتَابِ التَّارِيخِ ذَكَرُ قِصَّتَهُ
وَقِصَّةً فِي شَأْنِ طَلِّ وَرِشَا
وَمَنْ غَلَا يُرْضِي بِذَلِكَ خَالِقَهُ
حَتَّى أَتَاهُ حَيْنُهُ فَاعْتَبَطَا
فَسَارَ فِي سِيرَتِهِ وَقَصْدِهِ
فَعَاقَ عَنْ مَأْمُولِهِ حِمَامُهُ
لِلْمَلِكِ الْهَادِي إِمَامًا وَآلِيَا
حَزْمًا وَعِزْمًا وَأَذَلَّ صَعْبَتَهُ
فَاسْتَوْسَقَ الْأَمْرَ بِهِمْ وَزَادَا
وَكُلُّ عَيْشٍ فَلَى أَنْصِرَامِ
وَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي الْعِبَادِ قَدْ حُتِمَ
فِي طَالِعِ حُلٍّ بِهِ التَّنِينُ
فِي غِرَّةٍ وَمَهْلَةٍ وَزَهْوٍ
وَكَانَ مَحْتَمًى شَأْنُهُ التَّمَجُّنُ
فِيحْتَنِي مَا قَالَهُ ابْنُ هَانِي
فَصَارَ رَهْنًا فِي يَدِ الْمُنُونِ
قَتْلًا وَعَنْ سُلْطَانِهِ أَزَالَهُ
وَأَلَّ أَمْرُهَا إِلَى الْفَسَادِ
فَانْزَاحَ عَنْهَا كُلُّ أَمْرِ دَاهِ

١ ب م : الملك .

٢ ب م : مهلة .

٣ ط : فزاح .

حتى اغتدت في زينة العروس
 إذ بايع الناس له فسلموا
 وكان في سيرته المأمون
 ذا بصير بالعلم والكلام
 وكان في أيامه ابن أكرم
 له حديث معه مستطرف
 وثار إبراهيم ابن المهدي
 فعاقه عما أراد القدر
 واستوزر الحسن نجل سهل
 مصاهيراً له ببوران ابنته
 فصدت عما ينتجيه الحسن
 فأصبح المأمون بعد الحسن
 مؤثرياً إذ كان قد سقاه
 وبايع المأمون موسى الرضا
 فدُفِنَ الرضا مع الرشيد
 ثم ثوى المأمون في جهاده
 وصيرَ الملك إلى المعتصم
 فاستفتح المعتصم العتورية
 فعاقه عن ذلك أمر مزعج
 وأن الافشين بدا من كفره
 وغاب عنها كوكب النحوس
 وأشرق الدهر وكاد يظلم
 عدلاً رضاء له ثقى ودين
 مفوهاً بالنثر والنظام
 قاضيه يحيى اللوذعي المفهم
 وكان ذا فقه له تصرف
 عليه والطالع غير سعاد
 فجاءه منهزماً يعتذر
 إذ ناهز الحسن سن الكهل
 منوهاً من جاهه وحرمة
 وشك حمام بدفاع قد دنا
 مرزماً يلبس ثوب الخزان
 سماً وحيلاً قاطعاً حشاه
 ثم قضى الله لموسى ما قضى
 طوبى لموسى من فتي شهيد
 رهناً بما قدمه من زاده
 فأحسن السيرة لما يظلم
 ثم أراد غزو قسطنطينيه
 من ثائر قام عليه بخرج
 ما كان قد أجنه في صدره

١ ب م : إذ .

٢ الصواب : علي بن موسى الرضا .

وقتلَ المعتصمُ الأفشينا
 أحرقه بالنار لما أنْ بَغَى
 ثم دَمَى بعدُ الإمامَ المعتصمَ
 فبويَسَعَ الوائِقُ بالإمامةِ
 وإنه كان مُحِبًّا للنظرِ
 ثم عَدَا الوائِقَ حينَ نَزَلَا
 فبايَعُوا لِحُمْفِرِ التَّوَكُّلِ^١
 حتى دَهِاهُ حَادِثٌ كَبِيرُ
 مَالَا عَلَيْهِ إِبْنُهُ الْمُتَصِيرُ
 فبايَعُوا مُحَمَّدَ الْمُتَصَرَا
 ثم سَقَاهُ الدَّهْرُ كَأْسَ الْحَتَفِ
 فبايَعُوا لِلْمُسْتَعِينِ أَحْمَدِ
 فاضْطَرَبَتْ أحوَالُهُ بِالْتَرَكِ
 جَرَعَهُ الْمُعْتَزُّ مِنْ بَغْيِ جَرَعِ
 فَتَمَّ لِلْمُعْتَزِّ مَا قَدْ أَمَلَهُ
 فلم يَكُنْ بِحَسَنِ [فِي الْأَثَرِ]
 من ضَغْطِهِمْ فبايَعُوا لِلْمُهْتَدِي
 ومَاتَ فِي الْمَجْلِسِ [بعدَ خَلْعِهِ
 فَعَرَضَتْ لِلْمُهْتَدِي أَعْرَاضُ
 إِذْ كَانَ بِالْبَغْيِ يَكِيدُ الدِّبْنَا
 وهكذا يَجْزِي الْإِلَهِ مِنْ طَغْيِ
 وهوَ عَلَى دِجْلَةٍ حِينَ فَقِصِمَ
 وكانَ ذَا عَدْلٍ وَذَا اسْتِقَامَةٍ
 لَكِنَّهُ بِالْقَوْلِ بِالْخُلُقِ أَمَرَ
 فَابْتَزَّ مُلْكَهُ وَمَا قَدْ خُوِّلَا
 وكانَ عَيْنَ الْفَضْلِ وَالتَّفَضُّلِ
 فَاغْتَالَهُ بَغْءُ الصَّغِيرِ
 إِذْ سَامَهُ هُونًا وَمَقْتًا يَضْجُرُ
 فلم يَدُمُ فِي الْمُلْكِ إِلَّا^٢ أَشْهُرَا
 ذَاقَ الَّذِي أَذَاقَهُ مِنْ خَسَفِ
 بِطَالِغِ النُّحْسِ بِغَيْرِ أَسْعَدِ
 ولم يَزَلْ فِي تَنَكُّدِ وَضْنِكَ
 فَسَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ وَانْخَلَعَ
 وَالدَّهْرُ بِفَرِي^٣ لَوْ دَرَى أَجْلَهُ
 سِيرَتَهُ فَحَلَّ فِي أَشْرَاكِ
 فَانْخَلَعَ الْمُعْتَزُّ بِلُقَى الْبَالِدِ
 فَقُضِيَ بِنَدْبِ نَعَاةٍ رَبِّعِهِ
 كَانَ بِهَا فِي مُلْكِهِ انْتِفَاضُ

١ ب م : المتوكل .

٢ ط : غير .

٣ ب م : يدني .

أظهر زهداً لم يوافق جندة
فوجزوه بشبا الخناجر
فولي المعتمد الخلافة
وكان في حرب مع الصفار
حتى دهاه ما دهم البريه
فولي الخلافة المعتضد
فخرجت في ملكه القرامطة
وكان بيدر غلامه كليف
ووصلت قطر الندى إليه
فكان منها في سرور وطرب
فصار في الأمر علي المكتفي
لكنه أذاق بدرأ حنقه
ثم أتى المكتفي الحمام
فصير الأمر إلى المقتدر
وابن المعتز قد غدا إماما
ولم يسع مراد عبد الله
وأدركته حيرفة الآداب
فدام في الأمر سنين جعفر
فشبت الحروب في أيامه
فولي القاهر نجعل المعتضد
وكف عنهم سببه ورفده
فلم يكن للمهتدي من ناصر
فأثر اللذات والسلافه
وغيره من سائر الثوار
فسلبته ملكه المنيه
وكان في حروبه يؤيد
بتغيا فأبدى فيهم مساحطه
وكان بدر البدن من غير كلف
بنت ابن طولون خمارويه
حتى دنا الحمام منه فذهب
فكان في السيرة عين المنصف
إذ كان على ملكه قد خافه
وكان قد ساوره السقام
لله نجل المعتضد جعفر
فسامه المقتدر الحماما
لما دهاه بالمنون داه
بالقدر السابق في الكتاب
حتى أتاه القدر المقتدر
فجرعته المر من حمامه
وكان فقط النفس ذا خلق نكد

١ ب م : قوم .

٢ ط : غير المنصف .

يَعِثُّ حَتَّى سُمِلَتْ حِينَاهُ
فَاسْتُخْلِفَ الرَّاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ
ذَا أَدَبٍ وَذَا قَرِيبِ حَسَنِ
ثُمَّ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ الْمُتَّقِي
وَبَايَعُوا مِنْ بَعْدِهِ الْمُسْتَكْفِيَا
فَأَخْلَصُوا الطَّاعَةَ لِلْمُطْعِي
ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ كَالْحَالِجِ
طَاعُوا لَهُ ثُمَّ عَدَوْا عَلَيْهِ
وَحَلَعُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ صَاغِرَا
فَاسْتَوْسَقَ الْمَلِكُ لَهُ سِنِينَا
حَتَّى سَقَتْهُ أَكْوُسُ^٣ الْحِمَامِ
ثُمَّ ابْنُهُ الْقَائِمُ بَعْدُ قَامَا
ثُمَّ انْتَهَى مُلْكُ بَنِي الْعَبَّاسِ
[وَبَعْدَ ذَلِكَ قَامَ فِي بَغْدَادِ
فَأَسْرَ الْخَلِيفَةُ الْمَذْكُورَا
وَجَدَّ فِي الْخَلْعِ بِكُلِّ جَهْدٍ
فَحَرَّكَ الرَّحْمَنُ ذُو الْجَلَالِ
التَّغْلِبَكِي مَلِكَ الْأَغْزَازِ
وَنَصَرَ الْقَائِمَ خَيْرَ نَصْرِ

إِذْ كَانَ سَهْمًا يُتَّقَى شِبَاهُ
فَكَانَ مَشْغُوفًا بِشَرِبِ الْكَاسِ
وَكَانَ فِي الْعُلُومِ ذَا تَفَنُّنٍ^١
فَمَا بَقُوا مِنْ بَعْدِهِ وَلَا بَقِي
ثُمَّ انْزَوَى عَنْ أَمْرِهِمْ مُسْتَعْفِيَا
فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ فِي الْجَمِيعِ
إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ الْكَرِيمِ^٢ الطَّاعِ
وَقَطَعُوا حَاجِزَ مِشْخَرِيهِ
وَبَايَعُوا ابْنَ الْمُتَّقِي الْقَادِرَا
ثَلَاثَةً - قَالُوا - وَأَرْبَعِينَا
وَكُلُّ مُلْكٍ فَلِى انْصِرَامِ
وَسَارَ فِي سِيرَتِهِ^٤ أَعْوَامَا
وَدَبَرَ الْأَنْثَرَاكُ أَمْرَ النَّاسِ
مُقَدِّمٌ يُدْعَى بِأَرْسِلَانِ
وَكَانَ مَرَّأً بِالْتَّقَى مَشْهُورَا
وَصَرَفَ الدَّعْوَةَ لِلْعُبَيْدِي
لِنَصْرِهِ الْمَلِكِ الْمِيكَالِي
فَقَتَلَ التُّرْكِي بِالْأَهْوَازِ
وَانْفَرَدَ الْغَزَا بِضَبْطِ الْأَمْرِ

١ ب م : تيقن .

٢ ط : عبد الملك .

٣ ب م : سقي بأكوس .

٤ ب م : بسيرته .

ثم نوى القائمُ بعدَ مدّةٍ وباعوا لمقتديهم بعدةً
 ابن ابنه أحمدَ عبدِ اللهِ والأمرُ للعدلِ شاهنشاهِ
 وباعوا من بعده إِذْ قُبِرَا سَلِيلَهُ أَحْمَدُ الْمُسْتَظْهِرَا
 ثُمَّ تَوَلَّاهُ ابْنُهُ الْمُسْتَرَشِدُ الْقَاضِلُ فَاغْتَلَوْا بِهِ وَسَعَدُوا
 وَشَدَّ أَرْزَ الْمُلْكِ وَالْخِلَافَةِ وَهَابَهُ عَدُوُّهُ وَخَافَهُ
 فَهَوَّ إِلَى الْآنَ إِمَامُ الْخَلْقِ وَالْمُلْكُ لِلَّهِ الْإِلَهِ الْحَقِّ [

دولة بني أمية بالأندلس

وزمن الوليدِ كانَ فتحها وبعدكم حربٌ وكم من هولٍ
 استوسقَ المُلْكُ بهذي الناحية ليوسفَ الفِهْرِيّ والصُّمَيْلِ
 ثم تولّاها ابنُهُ هِشَامُ لعابدِ الرحمنِ بنِ معاوية
 فباعوا ابنَهُ المسمّى الحكماءُ حتى أَنَاهُ بعدةُ الحِمَامِ
 فاعترضَ المُلْكُ له من اعترض ثم تولّى عابِدُ الرَّحْمَنِ
 ثُمَّ تَوَلَّاهَا ابْنُهُ مُحَمَّدٌ فَأَوْقَعَ الصَّلْبَ عَلَى أَهْلِ الرِّبْضِ
 ذَا بَصْرٍ بِالشَّعْرِ وَالْآدَابِ وَكَانَ فِي السَّيْرِ مِمَّنْ يُحْمَدُ
 ثُمَّ ابْنُهُ الْمُنْذَرُ وَهُوَ الْأَكْبَرُ وَرَاسِيخاً فِي الْعِلْمِ بِالحِسَابِ
 وبعدهُ النَّاصِرُ ذُو الْبِنَاءِ ثُمَّتَ عَبْدُ اللهِ وَهُوَ الْأَصْغَرُ
 وبعدهُ الْمُسْتَنْصِرُ ابْنُ النَّاصِرِ وَخَمْسِينَ عَاماً صَاحِبُ الزَّهْرَاءِ
 ذَاكَ الَّذِي مَاتَ مَرَاراً وَدَفِنَ وَبَعْدَهُ هِشَامُ آلِ عَامِرٍ
 فانتفضَ التُّرْبُ وَمُزَّقَ الْكَفَنُ فانتفضَ التُّرْبُ وَمُزَّقَ الْكَفَنُ

١ ط : حكما .

٢ ب م : الأمر .

ذكر الفتنة الأولى بقرطبة

لما انقضت دولة آل عامر
وقال عن هشام المؤيد
ولأنما أخبرهم بباطله
فجاءه البربر في حقل الجنود
فظفر المهدي بابن عمه
في طالع ينظر منه كيوان
فوقعت بينهم حروب
فأظلمت في عصره الآفاق
فانصرف الملك إلى يديه
وطوقوه بشبا المهند
فسلم الأمر لسليمانه
فلم يزل فيهم سليمان يلي
فاستوسق الأمر له والطاعة
فاغتاله الصقلب في الحمام
ثم انقضى عصر بني حمود
وظهر المستظهر الرواني
وقتلوه بعد ذلك صبرا
فبايعوا للناصر المستكفي
ففر عنها ثم عاد المعتلي
ثم أتى من بعده المعتد
فشقمو استخلاصه للحائك
وخلعوا معتداهم هشاما

قام بها المهدي من آل الناصر
بأنه قد صار رهن الملحد
والمرء لا يستطيع قتل قاتله
مع ابن عمه المسمى بالرشيد
وكان ذاك زائدا في غمه
فجاءه البربر مع سليمان
لاح له من بينها الهروب
وعتمها الشقاق والتفاق
فهجموا من بعد ذا عليه
بين يدي هشام المؤيد
وهشمو هشام في أكفانه
حتى انبرى له ابن حمود علي
وكان فيما زعموا تلقاعه
وجرعوه أكوس الحمام
والحرب والفتنة في مزيد
وشعره من أحسن المعاني
من بعد ما قد قتلوه الأمرا
بعد خطوب طال فيها وصفي
بالله يحيى نجل حمود علي
والحرب في أقطارها تشتد
وزيره فخر أي هالك
وسجنوه عندهم أعواما

ذكر ملوك الطوائف الثوار بالأندلس بعد ذهاب دولة ابن أبي عامر وأمراء الجماعة بقرطبة

<p>لما^١ رأى أعلام^٢ مصر^٣ قرطبة^٤ وعُدِمَتْ شاكِلَةٌ للطاعة فقدَّموا الشيخ من آل جهور^٥ ثم ابنه أبا الوليد بعده^٥ فجاهرت^٣ في فضلها الجهاورة من كل مُنتزِ بها وثائِر فالتغرُ الأعلى ثارَ فيه مُنذرُ^٥ وابنُ يعيش^٥ ثارَ في طليطلة^٥ وفي بطليوس انتزى سابورُ^٥ وثارَ في حمص^٥ بنو عباد^٥ وشاعَ عن هشام^٥ المؤيد^٥ وأَنه جاءَ منَ الحِجازِ^٥ وقال عبادُ بهِ فصدَّقوا^٥ فنصبوا دعوتَه طليسا^٥ فعبدُوهُ مُدَّةَ^٥ أعواما^٥</p>	<p>أَنَّ الأُمورَ عندهم^٥ مُضطربة^٥ استعملتُ آراءها الجماعة^٥ المُكتني بالخزم والتدبير^٥ وكانَ يحذو في السدادِ قَصْدَه^٥ وكلُّ قُطرٍ حلَّ فيه الفاقة^٥ وعادل عن كلِّ عدلٍ جائرُ^٥ ثمَّ ابنُ هودٍ بعدُ فيما يُذكرُ^٥ ثمَّ ابنُ ذي النونِ تصفَى الملكَ له^٥ وبعدَه ابنُ الأفطسِ المنصور^٥ والحربُ والفتونُ في ازديادِ^٥ بأنه حيَّ ولما يُلحدِ^٥ واحتلَّ في حمص^٥ على المجازِ^٥ بأنه حيَّ لديه يرزقُ^٥ وقد محَا المماتُ منه الرِّسما^٥ إذ عَدَموا الألبابَ والأحلاما^٥</p>
---	---

١ من هنا اقتبس العماد بعض هذه الأرجوزة .

٢ الخريدة : أهل .

٣ ط : فجاهدت .

٤ هو محمد بن يعيش الأسدي .

٥ ب م : العقول .

ثُمَّ نَعَاهُ بَعْدَ ذَا عِبَادُ
 وَثَارَ فِي غِرْنَاظَةِ حَبْتُوسُ
 وَآلُ مَعْنٍ مَلَكُوا الْمَرِيَّةُ
 ذِكْرَهُمْ فِي غَيْرِ مَا قَصِيدِ
 وَثَارَ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ الْفَتِيَانِ
 ثُمَّ زُهَيْرٌ وَالْفَقِي لَيْبُ
 سُلْطَانُهُ رَسَا بِمَرْسَى دَانِيهِ
 ثُمَّ أَقَامَتْ هَذِهِ الصَّقَالِبَةُ
 وَجُلُّ مَا مَلَكَهُ بِلَنَسِيَّةُ
 وَبَلَدُ الْبُنْتِ لَالَ قَاسِمُ
 وَابْنُ رَزِينٍ جَارُهُ بِالْسَهْلَةِ
 ثُمَّ تَمَادَتْ هَذِهِ الطَّوَائِفُ
 دَانَتْ بِدِينِ الْجَحُورِ وَالْعُدُولِ
 فَأَهْمَلُوا الْبِلَادَ وَالْعِبَادَا
 وَاشْتَغَلَتْ أَذْهَانُهُمْ بِالْخَمْرِ
 وَزَادَهُمْ فِي الْجَهْلِ وَالْخَذْلَانِ
 لَمَّا طَوَتْ صُدُورُهُمْ مِنْ غِيلِ
 فَخَسَفَتْ [...] بِالْأَرْضِ
 فَاسْتَوْلَتْ الرُّومُ عَلَى الْبِلَادِ
 وَقَتَلُوا الرِّجَالَ كَيْفَ شَاءُوا
 وَإِذَا أَطَالَ الْقَوْمُ أَسْرَى الْقَدَرُ
 مِنْ بَعْدِ مَا طَاعَتْ لَهُ الْبِلَادُ
 ثُمَّ ابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ بَادِيسُ
 بِسِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ مَرْضِيَّةُ
 يُشْرِقُ مِثْلَ النَّخْرِ بِالْفَرِيدِ
 الْعَامِرِيُّونَ وَمِنْهُمْ خَيْرَانُ
 وَمِنْهُمْ مُجَاهِدُ اللَّيْبِ
 ثُمَّ غَزَا حَتَّى إِلَى سِرْدَانِيهِ
 لَابْنِ أَبِي عَامِرِهِمْ بِشَاطِبِيهِ
 وَثَارَ آلُ طَاهِرٍ بِمَرْسِيَّةِ
 وَهُوَ حَتَّى الْآنَ فِيهِ حَاكِمُ
 أَهْلُ أَيْضًا ثُمَّ كُلُّ الْمَهْلَةِ
 تَخَلَّفَهُمْ مِنْ آلِهِمْ خَوَالِفُ
 إِذْ سَلَبَتْ عَقَائِلُ الْعُقُولِ
 وَعَطَّلُوا الثَّغُورَ وَالْجِهَادَا
 وَبِالْأَغَانِي وَسَمَاعِ الزَّمْرِ
 أَنْ ظَاهَرُوا عَصَابَةَ الصُّلْبَانِ
 وَلَاخْتِبَارِ الْبَعْضِ حَالِ الْكُلِّ
 وَضَيَّقُوا مِنْ طُوبَاهَا وَالْعَرَضِ
 وَاسْتَعْبَدُوا حَرَائِرَ الْعِبَادِ
 وَضَاعَ دَلُوكَ الدِّينِ وَالرِّشَاءِ
 نَحْوَهُمْ خَسَفُوا وَمَا لَنْ شَعَرُوا

١ ب م : شرقى .

٢ ب م : خلافت .

دولة المرابطين بالأندلس

فلذا أرادَ اللهُ نَصَرَ الدِّينِ استصرخَ النَّاسُ ابنَ تاشفينَ
فجاءَهُمُ كالصُّبْحِ في إثرِ غسقِ مُستدرِكاً لما تَبَقِيَ من رَمَقِ^١
وافى أبو يعقوبَ كالعُقَابِ فجردَ السيفَ من^٢ القِرَابِ
وواصلَ السَّيْرَ إلى الزَّلاقَةِ وساقَهُ لِيَوْمِهَا ما ساقَهُ
للهِ دَرٌّ مثلها مِن وَقَعَةٍ قامتَ بنصرِ الدِّينِ يومَ الجُمُعَةِ
وئِلَّ لِلشَّركِ هناكَ عَرشُهُ لم يُغْنِ عنه يومَهُ أَذْفَنُهُ
فوجبَ الخلعُ لذي الخلاعَةِ وصَرَخوا ليوسفَ بالطَّاعَةِ
واتصلَ الأمرُ على نِظامٍ وامتدَّ ظلُّ اللهِ للإسلامِ
وانصرفتْ على العَدُوِّ الكَرَّةُ ورَجَعَ^٣ الجَمْعُ كأوَّلَى مَرَّةٍ
فتلكَ خيلُ اللهِ في العَدُوِّ تَعِثُ في الرِّواحِ والغُدُوِّ
ثمَّ ولى عليُّ بنُ يوسفَ مُهتدياً حُكْمَ أبيهِ بِقَتْنِي

تمت الأرجوزة وبتمامها تم القسم الأول
وصل الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

١ الخريدة : مبتدراً كالماء ينقي في رفق .

٢ ط : من .

٣ ب م : وأمن .

فہارسُ الکتابِ

[١] فهرست الاعلام

- أ —
- آدم ١١١ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ ،
٩٢٧ ، ٩٢٨
ابن الأبار ، أبو جعفر ٢٥
أبان ٨٤٠
ابراهيم الامام ٩٣٣
ابراهيم (الخليل) ٣٤٦
ابراهيم بن الافليلي ، انظر : ابن
الافليلي أبو القاسم
ابراهيم بن خفاجة ، انظر : ابن
خفاجة
ابراهيم بن العباس الصولي ،
انظر : الصولي
ابراهيم بن المهدي ٤٠٤ ، ٩٣٦
ابراهيم بن الوليد الأموي ٩٣٣
ابراهيم بن يحيى الطبري : انظر
الطبري ، أبو بكر
أبرهة ٣٤٠
ابن أبي أمية ، أبو أيوب الوزير
٢٦
- ابن أبي الحسن (الشاعران) ٤٦٩
ابن أبي الخصال ، أبو عبدالله
الكاتب ٢٩
ابن أبي الربيع ، أبو العباس الفقيه
٢٣
ابن ابي زمنين ٤٥٩
ابن ابي عامر ، انظر : عبد
الرحمن بن المنصور
ابن أبي عامر ؛
عبد العزيز بن عبدالرحمن
بن أبي عامر (المنصور
الصغير) ؛ المظفر عبد
الملك بن المنصور بن أبي
عامر ؛
المنصور بن أبي عامر
(الكبير)
ابن أبي عبدة ، أبو عمر ٦٦٥
ابن أبي عيينة المهلب ٨٠
ابن أبي كامل (أحمد) ٨٢٥
ابن أبي موسى ٦٤٩
أحمد (في الشعر) ٧٥٨

إدريس بن يحيى بن علي بن حمود
(العلي بالله) ٣٣٨ ، ٨٥٩ ،

أبو إسحاق بن معلّى ، انظر :
ابن معلّى

الأسدي (ابراهيم بن أحمد) ٤٧٩
الأسعد بن بليطة ٢٤ ، ٧٨٤ ،
(٧٩٠ - ٨٠١)

٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ،
٨٦٤

أسماء (طفلة) ٣٠٤
اسماعيل بن ذي النون ٢٥ ، ٣٠ ،
١٨٦ ، ١٨٧ ، ٩٤٢

إدريس بن اليماني ٢٨ ، ٨٧ ،
٣٠٧

اسماعيل بن المعتضد عباد ٢٨ ،
٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٨٥ ،
٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨

الأذفونش ٩٤٤
أرسطاطاليس (رسطاليس)
١٦٧ ، ٧٥

اسماعيل بن يوسف ، انظر :
ابن النغريلي

أرسلان ٩٣٩
ابن أرقم ، أبو الأصبغ الكاتب
٢٨ ، ٧٤٠

أشكمياط ، أبو بكر الكاتب ٢٣٠
أبو الأصبغ القرشي ٣٣٥

أرمقند ٣٦ ، ٦٩
أروى (حظية المعتصم) ٧٣٤
ابن أزرق ، أبو عامر الكاتب

أبو الأصبغ ابن أرقم ، انظر :
ابن أرقم

٨٤ ، ١٨٣

أبو الأصبغ ابن القطاع ، انظر :
ابن القطاع

أزهر (جارية ابن السراج) ٨٧٢
أسامة بن زيد ٣٤١

الأصبهاني (حمزة) ٨١١

ابن الاستجي ، أبو الحسن ٢٤
اسحاق الموصلي ٨٦٣ ، ٩١٧

الأصمعي ٥٣١ ، ٨٢٦

اسحاق بن عبدالله ٣٨٥ ، ٣٨٧ ،
٣٨٨

ابن الأصيلي ، أبو عامر الأديب
٢٩

أبو إسحاق بن همام ، انظر :
ابن همام

ابن الأعرابي ٨٢٦

أبو إسحاق بن خفاجة ، انظر :
ابن خفاجة

الأعشى ١١ ، ٥٤٥

أنف الناقة بن معمر ٢٧٣ ،
٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨

أنوش ٩٢٨

أوس بن حجر ٩٠٨

إيـاس بن معاوية (الإيـاسي)
١٧٨ ، ٨٣٦

ابن أيمن ، أبو عبدالله ٢٦

أبو أيوب بن أبي أمية ، انظر :
ابن أبي أمية .

— ب —

الباجي ، أبو عمر (عمرو)

(يوسف بن جعفر) الوزير

٢٥ ، ٣٣٧ ، ٦٦٠ ، ٦٦٦ ، ٨٩٧

الباجي ، أبو القاسم ٦٤٧

الباجي ، أبو الوليد القاضي ٢٥

باديس بن حبوس ، أبو مناد

٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩

٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣

٦٦٤ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٧٣٢

٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩

٨٥٩ ، ٩٤٣

ابن باشة المعروف بالأصغر ٦٠٠

باغر (التركي) ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١

بثينة (صاحبة جميل) ٤٦٥

الأعمى التطيلي (أحمد بن هريرة)

أبو جعفر ٢٦ ، ٧٦ ، ٣٠٣ ،

٣٢٥

الأفشين ٩٣٦ ، ٩٣٧

ابن الأفطس ، انظر : المتوكل

عمر بن الأفطس ؛

المظفر بن الأفطس ؛

المنصور بن الأفطس ،

الأفعمى (أفعى نجران) ١٣٠

ابن الإفليلي ، أبو القاسم ٢٣٥ ،

٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤

٢٨١ ، ٤٨٣

الأفوه الأودي ٢٨٣

الأفوه الشاعر الخزار ٧٦٠

الإلييري ، انظر : السمسير ؛

أبو عمر الاليري

امرأة العزيز ٨٠٥

امرؤ القيس (ابن حجر — ،

الكندي) ١٣ ، ٢٣٢ ، ٢٤٨

٢٨٦ ، ٧٠١

أمير المسلمين ، انظر : يوسف

ابن تاشفين

أميرة القرشية ٤٨٥

الأمين (محمد بن هارون الرشيد)

٤٨٢ ، ٥١٤ ، ٩٣٥

أبو أمية بن هاشم القرطبي ١٨٣

عبدالله الوزير الكاتب ٢٤ ،
(٦٢٤ - ٦٤٣)

ابن بسام البغدادي (علي) ١٤٢ ،
١٤٣ ، ١٤٤ ، ٧٧٢ ، ٧٧٤ ،
٨١٥ .

ابن بسام الشنبريني (علي) أبو
الحسن ، صاحب الذخيرة ١١ ،
١٥ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٤٨ ،
٥١ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٧٥ ،
٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٣١ ،
١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ،
١٦٦ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٣ ،
٢١٠ ، ٢١٩ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ،
٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٦ ،
٣٢٢ ، ٣٣٦ ، ٣٦٦ ، ٣٨٨ ،
٤٠٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٧ ،
٤٦٢ ، ٤٦٨ ، ٤٨٦ ، ٤٩٦ ،
٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٣٦ ، ٥٤٠ ،
٥٤٤ ، ٥٩٠ ، ٥٩٤ ، ٦٠١ ،
٦٠٨ ، ٦١٤ ، ٦٢٧ ، ٦٣٥ ،
٦٥٥ ، ٦٩١ ، ٧٢٠ ، ٧٣٢ ،
٧٥٢ ، ٧٦٥ ، ٧٧٠ ، ٧٧٥ ،
٧٨٥ ، ٧٩٤ ، ٨٣٩ ، ٨٤١ ،
٨٤٥ ، ٨٥٣ ، ٨٦٠ ، ٩٠٥ ،
٩٠٧ ، ٩٠٨

بسبس ٤٦٤

البحري ٤٠ ، ٤١ ، ٧٧ ، ١٦٦ ،
١٧٦ ، ٢٥٧ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ،
٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٤٠٢ ، ٥١٨ ،
٥٤١ ، ٩٠٣ .
بدر (غلام) ٩٣٨

بديع الزمان الهمذاني (البديع)
١١ ، ١٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٧٦ ،
٣٧٣ ، ٦٥٤ ، ٧٧٣ ، ٨٤٠ ،
٩٠٧

البراض ٥٥١

ابن برد الأصغر (عمر) أبو
حفص ٢٣ ، ٥٠ ، ٢٨٢ ،
٣٠٦ ، ٣٣٥ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،
٤٨٣ ، (٤٨٦ - ٥٣٥) ،
٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٧ ، ٧٨١ ،
٧٨٧ ، ٨٤٤

ابن برد الأكبر (عمر) أبو
حفص ٢٢ ، ١٠٠ ، (١٠٣) ،
(١٢٣ -) ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،
٤٨٦ ، ٥٨٨

البرزالي (البرزيلي) الزناتي (محمد)
ابن عبدالله (٣٠٤ ، ٤٦٠ ،
٤٦١ ، ٦٢٥

البرزالي (علي بن عبدالله) ٤٦١
البرزالي ، أبو الفتح ٣١٦ ، ٣١٧ ،
اليزلياني (محمد بن أحمد) أبو

- بسطام بن قيس ١٧٨ ، ٢١٨ ، ٧٦٢
 بشار بن برد ٢٣٧ ، ٣٢٥ ،
 ٧٧٣ ، ٨٤٣ ، ٩٠٢
 ابن بشر (عبدالرحمن) ، ابن الحصار
 ١٨٣
 بطليموس ٧٥
 البعوضة ٥٤٦
 البعيث ٩٠٢
 بغا الصغير ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٤١
 بقراط ٢٧٥
 ابن بقنة الوزير ٥٥٢
 ابن بقي ، أبو بكر ٢٦ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٣ ، ٥١٧ ، ٦٢١ ، ٨٢٣
 بكر بن خارجة الكوفي ٣٩٠
 بكر بن محمد المشاط الرعيني ،
 انظر : ابن المشاط الرعيني
 بكر بن النطاح ٩٠٣
 أبو بكر الخولاني المنجم ٧٠٣ ،
 ٧٩٧ ، ٨٠٢ ، ٨٠٤
 أبو بكر الداني ، انظر : ابن
 اللبانة
 أبو بكر الصديق ٣٤١ ، ٤٦٤ ،
 ٩٢٩
 أبو بكر الطنبي ، انظر : الطنبي ،
 أبو بكر
- أبو بكر المرواني ٣٠٦
 أبو بكر المصحفي ، انظر :
 ابن المصحفي
 أبو بكر ابن بقي ، انظر : ابن
 بقي
 أبو بكر ابن حزم ، انظر : ابن
 حزم ، أبو بكر
 أبو بكر ابن الحسن المرادي ٣١
 أبو بكر ابن خازم ، انظر : ابن
 خازم
 أبو بكر ابن ذكوان ، انظر :
 ابن ذكوان ، أبو بكر
 أبو بكر ابن زياد ، انظر : ابن
 زياد
 أبو بكر ابن زيدون ، انظر : ابن
 زيدون (الاب) ،
 ابن زيدون (الابن)
 ابو بكر ابن سعيد ، انظر : ابن
 القبطورية
 أبو بكر ابن سليمان ، انظر :
 ابن القصيرة
 أبو بكر ابن ظهار ، انظر : ابن
 ظهار
 أبو بكر ابن عبد العزيز الوزير
 الكاتب ، انظر : ابن عبد
 العزيز

بلقين (شيخ من صنهاجة) ٦٦٠
 بلقين بن باديس بن حبوس ٦٦١ ،
 ٦٦٤ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩
 بلقين بن محمد بن حماد ١٨٩ ،
 ١٩٠ ، ١٩١
 ابن بليطة ، انظر : الأسعد بن
 بليطة
 بليق (فرس) ٧٠
 البماري ، أبو عامر ٢٩
 بوران (زوج المأمون) ٩٣٦
 ابن بياح السبتي ٧٦
 ابن الين ، أبو عبدالله ٢٧

— ت —

ابن التاكري ٢٨ ، ٦٥٥ ، ٦٦٩
 تأييد الدولة ، أبو جعفر ٦٤١
 أبو تمام الطائي (حبيب بن أوس)
 ١٨ ، ١٢٢ ، ١٧٦ ، ٢٣٧ ،
 ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠
 ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣١٢
 ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٧٧
 ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤٤٧
 ٥٤٠ ، ٥٩٢ ، ٦٧٢ ، ٨٣٠
 ٨٤١ ، ٨٤٣ ، ٨٨٧ ، ٩٠٢
 أبو تمام ابن رباح الحجّام ٢٩ ،
 ١٤٧ ، ٧٥٨ ، ٧٩٥

أبو بكر ابن العربي ، انظر : ابن
 العربي
 أبو بكر ابن العطار اليايسي ،
 انظر : ابن العطار اليايسي
 أبو بكر ابن عمار ، انظر : ابن
 عمار
 أبو بكر ابن فتوي ، انظر : ابن
 فتوي
 أبو بكر ابن قزمان ، انظر : ابن
 قزمان
 أبو بكر ابن القواس ، انظر : ابن
 القواس
 أبو بكر ابن مسلم ، انظر : ابن
 مسلم
 أبو بكر ابن الملح ، انظر : ابن
 الملح
 أبو بكر ابن هشام (أخو المرتضى
 المرواني) ٤٥٥
 أبو بكر اشكمياط ، انظر :
 اشكمياط
 أبو بكر عبادة ، انظر : عبادة
 ابن ماء السماء
 البكري ، انظر : طرفة بن العبد
 بلال (المؤذن) ٢٢٢

تميم بن المعز (الشاعر) ٥١٨، ٧٧٢،

٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٩٢

التنوخى القاضي ٤٢١

التهامى ، أبو الحسن ٣١ ، ٣٨١ ،
٨٢٢

— ث —

الثعالبي ، أبو منصور ٣١ ، ٣٢ ،

٣٤ ، ٦٠ ، ٨٩ ، ٣٦٣ ،

٥٤٦ ، ٦٢١ ، ٨٨٥ ، ٩٨٩

ثعلب ٣٢٣

— ج —

الجاحظ (عمرو بن بحر) أبو

عثمان ١٩٢ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣ ،

٢٦٨ ، ٣٩٠ ، ٤٠٢ ، ٥٣١

٥٣٧ ، ٦٤٣ ، ٦٥٤

جالوت ١٦٣ ، ٥٥٩

جالينوس ٢٧٥

ابن الجدة ، أبو الحسين الكاتب

٢٦ ، ٣٠٨

ابن الجدة ، أبو القاسم ٢٦

ابن الجدة ، أبو محمد الوزير ٣٣٧

٦٤٣ ، ٦٤٤

ابن جذل الطعان ١٨٠

ابن جرج ، أبو جعفر الوزير

الكاتب ٢٨ ، ١٤٨ ، ١٤٩

جروول ، انظر : الحطيثة

جرير (الشاعر) ٣٤ ، ٤٦٢ ،

٤٦٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٧٠١

٩٠٢

الجزيري الشاعر (عبد الملك) أبو

مروان ١٠٣ ، ٢١٨ ، ٦٠٧

جعفر المتوكل ، انظر : المتوكل

العباسي

جعفر بن بسام البغدادي ١٤٢ ،

١٤٣

جعفر بن محمد بن فتح ، انظر :

ابن فتح

جعفر بن محمد بن مكى بن أبي

طالب القيسي ، أبو عبدالله

٨١٤

جعفر بن يحيى (البرمكي) ٩٦ ،

٤٠٤ ، ٦٤٩

أبو جعفر التطيلي ، انظر : الأعمى

التطيلي

أبو جعفر الداني الكاتب ٢٩

أبو جعفر ابن الأبار ، انظر :

ابن الأبار

أبو جعفر بن جرج ، انظر : ابن

جرج .

أبو جعفر ابن الدودين ، انظر :

ابن الدودين

ابن جهور ، أبو الوليد ٣٣٧ ،

٣٣٨ ، ٣٨٤ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ،

٤٤٩ ، ٥٣٨ ، ٥٣٥ ، ٦٠٤ ،

٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦١١ ، ٩٤٢ ،

ابن جهور (عبد الرحمن بن أبي

الوليد) ٦٠٧

ابن جهور (عبد العزيز بن حسن)

٦٠٢

ابن جهور (عبد الملك بن أبي

الوليد) ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ،

٦١٠

ابن جهور (محمد بن عباس) ٦٠٢

أبو الجيش مجاهد العامري هـ

انظر : مجاهد العامري .

ح -

حابس (بن عقال) ٨٦٥

حاتم الطائي ٧٥ ، ١٧٨ ، ٥١٧ ،

٧١٨ ، ٨٠٤ ،

أبو حاتم الحجاري ، انظر :

الحجاري .

أبو حاتم ابن ذكوان ، انظر :

ابن ذكوان

الحارث الجفني ٧٥

الحارث بن هشام ٥٨٠

حارثة بن بدر الغداني ٤٦٨

أبو جعفر ابن شانجه ، انظر :

ابن شانجه

أبو جعفر ابن اللماثي ، انظر :

ابن اللماثي

أبو جعفر ابن هريرة ، انظر :

الأعمى التطيلي

أبو جعفر أحمد بن عباس الوزير ،

انظر : أحمد بن عباس الوزير

جلال الدولة ابن عمار ، انظر :

ابن عمار ، جلال الدولة

جميل بثينة ٤٦٥

جميلة (صاحبة ابن الحداد) هـ

٧٠٩ ، وانظر أيضاً : نويرة

الحنان (رجل) ١٢٤

جنان (امرأة) ٨٤٠

جهران بن يحيى (صاحب لبلة)

٧٦١

ابن الجهم ، انظر : علي بن الجهم

ابن جهور ٥٩٥ ، ٧٧٠ ،

ابن جهور ، أبو الخزم ٥٣ ،

١٠٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٧ ،

٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٨٠ ،

٣٨٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ،

٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٤٩ ، ٦٠٢ ،

٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٦٣ ،

٩٤٢

حارثة بن المغلس (تابع المتنبي) ٢٦٥

حام ٩٢٨

الحائك ، انظر : حكم بن سعيد

الحائك القزاز

حبوس بن ماكسن ، أبو مسعود

٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٥

٩٤٣ ، ٧٦٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٦ ، ٦٣٠

حبيب (الطائي) ، انظر : أبو

تمام

حبيب ، أبو الوليد الأديب ٢٥

الحجاج بن يوسف الثقفي ١٢٢ ،

٩٣١

ابن حجاج (الشاعر العراقي)

٥٤٩

ابن حجاج ، أبو عمر الوزير

الأديب ٢٥

الحجاري ، أبو حاتم ٢٩

الحجام ، انظر : أبو تمام بن

رباح الحجام

ابن حجر ، انظر : امرؤ القيس

ابن الحداد (محمد بن أحمد) أبو

عبدالله ٢٤ ، ٣١٤ ، (٦٩١

— ٧٢٩) ، ٧٣٣ ، ٨٩٣ ،

٩٠٤

ابن الحديد الفقيه ٦٧٥

ابن الحديدي ٧٠٢

حذام ٣٥٥

الحذيملي ٥٤٢

حذيفة بن بدر ٢٧٥

ابن حرب (صاحب الطيلسان)

٦٤٧

ابن حزم (بجى) ، أبو بكر

٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٤

٢٧٣

ابن حزم ، أبو الحكم ٢٦

ابن حزم (علي بن أحمد) أبو

محمد الفقيه ٢٢ ، ٥٠ ، ١٣٣

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤

١٦٦ ، (١٦٧ — ١٨٠) ،

٢٩٣ ، ٣٢٠ ، ٣٣٠ ، ٤٣٦

٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٦١٤ ، ٦١٥

٦٦٠ ، ٧٦٦

ابن حزم (عبد الوهاب) أبو

المغيرة ٢٢ ، ٥٠ ، (١٣٢ —

١٦٦) ، ١٨٨ ، ٤٣٦ ،

٥٢٢ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٨

٦٥٣ ، ٧٨٨

ابن حزم ، أبو الوليد ٢٦ ، ٣٠٩ ، ٨٢٢

الحصري
أبو الحسن السلمي ، انظر :
السلمي
أبو الحسن الشتمري (صالح بن
هارون) ٢٦
أبو الحسن الطنبلي ، انظر : الطنبلي
أبو الحسن العائذي ، انظر :
العائذي
أبو الحسن القرشي الأشبوني ٢٧
أبو الحسن اللحياني ٨٤٤
أبو الحسن ابن الاستجي ، انظر :
ابن الاستجي
أبو الحسن ابن بسام ، انظر : ابن
بسام
أبو الحسن ابن حصن ، انظر :
ابن حصن
أبو الحسن ابن حمدين ، انظر :
ابن حمدين
أبو الحسن ابن مضا القرطبي ،
انظر : ابن مضا القرطبي
أبو الحسن ابن اليسع ، انظر :
ابن اليسع
حسنا الشيرازية ٤٣٣
ابن حسون ، أبو علي الفقيه القاضي
٨٦٧ ، ٨٦٦
حسين بن علي بن أبي طالب ٨١٧ ، ٩٣٠

حسام الدولة ابن رزين ، انظر :
ابن رزين
حسان بن ثابت ٥٤٥
حسان بن المصيصي الكاتب ٢٦ ،
٨٤٢ ، ٤٤١ ، ٧٨
ابن حسداي ، أبو الفضل ٢٨
الحسن (الشاعر) ، انظر : أبو
نواس
الحسن بن أبي الحسن البصري ٤٧٧
الحسن بن سهل ، انظر : ابن
سهل
الحسن بن علي بن أبي طالب
٤٨٢ ، ٨١٧ ، ٩٣٠
الحسن بن الغليظ ، انظر : ابن
الغليظ
الحسن بن الفضل الحاجب ٨٢٤
الحسن بن وهب ٣٢٧ ، ٢٧٩ ،
٢٨٠ ، ٢٨١
أبو حسن (ممدوح ابن الطراوة)
٨٤٢
أبو الحسن (في شعر أبي محمد
غانم) ٨٥٦
أبو الحسن (من متنفذي الأموية)
٢٢٤
أبو الحسن البرقي ١٤٥ ، ١٤٦
أبو الحسن الحصري ، انظر :

- أبو الحسين ١٣٩
أبو الحسين (غلام البكري) ٢٦
أبو الحسين ابن الجدد ، انظر :
ابن الجدد
أبو الحسين ابن سراج ، انظر :
ابن سراج ، أبو الحسين
الحصري ، أبو اسحاق ٣١
الحصري المكفوف ، أبو الحسن
٣٠ ، ٨٥٦
ابن حصن ، أبو الحسن ٢٥
الحصني ، أبو محمد المؤرخ ٥٧٧
الحضرمي ٩١٥
الحطيفة (جردل) ١٢ ، ٣٤ ،
٣٩٥ ، ٥٤٤ ، ٨٣٨
أبو حفص الشطرنجي ١٤٩
أبو حفص الهوزني الوزير الفقيه
٢٥
أبو حفص ابن برد ، انظر : ابن
برد الأصغر ؛
ابن برد الأكبر .
أبو حفص ابن الشهيد ، انظر :
ابن الشهيد التجيبي
حفصة (بنت عمر بن الخطاب)
٤٦٤
الحكم المستنصر ٤٢ ، ١٢٤ ،
٩٤٠
حكم بن سعيد الحائك القزاز ٣٠٤ ، ٢٨
الحكم بن هشام الربضي ٩٤٠
ابن حكم (عبدالله) ، ١٨٥
١٨٦ ، ١٨٧
أبو الحكم ابن حزم ، انظر : ابن
حزم ، ابو الحكم
حلاي بن زاوي بن زيري ٤٥٩ ،
٤٦٠
الحلواني (الشاعر) ٥٠٦ ، ٩١٤
حليمة (في المثل) ٤١٢
حماد (صاحب القلعة) ١٨٩
الحمار السرقسطي (سعيد بن
فتحون) ٢٨٢ ، ٦٩٢
ابن حمام ، أبو اسحاق ٢٧٨
أبو حمادة البصري ، انظر :
البصري
ابن الحمامي (محمد) ٨٦٣ ،
٨٦٤
الحمامي (علي بن محمد بن جعفر)
العلوي الكوفي ٤٤٢
ابن حمدون (أحمد بن محمد)
٤٦٧ ، ٤٦٨
٩٥٧

ابن حمديس الصقلي ، أبو محمد
٣٠ ، ٥١٦ ، ٨١٦

ابن حمدين ، أبو الحسن ٨٢٩
ابن حمدين ، أبو عبدالله قاضي
الجماعة ٨٢٧ ، ٨٣٠ ، ٨٣٩

حمزة (بن عبد المطلب) ٢١٨
ابن حمود ، انظر : ادريس بن
يحيى بن علي

ابن حمود (العالي بالله) :

علي بن حمود (الناصر) ؛

القاسم بن حمود ؛

محمد بن القاسم بن حمود ؛

يحيى بن علي بن حمود

(المعتلي بالله)

ابن حمود (غير محدد) ٤٧٥

حمويه (ابن اخت الحسن الحاجب)

٨٢٤

الحميدي ، أبو عبدالله ١٧٢ ، ١٧٤

٤٧٠ ، ٥٤٢ ، ٦١٤ ، ٦١٥

٦١٦ ، ٦٩٠

ابن الحناط المكفوف (محمد بن

سليمان) أبو عبدالله ٢٣ ،

٣٠٦ ، ٣١٣ ، (٤٢٧) -

(٤٥٣)

أبو حنيفة (الامام) ٣٩٥ ، ٩٠٤

أبو حنيفة (الدينوري) ٨١١

حنين (في المثل) ٦٤٧

حواء ٩٢٧

حيان بن خلف بن حسين ، انظر :

ابن حيان ، ابو مروان

ابن حيان (حيان بن خلف) أبو

مروان المؤرخ ١٨ ، ٣٥ ، ٣٦ ،

٣٧ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ،

٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦٧ ،

٩٦ ، ٩٧ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ،

١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٦٧ ،

١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ،

١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

٢٨١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،

٣١٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٨٦ ،

٣٩٢ ، ٤١٧ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ،

٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٥٥ ، ٤٥٨ ،

٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٨٤ ، ٥٣٦ ،

٥٣٧ ، ٥٤٠ ، (٥٧٣) -

٦٠٢ ، ٦٢٤ ، ٦٤٥ ،

٦٥٦ ، ٦٦٢ ، ٦٦٧ ، ٧٢٩ ،

٧٣٢

- خ -

ابن خازم ، أبو بكر ٨١٣

خاقان (الترك) ٩٥

خالد (في الشعر) ٣٠٨

خلف بن فرج الالبيري ، نظر :
السميسر

ابن خليفة (خلف) ١٢٧

الخليل بن أحمد القراهيدي ٢٦٩

٢٧٤ ، ٨٢٤ ، ٨٦٠ ، ٩١٥

خمارويه بن طولون ٩٣٨

خمنوخ ٩٢٨

خوات بن جبير ٥٤١

الخوارزمي الكاتب ٧٧٣

الخولاني المنجم ، انظر : أبو بكر

الخولاني المنجم

خولة (في الشعر) ١٣ ، ٢٥٠

خيال (أم ولد المظفر) ١٢٤

ابن الخير (محمد بن الخير بن خزر

الزناني) ٤٦١

خيران العامري الصقلي ٤١ ، ٩٢

٩٤ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ،

٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٩٤٣

ابن خيرة القرطبي ، انظر : المنفقل

— د —

داحس (فرس) ٧٠٠

ابن دارة (الشاعر) ٤٦٢

الداني أبو بكر ، انظر : ابن اللبانة

داود (النبي) ٢٧٩ ، ٣٧٧ ،

٧٥١ ، ٧٥٧

داود بن علي (صاحب المذهب

خالد بن صفوان ، انظر : ابن
صفوان

خالد بن كلثوم ٨٢٦

خالد بن الوليد ٣٤١

خالد بن يزيد ٢١٦ ، ٩٣١

الحباز البلدي (محمد بن أحمد

حمدان) ٦٢١

الحبز أرزي ٣٦٧

ابن خدام ٩٠٨

خراش (بن أبي خراش الهذلي)

٧٦ ، ٧٧

أبو خراش الهذلي ٧٦ ، ٧٧

خرك (ابن اخي يونس النحوي)

٨٢٦

خزيمة ذو الشهادتين (خزيمة بن

ثابت الانصاري) ٤١٠

خزيمة بن مالك بن نهد ٧١٦ ،

٧١٧

أبو الخطاب بن عطيون الطليطي ،

انظر : ابن عطيون الطليطي

الخطابي ٨٣٠

أبو الخطار ٢٥٢

ابن خفاجة ، أبو اسحاق ٢٩

ابن خلدون (ذو الوزارتين) ٧٨٢

ابن خلسة الضرير ، أبو عبدالله

٢٨

خلف الأحمر ٨٢٤

ابن ذكوان (محمد بن عبدالله) أبو

حاتم ١٢٦ ، ٤٤١

ابن ذكوان ، أبو العباس (الكبير)

٢٢٢ ، ٢٦٣ ، ٤٨٣

ابن ذكوان ، أبو العباس بن أبي

حاتم (الصغير) ٤٤١ ، ٤٨٣

الذلفاء (أم عبد الملك) ١٢٤

ذو الرمة (غيلان) ٧٧٨

ذو القرنين ٣١٤ ، ٦٨٩

ذو النورين ، انظر : عثمان بن

عفان

أبو ذؤيب الهذلي ٧١٦

ابن ذي النون ، انظر : اسماعيل

ابن ذي النون

الذيب (الكاهن) ١٣٠

— ر —

راشد أبو حكيمة ٣٥٧

الراضي العباسي ٩٣٩

الراعي (النميري) ٥٤٥

الرباب (في الشعر) ٢٥٧ ، ٣١٩

ابن رباح ، انظر : أبو تمام ابن

رباح الحجام

ابن الريب القروي ، أبو علي ١٣٣

الظاهري) ١٦٨

ابن الدبّ (أحمد) ٤٢

ابن الدباغ ، أبو المطرف ٢٨ ،

٤٨٠

ابن درّاج القسطلتي ، أبو عمر

٢٢ ، (٥٩ — ١٠٣) ،

٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٧٦ ، ٤٥٠

٨٨٩

ابن درّي ٤٣٨ ، ٧٥٧

ابن دريد ٤٦٠ ، ٨١٣ ، ٨٢٤

دعبل بن علي الخزاعي ١٣٥ ،

٨٢٥ ، ٨٨٠ ، ٩٠٢

أبو دهيل الجمحي ٢٨٨

أبو دواد (في المثل) ٦٣٢

ابن الدودين البلنسي ، أبو جعفر

٢٩

دوسر بن دهيل القريعي ٨٦٥

ديك الجن ٣٧٢

الديلمى (مرداويج) ١٠٢

— ذ —

ابن ذكاء ٥٧٤

ابن ذكوان ، أبو بكر القاضي

٣٩٢ ، ٤٢١ ، ٤٢٢

ابن ذكوان ، أبو بكر بن أبي حاتم

٤٨٤

٤٦٩ ، ٣٢٢ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨

ابن الرومي ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١

٥٠٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٠ ، ٣٥٠

٥٩٠ ، ٥٧٤ ، ٥٢١ ، ٥٠٨

٨٨٧ ، ٨١٥ ، ٧٨٥ ، ٧٨٠

الرياحي ، أبو الغفار ٥٣١

ريمند الجليقي ١٨١ ، ١٨٢ ،

١٨٣

— ز —

زاوي بن زيري بن مناد ٤٥٣ ،

٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧

٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٥٨٨

الزبء ٦٩٦

زبدة الحقب (تابع بديع

الزمان الهمداني) ٢٧٦

الزبرقان (بن بدر) ٥٤٤

أبو زبيد الطائي ٤٢١

الزبير (بن العوام) ٩٣٠

ابن الزبير (عبد الله) ٥٣٠ ،

٩٣١

الزجالي ، أبو الوليد ٣٣٣

زربوط الطنبوري ٤٤

ابن زرقون ٧٩٧

زفر بن الهذيل العنبري ٩٠٤

أبو زكريا يحيى الزيتوني ٣١

ابن الربيع (في رسالة) ١٥٢

أبو الربيع القضاعي ٢٨

أبو الربيع ابن العريف ، انظر :

ابن العريف

أبو الربيع ابن مهران السرقسطي ،

انظر : ابن مهران السرقسطي

ربيع بن مكدم ٧٧٤

ابن ردمير (الطاغية) ٧٢٦ ،

٧٢٧

ابن رزين ، أبو مروان حسام

الدولة ٢٨ ، ٩٤٣

الرسول ، انظر : محمد (الرسول)

الرشيد الأموي ٩٤١

الرشيد هارون (العباسي) ٤٧ ،

٩٦ ، ٢٤٤ ، ٤٠٦ ، ٦٤٩ ،

٧٠٧ ، ٧٣١ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦

ابن رشيق ، أبو علي ٣١ ، ١٤٩ ،

٣٥٤ ، ٤٤٨ ، ٥٤٣ ، ٩١٤

الرضي (الشريف) ٣١ ، ٨٩ ،

٣٦٥ ، ٨١٥

رفيع الدولة ابن صمادح ، أبو

يحيى (٧٣٧ — ٧٣٩)

الرمادي (يوسف بن هارون)

زهير (في رسالة لابن حمدين)

٣١

زهير العامري الفتى الصقلي

٦٥٦ ، ٦٥٠ ، ٦٤٣ ، ٣٠٥

٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠

٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٥ ، ٦٦٧

٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٩٤٣

زهير بن ابي سلمى ٩٠٣ ، ٩٠٨

زهير بن نمير ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،

٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣

٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩

٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧

٢٩٨ ، ٢٩٩

ابن زهر ، أبو العلاء الوزير الفقيه

٢٥

ابن الزيات (محمد بن عبد الملك)

٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

زياد (بن أبيه) ٨١٧ ، ٤٦٨ ، ٣٣٧

ابن زياد (صاحب الصلاة) ٥٨٠

ابن زياد ، أبو بكر ٢٣ ، ٨٧٨

زيادة الله بن عبد الملك الطنبلي ،

انظر : الطنبلي

زيادة الله بن علي الطنبلي ، انظر :

الطنبلي

زيد (في الشعر) ١٦٥

زيد الخليل ٧٥

زيد بن علي ٩٣٢

أبو زيد ابن العاصي ٧٩٤

أبو زيد ابن مقانا الأشبوني ،

انظر : ابن مقانا الاشبوني

ابن زيدون ، أبو بكر (الاب)

٤٢١

ابن زيدون ، أبو بكر (الابن)

٤١٨ ، ٤١٩ ، ٥٨٢

ابن زيدون ، أبو الوليد ذو

الوزارتين ٢٣ ، ٨١ ، ٣٠٨

(٣٣٦ - ٤٢٨) ، ٤١٧ ،

٧٧٦ ،

زيري بن مناد ٤٦٠ ، ٤٦١

زينب (في الشعر) ٢٥٧ ، ٣١٩

- س -

ابن سارة الشنتريني ، أبو محمد

٢٧ ، ٧٩ ، ١٤٧ ، ٣٧٩

سام ٩٢٨

سحبان وائل ٧٦٣ ، ٧٨٧ ، ٨٣٤

٨٦٩

سراج بن عبد الملك بن سراج ،

انظر : ابن سراج ، أبو الحسين

سراج بن مرة الكلابي ٨٠٩

ابن السراج (النحوي) ٧٩٣

ابن سلام ، أبو عبد الله الوزير
٣٨٧ ، ٤١٨

السلامي ، أبو الحسن ١٧٦
سلمى (في الشعر) ١٧٧ ، ٥٣١
أبو سلمة الخلال ٩٣٣
سليك بن السلكة ٥٥١
سليمى (في الشعر) ٢٤٩ ، ٥٦١
٧١٤ ، ٧٢١

سليمان (النبي) ١٦٢ ، ٦١٧
سليمان المستعين (سليمان بن
الحكم) أبو أيوب ٢٢ ، (٣٥
— ٤٨) ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٧٦ ،
٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ،
١٠٣ ، ١٠٩ ، ٢٧٣ ، ٣٢٠
٤٦٠ ، ٤٧٨ ، ٤٨٦ ، ٥٤١
٥٥٨ ، ٧٣٠ ، ٩٤١
سليمان بن الحكم ، أبو أيوب ،
انظر : سليمان المستعين
سليمان بن عبد الملك ٩٣٢
سليمان بن محمد الصقلي ٣٠
سليمان بن المرتضى ، أبو أيوب
٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٢٢٢ ،
٢٢٣

ابن سراج ، أبو الحسين الوزير
الفقيه ٢٤ ، ٨١٢ ، (٨٢١ —
٨٢٤)

ابن سراج ، أبو مروان ٧٩٤ ،
(٨٠٨ — ٨٢١)

ابن السراج المالقي ، أبو عبد الله
٢٤ ، (٨٧٠ — ٨٨٢)

سعد (في الشعر) ٤١٠
سعد بن عبادة ١٦٠ ، ٤٦٨
ابن سعد (في الشعر) ٤٥٠
٢٥٠ ، ٨٠٨

سعيد بن حميد ٣٧٩
سعيد بن فتحون ، انظر : الحمار
السرقي

سعيد بن القطاع ، انظر : ابن
القطاع

أبو سعيد الجنابي ١٠٢
السفاح (العباسي) ٤٤٥ ، ٩٣٣
٩٣٤

ابن السقاء (ابراهيم بن محمد
مدبر قرطبة) ٣٠ ، ٦٠٠ ،
٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٧٦٧

سقوت (البرغواطي) ٢٦
بنت سكرى المورورية ٤٣٣
ابن السكيت (يعقوب) ١٢٩

أبو شاكر (الفتي) ١٩٥
شانجه بن غرسية ٣٦ ، ١٨١ ،
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤

شانجه بن فرذلند ١٨٥
ابن شانجه (أحمد بن عبدالله) أبو
جعفر ٨١٤

الشبانسي ، ابن عاصم ٢٨٢
شبيب بن شيبه ٢٣٧ ، ٩٠٣
ابن شبيب (القائد) ٦٦١
ابن الشخباء العسقلاني (المجيد)
٣٢

ابن شرف ، أبو عبدالله ٣ ، ٩١ ،
٣٨٣ ، ٤٧٧ ، ٦١٦ ، ٨٢٢ ،
٨٩٧

شريح القاضي ٤٦٦
الشريف الرضي ، انظر : الرضي
شعيب (النبي) ٧٨
شق (الكاهن) ١٣٠

ابن شماخ (عبد الملك بن محمد)
أبو مروان الوزير الكاتب ٢٤
٣٥٤ ، ٦١٦ ، (٨٢٧) -
(٨٤٧)

سليمان بن هشام الناصري ٣٠٤
سليمان بن هود ١٨٣ ، ١٨٦ ،
١٨٧ ، ١٨٨ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥

سليمان بن وهب ٢٣٧
السموأل ٩٠١

السميسر (خلف بن فرج) أبو
القاسم الإلييري ٢٤ ، (٨٨٢)
- (٨٩٦) ، ٨٩٨

سهل بن هارون ٢٣٧ ، ٢٤٣ ،
٢٤٤

ابن سهل (الحسن) ٤٠٢ ، ٩٣٦
سوار بن أحمد ، أبو القاسم ٥٩٧
ابن سوار الأشبوني (محمد) أبو
بكر ٢٧

سيبويه ٢٦٩ ، ٨٢٦ ، ٨٦٥
السيد الحميري ٨٨
سير بن أبي بكر ٣٨٨
سيف الدولة (الحمداني) ٢٨٣ ،
٣١٥ ، ٨٦٩

- ش -

الشافعي (محمد بن ادريس) أبو
عبدالله ١٦٧

صاعد بن الحسن البغدادي ، أبو
العلاء ٣٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٢٨
١٣٠ ، ١٢٩

صالح بن عبيد ٣٩٠١
صالح بن هارون الشتمري ،
انظر : أبو الحسن الشتمري
ابن الصباغ الصقلي ، أبو عبدالله
٣٠

صخر (بن حرب) ٣٩٣
صدوف (في الشعر) ١٧٧
الصدّيق ، انظر : أبو بكر الصديق ؛
يوسف (النبي)
صرف (جارية) ٤٦٧
صريح الغواني (مسلم بن الوليد)
٣٧٣ ، ٢٨٤ ، ٢٣٨ ، ٢٣٧
٩٠٧ ، ٧١٥ ، ٤٨٠

الصفّار (ابن الليث) ٩٣٨
ابن صفوان (خالد) ٢٣٧
الصلتان (العبد) ٢٠٧
ابن صمادح ، انظر : أبو الأحوص
ابن صمادح ؛
رفيع الدولة ابن صمادح ؛
محمد بن أحمد بن صمادح
(جد المعتصم) ؛

شمردل السحائي ٢٨٤ ، ٢٨٥
شمس المعالي (ابن وشمكير)
٣٥٠ ، ٢٤٢

شهيد (جد بني شهيد) ٢٢٩
ابن الشهيد (عمر) أبو حفص
التجبي الوزير الكاتب ٢٤ ،
(٦٧٠ - ٦٩١) ، ٧٣٣
ابن شهيد (أحمد بن عبد الملك)
أبو عامر ٢٢ ، ٥٠ ، ٦١ ،
(١٩١ - ٣٣٦) ، ٤٣٧ ،
٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٧٠ ، ٥٢٢
٥٤٧ ، ٦٦٦ ، ٧٨٧
ابن شهيد (أحمد بن محمد) أبو
عامر ٥٤٣
شيث (النبي) ٩٢٧ ، ٩٢٨
أبو الشيص ٣٢٤ ، ٣٤٧ ، ٣٧٤

- ص -

الصابي ، ابن هلال أبو اسحاق
(الهلالي) ١١ ، ٢٤٢ ، ٥٢١
٦٩٤

صاحب الاسفيريا ، انظر : ابن
فتوح
الصاحب بن عباد ٣٧٣ ، ٨١٥ ،
٨٤١ ، ٨٤٣ ، ٩٠٧

- المعتصم بن صمادح ؛
معز الدولة أحمد بن محمد
ابن صمادح ؛
معن بن محمد (والد المعتصم)
الصميلي ٩٤٠
الصنوبري ١٧٦ ، ٥١١ ، ٥١٢
الصولي (ابراهيم بن العباس)
٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٧٩ ، ٧٧٢
- ط -
طارق بن زياد ٩٣١
أبو طالب (عم النبي) ٩١
أبو طالب عبد الجبار ، انظر :
متني الأندلس
طالوت ٣٤٠
طاهر بن الحسين ٥١٥ ، ٩٣٥
ابن طاهر طيفور ٣٦٦
الطائع العباسي ٩٣٩
الطائي ، انظر : ابو تمام الطائي
الطبي (زيادة الله بن عبد الملك)
٥٤٠ ، ٥٣٨
الطبي (عبد الرحمن بن أبي مروان
٩٦٦
٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩
الطبي (ابراهيم بن يحيى) أبو بكر
٧٨٧
الطبي (علي بن عبد العزيز) أبو
الحسن (٥٤٧ - ٥٤٩)
الطبي (عبد الملك بن زيادة الله)
أبو مروان ٢٣ ، ٣٠٦ ،
(٥٣٥ - ٥٤٧)
الطبي (زيادة الله بن علي) أبو
مضر ٥٣٦
ابن الطراوة ٨٤٢
طرفة بن العبد (البكري) ٢٥٠ ،
٧٠١
الطرماح (بن حكيم) ٤٦٣
ابن طريف (أحمد بن عبد الله) أبو
الوليد الكاتب ٨٠٩ ، ٨١٨ ،
٨٢١
الطغفري (محمد بن مالك) أبو عبد
الله الفرناطي ٢٤ ، (٨٥ -
٨٠٨)
ابن الطلاء المهدي ، أبو محمد
٣١ ، ٨٤٢
طلحة (بن عبيد الله) ٩٣٠

أبو عامر ابن أزرق ، انظر : ابن
أزرق

أبو عامر ابن الأصيلي ، انظر :
ابن الاصيلي

أبو عامر ابن التاكرفي ، انظر :
ابن التاكرفي

أبو عامر ابن شهيد ، انظر :
ابن شهيد

أبو عامر ابن عبدوس ، انظر :
ابن عبدوس

أبو عامر ابن الفرغ ، انظر :
ابن الفرغ

أبو عامر ابن مسلمة ، انظر : ابن
مسلمة

أبو عامر ابن المظفر ، انظر : ابن
المظفر

العائذي ، أبو الحسن ٥٤٢

عائشة (أم المؤمنين) ٩٣٠

ابن عباد ، انظر : اسماعيل بن
المعتضد عباد ؛

القاضي محمد بن اسماعيل
ابن عباد ؛

المعتضد عباد بن محمد ؛
المعتمد بن عباد

الطليق القرشي المرواني (مروان
ابن عبد الرحمن) أبو عبد الملك

٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٧٧٧

طوق بن مالك ٢٥٧

أبو الطيب ، انظر : المتنبي

— ظ —

الظلوم (في الشعر) ٨٠٨

ابن ظهار اللورقي ، أبو بكر ٢٤ ،

(٧٨٨ — ٩٧٠)

— ع —

العالى بالله (الحمدودي) ، انظر :
ادريس بن يحيى بن علي بن
حمود

عاصم بن خليفة ٢١٨

عامر (في الشعر) ٨٦٥ ، ٩٤١

عامر بن رهم بن رهم ٧١٦

عامر بن الطفيل ١٦٤ ، ١٨٠ ،

٢١٢

أبو عامر (مخاطب ابن القزاز)

٨٠٤

أبو عامر البماري ، انظر :
البماري

أبو العباس ابن العريف ، انظر :
ابن العريف

عبد الجبار أبو طالب ، انظر :
متني الأندلس

ابن عبد البر ، أبو عمر الفقيه ١٦٠
٦١٥ ، ٦١٦

ابن عبد البر ، أبو محمد الكاتب
٢٨ ، ٣٣٦ ، ٦٢٤

ابن عبد الجبار المهدي ، انظر :
المهدي

عبد الجليل المرسى ، انظر : ابن
وهبون

عبد الجليل بن وهبون المرسى ،
انظر : ابن وهبون

عبد الحميد الكاتب ١٩٢ ، ٢٣٧ ،
٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨

عبد ربه الخارجي ٦٢٦

ابن عبد ربه ١٣٥ ، ٣٢٢ ،
٤٤٢ ، ٤٦٩ ، ٧٧٩ ، ٦٨٠

عبادة بن ماء السماء (عبادة بن
عبد الله الأنصاري) أبو بكر

٢٣ ، (٤٦٨ - ٤٨٩) ،
٨٠١ ، ٨٧٦ ، ٩٠٨

ابن عبادة الشاعر ، انظر : ابن
القزاز

عباس (الوزير) ١٩٧ ، ٩٣٣
عباس (ولد الوزير أحمد بن
عباس) ٦٦٥

عباس بن مرداس ٨٦٥
العباس بن الأخنف ٣٢٦ ، ٣٦٠ ،
٣٧٤ ، ٤٤٩ ، ٥٤٩ ، ٧٨١ ،
٧٨٦

أبو العباس الكتاني (أحمد بن
محمد) ٨٢١

أبو العباس ابن ذكوان ، انظر :
ابن ذكوان ، أبو العباس
(الصغير) ؛

ابن ذكوان ، أبو العباس
(الكبير)

- عبد الرحمن (أخو سليمان المستعين)
٤٢
عبد الرحمن الأوسط ٩٤٠
عبد الرحمن المستظهر ، انظر :
المستظهر
عبد الرحمن الناصر الأموي ،
انظر : الناصر الأموي
عبد الرحمن بن أبي الوليد بن
جهور ، انظر : ابن جهور
عبد الرحمن بن بشر ، انظر :
ابن بشر
عبد الرحمن بن سعيد المصغر ٣٨٩
عبد الرحمن بن عبد الرزاق (وزير
الامير عبدالله) ٨٠٧
عبد الرحمن بن عبد الملك الطنبلي ،
انظر : الطنبلي
عبد الرحمن بن فتوح ، انظر :
ابن فتوح
عبد الرحمن بن متيوه ، انظر :
ابن متيوه
عبد الرحمن بن محمد المرواني ،
انظر : المرتضى المرواني
عبد الرحمن بن معاوية ٩٤٠
عبد الرحمن بن ملجم ٩٣٠
- عبد الرحمن بن المنصور بن أبي
عامر ، أبو المطرف
(ناصر الدولة)
٤٤ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢٤ ،
١٢٦ ، ١٩٥ ، ٢١٠
أبو عبد الرحمن بن طاهر ٢٧ ،
١٤٠
ابن عبد الرحيم (في رسالة)
٦٣٣
عبد الصمد السرقسطي الكاتب ٢٩
ابن عبد الصمد ، أبو بحر ٢٩
عبد العزيز السوسي ٣٠
عبد العزيز العراقي ٤٣٦
عبد العزيز بن حسن بن جهور ،
انظر : ابن جهور
عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي
عامر (المؤتمن) ٢٨ ، ١٩٣ ،
١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ،
٢١٣ ، ٢٩١ ، ٣٠٥ ، ٦٢٧ ،
٦٦٣ ، ٦٦٧ ، ٧٣٠ ،
٧٣١
ابن عبد العزيز الوزير (محمد بن
أبي مروان) أبو بكر ٢٦ ،
١٤٠ ، ٧٣٢ ، ٨٠٥ ، ٨١٩

أبو عبدالله (في رسالة) ٥٣٠ ،
٥٣١

أبو عبدالله البزلياني ، انظر :
البزلياني

أبو عبدالله الحميدي ، انظر :
الحميدي

أبو عبدالله ابن أبي الخصال ،
انظر : ابن أبي الخصال

أبو عبدالله ابن أيمن ، انظر :
ابن أيمن

أبو عبدالله ابن البزلياني ، انظر :
البزلياني

أبو عبدالله ابن البين ، انظر :
ابن البين

أبو عبدالله ابن الحداد ، انظر :
ابن الحداد

أبو عبدالله ابن حمدين ، انظر :
ابن حمدين

أبو عبدالله ابن الحناط ، انظر :
ابن الحناط

أبو عبدالله ابن خلصة الوزير ،
انظر : ابن خلصة

أبو عبدالله بن السراج المالقي ،
انظر : ابن السراج المالقي

ابن عبد الغفور ، أبو القاسم ٥٨٢ ،
٥٨٦

ابن عبد الغفور ، أبو محمد الكاتب
٢٦ ، ١٤٧ ، ٣٩٦

ابن عبد القيس ٢٥٢
عبد الكريم التميمي ٤٧٩

عبد الكريم بن فضال ، انظر :
ابن فضال

عبد الله بن أحمد بن المكوي ،
انظر : ابن المكوي

عبدالله بن بلقين بن زيري (الامير
عبد الله) ٨٠٧ ، ٨٨٧

عبد الله بن حكم ، انظر : ابن
حكم

عبدالله بن سارة ، انظر : ابن
سارة الشنتريني

عبدالله بن طاهر ٩٠٤
عبد الله بن عمرو بن العاص ١٠٥

عبد الله بن محمد الأموي ٩٤٠
عبد الله بن مخامس الوزير ،

انظر : ابن مخامس
عبد الله بن المعتز ، انظر : ابن
المعتز

ابن عبد الله (أمير قرمونة) ،
انظر : البرزالي (البرزيلي)

محمد بن عبد الله
٩٧٠

- أبو عبد الله ابن شرف ، انظر :
ابن شرف ، أبو عبد الله
أبو عبد الله ابن الصباغ ، انظر :
ابن الصباغ
أبو عبد الله ابن عتاب ، انظر :
ابن عتاب
أبو عبد الله ابن عميثل ، انظر :
ابن عميثل
أبو عبد الله ابن الفرضي ، انظر :
ابن الفرضي
أبو عبد الله ابن قاضي ميعة ،
انظر : ابن قاضي ميعة
أبو عبد الله ابن القزاز ، انظر :
ابن القزاز
أبو عبد الله ابن مالك الطغفري ،
انظر : الطغفري
أبو عبد الله ابن مسعود ، انظر :
ابن مسعود
أبو عبد الله ابن مسعود البجاني ،
انظر : ابن مسعود البجاني
أبو عبد الله ابن مسلم ، انظر :
ابن مسلم
أبو عبد الله بن هريرة الكاتب ،
انظر : ابن هريرة الكاتب
- عبد المجيد بن عبدون ، انظر :
ابن عبدون
عبد الملك بن أبي الوليد بن جمهور ،
انظر : ابن جمهور
عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي ،
انظر : الطنبلي ، أبو مروان
عبد الملك بن صالح ١٤٩
عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي
عامر ٧٣٢
عبد الملك بن محمد بن شماخ ،
انظر : ابن شماخ
عبد الملك بن مروان ٤٦٣ ،
٤٦٦ ، ٥٤٥ ، ٧٦٨ ، ٩٣١
عبد الملك بن المنصور بن أبي
عامر ، انظر : المظفر عبد
الملك بن المنصور ابن أبي عامر
ابن عبد الواحد البغدادي ، أبو الفضل
٤٨٧ ، ٣٠
عبد الوهاب الثقفي ١٤٤
عبد الوهاب المالكي ٣١
عبد الوهاب ابن حزم ، انظر :
ابن حزم ، أبو المغيرة
ابن عبدوس ، أبو عامر ٣٩٥ ،
٣٩٦ ، ٤٣٢ ، ٧٩٤
ابن عبدوس ، أبو الوليد ٢٢ - ٢٣

عتيق المغني (المهدوي) ٥٨٩
عثمان بن ادريس السامي (الشامي)

٩٠٢

عثمان بن عفان (ابن عفان ، ذو

النورين) ٧٠ ، ١٠٨ ، ٢٥٦

٥٤٠ ، ٩٢٩

أبو عثمان (عمرو بن بحر) ،

انظر : الجاحظ

عجيب (الفتي) ١٠١

عدي بن الرقاع العاملي ٢٤

ابن العراقي (محمد) ٤٩ ، ٥٠ ،

٥٢

أبو العرب الصقلي ٣٠ ، ٩٠

ابن العربي ، أبو بكر الفقيه ١٧٢

٤٧٠ ، ٥٤٢ ، ٦١٤ ، ٦٩٠

عريب المأمونية ٤٦٧

عروة (أخو أبي خراش الهذلي) ٧٦ ،

٧٧ ، ٩٠٨

أبو عروة ٦٤٩

ابن العريف ، أبو الربيع ٦٢١

ابن العريف ، أبو العباس الوزير

٨٤٨

ابن العريف ، أبو القاسم ٣٠٩

العزّ (ابن اسحاق بن عبد الله)

٣٨٧ ، ٣٨٨

ابن عبدون (عبد المجيد) أبو

محمد ٢٦ ، ٢٩ ، ٤٤ ، ٤٨٠

٨١٦ ، ٨١٨

أبو عبيد البكري ٢٥

عبيد الله (جد بني جهور) ٦٠٥

عبيد الله الخراز ٣٨٨

عبيد الله بن ظبيان ٦٤٣ ، ٧٦٨

عبيد الله بن المهدي الأموي ٤٦

أبو عبيدة (معمّر بن المثنى) ٨٢٦

عتاب بن حبناء ٢٥٣

ابن عتاب (محمد) أبو عبد الله

٥٢٩

أبو العتاهية ٩٣٤

عتبة (في الشعر) ٤٦٦

عتبة (جارية ولادة) ٤٣١

عتبة بن أرقم ٢٦٨ ، ٢٧٨ ،

٩٣٥

أبو عتبة ٥٢٢

العتبي (محمد بن عبيد الله) ٨٢٥

عتيبة بن الجارث ١٨٠ ، ٧٧٤

عتيبة بن نوفل (تابع امرئ

القيس) ٢٤٩ ، ٢٥٠

- عزة (صاحبة كثير) ٤٦٥
 ابنة عزة (في الشعر) ٥٦٢
 عضد الدولة (البويهى) ٨٤٣ ،
 ٨٤٥ ، ٨٤٦
 عضد الدولة أبو الحسن ٦٢٧
 ابن العطار العشّار ٤١٠
 ابن العطار الياسى ، أبو بكر ٧١
 ابن عطيون ، أبو الخطاب الوزير
 الكاتب الطليطلي ٢٩
 ابن عفان ، انظر : عثمان بن
 عفان
 أبو العلاء المعري ، انظر : المعري
 أبو العلاء ابن زهر ، انظر : ابن
 زهر
 أبو العلاء صاعد ، انظر : صاعد
 بن الحسن البغدادي
 علقمة بن علاثة ٥٤٥
 ابن علناس (الناصر) ١٩٠
 علي بن أبي طالب ٢٢٦ ، ٣١٤ ،
 ٤٨٢ ، ٦١٣ ، ٧١٤ ، ٩٣٠
 علي بن أحمد بن سعيد ، انظر :
 ابن حزم ، أبو محمد
 علي بن بسام ، انظر : ابن بسام
 علي بن الجهم ١٤٨ ، ٣٤٧ ، ٣٦٦
 علي بن حمود ٢٢ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
 ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٦٤ ،
 ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،
 ١٠٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٤٤٥ ،
 ٤٤٦ ، ٤٥٢ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦ ،
 ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٩٤١
 علي بن الخليل ٧٧٣ ، ٧٧٤
 علي بن العباس النوبختي ، انظر :
 النوبختي
 علي بن عبد العزيز الطنبى ، انظر :
 الطنبى
 علي بن عبد الله البرزالي ، انظر :
 البرزالي
 علي بن القروي ، انظر : ابن
 القروي
 علي بن مجاهد ٦٨٦
 علي بن هشام (صاحب المأمون
 العباسي) ٤٦٧
 علي بن وداعة ، انظر : ابن
 وداعة
 علي بن يوسف بن تاشفين ٩٤٤
 أبو علي البغدادي (القالى) ١٤ ،
 ١٥ ، ٣٢٥ ، ٥١٦ ، ٨١١

أبو عمر الإلبيري الفقيه (احمد
ابن عيسى) ٢٤ ، (٨٤٧ -
٨٥٣)

أبو عمر الباجي ، انظر : الباجي
أبو عمر الوراق ، انظر : موسى
ابن محمد اليماني الوراق
أبو عمر بن أبي عبدة ، انظر :
ابن أبي عبدة

أبو عمر ابن حجاج ، انظر : ابن
حجاج
أبو عمر ابن درّاج القسطلي ، انظر
ابن دراج القسطلي
أبو عمر ابن عبد البر ، انظر :
ابن عبد البر

أبو عمر بن فتح البطليوسي ،
انظر : ابن فتح
أبو عمر ابن فرج الجياني ، انظر :
ابن فرج الجياني
أبو عمر ابن القطان ، انظر : ابن
القطان

أبو عمر ابن القلاّس ، انظر :
ابن القلاّس
أبو عمر ابن كوثر الشنتريني ،
انظر : ابن كوثر الشنتريني

أبو علي ابن حسون ، انظر : ابن
حسون

أبو علي ابن الريب ، انظر : ابن
الريب

أبو علي ابن رشيق ، انظر : ابن
رشيق

أبو علي ابن عوض ٢٣
أبو علي ابن الغليظ ، انظر : ابن
الغليظ

عُليّة بنت المهدي ٩٣٥

ابن عمار (جلال الدولة) ٣١
ابن عمار ، أبو بكر ذو الوزارتين
٢٦ ، ٣٥١ ، ٤١٩ ، ٤٢٥ ،
٤٤٧ ، ٥٤٨ ، ٨٤٤

عمارة بن حمزة ٦٤٣ ،

عمارة بن عقيل ٨١

عمر بن أبي ربيعة ، ٢٨٦ ،
٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٨٥٥

عمر بن أبي عمر السجزي ٨٣٠

عمر بن الخطّاب ٥٤٤ ، ٩٢٩

عمر بن الشهيد ، انظر : ابن
الشهيد

عمر بن عبد العزيز ٩٣٢

عمر بن المظفر بن الأفطس ، انظر :

الموتكل عمر بن الافطس

- أبو عمر ابن هاشم الوزير ٨٦٤
العُمَرَان (عمر بن الخطاب وعمر
ابن عبد العزيز) ٦٢٦
عمران بن حطان ١٢٢
ابن عمران ٥٣
عمرو (صاحب ابن شهيد) ٣٣١
عمرو (صديق ابن أبي ربيعة)
٣٢٦
عمرو (هو هاشم بن عبد مناف)
٩١
عمرو بن بحر الجاحظ ، انظر :
الجاحظ
عمرو بن الجعان ٤٢٠
عمرو بن العاص ٢٢٦ ، ٩٣٠
عمرو بن مسعود ١٦٠
عمرو بن معديكرب ١٧٩ ،
٢١٢ ، ١٨٠
أبو عمرو الباجي ، انظر : الباجي
أبو عمرو الشيباني ٨٢٦
أبو عمرو ابن العلاء ٨٢٦
أم عمرو (في الشعر) ٤١٦
ابن عميثل ، أبو عبد الله الفقيه
٨٥٤ ، ٨٦٦
أبو العميثل الأعرابي ١٣٥ ، ٣٧٢
ابن العميد ، ابو الفضل ٧٥ ،
١٣١ ، ٣٨٢
عميد الدولة (لعله صاحب شلب)
٦٢٨
عمير (من امراء الدائرة) ٤٩
عنتر بن العجلان ٢٥٠ ، ٢٥١
عيسى (المسيح) ١٥٩ ، ٦٨١ ،
٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٧٤ ، ٨٠٢
٨٩٤
عيسى بن سعيد ٥٥١
عيسى بن عمر الثقفي ٧٢٠
أبو عيسى (صاحب البغلة) ٢٩٨
أبو عيسى ابن لبون ، انظر : ابن
لبون
— غ —
غانم بن وليد بن محمد المخزومي ،
أبو محمد الشاعر ٢٤ ، ٨٥٣
— (٨٧٠)
الغبراء (فرس) ٧٠٠
ابن غرسية ٢٩
ابن غصن الحجاري ، أبو مروان
٢٨ ، ٩٠١
٩٧٥

أبو الفتوح (ثابت) الجرجاني ٣٠ ،

٦٦٨

ابن فتوي ، أبو بكر ٥٦٢

أبو الفتيان العسقلاني ٣١

الفراء ٨٢٦

أبو فراس (الحمداي) ٣١٥

الفراهيدي ، انظر : الخليل بن أحمد

فرتني (في الشعر) ٣١٩

ابن الفرغ ، أبو عامر ذو الوزارتين ٢٧

ابن فرج الجلياني (أحمد) أبو عمر ١٣

ابن فرج الجلياني ، أبو محمد ٧٩٥ ، ٩١٤

الفرزدق (همام بن غالب) ١٥١

٢٠٧ ، ٣٣٧ ، ٣٦٥ ، ٤٦٢

٧٠٠ ، ٧٩٧ ، ٩٠١ ، ٩٠٢

ابن الفرضي (أبو عبد الله)

٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٤٨٣

ابن الفرضي ، أبو الوليد ٢٣ ، (٦١٤-٦١٦)

فرعون ٩٥

فرعون بن الجحون (جنّي) ٢٩٦

أبو الغفار الرياحي ، انظر : الرياحي

ابن الغليظ ، أبو علي ٨٧١ ، ٨٧٢

غيلان ، انظر : ذو الرمة

بنت غيلان (في الشعر) ٩١٥

— ف —

فاتك بن الصقعب (تابع) ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٩٠٣

فاطمة بنت يذكر بن عترة ٧١٦ ، ٧١٧

الفتح بن خاقان ، وزير المتوكل ٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢

الفتح بن خاقان ، أبو نصر الكاتب ٧٣٨ ، ٧٣٩

فتح بن يحيى ٣٨٦ ، ٣٨٧

ابن فتح (جعفر بن محمد) ٢١٤ ، ٤٨٣

ابن فتح (حسن) ١٢٧

ابن فتح البطليوسي ، أبو عمر ٢٧

أبو الفتح البرزالي ، انظر : البرزالي

ابن فتوح (صاحب الاسفيريّا)

أبو المطرف ٢٤ ، ٣٢٦ ، ٥٠٨ ، (٧٧٠-٧٨٧)

- الفرغاني (المؤرخ) ٥٧٧ قاسم بن ثابت السرقسطي ٨١١
ابن فضال الحلواني (عبد الكريم) قاسم بن حمود (المأمون) ٢٨ ،
٣٠ ، ٢٧ ، ٤٨ ، ١٠١ ،
الفضل بن الربيع ٦٤٩ ٣١٦ ، ٤٣٤ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ،
الفضل بن سهل ١٠٢ ، ٤٠٦ ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ ،
الفضل بن يحيى البرمكي ٢٣٢ ، ٤٧٩ ، (٤٨١ - ٤٨٦)
٦٤٣
أبو الفضل ابن حسداي ، انظر : ابن القاسم (صاحب البوننت)
ابن حسداي ٤٥٥
أبو الفضل بن عبد الواحد البغدادي ابو القاسم ٢١٦
انظر : ابن عبد الواحد ابو القاسم (في شعر ابن بسام
البغدادي ٨١٥)
أبو الفضل الميكالي ، انظر : أبو القاسم (في شعر ابن مسعود)
الميكالي ٥٦١
الفكيك البغدادي ٣١
- ق -
ابن القابلة السبتي ٣١ أبو القاسم المغربي ٣١
قابوس بن وشمكير ٩٠٧ ، ٣٧٢ أبو القاسم ابن الإفليلي ، انظر :
القادر العباسي ٩٣٩ ابن الإفليلي
ابن القارح الوزان ١٢٦ أبو القاسم ابن الجدد ، انظر : ابن
القارطان ٧١٦ الجدد ، ابو القاسم

- أبو القاسم ابن عبد الغفور ، انظر :
 ابن عبد الغفور
 أبو القاسم ابن العزيف ، انظر :
 ابن العزيف
 أبو القاسم ابن مرزقان ، انظر :
 ابن مرزقان
 القاضي محمد بن اسماعيل بن
 عباد ، أبو القاسم ٢٣ ، ٢٥ ،
 ٣١٦ ، ٤٨١ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦
 ٦١٩ ، ٩٥٢ ، ٩٤٣
 ابن قاضي ميلة ، أبو عبدالله ٣١
 ٣١٢
 ابن قالوص ٧٨٥
 القالي ، انظر : أبو علي البغدادي
 القاهر العباسي ٩٣٩
 القائم العباسي ٩١٩ ، ٩٣٩ ،
 ٩٤٠
 قاين ٩٢٧
 القبري الضرير (محمد بن محمود)
 ٤٦٩
 ابن القبطورنة (ابو بكر ابن
 سعيد) ٢٧
 قتادة (السدوسي) ١٢
 ابن قتيبة (القتبي) ٩٦ ، ٨١١
- القحطاني (المنتظر) ١٠٥
 قدار ٢٢٤
 القرشي (المعروف بالقط) ٦٦٠
 ابن القروي (علي) ٦٦٤
 القريعي ، انظر : دوسر بن دهيل
 القريعي
 ابن القزاز (محمد بن عبادة) أبو
 عبد الله ٢٤ ، ١٤٢ ، ٧٣٣ ،
 (٨٠١ - ٨٠٥)
 ابن قرعة ٩٠٢
 ابن قزمان ، أبو بكر ٢٧
 قس بن ساعدة الأيادي ١٧٨ ،
 ٧٦٢ ، ٧٨٧
 القسطلي الشاعر ، انظر : ابن دراج
 القسطلي
 قصير (صاحب جذيمة) ٨٤
 ابن القصيرة (ابو بكر ابن سليمان)
 ٢٥
 ابن القطاع (عيسى بن سعيد) أبو
 الأصينغ الوزير ٢٢ ، ٧٧ ،
 ٨٠ ، ١٢١ ، (١٢٣ -
 ١٣١)
 ابن القطاع ، أبو عامر ١٢٤
 ابن القطان (الشاعر) ٤٧٢

كسرى ٩٥ ، ١٥٧ ، ٢١٨ ،
٨٢٥ ، ٥٥٠

كعب بن زهير ٥٤٥

كعب بن مامة ٧٦٢

كليب ٧١٦

الكميت بن الحسن الشاعر الوشاح ،

ابو بكر ٧٩٧

الكميت بن زيد الأسدي ٨٨ ،

٦٢٥

الكندي ، انظر : امرؤ القيس

كوثر الخادم ٥١٤ ، ٥١٥

ابن كوثر الشتريني ، أبو عمر

٢٧

— ل —

ابن اللبانة ، أبو بكر الداني ٢٩ ،

١٤٥ ، ٧٣٨ ، ٧٩٥

لبنى (صاحبة قيس بن ذريح)

٥٦١

ابن لبون ، ابو عيسى ذو الوزارتين

٢٨

لبونة بنت محمد بن الامير حسن

الملقب بقنون ٤٨٢

لييب (الفتى) ١٠١ ، ٢٩٤

ابن القطان (أحمد بن محمد) أبو

عمر الفقيه ٥٣٩

قطر الندي بنت خمارويه ٩٣٨

قطرب النحوي ٨٢٤

ابن القلاّس ، أبو عمر الكاتب

٢٨

قنبوط الملهي ٤٤

ابن القوّاس ، ابو بكر القاضي

٥٧٧

قيس (في الشعر) ٨٦٥

قيس بن الخطيم ٢٥٢

قيس بن ذريح ٥٦١

قيس بن زهير ٤٢٠

قيس بن سنان (هرم بن

سنان) ٧٥٢

قيس بن الملوّح ، انظر : المجنون

قينان ٩٢٨

— ك —

ابن الكتافي المتطبب ٢٨

كثير عزة الخزاعي ١٢ ، ٣٣ ،

٨٨ ، ١٣١ ، ٤٦٥

الكسائي ٨٢٦

المأمون العباسي ١٠٢ ، ٤٦٧ ،

٩٣٥ ، ٩٠٤ ، ٨٦٣ ، ٤٦٨

٩٣٦

المأمون ابن ذي النون ، انظر :

يحيى بن ذي النون

مبارك العامري الفتي الصقلي ٢٦ ،

٤٥٦ ، ٦٣٠ ، ٦٣٧

المبرد ٣٦٦

المبرقع (القرمطي) ٣١٥

المتأيد بالله ادريس ٦٢٥

المتجردة (امراة النعمان) ١٥١

المتقي العباسي ٩٣٩

المنتبي (احمد بن الحسين) أبو

الطيب ٦٠ ، ٧٥ ، ٧٩ ،

٨١ ، ١٣٩ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،

١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٨٢

٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٩

٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٤

٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٤

٣٦٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧

٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٤٤٢

٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠

٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٨٠

٥١٠ ، ٦٩٣ ، ٧١٥ ، ٧٢٠

٨٠٤ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٥

٨٩٤ ، ٩٠٣ ، ٩٠٨

لبيد (بن ربيعة العامري) ٤١٢

لبينى (في الشعر) ٧١٠

لقمان الحكيم ٧٦٢

لقمان بن عاد ١٧٨

لقيط بن زرارة ٢٠٠

ابن اللماثي (أحمد بن أيوب)

أبو جعفر الكاتب الوزير ٣٤

٣٣٠ ، (٦١٧ - ٦٢٤) ،

ملك ٩٢٨

لميس (في الشعر) ٣١٩

لوط ٢١٦

ليلي (في الشعر) ٣٨٩

أبو ليلي ٩٣١

- م -

مالك بن طوق ٩٠٣

أم مالك (في الشعر) ٣٦٧

ابن مالك الطغفري ، انظر : الطغفري

ابن مالك القرطبي ، أبو محمد

الاديب ٢٤ ، (٧٣٩ -

٧٥٤)

المأمون الحمودي ، انظر : القاسم

ابن حمود .

- متنبى الأندلس ، أبو طالب عبد
الجبار ١٢٤ (٩١٦ - ٩٤٤)
متوشلح ٩٢٨
المتوكل العباسي (جعفر) ٣٨ ،
٣٩ ، ٤٠ ، ٤٧٩ ، ٥٤٠ ،
٥٤١ ، ٩٣٧
المتوكل عمر بن الأفتس ٢٦ ،
١٤٤ ، ٨٨٦
ابن متيويه (عبد الرحمن) ٤٦
ابن مثنى ، أبو المطرف الكاتب ٢٨
مجاهد العامري ، أبو الجيـش
(الموفق) ٢٧ ، ٤١ ، ٢٢٠ ،
٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩
٢٣٠ ، ٤٢٨ ، ٥٢٣ ، ٥٢٧
٥٢٨ ، ٦٢٧ ، ٦٤٠ ، ٦٣١
٩٤٣
المجنون (قيس بن الملوـح) ٣٢٣ ،
٣٦٦
المجيد بن الشعـباء العسقلاني ،
انظر : ابن الشعـباء العسقلاني
محسّد (ابن المتنبى) ٨٤٦
المحلّق (صاحب الأعشى) ١١
أبو محلم السعدي (محمد بن سعد)
٨٢٥
- محمد (الرسول) ، النبي ،
المصطفى ، حبيب الله (١١) ،
٦٤ ، ٧٠ ، ٨٨ ، ١٠٥ ،
١١٧ ، ٢٢٢ ، ٤٥١ ، ٤٥٢
٤٦٤ ، ٤٧٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩
٥٣١ ، ٦١٥ ، ٨٠٩ ، ٨١٨
٨٢٠ ، ٨٢٥ ، ٨٦١ ، ٩٢٠
٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨
محمد (في الشعر) انظر :
٨١٥
محمد (العبادي) ، انظر : المعتمد
ابن عباد
محمد بن الحماـمي ، انظر : ابن
الحماـمي
محمد بن أبي عامر ، انظر :
المنصور بن أبي عامر
محمد بن أحمد البزلياني ، انظر :
البزلياني
محمد بن أحمد بن جعفر المصحفي ،
انظر : ابن المصحفي
محمد بن أحمد بن حمدان البلدي ،
انظر : الخباز البلدي
محمد بن أحمد بن صمـاح ، أبو
يحيى (جد المعتصم) ٧٢٩ ،
٧٣٠

محمد بن عبد الرحمن (ابن

الأشعث) ٩٣١

محمد بن عبد الرحمن الأموي ٩٤٠

محمد بن عبد الله (ابن عم ابن

حيان) ٣١٦ ، ٣١٨

محمد بن عبد الله (زعيم زناتة)

٦٥٦

محمد بن عبد الله البرزالي ، انظر :

البرزالي

محمد بن عبد الله النبهاني ٤٨٣

محمد بن عبد الملك الزيات ، انظر :

ابن الزيات

محمد بن عبدوس الفارسي ٢٦٦

محمد بن عبيد الله العتيبي ، انظر :

العتيبي

محمد بن عتّاب ، انظر : ابن

عتّاب

محمد بن العراقي ، انظر : ابن

العراقي

محمد بن القرضي ، انظر : ابن

القرضي ، أبو عبد الله

محمد بن أمية (الشاعر) ٤٦٦

محمد بن حجاج (الشاعر البغدادي)

انظر : ابن الحجاج

محمد بن خالص الوزير ٤٨٥

محمد بن الخير بن خزر الزناتي ،

انظر : ابن الخير

محمد بن ربيب ٥٢٢

محمد بن زيري بن دوناس اليفرني

٤٨٥

محمد بن سليمان ١٨١

محمد بن سليمان بن الحناط ،

انظر : ابن الحناط

محمد بن سوار الاشبوني ، انظر :

ابن سوار

محمد بن سيق (من غلمان ابن أبي

عامر) ٧٨٠

محمد بن عباد ، انظر : المعتمد

ابن عباد

محمد بن عبادة الشاعر ، انظر :

ابن القزاز

محمد بن عباس بن جهور ، انظر :

ابن جهور

محمد بن عبد الرحمن المستكفي ،

انظر : المستكفي

- محمد بن القاسم بن حمود ٤٣٨ ،
٤٨٥ ، ٤٨٦
- محمد بن محمد القرشي المرواني
الناصري المعروف بالأحمر
٨٢٠
- محمد بن محمود القبري ، انظر :
القبري
- محمد بن معن ، انظر : المعتصم
ابن صمادح
- محمد بن هارون الرشيد ، انظر :
الأمين
- محمد بن هانيء الاندلسي ١٥٨ ،
٣٢٠ ، ٣٨١ ، ٥٠٧ ، ٥١٥
- ٧٧٥ ، ٧٩٣ ، ٨٣٠
- محمد بن هشام بن عبد الجبار ،
انظر : المهدي
- محمد بن يعيش الأسدي ٩٤٢
- أبو محمد ٢٧٣
- أبو محمد التيمي (عبد الله بن
أيوب) ٥١٤
- أبو محمد الحصني ، انظر : الحصني
(المؤرخ)
- أبو محمد الصقلي : انظر : ابن
حمدس
- أبو محمد المصري الحكيم ٣١
- أبو محمد (المنشد) ٦١٩ ، ٦٢٠
- أبو محمد اليزيدي ، انظر :
اليزيدي
- أبو محمد ابن الجحدّ ، انظر : ابن
الجحدّ
- أبو محمد ابن حزم ، انظر : ابن
حزم ، أبو محمد
- أبو محمد ابن حمديس الصقلي ،
انظر : ابن حمديس الصقلي
- أبو محمد ابن سارة الشنتريني ،
انظر : ابن سارة الشنتريني
- أبو محمد ابن الطلاء المهدي ،
انظر : ابن الطلاء المهدي
- أبو محمد ابن عبد البر ، انظر :
ابن عبد البر
- أبو محمد ابن عبد الغفور ، انظر :
ابن عبد الغفور
- أبو محمد ابن عبدون ، انظر :
ابن عبدون
- أبو محمد ابن فرج الجياني ، انظر :
ابن فرج الجياني

مروان بن عبد الرحمن بن مروان
ابن عبد الرحمن الناصر ،
انظر : الطليق القرشي الشاعر

مروان بن محمد ٩٣٣ ، ٩٣٤

أبو مروان (في شعر) ٢٥٣

أبو مروان الطنبلي ، انظر :
الطنبلي

أبو مروان ابن الجزيري ، انظر :
الجزيري

أبو مروان ابن حيان ، انظر :
ابن حيان

أبو مروان ابن رزين ، انظر :
ابن رزين

أبو مروان ابن سراج ، انظر :
ابن سراج

أبو مروان ابن شماخ ، انظر :
ابن شماخ

أبو مروان ابن غصن الحجاري ،
انظر : ابن غصن الحجاري

ابن مروس ، أبو العباس ١٨٣
المسترشد العباسي ٩٤٠

المستظهر بالله (عبد الرحمن بن
هشام بن عبد الجبار الناصري)

أبو محمد ابن مالك القرطبي ،
انظر ابن مالك القرطبي .
أبو محمد ابن نعمة ، انظر : ابن
نعمة

أبو محمد ابن هود ، ذو الوزارتين
٢٧

أبو محمد غانم بن وليد ، انظر :
غانم بن وليد

محمود (من امراء الدائرة) ٤٩ ،
٥٤

مخارق (المغني) ٢٨٨ ، ٩٠٢
ابن مخامس الوزير (عبد الله)

٤٩ ، ١٦١

المرتضى المرواني الأموي الناصري
٢٣ ، ٨٢ ، ٩٩ ، ٢٢٣ ،

٤٥٢ ، (٤٥٣ - ٤٦٢)

ابن المرتضى (الثائر) ٦٠٦

ابن مرتين ٤١٩

مرداس (العباس مرداس)
٨٦٥

ابن مرزقان ، أبو القاسم ٢٦ ،
٧٨٢

مروان بن الحكم ٧٠ ، ١١٠ ،
٩٢٩ ، ٩٣١

- أبو المطرف (٤٨ - ٢٢ ،
 (٥٩ ، ١٣٢ ، ٢٢٣ ، ٤٣٣ ،
 ٤٣٤ ، ٣٤٥ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ،
 المستعين بالله الأموي ، انظر :
 سليمان المستعين
- المستعين العباسي ٩٣٧
 المستكفي (العباسي) ٤٣٣ ، ٩٣٩ ،
 المستكفي (الأموي الناصري محمد
 ابن عبد الرحمن) ٢٣ ، ٥٢ ،
 ٥٤ ، ٥٥ ، ٢٨٢ ، ٤٢٩ ،
 (٤٣٣ - ٤٣٧) ، ٩٤١ ،
 المستنصر الحكيم ، انظر : الحكم
 المستنصر
- ابن مسعدة (الكاتب) ٩٠٤
 مسعود (والد ابن مسعود أبي عبد
 الله) ٥٥٣
 ابن مسعود (محمد) أبو عبد الله
 اللاديب (٥٤٩ - ٥٦٢)
 ابن مسعود البجاني ، (محمد) أبو
 عبد الله ٢٣ ، (٥٦٢ -
 ٥٦٧)
 ابن مسعود الهذلي (محمد) أبو
 عبد الله ٢٣
- المسعودي (المؤرخ) ٩٢٠
 مسلم بن الحجاج ٦١٥
 أبو مسلم الخراساني ٩٣٤
 ابن مسلم ، أبو بكر ٣٥٥ ، ٣٥٧ ،
 ٤٠١
- ابن مسلم ، أبو عبد الله الكاتب
 ٢٨
 مسلمة بن عبد الملك ٢٢٣
 ابن مسلمة ، أبو عامر الوزير
 ٢٥ ، ١٩٤ ، ٣٠٣ ، ٤٠٥ ،
 ٤٧٢
- ابن مسلمة (عبد الله) ٥٥١
 مسهر (بن يزيد الحارثي) ١٨٠
 ابن مسرف ٤٥٦
 المسيح ، انظر : عيسى
 مسيلمة الكذاب ٣٥٢
 ابن المشاط الرعيني (بكر بن
 محمد) ٥٢
 مشنف (زوج سليمان المستعين)
 ٥٥

ابن المصنفى (محمد بن أحمد
ابن جعفر) أبو بكر ٣٢٦ ،
٣٢٧
مظفر (صاحب شاطبة) أبو
محمد ٦٣٠ ، ٦٣٧ ، ٦٣٩ ،
٦٤٠

المصطفى ، انظر : محمد (الرسول)
المصعب (بن الزبير) ٧٦٨ ،
٩٣١
المظفر ابن الافطس (محمد بن عبد
الله) أبو بكر ٣٨٥ ، ٣٨٦ ،
٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠

٤٤٣
المظفر بن هود ٧٢٧
ابن مضا القرطبي ، أبو الحسن
٨٨٦

المظفر عبد الملك بن المنصور بن
أبي عامر ٢٢ ، ٢٧ ، ١٠٥ ،
١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥
١٢٥ ، ١٩٤ ، ١٢٧ ، ١٩٥
٣٣٢ ، ٣٠٥
أبو مضر الطنبى ، انظر : الطنبى
أبو المطرف الشعبي الفقيه ٨٤٨ ،
٨٥٠

أبو المطرف ابن أبي عامر ، انظر :
عبد الرحمن بن المنصور بن
أبي عامر
٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥
معاوية بن أبي سفيان (ابن هند)
١١٠ ، ٢٢٦ ، ٣٩٣ ، ٤٦٣
٤٦٥ ، ٤٧٨ ، ٦١٣ ، ٩٣٠

أبو المطرف ابن الدباغ ، انظر :
ابن الدباغ
أبو المطرف ابن فتوح ، انظر :
ابن فتوح

أبو المطرف ابن مثنى ، انظر :
ابن مثنى
مطعم بن جبير ٦٤٣
معبد (المغني) ٩١٧
المعتدّ هشام ، انظر : هشام المعتدّ
أبو عبد الرحمن
المعتز العباسي ٩٣٧

المعتمد بن عباد (محمد بن عباد)

٢٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ١٥٧ ،

١٧١ ، ٣٥٨ ، ٣٩٥ ، ٤١٨ ،

٤٢٤ ، ٤٤٥ ، ٥٧٨ ، ٦٠٩ ،

٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٣ ، ٦٢٤ ،

٦٥١ ، ٧١٢ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ،

٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨١٦ ، ٩٣٨ ،

المعري ، أبو العلاء ٧٨ ، ٨١ ،

١٤٦ ، ٣١٤ ، ٣٣٤ ، ٣٤٩ ،

٣٨١ ، ٣٩٥ ، ٤٧٧ ، ٥١٧ ،

٥٢١ ، ٧١٢ ، ٧١٨ ، ٧٨٥ ،

٨٨٧

المعز بن بايس ٤٥٨

معز الدولة أحمد بن محمد بن

صمادح (الواثق بالله) ٧٣٥

ابن معلتي ، أبو اسحاق ٢٩

ابن المعلم ، أبو الوليد الوزير

٢٥

معمر بن مثنى ، انظر : ابو عبيدة

معن بن محمد بن أحمد بن صمادح

(والد المعتصم) ٧٢٠ ، ٧٣١ ،

ابن معن انظر : المعتصم بن

صمادح

المعيدي (في المثل) ٥٧٣ ، ٨٣٦ ،

ابن المعتز (عبد الله) ٣٣٤ ،

٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٥٠٦ ، ٥١٠ ،

٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ،

٥٢١ ، ٧٧٩ ، ٧٨١ ، ٧٩٩ ،

٨٦٣ ، ٨٨٨ ، ٩١٠ ، ٩٣٨ ،

المعتصم بن صمادح (محمد بن معن)

أبو يحيى التجيبي ١١٦ ، ٣١٤ ،

٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ،

٦٩٧ ، ٧٠٩ ، ٧١١ ، ٧١٤ ،

٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ،

٧٢٤ ، ٧٢٨ ، (٧٢٩ —

٧٣٦) ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ،

٧٥٠ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ،

٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ،

المعتضد عباد بن محمد ، أبو عمرو

٢٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٧٦ ،

٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ،

٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٠٥ ، ٤١٨ ،

٤٢٤ ، ٤٢٨ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ،

٦٢٤ ، ٨٠٠ ، ٨١٧ ، ٩٠٤ ،

٩٣٨

المعتلي بالله الحمودي ، انظر :

يحيى بن علي بن حمود

- المعيطي الفقيه ٤١ ، ١١٥
أبو المغيرة ابن حزم ، انظر : ابن
حزم
ابن مقانا الاشبوني ، أبو زيد ٢٧ ،
٧٥٧
ابن مقبل (الشاعر) ١٣٥ ، ٦٩٢ ،
المقتدر العباسي ٩٣٨
المقتدر ابن هود (أحمد بن
سليمان) ٣٠ ، ٧٢٥ ، ٧٢٧
المقتدي العباسي ٩٤٠
ابن المقفع ٢٣٧
المكتفي العباسي ٩٣٨
مكرم بن سعيد ٤٦٩
ابن المكوي (عبد الله بن أحمد)
٣٣٨
ملاعب الأسنة (عامر بن مالك)
أبو براء ٧٥٢
ابن الملح ، أبو بكر الفقيه ٢٦ ،
٣٦٢
ابن منذر (محمد) ١٤٤ ، ٨٢٥ ،
المنتصر العباسي ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٤٠
٥٤١
منجح الفتي ١٠١
ابن المنجم ٨٢٦
منذر (في الشعر) ٥٥٨
المنذر بن ماء السماء ٥٥٩
المنذر بن محمد الأموي ٩٤٠
منذر بن يحيى التجيبي ٢٢ ، ٦١ ،
٦٤ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١١٦
١١٧ ، (١٨٠ - ١٩١) ،
٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦
٤٥٧ ، ٤٨١ ، ٧٣٠
ابن منذر (في الشعر) ١٧٨
ابن منذر (من ملوك الطوائف)
٦٢٧
أبو المنذر (من ملوك الطوائف)
٦٢٧
المنصور العباسي ٤٤٥ ، ٩٣٤
المنصور (الصغير) ابن أبي عامر ،
انظر : عبد العزيز بن عبد
الرحمن بن أبي عامر
المنصور (الكبير) ابن أبي عامر
٢٧ ، ٣٠ ، ٦٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ،
٩٥ ، ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٢٤ ،

ابن مهران السرقسطي ، أبو الربيع	١٢٦ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٤
٢٨	١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨
مهلايل ٩٢٨	٢١٠ ، ٣٣٢ ، ٣٧٦ ، ٤٧٥
المهلي الوزير ٢٧١ ، ٤٢١ ،	٥٣٦ ، ٥٥١ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤
٤٧٩	٦٥٦ ، ٧٣٠ ، ٧٨٠ ، ٩٤٢
مهيार الديلمي ٣١	منصور (الفقيه) ابن اسماعيل
المؤتمن ابن أبي عامر ، انظر :	التميمي الضريير ٨٨٣
عبد العزيز ابن عبد الرحمن	المنصور ابن الأفطس (أبو محمد
ابن أبي عامر	عبد الله بن مسلمة) ٤٤٣ ،
المؤتمن بن مقتدر بن هود ٧٢٧	٩٤٢
مؤرج السدوسي ٨٢٤	أبو منصور الثعالبي ، انظر :
موسى (النبي) ٧٨ ، ٣٥٢ ،	الثعالبي
٤٦٧ ، ٣١٢ ، ٣٥٧ ،	المنفلت الشاعر (عبد العزيز بن
٨٩٤ ، ٧٦٥	خيرة) أبو أحمد القرطبي
موسى الرضا ٩٣٦	٢٤ ، ٧٨ ، ٣٠٢ ، (٧٥٤)
موسى بن الطائف ٢٨٢	— (٧٦٦)
موسى بن عبد الملك بن شهيد	المهتدي العباسي (٩٣٧ ، ٩٣٨
١٩٧	المهدوي ابن الطلاء ، انظر : ابن
موسى بن محمد اليماني الوراق ،	الطلاء المهدي
أبو عمر ٤٨٣	المهدي (الأموي) محمد بن هشام
موسى بن نصير ٩٣١	ابن عبد الجبار ٣٦ ، ٤٢ ،
الموفق أبو الجيش العامري ، انظر :	٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٩٤١
مجاهد العامري	المهدي (العباسي) ٩٣٤

الميكالي الكاتب . أبو الفضل ٦٩٤
٧٨٣ ، ٧٨١

ميمون بن الغانية ٤٧٥
ابن ميمون بن الفراء ٧٦٠
مية (صاحبة ذي الرمة) ٧٧٨

المؤمل بن أميل المحاربي ٥١٢ ،
٨٤٦

المؤيد هشام (هشام بن الحكم)
٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٩٧ ،
١٠٤ ، ١٢٥ ، ١٧١ ، ١٨٦ ،
٢٨٢ ، ٣١٦ ، ٦٥١ ، ٧٢٩ ،
— ٧٣٠ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ —

— ن —

ناصر الدولة ابن حمدان (الحسن)
الناغيد ، انظر : ابن التغريلي
نافع بن الأزرق ٦٢٦
النبي ، انظر : محمد (الرسول)
نجاح الضاعط ٥٢
النجاشي ٥١٧ ، ٥٤٤
التحلي ، ابو الوليد ٢٧ ، ٣٨٤ ،
٧٣٩

النخعي ٤٦٦
ابن نصر (في شعر ابن مسعود)
٥٦٢
أبو نصر ، انظر : الفتح بن
خاقان

النابعة الذبياني ١٥١ ، ٢٨٣ ،
٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠٧ ، ٣٥٩ ،
٧١٢
النابعة الجعدي ٤٦٧
ابن نابيل (الفقيه) ٦٥٩
الناصر الاموي عبد الرحمن بن
محمد (الثالث) ٥٢ ، ٩٧ ،
٤٣٦ ، ٦٠٦ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ،
الناصر العامري ، انظر : عبد
الرحمن بن المنصور بن أبي
عامر
الناصر بن حمود ، انظر : علي
ابن حمود
ابن الناصر (مخاطب البزلياني)
٦٣٩

- نصيب المغني ٧٩٧
 نظيف (الفتى) ١٢٦
 نعم (في الشعر) ٨٠٨
 النعمان (بن المنذر) ١٥١ ،
 ٩٠٢
 ابن نعمة ، أبو محمد ٣١
 ابن النغريلي اليهودي الناعيد (ابن
 النغريلة) (اسماعيل بن يوسف
 وأحياناً يوسف بن اسماعيل)
 ٢٤ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ،
 ٧٦٤ (٧٦٦ - ٧٦٩)
 النمرى (منصور بن سلمة) ٧٧١٥
 أبو نواس (الحسن بن هانيء)
 ٧٧ ، ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٧٤ ،
 ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩
 ٢٨٤ ، ٢٧٢ ، ٥٠٧ ، ٧٩٢
 ٩٣٥
 النوبختي (علي بن العباس) ٧٧
 نوح ٣٣٠ ، ٩١٨ ، ٩٢٨
 نويرة (محبوبة ابن الحداد) ٦٩٣ ،
 ٧٠٤ ، ٧٠٦ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ،
 وانظر أيضاً : جميلة
- هاثيل ٩٢٧
 الهادي العباسي ٩٣٥
 هارون الرشيد ، انظر : الرشيد
 العباسي
 هامان ٩٥
 ابن هانيء ، انظر : محمد بن هانيء
 ابن هيرة الفزاري ٤٦٢
 الهذلي ، انظر : أبو خراش الهذلي
 هذيل الصقلبي القائد ٦٥٨
 هذيل بن رزين ١٠٨
 ابو هريرة ١٠٥
 ابن هريرة الكاتب ، أبو عبد الله
 ٣٠٥
 ابن هريرة التطيلي ، انظر :
 الأعمى التطيلي
 هشام المعتدّ ابن عبد الرحمن ٢٨ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٦٠٢
 هشام بن الحكم الأموي ، انظر :
 المؤيد هشام
 هشام بن عبد الجبار بن الناصر ،
 أبو بكر ١٢٥ ، ١٢٦

هشام بن عبد الرحمن بن معاوية
٩٤٠

هشام بن عبد الملك ٩٣٢

هشام بن محمد (الخليفة) ، انظر :
المستظهر

ابن هلال الصابي ، الهلالي ،
انظر : الصابي

همّام ٧٦٢

همّام (ابن غالب) ، انظر :
الفرزدق

هند (في الشعر) ٥١٣ ، ٨٦٥
ابن هند ، انظر : معاوية بن أبي
سفيان

ابن هود (عام) ٩٤٢

ابن هود ، انظر : سليمان بن هود ؛
المظفر ابن هود ؛

المقتدر بن هود ؛

المؤمن بن المقتدر بن هود ؛

يوسف بن هود

— و —

الواثق (العباسي) ٢٨٨ ، ٩٣٧

الواثق بالله ابن صمادح ، انظر :
معز الدولة احمد بن محمد بن
صمادح

ابن وهب ١٨٣

واضح (الفتي) ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ،

٤٦

أبو وائل التغلبي (تغلب بن داود)

٣١٥ ، ٣١٦

أبو وجزة السعدي (يزيد بن

عبيد) ٧١٢

ابن وداعة (علي) ٤٦

الوزير التنوخي ، انظر : التنوخي

الوزير المهلي ، انظر : المهلي

ابن وشمكير انظر : (قابوس)

ابن وكيع ٧٧٦

ولادة بنت المستكفي ٢٣ ، ٤٢٧ ،

(٤٢٩ — ٤٣٣)

الوليد بن عبد الملك بن مروان

٩٣١ ، ٩٤٠

الوليد بن عبيد ٤٠٤

الوليد بن عقبة ٤٢١

الوليد بن يزيد بن عبد الملك ٧٧٤

٩٣٢

أبو الوليد الباجي ، انظر : الباجي

أبو الوليد الزجالي ، انظر :

الزجالي

— ي —

يافث ٩٢٨

يحيى (والد منذر التجيبي) ١٨٠ ،

يحيى بن أكرم ٩٣٦

١٨٦

يحيى بن حزم ، انظر : ابن حزم ،

أبو بكر

يحيى بن ذي النون (المأمون)

٥٧٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١

٦١٣ ، ٦١٤ ، ٧٣٢ ، ٧٧٠

يحيى بن علي بن حمود (المعتلي

بالله) ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ،

٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٨٩ ، ٤٣٦

٤٤٩ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٢

٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٦٨

٦٢٧ ، ٨٧٧ ، ٩٤١

ابو يحيى (محمد بن معن) ، انظر :

المعتصم بن صمادح

ابو يحيى ربيع الدولة ابن صمادح ،

انظر : ربيع الدولة ابن صمادح

يزيد ٩٢٨

يزيد بن عبد الملك بن مروان ٩٣٢

يزيد بن معاوية ٩٣٠

يزيد بن الوليد ٩٣٣

أبو الوليد النحلي . انظر : النحلي

أبو الوليد ابن حزم . انظر : ابن

حزم

أبو الوليد ابن زيدون . انظر :

ابن زيدون

أبو الوليد ابن طريف . انظر :

ابن طريف

أبو الوليد ابن عبدوس . انظر :

ابن عبدوس

أبو الوليد ابن الفرضي . انظر :

ابن الفرضي

أبو الوليد ابن المصيصي ، انظر :

حسان ابن المصيصي

أبو الوليد ابن المعلم . انظر : ابن

المعلم

ابن وهب (الوزير) ٩٠٤

ابن وهب بن المرسى (عبد الجليل)

أبو محمد ١٤ ، ٢٦ ، ٨١ .

١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧

٣٥٨ ، ٤٤١ ، ٧١٢

يوسف (والد ابن النغريلي) ٧٦٦ ؛

وانظر أيضاً : (ابن النغريلي)

يوسف (في الشعر) ٧٩٧

يوسف الفهري ٩٤٠

يوسف بن اسحاق الاسرائيلي ٢٣٣

يوسف بن تاشفين . أبو يعقوب

أمير المسلمين ٧٣٣ ، ٧٣٤ ،

٨٠٣ . ٩٤٤

يوسف بن هارون الرمادي ،

انظر : الرمادي

يوسف بن حمود ٧٥٢ ، ٧٥٣

أبو يوسف (في الشعر) ٩١٧

يوشع ٨٦٩

يونس (النبي) ٥٥٠

يونس بن حبيب ٨٢٦

اليزيدي . أبو محمد ٨٢٤

أبو اليسر ٢٢٤

ابن اليسع ٨٢٣

الصدراني . أبو حماسة حرزة

٣٠٥

يعرب ٨٣٠

يعقوب (النبي) ٣٨١ . ٥٦٣ .

٧٥٧ . ٧٥٩

يعقوب ، انظر : ابن السكت

ابن يعقوب . انظر : يوسف

(النبي)

يوسف (النبي . الصديق) ٦١ ،

٨٥ . ١٧٣ . ٣٢٤ . ٣٧٧

٥٦٣ . ٥٦٥ : ٧٥٣ . ٧٥٧

٧٥٩ . ٨٠٥

[٢]

فهرست الأماكن

٤٥٨ ، ٤٥٧	— أ —
اقلش ٤٣٧	آر (وادي) ٦٩
البنت ٩٤٣	أبان ٨٩٧
إلبيرة ٤٥١ ، ٤٥٨ ، ٥٥٨ ،	الأبلى الفرد ٣٨٩
٨٥٦	أبو قبيس ٢١٨
المرية ٤١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٣٠٦ ،	أحد ٣٤١
٣١٤ ، ٤٥٥ ، ٦٦١ ، ٦٦٣ ،	الأحزاب (يوم) ٤٦٤
٦٦٧ ، ٦٩٢ ، ٦٩٠ ، ٧١٢ ،	أذرعان ٢٣٢
٧٢٤ ، ٧٢٨ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ،	إرم ذات العماد ٥٥٠ ، ٦٠١
٧٣٣ ، ٧٣٥ ، ٧٣٩ ، ٧٦٧ ،	أشبونة ٥٥٠ ، ٩٠٨
٧٨٦ ، ٨٨٥ ، ٨٩٤ ، ٩٤٣ ،	إشبيلة (حمص) ١٩ ، ٢٥ ،
الأندلس (الجزيرة الأندلسية) ١٥	١٠١ ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، ٣١٥ ،
٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ،	٣١٦ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ،
٤٦ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ،	٣٣٩ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٤٠٣ ،
٩٩ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١٢٤ ،	٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٦ ،
١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٦٩ ، ١٨٢ ،	٤٨٢ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٥٥٩ ،
١٨٨ ، ٢٤١ ، ٣٣٨ ، ٤٥٥ ،	٦٢٧ ، ٧٣٩ ، ٨٢٩ ، ٨٤٠ ،
٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ،	٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٩٤٢ ،
٤٦٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٥٣٦ ،	أصبهان ١٠٢
٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ،	إصطخر ١٧٠
٦٠٧ ، ٦١١ ، ٦٤٠ ، ٦٦٥ ،	إفريقية ٣٠ ، ٩٦ ، ١٨٨ ،

بغداد ٧٢ ، ٥١٤ ، ٧١٤ ،
٧٢٤ ، ٨١٧ ، ٨٦١ ، ٩٣٥ ،
٩٣٩

البَلَقَاء ٥٥٠

بَلَنَسِيَّة ٢٧ ، ٢٨ ، ١٩٨ ،
٤٥٦ ، ٧٣٠ ، ٧٣٢ ، ٩١٦ ،
٩٤٣

بِهو الساباط (بقرطبة) ٤٩
بوصير ٩٣٤
البُونت ٤٥٥

— ت —

تَدْمِر ٩٠٢
تُدْمِر ١٨٣ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
٧٣٢
تُسْتَر ٥٣٣
تُطِيلَة ١٨٣ ، ١٨٦
تلمسان ٤٦١
تَهَامَة ٢٢٨ ، ٧١٧
تيماء ٧١٤

— ث —

ثَبِير ١٤ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٥٩٨ ،
٨١٦
الثغر ٤٣ ، ٤٤ ، ١٣٢ ، ١٨١ ،
١٨٢

٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥
٧٩١ ، ٨٠١ ، ٨٠٩ ، ٨١٠
٨٢٦ ، ٨٨٥ ، ٨٢٤ ، ٩٤٠

٩١٩ ، ٩٣١ ، ٩٤٣

الأهواز ٩٣٩

إيوان كسرى ٥٥٠ ، ٦٧٣

— ب —

باب الحمام (من قرطبة) ٥٤
باب الزاهرة ١٢٧ ، ١٢٨
باب السُدَّة (من قرطبة) ٩٧
باب عامر (من قرطبة) ٩٨
باب الوزراء (من قرطبة) ٤٩
بابل ٧٦٣
باغُه ١٢٣

البحر المحيط ١٤ ، ٢٥

البحرين ٥٥٠

بدر ٣٤١

بَرْبَشْتَر ٢٨

برشلونة ١٨٣

بُرْقة شَهد ١٣

البُرْكان ٥٥٠

بَرْهَوْت ٢٧٦

البصرة ٤٠ ، ٢٣٨ ، ٥٤٥ ،

٨٢٤ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥

بَطْرَنَة ٢٩

بَطْلَنِيوس ٣٦٧ ، ٣٨٨ ، ٩٤٢

الثغر الأعلى ٦٠ ، ١٨٠ ، ١٨٣ .
٩٤٢

تهلان ٩٢ ، ٥٩٨ ، ٨١٩

ج -

الجامع الاموي ٩٣١

جبل اللكام ٥٥٠

جرعاء الأبارق ٢٧٧

الجزيرة الأندلسية ، انظر :
الأندلس

الجزيرة الخضراء ٦٠ ، ٤٣٨ ،
٤٤٩

جزيرة سُقُر ٢٤ ، ٩١٦

جزيرة الغم ٥٥٠

جليقية ٢٤١

الحمل (يوم) ٩٣٠

الجُودي (جبل) ٢١٦

جَيَّان ١٢٠ ، ٧٥٧ ، ٨٠٥

جَيَّبُونَة ٥٥٠

ح -

الحجاز ٥٣٧ ، ٦٧٣ ، ٩٤٢

الحجازان ٥٥٠

الحجر اليماني ٥٠٤

الحرمين ٩٣١

الحرّة ٩٣٠

حصن آش ٤٥٩

حصن ابن الشرب ٣٧٩

حصن رُوطَة اليهود ١٨٨

حصن المدوّر ٧٢٧

حلب ٣١٥

حمص ، انظر : اشبيلية

حومل ٢٤٩

خ -

خراسان ٩٣ . ٤١٠ ، ٥٥٩ ،

٩٣٣ ، ٩٣٤

خَفَّان ٤٢٠

خَيْبَر ٢٧٣

الخيف ٤٥٢

د -

دار ابن النعمان ١٩٦

دائرة جلجل ٢٤٩

دائرة الشرقي ٤٢٢

دارين ١٤٨ . ٢٠٤

دانية ٣٠ ، ٢٠٨ ، ٢٢٧ ،

٧٣١ ، ٩٤٣

دجلة ٧٢٤

دمشق ٣١٥ ، ٩٣١

الدّهناء ٨٢٧

دير حنة ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠

ذ -

ذات الأكيراح ٢٥٩ ، ٢٦٠

ذو الأثل ٢٧٧

ذو سَلَم ١٧٧ ، ٤٠٠

- ر -

الربض الشرقي (من قرطبة) ٦١٠
الرّصافة (من قرطبة) ٤٢٢ ،
٤٢٣ ، ٥١٩
رَضوى ٨٨ ، ١٣٩ ، ٨١٦ ،
٨٩٧
رِيّة (الاسم القديم للالقة) ٨٦٧

- ز -

الزاهرة ٥١ ، ١٢٨ ، ٢٢٠
الزلاقة ٩٤٤
زميزم ٦٨٩
الزّهراء ٣٧ ، ٥١ ، ٣٦٤ ،
٤٢٣ ، ٤٣٦

- س -

ساباط ٧٧
سَبَبَة ٢٦ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٣ ،
١٠١
سجستان ٨٣٠
سردانية ٩٤٣
سرقُسطَة ٦٠ ، ٦١ ، ٩٢ ،
١٠٣ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،
١٨٦ ، ١٨٨ ، ٢٧٣ ، ٧٢٥ ،
٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٨٥١

سقط اللوى ٢٤٩

سلمى ٣٤٣

سنداد ٨١٦

السّهلة ٩٤٣

السودان (غانة) ٥٥٠

- ش -

شاطبة ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٤٥٦ ،
٦٣٠ ، ٦٣٧ ، ٩٤٣
الشام ١٢ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٦٠ ،
٣١٥ ، ٩٠٨

شدونة ٤٨٥

شرق غرناطة ٨٩٦

شرق الاندلس ٢٣ ، ٢٧ ، ٩٩ ،
٣٣٧ ، ٦٠٦

شرق العقاب ٤٢٣

شُرُنْبَة (نهر) ٦٨

شريس ٤٨٥ ، ٤٨٦

الشّريف ٢٥٠

شَقُنْدَة ٣٧

شيلب ٤٢٦

شلطيش ٥١١ ، ٦٢٤

شَمَام ٤٢١

شَنْتَرِين ١٩ ، ١٤٤

شيراز ٨٤٦

- ص -

صداء ٨٣٦

صفين (يوم) ٦٤١ ، ٩٣٠

صنعاء ٧٢

- ض -

ضارج ٤٤٦

- ط -

طَلَيْطَلَة ٣٠ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٧٠٢ ، ٩٤٢

- ع -

عاصم ١٩٩

عالج ٤٥١ ، ٧٢١ ، ٨٠٨

عبقر ٥٣٣ ، ٧٤٣

العُدْوَة ٤٨١ ، ٦٢٦

العدوتان ٨٦١

العذيب ٧١٦

العراق ١٢ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٦٠ ،

٩٣ ، ١٧٣ ، ٤٦٢ ، ٥٤٩ ،

٧٤٠ ، ٩٠٨ ، ٩٢٣ ، ٩٣٠

٩٣١

العراقان ٥٥٠

العزى (ضم) ٧١٤

العقاب (الربوة) ٨٥٨

العقيق (من الأندلس) ٤٢٣

العقيق (بالمدينة) ٢٥١ ، ٤٤٦ ،

٤٥٢ ، ٦٧٣ ، ٧١٦

عُكاظ ٧٨٧

عُمان ٤٢٠

عمورية ٩٢٦

عين شهدة ٤٢٣

- غ -

غافق ٨٢٩

غرب الأندلس ١٩ ، ٢٥

غرناطة ٢٤ ، ٤٥٣ ، ٤٥٦ ،

٤٥٩ ، ٦٤٩ ، ٦٥٧ ، ٧٦٦

٧٦٨ ، ٨٠٥ ، ٨٥٤ ، ٨٨٧

٨٩٦ ، ٩٠٤ ، ٩٤٣

الغور ١٧٧ ، ٦٩٦

- ف -

فارس ١٧٠

فاس ١٩٠

الفرات ٢٧٦ ، ٧١٤ ، ٧٢٤

فَيْند ٣٦٦

- ق -

قَبْرَة (مدينة) ٩٥

قرطبة ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ،

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ،

٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ،

٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ،

٦٧ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،

٩٩ ، ١٠١ ، ١١٨ ، ١٧٣ ،

١٨١ ، ١٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢٣٣ ،

٢٣٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٠٤ ،

٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ،

٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٥٥ ، ٤٠٣ ،

قونكة ٢٠٨
القيروان ١٤ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٩١ ،
٢١٦ ، ٣٨٣ ، ٤٥٨ ، ٥٨٨ ،
٨٨٣

— ك —

الكرج ٣٠١
كترض ٤٦١
الكعبة ٦١٥ ، ٦٤٦
كفر توثي ٥٥٠
الكوفة ٨٢٦

— ل —

لاردة ١٨٦
لبنة ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٣٨٦ ،
٣٨٧ ، ٧٦١
لبنان ٤٤٦ ، ٧٢٥
لورقة ٧٣٢
ليط (ايضاً : أليط) ٧٣٣

— م —

مأرب ٨٨ ، ٨١٦
مارد (قصر) ٣٨٩
مالقة ٣٢١ ، ٣٣٨ ، ٤٣٨ ،
٤٧١ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥
٤٨٦ ، ٨٥٨ ، ٨٥٥ ، ٨٧١
المدينة ٤٦٤
مرج دهمان ٢٦٧
مرج راهط ٩٣١

٤٠٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ،
٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ،
٤٣٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ،
٤٥٦ ، ٤٦١ ، ٤٦٨ ، ٤٧٣ ،
٤٧٥ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ،
٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٥٠٧ ،
٥٢٢ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤٣ ،
٥٥٨ ، ٥٦٢ ، ٥٩٤ ، ٥٩٦ ،
٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ،
٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ،
٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ،
٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦٥٠ ،
٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٧٠ ،
٧٩١ ، ٨٠٨ ، ٨١٣ ، ٨١٧ ،
٨٢٢ ، ٨٤٠ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ،
٩٤٢ ، ٩٤١

قرمونة ٣٠٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،
٣١٨ ، ٦٢٥ ، ٦٥٦

قرية أبي الجودي ٢١٦

القسطنطينية ٩٣٦

قشتيلة ١٨٣

قصر الفارسي ٤٢٣

قلشانة ٤٨٥

قنشي (وقعة) ٤٣ ، ٤٤ ، ٦٩

قنطرة قرطبة ٦١١

نعمان ٤٤٦ ، ٧٢١ ، ٧٩٨ .

٨٠٨ ، ٨٦٠

نهر قرطبة ٤٥٦

النيل ٧١٤

— ه —

الهباءة (يوم) ٩٤

الهند ٤٠ ، ٤٧٦ ، ٩٢٧

— و —

وادي آش ٣١٤ ، ٤٥٥ ، ٦٩٢

وادي الأشبونة ٥٥٠

وادي الدّوم ٤٦٥

وادي العقيق ٤٢٢ : وانظر أيضاً :

العقيق (من المدينة)

وادي مائقة ٨٥٨

وشقة ٧٢٩ ، ٧٣٠

— ي —

يابرة ٣٨٦ ، ٣٨٨

يثرب ٩٣٤

يزبل (جبل) ٤٢١ ، ٨٩٦

اليرموك ٢١٧

مرسية ٧٢٤ ، ٩٤٣

المسجد الجامع (بقرطبة) ٤٩

المشرق ١١٠ ، ١٦٩ ، ٥٣٧ ،

٥٤٣ ، ٥٧٧ ، ٦١٥ ، ٨٠٩ ،

٨٢٦ ، ٩١٩

مصر ٩٥ ، ٢٢٦ ، ٥٣٧ ، ٧١٤ ،

٩٢٣

المغرب ٩٦ ، ٢٧٦ ، ٤٧٩ ،

٨٠٥

المغربان ٨٦١

مكة ٦٨ ، ٢١٦ ، ٢٣٤ ، ٤٩٩ ،

٧١٦ ، ٧١٨ ، ٩٣١ ، ٩٣٤

مناة (صنم) ٧١٤

منّعج ٢٣٥ ، ٣٤٣

المُنكَب ٤٥٨ ، ٤٥٩

مُنْية المُغيرة ١٩٦

موسطة الانداس ٢٢ ، ٣٣

الموصل ١٠٢

— ن —

نجد ٢٢٨ ، ٣٤٩ ، ٣٦٦ ،

٦٧٣

[٣]

فهرست القبائل والامم والطوائف

٦٩ ، ١٨١ ، ٤٥٣ ، ٥٤٤ ،

٤٥٦

بنو الأفطس ٢٦

بنو أمية (الأمويون ، الأموية)

٥٩ ، ١٠٩ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،

٣٢١ ، ٥٤٥ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ،

٦٠٦ ، ٨٠٩ ، ٩١٩ ، ٩٢٩ ،

٩٢٩ ، ٩٣٣

الأندلسيون (أهل الأندلس) ٤٥٤

٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٩ ،

٤٨٣ ، ٦٥٩ ، ٧٣٢ ، ٨٠١ ،

الأوس ٧٢ ، ١٦٠

— ب —

البرابرة (البربر ، البرابر) ٣٧ ،

٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ،

٤٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٨ ،

٦١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،

٩٩ ، ١٨١ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ،

٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ،

— أ —

آل أبي طالب ٩٣٤

بنو أبي عامر ، انظر : بنو عامر

بنو أبي عبدة ١١٠

الأتراك ٥٤٠ ، ٥٧٧ ، ٩٣٧ ،

٩٣٩

الأزد ٣٨٩ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٩٠١ ،

الأساورة ٤٢٠

بنو أسد ٣٩٠

بنو إسرائيل ٢١٥ ، ٧٦٩ ،

٨٤٠

أشجع ٢٣٠ ، ٢٥٨

أصحاب الرقيم ٦٨٩

الأعاجم (العجم) ٣١٨ ، ٥٧٧ ،

الأعراب ٧٥ ، ٢١٦ ، ٧١٢ ،

٨٤٦

الأعزاز ، انظر : الغز

الإفرنجية (الإفرنج) ٣٦ ، ٤٥ ،

- ج -

بنو جبريل ٧١٥
جَدِيس ٦٥١
جُرْهُم ٢٥٥
بنو الجزيري ١٢٣
الجعفرية ٤٢٤
الجلالقة ٣٦ . ١٨١ . ١٨٢ .
بنو جهور . الجهاورة . الجمهورية
٢٣ . ٣٤٦ . ٣٥٤ . ٣٨١ .
٣٨٤ . ٣٩٣ . ٤٢٠ . ٦٠٢ -
٦١١ . ٩٤٢ (وانظر آل
عبدة)
بنو جودي ٨٥٤

- ح -

بنو حُدَيْر ١١١
بنو الحكم ٢٩٣
بنو حمود . الحموديون . الحمودية
٢٨٢ . ٤٥٣ . ٤٦٨ . ٦١٧
٨٧٠ . ٩٤١
حمير ٧١ . ٧٤ . ١٧٩ . ٤٠١
بنو حنيفة ٣٢٥

٤٦٠ ، ٤٨١ . ٤٨٢ . ٤٨٥

٦٠٢ . ٦٠٤ . ٦١٥ . ٦٢٦

٩٤١ . ٨٩٨ . ٦٦٢

البراهمية ٩٢٥

بنو بُرْد (آل برد) ١٠٣ . ٤٨٦

بنو برمك ٨٢٦ . ٩٣٥

بنو بَسِيل ١١١

البَشْكُنَش ١٨٤

البطاريق ٦٨١

بكر (البكريون) ٧١ . ٦٢٤ .

٧١٧ . ٩٠١ . ٩٠٣

بَلْعَجَلان (بنو المعجلان) ٣٠٩

- ت -

تَبَع ٧١ . ٧٥
تُجِيب ٦٥ ، ٧٢ ، ١٧٩ ،
٦٤٢ ، ٧١٨ ، ٧٢٩ ،
تغلب ٧١ ، ٩٠٣
تميم (قبيلة) ٤٦٣ ، ٥٥٠

- خ -

آل خالد ١١٠

الخزرج ٢٧٩

الخزرج ١٦٠

خندف ١٧٨

الخوارج ٧١٤ . ٩٣٠

- د -

بنو دارم ٧٦ . ٧٧ . ١٥١ .
٢٠٠

الدائرة (بالآندلس) ٤٩ . ٥٣ .

٥٤ . ٥٨ . ٤٣٥ . ٤٣٦

الديلم ٥٧٧

- ذ -

ذبيان ٧١ . ٩٤ . ٧٥٢

بنو ذكوان . الذكاونة ٣٨٤ ،

٥٩٢

- ر -

الرثوم ١٤ ، ١٧ . ١٩ . ٢٧٩ ،

٣١٢ . ٧٠٥ . ٧٤٥ . ٨٥٨

٨٩٨ . ٩٣٢ . ٩٤٣

- ز -

زناتة ٦٨ . ٩٤ . ١٠١ . ١٩١

٤٥٢ . ٤٥٦ . ٤٦١ . ٦٥٦

٦٥٩

الزنج ٢٦٦ . ٢٧٧ . ٨٥٨ ،

٨٩٨

- س -

بنو ساسان ١٥٧ ، ٧١٨ ، ٨٢٥

سبأ ٧١ ، ٧٥

السكون ٧٢

سلول ٩٠١

السودان ٣١٨ ، ٤٨١ ، ٦٥٩

- ع -

عاد ٧١ ، ٢٥٥

بنو عامر ، بنو أبي عامر ،
العامريون ، العامرية ٣٣ ،
٣٦ ، ٩٥ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ،
٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٢٠ ، ٣٠٥
٤٦٨ ، ٤٨٦ ، ٥٨٨ ، ٨٢٦ ،
٩٤٠ ، ٩٤١

عامر (قبيلة) ٥٠٧ ، ٨٦٥ ، ٩٠١
العباديون ، آل عباد ، بنو عباد
٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٦١٠ ، ٨١٦ ،
٩٤٢

العباسيون ، بنو العباس ٩١٩ ،
٩٣٣ ، ٩٣٩

بنو عبد اخميد ٤٨

عبد شمس ، العبشيميون ٥٦ ،
٩٣٣

آل عبدة ٦٠٤ (وانظر بنو
جهور) .

عبس ٧١ ، ٧٥٢

بنو شهيد ١٠٣ ، ١١١ ، ٢٠٧ ،
٢٣٠ ، ٢٥٨ ، ٣٣٦

بنو شيان ٧١٨

الشيعة ٦٥٥

- ص -

بنو صباح ٨٤٥

صقالبة (بني مروان) ١٠٠
الصقلاب ١٠١ ، ١٨٥ ، ١٩٨ ،
٦٥٨ ، ٦٦٣ ، ٨٩٨ ، ٩٤١ ،
٩٤٣

بنو صمادح ٢٤ ، ، ٦٩٢ ، ٩٤٣
صنهاجة ٦٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ،
٤٥٣ ، ٤٥٧ ، ٤٥٦ ، ٤٥٩ ،
٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٦٥٦ ، ٦٥٨ ،
٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٨٢٠

- ض -

بنو ضبة ٨٤٥ ، ٨٤٦

- ط -

آل طاهر ٩٤٣

الطباينة ، بنو الطنبلي ٢٣ ، ٥٤٢
طسّم ٦٥١
طّي ٧٢

قحطان ٧١ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٥٧

١٧٨

القرامطة ١٠٢ ، ٩٣٨

قريش (القرشيون) ٣٢ ، ٧٠ ،

١٠٤ ، ١١٠ ، ١٥٢ ، ١٦٩

٣٤٠ ، ٤٦٤ ، ٥٩٤ ، ٨٤٠

بنو قريظة ٣٤١ ، ٤٦٤

قشير ٣٠٩

قُضاعة ٧١٦ ، ٧١٧

القوامس ١٨١

القُوط ١٤

قيس بن عيلان (قبيلة) ٢٥٥ ،

٧١٣

— ك —

كلاب بن ربيعة ٥٤٥ ، ٨٠٩

كلب ٢٥٥

كنانة ٤٦٤ ، ٦١٨

كيندة ٧٢ ، ٤٨٩

كهلان ٨٣٤

بنو كوثر ٩٥٥

— ل —

لخمْ ٨٢٩

— م —

آل مامة ٨١٦

بنو العَجَلان ٥٤٤

العجم ، انظر : الأعاجم

عدنان (قبيلة) ٧٠

عذرة ٢٤٥

العرب ٧٦ ، ١٩١ ، ٢٣٦ ،

٢٣٨ ، ٢٦٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١

٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٥١١ ، ٥٣٠

٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨٠

٦٧٣ ، ٧٤٥ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨

٨١٩ ، ٨٢٢ ، ٨٩٨ ، ٩١٥

عَرَب المشرق ٣٣

آل علي ٩٣٤

— غ —

الغز ٩٣٩

غزيرة ٦٢٦

غَسَّان ٥٦٢

— ف —

آل فاطمة (بنت يذكر) ٧١٧

الفتيان العامريون ٧٣٠ ، ٩٤٣

الفرس ٤٢٠ ، ٥٥٦

فزارة ٤٦٢ ، ٥٩٩

— ق —

آل قاسم ٩٤٣

القَيْط ٩٥ ، ٣٥٧

المالونية ٣٦٤	الموالي المروانيون ٨٠٩
المجوس ٩٢٥ ، ٥٥٠	- ن -
مُحارب ٤٦٢ ، ٤٦٣	آل الناصر الأموي (زمن الفتنة)
آل محمد ، آل النبي ٨٨ ، ٤٤٩	٣٧ ، ٥٥
مخزوم ٣٣٦ ، ٨٥٣	النبط ، النبط ٨٣٨
بنو مِرْدَاخاي ٦٤٧	النصارى (المسيحيون) ٤٣ ، ٤٤
بنو مروان . المروانيون . المروانية .	٦٢٧ ، ٦٤٩ ، ٦٤٠ ، ٦٥٢
١٤ ، ٣٥ ، ٥٠ ، ٨٢ ، ٩٩	٦٨٢ ، ٨٨٥ ، ٩٢٥
١٠٠ ، ١٢٥ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦	النمر بن قاسط ٧١٦
٤٨٦ ، ٥٦٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٨	نمير ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٥٤٥ ،
٦٠٦ ، ٩٤٠	٥٤٦
- ه -	
آل مسلمة ٨١٦	آل هاشم ، الهاشميون ٢١٥ ،
المسيحيون ، انظر : النصارى	٣٢١ ، ٤٥٢
مضر ١٧٨	بنو هلال ٧٦
معافير ٢٠٧	بنو هُود ٧١ ، ٧٤ ، ١٧٩ ،
المعتزلة (الفئة البصرية) ٩٢٢	٦٩٢ ، ٧٢٥ ، ٧٢٧
المغاربة ٣٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩	- و -
مغراوة ٤٥٦	وائل ٧١٦
ملوك الطوائف ٥٧٣ ، ٥٨٦ ،	- ي -
٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٩١ ، ٩٤٢	يأجوج ٣١٤
المناديون ، بنومناد ١٨٨ ، ٤٥٨	يَعْرُب ٧١ ، ٧٤ ، ١٥٧
آل منذر ١٨٨	بنو يفرن ٦٠٢
الموالي ١١١	يمن ٧٥ ، ٦٤٩
الموالي العامريون ٤٥ ، ٤٥٣ ،	اليهود ١٥٩ ، ١٧٠ ، ٦٥٢ ،
٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧	٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٩ ، ٧٧٤
٦٥٨ ، ٦٦٧	٩٢٥

[٤]

فهرست الكتب المذكورة في المتن

- أ —
- كتاب أبيات المعاني للقتبي ٨١١
 كتاب أخبار أبي تمام للصولي ٢٧٩
 أخبار بغداد لابن أبي طاهر ٣٦٦
 كتاب أخلاق النفس لابن حزم ١٧١
 الإشارة إلى معرفة الرجال والعبارة لابن فتوح ٧٧٠
 كتاب الأصول لابن السراج النحوي ٧٩٣
 الإغراب في رقائق الآداب لابن فتوح ٧٧٠
 الإمامة والسياسة لابن حزم ١٧١
 الأمثال لحمزة الأصبهاني ٨١١
 الإيصال إلى فهم كتاب الحاصل لابن حزم ١٧١
- ب —
- البارع لابي علي البغدادي ٨١١
 البخلاء للجاحظ ٥٣٧ ، ٦٤٣
 بستان الملوك لابن فتوح ٧٧٠
 البيان للجاحظ ٢٣٣
- ت —
- كتاب التاريخ لأبي مروان بن حيّان (التاريخ الكبير المسمى بالمتين او التاريخ الصغير المسمى بالمقتبس) ١٨ ، ٣٥ ، ٩٦ ، ٣٣٧ ، ٥٧٥
 تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن القرضي ٦١٦
 كتاب التلخيص والتخليص لابن حزم ١٧١
 التّيجان لابن دريد ٤٦٠
- ج —
- الجامع في صحيح الحديث لابن حزم ١٧٠
 الجفّر ٦٥١
- ح —
- الحقائق لابن فرج الجياني ١٣ ، ٨١٤
- ذ —
- الذخيرة في محاسن أهل هذه الجزيرة لابن بسام ١٤

- الظاهر وأصحاب القياس لابن
 لابن حزم ١٧١
 كتاب ابن حيان . انظر : كتاب
 التايخ لابي مروان بن حيان
 كتاب في الرد على الفقيه ابي محمد
 ابن حزم ٧٦٦
 كتاب في شرح حديث الموطأ لابن
 حزم ١٧٠
 كتاب في شعر المتنبي (شرح شعر
 المتنبي) لابن الافليلي ٢٨٢
- م —
 كتاب منتقى الإجماع وبياناه من
 جملة ما لا يعرف فيه اختلاف
 لابن حزم ١٧١
- ن —
 كتاب النّبات لابي حنيفة الدينوري
 ٨١١
 نقط العروس لابن حزم ٤٣٣
- ي —
 يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر
 للشعالي ٣٢ ، ٣٤ ، ٦٠ ،
 ٥٤٦ ، ٦٢١
- ر —
 رسالة ابن غرسية ٢٩
- ز —
 الزّهرة لابن داود الظاهري ١٣
- س —
 سرّ الأدب وسبك الذّهب لابن
 برد الأصغر ٤٨٦
- ش —
 شرح ابن درّستويه لكتاب سيويه
 ٢٧٤
 شرح غريب الحديث للخطابي ٨١١
- ص —
 كتاب الصّادع والرّادع لابن حزم
 ١٧٠
- غ —
 العقيد لابن عبد ربه ١٣٥ ، ٤٦٩
- ف —
 الفصل بين أهل الآراء والنّحل
 لابن حزم ١٧٠
- ك —
 كتاب سيويه ٢٧٤
 كشف الالتباس ، ما بين أصحاب

فهرس القوافي

— قافية الألف المقصورة —

الثرى	الكامل	أبو عمر الالبيري	٨٥٠
-------	--------	------------------	-----

— قافية الهمزة —

أضاءها	الطويل	قيس ابن الخطيم	٢٥٢
فناءها	الطويل	ابن شهيد	٢٥٢
واطىء	الطويل	ابن الحداد	٧٠٩
أنداء	البسيط	أبو جعفر التطيلي	٣٠٣
والحياء	مخلع البسيط	المتنبى الاندلسي	٩١٨
ظيماء	الوافر	ابن دراج	٨٤
سواء	الكامل	الرمادي	٣٠٨
ذُكاء	الكامل	ابن فتوح	٧٧٩
الرُحَضَاءُ	الكامل	المتنبى	٨٤٣
وأجأ	الكامل	ابن القزاز	٨٠٤
السَّناء	مخلع البسيط	ابن الرومي	٥٠٦
الأمراء	الكامل	ابن الرقاق	٣٤٣
وذكاء	الكامل	ابن فتوح	٧٨٤
الغَمَاءُ	الكامل	أبو تمام	٥٥١
شَنَعَاءُ	الكامل	أبو عبدالله بن مسعود او	
		غيره	٥٥١

١٣١	ابن العميد	الكامل	الماء
٧٩٦	الاسعد بن بليطة	الكامل	الماء
٧٩٥	ابو تمام بن رباح	الكامل	ماء
٧٥٨	ابو تمام بن رباح	الكامل	ظلمائه
٨٥٨	ابو محمد غانم	الكامل	بكائه
٨٢٢	التهامي	الكامل	سودائه
٣٢٦	العباس أو بشار	مجزوء الكامل	بالرداء
٥٠٦	ابن المعتز	مجزوء الكامل	رائه
٣٠٢	المنفلت	السريع	الأحباء
٧٩٧	ابن بليطة الاسعد	السريع	دأما
٨٩٣، ٨٨٣	—	الخفيف	هجائي
٣٢١	ابن الرعلاء	الخفيف	الأحياء
٤٠٩	ابن الرومي	الخفيف	بالإغضاء
٥٥٩	أبو عبد الله ابن مسعود	الخفيف	والأمراء
٨٢٨	—	المتقارب	بالعراء

— قافية الباء —

٣٠٤	ابن شهيد	مخلع البسيط	راتب
٩١٥	الحضرمي	مطوي البسيط	المشيب
٢٢٠	ابن شهيد	الكامل	الثياب
٥١٧	—	الرجز	الذَّهَبُ
٧٨١	ابن برد الأصغر	المتقارب	الذَّهَبُ
٥١٦	ابن برد الأصغر	المتقارب	بالعَجَبُ
٧٨٠	ابن فتوح	المتقارب	السَّحْبُ
٤١٦	الأعشى	الطويل	ومَسْحَبَا

٢٩٠	المتنبي	الطويل	رَکبا
٢٩٥	عم ابن شهيد	الطويل	قوريا
٢٧٤	الخطيئة	البسيط	الذنب
٩١٥	ابو العباس ابن قاسم	البسيط	الأبواب
١٤٤	ابن وهبون	الوافر	صليبا
٤٦٣	جرير	الوافر	انصبابا
٥٤٥	جرير	الوافر	كلابا
٧٣٩	النحلي الشاعر	الوافر	فبابا
٣٨٢	محمد بن هانيء	الكامل	تغضبا
٥١٥	محمد بن هانيء	الكامل	كوكبا
	ابن اللمائي (أو الخباز	الكامل	نهبأ
٦٢١	البلدي)		
٧٥٦	المنفقل	الكامل	مغربا
٧٩٣	محمد بن هانيء	الكامل	عقربا
٣٨٠	ابن زيدون	الكامل	الغريبيا
٤٤٨	ابو علي ابن رشيق	الكامل	تهذيبا
٥٧٥	—	مجزوء الكامل	مُحِبَّة
٢٩٤	عبد الملك ابن شهيد	مجزوء الرمل	لُنبيا
٣٨٢	أبو تمام	الخفيف	ومُجيبا
٣٨٢	أبو تمام	الخفيف	والتشيبا
٨٠٥	ابن القراز	الخفيف	تشريبا
٦٨٧	عمر بن الشهيد	المقارب	نصيبا
٣٠٧	ابن شهيد	المقارب	الخطابة
٨٢٨	—	الطويل	الذوائب
٣٦٤	المتنبي	الطويل	تكذب

٩٠٢	مخارق بن شهاب المازني	الطويل	يَتَحَوَّبُ
٤١٥	النابعة الذبياني	الطويل	المهذبُ
١٧٣	أبو محمد ابن حزم	الطويل	الغربُ
٢٨٩	المتنبي	الطويل	لعابُ
٨٣٨	المتنبي	الطويل	كتابُ
١٤	ابن وهبون	الطويل	عقابُ
٣٥٨	أبو حكيمة	الطويل	غريبُ
٣٥٨	—	الطويل	غريبُ
٣٥١	ابن عمار	الطويل	ذِيبُ
٨٨٣	—	الطويل	قريبُ
٨٧٨	ابن السراج المالقي	الطويل	شحوبُ
٨٤٥	—	الطويل	فأجيبُ
٨٧٠	أبو محمد غانم	الطويل	لييبُ
٩٠٣	المتنبي	الطويل	وشيب
٥٤٨	أبو بكر ابن عمّار	الطويل	أتوبُ
٨٣٢	أبو الطمّحان القيني	الطويل	ثاقبهُ
٢٨٩	المتنبي	الطويل	وحبابها
٣٤٣	—	الطويل	سحابها
٨١٩	ابن عبد العزيز الوزير	البيسط	الشّهبُ
٧١٢	النابعة الذبياني	البيسط	فتتنسبُ
١٤٥	ابن اللبانة	مخلع البيسط	الكثيبُ
٣٠٣	الأعمى التطيلي	مخلع البيسط	ضريبُ
٨٨٩	السميسر	مجزوء الرمل	سرابُ
٤٤٨	ابن الحنّاط	الكامل	ينوبُ
٦٨٢	—	الكامل	يُنْهَبُ
٧٩٢	الاسعد بن بليطة	السريع	سُكَبُ

٨٨٤	السميسر	الخفيف	يحب
٥١٨	تميم بن المعز	الخفيف	غرابُ
٨٥٩	أبو محمد غانم	مجزوء الخفيف	أُغربُ
٨٩٩	السميسر	مجزوء الخفيف	عائبهُ
١٦٤	أبو محمد ابن حزم	المتقارب	السَّبَابُ
١٦٥	أبو المغيرة ابن حزم	المتقارب	الصوابُ
١٦	أبو تمام	الطويل	الذواهبِ
٣٦٥	الفرزدق	الطويل	بالعصائبِ
٢٨٤	النابعة الذبياني	الطويل	بعصائبِ
٣٢٣	ابن أبي فنن	الطويل	السواكبِ
٧٣٧	رفيع الدولة بن صمادح	الطويل	الكواذبِ
٧٤٠	ابن مالك القرطبي	الطويل	أصاحبِ
٩٠٣	بكر بن النطاح	الطويل	تَغْلِبِ
٣٦٧	المجنون	الطويل	يذهبِ
٣٦٦	ابن الجهم	الطويل	معذبِ
٤١٢٠٣٥٦	امرؤ القيس	الطويل	مُغْلِبِ
٦٥٣	—	الطويل	بضربِ
١٧٦	—	الطويل	وقلوبِ
٤٢٧، ٣٧٤	ابن زيدون	الطويل	الغربِ
٤٣١	ابن زيدون	الطويل	ضربِ
٤٤٢	—	الطويل	واللبِّ
٧٨٦	العباس بن الأحنف	الطويل	وبالعتبِ
٨٥٠	أبو عمر الالبيري	الطويل	الحبِّ

٤٣١	—	الطويل	حبي
٤٧٣	عبادة	الطويل	شرا به
٨٤٢	المتني	البسيط	واليلب
٨٥٩	—	البسيط	يَنْسُب
٨٥٩	أبو محمد غانم	البسيط	الشهب
٧٧٨	أبو تمام	البسيط	الحزب
٣٦٤	المتني	البسيط	يغري بي
٨٩٨	—	البسيط	يلعب بي
١٢٩	ابن برد الكبير	البسيط	مقطوب
١٣٠	صاعد	البسيط	مأشوب
٥٦٣	ابن مسعود البجاني	البسيط	التكاذيب
٧٣٩	المعتصم بن صمادح	البسيط	مَرَبِه
١٤٩	ابن رشيق	مخلع البسيط	طيب
٨٩٢	السميسر	مخلع البسيط	والطيب
٩١٤، ٥٠٦	الحلواني	الوافر	الصواب
٥٨	المستظهر	الوافر	الخطاب
٨٣٠	أبو عبد الله ابن حمدين	الوافر	كتاب
٣٢٤	أبو الشيص	الوافر	سكوب
٥٠٧	أبو نواس	الوافر	النصيب
٨٩٣	—	الوافر	الطيب
٧٧٦	تميم بن المعز	الوافر	ويُصَي
٥١٨	البحري	الوافر	الطُّحْلُب
٧٩١	الاسعد بن بليطة	الكامل	مذنب
٦٢٢	ابن اللماي	الكامل	ومؤدني

٢٩٢	ابن شهيد	الكامل	مشرَّب
٧٨٠	ابن الرومي	الكامل	ومحتجب
٣٢٥	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	أصحابي
٧١٢	المعري	الكامل	أنسابه
٣٦٧	ابن زيدون	الرجز	تصوبا
٣١٢	أبو تمام	الرجز	ثيابه
٨٩٣	السميسر	مجزوء الرجز	المريب
٢١٠	ابن شهيد	الرمل	العنب
٣٠٩	ابن شهيد	الرمل	شَنَّب
٥٠٧	ابن برد الأصغر	مجزوء الرمل	القلوب
٧٨٣	ابن فتوح	مجزوء الرمل	الكتّاب
٣٧٤	العباس بن الأحنف	السريع	القلب
٦٨٤	—	السريع	سَبَسَب
٨٢٤	أبو محمد اليزيدي	السريع	العاجب
٣٦٧	الحبزي أرزي	السريع	يَتَبِه
٤١٣٠٣٥٦	—	المنسرح	حطيه
٤٩٠	أبو تمام	المنسرح	أدبه
٢١٣	ابن شهيد	الخفيف	الأحزاب
٢٥٧	ابن شهيد	الخفيف	الأسباب
٣٩١	صالح بن عبيد	الخفيف	شبابي
٣٠٩	أبو القاسم ابن العريف	الخفيف	بَسَب
٥٤٨	أبو الحسن الطنبي	الخفيف	حُي
٨١٨	ابن طريف	المقارب	باب

— قافية التاء —

٧٩٧	الأسعد ابن بليطة	المتقارب	البيوت
٨٣٩	————	الوافر	شددنا
٧٩٦	الاسعد ابن بليطة	الكامل	ممقوته
٥١٠	ابن برد الأصغر	السريع	أصلتنا
٧٧٧	ابن برد الأصغر	السريع	يَنْبُتَا
٧٩١	الاسعد ابن بليطة	المنسرح	واللينا
٧٩٥	————	مخلع البسيط	الصفات
٤٢٥	ابن زيدون	الوافر	جُفِيَتْ
١٢٢	عمران بن حطان او غيره	الكامل	آلَانُهُ
٨٩٩	————	السريع	الصوت
٤٦٣	الطرماح	الطويل	ضَلَّتْ
٦١٣	————	الطويل	فَتَنَخَّطَتْ
٤١١	كثير عزة	الطويل	استهلت
٧٣٣	النميري الثقفي	الطويل	حدِّرات
٧١٣	ابن الحداد	الطويل	منعرجاتيها
١٥٠	ابو نواس	البسيط	الثنيات
٥١٩	ابن برد الأصغر	البسيط	تشيت
٧٧٧، ٥٦٦	ابن فتوح	الكامل	حركاته
٧٠٥	ابن الحداد	السريع	وروعات
٨٨٩	————	المتقارب	بالحمرة
٨٩٧	ابن شرف	المتقارب	والسنة
٨٩٦	السميسر	المتقارب	زلت

— قافية الثاء —

٨٣٨	أبو تمام	الكامل	حرّاثا
٢٩٧	—	الطويل	أريثُ
٧٨٩	ابن ظهار	الخفيف	غيثُ
٧٠٦	ابن الحداد	الطويل	المثلثُ

— قافية الجيم —

٧٩٣	الاسعد بن بليطة	السريع	السّمج
٧١٩	المعري	المقارب	يزجُ
٧٧٦	—	مجزوء الكامل	الدّجى
٥١٧	ابن برد الأصغر	الرمّل	الوجى
٢٣٥	—	المقارب	الهودجا
٧٢٠	ابن الحداد	الطويل	الهوادجُ
٨٠٨	الطغفري	السريع	دارجُ
٥٤٢	البحرّي	الطويل	مُضْرَجُ
٧١٣	أبو وجزة السعدي	البسيط	أزواجُ
٥١٨	ابن المعتز	الكامل	بسراجُ

— قافية الحاء —

٣٨٣	ابن زيدون	السريع	صَوّاحُ
٤٢١	ابن زيدون	السريع	فِيصاحُ
٥١٥	ابن برد الأصغر	السريع	الإفتضاحُ
٥١٦	ابن حمديس الصقلي	السريع	الأقاحُ
٤٢٣	ابن زيدون	الطويل	أضحى
٥١٩	ابن برد الأصغر	المديد	لاحا
٣٥٠	ابن الرومي	البسيط	رجحا
١٥٨	ابن هانئ	الكامل	الريحا

٤٤٥	ابن الحنّاط	الكامل	جناحا
٤١٤	علي بن أبي طالب أو غيره	المتقارب	صحيحا
٧٢٧	ابن الحداد	الطويل	النَّجْحُ
٨٠٣	ابن القزاز	الوافر	جناحُ
٧٢٥	ابن الحداد	الكامل	تسرحُ
٢٦٠	أبو نواس	البسيط	بالصّاحي
٧٥٧	المنفّتل	البسيط	تباريحي
٥١٩	ابن برد الأصغر	الوافر	الريّاح
٨٨٢	ابن السراج المالقبي	الوافر	وارتياحي
٩١٨	المتنبي الأندلسي	الوافر	صَبِيح
١٤٦	ابن وهبون	الكامل	الأرواح

— قافية الدال —

٨٨٦	السميسر	مجزوء الخفيف	نَكَدْ
٨٩٦	السميسر	مجزوء الخفيف	الحسدْ
٨٤٣	المتنبي	المنسرح	والدْ
٤١٦	—	المنسرح	جاهدْ
٨٩١	السميسر	المجثث	بالتودْدْ
٣٨٥	ابن زيدون	الطويل	غدا
٨٤١	ابن شماخ	الطويل	رمدا
٣٥٤	ابن شماخ	الطويل	الوردْ
٣٢٣	—	الطويل	والوجدْ
٦١٠	—	الطويل	تَصَيّدْ
٣٣٥	أبو الأصنع القرشي	الطويل	أحمدا
٤١٦	ابن الرومي	الطويل	أبعدا
٤١٦	المتنبي	الطويل	سيّدْ

٧٢١	ابن الحداد	الطويل	يتعبدا
٦٧٢	دعبل الخزاعي	البسيط	أحدًا
٥٤٣	ابن رشيق	البسيط	حمدة
٨٨٤	السميسر	مخلع البسيط	حميدا
٨٩٥	السميسر	الوافر	حدادا
٣٧٩	ابن سارة	الوافر	السيادة
٦٨٩	عمر بن الشهيد	الكامل	عنقودا
٥٢٢	ابن برد الأصغر	الكامل	خدّها
٢٦١	ابن شهيد	الرملي	أزندا
٤٧٣	عبادة	السريع	اليدا
١٤٩	الشطرنجي	السريع	قاعدة
٤٢٥	ابن زيدون	المجث	وعدك
٧٣٩	النحلي	الطويل	برود
٣٤٩	أبو تمام	الطويل	الورد
٣٦٠	ابن الرومي	الطويل	يلبد
٣١٤	ابن الحداد	الطويل	السد
٣٨٩	ابن زيدون	الطويل	الأسد
٣٢١	المتني	الطويل	ناقد
٢٦٣	ابن شهيد	الطويل	سعيد
٨٣٢	محمد بن هانيء	الطويل	وتعيد
٨٢	ابن دراج	الطويل	يصدّه
٣٦٦	ابن عبدوس الفارسي	البسيط	جسد
٤٧٩	الوزير المهلي	البسيط	قصد
٣٦٦، ١٥٩	العباس بن الأحنف	البسيط	رقدوا

٣٣٤	ابن شهيد	مخلع البسيط	مجبود
٧٨	حسن بن المصيبي	الوافر	مزيد
١٥٤	—	الوافر	شهود
٣٢٥	أبو العتاهية	الوافر	الخليد
٤٨٠	صريع الغواني	الوافر	جنود
٨٤٢	حسن بن المصيبي	الوافر	تريد
٥١٧	المعري	الوافر	الرماد
٣٤٧	علي بن الجهم	الكامل	ويحفد
٤١٧	—	الكامل	تحمّد
٧٠٤	ابن الحداد	الكامل	ترشد
٥٤٩، ٤٤٩	العباس بن الأحنف	الكامل	لجاهد
٣٠٣	ابن شهيد	الكامل	والأعياد
٦٧	ابن دراج	الكامل	بعيدها
٣٩١	—	الرجز	معقود
٦٢١	ابن اللماي	المنسرح	أجد
٨٧٥	ابن السريع المالقي	المنسرح	أعتمد
٧٩	المتنبي	المنسرح	أجهدها
٣٩٦	أبو محمد ابن عبد العفور	المتقارب	اليد
٦٢٦	دريد بن الصمة	الطويل	أرشد
٣٧٨	—	الطويل	البرد
١٥٨	المعتمد بن عباد	الطويل	يد
١٥٦	—	الطويل	وحدي
١٢٢	أبو تمام	الطويل	عندي
٦٨٠	—	الطويل	عندي

١٤٩	ابن جرج	الطويل	الجمد
٣٤٩	البحري	الطويل	الرند
٨٧٣	ابن الغليظ	الطويل	الخد
٨٧٣	ابن الغليظ	الطويل	الورد
٧١٩	ابن الحداد	الطويل	الأسد
١٧٢	أبو محمد ابن حزم	الطويل	أحمد
٧٢٨	ابن الحداد	الطويل	الصادي
٥١٩	ابن برد الأصغر	الطويل	الندي
٤١٥	ابو فراس الحمداني	الطويل	القوائد
٨٩٨	—	البسيط	وتوحيد
٨٧	ادريس بن اليماني	البسيط	حسد
٣٧٣	—	البسيط	حسادي
٨١٦	ابن عبدون	البسيط	البادي
٨٦٣	اسحاق الموصللي	البسيط	مسدود
٧٥٨	المنفلت	مخلع البسيط	بصدّه
١٣٨	عمرو بن معد يكرب او غيره	الوافر	تنادي
٤١٥	—	الوافر	حداد
٤٦٣	—	الوافر	بزاد
٧١٥	أبو الطيب المتنبي	الوافر	رقاد
٧٧٤	ابن فتوح	الوافر	للورود
١٥١	الناطقة الذبياني	الكامل	المورد
٧٥٧	المنفلت	الكامل	بالإمء
٣٠٨	—	الكامل	كالجمد
٨٠٦	الطغري	الكامل	أوحد

٨٤١،٣٥٤	أبو تمام	الكامل	العود
١٢٩	—	الكامل المرفل	وحدى
٤٨٧	ابن برد الأصغر	الرجز	بكد
٥٢٢	ابن برد الأصغر	الرمل	مرصد
٥٧	المستظهر	مجزوء الرمل	بصدى
٤١٠	أبو نواس	السريع	واحد
٧٧٣	ابن المعتز او غيره	السريع	العائد
٨٩٤	السميسر	السريع	حداد
٧٧٧	كشاجم	السريع	حدّه
٨٩٦	السميسر	المنسرح	كبدي
٣٩٥	المعري	الخفيف	الأضداد
١٤٤	ابن منذر	الخفيف	المجيد
١٥٩	المتنبى	الخفيف	اليهود
٨٣٢	المتنبى	الخفيف	بجدوى
١٧٦	البحترى	الخفيف	والبيد
٢٨٠	—	الخفيف	بجد
٢٨٠	الحسن بن وهب	الخفيف	بعدي
٢٥٤	ابن شهيد	المتقارب	جماد
٧٢٧	ابن الحداد	المتقارب	هود
٦٩١	عمر بن الشهيد	المتقارب	تدى

— قافية الذال —

٧٩٢	الاسعد بن بليطة	المجث	يتعود
٥١٠	ابن برد الأصغر	مجزوء الخفيف	حذى

— قافية الراء —

٩٠٤	الكمال	زُفَرٌ
٦٢٦	الكميت	بضائرٌ
٨٩٧	السميسر	الأكابِرُ
٥٠٥	ابن برد الاصغر	بَهَرٌ
٥٨	المستظهر	سَفِيرٌ
٥٥٦	ابو عبد الله ابن مسعود	جُوذَرٌ
٥٥٧	أبو عبد الله ابن مسعود	يَزُورُ
٨٥٨	أبو محمد غانم	الغُرُورُ
٦١٦	أبو عبد الله ابن شرف	الكِبَارُ
٧٧٦	ابن وكيع	الثمرُ
٩٠١	المجث	بمُعْدَرُ
١٥٩	المتقارب	الغُرُ
٨٩٥	السميسر	الصُورُ
٥٦	المستظهر	عُدرا
٧٨	المنقل	والفقرا
٦١٥	ابن القرضي	شهرًا
٧٦٣	المنقل	الصدرا
٨٧٤	ابن السراج المألقي	خمرًا
٤٤٥	ابن الحناط	وقدرا
٧١٧	ابن الحداد	كافرا
١٢٨	صاعد البغدادي	عِيرًا
٧٣٧	رفيع الدولة ابن صمادح	هجرا
١٤٨	ابن جرج	ثَمَارًا
٦٩٢	ابن الحداد	الأميرا

٩٠٠	—	الوافر	الإشارة
٧٣	ابن دراج	الكامل	مُمطرًا
٧٥	المتني	الكامل	والإسكندرا
٢٩٠	المتني	الكامل	مجمرا
٥١٠، ٣٨٢	المتني	الكامل	الأكبرا
١٧٨	أبو المغيرة ابن حزم	الكامل	أحمرا
٧٧٢	تميم بن المعز	الكامل	فتحيّرًا
٣٧٩	—	الكامل	المتعنجرا
٧٧١	ابن فتوح	الكامل	مُتبخّرا
٧٩٢	تميم بن المعز	الكامل	خنجرًا
٧٢٨	ابن الحداد	الكامل	سرورا
٥٩٩	—	مجزوء الكامل	فزاره
٤٨٤	ابن ذكوان	مجزوء الرمل	للحجارة
٣٧١	ابن زيدون	مجزوء الرجز	قصرًا
٧٨٢	ابن خلدون	السريع	بدرا
٨٩٢	—	السريع	بالفطرة
٥٢٢	أبو المغيرة ابن حزم	المنسرح	الزّهرة
٧٩٨	الاسعد بن بليطة	المنسرح	حارا
٨٩٥	السميسر	الخفيف	كفّاره
٨٩٨	السميسر	المجثث	نارا
٨٠	ابن أبي عُيينة المهلي	المتقارب	يفورا
٧٢٢	ابن الحداد	المتقارب	ناضرا
١٧٦	ابو الحسن السّلامي	الطويل	النّسر
٣٩٢	ابن زيدون	الطويل	البدّر

٣٩٣	ابن زيدون	الطويل	الصبر
٣٩٤	ابن زيدون	الطويل	السفر
٤٢٤	ابن زيدون	الطويل	الغدر
٤١٦	ابو تمام	الطويل	العدر
٥٤٧	ابن شهيد	الطويل	سر
٧٩٢	أبو نواس	الطويل	صُفّر
٨٤٤	الشماخ	الطويل	شطر
٨٧٩	ابن السراج المالقي	الطويل	غير
٢٨٩. ٢٤٩	ابن شهيد	الطويل	فتحدّر
٣٢٣	قيس بن الملوّح	الطويل	أنظر
١٦٥	أبو محمد ابن حزم	الطويل	ذاكر
١٦٦	أبو المغيرة ابن حزم	الطويل	شاجر
٣١٥	أبو فراس الحمداني	الطويل	صاغر
٣٢٣	---	الطويل	حائر
٥٤١	البحري	الطويل	غادر
٨٢	ابن درّاج	الطويل	قبور
٣٧٦	ابن درّاج	الطويل	سريّر
٢٨٦	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	أزور
٢٣٤	---	الطويل	لصبور
٢١٤	---	الطويل	كثير
٨٨٠	ابن السراج المالقي	الطويل	خريّر
٨١٦	ابن حمديس	الطويل	وثبير
٨١	عُمارَة بن عَقيل	الطويل	غديرها
٦٣	الحطيئة	البيسط	شجر

٦٣	ابن دراج	البيسط	صبروا
٢٢٤	—	البيسط	عُذِرُ
٣٣١	ابن شهيد	البيسط	ذِكْرُ
٣٥٠	شمس المعالي	البيسط	خَطَرُ
٥١٣	المؤمل المحاربي	البيسط	حجرُ
٨٤٦	المؤمل المحاربي	البيسط	بَصَرُ
٥١٣	—	البيسط	فنعذر
٦٩٠	عمر بن الشهيد	البيسط	أثرُ
٧٨٢	أبو القاسم بن مرزقان	البيسط	البصرُ
٨٣٤	—	البيسط	الإبَرُ
٨٨٧	المعري	البيسط	فيمة قمرُ
٢٩٦	ابن شهيد	البيسط	دارُ
١٤٢	ابن بسام البغدادي	البيسط	وإدبارُ
٥٤٧	—	البيسط	غافِرُهُ
٤٢٨	ابن زيدون	البيسط	أشاطرُهُ
٥٦٠	أبو عبدالله ابن مسعود	مخلع البيسط	أستجيرُ
١٦٤	—	الوافر	نهارُ
٨١٤	ابن شانجه	الوافر	الصدورُ
٤٧٨	—	الوافر	الكوثرُ
٥٠٨	محمد بن هاني	الكامل	أحورُ
٤٣٢	ولادة	الكامل	بحرُ
٩١٣، ٥٠٧	أحمد بن قاسم المحدث	الكامل	مُتَشِيرُ

٣٢٥	العباس بن الأحنف	الكامل	مدرار
٨٣٧	الفرزدق	الكامل	الابصار
٩٠٩	أحمد بن قاسم المحدث	الكامل	أنوار
٢٨٣	الأفوه	الرميل	ستمار
—	—	الرجز	واعتبروا
٥١٠	ابن المعتز	مجزوء الرجز	النظر
٢٨٨	أبو دهل أو وضاح	السريع	السامر
٥٠٩	ابن برد الأصغر	السريع	مسكر
٧٧٥	ابن فتوح	السريع	أقدر
٥١٥	الأمين	السريع	صابر
٧٧٣	ابن بسام البغدادي	السريع	تغور
٤٩٦	—	المنسرح	خدر
٨٩٠	السميسر	المتقارب	يفخر
١٤٧	أبو محمد ابن عبد الغفور	الطويل	الذر
٢٧٣	ابن شهيد	الطويل	الصور
١٧١	أبو محمد ابن حزم	الطويل	صدري
٧٨٣	أبو الفضل البغدادي	الطويل	صدري
٣٩٠	عبد الرحمن بن سعيد	الطويل	والجبر
٤٣٠	ولادة	الطويل	للشر
٤٦٣	الأخطل	الطويل	تبري
٧٨١	أبو الفضل الميكالي	الطويل	التبر
٧٥٦	المنفل	الطويل	التبر
٧٧٢	ابن فتوح	الطويل	والهجر

٧٨٢	الأعمى التطيلي	الطويل	فكري
٨٢٢	—	الطويل	تدري
٧٨٨	ابن ظهار	الطويل	النار
٨٠٤	ابن القزاز	الطويل	عاري
٨٧٢	ابن السراج المالقي	الطويل	متسعر
٨٧٢	ابن الغليظ	الطويل	أزهر
٢٩٢	ابن شهيد	الطويل	مُضافير
٣٣٢	ابن شهيد	الطويل	ناظر
٨٢٥	محمد العتي	الطويل	التواضير
٢٨٤	أبو نواس	المديد	جَزْرَة
٨١	المعري	البيسط	الكدر
١٤٧	المعري	البيسط	الشُعْر
٣٨١ . ٣٤٩	المعري	البيسط	والبصر
٢٧٩	أبو تمام	البيسط	والفكر
٣٠٣	ابن بقي	البيسط	ضَرَر
٣١٢	الأعمى التطيلي	البيسط	والوتر
٣٤٧	ابن زيدون	البيسط	بالأثر
٨٢٤	قطرب أو غيره	البيسط	بصري
٤٨٠	ابن عبدون	البيسط	والسمر
٥٢١	ابن الرومي	البيسط	بالبصر
٦٨٨	عمر بن الشهيد	البيسط	مستعر
٨٥١	—	البيسط	بالسحر
٣٥٩	النابعة الذبياني	البيسط	الاضاري
٤٦٢	ابن دارة	البيسط	بأسيار

٨٨٧	السميسر	مخلع البسيط	الحرير
٧٧٩	ابن المعتز	الوافر	سِتْر
٧٩٧	ابن زرقون	الوافر	احمرار
٧٧٩	ابن عبد ربه	الوافر	البكور
٨٨٥	السميسر أو غيره	الوافر	وزير
٥٨	—	الكامل	المستظهر
٤٣١	—	الكامل	تتخير
٤٤٣	—	الكامل	يشكّر
٥٢٠	ابن المعتز	الكامل	عنبر
٦٠٧	ابن الجزيري	الكامل	الأصغر
٧٩٥	ابن فرج الجياني	الكامل	أحور
٧٧٥	محمد بن هانيء	الكامل	الباتر
٣٨١	التهامي	الكامل	عذاري
٥٩٠	ابن الرومي	الكامل	المقدار
٧٧١	ابن فتوح	الكامل	نهار
٧٨٥	ابن قالوص	الكامل	العار
٣٢٢	ابن عبد ربه	الكامل	منثور
٢٠٩	ابن شهيد	الكامل	بغزيره
٢٦٠	ابن شهيد	الكامل	خموره
٢٩١	ابن شهيد	الكامل	بستوره
٥٥٣	أبو عبد الله ابن مسعود	الرجز	المحذور
٧٧٢	ابراهيم بن العباس الصولي	الرجز	بيدري
٤١٥	عدي بن زيد	الرميل	اعتصاري
	أبو عبد الله ابن مسعود أو	السريع	الذكير
٥٥٢	غيره		

٧٣٧	رفيع الدولة ابن صمادح	السريع	تشعر
٨١٩	السميسر	السريع	بالصبر
٨٩٤	السميسر	السريع	الامر
٧٦٠	المنقتل	السريع	الصرصر
٩١٧	متني الأندلس	السريع	عصره
٤٧٠	عبادة	المنسرح	صفر
٧٧٢	ابن المعتز او غيره	المنسرح	السحر
٤١٣	—	المنسرح	الغار
٧٧١، ٥٠٨	ابن فتوح	المنسرح	يعفور
٧٨	أبو العلاء المعري	الخفيف	فقير
٧٧٦	ابو الوليد بن زيدون	الخفيف	بيدر
٢٤٧	ابن شهيد	المتقارب	الغريب
٧٧٥	تميم ابن المعز	المتقارب	أسفارها
٧٩٤	أبو مروان بن سراج	المتقارب	بآثارها

— قافية الزاي —

٧١١	ابن الحداد	الطويل	الغمز
٨٠٥	ابن القزاز	مجزوء الكامل	العزير

— قافية السين —

٢٨٧	ابن شهيد	المتقارب	العسس
٨٦٤	—	الهزج	ادريسا
٧٥٨	المنقتل	السريع	مرقاسا
٧٧٧	ابن فتوح	السريع	الكاسا
٨٩٤	السميسر	السريع	محسوسا

٧٨١	ابن المعتز	المتقارب	أنفاسها
٢٧٧	ابن شهيد	الطويل	يتنفس
٧٨٧	—	الطويل	قُسْ
٧٣٨	رفيع الدولة ابن صمادح	الطويل	الأنس
٧٧	أبو نواس	الطويل	البسابس
١٦٦	البحري	الكامل	جالس
٣٥٩	ابن زيدون	مجزوء الرمل	وياسو
١٧٤	أبو نواس او الشطرنجي	الخفيف	ابليس
٣٧٠	—	المتقارب	مُلبَسْ
٥٧	المستظهر	الطويل	الشمس
٣٠٢	—	الطويل	بوسي
٣٦٠	العباس بن الأحنف	البيسط	كالآس
٥٤٥	الحطينة	البيسط	الكاس
٨٣٢، ٤٤٠	جرير	البيسط	القناعيس
٤٢٧	ابن زيدون	الوافر	شمسي
١٤٣	البسامي	الكامل	مكاس
٥٢٠	ابن برد الأصغر	الكامل	بالأنفاس
٤٧٢	عبادة	الكامل	بالتنفيس
٨٦٢	أبو محمد غانم	الكامل	بالتأنيس
٧٩٧	الفرزدق	الرجز	للناس
٧٥٩	المنفل	الخفيف	قاسي
٨٨٣	السميسر	المجث	حسي

— قافية الشين —

٧٩٢	الاسعد بن بليطة	مجزوء الكامل	حنش
٥١٧	ابن برد الأصغر	المتقارب	وحش

٥٣١	أبو الغفار الرياحي	الوافر	معاشا
٥٦٦	الطليق المرواني	الرمل	غَبْشا
٩١٧	متني الاندلس	البسيط	فُرْش'

— قافية الصاد —

٥٤٥	الأعشى	الطويل	خمائصا
٤٧٥	عبادة	الكامل	مناص'
٤٦٢	الفرزدق	الوافر	الحريص

— قافية الضاد —

٣٩٦	ابن زيدون	المتقارب	فاغتمض'
٥٤٦	—	المتقارب	غامضة'
٥٧٤	ابن الرومي	البسيط	أغراض'
٧٨٥	ابن الرومي	البسيط	مقراض'
٧٦	أبو خراش	الطويل	منخض
٧٧	أبو خراش	الطويل	بعض
٣٣٤	ابن المعتز	الطويل	بعض
٨٤١	ابن شماخ	الطويل	قارض
٩٠٥	أحمد بن قاسم المحدث	البسيط	تعريض
١٤٢	ابن عبادة القزاز	مجزوء الرمل	لابعوض
٨٦٥	ذو الاصبع العدواني	الهمزج	العرض
٧٨٥	ابن الرومي	السريع	مقراض
٦٧٩	—	المجتث	فياض
٨٨٨	—	المجتث	غموضي
٦٩٩	—	المتقارب	مقبض

— قافية الطاء —

٣٦٨	————	الرجز	قط
١٧٥	أبو المغيرة ابن حزم	الطويل	المَرطَا
٢٧٧	ابن شهيد	الطويل	حطًا
٧٩٩	الاسعد بن بليطة	الطويل	فاشتطًا
٧١١	ابن الحداد	الكامل	القطا
٨٣٨	————	الرجز	إلغاطا
٣٠٨	ابن زيدون	الخفيف	نُقْطَه
٨١	ابن زيدون	الطويل	رَبْطُ
٣٥٦	ابن زيدون	الطويل	شطوا

— قافية الظاء —

٨٤٠	ابن شماخ	الكامل	حفائظا
٥٢٢	ابن برد الأصغر	الكامل	الألحاظُ

— قافية العين —

٢٥٦	سويد بن كراع	الطويل	ومرَبعا
٤٨٠	عبد الكريم التميمي	الطويل	مُتَطْلَعَا
٨١٣	ابو بكر ابن خازم	الطويل	وتجزعا
٤٤٩	ابن الحناط	البسيط	وقعا
٢١	ابو العباس الكناني	البسيط	فاندفعَا
٤٠٩	القطامي	الوافر	اتباعا
٦٧٤	————	الوافر	الوداعا
٣٨١	المتنبي	الكامل	أربعا

٨١٣	ابن دريد	الكامل	دموعا
٤٣١:٣٧١	ابن زيدون	الرمل	استودعك
٥٤٣	الطبري	المنسرح	لعا
٣٠١	ابن شهيد	المنسرح	وقعا
١٦٠	المتني	الخفيف	وداعا
٦١٩	---	المتقارب	الدموعا
٢٢٦	---	الطويل	وينفع
٣٢٦	الأعمى التطيلي	الطويل	الأصابع
٤٧٥	عبادة	الطويل	المضاجع
٢٨٥	ابن شهيد	الطويل	سابع
٣٨٤	ابن زيدون	البسيط	تلع
٢٨٨	المتني	البسيط	وأنجع
٨٥	ابن دراج	البسيط	بارعه
٣٧٥	المتني	الكامل	طبع
٦٢٢	ابو ذؤيب الهذلي	الكامل	تنفع
٦٢٢	ابن اللماي	الكامل	ينجع
١٤٧	---	الطويل	الأكارع
٣٧١	ابن زيدون	البسيط	يتذع
٩١٦	متني الاندلس	الوافر	بديع
٣٧٢	أبو العميثل الاعرابي	الكامل	واشجع
٥٤٤	---	الكامل	فتشيعي
٧١٥	النمري	الكامل	ناقع
٨٥٨	أبو محمد غانم	مجزوء الرمل	منع
٢٦٤	ابن شهيد	المتقارب	داعي
٣٩١	بكر بن خارجة	السريع	وأوجاعي

٢٧٩	أبو تمام	السريع	الراقع
١٥٩	—	الخفيف	الربيع
٣٧٣	ابن زيدون	الخفيف	الدموع
٨٦٥	عباس بن مرداس	المتقارب	مجمع

— قافية الغين —

٤٧١	عبادة	الطويل	لدغ
-----	-------	--------	-----

— قافية الفاء —

٨٩٧	السميسر	السريع	أختلف
٨٥٣	أبو عمر الالبيري	الكامل	نحيفا
١٤١	—	المتقارب	ثقيفا
٣٤٠	—	الطويل	أوف
٤٥١	ابن الحنات	الطويل	عاكف
٣٧٥	ابن زيدون	الطويل	موقف
١٧٦	أبو المغيرة ابن حزم	الطويل	أكلف
٤٤٣	الحماني	البسيط	السيف
٧٥٩	المنفقل	مجزوء الكامل	المدنفا
٣٥٠	ابن الرومي	الكامل المرفل	شرفه
٨٩١	السميسر	المجثث	الكفاف
٨٢٥	أبو محلم السعدي	الطويل	صدوف
٤٤٢	الحماني	البسيط	السيف
٦٨٨	عمر بن الشهيد	البسيط	السلف
٧٩٥	ابن اللبانة	البسيط	شغف
٧٣٧	رفيع الدولة ابن صمادح	الكامل	الأعطاف
٨٨٨	ابن المعتز	الرجز	أطرف

— قافية القاف —

٧٨٣	ابن فتوح	الرجز	غسقٌ
٣٠٢	المنفثل	المتقارب	الفلقُ
٣٢٤	—	الطويل	برقا
٣٦٤	ابن زيدون	البسيط	راقا
٣١٣	ابن قاضي ميلة	البسيط	شرقا
٣١٣	ابن شهيد	البسيط	مُرْتَفِقًا
٤٨٨	ابن برد الأصغر	الوافر	انغلاقًا
١٤٧	ابن وهبون	الكامل	طريقًا
١٧٦	الصنوبري	الكامل	رفيقًا
٧٧٤	ابن بسام البغدادي	الكامل	المسروقا
٢٥٤	ابن شهيد	الكامل	دهاقها
٢٩١	ابن شهيد	الكامل	إشفاقها
١٤٣	ابن بسام البغدادي	الرمل	الغرقا
٥٦٥	الطليق	الرمل	حُرْقًا
٧٧٧	الطليق	الرمل	شَفَقًا
٤٦٦	ابو العتاهية	الخفيف	حقا
٣٥٤	ابن رشيق	المتقارب	مِقَّة
١٧٤	ابو محمد ابن حزم	الطويل	ويشرقُ
٣١٩	ابن شهيد	الطويل	أولقُ
٣٥٤	ابن زيدون	الطويل	تعقبُ
٧٩٦	ابن زيدون	الطويل	يحرقُ
٨٣٥	الأعشى	الطويل	وتوثقُ
٨٣٥	جميل بثينة	الطويل	سملقُ
٣٤٣	عمرو بن الأهم	الطويل	وصديقُ
٥١٨	ابن برد الأصغر	الطويل	رقيقُ

٨٤٣	بشار بن برد	الطويل	أموقُ
٥٤٧	أبو الحسن الطنبي	البيسط	قلقُ
٨٨٦	السميسر	مخلع البيسط	خلاقُ
١٤٧	ابن سارة	الكامل	رقاقُ
٥٠٩	ابن برد الأصغر	المنسرح	ويحترقُ
٧٨١	العباس بن الأحنف	المنسرح	عشقوا
٧٦٠	المنفثل	الخفيف	عقيقُ
٣٠٩	المتني	الطويل	ناطِقِ
٣٢٩	ابن شهيد	الطويل	لاحقي
٣٣٠	ابو محمد ابن حزم	الطويل	الطوارقِ
٤٧٥	المتني	الطويل	فاسقِ
٣٢٠	ابن شهيد	الطويل	لقي
٢٩٥	ابن شهيد الجدي	الطويل	مَشُوقِ
٤٧٥	عبادة	الطويل	الخلقِ
١٤٨	الحجام	البيسط	متفقِ
٢١٣	—	البيسط	القلقِ
٣٢٦	ابن فتوح	البيسط	والورقِ
٣٣٣	ابن شهيد	البيسط	سباقِ
٦٩٧	—	البيسط	الزرقِ
٨٢٢	ابن شرف	البيسط	القلقِ
١٤٥	أبو الحسن البرقي	الكامل	العشاقِ
٨٢٣	أبو بكر بن بقي	الكامل	خافقِ
٨٦٦	أبو محمد غانم	الكامل	ساقِ
٣٠٦	ابن شهيد	الكامل	يعشقِ
٧٩٦	الاسعد بن بليطة	الكامل	يحرقِ

٨٣٧	————	الكامل	نفتق
٤٤٤	ابن الحنات	الكامل	ضيقه
٧٨٣	أبو الفضل الميكالي	الرجز	الشفق
١٥٠	ابن الرومي	المنسرح	بَهَق
٣٢٠	ابن هانيء	الخفيف	البواقي
٥٥٧	أبو عبد الله ابن مسعود	الخفيف	والتلاقي

— قافية الكاف —

٨٦٦	أبو محمد غانم	البسيط	يَمْنَعَكَ
٢٠٨	ابن الرومي	الطويل	هنالكَا
٨٤٥	المتني	الوافر	أراكَا
٣٧٩	ابن زيدون	الكامل	ملاكَا
٢١٠	عبد الملك بن شهيد	الرملي	فبكي
٣٦٣	ابن الرومي	السريع	ثناياكا
٨٧٦	أبو بكر عبادة	السريع	متروكا
٨٧٦	ابن السراج المالقي	السريع	فيكا
٥١٥	الأمين او الحسين الخليل	الخفيف	أراكَا
٨٤٢	ابن الطراوة	الطويل	عالكُ
٢٧٢	المهلي	البسيط	فتكوا
٧٨٤	أبو العلاء المعري	الطويل	الضَنَك
٨٦٠	أبو محمد غانم	البسيط	بمحيَاك
١٧٤	أبو محمد ابن حزم	البسيط	بمترك
٢٤٠	محمد بن قرلمان	البسيط	فلَك
٥٠٨	ابن برد الأصغر	مجزوء الرمل	ملك
٧٠٧	ابن الحداد	الهرج	الشَاكِي
١٤٨	ابن جرج	السريع	بالمسك

١٤٨	ابن الجهم	السريع	مَحْكُكٌ
٧٥٧	المنفلت	السريع	والمسك
٧٩٠	ابن ظهار	السريع	ضحك
٧٤١	عبادة	المنسرح	صَوْرَكٌ
٤٦٦	محمد بن أمية	الخفيف	عليك

— قافية اللام —

١٦٥	الأشَلّ الأزرقى	الرجز	سَعَلٌ
٤١٠	—	الرجز	مَشْتَمَلٌ
٨٩٦	السميسر	الرمْل	بِالْمَقْلِ
٧٨٠	محمد بن سيق	الرمْل	سَدَلٌ
٨٩٢	السميسر	مجزوء الرمل	باطلٌ
٨١٥	ابن بسام البغدادي	السريع	الرَّجَالُ
٤٢٤	ابن زيدون	المتقارب	الحَيْلُ
٧٣٥	المعتصم بن صمادح	المتقارب	العَلِيلُ
٨٠٠	الاسعد بن بليطة	المتقارب	الأسْلُ
٨٣٠	عمر بن أبي عمر السجزي	الطويل	والأهلا
٣٢٨	ابن شهيد	الطويل	قَتَلَهَا
٨٤٣، ٣٥٨	المتنبى	البسيط	نَصَلَا
١٧١	أبو محمد ابن حزم	مخلع البسيط	أَصَلَا
٧٦	الأعمى التطيلي	الوافر	الجلالا
٧٦	ابن بياح السبتي	الوافر	هلالا
٨٢	ابن وهبون	الوافر	شكالا
١٤٦	المعري	الوافر	نمالا
٨٨١	ابن السراج المالقى	الوافر	دلالا
٧٠٩	ابن الحداد	الوافر	دخيلة

٨١٥	الشريف الرضي	الكامل	الأجبالا
٧١٥	مسلم بن الوليد	الكامل	جبريلا
٨٥٤	—	الكامل	التحويلا
٨٥٤	ابو محمد غانم	الكامل	مقيلا
٦٨٦	عمر بن الشهيد	الكامل	متشاقلا
٥٥٦	ابو عبد الله ابن مسعود	السريع	أولا
٩١	أبو عبد الله بن شرف	الخفيف	تُجَلِّي
٣٦٣	—	الخفيف	غليلا
٨٩١	السميسر	الخفيف	طويلا
٤٦٥	كثير عزة	الطويل	موكِّلُ
٥٤٢	أبو مروان الطنبي	الطويل	يُقْبَلُ
٥٤٢	البحري	الطويل	والتطولُ
٤٠٤	—	الطويل	المحلُ
٤٤٢	المتنبي	الطويل	النصلُ
٤٧٨	—	الطويل	الصِّلُ
٢٢	ابن شهيد	الطويل	رجالُ
٩٠	—	الطويل	ومقالُ
٤٦٣	—	الطويل	وجلالُ
٢٩٧	—	الطويل	ونحولُ
١٧٥	أبو محمد ابن حزم	الطويل	ويقولُ
٣٧٧	المتنبي	الطويل	نزولُ
٤٦٥	—	الطويل	فذلولُ
٥٢٠	ابن المعتز	الطويل	صقيلُ
٨٧٦	ابن السراج المالقي	الطويل	فأميلُ
٨٨٠	ابن السراج المالقي	الطويل	قليلُ

٩٠١	السموأل	الطويل	وسَلُولُ
٨٣٩	النابعة الذبياني	الطويل	قائلُ
٨٦٨	أبو محمد غانم	الطويل	مراحلُ
٣٧٨	البحري	الطويل	داخله
٤٤٧	أبو تمام	الطويل	عامله
٥٤١	خوات بن جبير	الطويل	آجله
٨٣٤	—	الطويل	وقابله
٨٨٧	أبو تمام	الطويل	معاقله
٨٦٣	ابن المعتز	المديد	أحجالُ
٨٦٣	أبو محمد غانم	المديد	الحالُ
٤٤١	عبد الجليل ابن وهب	البيسط	الأسلُ
٧١٢	عبد الجليل ابن وهب	البيسط	والحللُ
٦٧٢	أبو تمام	البيسط	الرَّجلُ
٨٣٣	الأعشى	البيسط	هطلُ
٩٠٤	ابن الحداد	البيسط	شُغْلُ
٣٥٣، ٨١	المتني	البيسط	تَضْهالُ
٦١٦	ابن شَمَاح	البيسط	أُميالُ
٨٤٦	ابن شَمَاح	البيسط	حالوا
٢١٨	ابن الجزي	البيسط	نائله
٢١٨	ابن شهيد	البيسط	رسائله
٧٨٩	ابن ظهار	مخلع البيسط	أناله
١٧٤	أبو محمد ابن حزم	الوافر	رحيلُ
٣٢٤	البحري	الوافر	كليلُ
٣٧٨	البحري	الوافر	الصَّقيلُ

٣٨٤	النحلي	الكامل	يحملُ
٧٢٢	ابن الحداد	الكامل	تكملُ
٧٥٦	المنفثل	الكامل	قبلُ
٨٦٩	أبو محمد غانم	الكامل	أفكلُ
٨٣٢	—	الكامل	نتكلُ
٣٩٢	ابن زيدون	الكامل	تُدالُ
٤٢٢	ابن زيدون	الكامل	تختالُ
٨١٥	ابن الرومي	الكامل	الأجيالُ
٨١	المعري	الكامل	تَجولُ
٨١٤	ابن أبي طالب القيسي	الكامل	تَحولُ
٨٨١	ابن السراج المالقي	الكامل	تأويلُ
٣٨٦	المتنبي	الكامل المرفل	وَعَلُ
٢٨٨	الوائق	السريع	الليلُ
٧٧٣	علي بن الخليل	السريع	تزولُ
٤٤٢	المتنبي	المنسرح	اعتقلوا
٨٩٢	السميسر	المجثث	مالُ
١٤٦	البرقي	المتقارب	الْمَنْدَلُ
٤٤٤	ابن الحناط	المتقارب	تبخلُ
٧٣٤	—	المتقارب	طويلُ
٢٦٥	ابن شهيد	الطويل	بالأناملِ
٢٨٤	ابو تمام	الطويل	نواهلِ
٦٨٧	عمر بن الشهيد	الطويل	والحمائلِ
٧١٦	ابو ذؤيب الهذلي	الطويل	لوائلِ
٧٣٩	رفيع الدولة ابن صمادح	الطويل	لفاضلِ

٧٧	ابن دراج	الطويل	الشمل
٣٥٣	ابن دراج	الطويل	الشكل
٧٩	المتنبى	الطويل	النحل
٧٩	ابن سارة الشنريفي	الطويل	عدل
٨١	ابن زيدون	الطويل	الشكل
٣٥١	ابن زيدون	الطويل	النصل
١٥٧	المتنبى	الطويل	رجل
٤٨٠	المتنبى	الطويل	والرجل
٣٥٤	—	الطويل	الكحل
٨٣٠	الخطابي	الطويل	أهلي
٨٤٢	المتنبى	الطويل	جهل
٦٧٧	—	الطويل	مفتل
٢٣٢	امرؤ القيس	الطويل	عالي
٢٨٦	امرؤ القيس	الطويل	حال
٥٢١	المعري	الطويل	هلال
٢٥١	ابن شهيد	الطويل	أسيل
٤٥٢	ابن الحناط	الطويل	رسوله
٣٧٢	المتنبى	البسيط	صيل
٣٨٣	أبو عبد الله ابن شرف	البسيط	والمقل
٢٨٤	صريع الغواني	البسيط	مُرتحل
٤٤١	حسن بن المصيصي	البسيط	الرجل
٦٧٧	—	البسيط	بالعسل
٧٢٠	المتنبى	البسيط	والعدل

٨٨٦	ابن مضا القرطبي	مخلع البسيط	والغوالي
٩٠	ابن عبدون	الوافر	نِبال
٢٣٤	—	الوافر	بالجبال
٧٩٩	ابن المعتز	الوافر	بِخال
٨٧٩	ابن السراج المالقي	الكامل	العاجل
٩٠٣	البحري	الكامل	الأحوال
٩٠٢	جرير	الكامل	الأخطل
٢٨٢	موسى بن الطائف	الكامل	وطولي
٣٥٣	—	الكامل	أسأل
٣٨٥	ابو تمام	الكامل	بصقال
٧١٦	ابن الحداد	الكامل	الفضال
٧٩٤	الاسعد بن بليطة	الكامل	الآصال
٣٤٧ ، ٣٤٤	أبو تمام	الكامل	ماله
٤٧٤	عبادة	الكامل	بباليه
٤٧٦	عبادة	الكامل	خليليه
٤٢٦	ابن عمار	مجزوء الكامل	الوصول
٤٧١	عبادة	مجزوء الكامل	حالك
٨٢٧	ابن شماخ	مجزوء الكامل	رسولها
٤٧٣	عبادة	المنسرح	خلخال
٧٥٧	المنفل	المنسرح	فيحكم لي
٧٦	الأعمى التطيلي	الخفيف	الكمال
١٤٠	المتنبى	الخفيف	ليال
٣٧٢	ديك الجن	الخفيف	للمعالي
٨٨	—	المتقارب	الذليل
٧٧١	ابن الغليظ	الخفيف	سبيل
٨٧١	ابن السراج المالقي	الخفيف	سبيل

٦٠٩	ابن برد الأصغر	مجزوء الخفيف	وسائلي
٨٢٥	دعبل	المجثث	خالي
٣١٥	المتنبي	المتقارب	وائل
٧١٧	خزيمة بن مالك	المتقارب	الزنجبيل

— قافية الميم —

٩١٥	مرقش الأصغر	البسيط المطوى	بالقدوم
١٩٩	ابن شهيد	مجزوء الكامل	الغمام
٣٦٩	ابن زيدون	مجزوء الكامل	النسيم
٩٠٦	أحمد بن قاسم المحدث	مجزوء الكامل	الصنيم
٤١١	—	الرجز	علم
٧٧٣	بشار	الرمل	ألم
٨٨٦	السميسر	مجزوء الرمل	والدم
٨٨٤	السميسر	مجزوء الخفيف	عدم
٣٢٧	ابن شهيد	المتقارب	الظلم
٣٩٩ ، ٣٩٧	ابن زيدون	المتقارب	لم
٣٤١	البحري	الطويل	أنجما
٣٧٧	ابو تمام	الطويل	ترنما
٦٨٨	عمر بن الشهيد	الطويل	حماما
٤٤٨	المتنبي	الطويل	والفهما
٦٩٨	المتلمس	الطويل	ميسما
٥٢٨	ابن برد الأصغر	البسيط	بهما
٧٣٨	ابن اللبانة	البسيط	والكرما
٧٣٨	رفيع الدولة ابن صمادح	البسيط	علما
٨٩٩	السميسر	المنسرح	مُحتلمة
٨٣٧	ابو نواس	الخفيف	التحكيما
٢٩١	المتنبي	الطويل	يطعم
٨٨٠	ابن السراج المالقي	الطويل	يرنم

٩٠٤	عبد الله بن طاهر	الطويل	وَنُكْرِمُ
٣١٩	المتنبي	الطويل	الْأَرَاقِمُ
٣٢١	ابن شهيد	الطويل	أَرَاقِمُ
٣٦٠	العباس بن الأحنف	الطويل	دَاثِمُ
٤٤٦	ابن الحناط	الطويل	سَاجِمُ
٤٤٨	المتنبي	الطويل	تَمَاثِمُ
٨٣٠	أبو تمام	الطويل	الرَّمَاثِمُ
٤٤٧	ابو بكر بن عمّار	الطويل	كَمَاثِمُ
٤٤٧	المتنبي	الطويل	كَمَاثِمُهُ
١٩	المتنبي	الطويل	قَوَادِمُهُ
٢٨٥	المتنبي	الطويل	جَمَاجِمُهُ
٤٤٧	المتنبي	الطويل	قَاثِمُهُ
٤٧٦	المتنبي	الطويل	تَرَاثِمُهُ
٤٧٧	المتنبي	الطويل	الْعَرَمَرَمُ
٤٧٦	المتنبي	الطويل	يُسْتَجَمُ
٨٨٣	السميسر	الطويل	فَهَنَمُ
٢١٩	ابن شهيد	الطويل	وَهَمُ
٧٨٥	ابن فتوح	الطويل	وَهَمُ
٨٧٤	ابن السراج المالقي	الطويل	عِلْمُ
٣٩٥	ابن زيدون	الطويل	حَمَامُ
٤٢٢	ابن زيدون	الطويل	سَلَامُ
٤٧٧	—	الطويل	قَتَامُ
٤٧٧	المعري	الطويل	وَحْسَامُ
٧٢٨	ابن الحداد	الطويل	حَسَامُ

٣٧١	—	الطويل	مقيمٌ
٣٤٤	المتني	البسيط	عدمٌ
٣٥٨	المتني	البسيط	همٌ
٨٣٥	المتني	البسيط	صَمَمٌ
٤٦٤	—	البسيط	والحرَمُ
٨٣١	—	البسيط	البُهْمُ
٨٣١	تميم بن مقبل	البسيط	ملومٌ
٤٤٠	ابن الحناط	مجزوء البسيط	هائمٌ
٣٥٠	المتني	الوافر	القتامُ
١٧٤	أبو محمد ابن حزم	الوافر	مقيمٌ
٨٩	الشريف الرضي	الكامل	الاسهمُ
٣٧٤	ابن زيدون	الكامل	ويسقمُ
٣٧٥	أبو الشيص	الكامل	منهمُ
٩٠٣	زهير بن أبي سلمى	الكامل	هَرِمٌ
٦٨٧	عمر بن شهيد	الكامل	عظيمٌ
٩٠٩	أحمد بن قاسم المحدث	الكامل	حسيمٌ
٨٨٥	السميسر	مجزوء الكامل	أحدثنمُ
٥٨٨	—	الرجز	يلقمهُ
٢٨٧	اسماعيل بن يسار	السريع	المِرْزَمُ
٦٢٢	ابن اللماي	السريع	أسجملكُ
٤٤٢	ابن عبد ربه	المنسرح	القلمُ
٤٧٢	عبادة	المنسرح	ندمٌ
٨٧٥	ابن الغليظ	الخفيف	يدومُ
٦٦٨	—	المقارب	حرامٌ
١٦١	أبو نواس	الطويل	وهمي

٩٠	ابو العرب الصقلي	الطويل	بأسهم
٤٥١	المتني	الطويل	ضيغم
٦٩٣	المتني	الطويل	توهم
٤٦٧	النابعة الجعدي	الطويل	المسهم
٦٢٥	معبد بن أخضر المازني	الطويل	بالتكلم
٨٧٤	ابن السراج المالقي	الطويل	المرنم
٤١١	بشار بن برد	الطويل	وللقوادم
٦٩٦	—	الطويل	النماثم
٢٥٥	ابن شهيد	الطويل	وقديمي
٢٦١	ابو نواس	الطويل	رسوم
٥٦	المستظهر	الطويل	سلاميه
٨٢٥	احمد بن أبي كامل	المديد	الظلم
٦٦	ابن دراج	البسيط	الكلم
٢٩٣	ابن شهيد	البسيط	النعم
٣١٥	—	البسيط	قدم
٣٤٩	ابو تمام	البسيط	بالرتم
٣٦٥	الرضي	البسيط	واللثم
٤٠٩	همام الرقاشي	البسيط	أقوام
٣٣١	ابن شهيد	البسيط	تسليم
٧٣٩	المعتصم ابن صمادح	البسيط	عزائم
٦٩١	عمر بن الشهيد	مخلع البسيط	قوم
١٥٥	المتني	الوافر	الحمام
٣٥٨	المتني	الوافر	الحمام
٣٣٤	المعري	الوافر	الرجام
١٨٠	ابو تمام	الكامل	الصمصام

٩٠٧	أحمد بن قاسم المحدث	الكامل	والأفهام.
٤٧٧	أبو عبدالله ابن شرف	الكامل	التقويم.
٨٣١	طرفة بن العبد	الكامل	نهي
٩٠٠	—	الكامل	مُرجم.
٨٨٩	ابن دراج	الرجز	الظلم.
٥٠٨	ابن الرومي	مجزوء الرمل	لِسُقْمِي
٥٠٨	ابن برد الاصغر	مجزوء الرمل	بظلمي
٥١٧	أبو بكر ابن بقي	السريع	العائيم.
٥١١	الصنوبري	السريع	بالأنجم.
٧٩٣	ابن السراج النحوي	السريع	همومي
٨٥٨	ابو محمد غانم	السريع	الروم.
٤٧٩	الأسدي	الخفيف	ومُدام
٩٠٨	ابو بكر عبادة	الخفيف	بسام.
٣٤٥	ابن زيدون	الخفيف	النسيم.
٣٤٧	البحري	الخفيف	الغيوم.
٨٠٧	عبد الرحمن بن عبد الرزاق	الخفيف	السليم.
٢٢٣	مسلمة بن عبد الملك	المجث	طامي
٣٥٤	—	المجث	نسيم.

— قافية النون —

٨٥٠	ابو عمر الالبيري	الكامل	الزمان.
١٤٦	البرقي	مجزوء الكامل	ونون.
٥٥٨	أبو عبدالله ابن مسعود	السريع	المتحفين.
٦٨٤	—	السريع	مُبين.

٧٥٩	المنفل	السريع	العيان
٩١٤	ابن فرج	السريع	الوسن
٤١٣	—	المتقارب	حسن
٨٨٨	السميسر	المتقارب	الأغان
٢٣٢	أبو نواس	الطويل	بعضنا
١٧٢	أبو محمد ابن حزم	الطويل	تفتي
٥٦١	أبو عبد الله ابن مسعود	الطويل	مغنى
٧٤٠	ابن مالك القرطبي	الطويل	أقنى
٨٨١	ابن السراج الملقى	الطويل	عندنا
٣٢٢	الرمادي	الطويل	كامنا
٨٧٧	ابن الغليظ	البيسط	انسانا
٨٧٧	ابن السراج الملقى	البيسط	وريحانا
٣٦٠	ابن زيدون	البيسط	مأقينا
٣٦٢	أبو بكر ابن الملح	البيسط	فيغينا
٤١٦	عمرو بن كلثوم	الوافر	تصبحينا
٧١٧	خزيمة بن مالك	الوافر	الظنوننا
٨٣٣	—	الوافر	بنينا
٨٨٥	السميسر	الوافر	فخذلتمونا
٤٢٨	ابن زيدون	الكامل	فأمنا
٣٦٣	ابن الرومي	السريع	ظمانا
٨٦٢	أبو محمد غانم	السريع	ثلاثينا
٤٣١	العتي	المتقارب	راحميننا
٧٠	ابن دراج	الطويل	وليمان
٧٠	ابن دراج	الطويل	سليمان
٩٢	ابن دراج	الطويل	سلطان

٤٤٦	ابن الحناط	الطويل	لبنان
٧٣٣	ابن الحداد	الطويل	وإرنا
٨٧٠	أبو محمد غانم	الطويل	يكون
٨٧٩	ابن السراج الملقب	الطويل	كنين
٩٠٢	بشار بن برد	الطويل	معين
٧٠٨	ابن الحداد	الطويل	تدنو
١٣٨	قنعب	البسيط	دفنوا
٣٧٣	ابن زيدون	البسيط	الزمن
٨٣٦	—	البسيط	سعدان
٩١٤	أبو العباس ابن قاسم	البسيط	أكفان
١٣١	كثير	البسيط	يمين
٧٧٨	—	مخلع البسيط	جفونه
٧٠٨	ابن الحداد	الوافر	عيون
٧٢٩	ابن الحداد	الكامل	يتمكن
٦٢١	ابن اللماي	مجزوء الكامل	بيان
٨٨٧	السميسر	مجزوء الكامل	تهون
٣٦٩	ابن زيدون	مجزوء الرمل	اليقين
٣٠٢	الأعمى التطيلي	المنسرح	حسن
٣٧٣	صريع الغواني	المنسرح	السمن
٣٩٠	بكر بن خارجه	الخفيف	الهوان
٧٥٩	—	الخفيف	المنون
٤٥٠	ابن الحناط	الطويل	والأمن
٧٣٨	رفيع الدولة ابن صمادح	الطويل	البين
٥٥٠	أبو عبد الله بن مسعود أو غيره	الطويل	بالدون
٣١١	ابن شهيد	الطويل	تلتطمان

٧٢٥	ابن الحداد	الطويل	عقبان
٧٨٤	الاسعد بن بليطة	الطويل	بلسانها
١٧٦	أبو تمام	البسيط	قَرَن
٣٦٧	المتني	البسيط	تَرَنِي
٥٠٦	ابن برد الاصغر	البسيط	الزمن
٥٤٣	أبو مروان الطنبلي	البسيط	وأخبرني
٣٦٥	ابن المعتز	البسيط	وسنان
٧٥٢	ابن مالك القرطبي	البسيط	روحاني
٨٥٥	أبو محمد غانم	البسيط	ريحاني
٩٠٢	أبو تمام	البسيط	وَوُحْدَان
٨٧٣	ابن السراج الملقب	البسيط	مضمون
٨٧٥	ابن السراج الملقب	البسيط	المجانين
٨٨٧	ابن الرومي	البسيط	النون
٨٥٩	أبو محمد غانم	البسيط	للحبيبين
٨٦٠	ابن عبد ربه	البسيط	خَلَيْنِ
٣٠٨	أبو الحسين ابن الجلد	الوافر	العجان
٣٣٥	ابن برد الاصغر	الوافر	عداني
٨٩٤	المتني	الوافر	الحنان
٤٧	هارون الرشيد	الكامل	مكان
٤٧	المستعين	الكامل	الأجفان
٣٠٩	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	الواوان
٧١٨	ابن الحداد	الكامل	الإعلان
٨٢٣	أبو الحسين ابن سراج	الكامل	الإخوان
٨٤٤	ابن عمار	الكامل	الفرسان

٦٢٢	ابن اللماي	الكامل	أوانه
٧٣٤	ابن الحداد	الكامل	زمانه
٢٠٥	ابن شهيد	الكامل	هملائها
٦١٦	—	الكامل	بدونه
١٦٤	كشاجم	الكامل المرفل	العين
٥٦٥	ابن مسعود البجاني	السريع	عني
٢١٥	ابن شهيد	السريع	الوزيرتين
٨٠٥	ابن القزاز	المنسرح	جيان
٨٧٤	ابن السراج المالقي	المنسرح	حسن
٣١٤	المعري	الخفيف	شاهدان
٥٢١	المعري	الخفيف	معتقان
٧٥٩	المنفل	الخفيف	عني
٢٩٤	اخو ابن شهيد	المقارب	المعاني
٥٥٥	أبو عبد الله ابن مسعود	المجتث	دُكان
٨٩٢	السميسر	المجتث	والأبدان

— قافية الهاء —

٢٤٨	—	الطويل	أناها
٨٧٤	ابن السراج المالقي	الطويل	وتراها
٣٢٥	—	البسيط	مأقيها
٧٧٤	الوليد بن يزيد	البسيط	عينها
٩٤٤	ابن برد الاصغر	مخلع البسيط	بديها
٥١٦	ابن برد الأصغر	مخلع البسيط	يلبها
٤٢٩	ولادة	الوافر	تيها
٤٣٠	ولادة	الوافر	يشتهبها

٢٦٣	ابن شهيد	الرمل	ولها
٨٨٤	السميسر	المنسرح	اداوياها
٣٢٤	المتني	المنسرح	ثناياها
٧٩٨	الاسعد بن بليطة	الطويل	لعله
٤٢٧	ابن زيدون	البسيط	مولاه
٢٢٣	ابن شهيد	مخلع البسيط	أباه
٥٧٤	—	الوافر	تراه
٥١٣	ابن برد الأصغر	مجزوء الرمل	وصلوه
٥١٤	الأمين	مجزوء الرمل	قتلوه
٥١٤	ابو محمد التيمي	مجزوء الرمل	حسدوه
٧٥٩	المنفلت	السريع	أضناه
٨٨٦	السميسر	السريع	مرآه
٧٧٨	ابن فتوح	الخفيف	هواه
٤٧٤	عبادة	البسيط	حاميه
٧٠٦	ابن الحداد	البسيط	أعميه
٧٠٧	ابن الحداد	البسيط	فيه
٤٢٨	ابن زيدون	مخلع البسيط	لناصحيه
٥٠٧	ابن برد الأصغر	مخلع البسيط	عليه
١٤٨	الحجام	الوافر	عليه
٥١٠	ابن برد الأصغر	الكامل	مياه
٧٨٩	ابن ظهار	الكامل	شفتيه
٨٢٢	ابو الحسين ابن سراج	الكامل	عليه
٨٢٢	ابو الوليد ابن حزم	الكامل	فيه
٧٦٠	المنفلت	مجزوء الرمل	فيه

٢٩٥	عبد الملك بن عمر الشهيدي	السريع	اللاهي
٧٩٤	أبو عامر ابن عبدوس	الخفيف	وجنتيه
٥٤٨	ابو الحسن الطنبلي	المجث	نيه
٨٨٥	السميسر	المجث	ليه

— قافية الواو —

٧٠٨	ابن الحداد	الطويل	أسوا
٧٨٩	ابن ظاهر	الكامل	أهوى
٣٢٧	ابن شهيد	المنسرح	أهوى

— قافية الياء —

٧١	ابن دراج	الطويل	الدنيا
١٥١	الفرزدق	الطويل	البواكيا
٨٨٢	ابن السراج المالقي	الطويل	لياليا
٤٥٠	ابن دراج	الطويل	حيّا
٨٣٦	عبد الله بن معاوية	الطويل	المساويا
٧٣٨	رفيع الدولة ابن صمادح	الطويل	التنائيا
٨٢٠	الأحمر المرواني	الطويل	أيّا
٧٠٩	ابن الحداد	الطويل	وحيا
٨٧٧	ابن السراج المالقي	الطويل	جنّيا
٨٧٨	ابو بكر ابن زياد	الطويل	جرّيا
٥٤٦	—	مجزوء الرمل	آية
٨٦٦	أبو محمد غانم	السريع	شقيقة
٦٥	ابن دراج	الخفيف	ودنيا
٧٩٣	الاسعد بن بليطة	الخفيف	جُدريّا
٧٩٤	أبو زيد ابن العاصي	الخفيف	جُدريّا
٧٩٠	ابن ظاهر	المجث	ساقيلك

٢٠٨	ابن شهيد	المقارب	الغانية
٤٧٨	—	الوافر	علي
٣٣٠	ابن شهيد	البسيط	غاري
٦٧٨	—	مجزوء الرمل	بدوي
٦٨٠	—	المجث	بري
٧٥٨	المنقل	المجث	الخلي
٤٧٥	عبادة	الطويل	ظبي
٧٥٦	المنقل	البسيط	سحولي
٣١٢	السناط	الوافر	صيرفي
٥١٢	السناط	الوافر	الشجي
٨٣٤	أبو تمام	الوافر	بلي

فهرس أنصاف الأيات

- أ -

٤١١	المكعب الضبي	الطويل	رجاء
-----	--------------	--------	------

- ب -

٨٧٢	ابن السراج المالفى	الطويل	حيب
٤١٥	المتني	الوافر	عتاب

- ح -

٤١٤	عروة بن الورد	الطويل	منجح
-----	---------------	--------	------

- د -

٣٦٤	ابن المعتز	البسيط	قواد
٦٦٦	—	البسيط	مقصود
٥١٤	بشار بن برد	الرجز	للعبد

- ر -

٤١٤	—	الطويل	العذر
٥٢١	ابن المعتز	البسيط	الظفر

- س -

٤١٧	الخطبة	البسيط	والناس
-----	--------	--------	--------

- ع -

٤١١	—	الوافر	الريعا
٨٤٣	ابو تمام	الطويل	بصرعُ
٣٢	—	الطويل	ودائعُ

- ق -

٦٧١	—	البسيط	الفرقُ
٤١٣	عنزة	الكامل	فتحول

- م -

٤١٥	المتنبي	البسيط	ذميمُ
-----	---------	--------	-------

- ي -

٤١٤	—	الطويل	ماليا
-----	---	--------	-------

فهرس المحتويات

٥	مقدمة التحقيق
١١	[مقدمة المؤلف]
٢٢	[فهرسة المؤلف لأقسام الذخيرة]
	ذكر الكتاب والوزراء وأعيان الأدباء والشعراء بحضرة قرطبة وما
٣٣	يصاحبها
٣٥	فصل في ذكر المستعين بالله أبي أيوب سليمان بن الحكم
٤٨	فصل في ذكر المستظهر بالله أبي المطرف عبد الرحمن بن هشام
٥٣	ذكر الخبر عن كيفية مقتله
٥٥	جملة ما وجد من شعره
٥٩	فصل في ذكر الأديب أبي عمر أحمد بن دراج القسطلي
٦٠	جملة فصول من كلامه الطويل
٦٧	ما أخرجه من قصائده السلطانيات
٩٦	إيجاز الخبر عن إمارة علي بن حمود
١٠٠	كيفية مقتل علي بن حمود
١٠٣	فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي حفص بن برد الأكبر
١٠٤	ما أخرجه من ديوان رسائله
١٢٣	تلخيص التعريف بنخب عيسى بن سعيد ومقتله
١٢٩	من شعر أبي حفص بن برد
١٣٢	فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم
١٣٣	جملة من رسائله
١٤٢	[استطرادات في المذّرين]

- ١٥٢ رجع إلى رسائل أبي المغيرة
 ١٦٧ ذكر أبي محمد بن حزم الفقيه
 ١٧٥ ما أخرجه من شعر أبي المغيرة
 ١٨٠ لمع من أخبار منذر بن يحيى التجيبي
 ١٨٥ ذكر الخبر عن مقتل منذر
 ١٨٨ [استطرد بذكر مقتل بلقين الحمادي]
 ١٩١ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عامر بن شهيد
 ١٩٣ جملة من كلامه
 ٢٢٥ فصول قصار مقتضبة من كلامه
 ٢٤٥ فصول من رسالة التوابع والزوابع
 ٢٨١ ذكر أبي القاسم بن الأفلح
 ٢٨٣ رجع الحديث إلى التوابع والزوابع
 ٣٠٥ جملة من شعر ابن شهيد
 ٣١٦ ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن حمود
 ٣١٨ [عود إلى نثر ابن شهيد وشعره]
 ٣٢٨ فصل في ذكر آخر أيام ابن شهيد
 ٣٣٦ فصل في ذكر ذي الوزارتين الكاتب أبي الوليد بن زيدون
 ٣٤٠ جملة من نثره وما ينخرط في سلوكه من شعره
 ٣٧٥ ما أخرجه من شعره في المدائح والأوصاف
 ٣٨٦ وقبعة ابن عباد بابن الأفتطس
 ٣٨٩ رجع إلى شعر ابن زيدون ونثره
 ٤٠٨ [رسالة إلى ابن مسلم ، أضيفت إلى الأصل]
 ٤١٧ وما يتعلق بذكر وفاته
 ٤٢٠ [إضافات إلى نص الذخيرة من القلائد]
 ٤٢٩ بعض خبر ولادة
 [نص عن ولادة ليس من أصل الذخيرة كما صرح التجاني]

- ٤٣٠ في تحفة العروس : ٢٠١]
 ٤٣٣ التعريف بالمستكفي والد ولاّدة
 ٤٣٧ فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن سليمان بن الحناط
 ٤٣٨ جملة من نثره
 ٤٤٥ ما أخرجه من قصائده في المدح والوصف والثناء
 ٤٥٣ ذكر الخبر عن مقتل المرتضى المرواني
 ٤٥٦ زوائد في الخبر المتقدم
 ٤٦٢ [استطراد بذكر المعارض]
 ٤٦٨ فصل في ذكر الأديب أبي بكر عبادة بن ماء السماء
 ٤٧٠ جملة من شعره في أوصاف شتى
 ٤٨١ ذكر الخبر عن ولاية القاسم بن حمود قرطبة
 ٤٨٦ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي حفص بن برد الأصغر
 ٤٨٧ فصول مقتضبة من كتابه « سرّ الأدب »
 ٤٩١ فصول له في التحييدات
 ٤٩٤ فصول له في شكر النعم
 ٤٩٥ فقر في وصف القلم والمداد والكتاب
 ٤٩٧ فصول له تنخرط في سلك الأمان
 ٥٠٢ فصول في الاسترارة
 ٥٠٣ فصول قصار في مدح الاخاء
 ٥٠٥ جملة من شعره في أوصاف شتى - النسيب
 ٥١٦ شعره في سائر الأوصاف
 ٥٢٣ [رسائل لابن برد ألحقت بنصّ الذخيرة]
 ٥٢٣ رسالته في السيف والقلم
 ٥٢٨ رسالته في النخلة
 ٥٣١ رسالته المسماة بالبديعة
 ٥٣٥ فصل في ذكر الأديب أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي

٥٣٦	[أبو مضر زيادة الله الطنبلي]
٥٤٢	ما أخرجته من أشعار بني الطنبلي
٥٤٤	[استطراد في الهجاء]
٥٤٧	من شعر أبي الحسن الطنبلي
٥٤٩	فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن مسعود
٥٦٢	محمد بن مسعود آخر
٥٦٥	قصيدتان للطلق المرواني
٥٧٣	فصل في ذكر الشيخ الأديب الكامل أبي مروان بن حيان
٥٧٥	فصول من كلامه في أوصاف شتى
٥٨٦	فصول مقتضبة من طويل كلامه في تاريخه
٦٠٢	فصول من كلامه عن أولية دولة بني جهور
٦٠٨	[المؤلف يكمل من إنشائه بقية خبر بني جهور]
٦١١	فصل له في ذكر رحيل ابن ذي النون عن قرطبة
٦١٤	فصل في ذكر الفقيه القاضي أبي الوليد ابن الفرضي
٦١٧	فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر ابن اللماثي
٦١٨	فصول من نثره
٦٢١	ومن شعره
٦٢٤	فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عبدالله البزلياني
٦٢٥	فصول من نثره
٦٣٥	[نبذ من نثره أضيفت إلى الذخيرة]
٦٤٣	فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر أحمد بن عباس
٦٤٥	فصول له في أوصاف شتى
٦٥٦	إيجاز الخبر عن مقتله ومقتل زهير الفتي
٦٦٣	مقتل أحمد بن عباس
٦٧٠	فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي حفص عمر بن الشهيد
٦٧١	جملة من كلامه في أوصاف مختلفة

- ٦٧٤ وله من مقامة
- ٦٨٦ من مدائحه في المعتصم ابن صمادح
- ٦٩١ فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن أحمد بن حداد
- ٦٩٣ جملة من نثره
- ٧٠٤ جملة من شعره في أوصاف شتى
- ٧٠٩ مدائحه في ابن صمادح
- ٧٢٨ من شعره في النسب وما يتصل به
- ٧٢٩ لمع من أخبار الأمير ابن صمادح
- ٧٣٧ [أبو يحيى رفيع الدولة بن صمادح]
- ٧٣٩ فصل في ذكر الأديب أبي محمد بن مالك القرطبي
- ٧٤١ فصول من مقامة خاطب بها ابن صمادح
- ٧٥٢ [ومن شعره]
- ٧٥٤ فصل في ذكر الأديب أبي أحمد عبدالعزيز بن خيرة المعروف بالمنفقل
- ٧٥٦ جملة من شعره في أوصاف شتى
- ٧٦٦ فصل في تلخيص التعريف بمقتل ابن النغريلي
- ٧٧٠ ذكر الأديب أبي المطرف عبد الرحمن بن فتوح
- ٧٧١ جملة من شعر ابن فتوح في النسب
- ٧٨٦ [مقامة لابن فتوح]
- ٧٨٨ فصل في ذكر الأديب أبي بكر بن ظهار
- ٧٩٠ فصل في ذكر الأسعد بن ابراهيم بن الاسعد بن بليطة
- ٧٩١ شعره في النسب والأوصاف
- ٧٩٤ [استطراد بذكر أوصاف آثار الجدي والخال]
- ٧٩٦ رجع إلى شعر الأسعد
- ٧٩٩ شعر الأسعد في المديح
- ٨٠١ فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز
- ٨٠٥ فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن مالك الطغري

- ٨٠٨ فصل في ايراد أشعار رثي بها الوزير الفقيه أبو مروان بن سراج
- ٨٠٩ [ترجمة أبي مروان بن سراج]
- ٨١٣ الفقيه أبو بكر بن خازم
- ٨١٤ الأديب أبو جعفر أحمد بن شائجه
- ٨١٤ الفقيه أبو عبدالله جعفر بن محمد بن مكّي
- ٨١٦ الوزير الكاتب أبو محمد بن عبدون
- ٨١٨ الكاتب أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن طريف
- ٨١٩ الوزير أبو بكر محمد بن عبد العزيز
- ٨٢٠ الأديب أبو عبدالله محمد بن محمد القرشي
- ٨٢١ الأديب أبو العباس أحمد بن محمد الكتاني
- ٨٢١ ترجمة الوزير الفقيه أبي الحسين بن سراج
- ٨٢٤ [استطراد بذكر الشعراء العلماء]
- ٨٢٧ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي مروان عبد الملك بن شماخ
- ٨٤٠ جملة من شعر ابن شماخ
- ٨٤١ [استطراد عن الاستعارات المضحكة]
- ٨٤٤ [رجع إلى شعر ابن شماخ]
- ٨٤٧ فصل في ذكر الفقيه أبي عمر أحمد بن عيسى الالبيري
- ٨٥٠ من شعره
- ٨٥٢ [استطراد ببعض الأدب الزهدي]
- ٨٥٣ فصل في ذكر الأديب العالم أبي محمد غانم
- ٨٥٤ جملة من نثره
- ٨٥٨ من شعره
- ٨٦٠ من مدائحه
- ٨٦١ [من نثره في العالي بالله]
- ٨٦٦ ومن مرثيته
- ٨٧٠ فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله بن السراج المالقبي

٨٨٢	فصل في ذكر الأديب أبي القاسم خلف بن فرج (السميسر)
٨٨٤	ما أخرجه من شعره في أوصاف شتى
٨٨٩	ما أخرجه من شعره في الزهد والحكم
٨٩٢	ومن شعره في ذكر الطب والاطباء
٨٩٣	ومن شعره في ذكر الشعر والشعراء
٨٩٤	ومن شعره في أوصاف شتى
٨٩٦	ومن مقطوعاته الاخوانيات
٨٩٧	ومن شعره في النسيب
٩٠١	[الاستطراد في الشعر]
٩٠٥	فصل في ذكر الأديب أبي العباس أحمد بن قاسم المحدث
٩١٣	جملة من شعره
٩١٦	فصل في ذكر الأديب أبي طالب عبد الجبار
٩١٦	جملة من شعره في أوصاف شتى
٩١٨	فصول من خطبته التي جعلها مقدمة لارجوزته
٩٢٠	أول أرجورته
٩٢٠	في التحميد
٩٢٢	مقدمات من أدلة المعرفة والاستدلال على الصانع
٩٢٤	في بيان العلم والنظر
٩٢٥	التفكر في الملكوت
٩٢٧	بدء الخليقة وذرة البرية
٩٢٨	الأنبياء المنصوص على قصصهم في القرآن
٩٢٠	الخلفاء الأربعة ومن تلاهم من بني أمية
٩٣٣	الدولة العباسية
٩٤٠	دولة بني أمية بالأندلس
٩٤١	ذكر الفتنة الأولى لقرطبة
٩٤٢	ذكر ملوك الطوائف

٩٤٤	دولة المرباطين بالاندلس
٩٤٥	فهارس الكتاب
٩٤٧	فهرس الاعلام
٩٩٥	فهرس الأماكن
١٠٠٢	فهرس القبائل والامم
١٠٠٨	فهرس الكتب المذكورة في المتن
١٠١٠	فهرس القوافي
١٠٦١	فهرس المحتويات

تصويبات^١

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٣٠	٧	الفتح	الفتوح
٩٩	٩	ظن	عن
١٤٠	١٩	ونار	وديار
١٩٨	١٧	برتفاع	بارتفاع
١٩٨	٢٠	الالة	دلالة
٢٧١	١٢	الهار	البحار
٣٩١	١٩	٥٣٠	٤٣٥
٤١٢	١٣	السلفة	السفلة
٤١٣	٦	هبزل	منزل
٤١٦	٩	الصياغة	الصاغية
٥٣٣	٢٣	الثقل	العقل
٥٥٥	٢١	التاريخ	التارنج

١ وقعت أخطاء لا يمسر على القارئ تداركها ، وأثبت هنا ما يمكن أن يحدث لبساً .